

تاريخ الأدب العربي

تأليف
الدكتور عمر فروخ

الجزء السادس

الأدب في المغرب والأندلس
من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة

دار المعارف



مکتبۃ لسان العرب

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com

تاريخ الأدب العربي



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com

رابطہ بدیل

تاريخ الأدب العربي

لجزء السادس

الأدب في المغرب والأندلس

من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة

(أوائل القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن السادس عشر للميلاد)

تأليف

مفروق

عضو مجمع اللغة العربية في دمشق

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

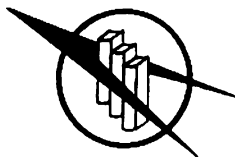
عضو المجمع العلمي العراقي في بغداد

دار الجامع للملايين

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية لتأليف والترجمة والنشر

شارع شارالبياس - خلف نكبة العمار
من ب. ١.٨٥٠ - شقفون. ٢٠١٤٥ - ٨١٢١١٤
بترقية، ملائيم، تكس، ٢٣١١١ ملائيم
بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل
من الأشكال أو بآلية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية
أم الالكترونية أم الميكانيكية، بما في ذلك النسخ المتوحد في
والتنسجيل على أشرطة أو غيرها أو غيرها أو حفظ المعلومات وإيصالها
- دون إذنه خطي من الناشر.

الطبعة الرابعة

نيسان/أبريل ٢٠٠٦

الكلمة الأولى

سيكون الفصلُ الأوَّلُ من هذا الجزءِ السَّادِسِ طويلاً جدًّا، ذلك لأنَّه سَيَعْرِضُ صورةَ العصرِ في الأندلسِ أيامَ بني نصرٍ أو بني الأحمر (٦٢٩-٨٩٧ هـ) ثمَّ في المَغْرِبِ كلِّه: في أيَّامِ بني مرِّينٍ في فاسَ (٥٩٢-٩٥٧ هـ) وبني زَيَّانَ في تِلِسانَ (٦٣٣-٩٦٢ هـ) والدولةِ الوطَّاسِيَّةِ في بادِيَةِ الجزائرِ (٦٣٣-٩٦٦ هـ) والدولةِ الحَفْصِيَّةِ في تُونِسَ (٦٢٥-٩٨٢ هـ)؛ وتلك حِقْبَةٌ تمتدُّ أربعةَ قرونٍ كواملٍ.

ولطولِ هذا العصرِ سببَانِ رئيسَانِ: طولُ ذلك العصرِ نَفْسِه من حيثِ الزمنُ ثمَّ الحاجةُ إلى شيءٍ من التَّوسُّعِ في السَّعيِ لِرَدِّ التُّهْمَةِ عن ذلك العصرِ بأنَّه عَصْرُ انْحِطَاطٍ، مَعَ العلمِ بأنَّ الحَيَاةَ العُمرانيَّةَ والحَيَاةَ الثقافيَّةَ ثمَّ الحَيَاةَ السياسيَّةَ نَفْسَهَا - في المَغْرِبِ خاصَّةً - كانتْ كُلُّهَا مُزْدَهَرَةً.

إِنَّ الضَّعْفَ السياسيَّ في الأندلسِ (في سلطنةِ غرناطةِ الضَّيِّقَةِ الرُّقْمَةِ والحاضِمةِ للنُّفُوزِ النَّصرانيِّ) قد أَدَّى - كما يُتَنَطَّرُ في مِثْلِ هذه الحالِ - إلى ضَعْفٍ في الأدبِ عامَّةً وفي الثقافيَّةِ أيضاً. غيرَ أنَّ هذه القاعدةُ العامَّةُ قد خَرَقَهَا في الأندلسِ، وفي ذلك الحينِ، نهضةٌ عُمرانيَّةٌ من البناءِ ومن الرُّخْرَفِ لم يَسْبِقْهَا نهضةٌ مِثْلُهَا ولا لَحِقَهَا نهضةٌ مِثْلُهَا. إِنَّ قُصُورَ الحمراءِ في غرناطةِ مَعَالِمٌ من فنِّ البناءِ وَفَنِّ الرُّخْرَفِ وَعُنوانٌ لِحَضَارَةِ لم تَرَقَّ إليها حضارةٌ أُخرى. ولهذه الآثارُ العربيَّةُ في الأندلسِ (إسبانيَّةِ اليومِ) قيمةٌ اقتصاديَّةٌ تقومُ عليها حياةُ الإسبانِ، أولئك الإسبانِ الذين كانتْ صدورُ كِبَرائِهِمْ قد ضاقتْ بالإسلامِ وبالمُسلمينِ، فقاتلوا المُسلمينَ - بقيادةِ البابويَّةِ - ثمَّ أخرجوهم من ديارِهِمْ بوَحْشيَّةٍ لم يَعرِفْهَا إِلَّا عَصْرُنَا الحاضرُ في فلسطينَ وفي غيرِ فلسطينَ أيضاً، بالأُسْرِ القريبِ.

لَيْسَ من المَعقولِ، ولا من المألُوفِ، أن نَصِفَ بالانْحِطَاطِ المِكريِّ أو الانْحِطَاطِ

الأدي عصرأ كان فيه القُرطبي المفسر (ت ٦٧١ هـ) ثم ابنُ أبنُ عُصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩ هـ) وابنُ مالك (ت ٦٧٢ هـ) النُّحويان الكبيران ثم ابنُ البناء المَدَدِيُّ (ت ٧٢١ هـ) والقَلَّصَادِيُّ (ت ٨٩١ هـ) الرِّياضِيانِ ثم تلك الكوكبة من علماء التاريخ والجغرافية والأجتماع المُوَسِّعِينَ (وبعضهم يقول: المُوَسَّعِينَ): عبد الواحد المَرَاكشِيُّ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو المَطَّرَفِ بنُ عَمِيرَةَ (ت ٦٥٨ هـ) وحازمُ القُرطاجِيُّ (ت ٦٨٤ هـ) وابنُ الأَبَّارِ القُضَاعِيُّ (ت ٦٨٥ هـ) وبنو سعيدِ العنسيِّ الذين ملأوا القرنَ السابعَ ثم ابنُ عبدِ الملكِ المَرَاكشِيِّ (ت ٧٠٢ هـ) وابنُ منظور (ت ٧١١ هـ) صاحبُ قاموسِ «لسانِ العَرَبِ» ثم ابنُ خاتمة (ت ٧٧٠ هـ) وابنُ أبي حَجَلَةَ (ت ٧٧٦ هـ) ولسانُ الدينِ بنُ الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وابنُ بطوطة الرحالة (ت ٧٧٩ هـ) ويحيى بنُ خَلْدُونِ (ت ٧٨٠ هـ) وأبو حَمَوِ الثاني (ت ٧٩١ هـ) وألُّ مرزوقِ الذين ملأوا القرنَ الثامنَ بالفقه والأدب ثم الكوكبُ الوضَاءُ عبدُ الرحمنِ بنُ خَلْدُونِ (ت ٨٠٨ هـ) مؤسسُ علمِ التاريخِ ومُوجدُ علمِ الأَجتماعِ في العالمِ كُلِّهِ ثم الوَثْرِيَّيْنِ (ت ٩١٤ هـ) صاحبِ كتابِ «المِيار»، وقد جَمَعَ فيه آراءَ طيبة في الإدارة وفي التربية والتعليم.

وإذا نحنُ نسينا في هذه الصورة الزاهية - من الحُكَّامِ - بني نصرِ أو بني الأحرارِ ملوكِ غرناطة - معَ أَنهم تركوا لنا في الحضارة العُمرانية أثراً لا يُنسى - فلا يجوزُ لنا أن ننسى المَنصُورَ المَرِيَّيَّ يَعقُوبَ بنَ عبدِ الحقِّ (٦٥٦-٦٨٦ هـ) ويحيى بنَ عبدِ الواحدِ الحَقَفِيِّ (٦٢٥-٦٤٧ هـ) وأبا حَمَوِ موسى الثاني (٧٦٠-٧٩١ هـ).

الأممُ كُلُّها تَمُرُّ في أدوارٍ من الرُّمِّيِّ ومن الأخطاطِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. وأرى أن المسلمين لم يَمُروا في ماضيهم في مِثْلِ هذا الأخطاطِ الذي يَمُرُّونَ بِهِ في عصرِهِمُ الحاضرِ، لأنَّهم يَفقدونَ في عصرِهِمُ الحاضرِ هذا رجالَ دولةٍ من أمثال الذين عدَدناهم في الأسطر السالفة. فمَنى أن يبعثَ اللهُ فينا من يرُدُّ لنا تلك المِكانَةَ التي كانتْ لنا من قبلُ. إنَّه على كُلِّ شيءٍ قديرٌ.

الأحد في ٢٠ من صفر ١٤٠٣ = ١٩٨٢/١٢/٥.

عمر فروخ

- ★ صورة العصر في المغرب وفي الأندلس ٢٥ - ٥١
- دولة بني الأحمر - الأثر الحاكمة في المشرق والمغرب ٢٨ -
 الحفصيون في تونس ٢٩ - بنو مرين ٣١ - أبو عنان ٣٢ - بنو
 وطّاس ٣٣ - ليبيا ٣٥ - السودان الغربي (أو المغربي) ٣٦ -
 حوض النكار (النيجر) وحوض السنغال ٣٧ - مالي أو مالي
 ٤٠ - غانة ٤٣ - كاتم: برنو ٤٥ - الصوصو (صو)؟ كوكو في
 كياك (كانياغا) ٤٧ - امبراطورية سنهي (صغاي) ٤٨ - ودّاي
 . ٥٠

- ★ الحياة الثقافية في هذا العصر ٥٢ - ١٣٤
- العلوم الدينية ٥٢ - علوم الحديث ٥٥ - علوم الفقه ٥٩ - أصول
 الدين وعلم الكلام ٧١ - التصوف ٧٤ - التاريخ والجغرافية
 ٨٠ - علوم التماثيل (الرياضية) - العلوم الطبيعية - رثاء البلدان
 أدب المولد - (الثقافة في السودان الغربي).

	النة	الهجرية
١٣٤	أبو البقاء البلنسي	٦١٦
١٣٥	ابن غياث الشريشي	٦٢٠
١٤٠	أبو عبد الله بن عسكر	٦٣٦
١٤٤	محمد بن أحمد الأستحي	٦٣٩
١٤٨	موسى بن سعيد العنسي	٦٤٠
١٥٣	الأعلم البطليوسي	٦٤٢
١٥٤	طلحة بن حزم الأموي	٦٤٣
١٥٧	عنان بن جابر	٦٤٥

١٥٩	ابن سفر المرّي	
١٦١	أبو عليّ الثلوبيني	٦٤٥
١٦٤	عبد الواحد المرّاكشي	٦٤٥
١٦٧	أبو بكر بن النّاء الإشبيلي	٦٤٦
١٧٠	أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي	٦٤٦
١٧١	يحيى بن عبد الواحد الحفصي	٦٤٧
١٧٤	ابن سهل الإشبيلي	٦٤٩
١٨٣	التيفاشي القفصي	٦٥١
١٨٨	حميد الأنصاري	٦٥٢
١٨٩	أبو الخطّاب السكوني	٦٥٢
١٩٢	أبو الحجاج البيّاسي	٦٥٣
١٩٤	محمد بن عبد الله المرسي	٦٥٥
١٩٦	ابن الجنّان الأنصاري	٦٥٥
٢٠٤	أبو الحسن الناذلي	٦٥٦
٢١٠	ابن الأبار القضاعي	٦٥٨
٢١٧	أبو المطرف بن عميرة	٦٥٨
٢٢٤	ابن عربيّة (عربية؟)	٦٥٩
٢٢٧	أحمد اللّلياني	٦٥٩
٢٢٩	ابن سيّد الناس	٦٥٩
٢٣٣	ابن عبدون المكناسي	٦٥٩
٢٣٥	ابن سراقّة التاطي	٦٦٢
٢٣٧	أبو الحسن بن محمد الحيّاني	٦٦٣
٢٤٠	ابن الفقّار الرعيّني	٦٦٦
٢٤٦	أبو الحسن الثّثري	٦٦٨
٢٤٨	ابن عصفور الإشبيلي	٦٦٩
٢٥٢	الدرجيني	٦٧٠

٢٥٣ ابن أبي الحسين	٦٧١
٢٥٥	القرطبي صاحب التفسير	٦٧١
٢٦٠	ابن مالك النحوي	٦٧٢
٢٧١	محمد بن الحسن القلمي	٦٧٣
٢٧٣	ابن الجنان الشاطبي	٦٧٥
٢٧٧	ابن الناظر القرشي	٦٧٩
٢٧٧	سعید بن حکم القرشي	٦٨٠
٢٨٣	ابن معمر الهواري	٦٨٢
٢٨٤ محمد بن موسى المزالي	٦٨٣
٢٨٦	أبو البقاء صالح بن شريف الرندي	٦٨٤
٢٩١	حازم القرطاجني	٦٨٤
٣١٢	علي بن موسى بن سعيد العنسي	٦٨٥
٣١٧ إبراهيم بن أبي بكر التلمساني	٦٩٠
٣١٩	ابن السعاط المهدي	٦٩٠
٣٢٣	ابن عتيق المرسي	٦٩٠
٣٢٥	ابن الفخار البلنسي	٦٩٠
٣٢٧ حافي رأسه	٦٩٣
٣٢٩	عبد العزيز المزوزي	٦٩٧
٣٣١	بدر الدين بن هود	٦٩٩
٣٣٤	ابن فرح الإشبيلي	٦٩٩
٣٣٥ مالك بن المرحل	٦٩٩
٣٤٠	يحيى بن علي اليفري	٧٠٠
٣٤١	ابن عبد النور الملقبي	٧٠٢
٣٤٦	ابن عبد الملك المرآكشي	٧٠٣
٣٥٣	الغبريني صاحب الدراية	٧٠٣
٣٥٧	أبو العباس العزفي	٧٠٧

٣٥٨	أبو جعفر بن الزبير	٧٠٨
٣٦١	ابن خميس التلمساني	٧٠٨
٣٦٥	ابن الحكيم الرندي	٧٠٨
٣٦٨	أبو عبد الله محمد الغالب بالله	٧١٠
٣٦٩	ابن منظور صاحب لسان العرب	٧١١
٣٧٤	أبو العباس الملياني	٧١٥
٣٧٦	التجاني صاحب الرحلة	٧١٨
٣٨٢	ابن رُشَيْدِ السبتي	٧٢١
٣٨٨	ابن البناء المديني	٧٢١
٣٩٣	ابن آجرّوم	٧٢٣
٣٩٩	ابن الفخّار الجذامي	٧٢٣
٤٠١	العبدري صاحب الرحلة	٧٢٥
٤٠٤	ابن عذارى المراكشي	
٤٠٦	ابن أبي زرع	٧٢٦
٤٠٩	ابن الزيات الكلاعي	٧٢٨
٤١١	القيجاطي	٧٣٠
٤١١	ابن هاني السبتي	٧٣٣
٤١٤	ابن القويح التونسي	٧٣٨
٤١٩	ابن عمر الملكيشي	٧٤٠
٤١٠	محمد بن أحمد بن جزّي	٧٤١
٤٢٦	أبو حيان الفرناطي	٧٤٥
٤٣٠	الطويجين الساحلي	٧٤٧
٤٣٦	أبو بكر بن شبرين	٧٤٧
٤٣٨	ابن الحيات الفرناطي	٧٤٩
٤٤١	ابن جابر الوادي آشي	٧٤٩
٤٤٥	عبد المهيمن الحضرمي	٧٤٩

٤٤٩	الجزنائي الفاسي الكرياني	٧٤٩
٤٤٢	ابن الصائغ المغربي	٧٤٩
٤٥٥	أبو العلاء بن سمالك	٧٥٠
٤٥٧	ابن ليون التحبيبي	٧٥٠
٤٦٠	محمد البدري	٧٥٠
٤٦١	ابن المراجع	٧٥٠
٤٦٥	ابن هذيل الغرناطي	٧٥٣
٤٦٨	أبو عبد الله بن جزّي الكلي	٧٥٧
٤٧١	المقرّي الجدّ	٧٥٩
٤٧٧	أبو القاسم السبتي الغرناطي	٧٦٠
٤٨٠	أبو جعفر بن صفوان	٧٦٣
٤٨٣	ابن الحاجّ النميري الغرناطي	٧٦٨
٤٨٩	ابن خاتمة الأنصاري	
٤٩٦	صنديل بن آجروم	٧٧٣
٤٩٨	أبو البركات بن الحاجّ البلقيّ	٧٧٣
٥٠٣	لسان الدين بن الخطيب	٧٧٦
٥١٧	ابن أبي حجلة	٧٧٦
٥٢١	ابن بطوطة	٧٧٩
٥٢٨	أبو جعفر الغرناطي الرعيبي	٧٧٩
٥٣٠	ابن جابر الأندلسي	٧٨٠
٥٣٣	محمد بن يوسف الثغري التلمساني	٧٨٠
٥٤٠	محيي بن خلدون	٧٨٠
٥٤٦	ابن مرزوق الخطيب	٧٨١
٥٥٥	أبو سعيد بن لبّ	٧٨٢
٥٥٨	أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزّي	٧٨٥

٥٦١ محمد الطريف التونسي	٧٨٧
٥٦٣	أبو جعفر بن زرقاله	
٥٦٥	ابن عباد الرندي	٧٩١
٥٦٩	ابن زمرك	٧٩٥
٥٧٦ ابن فرحون	٧٩٩
٥٧٩	أبو زيد المكوذي	٨٠٧
٥٨٦	ابن خلدون	٨٠٨
٦١٠	ابن قنفذ القنطيني	٨٠٩
٦١٥ ابن الأحمر صاحب « تثير الجبان »	٨١٠
٦٢١	يوسف بن يوسف بن الأحمر	٨١٩
٦٢٣	ابن جابر النصافي المكتاسي	٨٢٧
٦٢٥	أبو بكر بن عاصم	٨٢٩
*٦٣٤ ابن مرزوق الحفيد	٨٤٢
*٦٣٣	أبو يحيى بن عقبة	٨٦٠
٦٤١	أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم	٨٦٠
٦٤٨	ابراهيم التازي	٨٦٦
٦٥٣	ابن عبد المنعم الحميري	
٦٥٧	الجزولي السملالي	٨٧٠
*٦٦٥	القليصادي	٨٩١
*٦٦١	القاضي ابن الأزرق	٨٩٦

* إن التراجم مرتبة في هذا الكتاب كله على سنوات الوفيات. ولكن اتفق لها، حيث وضع على رقم الصفحة نجم صغير « (٥) »، أن تأخرت ترجمة مرتبة واحدة، وكان حقها أن تتقدم (أو تتأخر) وكان حقها أن تتأخر. وهذا ينطبق على التراجم الست المثبتة على هذه الصفحة وعلى الصفحة التالية.

٦٧١ عبد الكريم الفرناطي	٨٩٨
٦٧٣	زرّوق البرنسي	٨٩٩
٦٨٠	ابن عبد الجليل التنسيّ	٨٩٩
٦٨٥	شهاب الدين (بن) الخلّوف	٨٩٩
٦٨٨ أبو العبّاس الونشريسي	٩١٤
٦٩٥	ابن غاز المكناسيّ	٩١٩
*٧٠٣	ابراهيم الفجيجي	٩١٠
*٦٩٨	محمد بن العربيّ العقيليّ	٩١٨
٧٠٥ محمود بن عمر أقيت التنبكتيّ	٩٥٥

مقدمة

هذا الجزء يَصِلُ بنا إلى الفتح العثماني في المغرب (أي إلى نحو سنة ٩٣٠ هـ = ١٥٢٤ م). غير أن نقرأ من الذين أدرَكهم الفتح العثماني قد بقوا مُدَّةً بعد ذلك الفتح، فدخل نقرأ منهم في نطاق هذا الجزء.

وهذا الجزء السادس الحاضر تنتهي السلسلة التي عَمِلْتُ في وَصْفِها جيلاً كاملاً من الدهر (١٣٧٠ - ١٤٠٣ هـ = ١٩٥١ - ١٩٨٣ م) (*). وقد كنت جمعت في تلك الأثناء ألوفاً من البطاقات. فربما كان الأديب مُقَلِّاً أو ربِّها كانت معرفتنا بأخباره ضئيلة جداً، فيكون له بطاقة واحدة من هذه البطاقات. وربِّها كانت مصادر أخباره ومراجعتها كثيرة، وعددُ مصنَّفاتِه كبيراً، فيكون له عشرُ بطاقاتٍ أو عشرون أو أكثر.

ولم يكن بالإمكان أن يدخل كلُّ اسمٍ على بطاقةٍ (أو على عددٍ من البطاقات) في متن هذا الكتاب. لقد كان لي طريقةٌ في قبول الأديب أو الشاعر أو العالم في سلكِ تراجم هذا الكتاب. هذه الطريقة تقوم على ثلاثة أُسُسٍ: (أ) أن يكون للشخص المختارِ نصوصٌ على مُستوى ما من الجودة، و(ب) أن يكون له تاريخٌ وفاقٌ دقيقٌ أو قريبٌ من الدقَّة، و(ج) أن يكون له أثرٌ ثقافيٌّ أو لفتةٌ بارعة.

وقد كان اختيارُ التراجم مُضنيّاً. كنتُ أُرْجِعُ إلى كلِّ بطاقةٍ ثم أعودُ إلى المصادر والمراجع التي على تلك البطاقات صفحةً صفحةً. فإذا لم أجد نصّاً صالحاً لأن تبني عليه ترجمةً مستقلةً، وضمت البطاقة المتعلقة به جانباً. ثم أُرْجِعُ إلى تلك البطاقات التي وضعتُ جانباً فأنظرُ فيها مرَّةً ثانية، فقد أجدُها تصلحُ لتكونُ إضافةً إلى صورة العصر الذي أعالجه. فإذا لم تصلحُ لذلك أيضاً أهملتها مرَّةً واحدة. ولا شك في أن هذا العمل يتضي وقتاً طويلاً. ومع هذا كلِّه، فأنا لا أستطيعُ أن أزعمَ أن كلُّ ترجمةٍ تستحقُّ الدخولَ في هذا الكتاب قد دخلت فيه، كما لا أستطيعُ أن أقولَ أيضاً إن كلَّ

(٣) الجيل ثلث قرن (نحو ثلاثة وثلاثين عاماً).

ترجمة قَبْلُهَا هي أفضل من كلِّ ما أهملته من التراجم. إنَّ للجُهدِ الإنسانيِّ حدوداً من المكانِ وقُيُوداً من الزمانِ، ولا يُمكنُ عند النظر في كلِّ ترجمةٍ أنْ أعودَ إلى كلِّ جِلَّةٍ تَمَلُّقُ بتلك الترجمة في كلِّ كتابٍ بينَ يَدَيَّ أو في متناولِ يَدَيَّ من قُرْبٍ أو من بُعْدٍ. وأريدُ أنْ أعودَ مرَّةً أُخرى إلى نَفَرٍ من الذين يُحقِّقون الكُتُبَ.

في هذا الجزء ترجمةٌ صاحبها أبنُ شبيب الكرياني. لهذا الشاعر ترجمةٌ في «الإحاطة في أخبار غرناطة» للسان الدين بن الخطيب. وقد جاء لهذا الشاعر مقطوعة منها البيت التالي (مصر- شركة طبع الكتب العربية- ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٤٣):

كان اللقاء فكان حظي ناظري وسطا الفراق فصار حظي سمي.

وفي عام ١٩٥٥ للميلاد (بعد الطبعة الأولى (بسةٍ وعشرين عاماً أو تزيداً) أصدرت دارُ المعارف في مصر طبعةً جديدة من «الإحاطة» على صفحةٍ الغلاف منها: «حقَّقه وقدم له محمد عبد الله عيَّان». وقد جاء فيها هذا البيت (١: ٢٨٥) على الشكل التالي:

كان (اللِّقا) فكان حظي ناظري (وسطاً) الفراق فصار حظي (سمع).

ولم ينس محقق طبعة دار المعارف أن يَضَعَ سكوناً على السين وفتحة على الطاء في كلمة «وسط». وكذلك حذف الهزرة من كلمة اللقاء (ويحتلَّ وزن البيت بذلك) ثم حذف أيضاً الياء من القافية «سمي» (الياء هنا ضمير)، فأصبح حقَّ «سمع» أن تصبح «سمعا» (والمعنى يميز ذلك، ولكن القافية لا تحبزه).

فأين التحقيق؟

ورجعة جديدة إلى «نفع الطيب» في موضع واحد من مواضع كثيرة. في قصيدة ابن الأبار المتعلقة بالاستجداد ببلاطين المغرب لإنتقاد الأندلس هذا البيت (٤):

٤٥٧ هـ) وقد جاء على هذا الشكل:

يا للجزيرة أضحي أهلها جَزْراً للعادثاتِ وأمسى جَدُّها تِصاً.

وقد ضبط المحقق كلمة «تصا» بفتح التاء وكسر السين فصار المعنى أن الجدَّ

(بفتح الجيم: الحظّ، السعد) أصبح تاعساً. وهذا غير مقبولٍ في المنطق، فنحن لا نقول: إنَّ الخبير أصبح شراً. بل نقول: إنَّ الحالَ آنقلتُ من الخير إلى الشر. وكذلك الأندلسُ (في بيت ابن الأبار) قد تبدلت بجدها (بمحظها) تَعَساً (بفتح التاء والسين).

إنَّ الذي ضَبَطَ كَلِمَةَ «تَمِس» في هذا البيتِ يجب أن يكون قريباً في مُنَاقَلَةِ الحديثِ من عَوَامِّ النَّاسِ. إنَّ العَامَّةَ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: «فَلانُ حَظُّهُ تَمِيس» فَيُخَطِّطُونَ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً حِينَ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّ «الْحَظَّ» ذَاتَهُ يُصْبِحُ تَمِيساً، وَأَنَّ الْخَيْرَ نَفْسَهُ يُصْبِحُ شَرًّا، وَأَنَّ الْغِنَى يُصْبِحُ فَقْرًا. ثُمَّ هُمْ يُخَطِّطُونَ مَرَّةً ثَانِيَةً حِينَ يَقُولُونَ: «تَمِيس» عَلَى وَزْنِ فَعِيلٍ، مَكَانَ تَمِيسٍ أَوْ تَاعِيسٍ.

نحن نقرأ في الكتاب المُنزَل (٢: ١٠٨، سورة البقرة): «..... وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ».

غير أننا نستطيعُ في بابِ البلاغة أن نقول: «أضحى غناه فقراً» (لأنَّ فلاناً أساءَ استِعمالَ المَالِ فَوَضَعَهُ في غيرِ مواضعِهِ فأضاعَهُ ولم يَنْتَفِعْ بِهِ). وكذلك نستطيعُ أن نقول: «أصبحَ خيره شراً» (لأنَّه أتبعَ الخيرَ الذي صنَعَهُ إلى بعضِ النَّاسِ مَنْأً أو أذى). ونستطيعُ أن نقولَ (في بابِ البلاغة) أيضاً: «إنَّ جَدَّهُ قد أمسى تَمَساً» (لأنَّه أضاعَ الفرصةَ السَّاحِةَ للقيامِ بعملِهِ في الوقتِ المناسبِ). وكلُّ هذا ليس من بابِ قولِ ابنِ الأبارِ في شيءٍ.

وفي «نفع الطيب» أيضاً حاشيةٌ مؤلِّمةٌ (٥: ١٩)، فقد ذَكَرَ الْحَقُّقُ أَنَّ أبا بكرِ بنِ عاصمٍ قد تولى القضاءَ سَنَةَ ٨٨٨ (ثمانٍ وثمانينَ وثمانمائةَ)، مَعَ أَنَّ أبا بكرٍ هذا قد تُوِّفِيَ سَنَةَ سَبْعَةِ وَعَشْرِينَ وَثَمَانِ مِائَةً (راجعَ تقويمَ ذلكِ في ترجمةِ أبي يحيى بنِ عاصمٍ: ابنُ أبي بكرِ بنِ عاصمٍ) المتوفى سنة ٨٦٠ للهجرة في الأغلب. ولقد تنبَّهَ خبيرُ الدينِ الزركلي إلى أن هذا التاريخ ٨٨٨ «خطأ مطبعي» (راجعَ الأعلامَ الطبعةَ الرابعة، ٧: ٤٨) في حاشيةِ العمودِ الأوَّلِ).

ومرةً أخرى إلى «أزهار الرياض». لهذا الكتاب - وهو مطبوعٌ في ثلاثة أجزاء - فهارسٌ مستقلةٌ بكلِّ جزءٍ (وهذا غيرُ مقبولٍ - إلا إذا كانَ الْمُحَقِّقُونَ الكبارُ،

وهم ثلاثة، قد دُفِعتَ لهم أجورُ التحقيق على أساس العملِ منفردين، فتناولَ كلُّ واحدٍ منهم جزءاً (أ). ولقد آهَمَ المُحقِّقونَ الثلاثةَ بالفهارسِ، ولكنَّ على دَرَجَاتٍ مختلفة: ففي الجزءِ الأوَّلِ من الفهارسِ هذه التي تلي، وعلى الترتيبِ التالي أيضاً: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكُتُب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات. وفي الجزء الثاني تفصيلٌ أكثرُ للفهارسِ: فهرس الشعراء (قبل فهرس الأعلام) - فهرس الأعلام - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس الأيام (المعارك) - فهرس الأمثال - فهرس القوافي - فهرس الموشحات والأزجال - فهرس أنصافِ الأبيات - فهرس الموضوعات. وأمَّا الجزء الثالث ففیه: فهرس الأعلام - فهرس الشعراء - فهرس القبائل - فهرس الأماكن - فهرس الكتب - فهرس القوافي - فهرس الموضوعات.

ولا أريدُ الآنَ أن أشعَلَكَ بترتيبِ الأسماءِ في كلِّ فهرسٍ وفي كلِّ جزءٍ، فإنَّ ذلك يطول. ولقد أحببتُ أن أشيرَ إلى ذلك هنا ليُعلمَ مقدارُ ذلك التعمُّبِ الذي يعانیه المؤلفُ الجادُّ في الاستفادة من كثيرٍ من الكتب. إنَّ ذلك المؤلفَ الذي أعنيه مضطراً إلى أن يكونَ مُحققاً لعددٍ كبيرٍ من الكتب التي يوضعُ على غلافها أنها بتحقيقِ فلانٍ أو بتحقيقِ فلانٍ وفلانٍ أو بتحقيقِ فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ.

ثم إنِّي لا أدفعُ نقرأ من المؤلفين عن حقِّهم بالأهتمامِ بأقطارهمُ المختلفةِ في التاريخ وفي الأدب. إنَّ هذا المنحى قديمٌ جدًّا، وأكثرُ ما يلجأُ إليه المؤلفون في هذا الباب تفصيلُ أخبارِ أقطارهم. غيرَ أنَّي أعتقدُ أن هذا العملَ، وإن كانت له فائدةُ التفصيلِ، فإنه لا يَصوِّرُ الحقيقةَ. لقدِ اضْطُرزْتُ في تأليفي المدرسيّ - في التاريخ وفي الأدب وفي الجغرافية أيضاً - إلى أن أخصُّ «لبنانَ» بكتبٍ خاصَّةٍ في ذلك. ولكن الذي يطالعُ هذه الكتبَ المدرسيَّةَ التي ألقتها أو شاركتُ في تأليفها يرى أنَّني كنتُ دائماً أرسِمُ إطاراً للثقافة العربية في إطارِ من الثقافة الإنسانية حولَ الموضوعِ اللبناني الذي أعالجه بحسبِ النهجِ اللبناني للتعليم. إنَّ التاريخَ - كما ذكرتُ في كتابي «تجديد التاريخ»، مثلاً - لا يجري في مجارٍ مُنفصلة. ومثلُ ذلك الأدبُ في كلِّ أمية، فإنه لا يُمكنُ أن يخلُصَ من آثارِ الآدابِ الأخرى، فلا بدُّ في تاريخِ الأدبِ العربي الحديثِ من

إشارات واضحة إلى الآداب الأجنبية شرقية وغربية. لا الأدب العربي خَلَصَ، في تاريخه الحديث، من آثار فرنسية وإنكليزية أو ألمانية أو هندية، أو إفريقية أو أميركية؛ ولا هذه الآداب كلها قد خَلَصَتْ، في تاريخها الحديث وفي تاريخها الوسيط أيضاً، من الآثار العربية. ولكن هذا موضوع ليس هنا مكان تفصيله.

قد يستغرب نفرٌ من القراء إذا رأوا أنني صَمَّمْتُ إلى كتابٍ في تاريخ الأدب تراجمَ لفقهاء ولعلماء في السياسة والتاريخ والرياضيات. إن أولئك النفرَ يجب ألا يستغربوا ذلك، ذلك لأنَّ التعبيرَ البارِعَ عن الفكرِ الفقهِيّ والفكرِ الفلسفيّ والفكرِ السياسيّ والفكرِ الرياضيّ أوجهٌ من وجوه الأدب. أضيفُ إلى ذلك كله أن الأديبَ الحقَّ هو الذي يُشارك في عدد من فنون المعرفة الإنسانية. ثمَّ يجب أن نَحْمِلَ قولَ ابنِ خَلْدُونِ (المقدِّمة، بيروت - دار الكتاب اللبناني - ١٩٦١ م، ص ١١٠٧): «ولهذا كان شيوخنا، رَحِمَهُمُ اللهُ، يعيرون... المتسبيِّ والمعرِّيَّ بَعْدَمِ النَّجِّ على الأساليب العربية.. فكانَ شعرُها كلاماً منظوماً نازلاً عن طبقة الشعر. والحامُّ في ذلك هو الدُّوق»، على مَحْمَلِ التَّشْدِيدِ في التعريف - وإلَّا فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ على المعرِّيِّ «طبقة السامية في الشعر» حيناً يَقِصُّ مِثْلَ هذا المعنى ثمَّ يُجرِيه في هذا اللفظِ السهل والتشبيه البارِعِ فيأتي بهذا الوصفِ المُبتَكِرِ للبرقِ في اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ (الدويان، مصر - مطبعة هندية - ١٣١٩ هـ، ص ٢١):

إذا ما أحتاجَ أَحْمَرَ مُسْتَطِيراً حَسِنَتَ اللَّيْلُ رَنْجِيًّا جَرِيحاً.
إنَّ هذا وَصْفٌ يَعْجُزُ عن مِثْلِهِ المُبْصِرُونَ.

المصادر والمراجع

في كلّ ترجمة في هذا الكتاب مقطعٌ يَسْبِقُه الرقمُ « ٤ ». المقصودُ أن يأتيَ بعدَ هذا الرقم ما لصاحب الترجمة من الكُتُب أو ما كُتِبَ عنه من الكُتُب أو في الكُتُب.

كان المفروضُ أن استخدمَ طبعةً واحدةً من «الديباج المذهب» مثلاً. ولكن، برغمِ حجمِ مكتبي الخاصة، فإن هنالك كُتُباً لا أمْلِكُها، فأنا أستعيرُها من مكتبةِ الجامعة الأميركية أو من مكتبة الجامعة العربية (في بيروت). وفي عددٍ من الأحيان لا يكون كتاب من هذه الكُتُب معي فأضطرُّ إلى استخدامِ طبعةٍ أُحْصِلُ عليها (وفي أحيان كثيرة أشيرُ إلى ذلك). وريباً يكونُ الكتابُ معي، فتحتاج إليه المكتبةُ العامّةُ فأرُدُّه إليها (نهائياً أو مؤقتاً) فيضيبُ هذا الكتاب من قائمَةِ المراجع (بعدَ الرقم « ٤ ») أحياناً.

ولا أستطيع أن أقولَ إنَّ كلَّ كتابٍ أُثْبِتُهُ قد رأيتُهُ بعيني رأسي، وإلا فما الفائدةُ من عملِ أولئك الذين يعملون في «تأليف قوائم المطبوعات»؟

ثم إنَّ هذا المقطع الرابع - ذا الرقم « ٤ » - دليلٌ للقارىء إذا هو أحبُّ أن يتوسَّعَ في آثارِ صاحب الترجمة المُعَيَّنَة. وفي كثير من المراجع دليلٌ آخرٌ إلى مصادرَ ومراجعَ ليست مذكورةً في كتابي. أنا لم أذكرُ المقالات التي كُتِبَت في أبي العلاء المرعي أو في عبد الرحمن بن خلدون، ولكنني أثبتُ في ترجمة أبي العلاء «مرجعاً من تأليف يوسف أسعد داغر» فيه مُعْظَمُ المقالات التي نُشِرَتْ في المجلات وكانت تتناول حياة أبي العلاء المرعي أو خصائصه وآثاره، كما ذكرتُ - في ترجمة عبد الرحمن بن خلدون - كتاباً لعبد الرحمن بدوي فيه مثل ذلك عن عبد الرحمن ابن خلدون.

لقد كان ترتيبُ هذا الفهرس في هذا الجزء السادس عملاً شاقاً لعدد من الأسباب أولها أن الأسماء في هذا الجزء كثيرة جداً (راجع ص ٧١٢ وما بعدها)؛ ثم إنَّ التداخلَ في أنساب الرجال في هذا الجزء خاصةً كان كثيراً (كما نلاحظ مثلاً في سلاسل النسب لبني الأحمر أو آل مرزوق)، فحينما يكونُ في نسب أبي يحيى بن عاصم (ص ٦٤١) خمسة أسماءهم «محمد» في نسبي واحدٍ مُتتابعٍ يصبح من الصعب الكلامُ على الأب وعلى الأخ وعلى الابن بوضوح (راجع مثلاً ترتيب أسماء «ابن الأحمر» وترتيب أسماء «ابن مرزوق».

لقد رتبْتُ أسماء بني الأحمر على النسبِ ثم جعلتُ بين أهلة كبار أرقاماً. إنَّ كلَّ رقمٍ يدلُّ على مرتبة صاحبه في تولي عرض غرناطة. أمَّا بنو مرزوق فاتبعتُ في سرد أسمائهم ترتيباً أقربُ إلى التاريخ.

وكان منشأ الصعوبة، هنا وفي الأجزاء الباقية، حبُّ الرواية للاختصار: فربما أكتفى الراوي للأخبار أو المؤلفُ للكذب بقوله: وكان ابنُ الأحمر، قال ابن مرزوق، وأخذ فلانُ العلمَ على ابن مرزوق وما يقربُ من ذلك.

ولقد حاولتُ أن أتغلبَ على هذه الصعوبة في أثناء التأليفِ فكتبتُ أحاولُ أن أكتبَ، معَ كلِّ اسمٍ غامضٍ الدلالةِ أو كثيرٍ الوردِ، من القرائنِ الدالةِ عليه (اسمه، كنيته، لقبه، تاريخ وفاته، صلته بأستاذه أو بتلميذه، إلخ). ولعلَّ القارئ، يعجبُ حينما يراني أثبتُ تاريخَ الوفاةِ لرجلٍ مرتين أو ثلاثاً في الصفحة الواحدة. غير أنني لم أقتلُ كلَّ هذه التفاصيل في الفهرس، ولكنني كنتُ أستشيرُ بها في أثناء ترتيب هذا الفهرس.

ومعَ هذا كله فإني لا أجيلُ أن يكونَ قد بقيَ في هذا الفهرس شيءٌ من الخطأ أو التداخل أو السهو. من أجل ذلك وضعتُ أحياناً إلى جانبِ عدد من الأسماء وإلى جانبِ عددٍ من أرقام الصّفحات علامةً استفهامٍ أو كلمةً «راجع» كي يكونَ القارئُ متنبهاً عند محاولة الاستدلال برقم الصفحة على الاسم المطلوب.

هذه السلسلة

بهذه الجزء السادس من تاريخ الأدب العربي «تتتهي هذه السلسلة بحسب المنهج الذي كنت قد وضعته لها حينما بدأت جمع المواد لتأليفها، منذ اثنين وثلاثين عاماً. لم أكن في ذلك الحين أفكر في المضي بها إلى أبعد من الفتح العثماني. ذلك لأنني كنت أدرك أن التأليف المنظم يحتاج إلى وقت طويل. ولو أنني أحسبت الآن أن أبدأ ملحفاً لتاريخ الأدب العربي في العصر الحديث (على المنهج الذي سرت عليه في الاجزاء الستة الماضية) لأحتجت إلى ربع قرن جديد. وهذا أمر مستحيل علي ووراء المستحيل أيضاً.

في هذه السلسلة منهج متبع لم يختلف في ترجمة من التراجم إلا على منهج آخر، وذلك في التراجم التي ليس فيها «مختارات». وبما أن هذه السلسلة وضعت على «النسق التاريخي»، فقد كان من الصعب أن أقدم إلى ترجمة (عند الطبع خاصة) إلا بعد استيفاء الكلام الضروري في التراجم السابقة. لقد وقع في يدي كُتُب في تاريخ الأدب (وفي غير تاريخ الادب أيضاً)، ولم يكن فيها منهج: كانت كُتُباً من عمل الخواطر (مقالات مفردة تسمى استبداداً «تاريخ الأدب»: يأتي فيها المتأخر قبل المتقدم، ويأتي آخر الموضوع قبل أوله، وينسى المؤلف جانباً من البحث بعد أن يكون قد أنتقل إلى عددٍ من البحوث الأخرى فيرجع إلى ما كان فيه، أو من عمل التعليق) يبدأ المؤلف بقطعة من الإنشاء الكلامي البليغ ثم يورد مرة بعد مرة عدداً من الأبيات أو من الأسطر - وأكثر التأليف الذي أقصده هنا هذه الكلمة يكون في الشعر عادة - ثم إنك لا ترى «الشكل» الكافي (أو الضروري) أحياناً، ولا الشرح المفيد (مُقيداً بالتاريخ أو بالمصدر أو بالقاموس على الأقل). لقد كنت أنا أرجع إلى القاموس وإلى القواميس (عند محاولة شرح كلمة كنت أعرفها من قبل) وربما كنت أرجع إلى الكلمة الواحدة التي وردت مرتين في صفحة واحدة إلى القاموس مرتين أو أكثر من

مرتين (ذلك لأنني كنت أريد أن أرى ما يقصده الشاعر أو الكاتب منها لا ما شاع من معناها أو ما كنت أنا قد عرفتُه من معناها). وكثيراً ما يلاحظ القارئ (في جميع أجزاء هذه السلسلة) أنني أقول أحياناً «ليست هذه الكلمة في القاموس» - وأعني بالقاموس هنا «القاموس المحيط» للفيروزآبادي - أو ليست هذه الكلمة في القاموس بالمعنى الملموح هنا، أو أنني كنت لا أضع التفسير وراء قاطعة (:)، بل في أهلة كبار (...)، كل ذلك كي أترك للقارئ أيضاً إمكان النظر في المعاني المقصودة أو المقبولة أو القريبة من الصحة.

ولهذا الجزء السادس من هذه السلسلة قصة أخرى:

بدأت بإعداد هذا الجزء (بعد الانتهاء من تأليفه) للطبع (بعد من الإصلاحات هنا وهناك) في أوائل عام ١٩٨٢ (اثنين وثمانين) وقدمت نصفه الأول للمطبعة. ثم بدأ الطبع والتصحيح. ولما بدأ الاجتياح الإسرائيلي (وعانت مدينة بيروت ذلك القصف المروع من الأرض والبحر والجو) كان نصف الكتاب في المطبعة والنصف الآخر معي في البيت. أما النصف الذي كان في المطبعة فقد سلمت فيه أمرى إلى الله (ولم يفتني في ذلك إلا ذلك). وأما النصف الثاني الذي كان معي فقد كنت - بعد أتكالي على الله وتسليم الأمر في كل شيء إليه وحده من قبل ومن بعد - أحرص عليه أكثر من حرصى على كل شيء آخر: تركت بنيتي ثلاثة أشهر، فكانت «بقية ذلك الجزء» معي. وكنت إذا نزلت (في أثناء القصف إلى الملجأ - أو ما كان يسمى ملجأ) أخذت هذه البقية معي (لا أريد أن أقول أنا لك سبب ذلك، ولعلك تذكر سبب ذلك).

وغادرت بيروت إلى الجبل فكانت بقية هذا الجزء معي في السيارة إلى جانبي (بيننا كان هنالك أغراض كثيرة في صندوق السيارة). - ولم يحفظني ويحفظ هذه البقية إلا الله.

كنت دائماً أقول في نفسي: لو تلمت هذه البقية من الجزء السادس، فماذا يكون مصير السلسلة - وهي متورة من آخرها؟ - . ولكن الله سلم.

وفي ختام هذه الكلمة أخذ الله على أن تفضل عليّ - إلى جانب أفضاله
الكثيرة - بإتمام هذه السلسلة على هذا الوجه، وأرجو أن أكون قد أدّيتُ بها رسالة
أحببتُ أن أوّديتها: أستخراج صورة وافية للأدب العربيّ، قدر الأماكن، مجموعة في
كتاب واحد.

« ولا تقولنّ لشيء: إني فاعلٌ ذلك غداً، إلا أن يشاء الله » (*).
والحمد لله أولاً وآخراً وبين ذلك كثيراً.

بيروت، الاربعاء

في الرابع من جمادى الأولى ١٤٠٣،

١٦/٢/١٩٨٣ م.

ع.ف.

(*) القرآن الكريم ١٨ (سورة الكهف) ٢٣.

* إنني الآن أحاول أن أضع تسمية لهذه السلسلة في جزء واحد، أو أكثر من جزء واحد في الأغلب،
بمنوان « معالم الأدب العربي في العصر الحديث » ولكنني سأترك الحواشي الكثيرة التعقيد ثم استيفاء
المصادر والمراجع (والحواشي الكثيرة التعقيد واستيفاء المصادر والمراجع كأننا نحنا نحن إلى الجانب
الأوفر من اعداد كل ترجمة) فمسي أن يمين الله على ذلك.

صورة العصر في المغرب والأندلس

- في أيام بني الأحمر -

سيكون هذا الفصل التمهيدِيّ طويلاً جداً لطولِ المدّة التي يحاول وصفها في تلك البقاع الواسعة المترامية التي يجري فيها تاريخ هذه المدّة: من بَرَقَة شرقاً إلى شَنْقِيطَ (موريتانيا: بلادِ البِيضَان) على البحر الأخضر أو بحرِ الظُّلُمَاتِ (المحيط الأطلسي) ثم من جبال البرانس (الفاصلة بين فرنسة وإسبانية) في الشَّمالِ إلى خطِّ الاستواء (من قَارَة إفريقيّة) جنوبيّاً^(١).

دولة بني الأحمر (أو بني نصر)

في مَطْلَعِ القرنِ السابعِ للهجرة (الثالثَ عشرَ للميلاد) كان لا يزال في الأندلس - إلى جانب الحُكْمِ المُوَحَّدِيّ - ظلٌّ من الحُكْمِ المَحَلِّيّ لبني غانية في الجزائرِ

(١) كان غفريق الأبناء (أبناء الأشخاص وأبناء القبائل والنواد - وخصوصاً فيما يتعلّق بالمغرب ثم بلاد السودان الغربي على الأخضر) صعباً جداً: كت أُوذُ أن أصل إلى اللفظ المألوف مع إثبات اللفظ المغرب أيضاً. لغفريق اعتمدت « تاريخ السودان » (السودان العربي) لعبد الرحمن بن عبد الله السعدي (أنجي ١٨٩٨ م) وتاريخ الفناش في أحبار البلدان والحجوش وأكابر الناس لمحمود كت من الحاج المتوكل كت التسنكي (باريس ١٩٦٤ م).

ولقد كت احتهدت في تحقيق هذه الأبناء بالرجوع إلى عدد من المراجع العرصة والأجنبية (كدائرة المعارف الإسلامية) ثم اتفق أن يُقَسَّمُ نقرأ من الأصدفاء فصَحَّحوها في عدد من الأبناء. ولقد أحس ألا أذكرُ أبناء هم كِبِلَانِسْتُ ما بقي من الأبناء بلا تحقيق إلى ساهلهم. وبعد، فإني قد اعتمدت في ذلك كلّه أحنهادي، واحسبُ ألا يكون الخطأ في ذلك كثيراً. وسأكون شاكرًا لكل من يفضّل فسوهم إلى تصحيح ما بقي من خطأ، في هذا الباب وفي غيره أيضاً.

الشرقية (جزائر البليار: ميورقة وبنورقة وياسة) ولبي مَرْدَانِيَشَ في شرقي الأندلس.

ولمَّا ضَعَفَ المَوْحِدُونَ في المَغْرِبِ جعلُوا لثَمَّهم في الأندلس يَتَنَازَعُونَ، فثارَ عليهم مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ (من أعقابِ بني هودِ ملوكِ الطوائفِ في سَرَقُطَةَ) ودخلَ مَدِينَةَ مُرْسِيَةَ (٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م) ثمَّ أَمَدَّ سُلْطَانَهُ، في جَنُوبِ الأندلسِ، على شاطِئَةِ وَقُرْطَبَةَ وإِشْبِيلِيَةَ وجبلِ طَارِقِ ثمَّ على مَرَقَا سَبْتَةَ في المَغْرِبِ.

وَتَصَدَّى لِمُنَافَسَةِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوْسُفَ بْنِ هُوْدٍ على حُكْمِ بَقَايَا الأندلسِ رَجُلٌ من قُرْطَبَةَ أَسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ بْنِ نَضْرٍ (بن الأحرر) بعدَ أَنْ اسْتَبَدَّ بِحُكْمِ غَرْنَاطَةَ (٦٢٩ هـ = ١٢٣٢ م). ثمَّ اسْتَدَّتْ المُنَافَسَةُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وجعلَ كُلُّ وَاحِدٍ منها يَسْتَنْجِدُ بالطاغيةِ (فرديناند الثالث ملك قشتالة) وَيَبْدُلُ له الحِصُونَ والمُدُنَ الإسلاميَّةَ حتَّى يُعِينَهُ على خِصْمِهِ. وفي كُلِّ مَرَّةٍ كانتِ أَرْضُ المُسْلِمِينَ في الأندلسِ تَتَقَلَّصُ من غيرِ أَنْ يَسْتَفِيدَ المُنَافِسَانِ شَيْئاً. ولجأَ ابْنُ الأحررِ مَرَّةً إلى فرديناندِ الثالثِ لِيُعِينَهُ على نَائِرِ صَغِيرٍ في إِشْبِيلِيَةَ، ثمَّ سارَ ابْنُ الأحررِ وفرديناندُ لِحِصَارِ إِشْبِيلِيَةَ. وبعدَ عامينِ سقطتِ إِشْبِيلِيَةُ ولكنَّ في يَدِ فرديناندِ لا في يَدِ ابْنِ الأحررِ (٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م).

وجازَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرِينِيُّ إلى الأندلسِ مراراً وحاربَ الإِسبَانَ وأنتَصَرَ عليهم، وكانَ في كُلِّ مَرَّةٍ يتركُ الغنائمَ والأَسلابَ لبني الأحررِ لِيَقْوُوا بها على أَعْدَائِهِمْ. ولكنَّ بني الأحررِ كانوا قَلِيلِي الوفاةِ لبني مَرِينِ قَصِيرِي النظرِ في ما يَتَعَلَّقُ بالصالحِ لهم، فكانوا مَرَّةً يَتَأَمَّرُونَ مَعَ الطاغيةِ على بني مَرِينِ ومَرَّةً يُحَرِّضُونَ الدُّوِلَاتِ البربريةَ في المَغْرِبِ ويساعدونها على قتالِ بني مَرِينِ. ومَعَ ذلكِ قَدِمَ يَعْقُوبُ المَنْصُورُ المَرِينِيُّ على الإِسبَانَ في مُعْظَمِ المَاركِ التي خاضها في الأندلسِ. وبلغتْ مَهَابَةُ يَعْقُوبَ المَنْصُورِ المَرِينِيُّ في قُلُوبِ الإِسبَانَ إلى (أَنْ طَلَّبَ شَانِجَهُ الرَّابِعَ مَلِكَ قِشْتَالَةَ من المَنْصُورِ عَقْدَ مَعاهِدَةٍ لِلصُّلْحِ. فَعَقِدَتِ المَعاهِدَةُ على ما أملاه المَنْصُورُ المَرِينِيُّ. وبعدَ عَقْدِ الصُّلْحِ حَضَرَ شَانِجَهُ الرَّابِعُ بِنَفْسِهِ وقابلَ المَنْصُورَ المَرِينِيَّ على مَقْرَبَةٍ من وادي لَكَّةَ (في جَنُوبِ الأندلسِ) وأرادَ أَنْ يقدِّمَ إلى المَنْصُورِ هَدِيَّةً، فطلبَ المَنْصُورُ منه «كُتُبَ الإِسْلَامِ التي

كان الإسبان يَسْتَوْلُونَ عليها عند استيلائهم على المَدِينِ الإسلامية. فَبَعَثَ سَاجِحُهُ إِلَى المنصور قَدْرًا عَظِيمًا من تلك الكسبِ وَعَدَدًا مُهِمًّا من المصاحف الكريمة. فَنَقَلَ المنصور هذه الكسبِ والمصاحف إلى مَدِينَةِ فاس ووَاقَفَهَا على طَلَبَةِ العِلْمِ .»

وَبِرُغْمِ العداوةِ التي كان بنو الأحرر يُضْمِرُونَهَا وَيُظْهِرُونَهَا لبني مرين، فإن بني مرين لم ينقطعوا عن الجواز إلى الأندلس والدفاع عن المسلمين. وفي سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) جاز أبو الحسن المريني إلى الأندلس، ولكن القتالين والبرتغاليين اجتمعوا على حرب المسلمين في معركة قُربَ مَصَبِّ نهر سالادو على المحيط الأطلسي وهزمهم. وبعد أن استولى ألفونس الحادي عَشَرَ ملك قشتالة على عددٍ من المدن الإسلامية مَنَحَ أبا الحجاج يوسف المؤيد بالله مَلِكَ غرناطة هُدَنَةً مَدَاهَا عَشْرُ سَنَوَاتٍ.

كُلُّ هذا وبنو الأحرر في غرناطة يتنازعون فيما بينهم ويُعادون بني مرين ويؤالون الإسبان حيناً بعد حين. ولم يستطع الإسبان أن يَسْتَوْلُوا على ما بَقِيَ في يد المسلمين من الأندلس لأنهم هم أيضاً كانوا في هذه الحِقْبَةِ مُخْتَلِفِينَ فيما بينهم، فقد كانت أسرة أرغون تُحَارِبُ أسرة قشتالة. ولكن في عام ١٤٦٩ م (٨٧٣ - ٨٧٤ هـ) تزوج فرديناند الخامس ملك أرغون إيسابل أخت هنري الرابع ملك قشتالة. وتوفي هنري الرابع (١٤٧٤ م) وخلف ابنة قاصرة فَنُصِبَتْ إيسابل على العرش فأتحد بذلك عرشُ أرغون وعرشُ قشتالة.

زَالَ الخِلافُ الذي كان بين أسرة أرغون وأُسرة قشتالة فسارت إيسابل على رأس جيشٍ وحاصرت غرناطة بنفسها - وكان ملوكُ غرناطة لا يزالون متخاصمين يَكِيدُ بعضهم لبعض. وجاء شتاء قاسٍ، وضيَّقَ الإسبان الحصار على غرناطة - ولم يكن قد بَقِيَ للمسلمين من جميع مَلِكِ الأندلس سِوَاهَا - فَأَضْطَرَّ أهلها إلى الأَسْتِلامِ (٨٩٧ هـ = ١٤٩١ م) على أن يُبْقِيَ من أهل غرناطة في غرناطة مَنْ شَاءَ وأن يُخْرَجَ منها مَنْ شَاءَ. وكان في معاهدة الأَسْتِلامِ سِمَةٌ وَسِتْرٌ شرطاً لم يَبِ الإسبان للمسلمين بشرطٍ منها.

*** للمقارنة بالأسر الحاكمة في المشرق القريب

- في بلاد الروم (آسية الصغرى: في أماكن مختلفة منها):
السلاجقة التُّرك ٤٦٤ - ٨٨٨ هـ (١٠٧٢ - ١٤٨٣ م).
- في مصر:
بقايا من الأيوبيين ٥٦٤ - ٦٥٠ هـ (١١٦٨ - ١٢٥٢ م)
المالِك البحرية ٦٤٨ - ٧٩٢ هـ (١٢٥٠ - ١٣٩٠)
المالِك البُرْجِيَّة ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ (١٣٨٢ - ١٥١٦ م)
- في الشام (سورية):
الباطنيون (الإسماعيلية - جبال النصيرية: في الغرب)
٥٥٧ - ٦٧١ هـ (١١٦٢ - ١٢٧٢ م)
بقايا من الأيوبيين في مدن مختلفة (في الشَّال خاصة)
٥٧٤ - ٩٣٠ هـ (١١٧٨ - ١٥٢٤ م)
- في اليمن (في أماكن مختلفة من جنوبي شبه جزيرة العرب):
٥٩٣ - ٩٢٣ هـ (١١٩٧ - ١٥١٧ م)

بنو عُثمَانَ (الأتراك العثمانيون)

- في بلاد الروم (آسية الصغرى) ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ م) وما بعد.
فتح القُسطنطينية ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
الفتح العثماني في المشرق ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م)
الحكم العثماني في الجزائر ٩٣١ هـ (١٥٢٤ م).

الصورة السياسيّة في أيام بني نصر (بني الأحمر) في غرناطة:

بنو مرين (من زناتة) في فاس	٥٩٢ - ٩٥٧ هـ (١١٩٦ - ١٥٥٠ م)
بنو هود في مرسية	٦٢٠ - ٦٦٨ هـ (١٢٢٣ - ١٢٧٠ م)
بنو حفص في تونس	٦٢٥ - ٩٨١ هـ (١٢٢٨ - ١٥٧٣ م)
بنو نصر في غرناطة	٦٢٩ - ٨٩٧ هـ (١٢٣١ - ١٤٩٢ م)
بنو زيان بن عبد الواحد بتلمسان	٦٣٣ - ٩٥٧ هـ (١٢٣٥ - ١٥٥٠ م)
بنو مزني في بسكرة (الجزائر)	٧٤٠ هـ (١٣٤٠ م) وما بعد.

الحفصيون في تونس

كان الحفصيون فرعاً من الموحدين، وهم ينسبون إلى أبي حفص يحيى بن عُمرّ الهنناقي. وكان أبو حفص هذا من الأنصار الأتقياء الذين ثبّتوا حُكْمَ الموحدين في المغرب. ثم إنَّ الناصر الموحدي نصبَ أبا محمد عبد الواحد الحفصي، سنة ٦٠٣ (١٢٠٧ م) نائباً عنه في مدينة تونس. وكانت هذه النيابة وراثية في الحفصيين.

ولمّا جاء إلى نيابة تونس، سنة (١٢٢٧ م) ٦٢٦ هـ، أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد، كان الموحّدون في مراكش قد ضمّموا ونشأ إلى جانبهم بنو مرين الذين حملوا بنافسونهم على حُكْمِ المغرب. فأنتهزَ أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد الفرصة وأعلنَ

استقلاله بالقطر التونسي. واستطاع أبو زكريا أن يمدَّ ملكه إلى القطر الجزائري (حتى مدينتي الجزائر وتلمسان) وإلى القطر المغربي (حتى سجلماسة ومكناسة وسبتة وطنجة). وكذلك كان أبو زكريا حاكماً عمرانياً بنى القصر في القصبَة (المدينة الداخلية: القلعة) وبنى سوقَ المطارين (مركز الحياة الاقتصادية في مدينة تونس) وبنى المساجد فأزدهر القطر التونسي في أيامه اقتصادياً وعمرانياً وثقافياً. وبنى أبو زكريا هذا مكتبةً ضمت، فيما قيل، ستةً وثلاثين ألفَ كتابٍ.

وجاء بعد أبي زكريا ابنه محمدُ المستنصرُ بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، وعمره نحو عشرين سنةً، فنازعه العرشَ ابنُ عمِّه اللحيانيُّ ثم خَلَصَ العرشُ للمستنصر. ولكن في آخر سنة ٦٦٨ (١١٧٠ م) هاجم ملكُ فرنسا لويس التاسع - الملقب: القديس لويس - شاليَّ تونسَ بأربعين ألفَ جنديٍّ فطالت الحربُ بينَ الملكين سجالاً نحو ستة أشهر. ثم فشا الطاعونُ في تونسَ وامتدَّ إلى الجيشِ الفرنسيِّ فهلكَ فيه خلقٌ عظيمٌ فيهمُ الملكُ لويسُ نفسه. فأضطرتَّ فرنساُ إلى سحبِ جيوشها وعقدِ الصلحِ ودفعِ غرامةٍ كبيرةٍ لتونس. وزادت الحصارُ في أيام المستنصر بالله هذا حتى بلغت إلى الترف، فكان هذا الترفُ إيذاناً بالسقوط في التقهقر.

عُرقتُ تونسُ في النزاعِ على العرشِ وفي القِتَنِ زَمناً طويلاً، من سنة ٦٧٦ إلى سنة ٧٩٦ (١٢٧٧ - ١٣٩٣ م). ثم جاء إلى عرشِ الحفصيين في تونس أبو فارس عزورُ (عبد العزيز) بن أحمد (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) فأستردتْ تونسُ هدوءها ومكانتها وقوتها وأزدهارها. ولكنَّ المرينيين أصحابَ مراكشَ ناجزوه القتالَ فأستطاعَ أن يتغلبَ عليهم ويتوغَّلَ في المغربِ حتى وصلَ إلى مدينةِ فاس، فجَنَحَ المرينيون إلى الصلح. وكان لعزورِ هيبَةٌ وسلطَةٌ فمَطَّمَتْ مكانتهُ في أقطارِ المغربِ وفي الأندلس أيضاً. وكان عزورُ عمرانياً فمكنته ثروةُ تونسَ يومذاك من إقامة القلاعِ والمستشفياتِ والمكتبات. غيرَ أن الدولة الحفصية كانت قد هَرَمَتْ بالنزاعِ الداخليِّ وبالترفِ وبالزَمَنِ أيضاً وزادَ طَمَعُ الإسبانِ فيها فهبأ اللهُ لها مجاهدتيهما خيراً الدين وأخوه عروجُ العثمانيان فدفعوا عنها خطرَ القراصنة الأوروبيين^(١).

(١) القراصنة: لصوص البحر. والفرصة قديمة جداً عُرِفَتْ في أيام المسيحيين (أو الكنمانيين) الذين =

ثم زاد هذا الخطر كثيراً فاستنجد أهل الشمال الإفريقي بالدولة العثمانية.

بنو مرين:

إن الحفصيين خلفوا الموحدين في تونس بالسلم، أما المرينيون فقد انتزعوا الحكم من الموحدين بالحرب. بدأت دولة بني مرين بالاسنيلاء على مدينة فاس ثم على مدينة مراكش في آخر ذي الحجة من سنة ٦٦٧ (١٢٦٩/٨/٣٠ م). ولكن القتال لم يهدأ في المغرب، فإن دولة الموحدين لم تنقرض إلا في سنة ٦٧٤ (١٢٧٥ م) ثم إن القتال ظل دائراً بين المرينيين وخصومهم من الطامعين بالملك في أقطار المغرب المختلفة.

يرجع الفضل في نشأة دولة بني مرين إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) وكان قديراً حازماً لم تقتصر جهوده على توحيد المغرب، بل امتدت جهوده إلى مساعدة أهل الأندلس أيضاً، فقد جاز إلى الأندلس أربع مرات في نحو عشر سنوات (٦٧٤ - ٦٨٤ هـ) وأستطاع أن يهزم الإسبان ويدفع عن مسلمي الأندلس شراً كثيراً. ولم يكن النصارى الإسبان وهدم أعداء السلطان المريني، بل كان بنو الأحرار المسلمين يخافون على ملكهم الصغير من المرينيين فكانوا في أكثر الأحيان يألون الملك النصارى على السلطان المسلم. ولكن الإسبان اضطروا بعد هزائمهم المتوالية إلى طلب الصلح فعمد المنصور المريني معهم صلحاً وأخذ فيها أخذه في مقابل هذا الصلح أحياناً من كتب العلم التي كان نصارى الأندلس قد سلبوها من

= كانت لهم سفن تطوف في البحار. وعرفها الإغريق (عدهم اليونان - وقد ورد ذكرها في الأوديسة، وهي ملحمة منسوبة مع أختها الإلياذة إلى هوميروس من أحياء القرن التاسع قبل الميلاد). وقد بقى هذه = اللصوصية = إلى العصر الحديث.

كان القراصنة جماعة من المغاربة يسطون على السفن وعلى التواطىء للسلب والنهب. ورتبها فنلوا، ورتباً دمروا أيضاً ومع أن بقرأ من هؤلاء كانوا يقومون مثل هذا العمل بدافع شخصي، فإن عدداً من الدول الأوروبية في العصر الحديث (إسكتلرة وفرنسة وهولندة وإسبانية والبرتغال وإيطالية) كان يستخدم هؤلاء في مهاجمة سفن المسلمين وفي الاعتداء على التواطىء الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط (وخصوصاً في الحوض الغربي منه) وعلى التواطىء السربية من المحيط الأطلسي (سواحل المغرب) وكانت حركة عروج وأجبه خير الدين تربروساً ردّاً على الفرصة الأوروبية للدفاع عن مراكز المسلمين وعلى الملاد الإسلامية.

المدن الإسلامية. وكان عهد المنصور المريني عهد قوة وأزدهار اقتصادي وثقافي أيضاً.

وتوفي المنصور المريني في الثاني والعشرين من المحرم من سنة ٦٨٥ (١٢٨٦/٣/٢٠ م). فخلفه ابنه يوسف الملقب بالناصر. فعاد الإسبان وبنو الأحرار إلى المقاومة. ولكن الناصر استطاع أن ينتصر على الإسبان، سنة ٦٩١ (١٢٩٢ م) في معركة بحرية انتصاراً باهراً. وكذلك ثار على الناصر نفر من الناقمين في المغرب نفسه وأستعانوا باليهود الساكنين في المغرب، فتغلب الناصر على هؤلاء جميعاً. ولكن الناصر لم ينبج من المؤامرات فقد اغتاله أحد خصيائه، سنة ٧٠٦ (١٣٠٦ م). وأمتد بعد الناصر عصر من الضعف طويل. ومع أن السلطان أبا الحسن علي بن عثمان (٧٣١ - ٧٥٢ هـ) يُعد في السلاطين الأقوياء الحازمين، فإن أيام حكمه الطويلة كانت مملوءة بالفتاقل الداخلية والخارجية. ولم يعرف المغرب آنذاك عزّة صحيحة وأزدهاراً مستقراً إلا في أيام أبي عنان فارس.

أبو عنان

أشهر سلاطين بني مرين المتأخرين أبو عنان فارس بن الحسن (٧٥٢ - ٧٥٩ هـ)، فإنه لما استتب له الأمر أترد بلمسان (٧٥٣ هـ) من يد سلطانها أبي سعيد الزناتي أحد بني عبد الواد^(١) الذين كانوا قد نازعوا بني مرين على جانب من المغرب، ثم قتله. وصمد^(٢) أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن، بعد أبي سعيد الزناتي، لبني مرين ولكن أبا عنان هزمه فتتمت سيادة بني مرين على المغرب الأوسط (القطر الجزائري). وكذلك أستولى أبو عنان على جانب من إفريقيا (المغرب الأدنى - القطر التونسي). ثم إن عهد أبي عنان في الملك كان عهداً استبحرت فيه الحضارة واتسع

(١) في إحدى زوراني للجزائر لمصور عدد من ملتقيات الفكر الإسلامي سألت عن هذا الاسم • عبد الواد • وقد قال لي مرة الشيخ سليمان داوود بن يوسف - وهو من أفاضل المؤرخين ومن علماء الأباضية - أن المفروض أن يكون أصل هذا الاسم • عبد الواحد • غير أنه لم يشأ أن يقطع في ذلك. (٢) صمد: قصد، هاجم (والمائة يستعملون هذا الفعل بمعنى • شئت •).

العلم وعمّ العمرانُ وأرقتِ الثقافة، فقد بنى أبو عنان المدارس والزوايا - وأشتهرت المدرسة البوعنانية في فاس بما كان فيها من آثارِ العمران والزخرف وبما ضمت من الطلاب ومن مجاميع الكتب. ويكفيه فخراً أن العلامة عبد الرحمن بن خلدون اختار أن ينزل عنده لما بارح بلده تونس. ثم كتب «مقدمته» الشهيرة وقدمها إليه.

غير أن كلَّ هذا الإحسان لم يُنقذ أبا عنان من يد الطغيان فقد قتله وزيره الحسن بن عمر الفودودي (٧٥٩ هـ = ١٣٥٨ م).

بنو وطّاس

في ذلك الحين لم تكن الحدود ثابتة بين القطر الجزائري والقطر المغربي (المغرب الأقصى). وكذلك لم يخلص الحكم في المغرب لبني مرين، فقد استبدّ بنو عبد الواد (عبد الواحد^(١)) - وهم فرع من بني زيان - بالحكم في تلمسان (٦٣٣ - ٧١٨ هـ) ثم عاد الحكم في تلمسان إلى المرينيين مدة. ثم عاد فرع آخر من بني زيان إلى الحكم، سنة ٧٦٠ (١٣٥٩ م).

ولما انقضت دولة بني مرين عاد الأمر كله إلى فرع من بني مرين يعرفون ببني وطّاس. ولم يكن في أيام بني وطّاس سوى النزاع الداخلي الذي فسح المجال أمام البرتغاليين للاستيلاء على معظم شواطئ المغرب. لقد بلغ المغرب في أيام الدولة الوطّاسية ذرّك النزاع والفساد. وفي سنة ٨٩٧ (١٤٩٢ م) سقطت غرناطة آخر بلاد المسلمين في الأندلس، فانتقل جماعات من المسلمين من الأندلس إلى المغرب.

وعاشت الدولة الوطّاسية - مع كل ما كان فيها من الفلاقل والفتن - إلى سنة ٩٦١ (١٥٥٤ م) لما انبسط الحكم العثماني على الجزائر.

القطر الجزائري

كلُّ بلادٍ تولّف دولة تتنوع في أسماها وفي إدارتها كُرسى (العاصمة) فيها. وبما أن

(١) راجع، فوق، الصفحة السابقة، الحاشية الأولى.

الأقطار المغربية كان فيها كُرسيان للحكم (عاصمتان) إحداها مدينة تُونسَ في المغرب الأدنى (القطر التونسي) والثانية منها مَرَاكُشُ في المغرب الأقصى، فإنَّ القَطْرَ الجزائري كان، في الواقع، مقسوماً بين تَنِينِكَ العاصمتين، ولم يكن في القطر الجزائري دولةً عامّةً - برُغمَ ما نشأ فيه، بينَ الحينِ والحينِ، من الدُولَاتِ الخاصّةِ - مرّةً تزيدُ حصّةَ تونس منه ومرّةً تزيدُ حصّةَ مَرَاكُشَ.

من أجل ذلك كانت أَسْمَاءُ مختلفةً من القطر الجزائري تُشَبِّحُ مرّةً حكمَ الحفصيين في تونس ومرّةً حكمَ المرينيين في مَرَاكُشَ.

ومَعَ أنَّ اعتداء الإفرنج (من الإيطاليين والفرنسيين والإنكليز وغيرهم) كان كثيراً على طولِ الشواطئ المغربية، فإنَّ شواطئَ القَطْرَ الجزائري نالها من ذلك الاعتداء نصيبٌ أكبرُ لوقوعِ القَطْرَ الجزائري في وَسَطِ تلكِ الشواطئِ.

ولقد شارك أبناءُ القَطْرَ الجزائري في هزيمةِ الحَمَلَةِ الصليبية التي قادها القديسُ لويسُ على قَرطاجَة (شِبَالِيّ مدينة تونس) مشاركةً فعّالةً، سَنَةَ ٦٦٩ (١٢٧٠ م).

وعانتُ شواطئُ القَطْرَ الجزائري من القَرصنة الأوروبية شراً كثيراً. وكان القراصنة الأوروبيون يُغيرون على الشواطئ ويخطفون الذين يتفق وجودهم هناك. كان القراصنة يُحملون أولئك المخطوفين إلى أقطارِ أوروبة ويبيعونهم رقيقاً مُستعبدين. ولم يكن في القَرصنة عُصْرُ اقتصاديٍّ تجاريٍّ فحسبُ، بل كان فيه عنصرٌ دينيٌّ صليبيٌّ أيضاً. ولما طال شرُّ القَرصنة على الشواطئ من القَطْرَ التونسي خاصةً، نشأت هنالك حركةٌ إسلاميةٌ للجهاد تولاها المجاهدان العُثمانيان خير الدين وأخوه عروجُ. والقَرصنة الأوروبية لم تكن مشاريعَ فرديةً شعبيةً، بل كانت حركةً دوليةً جماعيةً ولكن يتولاها في الظاهر أفرادٌ. إنَّ الدُولَ الأوروبية (إيطالية وإسبانية والبرتغال خاصة) كانت بينَ الحينِ والحينِ، حيناً تستطيعُ، تحتلُّ عدداً من المدن الساحلية في القَطْرَ التونسي أو القَطْرَ المغربي أو القَطْرَ الجزائري. وفي سَنَةِ ٩١٠ (١٥٠٤ م) احتلَّ الإسبانُ المرسي الكبيرَ في وهران. ولم يبقَ الجهادُ الفرديُّ قادراً على أن يدفعَ الاعتداءَ الدوليَّ، فاستنجدَ أهلُ الجزائرِ بالعُثمانيين فجاء العثمانيون

لِنَجْدَتِهِمْ وِبدَأُوا فِي الْمَغْرِبِ حُكْمًا إِدَارِيًّا اِمْتَدَّ فِيهَا بَعْدُ إِلَى تُونِسَ وَلَكِنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى.

أما على الصعيد الداخلي فَإِنَّ زِيَّانَ بْنَ أَبِي حَمَّوِ الثَّانِي تَوَلَّى بِلْيَسَانَ سَنَةَ ٧٩٦ م (١٣٩٣ م) وَقَطَعَ دَعْوَةَ الْمَرْيَنِيِّينَ. مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنْ جَانِبًا مِنَ الْجَزَائِرِ قَدْ أَصْبَحَ لَهُ شَكْلٌ دَوْلِيٌّ خَاصٌّ. هَذَا الشَّكْلُ الدَوْلِيُّ الْخَاصُّ الَّذِي نَشَأَ فِي بِلْيَسَانَ، بَعِيدًا عَنِ السَّاحِلِ، اسْتَمَرَ مَدَّةً إِلَى مَا بَعْدَ الْحُكْمِ الْعُمَانِيِّ.

ليبيا

كان تاريخ ليبيا، في هذه الحقبة، منذ ٧٢٤ هـ = ١٣٢٤ م، يدور حول طرابلس الغرب في الأثر. ولقد تولى طرابلس بنو ثابت بن عمار غير مستقلين بها لأن المحفصيين والمرينيين والإفرنج كانوا يتنازعونها ويتداولون الحكم عليها. ولم يكن في مقدور ولايتها من بني عمار أكثر من أن يرُضوا بالدولة التي تسيطر عليهم أو أن يستظهروا بالعرب (البدو) على مقاومة الدول مقاومة محدودة.

وفي سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) استولى تجار جنوة الإيطاليون على طرابلس الغرب فتكاتف على اقتدائها نفر من السلاطين والأمراء والناس منهم أبو عيَّان المرينيُّ المشهور، ومنهم أبو العباس أحمد بن مكِّي صاحب قابس (وقابس مدينة ساحلية في جنوبي القطر التونسي) وبعض أهل الحامة والجريد (في جنوبي القطر التونسي أيضاً).

ومع أن آل ثابت بن عمار كانوا في أواخر أيامهم خاضعين للدولة الحفصية في تُونِسَ، فقد أدرك أبو فارس عَزَّوَزْ (عبد العزيز الحفصي) أن آل عمار ليسوا قادرين على حماية طرابلس من الإفرنج فسار إليها واستولى عليها فانقرضت بذلك ولاية بني عمار بن ثابت (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م).

ولما بدأ الضعف يديب في الدولة الحفصية عادت القلاقل إلى طرابلس فطمع الإسبانيون بها وآستولوا عليها (٩١٦ هـ = ١٥١٠ م). وأضطربت الأمور في ليبيا حتى أنقدها الحكم العُمانيُّ، سنة ٩٥٨ = ١٥٥١ م، من ذلك الاضطراب.

السودان الغربي (أو المغربي) (*)

السودانُ هو المنطقة الممتدة في قارة إفريقيا (جنوب مصر وليبيا والقطر الجزائري والقطر المغربي) من البحر الأحمر شرقاً إلى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي: الأطلنطيقي) غرباً. وهذه المنطقة تقع، عند الجغرافيين العرب، شمال خط الاستواء، ذلك لأن قداماء الجغرافيين منذ أيام اليونان قد ظنوا أن ما وراء (جنوب) خط الاستواء بحاراً أو قفاراً أو غابات كثيفة تملأها الوحوش الضارية والهوام المهلكة، وأنها لا تصلح لسكنى البشر.

ولما قسم القدماء «الرابع المعمور» (الجانب المسكون) من الأرض (ما بين خط الاستواء والقطب الشمالي) جعلوه سبعة أقاليم (أو مناحات) وجعلوا السودان في الأقليمين الأول والثاني وعدوها «منحرفين عن الاعتدال» لشدة الحر فيها، ثم لقلّة موافقتها للسكنى ولنشأة الحضارة.

وهذا السودان قسماً شرقياً وغربيّاً. والقسم الشرقي منه يُعرف اليوم باسم السودان المصري (بحكم الجوار) - وهو جمهورية السودان - وفي السودان الشرقي كينيا (جنوب جمهورية السودان) وأوغندا وجانب من حوض نهر الكونغو (وإن كان حوض نهر الكونغو أحق أن يُنسب إلى أواسط إفريقيا. ولا صلة كبيرة له الآن ببحسبنا لأن الإسلام دخل إلى حوض الكونغو في زمن متأخر عن العصر الذي نعالجه).

وأما القسم الغربي من السودان فيمتد من الحدود الغربية لجمهورية السودان اليوم إلى الشواطئ الواقعة على المحيط الأطلسي من الغرب ومن الجنوب. ويدخل فيه (في السودان الغربي: غربي إفريقيا) شاد وبلاد النكار (النيجر) ومالي والسنگال وبلاد غانة وساحل العاج وما يجاور هذه كلها من الأقسام السياسية الحديثة.

بدأ دخول الإسلام إلى السودان الغربي منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر

(*) راجع الحاشية على الصفحة ٢٥ والمتعلقة بضبط الأعلام الجغرافية وأسماء الأشخاص والقبائل في هذا الفصل، وخصوصاً فيما يتعلق بالسودان الغربي.

للميلاد) من طريق التجار المترددين على المناطق المختلفة. ثم زاد انتشار الإسلام مع قيام حركة المرابطين في القرن التالي. ولقد كان لدولة المرابطين (٤٤٨ - ٥٤١ هـ) خاصة ثم لدولة الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٧ هـ) أثر كبير في ازدياد انتشار الإسلام.

والبحث في جغرافية السودان الغربي وتاريخه معقد جداً لأسباب منها أسماء الأمكنة التي ترد على صور مختلفة باختلاف لهجات السكان الكثيرة. ثم إن هذه الأسماء قد تكون أحياناً أسماء قبائل. أضف إلى ذلك كله أن هذه الأسماء نفسها لا تطلق عادة على أماكن متحيزة، ذلك لأن مساكن القبائل تتداخل ثم تتسع وتضيق بحسب امتداد سلطة رؤساء القبائل أو تقلص تلك السلطة.

وبعد ذلك تأتي الروايات التاريخية المتضاربة والمختلطة بالخرافات وما تشاء الذاكرة الإنسانية من الأحداث ثم ما تضيفه من الأحداث إلى ذلك القصص الشعبي القائم على النقل الشفوي من جيل إلى جيل.

ثم إن معالجة الحياة السياسية في السودان الغربي لا يمكن أن تكون على أساس الوحدات السياسية (الدول) التي نعتها في أيامنا، بل على أنها مساحات من الأرض تضيق أو تتسع بحسب قوة المتغلبين عليها من أرباب الأسر ورؤساء القبائل.

حوض النكار وحوض السنغال

يبدأ نهر النيل الغربي (النكار)، تمييزاً له من نهر النيل الشرقي أو نيل مصر^(١) من غربي إفريقيا، متجهاً نحو الشمال الشرقي حتى يصل إلى نقطة عند طرف الغابات الاستوائية على الحدود الجنوبية من الصحراء الكبرى، ثم يعطف نحو الجنوب ويستمر على سمنه (في اتجاهه) إلى أن يصب على مقربة من خليج فرناندوبو اليوم.

وأما نهر السنغال فيقع في الطرف الجنوبي الغربي من السودان الغربي: يبدأ في منطقة فوتا جالون (بلاد فوت) ثم يتجه شمالاً. وبعد انحناؤه شديد يتجه غرباً ليصب

(١) في مقدمة ابن خلدون (٩٢/٥٤): «... ويسمى نيل السودان، ويذهب إلى البحر المحيط فصباً فيه عند جزيرة أوليك (٢). وعلى هذا النيل مدينة سلا (قرب الرباط، في المغرب) وتكروور وغانة - وكلها لهذا العهد في مملكة ملك مالي.

في بحر الظُّلمات (المحيط الأطلسي) شمال العاصمة دَكَارَ، عند بلدة جديدة هي سان لويس. ومع أن كلمة تَكَرُّورُ تُطْلَقُ، عند المسلمين، على مُعْظَمِ السودان الغربي، فإنها أكثرُ أنطباقاً على ذلك الجزء الغربي الذي يُسمى بعضُه (على بحر الظلمات) «السنغال».

الإسلام في السودان الغربي

إنَّ اتِّسَارَ الإسلام في السودان يَرْجِعُ إلى جهود جماعة من البربر يحسن الكلام على نفر منهم هنا.

البربر أو السكَّان الذين كانوا في المغرب عند الفتح الإسلامي قسماً رئيسان: البرانس والبتر. ومن البرانس: صنهاجة وكُتامة. «وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهي إلى السبعين منهم لمتونة وكذالة (يكاف معقودة) ومسوفة.... وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تَمُوتُ الحصر..... ومن صنهاجة «اللمتون».... وموطن هؤلاء اللمتين أرض الصحراء والرَّمَالُ الجنوبيَّةُ فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان.... وكان دينُ صنهاجة أهل اللثام الجوسية فدخلوا في الإسلام بعد فتح الأندلس (٩٢ للهجرة = ٧١١م). وكانت الرئاسة فيهم للمتونة. وثبت ملك لمتونة و طال فجاهدوا أمم السودان ودعواها إلى الإسلام، فدان بالإسلام كثير من أهل السودان.

ثم أفرق أمر لمتونة بعد ذلك وأصبح ملكهم طوائف وأصبحت رئاستهم شيئاً، مدة من الزمن - نحو مائة وعشرين سنة - إلى أن قام فيهم الأمير أبو عبد الله محمد بن تيفاوت المعروف بتاسرت اللمتوني فاجتمعوا عليه وبايعوه.

ولما توفي محمد بن تيفاوت قام بأمر صنهاجة يحيى بن إبراهيم الكدالي، وكان بنو صنهاجة يسكنون الصحراء التي تليها من الجنوب غابات بلاد السودان وليها من القرب البحر المحيط. وكان ابن تيفاوت يتابع الجهاد في بلاد السودان للدفاع عن قبيلته صنهاجة ولتشر الإسلام.

وفي سنة ٤٢٧ للهجرة (١٠٣٥م) ذهب يحيى بن إبراهيم إلى الحج. ولما رجع مرَّ

بالقيروان فَلَقِيَ فِيهَا أَبَا عِمْرَانَ مُوسَى بْنَ عَيْسَى الْفَفْجُومِيَّ الْفَاسِيَّ. وَخَاطَبَهُ فِي أَمْرِ
البربر الذين يعيشون في جنوبي المغرب وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى عِلْمٍ كَافٍ بِأُمُورِ الْإِسْلَامِ.
فَكَتَبَ أَبُو عِمْرَانَ رِسَالَةً إِلَى أَحَدِ أَتْبَاعِهِ وَاجَاغَ بْنَ زُلُو^(١) اللَّمَطِيَّ (وَكَانَ يَسْكُنُ فِي
بَلَدَةِ نَمَيْسَ، عَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْ سِجْلَمَاسَةَ - جَنُوبَ جِبَالِ الْأَطْلَسِ عِنْدَ الْحُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ
لِلصَّحْرَاءِ) وَأَعْطَاهَا لِيَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ. فَأَشَارَ وَاجَاغُ عَلَى أَحَدِ تَلَابِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
يَاسِينَ الْجَزُولِيِّ^(٢) بِأَن يُرَافِقَ يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٤٣٠
(ربيع عام ١٠٣٩ م)^(٣).

ورأى عبدُ الله بنُ ياسينَ أنَّ أفضلَ الوسائلِ لِتَنْشِئَةِ جِيلٍ يَقُومُ بِالْجِهَادِ وَيَحْمِلُ
الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِقَامَةُ رِبَاطٍ (أَوْ رِبَاطَةٍ) فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغُرِّيِّ (النَّبِجَرِ) يَرْتَمِي فِيهِ
أَتَاعَهُ تَرْبِيَةً خَالِصَةً مَقْطُوعَةً مِنْ مَشَاكِلِ الْبَيْئَةِ الْأَجْتَمَاعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

في هذه الأثناء تُوِّفِيَ يَحْيَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْكَدَالِيُّ فَأَخْتَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ مِنْ
قَبِيلَةِ لَمْتُونَةَ أَمِيرًا عَلَى فُرُوعِ قَبِيلَةِ صِنْهَاجَةَ هُوَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، وَظَلَّ عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ صَاحِبَ دَعْوَةِ الْمَرَابِطِينَ (نِسْبَةً إِلَى الرِّبَاطَةِ الَّتِي كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ
قَدْ أَقَامَهَا فِي نَهْرِ النَّيْلِ الْغُرِّيِّ). غَيْرَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَاسِينَ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ الْحَاكِمَ
الْفِعْلِيِّ مِنْ وِرَاءِ يَحْيَى بْنِ عُمَرَ.

وعبدُ الله بنُ ياسينَ لم يَكْتَفِ بِالْدَعْوَةِ بِالْكَلِمَةِ الْحَسَنَةِ، بَلْ جَعَلَ يُجَاهِدُ قِبَائِلَ
البربرِ فِي جَنُوبِ الْمَغْرِبِ حَتَّى حَمَلَهَا جَمِيعًا عَلَى الطَّاعَةِ وَنَشَأَهَا عَلَى الدِّينِ الْخَالِصِ
(السلوك الخالي من شوائب الوثنية) وجعلها قوَّةً سياسيَّةً مرهوبة الجانب.

ثم تُوِّفِيَ يَحْيَى بْنَ عُمَرَ اللَّمْتُونِيُّ، سَنَةَ ٤٤٧ لِلْهِجْرَةِ فَقَدَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ لِرِثَاسَةِ
صِنْهَاجَةَ أَخَا لِيَحْيَى بْنِ عُمَرَ هُوَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ، فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٤٤٨ (أَوَّلِ
أَيَّامِ الرَّبِيعِ مِنْ عَامِ ١٠٥٦ لِلْمِيلَادِ).

(١) زلو (براي ساكنة).

(٢) قبيلة كرولة (كفاف معقودة ساكنة، تلفظ كما يلفظ أهل القاهرة الميم: جرولة). أما حركة هذه الميم
فتكون بالفتح (وهو أشهر) وتكون بالضم.

(٣) كانت وفاة أبي عمران الفاسي سنة ٤٣٠ هـ.

وفي سنة ٤٥١ للهجرة (١٠٥٩ م) تُوِّفِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ، ورأى أبو بكر بن عَمْرٍو أَنَّ الْعَبْدَةَ أَتَقَلُّ مِنْ أَنْ يَحْمِلَهُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَهَدَ إِلَى أَبِي عَمْرٍو لَهُ هُوَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ اللَّمْتَوِيِّ وَفَوَّضَ إِلَيْهِ جَانِباً مِنَ الْأَمْرِ السِّيَاسِيِّ وَمِنَ الْجِهَادِ فِي قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ الْقَرِيبَةِ مِنْ شَالِي الْمَغْرِبِ وَبَقِيَ هُوَ يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ قَرِيباً مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ. وَلَكِنْ فِي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ ٤٥٣ (مطلع عام ١٠٦١ م). نَظَّمَ يَوْسُفُ بْنُ تَاشِفِينَ الْجَيْشَ الَّذِي كَانَ بِإِمْرَتِهِ، وَكَانَ - كَمَا بَدَأَ فِيهَا بَعْدَ - يُرِيدُ الْأَسْتِقْلَالَ بِالْحُكْمِ. وَلَقَدْ كَانَتْ رَغْبَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمْرٍو فِي الْجِهَادِ وَالِدَعْوَةِ فِي بِلَادِ السُّودَانِ أَكْبَرَ عِنْدَهُ مِنْ الرَّغْبَةِ فِي الْحُكْمِ السِّيَاسِيِّ، فَلَمْ يُقَاوِمِ عَمَلَ يَوْسُفَ بْنِ تَاشِفِينَ.

وظَلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَمْرٍو يُجَاهِدُ فِي الْجَنُوبِ وَيَدْعُو حَتَّى أَدْرَكَتْهُ الْوَفَاةُ، سَنَةَ ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م). فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ اتَّسَعَ أَنْتَاشَارُهُ فِي بِلَادِ السُّودَانِ وَبَدَأَتْ تَنْهَضُ فِي السُّودَانِ دَوْلٌ مُسْلِمَةٌ.

مَالِي أَوْ مَالِي^(١):

على ضفاف نهر النيل الغربي هذا مُدُنٌ مُهِمَّةٌ (زال عددٌ منها منذُ زَمَنِ). مِنْ هَذِهِ الْمُدُنِ كُلِّهَا (أَبْتَدَاءً مِنْ مَنَاجِمِ النِّيجَرِ): جَارِبُ، كَانْكَابَا، بَرْمَكُو^(٢)، نِيَانِي (مَالِي الْقَدِيمَةِ)، جِنَّةُ، دِيَا، ثُمَّ (قَبْلَ أَنْعَاطِهِ جَنُوباً) بَامْبَا. وَعَلَى مَسَافَةٍ قَلِيلَةٍ مِنْ هَذَا الْمُنْعَطَفِ (إِلَى الشَّالِ الْغَرْبِيِّ) تَقُومُ مَدِينَةٌ تَنْبِكْتُ (تَمْبِكْتُو)، ثُمَّ بَعْدَ أَنْعَاطِهِ مَدِينَةُ كَاو. (كَاغُو).

والمدينة التي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِأَسْمِ مَالِي بُنِيَتْ عَلَى هَضْبَةٍ تَكْثُرُ فِيهَا الزَّرَاعَةُ، بَنَاهَا أَحَدُ شِيُوخِ جَمَاعَاتِ مَنَدَةَ فِي زَمَنِ لَا نَحْقُقُهُ، وَلَكِنْ - عَلَى كُلِّ حَالٍ - قَبْلَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْهَجْرَةِ (الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ). وَالْعَاصِمَةُ الْأُولَى لِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ كَانَتْ جَارِبُ فِي أَعْلَى

(١) بلاد مالي اليوم كانت تعرف عند المسلمين باسم بلاد النكرون (بالتونون في آخرها) ويقال لها اليوم «النكرون» (بالراء). وكان هذا الاسم يطلق أيضاً على معظم بلاد السوادن الغربي (غربي أفريقيا).

(٢) برمكو (في المصادر الأجنبية وفي المصادر العربية الحديثة): تاماكو

نهر النكار (النيجر قريباً من منابعه) في مِنطَقة كانشابا. ودَخَلَ الإسلام إلى كانشابا وعمَّها مُنذُ القرن الرابع للهجرة (الحادي عَشَرَ للميلاد).

ومالي دَخَلها الإسلامُ من طريقِ التُّجَّارِ، في نحو ٤٠٠ للهجرة (١٠١٠ م)، وفي سَنَةِ ٤٤٢ للهجرة (١٠٥٠ م) أَعْتَقَ مَلِكُها باراماندانا^(١) الإسلامَ. وأدَّى هذا الملكُ فَرِيضَةَ الحَجِّ، فكان بذلك قُدوةً لجميعِ ملوكِ مالي الذين جاءوا بعده.

ومرَّ من الزمن قرنانِ كان - في أثنائها - تاريخُ مالي القائمُ على الرواياتِ الشعبيَّةِ (مثلَ غيره من تاريخ بلاد السودان) كثيرَ العُمُوس. في هذه الحِقبة، ونحو سَنَةِ ٤٩٥ للهجرة (١١٠٠ م)، كان المَلِكُ موسى كَنَع - والمُلَقَّبُ: عَلَّا كُنِي (كُنِي بِضَمِّ فسكون: الرئيس) - قد أدَّى فَرِيضَةَ الحَجِّ أربعَ مرَّاتٍ، فيما قيل. غيرَ أنَّ التاريخَ السياسيَّ الواضحَ لِمَمْلَكَةِ مالي يبدأ بِحِجْيَةِ ملكِ أسَمِه سُنُ دِياتا.

إلى الشَّمالِ الغربي من مِنطَقة مالي كانتِ تقومُ بلدةٌ صوصو (وربَّما كانتِ «صوصو» * اسماً لِمقاطعةٍ ولِلغَةِ أيضاً). ففي سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م)، أو بعدَ ذلك بقليلٍ، اسْتَوَى سومان غورو سَيِّدُ صوصو على ماندِنغ^(٢) (أسم مالي القديم) وأخذَ أبناءَ مَلِكِها الأَثْنِي عَشَرَ وَقَتْلَهُمْ إِلَّا واحداً كان كسيحاً (مُقْعِداً) يُدعى سُنُ دِياتا (السَيِّدُ الأَسَد).

اسْتطاع سُنُ دِياتا، برُغمِ عاهتِهِ، أن يهْرُبَ من أسْر سومان غورو وأن يجمَع حوله أنصاراً ويقاتِلَ بهم ثم يستعيدَ ماندِنغ من يَدِ سومان غورو، سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م). وأحَبَّ سومان غورو أن يَسْتَرِدَّ ما فَقَدَهُ في حربِ سُنُ دِياتا، فَنَشِبَتْ بَيْنَ المَلِكَيْنِ مَعْرَكَةٌ في كيريني، عندَ مدينةِ كوليكورو (شَمالَ برمكو)^(٣) فَانهزم سومان غورو وسَقَطَ في المَعْرَكَةِ قتيلاً. وتابَع سُنُ دِياتا فُتُوْحَهُ حَتَّى اسْتطاعَ أن يُلْحِقَ إمبراطوريَّةَ صوصو كُلَّها بِمَمْلَكَتِهِ. ونحو سَنَةِ ٦٣٨ للهجرة (١٢٤٠ م) اسْتَوَى على غانَةَ وخرَّبَها.

(١) برما (أو باراما) ثم ندنا (أو ندانا) بإدغام التون في الدال. ولعل له صبغاً أخرى.

(٢) ماندنغا (اسم قبيلة). * أو * كوكو * أيضاً.

(٣) في الكتب الحديثة: بامكو.

ولمَّا اتَّسَعَت مَمْلَكَةُ سُنِّ دِيَانَا أُصْبِحَتْ عَاصِمَتُهُ جَارِبُ (في مقاطعة كانغابا) في أعالي حوضِ النيجرِ منطَرَفَةً جَدًّا: مُوْغَلَةٌ في الغاباتِ الأَسْتَوَانِيَّةِ وَبَعِيدَةٌ عَنِ طَرِيقِ القَوَافِلِ، فَبَنِيَ مَدِينَةً - عَلَى نَحْوِ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ كِيلُومِترًا شَمَالَ جَارِبِ - سَمَّاهَا، عَلَى الأَرَجِحِ، نِيَامِي. أَمَّا قِبَاثُلُ الفُولَانِي^(١) (في الغرب) فيقولون فيها: مَالِي وَمِيلِي (بإمالة الياءين)، وَالبَرِبَرُ يَقُولُونَ: مِيل وَمِيلِيَّت (بإمالة الياءين الأوليين). وَالعَرَبُ يَقُولُونَ: مَالِيل وَمِيلِيل (بإمالة الياءات الثلاث). أَمَّا الهُوسَا (وهم جَمَاعَاتٌ لَعُوبَةٌ لَا عِرْقِيَّةٌ) فيقولون: وَنُكْرُ.

وَبَعْدَ سَنَةِ ٦٣٨ لِلهَجْرَةِ لَمْ يَقُمْ سُنُّ دِيَانَا بِمَحَلَّاتٍ جَدِيدَةٍ، وَلَكِنَّ قُوَادَهُ اسْتَطَاعُوا أَنْ يُوسَمُوا رُقْعَةً الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ. وَفِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ السَّابِعِ لِلهَجْرَةِ (وَالنِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ) بَلَّغَتْ إِمْبِرَاطُورِيَّةُ مَالِي أَقْصَى اتَّسَاعِهَا وَذُرُوءَةَ عَظَمَتِهَا.

وَفِي مَدَى جِيلٍ مِنَ الدَّهْرِ (٦٧٠ - ٧٠٧ لِلهَجْرَةِ) بَعْدَ سُنِّ دِيَانَا، تَوَالَى عَلَى عَرْشِ مَالِي خَمْسَةُ مُلُوكٍ أَوْ يَزِيدُونَ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ يَسْتَحِقُّ لِقَبِّ مَلِكِ سُوِي مَوْلَى (عَبْدُ رَقِيقٍ أَعْتَقَهُ سَيِّدُهُ) يُدْعَى سَبْكَورَا أَوْ سَكُورَا (٦٨٤ - ٧٠٠ هـ) أَعْتَصَبَ العَرْشَ وَلَكِنْ رَدَّ إِلَى مَالِي شَيْئًا مِنْ عَظَمَتِهَا.

ثُمَّ جَاءَ أَشْهُرُ مُلُوكِ مَالِي فِي صَفَحَاتِ التَّارِيخِ: مَنْسَا مُوسَى أَوْ المَلِكُ مُوسَى (٧١٢ - ٧٣٨ هـ) فزَادَ فِي اتَّسَاعِ رُقْعَةِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ. وَأَشْتَهَرَ مَنْسَا مُوسَى بِقِيَامِهِ بِالحَجِّ سَنَةَ ٧٢٤ لِلهَجْرَةِ (١٣٢٤ م)، فَإِنَّهُ حَمَلَ مَعَهُ مَالًا كَثِيرًا وَأَصْطَحَبَ حَاشِيَةً وَفِيرَةً وَتَصَدَّقَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ.

وَلَمَّا عَادَ مَنْسَا مُوسَى إِلَى السُّودَانِ أَصْطَحَبَ نَفَرًا مِنَ العُلَمَاءِ وَالأَدْبَاءِ، بِحَسْنِ أَنْ نَذَكَّرَ مِنْهُمْ هُنَا الشَّاعِرَ الفَرْنَاطِيَّ إِبرَاهِيمَ بنَ مُحَمَّدِ السَّاحِلِيِّ المَشْهُورِ بِالمُتَوَجِّجِ^(٢)، وَكَانَ مُهَنْدِسًا أَيْضًا أَدْخَلَ البِنَاءَ بِالمُطَابُوقِ أَوْ القَرْمِيدِ (المُطِينِ

(١) فَلَانَا (بالماء) وَشَدَّةٌ عَلَى اللَامِ ثُمَّ تَاءٌ مَنَاءَةٌ مِنْ فَوْقِهَا) إِسْمٌ فِيهِلَهُ. وَالعَلَّاقِي (بفتح المَاءِ وَتشدِيدِ اللَامِ وَتَاءٌ قَبْلَ اليَاءِ الأَخِيرَةِ) وَالعَلَّاقِي (بضم المَاءِ وَتشدِيدِ اللَامِ ثُمَّ نُونٌ قَبْلَ اليَاءِ).

(٢) فِي الإِحَاطَةِ (١: ٣٣٧ وَمَا بَعْدَ): دَخَلَ إِلَى بِلَدِ السُّودَانِ فَاتَّصَلَ بِمَلِكِهَا وَاسْتَوَظَّنَهَا زَمَانًا طَوِيلًا. كَانَتْ وَفَاتَهُ ٧٤٧ هـ (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ فِي هَذَا المَجْزِءِ).

المطبوخ) وبنى عدداً من المساجد في تُنْبُكْتُ وكاغو، على الطريقة المهرمية (بسطوح عالية مخرّوطة تنتهي بنقطة) مما يساعد على تخفيف الحرّ عن المصلّين.

وبعدّ مناسي هذا بدأ أحمداً إمبراطورية مالي.

غانة

غانة، في الأصل، لقب للملوك الذين حكموا تلك البلاد التي عُرفت فيما بعد باسم غانة. ثم أطلق هذا الاسم «غانة» على عاصمة المملكة وعلى البلاد الداخلة في حكم تلك المملكة. ويبدو أنّ عاصمة إمبراطورية غانة كانت في وعكري أو في قنّب (قنّب صالح، وهي الآن خرائب على نحو ما تُنتي ميل - ثلاثمائة كيلومتر شمال برمكو)^(١).

وقد عرفت غانة في التاريخ ترجع إلى معدن الذهب الكثير في أرضها. ثم هي مملكة قديمة عرفت التاريخ منذ القرن الثاني قبل الميلاد. وقد كانت أكبر ممالك السودان في غربي إفريقيا.

في أواسط القرن الثاني للهجرة (نحو ٧٧٠ م) كانت تحكم غانة أسرة سودانية من السنهي^(٢)، وكان النزاع بين هذه الأسرة وبين قبائل البربر في الشمال شديداً. وفي سنة ٣٨٠ للهجرة (٩٩٠ م) احتلت قبيلة لمتونة مدينة أوداغشت (أو أوداغست)، وجعلتها مركزاً تجارياً كبيراً. هذه المدينة قد زالت الآن، ولا تعرف موقعها بالتدقيق. غير أنّ ذلك لم يمنع الأسرة السنهيّة من البقاء في الحكم ومن مدّ حدودها ما بين تُنْبُكْتُ والبحر المحيط (الأطلسي) ما بين نهر النيل الغربي (النيجر) ونهر السنغال. وذلك في القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد).

(١) راجع، فوق، ص ٤٠، الحاشية الثانية.

(٢) تلفظ «صفاي» (بصاد مضومة ثم عين كأنها قاف ثم نون خفيفة كأنها مضومة: مدغمة في الباء).

ولعل معناها: السني، نسبة إلى سنة رسول الله (ﷺ).

في سنة ٤٦٩ للهجرة (١٠٧٦ م) استولى أبو بكر بن عمر على مدينة قُنب عاصمة غانة ودخل جانب كبير من أهل البلاد في الإسلام. غير أن جهاد أبي بكر بن عمر في قبائل البربر لم يُمكنه من الاحتفاظ بعاصمة غانة طويلاً، إذ أُضطرَّ إلى الانسحاب منها ثم قُتل في ادرار (جبال الأطلس)، سنة ٤٨٠ للهجرة (١٠٨٧ م) وهو يُقاتل البربر.

وبعد سنة ٤٨٠ للهجرة أخذت قوة ملوك غانة السُّني في التراجع حتى اقتصرَّت مملكتهم على بقعة إلى غرب نهر النكار فيها بسَّكُونو على مقرَّية من النهر ثم وعُكري المُوغلة غرباً. أما المناطق الأخرى التي كانت خاضعة لمملكة غانة فقد أصبحت ممالك مُستقلة.

وفي سنة ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) استولت مالي على مدينة غانة. وبعد خمس سنوات دُمِّرت مدينة غانة.

ولقد كان لغانة أثر كبير في انتشار الإسلام في السودان الغربي، فإنَّ الأَسْر التي كانت تحكُم فيها والقبائل التي كانت تسكنها وتعمل في الرعي - وفي الرِّزَاعَة أيضاً - وهي في الأغلب قبائل سُني (صغاي)، ثم هي مُختلفة الأصول مُختلفة المساكن. وبما أن هذه القبائل كانت كثيرة العدَد مُتفرقة في المناطق فقد اتَّسع انتشار الإسلام على يديها حتى وصل إلى أطراف الغابات الأستوائية - جنوب الصحراء الكبرى.

ليس لنا علم بالتاريخ الذي بدأ فيه انتشار الإسلام في السودان الغربي. وليس ثَمَّت ما يَنبَع من أن يكون انتشاره قد بدأ منذ مجيء العرب إلى المغرب، منذ القرن الأول للهجرة، من طريق التجارة ومن طريق دُعاة مُتطوعين. ويذكرُ لويس ماسينيون في تقويمه «العالم الإسلامي» (بالفرنسية، طبعة ١٩٥٤ باريس) أنَّه كان في كانم^(١) (شاد اليوم) شبه دولة يسكنها مُسلمون منذ القرن التاسع للميلاد (الثالث للهجرة) في الأغلب (ص ٣٥٩).

(١) كانم (بفتح النون وبضمها أيضاً) ونشاد أو «شاد» (بلا تا في أولها).

غير أن من الثابت أن الإسلام بدأ انتشاراً واسعاً في مُعظم أراضي إفريقيا الغربية (السودان المُغرَّب) منذ مطلع القرن الخامس للهجرة (الحادي عشر للميلاد). ولكن إذا نحن استقرضنا «الديباج المذهب» لابن فرحون اليعقوبي (ت ٧٩٩ هـ) - وهو مُغرَّب الأصل - ثم كتاب «نيل الأبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بن أحمد بن أقيس المعروف بلقب بابا التنبُكي (ت ١٠٣٦ هـ) - وهو من تنبكت (تمبكتو) المركز الأكبر للثقافة في السودان المُغرَّب (أو المُغرَّب) - لم نرهما ذكراً أحداً من الأدباء أو العلماء أو الفقهاء قبل القرن التاسع للهجرة، مما يدل على أنه لم ينشأ في تلك البلاد أحدٌ من ذوي التقدم والشهرة في هذه الفنون قبل ذلك التاريخ.

كانم - برنو^(١)

من المؤرخين من يُعالج تاريخ كانم مستقلاً عن تاريخ برنو، ومنهم من يسوق تاريخها في سردٍ واحد. وأظن أن المنهج الثاني أذعن إلى الاختصار.

وكانم - في الأصل - اسم مدينة ثم أطلق هذا الاسم على دولة. وكانم هذه كانت تقع إلى الشرق الشَّالي من بحيرة شاد، وهي اليوم مقاطعة في جمهورية تشاد. أما برنو فهي مقاطعة إلى غرب بحيرة شاد. وكان سكان المقاطعتين - كانم وبرنو - أخلاطاً من القبائل.

يبدو أن تأسيس هذه الدولة كان على يد قبيلة زواغة البربرية، وهي قبيلة بدوية كانت تسكن إلى الشمال من كانم، وكان انتشارها في تلك الأصقاع واسعاً. وقد بدأ دخول الإسلام إلى كانم منذ القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) على يد التجار الذين كانوا يأتون إليها من ليبيا ومصر، أو يَمرون بها. ولما بدأ القرن السادس للهجرة (٥٠١ هـ = ١١٠٨ م) كان الإسلام قد اتسع انتشاره ثم استقر. ولكن يبدو أيضاً أن الحكم كان، إلى ذلك الحين، «مشيخة بدوية» ثم انتقل إلى دولة ملكية، فيما بعد.

(١) برنو (الأصل في الاء أن تكون ساكنة، وهي هنا شبه مفتوحة، مع ميل إلى ضمها).

وفي الرواية أَنَّ أَوْلَ الملوك المسلمين في هذه الدولة حومي أو أومي (٤٧٨-٤٩٢ هـ)، ثم يضطرب سياق الملوك لأنَّ اسم حومي (محمد؟) يكثرُ فيهم. ولَمَّا جاء دوغنا بنُ حومي (نحو ٤٩٠-٥٤٥ هـ=١٠٩٧-١١٥٠ م) استطاع، في أثناء رئاسته الطويلة الأمد أن يُؤيِّد سلطة قبيلته في كامل. وقد حجَّ مرتين ثم غرَّق، في المرَّة الثالثة، في البحر الأحمر.

ويأتي في هذه السلسلة حومي آخرُ أو محمد بنُ عبد الجليل الملقَّب سَلْمَى (سالم؟)، وقد حكم من سنَّة ٥٩٠ إلى سنَّة ٦١٨ للهجرة (١١٩٤-١٢٢١ م) فوسَّع المملكة وسيطر على قبيلة زغاوة (التي كانت هي ميطرة على كامل وما حولها). وفي أيامه أيضاً بدأ زوال الوثنية. ثم أصبحت جيمي (جمينا)^(١) عاصمةً للدولة.

وبعدَ السلطان محمد بن عبد الجليل جاء أبْنُهُ دونَّا (ت ٦٤٩ هـ=١٢٥١ م) فكان عهدُه مملوءاً بالحروب. ولكنَّه حرصَ على إقامة صلواتٍ بالحفصيين أصحاب تُونِسَ فأرسلَ إلى السلطان الحفصيّ المُستنصر (أبي عبد الله محمد بن يحيى) هدايا نفسيَّة كان فيها زُرَاقَةٌ (وكان دونَّا يدعى في ذلك الحين سُلطان بُرُنُو، وكانت عاصمته مدينة كوكه أو جاجا أو كاك- بكاف عربية أو بكاف معقودة). ويبدو أن برنو كانت مُنفردةً بِحُكْمِ نفسها ولكنها كانت تابعةً لمملكة كاتَم. ثم يمرُّ قرنٌ أو يزيدٌ قليلاً فترى كاتَم نفسها تابعةً لسُلطان بُرُنُو؛ ويُرسِلُ سلطانها أبو عمرو عُثْمَانُ بنُ إدريس، سنَّة ٧٩٤ للهجرة (١٣٩١ م) رسولاً إلى الظاهر بَرْقُوقِ سُلطان مَصْرَ يشكو إليه غاراتٍ على أرضه ذَهَبَ فيها أخوه وسَلَفُه في الحُكْمِ عمرو (أو عُمر) بنُ إدريس بن إبراهيم، إلى جانب عددٍ كبيرٍ من الرعايا سقطوا قتلَى أو أُسْرَى في يَدِ المغيرين.

وبعدَ جيلٍ من الدهر (نحو ٨٤٣ هـ=١٤٤٠ م) أصبحت مملكة بُرُنُو على

(١) هذه اللفظة «جمينا» تشوبه من الاسم الذي يرجع في أصله إلى العربية: إن حمنا (استرحنا) والعامَّة بمولون جمينا (إن جمينا نكتب كلمة واحدة: الجمينا).

جانِبٍ من القوّة فأخذَ جيرانُها يُدارونها، وربّما دَفَعوا لها الجزى. ثم بعدَ جيلٍ آخرَ جاءَ إلى عرشِ بُرنو الغازي علي بن دونّا (٨٨١-٩٠٩ هـ) فقضى على المنازعات على العرش ونظّم مَرافِقَ الدولة ثمّ بنى، إلى الغرب من بُحيرة شادَ، سَنَةَ ٨٨٩ للهجرة (١٤٨٤ م)، عاصمةً جديدةً سَمّاها «عِشْرَعَمُو» (تصرَعَمُو أو بَرْنُ بَرْنُو^(١)): حصن بُرنو) وبَسَطَ سُلْطَنَتَهُ على مَنْ كانَ يجاوره شَرْقاً وغرباً.

وجاء بعدَ عليّ هذا سُلْطانٌ هو إدريسُ كَنَعِ كُرْمِي (?) فحكَمَ من سَنَةِ ٩٠٩ إلى سَنَةِ ٩٣٢ للهجرة (١٥٠٣-١٥٢٦ م)، فعادتْ كَأَمٍّ إلى الخِضوعِ لمملكةِ بُرنو وبَقِيَتْ قبائلُ بولالا شِبةً مُستقلّةً (تَعيشُ في تلكَ المملكةِ ولكن تدفعُ جزيةً).

امبراطورية الصوصو (صو) في كِيَاك (كانياغا)

جاءت جماعاتٌ من التُّكُرور (حوض نهر السنغال)، في القرن السادس للهجرة (الثاني عَشَرَ للميلاد) وأَسْتَبَدَّتْ بالسيطرة على كِيَاك: كانياغا (إلى الغرب من أواسط نهر النيجر). وفي سَنَةِ ٥٧٦ للهجرة (١١٨٠ م) نَهَضَ جُنْدِيٌّ وَعَكْرِيٌّ (سلنكي: نسبة إلى مدينة سيلّا من مدن السنغال) يدعى ديارا كِنْتِي (?) - وكان هذا الأسمُ يُطْلَقُ أيضاً على الأسرة الحاكمة وعلى البلد. وقد كانت تلكَ الأسرةُ الحاكمةُ وثنيّةً.

وجاء^(٢) بعدَ ديارا كِنْتِي أبْنُه صوماغورو (صوماهورو) كِنْتِي (نحو ١٢٠٠-١٢٣٥ م: ٥٩٨-٦٣٣ هـ) وأَحْتَلَّ مَندَنغ (في أعالي حوض النيجر)، فشجّعهُ ذلكَ على أن يَحْتَلَّ جَارِبَ (كانغابا) في الجَنُوبِ ثمّ غانَةَ في الشَّمالِ.

غيرَ أنْ هذا النَّصْرَ كانَ خاويًا فإنَّ النَّهْبَ والقَتْلَ اللذَيْنِ سادا بعدَ هذا الاحتلالِ حَمَلَا التُّجَّارَ المسلمين (في غانَةَ خاصّةً) على الهِجرةِ إلى ولاتن (إلى

(١) برنن برنو أصلها برنو (مدينة، حصن) برنو (مضاف ومضاف إليه: برنو برو - وفي لغتهم تدخل اللون بين المضاف والمضاف إليه فيصاح التركيب الإصافي: برنن برنو.

(٢) راجع، موق، ص ٤٠ «تاريخ مالي».

الشَّالَ الشرقي من بلدة غانة، على الحدود بين مِنطَقة الغابات ومنطقة الصحراء) وعلى إنشاء محطة تجارية في ولاتن أخذت، على طريق القوافل، مكانَ غانَةَ، وذلك نحوَ سَنَةِ ٦٢١ للهجرة (١٢٢٤ م).

ويقال إنَّ صوماغورو لما أَحْتَلَّ ماندنغ قتلَ أحدَ عَشَرَ أبناً للملك ماندنغ. غيرَ أن واحداً من هؤلاء الأبناء - وأسمُهُ: صندياتا^(١)، وكان كسيحاً - نجى من القتل. ثمَّ إنَّه جمع أنصاراً له، وفي سَنَةِ ٦٣٣ للهجرة قاتل صوماغورو، فأهزَمَ صوماغورو وقُتِل، فعادتْ فُلُولُ أتباعه إلى التكرور، وعادت ماندنغ إلى حكم صندياتا.

امبرطورية سنفي (صُفاي)

تطلق كلمة سنفي على قبائل من أصول مختلفة كانت تسكن في الحوض الأدنى للنكار (في منتصف الطريق بين أنحائه في الشَّال ومَصَبه في الجنوب). وفي نحو ٢٦٠ للهجرة (٨٧٢ م) كانت مملكتهم كوكو* (بضم الكافين أو بفتحها) أكبر ممالك السودان. في ذلك الحين كان يسكنها جماعاتٌ من البربر. ففيها وُلِدَ أبو يزيد مَخْلُدُ بنُ كَيْدَادِ الزَّنَاتِي النُّكَّارِي (نسبة إلى النيجر؟) الإباضي الذي ثار على الفاطميين (أصحاب تونس).

وفي نحو سَنَةِ ٣٧٠ للهجرة (٩٨٠ م) كان حكام كوكو مسلمين. وبعدَ قرنٍ من الزمنِ أَعْتَنَقَتْ أسرة «زا» (جا، ديا: الجاءون: الذين جاءوا من اليمن) الإسلامَ. ولكنَّ يبدو أن السكَّانَ الأصليين (من السودان) ظلَّوا على الوثنيَّة زماناً طويلاً.

ثمَّ دخلتْ مملكة سُنْفِي، سَنَةَ ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ م) في حكم مالي. وفي سَنَةِ ٦٧٥ للهجرة (١٢٧٥ م) أسَّس علي كولون أسرة سي أو شي، أو شيا (الجُباة، الخلفاء: خلفاء جا؟). وفي نحو ذلك الزمنِ أُنْتَقَلَتْ عاصمة سُنْفِي إلى مدينة كوكو.

ويبدو أن حُكَّامَ مالي كانوا، بينَ حينٍ وآخرَ، يَنْسُطُونَ سُلْطَنَتَهُمْ على بلادِ

(١) راجع، فوق، ص ٤١.

سُنِّيَّ هذه. وبين سَنَةِ ٧٢٦ وَسَنَةِ ٧٣٧ (١٣٢٥ - ١٣٣٥ م) كانت كوكو وما يَتَّبِعُهَا داخِلَةً فِي سُلْطَانِ مَالِي. وَقَدْ زَارَ مُوسَى صَاحِبَ مَالِي، سَنَةَ ٧٢٦ (مَدِينَةَ كوكو).

ثمَّ إِنَّ أَسْرَةَ الْجَائِينَ اسْتَعَادَتْ اسْتِقْلَالَهَا. وَفِي سَنَةِ ٨٧٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٤ م) أَقَامَ عَلِيُّ الْكَبِيرُ إِمْرَاطُورِيَّةَ سُنِّيَّ. وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ عُرِفَتْ هَذِهِ الْأَسْرَةُ بِأَسْمِ صُنِّيَّ. وَجَاءَ صُنِّيَّ عَلِيُّ إِلَى الْعَرْشِ (نَحْوَ ٨٧٠ - ٨٩٩ هـ) فَاسْتَطَاعَ اسْتِرْدَادَ تَنبِكْتِ، سَنَةَ ٨٧٤ لِلْهِجْرَةِ (١٤٦٩ م)، بَعْدَ أَنْ كَانَ الطَّوَارِقُ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا، سَنَةَ ٨٣٧.

وَيُقَالُ إِنَّ صُنِّيَّ عَلِيًّا هَذَا كَانَ يَهْتَمُّ بِأَغْرَاضِهِ الشَّخْصِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ أَهْتَامِهِ بِمَا سِوَى ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ حُكْمُهُ فِي تَنبِكْتِ صَالِحًا فَهَجَّرَهَا الرُّعَمَاءَ مِنْ أَهْلِهَا وَهَجَّرَهَا تِجَارُهَا إِلَى وَلَائِن. وَفِي سَنَةِ ٨٩٨ لِلْهِجْرَةِ (١٤٩٢ م) مَاتَ صُنِّيَّ عَلِيُّ فَجَاءَ بَعْدَهُ بَارُو (أَبُو بَكْرٍ دَاؤُ). وَلَكِنْ فِي الْعَامِ التَّالِيِ اسْتَطَاعَ أَحَدُ الْقَوَادِمِ مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْحُكْمِ، وَكَانَ مُسْلِمًا مُخْلِصًا، فَارْتَقَى الْعَرْشَ بِأَسْمِ أُسْكِيَا مُحَمَّدٍ الْأَوَّلِ فَنَطَّمَتِ الْإِدَارَةَ وَأَنْشَأَ جَيْشًا نِظَامِيًّا وَأَقْرَأَ الْأَمْنَ فَعَادَتْ تَنبِكْتُ مَرْكَزًا لِلثَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَسَّسَ أُسْرَةَ حَكَمَتْ قَرْنًا كَامِلًا مِنَ الزَّمَنِ. مِنْ سَنَةِ ٩٠٠ إِلَى سَنَةِ ١٠٠٠ لِلْهِجْرَةِ (١٤٩٣ - ١٥٩١ م).

وَفِي سَنَةِ ٩٣٥ لِلْهِجْرَةِ (١٥٢٨ م) كَفَّ بَصْرُ مُحَمَّدٍ وَأَصِيبَ بِالْعَجْزِ فَاسْتَبَدَّ بِالْمُلْكِ مَكَانَهُ أَبْنُهُ مُوسَى. وَلَكِنْ وَقَعَ التَّنَافُسُ عَلَى الْحُكْمِ بَيْنَ نَفَرٍ مِنَ الْقَوَادِمِ وَنَفَرٍ مِنَ الْمُغَامِرِينَ وَأَضْطَرَبَ الْأَمْرُ حَتَّى جَاءَ أُسْكِيَا إِسْحَاقُ، سَنَةَ ٩٤٦ لِلْهِجْرَةِ (١٥٣٩ م) فَتَغَلَّبَ عَلَى خُصُومِهِ وَقَتْلَهُمْ. وَجَاءَ بَعْدَ أُسْكِيَا إِسْحَاقُ أَخُوهُ دَاوُودُ (سَنَةَ ٩٥٦ هـ). وَلَقَدْ تَابَعَ إِسْحَاقُ وَأَخُوهُ دَاوُودُ سِيَاسَةَ أَبِيهِمَا أُسْكِيَا مُحَمَّدٍ الْأَوَّلِ فِي نَشْرِ الْإِسْلَامِ^(١).

(١) هذه الأحداث والتي تليها وقعت بعد الحقبة التي يبالغها هذا الجزء، ولكن الاستمرار قليلاً في سردها يجعل الصورة التاريخية لتلك البلاد التي يغيب عنا كثير من تاريخها أكثر وضوحاً ثم يدل على اتصال مجرى الثقافة الإسلامية في ذلك الجانب من الأرض.

ولمّا مات داوودُ، سَنَةَ ٩٩٠ هـ (١٥٨٢ م) عاذَ الأَضرابُ إلى البلاد، ولم يَسْتَطِعِ ابنه مُحَمَّدُ الثالثُ أن يُدارِيَ الأحداثَ التي كانت في أيامه.

في ذلك الحين كان على عَرشِ المَغربِ سُلطانٌ قوِيٌّ قَدِيرٌ هو أبو العباسِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ المَروُفِ بالنُصُورِ الذَهي، وقد حَكَمَ من سَنَةِ ٩٨٦ إلى سَنَةِ ١٠١٢ للهجرة (١٥٧٨ - ١٦٠٣ م). ولا رَيبَ في أن النُصُورَ لَمَّا نَظَرَ إلى قُوَّتِهِ وإلى ضَعْفِ الممالكِ السُودانيةِ كان قد داخَلَهُ الطَّمَعُ في الأَسْتِلاءِ على مَناجِمِ المِئِخِ ومَناجِمِ الذَهبِ في بلادِ السُودانِ. وكان بينَ النُصُورِ سُلطانِ المَغربِ وإسحاقَ الثاني مَلِكِ كَاغُو مَفاوِضاتٍ سِياسيةٍ لم تُتِمَّ، فأرسلَ النُصُورُ إلى السُودانِ جيشاً كَبِيراً بِقيادةِ قائِدِ أَسْمُهُ جُوذِر. ومعَ أن الجِيشَ المَغرِبِيَّ لم يَصِلْ مِنْهُ إلى أرضِ السُودانِ إلّا أَقلُّه - لِطولِ الطَريقِ ومَسَقَةِ التَحرُكِ في الصُحراءِ - فإنَّ الجِيشَ المَغرِبِيَّ قد تَطَلَّبَ، بما كان لَدِيهِ من المِدادِغِ، على جيشِ القَبائِلِ السُودانيةِ (التي زادتْ على مائةِ أَلْفِ من الرِجالِ) لأنَّها كانت تُحارِبُ بِأدواتٍ بِدائيةٍ من النِّبالِ والرِّمَاحِ. كان ذلك في أواخرِ سَنَةِ ٩٩٩ للهجرة (١٥٩١ م). وقد فرَّ أسكيا^(١) إسحاقُ الثاني (غرباً) عبَرَ نَهْرَ النِّجَّارِ (النِيجِر). ويبدو أن شَيْئاً من المَقاومةِ للمَغارِبَةِ قد استَمَرَّ في أرضِ السُودانِ، ولكنَّ تلكَ المَقاومةَ أَنتَهتْ في العامِ التالي وأنقرضتْ بِأنتهائِها إمبراطوريَّةَ سُنِّي.

وداي

وَدَايُ مِنطَقَةٌ تَتَّصَلُ بِها بِاجرِمةُ ودارفورُ، غَربَ بُحيرةِ شاد (بِجيرةِ لامي)، وَهِيَ أَحَقُّ أن تَكونَ من أواطِئِ السُودانِ أَكثَرَ مِنها من غَربِهِ. وقد تَأخَّرَ دُخولُ الإِسلامِ إلى وَدَايِ حَتَّى القَرنِ العاشِرِ للهجرةِ (السادسَ عَشَرَ للمِيلادِ). قَبيلَ دَخَلها الإِسلامُ على يَدِ رَجُلٍ أَسْمُهُ صالِحٌ. من أَجلِ ذلكَ

(١) أسكيا: الشيخ (٤). - أسكيا: الذي ليس هو، الآخر (غير الذي كان من قبل). هذه ملاحظة أبداها الزميل في مجمع اللغة العربية بالقاهرة الدكتور عبد الله الطيّب (المخرطوم).

تُعرف «وداي» بأسم دار صالح أو دار صليح أيضاً. أما الأسم «وداي» فيقال فيه إنه أت من «وداعة». وأهل المنطقة يفضلون على أسم «وداي» أسم بركو (بضم الباء).

أما الأحداث التي دارت في وداي فمتأخرة عن العصر الذي نُقص تاريخه في هذا الكتاب.



الحياة الثقافية - في أيام بني الأحمر -

سألنا في تصوير هذا العصر إلى إيراد عددٍ وافٍ جداً من الكتب في فنون العلم المختلفة. ومع أن عدداً كبيراً جداً من هذه الكتب لا يُعدُّ في نطاق الأدب، فإنه يدلُّ على رُقيِّ الحياة الثقافية بلا ريب. ثم إننا نرى في هذه الكتب ميلاً كبيراً إلى الموضوعات الدينية، مما يتفقُ عموماً حيناً تضعفُ القوةُ السياسية في الأمة، فالدينُ ملاذٌ وملجأٌ في أيام المحنِّ والضعفِ.

وسببُ الإطالة في هذا الفصلِ لصورةِ هذا العصرِ حُرُصٌ بناً على أن نُوقنَ أن هذا العصرَ الذي لم يكن وضاءً في السياسة، قد كان وضاءً جداً في الثقافة. وسيرى القارئُ أن عدداً كبيراً من الأسماء - من أسماء الكتب ومن أسماء مؤلفي الكتب - يدفَعُ عن هذا العصر «تُهمةَ الأخطاط» التي أرادَ نفرٌ من الأغيارِ ومنا أيضاً أن يُلصِقوها به.

العلوم الدينية:

من أوائل الذين يُشارُ إليهم في هذا الباب، وفي العلوم الدينية، محمدُ بنُ عبدِ الله المرسي (٥٧٠ - ٦٥٥ هـ) له: رِيُّ الظمَّانِ أو التفسيرُ الكبير (في أكثر من عشرين جزءاً) - التفسيرُ الأوسط (في عشرة أجزاء) - التفسيرُ الأصغرُ (ثلاثة أجزاء). ومنهم المقرئُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ حسنِ الفاسي (٥٨٩ - ٦٥٦ هـ) في الأغلب له اللآلئُ الفريدة في شرحِ القصيدة الشاطبية. ثم منهم ابنُ عبُدونِ الكناسي (ت ٦٥٩ هـ) (**). ومنهم المفسرُ الكبير أبو بكرِ القرطبي (ت ٦٧١ هـ) (**).

(**) لأصحاب الأسماء من الذين أُشير إليهم بنجمين نراجم مستقلة في هذه السلسلة (يهتدى إليها بسنوات وفياتهم).

ومنه أيضاً أحدُ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَضِرِ الشَّاطِئِيِّ (ت ٦٧٤ هـ) له: قواعدُ الخطِّ - كتابان في قراءة وَرْشٍ^(١). وكذلك منهم عبدُ السلامِ بنُ عَبيِّ الزَّوَاوِيِّ وَلِيِّ قَضَاءِ المَالِكِيَّةِ فِي دِمَشَقٍ وَأَنْتَهتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ الإِقْرَاءِ فِيهَا له: عددُ الآيِ - التَّنْبِيهَاتُ عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَخْفَى مِنَ الوُقُوفَاتِ (في القراءات). ثم يأتي هنا الشاعِرُ مالِكُ بنُ المُرْجَلِ (ت ٦٩٩ هـ)^(**). ثم أبو جَعْفَرِ بنِ الزَّبِيرِ الغَرْنَاطِيِّ (ت ٧٠٣ هـ)^(**) صَنَفَ: البُرْهَانَ فِي تَرْتِيبِ سُورِ القِرْآنِ - بِلَاكُ التَّأْوِيلِ تَمَمَّةً لِكِتَابِ «دُرَّةِ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةِ التَّأْوِيلِ» لِفَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ (ت ٦٠٦ هـ)^(٢) أَوْ رُدُّ عَلَيْهِ.

ويأتي هنا أيضاً عبدُ الواحدِ بنِ مُحَمَّدِ المَالِقِيِّ (ت ٧٠٥ هـ) له: الدُّرُّ النَّشِيرُ وَالْعَذْبُ النَّمِيرُ فِي شَرْحِ كِتَابِ التَّيْسِيرِ لِأَبِي عَمْرٍو الدَّاقِي المَتَوْفَى سَنَةَ ٤٤٤ لِلهَجْرَةِ^(**). ثم هُنَالِكَ مَيْمُونُ الفَخَّارُ (ت ٧١٦ هـ) له: التَّحْفَةُ فِي القِرَاءَاتِ - الدُّرَّةُ - المَوْرِدُ. وَكَانَ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ الحَرَّازِ الشَّرِيشِيِّ (ت ٧١٨ هـ) إِمَامُ القُرَّاءِ فِي فَاسٍ: أَرْجُوذَةُ مَوْرِدِ الظَّهَّانِ فِي رِسْمِ القِرْآنِ - عُمْدَةُ البَيَانِ فِي رِسْمِ القِرْآنِ - الحُصْرِيَّةُ فِي القِرَاءَاتِ - شَرْحُ العَقِيلَةِ^(٣) فِي القِرَاءَاتِ - شَرْحُ ابْنِ بَرِّي^(٤) - الدُّرُّ اللُّوَامِعُ فِي أَصْلِ مَقْرَأٍ نَافِعٍ. وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ كُنُونُ (النَّبِوَعِ المَغْرِبِيِّ ٢١٦)^(٥) كِتَاباً فِي عُلُومِ القِرْآنِ لِابْنِ البِنَاءِ العَدَدِيِّ (ت ٧٢١ هـ) مِنْهَا: تَفْسِيرُ البَاءِ فِي البَسْمَلَةِ - تَفْسِيرُ الأَسْمِ (بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي البَسْمَلَةِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ الكَوْنِ - تَفْسِيرُ سُورَةِ العَصْرِ - حَاشِيَةٌ عَلَى الكَشَافِ - الدَّلِيلُ فِي مَرْسُومِ خَطِّ التَّنْزِيلِ - المُتَشَابَهُ اللِّفْظِيُّ فِي القِرْآنِ - تَسْمِيَةُ الحُرُوفِ وَخَاصِيَّةُ وَجُودِهَا فِي أَوَائِلِ السُّورِ.

ولابنِ آجَرَوْمٍ^(**) (ت ٧٢٣ هـ): البَارِعُ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ - شَرْحُ حِرْزِ الأَمَانِيِّ (فِي القِرَاءَاتِ) لِلشَّاطِئِيِّ. وَهُنَالِكَ «الأُجُوبَةُ» (فِي التَّفْسِيرِ) لِابْنِ البَقَّالِ (ت ٧٢٥ هـ). ثم هُنَالِكَ أَحْمَدُ بنُ الحَسَنِ بنِ الزِّيَاتِ الكَلَّاعِيِّ له: لَذَّةُ السَّمْعِ فِي القِرَاءَاتِ السَّبْعِ - قَصِيدَةٌ

(١) عثمان بن سعيد (لقبه ورش) من القراء المشهورين، مولده ووفاته في مصر (١١٠ - ١٩٧ هـ).

(٢) لفخر الرازي ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة.

(٣) عقيلة أتراب القضاة؟ (للشاطي).

(٤) ابن برِّي: علي بن محمد بن الحسين الرباطي (ت ٧٣١ هـ) عالم بالقراءات.

(٥) له ترجمة في هذا الجزء.

على نَمَطِ الشاطبية (حِرْزِ الأمانِ). ثم هنالك لأبي الحسنِ عليّ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ بَرِّيِّ الرِّباطيِّ (ت ٧٢٥ هـ) وكان من أهلِ تازةَ ورئيسَ ديوانِ الإنشاءِ فيها: أرجوزةٌ في مَخارجِ الحروفِ - أرجوزةٌ مشهورةٌ هي «الدرر اللوامع في أصلِ مقرأ الإمامِ نافع»، مطبوعة (الأعلام للزركلي ٥: ١٥٦) وعليها شُرُوحٌ ولها مختصراتٌ منها: المختار من الجوامع في مُحاذاةِ الدُرِّ اللوامع لأبي زيدِ عبدِ الرحمنِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مخلوفِ التَّعالبيِّ الجزائريِّ (ت ٨٧٥ هـ) صنّفه سنّة ٧٤٢ (الجزائر ١٣٢٤ هـ).

وكان أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ العِشَابِ القُرطبيُّ وزيراً في تُونِسَ، له تفسيرٌ للقرآنِ مختصرٌ. ولاين القويعِ التونسي (ت ٧٣٨ هـ) (***) تفسيرُ سورةِ ق. ولاين جَزَيِّ مرتبُ رِحْلةِ ابنِ بطوطةَ (ت ٧٤١ هـ) (***) البارعُ في قراءةِ نافعٍ - التسهيلُ لعلومِ التنزيلِ (مطبوع، راجع الأعلام للزركلي ٦: ٢٢١). وكذلك لإبراهيمَ بنِ مُحَمَّدِ الصفاقسيِّ (٦٩٧ - ٧٤٢ هـ) «المُجيدُ في إعرابِ القرآنِ المُجيدِ» (ألفه مع أخيه مُحَمَّد). ولحمّدِ ابنِ عليِّ البَلَنْسيِّ العَنَسِيِّ (ت ٧٤٦ هـ) «صلةُ الجمعِ وعوائدُ التذليلِ لمُوصولِ كِتَابِي الأعلامِ والتكميلِ لُبّهاتِ القرآنِ».

ولحمّدِ بنِ عليِّ بنِ عابِدِ الفاسيِّ (ت ٧٦٢ هـ) اختصارُ الكشافِ | (للزَمَخْشَرِيِّ) أزال عنه صِبْغةَ الاعتزالِ. وكذلك لأبي القاسمِ السَلْوِيِّ (من أحياءِ القرنِ التاسع) تفسيرٌ للقرآنِ. وللجادرِيِّ أو الجادِيرِيِّ (ت ٨١٨ هـ): النافعُ في أصولِ حَرْفِ نافعٍ^(١) - شرحُ ضَبْطِ القيسيِّ - شرحُ ابنِ بَرِّيِّ^(٢). ولحمّدِ بنِ يحيى بنِ جابرِ الفسّانيِّ المكناسيِّ (ت ٨٢٧ هـ) كتابٌ في رسمِ القرآنِ. ولأحمدَ بنِ مُحَمَّدِ المَسِيلِيِّ (ت ٨٣٠ هـ) تفسيرٌ للقرآنِ.

(١) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (بالتصغير) المدني المتوفى في المدينة، سنة ١٥٩ هـ (٧٧٥ م) على الأصح (وفيات الأعيان ٥: ٣٦٨ - ٣٦٩)، وفي الأعلام للزركلي (الطبعة الرابعة ٨: ٥) سنة ١٦٩ هـ، وهو أحد القراء السبعة.

(٢) ابن بَرِّيِّ النحوي أبو محمد عبد الله بن بَرِّيِّ المتوفى ٥٨٢ هـ (له ترجمة في الجزء الثالث من هذه السلسلة). ولعلَّ المقصود بابن بَرِّيِّ هنا: أبو الحسن عليّ بن مُحَمَّدِ التازيِّ (ت ٧٣١ هـ) من الماهرين في العلوم العربية والقراءات (النبوغ المغربي ٢٠٩).

ومن المُكثَرين في التَّأليفِ أبو زيدُ عبدُ الرحمنِ بنُ مُحَمَّدِ الثَّعالِي^(١) الجَزائِرِيّ (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) له: الجواهرُ الحِسانُ في تفسِيرِ القرآنِ (الجَزائرُ ١٣٢٧ هـ) - المُختارُ من الجوامعِ في مُحاذاةِ الدُررِ اللوامعِ في أصلِ مَقرَأِ الإمامِ نافعِ (الجَزائرُ ١٣٢٤ هـ، راجع سركيس ٤٦٦١؛ بروكلمان، الملحق ٢: ٣٥٠، السطر العشرين). - نفاثُ المَرْجانِ في قِصَصِ القرآنِ. وكذلك لأبي عبدِ اللهِ الحِسنِ (أو الحِسينِ) بنِ عليِّ الشوشاوي السبلايِّ (ت ٩٠٠ أو ٨٩٩ هـ): إغاثةُ المُبتدئينِ (في القِراءاتِ) - الفوائدُ الجميلةُ على الآياتِ الجلييلةِ - شرحُ موردِ الظَّهَّانِ في رسمِ القرآنِ. ويأتي هنا مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الكَرِيمِ المَغِيلِي التِّلِمِسانِي (ت ٩٠٩ هـ) له البدرُ المنيرُ في علومِ التفسيرِ. ثم هنالك لابنِ غازِ المِكناسِي (ت ٩١٩ هـ) (***) نَظْمُ قِراءةِ نافعِ.

..... علوم الحديث

يَحْسُنُ البِدْءُ هنا بعليِّ بنِ إبراهيمِ الأَمِييِّ الشَّرِيشِي (٥٦١ - ٦٤٢ هـ) كان عليه مَدَارُ الفُتْيَا في وقتِهِ، وله تَأليفٌ في الحديثِ والفِقهِ. ومن المُولَفينِ في الحديثِ القاسمُ ابنُ مُحَمَّدِ بنِ الطَّلِيسانِ القُرطُبي (٥٧٥ - ٦٤٢ هـ) له: الجواهرُ المِفصَلاتِ في المُسَلَّاتِ - غرائبُ أخبارِ المُسنِّينِ^(٢) - ما وَرَدَ من الأمرِ في شُرْبِ الخمرِ - بيانُ المِنِّ على قارِيءِ الكِتابِ والسُّنَنِ^(٣). ثم هنالك مُحَمَّدُ بنُ عَتِيقِ اللارادي (٥٦٣ - ٦٣٧ هـ) له: أنوارُ الصِّباحِ في الجَمعِ بينِ الكُتُبِ السِّتَةِ الصُّباحِ^(٤) - مطالعُ الأنوارِ في شمائلِ المُختارِ (رسولِ الله). ثم هنالك أيضاً مُحَمَّدُ بنُ يوسُفَ بنِ مسدي (بفتح الميمِ أو بضمِّها) القُرْناطِي (ت ٦٦٣ هـ)، له: المُسَنَدُ القَرِيبُ (جمع فيه مذاهبُ علماء

(١) راجع، في الثَّعالِي هذا، تاريخِ الجَزائرِ العامِّ ٢: ٣٦٢ - ١٢٦٤ سركيس (معجم المَطبوعاتِ العربيَّة) ٦٦١.

(٢) السندُ (بضمِّ فسكونِ ففتح) والتي تجمَعُ جمعَ مذكرِ سالماً: الحافظُ لحديثِ رسولِ اللهِ والمؤثوقِ في روايته.

(٣) الكِتابُ (القرآنُ الكَرِيمِ) والسُّنَنِ (المقصود: أحاديثُ رسولِ اللهِ عامَّة).

(٤) والصُّباحُ: صحیح البخاري (ت ٢٥٦ هـ) - صحیح مسلم (ت ٢٦١ هـ) ثم كتب السنن: لابنِ ماجه (ت ٢٧٣ هـ) - وأبي داوود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) - والترمذي (ت ٢٧٩ هـ) - والنسائي (ت ٣٠٢ هـ)

الحديث) - المُسَلَّات - الأربعون (حديثاً) المختارة في فضل الحجّ والزّيارة (زيارة المدينة) - مُعْجَم (ترجم فيه لسيّوخه). وهناك أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَزْقِي (بفتح ففتح) السَّبْتِي (٦٠٧ - ٦٧٧ هـ) أكملَ نظم «الدَّرِّ الْمُنْظَمِ فِي مَوْلِدِ النَّبِيِّ الْمُعْظَمِ» (من تأليف والده أحمد). ومن المؤلِّفين في الحديث عبد الله بن سعد بن أبي جَمْرَةَ الأندلسي (ت ٦٩٩ هـ في الأغلب) له جمعُ النهاية (اختصر فيه صحيح البخاري) - بهجة النفوس (شرح جمع النهاية)، والكتابان مطبوعان.

وهناك مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْيَقُورِيُّ الأندلسي (ت ٧٠٧ هـ) له إكمال الإكمال (للقاضي عياضٍ على صحيح مسلم). وكان ابن رُشَيْدِ السَّبْتِي (ت ٧٢١ هـ) (***) صاحبُ الرِّحْلَةِ من كبار علماء الحديث، له: تَرْجُمَانُ التَّرَاجِمِ (في وَجْهِ مناسِبة تراجم البخاري) - إفاضة النَّصِيحِ بِأَسَانِدِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ - السَّنَنُ الأَبْيَنُ وَالْمَوْرِدُ الأَمْعَنُ فِي الْحَاكِمَةِ بَيْنَ الإِمَامَيْنِ (البخاري ومُسلم في الحديث المَعْنَعَنُ^(١)). ولابن السَّاطِ القاسم ابن عبد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ) كتابُ التَّعْرِيفِ بِرِجَالِ الْبُخَارِيِّ - حاشيةٌ على صحيح مسلم. ولأبي القاسم التَّجِيبِي السَّبْتِي (ت ٧٣٠ هـ) «أربعون حديثاً في الجهاد».

ومن أكابر العلماء في الحديث مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَيِّدِ النَّاسِ الْيَعْمُريُّ (٦٧١ - ٧٣٤ هـ) أصله من إشبيلية ولكنه ولد ثم توفى في القاهرة. له: عُيُونُ الأَثَرِ فِي غَزَوَاتِ سَيِّدِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ^(٢) وفي شمائله إذ هي أشرف شمائل البشر (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) (القاهرة ١٣٥٦ هـ، دمشق ١٣٥٨ هـ) - بُشْرَى اللَّيْبِ بِبُذُكْرَى الْحَبِيبِ (مجموع قصائد في مدح الرسول مرتبة على الشعراء) مطبوع (ستراوند في شمالي شرقي ألمانيا ١٨١٥ م) - المَقَامَاتُ العَلِيَّةُ فِي الكَرَامَاتِ الْحَلِيَّةِ (مدائح في الرسول) - النَّفْحُ الشَّدِيْقُ شَرْحُ جَامِعِ التَّرْمِيذِي - عُدَّةُ المَعَادِ فِي عَرُوضِ «بَانَتْ سَعَادُ» (لِكَمْبِ بْنِ زَهَيْرٍ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ) - مَبْنَعُ المِدْحِ (قصائد للصحابة

(١) الحديث المنص: المسند إسناده متصلاً: حدثنا فلان عن فلان عن فلان الخ (حتى يصل إلى رسول الله).
(٢) ربعة ومضر (قبيلتان كبيرتان قوتتان ومعظم عرب الشمال). والقصود بسيد ربعة ومضر هنا «محمد رسول الله». الأثر (ها: أحاديث رسول الله).

رجالاً ونساء) - تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة .

وهناك علمُ الدين القاسمُ بنُ محمدِ البرزاليُّ (٦٦٥ - ٧٣٩ هـ) الإشبيليُّ، نسبة إلى برزالة (قبيلة من البربر، كان أصلُ أهله من إشبيلية، وكان مولده في دمشق، له: ثلاثياتُ مُسنَدِ أحمدَ بنِ حنبلٍ - العوالي المُسندة - تأليفُ في طبقات المُحدِّثين - مُعجمُ شيوخه. ثم هناك عائشة بنتُ عليِّ الصنهاجيَّة كانت عالمةً بالحديث .

ولابن جزيِّ (ت ٧٤١ هـ) (***) مرتبُ رحلة ابن بطوطة: وسيلةُ المُسلم في تهذيب صحيح مُسلم .

وصنَّف أبو بكرِ الكَتَّابيُّ، سنة ٧٤٣، الإلمامَ لِذوي النهى والأحلام . ولعيسى بنِ سمعودِ الزواويِّ (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ) إكمال الإكمال . وهناك كذلك عبدُ المهيمِنِ الحضرميُّ (ت ٧٤٩ هـ) (***) كان له تَقَدُّمٌ في علم الحديث وضَبْطُ رجاله . صنَّفَ مُشِيخةً (ثَبَّتاً بأسماء شيوخه احتوتُ على ألفِ شيخٍ) . وكان محمدُ بنُ جابرِ الوادي آشيُّ (٦٧٣ - ٧٤٩ هـ) واسعَ المعرفة بالحديث قليلَ البِضاعة في الفقه نَعَتَهُ ابنُ خلدونٍ بإمامِ المُحدِّثين في تونس، له «أربعون حديثاً» (تدلُّ بِروايَتها عن رجالٍ مُتباعدين في الأوطانِ على اتِّساعِ رحلته) . وله تعاليقُ وأسانيدُ في الفقه .

ويذكرُ عبدُ الله كَنُونُ (ص ٢١٦، ٢١٧) أبا عبد الله الكرسوطيَّ الفاسيَّ المولودَ سنةَ ٦٩٠ ثم يذكرُ الكرسوطيَّ الفاسيَّ (لعلَّهما واحدٌ، واختلافُ التهجئة من خطأ الطبع) ويورد معَ ذِكْرِها عدداً من كتب الحديث والفقه . كما يذكرُ كَنُونُ أيضاً (ص ٢١٦) أبا القاسمِ بنِ عمرانَ الحضرميَّ السبتيَّ ويورد له «الشافِي في اختصار التيسير والكافي» في فضل علوم القرآن والحديث . وهناك عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ فرحونِ (٦٩٣ - ٧٦٩ هـ)، أصلُه من تونس ومولده ومنتشؤه ووفاته في المدينة (لم يخرج منها إلا إلى مكة)، له: الدرُّ المُخلَّص من التَقْصِي والمُلخَّص (جمع فيه أحاديث الكتابين) - كشف المُفْطَى في شرح مختصر المُوطأ (شرح للكتاب السابق كما في الديباج ١٤٥، الأسطر ٦ - ٨) .

ولمحمدِ بنِ محمدِ النَّدروميِّ التلمسانيِّ (ت بعد ٧٧٧ هـ) ثَبَّتَ (ذَكَرَ فيه ما أخذه عن مُعاصريه من علمه الحديث) . وكان أبو عبدِ الله محمدُ بنُ سعيدِ الرُعينيِّ الأندلسيِّ

الفاشي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) فقيهاً مُحدثاً (نفع الطيب ٢ : ٥٦٠) له تُحفة الناظر في غرائب الحديث. ولعلَّ كُتبه: تَسْبِيَةُ الغافلِ وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعْتَادُ في الجهاد، قد كانت في الحديث.

ولابن مرزوق (ت ٧٨١ هـ) (***) شرحُ عمدة الأحكام عن سيّد الأنام - المُسنَد الصحيح الحَسَن في مآثر مولانا أبي الحسن (١).

وكان في هذه الحقبة سراجُ الدين عمرُ بنُ نور الدين الأنصاريُّ الأندلسيُّ (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)، جَلَسَ للإقراء في دِمَشقَ والقاهرة، له: أسهُ رجالِ الكتب الستة - طبقاتُ الأولياء (تاريخ الفكر الأندلسي ٤٠٠). ومن كبارِ علمه الحديثُ سراجُ الدين عمرُ بنُ عليِّ المعروفُ بابن المُلَقَّن (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) أصله من وادي آسن ومولده ووفاته بالقاهرة له كتبٌ كثيرةٌ جدًّا منها: إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال - التذكرة في علوم الحديث - إيضاح الارتباب في معرفة ما يَشْتَبِهُ وَيَتَصَحَّفُ من الأسماء والأنساب - الإعلام بفوائد عمدة الأحكام - التوضيح لشرح الجامع الصحيح (للبخاري) - المتنع في علم الحديث - خصائص أفضل المخلوقين - غاية السؤل (السؤل) في خصائص الرسول - شرح عمدة الحكام - التُّكْتُ اللطافُ في بيان الأحاديث الضعاف المُخرَّجة في مُستَدْرَكِ الحافظِ أبي عبد الله الحاكم النسَابوري - البدرُ المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير - «خُلاصة البدر المنير» (في تخريج أحاديث شرح الوجيز للرافعي!) - طبقات المُحدثين - شرح زوائد مسلم على البخاري - شرح الجامع الصغير - مختصر شُعْبِ الإيمان - ثلاثة شروح على المنهاج (وهو شرحٌ على صحيح مسلم للنووي).

ثم هنالك يحيى بنُ أحمد التَّفَرِّيُّ السَّرَاجُ الرُنْدِيُّ الفاسيُّ (ت ٨٠٥ هـ) الذي أنتهت إليه رئاسة الحديث في بلده ووقته، له تقييد أو «مشيخة». ولأبي القاسم قاسمُ بنُ عليِّ التَّيْنَمَلِيُّ الفاسيُّ المالمقيُّ (٧٤٣ - ٨١١ هـ) «برنامج» في مَنْ أخذ عنهم، خرَّج له الصلاح الأقفهسيُّ جزءاً من مَرْوِيَّاته سماه «تُحفة القادم من فوائد الشيخ أبي القاسم». وهنالك محمدُ بنُ عبد الملك المِنتوريُّ (ت ٨٣٤ هـ) الغرناطيُّ الأصلِ المغربيُّ الدارِ له: فِهْرِسْتٌ (يشتملُ على مَرْوِيَّاته) - الأمالي في الأحاديث العوالي.

ولحمّد بن أحمد بن مرزوق العجيسي التلمساني المعروف بالحفيد (***) (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ): أنواع الزراري في مكررات البخاري - التحرّح الرّيح في شرح الصحيح (للبخاري) رَجَزٌ في علم الحديث - روضة الإعلام بأنواع الحديث السام (السامي). ولأبي القاسم السّلوّي من أحياء القرن التاسع: شرح صحيح مسلم. ولأبي زيد عبد الرحمن بن محمّد الثعالبي الجزائري (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ): الأنوار (في المعجزات النبويّة). وفي نحو سنة ٨٧٥ صنف أحمد بن زكريّا المغربي «معلم الطّلاب بما للحديث من الألقاب» (طبقات الحديث: صحيح، حسن، مرفوع، مرسل.....، ضعيف الخ).

وكان محمّد بن يوسف السنوسي (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) متعدّد نواحي الشخصية كثير التّأليف له في الحديث: مكمل إكمال الإكمال - شرح مشكلات البخاري - مختصر الزركشي على البخاري - مختصر الرّوض الأثف (للسهلي) - مختصر الأبي (١) على صحيح مسلم. ومن الأسماء المشهورة في هذا الباب أبو عبد الله محمّد بن القاسم التلمساني المعروف بابن الرّصاع (ت ٨٩٤ هـ)، كان قاضياً وإماماً في جامع الزيتونة في تونس الحاضرة، له: تحفة الأخيار في الصلاة على النبيّ المختار - تذكرة المحبّين في أسماء سيّد المرسلين - الهداية الكافية. ومن علماء الحديث في هذه الحقبة أحمد بن زروق (ت ٨٩٩ هـ) (***)، له كتب في الحديث والفقه والتصوّف. ولابن غازي الكناسي (ت ٩١٩ هـ) (***) : إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب - الفهرسة المباركة (فهرس لمحمّد بن فاس وآثارهم).

..... علوم الفقه:

وكانت الرّغبة في الفقه دائماً شديدة. فمن فقهاء هذه الحقبة عبد السلام بن غالب المرّاتيّ المعروف بابن غلاب (ت في القيروان ٦٤٨ هـ) له: الوجيز في الفقه. ومنهم راشد بن الوليد الفاسي (ت ٦٧٥ هـ) له: كتاب «الحلال والحرام» - حاشية على المدوّنة. ومنهم عبد الله بن سعد بن أبي جمرّة (حزرة) الأندلسي (ت ٦٩٩ هـ في

(١) الأبي (بالضمّ) هو محمّد بن خلفه (بالكسر) بن عمر من بنده أته (سها وبين القيروان ثلاثة أبا) من علماء الحديث ومن الفقهاء، توفي سنة ٨٣٧ هـ (١٤٢٤ م).

الأغلب) له: المقنع في الأحكام.

ومن فقهاء هذه الحقبة أيضاً الرّناقي (ت ٧٠٢ هـ) له: شرح على الموطأ - شرح المدونة (ص ٢١٦، ٢١٧). ومنهم أيضاً محمّد بن عبد الملك المراكشي (***) له: الجمع بين كتابي ابن القطان الفاسي وابن المواقّ الغرناطيّ على «كتاب الأحكام» لعبد الحقّ الإشبيليّ (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء ابنُ الحسنِ الصغيرُ (بالتصغير في الأغلب) عليّ بن عبد الحقّ الزرّويّ (ت ٧١٩ هـ) قاضي فاس له: الدرّ النّير في النوازل والأحكام - تقييد على المدونة (في عدّة مجلّدات) - فتاوى - تقييد على الرسالة (لابن أبي زيد) - تقييد على التهذيب.

ولابن الفخّار الجُدّامي المالقي (ت ٧٢٣ هـ) (***) شرح الرسالة - تحريم الشطرنج - شرح المختصر (؟). ولابن الشّاطّ القاسم بن عبيد الله الإشبيلي (ت ٧٢٥ هـ): غنيّة الرائض في علم الفرائض. ولحمّد بن عبد الله بن راشد القفصي (ت بعد ٧٣١ هـ): لباب اللباب فيما تضمّنه الكتاب من الأركان والشروط والموانع والأسباب (في فروع الفقه، تونس ١٣٤٦ هـ) - الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب (في الفروع) - المذهب في ضبط قواعد المذهب - الفائق في معرفة الأحكام والوثائق - النظم البديع في اختصار التفرّيع - تحفة اللبيب في اختصار كتاب ابن الخطيب (؟). ثم هنالك لحمّد بن أحمد بن جزيّ (٦٩٣ - ٧٤١ هـ): القوانين الفقهية: قوانين الأحكام الشرعية ومسانل الفروع الفقهية (تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ) - الأنوار السنية في الألفاظ السنية (؟). ولعبد الله بن عليّ بن سلّمون الكيناتيّ الغرناطيّ (٦٦٩ - ٧٤١ هـ) الشافي في تحرير ما وقع من الخلاف بين التبصرة والكافي - وثائق. ثم هنالك لعيسى بن مسعود الزّواويّ (٦٦٤ - ٧٤٣ هـ): شرح جامع الأمّهات - مناقب مالك (بهامش تزوين المالك للسيوطي، القاهرة ١٣٢٥ هـ). وكذلك لعزّ الدين محمّد بن عبد السلام الهوّاريّ المنشيريّ (٦٧٦ - ٧٤٩ هـ) قاضي الجماعة في تونس: شرح جامع الأمّهات (لأبن الحاجب) - شرح مختصر ابن الحاجب - تقييد على مختصر ابن الحاجب (؟). ديوان

قَتَاوَى. وهنالك عبدُ الرحمنِ الجَزَوِيِّ (ت ٧٤١ هـ) له تقييدٌ على الرسالة (لأبن أبي زيد القيرواني).

وهنالك أيضاً ابنُ أبي يحيى التَّسَوِيُّ (ت ٧٤٩ هـ) له: تقييدٌ على المُدَوِّنة - شرح الرسالة - شرح التهذيب - شرح الأُجوبة (ص ٢١٧). ثم يأتي السَّطِّيَّ (ت ٧٥٠ هـ) له: تعليقٌ على المُدَوِّنة - تعليقٌ على مختصر ابنِ شاسِر (عبدِ الله بنِ مُحَمَّدِ المِصرِيِّ المَلَكِيِّ التَّوَفِيِّ ٦١٦ هـ؟) - شرحُ الحَوَفِيَّة (عليّ بنِ إِبْرَاهِيمِ الحَوَفِيِّ المِصرِيِّ التَّوَفِيِّ ٤٣٠ هـ) (ص ٢١٨).

ويحسُنُ قطعُ الكلامِ هنا للتأكيد على قيمة «التَّوَتِّيْق» في الفِقه. اهتمَّ المغاربةُ والأندلسيون بالوثائق (العُقود التي تُنظِّم بين المتعاملين لدى الكاتبِ الصِّدْلِ) وآلفوا فيها. من هؤلاء جميعاً عبدُ الله بنُ عليّ بنِ سَلْمونَ الفَرْنَاطِيَّ (ت ٧٤١ هـ) وأبو إسحاقِ إِبْرَاهِيمَ بنِ يحيى الفَرْنَاطِيَّ (ت ٧٥١ هـ) وأبو القاسمِ بنُ سَلْمونَ بنِ عليّ البِيَّاسِيَّ الفَرْنَاطِيَّ (ت ٧٦٧ هـ) له: العِقدُ المُنظَّم للحُكَّام فيما يجري بينَ أيديهم من الوثائق والأحكام. وآلف فيها مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ الفِشْتَالِيَّ (ت ٧٧٧ هـ). ثم هنالك القاضي أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ شُعَيْبِ القاسِي (ت ٧٧٧ هـ) أو (ت ٧٧٩ هـ) له الفائقُ في (علم التَّأليف ب) الوثائق. ولأبي عمرانَ موسى بنِ عيسى المَغِيلِيَّ (ت ٧٩١ هـ) المُهذَّبُ الرائقُ في تدبيرِ الناشئ من القضاة وأهلِ الوثائق - قِلادة التسجيلات والعقود وتصرف القاضي والشهود.

ثم استمر الاهتمام بذلك طويلاً، فلأحمد بنِ يحيى الوَشرِيسِيَّ التلمساني (ت ٩١٤ هـ): الفائق في الأحكام والوثائق.

ونعودُ إلى المجرى الرئيسِ العامِّ في فروعِ الفِقه.

كان من كبار الفقهاء والقضاة، في العلم والإقراء والقضاء، الشريف الفَرْنَاطِيَّ (ت ٧٦٠ هـ) (***) له: حصر مشاركات (؟) القضاة بالأدلة.

وليوسف بنِ عُمَرَ الأنفاسِيَّ (٦٦١ - ٧٦١ هـ) إمام جامعِ القَرَوَيْنِ بفاسَ تقييدٌ على رسالة ابنِ أبي زيدٍ تداوله الناسُ في أيامه. ولمحمد بنِ مُحَمَّدِ الرُبَيعِيَّ التونسي (٦٨١ - ٧٦٣ هـ) «مَشِيخَةٌ» خُرِّجَتْ له. ولمحمد بنِ الحسنِ المَلِّقِيَّ (ت ٧٧١ هـ) شرحُ

مختصر ابن الحاجب. ثم لأبي عمران القندوسي (ت ٧٧٦ هـ): تقييدٌ على المدونة - تقييد على الرسالة - تقييد على التهذيب (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء الإمام الحافظ أبو العباس أحمد بن قاسم الفاسي المعروف بالقاب (ت ٧٧٩ هـ) له: اختصار أحكام ابن القطان - شرح قواعد القاضي عياض - بيوع ابن جماعة - فتاوى (ص ٢٠٥، ٢١٨). ومن الفقهاء محمد بن أحمد الشريشي (٦٩٤ - ٧٧٩ هـ) له: شرح المنهاج (للنووي، أربعة أجزاء) - زوائد الحاوي الصغير على المنهاج - اختصار الروضة.

وهناك أبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني الأندلسي الفاسي (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الفقيه المحدث (نفع الطيب ٢: ٥٦٠) له: اختصار المقدمات (لابن رشد) - الأسئلة والأجوبة - القواعد الخمس - المقدمات (٩) - شرح المقدمات - الجامع المفيد - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الروضة البهية في البسمة والتصلية - المهاد في الجهاد (ص ٢١٧).

ومن كبار الفقهاء محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (٧١٠ - ٧٨١ هـ) (***) له تأليفٌ عديدةٌ في فنون كثيرة (راجع الديباج، القاهر، ص ٣٠٥ - ٣٠٩). أما الإمام الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) (***) فشهرته بالأصول أكبر من شهرته في الفروع.

ومن كبار الفقهاء ومشهورهم الإمام الشاطبي (***) المشهور أبو اسحاق إبراهيم بن موسى (ت ٧٩٠ هـ). كان مُفسراً ومحدثاً وفقياً وأصولياً نظاراً^(١) ولغوياً ونحوياً وبيانياً له استنتاجاتٌ جليلة وبحوثٌ محررة^(٢) وقواعدٌ محققة وكان حريصاً على اتباع السنة مجانبةً للبدع وأهلها. وكان شاعراً ناثراً، قال لما آتيتني بأهل البدع: **بليت، يا قوم، والبلوى منوعة** بمن أداريه حتى كاد يُرذيني^(٣). **دفع المصرة لا جلبٌ لمصلحة^(٤). فحسبي الله في عقلي وفي ديني!**

(١) المطار: المناظر (الذي يحاول نصر رأيه بالبراهين) وخصوصاً في العقائد الدينية.

(٢) محررة (مصححة، مضمونة).

(٣) أردى فلان فلاناً: أهلكه، أماته.

(٤) غابى دفع الضرر لا الاستعانة المادبة. في قواعد الفقه أن دفع الضرر عن الناس مقدم على جلب

المصلحة لهم.

ومن أقواله: «أما من تعسّف وطلّب المُحتملات والغلبّة بالمُشكلات وأعرضَ عن الواضحات فيخاف عليه التشبّه بمن ذمّه (ذمّمهم) الله في قوله: ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه﴾^(١) منه آبتغاء الفتنة وآبتغاء تأويله^(٢). وما يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كلٌّ من عند ربنا. وما يذكر إلا أولو الألباب﴾^(٣).

وكان لا ينظر في كتب المتأخرين (القريبين من عصره) قال في مقدّمة «الموافقات»:

... وأما ما ذكرتم من عدم اعتمادى على^(٤) التآليف المتأخّرة فليس ذلك مني محض رأي، ولكن أعمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين. وأعني بالتأخرين (نقراً) كابن بشير وابن شاس وابن الحاجب^(٥) ومن بعدهم، ولأنّ بعض من لقيته من العلماي بالفقه أوصاني بالتحامي^(٦) عن كتب المتأخرين....

ومن كتب الإمام الشاطبي: الموافقات أو عنوان التعريف بأصول التكليف (في أصول الفقه يتوسّط فيه بين مالك وأبي حنيفة) - المجالس (شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري) - الاعتصام (في التوحيد، وقد تكلم فيه على البدع وتعريفها وما أخذها وأحكامها) - البدع والحوادث^(٧) - أصول النحو - عنوان الاتّفاق في علم

(١) الزبغ: الميل (بالفتح) والاعتراف عن الحقّ والهدى. تشابه الأمران: أشبه كل واحد منها الآخر (الأمر المشابه: الذي يحتمل معنيين أو أكثر).

(٢) التأويل: الخروج (في التفسير) عن ظاهر الكلام.

(٣) اللبّ (بالضّم): العقل. هذه الآية في المتن من سورة آل عمران (٣: ٦) أو سبعة، بحسب التعداد في المصحف.

(٤) «على» زائدة (راجع السطر التالي).

(٥) لم أهند إلى ابن بشير هذا إلا في مقدّمة ابن خلدون (بيروت ١٩٦١، ص ٨٠٧، ١٠٢١) وهو من الشرايح المتأخرين على «المدوّنة» (في الفقه المالكي) - ابن شاس هو عبد الله بن محمد (ت ٦١٦ هـ) شيخ الفقهاء المالكية في عصره في مصر. - ابن الحاجب هو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من كبار علماء العربية (النحو)، وله كتب في الفقه أيضاً. ولد في مصر، وسكن الشام مدّة، وتوفّي في الإسكندرية.

(٦) العلماي (٥): الكثير العلم. التحامي عن الشيء: اجتنابه، تركه.

(٧) الدعة (الجديد في الدين كما لم يفعله اللف). الحوادث (جمع حادثة): ما أحدثه الناس كما لا يفقه الدين.

الأشتقاق - شرح على الخلاصة^(١) (في النحو) - الإفادات والإنشادات (فيه طُرْفٌ ومُلحٌ أدبيات وإنشادات، أي مقاطعٌ من الشعر).

ومن الذين شهدوا القرنين الثامن والتاسع محمد بن عبد الرحمن الفارسي المراكشي، صَنَّفَ سَنَةَ ٨٠١ كتاب «إسجاع الصمِّ في إثبات الشرف من قِبَلِ الأُمَّ»^(٢). ومنهم ابنُ عَرَفةَ الوَرُغَمِيُّ التُونِسِيُّ (ت ٨٠٣ هـ) شيخُ الإسلامِ في المغرب، له: المُختَصِرُ في الفقه - الطرق الناصحة في عمل الناصحة^(٣) - البسوط في الفقه - مختصر الفرائض^(٤) - شرح الفرائض الحوفية^(٥) - الحدودُ الفِقيمية. وكذلك منهم ابنُ المُلقِّنِ (ت ٨٠٤ هـ)، وإن كان أكثرُ كُتُبِهِ شروحاً ومُختصراتٍ، له: الإعلامُ بفوائدِ عمدة الحُكَّام - خلاصةُ الفتاوي في تسهيل أسرارِ الحاوي^(٦) - تصحيحِ الحاوي - شرحِ الحاوي الصغير - عَجالةُ المُحتاجِ على المنهاج (للنووي) - شرحُ منهاجِ النووي (في فروعِ الفِقه الشافعي) - العِقدُ المَذْهَبُ في طبقاتِ حَمَلَةِ المَذْهَبِ (؟ = العِقدُ المذهب في طبقاتِ الشافعية) نُزْهَةُ النُّظَّارِ في قُضاةِ الأَمصار - كلامٌ على سَنَةِ الجُمُعَةِ القَبْلِيَّةِ والبَعْدِيَّةِ^(٧) (الهند ١٣١٤ هـ، في مجموعة) - شرحُ تَنْبِيهِ الشيرازي (بروكلمان ٢ : ١١٣، الملحق ٢ : ١٠٩؛ الزركلي ٥ : ١٣١٨؛ سركيس ٢٥٢).

ولسعيد بن محمد التَّجِيبِيِّ العَقْبَانِيِّ التُّلُمَسَانِيِّ (٧٢٠ - ٨١١ هـ) شرحُ الحوفية (في

(١) الخلاصة: ألفية ابن مالك.

(٢) المفروض أن يكون النسب المعتمد من جانب الأب. فعند العرب قول خاطيء هو أن الأم وعاء (أي لا يرث الطفل شيئاً من خصائصها، وهذا طبياً خطأ). ويبدو أن هذا الكتاب محاولة لنقض هذا الرأي الخاطيء.

(٣) تناصح الرجلان: نصح كل واحد منهما الآخر. وناصح فلان نفسه في التوبة: كان مخلصاً فيها وصادقاً.

(٤) الفرائض (هنا) تقسيم الإرث.

(٥) أبو القاسم أحمد بن محمد بن خلف الحوفي القلاعي الإشبيلي (ت ٥٨٨ هـ) أصله من حوف مصر، كان قاضياً في إشبيلية ومن البارعين في الفرائض (تقسيم الإرث) له فيها «تصانيف كبير ومتوسط ومختصر، وكل ذلك بما بلغ في إجادته الغاية» (ابن فرحون ٥٣ - ٥٤؛ بروكلمان ١ : ٤٨٠، الملحق ١ : ٦٦٣ - ٦٦٤).

(٦) الحاوي (؟).

(٧) في صلاة السنة قبل صلاة الجمعة وبعد صلاة الجمعة أقوال للفقهاء.

الفرائض)- شرح الجمل للخونجي (محمد بن نامارو المتوفى ٦٤٦ هـ). وهناك عبد الرحمن بن يحيى الأصنوني المغيبي صنف، سنة ٨١٦، شرح التلمسانية.

وكان محمد بن أحمد الواوغي التونسي (٧٥٩-٨١٩ هـ) متعدد نواحي الشخصية واسع الإلمام بكثير من فنون المعرفة الدينية والطبيعية حتى قال هو عن نفسه: «أعرف ثلاثين علماً لا يعرف أهل عصري أسماءها!» وتأليفه كثيرة، وربما كرر التأليف في الموضوع الواحد مراراً (راجع شذرات الذهب ٧: ١٣٨-١٤١؛ بغية الوعاة ١٣).

وهناك الفقيه المشهور أبو بكر بن عاصم (ت ٨٢٩ هـ) (***) الفرناطي، له تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (أرجوزة في قواعد القضاء)، ويقال لها العاصمية وتحفة عاصم أيضاً (الجزائر ١٨٨٣، باريس ١٨٨٣ (٢)، الجزائر ١٨٩٢-١٨٩٣ م؛ الجزائر ١٢٨١-١٢٨٣ هـ، فاس ١٢٨٩ هـ)؛ عليها شروح: لأبي عبد الله محمد بن أحمد ميسارة (ت ١٠٧٢ هـ) (القاهرة ١٣١٤ هـ)؛ لصلي بن عبد السلام التسولي (بولاق ١٢٥٦، القاهرة).

ومن الفقهاء أبو موسى الجناتي (ت ٨٣٠ هـ) له تقييد على المدونة. (ص ٢١٧). والغالب على تصانيف تقي الدين محمد بن أحمد القاسمي (٧٧٥-٨٣٢ هـ) التاريخ، ولكن له: إرشاد الناسك إلى معرفة الناسك (في الحج). ولقاسم بن عيسى القيرواني (ت ٨٣٧ هـ): شرح المدونة- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مصر ١٣٣٠ هـ)- خلاصة من غاية التحصيل وترك التعليل والتزويل (التأويل!) للبرذعي (راجع نهاية التحصيل... بروكلمان ٢: ٣١١، سطر ١٩، الملحق ٢: ٣٣٧، السطر ٤ من أسفل).- شرح التهذيب (مختصر من المدونة) لابن البراذعي المتوفى سنة ٣٧٢ هـ (!).

وهناك يوسف بن إبراهيم الواوغي (ت بعد ٨٣٨ هـ) له: كفاية الناسك في علم الناسك.

ومن الفقهاء البارعين في الأدب أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن الشران الفرناطي، كان لا يزال حياً في سنة ٨٣٧، له تصانيف منها: الأرجوزة المنظومة في

الفرائض (تقسيم الإرث). وقد شرحها الحاسب المشهور الفلصادي المتوفى سنة ٨٩١. جاء في مقدمة هذه الأرجوزة (نيل الابتهاج ٣١١-٣١٢):

دوامُ حالٍ من الحالٍ واللفظ موجود على كلِّ حال^(١).
وعادة الأيام معهودة: حرب وسلم والليالي سجال^(٢).
منَّ لليالي بأثلاف؟ وم منَ اعتبارٍ في اختلاف الليال^(٣)!
والشمس بعد الغيم تجلّى، كما للغيث من بعد القنوط أنهار^(٤).
والنصر بالصبر مُحلى الطُّبا، والجَدَّ بالجَدِّ مَرِيضُ النَّبال^(٥).
وما على الدهر أنتقادٌ على حالٍ، فإنَّ الحالَ ذاتُ أنتقال.
والسيف قد يصدأ في غمده، ثمَّ يُجلّي صَفْحَتَيْهِ الصِّقال.
والفرَجَ الموهوبُ تجرِي به لطائفٌ لم تجرِ يوماً بيان.
فصابر الدهرَ بحالَيْهِ من حُلُوِّ ومُرٍّ وأعتدا وأعتدال^(٥).
فما له^(٦) صبرٌ على حالة. وإنَّما الصبرُ حُلِيُّ الرجال.
ولا يَضيقُ صدركُ من أزمِةٍ ضاقت، فصنَّع اللهُ رَحْبُ المَجال.

والواضح أنَّ هذه الأبيات من مقدّمة الأرجوزة قبل الوصول إلى معالجة تقسيم

الإرث.

وأين مرزوق الحفيدُ محمَّدُ بنُ أحمدَ (ت ٨٤٢ هـ) (***) من المشاهير، له: آغتنام
الفرصة في عمادة عالم قفصاً (ابن يحيى بن عقبة، في التفسير والفقّه) - شرح مختصر
خليل - الأمل في شرح الجمل (للخونجى). وهالك أحمد بن محمَّد البرزليّ

- (١) اللطف (لطف الله بمباده): رعاية الله للستر بدفع المكروه عنهم.
- (٢) معهودة (حرت العادة بأنها سيئة). سجال: متداول (مرّة يكون النصر لهؤلاء ومرّة لأولئك).
- (٣) اغتار = عيرة (درس ذو مغزى). اختلاف الليالي (تقلها خيراً وشراً).
- (٤) الظبية (بضمّ فتح بلا تنديد): حدّ السيف (لا ينفع الضرب بالسيف إلّا مع الصبر والثبات في القتال).
مريش النبال (يوضع للسهم ريش في مؤخرته حتى يستقيم سيره في الهواء): يصيب هدفه.
- (٥) صابر الخصم خصمه: بارأه في الصبر (في طول الصبر) وغله (صر أكثر منه).
- (٦) للدهر

(٧٤١-٨٤٤ هـ)، وقد طال عمره كثيراً، وكان إمام جامع الزيتونة في تونس، له: جامع مسائل الأحكام فيما نزل من القضايا بالمتين والحكام. وهناك محمد بن محمد الفرناطي (٧٨٢-٨٥٣ هـ) له: أنتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك. ولقاسم ابن سعيد العقباني التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) تعليق على ابن الحاجب (في الفقه! راجع الزركلي ٦: ١٠). ثم هنالك لإبراهيم بن فائد الزواوي الجزائري (٧٩٦-٨٥٧ هـ): تسهيل السبيل لمقتطف أزهار خليل - فيض النيل في شرح مختصر خليل - تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق.

وفي سنة ٨٦٤ صنف محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي فتوى في حقوق المرأة المطلقة.

وذكر خير الدين الزركلي اثنين بأسم محمد العقباني أثبت مؤنتها سنة ٨٧١: أحدهما محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد من أهل تلمسان له «تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر» (٦: ٢٣١)؛ وثانيها محمد بن العباس بن محمد بن عيسى التلمساني النحوي أورد له «فتاوى» وعدداً من كتب النحو (٧: ٥٣). وقد ذكر بروكلمن الأول منها (الملحق ٢: ٣٤٦). وذكر بروكلمن «العقباني» مجرداً وأورد له حاشية على كتاب ابن الحاجب: منتهى السؤال (السؤال) والأمل في علمي الأصول والجدل (الملحق ١: ٥٣٨، السطر ١١).

وهناك القوري (ت ٨٧٢ هـ) له: شرح مختصر خليل (في ثمانية مجلدات) - المنهل المورود شرح المقصود الممود لابن الجنان (من أحياء القرن الثامن) - شرح وثائق الفرناطي (ص ٢١٦، ٢١٧). ولأبي زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري (٧٨٦-٨٧٥ هـ): جامع الأهمات في أحكام العبادات - الإرشاد إلى مصالح العباد - شرح على مختصر خليل بن إسحاق - شرح على مختصر ابن الحاجب (في فروع الفقه، جمع فيه نخب كلام ابن رشد وابن عبد السلام وابن هارون و خليل بن إسحاق وأبن عرفة).

ونسب بروكلمن (٢: ٣١٩ مرتين، الملحق ٢: ٣٤٧، ٣٤٨) «الدور المكنونة في نوازل المازونة» إلى أبي عمران موسى بن عيسى المغيلي المازوني (ت ٧٩١ هـ) وإلى

أَبْنُو أَبِي يَحْيَى زَكَرِيَّا (ت ٨٨٣ هـ)، مع أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَ سَنَتَيْهِ وَفَاتَيْهَا نُحِيلُ أَنْ يَكُونَ الثَّانِي أَبْنَى لِلأَوَّلِ (ولعل المازونة هذه رسالة أو أرجوزة. ومازونة في الأصل فَرَعٌ من قَبِيلَةِ مَغِيلَةَ).

وهناك عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ اللَّطْفِيُّ الْمِكنَاسِيُّ (ت ٨٨٠ هـ) من أَهْلِ فَاسٍ لَهُ تَقَايُودٌ عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ (ص ٢٢٠). ثُمَّ هُنَاكَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَشْدَالِيُّ (ت ٨٦٦ هـ) لَهُ: تَكْمَلَةُ حَاشِيَةِ أَبِي مَهْدِي الْوَانُوعِيِّ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ - مُخْتَصَرِ الْبِيَانِ لِابْنِ رِشْدٍ (رَتَّبَهُ عَلَى نَسَبِ مَسَائِلِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَجَعَلَهُ شَرْحاً لَهُ وَرَدَّ كُلَّ مَسْأَلَةٍ إِلَى مَوْضِعِهَا مِنْ الْإِحَالَاتِ، فَجَاءَتْ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالتَّسْيِيرِ؛ وَتَرَكَ مِنْ مَسَائِلِهِ مَا لَا تَعَلَّقُ لَهُ أَصْلاً بِكَلَامِ ابْنِ الْحَاجِبِ وَلَا يَقْرُبُ إِلَيْهِ بَوَاجِهٍ) - أَخْتَصَارُ أبحاثِ ابْنِ عَرَفَةَ (فِي مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ لتلك المسائل المتعلقة بكلام ابن شاس وابن الحاجب. ثم شرح هذه مع زيادة شيء يسير بما لم يطلع عليه ابن عرفة). ثم هناك أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ الْعِلْمِيُّ الْقُسْنَطِينِيُّ (ت ٨٨٨ هـ) لَهُ: تَقَايُودٌ عَلَى الْمُدَوَّنَةِ - مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ - الرَّسَالَةِ. وَمِنْ مَشَاهِيرِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ الْإِمَامِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوْسُفَ السَّنُوسِيِّ (ت ٨٩٥ هـ) لَهُ كُتُبٌ مِنْهَا: شَرْحُ مُخْتَصَرِ ابْنِ عَرَفَةَ - مَكْمَلُ إِكْمَالِ الْإِكْمَالِ - نُصْرَةُ الْفَقِيرِ فِي الرَّدِّ عَلى أَبِي الْحَسَنِ الصَّغِيرِ (بِالتَّصْفِيرِ!) - شَرْحُ الْوَعْلِيْسِيَّةِ - نَظْمٌ فِي الْفُرَائِضِ - تَعْلِيقٌ عَلَى (مُخْتَصَرِ!) ابْنِ الْحَاجِبِ - شَرْحٌ عَلَى الْحَوْفِيَّةِ (فِي الْفُرَائِضِ). وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْأَزْرَقِيِّ (ت ٨٩٦ هـ) (***) شَفَاهَةُ الْغَلِيلِ فِي شَرْحِ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. وَهُنَاكَ أَحَدٌ مِنْ زَكَرِيَّاتِ التَّلَسَّافِيِّ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ مَسَائِلُ الْقَضَاءِ وَالْفُتْيَا.

وهناك أيضاً مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّقَطِيِّ الْمَالْتَقِيِّ، كَانَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ، لَهُ كِتَابٌ فِي الْحِيسْبَةِ. وَمِنْ فُقَهَاءِ هَذِهِ الْحِقْبَةِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوْسُفَ الْمَوَاقِ (ت ٨٩٧ هـ)، عَالِمٌ غَرْنَاطَةَ فِي وَقْتِهِ، لَهُ: شَرْحُ مُخْتَصَرِ خَلِيلٍ. ثُمَّ يَأْتِي هُنَا أَحَدٌ مِنْ أَحْدَادِ الْمَعْرُوفِ بِبَرْزُوقِ (ت ٨٩٩ هـ) لَهُ: شَرْحٌ عَلَى رِسَالَةِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ (مصر ١٣٣٢ هـ). وَقَدْ أورد له عبد الله كَتُونُ (ص ٢١٨) عِدَّةً مِنَ الْكُتُبِ فِي الْفِقْهِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ وَالتَّصَوُّفِ لَمْ يُمَيِّزْ بَعْضَهَا مِنْ بَعْضٍ (رَاجِعْ أَيْضاً شَدْرَاتِ الذَّهَبِ ٧: ٣٦٣).

وَأَبُو سَالِمٍ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَلَالٍ (ت ٩٠٣ هـ) شَيْخٌ سَجَلَمَاسَةٌ وَمُفْتِيهَا: كِتَابُ

الناسك (فاس ١٣١٨ هـ) - فتاوى (ص ٢١٧ ثم بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٨).

وكان محمد بن عبد الكريم الميالي (ت ٩٠٩ هـ) من القائمين بنشر الإسلام وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المغرب نفسه ثم في بلاد السودان فدخل بلاد أهر وبلاد كنو وكشن ثم رحل إلى بلاد التكرور فوصل إلى بلدة كاغو وأجمع بسطانها ساسكي محمد الحاج؛ له تصانيف منها: مُغني النبيل شرح مختصر خليل - إكليل المغني (حاشية على مختصر خليل) - أحكام أهل الذمة. وكان له شعرٌ يسيرٌ عادي عليه جفافٌ لُفّة العلماء (راجع في ذلك كله نيل الابتهاج ص ٣٣٠ - ٣٣٢). من هذا الشعر في إنكار صحة المنطق والاكتفاء بقول الشرع (وقد كتّب بذلك إلى الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١):

سَمِعْتُ بِأَمْرٍ مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ؛ وَكُلُّ حَدِيثٍ حُكْمُهُ حُكْمُ أَصْلِهِ^(١).
أَيَكُنُّ أَنْ الْمَرْءَ فِي الْعِلْمِ حُجَّةٌ وَيُنْهَى عَنِ الْفُرْقَانِ فِي بَعْضِ قَوْلِهِ^(٢)؟
هَلِ الْمَنْطِقُ الْمَغْنِيُّ الْآ عِبَارَةٌ عَنِ الْحَقِّ أَوْ تَحْقِيقِهِ حِينَ جَهْلِهِ^(٣).
مَعَانِيهِ فِي كُلِّ الْكَلَامِ؛ وَهَلِ تَرَى دَلِيلًا صَحِيحًا لَا يُرَدُّ لَشَكْلِهِ^(٤)؟
خِذِ الْحَقَّ حَتَّى مِنْ كُفُورٍ، وَلَا تُبْمِّمْ دَلِيلًا عَلَى شَخْصٍ بِمَذْهَبٍ مِثْلِهِ^(٥).
عَرَفْنَا هُم بِالْحَقِّ، لَا الْعَكْسُ، فَاسْتَبِينَ بِهِ لَا يَبْهَمُ، إِذْ هُمْ هُدَاةٌ لِأَجَلِهِ^(٦).

وفي سنة ٩٠٩ هـ صنّف يوسف دليلي البرغهاويُّ بنُ محمد المجيزي الحنفي كتاب

- (١) الحديث (القول المروي عن رسول الله) أو كل قول آخر. حكمه حكم أصله (تكون مرتبته في الصحة كمنزلة رابوه (أو فائله) من الصدق والثقة).
- (٢) الفرقان: القرآن الكريم. ينهى عن الفرقان في بعض قوله (يجعل أقوال الرسول - في بعض الأمور - فوق قول القرآن، كالذين يقولون إنّ السنة أو أقوال الرسول وأفعاله، نسخ بعض ما جاء في القرآن).
- (٣) المنطق «طريق» للوصول إلى الحقّ أو لاستخراج المجهول من المعلوم.
- (٤) معاني المنطق (أحكامه) مأخوذة من الكلام المألوف (ولكن مرتبة على منهج مخصوص). والدليل الصحيح (على صحة حكم) يقاس بدليل آخر قام على صحة حكم آخر.
- (٥) لا تحك على إنسان يسلك شخص آخر (ولو كانا رفيقين أو جارين أو من أتباع دين واحد).
- (٦) نحن نعرف مكانة كل إنسان بما في قوله من الصواب، ولا نعرف صواب القول من منزلة قائله عندنا. لأجله = لأجل الحق.

المَهْمَات في العبادات (في الفقه الحنفي). ولأبي الحسن علي بن القاسم التُّجِيبِي الرِّقَاقِي (ت ٩١٢ هـ): المنهَجُ المُتَخَبُّ إلى أصول المذهب - لامية (في واجبات القاضي). وعلى هذين المصنفين شروح كثيرةٌ مُعظَمُها مطبوع (بروكلمان ٢ : ٣٤١ - ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٦؛ الزركلي ٥ : ١٣٧ = ٤ : ٣٢٠).

ومن مشاهير الفقهاء أحمد بن يحيى التلمساني الوشريسِّي (ت ٩١٤ هـ) له: إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك - المنهج الفائق والمسهل الرائق في أحكام الوثائق (في آداب المؤتق - طبع فاس ١٢٩٨ هـ؛ في نشرة المراسلات الإفريقية بالفرنسية ١٨٨٤ م) - المِيارُ المُعَرَّب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب (فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ؛ الوثائق المراكشية بالفرنسية، باريس ١٩٠٨ م) - أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصرى ولم يُهاجر وما يترتب عليه من العقوبة والزواج (منشأ بالألمانية ١٨٦٦ م) - كتاب الأفضية (نشره مركز الدراسات العليا في المغرب، المجلد الثامن، ١٩٣٧ م).

وفي هذه الحقبة يأتي محمد بن عبد الله اليفرزي الكناسي (ت ٩١٧ هـ) قاضي فاس، له المجالس (في الفقه) - التنبيه والإعلام فيما قضى به القضاة وأفتى به الحكام من الأوهام (ص ٢١٨). ولابن ميمون الإدريسي (٩١٧ هـ) رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملته القرآن (ص ٢١٧). ومن الفقهاء والمكثرين في التأليف محمد بن أحمد بن غاز الفاسي الكناسي (٨٤١ - ٩١٩ هـ) (***)، له في الفقه: تحرير المقالة في نظائر الرسالة (رسالة ابن أبي زيد القيرواني) وهي منظومة - الكليات الفقهية. ولإبراهيم الفيججي (ت ٩٢٠ هـ) (***) المفيد في الفقه. وفي هذه الحقبة أيضاً بمن لا نعرف رزمتهم بالدقة أبو منصور المغراوي السجلماسي، له المسائل الفقهية المنوطة بالأحكام الشرعية. ثم هنالك عبد النور العيمراتي، له تقييد على المدونة - فتاوى. وربما دخل في هذه الحقبة القاضي محمود كمت بن المتوكل كمت الكرمي داراً التبتكتي مسكناً الوعكري الصنهاجي (٨٦٥ - ٩٥٥ هـ)، ولعله قد بلغ أشده في سنة ٩٢٥ هـ، له تقييد على مختصر خليل. وربما دخل فيها أيضاً محمد بن محمد الرعيني الخطاب

(**) له ترجمة في هذا الجزء.

الصغير (٩٠٢ - ٩٥٤ هـ)، أصله من المغرب ومولده ومشوؤه في مكة ووفاته في طرابلس (ليبيا)، وهو فقيه مالكي من علماء المتصوفين، له: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل - إرشاد السالك المحتاج إلى بيان المغتفر والحاج - هداية السالك المحتاج إلى بيان أفعال المعتمر والحاج (أورد بركلان ٥٢٦: ٢، هذين العنوانين على أنها كتابان مستقلان) - تحرير الكلام في مسائل الالتزام (فاس ١٣٠٥ هـ) - شرح نظائر رسالة ابن أبي زيد (لابن غز) - مواهب الجليل في شرح مختصر أبي الضياء سيدي خليل (مصر: مطبعة السعادة ١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ؛ المطبعة الميمنية ١٣٣١ هـ).

ومن فقهاء الإباضية أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي، من جيطال في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) له قناطر الخيرات (يصف فيه مرور المؤمنين على مقامات سبع عشرة من قناطر الصراط حتى يصلوا إلى الجنان؛ القاهرة ١٣٠٧ هـ) - قواعد الإسلام (القاهرة، بلا تاريخ) مع شرح لعبد الله بن محمد الكسي. ثم هنالك أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدماري تلميذ أبي سكن عامر الشماخي. صنّف البرادي، سنة ٨١٠ هـ؛ «الجواهر المنتقاة من إتمام ما أحل (أحل) الدارجيني به (في) كتاب طبقات المشايخ (راجع ترجمة الدارجيني، ت ٦٧٠). ثم يأتي أشهر مصنفي الإباضية أبو العباس أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي البفري العامري (ت ٩٢٨ هـ)، له: كتاب السير (مختصر ثم تكملة لكتاب السير*) لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر الوردلاني الإباضي المتوفى سنة ٤٧١ هـ ومن كتاب طبقات المشايخ للدرجيني المتوفى سنة ٦٧٠ هـ ومن كتاب الجواهر المنتقاة للبرادي) - سرد الحجّة على أهل الغفلة. وهنالك مصنف إباضي آخر، لعله من هذه الحقبة، هو سالم بن سعيد الصائغي (أو الصائغي؟) له: «لباب الآثار الواردة عن مشايخ (المشايخ؟) المتأخرين الاخير (في الأديان).

أصول الدين وعلم الكلام

وفي الفقهاء من يَنْبَغُ عليه علمُ الكلام (في تخريج الأدلة أو في سبأقة الجدل، وفي

الدفاع عن الرأي المُتَعَدِّدِ أو الرَدِّ على آراء المُخالفين في الاعتقاد) أو يَغْلِبُ عليهم التصوُّفُ (من إقامة الأحوال الروحية مكانَ الأسباب المادية). من هؤلاء جميعاً عبدُ الحكيم بن برَّاجان الأندلسي له «شرحُ الأسماء الحسنَى». ومنهم مُحَمَّدُ بنُ خليلِ التُونِسِيِّ السكُونِي (ت ٧١٦ هـ) له «لحن العوامِّ فيما يتعلَّق بعلم الكلام». ومنهم المتصوِّفُ عَلِيُّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ فَرْحَوْنِ (ت ٧٤٦ هـ) له: الزاهر (ديوان شعره) - التصدير والتعجيز (أو التذييل) : وكذلك منهم أبو إسحاق إبراهيم بن مُحَمَّدِ المُرسِي الأندلسي (ت ٧٥١ هـ) له «زهرُ الكيام في قصَّة يوسفَ عليه السلام» (وهي مقاماتٌ فيها شواهدٌ من القرآن الكريم والحديث ومن التأملِ والأخلاق وأشياء من القَصَص، شِعراً ونثراً مسجوعاً). وقد كان لهذه القِصَّة شهرةً (طُبعت في بودابست سنة ١٨٨١ م؛ القاهرة سنة ١٣٢٧، ١٣٠٦، ١٣٤١ هـ).

ويبدو أن كَتَبَ الأصولِ (أصول الدين وأصول الفِقه) كانت في هذه الحِقبة قليلة. ففي هذا الباب يدخل مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيِّ بنِ البَقَالِ (ت ٧٢٥ هـ) من أهلِ تازة ثم سكن فاس. وكان مُلماً بعددٍ من فنون العلم ولكنه اشتهر بالأصول، له «الأجوبة في التفسير والأصول». وهناك مُعاصره ابنُ الشاطِ الأِشْبِيلِيَّ (ت ٧٢٥ هـ) له «أنوارُ البروق في تعقُّب القواعد والفروق». وفي هذه الحِقبة أيضاً مُحَمَّدُ بنُ سَعِيدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عُمَانَ الرُّعَيْنِيَّ (٦٨٥ - ٧٧٨ هـ) الأندلسيُّ الأصلُ الفاسيُّ الدارِ مولداً ووفاةً، له: اختصار المُقَدِّماتِ المُهَدَّاتِ (لابنِ رَشْدٍ) - اختصارُ حدود الشيرازي - الأسئلة والأجوبة - تنبيه الغافل وتعليم الجاهل - الجامع المفيد - الاعتاد في الجهاد. وكذلك لعبيدِ الرحمنِ بنِ أَحْمَدَ الوغليسيِّ (ت ٧٨٦ هـ): المُقَدِّمَةُ (أو العقيدة) الوغليسية - رسالةٌ في الإيمان والإسلام.

وقد مرَّ الكلامُ على الإمامِ المشهورِ أبي إسحاقِ الشاطِبي (ت ٧٩٠ هـ) عندَ الكلامِ على الفِقه.

وتبرُّزُ الإشارةِ هنا إلى أنسلمو تورميدي الذي وُلِدَ في جزيرة مَيورقة وتعلَّم في لاردة (إسبانية) وبولونيا (إيطالية) وأصبحَ راهباً فرنسيسكانياً. وكان قد صنَّفَ مُناظرةً باللغة الكاتالانية (لهجة شَاليِّ شرقيِّ إسبانية) اسمها «الجدالُ بين الحيار

والفرنسيسكاني أنسلمو تورميديا». وقد نَصَحَهُ الأُسْقُفُ نقولا مارتلَ بأن يعتنق الإسلام - وكان الأُسْقُفُ مارتلَ نفسه مسلماً في قلبه. فانتقل أنسلمو إلى تُونِسَ سنة ٨٢٣ هـ (١٤٢٠ م) - قبلَ خروجِ العربِ من الأندلسِ باثنيَ وسبعين عاماً - واعتنق هنالك الإسلامَ وتسمّى عبدُ الله بن عبدِ الله، وعُرفَ بالترجّانِ الميورقي^(١)، ثم صنّف رسالةً عنوانها: نُحْفَةُ الأَرَيْبِ (أو اللبيب) في الردِّ على أهل الصليب.

وهناك أيضاً يحيى بن إبراهيم بن عُمَرَ الرقبليّ من أحياء القرن التاسع له: تجريد المِلَّة (في الردِّ على اليهود) - كتابُ المُجادلة مع اليهود والنصارى.

ومن علماء الكلام في القرن التاسع أبو حفصِ عُمَرُ بنُ جامعة الإباضيّ له كتاب في العقيدة عليه عددٌ من الشروح. ثم هنالك عبدُ العزيز بنُ عبدِ العزيز اللَّمطي المكناسي (ت نحو ٨٨٠ هـ) له نظْمٌ في المنطق وفي الأصول وفي الفقه. وله تقايد على « مختصر خليل » (في الفقه).

ولأحمد بن عبدِ الله الجزائريّ الزاويّ (٨٠٠ - ٨٨٤ هـ) قصيدةٌ في التوحيد (علم الكلام) تُلْفَى بعنوانين مختلفين: المنظومة الجزائرية - القصيدة - كفاية المريد (وهي نَيْفٌ وأربعمائة بيتٍ شرحها كثيرون). ومن المُكثَرين في التأليفِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدَ بنِ عيسى البرنسيّ الفاسيّ المعروفُ بزَرَّوقِ (٨٤٦ - ٨٩٩ هـ) من أهلِ فاس، ولكنه توفّي في تكرين بجوار طرائسَ (ليبيا)، له كُتُبٌ منها: شرح مختصر خليل - شرح رسالة أبي زييد القيروانيّ - الجُنَّةُ للمعتصم من البدع بالسنة^(٢) - شرح العقيدة القدسيّة، الخ. ولأبي انعبّاسِ أحمد بن محمد الفاسيّ (؟)

(١) يذكر عبد الله بن عبد الله الترجمان الميورقي في هذه الرسالة بلده ومنشأه ثم رحلته ودخوله في الإسلام في أيام الأمير الحفصي (في تونس) أبي العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ) وأيام ابنه أبي فارس عزّوز (٧٩٦ - ٨٣٧ هـ) وبين مقصود الرسالة في تسعة أبواب (ست وثمانين صفحة): وقد طبعت هذه الرسالة في لندن بلا تاريخ. وطبعت في تونس ١٢٩٠ هـ وفي مصر ١٨٩٥ م و ١٩٠٤ م (راجع بروكلمان ٢: ٣٢٢ - ٣٢٣، الملحق ٢: ٣٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٦٣٠ عن كشف الظنون).

(٢) الجُنَّةُ (بالضم): الوقاية. البدعة: الأمر المحدث في الدين تماماً لا يتفق مع المروئي في الدين (وإن كان هنالك بدعة حسنة لا ضرر منها ثم بدعة سيئة). السنة: قول رسول الله وعمله.

أرجوزة» في أن اللغة فضيلة الإنسان « (في المنطق!) صنّفها سنة ٩٠٠ هـ. ثم هنالك أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت ٩٠٦ هـ) أو قبل ذلك بقليل (راجع الأعلام للزركلي، ط ٤، ١: ٢٣١ والحاشية التي معه). ولابن زكري هذا: مُوصل المقاصد (أرجوزة) - بُغية الطالب - المسائل العشر المسماة ببغية المقاصد و خلاصة المراصد (بروكلمن، الملحق ٢: ٢٥٧).

التصوف

وحينا تضمعُ السُلطة السياسية أو تحتلّ الحياة الاجتماعية تتسعُ الأحوال الصوفية، لأنّ الذين يَعجزون حينئذٍ عن القيام بالإصلاح الاجتماعي أو يقصرون في دفع عجلة القوّة المادّية يعتزلون الحياة العامّة ويسترون عجزهم بالتظاهر بحياة التقوى والتوكّل.

ففي أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن كان ابن الرقام شمس الدين أبو الفضل القاسم بن سعيد السبتي التونسي (ت ٧٠٥ هـ)؛ له: اصطلاحُ الصوفية والتنبيه على مقاصدهم الجزئية والكليّة - تكملّة الأنوار من علوم المُجربين الأبرار. وكذلك كان محدّد بن أبي القاسم الحيمريّ (بروكلمن ٢: ٣٢٧) المعروف بابن الصباغ، له دُرّة الأسرار وتُحفّة الأبرار في مناقب سيدي أبي الحسن الشاذلي (تونس ١٣٠٤ هـ).

وفي هذه الحِقبة ابنُ الحاجّ الفاسي أبو عبد الله محمد بن محمد البغدادي القيرواني التلمسانيّ (ت القاهرة ٧٣٧ هـ) له: شمس الأنوار وكُنوز الأسرار (الكبرى: سحر وطلاسم) طبع في مصر ١٢٩٧ هـ ثم ١٣٢٩ هـ. - المدخل أو مدخل الشرع الشريف على المذاهب الأربعة، كشف فيه عن معائب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها أكثرها بما يُنكرُ وبعضها بما يُحتمل (طبع في الاسكندرية ١٢٩٧ هـ والقاهرة ١٣٢٠ هـ) - بلوغ القصد والنمى في خواص أسماء الله الحسنى.

وتجدد في القرن الثامن أبا عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي، عاش في النصف الأوّل من القرن الثامن، له: كنز الأسرار ولواقح الأفكار - التُحفّة الطريفة في الأسرار الشريفة. وكذلك نجدُ لعلّي بن عمّر الهواريّ التونسيّ « مناقب الصالح عبيد

الزِّيَاتِ». ونجد أيضاً عَمَرَ الجزائريَّ الرشيدِيَّ، جاء إلى تُونِسَ سَنَةَ ٧٥٧ هـ، وصنَّفَ ابتسام العروس ووشَى الطُّروس في مناقبِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ عروس (تونس ١٣٠٣ هـ) - قنَّعُ النفوس من كلامِ أبي عروس - ديوان (القاهرة ١٨٨٠ م).

وفي هذه الحِقْبَةِ كان جمالُ الدين أبو الحسنِ يوسفُ بنُ عليّ الندروميَّ (من ندرومة قرب وهران بالجزائر اليوم) له قَبَسُ الأنوارِ وجَمْعُ الأسرار (في معاني الحروف في أسماء النبات والحيوان) صنَّفَه سنة ٧٨٦. وفيها الفقيهُ الخطيبُ العارفُ المحقِّقُ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ إبراهيمِ بنِ عبادٍ (***) النَّفْرِيُّ الرُّنْدِيُّ (٧٣٣ - ٧٩٢ هـ).

وكان فيها أيضاً أبو العباسِ أحمدُ بنُ يوسفَ التُّجَيْبِيِّ بنِ البِنَاءِ السَّرْقَسْطِيَّ القاسِيَّ (توفي في فاس قبيل مبدأ القرن التاسع) نظم في التصوِّفِ، له: المباحث الأصيلية عن جملة الصوفية. وفيها أحمدُ النادِيَّ المتوفى في تُونِسَ بُعِيدَ القرن الثامن، له: مناقبُ الصالحة عائشة بنتِ عمرانِ المنويِّ. ثم هنالك محمدُ بنُ محمدِ بنِ يعقوبَ الكومِيَّ التُّونِسِيَّ، صنَّفَ بُعِيدَ ٨١٠ هـ «تيسير المطالب ورغبة الطالب».

ومن المتصوِّفة المشهورين المُكثَرين من التَّأليفِ شهابُ الدين أبو العباسِ أبو الفضلِ أحمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ زَرْوَقِ الحَضَارِ البرنسي القاسي (ت ٨٩٩ هـ)، له: الكِنَاشُ (أصول الحقيقة والطريقة. مطبوعاً مع شرح بقلمِ محمدِ بنِ أحمدَ الحَرْوِيِّ ويعنوان: قواعد التصوِّفِ، القاهرة ١٣١٨ هـ) - النصيحة الكافية لمن خصَّه الله بالعافية (القاهرة ١٢٨١ هـ) - المَقْصِدُ الأسمى فيما يتعلَّق بمقاصد الأسماء (الأسماء الحسنَى) - المَقْصِدُ الأسنَى في شرح الأسماء الحسنَى - الوظيفَة^(١) الزَّرَوَقِيَّة - وظيفة - دعاء - دعاء الصباح ودعاء المساء - نِصائِحُ - مفاتيح العزِّ والنصر في التنبيه على بعض ما يتعلَّق بحزب البحر^(٢): سفينة النجا (النجاة) فيمن إلى الله التجا (التجا) - شرح حزب البحر - عمدة (عدَّة) المُريدِ الصادق من أسباب المقت في بيان الطريق وذكر خواصِّ الوقت - شرح القصيدة النونية^(٣) - شرح عقيدة

(١) الوظيفة: أدعية دينية معيَّنة يقرأها صاحبها في أوقات راتنة (بمستمرار في أوقات معلومة).

(٢) «حزب البحر» لأبي الحسن علي بن عبد الله النادلي (ت ٦٥٦ هـ).

(٣) يذكر بروكلس «شرح القصيدة النونية» هذه، الملحق ٢٦٢:٢ ثم يحيل (للقصيدة النونية) على ١ =

الغزاليّ - أرجوزة في عيوب النفس - تمهيد (تأسيس) عقائد التصوّف وأصوله (أعاد صوغه وحرّره عليُّ بنُ حسام الدين المتقي الهنديّ بعنوان: قواعد الطريقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة) - مكتابة إلى كافة الفقهاء (في الشروط الخمسة للقبول في الطريقة) - الذِّكْر (الحقيقي) - السُّدْرُ المنتخبة في الأدوية (الأدعية؟) المُجَرَّبَة - الجامع لمُجَمِّل من الفوائد والمنافع - المواهب السنية - المباحث السنية في خواصّ منظومة نور الدين الدميّاطي (نظم أسماء الله الحسنى) - الكشف - شرح الحكم المطائبة^(١) - شرح المقدمة الوغليسية^(٢).

وفي سنة ٨٣٠ هـ صنّف محمّد الفضلُ بنُ الهادي بن أحمد بن عزّوزٍ «كشف الران»^(٣) عن فؤاد مانع الزيارة ومدّعي تفضيل الوظيفة على القرآن والدليل (على ذلك) والبرهان. وفي سنة ٨٦٠ هـ صنّف عليُّ بنُ عيسى بن سلامة البسكريّ «الواعم والأسرار في منافع القرآن والأخبار».

وفي هذه الحقبة أيضاً إبراهيم التازيّ الوهراني (ت ٨٦٦ هـ) له: النصح التام للخاصّ والعامّ (قصيدة في المواعظ والحكم) - المرادية^(٤). وله في هذا الجزء ترجمة مفردة. ومن المتصوّفة المشهورين أبو عبد الله محمّد بن سليمان الجزولي (ت ٨٧٠ هـ) صاحب «دلائل الخيرات» (بروكلمن ٢: ٣٢٧) له ترجمة مفردة.

وهناك محمّد بن محمّد بن يعقوب الكومي التونسي (ت بعد ٨٨٠ هـ) له: تيسير الطالب ورغبة الطالب (في أسرار الحروف) - الإيماء إلى علم الأسماء (بروكلمن ٢:

= ٤٨٤ (الترقيم للطبعة الأولى) أو ١: ٦٣٧ - ٦٣٨ (الترقيم للطبعة الثانية). تمّ وقتُ في بروكلمن، الملحق ١: ٤٨٤ على «القصيدة النونية» لأبي الحسين عليّ بن عبد الله الششتريّ المتصوّف (ت ٦٦٨ هـ). وفي نصح الطبيب (٢: ١٨٦ - ١٨٧): وقال (الششتري)، وهي من أشهر ما قال: «أرى طالباً منّا الزيادة لا الحسنى.....»، وهي طويلة مشهورة في الشرق والغرب، وقد شرحها شيخ شيوخ شيوخنا (كذا ثلاث مرّات) العارف بالله تعالى سيدي أحمد زروق.

(١) الحكم المطائبة لأحمد بن محمّد بن عطاء الله الاسكندري (ت ٧٠٩ هـ) المتصوّف.

(٢) المقدمة الوغليسية (في الأصول: أصول الدين) لأبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي (ت ٧٨٦ هـ).

(٣) الران: النطاء والنجاب الكثيف. الزيارة (لقبر الرسول في المدينة). الوظيفة (راجع الحاشية على الصفحة السابقة). على القرآن (على قراءة القرآن).

٣٢٨)؛ وفي سنة ٨٩١ هـ صنّف أبو النجم ركن الدين الخطيب المغربي «عقائِق الحقائق».

ومن أكابر رجالِ التَّصَوُّفِ الإمام أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسيّ (نسبة إلى قبيلةٍ من المغرب) التلمسانيّ الحسنيّ (٨٣٢ - ٨٩٥ هـ) كان متعدّد نواحي الشخصية مُلماً بعددٍ كبيرٍ من علوم الدين ومن علوم الدنيا حتّى أيساغوجي (المُدخَل إلى المنطق) والفلسفة والطبّ وعِلْم الجبر والمقابلة وعِلْم الأسطراب (الفلك). ولكنّه أنفرد بعِلْم الباطن (التصوّف) وفاق به أهل بلدهِ وزمنه. ومن أقواله:

« من الفرائبِ في زماننا هذا أن يُوجد عالمٌ جُمع له علم الظاهر (الفقه) والباطن (التصوّف) على أكمل وجه بحيث يُنتَفَعُ به في العلمين. فوجود مثله في غاية النُدور. فمن وجده فقد وجد كنزاً عظيماً دُنياً وأخرى فليشدّ عليه يده لئلاّ يضيع عن قريب فلا يجد مثله شرقاً وغرباً أبداً - الوليُّ الحقيقيّ من لو كُفِيت له الجنةُ وحورُها ما ألتفتَ إليها ولا ركنَ لغيره تعالى. فهذه حقيقة العارف. - حقيقة العبودية امتثال الأمرِ واجتنابُ النَّهيِّ مع كمالِ الدلّةِ والخُضوعِ ».

وللإمام السنوسي من الكتب: شرح الفاتحة - شرح صحيح البخاري - مكمل إكمال الإكمال (شرح على صحيح مسلم) - شرح الفرائض الحوفيّة - المقرّب المستوفي في شرح فرائض الحوفي - شرح كلمتي الشهادة - الدليل على أن الشهادتين تجمعان جميع صفات الله ورسوله - شرح أسماء الله الحسنى - العقيدة الكبرى = عقيدة أهل التوحيد والتسديد المُخرجة من ظلمات الجهل وربّقة (ربقات) التقليد المُرغمة أنف كلّ مُبتدعٍ عنيد، القاهرة ١٣٠٦ - شرحها للسنوسيّ نفسه (أعمدة أهل التوفيق والتسديد في عقيدة أهل التوحيد) مصر ١٣١٧ هـ. - العقيد الفريد (المنهاج السديد)؟ - العقيدة الوسطى (السنوسية الوسطى = الجمل = المرشدة) مع شرح لها للسنوسي - حاشية عليها لعمود المقدسي، تونس ١٣٢١ هـ. - العقيدة الصفري = عقيدة أهل التوحيد الصفري = أمّ البراهين في العقائد (مختصر محتو على عقائد التوحيد)، لبيسك ١٨٤٨ م، الجزائر ١٨٩٦ م، فاس (مراراً)، فاس (في مجموعة) ١٣١٧ هـ، جاوي ١٣١٨ هـ، مصر ١٢٧١، ١٢٧٣، ١٢٨٨، ١٢٩٧،

١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ - شَرَحَ عليها للنسوسي: توحيد أهل
 العِرْفان ومعرفة الله ورسوله والبرهان (بالبرهان)، تراني (قرب باري في إيطالية)
 ١٩١٤م - مع شرح لها باللغة الملاوية لزين العابدين محمد بَنَانِي،
 بنانغ ١٣١٠ هـ - شرح (بالأردو)؟ لمحمد زين بن جلال الدين ()
 بومبائي ١٣١٠ هـ - (نشره غابرييلي)، تراني (قرب باري في إيطالية)
 ١٩١٤م - (نشرها هورتن في «نصوص قديمة» رقم ٣٩) بون (ألمانية)
 ١٩١٦م - (نشرها لوشيان في المجلة الإفريقية وعلّق عليها باللغة الفرنسية) الجزائر
 ١٨٩٦م (راجع معجم المطبوعات العربية ١٠٥٨، قارنه بروكلمن: الملحق ٢: ٣٥٣:
 المجلة الإفريقية، رقم ٤٢، عام ١٨٩٨م) - حاشية لمحمد بن أحمد الدسوقي (ت
 ١٣٣٠ هـ)، بولاق ١٢٨١، ١٢٩٧؛ القاهر - ١٢٩٠، ١٢٩٥، ١٣٠٥، ١٣٠٦،
 ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣٣١ الخ - حاشية لإبراهيم الباجوري (١١٩٨ - ١٢٧٧ هـ)،
 بولاق ١٢٧٢، ١٢٧٧، ١٢٨٠، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٣، ١٢٩٨، ١٣٠٠، ١٣٠١،
 ١٣٠٢، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣٣٠ (مع شرح أحمد
 الأجهوري على الهامش) ثم (طبع حجر) القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٣، ١٢٨٩، ١٢٩٨،
 ١٣٠٧، ١٣١٠، ١٣١٨ هـ - حاشية لعبد الله بن حجازي الشراقي (ت ١٢٢٧ هـ)،
 القاهرة ١٢٩٢ هـ - حاشية لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي العريف (ت
 ١٠٩٦ هـ) في مجموعة، فاس ١٣٠٦ - ١٣٠٨ هـ - حاشية: ذريعة اليقين إلى أم
 البراهين لمحمد بن عمر النووي الجاوي، القاهرة ١٣١٣ هـ، مكة ١٣١٧ هـ - حاشية
 لمحمد زين، الاستانة ١٣٠٢ هـ - حاشية: سراج الهدى لمحمد زين السماوي (باللغة
 الملاوية)، مكة ١٣٠٣ هـ.

وللإمام النسوسي أيضاً: المقدمة (في الفلسفة: الإلهيات والتوحيد، نشرها
 لوشيانو) الجزائر ١٩٠٨م - شرح المقدمة (شرحها النسوسي) - مختصر المقدمة
 (المواهب الربانية، شرحها إبراهيم بن الحسن البنّاني السرقطي) مطبوعة على هامش
 «العقيدة الصغرى»، القاهرة ١٣٠٤، ١٣٢٢ هـ - نصره الفقير = نصره أهل الدين
 وأهل اليقين على من تعرّض في التطريق (؟) (في الردّ على أبي الحسن الصغير،

بالتصغير؟، المكناسي)- عمدة ذوي الألباب- كتاب الحدائق- جواب عمّن (؟) سأله عن وزن الأعمال- صلوات- رسالة (بلا عنوان)- جواب عن سؤال عن أبيات لبعض الصوفية- ترجمة (؟) المقامة النبوية- جواب على سؤال النبيّ على بعض الأخيار في النوم- المُجَرَّبَات (المُحَلِّيّ بالمجرّبات)، بولاق ١٢٧٩ هـ، مصر ١٢٩٦، ١٣١٦ هـ؛ (بهامش مجرّبات الديري) القاهرة ١٣١٨ هـ.- شرح كتاب ايساغوجي (شرح الايساغوجي)- مختصر علم المنطق (مع حاشية الباجوري على شرح السنوسي على مختصر السنوسي في علم المنطق)، ضمن مجموعة، مصر ١٢٩٢ هـ.- مختصر المنطق مع شرحه للسنوسي نفسه، حاشية على الشرح لمحمد بن الحسن البنّاني السرقسطي (ت ١١٩٤ هـ)، فاس ١٣٠٢ هـ- حاشية على مختصر المنطق للباجوري، القاهرة ١٢٩١، ١٣٢١ هـ- الطبّ النبوي= تفسير ما تضمّنته كلمة (!) خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطيّبة- شرح على حديث «المعدة بيت الداء».

ومن المؤلّفين في التصوّف، في هذه الحقبة بركاتُ بن أحمد بن محمد العروسي النجّار القسنطينيّ، كان في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر، له: وسيلة المتوسّلين في الصلاة على سيّد المرسلين- تذكرة العاقل وتبصرة الجاهل.

ومن الذين ألفوا في التصوّف أبو عبد الله محمد بن محمد بن السكّاك المكناسيّ (ت قبيل ٩١٤ هـ) له استنزال اللطائف الرضوانية- نُصَح ملوك الإسلام بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام- أسلوبٌ من الكلام على «لا حول ولا قوّة إلا بالله».

ويأتي في هذه الحقبة أبو عبد الله محمد بن محمد الصبّاغ قاضي القضاة في القلعة (في القطر الجزائريّ) كان في أوائل القرن العاشر، وقد صنّف بُستان الأزهار في مناقب زمزم الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الرشيدى (دفين مليانة بالقطر الجزائريّ نحو سنة ٩٢٠)- شفاء الغليل- شرح على الذكّر- وله أقوالٌ نشرها رينيه باسّه، باريس ١٨٩٠ م.

ثمّ هنالك الفقيه الصوفي محمد بن أحمد بن صغدي التلمساني^(١) (ت مصر ٩٠١ هـ)

(١) راجع بروكلمن، اللحن ٢: ٣٦٢، وفيه بن سعد (خطأ في الطبع)، ثم الأعلام للزركلي ٢٣١: ٦ (٥: ٣٣٥).

تلميذ السنوسي، له: النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب - روضة السمرين في مناقب الأربعة المتأخرين (المهوّاري)، وإبراهيم التازي والحسن أبركان وأحمد بن الحسن الفاري) - مفاخر الإسلام في فضل الصلاة على النبيّ عليه السلام.

وعاش في النصف الأوّل من القرن العاشر برهان الدين إبراهيم بن محمود الشاذليّ (ت نحو ٩٠٦ هـ) له: أصولُ مقدّماتِ الوصول - حزب المغرب - التفريد بضوابط قواعد التوحيد.

التاريخ والجغرافية

يليّ اتّساع التّأليف في العلوم الدينية، في عصر بني نصر، اتّساع التّأليف في التاريخ لأنّ التاريخ من الفنون التي يتأسّى بها الناس في أيام ضَعْفِهِمْ. فبين أوائل الذين اشتغلوا بكتابة التاريخ في هذا العصر يوسف بن محمد البياسي (ت ٦٥٤ هـ)، له الإعلام بالحروب في صدر الإسلام. وفي أيامه كان أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القضاعي (***) الذي كثرت تصانيفه في التاريخ السياسي والتراجم وفي تاريخ الأدب. ثم يأتي أبو الحسن عليّ بن موسى بن سعيد العنسي (***) (ت ٦٨٥ هـ) آخر الذين عملوا في تأليف كتاب «المغرب في حلى المغرب»، له «كتاب الجغرافية» (بيروت - المكتب التجاري ١٩٧٠ م). ولعبد العزيز بن محمد الملزوي (***) (ت ٦٨٥ هـ) كتاب في تاريخ المغرب لا تعرف له عنواناً خاصاً. ثم يأتي أبو محمد العنبريّ البلسني (***) صاحب «الرحلة المغربية» التي بدأ القيام بها سنة ٦٨٨ للهجرة.

فإذا أتقننا إلى القرن الثامن وجدنا أبا العباس الغبريني (***) (ت ٧١٤ هـ) صاحب «عنوان الدراية فيمن عرّف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» (في القطر الجزائري اليوم)، وهو كتاب تراجم؛ ثم وجدنا ابن عذارى (***) (ت ٧٢٥ للهجرة، في الأغلب)، وله «البيان المغرب في أخبار إفريقية والمغرب»، سرد فيه أولاً تاريخ المغرب ثم تاريخ الأندلس. وهناك أبو الحسن عليّ بن عبد الله (أو ابن محمد) الفاسي (***) (ت ٧٢٦ هـ) له «الأنيس المطرب برووض القُرطاس في أخبار ملوك

المغرب وتاريخ مدينة فاس . وهناك قاضي غرناطة أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي بكر (قُتِلَ شهيداً في وقعة طريف ، ٧٤١ هـ) له « التمهيد والبيان في فضل الشهيد عثمان بن عفان » - وكأنه نظرَ عند تأليفِ هذا الكتابِ إلى موته هو شهيداً . ولأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي^(**) رحلة (٧٣٦ - ٧٤٠ هـ) سماها « تاج المشرق بتخليّة علماء المشرق » وقد ملأها بالسجع . ويأتي هنا أيضاً أبو الحسن عليّ الجزنائي^(**) (ت ٧٤٩ هـ) له « زهر الآس » (في بناء مدينة فاس) . وفي هذا العصر المؤرخ الموسمي لسان الدين بن الخطيب^(**) (ت ٧٧٦ هـ) والرحالة ابن بطوطة^(**) (ت ٧٧٩ هـ) ، وشهرتها في فنونها واسعة . ولأبي زكريا يحيى بن محمد بن خلدون^(**) (قُتِلَ بطناسان ، سنة ٧٨٠ هـ) ، له « نعيّة الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » . ثم هناك لعبد الله بن إبراهيم الأصيلي (ت ٧٩٢ هـ) « عمدة الطالب في نسب آل أبي طالب » .

ومن كبار المؤرخين مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون^(**) (ت ٨٠٨ هـ) . ويأتي هنا أبو الفضل أبو القاسم إبراهيم البرادي تلميذ الشيخ عامر الشاخي (ت ٧٩٢ هـ) . وقد صنف البرادي ، سنة ٨١٠ هـ ، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحلّ به كتاب الطبقات « (القاهرة ١٣٠٢ هـ) . وكتاب الطبقات المشار إليه هنا ، هو « طبقات المشايخ » (في حياة الرسول والصحابة والأئمة الرُستميين وعلماء الإباضية) لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرّجيني ، ألفه الدرّجيني بعيد سنة ٦٢٦ للهجرة .

ومن أسرة بني نصر (أو بني الأحمر) في غرناطة أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد^(**) (ت ٨١٠ هـ ، في الأغلب) له عددٌ من كتب التاريخ : نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان - نثر أفراد (؟) الجمان في نظم فحول الزمان (من أحياء المائة الثامنة) - مشاهير بيوتات فاس - حديقة النسر في أخبار بني مرين . ولأبي العباس أحمد بن الحسين (أو الحسن) بن عليّ بن قنفيذ (ت ٨١٠ هـ) « كتاب الوفيات » مرتباً على السنين ، وهو على غاية من الإيجاز . ثم يأتي القاسم بن عيسى بن الناجي القيرواني (ت ٨٣٧ هـ) القاضي ، وخطيب جامع الزيتونة ، له « معالم

الإيمان» (في أقسام): وصف المساجد القديمة، تاريخ بناء القيروان، وتراجم نقر من المشاهير). وبعد أميد نجد مُحَمَّد بن علي الشاطبي المغربي الذي صنّف، في تازة (في المغرب الأقصى)، سنة ٨٧٠ للهجرة، «عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان». ثم هناك مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت ٨٩٩ هـ)، له «نظم الدرر والعقبان في بيان شرف بني زيان».

ويأتي أخيراً أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن غاز (***) (ت ٩١٩ هـ)، له «الروض المتون في أخبار مكناسة الزيتون». ثم يأتي في أعقاب هذا العصر أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي القيرواني العامري المتوفى في جبل نفوسة (جنوب غربي ليبيا اليوم) في جادى الأولى من سنة ٩٢٨ (نيسان - إبريل ١٥٢٢ م)، له كتاب «السير» اختصره من كتاب أبي زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت ٤٣١ هـ) وعنوانه: «السير وأخبار الأئمة» (تاريخ أئمة الإباضية في مزاب بجنوبي الجزائر) ومن كتاب الطبقات للدرجيني ومن الجواهر المنتقاة للبرادي (راجع في الدرجيني والبرادي، فوق، ص ٨١) ثم زاد على هذه الكتب تراجم (إلى قريب من زمنه).

والسياسة العامة شديدة الصلة بالتاريخ. ولقد مر بنا شيء من ذلك في الكلام على أبي بكر مُحَمَّد بن الوليد الطرطوشي (***) (ت ٥٢٠ هـ) ويحس هنا مد الكلام قليلاً في أبي حمو موسى (الثاني) بن أبي يعقوب يوسف بن أبي زكريا يحيى بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان. ويغمراسن بن زيان (٦٠٣ - ٦٨١ هـ) هذا استقل بمدينة تلمسان (القطر الجزائري) بعد ضعف دولة الموحدين وأنشأ سلطنة قرع زيان من بني عبد الواد.

وولد أبو حمو موسى بن يوسف، سنة ٧٢٣ للهجرة (١٣٢٣ م)، في غرناطة (الأندلس) حيث كان أبوه مبعداً. وفي أواخر سنة ٧٣٦ للهجرة (أواسط ١٣٣٦ م) استولى المرينيون على تلمسان وأزالوا ملك بني زيان. ثم إن أبا حمو موسى بن يوسف استطاع بعد أميد، في صفر من سنة ٧٦٠ (كانون الثاني - يناير ١٣٥٩ م)، وفي حديث طويل، أن يدخل تلمسان ويعيد ملك بني زيان. وجعل أبو حمو موسى

(الثاني) هذا لدولة بني زيان قوةً وأبهةً. غير أن الدهر لم يصف لأبي حمو فنارعة أولاده ثم قتل هو في معركة الغيران (على نصف يوم من تلمسان - في محاربة ابنه عبد الرحمن - في ربيع ذي الحجة من سنة ٧٩١ (٢٣ / ١١ / ١٣٨٩ م).

وكان أبو حمو موسى بن يوسف حازماً حكيماً وإدارياً عمرانياً ومُتَقَفاً مُصَنِّفاً وصل إلينا منه كتاب قيم في السياسة العامة أسه^(١) « واسطة السلوك في سياسة الملوك » ، ألفه بين ٧٧١ و ٧٧٧ للهجرة (١٣٣٩ - ١٣٧٥ م) وجعله أربعة أقسام: في قواعد الملك والوصايا والآداب والحكم المرشدة إلى طرق الصواب (في الحكم) - في قواعد الملك وأركانها وما يحتاج إليه الملك في قوام سلطانه - في الأوصاف التي هي نظام الملك وكاله وتجهته وجاله - في الفراسة (معرفة خفايا الناس من النظر إلى وجوههم ومن كلامهم وسلوكهم) وهي خاتمة السياسة.

ولا شك في أن أبا حمو قد اعتمد عدداً من المصادر استقى منها أحكامه وأمثلة أبرزها أثراً في كتابه: سراج الملوك للطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ) - كتاب العقد لابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) - المنهج السلوك في سياسة الملوك لعبد الله ابن عبد الرحمن^(٢) - سلوان المطاع في عدوان الاتباع لمحمد بن عبد الله بن ظفر المالكي (ت ٥٦٥ هـ).

(١) الأسطر التالية المتعلقة بأبي حمو موسى (الثاني) الزياتي مستقاة من البحث التالي: النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياتي الثاني لوداد القاضي - في مجلة « الأبحاث » (مجلة يصدرها مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط: كلية الآداب والعلوم - الجامعة الأميركية، رئيس التحرير: إحسان عباس - الجامعة الأميركية في بيروت) السنة ٢٧ (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م).

(٢) هو جلال الدين أبو النجيب أبو الفضائل عبد الرحمن بن نصر (الله) بن عبد الله بن نصر بن عبد الله الشيزري (نسبة إلى شيزر - قرب حماة في شمالي الشام: سورية) التبريزي العدوي النراوي (بفتح فتح فيها)، عاش مدة طويلة في حلب وكان كاتباً عند صلاح الدين الأيوبي، وتولى القضاء في طبرية. ثم كانت وفاته سنة ٥٨٩ للهجرة (١١٩٣ م). وكان عبد الرحمن بن نصر هذا مصنفاً له: المنهج السلوك (أو نهج السلوك) في سياسة الملوك (ألفه لصلاح الدين الأيوبي) ثم خلاصة الكلام في تأويل الأحلام (راجع بروكلمان ١: ٦٠٣، الملحق ١: ٨٢٢ - ٨٢٣). وقد اضطرب يوسف اليان سركيس في فهرسته الجامع «معجم الطبوعات العربية والمعربة» فأورد اسمه في أسكنة مختلفة، قال: أبو الفرج عبد الرحمن نصر بن عبد الله الشيرازي تبع في حلب (سنة) ٥٦٥، له خلاصة الكلام في تأويل الأحلام، باريس ١٨٦٤ (ص ١١٧٥)، وقال: الشيخ عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، توفي ٥٨٩، له المنهج

وتحاول وداد^(١) القاضي صُنعَ نظريّةٍ سياسيّةٍ لأبي حوّمَ تقيّمها على الأسس التالية:
 خُلِقَ الْمَلِكُ : القاعدةُ الرُّباعيةُ (الفضائل الأربعة : العقل والشجاعة والعدل ثمّ الكرم
 والحلم والعفو كأنها شيءٌ واحدٌ، حتى يُصبحَ العدوّ هنا أربعةً). وأما الأساس الثاني
 فهو رعيّةُ الملك (وتسمّيها صاحبةُ المقال : القاعدةُ البيروقراطية) ، أي مرافقُ الدولة
 أو حُطّطها أو مناصبها والموظفون من الذين يقومون بالعمل في هذه المناصب .
 والأساس الثالث : مال الملك (القاعدة الاقتصادية) أو الجباية وإنفاقُ مالِ الدولة
 وحسُنُ القيام على هذا المال في جبايته وفي إنفاقه . والأساس الرابع : جيشُ الملك
 (القاعدة العسكرية) حَسُنُ معاملَةِ الجُنْدِ والتفطُّنُ لمقاصِدِ العدوّ والحركاته . والأساس
 الخامس : فِرَاسَةُ الْمَلِكِ (القاعدة السيكولوجيّة) . ولقد أولى أبو حوّمَ هذا الأساس
 أهمّاماً كبيراً فيما يتعلّق برجاله وأعوانه وبما يتعلّق بمُخصّومه وأعدائه .

ولا ريب في أن هذا الكتاب - واسطة السلوك في سياسة الملوك (كما يظهر من
 مقال وداد القاضي) - نصائح شخصيّة جمعها أبو حوّمَ من طريق حياته (من قراءته في
 الكتب ومن اختبارها في الإدارة والحرب) . ويبدو أن أبا حوّمَ قد حاول أن يبيّنها
 تبويهاً عاقلًا نافعاً .

ولا يغيب عن المطالع في مقال وداد القاضي أن أبا حوّمَ قد استفاد من كتاب
 « كليلة ودمنة » ، كما استفاد من المسأورات عن أفلاطون والواردة في الكتب
 العربيّة . إن ما سمّته وداد القاضي : خُلِقَ الْمَلِكُ أو القاعدةُ الرُّباعيةُ - وهي العقل
 والشجاعة والعدل . . . والحلم . . . - إنّها هي الفضائل الأربع عند أفلاطون (ت ٩٧٠
 قبل الهجرة = ٣٤٧ ق.م.) ، وإن كان أبو حوّمَ قد جمع في كتابه كلّ الأقوال التي

= السلوك في سياسة الملوك ، بولاق ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ) ؛ مصر ١٣٠٦ و ١٣٢٦ هـ (ص ١٢٧٧) . وبعد
 سطرين ذكر عبد الرحمن بن نصر النيرازي وأحال على النيرازي . راجع أيضاً الأعلام للزركلي
 (الطبعة الرابعة) ٣ : ٣٤٠ . وقد قلت وداد القاضي عنواناً للكتاب « المنهج السلوك . . . » (ص ٧٩) .
 وهناك أيضاً « المنهج السلوك في سياسة الملوك » ليويس بن أيوب بن يحيى (بروكلمن الملحق ٢ :
 ١٠١٧) .

(١) هي (الآنسة الدكتور) وداد بنت عفيف بن حسن بن يحيى الدين القاضي من أسر بيروت الكرّمية
 المعروفة (ولدت في بيروت ٢٢ / ١١ / ١٩٤٣ م) .

توافق مَقْصِدَه من غير أن يوزَعها بين مصادرها . ولقد أشارت ودادُ القاضي إلى مثل ذلك .

وفي هذا الباب من السياسة العامة يأتي شمسُ الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمدِ الأصبغي المعروفُ بِأَبْنِ الأَزْرَقِ الأَنْدَلِسِيِّ ، تولَّى القضاءَ في غرناطةَ ثم غادر الأندلسَ إلى تِلِمَسَانَ (في العُدوةِ المَغْرِبِيَّةِ)^(١) - لَمَّا استولى الإسبانُ على غرناطةَ - ويبدو أن وفاته كانت بُعيد ذلك (قُبيلَ أنتهاءِ القرنِ الهجريِّ التاسعِ والقرنِ الميلاديِّ الخامسِ عَشَرَ) . وأحبُّ أبْنِ الأَزْرَقِ هذا أن يسلكَ سبيلَ أبْنِ خَلْدُونِ (ت ٨٠٨ هـ) في فَهْمِ التاريخِ فهما أجتاعياً ، فوصل إلينا من كُتُبِهِ : الإبريزُ المسبوكُ في كَيْفِيَّةِ آدابِ الملوكِ (صنّفه سنة ٨٨٣ هـ) - تحبيرُ الرياسةِ وتحذيرُ السياسةِ - بدائعُ السُّلكِ في طبائعِ المُلكِ ، قال فيه أحمدُ بنُ أحمدَ بابا التُّنْبُكِيُّ (ت ١٠٣٦ هـ) (نيل الابتهاج ٣٢٤) : « ... بدائعُ السُّلكِ في السياسةِ السُّلْطَانِيَّةِ ، كتابٌ حَسَنٌ مُفيدٌ في مَوْضوعه ، لَخَّصَ فيه (أبْنُ الأَزْرَقِ) كلامَ أبْنِ خَلْدُونِ في مُقدِّمةِ تاريخِهِ وغيرِهِ مَعَ زَوَائِدَ لا يُستغنى بوجهِ عنها » (لا يستغنى عنها بوجه) .

ومن المتأخرين في هذا الدورِ محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ المَغِيلِي التِّلِمَسَانِي^(٢) ، له « تعريفٌ فيما يَجِبُ على الملوكِ » ، وقد طُبِعَ بعنوان « تاجُ الدينِ فيما يجبُ على الملوكِ والسلطين » (بيروت ١٩٣٢ م) - « أحكامُ أهلِ الذمة » .

ومن السياسةِ الخاصَّةِ (سياسةِ الإنسانِ نفسه) السُّكَّاحُ . وقد وصلَ إلينا من

(١) في نيل الابتهاج (ص ٣٢٤) : الفرناطي وقاضي الجماعة في عرناطة ... كان حبياً في حدود التسعين وثمانائة ، ارتحل لتلمسان لَمَّا استولى العدوُّ على بلده ثم للشرق . ولم أقف على وفاته . - راجع أيضاً بروكلس ٢ : ١٣٤٣ الأعلام للزركلي ٧ : ١٨١ (٦ : ٢٨٩ ، مع الحاشية الطويلة المفيدة) . وقد قدَّر الزركلي تاريخ وفاة ابن الأزرَقِ فكانت عنده ٨٩٦ هـ (١٤٩١ م) . ومن الصواب أن تؤخَّر بضع سنوات أخرى .

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي - نسبة إلى مغبل (بفتح فكسر) بلد قرب فاس (الغاموس ٤ : ٥١) - التلمساني مفسر وقهيه ونحوي ومنطقي ومن العارفين بالاجتماع والسياسة (راجع نيل الابتهاج ٣٣٠ - ١٣٣٢ بروكلس ، الملحق ٢ : ١٣٦٣ الأعلام للزركلي (ط ٦٠٤ : ٢١٦) . وكانت وفاته ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) .

تصنيف أبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني (***) صاحب الرحلة والتوفي نحو سنة ٧١٧ للهجرة (١٣١٧ م) «تُحفة العروس»^(١) ونزهة النفوس». وكذلك وصل إلينا من تصنيف أبي عبد الله عمر بن محمد التفراوي^(٢) كتاب الروض العاطر في نزهة الخاطر = المطبوع بعنوان «تنوير البطاح في معرفة كيفية النكاح» (القاهرة: بلا تاريخ؛ فاس: ١٣١٠ هـ؛ تونس: ١٩٢٨ م. ثم هو منقول ومطبوع في اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية).

علوم التعاليم

علومُ التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد كثيراً أو قليلاً، أو هي العلوم الرياضية والطبيعية في تصنيف المعارف الإنسانية عندنا اليوم. وهنا موضع ملاحظة يحسن أن تتكرر مرة بعد مرة: إن «العلم» ليس فقط مفردات المعارف القائمة على القواعد الدقيقة كالحساب والفلك والموسيقى، ولكن «نعت» العلم ينطبق أيضاً على كل فن من فنون المعرفة الإنسانية كالفلسفة والأدب والتاريخ إذا نحن سيرنا فيه على منهج معين.

وعصر بني نصر في الأندلس كعصر بني مرين في المغرب لم يخل من علوم التعاليم. أما قلة هذه العلوم في الأندلس فلأن العرب لم يكن لهم في الأندلس، في تلك الحقب، سوى مدينة غرناطة وما حولها، فلا يُنتظر أن يكون فيها «علم» كثير وإن كثرت فيها الفنون الأدبية واللغوية والسدينية، لأن هذه الفنون أقرب إلى العاطفة - والعاطفة تقوى في أيام الضعف السياسي. أما قلة علوم التعاليم في المغرب في ذلك الحين فترجع في رأي عبد الله كنون (النبوغ المغربي، ص ١٩٨، راجع ١٩٩) إلى أن سلاطين المرينيين لم يشجعوا هذه العلوم كما شجعها الموحدون في

(١) العروس تقال للرجل وللمرأة.

(٢) كتب التفراوي هذا لأبي عوانة الزواوي وزير السلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز الذي تولى من سنة ٧٩٦ إلى سنة ٨٣٧ للهجرة (١٣٩٤ - ١٤٣٣ م). ويبدو أن الزواوي كان في أول هذه المدة (راجع بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨ - ٣٦٩).

بعض أدوارهم ، وخصوصاً في أيام يعقوب المنصور الموحدي (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

★ ★ ★

يبرز في هذا العصر ثلاثة من علماء الرياضيات أولهم في تاريخ الوفاة محمد بن إبراهيم بن الرقام المُرسي الأندلسي (ت ٢١ صفر ٧١٥) وكان مشاركاً في الرياضيات والفيزياء وعلم النبات وفي الطب ، له كتاب في علم الظلال (فيزياء : بصريات؟) وفي المساحة (الهندسة المستوية) في كتاب له عنوانه «التكسير» ، أوله : «التكسير صناعة يُنظر فيها في مساحة الأشكال» (راجع الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٥ : ٢٩٧ ؛ بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٧٨).

وأما الشمس المشرقة في الرياضيات ، في هذا العصر ، فكان أبا العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي المعروف بابن البناء العددي (٦٤٩ - ٧٢١ هـ) ، صنّف كتباً كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والتنجيم والجغرافية والنبات . وتقوم شهرته على كتابه المعروف بعنوان «تلخيص أعمال الحساب»^(١) . ويبدو أن اهتمام ابن البناء - بالإضافة إلى إحاطته بفروع هذا العلم - كان منصباً على تيسير الحساب على الناس^(٢) .

ثم يأتي يعيش بن إبراهيم بن يوسف بن سناك (ت نحو ٧٧٣ هـ) له : مراسم الانتساب في علم الحساب - رفع الإشكال في مساحة الأشكال (في الهندسة المستوية) - علم القبان (فيزياء - علم الجبل : ميكانيك) وغيرها في موضوعات أخرى^(٣)

(١) حققه وترجمه (نقله إلى الفرنسية) وعلق له الدكتور محمد السويبي ، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م .

(٢) راجع مهيد محمد السويبي لكتاب «تلخيص أعمال الحساب» (الحاشية السابقة) تراث العرب العلمي لقدري طوقان ، الطبعة الثالثة ، ٤٢٩ - ٤٣٢ ؛ بروكلمن ٢ : ٣٣٠ - ٣٣١ ، الملحق ٢ : ٣٦٣ - ٣٦٤ ؛ النبوغ المغربي ٢٢٠ - ٢٢١ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ٢١٣ - ٢١٤ (٢٢٢) .

(٣) راجع الأعلام للزركلي ٩ : ٢٧١ (٨ : ٢٠٥ - ٢٠٦) . ووفاته في بروكلمن (٢ : ٣٤٤) قبل سنة ٧٧٤ هـ . ثم يذكره بروكلمن (الملحق ٢ : ٣٧٩) باسمه وينسب إليه الكتب التي ذكرها له من قبل ولكن يجعل وفاته سنة ٨٩٥ هـ = ١٤٨٩ م .

ولعلّ من علماء هذا العصر (وفي القرن الثامن للهجرة؟) أبا عبد الله بن هلال ، قال فيه عبدُ الله كنون (النبوغ المغربي ١٩٨) : إمامُ التعاليمِ وأتَمُّ شَرَحِ كِتَابِ المِجَسَّطِي لِبطليموسَ القلوديّ .

ويبدو أنّ علم الفلك والحُسابَ الفلكيَّ كانا على مستوى صالحٍ من الرقيِّ ، فإنَّ أبا عليَّ الحسن بنَ عمرَ المراكشيَّ (ت نحو ٦٦٠) كان له كتابٌ «جامع المبادئ والغايات في علم الميقات» (بروكلمن ١ : ٦٢٥ ، الملحق ١ : ٨٦٦) .

ومن البارعين في علم الفلك في هذا العصر مُحبي الدين أبو الفتح يحيى بن محمد ابن أبي الشُّكر (أو سُكْر) المعروف بالحكيم المغربيّ (ت بين ٦٨٠ و ٦٩٠ هـ) ، كان من أهل قرطبة ثم رحلَ إلى المشرق وعَمِلَ مَعَ نصيرِ الدين الطوسيِّ في مرصد مراغة^(١) . ولابن أبي الشُّكر كُتِبَ كثيرةٌ في الرياضيات والفلك منها (في الهندسة والمثلثات) : تحرير أقليدس في أشكال الهندسة - كتاب المخرّوطات (تحرير المخرّوطات لأبولونيوس) - إصلاح كتاب منالوس في الأشكال الكرويّة - تهذيب كتاب ثيودوسيوس في الأكر - رسالة في استخراج الجيوب الواقعة في الدائرة - رسالة فيما تفرّع عن الشكل القطّاع من النَّسبِ على سبيل الإيجاز . ثمّ له (في الفلك والحُساب الفلكيِّ) : الحُكْمُ على قرائن (قران)^(٢) الكواكب في البروج الاثني عشر - مقالات تتعلق بمركات الكواكب - مقالة في استخراج تعديل النهار وساعات المشرق (شروق الشمس) ، والدائر من الفلك بطريق الهندسة - مَلَخَصُ المِجَسَّطِيّ (?) من نقل أبي الفرج غريغوريوس المَلَطِيّ المتوفى ٦٨٥ للميلاد) - زيح (جدول وتفسير لهذا الجدول) لتقوم الكواكب يشتمل على مائتين وواحدٍ وأربعين فنّاً من الحساب - تسطيح الأسطرلاب - أربعُ مقالات في النجوم - رسالة الخطأ والإيغور^(٣) . وكذلك

(١) مراغة في آذربيجان الفارسية (في منطقة جبلية في أقصى الشمال - جنوب تبريز) . وكان فيها مرصد من أكبر المراصد القديمة . اجتمع في هذا المرصد نفر كثيرون من علماء الفلك المسلمين .

(٢) القران (بالكسر) : وجود نجمين على مر واحد من خطِّ البصر .

(٣) الخطأ : بقاء معجزة مفتوحة وطاء مهملة مفتوحة وألف) : كناية - قبائل من الترك كانوا يعيشون شمال نهر جيحون ، في أواسط آسية وكانوا على الوثنية ، وساكنهم كانت في ساطق تابعة للصين (راجع في تحقيق ذلك تاريخ ابن الأثير ٩ : ٢٩٧ ، ١١ : ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ثم راجع فهرس الأعلام (في تاريخ =

له كتب في التنجيم^(١).

ويأتي هنا شمسُ الدين أبو العباسِ محمدُ (أحمدُ) بنُ مسعودِ الخزرجي السبتي (من أهل سبتة) المغربي (ت ٦٩٨ هـ)، قيل فيه إنه مخترعُ علمِ الزايرجة^(٢).

ثم يأتي أبو مفرع (يفتح فسكون ففتح: النبوغ المغربي ٢٢١ مرتين) أو أبو مفرعة (نفع الطيب ٢: ٦٩٣، السطر السادس من أسفل) البطوي^(٣) له رجز في التقويم والتنجيم^(٤).

ولشمس الدين محمد الجزولي^(٥) (ت نحو ٧٤٥ هـ): كتاب العمل بالأسطرلاب - رسالة في العمل بالجيب الغائب (٩) - رسالة في رُبُع المسطرة (٩) - رسالة في ثَمَن الدائرة (بروكلمن ٢: ٣٣١ - ٣٣٢، الملحق ٢: ٣٦٤ ابن الجزولي).

ومن علماء الفلك أبو زيد اللجائي الفاسي (ت ٧٧٣ هـ) اخترع أسطرلاباً مُلصقاً بالجدار والماء يدير شبكته (٩) على الصنفة، فيأتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكَم مضى من النهار، أو ينظر ارتفاع الكواكب في الليل.

ثم نجد للزبير بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٩٠ هـ) تذكرة ذوي الألباب في استيفاء العمل بالأسطرلاب (بروكلمن ٢: ٣٤٤). ثم يأتي في هذا النسق أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الله بن محمد بن حيدور^(٦)، له: الاعتبارات النظرية في الأحكام

= ابن الأثير) لاقام التحقيق. والابنور أيضاً من الترك. - طريقة الحساب الفلكي عند هاتين الأمتين.

(١) راجع في الحكم المغربي: الأعلام للزركلي ٩: ٢١٠ (٨ ١٦٦) بروكلمن ١: ٦٢٦، الملحق ١:

٨٦٨ - ١٨٦٩ تراث العرب العلمي لقدري طوفان ٤٢٤.

(٢) في تاج العروس (الكويت ٦: ٢٥): الزايجة صورة مربعة أو مدوّرة تعمل لموضع (مواضع) الكواكب في الفلك لينظر (فيها) في حكم المولد (مولد الشخص من حيث السد والنحس) في عبارة المنجمين. - راجع في ابن مسعود السبي بروكلمن ١: ٦٥٥، الملحق ١: ٩٠٩ - ٩١٠.

(٣) يمكن أن يكون اسمه الكامل: أبو محمد عبد الحق بن علي البطوي (نسبة إلى بطوية في الريف، شمال المغرب) الوردزي الهموئي المروجوشي السوسي، له رجز في التقويم والتنجيم (لعله: بروج القمر عند المغرب الذي حرره موتيلسكي وطبعه الجزائر ١٨٩٩ م) - راجع النبوغ المغربي ١٢٢١ بروكلمن ٢: ٣٣١، الملحق ١: ٣٦٤.

(٤) راجع في اللجائي النبوغ المغربي ٢١٤ - ١٢١٥ تراث العرب العلمي ٤٣٧.

(٥) في النبوغ المغربي، ص ٢٢١، السطر الخامس: هيدور (بالهاء). راجع أيضاً بروكلمن الملحق ١: ٣٦٥ - (بالهاء).

النجومية - شرح تلخيص أعمال الحساب لأبن البناء العدديّ.

ثمّ يأتي الجاديريّ (بالياء بعد الدال ، النبوغ المغربي ١٩٩ ، ٢٢١) أو الجادريّ (بكسر الدال ويفتح الدال : راجع بروكلمن ، الملحق ٢ : ٢١٧) وهو أبو زيد عبد الرحمن المؤقت في مسجد القرويين في فاس (ت ٨١٦ هـ) ، له روضة الأزهار في علم الليل والنهار .

ثمّ يأتي محمد بن أحمد بن يحيى بن الحباك (ت ٨٦٧ م) ، له : بُغْيَةُ الطَّلَابِ في علم الأسطرلاب - شرح روضة الأزهار في علم الليل والنهار (للجاديري) - نُحْفَةُ الطَّلَابِ في عددِ السنين والحساب (راجع بروكلمن ٢ : ٣٣٢ ، الملحق ٢ : ٣٦٥ ؛ نيل الابتهاج ٣٣٣ فاس).

ومن الفنون التي تأخذ من الرياضيات ومن الفيزياء الموسيقى . في نحو سنة ٧٠٠ للهجرة صنّف محمد بن إبراهيم الصّلاحيّ للناصر لدين الله المرينيّ (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ) أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحقّ^(١) كتاباً في آلات الموسيقى أثبت بروكلمن (٢ : ٣٣٣) عنواناً له : « الإمتاع والانتفاع »^(٢) .

وفي العلم الطبيعيّ على الحصر (الفيزياء) يأتي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي^(*) التونسيّ (ت ٦٥١ هـ) ، له : أزهار الأفكار في جواهر الأحجار - مطالع البدور ومنازل السرور (في المعادن) - فصل الخطاب في مدارك الحواس الحصر لأولي الألباب - الأحجار التي توجد في خزائن الملوك ودخائير الرؤساء وغيرها . ثمّ هنالك أبو الحسن بن يوسف المديونيّ الحكيم (في نحو هذا العصر) له الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة (النبوغ المغربي ٢٢١) لسك العملة ، وفي هذا العمل جانب من الفيزياء .

ومع أن الصنعة (الكيمياء القديمة) قد عاشت في الشرق والمغرب مدة طويلة ثمّ

(١) يورد بروكلمن عادة أسماء الأعلام مختصرة . وقد وردت جملة بروكلمن كما يلي : للمرينيّ أبي يعقوب بن يحيى بن عبد الحقّ .

(٢) لعل العنوان الكامل : الإمتاع والانتفاع بآلات الشّاع .

إنها استمرت في أروبة إلى نصف القرن الماضي ، فإن العصر الذي نبحت في أعلامه الآن لم يجمع من علماء الكيمياء من كان ذا أثر بارز . هنالك مثلاً أبو عبد الله محمد بن عمر الزواوي النجار الجايني (من أحياء القرن التاسع في القطر الجزائري) له فصل في الكيمياء ثم تحفة الناظر ونزهة المناظر (بفتح الميم - بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٦٧) ، وعنوانه لا يدل على موضوعه .

كان حظ العصر المريني من الطب أوفر من حظ من الكيمياء . كان فيه (النبوغ المغربي ٢٠٠) أبو الحسن علي بن الشيخ الطبيب بن أبي الحسن علي العنسي المراكشي (وفي أسبه شيء من الخلاف) ، وقد كان مشاركاً في عدد من العلوم الكونية ، له في الطب : الأمراض السرية وعلاجها - الأذكمة (٢٢) وصفاتها وما يطلب أن يتجنب فيها . ثم له : النساء وما يخدم أو يذم منهن ، وضعه يرسم السلطان أبي الحسن المريني (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) .

ويبدو أن من البارعين في الطب في ذلك العصر أحمد بن شعيب الجزائري (* *) (ت ٧٤٩ هـ) ، وكان كاتباً وشاعراً وطبيباً جعله السلطان أبو سعيد المريني (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) في جملة الكتاب ، ولكن أجرى عليه رزقاً (مرتب) الأطباء لتقدمه في الطب ، فكان كاتبه وطيبه . وكذلك فعل السلطان أبو الحسن المريني (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) بعد ذلك (النبوغ المغربي ٢٠٠) .

ومن المؤلفين في الطب أبو عبد الله محمد بن علي اللخمي الشقوري (نسبة إلى بلدة شقورة ، من نواحي جيان) الأندلسي ، صنف سنة ٧٤٩ للهجرة : تحقيق النبأ عن أمر الوبأ (في طاعون سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) أو الموت الأسود (الطاعون الكبير) الذي انتشر في أروبة سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) واستمر إلى سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩ م) ثم عاد إلى أروبة ١٣٦١ - ١٣٦٢ و ١٣٦٩ للميلاد (٧٦٢ و ٧٧١ - ٧٧٢ للهجرة) . وله أيضاً محربات في الطب (راجع بروكلمن ٣ : ١٢٧٩ ، السطر ٢٨ وما بعد الأعلام للزركلي ، ط ٤ ، ٦ : ٢٨٥) .

ومن البارزين في التطبيب وفي التأليف في الطب أبو عبد الله محمد بن علي ابن عبد الله القرظلياني (نسبة إلى قرظليانة أو كرابليانته على مقربة من أورثولة ، شرق

مُرْسِيَّةً، في الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الأَنْدَلُسِ). كان عالماً بالأعشاب وطبيباً جراحاً سَكَنَ مَرَاكُشَ مُدَّةٍ ثُمَّ عادَ إلى الأَنْدَلُسِ فَنُتُوْقِيَّ في غَرْنَاطَةَ (سَنَةَ ٧٦١ هـ). وللقَرِيبِيَّانِي هذا كِتابٌ في الأَعشابِ (النَّبَاتاتِ المُسْتخدَمَةِ في تَركِيبِ الأَدوية) ثم كِتابٌ «الأسْتِقاءِ والإِبْرَامِ في عِلاجِ الجِراحاتِ والأورامِ» أَلْفَهُ لِلسُّلْطانِ أَبِي الجَيوشِ نَصْرِ بْنِ مُحَمَّدِ النَّصْرِيِّ الَّذِي جاءَ إلى الحُكْمِ سَنَةَ ٧١١ للهجرةِ ثُمَّ خُلِعَ سَنَةَ ٧١٣. وكانت وفاته في وادي آسَ (قَرِبَ غَرْنَاطَةَ) سَنَةَ ٧٢٢ هـ (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي، ط ٤، ٦: ٢٨٥).

وفي أيامِ المُرْسِيَّينَ (ورُبَّما في النصفِ الثاني من القرنِ الهجريِ الثامن) كانت عائِشَةُ بنتُ الشَّيخِ الكاتِبِ الوجِيبِ أَبِي عَبدِ اللهِ بْنِ الجِيارِ المُحْتَسِبِ^(١) في مَدِينَةِ سَبْتَةَ في شَتائِ المُقَرَّبِ. زادت سِنُها على السبعينَ، وكانت عارِفَةً بالطَّبِّ والعِقايرِ، بِصِيرةِ المِماءِ (النَّظَرِ إلى بولِ المريضِ) وبِعلاماتِهِ (راجع النبوغِ المغربي ٢١٥).

ومن المذكورين في هذه الحِقْبَةِ الشَّريفُ الصِّقْلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَبدِ السلامِ التُّونِسِيِّ، كانَ في أيامِ أَبِي فارسِ عَبدِ العَزيزِ الحَفْصِيِّ (٧٩٦-٨٣٧ هـ) وصَنَّفَ لَهُ كِتابُ الأَطْباءِ (أو كِتابُ حِفْظِ الصِّحَّةِ) المَروفِ بالطَّبِّ الشَّريفِ. وله شرحٌ على أَلْفِيَةِ ابنِ سينا (بروكلمن ٢: ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٧).

وفي سَنَةِ ٨٩٧ للهجرةِ صَنَّفَ أَبُو عَبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبدِ المَلِكِ الحَسَنِيُّ المَضمودِيَّ مِنْ أَهْلِ تِلْسانَ كُتُباً جَعَلَهَا بروكلمن (٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٧) في فَصلِ الكِيمياءِ وعلومِ الجِغْرِ، هي: نُحْفَةُ مَنْ صَبَرَ على تَطْهيرِ الحَجَرِ (وهو عُنوانُ شَديدِ اللُّصوقِ بالكِيمياءِ، فالْمَقْصودُ بِالحَجَرِ هُنا حَجَرُ الفِلاسفةِ الَّذِي تُحَكُّ بِهِ المَعادِنُ الحَسيَّةُ فَتُصْبِحُ ذَهَباً، في ظَنِّهم) - الوافي في تَدْبِيرِ الكافي - المَحنةِ المَنكِيةِ (٢) لِمَبْتَدِئِ القِراءةِ المَنكِيةِ.

ويأتي في أواخرِ هذه السلسلَةِ عَبدُ القاهرِ بْنِ مُحَمَّدِ التُّونِسِيِّ، صَنَّفَ سَنَةَ ٨٩٩

(١) المحتسب هو الذي يتولى الحسبة (في الدولة الإسلامية): مراقبة السوق (مراقبة الأسعار والأخلاق العامة والبضائع والأطعمة).

لهجرة كتاب الطب في تدبير المسافرين ومَرْضَى الطاعون (بروكلمن، الملحق ٢ :
(٣٦٧).

رثاء البلدان:

الدُّنْيَا دَوْلٌ - والدَّوْلَةُ: اَنْتَقَالَ الْأَمْرَ مِنْ جَمَاعَةٍ إِلَى جَمَاعَةٍ، مَرَّةً يَكُونُ لِهَوْلَاءِ وَمَرَّةً يَكُونُ لِأَوْلَادِكُ، وَرَبَّهَا كَانَ لِقَوْمٍ ثُمَّ لَمْ يَمُذِّ إِلَيْهِمْ - والقاعدة أَنْ كُلَّ دَوْلَةٍ (بمعنى مُلْكٍ أَسْرَةٍ أَوْ فِرْدٍ جَمَاعَةٌ * مِنْ النَّاسِ أَوْ رُقْعَةٍ مِنَ الْأَرْضِ وَبمعنى حِيَازَةِ الْإِنْسَانِ ثَرْوَةً أَوْ تَمْتَعٍ فِرْدٍ بِجَاهٍ) لَا تَمِيشُ إِلَى الْأَبَدِ، بَلْ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ عُمُرٍ طَبِيعِيٍّ تَحْتِهَا فِي مَدَاهُ ثُمَّ تَسْقُطُ لِقَوْمٍ غَيْرِهَا مَكَانَهَا، كَمَا يَقُولُ ابْنُ خَلْدُونَ. وَلَقَدْ كَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ جَدًّا أَنْ يَحْزَنَ أَهْلُ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى زَوَالِ دَوْلَتِهِمْ أَوْ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَزُولَ دَوْلَتُهُمْ حِينَ يَبْدَأُ اتِّخَادُهَا نَحْوَ الزَوَالِ الْأَكِيدِ.

ولقد أراد الإسلام من الناس أن يكون لهم في زوال الدول والأسم عبرة فلا يظلم بعضهم بعضاً ولا يأتوا بما يعجل زوالهم أو يجعل زوالهم شديد الألم لهم - ما دام ذلك الزوال أمراً لا مفر منه - أو سيء العواقب عليهم وقومهم. ويكفي هنا قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى. أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا. أَفَلَا تَتَّقُونَ؟﴾ (١٢: ١٠٩، سورة يوسف). وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (٢٢: ٤٦، سورة الحج).

ومن أوائل الذين يحسن الاستبهاذ بهم من الشعراء في هذا الموضوع عبیدُ الله بن قيس الرقياتي (ت ٧٥ هـ) الأمويُّ قال في قصيدته الهزلية المشهورة (راجع الجزء الأول من هذه السلسلة) يخاف على دولة بني أمية القرشية أن تزول بالنزاع الذي كان بين الطامعين في الحكم (وقد سقطت الدولة الأموية، سنة ١٣٢ للهجرة - عام ٧٤٩ للميلاد):

* جماعة (بالصب): مفعول به من المصدر «ملك» مضافاً إلى فاعله (أسرة أو فرد).

حبّذا العيشُ حينَ قومي جميعاً
لم تُفرّقْ أمورها الأهواءُ؛
قبلَ أنْ تطمَعَ القبائلُ في مُدِّ
كِ قُرَيْشٍ وتشمّتَ الأعداءُ.
أهلها المُشتهي فناء قُرَيْشٍ؛
بيدَ اللهِ عُمُرُها والفساءُ.
إنْ تودَّعَ من البلادِ قُرَيْشُ
لا يَكُنْ بعدهمُ لحيٌ بقاءُ.

كانَ عبِيدُ اللهِ بنُ قيسِ الرُقَيّاتِ يَحْشَى على مُستقبلِ الدولةِ الأُمويّةِ. أمّا البُحْترِيُّ، في العصرِ العبّاسيّ، فقد جاءَ إلى العراقِ بعدَ وفاةِ أبي تَمّامٍ (٢٣٢ هـ = ٨٤٦ م) لِيُجَرِّبَ حَظَّهُ في التَكسُّبِ بالشعرِ. لم يَلتَقِ البُحْترِيُّ الناشئُ بعدَ ذلكِ الشاعرَ الراسخِ المكَانِبَةَ تُوْفِيقاً، فَذَهَبَ في يومٍ من الأيامِ إلى المدائنِ - وَهِيَ مَشْهُدٌ لِمَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ، على نَحْوِ عشرينَ ميلاً شَرْقَ بَغدَادَ - وَوَقَفَ عِنْدَ إِيوَانِ كِسْرَى يُعَرِّي نَفْسَهُ (الْحائِثَةَ فِي التَكسُّبِ بالشعرِ) بِزَوَالِ تِلْكَ الدَوْلَةِ العَظِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَنَتْ ذَلِكَ الإِيوَانَ (المَقَرَّ المَلِكِيَّ) ثُمَّ زَالَتْ، فَقَالَ (راجعَ الجزءَ الثاني من هذه السلسلة) قَصِيدَتَهُ السَّيْنِيَّةَ: «صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدُنْسُ نَفْسِي». فمن هذه القصيدة:

حَضَرَتْ رَحْلِي المُمُومُ فَوَجَّهَتْ
أَسْأَلُ عَنِ المُمُومِ وَأَسَى
ذَكَرْتَنِيهِمُ الخُطُوبُ التَّوَالِي،
فَكَأَنَّ المِرْمَازَ من عَدَمِ الأَنْزِ
لو تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي
حَضَرَتْ رَحْلِي المُمُومُ فَوَجَّهَتْ
أَسْأَلُ عَنِ المُمُومِ وَأَسَى
ذَكَرْتَنِيهِمُ الخُطُوبُ التَّوَالِي،
فَكَأَنَّ المِرْمَازَ من عَدَمِ الأَنْزِ
لو تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي

(١) الرحل: البيت، المكن؛ نزلت علي الموموم في بلدي فافرت وجئت إلى العراق. العنس: الناقة القوية. أبيض المدائن: المدائن (بلدة على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد).

(٢) أسي (بفتح فكسر ففتح) فلان على فلان: حزن عليه وأشفق. آل ساسان: ملوك الفرس. درس: دارس، محو العالم.

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة.

(٤) المرماز: بناء عظيم كان عند أبيض المدائن، وقد عسى (أحس) أثره (تاج العروس - الكويت ١٥: ٥٩). من عدم (فقدان) الإنس (بالكسر): الناس، السكان، وإخلاقه (ترك الناس له). البنية (بالفتح): كل ما بني. رمس: قبر.

وكانت الدواعي ليرثه المُدُن في الأندلس كثيرة، بعد أن بدأ الإسبانُ النَّصارى يتولون على المُدُن الإسلامية في تلك الحرب الصليبية التي سبقت الحرب الصليبية في المشرق.

في نَفْحِ الطيب (٤: ٣٥٢، راجع ٣٥٤، ٣٥٥؛ راجع وفيات الأعيان ٥: ٢٧):
 أَنْ مِنْ أَوَّلِ الْمَدِينِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي آسَتُوا عَلَيْهَا الْإِسْبَانُ مَدِينَةَ طُلَيْطَلَةَ، أَخَذَهَا
 الْفُونَسُو السَّادِسُ، سَنَةَ ٤٧٨ لِلْهِجْرَةِ، مِنْ يَدِ الْقَادِرِ بَحْيِيِّ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ ذِي النُّونِ.
 فَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَرْتِيهَا (نَفْحِ الطيب ٤: ٤٨٣ - ٤٨٦) بِقَصِيدَةٍ لَيْسَتْ مِنْ عِيُونِ
 الشُّعْرِ، وَلَكِنَّ فِيهَا عَاطِفَةٌ قَوِيَّةٌ مِنَ التَّعْبِيرِ وَكَشْفًا عَنْ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْأَمْرِ. مِنْ هَذِهِ
 الْقَصِيدَةِ الطَّوِيلَةِ:

طُلَيْطَلَةُ أَبَاحَ الْكُفْرُ مِنْهَا	جَاهَا. إِنَّ ذَا نَبَأٍ كَبِيرُ
فَلَيْسَ مِثَالَهَا إِيَّوَانُ كِسْرَى،	وَلَا مِثَالِهَا الْخَوْرَنْقُ وَالسِّدِيرُ ^(١) .
أَلَمْ تَكُ مَعْقَلًا لِلدِّينِ ضَعْبًا	فَذَلَّلَهُ كَمَا شَاءَ الْقَدِيرُ ^(٢) ؟
وَكَانَتْ دَارَ إِيمَانٍ وَعِلْمٍ	مَعَالِمُهَا الَّتِي طُمِسَتْ تُنِيرُ ^(٣) ،
فَسَادَتْ دَارَ كُفْرٍ مُصْطَفَاةً	قَدْ أَضْطَرَبْتَ بِأَهْلِهَا الْأُمُورَ ^(٤) :
مَسَاجِدُهَا كَنَائِسُ، أَيُّ قَلْبٍ	عَلَى هَذَا يَقْرُ وَلَا يَطِيرُ؟
أَتَأْمَنُ أَنْ يَجِلَّ بِنَا أَنْتِقَامُ	وَفِينَا الْفَسْقُ أَجْعُ وَالْفُجُورُ*؟
وَأَكُلُ لِلْحَرَامِ، وَلَا أَضْطَرَّارُ	إِلَيْهِ؟ فَيَسْهُلُ الْأَمْرُ الْعَصِيرُ.
يَزُولُ السُّرُّ عَنْ قَوْمٍ إِذَا مَا	عَلَى الْعِصْيَانِ أَرْخِيَتِ السُّتُورُ.
خُذُوا نَارَ الدِّيَانَةِ وَأَنْصُرُوهَا،	فَقَدْ حَامَتِ عَلَى الْقَتْلِ النُّسُورُ.

(١) إيوان كسرى لا يشبهها. ولا منها (وليس من نوعها أو مكانتها) الخورنق والسدير (قصران في جنوبي العراق من أيام المأذرة).

(٢) القدير: الله تعالى.

(٣) معالمها (مدارسها ومساجدها الخ التي طمست أو محبت الآن كانت من قبل تنير).

(٤) مصطفاة (مختارة): اختار الإسبان أخذها (الآن) دون غيرها. مصطفاة (أيضاً): مأخوذة - اصطفا فلان مال فلان: أخذه كله (القاموس ٤: ٣٥٢، السطر التاسع من أسفل).

(*) أجمع (بالضم) توكيد للفسق (فيما جيع أنواع الفسق). ثم «أجمع (بالفتح) حال من «فينا» (فيما جيعاً فسق).

ولا تهنوا، وسلّوا كُلاًّ عَضِبٍ
لقد صَمَّ السَّمِيعُ، فلم يُعَوَّلْ
تُجَادِبُنَا الأَعَادِي بِأَصْطِنَاعِ
فبَاقِي فِي الدِّيَانَةِ تَحْتَ خِزْيِ
وَأخِرُ مَارِقُ هَانَبَتِ عَلَيْهِ
كَفَى حَزَنًا بِأَنَّ النَّاسَ قَالُوا:
أَتَرَكُ دُورَنَا وَنَفَرْتُ عَنْهَا
لقد ذَهَبَ اليَقِينُ فلا يَقيُنُ،
فلا دِينَ ولا دُنْيَا، ولكنْ

تَهَابُ مَضَارِباً مِنْهُ التُّحُورُ^(١).
على نَبِيًّا، كما عَمِيَ البَصِيرُ^(٢).
فَتَنَجَذِبُ المُخَوَّلُ والفَقِيرُ^(٣):
تُتَبَّلُهُ الشَّوْبَةُ والبَعِيرُ^(٤)،
مَصَائِبُ دِينِهِ، فَلَهُ السَّمِيرُ^(٥).
إلى أَيْنَ التَّحَوُّلُ والمَسِيرُ؟
وليسَ لَنَا وَرَاءَ البَحْرِ دُورٌ؟
وَعَرَّ القَوْمَ بِاللهِ الغُرُورُ^(٦).
غُرُورٌ بِالعَيْشَةِ مَا غُرُورُ^(٧).

وَكثُرَ رِثَاءُ المُدُنِ والدُّوَلِ فِي الأَنْدَلُسِ. وَمِنْ أَشْهَرِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَصِيدَةُ آئِنِ عَبْدُونِ (ت ٥٢٩ هـ، راجع ترجمته في الجزء الخامس): «الدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ العَيْنِ بالأَثَرِ».

وجرت بين ملوك المغرب وملوك الأندلس مكاتبات، فكانت رسائلهم في ذلك - في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي استنهاض بعض أولئك الملوك همم بعضهم الآخر - مثل تلك القصائد.

- (١) لا تهنوا: لا تضعوا. العضب: السيف. تهاب (تخاف). انحر (أعلى الصدر): المكان الذي ينحر أو يذبح حنه البعير).
- (٢) كانت الأخبار تأتي بالخطر على طلبيلة فلم يلق الأمرء بالآ إلى ذلك.
- (٣) الاصطناع: تقرب الناس إليك شيء من المغانم المادية. المخول: الذي حوله الله (أعطاه) ملكاً أو خيراً كثيراً.
- (٣) تتبّله (تعوقه عن الحرب أو الهجرة) الشوية (الشاة الصغيرة) أو البعير (الحيوان الكبير): يخاف أن يجارب أو يهاجر فيخسر شيئاً (صغيراً أو كبيراً) يملكه.
- (٥) السمير: نار جهنم (في الآخرة). مارق: خارج من الإسلام (كافر).
- (٦) اليقين: الإيمان الثابت. الغرور (بالفتح): إبليس. راجع القرآن الكريم (٣١: ٣٣، سورة لقمان): ﴿... فلا تفرّجكم الحياة الدنيا، ولا يفرّجكم بالله الغرور﴾.
- (٧) ليس لمؤلاء دين، ولا هم يفهمون ما الدنيا (الحياة الكريمة)، ولكنهم مغرورون (مفتنون، متعلقون) بالحياة العادية. غرور ما غرور (اهتمام شيء قليل جداً من أسباب الحياة).

إن أسباب الخوف على مستقبل المسلمين في الأندلس كانت كثيرة منذ أيام ملوك الطوائف حينما بدأ تنازع ملوك الطوائف ثم استيلاء الإسبان النصراني على البلدان وعلى الحصون من أيدي الحكام المسلمين. ففي سنة ٤٨٨ للهجرة - لما استولى السيد القمبيطور على بلنسية قال ابن خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ) يأسي لحالها (نفع الطيب ٤: ٤٥٥):

عائت بساحتك الطبا، يا دارُ، ومحا محاسنك البلى والنار^(١)،
فلذا تردد في جنابك ناظرٌ طال أعتبارُ فيك وأستعمار^(٢).
أرضٌ تقاذفت الخطوب بأهلها، وتمخضت بحرابها الأقدار^(٣).
كئبت يدُ الحدثان في عرصاتها: (لا أنت أنت ولا الديار ديار)^(٤).

وقال القاضي أبو بكر بن العري لما جرت معركة ٥٢٧ للهجرة (١١٣٣ م) - عند إشيلية^(٥) - حينما جاء إلى تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾، الآية (٩):
٤١، سورة التوبة) ما يلي (نفع الطيب ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧):

ولقد نزل بنا العدو - قصمه الله تعالى - سنة سبع وعشرين وخمسمائة فجاس ديارنا^(٥) وأسر جيرتنا وتوسط بلادنا..... فقلت للوالي والمولى عليه^(١): هذا عدو الله قد حصل في الشرك والشبكة^(٢)، فلتكن عندكم بركة، ولتكن منكم إلى نصرة

(١) عات: أفسد، أتلغ، أهلك. الطبا (بالضم) جمع طبة (بضم ففتح بلا تشديد): حد السيف. وفي نفع الطيب: طبا (بالكسر) بقصد طبا. جمع طبية (غزال)، وهو خطأ. البلى: القدم (بكسر ففتح): تقادم الزمن والتمروء والملاك.

(٢) فلذا تردد (نقل البصر من مكان إلى مكان) في جنابك (أطرافك، أسامك) ناظر (عين). الاعتبار: الأتعاب بالمصائب. استعمار: بكاه (حزن).

(٣) الخطب (بالفتح): المصيبة. تقاذفت الخطوب بأهلها (شردت المصائب أهلها من مكان إلى مكان). تمخضت (تحركت ثم انجلت) الأقدار (جمع قدر - بفتح ففتح: وقوع ما كان الله تعالى قد قضاه أو حكم به في سابق علمه) عن حرابها.

(٤) الحدثان (مفرد): كناية عن الليل والنهار. والحدثان أيضاً: المصائب. ولا أنت أنت ولا الديار ديار: مطلع قصيدة لأبي تمام يمدح بها الفائد المباسي أبا سعيد محمد بن يوسف الثوري.

(٥) جاس بلادنا: وطنها، جاء إليها.

(٦) للوالي على البلد (إشيلية؟) وللمولى عليه: لأهل البلد (لناس كلهم).

(٧) في الشرك والشبكة (أصبح بين أيديكم بعيداً عن مراكز توبته ومهاطاً برعيتكم).

الدين الْمُتَعَنِّةَ عَلَيْكُمْ^(١) حَرَكَةً: فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهِ جَمِيعُ النَّاسِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ (إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ) فَيَحَاطُ بِهِ^(٢)، فَإِنَّهُ هَالِكٌ لَا مَحَالَةَ إِنْ يَسْرَكُمُ اللَّهُ لَهُ. فَغَلَبَتِ الذُّنُوبُ وَرَجَفَتِ بِالْمَعَاصِي الْقُلُوبُ، وَصَارَ كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ تَعَلُّبًا يَأْوِي إِلَى وَجَاهِهِ^(٣)، وَإِنْ رَأَى الْمَكِيدَةَ بِجَارِهِ * * . فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

- وَفِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٥٦٤ نَظَّمَ الشَّاعِرُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنَانِيُّ الْوُقَيْشِيُّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ السُّلْطَانِ يَوْسُفَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (ثَانِي سَلَاطِينَ الْمُوَحَّدِينَ) وَقَالَ فِيهَا يَصِفُ حَالَ الْأَنْدَلُسِ وَيَحْتُّ عَلَى الْجِهَادِ (الذَّيْلُ وَالتَّكْمِلَةُ ١: ١٩٧ - ١٩٩):

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُمِدُّ لِي الْمَدَى فَأُبْصِرَ حَفْلَ الْمُشْرِكِينَ طَرِيدًا^(٤)؟
 وَهَلْ، بَعْدُ، يُقْضَى فِي النَّصَارَى بِنُصْرَةٍ تُعَادِرُهُمُ لِلْمُرْهَفَاتِ حَصِيدًا^(٥)؟
 وَيَغْزُو أَبُو يَعْقُوبَ فِي شَانِتِ يَاقِبٍ يُعِيدُ عَمِيدَ الْكَافِرِينَ عَمِيدًا^(٦)؟
 وَيَفْتِكُ مِنْ أَيْدِي الطُّغَاةِ نَوَاعِمًا تَبْدُلُنَ مِنْ نَظْمِ الْحُجُولِ قُبُودًا^(٧)؟
 وَعَقَرَ مِنْهُنَّ التُّرَابُ تَرَائِبًا وَخَدَّدَ مِنْهُنَّ الْهَجِيرُ خُدُودًا^(٨)؟

(١) الْمُتَعَنِّةَ عَلَى الْوَالِي وَعَلَى النَّاسِ: الْوَاجِبَةَ عَلَيْهِمْ.

(٢) يَحَاطُ بِهِ: يَصْبَحُ مَحْضُورًا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

(٣) الْوَجَارِ شَقٌّ فِي الْأَرْضِ يَدْخُلُهُ الْحَيَوَانَاتُ كَالثَّعَالِبِ وَالْأَرَاتِبِ.

(*) * * * . مَعَ أَنَّهُ يَرَى اسْتِيلَاءَ الْعَدُوِّ عَلَى أَرْضِ جَارِهِ أَوْ يَرَى أَنَّ الْعَدُوَّ يَقْتُلُ جَارَهُ.

(٤) يُمِدُّ لِي الْمَدَى (الْمُسَاعَدَةُ): يَطُولُ عَمْرِي. الْحَمْلُ: الْاجْتِمَاعُ. طَرِيدٌ: مَطْرُودٌ، مُشْرَدٌ.

(٥) الْمُرْهَفُ: السِّيفُ. حَصِيدٌ: مَحْضُودٌ (مَقْتُولٌ).

(٦) أَبُو يَعْقُوبَ: السُّلْطَانُ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ. شَانِتُ يَاقِبٍ (سَانَتُ يَاقُو، الْيَوْمُ) بَلَدٌ فِي أَفْصَى الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ. عَمِيدُ الْكَافِرِينَ: رَئِيسُ الْإِسْبَانِ. عَمِيدٌ: مَعْمُودٌ (مَضْرُوبٌ عَلَى رَأْسِهِ بِالْمَعْمُودِ) مَقْتُولٌ (وَيُزُولُ مَلِكُهُ).

(٧) الطُّغَاةُ جَمْعُ طَاغِيَةٍ (وَكَانَ الْعَرَبُ يَطْلُقُونَ كَلِمَةَ طَاغِيَةٍ عَلَى كُلِّ مَلِكٍ مِنْ مَلُوكِ الْإِسْبَانِ). نَوَاعِمُ جَمْعُ نَاعِمَةٍ (فَنَاءٌ شَائِئَةٌ، أَمْرَأَةٌ فَتَيَّةٌ). الْحَمْلُ (بِالْكَسْرِ): الْخَلْخَالُ (بِالْفَتْحِ). بَدَلًا مِنْ أَنْ يَتَأَنَّقْنَ فِي لَيْسِ الْخَلَاخِيلِ فِي أَرْجُلِهِنَّ لِلزَّيْنَةِ أَصْحَحَتِ الْقُبُودَ تَوَضَّعَ فِي أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ فِي الْأَسْرِ وَالسَّخَنِ.

(٨) عَقَرَ فَلَانٌ الشَّيْءَ: مَرَّعَهُ فِي النَّبَارِ أَوْ أَدْخَلَهُ فِي التُّرَابِ. التَّرِيَّةُ: الْجَانِبُ الْأَعْلَى مِنَ الصَّدْرِ. خَدَّدَ: شَقَّقَ. الْهَجِيرُ: حَرٌّ نَعْفَ النَّهَارِ (كِتَابَةُ عَنِ الْعَمَلِ وَقَتِ الظُّهْرِ) حِينَ يَسْتَرِيحُ النَّاسُ عَادَةً بِالْقِيلُولَةِ (بِالنُّومِ بَعْدَ الظُّهْرِ).

ولما عظم خطرُ الإسبانِ على بَلَنَسِيَّةٍ قبلَ سُقوطِها^(١) جاء من أهلها وفدٌ إلى السُّلطانِ أبي زكريَّا الحفصيِّ صاحبِ تونس، في رَجَبٍ من سَنَةِ ٦٣٦. وكان في الوفدِ ابنُ الأَبَارِ القضاي^(٢) فأشَدَّ قصيدته السينية «أذركَ بِخَيْلكَ خَيْلَ اللهِ أُنْدُلُسا» بين يَدَيِ السُّلطانِ الحفصيِّ.

وفي هذا الوقتِ نفيه، قُبيلَ سقوطِ بَلَنَسِيَّةٍ، وَجَّهَ بعضُ الشُّعراءِ إلى السُّلطانِ الحفصيِّ أبي زكريَّا نفيه قصيدةً مطلعُها «نادتْكَ أُنْدُلُسُ قَلْبَ نِداءِها»^(٣) جاء فيها (نفع الطيب ٤: ٤٧٩-٤٨٣):

تِلْكَ الجزيرةُ لا بقاءَ لها، إذا لم يَضْمَنِ الفتحُ القريبُ بقاءَها^(٤).
أشقى على طَرْفِ الحياةِ دَمًاؤها، فأستَبِقِ للدينِ الحنيفِ دَماءَها^(٥).
حاشاك أن تَفنَى حشاشتها، وقد قَصَرْتَ عليك نِداءَها ورجاءَها.
إيه، بَلَنَسِيَّةُ، وفي ذِكرِكَ ما يَمْرِي الشُّؤنَ دِماءَها لا ماءَها^(٦).
كيف السبيلُ إلى احتلالِ معاهِدِ شَبِّ الأَعاجِمِ دونَها هَيْجاءَها^(٧).
بأبي مدارسُ كالطُّولِ دِوارسُ نَسَخَتْ نِواقيسَ الصليبِ نِداءَها^(٨).

وأشهرُ القصائدِ في هذا البابِ قصيدةُ أبي البقاءِ صالحِ بنِ يزيدِ الرُنديِّ (ت ٦٨٤ هـ): «لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تَمَّ نُقصانُ» (راجع ترجمة الرندي هذا في هذا الجزء). ومع أن هذه القصيدة قد عُرِفَتْ بِاسْمِ «رِثاءِ الأُنْدُلُسِ»، فإنها قد نُظِمَتْ

(١) استولى الإسبان عليها ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م).

(٢) ابن الأَبَارِ القضاي (ت ٦٥٨ هـ، راجع ترجمته في هذا الجزء).

(٣) لَبِّي: أجاب.

(٤) إذا لم تنقذها أنت قريباً، فإن الإسبان سيستولون عليها.

(٥) أشقى: قرب، اقرب. الدماء: بقية الحياة. الدين الحنيف: الإسلام.

(٦) مرى يبرى (مسح): يبرى الحالبُ ضرعُ (بالكسر) النعمة لسبيل اللبن منه. الشان (بالفتح، وجه شؤن): مجرى الدمع من العين. يبرى الشؤن: يجملنا نيكى حزناً.

(٧) احتلال: سكنى. المعهد (المترز الذي ألفه الإنسان) شَبِّ: أوقد. الأَعاجِمِ (هنا): نصارى الإِسبا الذين لا يتكلمون العربية. دونها (دون رجوعاً أو وصولنا إليها). الهيجاء: الحرب.

(٨) مدارس (هنا) مآذن، مساجد (لأنَّ المسجد في الإسلام مكان الدراسة والعلم). الطلل: بقايا البناء ب نذمه (الأصح: المكان الذي زال منه البناء). دِوارس (جمع دارس: محو).

قبل سُقُوطِ الأندلسِ بقرنَينِ كاملين .

وكان بينَ أبي الطَّرَفِ أحدَ بنِ عبدِ الله بنِ عُمَيْرَةَ (٥٨٢ - ٦٥٨ هـ) وأبي عبدِ الله محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ الأَبَارِ القُضاعيِّ (٥٩٥ - ٦٥٨ هـ) صِدَاقَةٌ ومُكاتباتٌ . فلَمَّا سقطتْ بَلَنْسِيَةُ ورَدَّ على ابنِ عُمَيْرَةَ رسالةً منَ ابنِ الأَبَارِ (في شأنِ بَلَنْسِيَةِ ، فيما يبدو ، وبعدَ انقطاعِ المكاتبةِ بينها زَمناً) ، فرَدَّ عليها ابنُ عُمَيْرَةَ برسالةً طويلةً من النثر والنظم جاء فيها (نفع الطيب ٤ : ٤٩٠ - ٤٩٦) :

..... وأعودُ من حيثُ بدأ الأُخُ الذي أبُتُّ شوقِي وأنطَمُ حلاوةَ عِشرتهِ باقيةً في حاسَةِ ذوقِي ، طارَحَني حديثَ مَورِدِ جفٍّ وقَطَينِ خَفٍّ^(١) . فيا - الله - لأترابِ دَرَجوا^(٢) وأصحابِ عَنِ الأوطانِ خَرَجوا . قُصَّتِ الأجنحةُ وقيل : طيروا ، وإنَّما هو القتلُ أو الأسرُ أو تَسيروا . فتفرَّقوا أَيْدي سِبا وانتشروا يلبئُ الوهادِ والرُهي^(٣) ففي كلِّ جانبِ عَويلٍ وزَفرةٍ ، وبكلِّ صَدْرٍ غَليلٍ وحَسرةٍ^(٤) . ولكلِّ عَينٍ عَبرةٌ لا تَرَقاً من أَجلِها عَبرةٌ^(٥) . داءُ خامَرَ بِإِلادنا حينَ أتاها ، وما زال بها حتَّى سَجَى^(٦) على مَوتِها ، وسَجَا^(٧) لِيَومِها الأَطولِ كَهَلِها وقتِها . وأندَرُ بها في القومِ بُحرانُ أنيعةٍ^(٨) يومَ آثاروا أَسْداها المَهيبةً ، فكانت تلكَ الحُطْمَةُ طَلَّ الشُّبُوبِ^(٩) وباكورةَ البلاءِ

(١) طارح فلان فلاناً حديثاً: حاوره بمحدث. المورد: مكان شرب الماء. القطين: الساكن. خفّ: ارتحل.

(٢) التراب (بالكسر) - تراك من كانت سته مثل سنك. درج: ذهب (مات). النداء (هنا): الأذان (النداء إلى الصلاة).

(٣) تفرّقوا أيدي سباً (في كل مكان)، كما تفرّق أهل اليمن بعد انفجار سد مأرب. الوهدة (بالفتح): ما انخفض من الأرض.

(٤) الغليل: شدة العطش وحرارته (والحزن).

(٥) عبرة (بالكسر): عظة، درس، مفزى، (وبالفتح): دمة، بكاء. رقاً: جفّ (الدمع) وانقطع.

(٦) سجى البيت (بفتح فسكون): غطّاه.

(٧) سجا الأمر فلاناً (جملة مجزن).

(٨) كان قد سبق سقوط بلنسية معركة أنيعة (أو أنيسة) التي دلت على ضعف المسلمين هناك. البحران: شدة الحر (ودخول المريض في الهذيان من شدة الحمى). الحطمة (بضم فتح): النار الشديدة. الناقة التي تضرب الأرض بجنفها ضرباً شديداً، الحادث النيف. الطل: أول المطر، المطر الخفيف.

(٩) الشوبوب: الدضة (بالضم): الكبيرة من المطر. سقوط أنيعة (وهي بلدة صغيرة) كان البدء لسقوط المدن الكبيرة (مثل بلنسية).

المُصِيب. أَتَكَلَّنَا إِخْوَانًا^(١) أَبْكَانَا نَعِيْهُمُ.....

في نفع الطيب (٤ : ٣٨٥ وما بعد):

ولم يَزَلْ بنو مَرِيْنٍ يُعِينُونَ أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ بِالْمَالِ وَالرِّجَالِ، وَتَرَكُوا مِنْهُمْ حُصَّةً مُّتَعَبَةً^(٢) مِنْ أَقَارِبِ السُّلْطَانِ بِالْأَنْدَلُسِ غَزَاةً. فَكَانَتْ لَهُمْ وَقَائِعٌ فِي الْعَدُوِّ مَذْكُورَةٌ وَمَوَاقِفٌ مَشْهُورَةٌ. وَكَانَ عِنْدَ أَبِي الْأَحْمَرِ^(٣) مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ بِغَرْنَاطَةَ وَعَلَيْهِمْ رَيْسٌ مِنْ بَيْتِ مُلْكِ بَنِي مَرِيْنٍ يُسَمُّونَهُ « شَيْخَ الْغَزَاةِ ». وَلَمَّا أَفْضَى الْمُلْكُ إِلَى السُّلْطَانِ الْكَبِيرِ الشَّهِيرِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرِيْنِيِّ، وَخَلَّصَ لَهُ الْمَغْرِبُ وَبَعْضُ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، أَمَرَ بِإِنْشَاءِ الْأَسَاطِيلِ الْكَثِيرَةِ بِرَسْمِ الْجِهَادِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْتَمَّ بِذَلِكَ غَايَةَ الْأَهْتَامِ.

فَقَضَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ آسَتَوَى الْإِفْرَنْجُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ تِلْكَ الْمَرَاقِبِ بَعْدَ أَخْذِهِمُ الْجَزِيرَةَ الْخَضْرَاءَ، وَكَانَ الْإِفْرَنْجُ قَدْ جَمَعُوا جُمُوعًا كَثِيرَةً بِرَسْمِ الْأَسْتِيلَاءِ عَلَى مَا بَقِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْأَنْدَلُسِ. فَاسْتَنْفَرُوا^(٤) أَهْلَ الْأَنْدَلُسِ السُّلْطَانَ أَبَا الْحَسَنِ الْمَذْكُورَ، فَجَاءَ بِنَفْسِهِ إِلَى سَبْتَةَ - فُرْضَةَ الْمَجَازِ^(٥) وَمَحَلَّ أُسَاطِيلِ الْمُسْلِمِينَ - فَإِذَا بِالْإِفْرَنْجِ جَاءُوا بِالشُّنِّ آتِيًا لَا تُحْصَى وَمَتَّعُوا مِنَ الْعُبُورِ وَإِعَاثَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ حَتَّى آسَتَوَلَوْا عَلَى الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ^(٦) وَأَنْكَبُوا فِي مَرَاقِبِهِ عَظَمًا نَكَايَةً^(٧)، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ.

وقد أضح عن ذلك كتابٌ صَدَرَ مِنَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَذْكُورِ إِلَى سُلْطَانِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ بْنِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ الصَّالِحِيِّ الْأَلْفِيِّ^(٨).....

- (١) أَتَكَلَّنَا (أفقدنا بالوت). النمي (بتشديد الباء): الذي يعلن خبر الموت.
- (٢) حصة (قسم) معتبرة (واقية، كثيرة): جماعة من جنود بني مريْن.
- (٣) ابن الأحمر لقب لكل سلطان من سلاطين بني نصر في غرناطة.
- (٤) استنفر الرجل قومه: دعاهم (وأوجب عليهم) أن يسيروا للحرب.
- (٥) الفرسة: الخليج (على النهر أو البحر) ترسو فيه السفن. المجاز (بحر المجاز) الذي يجوز (ينتقل) فيه الناس بين برّ المغرب وبرّ الأندلس.
- (٦) الجزيرة الخضراء: الطرف الأقصى من جنوبي جزيرة الأندلس، ومدينة هناك أيضاً.
- (٧) أنكبوهم (في القاموس: نكبوهم - يفتح ففتح فسكون): غلبوه، قهروه..... أغرّفوا كثيراً من مراكبه.
- (٨) الملك المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) الصالحى (لأنّ الملك الصالح نجم الدين أيوب قد أعتقه سنة ٦٤٧ للهجرة) (الألفي، لأنّ سيده كان قد اشتراه بألف دينار).

وبَعْدَ خَسْرٍ صَفَحَاتٍ مِنْ دِيْبَاغَةٍ فِي التَّمَدُّحِ وَالْمَدِيحِ وَبَثَّ الْأَشْوَاقَ وَذَكَرَ
 الْمَافَاخِرَ تَبْدَأُ رِسَالَةً أَيْ الْحَسَنِ الرَّيْفِيِّ إِلَى الْمَلِكِ الصَّالِحِ (٤: ٣٩١ وما بعد):

.... لَمَّا وَصَلْنَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ^(١)، وَنَادَى مُنَادٍ لِلجِهَادِ عَزْمًا لِيُمِثِلَ نِدَائِهِ
 يُصِيخُ^(٢)، أَنْبَأَنَا أَنَّ الْكُفَّارَ قَدْ جَمَعُوا أَحْزَابَهُمْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ^(٣)، وَحَتَمَ عَلَيْهِمْ
 بِأَبَاهُمْ اللَّعِينُ التَّنَاصُرَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ^(٤)، وَأَنْ تَقْصِدَ طَوَائِفُهُمُ الْبِلَادَ الْأَنْدَلُسِيَّةَ
 بِإِجْفَائِهَا وَتَنْقُصَ بِالْمُنَازَلَةِ أَرْضَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا^(٥) لِيَنْحُوا كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ مِنْهَا وَيُقْلَصُوا
 ظِلَّ الْإِسْلَامِ عَنْهَا. فَقَدَمْنَا مَنْ يَشْتَفِلُ بِالْأَسَاطِيلِ مِنَ الْفُؤَادِ، وَسِرْنَا عَلَى أُنْزِهِمْ إِلَى
 سَبْتَةِ مُنْتَهَى الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَبَابِ الْجِهَادِ. فَمَا وَصَلْنَاهَا إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ أَخَذَهُ الْعَدُوُّ
 الْكَافِرُ، وَسَدَّتْ أَجْفَانُ الطَّوَاعِيَةِ^(٦) عَلَى التَّعَاوُنِ مَجَازَ الْعُبُورِ.... لَكُنْنَا - مَعَ
 أَنْسَادِ تِلْكَ السَّبِيلِ..... - حَاوَلْنَا إِسْمَادًا تِلْكَمُ الْبِلَادِ بِحَسَبِ الْجُهْدِ،
 وَأَصْرَخْنَاهُمْ^(٧) بِمَنْ أَمَكْنَ مِنَ الْجُنْدِ..... وَأَمَرْنَا لِصَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْمَالِ بِمَا
 يُجَهِّزُهُ بِهِ حَرَكَتَهُ لِمُدَانَاةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ^(٨).... وَقَدْ كَانَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ حِينَ
 قَضَى بِأَخْذِ هَذَا الشَّعْرِ^(٩)، أَنْ قَدَّرَ لَنَا فَتْحَ جَبَلِ طَارِقٍ^(١٠) مِنْ أَيْدِي الْكُفْرِ وَهُوَ الْمُطِيلُ

(١) الصرّيح: الاستغاثة.

(٢) عزمًا (مفعول به من نادى). بصيح: يميل (بسمعه). - كان عزمنا في الاستجابة لندائه أكيداً مخلصاً
 مثل استغاثته بنا.

(٣) لَمَّا وَصَلْنَا مِنَ الْأَنْدَلُسِ الصَّرِيخُ... أَنْبَأَنَا (أخبرنا). صوب: جهة.

(٤) حتم: أوجب، فرض. لَمَّا كُنْتُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ، سَنَةَ ٧٤٥ لِلهَجْرَةِ (١٣٤٥ م) كَانَ الْبَابُ فِي رُومِيَّةِ
 كَلِيمَتِ السَّادِسِ (١٣٤٢ - ١٣٥٢ م). الْأَوْبُ: الْمَهْمَةُ وَالنَّاحِيَةُ.

(٥) الإِجْفَاءُ: السَّرْعَةُ (الاسْتِبْلَاءُ عَلَى الْأَرْضِ بِلا حَرْبٍ). تَنْقُصُ (فَعْلٌ مُتَمَدِّدٌ) طَوَائِفَ الْإِنْسَانِ (فَاعِلٌ)
 بِالْمُنَازَلَةِ (الْقِتَالِ، الْمُبَارَاةِ فِي الْقِتَالِ) الْأَرْضَ (مَفْعُولٌ بِهِ) مِنْ أَطْرَافِهَا (جَوَانِبِهَا). رَاجِعِ الْقُرْآنَ
 الْكَرِيمَ: ﴿أَوَّلُ بَرِّوْنَا أَنَا نَأْيُ الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ (١٣: ٤١، سُورَةُ الرَّعْدِ).

(٦) الْأَجْفَانُ جَمْعُ جَفْنٍ (بِالْفَتْحِ): مَرْكَبٌ حَرْبِي (٥). الطَّوَاعِيَةُ (جَمْعُ طَاغُوتٍ): الشَّيْطَانُ كِتَابَةٌ عَنِ
 الْإِنْسَانِ.

(٧) أَصْرَخَ: أَغَاثَ، سَاعَدَ.

(٨) لِمُدَانَاةِ مَحَلِّ حِزْبِ الضَّلَالِ (لِلتَّقَرُّبِ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُهَاجِمِينَ بِمِيشٍ: لِلحِيلُولَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ احْتِلَالِ
 الْمَدِينِ).

(٩) الشَّعْرُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَمْشِي بِجِهَةِ الْعَدُوِّ مِنْهُ (بَرًّا أَوْ بَحْرًا).

(١٠) جَبَلُ طَارِقٍ: رَأْسُ صَخْرِي شَرْفٍ عَلَى الْبَحْرِ عِنْدَ طَرَفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ جَنُوبًا.

على هذه المدرة^(١)، والفرصة منها - إن شاء الله - متيسرة^(٢).... وعُدنا لحضرتنا^(٣) فاس لتستريح الجيوش من وعثاء السفر^(٤) وترتبط الجياد وتتخَبَّ العُدَّة^(٥) لوقت الظهور المنتظر وتكون على أهبة^(٦) الجهاد.....

وعند عودنا من تلك المحاولة، تيسر الركب الحجازي^(٧) موجهاً إلى هنالكم رواجه^(٨)، فأصدرنا إليكم هذا الخطاب.... واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء^(٩). وما لكم من غرض بهذه الأنعام فموتى قصده على أكمل الأهواء^(١٠)... والبلاد باتحاد الودّ متحدة، والقلوب على ما فيه مرضاة الله - عز وجل - منعقدة. جعل الله ذلكم خالصاً لرب العباد مذخوراً ليوم التناد^(١١) مسطوراً في الأعمال الصالحة يوم المعاد^(١٢).... والسلام الأتمّ بحضرتكم كثيراً كثيراً^(١٣) ورحمة الله وبركاته. وكتب يوم الخميس السادس والعشرين من صفر المبارك من عام خمسة

-
- (١) المدرة: القرية (الدينة) المبنية بالطين (أي مدينة الجزرة الحضر التي نبيت هنالك لتكون مكاناً لتحصن الجيوش).
- (٢) ... متيسرة (سهلة) لمهاجرة الإسبان.
- (٣) المحصرة: العاصمة.
- (٤) وعثاء السفر (شدته والتعب الذي يقاومه المسافر).
- (٥) ارتباط الجياد (الحيل): إعدادها للحرب. العدة (بالضم): آلة الحرب.
- (٦) الأهبة: العدة (بالضم) الوسيلة، الاستعداد.
- (٧) الركب الحجازي: القافلة المتوجهة إلى الحجاز للحج.
- (٨) الراحلة: الحيوان (البعير، الحصان، الخ) الذي يافر الناس عليه.
- (٩) نحن نعتقد أنكم إذا دُعيتُم إلى مثل هذه المساعدة في الدفاع عن المسلمين في الأندلس، ولا يخشى جديده من البلاء. (الاحتبار): أنتم معروفون أن أعمالكم الماضية كانت للدفاع عن الإسلام والمسلمين (وهذا ملموح في ثنايا الرسالة)، فلن يكون موقفكم الجديد إلا كموافقكم القديمة.
- (١٠) وما لكم (ما ترغبون فيه) من غرض (حاجة أو رغبة) بهذه الأنعام (في بلادنا: المغرب) فموتى (تقوم لكم به) على أكمل الأهواء (على أحسن ما ترغبون).
- (١١) مذخوراً: مذكراً، محفوظاً. التناد = التنادي (يوم القيامة)، إذ يكثر فيه تادي الناس: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة يستغيثون بهم لشيء من الماء مثلاً) وينادي أصحاب الجنة أصحاب النار (ليذكروهم بأن أعمالهم - أعمال أصحاب النار - في الدنيا لم تكن صالحة).
- (١٢) يوم المعاد: يوم القيامة (عودة البشر كلهم إلى ربهم للحساب).
- (١٣) الأثير: الفاضل، الكريم.

وأربعين وسبعمائة^(١).

وفي سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٥٠ م)، أو بعدها بقليل كتب لسان الدين بن الخطيب على لسان سلطان غرناطة أبي الحجاج يوسف النيار بن إسماعيل (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ) «رسالة إعلامية» (من الدعاية الرسمية) يُشدد فيها عزائم الرعية على شوق من الصبر على الضيق النازل بقرناطة ويُميّهم^(٢) بفرج أوسع مدى. في هذه الرسالة (نسخ الطيب ٤: ٤٤٢ - ٤٤٤):

.... فقد علمتم، ما كانت الحال آلت^(٣) إليه من ضيقة البلاد والعياد بهذا الطاغية^(٤) الذي جرى في ميدان الأمل جري الجموح^(٥)، ودارت عليه خمرة النخوة والخيلاء مع الفبوق والصبوح^(٦)، حتى طمح بسكر أعزازيه. و (قد) مُحص^(٧) المسلمون على يده بالوقائع التي تُجاوِزُ مُنتهى مقداره^(٨)، وتوجهت إلى استئصال الكلمة^(٩) مطامع أفكاره، ووثق بأنه يُطفئ نور الله بناره. ونازل جبل الفتح فشد مُحقق حصاره^(١٠).... وساء الظنون في هذا القطر الوحيد^(١١) المنقطع بين الأمة الكافرة والبُحور الزاخرة والمرام البعيد. وإننا صابرين بالله^(١٢) تعالى تيار سيله واستضأنا بنور التوكل عليه في جنح هذا الخطب ودجنة ليله^(١٣)، ولجانا إلى

(١) يوافقه في التوفيم الميلادي ١٣٤٤/٧/٩.

(٢) يجعل لهم أمنية: أملاً مقبلاً.

(٣) آلت: رجعت، صارت (وصلت).

(٤) كان المسلمون في الأندلس يطلقون على ملوك إسبانية لقب «الطاغية» (الظالم المتجبر).

(٥) الجموح: الحصان الشيط النافر الذي لا يكاد يمكن أحداً من ركوبه.

(٦) خمرة (الصواب: خمرة). الخيلاء: التكبر. الحماة، التعاطف، التكبر. الفبوق: شرب الخمر ساء. الصبوح: شرب الخمر صباحاً.

(٧) مُحص: طهر، اختبر، نفى الكدر والثوابث من الماعن. مُحص (القتال) الناس: نفى منهم من لا يصلح (أهلك أكثرهم).

(٨) قتل من المسلمين، أكثر مما كان هو قادراً على قتله (لضعف المسلمين ونخادهم).

(٩) استئصال: اقتلاع. الكلمة (كلمة التوحيد).

(١٠) جبل الفتح: جبل طارق.... اشتد عليه الحصار.

(١١) الوحيد (هنا) المنفرد بنفسه والمنقطع عن إخوانه المسلمين.

(١٢) صابرين بالله (استمناً بالله ليكون صبرنا على القتال أكثر من صبر عدونا).

(١٣) الجنح: الجانب من الليل. الدجنة: الظلام.

مَنْ يَبِيدُهُ نَوَاصِيِ الْخَلَائِقِ (١).... وَفَسَخْنَا مَجَالَ الْأَمَلِ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ الْمُتَضَايِقِ....
 وَلَمْ نُقَصِّرْ - مَعَ ذَلِكَ - فِي إِبْرَامِ الْعَزْمِ وَأَسْتِشْعَارِ (٢) الْحَزْمِ وَإِمْدَادِ الثُّغُورِ بِأَقْصَى
 الْإِمْكَانِ وَبَعَثِ الْجِيُوشَ إِلَى مَا يَلِينَا عَلَى الْأَحْيَانِ (٣). فَرَحِمَ اللَّهُ أَنْقِطَاعَنَا إِلَى كَرَمِهِ
 وَأَلْتِجَاءَنَا إِلَى حَرَمِهِ (٤)، فَجَلَى (٥) بِفَضْلِهِ، سُبْحَانَهُ، ظَلَمَ الشَّدَّةَ وَمَدَّ عَلَى الْحَرِيمِ
 وَالْأَطْفَالَ ظِلَالَ رَحْمَتِهِ الْمُنْتَدَّةِ.....

وَبَيْنَمَا شَفَقْتُنَا عَلَى جَبَلِ الْفَتْحِ تُقِيمُ وَتُقْعِدُ، وَكَلَبُ (١) الْأَعْدَاءِ عَلَيْهِ يُبْرِقُ
 وَيُزْعِدُ، وَالرَّجَاءُ وَالْيَأْسُ خَصَانِ: هَذَا يُقَرِّبُ وَهَذَا يُبْعِدُ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا الْبَشِيرُ
 بِأَنْفِرَاجِ الْأَزْمَةِ وَحَلَّ تِلْكَ الْعَزْمَةَ وَمَوْتَ شَاهِ تِلْكَ الرَّقْمَةِ (٢) وَإِبْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى
 تِلْكَ الْبَقْعَةِ (٣)، وَأَنَّهُ، سُبْحَانَهُ - أَخَذَ الطَّاعِيَةَ (٤) أَكْمَلَ مَا كَانَ أَغْتَرَارًا وَأَعْظَمَ
 أَنْصَارًا.... وَأَنَّ مَنْ يَبِيدُهُ الْأَمْرُ طَرَقَهُ بِحَتْفِهِ (٥) وَأَهْلَكَهُ بِرُغْمِ أَنْفِهِ، وَأَنَّ مَحَلَّتَهُ
 عَاجِلَهَا التَّيَّابُ وَالتَّبَارُ (٦)، وَعَاطَتْ فِي مَنَازِلِهَا النَّارَ (٧).... وَأَنَّ حُمَاتَهَا (٨) يَخْرُبُونَ

-
- (١) إلى من يبيده.. (إلى الله). الناصية: مقدم الرأس أو شعر مقدم الرأس.
 (٢) استشار (بس) الحزم (البت في الأمور): تظاهرها بذلك.
 (٣) الثغر: المكان الذي يحشى بميه العدو منه. لينا: يكون إلى جانبنا، على مقربة منا. على الأحيان: حيناً بعد حين (٢).
 (٤) الحرم: المكان الذي يحميه صاحبه. حرم الله: المكان الذي لا يجوز فيه القتال.
 (٥) جلى: كلف.
 (٦) الكلب (بفتح ففتح): شدة الأذى.
 (٧) الأزمة: الشدة. العزمة: الإرادة. شاه (ملك) الرقمة: رقعة الشطرنج (بالكسر): كناية عن ملك الإسيان ألفونسو الحادي عشر الذي توفي في أثناء حصار جبل طارق، عام ١٣٥٠ للميلاد (٧٥١هـ). - التعبير «شاه تلك الرقمة» مأخوذ من المقامة المضيرية لبيع الزمان الهذاني (ت ٣٩٨هـ).
 (٨) تلك البقعة (التي كانت قد بقيت للمسلمين في الأندلس).
 (٩) أخذ الطاغية: أماته.
 (١٠) طرقه (أناه بفتحة) بحتفه (بهاكه).
 (١١) التياب والتبار: الهلاك.
 (١٢) عات: أزد.
 (١٣) الهامة: الجنود (المدافعون، الأبطال).

بيوتهم بأيديهم وينادي بِشَنَاتٍ^(١) الشَّمْلُ مُنَادِيهِمْ. وتلاحقَ الفُرسَانُ^(٢) مِنْ جَبَلِ القَتْحِ (ذلك) المَعْقِلِ^(٣) الذي عليه من عنايةِ الله تعالى رواقٌ مضروب، والرُّبَاطِ^(٤) الذي مِنْ حَارِبِهِ فَهُوَ المَهْرُوب^(٥). فأخْبَرَتْ بانفراجِ الضيقِ وارتفاعِ العائقِ لها عن الطريقِ.... وَأَنَّ النصرارى - دَمَرَهَا اللهُ تعالى - جَدَّتْ في آرْتَحَالِهَا^(٦) وأسْرَعَتْ بِجِيْفَةٍ طَائِعِيَّتِهَا^(٧) إلى سوءِ مَالِهَا^(٨) وحَالِهَا، وَسَمَحَتْ للنَّارِ والنَّهْبِ بِأَسْلَابِهَا وَأَمْوَالِهَا^(٩). فَبَهَرْنَا هَذَا الصُّنْعُ الإلهيَّ الذي مهدَ الأقطارَ بعدَ رَجْفَانِهَا^(١٠) وَأَنَامَ العيونَ بعدَ سُهَادِ أَجْفَانِهَا.... ورأينا سِرَّ اللطائفِ الحَقِيْبَةِ كيفَ سَرَّيَانُهُ في الوجودِ وشَاهِدْنَا بالبيانِ أنوارَ اللطائفِ الإلهيةِ والجودِ. وَقُلْنَا: إِنَّمَا هُوَ القَتْحُ الأوَّلُ شُمْعُ بِنَانٍ، وقواعدُ الدينِ الحَنيفِ أُيْدَتْ من صُنْعِ اللهُ بَيْنَانٍ^(١١). اللَّهُمَّ، لك الحمدُ على نِعْمِكَ الباطنيةِ والظاهرةِ وَمِنْكَ^(١٢) الوافرةِ. إِنَّكَ وَلِيْنَا^(١٣) في الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

وهناك رسائلٌ أخرى بهذا المعنى لا تخرُجُ عن هذا الإطار - من صَنَفِ المسلمين حيناً وتخاذُلِ أمرائهم حيناً آخرَ، ومن تناصُرِ الدُّولِ النصرانيةِ في أوروبةِ على إخراجِ المسلمين من الأندلسِ. وكانتِ البابويةُ تَنزَعُهم هذه الحركَةُ - بما لا حاجةَ إلى الاستشهادِ بها. إِنَّ ما ذَكَرْتُهُ يُجْزِيءُ عَمَّا لم أذْكَرُهُ. وفي هذه الصَّفَحَاتِ الكِثَارِ التي

(١) الشنات: التفريق.

(٢) تلاحق الفرسان: لحق بعضهم بعضاً (فرّوا، هربوا، انهزموا).

(٣) المعقل: الحصن (بالكسر).

(٤) الرباط: المكان الذي يكون فيه مدافعون على حدود الدولة الإسلامية.

(٥) المهروب: الملوب (الخاسر).

(٦) جدت في ارتحالها: أسرعت في سفرها (رجوعها إلى بلادها).

(٧) جيقة (جثة) طاغيته (ملكها: ألفونس الهادي عشر).

(٨) إلى سوء مالها: مرجعها، مصيرها (مرجع الملك بعد الموت إلى جهنم).

(٩) سمحت للنار والنهب بأسلابها وأموالها (٩).

(١٠) مهد (بلا تشديد وبتشديد): عمل على تسهيل الأمر وتيسيره (نسكينه).

(١١) القتح الأول (موت الطاغية ألفونس الهادي عشر). الفتح الثاني (انسحاب الإسبان وتركهم محاصرة المسلمين؟). قواعد (أسس) الدين الحنيف (الإسلام) أُيْدَتْ (قويت، زاد، رسوخها) بينان (بدعائم،

بكمال).

(١٢) المنن جمع منة (بالكسر): نعمة.

(١٣) الولي: الذي يتولى أمر الناس (الصاحب، النصير، الحليف، الكفيل، الخ).

مَرَّتْ نَوْعٌ مِنَ الْأَدَبِ (أَدَبِ التَّمَجُّعِ) وَتَمَازُجٌ وَاقِيَةٌ لِأَسْلُوبِ لِسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ .

- ومن رسالة لسان الدين بن الخطيب، بعد أن وردَ خبرُ بأن بني مرين كانوا قد عَزَمُوا على إِمْجَادِ غَرْنَاطَةَ ثُمَّ جَاءَ خَبْرٌ ثَانٍ بِأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْ ذَلِكَ (نصح الطيب ٤ : ٤١١-٤١٤):

.... وَنَحْنُ مِمَّا شُدَّ الْمُخْتَقُ بِكُمْ نَسْتَنْصِرُ، أَوْ تَرَخِي فِيهِ وَدُمْ نَسْتَنْصِرُ، أَوْ فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَبْوَابَكُمْ نُهْنِيءُ وَنُبَشِّرُ. وَقَرَّرْنَا عِنْدَكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ تَوَقَّفَ عَنِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ تَصِلْ مِنْهُ إِلَيْهَا سَرِيَّةٌ^(١)، وَلَا بَطَشَتْ لَهُ (فِيهَا) يَدٌ جَرِيَّةٌ^(٢)... وَلَا نَدْرِي الْمَكِيدَةَ تُدَبِّرُ.... أَوْ لِشَاغِلٍ فِي الْبَاطِنِ لَا يَظْهَرُ^(٣)؟ وَبَعْدَ ذَلِكَ، وَرَدَّتْ عَلَيَّ بَايِنًا مِنْ بَعْضِ كِبَارِهِمْ وَزَعَاءِ أَقْطَارِهِمْ مُخَاطَبَاتٌ يَنْدُبُونَ فِيهَا إِلَى جُنُوحِهَا لِلسُّلْمِ فِي سَبِيلِ النَّصْحِ^(٤)... فَلَمْ يَخْفَ عَنَّا أَنَّهُ أَمْرٌ دَبَّرَ بَلِيلَ^(٥)... فَوَجَّهْنَا إِلَيْهِ... لِنَعْتَبِرَ مَا لَدَيْهِ^(٦)... فَتَأْتَى ذَلِكَ وَجَرَ مَفَاوِضَةَ أَعْدَانَا (فِي الْحَاشِيَةِ: أَعْدَدْنَا) لِأَجْلِهَا الرَّسَالَةَ^(٧) وَاسْتَشْعَرْنَا الْبَسَالَةَ^(٨).... وَنَحْنُ نَرْتَقِبُ مَا يَخْلُقُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مُهَادِنَةٍ تَحْصُلُ بِهَا الْأَقْوَاتُ الْمُهَيَّأَةُ لِلْإِنْتِسَافِ^(٩)، وَتَسْكُنُ (فِي الْحَاشِيَةِ: تَسْكِينِ) مَا سَاءَ الْبِلَادَ السَّلْمَةَ مِنْ هَذَا الْإِرْجَافِ^(١٠).... أَوْ حَرْبٍ يَبْلُغُ الْأَسْتَبْصَارَ فِيهَا غَايَتَهُ^(١١).... وَلَمْ

(١) السرية (في الأصل): جيش يذهب للجهاد ولا يكون فيه محمد رسول الله. وهنا: حلة عسكرية فقط.

(٢) جريئة = جريئة (وحذفت الهزة للموافقة في السجع مع «سرية»).

(٣) ...لشاعل في الباطن: لشاكل داخلية (في بلاد الإسبان).

(٤) .. يطلون منا أن منح (نميل) إلى السلم (الصلح) في سبيل النصح (اقرأ: على سبيل النصح): حثًا بفائدتنا نحن (المسلمين).

(٥) أمر دبر بليل (مكيدة، خداع).

(٦) تظاهروا أننا قبلنا اقتراح الإسبان فأرسلنا إليهم مفاوضين.

(٧) الرسالة (هذه الرسالة).

(٨) استشعر الرجل: لس الشعار (ثوب بليس ملاصقًا للبدن). استشعرنا البسالة (الشجاعة): تظاهروا بالقوة (بيننا كنا نكتب إليكم هذه الرسالة لنستغيت بكم).

(٩) فعلنا ذلك (قبلنا الهدنة) خوفًا على المواسم التي قرب حصادها ونخشى إذا جاء الإسبان بحملة عليها أن ينتسفوها (يقتلوهما): يتلفوها.

(١٠) الإرجاف: نشر الأخبار السيئة (التهديد بالحرب).

(١١) حرب يبلغ الاستعمار (حسن النظر) فيها غايته (تمامه): حرب ليست لصالحنا.

نَجْعَلُ سَبَبَ الْأَعْتِزَالِ فِيهَا أَرْدْنَا وَشَمُوخَ الْأَنْفِ فِيهَا أَصْدَرْنَا إِلَّا مَا أَشْعْنَا مِنْ عَزْمِكُمْ ^(١) عَلَى نُصْرَةِ الْإِسْلَامِ وَأَرْتَقَابِ خُفُوقِ الْأَعْلَامِ ^(٢).... ثُمَّ اتَّصَلَ بِنَا الْخَبْرَ الْكَارِثُ ^(٣) بِمَا كَانَ مِنْ حَوْرِ الْعَزَائِمِ الْمُؤْمِنَةِ بَعْدَ كَوْرِهَا ^(٤)، وَتَسْوِيفِ مَوَاعِيدِ النُّصْرَةِ بَعْدَ قَوْرِهَا ^(٥) وَأَنَّ الْحَرَكَةَ مُعَمَّلَةً إِلَى مَرَاكُشِ ^(٦) الْجَهَةِ الَّتِي فِي يَدَيْكُمْ زَمَانُهَا..... فَحَقَطَ فِي الْأَيْدِي الْمَمْدُودَةِ ^(٧)... وَخَسَيْتِ الْأَبْصَارُ الْمُرْتَقِبَةَ ^(٨) وَسَاءتِ الظُّنُونُ وَذَرَفَتِ الْعُيُونُ. وَأَكْذَبَ الْفُضْلَاءُ الْخَبْرَ وَنَفَقُوا أَنْ يُعْتَمَرَ. وَقَالُوا: هَذَا لَا يُمَكِّنُ حَيْثُ الدِّينُ الْحَنِيفُ وَالْمُلْكُ الْمُنِيفُ ^(٩) وَالْعُلَمَاءُ الَّذِينَ أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى مِيثَاقَهُمْ وَحَمَلَ النَّصِيحَةَ أَعْنَاقَهُمْ ^(١٠). وَهَذَا الْمُفْتَرَضُ ^(١١) يَا أَبَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْإِسْلَامُ، وَتَأْبَاهُ الْعُلَمَاءُ وَالْأَعْلَامُ، وَتَأْبَاهُ الْمَآذِنُ وَالْمَنَابِرُ، وَتَأْبَاهُ الْجَهْمُ الْأَكَابِرُ. فَبَادَرْنَا نَسْتَطْلِعُ طَلَعُ هَذَا النَّبَأِ الَّذِي إِنْ كَانَ بَاطِلًا فَهُوَ الظَّنُّ، وَهُوَ الْمَنُ ^(١٢). وَإِنْ كَانَ خِلَافَهُ لِرَأْيِي تَرَجَّحَ.... فَنَحْنُ نُؤْفِدُ كُلَّ مَنْ يَقْدَمُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذَا الْقَطْرِ فِي شَفَاعَةٍ وَيَعِدُّ إِلَيْهِ كَفَّ ضِرَاعَةٍ وَمَنْ يُوسَمُ ^(١٣) بِصَلَاحٍ وَعِبَادَةٍ.... يَتَطَارَحُونَ عَلَيْكُمْ فِي نَقْضِ مَا أُبْرِمَ وَنَسْخِ

(١) أَشْعْنَا: أذْعْنَا، أَعْلْنَا.

(٢) ارتقاب (انتظار) خفوق (توج) الأعلام (الرايات): جيشك لمساعدتنا.

(٣) الكارث: الشده الوقع على النفس (المنذر بكارثة).

(٤) الحور: الرجوع (عن العزم)، نقض ما كان الإنسان قد عزم عليه. الكور: لف الشيء على الجسم (إحكام الرباط، تأكيد الأمر). النور (الإسراع في العمل).

(٥) إن الجيوش التي كانت متجهة من مراکش (عاصمة المغرب) إلى الأندلس لقتال الإسيان، هي الآن معلقة (مسرعة) نحو مراکش (بسبب النزاع بين السلطان أبي الحسن المريني علي بن عثمان وأبي عثمان فارس، سنة ٧٥١ للهجرة، على المرش - راجع الاستقصا ٢: ٨٥).

(٦) سقط في الأيدي الممدودة (الطالبة للمونة): تحيرت واضطربت.

(٧) خست: ضعفت (فقدت القدرة على معرفة الأمور). المرتقبة: المنتظرة.

(٨) الدين الحنيف: الإسلام. المنيف: العالي (الثابت القوي).

(٩) العلماء مسؤولون عما يصيب أمتهم.

(١٠) المفترض = المفروض (رجوع بني مرين عن وعدمه بنصرة الأندلس ومحاربة الإسيان).

(١١) نستطلع طلع النبأ: نتبع عن صحة الخبر. المن: النعمة، الإنعام على الناس.

(١٢) يقدم (٩). الضراعة: السؤال (من الله) بتدليل وخضوع. وم (بالبناء للمجهول): صار له علامة. - ... نرسل إليكم أفراداً تقبل شفاعتكم عندهم (٩) ويتضرع إلى الله كي تقبلوا منه (٩).

ما أَحْكِمَ^(١)، فَإِنَّكُمْ^(٢) تَجْنُونَ به على مَنِ اسْتَنْصَرَكُمْ عَكْسَ ما قَصَدَ.... وَهَبِ الْعُذْرَ يُقْبَلُ في عَدَمِ الإِعَانَةِ وَضُرُورَةِ الاسْتِمَانَةِ وَالْاسْتِكَانَةِ، أَي عُدْرَ يُقْبَلُ في الْأَطْرَاحِ وَالْإِعْرَاضِ الصَّرَاحِ^(٣) كَأَنَّ الدِّينَ غَيْرُ وَاحِدٍ^(٤)، كَأَنَّ هَذَا الْقَطْرَ لِكَلِمَةِ الْإِسْلَامِ جَاحِدٌ، كَأَنَّ ذِمَامَ^(٥) الْإِسْلَامِ غَيْرُ جَامِعٍ.... فَحَنُّ نَسَأَلُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِي تَسَاءَلُونَ به وَالْأَرْحَامِ^(٦)، وَنَأْتَفُ لَكُمْ مِنْ هَذَا الْإِحْجَامِ. وَتَنْتَاطِرُحُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا حَظَّكُمْ في أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَةِ^(٧) حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَتَكَالَبُ عَلَيْنَا بِإِذْبَارِكُمْ بَعْدَمَا تَسَاءَلُ لِاسْتِنْفَارِكُمْ^(٨).... وَمَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ لَا يَفُوتُ^(٩).... إِنَّا الْفَائِضُ مَا وَرَاءَكُمْ مِنْ حَيْثُ نَأْتَفُ مِنْ سَاعِهِ أَوْ دَاوُوكُمْ^(١٠) وَدِينٌ يَشْمَتُ به أَعْدَاؤُكُمْ^(١١). فَاسْعِفُوا بِالشَّفَاعَةِ فِيمَنْ يَبْتَلِكُ الْجِهَةَ الْمَرَاكِشِيَّةَ قَصَدْنَا^(١٢)، وَحَاشَا إِحْسَانِكُمْ أَنْ يَرْضَى فِيهِ رَدَّنَا.....

- (١) ينطرحون: يبادلون الآراء في أمر ما (هنا: يلقون بأنفسهم بين أيديكم بذلة). في نقض ما أبرم (في إبطال ما كنتم أقرتموه) وفي نسخ ما أحكم (بتبديل ما كان قد جعل فرضاً واجباً).
- (٢) فإنكم (اقرأ: وإلا فإنكم - فإن لم تفعلوا فإنكم).
- (٣) أطراح الأمر: تركه جلة وإهاله. الإعراض (الالتفات عن الأمر، ترك الاهتمام بالشيء) الصراح (الواضح الذي لا تردد في تفسيره).
- (٤) كأن ديننا غير دينكم.
- (٥) الذمام: العهد، الحق، الحرمة (وجوب الدفاع عما يتصل بالإنسان).
- (٦) في القرآن الكريم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (٤: ١، سورة النساء): خافوا الله. تساءلون = تساءلون به بينكم (حينما يقول أحدكم للآخر: أسألك بالله - بأنني وإياك نمجد رباً واحداً) واتقوا (خافوا على) الأرحام (القرابة التي بيننا في الدين، وفي النسب أيضاً) أن تقطعوها وتتركوا نصرنا فيستولي علينا العدو الكافر.
- (٧) اتركوا الآن الخلاف الذي بينكم في تلك الجهة (مراكش - من الخلاف على تولي العرش) إلى أن نتقدونا من العدو (الإسبان) الذي يتكالب (يعلم العداوة لنا ثم يشب علينا من كل جانب) بإذباركم (إذا رأى أنكم تتخلفون عن نصرتنا).
- (٨) استنفاركم: الاستغاثة بكم.
- (٩) ما ذهبتم إليه (حل مشكلة الخلاف على العرش) لا يهت (لا يمضي زمنه، يمكن أن تعالجه بعد مدة). إِنَّا الْفَائِضُ (الذي تحسرونه ثم لاتقدونه) ما وراءكم (ما تركتموه وراءكم: لا تهتمون به، أي ضياع بلاد الأندلس).
- (١٠) الواد: الهبة.
- (١١) ودين (أي الإسلام) شمت به أعداؤكم - إذا زال عن الأندلس.
- (١٢) ابعثوا إلى مساعدتنا أولئك الجنود الذين رددتموهم إلى مدينة مراكش.

أدب المولد (*)

المَوْلِدُ، هنا، ذِكْرَى ميلادِ مُحَمَّدٍ رسولِ الله - في ثاني عشرَ ربيعِ الأوَّلِ من العامِ ٥٢ قبلَ الهجرة (٥٧٠ م) - والأحتفالُ بهذه الذِكْرَى بِدَعَا (شيءٍ) لم يكنْ في أيامِ رسولِ الله ولا في أيامِ الصَّحابةِ. غيرَ أنْ هذه البِدْعَةُ إذا اتَّصَلَتْ بالتقوى (من صلاةٍ وذكْرِ اللهِ) وبالأعمالِ الصالحةِ (من خدمةِ المجتمع: بالصدقةِ والوعظِ والتحدُّثِ بمآثرِ الإسلامِ وزيارَةِ بعضِ المسلمينَ بعضاً تأكيداً للمودَّةِ بينهم) فإنَّها تُصْبِحُ حينئذٍ بِدْعَةً حَسَنَةً محمودةً. أمَّا هذا الذي يفعله اليومَ جماعاتٌ من المسلمينَ عادةً (من إقامةِ الزينةِ من الوَرَقِ المُلَوَّنِ وإطلاقِ الرصاصِ والرُكُضِ في الشوارعِ وأستغلالِ المناسبةِ الكريمةِ في سبيلِ أغراضٍ دُنْيَوِيَّةٍ مُختلفةٍ - سياسيَّةٍ أو غيرِ سياسيَّةٍ) فإنَّها هُوَ جاهليَّةٌ ووثنيَّةٌ أيضاً. وعلى هذا قال الإمامُ شَيْخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ (ت ٧٢٨ هـ).

«.... وأما اتِّخَاذُ مَوْسِمٍ غيرِ المَواسِمِ الشرعيَّةِ^(١) كِبَعْضِ ليالي شهرِ ربيعِ الأوَّلِ التي يُقالُ إنَّها ليلةُ المولدِ^(٢)، أو بعضِ ليالي رَجَبٍ^(٣) أو ثامنِ عَشَرَ ذِي الحِجَّةِ^(٤) أو

(*) للدكتور محسن جمال الدين كتاب في ثمان وأربعين صفحة، على صفحته الأولى: في رياض الأندلس: احتفال الموالد النبوي في الأشتار الأندلسية والمغربية والمهجرية، الطبعة الأولى، بغداد (طبعة دار البصري) ١٩٦٧ م. - ومع أن هذا الكتاب يتناول أشياء كثيرة لا صلة لها بالمولد: دخول الإسلام إلى المغرب والأندلس (ص ٨ - ١٤) ثم اهتمام العلماء والأمراء والخلفاء في ميلاد الرسول الأعظم (ص ١٤ - ١٩)، وهو فصل في نعر من علماء المغرب والأندلس ليس فيه ذكر للمولد. ثم يأتي فصل: الشخصيات الأندلسية والمغربية التي زارت المشرق أو دخلت الأماكن المقدسة (ص ١٩ - ٢٠). وابتداء من الصفحة العشرين (أو الحادية والعشرين على الأصح) يأتي الكلام على الاحتفال للمولد البيوي. ولا شك في أن الصديق محسن جمال الدين قد نبه الأفكار بكتابه الموجز إلى موضوع يتحقّق عناية وافية.

(١) في الإسلام موبان شرعيان: أوَّلُ شَوَّالٍ (عيد الفطر: لخروج المسلم من صيام رمضان على طاعة) ثم العاشر من ذِي الحِجَّةِ (عيد الأضحى: لقيام المسلم المستطيع بفرصة الحج).

(٢) لا خلاف في أن محمداً رسول الله قد ولد في شهر ربيع الأوَّلِ ولكن هنالك خلافاً في اليوم الذي ولد فيه من شهر ربيع الأوَّلِ.

(٣) لعل في ذلك إشارة إلى ليلة الإسراء. إن الحوادث التاريخية: إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم في السابع والعشرين من رجب) ثابت. ولكن الاحتفال بهذه الليلة من كل عام لم يكن معروفاً في أيام الصحابة.

(٤) في الثامن عشر من شهر ذِي الحِجَّةِ (من السنة العاشرة للهجرة) كان الرسول راجعاً من حجّة الوداع. فلما =

أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ أَوْ ثَابِتٍ شَوَّالٍ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْجُهَّالُ عِيدَ الْأَبْرَارِ، فَإِنَّهَا مِنْ
الْبِدْعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ وَلَمْ يَفْعَلُوهَا (١) .

أَمَّا الْأَحْتِفَالُ بِذِكْرِ الْمَوْلِدِ وَبِذِكْرِ أَيَّامِ وَلِيَالٍ مُخْتَلِفَاتٍ فَبَدَأَ فِي أَيَّامِ
الْفَاطِمِيِّينَ (فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلهَجْرَةِ = الْعَاشِرِ لِلْمِيلَادِ)، فَقَدْ أَرَادَ الْفَاطِمِيُّونَ أَنْ
يَجْمَعُوا لِحُكْمِهِمُ السِّيَاسِيَّ وَجَاهَةً فَاتَّخَذُوا عِدَّةً مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْمَشْهُورَةِ وَتَأَلَّفُوا بِهَا
عَوَامَّ النَّاسِ بِإِقَامَةِ الْمَادِبِ الْعَامَّةِ وَإِقَامَةِ مَعَالِمِ الزِينَةِ بِالْأَنْوَارِ وَبِقِرَاءَةِ السِّيْرَةِ
(النَّبَوِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ السِّيْرِ). وَأَحَبَّ الْعَامَّةُ ذَلِكَ. وَلَمْ يَكُنْ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ
ضَرَرٌ (إِذَا كَانَتْ لِلتَّقْوَى وَلِفَائِدَةِ النَّاسِ)، وَلَكِنَّهَا - عَلَى كُلِّ حَالٍ - لَيْسَتْ فَرَضاً
عَلَى النَّاسِ.

وَأَحَبَّ نَفَرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَيْضاً وَضَعَّ سِيْرَةَ لِلرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقِرَاءَةَ تِلْكَ
السِّيْرَةِ عَلَى النَّاسِ فِي عِدَّةٍ مِنَ الْمُنَاسِبَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ (شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى شِفَائِهِ
مَرِيضٍ أَوْ نَجَاحِ مَشْرُوعٍ أَوْ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ).

وَبَيْنَمَا كَانَ عَوَامُّ النَّاسِ وَنَفَرٌ مِنَ الرُّعَمَاءِ السِّيَاسِيِّينَ يَخْرِصُونَ عَلَى الْأَحْتِفَالِ بِذِكْرِ
الْمَوْلِدِ، كَانَ هُنَاكَ مَقَاوِمَةً لِهَذَا الْأَحْتِفَالِ عَلَى أَنَّهُ بَدْعَةٌ. أَمَّا صِلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ فَقَدْ
كَانَ يُشَجِّعُ هَذِهِ الْأَحْتِفَالَاتِ لِأَعْرَاضٍ دِفَاعِيَّةٍ. كَانَ الْإِفْرِنْجِيُّ الصَّلِيبِيُّونَ يَجْتَمِعُونَ فِي
الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ، فِإِذَا رَأَوْا غُرَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ هَاجَمُوهُمْ. فَدَعَا صِلَاحُ الدِّينِ إِلَى إِقَامَةِ
مَوَاسِمٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَيَّامِ الْمَوَاسِمِ النَّصْرَانِيَّةِ بِاسْمِكَ مُخْتَلَفَةٍ وَأَخْتَرَعَ عِدَّةً مِنْ مِثْلِ تِلْكَ
الْمَوَاسِمِ أَيْضاً ثُمَّ جَعَلَ لِلْمَوْسِمِ الْوَاحِدِ (فِي يَوْمٍ مَا مِنْ الْأَيَّامِ) أَسْمًا مُخْتَلَفَةً فِي الْأَمَاكِنِ
الْمُخْتَلَفَةِ (٢).

= وَصَلَ إِلَى غَدِيرِ خَمٍّ نَزَلَ (لِإِسْتِرْحَاقِ)، لِأَنَّ السَّفَرَ الْقَدِيمَ كَانَ مَرَاحِلَ. فَفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ أَخَى الرَّسُولُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ. الْهَدِيثُ تَارِيخِيٌّ فِيهَا يَبْدُو. وَلَكِنْ الْأَحْتِفَالُ بِذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ
بَدْعَةٌ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ بَدْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ عِيدًا شَرْعِيًّا.

(١) فَتَاوَى ابْنِ تَيْمِيَّةٍ (الْقَاهِرَةُ ١٣٢٦ هـ) ١: ٣١٢.

(٢) كَانَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ (الْأَعْيَادُ النَّعْمِيَّةُ) تَحْمِلُ مَعْنَى دِينِيًّا وَغَايَةَ سِيَاسِيَّةً حَرْبِيَّةً. مِنْ هَذِهِ مَوْسِمِ النَّبِيِّ
مَوْسَى فِي الْقُدْسِ وَمَوْسِمِ النَّبِيِّ رُؤَيْبِنَ فِي يَافَا (فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟.....؟) وَأَرْبَعَاءُ أَيُّوبَ فِي بَيْرُوتَ،
وَخَمِيسَ الْمَشَاحِجِ (خَمِيسَ الدَّعْمَةِ) فِي حِمصَ، الخ. وَقَدْ كَادَتْ هَذِهِ الْمَوَاسِمُ تَنْسَى الْآنَ.

وكانت غاية صلاح الدين من ذلك أن يكون من المسلمين جماعات مجتمعة متأهبة في أيام اجتماع النصارى في أعيادهم لئلا يُهاجم الإفرنج الصليبيون بلدة مسلمة والمسلمون فيها أو حولها غافلون عن ذلك. وانتشرت هذه المواسم في الشام ومصر والعراق ثم عاشَ عددٌ منها بعد ذلك زماناً طويلاً.

يُخبرنا ابنُ جُبَيْرٍ في «رِحلته» أنه شهدَ احتفالاً بذكرى مَوْلِدِ الرَسُولِ فِي مَكَّةَ، فِي أواخرِ القَرْنِ السَّادِسِ لِلهِجْرَةِ (أواخر القرن الثالث عشر للميلاد).

وفي مطلع القرن السابع للهجرة كان مُظَفَّرُ الدِّينِ كوكبوري صهْرُ صلاح الدين الأيوبي (زوج أخته) يُعَمِّمُ احتفالاتٍ لذكرى المولد في ولايته، في إربل، بالعراق. وقد نَظَّمَ ابنُ دِحْيَةَ الكَلْبِيُّ التَّنَوُّمِيُّ سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ م) لكوكبوري «مولداً» (سيرة رسول الله: التنوير في مولد السراج المنير).

ومن الشام ومصرَ انتقل هذا الاحتفالُ بذكرى مَوْلِدِ الرَسُولِ إِلَى المَغْرِبِ والأندلس، ثم إلى الهند أيضاً. قال السَّخَاوِيُّ (ت ٩٠٢ هـ = ١٤٩٧ م) في كتابه «التبیر المسبوك في نصيحة الملوك» (ص ١٣ - ١٤): «ولا أهل الإسلام يَحْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مَوْلِدِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَعْمَلُونَ الوِلايَمَ لذلك ويتصدقون في ليلته بأنواع الصدقات ويُظهِرُونَ السُّرُورَ وَيَزِيدُونَ فِي المَبْرَاتِ وَيَتَقَنَّنُونَ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الكَرِيمِ... وَأَكْثَرَهُمْ بِذَلِكَ عنايةُ أَهْلِ مِصْرَ والشَّامِ. ولِلسُّلْطَانِ فِي تلكِ اللَّيَالِي مَقَامٌ يَقُومُ فِيهِ... فَلَقَدْ حَضَرَتْ لَيْلَةَ مَوْلِدِهِ مِنْ سَنَةِ ٧٨٥ (*) عِنْدَ الظَّاهِرِ بِرِقُوقٍ.»

والبديعيات (مدح رسول الله) فنٌ قديمٌ جداً بدأه كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ (ت ٢٦ هـ = ٦٤٥ م) في أيام الرسول (راجع الجزء الأول من هذه السلسلة). ثم اتَّسَعَ القَوْلُ فِي ذلك. وخرَجَ هذا الفنُّ من المدح المألوفِ إِلَى التَّعَنُّيِّ بِهِ فِي المُنَاسِبَاتِ، وَفِي ذِكْرِ مَوْلِدِ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ كُلِّ عَامٍ. فَمِنَ الَّذِينَ وَضَعُوا

(*) ليلة المولد (بالحسبان العربي): العرب يحسبون اليوم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم التالي، فالليلة عندهم قبل النهار. فليلة المولد، إذن، هي الثاني عشر من شهر ربيع الأول (من سنة ٧٨٥ للهجرة: ١٦ / ٥ / ١٣٨٣ م). أمّا في حسابنا اليوم (في الرزنامة) فليلة المولد في تلك السنة كانت (عندنا اليوم) أول ليل الحادي عشر من ربيع الأول ٧٨٥ هـ (١٥ / ٥ / ١٣٨٣ م).

«مَوَالِدًا» لِيُتْلَى أَوْ لِيُتَشَدَّ فِي هَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ كُلِّ عَامٍ (فِي الْمَشْرِقِ): أَبُو النَّبِيِّ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (ت ٤١٨ هـ) لَهُ قَصِيدَةٌ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٨٨ - ٤٨٩) ثُمَّ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧ هـ) وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبُرْجَمِيُّ الْيَمَنِيُّ (ت ٨٠٣ هـ) وَالسَّخَاوِيُّ صَاحِبُ الضَّوْءِ اللَّامِعِ (ت ٩٠٢ هـ) وَعَائِشَةُ الْبَاعُونِيَّةُ (ت ٩٢٢ هـ) وَابْنُ الدِّيْنَعِ الشَّيْبَانِيُّ (ت ٩٤٤ هـ) وَابْنُ حَجَرَ الْهَيْتَمِيُّ (٩٧٤ هـ).

وَقَالَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كَثِيرًا فِي مَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْشَدُوا الْمَدَائِحَ فِيهِ فِي الْمُنَاسِبَاتِ (وَفِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ خَاصَّةً). وَفِي هَذَا الْفَصْلِ الطَّوِيلِ لَمَحَاتٌ مِنْ ذَلِكَ. وَسِيرَى الْقَارِيءُ أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ اسْتِعْرَاضَ كُلِّ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُنَا لَبَلَغَ هَذَا الْفَصْلُ نِصْفَ هَذَا الْجُزْءِ.

فَمِنْ الَّذِينَ نَظَمُوا فِي «مَوْلِدِ رَسُولِ اللَّهِ» خَاصَّةً أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْعَرِيفِ الصُّوفِيُّ (ت ٥٣٦ هـ)، لَهُ عَدَدٌ مِنَ الْمَدَائِحِ فِي الرَّسُولِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٧ - ٤٩٩). مِنْ ذَلِكَ مِثْلًا:

وَحَقِّكَ، يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ قَلْبِي بِحُبِّكَ قُرْبَةً نَحْوَ الْإِلَهِ (١).
جَرَّتْ أَمْوَاهُ حُبِّكَ فِي فُؤَادِي فَهَامَ الْقَلْبُ فِي طَيْبِ الْمِيَاهِ.
فَصَبِرْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنِ حَقٍّ، وَكُنْتُ أَرَى الْأُمُورَ بَعَيْنِ لَاهِي (٢).
إِذَا شُغِفَ الْفُؤَادُ بِهِ وَدَادَا، فَهَلْ يَنْهَاهُ عَنْ ذِكْرَاهُ نَاهِي (٣)؟

وَلِأَيِّنِ الْعَرِيفِ أَيْضًا «صَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ» تُشْبِهُ «دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ» (أَيِ إِبْرَادِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ فِي جُمَلِ مُتَقَارِبَةٍ فِي اللَّفْظِ). مِنْ ذَلِكَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ٤٩٨ - ٤٩٩):

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى النَّبِيِّ الْهَادِي مَا لَادَتْ الْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَادِ (٤).
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا أَسْوَدَ الدُّجَى فَكَسَا مُحِبًّا الْأَفْقَ ثَوْبَ جِدَادِ.

(١) قرينة: تقريباً. وسيلة للقرب.. - أنا أحبك ليقربني حبي لك من الله.

(٢) اللاهي: الذي يسهو، يفتل عن الأمور.

(٣) ذكراه: ذكرى الرسول.

(٤) لاذ: التجأ - وهو يقصد ما دام في الأجساد أرواح (ما دامت هذه الدنيا).

صَلَّى عَلَى خَيْرِ الْأَنَامِ مُحَمَّدٍ مَنَ حَصَّهُ بِالنُّورِ وَالْإِشْرَادِ .
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى رَسُولِ فَاتِحِ فَتَحَ الظُّلَامَ بِنُورِهِ الْوَقَادِ .
صَلَّى عَلَيْهِ مَنَ أَرَاهُ جَلَالَهُ وَأَنَالَهُ مَنَ ذَاكَ كُلُّ مُرَادٍ (١) .

وهذه القصيدةُ في نفع الطيب واحدٌ وثلاثون بيتاً على هذا النوعِ مِنَ السُّرْدِ .

فإذا نحنُ أُنْتَقَلْنَا إِلَى الْأُنْدَلُسِ وَجَدْنَا بَعْضَهُمْ يُنْسِبُ بَدِيعَةَ إِلَى الْقَاضِي عِيَاضِ

أَبْنِ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ (ت ٥٤٤ هـ) . وَلَكِنَّ الْمَقْرِيَّ يَقُولُ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧ :

٣٢٣ - ٣٢٤) :

هنالك قصيدةٌ « فِي التَّوْرِيَةِ بِسُورِ الْقُرْآنِ وَ (فِي) مَدْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... » وَهِيَ مِنْ غُرَرِ الْقِصَائِدِ . وَكثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسِبُهَا لِلْقَاضِي الشَّهِيرِ عَالِمِ الْمَغْرِبِ أَبِي الْفَضْلِ عِيَاضِ . وَكُنْتُ أَنَا فِي أَوَّلِ الْأَشْتِغَالِ بِمَنْ يَمْتَقِدُ صِحَّةَ هَذِهِ النَّسْبَةِ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى الْبَدِيعَةِ الْمُوصُوفَةِ لِرَفِيقِهِ أَبِي جَعْفَرٍ (٢) ، فَإِذَا هِيَ مَنْسُوبَةٌ لِلنَّاظِمِ ابْنِ جَابِرٍ (٣) .

غَيْرَ أَنَّ الْقَوْلَ فِي « الْبَدِيعِيَّاتِ » عَامَةٌ وَفِي « الْمَوْلِدِيَّاتِ » خَاصَةٌ قَدْ اتَّسَعَ فِي زَمَنِ لِاحِقٍ وَكَثُرَ حَتَّى أَصْبَحَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْحَصْرِ .

أَمَّا الرَّحَّالَةُ أَبُو جُبَيْرٍ (ت ٦١٤ هـ) فَقَدْ وَصَفَ طَرَفًا مِنَ الْأَحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

(١) جلاله: عظيمته (عظمة الله) - لعل في هذا البيت إشارة إلى المعراج (حينما وصل رسول الله إلى قرب عرش الرحمن).

(٢) في كل « فاتحة » للقول منتهره حتى التناء على المبعوث بـ « البقرة » .

الفاتحة هي السورة الأولى في المصحف، والبقرة هي السورة الثانية.

(٣) أبو جعفر الفَرْنَاطِيُّ أَوْ الْإِلْبِيرِيُّ (ت ٧٧٩ هـ) رَفِيقُ ابْنِ جَابِرِ الضَّرِيرِ (ت ٧٨٠ هـ) - رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُمَا فِي هَذَا الْمَجْزِءِ . فِي هَذَا النَّصِّ مِنْ « نَفْحِ الطَّيِّبِ » انْتِطَاعٌ فِي السُّرْدِ أَوْ نَقْصٌ فِي الْكَلَامِ . أَنَّ أَبَا جَعْفَرَ الْفَرْنَاطِيَّ هَذَا (ت ٧٧٩ هـ) لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ رَفِيقًا لِلْقَاضِي عِيَاضِ (ت ٥٤٤ هـ) . وَلَعَلَّ الْكَلَامَ يَسْمَعُ إِذَا قُلْنَا: ... حَتَّى وَقَعْتَ عَلَى هَذِهِ الْبَدِيعَةِ الْمُوصُوفَةِ (فِي كَلَامِ يَتَنَاوَلُ ابْنَ جَابِرِ الْإِنْدَلِسِيِّ الْهَوَارِيِّ) لِرَفِيقِهِ أَبِي جَعْفَرَ ، فَإِذَا هِيَ مَنْسُوبَةٌ لِلنَّاظِمِ ابْنِ جَابِرٍ .

(٤) راجع الحاشية السابقة.

في مكة. وصل ابن جبير إلى مكة في ثاني عشر ربيع الآخر (يوم ذكرى المولد *) فنظم قصيدة منها (نفع الطيب ٢: ٤٩٢ - ٤٩٤):

بلغت النسي وحللت الحرم فعاذ شائبك بعد الهرم. (١)
 فأهلاً بمكة، أهلاً بها، وشكراً لمن شكره يلتزم... (٢)
 نبي شفاعته عصمة، فيوم التنادي به يعتصم، (٣)
 وينزعى لزواره في غبد ذماماً، فما زال يرمي الذم (٤).
 عليه السلام، وطوبى لمن ألم بترته فاستلم (٥)

ثم إن لابن جبير أشعاراً كثيرة في الحجاز وفي مدح الرسول. فمن هذه الأشعار ما يقرب من أدب المولد قوله (نفع الطيب ٢: ٤٩٣):

أحب النبي المصطفى وأبن عمه علياً وسبطيه وفاطمة الزهراء. (١)
 هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم؛ وأطلعهم أفق الهدى أنجماً زهراً. (٢)
 مواليتهم فرض على كل مسلم، وحبهم أسنى الذخائر للأخرى. (٣)

(*) وصل ابن جبير إلى مكة يوم الخميس الثالث عشر لربيع الأول ٥٧٩، وهو الرابع من شهر آب - أغسطس، عام ١١٨٣ م (راجع «رحلة ابن جبير» بيروت، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م، ص ٥٨، راجع ص ٤٤ و ٤٩).

(١) الحرم: الحرم المكي (المساحة المحيطة بالكعبة).

(٢) شكراً لله.

(٣) يوم التنادي: يوم القيامة.

(٤) في غد (يوم القيامة). الذمة والذمام: العهد، الأمن، الكفالة.

(٥) نرته (قبر الرسول). استلم: قبّل.

(٦) المصطفى (المختار من جميع الناس). علي بن أبي طالب. سبطاه = سبط رسول الله (الحسن والحسين أبنا علي بن أبي طالب). فاطمة الزهراء (البیضاء) ابنة الرسول وزوج الإمام علي.

(٧) أهل البيت هنا (رسول الله وفاطمة وعلي والحسن والحسين). وأهل البيت في القرآن الكريم (٣٣: ٣٣، سورة الأحزاب): نساء النبي: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْمُجَاهِلَةِ الْأُولَى وَأَقْبِصْنَ الصَّلَاةَ وَأَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ، أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». (٣٣: ٣٣) (جعلهم). زهرا = بيضا (لامعة). - أفق فاعل «أطلع».

(٨) الذخيرة: ما يحبسه الإنسان ويمدّه (ليستعين به في المستقبل). الأخرى: يوم القيامة.

وما أنا للصَّحْبِ الكِرَامِ بِمُنْبِضٍ ، فَإِنِّي أَرَى الْبَغْضَاءَ فِي حَقِّهِمْ كُفْرًا . (١)
 هُمْ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ : وَهُمْ نَصَرُوا دِينَ الْهُدَى بِالطَّبَاطُبِ نَصْرًا . (٢)
 عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مَا دَامَ ذِكْرُهُمْ لَدَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى ، وَأَكْرَمَ بِهِ ذِكْرًا . (٣)

ويبرز هنا أبو العباس محمد بن أحمد العزفي السبتي المغربي، فقد ألف (نحو سنة ٦٣٣ هـ) «الدر المنتظم في مدح النبي العظيم» (راجع نفع الطيب ٢: ٣٦):

أهل الحديث عصابة الحق فازوا بدعوة سيد الخلق . (٤)
 قوجوهمم زهر منضرة للأوها كتألسي السبق . (٥)
 يا ليتني معهم فيذكرني ما أذكره بها من السبق . (٦)

ولأبي زيد الفاززي (ت ٦٣٧ هـ) عدد من القصائد في مدح الرسول (نفع الطيب ٧: ٥٠٧ - ٥١٢)، منها (٧: ٥٠٨):

أي نور كشف الله بسسه سدف الباطل عنا أجمعين . (٧)
 ختم الله بــــه أنواره عندما أكمل سن الأربعين . (٨)
 وأتانا بدليل بين عجزت عنه دواعي المدعين . (٩)
 فأعذ أنباءه فهي^(١٠) منسى أنفس القائل والمستمعين . (١٠)

وهنا يأتي أيضاً ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ)، ولعل في «الصلاة الأخرية»^(١١) له ما

- (١) الصحب: اصحاب رسول الله.
- (٢) الطبا جمع طبة (بضم ففتح): حد السيف.
- (٣) الملأ الأعلى: العالم العلوي (الإلهي) مع الملائكة.
- (٤) أهل الحديث: الذين يشتغلون برواية أحاديث رسول الله . عصابة: جماعة على رأي واحد . سيد الخلق: محمد رسول الله . فازوا (مجمعوا) لما استجابوا لدعوة رسول الله والاهتمام بأقواله وأفعاله .
- (٥) زهر جمع أزهر: أبيض، لامع، طاهر، نقي . المنضرة: الجمال والانتراح (في الوجه) التألق للجمال .
- (٦) من السبق إلى الخير والأجر .
- (٧) السدفة (بالضمة): الظلمة .
- (٨) لما بلغ محمد عليه الصلاة والسلام سن الأربعين بعثه الله رسولا وجعله خاتم (آخر) الأنبياء .
- (٩) في الأصل كذا: دواعي . لعلها: دعاوى .
- (١٠) أنباؤه: أخبار (رسول الله) .
- (١١) راجع سركيس ١٧٨ .

يقرب إلى «أدب المولد». ومع إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري القرطبي
 (ت آخر سنة ٦٤٧ هـ) نقرب في مَخَمَّتِهِ من «أدب المولد» (نفع الطيب ٧):
 (٤٤٤ - ٤٤١):

أهلاً بكم، يا أهل هذا النادي، أهل اعتقاد الوعد والميعاد^(١)،
 أهدوا الصلاة إلى النبي الهادي وصلوا السلام له مع الآباد^(٢)
 يندى نسياً مذكراً تسنياً^(٣)،
 أوصافه من كل حسن أبهج: العرف ينفع والسنا يتبجح^(٤)،
 فتأرجح الأرجاء منه وتبهج. فاق الزواهر نورها يتوهج^(٥)
 والزهر تفاح النسيم وسيا^(٦)

وفي موشحة لابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ) نفس قريب جداً من «التوشيح»
 الذي يقرأ عادة في الموالد مع عذوية وطلاوة عرف ابن سهل بها ونفقد جانباً كبيراً
 منها في شعر غيره. وفي ترجمة ابن سهل جانب وافٍ من الموشحة المذكورة.

وأي الجنان الأنصاري (ت بعيد ٦٥٢ هـ) عالم وأديب مترسل وشاعر ومن الذين
 أكثروا القول تبركاً بمديح رسول الله. وله في هذا الجزء ترجمة مستقلة. ثم له موشحة
 بارعة في مولد الرسول مطلعها (نفع الطيب ٧: ٤٣٢):

الله زاد محمداً تكريماً
 وحباه فضلاً من لدنه عظيماً^(٧)

- (١) ... الذين يؤمنون بالوعد (النشر من القبور) والميعاد (اجتماع الناس في الآخرة للحساب).
- (٢) الآباد جمع أباد: دهر (مدة لا تنتهي).
- (٣) يندى (يصدر منه هواء رطب بارد) يذكر الناس بوصف التسنيم (والتسليم عين ماء في الجنة).
- (٤) أبهج: أكثر نضارة (حسناً وتألقاً). العرف: الرائحة الطيبة. نفع الطيب (المسك، مثلاً): انتشرت رائحته. السنا: الضوء. تبجح الصبح: طهر وأبار.
- (٥) تتأرجح الأرجاء (نواحي البلاد): تكتسب رائحة (طيبة) الزواهر: الزهر (بالضم) جمع أزهر: نجم مصي. توهج: زاد اتقاداً أو اشتعالاً (نوراً).
- (٦) نفع النسيم: تحرك. نفع الطيب: انتشرت رائحته.
- (٧) إن كلمة «لده» مشكولة (نفع الطيب ٧: ٤٣٢، السطر ١١) بكسرة على الهاء. ولا يمكن أن يكون =

وَأَخْتَصَّهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيماً

ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً^(١) صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيماً.
وفي ترجمة ابن الجنان جانب من هذه الموشحة.

ولابن الجنان أيضاً عدداً من القصائد في مدح الرسول. وله أيضاً «رَمَضَانِيَّةٌ»
(الإحاطة ٢: ٢٥٧ - ٢٥٨)، وهي تدخلُ في هذا الباب مادامَ الجامعُ بينَ الرَّمْضَانِيَّةِ
والميلادية مديحُ رسولِ الله. ومطلَعُ هذه الرَّمْضَانِيَّةِ:

مضي رَمَضَانٌ أَوْ كَأَنِّي بِهِ مَضَى وَغَابَ سَنَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَوْمَضَا^(٢)
فِيَا عَهْدَهُ قَدْ كَانَ أَكْرَمَ مَعْهَدٍ؛ وَيَا عَصْرَهُ أَعَزَّزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى^(٣)
أَلَمْ بِنَا كَالضَيْفِ فِي الطَّيْفِ زَائِراً فَخَيْمٍ فِينَا سَاعَةً تَمَّ قَوْضَا^(٤).
فِيَا لَيْتَ شِمْرِي، إِذْ نَوَى غُرْبَةَ النَّوَى، أِبَالِ السُّحُطِ عَنَا قَدْ تَوَلَّى أُمَّ الرُّضَا^(٥).
ثم قال مشيراً إلى ليلةِ القَدْرِ^(٦):

= هذا من عمل محقق الكتاب، بل من مساعد أو من متبرع. إن هذه الكلمة «لدنه» ترد في القرآن
الكريم مرتين (٤: ٤٠، سورة النساء): ﴿... وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ ثم (١٨: ٢، سورة
الكهف): ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مَنْ لَدُنْهِ﴾. والنون في «لدن» مبنية على السكون، فإذا أضيفت
«لدن» إلى الهاء (ضمير الغائب) كانت الهاء مضمومة. فهي شبيهة «عن»، فنحن نقول: عه
(بضم الهاء لا بكسرها)، وكذلك نقول: «لدنه» بسكون النون وضمَّ الهاء.

- (١) في القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ: عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (يعزُّ)
عليه: يؤلِّه أن تلقوا شفقةً أو مكروهاً)، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾.
(٢) كَأَنِّي بِهِ مَضَى (مضى منذ زمن يسير جداً. سناه: نوره. أومض: لمع لمعناً خفيفاً (رأى الشاعر أن رمضان
لم يطل كثيراً) = إن تقوى الشاعر وحبَّه للقيام جملاه يشر أن هذا الشهر كان قصيراً).
(٣) أَعَزَّزَ عَلَيَّ أَنْ أَنْقَضَى: قد شقَّ عليَّ أن ينقضي (لم أكن مسروراً بانتهاه).
(٤) أُمَّ: زار زهارة خفيفة. الطيف: الحلم (بالضم)، المنام. خيِّم: نزل، حلَّ، سكن. قَوْضُ: رفع الحنطة،
رحل، سافر.

- (٥) إِذْ نَوَى (قصد رمضان) غرْبَةَ النَّوَى (القراق - ليعود البنا بعد أحد عشر شهراً). تَوَلَّى: ذهب.
(٦) ليلة القدر تكون في ليلة وثمر من العشر الليالي الأخيرة من رمضان: ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٧ أو
٢٩. - من أحياء هذه الليلة (سهر فيها إلى الصبح ثم اتفق أن دعا دعاء صالحاً، فإن الله يستجيب
هذا الدعاء).

وإن قُضِيَتْ قَبْلَ التَّفَرُّقِ وَقَفَّةٌ
فِيا حُسْنَهَا مِنْ لَيْلَةٍ جَلَّ قَدْرُهَا،
وَقَالَ: أَطْلُبُوهَا تَسْعَدُوا بِطَلَبِهَا
جَزَاءُ إِلَهَ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِهِ
وَصَلَّى عَلَيْهِ مِنْ نَبِيِّ مُبَارَكٍ
عَلَيْهِ سَلَامُ اللَّهِ مَا أَتَهَلَ سَاكِبٌ
فَمَقْضِيَّتُهَا مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا قَضَى (١).
وَحَصَّ عَلَيْهَا الْمَاهِشِيُّ وَحَرَضًا (٢).
فَحَرَّكَ أَرْبَابَ الْقُلُوبِ وَأَنْغَضًا (٣).
وَأَكْرَمَنَا بِالْعَفْوِ مِنْهُ وَبِالرِّضَا؛
رَوْوْفٍ رَحِيمٍ لِلرَّسَالَةِ مُرْتَضَى.
وَذَهَبَ مَوْشَى الرِّيَاضِ وَقَضَضًا (٤).

ولأبي الحجاج يوسف بن موسى المنتشاقري (القرن الثامن^(٥)) في أدب
المؤلِّدِ شِعْرٌ مِنْهُ مُدَسَّسٌ (٦) ثُمَّ مِنْهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ (٦٥ بَيْتًا) جَاءَ فِيهَا (نَفَحَ

- (١) يبدو أن الشاعر قد طلب ليلة القدر (سهر أملاً في أن يراها، فلم يرها).
 - (٢) الهاشمي: محمد رسول الله. حصن عليها وحرَضًا: حثَّ المسلمين على السهر في الليالي العشر الأواخر من رمضان في التقوى والعبادة.
 - (٣) أرباب (اصحاب) القلوب: الذين يذهبون في العبادات مذهباً روحياً (يدركون الجانب الظاهر والمضى الخفي من العبادة). أنغض: أخذ الأمر بالجدِّ (بالكسر) وجهد في تنفيذه؛ حرك، دفع.
 - (٤) أنهل ساكب (هطل مطر كثير). وذهب مَوْشَى الرِّيَاضِ وَقَضَضًا: أنبت في الأرض نباتاً مذهباً (بضم الميم وفتح الهاء: بلون الذهب) وقضضاً... (بلون الفضة).
 - (٥) من نفع الطيب: كان المنتشاقري هذا فقيهاً (٥١٢: ٧) قاضياً في رندة ومن شيوخ (أساتذة) لسان الدين بن الخطيب (٦٠٥: ٥)، ولكن لسان الدين نفسه يذكر أنه لقي المنتشاقري مدَّةً قصيرة جداً (٦: ١٣٩). وكانت بينهما مرحلة (راجع ٦: ١٣٥ - ١٣٨) وتألَّفَ المنتشاقري كثيرة (٦: ١٤٥). ولما انتهى لسان الدين بن الخطيب من تأليف كتاب «الإحاطة بأخبار غرناطة»، سنة ٧٧١ للهجرة (راجع الإحاطة ١: ٦٨، مقدِّمة عبد الله عنان) كان المنتشاقري لا يزال حياً (٦: ١٤٥).
 - (٦) وصف المقرئ المدسَّس (القصيدَة المُسَطَّلَة): ذات الاختلاف في قوافيها) والتي يتألف كل بيت (كل مجموع من ستة أشطر) من أربعة أشطر بقافية مستقلة ثم شطرين لها قفلة لكل بيت بقافية ثابتة (هي الميم في شطري القفلة). وقد قال المقرئ في وصفها (٥١٢: ٧): «وترتيبها على حروف المعجم باصطلاح أهل المغرب، فإي عدا الروي (يقصد الحرف الأساسي في قافية القفلة) فإنه على حرف الميم. وكذا آخر النطر الذي قبله فإنه ميم أيضاً». وهذا نصُّ (نص التديس: المدسَّس) بحروفه، ما عدا حرف الواو فإي لم أجده وكمثلته على منزله.
- وترتيب الأجدية عند أهل المغرب، كما يبدو في هذا التديس: من الألف إلى الزاي (أخت الراء) كترتيب المشاركة. ثم تسمر الأحراف على النسق التالي: ط، ظ، ك، ل، م (والميم غائبة من الأبيات لأنها في قافية القفلة)، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هاء، واو، ي (ألف مقصورة: ي بلا نقط)، ي (بنقطتين تحتها).

حُبِّي وَمَذْحِي أَحْمَدَ الْهَادِي الَّذِي
 أَسْمَى الْوَرَى فِي مَنْصِبٍ وَبِمَنْسِبِ
 الْحَقِّ أَظْهَرَهُ عَقِيبَ خَفَائِهِ،
 وَنَفْسٍ هُدَاهُ ضَلَالَةً مِنْ جَانِحِ
 سُبْحَانَ مُرْسِلِهِ إِلَيْنَا رَحْمَةً
 وَالْمُعْجَزَاتُ بَدَتْ بِصِدْقِ رَسُولِهِ
 كَالظَّنْبِيِّ فِي تَكْلِيمِهِ، وَالْجِدْعُ فِي
 وَالنَّارِ إِذْ خَمَدَتْ بِنُورِ وِلَادَةِ،
 فَوْزُ الْأَنَامِ يَصْحُحُ فِي تَصْدِيقِهِ (١).
 مِنْ هَاشِمِ زَاكِي النَّجَارِ عَرِيقِهِ (٢).
 وَالدِّينُ نَظَّمَهُ لَدَى تَفْرِيقِهِ (٣).
 مُسْتَوْثِقِي بَيْغُوثِهِ وَيَعُوقِهِ (٤).
 يَهْدِي، وَيُهْدِي الْفَضْلُ مِنْ تَوْفِيقِهِ (٥).
 وَحَقِيقِهِ بِالْمَأْتِرَاتِ خَلِيقِهِ (٦):
 تَخْنِينِهِ وَالْبَدْرُ فِي تَنْشِيقِهِ (٧)؛
 وَأَجَاجٍ مَلَأَ قَدْحًا مِنْ رَيْقِهِ (٨).

- (١) أحمد الهادي: محمد رسول الله. - فوز الإنسان (في الآخرة بدخول الجنة) يمكن إذا صدق الإنسان برسول الله) وعمل بما جاء به رسول الله.
- (٢) المنصب (هنا): المقام (مقام الرسالة). النسب: النسب. زاكي: طاهر. النجار: الأصل. العريق: الكريم الأصل.
- (٣) محمد رسول الله أظهر الحق بعد أن كان الحق خافياً (بين الناس)، ثم نظم الدين بعد أن كان الدين (بين الناس) فوضي.
- (٤) هُده (هدى الرسول). الضلال والضلالة: السير في طريق الباطل. الجائر: الظالم، المائد عن الطريق المستقيم. مستوثق: معتقد، متمسك. يفوث ويعوق من الأصنام التي عمدتها جماعات من عرب الجاهلية.
- (٥) هو يهدي (بالبناء للمعلوم) الناس. ويهدي (بالبناء للمجهول) الفضل (نائب فاعل مرفوع): (زيادة الخير عما عند الآخرين) من توفيقه (من موافقة الناس لما جاء الرسول به؟) - ويجوز «يهدى» (بالبناء للمعلوم) الفضل (مفعول به زيادة الخير فيه عما عند غيره)..... المعنى، على كل حال، غامض لضعف التركيب.
- (٦) دلت معجزات رسول الله على صدق رسول الله. المأثرة: العمل الكريم. وحقيقته بالمأثرات خليقه (؟) وبحقيقته: بما عرف عنه من الأعمال الكريمة) خليقه (لا وجه لإعرابها بالجر): إن صدق الرسول المعروف والمشهور جملة خليفاً: مستحقاً، قادراً وأهلاً للمعجزات التالية؟
- (٧) كلمته الطيب وحن الجذع لفقده (راجع موشحة ابن سهل الإشبيلي، ت ٦٤٩ هـ). وأشار مرة إلى البدر فانشق البدر قسمين.
- (٨) يوم مولد رسول الله انطفأت النار في فارس (وكانت تلك النار في الهيكل في ذلك الحين مشتعلة منذ ألف سنة بلا انقطاع). في التاريخ: إن النار انطفأت (في نحو ذلك الزمن). الأجاج: الماء الشديد الملوحة.

والزادُ قَلَّ، فزادَ من بَرَكَاتِهِ فَكفى الجُيُوشَ بَتَمَرِهِ وَسَوِيْقِهِ (١).
 غَيْرَ أَنَّ «مُسدَّسَةَ المُنتَشَاقِرِيِّ» (نفع الطيب ٧: ٥١٢ - ٥١٧) أَعلى نَفْساً وَأَحْسَنُ
 مَعَانِي وَأَقْرَبُ إلى الجَوِّ الرُوحِيِّ لِلنَّبُوَّةِ. قال المنتشاقري:

حَلَّ في طَيِّبَةِ رَسولٍ كَرِيمٍ فعليه الصلاة والتسليم (٢).

* * *

صَفْوَةُ الخَلْقِ خاتَمُ الأنبياءِ، مُرشدُ الناسِ للطريقِ السَّوِّءِ،
 والعيادُ المَلالُذُ في اللأواءِ وشفيحُ العُصاةِ يومَ الجزاءِ (٣):
 يومَ يَبْدو لَدَيْهِ جَاءَ عَظِيمُ فعليه الصلاة والتسليم.

* * *

أذْهَبَ القِيَّ نورُهُ والغياهِبُ فأضاءتْ مَشارِقُ ومغاربُ (٤)،
 وغدا الحقُّ غالباً للأكاذِبِ وبتت منه للأنامِ عجائبُ
 صِدْقُ أقوالِهِ بها معلومُ فعليه الصلاة والتسليم.

* * *

كُسلُ دينٍ بِدينِهِ مَنسوخُ (٥)، فَيَوَى ما قَضَى بِهِ مَفْخُوحُ.
 لهُداهُ بِكُلِّ قَلْبٍ رُسوخُ، فالورى مادح له ومُصيخُ (٦).
 كُلُّهُمْ في هَوَى النَبِيِّ يَمِيمُ، فعليه الصلاة والتسليم.

* * *

(١) السويق: نفع الشعر.

(٢) طيبة: المدينة المنورة.

(٣) العباد (الذي يُتمد ويُتمد عليه). الملاذ: الملجأ. الأواء: ضيق المعيشة وشدة المرض. يوم الجزاء: يوم القيامة.

(٤) القِيَّ: الضلال. الغيب: الظلام.

(٥) منسوخ: ملغى. الدين لا يلقى، وإنما الذي نسخ (بالبناء للمجهول) هو الشريعة (نظام المعاملات). الإسلام لم يبلغ الدين كما أنزل على موسى وعيسى. ولكن الناس نوا (بضم السين) هذين الدينين. ثم جاء الإسلام بحقيقة الدين وأبطل شريعة الدينين السابقين لأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان.

(٦) مصيخ: مائل بسمعه.

فائق بالمولد السعيد ربيعُ أن فيه بدا الجلال الرفيعُ
من هو الذخرُ والعباد المنيعُ، فَمَلَاذٌ لِلْمُذْنِبِينَ شَفِيعُ
ورؤوفٌ بالمؤمنين رحيمٌ^(١) فعليه الصلاة والتسليم.

* * *

قد سها قدره بغير تناهي^(٢) وعلا جاهه على كل جاه:
أبرُّ بالتقى، عن الشرِّ ناه؛ من يطعمه ينل ثواب الإله،
وله عنده التميمُ المقيم^(٣). فعليه الصلاة والتسليم.

وفي هذا السلك يأتي الإمام مالك بن المرحل الملقب السبتي (الأندلسي المغربي) والمتوفى سنة ٦٩٩ للهجرة فيزيد على ابن سهل الإشبيلي في الصناعة (راجع ترجمة الشاعرين) ولم يقصر عنه في الطلاوة. غير أن ابن المرحل يفضل ابن سهل في أنه جلا الكلام على الرسول، صلى الله عليه وسلم، في جوه الروحي، بينما ابن سهل قد مد القول في تشابه مادته تنطوي على تجسيم (راجع نفع الطيب ٧: ٤٤٥ - ٤٤٩، موشحة ابن سهل تم ٤٥٣ - ٤٥٩، موشحة ابن المرحل).

ولأي عبد الله محمد التنسي (من أحياء القرن الثامن للهجرة) كتابان في تاريخ المغرب: «راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حمو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح» ثم «نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان وملوكهم الأعيان» عرض فيها لأدب المولد ولأحتفال المغاربة بليلة المولد. جاء في نفع الطيب (٦: ٥١٣ - ٥١٥):

وكان السلطان أبو حمو الممدوح بهذه القصيدة^(٤) يحتفل لليلة مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم غاية الإحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس، في ذلك العصر

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة).

(٢) التناهي: بلوغ الشيء إلى نهاية يقف عندها.

(٣) نعم مقيم: دائم.

(٤) «ما على الصب في الهوى من جناح»، ليحيى بن خلدون.

وما قبله، (يفعلون). ومن احتفاله له^(١) ما حكاه شيخُ شيوخِ شيوخنا المحافظُ سيدي أبو عبد الله التنسيُّ ثم التلمسانيُّ في كتابه «راح الأرواح...»، ونصه:

إنه^(٢) كان يُقيمُ ليلةَ الميلادِ النَّبويِّ - على صاحبه الصلاة والسلام - بمشورة^(٣) من نِلِّسانِ الهروسية مدعاة حُفيلة يُحسَّرُ فيها الناسُ خاصةً وعمامةً، فما شئتَ من غارقِ مصفوفةٍ وزرابيٍّ مَبْثُوثَةٍ^(٤) وبُسطِ موشاةٍ ووسائدٍ بالذهبِ مُعْشاةٍ^(٥)، وشمعٍ كالأسطواناتِ وموائدِ كالمالاتِ، ومباخرٍ منصوبةٍ كالقبابِ يخالها المَبْصِرُ تراءً مُذاب^(٦). ويُفاضُ على الجميعِ أنواعُ الأطعمةِ كأنها أزهارُ الربيعِ المُنَمَّعةِ^(٧) تَشْتَهِيها الأنفُسُ وتَسْتَلِدُّها النواظرُ. ويخالطُ حُسنُ رِيابها الأرواحَ ويخامرُ^(٨). رُتَبُ الناسِ فيها على مراتبهم ترتيبَ أحتفالٍ، وقد علَّتِ الجميعَ أهبَّةُ الوَقارِ والإجلالِ.

وَبَعْقَبِ ذلكِ يَحْتَفِلُ السُّمِعُونَ^(٩) بأمداحِ المُصطفى عليه الصلاة والسلام، ومُكفِّراتِ تُرَعِّبُ في الإقلاعِ عن الآثامِ^(١٠)، يَخْرُجونَ فيها من فنٍّ إلى فنٍّ ومن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ ويأتون من ذلك بما تَطْرَبُ له النفوسُ وترتاحُ إلى سَماعه القلوبُ. وبالقربِ من السُّلطانِ - رضوانُ اللهِ تعالى عليه - خِزانةُ المِجاناةِ^(١١) قد زُحِرْفَتِ

(١) الاحتفال: الاجتماع للقيام بتكريم إنسان أو حادثة.

(٢) أبو حنيفة.

(٣) مشورة (هنا) يبدو أنها مكان أو بناء خاص أو جانب من بناء.

(٤) في القرآن الكريم (٨٨: ١٥ - ١٦، سورة الناشية): ﴿..... وغارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾. النمرق والنمرقة (بضم النون فيها): الوسادة (المهددة) الصغيرة بتكفي الجالس عليها. الزربية (بالتفتح): سباط كيف أو حصير (والعمامة يقولون: «سجادة»). مبثوثة: متفرقة في أماكن مختلفة.

(٥) الوشي: النقش في السجج بأشكال مختلفة وألوان مختلفة (التزيين). معشاة: منورة (عليها تزيين كبير بجيوط الذهب).

(٦) حَقَّ «مذاب» النصب: مذاباً. في التجويد (قراءة القرآن) يمكن الوقوف على المرفوع والجرور بالسكون، ولكن المنصوب يجب الوقوف عليه بالفتحة. ولكن الكاتب هنا أراد أن يناسب بين «مذاب» و«كالباب» في السجع. وهذا خطأ.

(٧) المنمم: (هنا) المزخرف (المزِين) المرَقش (بالألوان المختلفة).

(٨) الرِياب: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.

(٩) المسع: المغسي. المصطفى: المختار (رسول الله).

(١٠) يبدو أن المكفِّرات (هنا) قصائد دينية تحمِّد على الإقلاع (ترك) عن الآثام (الذنوب).

(١١) «مجاناة» (بجمع فارسية): ساعة تدلُّ على الوقت.

كَأَنَّهَا حَلَّةٌ يَأْتِيَةٌ لَهَا أَبْوَابٌ مُوجِفَةٌ^(١) عَلَى عَدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ. فَمَهْمَا مَضَتْ سَاعَةٌ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدْرِ حِسَابِهَا، وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهُ جَارِيَةٌ صُوِّرَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدَيْهَا الْيَمْنَى رُقْعَةٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى نَظْمٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِأَسْمِهَا مَسْطُورَةٌ فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمَوْذِيَّةِ بِالْبُيَايِمَةِ حَتَّى الْخِلَافَةِ. هَكَذَا حَالُهُمْ إِلَى أَنْ يَلْجَأَ عَمُودُ الصَّبَاحِ وَنِدَاءُ الْمُنَادِي: حَيٌّ عَلَى الْفَلَاحِ^(٢).

وَيَنْقُلُ الْمَقْرِيُّ قِطْعَةً ثَانِيَةً فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ نَفْسِهِ مِنْ كِتَابِ التَّنْسِي: نَظْمُ الدَّرِّ وَالْعِيَانِ «.....»، (نَفْحُ الطَّيْبِ ٥١٤: ٦ - ٥١٧). وَمَعَانِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ الثَّانِيَةِ هِيَ مَعَانِي الْقِطْعَةِ الْأُولَى مَعَ شَيْءٍ مِنَ الْاِخْتِلَافِ فِي التَّعْبِيرِ وَمَعَ اخْتِصَارٍ يَسِيرٍ هُنَا وَتَفْصِيلٍ يَسِيرٍ هُنَاكَ. وَيَكْتُرُ التَّفْصِيلُ فِي وَصْفِ الْبِنَجَانَةِ مَعَ ذِكْرِ الْأَشْعَارِ الَّتِي تُقَالُ عِنْدَ كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ.

وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ لِللسانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ (ت ٧٧٦ هـ) مِيلَادِيَّاتٌ (قِصَائِدُ طِبَالٍ قِيلَتْ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الْكَرِيمِ). مِنْ ذَلِكَ مَثَلًا قَوْلُهُ مِنْ قِصِيدَةِ (نَفْحِ الطَّيْبِ ٤٥١: ٦ - ٤٥٥):

تَأَلَّقَ نَجْدِيًّا فَأُذْكَرْتِي نَجْدَا وَهَاجَ فِي الشُّوقِ الْمَبْرُحَ وَالْوَجْدَا^(٣).
ثُمَّ يَقُولُ:

إِذَا أَنْتَ شَافَهْتِ الدِّيَارَ بَطِيئَةً وَجِئْتِ بِهَا الْقَبْرَ الْمَقْدَسَ وَاللَّحْدَا^(٤)،
وَأَنْتَ نُورًا مِنْ جَنَابِ مُحَمَّدٍ يُجَلِّي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ وَالْأَعْيُنَ الرَّمْدَا^(٥)،

(١) موجفة: مغلقة (أوجف الباب: أغلقه).

(٢) نداء المنادي: أذان المؤذن. حي على الفلاح (الأذان لصلاة الصبح: بين ظهور الفجر وطلوع الشمس).

(٣) تألق (البرق): لمع. نجدياً: من جهة نجد (شمالاً شبه جزيرة العرب). المبرح: المتعب، العذب. الوجد: الحزن.

(٤) شافه الرجل المكان: اقترب منه. طيبة: المدينة المنورة. القبر: قبر رسول الله.

(٥) الأغلف: الذي عليه غطاء طبيعي (قلب أغلف: لا تصل إليه النسيجة أو الحقيقة). العين الرمدا (التي أصيبت بمرض الرمذ فقال ذلك دون رؤيتها الأشياء بوضوح).

فَقُبَّ عَنْ بَعِيدِ الدَّارِ فِي ذَلِكَ الحِمَى
وقل: يا رسول الله، عبدٌ تقاصرت
ولم يستطع، من بعد ما بعد المدى،
تداركهُ، يا غوثَ العبادِ، برحمة؛
أجارَ بك اللهُ العبادَ من الردى
حمى دينك الدنيا وأقطعك الرضا
تقدمت مختاراً تأخرت ممتناً؛
وعلةُ هذا الكونِ أنت؛ وكلُّ ما
فإذا عسى يُشني عليك مقصراً،
عليك صلاةُ الله، يا كاشفَ العمى،
تقضى زمامي في «لعل» وفي «عسى»
إلى أن أحطَّ الرَّحْلُ في تُربك الذي
لِمَوْلَاكَ أهنأُ أهنأُ فاشرقوا
قصورٌ يبصرى ضياءَ الهضب والوهدا^(١٢)

- (١) ناب فلان عن فلان: قام مقامه وفعل ما يجب عن الآخر. أذرى فلان الدمع: نثره (بكى). عفر (مرغ بالتراب)
- (٢) أضحي من أحبته فرداً: لم يبق له محب (٩).
- (٣) تتناد (بالبناء للمعلوم) = تتعاده (تعود إليه مرة بعد مرة).
- (٤) أجدى: أنفع. ما أجدى: ما أنفعه. ما أندى كفك: ما أكثر نداها (كرمها).
- (٥) بوأ الله الصد مكاناً: أنزله فيه وأسكنه.
- (٦) اختار الله للرسالة قبل جميع الأنبياء، ولكن جعلك آخرهم في الزمن.
- (٧) والله خلق هذا العالم من أجل أن تكون أنت رسولاً إليه. وكل شيء خلقه الله بعد ذلك كان أيضاً من أجلك. أبدأ: فعل الشيء ابتداءً (للمرة الأولى). أعاد العمل: عمله ثانية وثالثة الخ.
- (٨) ألا بألو ألوا: قصر. الذكر (القرآن الكريم).
- (٩) الروح: الخوف. أربد: تغير لونه (أظلم، اشتد).
- (١٠) اللوعة: حرقة الحب أو الحزن.
- (١١) الند: (بالفتح): الرائحة الطيبة، (بالكسر): النيل، الكفو.
- (١٢) اهنأ الإنسان (طرب، فرح). لآ ولد الرسول: أضاءت السماء وظهرت أقطار العالم واضحة، حتى إن المباني التي في بصرى (في الشام) رؤيت من مكة. الهضب: المكان العالي. الوهد: المكان المنخفض.

ومن رُغْبِهِ الأوثَانُ خَرَّتْ مَهَابَةً،
وغَاضَ لَه الوادِي، وَصَبَحَ عِزَّهُ
رَعَى اللهُ مِنْهَا لَيْلَةً أَطْلَعَ الْهُدَى
وَلِلْسَانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ «مِلَادِيَّة» بَارِعَةٌ رَقِيقَةٌ لَمْ يَحْفَظِ الْمَقْرِيُّ مِنْهَا سِوَى
الأبيات التالية (نفع الطيب ٦ : ٥٠٩ - ٥١٠):

ما على القلبِ بَعْدَكُمْ مِنْ جُنَاحٍ
وعلى الشوقِ أَنْ يَثِيبَ إِذَا هَبَّ
جِيرةَ الحَيِّ، والحديثُ شُجُونٌ
أَتْرُونَ السُّلُوَ خَامَرَ قَلْبِي
وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيَ اقْتِرَاحِي عَلَى الـ
ضَائِقَتِنِي فِيكُمْ صُرُوفُ اللَّيَالِي
وَسَقَتْنِي كَأْسَ الْفِرَاقِ دِهَاقًا
وَأَسْتَبَاحَتِي مِنْ جِدَّتِي وَقَتَائِي
يَا تَرَى - وَالنَّفُوسُ أُسْرَى الْأَمَانِي
هَلْ يُبَاحُ الْوُرُودُ بَعْدَ ذِيَادٍ

أَنْ يُرَى طَائِرًا بِغَيْرِ جُنَاحٍ (٣)،
سَبَّ بِأَنْفَاسِكُمْ نَسِيمَ الصَّبَاحِ (٤)،
وَاللَّيَالِي تَلْسِينُ بَعْدَ الْجِهَاحِ (٥)،
بَعْدَكُمْ؟ لَا، وَقَالِقِ الْإِصْبَاحِ (٦)؛
أَيَّامٍ مَا كَانَ بَعْدَكُمْ بِاقْتِرَاحِي.
وَأَسْتَدَارَتْ عَلَيَّ دَوْرَ الْوِشَاحِ (٧)؛
فِي اغْتِبَاقِي مُوَاصِلَ وَأَصْطِبَاحِ (٨)،
حَرَمًا لَمْ أُخْلَهُ بِالسُّبْحِاحِ (٩)،
مَا لَهَا مِنْ وَثَاقِهَا مِنْ سَرَاحٍ؟
أَوْ يُتَاحُ اللَّقَاءُ بَعْدَ انْتِرَاحِ (١٠)؟

- (١) حر: سقط. إيوان كسرى: قصر شرق بغداد كان للوك الفرس. وقد اشقَّ جانبه ليلة مولد الرسول وسقط عدد من شرفاته (وفي التاريخ ما بهلًا على حدوث ذلك في نحو ذلك الوقت).
- (٢) غاَضُ الوادِي (النهر): غار ماؤه وجمَع (في ذلك الحين غار الماء في بحيرة ساوة في فارس). انمر: الغوة والمجد. صحنا الحادث: جاءنا صباحاً. - في ذلك الحين انططأت النار في الهيكل الكبير بعد أن ظلت مشتعلة ألف عام بلا انقطاع.
- (٣) جناح (بالضم): لوم، ذنب.
- (٤) سَبَّ الشوق (المهبة): اشتعل، زاد. هبَّ: جرى، قَوِيَ.
- (٥) الشح (بفتح ففتح): الغصن. الحديث شجون (أنواع مختلفة ومتشعبة). الجهاح: الشدة والمصيان.
- (٦) السُّلُو: النسيان. خامر: خالط. قالق الإصباح (الله تعالى)، والوار للقم.
- (٧) صرُوف الليالي: الأحداث والمصائب. واستدارت عليَّ دور الوشاح (أحاطت بي من كل مكان).
- (٨) دهاقاً: مملوئاً. الاغتياق والاصطباح: شرب الخمر مساءً وصباحاً.
- (٩) الحدة: الزهو والغفوة. القناء: الشباب.
- (١٠) الورد: شرب الماء. ذِيَاد: طرُد، منع. الانتراح: البُعَاد.

وإذا أعوزَ الجُومَ التلاقي، نابَ عنه تعارفُ الأرواح.
ويرى المقرئُ، بحقً، أنَّ أبا زكريا يحيى بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ) قد حاكى
هذه القصيدةَ لسانِ الدين لما مدحَ السلطانَ أبا حمو في مَوْلِدِ سَنَةِ ثَانِيَةِ وَسَبْعِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ (في صيف عام ١٣٧٦ م) فقال (نفع الطيب ٦: ٥١٠-٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ أن يُرى جِلْفَ عِبْرَةٍ وأفتضح^(١).

(وفي ترجمة يحيى بن خلدون مختاراتٌ من هذه القصيدة).

ولابن زَمْرَكِ المَتَوَقَّسِ سَنَةَ ٧٩٥- أو بعدها بقليلٍ (نفع
الطيب ٧: ١٧١-١٩٥) بَدِيعَاتٌ تجري في قصائدٍ ومُوشَحَاتٍ. من هذه البديعياتِ
قصيدتهُ التي أنشدَها في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٦٧ للهجرة (نفع الطيب ٧: ١٧٩-١٨٣):

زارَ الحَيَّالُ بأَيِّمِنِ الزُّوراءِ فجلا سَناءُ غياهِبِ الظَّلْماءِ^(٢).

قال فيها:

يا ليتَ شِعْري، هل أرى أطوي إلى	قبرِ الرسولِ صحائفَ البَيِّداءِ
فَطَيِّبٍ في تلكِ الرُّبوعِ مدائحي	ويَطولُ في ذاكِ المقامِ نَوَائِي ^(٣) ؟
حيثُ النُّبُوَّةُ نورُها مُتَأَلَّقُ	كالشمسِ تُزهِى في سَناءِ وَسَاءِ ^(٤) ؛
حيثُ الرِّسَالَةُ في نَيْبَةٍ قُدْسِها	رَفَعَتْ لِهَدْيِي الخَلْقِ خَيْرَ لَوَاءِ ^(٥) ؛
حيثُ الضَّرِيحُ، ضَرِيحُ أَكْرَمِ مُرْسَلِ،	فَخَرَّ الوُجُودِ وشافِعِ الشُّعْماءِ؛
المُصْطَفَى والمُرْتَضَى والمُجْتَنَبِ	والمُنْتَقَى مِن عُنْصُرِ العَلْيَاءِ ^(٦) .

(١) الجناح (بالضم): اللوم، الذنب. العبرة: الدفعة (البكاء).

(٢) الزوراء: المكان الذي في الطريق إليه الخناء. والزوراء علم على مدينة بغداد لأن نهر دجلة ينمطف

قبل الوصول إليها. السنا: النور. الغيب: الظلمة. الظلماء: الليل.

(٣) التواء: المكت (بالضم): الإقامة.

(٤) متألّق: لامع. تزهي (كذا في الأصل): تفتخر تتكبر. لعلها «تزهو»: تضيء، تير. السنا: النور.

السنا (بالهمزة): علو، الارتفاع.

(٥) شَيْبَةٌ (٤) قدسها (الطهارة، البركة، السمو والرفعة): قدسها الخالص التام الكامل.

(٦) المصطفى: المختار. المجتنب: المقرّب.

وَبَلَيْلَةَ الْيَلَادِ كَمْ مِنْ رَحْمَةٍ
 قَدْ بَشَّرَ الرَّسُلُ الْكِرَامُ بِبَيْعَتِهِ،
 أَكْرَمَ بِهَا بُشْرَى عَلَى قَدَمِ سَرَّتْ
 أَمْسَى بِهَا الْإِسْلَامُ يُشْرِقُ نُورُهُ،
 هُوَ آيَةُ اللَّهِ السَّيِّ أَنْوَارُهَا
 وَالشَّمْسُ لَا تَخْفَى مَرِيَّةً فَضْلِهَا
 يَا مُصْطَفَى - وَالْكَوْنُ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ،
 يَا مُظْهِرَ الْحَقِّ الْجَلْبِيِّ وَمُطَّلِعَ الذِّ
 يَا مُلْجَأَ الْخَلْقِ الْمُسْفَعِ فِيهِمْ،
 يَا آسِيَّ الْمَرْضَى وَمُنْتَجِعَ الرِّضَا
 أَشْكُو إِلَيْكَ، وَأَنْتَ خَيْرُ مُؤَمِّلٍ،
 إِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْلُصْ إِلَيْكَ، فَإِنَّمَا
 - نَشَرَ الْإِلَهَ بِهَا - وَمِنْ نَعْمَاءِ .
 وَتَقَدَّمَ الْكُهَّانُ بِالْأَنْبَاءِ .
 فِي الْكَوْنِ كَالْأَرْوَاحِ فِي الْأَعْضَاءِ
 وَالْكَفْرُ أَضْبَحَ فَاجِمَ الْأَرْجَاءِ .
 تَجَلُّو ظَلَامَ الشُّكِّ أَيَّ جَلَاءِ .
 إِلَّا عَلَى ذِي الْمُقَلَّةِ الْعَمِيَاءِ .
 مِنْ بَعْدُ، أَيَدِي الْخَلْقِ وَالْإِنْشَاءُ (١)،
 نُورِ السَّبِيِّ السَّاطِعِ الْأَضْوَاءِ،
 يَا رَحْمَةَ الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ،
 وَمُؤَاسِيَّ الْأَيْتَامِ وَالضُّعْفَاءِ (٢)
 دَاءِ الذُّنُوبِ . وَفِي يَدَيْكَ دَوَائِي .
 خَلَصْتَ إِلَيْكَ مَحَبَّتِي وَبِدَائِي (٣) .

ثم يستطرده ابن زمرك إلى مدح محمد الخامس الغيبي بالله ملك غرناطة (٤)، مع الإشارة إلى الاحتفال بالمولد:

وَبَسْفِدِ مَوْلَايَ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ
 يَا أَبْنَ الْخِلَافَةِ مِنْ بَنِي نَصْرِ وَمَنْ
 مِنْ كُلِّ مَنْ تَقِفُ الْمُلُوكُ بِبَابِهِ
 تَعْبُدُ الْأَمَانِي أَنْ يُتَاحَ لِقَائِي .
 حَاطُوا ذِمَارَ الْمَلَّةِ السَّمْحَاءِ (٥)
 يَسْتَمْطِ وَنَ سَحَائِسَبَ النَّعْمَاءِ .

- (١) الكون (ها) العالم، الوجود. الإنشاء: الإيجاد من العدم. - أختارك الله (يا محمد) قبل أن يبدأ الله خلق هذا العالم.
- (٢) الآسى: الطبيب، المداوي. منتجع الرضا (الذي يطلب الناس رضاء). المؤاسي: الذي يساوي الآخرين بنفسه - الذي يواسي أو يحاول تخفيف آلام الآخرين.
- (٣) خلص فلان إلى المكان: استطاع أن يصل إليه محترقا أزدحام الناس.
- (٤) محمد (الغبي بالله) بن يوسف ثامن سلاطين بني نصر في غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) وخامس من كان اسمه محمداً منهم.
- (٥) الذمار: الكيان والحرمة (ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه). الملة السحاء: الدين اللين السهل (لا يعقيد ولا تشدد فيه)، الإسلام.

قَوْمٌ إِذَا قَادُوا الْجِيُوشَ إِلَى الْوَعَى
وَالعِزُّ مَجْلُوبٌ بِكُلِّ كَتِيبَةٍ،
يَا فخرَ أُنْدُلُسٍ وَعِصْمَةَ أَهْلِهَا،
كَمْ خُضَّتْ طَوْعَ صَلَاحِهَا مِنْ مَهْمَةٍ
عَظَمْتَ مِلَادَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
أَحْيَيْتَ لَيْلِكَ سَاهراً فَأَقْدَمْنَا
فَالرَّغْبُ رَائِدُهُمْ إِلَى الْأَعْدَاءِ؛
وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ بِكُلِّ لِيَاةٍ.
بِجَزْيِكَ عَنْهَا اللهُ خَيْرَ جَزَاءِ،
لَا تَهْتَدِي فِيهِ الْقَطَا لِلْمَاءِ (١).
وَشَفَعْتَهُ بِاللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ (٢).
قُوْتَ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ (٣).

وَلِأَيِّ زَمْرِكَ مَوْشِحَةٌ فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ (نفع الطيب ٧: ٢٨٠ - ٢٨١) مطلعها:

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ،
وَكُلُّ مَنْ نَامَ بِلَيْلِ الشَّبَابِ
لَمْ تَفْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبِ (٤).
يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصُبحِ الْمَشِيبِ (٥).

* * *

وَالبَيْتَانِ الْأَخِيرَانِ فِيهَا (٦):

(هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدارِ الْكَرِيمِ) الْمُنْصَفِيُّ الْهَادِي شَفِيعَ مَطَاعِ (٧).
فِجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ وَحُبُّ زَادِي، وَنِعْمَ الْمَتَاعِ

- (١) المهمة: الأرض المغفرة (الحالية). القطا: طير قوي الحاسة للماء.
- (٢) الغراء: البيضاء (المباركة). الليلة الغراء (٤). لعلها ليلة عاشوراء (راجع، تحت، ص ١٣٠ - ١٣١).
- (٣) قوت القلوب: غذاء الروح. الإحياء: سهر الليل في العبادة. في الحاشية (نفع الطيب ٧: ١٨٣): إن الشاعر يورث هنا (يشير) إلى كتاب «قوت القلوب» (لأبي طالب المكي) وكتاب «إحياء علوم الدين» (لأبي حامد الغزالي). هذا التعليل بعيد.
- (٤) قدحت الأيام في الشبه: أتلقت جانباً منه. لم تفدح الأيام ذكرى حبيب (لم تستغي حبيبي). - مها ينقض على الهب من الزمن لا ينس أحبائه (لقد شاخ الشاعر، ولكنه ما يزال يروجو الذهاب إلى الحج) (٤).
- (٥) إذا غفل الإنسان في أيام شبابه (عن بعض العبادة)، فإنه يعود (إلى ذلك الجانب من العبادة) حينما تتقدم به السن.
- (٦) البيت في الموشح (وفي المسط) عدد من الأشرطة يجمع بينها ترتيب معين في قوافيها.
- (٧) «هل يحمل الزاد لدار الكرم» شطر للفقير الزاهد أبي عبد الله أبي الحجاج يوسف المنصفي (نسبة إلى المنصف، وهي قرية قرب بلنسية). وكان للمنصفي رحلة إلى المشرق. وسكن سبعة وهو من أحياء النصف الأول من القرن السابع للهجرة (راجع المغرب ٤: ٣٥٤، نفع الطيب ١: ١٨١، ٣: ٥٩٥، ٤: ٣٣٦).

والله سَاءَ الرُّؤُوفَ الرَّحِيمِ، فجارُهُ المَكْفُولُ ما إِنَّ يُضَاعُ (١).
عسى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الحِسابِ ومَلْجَأُ الخَلْقِ لِرَفْعِ الكُرُوبِ (٢)
يَلْحَقَنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابٌ يَشْفَعُ لِي فِي مَوْبِقَاتِ الذُّنُوبِ (٣).

* * *

يا مُصْطَفَى، والخَلْقُ رَهْنُ العَدَمِ، والكَوْنُ لم يَفْتَقُ كِبَامَ الوُجُودِ (٤).
مَرْيَةَ أُعْطِيَتْهَا فِي القِدَمِ بِهَا عَلَى كُلِّ نَسِيٍّ تَسُودُ، مَوْلِدُكَ المَرْقُومُ لَأَ نَجَمٌ أَنْجَرَ لِلأُمَّةِ وَعَدَدَ السُّعُودِ.
نَادَيْتُ لو يُسْمَحُ لِي بِالْمُجَوابِ شَهْرَ رَبِيعٍ، يا رَبِيعَ القُلُوبِ،
أَطْلَعْتَ لِلْمَهْدِيِّ بِغَيْرِ أَحْتِجابِ شَمْسًا، وَلَكِنْ ما لَهَا مِنْ غُرُوبِ.

ويدو أن من المناسبات التي كان أهل الأندلس (والمغرب) يحتفلون لها ذكراً عاشوراء (العاشر من المحرم: الشهر الأول من السنة الهجرية - وفي العاشر من المحرم من سنة ٦١ = ١٠/١٠/٦٨٠ م) كانت مأساة عاشوراء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه. ولآبين زمرك (نفع الطيب ٧: ٢٢١) من قصيدة في مدح محمد النبي بالله النصري يذكر فيها عاشوراء:

يا أيها المولى الذي بركأته رَقَعْتَ لِوَاءَ اللَنْدى مَنشُورا (٥)،
لك راحة تزجي الغمام بأنمُلٍ فَجَرَّتَ مِنْها بِالنَّوَالِ بُحُورا (٦).

(١) راجع القرآن الكريم (٩: ١٢٨، سورة التوبة). ما أن يضاع: لا يضاع (أ. أن. زائدة).

(٢) يوم الحساب: يوم القيامة. الكرب: الحزن الشديد.

(٣) الذنب الموبى (المهلك، العظيم).

(٤) المصطفى: المختار للرسالة (محمد رسول الله). والخلق (الواو للحال: حينما كان البشر لا يرالون) رهن العدم (قبل وجودهم في هذا العالم). الكون (هنا): هذا العالم. الفتق: الثقب. الكمام: الكأس (الأوراق المحضرة التي تعلق الزهرة قبل أن تفتح الزهرة). - أن الله قضى أن يكون محمد رسولاً إلى هذا العالم قبل أن يخلق الله هذا العالم.

(٥) المولى: السيد (محمد رسول الله). الندى: الكرم.

(٦) تزجي: ترسل، تسيّر. الأغلة: طرف الإصبع (كتابة عن سهولة تسيير الأمور). النوال: العطاء (الحبر، الفائدة).

وَالْيَوْمَ مَوْسِمٌ قُرْبَىٰ وَعِبَادَةٌ وَغَدَاً - ظَفَرَتْ بِأَجْرِهِ - عَاشُورَا (١).
 رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبِيَّةٍ تَرُوي الثَّقَاتُ حَدِيثَهُ الشَّهُورَا.
 لَا زِلْتَ، عَامَكَ كُلَّهُ، فِي غِبْطَةٍ لُقِّيتَ مِنْهَا نَضْرَةً وَسُرُورَا (٢).
 وَلَايْنِ زَمْرَكَ أَيْضاً قَصِيدَةٌ يَبْدُو أَنَّهُ مَدَحَ بِهَا الْغَنِيَّ بِاللَّهِ النَّصْرِيَّ وَوَرَدَ فِيهَا ذِكْرُ
 عَاشُورَاءَ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ٧: ١٧٦ - ١٧٧). مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

مُولايَ، يَا أَبْنَ السَّابِقَيْنِ إِلَى الْعُلَا وَالرَّافِعِينَ لِوَاءِهَا الشُّورَا،
 أَبْنَاءُ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَصَحْبُهُ فِي الذِّكْرِ أَصْبَحَ فَخْرُهُمْ مَذْكُورَا (٣)؛
 وَالْمُؤَثَّرُونَ - وَرَبُّنَا أَتَى بِهَا؛ فِي الْحَشْرِ حَلْدٌ وَصَفْنَاهُمْ مَسْطُورَا (٤)،
 فَاصْتِ عَلَيْنَا مِنْ يَدَيْكَ غَائِمٌ وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورَا،
 فِي مَوْسِمٍ لِلدِّينِ قَدْ جَدَّدْتَهُ وَأَقَمْتِ فِينَا عَيْدَهُ الشَّهُورَا.
 أَضْعَافٌ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مِينَةٍ تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورَا (٥).

أَمَّا فِي السُّودَانِ الْغَرْبِيِّ خَاصَّةً فَيَبْدُو أَنَّ الْأَهْتَامَ كَانَ بِالْفِئَةِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ؛ وَأَمَّا
 النَّتَاجُ الْأَدْبِيُّ وَالتَّأْلِيفُ فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ فَكَانَ فِي زَمَنِ تَأَخَّرَ جِدًّا. تَمَّ
 إِنَّ هَذَا النَّتَاجَ كُلَّهُ لَمْ يَظْهَرْ بِالطَّبَعِ إِلَّا قَلِيلًا جِدًّا، كَمَا أَنَّ وُصُولَنَا إِلَى هَذَا
 النَّتَاجِ - مَخْطُوطًا وَمَطْبُوعًا - كَانَ أَيْضاً صَعْبًا.
 وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَإِنَّ هُنَاكَ بَضْعَةٌ نَفَرٌ وَرَدَّ ذِكْرُهُمْ فِي «نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ»، مِنْهُمْ
 عَبْدُ الْعَزِيزِ التَّكْرُورِيُّ الَّذِي رَحَّلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فِي مَنْتَصَفِ الْقَرْنِ التَّاسِعِ (ص ١٨٢).

- (١) القربة: العمل الذي يبر الأخرين ويقربك منهم.
- (٢) النبطة: النعمة، حسن الحال، السرور. في القرآن الكريم (٧٦: ١١، سورة الدهر): ﴿فَوَقَّاهُمْ (صرف عنهم) الله شر ذلك اليوم (يوم الحساب، يوم القيامة) ولقاهم (أعطاهم) نضرة (حسناً وإضاءة في وجوههم) وسروراً﴾.
- (٣) في الذكر (في القرآن الكريم).
- (٤) المؤثرون: الذين يفضلون الآخرين (بفتح الهاء) على أنفسهم. (سورة الحشر). في القرآن الكريم (٥٩: ٩، سورة الحشر): ﴿وَيُؤَثَّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ذلك الشيء الذي يبطونه لغيرهم.
- (٥) المنّة: الإحسان، الإنعام.

ومهم محمد بن أحمد بن أبي محمد التازخي (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٣٦ م) والمشهور بلقب أيد^(١) أحد رَحَلَ إلى تكدة فلقب فيها الملقبي (ت ٩٠٩ هـ) وحضر دروسه. ثم رَحَلَ إلى الشرق وأخذ عن نفرٍ من العلماء في مِصْرَ ومكَّة. وأجتهد (في تخرِيج مسائل الفقه) وصار من مُحَصِّلِي الْعُلَمَاءِ مُحَدِّثًا وَمُحَقِّقًا وَمُتَمَنِّنًا في عددٍ من العلوم. ثم قَفَلَ إلى السودان ونَزَلَ في بلدة كَشَن فأكرمه صاحبها غاية الإكرام وولاه قضاءها (ص ٣٣٥).

وأخذ الفقيه الحافظ مخلوف بن علي بن صالح اللبالي (توفي بعد ٩٤٠ هـ) العلم وكانت قد تقدمت به السن عن عبد الله بن عمر بن محمد أقيت في بلاد ولاتن ثم سافر للغرب (للمغرب) فأخذ عن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). بعدئذ دخل بلاد السودان، مثل بلد كند وبلد كشن وغيرها وأقرأ أهلها وجرى بينه وبين العاقب الأنصمي خلاف. ثم إنه دخل تَبُكَت ودرَّس فيها. وعاد حيناً إلى مَرَاكُش ثم رَجَعَ إلى بلاده (ص ٣٤٤).

وهناك أيضاً عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي السفياني المعروف بلقب سقين أبي محمد (نحو ٨٧٠ - نحو ٩٥٦ هـ) أخذ عن زروق (ت ٨٩٩ هـ) وعن ابن غازي (ت ٩١٩ هـ). ثم إنه رَحَلَ إلى الشرق (سنة ٩٠٩ هـ). ثم رَجَعَ إلى بلاد السودان ودخلَ كانوا وغيرها وبقي هنالك مدة عاد بعدها إلى فاس، سنة ٩٢٤ للهجرة وتولى الخطابة فيها في جامع الأندلس^(٢). وبعد وفاة محمد بن محمد بن الإمام الغوري (ت هـ) تولى الفتيا فيها أيضاً، مدة وجيزة، فها يبدو. فلما عزل عن الفتيا كتب على رواية الحديث وإقرائه إلى أن أدركته الوفاة (ص ١٧٦ - ١٧٧).

ثم يأتي محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن يحيى الصنهاجي (٩٠٩ - ٩٧٣ هـ). ولما توفي والده (سنة ٩٥٥ للهجرة - راجع ترجمته) قاضي

(١) أيد، أيت: ابن.

(٢) في جامع غُدوة الأندلسيين - الجانب الذي سكنه المهاجرون من الأندلس في مدينة فاس.

تَنَبَّكَتَ تَوَلَّى هُوَ الْقَضَاءُ بَعْدَهُ. وَكَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِالْبَلَاغَةِ وَالْمَنْطِقِ، وَهُوَ تَعْلِيقٌ عَلَى رَجَزِ الْمُغِيلِي فِي الْمَنْطِقِ (ص ٣٤٠).

وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ، قَبْلَ أَنْتَهَاءِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ لِلْهِجْرَةِ، إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَتَ التَّنْبُكْتِيَّ (٩٣٢-٩٩١ هـ)، كَانَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ بِاللُّغَةِ وَالْفِقْهِ، كَمَا كَانَتْ لَهُ «تَأْلِيفُ صِغَارٍ فِي التَّصَوُّفِ» وَغَيْرِهِ، مِنْهَا «مُعِينُ الضُّعْفَاءِ فِي الْقِنَاعَةِ» (ص ١٠٢). وَكَذَلِكَ تَحَسَّنُ الْإِشَارَةُ إِلَى الْعَاقِبِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ أَقْبَتَ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى التَّنْبُكْتِيَّ (٩١٣-٩٩١ هـ)، كَانَ قَوِيَّ الْقَلْبِ صُلْبًا فِي الْحَقِّ مِقْدَامًا وَمُسَدَّدًا فِي أَحْكَامِهِ ثُمَّ جَسُورًا عَلَى السُّلْطَانِ وَعَلَى مَنْ دُونَهُ. وَهُوَ مَعَ جَمِيعِ هَؤُلَاءِ وَقَائِعُ كَانُوا يَخْضَعُونَ لَهُ فِيهَا. أَمَّا إِذَا لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فَكَانَ يَغْزِلُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَضَاءِ وَيَلْزِمُ بَيْتَهُ، فَيُلَاطِفُونَهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْصِبِهِ. وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا. وَكَانَ الْعَاقِبُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا قَدْ رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَدَّى فَرِيضَةَ الْحَجِّ وَاتَّصَلَ بِنَفَرٍ مِنَ الْمُلَاءِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَأَجَاوَزَهُ (ص ٢١٨-٢١٩).

وَمِنَ الْعُقَمَاءِ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَمِيِّ الْمَسُوفِيِّ (تُوُفِّيَ بَعْدَ ٩٥٠ هـ) مِنْ أَهْلِ أَدَكْسَ - وَهِيَ بَلَدَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ بِلَادِ السُّودَانَ - أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمُغِيلِيِّ التَّلِمْسَانِيِّ (ت ٩٠٩ هـ)، وَكَانَ الْمُغِيلِيُّ قَدْ رَحَلَ إِلَى بِلَادِ السُّودَانَ وَبِلَادِ التَّكْرُورِ. ثُمَّ رَحَلَ الْعَاقِبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَأَخَذَ عَنِ جَلَالِ الدِّينِ السِّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) فِي مِصْرَ وَغَيْرِهِ، فِي أَثْنَاءِ طَرِيقِهِ إِلَى الْحَجِّ. وَلِلْعَاقِبِ تَصَانِيفٌ مِنْهَا تَعْلِيقَةٌ عَلَى قَوْلِ خَلِيلٍ^(١) - جُزْءٌ فِي وُجُوبِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فِي قَرْيَةِ أَصْمَنَ - الْجَوَابُ الْمَحْدُودُ عَلَى أَسْئَلَةِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ - أَجُوبَةُ الْفَقِيرِ عَنِ أَسْئَلَةِ الْأَمِيرِ، أَجَابَ فِيهَا السُّلْطَانُ أَسْكَي الْحَاجَّ مُحَمَّدَ (ص ٢١٧-٢١٨، رَاجِعْ ٣٤٤).

(١) خَلِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَنْدِيِّ (لَأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ ثِيَابَ الْجَنْدِ): فَفِيهِ مَلِكِي (ت ٧٧٦ هـ)، لَهُ كِتَابٌ فِي الْفِقْهِ مَشْهُورٌ بِعُنْوَانِ «مَحْتَصِرِ خَلِيلٍ».

ابن أبي البقاء البلنسي

١- هو الأستاذ أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان الأنصاري المعروف بأبي البقاء، أصله من سرقطة (ومسكنه في بلنسية). كانت وفاته سنة ٦١٦ للهجرة (١٢١٩ - ١٢٢٠ م).

٢- كان أبى البقاء البلنسي بارعاً في العربية (النحو) واسع العلم بها، وقد تصدّر لتعليمها، وكانت له عناية بتقعيد الآثار (الحديث؟). ثم هو شاعرٌ مجودٌ، له رثاءٌ وله وصفٌ جيدٌ وغزلٌ.

٣- مختارات من شعره

قال أبى البقاء البلنسي من قصيدة له في الرثاء:

قد علمتني الليالي أن ريقتها صابٌ، وإن قال قومٌ إنها عسلٌ^(١).
 إن الذي كانت الآمالُ مشرقةً به وعيش الأمانى بُرذها خصيلٌ^(٢)،
 أصاب صرفُ الليالي منه قطبٌ حجيٌّ.
 يا من رأى الثهبَ أعبت دونها السبلُ^(٣).

- وقال يصفُ السيفَ:

وذي رونقٍ كالبرقِ، لكنَّ وعدهُ صدوقٌ؛ ووعدُّ البرقِ كذبٌ. ورتباً^(٤)....

- (١) الرقة: الريق (اللعب - بالضم - القليل): كناية عن السرور القليل الذي تحاول الدنيا أن تنه للناس. الصاب: شجر له عصاره (بالضم) مرّة.
 (٢) بردها (بالضم) ثوبها (وفي الأصل، ضبطت الكلمة بفتح الباء من البرد، ضدَّ الحرِّ، ولا معنى له).
 الحصل: المبتلّ، الناعم.
 (٣) الحجي: العقل. قطب حجي (مركز الغفل): المسند الذي يدور عليه العقل. صرف الليالي: المصائب. يا من رأى الثهب أعبت دونها السبل (كانت المصيبة بوت هذا الرجل عظيمة إلى حدّ أن النجوم وقتت عن الدوران) لقد اضطرب كلُّ شيء بعد موته.
 (٤) الرونق: الحسن (بالضم)، اللعنان. برق السيف إذا هزّه صاحبه ليضرب به. السيف يبرق وهو على وناك أن يصبب فيقتل. أمّا البرق (الذي في النعم) فقد يظهر فيتبعه مطر أو لا ينسعه مطر. ورتباً (فيها اكتفاء): ورتباً أمطر (النعم بعد البرق).

عَقَدْتُ نِجَادِيهِ لِحَلِّ تَأْمِي وَسَاءَ الْأَعَادِي إِذْ بَكَتْ شَفْرَاةُ،
وَقَلَّتْ لَهُ: كُنْ لِلْمَكَارِمِ سَلْمًا (١).
وَسِرًّا وَلَاةَ الْوُدِّ لَأَا تَبَسًا (٢).
- وله في الغزل:

غَيْرُ خَافٍ عَلَى بَصِيرِ الْغَرَامِ
عَبْرَاتٌ تَصُدُّ عَنْ نَظَرَاتِ،
وَدِمَاءُ تُرَاقِبُ بِأَسْمِ دُمُوعِ،
شَرِبْتُ، بَعْدَكَ، اللَّيَالِي حَيَاتِي
أَنْ يَوْمَ الْفِرَاقِ يَوْمٌ حِيَامِ (٣).
وَنَشِيحٌ يَحُولُ دُونَ الْكَلَامِ (٤)،
وَنُفُوسٌ تُودِي بِرَسْمِ سَلَامِ
غَيْرِ أَوْشَالٍ لَوْعَتِي وَسَقَامِي (٥).

٤- ** الذيل والتكملة ١: ٢١٥ (رقم ١٤٣).

ابن غِيَاثِ الشَّرِيشِيِّ

١- هو أبو عمرو محمد بن عبد الله بن غِيَاثِ الْجُدَامِيِّ الشَّرِيشِيِّ، كان مولده سنة ٥٣٦ للهجرة (١١٤١-١١٤٢ م). كَتَبَ فِي شَبَابِهِ عَنِ الْأَمِيرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ (مِنْ وُلَاةِ الْمُوحِدِينَ فِي الْأَنْدَلُسِ؟). ثُمَّ إِنَّهُ زَارَ مَرَاكِشَ وَمَدَحَ أَمْرَاءَهَا. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٦٢٠ (شباط - فبراير ١٢٢٣ م) فِي الْأَغْلَبِ: أَوْ ٦١٩ (الوفاي ٤: ١٠).

- (١) النجاد (بالكسر) ما يحمل به السيف فيملق في العنق. التسمية: حجاب يملق على الصبي لمنع إصابته بالعين (من خرافات العائنة). ععدت نحاده لحل تأمني: بدأت يحمل السيف (بالقتال والحرب) لما حلّت عني تأمني (لما تجاوزت سن الطفولة): باكراً - وقلت كن (في يدي: سأقاتل بك) في سبيل الوصول إلى معالي الأمور.
- (٢) الشفرة: حديدة السيف التي تقطع. بكت شفرة السيف (سال عليها الدم من قتال الأعادي). نسّم السيف: كثر مبريقه (لكثرة تحريكه للضرب به).
- (٣) الهيام (بالكسر): الموت.
- (٤) تكثر العبرات (الدموع) في العين حتى تعجز العين عن النظر. النشيج: إرتفاع الصوت بالبكاء.
- (٥) بمدك (بعد فراقك). شربت الليالي حياتي (ذهبت من الحياة: بطلت بمدك قيمة الحياة). الوشل (بفتح ففتح): الماء القليل (بقية الشيء). اللوعة: حرقه بجهد الإنسان في نفسه من أثر حب أو ألم أو حزن. السقام: الضعف، المرض.

٢- كان أبو عمرو بن غياثٍ ذا مكانةٍ في قومه، كما كان أديباً وكاتباً مُحسناً
 اتَّصلتْ المكاتباتُ بينه وبينَ نغزٍ من أدبائه زمانه منهم مثلاً ابنُ مَرَجِ الكُحَلِ^(١)،
 وكانت تلك المكاتباتُ تجري في نثرٍ وفي شعرٍ. وشعره كثيرٌ رقيقٌ جيدٌ. ويبدو أن
 مُعظَمَ شعره كان في مدحِ الملوكِ والرؤساءِ.

٣- مختارات من آثاره

- لأبي عمرو بن غياثٍ أبياتٌ في العتابِ والنسيبِ، هي (نفع الطيب: ٢:
 :٦٠٨):

أودغ فؤادي حَسْرَةً أَوْ دَعٍ؛ نَفْسَكَ تُؤْذِي. أَنْتَ فِي أَضْلَمِي^(٢).
 أَسِيكَ سِيهَامَ اللَّحْظِ أَوْ فَارَمِيهَا: أَنْتَ بِمَا تَرْمِي مُصَابُ مَعِي^(٣).
 مَوْقِعُهَا الْقَلْبُ، وَأَنْتَ الَّذِي مَسَكُنُهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ.

- قال أبو الحسن الرعيبي^(٤): لَقِيْتُ (أَبْنَ غِيَاثٍ) سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ (وَسِتِّمِائَةَ)
 وَأَخَذْتُ عَنْهُ ثُمَّ اسْتَجَزْتُهُ^(٥) سَنَةَ سِتِّ عَشْرَةَ فَكَتَبَ إِلَيَّ مُجِيزاً:

..... قَسَاً بِمَا يَكُونُ بِهِ الْقَسَمُ^(٦)، لَقَدْ اسْتَفْتَحْتَ بَاباً وَإِنَّهُ لَمُعَلَّقٌ مِثْمُ^(٧)؛
 وَأَسْتَنْطَقْتَ أَعْجَبِيًّا، وَمِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يُفْصِحَ الْأَعْجَمُ. وَنَفَخْتَ حَيْثُ لَا ضَرَمَ^(٨):

-
- (١) ابن مرج الكحل (راجع الجزء الخامس، ص ٦٩١).
 (٢) أودغ (أجمل في) فؤادي حسرة أو دع (اترك وضما). إنك إن فعلت (ووصمت حسرة في قلبي) فإنك
 تؤذي نفسك أيضاً لأنك محبوي الذي أجعله أنا بين أضلعي (في قلبي).
 (٣) إرم سهام اللحظ: أطلقها علي.
 (٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيبي (٥٩٢-٦٦٦ هـ).
 (٥) طلبت منه إجازة (شهادة) بما أخذته عنه من العلم والسلاح لي بأن أعلم الناس ما تعلمته منه.
 (٦) بما به يكون القسم (الحلف باليمين): بالله تعالى.
 (٧) استفثت نأماً (طلبت فتح باب): طلبت مني شيئاً (إجازة). وأنه (أن هذا الباب): إعطاني
 إجازات. وأنه لمعلق (ليس لي عادة بإعطاء إجازات). المهم: النية الساذج (الذي لا علامات
 فيه).....
 (٨) ونفخت حيث لا ضرم: لا مائة فائلة للاشتغال بالترويح (نفع الريح) عليها.

أَعْيَدُهَا نَظْرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ^(١).

.....^(٢) ولقد تركتُ مِنَ الْأَشْيَاحِ^(٣) مَنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ وَيَجِبُ أَنْ يُتِمَّنَ بِهِ وَيُتَبَرَّكَ. غَيْرَ أَنَّ الْقِدَمَ وَالْهَرَمَ وَالْأَلَمَ^(٤) صَرَفْتَنِي عَنِ الْإِسْهَابِ وَالتَّطْوِيلِ^(٥). وَمَا يُطِيلُ شَيْخٌ لَهُ بَعْدَ نَوَامَاتِ الْعِيُونِ بِاللَّيْلِ نَظْرَةً تَحْبِيلُ^(٦)؛ وَكُنْتُ تَحْبِيلٌ وَعَيْشُهُ تَنْكِيلُ^(٧). وَقَدْ أَتَّضَحَّ لَهُ مِنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّانِينَ السَّبِيلُ^(٨).

- وله أبياتٌ فِي الصَّبَا وَالشَّيْبِ:

صَبَّوتُ، وَهَلْ عَارٌّ عَلَى الْحُرِّ إِنْ صَبَا وَقِيدَ بُعِيدَ الْأَرْبَعِينَ إِلَى الصَّبَا^(٩)؟
يَرَى أَنْ حُبَّ الْحُسْنِ فِي اللَّهِ قُرْبَةٌ لِمَنْ شَاءَ بِالْأَعْمَالِ أَنْ يَتَقَرَّبَا.
وَقَالُوا: مَشَيْبٌ. قُلْتُ: وَاعْجَبًا لَكُمْ، أَيْنُكْرُ نُورٌ قَدْ تَخَلَّلَ عَيْنَهَا^(١٠)؟
وَلَيْسَ مَشَيْبًا مَا تَرَوْنَ، وَإِنَّا كُمَيْتُ الصَّبَا مِمَّا جَرَى عَادَ أَشْهَابًا^(١١).

٤ - ** المغرب ١ : ٣٥ ؛ برنامج الرعيبي ٩٩ (رقم ٣٧) ؛ الذيل والتكملة ٦ : ٢٩٥ - ٢٩٦ (رقم ٧٨٠) ؛ تحفة القادم ١٢٩ ؛ الواقي بالوفيات ٤ : ١١ ؛ نفع الطيب ٢ : ٦٠٨ .

- (١) البيت للمنتهي . الشحم : مادةٌ يصبغ بها الجسم سمياً . الورم : انتفاخ من مرض .
- (٢) كان ابن غياث يريد أن يذكر نقرأ من شيوخه (أساتذته) . وهم غير مذكورين في الأصل .
- (٣) الأشياخ : الشيوخ (الأساتذة) .
- (٤) القدم (طول الزمن) يدعو إلى النسيان . الهرم (طول العمر) يدعو إلى الضعف . الألم (ذهاب الصحة) يدعو إلى قلة الصبر وقلة الاحتمال .
- (٥) الإسهاب : إكثار التماييز للمعنى الواحد . التطويل : الإتيان بمعان كثيرة .
- (٦) بعد نومات العيون (بعد أن ينام الناس في الليل) . نظرة تحبيل : تدلُّ على الحبل (بفتح ففتح) : الجنون أو فساد التفكير .
- (٧) كتبه (كذا في الأصل) . والكتب جمع كتاب بمعنى الحكم أيضاً . يقول : إن أحكامه من عمل الخيال لا صواب فيها . التنكيل : العقاب الشديد الذي يراد به ردع الآخرين عن أعمال السوء .
- (٨) اتَّضَحَّ (بان ، ظهر) السبيل (النهاية ، الموت) .
- (٩) صبا : مال (إلى محبوب) . قاد : جرَّ . الصبا : الشق (الجهل في أيام الشباب) . .
- (١٠) الغيب : الظلام (هنا : سواد الشعر) . في الواقي : « بدر » مكان « نور » .
- (١١) الكميت (المحسان الأحمر اللون) . كميت الصبا (نشاط الشباب) . أشهب (أبيض اللون) .

الرفاء المرسى

١ - هو الأستاذ أبو علي الحسن بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن موسى بن عبد الرحمن الكِنَاشِيُّ المَرْسِيُّ، من أهل مَرْسِيَّةَ. أخذ القِراءاتِ عن أبي جعفر (بن) (١) الحِصَّار. ومات الرفاء في بلدِهِ مَرْسِيَّةَ سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥ - ١٢٣٦ م) في الأُغلب.

٢ - كان الرفاء المَرْسِيُّ مُقَرَّباً وَنَحْوِيًّا، وكان أديباً شاعراً مطبوعاً صاحبَ مُقَطَّعاتٍ، وفي شعرِهِ تكلُّفٌ لَزومٌ ما لا يلزَمُ. ويبدو أَنَّهُ كان يُكْتَبِرُ من وَصْفِ المأكَلِ.

٣ - مختارات من شعره

- قال الرفاء المَرْسِيُّ في المُجَبَّناتِ (نوع من الحلوى: عَجِينٍ مَحْشُوٌّ بِالْمِجْنِ يُقَلَى بِالسَّمْنِ وَيُقَمَّسُ فِي القَطْرِ، كالقطائف) (٢):

شَفِيفَتْ مُجَبُّ أَبكارِ حَبالي، وَوَدَي لَوْ بَنَيْتُ بِهَا عَروساً (٣).
إِذَا لاحتُ بُدوراً فِي المَقالي تراءتُ لِلعميون بِها شُوساً (٤).

- وله فِي النسيبِ (من لزومٍ ما لا يلزَمُ بِكَلِمَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ):

أَتَسَى فَأَسَى كُلُّها كَلِّها، وَبِئانَ الأَسَى كُلُّها كَلِّها (٥).

(١) فِي بَغِيَةِ الوِعاة (ص ٢٢٣): أبو جعفر بن الحِصَّار. وفي نَفْحِ الطيبِ (٢: ٥٠) أبو جعفر الحِصَّار.

(٢) بِمَكْنٍ أَن تَقَلَى بِالبرِجِ (بالسِّنِ المَهْمَلَةِ المَكسُورَةِ) أَو النَشِيجِ (بالسِّنِ المَعْمَدَةِ المَفْتُوحَةِ): دهن السَّم.

(٣) شَفِيفَ الرِجْلِ (بالبناء للمَجْهولِ): أَصِيبُ شِفافاً (بالضَّمِّ) قَلْبُهُ (غِلافُ قَلْبِهِ) مِنَ الحَبِّ. أَبكارُ جَمعُ بَكَرٍ (بالكَسْرِ) كِتابَةٌ عَنِ القَطِيفَةِ (وَجَمعُها قَطائِف) الَّتِي تَكُونُ شَتِيَّةً وَمَحْتومَةً الطَّرْفَيْنِ أَوْ تَكُونُ مِنْ قَطْعَتَيْنِ أَطْبِقتُ إِحداها على الأُخْرى وَخَتَمْتُ دائِرَتَها. حَبالي (كِتابَةٌ عَنِ انْتِفاعِ القَطائِفِ لكَثْرَةِ ما فِي جَوْفِها مِنَ المِجْنِ). بَنى الرِجْلَ بِالمَراةِ (أَتَخَذَها رِجْلاً لَه) لِأَنَّهُ بَنى بَينَها مِيتاً (خِيمَةً) تَضَمُّها مَعاً. وَدَ (بالضَّمِّ أَوْ بِالكَسْرِ أَوْ بِالفَتْحِ): الحَبِّ، الرِغْبَةُ (بالفَتْحِ).

(٤) لاحتُ بِدوراً (تَكُونُ بِبِضاءِ حِينِما تَكُونُ عَجِيناً). المَقالي (هنا) جَمعُ مَقَلَةٍ (صَفْحَةٌ تَقَلَى فِيها الأَطْمَةُ). تراءتُ شُوساً (حِينِما تَقَلَى تَصِبحُ صِراءَ أَوْ حِراءَ).

(٥) أَسَى: داوَى. كَلِّها (بالضَّمِّ): فِي كُلِّ مَرَّةٍ. كَلَّمُ (بالفَتْحِ): جَرَحَ. بانَ: ابْتَعَدَ، ذَهَبَ. الأَسَى: الحِزنُ. كَلَّمُ (فِي القانِيَةِ): خاطَبَ. - إِذا نَظَرَ المِحبُوبَ بِعَينِهِ إِلى المِحبِّ، شَمَرَ المِحبُّ بِأَنَّهُ قَد جَرَحَ (قَلْبَهُ). فإِذا عادَ المِحبُوبُ فِماخِطَ المِحبَّ شَمَرَ المِحبُّ بِأَنَّهُ قَد شَفِيَ مِنْ جِروحِ قَلْبِهِ.

وَرَوَى الْغَلِيلَ، وَمِنْ بَعْدِمَا شَفِي الصَّبَّ مَاءَ اللَّيْلِ آلَا^(١)
 وَتَلَّمَ مَا شَاءَ مِنْ قَرِيبَةٍ وَزَادَ فَقَدْ تَلَّ مَا تَلَّ^(٢).
 وَسَلَّ عَلَيْهِ حُصَامَ النَّوَى، وَمَنْ يَأْسُ مَا سَلَّ مَا سَلَّ^(٣).
 وَضَرَمَ نَارَ الْجَوَى فِي حَنَاهُ فَالْحَفَّهَ ضَرًّا مَا ضَرَّمَا^(٤).
 وَعَدَّمَهُ الصَّبْرَ مِنْ بَعْدِهِ يَرَى فِرْصَةً عَدًّا مَا عَدَّمَا^(٥).
 أَعْيَيْتِيهِ، كَفًّا؛ فَأَصْلُ الْبَلَا - إِذَا مَا أَعْتَرَى وَأَنْتَمَى - أَنْتَمَا^(٦).
 وَيَسَا صَاحِبِيهِ، أَلَا عُدَّتْنَا، وَهَلَّا إِذَا عُدَّتْنَا عُدَّتَمَا^(٧)؟
 وَقَدْ قُلْتْنَا أَنْ سَيَقْضَى أَسَى؛ وَمِنْ قَبْلِهِ قُلْتُ مَا قُلْنَا^(٨).

٤ - ** تحفة القادم ١٥٨؛ الوافي بالوفيات ١٢: ٦٦ - ٦٧؛ بغية الوعاة ٢٢٣.

- (١) روى الغليل (حرّ العطش، العطش الشديد): أطفأ العطش. الصبّ: الماء اللين (سرة الشفاء) ربي (المحبوب). آلم (أدخل الألم على النص)، لأن المحبوب حجب ريقه (بمدنذ) عن المحب.
- (٢) البيت غامض. تلمّ: قطع، شقق. (قراءة نسب ٢) - في الأصل «قربه» مضبوطة بضمّة فسكون فكسرة. زاد (٢). تلّ: هدم.
- (٣) النوى: الفراق، البعاد. بأسو: يداوي. ما سلّ: أثر الحسام (السيف). سلّم (٢): ألقى السلام، نجى، أنقذ..... (٢).
- (٤) الجوى: ألم المحب. الحشا: الباطن، القلب. الحفه: غطاءه (باللحاف). ضرّ: أذى، مرض. ضرّم: أشعل النار.
- (٥) عدّمه: أعدمه، أفقده. الصبر (مفعول به). من بعده (بالضمّ ٢): فراقه، بعباده. - يرى فرصة (مفعول به ثانٍ مقدّم). عدّ (مفعول به أول مؤخر). عدّم (بالبناء للمجهول): في هذه الفرصة التي لا يرى المحب في أثنائها محبوبه يستطيع المحب أن يعرف الأشياء التي عدّمها (فقدتها لما ابتعد محبوبه).
- (٦) كفاً: توقفاً (عن الدمع، البكاء). اعترى: أصاب. انتمى (انتسب): إن ابتلاء المحب بالمصائب راجع إلى أن عينيه تروان بالمحبة اعترى = انتمى (٢).
- (٧) ويا صاحبيه (رفيقه). عدتّما: التجمّعا (احتميتما من أن يصيبكما المحب بالمصائب). وإذا كنتا أنتا قد عدتّما (ونجوتما) من الحب، فلماذا ما عدتّما (رجعتما) إليه (وأنقذتّما) كما هو فيه. عدتّما (في الأصل) بالذال المهملة. وقاعدة لزوم ما لا يلزم في هذه الأبيات أن تكون «عدتّما» (بالذال المعجمة). عدتّما (الثانية) لعلّها مستعملة فعلاً متعدّياً (وليست في الفاعوس بهذا المعنى) - يقصد أعجبتّاه، أنقذتّاه.
- (٨) قضى: مات. الأسى: الحزن. - وأنا قبلكما قلت عن هذا المحب أنّه سيموت من الحب (ومع ذلك فهو لا يزال حيّاً).

أبو عبد الله بن عسكر

١- هو القاضي أبو عبد الله بن عسكر (المرقبة العليا ١٢٣) أو أبو عبد الله محمد ابن عسكر (نفع الطيب ٢: ٣٥١): محمد بن علي بن عبيد الله بن الحضير بن هارون الفسائي الملقب (الذيل والتكملة ٦: ٤٤٩)، أصله من إحدى قرى مألقة، وكان مولده نحو سنة ٥٨٤ للهجرة (١١٨٨-١١٨٩ م).

تلقى أبو عبد الله بن عسكر العلم على نفر كثيرين في الأندلس وفي العذوة (المغربية) وفي المشرق. وقد ولي قضاء مألقة نيابة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن النباهي^(١) - عند انتقال الحكم في الأندلس من بني هود إلى بني الأحمر - (نحو ٦٣٠ هـ) ثم تولى قضاءها مستبداً (مستقلاً) إلى آخر حياته في ربيع جهاذي الآخرة من سنة ٦٣٦ (١٢٣٩/١/١٢ م).

٢- كان أبو عبد الله بن عسكر مستقيم السيرة ماضي العزيمة عادلاً. وكان متوقفاً الذهن واسع المعرفة بالقراءة (للقرآن الكريم) وبالحدِيث والفقه والنحو والتاريخ. وكان مؤلفاً صنّف عدداً من الكتب منها: مقامة سآها «رسالة آذخار الصبر وآفتخار القصر والقبر»، وهي غريبة في بابها - المشرع الروي في الزيادة على غريبي الهروي^(٢) - أربعون حديثاً (ألتمز فيها اسم شيخه اسم الصحابي)^(٣) - نزهة الناظر في مناقب عمار بن ياسر^(٤) - الجزء المختصر في السلو عن ذهاب البصر^(٥) - الإكمال

(١) تولى القضاء بمألقة من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٦٣٠ هـ في أيام الأمير محمد بن يوسف بن هود الذي كان مستبداً بما كان قد بقي للعرب في الأندلس قبل مجيء بني نصر أو بني الأحمر.

(٢) أحد بن محمد الهروي (ت ٤٠١ هـ) له كتاب غريب القرآن (الألفاظ القليلة الاستعمال في اللغة) وغريب الحديث.

(٣) اشترط أن يكون كل حديث من الأربعين حديثاً قد رواه صحابي اسمه كاسم أحد شيوخ أبي عبد الله ابن عسكر أو أن تكون الأربعون حديثاً رواها صحابة أسماؤهم كلهم كاسم شيخ واحد من شيوخ ابن عسكر^(٤).

(٤) عمار بن ياسر (ت ٣٧ هـ) من الصحابة وأحد السابقين إلى الدخول في الإسلام، ومن الولاة والغداة الشجعان.

(٥) ألقه لأي محمد بن أبي خرص (بضم الحاء) الضرير الواعظ.

والإتمام في صيلة الإعلام بحاسن الأعلام من أهل مألقة الكرام^(١).

ولأبي عبد الله بن عسكِرٍ نظمٌ جيدٌ يأتي فيه أحياناً بلُزومٌ ما لا يلزمُ. وهو أديبٌ مُحسِنٌ في النثر والنظم مع المقدرة على وجوه البلاغة.

٣- مختارات من آثاره

- لما كان أبو عمرانَ موسى بنُ سعيد^(٢) بالجزيرة الخضراء مُقدِّماً على أعمالها من قبَلِ ابنِ هود^(٣) وَصَلَ (إليه) كتابٌ مِنَ الفقيه القاضي أبي عبد الله مُحَمَّدِ بنِ عسكِرٍ قاضي مألقة، معَ أحدِ الأدباء، منه (نفع الطيب ٢: ٣٥١-٣٥٢):

أَفَاتِحُ مَنْ قَلْبِي بِعَلِيَّاهِ وَاتَّقُ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَبْصَارُ لَمْ تَسْخِ الْوُدَّ^(٤).
وَنَفَسْتُ بِمَا لِي مِنْ ذِمَامِ تَشِيْمِي بِالِ سَعِيدِ فَأَبْتَغَيْتُ بِهِ السَّعْدَ^(٥).
وَبِالْحَبِّ يَدْنُو كُلُّ مَنْ أَقْصَيْتُ النَّوَى بِرُغْمِ حِجَابِ النَّوَى بَيْنَنَا مَدًّا^(٦).

يا سَيِّدِي الَّذِي حَمَلْتَنِي مَا أَمَالَ أَسَاعِي مِنَ النَّوَى عَلَيْهِ أَنْ أَهْجَمَ عَلَى مُفَاتِحَتِهِ شَافِعاً فِي مُوَصِّلِهَا إِلَيْهِ، وَانْفَاقاً بِالْفَرْعِ لَعَلَّ الْأَصْلَ^(٧)، مُؤَمِّلاً لِلْإِفْضَالِ بِتَحْقِيقِ الْفَضْلِ^(٨). إِنْ لَمْ تَقْضِ بِاجْتِنَاعِ بَيْنَنَا الْأَيَّامُ فَلَا^(٩) تُجْزِيءُ مِنَ الْمَشَافَةِ بَيْنَنَا أَلْسُنُ الْأَقْلَامِ وَيُوحِي بَعْضُنَا إِلَى بَعْضِ سُورِ الْوِدَادِ^(١٠). وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَكَ فِي ذَلِكَ

(١) لهذا الكتاب اسم آخر، هو: مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار فيما احتوت عليه مألقة من الطلاء والروضاء والأخبار وتقييد ما لهم من المناقب والآثار. وأبو عبد الله بن عسكِرٍ مات قبل أن يكمل هذا الكتاب، فتولَّى كتابه (إكباله) ابن أخته أبو بكر بن محمد بن خيس.

(٢) من آل سعيد العنسي (راجع الجزء الخامس، ص ٣٣٨).

(٣) محمد بن يوسف بن هود المستبد مجنوبي الأندلس باسم المتوكل (٦٢١-٦٣٥ هـ).

(٤) أفاتح: أبدأ بمخاطبة...- الأبصار لم تسخ الود^(٤).

(٥) الذمام: العهد، الحرمة، الحق. التشيع: الانتاء إلى قوم أو رأي.

(٦) أقصى: أبعد (فعل ماض). النوى: البعاد، الفرقة، الفراق.

(٧) لعلم الأصل (لمعرفتي بمكانة آل سعيد وفضلهم).

(٨) الإفضال: الإحسان إلى الآخرين. تحقيق الفضل: الثقة بأن يحدث الإحسان الجديد (قياساً على ما عرف عن آل سعيد من الفضل السابق).

(٩) كذا في الأصل (المنى يقتضي أن يقال: فلا أقل من أن تجزيه....).

(١٠) الوداد: المحبة. سور الوداد (بالهبة الكاملة، المحبة السامية).

الأُفُقِي بَدْرًا^(١)، وأذناك من هذه الدارِ فَصِرْنَا لِقُرْبِ مَنْ يَرِدُ عَنْكَ لا نَعْدَمُ لك ذِكْرًا^(٢). فَكُلُّ يُشْنِي بالذي عَلِمْتَ سَعْدًا^(٣) وَيَصِفُ من خِلَالِكَ ما يُقْضِي (به) ذلك المَجْدُ^(٤). ولَمَّا كان إِحْسَانُكَ يُبَشِّرُ به الصَّادِرُ والوارِدُ وَيُحَرِّضُ عليه الغائِبُ والشاهد^(٥)، مَدَّ أَمَلَهُ نَحْوَك مُوَصِّلٌ هذه المَفَاتِحِ، وليسَ له وَسِيلَةٌ ولا بِضَاعَةٌ إِلَّا الأَدبُ^(٦)، وَهِيَ - عِنْدَ بَيْتِكَ الكَرِيمِ - راجِحَةٌ. وهو من شَتَّتَ حُطُوبُ هذا الزمانِ شَمْلَهُ وَأَبَانَتْ نَوائِبُهُ صَبْرَهُ وَفَضَّلَهُ^(٧). وما طَمَحَ بِبَصْرِهِ إِلَّا إلى أَفْئِكَ^(٨)، ولا وَجَّهَ رِجاءَهُ إِلَّا نَحْوَ طَرْفِكَ^(٩). والرِجاءُ من فَضْلِكَ أن يَعودَ وقد أَثْنَتَ حَقائِبُهُ^(١٠) وَأَعْنَقَتْ مِنَ الحَمْدِ رِكايبَهُ^(١١). ودُمَّتْ غُرَّةٌ في الزمانِ البَهِيمِ^(١٢) مَخْصُوصًا بأَفْضَلِ التَّحِيَّةِ والتَّسْلِيمِ.

- ومن شعره في النسيب، وفيه عاطفة فطرية من الطُفولة العذبة (نفع الطيب

: ٣٥٢ : ٢)

-
- (١) ... بَدْرًا (معروفًا مشهورًا نافعًا).
- (٢) ... ذَكَرَكَ عِنْدَنَا لا يَنْقَطِعُ.
- (٣) إشارة إلى قول الشاعر: «وما قلت إِلَّا بالذي علمت سعد» (أي بما هو معروف ومشهور).
- (٤) الخلال: الصفات، الحاصل الحميدة. ذلك المجد (القديم الذي لِقَوْمِكَ).
- (٥) الصادر (الذاهب من عندنا) والوارد (القادم علينا) والغائب (الذي ليس معنا الآن) والشاهد (الحاضر بيننا): جميع الناس.
- (٦) ... لا يجمع بينك وبينه إِلَّا المعرفة بالأدب (بالشعر) مثلًا، وإلا فإنه ليس قريبًا لك في الفن أو الجاه أو المكانة.
- (٧) أَبَانَتْ: أهدت، قطعت. نوائبه (نوائب الزمان: المصائب).
- (٨) أَفْئِكَ: بلدك (المكان الذي أنت فيه).
- (٩) طَرْفِكَ (الجانِب من البلاد حيث أنت).
- (١٠) إشارة إلى قول الشاعر الأُمويّ نَصِيب (بالتصغير) بن رباح (ت بين ١٠٥ و ١١٠ هـ):
فَاجِوا فَأَثَرُوا بالسدي أنتَ أَهلَهُ، ولو سَكوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الحَقائِبِ.
- (١١) الرَّكوبَةُ: المَطَبَةُ يسافر الناس عليها. أَعْنَقَتْ: مَدَّتْ أَعْناقَها وهي تَسير (مسرعة). من الحمد (بمجدونك سرورًا بما نالوا منك).
- (١٢) البَهِيم: الساذج، الغفل (بضم فسكون): الذي لا معالم فيه أو إشارات تهدي السائرين.

أهواك، يا بَدْرُ، وأهوى الذي يَعْدِلُنِي فيك، وأهوى الرقيب^(١)؛
والجارَ والدارَ وَمَنْ حَلَّها وكُلَّ مَنْ مَرَّ بها مِنْ قَرِيبٍ؛
وكُلَّ مُبْدٍ شَبَّها مِنْكُمْ، وكُلَّ مَنْ يَلْفِظُ بِأَسْمِ الحَيْبِ.

- وقال يصف رجلاً أحذبَ ويقارنه بشكلِ هندسيٍّ مثلث (الإحاطة ٢: ١٢٥):

وأحذبٍ تحسبُ في ظهره سفينَةً في نَهْرِ عائمته.
مثلثُ الخِلقةِ، لكنَّسه في ظهره زاوية قائمة.

- وصف البُلغة (والبلغة جِذاء خفيف مألوف في الشَّال الإفريقي وفي الأندلس، وهي، في الأصل، تُتخذُ من الخلفاء^(٢)). والبُلغة لا تزال معروفةً في المغرب إلى اليوم، وتُصنعُ من جلدٍ عاديٍّ ذي لونٍ أبيضٍ أو أصفرٍ في الأكثر). وهذه الأبيات من قصيدة قالها الشاعرُ في مدح السلطان المأمون أبي الملاء بن المنصورِ الموحديِّ (٦٢٦ - ٦٣٠ هـ):

رَبِيتُ إلى لُقَيَاكَ كُلَّ مَطِيَّةٍ مُبرِّاةٍ أَنْ تَعْرِفَ الأبَّ والسَّلَا^(٣).
إذا نَسَبوها فالتَّنوفةُ أمُّها، ووالِدُها ماءُ الغَمَامِ إذا أَنهَلَ^(٤).
وما عَلِمْتَ يوماً غِذاءً، وإِنَّا أَعَارَها الأَعْضاءُ صانِعُها قَتلاً^(٥).
وقد ضَمُرْتُ حتَّى اغْتَدتُ من نُوعِها
فلو عَرَّضْتُ للشَّسْرِ ما أُسْقَطْتَ ظِلًّا^(٦).

- (١) البدر: المبوب الجميل الذي يشبه البدر. يعذل: يلوم. الرقيب: الذي يتابع أعمال المحبين لينص على حياتهم (ينصهم من الالتقاء، يشي بهم، إلخ).
- (٢) الخلفاء: نبات ينبت على أطراف الماء له أوراق ليفية تشبه سف النخيل تصنع منه حبال، ويشتمل أيضاً بسرعة وشدة.
- (٣) يشبه البلغة الماطية (الدابة التي يسافر الناس عليها)، سوى أنها لا أبوان لها ولا نسل (أولاد) لها.
- (٤) التنوفة: الغلاة (الأرض الواسعة لا ماء فيها). أنبل: انهر (هطل: سقط بكثرة).
- (٥) أعضاؤها (أقسامها) لم تأت من النمو بالغذاء، ولكن الذي صنع البلغة كان قد قتل أوراق الخلفاء على أشكال مختلفة.
- (٦) ضمرت: أصبحت نحيلة أو هزيلة. اغتدت (كذا في الأصل بالادال المهملة): أصبحت. التسع (بالكسر) سير عريض من جلد. اغتدت من نوعها^(٧).

- وما في قراها قدرٌ مَعْدُ رَاكِبٍ ، وَلَكِنَّهَا سَاوَتْ مِاسَاحَتَهَا الرَّجُلَا (١) .
لِتَبْلِيغِهَا الْمُضْطَرَّ تُدْعَى بِبُلْفَةِ ، وَإِنْ قَسَتْ بِالتَّشْبِيهِ شَبَّهَتْهَا نَمْلَا (٢) .
سَأَشْكُرُهَا جُهْدِي وَأَنْتِي بِفَضْلِهَا ؛ فَقَدْ بَلَّغْتَنِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الرَّمْلَا (٣) :
مَلِيكًا كَأَنَّ الشَّمْسَ نَوْقَ جَبِينِهِ ، وَلَيْثَ الشَّرَى فِي دِرْعِهِ حَامِيًا شَيْلَا (٤) .
إِذَا رَأَى أَمْرًا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ «عَسَى» ؛ وَإِنْ قَالَ: كُنْ ، لَمْ يَخْشَ فِي غَرَضٍ مَوْلَى (٥) .

وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ فِي اللَّهِ هَمُّهُ

فِيُجْرِي لَهُ ، فِي ذَلِكَ ، الْقَوْلَ وَالنِّعْمَلَا (٦) .

- ٤ - * الذيل والتكملة ٦: ٤٤٩-٤٥٢ (رقم ١٢١٨)؛ المرقبة المليا ١٢٣، راجع ١١١٢ ؛
الإحاطة ٢: ١٢٢-١٢٥ ؛ نصح الطيب ٢: ٣٥١-٣٥٢ ، ٣: ٣١١ ،
٤: ٣١١-٣١٢ ، ٥: ١٣٠ .

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْإِسْتِجِيّ

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد الإِسْتِجِيّ ، كان أسلافه من سُكَّانِ إِسْتِجَةَ ثُمَّ آتَقَلُّوا إِلَى مَالِقَةَ .

وُلِدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِسْتِجِيّ فِي مَالِقَةَ وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَمَيْرِيِّ الْقُرْطُبِيِّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ حَوْطِ اللَّهِ وَأَبُو عَلِيٍّ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ

- (١) القرى (بالفتح): الظهر .
(٢) لتبليغها المضطر: للوصول بالهتاج إلى السفر تسمى بلغة (تبلغه مقصده) .- في عملها (خدمتها) لصاحبها تشبه المطية) أما شكلها فيشبه النمل .
(٣) جهدي: بأقصى طاقتي . أنتي بفضلها: أشكرها على فضلها .
(٤) الشري: الجبل . ليث (أسد) الشري يكون شديداً ضارياً . هم أسد الشري (شجمان أقوياء) .- في درعه حامياً شَيْلَا (٤) .
(٥) لم يكن فيه من «عسى»: لم يكن فيه تردد . المولى: السيد . لم يخش (يخاف) في غرض (في أمر من أمور) مولى (سيداً) فوقه يمنعه مما يريد) .
(٦) كلّ همة أن يرضي الله بأعماله . من أجل ذلك يجري له الله ذلك (يساعده الله على تنفيذ كل ما يريد) من قول أو فعل) .

المجيد الأزدي وأبو علي بن سيري^(١). ثم إنه أقرأ في بلده مألقة وهو بقعد في العشرين من العمر.

ويبدو أن الاستجوي هذا قد جاء إلى غرناطة^(٢) في آخر عمره - سنة ٦٣٩ للهجرة - ومريض فيها ثم توفي في أواخر سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤٢ م) في الأغلب.

٢- كان محمد بن أحمد الإستجوي من حملة العلم والمشتغلين بالحدِيث، ولكن الأدب غلب عليه. وله نثر وشعر ليسا في الغاية من الإجادة. ثم هو مُصنّف له: ظهور الإعجاز بين الصدور والأعجاز^(٣) (شرح لديوان المتنبي) - شمس البيان في نَسب البنان - الزهرة الفاتحة في الزهرة اللاتحة^(٤) - نفع الكيامات^(٥) في شرح المقامات - اقتراح المتعلمين في اصطلاح المتكلمين - التصور والتصديق في التوطئة لعلم التحقيق (في المنطق؟) - رقم الحلل في نظم الدول - مفتاح الإحسان في اصطلاح الإحسان^(٥)، هذا بالإضافة إلى ما له من شعر ونثر وخطب ورسائل. وهذه الكتب الدالة على اتساع نطاق معرفته لم يصل إلينا منها شيء.

وفي شعر أبي عبد الله الإستجوي شيء من العذوبة - برغم ما يبدو عليه من التقليد - فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب للاستجوي مطلع قصيدة هو: « ما للنسيم لدى الأصيل عليلًا^(٦)؟ » ثم أورد منها بيتاً واحداً هو:

حتسى النسيم إذا ألمَّ بأرضهم خَلَموا عليه رِقَّةً ونُحوها^(٧).

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن أحمد الاستجوي على طريقة أهل التصوف في ذكر الأماكن المقدسة:

- (١)
- (٢) يبدو أنه انتقل من مألقة إلى غرناطة لئلا كانت قد وفقت عليه في مألقة.
- (٣) الإعجاز (بالكسر): عجز بعض الناس عن فعل ما يقدر عليه بعضهم الآخر. الأعجاز (بالفتح) جمع عجز (بفتح فـم): الشطر الثاني من بيت الشعر. الصدور جمع صدر: الشطر الأول من بيت الشعر.
- (٤) نفع: انتشار الرائحة، الكيامة: الأوراق الخضراء التي تضم الزهرة قبل أن تتفتح الزهرة.
- (٥) الإحسان... الإحسان^(٤).
- (٦) الأصيل: منتصف الوقت بين الظهر والمغرب. العليل: الضيف (القليل الحر).
- (٧) ألمّ: مرّ (بأرضهم) أو نزل نزولاً خفيفاً (غليلاً).

قِفُوا فِي رُبِّي نَجْدٍ، فِي الْقَلْبِ مَرَاةٌ؛ وَعَنُوا إِذَا أَبْصَرْتُمْ ثُمَّ مَفْضَاهُ^(١).
 أَمَا هَذِهِ نَجْدٌ؟ أَمَا ذَا هُوَ الْجِمَى؟ فَهَلْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ أَمْ صَمَّ أُذُنَاهُ^(٢)؟
 دَعُوهُ يُؤْتِي ذِكْرَهُ بِلِسَانِهِ دُونَ هَوَاهُ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ^(٣).
 وَيَا سَاقِيَا عَيْسَ الْفَرَامِ بَلْوَمِهِ

- وَكُلُّ إِذَا يَنْشَاهُ فِي الْحُبِّ يَخْشَاهُ^(٤) -

أَرْحَاهَا، فَقَدْ ذَابَتْ مِنَ الْوَجْدِ وَالسُّرَى، وَلَمْ يَسْقَ إِلَّا عَظْمُهَا وَبَقَايَاهُ^(٥).
 وَيَا صَاحِبِي، عَجِبِي عَلَى الْحَيْفِ مِنْ مَنِي، وَيَا ذَا التُّعَى، مَنْ لِي بِأَنِّي أَلْقَاهُ^(٦)؟
 وَعَرَّجْ عَلَى وَادِي الْعَمِيقِ فَإِنِّي أَسْأَلُ عَمَّنْ كَانَ بِالْأَمْسِ سَكْنَاهُ^(٧).
 وَقُلْ لِلْيَالِ قَدْ سَلَفَنَ بَعِيثِهِ وَعُمِرْ عَلَى رَعْمِ الْعَدُولِ قَطْعَنَاهُ^(٨)،
 هَلِ الْعَوْدُ أَرْجُوهُ أَمْ الْعُمُرُ يَنْقُضِي فَأَقْضِي وَلَا يُقْضِي الَّذِي أَمْتَنَاهُ^(٩)؟

- وله من برنامج مَشِيخَتِهِ (وفيه تكلفٌ كثيرٌ وتَوَرِيَاتٌ وإشاراتٌ مُختلفةٌ إلى

الأدب والنحو والتاريخ):

ما هذه الأنوارُ اللاتحةُ والأنوارُ الفاتحة^(١٠). إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ الْحِكْمَةِ وَلَا أَفْنَدُ،

(١) المرسي: النزول، البقاء، السكى. الفنى: المكان المعبور (الذي يسكنه الناس).

(٢) الجمى: المسكن الذي يجب علينا حايته.

(٣) قبل أن يتوفاه الله (قبل أن يموت).

(٤) العيس جمع عيَّاء: الناقة. - يا أيها الذي يسوق النياق إلى نجد (مكان المحبوب) وهو بنشد لوم المحب. - وكلُّ إنسان يرى هذا المحبَّ يخاف منه (لتسلك جسمه بالتحول من أثر الحب)؟ -

(٥) أرحها: أترك العيس مدةً بلا سير (بلا سفر) فلعلها تستريح قليلاً (لكثرة أسفار هذا المحب عليها ولبعد أسفاره). الوجد: شدة الحب أو ألم المحب. السرى: السير في الليل.

(٦) عاج: مال (إلى مكان لينزل فيه). الحيف ومنى في الحجاز (من مناسك الحج) يكنى بها عن مكان المحبوب.

(٧) ... عن المحبوب الذي كان يسكنه.

(٨) العدول: اللأم. سلفن (مضين - يفتح الضاد) بعيشه (بالعيش فيه؟).

(٩) العود: الرجوع إلى ذلك المكان. فأقضي (أموت). لا يقضي الذي أمتناه (لا يتاح لي ما أتمنى: زيارة المحبوب).

(١٠) الأنوار (الأولى) جمع نُور (بالضَمِّ): الضوء، الضياء. الأنوار (الثانية) جمع نُور (بالفتح): الزهرة. اللاتحة: البادية للنظر. الفاتحة: التي تنتشر منها الرائحة الطيبة.

وَأَرَدَ مَوْرَدَ النُّعْمَةِ وَلَا أَكْتَدُ^(١). أَمِنْكَ دَارِينَ يُنْهَبُ أُمُّ الصَّنْدَلُ فِي الضَّرَامِ
 الْمَلْهَبِ^(٢)؟ أَمْ تَفْتَحَتْ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ ففَاحَ نَسِيمُهَا، وَتَوَضَّحَتْ أَسْبَابُ الْمَيْتَةِ ففَلَاحَ
 وَسِيمُهَا^(٣)؟

(وقال في صُلبِ هذا البرنَامِجِ في ذِكْرِ نَفَرٍ مِنْ شُيُوخِهِ):

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ الْعَالِمُ الْعَدْلُ الْمُحَدِّثُ^(٤). الْأَكْمَلُ الْمُتَمَنِّنُ الْخَطِيبُ الْقَاضِي
 أَبُو مُحَمَّدِ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ^(٥)، سَمِعْتُ عَلَيْهِ كُتُبًا كَثِيرَةً بِأَلْفَةٍ بِقِرَاءَةِ الْفَقِيهِ أَبِي الْعَبَّاسِ
 أَبِي غَالِبِ^(٦)، وَلَقَيْتَهُ بِقَرْطَبَةَ - وَهُوَ قَاضِيهَا - وَحَدَّثَنِي عَنْ جَدِّي وَعَنْ جُمْلَةِ شُيُوخِ
 وَلَهُ بَرْنَامِجٌ كَبِيرٌ. وَأَخُوهُ الْقَاضِي الْفَاضِلُ أَبُو سُلَيْمَانَ مِنْهُمْ.

وَمِنْهُمْ الْفَقِيهُ الْأَجَلُّ الْعَالِمُ الْعَلَمُ الْأَوْحَدُ النَّحْوِيُّ الْأَدِيبُ الْمُتَمَنِّنُ أَبُو عَلِيٍّ عُمَرُ
 أَبِي عَبْدِ الْمَجِيدِ الْأَزْدِيِّ^(٧)، قَرَأْتُ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ الْعَزِيزَ مُفْرَدًا^(٨)، وَكُتَابَ الْجُمَلِ
 وَالْإِبْرَاضِ وَسَيَّبُونِيهِ^(٩) تَفَقُّهُ^(١٠). وَمَا زِلْتُ مُوَاطِنًا لَهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) أَكْتَدُ (يُنْسَبُ إِلَى الْفَنْدِ) يَفْتَحُ فَفَتَحَ - ضَمَّ الرَّأْيَ (الْمَجْنُونُ). أَكْتَدُ (يُنْسَبُ إِلَى الْكِنُودِ): كَفَرَانُ
 النُّعْمَةُ أَوْ نَكَرَانَا). وَفِي ذَلِكَ اقْتِسَامٌ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٢: ٩٤، يُوْسُفُ): ﴿إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ
 لَوْلَا أَن تَتَذَكَّرُونَ﴾ (١٠٠: ٦، الْعَادِيَاتُ): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

(٢) دَارِينَ اسْمٌ لِمَكَائِينَ (فِي الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّامِ: سُورِيَّةٌ) مَشْهُورِينَ بِالْمَسْكِ. نُهَبٌ: أُنْجِحَ لِجَمِيعِ النَّاسِ.
 الصَّنْدَلُ: مَادَّةٌ طَيِّبَةٌ الرَّائِحَةُ تَلْفَى فِي النَّارِ تَفْتَوْحُ رَائِحَتَهَا.

(٣) لَاحَ: طَهَرَ. وَسِيمُهَا (شَبَّحَهَا الْجَمِيلُ).

(٤) الْعَدْلُ: الَّذِي تَقْبَلُ شَهَادَتَهُ أَمَامَ الْقَاضِي (تَقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُوتِ وَاللَّوَّاحِدِ وَاللَّجَجِ). الْمُحَدِّثُ: الْمُنْتَغَلُّ
 بِالْحَدِيثِ (حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ).

(٥) الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْمَالِقِيِّ (ت ٦١٢ هـ) تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بِلْدَانِ
 عَدِيدَةٍ فِي الْأَنْدَلُسِ وَأَفْرِيقِيَّةِ. كَانَ فَقِيهًا أَدِيبًا، وَلَهُ شِعْرٌ (الرَّقِيبَةُ الْعَلِيَّا ١١٢). وَحَوْطُ اللَّهِ تَحْرِيفُ
 (فِيهَا يَبْدُو) مِنْ حَوْتَلَلُو (حَوْتٌ: سَمَكَةٌ، وَدَأَلَلُو = عَلَامَةُ التَّصْفِيرِ فِي الْإِسْبَانِيَّةِ).

(٦) لَعَلَّهُ الْفَقِيهُ الْقَاضِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ غَالِبِ الْأَنْصَارِيِّ (ت نحو ٦٤٠ هـ أَوْ قَبِيلَ ذَلِكَ).
 وَتَوَلَّى قَضَاءَ غَرْنَاطَةَ، فِي الْأَغْلَبِ (الرَّقِيبَةُ الْعَلِيَّا ١٢٤).

(٧)

(٨) مُفْرَدًا: بِرَوَايَةِ (فِي الْقِرَاءَاتِ) وَاحِدَةً (بِقِرَاءَةِ نَافِعٍ وَحَدَّثَهَا أَوْ بِقِرَاءَةِ وَرَشٍ وَحَدَّثَهَا إِلَيْهِ - رَاجِعَ ذَلِكَ
 فِي تَرْجَمَةِ الْقُرْطُبِيِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٥٩٠، فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٩) كِتَابُ الْجُمَلِ (لِلزَّجَّاجِيِّ) وَكِتَابُ الْإِبْرَاضِ (لِأَبِي عَلِيٍّ الْفَارَسِيِّ) ثُمَّ سَيَّبُونِيهِ = الْكِتَابُ .

(١٠) تَفَقُّهُ: فَهْمًا وَمُنَاقَشَةً وَنَقْدًا (كَانَ يَعْرِفُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ). وَهُوَ الْآنَ يَرِيدُ أَنْ يَزِدَّ مَعْرِفَةَ بِهِ).

وكان فريداً عصره في الذكاء، ولم يكن في طلبه الأستاذ أبي زيد السهيلي أنجب منه^(١).....

ومِنهمُ الفقيهُ الأجلُ العالمُ المُحدِّثُ السيِّدُ أبو محمَّدِ القُرطُبيّ^(٢)، قرأتُ عليه القرآنَ بالرواياتِ مُفرداتٍ^(٣)، وتَفَقَّهْتُ عليه في الجُمَلِ^(٤) والأشعار. وأجازني جميعَ ما رواه^(٥). وكذلك فَعَلَ كُلُّ واحدٍ مِن تَقَدَّمَ.

٤- ** الإحاطة ٢: ٢٤١ - ٢٥٠.

موسى بن سعيد العنسي

١- هو أبو عمران موسى بن محمد (٥١٤ - ٥٨٩ هـ) بن عبد الملك (٤٢٦ - ٥٦٢ هـ) بن سعيد العنسي، وُلِدَ في (قلعة بخصب)* في خاص رجب من سنة ٥٧٣ للهجرة (٢٨ / ١٢ / ١١٧٧ م). ثم إن موسى أذرك الفيلسوف آبن رُشد (ت ٥٩٥ هـ) وتلقى عليه شيئاً من العلم (المغرب ١: ١٠٤).

بدأ موسى بن سعيد حياته السياسية بأن تولى الكتابة لعبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن (أخي المنصور الموحد)، حينما كان عبد الواحد هذا والياً على الأندلس (إشبيلية؟). ويبدو أن منافسة شديدة كانت بين عبد الواحد والمستنصر أبي يعقوب يوسف الثاني (حفيد يعقوب الأول المنصور) وسُلطان المغرب (٦١١ - ٦٢٠ هـ). وأراد المستنصر أن يستميل موسى بن سعيد فعرض عليه الوزارة في مراكش، فلم يقبل موسى (نفع الطيب ١: ٥٨٢ - ١٨٣).

(١) أبو زيد (أبو عبد الرحمن) السهيلي (ت ٥٨١ هـ) صاحب كتاب «الروض الأثف (بضم فاضم).

(٢)

(٣) كل ختمة من القرآن (قراءة كاملة) برواية واحدة في الفراءات (راجع الحاشية الثانية على هذه الصفحة).

(٤) الجمل = كتاب الجمل (للزجاجي)

(٥) سح لي بأن أروي عنه (ما نعلته منه): أعلمه لعيري.

* بخصب (بضم الصاد أو بكسرها).

وَأَسْتَطَاعَ عَبْدُ الْوَاحِدِ أَنْ يَتَوَلَّى الْمُلْكَ فِي مَرَاكُشَ (٦٢٠ - ٦٢١ هـ) عاماً واحداً
 ثُمَّ خَلَعَ وَقُتِلَ (نفتح الطيب ٤: ٣٨٤). ومع أن موسى بن سعيد لم يكن في مَرَاكُشَ يومَ
 تولى عبد الواحد المُلْكَ، بل كَتَبَ إليه من إشبيلية يُهنئُهُ (نفتح الطيب ٢: ٣٦٢)،
 فإنه ذَهَبَ إلى مَرَاكُشَ (المغرب ٢: ٥٣) بعد ذلك.

ثم نَارَ أبو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ بْنِ هُودٍ، سَنَةَ ٦٢٥ للهجرة (١٢٢٨ م) على
 الموحدين وأَسْتَبَدَّ بالصُخَيْرَاتِ (قُرْبَ مُرْسِيَّةٍ) وَأَتَسَعَ مُلْكُهُ فِي جَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ، فَالَ
 مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ الْعَنْسِيِّ وَأَبْنَهُ مُوسَى (صاحبُ هذه الترجمة) مَعَهُ إِلَى آيِنِ هُودٍ وَنَقَضَا
 ولاءَهُمَا لِلْمُوحِدِينَ (كما كانا قد نقضا من قبلُ ولاءَها للمرابطين).

وأراد آيِنُ هُودٍ أَنْ يُكَافِيَءَ بَنِي سَعِيدٍ عَلَى نُصْرَتِهِمْ لَهُ فَوَلَّى مُوسَى عَلَى الْجَزِيرَةِ
 الْخَضْرَاءِ.

وَأَتَّصَلَ اسْتِبْدَادُ آيِنِ هُودٍ بِجَنُوبِ الْأَنْدَلُسِ عَشْرَ سِنِينَ ثُمَّ قَتَلَهُ أَحَدُ وُلايَتِهِ، سَنَةَ
 ٦٣٥ للهجرة (في أوَّلِ شَهْرِ عامِ ١٢٣٨ م).

ويبدو أَنَّ مُوسَى بْنَ سَعِيدٍ قَدْ تَنَقَّلَ بَعْدَ ذَلِكَ مُدَّةً فِي مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ رَأَى أَنْ
 مُقَامَهُ فِي الْأَنْدَلُسِ أَصْبَحَ كَثِيرَ الْأَضْطِرَابِ فَعَزَمَ عَلَى الرَّحَلَةِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِنِيَّةِ الْحَجِّ،
 غَيْرَ أَنَّهُ تُوُفِّيَ بَعْدَ وُصُولِهِ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَذَلِكَ فِي ثَامِنِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٤٠ (٣٠٠/
 ١٢٤٣ م).

٢- كان أبو عمرانَ موسى بن سعيدٍ رَجُلًا سِياسِيَّةً، وَدَوْلِيَّةً مِثْلَ أَهْلِهِ. وَكَانَ كَاتِبًا
 مُتَرَسِّلًا وَشَاعِرًا، إِلَّا أَنَّهُ أَبْرَعُ فِي ثَنَرِهِ مِنْهُ فِي شِعْرِهِ. وَالَّذِي يَبْدُو أَنَّ مَيَّزَتَهُ كَانَتْ فِي
 اتِّسَاعِ مَعْرِفَتِهِ بِالتَّارِيخِ وَبِالأَدَبِ، وَهُوَ أَحَدُ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي تَأْلِيفِ كِتَابِ «الْمَغْرِبِ فِي
 حُلَى الْمَغْرِبِ».

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو عمرانَ موسى بن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدٍ فِي الْمَطْفَرِ عَبْدِ الْمَلِكِ

العامري^(١) (المغرب ٢: ٣٠٢) إملاء (أرتجالاً):

مَلِكٌ لَمْ يَرِثِ الْإِمَارَةَ عَنْ كَلَالَةٍ وَبَدْرٌ لَمْ يَطْلُعْ بِغَيْرِ هَالَةٍ^(٢)، إِذْ كَانَ قَدْ تَقَدَّمَتْ
بِئَلْسِيَّةٍ رِثَاسَةً جَدَّهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(٣)، وَأَوْى مِنْهُ أَهْلُهُا - فِي تِلْكَ
الْحَطُوبِ - إِلَى حِرْزِ حَرِيزِ^(٤). فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ التَّيْتَلَ فِي الْمَخْبِرِ^(٥) مِثْلُ الْأَسَدِ،
فَقَلَّدُوهُ تِلْكَ الْقَلَائِدَ قَدَبٌ عَنْ نِظَامِهَا وَاجْتَهَدَ^(٦). فَهَزَمَ الْمُتَمَثِّمِينَ وَأَخْرَجَ عَنْ بِلَادِهِ
أَمِيرَهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَانِيَةَ. وَطَلَعَ عَلَى تِلْكَ الظُّلْمِ كَالصُّنْحِ الْمُبِينِ^(٧)، إِلَّا أَنَّهُ صَادَفَ
فِي شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ الْأَمِيرَ أَبَا مُحَمَّدٍ بْنَ عِيَاضِ أَسَدِ الْحُرُوبِ وَقُطِبَ الْحَطُوبِ^(٨)، رَجُلٌ
الشُّغْرُ^(٩) شُهْرَةٌ وَشِجَاعَةٌ، وَقَدْ أَلْقَى جَمِيعُ تِلْكَ الْبِلَادِ لَهُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ. فَهَوَّتْ قُلُوبُ
أَهْلِ بِلْسِيَّةٍ إِلَيْهِ^(١٠). وَرَأَى أَيْضًا عَبْدَ الْعَزِيزِ صَرَفَهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَتَارُوا عَلَيْهِ. فَخَضَعَتْ
أَقْلَامُهُ لِلسُّيُوفِ^(١١)، وَدَارَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْفِتَنِ صُرُوفٌ^(١٢). فَلَمْ يَرِ إِلَّا الْفِرَارَ، قَائِلًا لَيْسَ

- (١) من نسل المنصور بن أبي عامر (ت ٣٩٢ هـ) المستبد بأمر الخلافة المرابية في أيام هشام بن الحكم المنصور بن عبد الرحمن الناصر.
- (٢) الكلالنة: الرجل يموت لا أولاد له ولا زوجة (إن المظفر لم يصحح ملكاً لأنه لم يكن هنالك ملوك، بل انتزع الملك من أصحابه). الهالة دائرة (مظلمة أو ملوثة) ترى حول الجرم المضيء بنفسه كالشمس والقنديل (وهي في الحقيقة ترى حول عين الراي - أو عين الجسم المضيء: وعين الراي حيناً يكون الهواء مشعباً بالرطوبة على درجة معينة). وكانوا من قبل يمتقدون أن الهالة تدل على شيء من القداسة.
- (٣) هو حفيد المنصور بن أبي عامر.
- (٤) الخطب: المصيبة، الحادث المؤذي. أوى: التجأ.
- (٥) في القاموس (٣: ٣٤١): التيتل (بالثاء المثناة) الوعل المسنّ، نوع من بقر الوحش (الفرلان). المخبر: الاختبار (حقيقة الأمر).
- (٦) قلدوه تلك القلائد (وأوه - بفتح اللام - الحكم). ذب: دفع (دافع، حامى عن البلد).
- (٧) المبين: الظاهر، الواضح.
- (٨) صادف (يقصد: وافق، حدث). ابن عياض: ملك (مستبد) بشرق الأندلس (راجع نفع الطيب ٤: ٤٥٦). قطب الخطوب (سبب تلك الأحداث الكبار).
- (٩) الشغر: المكان (براً أو بحراً) يجشى مجيء العدو منه بحكم منطقة قريبة من بلاد الاسان.
- (١٠) هوت إليه القلوب (مالت).
- (١١) انهزم أذبه (ورجال بلاطه الأدباء) أمام القوة.
- (١٢) الصروف: المصائب.

على زأر الأسد قراراً^(١). فجاءت به المقادير إلى أن حصلتَه في يدِ عدوِّه عبدِ الله بن غانية، فسجَّنه في جزيرة ميورقة إلى أن يسَّر اللهُ سراحَه على يدِ الموحِّدين. فحلَّ بَرَآكشَ تحتَ نِعمةٍ ضافيةٍ ملحوظاً بعينِ الرُّعاية مُتفقداً من الأمرِ العزيزِ بأجزَلِ جِرايةٍ^(٢).

- قال موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد في نهرِ أندرَشَ (المغرب ٢: ٢٣٥):

خَلَّني في نَهْرِ أُنْدَرَشَ كَيْ أَرَوِي عِنْدَهُ عَطْشِي.
مُدَّ مِنْهُ بِنَصَمٍ نَضِرٌ فِي بَيْطِ الرِّياضِ وَشِي^(٣).
عِنْدَ ما أَبْصَرْتُ بَهْجَتَهُ حِرْتُ مِنْ فِكْرٍ وَمِنْ دَهْشِ^(٤).

- وقال يُردُّ على من عاتبه^(٥) بكثرةِ المُطالعةِ والصبرِ عليها (المغرب ٢: ١٧٠ = نفع الطيب ٢: ٣٣٤):

يا مُفْنِياً عُمَرَه في الكَأْسِ وَالوَتْرِ^(٦) وَرَاعِياً في الدُّجى لِلأَنْجَمِ الزُّهْرِ^(٧)
يَبْكِي حَبِيباً جَفَاءً أَوْ يُنادِمُ مَنْ يَهْفُو لَدَيْهِ كَفْضِ بِاسْمِ الزُّهْرِ^(٨)،
مُتَمَّاً بَيْنَ لَذَاتِ يُمَحِّمُها وَلَا يُخَلِّدُ مِنْ فِخْرِ وَلَا سِيْرِ^(٩)،

(١) يقول النابغة الذبياني:

أُنْسِيتُ أَنْ أبا قايوسِ أَوْعَسَني، وَلَا قَرارِ عَسَلِي زَأرُ مِنَ الأَسَدِ.
لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَطْمَئِنَّ إِذا كانَ يَسْمَعُ صَوْتَ أَسَدٍ (إذا كانَ إلى جانبِهِ ما يَهْدِدُهُ).

(٢) المتفقَدُ الَّذي يَحْتَضِرُ بِهِ أناسٌ كَثيرونَ. مِنَ الأَمْرِ العَزيزِ (أمرُ المَلِكِ). أَجْزَلُ (أكْبَرُ، أَثَمُّ) جِراية: مَرْتَبٌ جازٌ عَلى المَوظَّفِ أَوْ المَقْرَبِ بِاسْتِمْرارِ.

(٣) نَضْرٌ، ناضِرٌ: رَيَّانٌ، بَرَاقٌ. وَشِي (المقصود: الفَعْلُ المَجهولُ مِنَ وَشَى - تَشديدُ التَّينِ - زَيْنٌ).

(٤) الدَهْشُ (بِفتحِ أَوْ بفتحِ فَفتح): التَّحيرُ، ذهابُ المَعْلِ.

(٥) هو يردُّ بِهذه الأبياتِ عَلى ابنِهِ عَلِيٍّ (ت ٦٨٥ هـ) وَالْمُؤَلَّفِ الأَحيرِ لكتابِ المَغربِ (راجع نفع الطيب ٢: ٣٣٣ - ٣٣٤).

(٦) الكَأْسُ (شَرِبَ الخَمْرَ) وَالوَتْرُ (سَاجَ الفَناءِ): اللَهوُ.

(٧) الزُّهْرُ جَمعُ أَزْهَرٍ: لاجع، مُشْرِقٌ. رَاعِياً لِلأَنْجَمِ الزُّهْرِ: ساهِراً بِلا عَمَلٍ مُنتَجِ.

(٨) جَفاءٌ: هَجرٌ. هَفا إِلَيْهِ: مالَ، اشْتاقَ. كَفْضٌ (حَبيبٌ مُعتَدِلُ الفَامةِ كالنَضْرِ).

(٩) يُمَحِّمُها (يُضِيعُها سدى). السِيرةُ: السَمعةُ الحَسنةُ أَوْ التَّاريخُ المَكتوبُ.

وعاذل لي فيما ظلمت أكتبه:

يُنْدي التمجُّب من صبري ومن فكري^(١)؛

يقول: ما لك؟ قد أفنيت عمرك في

جبر وطرس عن الأغصان والحبر^(٢) وظلمت تسهر طول الليل في تعب

ولا ترى أبد الأيام من صجر^(٣). أقصر، فإني أذرى بالذي طمحت

لأفقه همسي، وأسأل عن الخبر^(٤)، وأسمع لقول الذي تتلى محاسنه،

من بعد ما صار مثل التُّرب، كالسور^(٥)، بعد المات، جمال الكتب والسير^(٦).

٤ - ** المغرب (٢: ١٧٠ - ١٧١) ثم راجع ١: ٩٨ - ٩٩، ١٠٤، ١٠٥ - ١٠٧، ١١٠،

١٤٢، ٢٢١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٣٢٠، ٣٣٤، ٤٢٣، ٤٢٤ - ٤٢٦، ٤٣٤،

٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٧ : ٢، ٣٥، ٥٣، ٦٣، ٧٣، ٨١ - ٨٢، ٨٥، ١٠٣،

١١٠ - ١١٣، ١١٨، ١٢٠، ١٤٥، ١٤٨ - ١٥١، ١٥٣، ١٦٤، ١٨٥، ١٨٠،

٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٣،

٢٧٦، ٢٨٨، ٣٠١، ٣٠٨، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٦٢، ٣٧٨، ٣٨٤، ٤٠٦؛ نفع

الطيب (٢: ٣٣٣ - ٣٣٥) ثم ١: ١٥٤ - ١٥٥، ١٧٨، ١٧٩ - ١٨٢، ١٨٣ : ٢،

٣٣٧، ٣: ١٨٣، ٣٥١، ٣٦٤ - ٣٦٦ : ٤، ١٣٨ - ١٤٠.

الأعلم البطليوسي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن قاسم بن إسحاق الأعمى البطلْيُوسي^(٧) النحوي،

(١) العاذل: اللائم. ظلت (بالكسر) = ظلمت (بكسر اللام الأولى وسكون الثانية).

(٢) في حجر (مداد أسود يكتب به) وطرس (ورق): في الكتابة والتأليف. الأغصان والحبر (الثوب الجميل من الحرير الأسود) لعله يقصد النساء الجميلات (اللواتي قامهنّ متندلة كالأغصان وأشارهن أو طاهر جلدهنّ ناعم كالحرير).

(٣) إن كلمة ظلمت (في هذا البيت وفي البيت الرابع من هذه القطعة أيضاً) مضبوطة (في نفع الطيب ٢: ٣٣٣) بفتح الظاء. أبد الأيام: كل الأيام (التي لا تنتهي).

(٤) أقصر (ترك هذا الاعتراض).

(٥) من بعد ما صار مثل التُّرب (بعد ما مات). تتلى محاسنه كالسور (محاسنه كريمة كالسور في القرآن الكريم - هذه مبالغة غير مستحبة).

(٦) الواضح أن البيت مضمّن - السيرة (تاريخ رجل عظيم).

(٧) هو غير الأعمى التنمري يوسف بن سليمان (ت ٤٧٦ هـ). وفي سنة وفاة الأعمى البطليوسي شيء من الخلاف.

وُلِدَ فِي بَطْلَيْوَسَ وَأَخَذَ النِّحْوَةَ عَنِ الْأَسْتَاذِ هُدَيْلِ^(١) مِنْ عُلَمَاءِ النِّحْوَةِ. ثُمَّ إِنَّهُ تَصَدَّرَ لِلإِقْرَاءِ فِي إِشْبِيلِيَّةَ، فِي عَدِيدٍ مِنَ الْفُنُونِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ - ١٢٤٥ م) فِي الْأَغْلَبِ.

٢- كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ رَجُلًا ضَيِّقَ الصَّدْرِ بِكُلِّ شَيْءٍ كَثِيرَ الشُّكْوَى مِنَ الزَّمَنِ وَمِنَ النَّاسِ، وَهَجَا حِمَصَ (إِشْبِيلِيَّةَ) وَلَمْ يَتَّقَ أَنْ هَجَاهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَكَانَ بَارِعًا فِي النِّحْوِ خَاصَّةً. وَلَهُ تَصَانِيفٌ مِنْهَا: تَارِيخُ بَطْلَيْوَسَ - الْجَمْعُ بَيْنَ الصُّبْحِ لِلجَوْهَرِيِّ وَالغَرِيبِ الْمَصْنُوفِ (رَاجِعْ بَغِيَّةَ الْوَعَاةِ ١٨٥). وَقَدْ بَلَّغَتْ تَصَانِيفُهُ خَمْسِينَ عَدًّا (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١).

وَكذَلِكَ كَانَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلَيْوَسِيُّ أَدِيبًا شَاعِرًا. وَكَانَ نَاقِدًا أَيْضًا (رَاجِعْ نَفْحُ الطَّيِّبِ ٣: ٤٥١ - ٤٥٢، ٥٩٦، ٧: ٦ و ٧).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِلأَعْلَمِ الْبَطْلَيْوَسِيِّ فِي الشُّكْوَى مِنَ الدَّهْرِ وَالنَّاسِ:

★★ دَعِ الْأَيَّامَ تُنْصِفُ مِنْ أَنَاسٍ إِذَا صَارَتْ لَهُمْ حَقَرُوا الْكِرَامَا. (٢)
وَلَا تَدْمَعِ جُفُونُكَ إِنْ تَفَانَوْنَا وَلَا تَقْرَأْ عَلَى أَحَدٍ سَلَامَا.
وَنَكَّبْ عَنِ مَصَارِعِهِمْ جَزَاءً، وَلَا تَحْفَظْ لِمَذْمُومٍ ذِمَامَا. (٣)
وَفَكَّرْ فِي صَنِيعِهِمْ - وُلَاةً - لِتَشْكُرَ فِي تَسْرُعِهِ الْجِهَامَا!
صَجِنَتْ النَّاسَ جِيلاً بَعْدَ جِيَلٍ فَلَمْ أَرْ مِنْ أَوْدٍ لَهُ الْمُقَامَا.
★★ يَا حِمَصُ، لَا زِلْتِ دَارًا، لِكُلِّ بُوْسٍ، وَسَاحَةَ.

(١) الْأَسْتَاذُ هُدَيْلٌ (كَذَا غَيْرُ مَنْسُوبٍ) ذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي «بَغِيَّةِ الْوَعَاةِ» (ص ٤٠٨) نَقْلًا عَنِ الْمَغْرِبِ (١: ٢٦٥)، وَسَمَّاهُ الْمَقْرِي فِي «نَفْحِ الطَّيِّبِ» (٤: ١٢٧): «الْأَدِيبُ النَّحْوِيُّ هُدَيْلُ الْإِشْبِيلِيِّ». رَاجِعْ أَيْضًا فِي «الْمَغْرِبِ» (١: ٢٦٥)، الْحَاشِيَّةَ الْأَخِيرَةَ. وَفِي الْعِنُصُونِ الْيَابِتَةِ (ص ٦٩ - ٧١) شَيْءٌ مِنْ أَخْبَارِهِ وَمِنْ شِعْرِهِ.

(٢) إِذَا صَارَتْ لَهُمْ: إِذَا أَصْبَحَ لَهُمْ نَفُودٌ.

(٣) نَكَّبَ: تَحَنَّنَ، ابْتَعَدَ. الْمَرْعُ: الْمَقْتَلُ، الْمَلَكَ. جَزَاءً: عِقَابًا (لَا تَعَاقِبِ الْفَنِينَ بِمَقْتَلِهِمُ الدَّهْرَ).

ما فيك موضع راحة إلا وما فيه راحة^(١)

- ومن أقواله في النقد (من نفع الطيب): لِيَكُنْ مَحْفُوظُكَ مِنَ النِّظْمِ مِثْلَ قَوْلِ
أَبْنِ الْقَبْطَرُئَةِ^(٢): «دَعَاكَ خَلِيلُكَ وَالْيَوْمُ طَلٌّ» (٥٩٦:٣) - وقال إِنَّهُ سَمِعَ أَبَا بَكْرٍ
أَبْنَ زُهْرٍ يَقُولُ: «كُلُّ الْوَسَّاحِينَ عِيَالٌ عَلَى عُبَادَةِ الْقَرَّازِ فَمَا اتَّفَقَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ:
«بَدْرُتَيْمٍ...»... وما حَدَّثْتُ قَطُّ وَشَاحَاً عَلَى قَوْلِ إِلَّا أَبْنَ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ: «أَمَا
تَرَى أَحَدًا... لا يُلْحَقُ» (٧:٧).

٤ - * * * المغرب ١: ٣٦٩؛ القدر المعلق ١٥٧؛ بغية الوعاة ١٨٥؛ نفع الطيب (راجع
المتن)؛ أزهار الرياض ٣: ١٠٢؛ الأعلام للزركلي ١: ٦٠ (٦٢).

طلحة بن حزم الأموي

١ - هو أبو محمد طلحة بن أبي بكر محمد (ت ٦١٩ هـ) بن طلحة بن محمد بن عبد
الملك بن أحمد بن خلف بن الأسعد بن حزم الأموي البصري الشيبلي، أصل أهله من
بصرة^(٣) ثم انتقلوا إلى شيبلي.

وُلِدَ طَلْحَةُ بْنُ حَزْمٍ الْأُمَوِيُّ، فِي أَوَاخِرِ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٦٠١ (مطلع كانون
الثاني - يناير من عام ١٢٠٥ م).

وروى طلحة بن حزم الأموي عن أبيه أبي بكر وعمه أبي العباس ثم عن نفر
كثيرين منهم أبو بكر بن قسوم الزاهد (ت ٦٣٩ هـ) وأبو علي بن الشلوبين
(ت ٦٤٥ هـ) وغيرهم. ولم يأخذ عن أبيه كثيراً لأنه كان قد عانى مرضاً شديداً في
مطلع شبابه، ثم إن أبا، توفي باكراً (سنة ٦١٩ هـ). غير أن هذا كله لم يمنعه من أن
يستدرك كثيراً من العلم في وقت قصير، فقد تصدّر لتدريس النحو وغيره باكراً ثم
أجاز لنفر من الذين درسوا عليه قبل أن يجاوز هو العشرين من عمره.

(١) موضع راحة (مقدر راحة البد).

(٢) أبناء القبطرنة ثلاثة أدباء شعراء (راجع تراجمهم في الجزء الخامس).

(٣) بصرة في البرتغال اليوم (شرق لشبونة العاصمة).

وكانت وفاة طلحة بن حزم في إشبيلية سنة ٦٤٣ للهجرة (١٢٤٥ م) في الأغلب.

٢- كان طلحة بن حزم الأمويُّ مُقرئاً للقرآن قديراً في صناعة التجويد، كما كان عارفاً بالحديث ونحوياً ماهراً ومُتبحراً في التاريخ. ثم كانت له عناية بالأدب، ورُبما نَظَمَ الشَّعرَ. وشعره عاديٌّ يميلُ إلى شيءٍ من الضَّعف.

ثم هو مُصنَّفٌ له مُعْجَمٌ شيوخه سَمَّاه «مُلحة الراوي وختامَ عَيْبَةِ الحايي» (١) (ألفه سنة ٦٢٠ هـ) ثم وَسَّعَ هذا المُعْجَمَ (سنة ٦٣٥ هـ) في برنامجٍ سَمَّاه «نُقبَةُ الوارد ونُخبَةُ مُستفادِ الوافد» (٢) (وهو مشتملٌ على أسماء مئآتٍ من الرجال والنساء). ثم إنَّه عملَ قَهَّارِسَ (لأسماء الكتب؟) لِغَفرٍ من أشياخه كأبي أمية وأبي الوليد بن الحاج وغيرهما؛ وقد ظَهَرَ في ذلك كُلِّهِ جَوْدَةٌ أختياره وحسنُ ترتيبه وفضلُ أقتداره. وكذلك كان قد بدأ يزيدُ في «كتاب الصلَّة» لأبي القاسم بن بشكَّوَال، ولكن لم يَسْتَطِعْ إتمامَ ما بدأ به.

٣- مختارات من آثاره

- قال طلحة بن حزم الأمويُّ: كان أبو زكريا يحيى بن عاندي يُنشدنا في أواخر مجالس السَّباع (تدريس الحديث):

مجالسُ أصحابِ الحديثِ حدائقٌ تنزَّه^(٣) فيها أعينٌ وقلوبُ.

ثم قال (طلحة بن حزم): وسألني صاحبنا وشيخنا أبو محمد بن قاسم الحريريُّ تَدْيِيلَ هذا البيتِ.... فقلتُ:

(١) الملحة: ما يستحسن من الأحاديث. الراوي: راوي الحديث. العيبة: وعاء من خوص (جريد النخل).

الحايي: الذي يرقى الأفاعي ويقبض عليها ويلاعها. والحايي (الشيء يشتمل على أشياء كثيرة).

(٢) النقبه: الجرعة (بالضم) أو ملء الفم من الماء. الوارد: الآتي إلى الماء ليستقي (يشرب أو يلا وعاء). الوافد: الآتي من مكان بعيد.

(٣) تنزَّه = تنزَّه: سير في البساتين طالبة التفرُّيح عن النفس (وهذا المعنى المقصود هنا خطأ شائع). والتنزَّه، في القاموس، الترفُّع عن الأمور التي لا تليق.

بجالس أصحاب الحديث حدائق
تَفَجَّرَ يَبُوعُ الثَّرِيمَةَ وَسَطَهَا
وَأَطْلَعَتِ الْأَنْفَانُ زَهْرَ فُنُونِهِ
وَأَمْرَتِ الْأَزْهَارُ زُهْرَ فَوَائِدِ
كَسَتْ شَسُودِينَ الْمُصْطَفَى كُلَّ مَا بِهَا
نَرَى طَالِبِي الْأَثَارِ فِي رَعْدِ عَيْشِهِمْ
فَلِلْفِكْرِ قَطْفٌ ثُمَّ لِلنَّفْسِ نَعْشَةٌ،

- ومن نظم أبي محمد طلحة بن حزم:

من كان في كَسْبٍ لَهُ مُسْتَهْلَأٌ؛
من لا يَرِيكَ أَمْرُهُ فِي دِرْهَمِ
حُكْمٍ لَهُ فِي حُكْمِهِ عَدْلٌ فَمَا
فَكَأَنَّ مَا حَكَمُوا بِهِ مِنْ حُكْمِهِ

ذَاكَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِي تَنْقِيصِهِ (٧)
فَهُوَ الَّذِي لَا شَوْبَ فِي تَخْلِيصِهِ (٨)
يَرْتَابُ فِي الْإِنْصَافِ فِي تَخْصِيصِهِ (٩)
عَنْهُ اسْتِفَادُوهُ وَمِنْ تَمْحِيصِهِ (١٠)

٤ - * * * الذيل والتكملة ٤: ١٦١ - ١٧٠ (رقم ٣٠٣)؛ بغية الوعاة ٢٧٣.

- (١) أبيض الثمر: نضج (واستعماله للعصن خطأ).
- (٢) الفنون (مفتح ففتح): العصن. الفنون (هنا) الأنواع. الصبا: ربح الشرق. النشر: الرائحة الطيبة.
- (٣) زهر، لعلها « زهر » (بالضّم): نجوم (فوائد بارعة مشهورة). جنى يجي: قطف الأثار. جنى معنى: معان مختارة.
- (٤) دين المصطفى (محمد رسول الله): الإسلام. النور (بالفتح): الزهر الأبيض. روق (حسن منظر؟) لا يستقيم بها الوزن هنا.
- (٥) الأثار (هنا) الأحاديث (أحاديث رسول الله). رعد العيش: سمته ونومونه. والجملة: « جناب رجب والمحلّ خصيب » في محلّ نصب حال (؟).
- (٦) للفكر قطف (طالبو الأثار، أي دارسو الحديث، يقطفون من رواية الأحاديث أثاراً شبيهة مقبدة). النعشة (هنا): اغتناء الإنسان بعد فقر أو إنباضه بعد عثرة، سرور.
- (٧) - من كان متساهلاً في إنفاق ما يكتسبه، فذلك الذي يكسب ماله من وجه غير شرعي (بسهولة).
- (٨) - والذي لا تشك في أمره عند إنفاق ماله، فذلك لا شوب (لا خلط، لا سوء) في إخلاصه في جمع ماله.
- (٩) الحكم (هنا) الله. لا يرتاب في تخصيصه (في إعطاء بعض الناس أكثر من بعضهم الآخر).
- (١٠) فإذا وافق حكم الناس على فلان من الناس ما حكم به الله عليه، فأنهم يكونون قد استفادوا هذا الحكم الصحيح من نعمة الله عليهم، ومن التمجّص: البحث الدقيق في الأمور (؟؟؟).

عنان بن جابر

١- هو **عنان بن جابر بن جامع** زعيم قبيلة بني مرداس بن سليم - وكان بنو مرداس هؤلاء قد جاءوا مع القبائل التي سرحها الفاطميون من صعيد مصر إلى إفريقية (القطر التونسي) انتقاماً من الذين كانوا قد تخلّوا عن الدعوة الفاطمية (راجع الجزء الرابع). وقد كان ملوك بني حفص يُقربون رجالات من بني مرداس ويُقدون عليهم العطايا لِيستعينوا بهم عند الحاجة إليهم في مقاومة خصوم الحفصيين.

وفي أيام أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصي (٦٢٥ - ٦٤٧ هـ) حدّث خلاف بين بني مرداس ويحيى الحفصي، فألقى يحيى الحفصي شيئاً من العداوة بين قبيلة بني مرداس وقبيلة بني علاق. فاستاء **عنان بن جابر** (شيخ بني مرداس) وأرتحل مع قومه إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري).

وكانت وفاة **عنان بن جابر** نحو سنة ٦٤٥ للهجرة (١٢٤٧ م).

٢- **عنان بن جابر** شيخ **بدوي** مستقيم السيرة أبي النفس شجاع. وشعره بدوي الخصائص وعليه نفحة جاهلية، وفيه حماسة (وصف للقتال) وفخر بالنفس. وشعره متين السبك ولكن يتخلله صيغ غريبة: سالي (سال)، تحاير، ضرائر^(١).

٣- مختارات من شعره

- قال **عنان بن جابر** يفخر ويذكر سبب انتقاله من إفريقية (تونس) إلى المغرب الأوسط (القطر الجزائري):

ولما رأيتُ الودَّ قد بانَ وأنقضى دَعَوْتُ، ونارُ الشوقِ تغزو ضائري^(٢):

(١) سالي (مضمين على الباء) مكان سالي (منقوص): الذي يسلو (ينسى)؛ التخاذل (التنافس في الخير)،

وهو يقصد بها الاختيار؛ الضرائر (جمع ضرة: ثافي زوجي الرجل أو جمع ضرورة: ما يضطر الإنسان

إلى فعله، الحاجة)، وهو يستعملها بمعنى الضرر.

(٢) بان: ابتعد.

ألا أيها الغادي على متن ضامر
 عليه غلام لا يملّ من السرى
 تحمّل إلى ترشيش عني تحية
 بلاد بها نبطت عليّ تآمي،
 وبلغ لنذب أزيحي سديد
 بعثت، أبا عبد الإله، بدائماً
 تذكّرني الودّ الذي كان بيننا
 ليالٍ وأيامٍ نعنما بوصلها
 وكنا إذا ما الجيئش صفت جنوده
 فلما بدا لي بعض ما كنت أتقي
 وعادت عليّ الأرض حلقة خاتم
 رأيت رجالات من رياح ومالك

سلم القري عبلي الذراعين فاطر^(١)
 علم خبير بالصوى والمخاطر^(٢)،
 كما سلم الأحباب عند التزاور^(٣).
 وفيها ما عقلي ولبي وخاطري^(٤).
 سلاماً يؤدي عن عنان بن جابر^(٥)
 محبرة منظومة كالجواهر^(٦)،
 وتزعم أني سالي غير ذاك^(٧).
 على كرم منّا وحفظ سرائر^(٨).
 ترانا على خيل عتاق ضوامر^(٩).
 وحانت أمور ضيقات المصادر^(١٠)،
 بلا ذلة مني سوى طوع أمر،
 وعوف ودباب وزغب وماجر^(١١)

- (١) الغادي: الذاهب باكراً. من (ظهر) ضامر: حصان نحيل البطن (قادر على الجري السريع طويلاً).
 القري: الظهر. عبلي: سين. فاطر: الذي فطر (شق)، أي شقت سته لحم اللثة وبرزت (في السنة
 الثابتة من عمره؟). أصبح قوياً.
- (٢) السرى: السر في الليل. الصوة (بضم الصاد وتشديد الواو): علامة توضع على جانب الطريق لمعرفة
 الاتجاه أو لقياس المسافات. المخاطر (يقصد الأماكن التي فيها خوف).
- (٣) ترشيش: تونس. التزاور (بإبدال الزبارات أو زيارة بعض الناس بعضاً).
- (٤) ناط: علق. التمنية: حرز (بالكسر): قطعة ورق تطوى طياً يجعلها مثلثاً متساوي الساقين وتعلق على
 الصي الصغير لدفع أذى العين والحسد (يفسد أنه ولد في تونس).
- (٥) النذب: الظريف والنحيب (الذكي، الفاضل) الأريحي: الشبيط، الحلبي (الواسع الحلق)، الكرم.
 السديد: السيد، الكرم، الحجاج.
- (٦) بدائع محبرة (مزينة): أي قصيدة ذات معان جميلة.
- (٧) سالي: (أو سالي) يقصد «سال» (بكسرتين على اللام): الذي ينسى.
- (٨) سرائر جمع سريرة: ما يكتمه الإنسان أو سره (بضمه) في نفسه.
- (٩) الحصان المتيق: الكرم (المعروف السب)، القادر على الركض. الضامر (النحيل البطن)، السريع.
- (١٠) أتقي: أخشى، أخاف (من العداوة). حان: اقترب. أمر ضيق المصدر (لا خيار فيه؟) سيء العاقبة.
- (١١) رياح ومالك وعوف أسماء قبائل، ثم دباب وزغب (بالضم) اسمان. ويبدو أن ماجر أيضاً اسم بطن من
 قوم الشاعر.

لَهُمْ مَرْقَبٌ دُونِي وَقَدْ كُنْتُ فَوْقَهُمْ بَسِيفِي وَرُحْمِي وَالْوَعَى وَعِشَائِرِي (١) ،
 تَبَيَّنْتُ حَالًا لَا أُطِيقُ أَحْتَالَهَا فَحَدَّثْتُ بِنَفْسِي عَنْ عَدُوٍّ وَجَائِرٍ .
 وَسَلَّمْتُ أَرْضَ الشَّرْقِ لَا عَنْ مِذَلَّةٍ ، وَبِمَمْتُ أَرْضَ الْغَرْبِ لَا عَنْ تَحَايِرٍ (٢) ،
 إِلَى بَلَدٍ لَا يَعْرِفُ الدَّلَّ أَهْلُهُ كِرَامَ الْعَسَايَا مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ (٣) .

٤- ** - مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٠٢-٢٠٥ : عنوان الأريب ٢٠٢-٢٠٥ .

ابن سَفَرِ الْمَرْيِيِّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ (بن عبد الله) بن سَفَرِ الْمَرْيِيِّ (١) - منسوباً إلى جَدِّه - أصله من ناحية المَرِيَّةِ ولكنه عاش في إشبيلية. لا نعلمُ زَمَنَهُ بالتحديد، ولكن يُنْتَظَرُ أَنْ يَكُونَ - أَسْتَاداً إِلَى وَرُودِ تَرْجَمَتِهِ فِي «نُحْفَةِ الْقَادِمِ» لابن الأَبَارِ التُّوْقِيِّ فِي مَطْلَعِ سَنَةِ ٦٥٨ - من أحياء النصفِ الأوَّلِ من القرنِ السَّابِعِ (الثالثِ عَشَرَ لِلْمِيلَادِ).

٢- ابنُ سَفَرِ الْمَرْيِيِّ أَدِيبٌ بَارِعٌ وَشَاعِرٌ رَفِيقٌ مَحْسَنٌ كَانَ شَاعِرَ الْمَرِيَّةِ فِي عَصْرِهِ، أَحْسَنَ شِعْرِهِ الْوَصْفُ، وَوَصَفُهُ مِنْ أَبْدَعِ الْأَوْصَافِ فِي جِبَالِ الْأَنْدَلُسِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ سَفَرِ الْمَرْيِيِّ فِي وَصْفِ الْأَنْدَلُسِ (نَفْحِ الطَّيِّبِ ١ : ٢٠٩ - ٢١٠) :

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ تَلْتَدُ نَعْمَةٌ وَلَا يُعَارِقُ فِيهَا الْقَلْبَ سَرَاءٌ (٥) .

(١) - كان لهم مكانة دوني (تحتي)...

(٢) يَم: قصد. تحاير (بمقصد اختيار).

(٣) كرم المشية: يحافظ على عفافه (٤). هلال بن عامر: جد قبيلة.

(٤) في المغرب: أبو الحسين. وفي نفع الطيب (١ : ٢٠٩) المربني (وهو تصحيف). وفي الوافي بالوفيات:

المربني. ويدعى أحياناً: ابن صفر (بالصاد).

(٥) النعما: الحفض والدعة (الميش) في أمن واطمئنان). السراء: النعمة والرحاء (سمة العيش) والمسرة.

وليس في غيرها بالعيش مُتَنَفِّعٌ،
 وأين يُعَدَّلُ عن أرضٍ تَحُضُّ بها
 وكيف لا يُبْهِجُ الأبصارَ رؤيتها
 أنهارها فِضَّةً، والمِسْكُ تُرْبَتُها،
 وللهواء بها لُطْفٌ يَرِيقُ به
 ليس النسيم الذي يهفو بها سَحَرًا،
 وإنَّا أَرَجَّ النَّدَّ اسْتِشَارَ بها
 وأين يبلغُ منها ما أُصَنَّفَه،
 قَدُمِيَّتْ من جِهَاتِ الأرض حين بدتْ
 دارتْ عليها نِطَاقًا أُجْمَرُ خَفَقَتْ
 لذلك نَيْسُمٌ فيها الزَّهْرُ من طَرَبٍ؛
 فيها خَلَفَتْ عِذَارِي ما به عَوْضٌ؛

فَهِيَ الرِّيَاضُ وَكُلُّ الأَرْضِ صَحْرَاءُ! (٩)

- (١) الصهباء: الحمرة - حتى الحمرة (إذا شربت في غير الأندلس) لا تحدث للإنسان أنماً (اشراحاً).
 والأنس في الأصل: حديث النساء.
 (٢) وأين يعدل عنها: إلى أين ينتقل الإنسان.
 (٣) الوشي: التزيين. صنعاء: عاصمة اليمن (مشهورة بالنسيج الجيد الجميل).
 (٤) الخرز: الحرير. الدر: اللؤلؤ. الحصباء: الحصى، صغار الحجارة.
 (٥) برق به من لا يريق: إن الجافي الطبع يصح (بعد تشقق هوائها) رقيقاً لطيفاً. الأهواء جمع هوى: ميل النفس إلى العشق وما يتبعه.
 (٦) هفت الريح: هبت وحركت الأعصاب. السحر: آخر الليل قبيل الفجر. في نفع الطيب (١: ٢٦٠)
 «النسيم» (بالرفع: بضمة على آخره) وهذا لا يستقيم في الإعراب («فالذي» لا تعرب في المشهور خيراً) مع الاسم الظاهر في التواضع. وكذلك المعنى بذلك لا يستقيم. المقصود: ليس الذي يهب في الأندلس (في آخر الليل) نيباً (من الهواء)، ولا قطرات الماء المنتثرة (المتفرقة) في الفصول من الطل (الندى) ماء متجمداً، ولكن ذلك كله مزيج من الأريج (الرائحة الطيبة) ومن ماء الورد.
 (٨) يحيط بالأندلس (كالنطاق: الزنار، من كل جانب) البحر (بحار وأنهار). وجداً بها: عشقاً لها. تبدت وهي (أي الأندلس).
 (٩) خلعت عذارى: انفست في اللهو. والأصح: قضيت كل شباني (في التمتع باللهو أيضاً). ولا أجد عوضاً (بدلاً) من شباني.

- وقال في النسيب:

وواعدتها والشمسُ تجنحُ للذَّجى ، بزورَتها شمساً وبدراً الذَّجى يَسرى^(١) .
فجاءتُ كما يمشي سنا الصُّبحِ في الذَّجى ،
وطوراً كما مرَّ النسيمُ على النهرِ^(٢) ؛
فمطرتِ الآفاقَ حولى فأشعرتُ فمطرتُ بالآفاقِ حولى فأشعرتُ
فتابعتُ بالتقبيلِ آثارَ سفيها كما يتقصَّى قارىءُ أحرفِ السطرِ^(٣) .
فبستُ بها ، والليلُ قد نام ، والهوى تنبَّهَ بين الغُصنِ والحُفِّ والبدرِ^(٤) .
أعانقها طوراً وألثمُ تارة إلى أن دعتنا للنوى رايةَ الفجرِ ،
ففضتُ عقوداً للتحانقِ بيننا . فياليلةَ القَدْرِ ، أترُكي ساعةَ النفرِ^(٥) !

٤ - ** الوافي بالوفيات ٣ : ١١٤ ؛ المغرب ٢ : ٢١٢ - ٢١٣ ؛ نفع الطيب ١ : ١٥٧ ،
٢٠٩ - ٢١٠ ، ٢٢٧ ، ٣ : ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢١٢ ؛ بالنشأ ١٢٩ - ١٣٠ .

أبو عليّ الشلّوبين

١ - هو أبو عليّ عمرُ بنُ محمدَ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الله الأزديّ الإشبيليّ المعروفُ
بالشلّوبينِ وبالشلّوبيي^(٧) ، وُلِدَ في إشبيلية سنةَ ٥٦٢ للهجرة (١١٦٦ - ١١٦٧ م) .

- (١) النسيب (الحقبة) تجنح (تميل) للذجى (الليل، للغروب). شمساً (قناة جميلة) تزورني في الليل مع أن البدر ظاهر في سماء الليل.
- (٢) كما يمشي سناً (ضوء).... على مهل.
- (٣) العرف: الرائحة الطيبة.
- (٤) سفيها (إلى): عيشتها، سيرها. كما يتقصّى...: خطوة خطوة.
- (٥) بستُ بها (مغها). نام الليل: غفل (طال). الغصن (قوامها) والحف: ما اعوج من الرمل (وسط جسمها) والبدر: وجهها (أعانقها.... وأقبلها).
- (٦) فضتُ...: أبيت لقاءنا. ليلة القَدْرِ (الليلة السابعة والمشرون من رمضان - وهي مباركة وخير من ألف شهر). ساعة النفر: الوقت الذي ينحدر فيه المحتاج من عرفات (وهو المنسك الأساسي في الحج). - يا ليتنا السيدة لا تنتهي! (هنا) ليلة القدر (كتابة عن الليلة التي قضاها مع محبوبته)، و ليلة النفر (كتابة عن الصباح الذي اضطرّ فيه إلى مغادرة مكان محبوبته).
- (٧) هنالك نحويّ يعرف بالشلوبين الصغير (نحو ٦٢٠ - ٦٦٠ هـ) هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن =

أخذ أبو عليّ الثلوبين عن جماعةٍ وفيرةٍ العددِ من العلماء (راجع أسماءهم في «الذيل والتكملة» ٥: ٤٦١ - ٤٦٢). ثمّ تصدرَ للإقراء نحو سنة ٥٨٠ هـ وأستمرَّ في ذلك سبّتين عاماً. في هذه الأثناء كان منقطعاً إلى آل زُهري. ثمّ إنّه زارَ مرَّاتٍ في أيامِ المنصورِ الموحّديّ (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ). وكانت وفاته (نفع الطيب ٤: ٤٧٢) في إشبيلية في منتصفِ صفرٍ من سنة ٦٤٥ (١٣٤٧/٦/٢١ م).

٢ - قال أبو جعفرٍ أحدُ بنِ الزبير (ت ٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م) في «صلة الصلّة» (٧٠ - ٧١): «وكان الأستاذُ أبو عليّ (الثلوبين) رَحِمَهُ اللهُ إماماً في العربية غيرَ مُدافعٍ، وهو آخرُ أئمةِ ذلك الشأنِ بالشرقِ والمغربِ.... أقرأ نحواً من ستين سنةً وعلاصيتهُ واشتهرَ ذكرُه. وكان ذا معرفةٍ بنقدِ الشعرِ وغيره بارعاً في التعليمِ ناصحاً (وبه أبقى اللهُ ما بأيدي أهلِ المغربِ من علمِ العربية. وقلَّ متأدّبٌ بالأندلسِ من أهلِ وقتنا لم يقرأ عليه أو نحويّ لا يستندُ - ولو بواسطة - إليه).

ومن «نفع الطيب»: كان أبو عليّ الثلوبينُ من أعلامِ إشبيلية (٢: ٢٧١) سارَ في المشارقِ والمغربِ ذكرُه (٣: ١٩٢) وهو إمامُ النحاة (٣: ٤٩٠). ولقد كان له نظمٌ على منهجِ نظمِ العلماءِ مملوءةٌ بالإشاراتِ اللغويةِ والنحويةِ، متخلّف (رديء).

وكانت له مُصنّفاتٌ منها: كتاب القوانين (في علم العربية: النحو) - كتاب

= إبراهيم الأنصاري المالقي، أخذ العربية (النحو) والقراءات عن عبد الله بن أبي صالح ولازم ابن عصفور مدة إقامة ابن عصفور في مالقة. وأقرأ الثلوبين الصغير القرآن والعربية في بلده (مالقة) مجاناً، بغرضه الدين مجبّون التزوّد بالمعالي للعلم غير فاضلين التكبُّب بما يتعلّمون. وكان يعيش من أملاك له. له شيء من التصنيف: شرح أبيات سيويه شرحاً مفصلاً وكمل شرح شيخه ابن عصفور على الجرولية (بنية الوعاة ٧٩ - ٨٠). والثلوبيني، في الغالب، نسبة إلى الثلوبنية (سالوبرينيا - وهي بلدة صغيرة في منتصف الساحل الجنوبي على البحر الأبيض. وهي تقع جنوب غرناطة تماماً. ولكن على شاطئه البحر). وهي قرية من قرى إشبيلية (إسباه الرواة ٢: ٣٢٢). وفي الفاموس (٤: ٢٤٠): ثلوبين أو ثلوبنية (بفتح فتح فيها) بلد بالمغرب منه أبو عليّ الثلوبيني النحوي. وفي نفع الطيب أيضاً (٣: ٤٩١) «... وهو منسوب إلى حصن ثلوبنية» (في نسخة: ثلوبينية). ولكن نقرأ من المؤلّمين في الموضوع يذكرون أن الثلوبين هو الأبيض أو الأشقر. وابن خلكان يقول (٣: ٤٥٢): «... هذه النسبة إلى الثلوبين، وهو بلغة الأندلس (نصارى الأندلس): الأبيض أو الأشقر. هكذا ذكروا. والله أعلم». ثم راجع الحاشية الثالثة، تعليقاً على قول ابن خلكان.

التوطئة على الجزولية، وهو مشهور (نفع الطيب ٣: ١٨٤). والجزولية أرجوزة في النحو لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت ٦٠٧ هـ). وهذه «التوطئة» مختصر لكتاب القوانين. - شرح المقدمة الجزولية (شرحها شرحين: شرحاً كبيراً وشرحاً صغيراً) - تعليق على كتاب سيبويه.

٣- مختارات من شعره

- وصل إلينا من أبي عليّ الشلوبيّ أبياتٌ من الشعر (المغرب ٢: ١٣٠، نفع الطيب ٣: ٤٩١) يتغزل فيها بعلامِ أسمه قاسمَ كان نفواه، وهي:

ومما شجَا قلبي وفَضَّ مدايمي هوى قَدَّ قلبي إذ كَلَفْتُ بقاسم^(١).
 تمشَّقته جهدي، فكان - لِسْقَوِي وطول عَنائي - قاسياً غيرَ راحمٍ .
 وكنتُ أظنُّ الميمَ أصلاً، فلم تُكُنْ . وكانت كميهِ ألحِقْتُ بالزَّلَاقِمِ^(٢).

- ولأبي عليّ الشلوبيّ أيضاً (القدح الملقى ١٥٣):

لو لم تُكُنْ ليَ أعرَاقٌ لها كَرَمٌ، ولم يَكُنْ في رجالِ الأزديِّ سَلَفٌ^(٣)،
 لكان في سِيبَوِيهِ الفخرُ لي، وكفى بذاك فخرأ. فكيف العُلمُ والشرف^(٤)
 فالحمد لله حمداً لا أنصرامَ له. فكلُّ ذي حِسدٍ في مِثْلِ ذا يَقِفُ^(٥).

(١) شجا: حزن، أحزن. فضّ مدايمي: ثر مدوعي (جعلها تنساقط بكثرة). قدّ: قطع. كلفت بالشويه: أحببته وتعلقت نفسي به.

(*) العناء (بالفتح): التعب.

(٢) الميم أصلاً (كنت أحسب أن اسمه، حقيقة، قاسم: يقسم بين نفسه ومحبه قسمة حق). ولكن... الميم في اسمه زائدة (فهو قاسم). الزلاقم: الحيات الزرق (من المغرب ونفع الطيب).

(٣) أعراق جمع عرق (بالكسر): أصل (من النسب). الأزدي (قبائل من عرب الجنوب).

(٤) سيبويه: عمرو بن عثمان الحارثي (ت ١٨٠ هـ) من أهل البصرة، فارسي الأصل، كان إمام النحاة. فكيف العلم والشرف: فكيف إذا أضيف إلى أصلي الكرم وإلى نسبي في قبائل الأزدي ما بلغت إليه أنا من العلم ومن الشرف (المكانة الاجتماعية)؟

(٥) أنصرام: انقطاع، انتهاء. فكلُّ ذي حِسدٍ في مِثْلِ ذا يَقِفُ: لا أحد يجسدي في هذه الأمور لأنه يعلم أنه لا يستطيع أن يبلغ فيها إلى مثل ما بلغت أنا فيها.

٤- ** التكملة ٦٥٨ (رقم ١٨٢٩)؛ الذيل والتكملة ٥: ٤٦٠-٤٦٤؛ صلة الصلة ٧٠-٧١ (رقم ١٢٨)؛ المغرب ٢: ١٢٩-١٣٠؛ القدر المعلي ١٥٢-١٥٤؛ وفيات الأعيان ٣: ٤٥١-٤٥٢؛ الديباج المذهب ١٨٥-١٨٦؛ ابن قنفذ ١٣١٧؛ بغية الوعاة ١٣٦٤؛ نفع الطيب (راجع المتن)؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٢-٢٣٣؛ الأعلام للزركلي ٥: ٢٢٤ (٦٢).

عبد الواحد المراكشي

هو مٌخَيِّبُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَلِيِّ التَّمِيمِيِّ الْمُرَاكَشِيِّ، وُلِدَ فِي السَّابِعِ مِنْ رَجَبِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ ٥٨١ (١١٨٥/٧/١٠ م) فِي مَدِينَةِ مَرَاكَشَ فِي أُسْرَةٍ كَانَتْ، فِيهَا يَبْدُو، غَنِيَّةٌ وَجِيهَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَيْتِ الْمَالِكِ اتِّصَالًا وَثِيقًا لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ الْقَرَابَةِ.

لَقِيَ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَشِيَّ الطَّبِيبَ الشَّاعِرَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ زُهَيْرٍ، قِيلَ فِي مَرَاكَشَ وَقِيلَ فِي فَاَسَ، وَلَا نَعْلَمُ مَا مَبْلَغُ الْعِلْمِ الَّذِي أَخَذَهُ عَنْهُ إِذْ كَانَ مَوْلُدُ عَبْدِ الْوَاحِدِ سَنَةَ ٥٨١ وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ زُهَيْرٍ فِي سَنَةِ ٥٩٥.

وَتَنَقَّلَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَشِيَّ كَثِيرًا فِي الْمَغْرِبِ وَفِي الْأَنْدَلُسِ وَبَيْنَهُمَا، وَكَانَ وَثِيقَ الْإِتِّصَالِ بِالْأَمِيرِ أَبِي اسْحَقَ بْنِ أَبِي يَوْسُفَ يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ الْوَحْدِيِّ - وَكَانَ حَاكِمًا لِإِسْبِيلِيَّةٍ فِي أَيَّامِ أَخِيهِ مُحَمَّدِ النَّاصِرِ (٥٩٥ - ٦١١ هـ) - . وَفِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ ٦١٣ هـ (٩ / ٤ / ١٢١٧ م) غَادَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْأَنْدَلُسَ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ حَجَّ (آخِرَ سَنَةِ ٦٢٠ هـ = مَطْلَعُ ١٢٢٤ م) وَعَادَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مِصْرَ. وَلَعَلَّهُ زَارَ فِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمُدَّةِ الشَّامَ وَالْمَغْرِبَ.

وَيَبْدُو أَنَّ عَبْدَ الْوَاحِدَ الْمُرَاكَشِيَّ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْمَغْرِبِ. وَمَعَ أَنَّنَا لَمْ نَسْمَعْ مِنْ أَخْبَارِهِ شَيْئًا بَعْدَ تَأْلِيفِ كِتَابِهِ «الْمُعْجَبُ»، سَنَةَ ٦٢١ لِلْهِجْرَةِ، فَإِنَّ وَفَاةَ كَانَتْ سَنَةَ ٦٤٥ (١٢٤٧ م) أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ بِعَامٍ أَوْ عَامَيْنِ.

٢- شَهَرَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَشِيَّ بِكِتَابِهِ الْمُعْجَبِ فِي تَلْخِيصِ أَخْبَارِ الْمَغْرِبِ، أَلْفَهُ

في المشرقِ بطلِّبٍ من وزيرِ عباسيٍّ كان قد «أصفاه وُدّه وأغدق عليه إحسانه» وقرَّعَ من إملائه في رَمَضانَ من سنة ٦٢١ (أيلول - سبتمبر ١٢٢٤ م). ولعلَّ ذلك الوزيرَ كان مُؤيِّدَ الدينِ محمدَ بنَ محمدَ بنَ عبدِ الكرمِ بنِ بَرزِ القميِّ الذي تولَّى الوزارةَ للعباسيين في بغدادَ من أواخرِ سَنَةِ ٥٩٥ إلى سنة ٦٢٣ هـ (١١٩٨ - ١٢٢٦ م). ثم إنَّنا لم نَسْمَعْ شيئاً عن عبدِ الواحدِ المراكشيِّ بعدَ الفراغِ من إملاءِ كتابهِ المعجبِ.

و«المعجب» كتابٌ طريفٌ فيه تاريخٌ وفيه جُغرافيةٌ وفيه أدبٌ واجتماعٌ، وخصوصاً من تلك المُدَّةِ التي شَهِدَها المؤلِّفُ من عهدِ الدولةِ الموحَّديةِ فأثبتَ عدداً من الحوادثِ التي شَهِدَها بنفسِهِ أو رواها عَمَّنْ شَهِدَها.

٣ - مختارات من آثاره

- من مقدِّمة كتاب «المعجب»:

.... وبعدُ، أيُّها السيِّدُ الذي توالَّتْ عليَّ نِعْمُهُ وأخذَ بضيئني من حَضِيضِي الفَقْرِ والحُمُولِ اعْتِناؤُهُ وكرَّمَهُ.... فإنَّكَ سألتني - يَؤُوكَ اللهُ أعلى الرُتَبِ، كما عَمَرَ بِكَ أُنْدِيَةَ الأَدبِ... - إملاءَ أوراقي تشتملُ على بَعْضِ أخبارِ المَغربِ وهَيْئَتِهِ وحُدُودِ أَقطارِهِ وعلى شيءٍ من سِيَرِ مُلوِكِهِ، وخصوصاً ملوكِ المِصامِدَةِ من بني عبدِ المؤمنِ، من لَدُنِ ابتداءِ دَوْلَتِهِمْ إلى وَقْتِنَا هذا - وهو سَنَةُ ٦٢١ - وأن يَنصَافَ إلى ذلك نُبذةً من ذِكْرِ من لَقِيْتُهُ أو لَقِيْتُه من لَقِيَهُ أو رَوَيْتُ عنه بوجهٍ ما من وجوهِ الرِوايةِ من الشعراءِ والعُلَماءِ وأنواعِ أهلِ الفضلِ.

- شيء من سيرته (المعجب ٢٦٢ - ٢٦٣):

.... فَمَرَّأْتُ أخيراً المُدُنِ في المَغربِ^(١).... وبهذه المدينة، أعني مَرَّاكشَ، مَسَقَطُ رَأْسِي. وَهِيَ أوَّلُ أرضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرابِها^(٢). وكان مَوْلِدِي بها لَسَبْعِ خَلَوْنَ من ربيعِ الأخرِ سَنَةِ ٥٨١، في أوَّلِ أيامِ أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ المؤمنِ

(١) في أبعاد نفضة من المغرب إلى الجنوب.

(٢) «وأول أرض مسَّ جلدي ترابها» - نظر من الشعر (راجع نفع الطيب ١: ١٧٣) من شعر بعض الأعراب (راجع حاشية ٦، نفع الطيب ١: ١٧٢). وهو بيت مشهور (وفيات الأعيان ٤: ٢٥٤).

أبن علي^(١). ثم فصلت^(٢) منها وأنا ابنُ تسعة أعوامٍ إلى مدينةِ فارسَ، فلم أزل بها إلى أن قرأت القرآنَ وجودتهُ ورويتهُ^(٣) عن جماعة كانوا هنالك مُبرزين في علم القرآن والنحو. ثم عدتُ إلى مراكس فلم أزل متردداً بين هاتين المدينتين^(٤). ثم عبرتُ إلى جزيرة الأندلس سنة ٦٠٣ فأدركتُ بها جماعة من الفضلاء من أهل كلِّ شأن^(٥) فلم أحصل - بحمد الله - من ذلك كله إلا معرفة أسمائهم ومواليدهم ووقياتهم وعلومهم، وأنفردوا دوني بكلِّ فضيلة. ولا مانع لِمَا أعطى الله ولا مُعطي لِمَا مَنعَ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهُوَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^(٦).

- إشبيلية (المعجب ٢٧١):

.... وإشبيلية هذه هي حاضرة الأندلس في وقتنا هذا^(٧). وهي التي تسمى عندهم في قديم الزمان حِمصَ، سُمِّيَتْ بذلك لِنزولِ أجنادِ حِمصَ إليها حينَ أفتتح المسلمون الأندلسَ^(٨). وقد زاد أمرُ هذه المدينة على صفةِ كلِّ واصفٍ وأتى فوق نعتِ كلِّ ناعتٍ. وهي على شاطئِ نهرٍ عظيمٍ ينصبُّ من جبالِ سُقورةَ، وتُنصبُّ إليه أنهارٌ كثيرة، فلا يصلُ إلى إشبيلية إلا وهو خِصمٌ^(٩) تصعدُ فيه السفنُ الكبارُ من البحرِ الأعظمِ^(١٠) سبعينَ ميلاً - وذلك مَرَحَلَتانِ^(١١) - . وهذه المدينة كانت

(١) هو المنصور الموحدى (٥٨٠ - ٥٩٥ هـ).

(٢) فصل الرجل من البلد: غادرها، سافر منها.

(٣) رويته (رويت قراءته وأحكام قراءته والناسخ والنسخ فيه، الخ).

(٤) متردداً بين هاتين المدينتين (هنا: اتقل بينها).

(٥) كلُّ شأن (كلُّ فرع من فروع المعرفة).

(٦) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ..... ﴿ القرآن الكريم ٣: ٧٤، آل عمران، راجع ٢: ١٠٥، البقرة.﴾

(٧) الحاضرة: العاصمة. في وقتنا هذا (زمن المؤلف: عبد الواحد المراكسي): القرن السابع للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

(٨) إشبيلية سُمِّيَتْ حِمصَ لِشبهها بمدينة حِمصَ بالشام (سوريا). أمّا الأجناد (الهاربون الذين نزلوا فيها فهم الذين جاءوا في عصر الولاة مع بلج بن بشر (راجع ذلك في الجزء الرابع - اطلب بلج بن بشر في الفهرس).

(٩) الخِصْمُ: البحر الواسع.

(١٠) البحر الأعظم: المحيط الأطلسي (الاطلانطيكي).

(١١) المرحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في يوم (بحو ٣٠ كيلومتراً؟). والكتاب يجعل المرحلة خمسة وثلاثين ميلاً (رومانياً) أو اثنين وخمسين كيلومتراً.

قاعدة^(١) مُلْكِ بَنِي عَبَّادٍ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ صَيَّرَهَا الْمَصَادِمَةُ^(٢) مَنْزِلًا لَهُمْ أَيَّامَ كَوْنِهِمْ بِالْأَنْدَلُسِ، مِنْهَا يَنْفِذُ أَمْرَهُمْ وَفِيهَا يَسْتَقَرُّ مُلْكُهُمْ. وَبَنَوْا بِهَا قُصُورًا عَظِيمَةً وَأَجْرُوا فِيهَا الْمِيَاءَ وَغَرَسُوا الْبَسَاتِينَ فَزَادَ ذَلِكَ فِي حُسْنِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ.

٤ - المعجب... (دوزي)، ليدن ١٨٤٧ م ثم ١٨٨١ م؛ (محمد هاشم الكنتي)، دمشق ١٣٢٤ هـ؛ مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٤ هـ؛ مصر (الطبعة الحالية) ١٣٣٢ هـ؛ (محمد القاسي)، فاس ١٩٣٨؛ (صححه.... محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي)، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩ م.

* * صلة الصلة ٧٠ - ٧١؛ التكملة (رقم ١٨٢٩)؛ الدياج المذهب ١٩٠؛ مقدّمة المعجب في طبعة دوزي وفي طبعة العريان؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ١٩٤ بروكلمن ١: ٣٩٢ - ٣٩٣، الملحق ١: ٥٥٥؛ المكتبة العربية الصقلية ٣١٨ - ٣٢١؛ النبوغ المغربي ١٥٤ - ١٥٥؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣٢٦ (١٧٦)؛ سيركس ١٧٢٤ - ١٧٢٥؛ بالنشأ ١١٨ - ١١٩، ٢٤٨، ٢٥٠؛ الأدب المغربي ٣٩٠ - ٣٩٤.

أبو بكر بن البناء الإشبيلي

١ - هو أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العبيدي الإشبيلي المعروف بابن البناء، فقد كان أبوه بناءً في إشبيلية، ويبدو أنه قد تأثر بصنعة أبيه فنشأ على كثير من الجِدِّ وَالْهَمَّةِ وَالْمُتَابِرَةِ. كان مولده في إشبيلية سنة ٥٨١ للهجرة (١١٨٥ - ١١٨٦ م).

تلقى أبو بكر بن البناء العلم على نفرٍ منهم أبو الحسن بن عطية (ت ٦٤٥ هـ) وأبو بكر بن طلحة (ت ٦١٨ هـ) وأبو الحسن بن جابر بن الدباج (ت ٦٤٥ هـ) وأبو علي بن الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ).

وعمل أبو بكر بن البناء الإشبيلي كاتباً لِنَفَرٍ مِنَ الْوَلَاةِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ خَصَّ نَفْسَهُ بِوَلَاةِ الْمُوحِدِينَ عَلَى إشبيلية. وفي آخر مُدَّةِ الْمُسْلِمِينَ فِي إشبيلية أَسْتَبَدَّ بِحُكْمِهَا

(١) قاعدة (عاصمة): مدينة مهمّة.

(٢) مصوذة قبيلة بربرية ينتمي إليها سلاطين دولة الموحدين.

حيناً. ثم لما استولى عليها الإسيان (رَمَضَانَ ٦٤٦) أنتقل منها إلى سِنْتَةَ (في العُدوة المغربية)، وفيها تُوْفِّي وشيكاً في السادس من شَوَالٍ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٩/١/٢٢ م).

٢- كان ابنُ البَنَاءِ الإشبيليُّ أديباً كاتباً ومُتَرَسِّلاً مُكثِراً وشاعراً. وقد ذَكَرَ المؤرِّخونَ لحياته أن تَرَسَّلَهُ كان عادياً وأن شِعْرَهُ كان قليلَ الرونق. ولكنَّه يبدو واسعَ الثقافة، فقد كان مُولِعاً بأقتناء نفائس الكتب كما كان مُولِعاً أيضاً بنسخ الكُتُبِ النغسيةِ وبتقْييد الأقوالِ والنُكْتِ البارعة، حتَّى قيل إنَّه لما غادرَ إشبيليةَ حَمَلَ مَعَهُ خَمْسِمِائَةَ كِتَابٍ بِحِطِّ يَدِهِ.

وكان ابنُ البَنَاءِ الإشبيليُّ على شيءٍ من التناقض في طبيعته: كان يظهرُ مُتَدِيناً بينما كان جريئاً على سَفْكِ دِمَاءِ خُصومه. وكان يبدو متواضعاً وهو يرى نفسه فوق الناسِ جميعاً. وكان رقيقاً في معاملة الوُلاة: كان يَخْدِمُهُمْ مدَّةً ثم إذا أرادَ الانفصالَ عنهم فَعَلَ ذلك يُيسِّرُ من غير أن يَجِدَ أولئك الوُلاةَ طريقاً إلى لُومِهِ.

٣- مختارات من شعره

- كان السَيِّدُ أبو عبدِ اللهِ بنُ أبي حَفْصِ بنِ عبدِ المؤمنِ المُوَحِّدِيُّ واليًّا على بَلَنْسِيَّةَ (في شَرْقيِّ الأندلس) ثم أصبح واليًّا على إشبيلية (في غربيِّ الأندلس). فَمَاتَ في إشبيلية، فقال أبو بكرِ بنِ البَنَاءِ يَرِيئِهِ (المغرب ١ : ١٤٩؛ راجع اختصار القدح الملعى ١١٩):

كَأَنَّكَ مِنْ جِنْسِ الكَوَاكِبِ كُنْتَ، لَمْ تَفَارِقْ طُلُوعاً حَالَهَا وَتَوَارِيَا^(١).
تَحَلَّيْتَ مِنْ شَرْقِ يَرُوقِ تَلَالُؤًا، فَلَمَّا أَنْتَحَيْتَ الْغَرْبَ أَصْبَحْتَ هَاوِيَا^(٢).

(١) كأنك من جنس الكواكب (مثل الكواكب: مضيء، منير) لم تفارق حالها (الإضاءة، النور). التواري: الاختفاء، الغروب. أنت مثل الكوكب مضيء دائماً (سواء أكنت ظاهراً في السماء أم غائباً عن السماء) ولكن الناس لا يرونك.

(٢) تحلَّى الرجل: اتخذ أو لبس حلية أو زينة. يروق (يحن في النظر). انتحى: اتجه إلى ناحية. الهاوي: الساقط وراء الأفق الغربي (ليغيب كالشمس).

- كان « الباجي » رجلاً ثائراً استبدَّ بإشبيلية حيناً وانتزعها من ابن هودٍ (في أوائلِ عشرِ الثلاثين من القرنِ الهجريِّ الرابع). وقد مدَّحه أبو بكرِ بنُ البناءِ ومدَّحَ معه نَفراً من أهلهِ وأنصاره فقالَ فيهم جميعاً - والأبياتُ التالية من الشُّعرِ الجيِّدِ (اختصار القدح المعلّى ١١٩):

أَنْتُمْ وُلَاةُ الْأَمْرِ رُغْمًا عَلَى أَنْفِ أَعْدَاءِ وَحُسَادٍ (١).
 فِي ضَيْضِيءِ الْمَجْدِ أَشْرَكْتُمْ وَفِي بُحْبُوحَةِ الرَّأْيِ لَدَى النَّادِي (٢).
 ثَلَاثَةٌ مِثْلُ الْأَثَافِيِّ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي يَمْدُو عَلَى الْعَادِي (٣).
 هَزَّوْا بِمَا أُعْطِيْتُمْ قُبَّةَ الْكَعْبِ وَهَزَّوْا قُبَّةَ الْوَادِي (٤).

- في الذيل والتكملة (٥: ٦٨١) أن بعضَ خواصِّ ابنِ البناءِ جَمَعَ له جانباً من رسائله في أربعةِ مُجلَّداتٍ ضخمةٍ. قيل: فَلَمَّا أَطْلَعَ ابْنَ الْبِنَاءِ عَلَيْهَا كَتَبَ بِحَظِّهِ عَلَى أَوْلِيهَا يَتَيَّنُّ مِنَ الشُّعْرِ مِنْ نَظْمِهِ هَذَا:

إِنِّي تَأَمَّلْتُ فَلَمْ أَتَجِدْ أَكْثَرَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَرْضَهُ (٥).
 وَرُمْتُ بِالْإِحْسَانِ فَوْزاً فَلَا سَهَاءَ نِلَسْتُ وَلَا أَرْضَهُ (٦).
 وَهَذَا بَيْتَانِ جَيِّدَانِ مِنْ لُزُومِ مَا لَا يَلِزَمُ (بِأَرْبَعَةِ أَحْرَفٍ).

٤- ** الذيل والتكملة ٥: ٦٨١-٦٨٢ (رقم ١٢٨٣)، اختصار القدح المعلّى ١١٨-١١٩، المغرب ١: ٢٤٩.

- (١) آناف = أنوف (جمع أنف).
- (٢) الضوضوء: الأصل: البحبوحة: وسط الدار (المكان الواسع). النادي: مجلس كبار القوم ذوي المكانة والنفوذ.
- (٣) الأثنية (بالضم) إحدى حجارة ثلاث ينصب عليها القدر فوق النار. إنَّ الشكلَ ذا الزوايا الثلاث يكون أثبت من كلِّ شكلٍ آخر ذي أربع زوايا أو خمس أو ست، الخ. العادي: المعتدي، الهاجم، العدو. أنتم على رأي واحد لا يتزعزع.
- (٤) بما أعطيتمو (من القوة ومن حسن الرأي) قبة القصر.... قبة الوادي.... - أنتم بقوتكم تحيفون قصر الموحدين في مراكش وقصر الوادي (النهر الكبير الذي عليه مدينة اشبيلية مقرَّ الوالي على الأندلس من طرف الموحدين).
- (٥) استجد الشيء: وجده جيِّداً. أرضه (من الرضا).
- (٦) رام يروم: قصد. فلا سهاه نلت ولا أرضه (لم أنل منه شيئاً لا كبيراً ولا صغيراً).

أبو الحسن الدبّاج الإشبيلي

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ جابر بنِ عليِّ بنِ عليِّ بنِ يحيى اللَّخميُّ الإشبيليُّ المعروفُ بابنِ الدبّاجِ أو ابنِ الدبّيجِ (بغية الوعاة ٣٣١)، وُلِدَ سَنَةَ ٥٦٦ هـ (١١٧٠-١١٧١ م).

أَخَذَ ابْنُ الدبّاجِ عن أبي بكرِ بنِ طَلْحَةَ وأبي الحسنِ بنِ خَرُوفٍ وأبي ذَرِّ الحُثَني وغيرهم. ثمَّ تصدَّرَ لإِقْرَاءِ القُرْآنِ بالقِراءاتِ السَّبعِ ولتدريسِ النُّحوِ (من كتابِ سيبويه) والأدبِ (في الكامل للمبرِّدِ ونوادرِ القالي وغيرهما) نحوَ خَمْسِينَ سَنَةً. وكانت وفاته في ٢١ من شَعبانَ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١٢/٩ م).

٢- كان أبو الحسنِ الدبّاجُ رجُلًا عالِمًا صالحًا زاهدًا من أعلامِ القُرْأَةِ والنُّحوِينِ والأدبِاءِ في زمانِهِ، وكان شديدَ الذكاءِ ظريفًا الدُّعابة. وله مقطعاتٌ من الشِّعرِ الرصينِ الصحيحِ وموشحاتٌ (القدح المملئ ١٥٦).

٣- مختارات من شعره:

- قال أبو الحسنِ الدبّاجُ الإشبيليُّ في الغزل:

لَمَّا تَبَدَّتْ وَشَسُّ الأُفُقِ باديةً أبصرتُ شمسينِ من قُربٍ ومن بُعدٍ.
من عادةِ الشمسِ تُعشي عَيْنَ ناظرِها، وهذه نورُها يَشْفِي من الرمدِ^(١).

- وقال يَصِفُ مُجَبَّناتِ (قطائفَ) مَحْشُوَّةَ الجُبْنِ ومَقْلُوَّةَ بالسمنِ، تُغَمَّسُ في القَطْرِ^(٢):

أُحْلِي مَواقِمَها إذا قَرَّبْتِها ويُبْخارُها فوقَ الموائِدِ سامي.
إن أحرقتِ لَسًا فإنَّ أوارَها في داخلِ الأحشاءِ بَرْدُ سلامِ^(٣)!

- وقال في ظاهرِ الأمورِ وباطنِها:

- (١) تُعشي: تُضغف الجمر (وخصبوصاً في الليل).
(٢) القطر: سكرٌ مخلولٌ بقليلٍ من الماءِ يغلي على النارِ حتَّى يكسبُ كثافةً معيَّنة. ويضاف إليه قليلٌ من الحمضِ (المادَّةُ الحامضةُ كيلاً يتبلور).
(٣) الأوار: حرُّ الشمسِ والنارِ.

ما جاء عَفْوَاً فَخُذْهُ وما أْبى فَتَجَنَّبْ.
 ولا تَرُدْ كُلَّ مرْعى ولا تَرُدْ كُلَّ مشرب^(١).
 فُرْباً لَلطَّمِ وفيه سَمٌ مَّقْسَبٌ^(٢).

- وقال في القناعة بالعيش:

رَضِيْتُ كَفَافِي رُتْبَةً وَمَعِيشَةً فَلَنْتُ أَسَامِي مُوسِراً وَوَجِيهاً^(*).
 وَمَنْ جَرَّ أَثْوَابَ الزَّمَانِ طَوِيلَةً فلا بُدَّ يَوْماً أَنْ سَيَعْتِرُ فِيها!

- وقال في مرَّ الأيام بِسُرْعَةٍ:

ما لي أرى أَيَّامَنَا تَمَرُّ مَرّاً مُسْرِعِراً؟
 إِذ حَبَبْتُ أَشْهُراً حَسِبْتُهُنَّ جُمُعاً^(٣).
 ولم نَكُنْ نَعْنَسِي بِأَنْ تُبْطِئِي أَوْ أَنْ تُسْرِعَا^(٤)،
 لو لم تَكُنْ أَعْمَارُنَا وَهَنَّ يَدَهُنَّ مَعَنَا!

- ٤- ** برنامج الرعيبي ٨٨-٨٩؛ التكملة ٦٨٣ (رقم ١٩١٠)؛ الذيل والتكملة ٥:
 ١٩٨-٢٠١؛ صلة الصلة ١٣٧؛ المغرب ١: ٢٥٥-٢٥٦؛ القدر الملقى
 ١٥٥-١٥٦؛ بغية الوعاة ٣٣١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٣٥-٢٣٦؛ فتح الطيب
 ٢: ٣٠٩٥، ٤٦١، ٤٧٨، ٤٧٩.

يحيى بن عبد الواحد الحفصي

١- هو أبو زَكَرِيَّا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص، وُلِدَ سَنَةَ

- (١) راد يرود: طلب، بحث عن. ورد برد: ذهب إلى الماء ليشرب.
 (٢) وفيه سَمٌ مَّقْسَبٌ (مزوج به) - صواب التركيب: طعام مقسب (مزوج بسَمٌ أو بما يفسده).
 (*) الكفاف: ما كان مقدار الحاجة بلا زيادة ولا نقصان. رتبة: في المكانة الاجتماعية (من الناحية المصنوية).
 معيشة: فيما يتعلق بالطعام والشراب واللباس (من الناحية المادية). حامى فلان فلانا: نأفه للبلوغ حتى
 يبلغ إلى مثل مكانته (العلمية أو الاجتماعية....). الموسر: الفتي.
 (٣) حسب يحسب (يفتح السين في الماضي وضمها في المضارع): عذ. وحسب يحسب (بكسر السين في الماضي
 وفتحها في المضارع): طن. جمعة: أسبوع.
 (٤) نَعْنَسِي: نَهْمٌ، نشغل (يفتح الفين) بالناء.

٥٥٩ هـ (١١٦٣ - ١١٦٤ م). كان الحكّام الذين سبقوه في حاضرة تونس ولاةً للموحّدين. فلما آلت الولاية إلى أبي زكريّا هذا (٦٢٦ هـ) كان الموحّدون قد ضَعُفُوا جِدًّا فأعلن استقلاله عنهم. ثمّ اصْطَدَمَ يحيى بن غانية الميورقي (وكان بنو غانية لا يزالون أنصاراً للمرابطين الذين خلفهم الموحّدون في المغرب) فقاتله يحيى وتغلّب عليه وقتله (٦٣١ هـ). ثمّ تغلّب أيضاً على قبيلة هَوارة التي ثارت عليه.

وعَمِلَ أبو زكريّا على توسيع رُقعة مُلكه فانتزع من الموحّدين عدداً من المدن (تلمسان وسيجلماسة في الجزائر اليوم) إلى جانب سبتة وطنجة ومكناسة في المغرب اليوم).

وكانت وفاة يحيى بن عبد الواحد الحفصي في بونة (أرض الجزائر اليوم)، في جُمادى الآخرة من سنة ٦٤٧ (مطلع الحريف من عام ١٢٤٩ م).

٢- يُعَدُّ يحيى بن عبد الواحد المؤسس للدولة الحفصية في تونس. وقد كان عظيم الهيبة سديد الرأي، كما كان تقيّاً عادلاً متواضعاً ومُحبّاً للرعية. وكان ملكاً عُمرانياً أنشأ جامع القصبية (القلعة القديمة) وصومعته (مئذنته) البديعة المعجبية (ولمّا اكتمل بناؤها في غرة رمضان من سنة ٦٣٠ بدأ الأذان فيها هو نفسه). وبنى سوق المطّارين (ولا تزال سوق المطّارين إلى اليوم تحمل الطابع التونسي القديم) وعدداً من المدارس وأنشأ مكتبة كبيرة. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظراً.

٣- مختارات من آثاره

- من وصية يحيى بن عبد الواحد الحفصي لأبنيه ووليّ عهده أبي عبد الله محمد المنتصر:

اعلم - سَدَدَكَ اللهُ وأرشدَكَ، وهَدَاكَ لِيأُرْضِيكَ وأسعدَكَ، وجعلكَ محمودَ السيرة مأمونَ السيرة^(١) - أن أولَ ما يَجِبُ على مَنْ استرعاه اللهُ في خَلْقِهِ وجمله مسؤولاً عن رعيته، في جُلِّ أمرِهِ وِدْقِهِ^(٢)، أن يُقَدِّمَ رِضا الله في كلِّ أمرٍ يُحاولُهُ، ويكونَ عمله

(١) سَدَدَكَ اللهُ (جعل سيرك مستقيماً). السيرة: الطوبى، الباطن (ما يكتنه الإنسان في نفسه).

(٢) الجُلُّ الكبير، العظيم (العام الغمّل). الدقّ: الدقيق، الصغير (المفضل).

وسعيه وذبة^(١) عن المسلمين بعد التوكّل عليه. ومتى فاجأك أمرٌ مُقلِقٌ أو وردَ عليك همٌّ مرهقٌ فريضُ لُبِّكَ وسكَنَ جَأثَكَ^(٢).... ولا تُقدِّم إقدامَ الجاهل، ولا تُحجِم إحجامَ الأخرق^(٣) التكاثر. واعلمْ أن الأمرَ إذا ضاقَ مجاله وقصَرَ عن مقاومته رجاله، فمفتاحه الصبرُ والحزامة^(٤) وأخذُ الرأي من عقلاء الدولة ورؤسائها وذوي التجارب من نُبهاثها^(٥)، ثم الإقدام عليه بعد التوكّل على الله فيما لديه..... وعليك بتفقدِ أحوالِ الرعية: فلا تتم عن مصالحهم ولا تُسامح أحداً فيهم..... واتخذِ ثقاتِ صادقين مُصدّقين لهم في جانبِ الله أو فرّضِ عليهم، وفي رفعِ مسائلِ خلقه إليك أسرعُ مُجيب.

- وقال يصفُ روضةً أنشأها قُربَ تونسِ العاصية:

وسالَ نَميرُ الماءِ بينَ أخضرارِها فجاءَ كَمثلِ الفَرْقِ بينَ الذوائبِ^(٦)،
 وإلّا كما شَقَّ الكَنهُورَ بَارقٌ، وإلّا كَمثلِ الصُّبحِ بينَ الفياهِبِ^(٧).
 قَدِ اطَّرَدَتْ فيه المذانبُ دائِماً، ولم تَرَ حَسناً كَاطرادِ المذانبِ^(٨).
 وللِياسمينِ الفَضُّ في خُضْرٍ بَسطِها نائِثٌ دُرٌّ أو سبائِكُ ساكِبِ^(٩).
 مُعطِّرةُ الأردانِ يُنِيمُ نَفْحُها

يُحيِّيكَ عَرَفُ الطيبِ من كُلِّ جانبِ^(١٠).

- (١) ذب عن شيء: دافع عنه.
- (٢) اللب: العقل. الجأث: النفس، القلب.
- (٣) أحمم: تأخر (خاف مباشرة العمل). الأخرق: الأحمق والمتعير الذي لا يدري ما يجب أن يفعل.
- (٤) الحزامة: الفصل في الأمور.
- (٥) النبهاء: الأشراف ثم ذوو الفطنة (جودة المعهم).
- (٦) النمير: الطيب النافع في الري (سني المزروعات). الفرق (فصل شعر الرأس جانبيين). الذؤابة (بالضم): ضفيرة الشعر. - سال غير الماء (يقصد: النهر) بين اخضرارها (نبات الأرض الأخضر) كأنه فرق: خطّ أبيض (لأن الفرق في الشعر يكشف عن جلد الرأس) بين الذوائب (الضفائر السود - والعرب تقول للأسود أخضر).
- (٧) الكنهور: قطع السحاب العظيمة (والمسوح هنا أنها السود - فإن الغيوم إذا كثف فيها بخار الماء بدت سوداء). الغنهب: الظلمة (بالضم)، الليل الشديد السواد.
- (٨) اطردت الأشياء (كانت متتابعة). المذنب (بالكسر): مسيل الماء (الماء المجرور من نهر أو من حوض).
- (٩) الفض: الطريق الناضر (الذي فيه لين ولعان وجمال). الدر: اللؤلؤ. السيكة: قطعة الممدن (بكر الدال) التي أذبت (فأصبحت صافية خالية من المواد الغريبة) ثم أعيد سبكها.
- (١٠) الردن (بالضم): طرف الثوب. نفحها: ما ترسله من رائحة طيبة. أتمعت الربح: هبت هينة.

٤ ** أزهار الرياض ٣ : ٢٠٨ ؛ فوات الوفيات ٢ : ٤٠٠ - ٤٠١ ؛ المجلد في تاريخ
الأدب التونسي ١٨٦ - ١٩٠ ؛ خلاصة تاريخ تونس ١٠٧ - ١٠٨ ؛ الأعلام
للزركلي ٩ : ١٩٣ - ١٩٤ (٨ : ١٥٥).

ابن سهل الإشبيلي

١ - هو أبو إسحاق إبراهيم بن سهل، وُلِدَ في إشبيلية، نحو سنة ٦٠٧ هـ (١٢١٠ م)، على اليهودية فكان يُعرفُ بابن سهل اليهودي أو الإسرائيلي. ثم لما اهتدى إلى الإسلام، بعد أن بلغ مبلغ الشباب، أصبح يُدعى ابن سهل الإشبيلي والإسلامي. غير أن نقرأ من مؤرخي الأدب كانوا يشكون في صحة إسلامه (راجع نفع الطيب ٣ : ٥٢٣ - ٥٢٤).

يبدو أن ابن سهل بدأ تلقى العلم وقراءة القرآن قبل أن يدخل في الإسلام. وقد درس على أبي علي الشلويني (ت ٦٤٥ هـ) وعلى أبي الحسن الدباج (ت ٦٤٦ هـ). وتطوّف ابن سهل بشعره بين بلاطات الأمراء، فلقد كان في قرطبة (وله وصف في نهرها: الوادي الكبير)، كما مدح صاحب مرسية محمد بن يوسف بن هود (٦٣١ - ٦٣٥ هـ). ثم انتقل إلى إشبيلية، فسقط رأسه، وسكنها إلى أن استولى الإسبان عليها، سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م). فانتقل إلى العُدوة الإفريقية (المغرب). وسكن سنة وأصبح كاتباً لواليتها أبي علي بن خلاص. وكانا مرة في البحر معاً، في عرض سنة، ففرقا، سنة ٦٤٩ هـ (١٢٥١ م) في الأغلِب.

٢ - ابن سهل الإشبيلي شاعرٌ مُقلِّ مُحسن له قصيدٌ وموشحاتٌ منوعةٌ أكثرها في الغزل، وأكثرُ غزله في غلامٍ يهوديٍّ أسمه موسى. وغزله رقيقٌ جداً، قيل لأنه «اجتمع فيه دُلائنُ ذلِّ العشق وذلِّ اليهودية». وكذلك له وصفٌ بارعٌ. وأما موشحاته فهي منوعةٌ. وجميع شعره سلسٌ عذبٌ. وله بديعيةٌ (في مدح الرسول)، قيل نظمها قبل أن يُسلم.

- قال ابن سهل الإشبيلي في النسيب، وهو من شعره الرقيق المشهور:

سَلِّ فِي الظَّلامِ أَحَاكِ البَدْرَ عَن سَهْرِي ؛ تَذْرِي النجومُ، كما يَذْرِي الوَرَى، خَبْرِي .
أَبَيْتُ أَهْنِفُ بِالشَّكْوَى وَأشْرَبُ مِنْ دَمِي وَأَنْشَقُ رِيًّا ذِكْرَكَ العَطِيرَ (١) ؛
حَتَّى أُحْيِلَ أَنِي شاربٌ نَمِلُ بَيْنَ الرِّياضِ وَبَيْنَ الكَأْسِ وَالوَتْرِ (٢) .
- وقال يصف نَهراً يَجْتَرِقُ مَرَجاً:

الأَرْضُ قَدْ لَبِستُ رِداءَهُ أَخْضَرا، وَالطَّلُّ يَنْشُرُ فِي رُبَاطِها جَوْهَرا (٣) .
هاجَتْ فَخَلَّتْ الزَّهْرُ كافوراً بِها؛ وَحَسِبْتُ فِيها التُّرْبُ مِسْكَاً أَذْفَرا (٤) .
وَكَأَنَّ سَوَسَها يُصافِحُ وَرَدَها نَعْرَاً يُقَبِّلُ مِنْهُ خَدَّأَ أَحْمَرا (٥) .
والنَهْرُ ما بَيْنَ الرِّياضِ تَخالُهُ سَيْفاً تَمَلَّقَ فِي نِجادِ أَحْضَرا (٦) .
- وَمن بَدِيعِيةٍ لَهُ يمدحُ فِيها الرُّسولَ، وَهِيَ طَوِيلَةٌ:

وَرَكِبِ دَعْتَهُمْ نَحْوَ طَيبَةِ نَبِيَّةٍ فَمَا وَجَدَتْ إِلاَّ مُطِيعاً وَسامِعاً (٧) .
تُضِيهِ مِنَ التَّقْوَى خَبايا صُدُورِهِمْ وَقَدْ لَبَسُوا اللَّيْلَ البَهِيمَ مَدارِعاً (٨) .
تَكَادُ مُناجاةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ تَمُّ بِهِمْ مِسْكَاً عَلى الشَّمِّ ذائِعاً (٩) .

- (١) هنف فلان: صاح وهو يمدُّ صوته. نشق (بفتح فكسر): شم. الرِّيا: الريح الطيبة.
(٢) أخيل: أبدو (لناظرين إلي). التمل: الذي أقرت فيه الحمر.
(٣) الطل: نقاط الماء المتجمعة من برد الليل على الأغصان. الجوهر: اللؤلؤ.
(٤) الكافور: طيب أبيض اللون. المسك: طيب أسود اللون. الأذفر: الشد يد الرائحة (طيبة تلك الرائحة كانت أو كريهة) - والمقصود هنا: الرائحة الطيبة.
(٥) السوسن: الزنبق الأبيض. يشنه الفم (الأسنان) بالزنبق الأبيض، والحد (لاحمراره: دليل صحته وجاله) بالورد.
(٦) النجاد: حالة (بالكسر): سيران من جلد أو نسيج يعلق بها السيف إلى العنق.
(٧) الركب: الجماعة على الإبل (بكر فكسر) يافرون معاً. طيبة (بالفتح): المدينة النورة.
(٨) البهيم: الذي لا علامة ظاهرة فيه (شديد السواد). المدرع (بكر فكسر): الدرّاعة (بالضم وتشديد الراء): ثوب من صوف. - لبسوا الليل مدارع: استعانوا على برد الليل بشباب من صوف ثم تابعوا سيرهم.
(٩) المناجاة: المخاطبة سراً من قرب (أو في الضمير). تم: انتشر. ذائع: منتشر.

تَلَاقَى عَلَى وَرْدِ الْيَقِينِ قُلُوبُهُمْ خَوَافِقَ يُذَكِّرُنَ الْقَطَا وَالْمَشَارِعَا (١)
 قلوبٌ عَرَفْنَ الْحَقَّ فَهِيَ قَدْ أَنْطَوَتْ عَلَيْهَا جُنُوبٌ مَا عَرَفْنَ الْمَضَاجِعَا (٢)
 - ولابن سهل هذه الموشحة المشهورة التي كثر تقليدها في المغرب والمشرق:
 هَلْ ذَرَى ظَنِّيُ الْجَمِي أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ مِنْ مَكْنَسٍ (٣)
 فَهَوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَتِي مِثْلَمَا لَمِيتَ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ (٤)

* * *

يَا بُدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النُّوَى غُرَّرًا تَسْلُكُ فِي نَهْجِ الْغَرَرِ (٥)
 مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحُسْنَى وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ (٦)
 أَجْنِسِي اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجِوَاءِ وَالتَّدَايِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٧)
 كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَسَدِي بَسَا كَالرُّبِيِّ بِالْعَارِضِ النُّبَجِسِ (٨)

(١) الورد (بالكسر): مكان الماء (ذهب الناس إلى الماء للشرب). تلاقى - تلاقى. القطا جمع قطاة (طائر سريع الطيران). المشرعة: الشريعة (مكان شرب الماء). - يجتمع المسلمون الذاهبون إلى طيبة (المدينة المنورة، لزيارة قبر الرسول) يقيين (بإيمان ثابت) خوافق (قلوبهم تتحقق من فرحة اللقاء أو الوصول إلى المدينة). يذكرون (بذكرون - بالضم والكاف المشددة المكسورة) الناس (بالنصب) بالقطا والمشارع (بطيور القطا وهي سريعة في طيرانها إلى أماكن الماء).

(٢) قلوبهم موجودة بين جنوب (جمع جنب) ما عرفن المضاجع: الاستلقاء في الفراش (النوم).

(٣) الحمى: ما يجب على الإنسان حمايته. ظني الحمى (أجل أهل المحي والذي يحمي أهله من أن تمتد إليه عين الحمى). حمى: منع. الصب: الهب المتناقل إلى المهبوب. قلب صب حلّه (المهبوب الذي حل: نزل، ملأ) قلب الهب. المكس (يفتح فسكون ففتح): الكناس (بالكسر): المكان تأوي إليه الطباء (هنا: النساء الجميلات) وغيرها من الوحوش.

(٤) الصبا: ربح الشرق. القبس: النار القليلة المحمولة (ولها لبيب) في عود دقيق.

(٥) النوى: البعاد (بالضم). الفراق. العرة (بالضم): مقدم الجبين (كتابة عن البيضاء والجمال). - كل محبوب من هؤلاء المهبوبين غرة (كل شيء فيه جيل). نهج: طريق. الفرر (يفتح ففتح): الضلال.

(٦) منك الحسنى (مؤنث أحسن): فيك أحسن (أجل) ما في جميع الناس.

(٧) أجنئي: أجنئي: أقطف، أنال (القليل من اللذات). مكلوم: مجروح. الجوا (يقصد: الجواء جمع جز: داخل الشيء): القلب. التداي: القرب. - لذتي الوحيدة أنني أفكر في حبيبي (لأنني لا أستطيع لقاءه).

(٨) الوجد: الحزن (من الابتعاد عن المهبوب). بسم: ابتسم (انفجرت شفتاه فظهرت أسنانه الجميلة - من غير أن يحدث صوتاً). الربوة: الرابية (الأرض المرتفعة قليلاً تنسى بقاء وافر وتعرض للريح وللشمس =

إِذْ يُقِمُّ الفَطْرُ فِيهَا مَاتِمًا، وَهِيَ مِنْ بَهَجَتِهَا فِي عُرْسٍ (١).

* * *

غَالِبٌ لِي غَالِبٌ بِالتَّوَدُّةِ؛ بَأَيِّ أَفْدِيهِ مِنْ جَافٍ رَقِيقٍ (٢).

مَا عَلِمْنَا مِثْلَ ثَغْرِ نَضْدَةَ أَفْحُونًا عَصَبَتْ مِنْهُ رَحِيقٌ (٣).

أَخَذَتْ عَيْنَاةَ مِنْهُ العَرَبِيدَةُ؛ وَقُوَادِي بَكَرُهُ مَا إِنَّ يُبْقِي (٤).

فَاجِمُ اللَّمَّةِ مَعْمُولُ اللَّمَى سَاحِرُ العُنْجِ شَهِي اللَّسِّ (٥).

وَجْهَهُ يَتَلَوُ «الضُّحَى» مُبْتَسِمًا، وَهُوَ مِنْ إِعْرَاضِهِ فِي «عَبَسَ» (٦).

* * *

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنِ جُرْمِي لَدَيْهِ، لِي جِزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ المَذْنُوبُ.

أَخَذَتْ شَمْسُ الضُّحَى مِنْ وَجْهِيهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ (٧).

= فيكثر نباتها وزهرها). العارض: العميق (المملوء بالمطر). النجس: المنجس (المتدق) بالماء. - شكواي إليه تحمله بستم وتظهر أسنانه فيزداد جلالاً، كما أن المطر ثبت في الربوة أنواع النبات والأزهار فتزداد بذلك جمالاً.

(١) نزول الفطر (المطر) كأنه دموع الماتم (اجتماع النساء عند الميت - بفتح فسكون). وهي (أي الربوة) من بهجتها (من جمالها وفرحها - بما فيها من أنواع الرهر. ...).

(٢) التوددة: التأني (أنا شديد الحب له ولسرعة لقائه، وهو يضرب لي المواعيد البعيدة أو يتفاوض عن رغيقي). الحافي: الغليظ القاسي.

(٣) نضد: رتب. سق. الأفحوان زهر له ثلاث بيض (تشبهها الأسنان اللسمة الجميلة) وقلبه أصفر. الرحيق (السائل الحلو في الزهر تنثره النحل ثم نجته من فيها فيكون منه اللسل). والشاعر يقصد بالرحيق «الحمر».

(٤) عينا المحبوب سكرت من رحيق فمه (راجع الحاشية السابقة). العريدة: السكر الذي يؤدي به السكران من حوله. وقوادي سكره ما إن (إن هنا زائدة) بقيق (وقوادي لا يبق من سكره - من نظري إلى جمال فمه ومعرفتي بما في فمه - من غير أن أكون قد ذقته).

(٥) فاحم: أسود. اللمة (بالكسر): الشعر المجاور للأذن (سواد الشعر كتابة عن الشباب). اللمى: سره في الشفة (كتابة عن السماء، وعن الريق). الفنج الدلال، جمال العينين. اللسس: سواد قلبل في باطن الشفة (كتابة أيضاً عن الريق).

(٦) مطلع السورة الثالثة والتسعين في المصحف: ﴿والضحى﴾ (أول ارتفاع النهار وامتداد الضياء) والليل إذا سجي (هبط بهدوء وسكن)، ما ودعك ربك (تركك، يا محمد) وما قلى ﴿أبصص. أبفضك﴾. ومطلع السورة الثمانين: ﴿عبس ونولى أن جاءه الأعمى﴾.

(٧) مشرق للشمس (كتابة عن بياض وجهه) فيه (في وجهه) مررب للشمس (كتابة عن حره حدوده، كالحمرة التي تركها الشمس على الأفق الغربي إذا هي غربت).

ذهبَ الدمعُ بأشواقِي إليه؛ وله خدٌّ بلحظي مُذهبٌ^(١)؛
يَبْسُتُ الوردُ بلحظي كُلِّما لاحظته مُقلتي في الخُلْسِ^(٢).
ليستَ شِعْري، أيُّ شيءٍ حرَّما ذلك الوردُ على المُفترسِ^(٣)؟

* * *

كُلِّما أشكو إليه حُرْتي غادرَني مقلتاهُ دَنِفاً^(٤).
تَرَكْتَ الحَاطِطَهِ من رَمَتي أثَرَ النَّمْلِ على صَمِّ الصِّفا^(٥).
وأنا أشكرُهُ في ما بَقي، لستُ أَلِحاءَ على ما أُلْتفا^(٦).
فَهُوَ عِنْدِي عادِلٌ إن ظَلَمَا؛ وَعَدُولِي نُظْفُهُ كالخُرْسِ^(٧).
ليسَ لي في الأمرِ حُكْمٌ بعدَما حَلَّ من نَفْسِي محلُّ النَفْسِ.

* * *

أضرمَ النارَ بأحشائي ضِرامَ تتلَطَّسِي كُلَّ حينٍ ما تشاءِ.
هيَ في خَدْيِهِ بَرْدٌ وسَلَامٌ، وَهيَ ضُرٌّ وَحَرِيقٌ في الحِشَاءِ^(٨).
أتقي منهُ على حُكْمِ الفِرامِ أَسَدًا وَرَدًّا وَأَهْوَاءَ رِشَاءِ^(٩).

- (١) فني دمعي وجف من كثرة بكائي (لأن حسي له شديد وهو معرض عني). خذه مذهب (في احمرار من خجله كلما نظرت إليه).
- (٢) يجرم خذه (من الخجل) كلما نظرت إليه في الخلس (جمع خلسة بالضم) مرة بعد مرة في غفلة من الذين حولنا.
- (٣) أنا الذي أزرع الورد في خدوده (أجعلها محمراً من نظري إليها) ثم هي حرام علي لا أستطيع أن أظلف منها ما زرعت فيها: أن أقبلها).
- (٤) الدنف: المريض القريب من الهلاك (التلف، الموت).
- (٥) الرمق: بقية الروح (في الجسد). الصفا جمع صفاة: الصخرة الملاء الصلبة. الصم جمع أصم وصماء. الشبه الأصم: الصلب المصمت (المملوء جوفه). - إن سير النملة على الصخر لا يترك أثراً.
- (٦) أشكره في (علي) ما بقي (في) من حياة وقوة. أليحاء (من لحي، يلهي: ذم، لعن).
- (٧) العدول: الذي يلوم المحب على حبه. كلام عدولي وسكوته بيان (أنا لن أسمع لوماً في محبوبي من أحد).
- (٨) هذه الحمرة التي تشبه النار هي برد وسلام في خديه (لا تضره)، وهذا اقتباس من القرآن الكريم (٦٩: ٢١، سورة الأنبياء): ﴿فلنا: يا نار، كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. الحشأ: القلب (قلبي).
- (٩) أتقي: أخاف، أجنب. الورد: الأحمر (الأسد الورد: الشهد الضراوة والافتراس). رشأ: غزال

قلتُ، لَمَّا أَنْ تَبَدَّى مُعَلِّبًا، وَهُوَ مِنَ الْحَاظِهِ فِي حَرَسِ (٢) :
أَيُّهَا الْآخِذُ قَلْبِي مَنَّا اجْعَلِ الْوَصْلَ مَكَانَ الْحُصْرِ (٣) !

- من نفع الطيب (٧ : ٤٤٥ وما بعد) : « من ذلك قولُ أبي اسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيليّ الإشبيليّ (موشحةً، ولكنّ) بمضاً ذَكَرَ أَنَّهَا مِنْ قَوْلِهِ لَمَّا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، وَهِيَ لَا تَقْتَضِي رَفْعَ الرِّيْبَةِ عَنْهُ وَالْإِتِّهَامَ (٤) :

جَمَلِ الْمُتَّيِّمِينَ حُبُّ أَحَدِ شَيْمَةَ (٥)
وَأَتَى بِهِ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيمَةَ (٦)،
فَفَدَا هَوَاهُ عَلَى الْقُلُوبِ تَمِيمَةَ (٧)؛

= صغبر - أنا أجنه كأنه غزال جبل بري ثم أخافه (أحاف نتائج هجرانه) كأنه أسد كربه النظر شديد الضراوة.

- (١) تبدي: طهر لي (لما رأته). المُعَلِّمُ: العارس الشجاع القوي الذي لا يتلثم في أثناء المارك (ولا في غير المارك) لأنه لا يخاف من خصومه، بل هم يخافونه. الحَاظَةُ الفناكة (كالسيوف والرماح) تحرسه .
(٢) أنت أخذت كل قلبي (سلبتي القدرة على أن أحب محبواً آخر)، تصدق علي بوصلك (بالاقتراب منك). مكان الخمس (في المهاد توزع أربعة أخماس الغنائم المنقولة بين الأحياء من الذين اشتركوا في المركة)، ويبقى الخمس الخامس فيكون لآل بيت الرسول (إذ لا يجوز لهم أن يأكلوا من الزكاة والصدقات) وللحجاجين من سائر المسلمين. وهنا إشارة إلى آية من القرآن الكريم (٨ : ٤١، سورة الأنفال): ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّا نَعْتَمِدُ مِنْ شَيْءٍ (في الحرب) فَإِنَّ اللَّهَ خُسَمَاءُ لِلتَّصَدِّقِ عَلَى الْمُتَّحِجِينَ وَلِلرَّسُولِ لِنَفْعَةِ الرَّسُولِ وَنَفَقَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ) وَلِذِي الْقُرْبَى (لأقارب الرسول) وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ (الذين يَكْسِبُونَ مَالاً لَا يَكْتُمُهُمْ لِجَانِبِهِمْ) وَإِينَ السَّبِيلِ﴾ (المتقطع عن وطنه لا يملك ما يتابع به طريقه).
(٣) لم يكن المقرّي صاحب نفع الطيب على حق في إعلان الارتياح بصحة إسلام ابن سهل، ذلك لأن الإيمان شيء بين الإنسان وخالفه، ولا يجوز لنا إذا قال إنسان إنّه مسلم أن نردّ قوله، ما لم يكن لنا دليل على أن عملاً من أعماله يخالف للإسلام جهاراً. ولا شك في أن الإيمان في الناس على مراتب، فهناك أفراد إيمانهم أعلى من إيمان أفراد آخرين. غير أن الحكم في ذلك لله وحده. ولقد كان في أيام الرسول، صلى الله عليه وسلم، جماعة صحح الارتياح بإيمانهم فسمّاهم الله «مناققين»، ولم يقل إنهم كفّار أو غير مسلمين.

- (٤) قال إحسان عباس في (نفع الطيب ٧ : ٤٤٥، الحاشية ٢) : لم أجد هذه الخمسة (الموشحة) منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلا في النسخ، ولم ترد في ديوانه (طبع صادر ١٩٦٧).
(٥) المهيس (من أسماء الله الحسنى). أحمد (محمد رسول الله). شيمّة: خلق (بضمّ فصح)، العادة (المجسلة).
(٦) كريمة: جوهرة (لؤلؤة) نفيسة (ثمينة، غالية)، فهو حير المرسلين وآخر المرسلين.
(٧) التميمية: الحجاب (ما يعلق على الأطفال لرذ العين بحمهم ومع الأذى).

وغدا هُداةً هَدَيْهِمْ تَتَمِّيا. صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيا^(١).

* * *

أَبْدَى جَبِينُ أَبِيهِ شَاهِدَ نوره^(٢)،
سَجَّعَتْ بِهِ الكُفَّانُ قَبْلَ ظُهُورِهِ^(٣)
كالطَّسِيرِ غَرَّةً مُعْرِباً بِصَفِيرِهِ

عن وجهِ إصباحِ يُبْطِلُ نَسِيا. صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيا^(٤).

* * *

اللهُ أَوْضَحَ قَضْلَهُ فَتَوَضَّحَا،
واللهُ بَيْنَ حُبِّهِ فِي «الضُّحَى»^(٥)،
والجَبْدُ حَنَّ لَهُ هَوَى فَتَرَنَحَا^(٦)،

والماءُ فاضَ بِكَفِّ تَسْيا^(٧). صَلَّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيا.

* * *

(١) المَهْدَى (بالضَّمِّ) كالمَهْدَى (بِالْفَتْحِ). في القرآن الكريم (٣٣: ٥٦، سورة الأحزاب): ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيًا﴾.

(٢) في الأخبار أن عبد الله بن عبد المطلب (والدَّ مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ) كان في حبيته نور يتلأأ (وصل إليه من النور الذي وضعه الله في آدم). ثم إن امرأة (في الجاهلية) كانت تريد عبد الله، وكان هو يأبى ذلك (وكان في ذلك الحين زوج أمنة والدة محمد رسول الله). ويقولون (وهذا من الإسرائيليات الظاهرة أو الخفية) إنه بعد مدة (وكانت أمنة قد حبلت بمحمد) مرَّ عبد الله بتلك المرأة فرأت أن النور الذي كان يتلأأ في حبيته قد احتفى (انتقل إلى الجنين في بطن أمنة) فلم ترغب فيه.

(٣) سجع: غسي، أكثر الكلام (في الشيء).

(٤) «نسيا» (كذا في الأصل) ولا معنى لها هنا. يجب أن تكون «وسياً» (جيبلاً). ثم إن هذه القافية (نسياً) تأتي في آخر خمس من هذه الموشحة.

(٥) حَسَّه (حبَّ الرسول). الصَّحَى (السورة الثالثة والستون في المصحف) وهي: ﴿والضحى (أول النهار. والواو للقسم) واللَّيْلُ إِذَا سَجَى (نزل، خيم). ما ودَّعَكَ رَبِّكَ (تركك، يا محمد). وما قُلَّ (أبغضك). ولأخرة خير لك من الأولى (من هذه الدنيا). ألم يجدك يتيماً فأوى؟...﴾ الخ.

(٦) الجُدع جزء من ساق شجرة كان محمد رسول الله يقف عليه ليخطب. فعلم جماعات من الناس يقولون إنهم يسمعون هذا الجُدع يحن (يشن حزناً على رسول الله). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجُدع.

(٧) وفي الأثر أن الجيش عطش مرة ولم يجد ماء ففاض من بين أصابع الرسول ماء شرب منه الجيش حوز، =

اَحْتَسَتْ فِي السَّبْعِ الطَّبَاقِ بُرَاقَهُ،
وَالْأَرْضُ وَاجْفَةٌ تَخَافُ فِرَاقَهُ^(١).
سُبْحَانَ مَنْ أَدْنَى سِرِّهِ فَسَاقَهُ
شَخْصاً عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ كَرِيماً^(٢). صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

* * *

فَأَسْمِ رَيْحَانِ الْقُلُوبِ الطَّيِّبِـاءِ،
وَدَنَا فَأَسْمِعَ: « يَا مُحَمَّدُ، مَرْحَباً^(٣).
إِنِّي جَعَلْتُكَ جَارَ عَرْشِي الْأَقْرَبِـاءِ،
إِنْ كُنْتُ قَبْلَكَ فَدِجَعَلْتُ كَلِيماً^(٤) ». صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً.

* * *

يَا لَيْلَةَ بَجْرِي الزَّمَانِ فَتَبِقْ،
الْمُحْجَبُ فِيهَا وَالْأَرَائِحُ تُفْتَقُ^(٥).
مَا كَانَ مِنْكَ اللَّيْلُ قَبْلَكَ يَمْبِقُ.

-
- = أرتوى. تسنيم: عين في الجنة (ماء عذب).
(١) أحتس الدابة: حثها (حضاها على الإسراع). السبع الطباقي (السماوات السبع). البراق: دابة أكبر من
الحمار وأصغر من الحصان عظيمة السرعة، إذ تحمل، في كل خطوة، حافرها حيث ينتهي بصرها.
وعلى العراق كان الإسراء بالرسول من بيت المقدس. الواجف: الخائف المضطرب.
(٢) ملك الملوك: الله سبحانه وتعالى.
(٣) أسم (بالبناء للمجهول) أدفي منه (جعلته الله) يتم (بضم الشين) رجاناً (نباتاً ذا رائحة طيبة). رجان
القلوب (بفتح القلب؟). دنا (أقرب من عرش الرحمن). فأسمع (بالبناء للمجهول: جعله الله يسمع).
(٤) ... إذا كنت من قبل قد جعلت موسى يكلمني (وهو لا يراي)، فقد جعلتك الآن جاراً قريباً جداً
لعرشي (تسمع وترى).
(٥) المحجب جمع حجاب (دون عرش الرحمن) تفتق (تشقق لبصر الراي من خلال فتوقها: شقوقها).
الأرائح جمع أريج وأرجحة (رائحة طيبة). تفتق: يفتح وعاؤها أول مرة (ثم الرسول في الإسراء
رائحة لا عهد للإنسان بها).

بُشْرَى، مُحَمَّدٌ آسْتَفَادَ نِسِيًا^(١). صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا.

★ ★ ★

حَتَّى إِذَا أَقْتَمَ الْبُرَاقَ لِيَنْزِلَا،

نَادَتْهُ أَسْرَارُ السَّمَاوَاتِ الْعُضَلَا^(٢):

« يَا رَاجِلًا وَدَعْتُهُ لَا عَن قَلْبِي،

مَا كَانَ عَهْدُكَ بِالْغُيُوبِ ذَمِيًا^(٣) ». صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا.

٤ - ديوان ابن سهل..... القاهرة ١٢٧٩، ١٢٨٩، ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٢٨ هـ

فاس (طبع حجر) ١٣٢٤ هـ: (أبو حسين القرني)، القاهرة ١٣٤٤ هـ= ١٩٦٦ م؛

بيروت ١٨٨٥ م (١٣٠٢ - ١٣٠٣ هـ)؛ القاهرة (المكتبة العربية) ١٩٢٦ م. (قدم له احسان

عبّاس)، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٣ تم ١٩٦٧ م.

- مختارات من ابن سهل، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥٣.

★ ★ السلك السهل في شرح توشيح ابن سهل، تأليف محمد الإفرائي المغربي، فاس

١٣٢٤ هـ= ١٩٠٩ م.

- ابن سهل الأندلسي، تأليف عارف تامر.

المغرب ١: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ قوات الوفيات ١: ٢٩ - ٣٥؛ الوافي بالوفيات ٦: ٥ - ١١؛

القدح المعلّى ١٤٠ - ١٤١؛ شذرات الذهب ٥: ٢٦٤ - ٢٦٥؛ نفع الطيب ٢:

٣٠٧ - ٣٠٨، ٣: ٥٢٢ - ٥٢٧، ثم هنالك موشحات لابن سهل ومعارضاتها ٧: ١١،

(١) عيب (بفتح فكسر): ظهرت رائحته. سك الليل (ظلام الليل كلّهُ، لأنّ المسك أسود): كان الليل كلّهُ

بنفوح برائحة طيبة.... آسْتَفَادَ نِسِيًا (أصبح له هو أيضاً رائحة طيبة تفوح في العالم).

(٢) آتَمَدَ فلان الدابة: ركبها. آتَمَدَ الرسول البراق (لينزل إلى الأرض). أسرار السّماوات (كائنات في

السّماء لا يعرفها الناس). الغلي: البيض.

(٣) ما كان عهدك بالغيوب (جمع غيب: وجودك في عالم الغيب، في طبقات السّماء) ذمياً (مذموماً): لقد

كنت في عالم الغيب كأنك في الأصل من أهله. أو: لقد أسرى بك إلى السّماء لأنك ميراً من كل عيب

(سلوكك بالغيوب، في السرّ، كسلوكك الظاهر في العلن). - راجع القرآن الكريم: ﴿أرجعوا إلى أبيكم

فقولوا: يا أبانا، إنّ أبناك سرق. وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين﴾ (١٢: ٨١)، سورة

يوسف، ثم ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضلّ الله به بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم.

فالصالحات (من النساء) قانتات (مطيعات لأوامر الله ولأزواجهن) حافظات للغيب (محافظة على

سلوكهن في أثناء غيبة أزواجهن) بما حفظ الله﴾ (بما كان الله قد وصى)..... ثم ﴿ذلك ليعلم أنّي لم أخنه

بالغيوب وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ (١٢: ٥٢، سورة يوسف).

٦١-٦٥، ٦٩، ٢٤٦ وما بعد، ٤٤٥-٤٧٠: دائرة المعارف الإسلامية ٣:
 ٩٢٥-٩٢٦ بروكلمن ١: ٣٢٢-٣٢٣، الملحق ١: ٤٨٣؛ نيكل ٣٤٤-٣٤٥:
 مختارات نيكل ٢٠٩-٣١٢: الأعلام للزركلي ١: ٣٦ (٤٢)؛ سركيس ١٢٣.

التيفاشي القفصي

١- هو شرفُ الدين أبو العباسِ أحمدُ بنُ يوسفَ بنِ أحمدَ بنِ أبي بكرِ بنِ حمدونِ
 ابنِ حجاجِ (١) القَيْسِيُّ التيفاشي، نِسْبَةً إلى تيفاش (٢). وُلِدَ في مَدِينَةِ قَفْصَةَ (في غربي
 القطرِ التونسي)، سَنَةَ ٥٨٠ (١١٨٤ م) وبدأ تعلُّمه فيها على أبي العباسِ أحمدَ بنِ أبي
 بكرِ بنِ جعفرِ المُقدسي. ثم انتقلَ إلى تُونسِ الحاضرةِ وتابعَ دراسَتَه في جامعِ الزيتونة.
 بعدئذٍ رَحَلَ إلى مِصْرَ وقرأَ على عبدِ اللطيفِ البَغداديِّ (ت ٦٢٩) ثم انتقلَ إلى
 دِمَشقَ وقرأَ فيها على تاجِ الدينِ الكِنديِّ.

وعادَ التيفاشيُّ إلى تُونسِ فولَّاهُ أبو زكريا يحيى الحَفْصِيُّ (٦٢٦-٦٤٧ هـ)
 القضاءَ في قفصة. ولكنَّه ارتحلَ ثانيةً إلى المشرق. وفي رِحلتِه الثانيةِ ماتتِ امرأَتُه.
 ثم انكسَرَ به المركبُ مرَّةً (بعدَ موتِ زوجته) فَفَرِقَ أبناؤه الثلاثةَ وضاعَ ما كانَ مَعَه
 من المالِ.

وتجولَ التيفاشيُّ في المشرق: زارَ العراقَ وفارسَ ثم جاءَ إلى القاهرةِ نحوَ سَنَةِ
 ٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وَعَرَفَ نَفراً من كبارها منهم مُحمي الدين محمدُ بنِ نَادي (٣)
 وأبو الحسنِ عليُّ بنُ سعيدِ العنسيِّ (وقد أجازَ له روايةَ كتابِ «المُغربِ في محاسنِ
 المُغربِ») ومُكرِّمُ بنُ منظورٍ (ت ٦٥٤) والدُّ صاحبِ «لسانِ العربِ» وكانتِ وفاةُ
 التيفاشيِ القفصيِّ في القاهرةِ، سَنَةَ ٦٥١ (١٢٥٣-١٣٥٤ م).

٢- كانَ التيفاشيُّ القفصيُّ واسعَ الإحاطةِ بفنونِ من الأدبِ والعلمِ وشاعراً

- (١) في «الديباج المذهب» سلسلة نسب أطول. في بروكلمن ١: ٦٥٢، الملحق ١: ٩٠٤؛ شهاب الدين.
 (٢) تيفاش قرية من قرى قفصة (الديباج المذهب ٧٥). وذكر حسن حسني عبد الوهاب أن تيفاش
 (الورقات ١: ٤٤٨) في شمالي عمالة (مقاطعة) فنسطينة في شمالي القطر الجزائري.
 (٣) وفي «الورقات» (ص ٤٥٠، ٤٥٥) «ابن ندى».

يَنْهَجُ مِنْهَجَ أَدْبَاءِ عَصْرِهِ فِي تَكْلُفِ أَوْجِهِ الْبِلَاغَةِ؛ غَيْرَ أَنْ شُغِرَهُ نَازِلٌ عَلَى الْمَرْتَبَةِ الْمَقْبُولَةِ. أَمَّا شُهْرَتُهُ وَمَكَانَتُهُ فَتَقْوَمَانِ عَلَى مَوْلَفَاتِهِ الْعَدِيدَةِ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرُهَا وَثِيقَ الصَّلَةِ جَدًّا بِالنَّاحِيَةِ الْجَنَسِيَةِ الصَّرِيحَةِ. وَلِلتِيْفَاشِيِّ كِتَابٌ مِنْهَا: فَصَلِ الْخُطَابِ فِي مَدَارِكِ الْهَوَاسِ الْخَمْسِ لِأَوْلِي الْأَلْبَابِ^(١) - الدَّرَةُ الْفَائِقَةُ فِي مَحَاسِنِ الْأَفَاقَةِ (التَّوْنِسِيِّينَ) - أَزْهَارُ الْأَفْكَارِ فِي جَوَاهِرِ الْأَحْجَارِ (لَعَلَّةِ الْأَحْجَارِ الْمَلُوكِيَةِ، وَلَعَلَّةِ فِي الْأَصْلِ مِنْ كِتَابِ فَصَلِ الْخُطَابِ) - سَجْعُ الْمَدِينِ فِي أَخْبَارِ النَّيْلِ - الدِّيْبَاجُ الْخُسْرَوَانِي فِي شَرْحِ شِعْرِ ابْنِ هَانِي - دَرَّةُ اللَّاتِي مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ وَمُسْتَحْسِنِ الْأَشْعَارِ - نَزْهَةُ الْأَلْبَابِ فِي مَا لَا يُوْجَدُ فِي كِتَابِ (نَوَادِرُ وَأَشْعَارٌ تَتَعَلَّقُ بِالْجَنْسِ) - مَطَالَعُ الْبَدْوَرِ فِي مَنَازِلِ السَّرُورِ - قَادِمَةُ الْجَنَاحِ (فِي مَعَاشِرَةِ النِّسَاءِ) - رَجُوعُ الشَّيْخِ إِلَى صِبَاهِ فِي الْقُوَّةِ عَلَى الْبَاهِ - رِسَالَةٌ فِي مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فِي اسْتِعْمَالِ الْبَاهِ تَمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- مِنْ تَارِيخِ الْمَوْسِيقِيِّ فِي الْمَغْرِبِ:

.... كَانَ غِنَاءُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي الْقَدِيمِ إِمَّا بِطَرِيقَةِ النَّصَارِيِّ * وَإِمَّا بِطَرِيقَةِ حُدَاةِ الْعَرَبِ^(٢). وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ يَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ قَامَتِ الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ، وَكَانَتْ مُدَّةَ الْحَكْمِ الرَّبِضِيِّ^(٣)، فَوَفِدَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَمِنْ إِفْرِيقِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ مِنْ يُحْسِنِ صَنْعَةَ التَّلَاحِينِ الْمَدِينِيَّةِ^(٤) وَأَخَذَ النَّاسُ عَنْهُمْ، إِلَى أَنْ وَفَدَ الْإِمَامُ الْمُقَدَّمُ فِي

(١) هَذَا الْكِتَابُ يَفِخُ فِي أَرْبَعِينَ جُزْأً (مُحَوِّمًا ثَلَاثِينَ آلَافَ صَفْحَةً)، وَهُوَ مُوسَمَةٌ (مَوْسُوعَةٌ: دَائِرَةُ مَعَارِفٍ) مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْأَنْوَاعِ الَّتِي تَتَنَاوَلُ الْمَعَارِفَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْمُخْتَلِفَةَ مِنْ مَظَاهِرِ الطَّبِيعَةِ (الْمَجَادِ وَالْحَيَوَانَاتِ) وَمِنْ الْمَدَارِكِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ كَالطَّبِّ وَالْمَوْسِيقِيِّ وَمِنْ الْأَحْوَالِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ كِتَابِيَّةً فِي الْأُمَمِ وَعُلُومِهِمْ كَالْفَلَكِ وَعِلْمِ الْحِجَارَةِ الْكَرِيمَةِ. وَقَدْ اخْتَصَرَ هَذَا الْكِتَابُ أَنْ يَنْظُرَ مُصَنِّفُهُ لِسَانَ الْعَرَبِ . . وَيَكُنْ أَنْ نَعَدَ هَذَا الْكِتَابَ سُلْسُلَةً مَتَوَالِيَةً فِي التَّأْلِيفِ لِأَنَّ التِّيْفَاشِيَّ جَعَلَ لِكُلِّ جُزْءٍ عُنْوَانًا مُسْتَقْلَلًا (رَاجِعْ أَيْضًا «الْوَرَقَاتُ»، ص ٤٥٥ - ٤٥٧).

(٢) الْحَادِي: الَّذِي يَسُوقُ قَوَافِلَ الْإِبِلِ، يَقْضِدُ بِطَرِيقَةِ الْحُدَاةِ «الْفَنَاءَ الْبَدْوِيِّ» .

(٣) الدَّوْلَةُ الْأُمَوِيَّةُ: الدَّوْلَةُ الْمَرْوَانِيَّةُ فِي الْأَنْدَلُسِ. الْحَكْمُ الرَّبِضِيُّ هُوَ الْحَكْمُ الْأَوَّلُ (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) مِنْ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ.

(٤) الْمَدِينِيَّةُ (بِضْمٍ فَضْمًا): خِلَافَ الْبَدْوِيَّةِ. * نَصَارِيُّ الْأَنْدَلُسِ (الْأَسْبَاكُ).

هذا الشأن عليُّ بنُ نافعِ الملقَّبُ بزِيَابِ غُلامِ إِسحاقِ الموصليِّ على الأميرِ عبدِ الرحمنِ الأوسطِ^(١) فجاء بما لم تَمَهِّدْهُ الأسماعُ واتَّخذَ السلطانُ^(٢) طريقتَه ونُسيَ غيرها إلى أن جاء ابنُ باجَهَ الإمامُ الأعظمُ فاعتكفَ مُدَّةَ سِنينَ مَعَ جِوارِ مُحسناتِ فِهْدَبِ الاستِهلالِ^(٣) والعَمَلِ ومزجَ غِناءَ النَّصارى بِنِقاءِ المشرقِ واخترعَ طَريقةَ الأجدالِ^(٤) (١) (٢) (٣) بالأندلسِ. وقد مالَ إليها طَبعُ أهلِها ورفضوا ما سِواها. ثمَّ جاء بَعْدَه ابنُ جوديِّ وابنُ الحَمارةِ وغيرُها فزادوا الحانَهَ^(٥) تهذيباً واخترعوا ما قَدَرُوا عليه من الأَلحانِ المُطربَةِ. وكان خاتمةَ هذه الصَّناعةِ أبو الحسنِ بنُ الحانِسرِ المُرسِيِّ^(٦) فَإِنَّهُ أَذْرَكَ فيها عِلْماً وَعَمَلًا ما لم يُدْرِكْهُ أَحَدٌ. وله في المِوسيقى كتابٌ كَبيرٌ في جُملةِ أسفارِهِ. وكلُّ تَلحينٍ سُمِعَ بالأندلسِ والمُغربِ في شِعْرِ مَتأخَّرٍ فَهُوَ من صَنعَتِهِ.....

- يوم نعيم بين ليلين غير ذلك:

ويوم سَرَقْناءُ من الدهرِ جِلْسَةٌ؛ بِلِ الدهرِ أهداءُ لنا مُتَفَضِّلًا.
أشْبهُهُ بَيْنَ الظَّلَامينِ غُرَّةً لِحِساءِ لاحتَ بَيْنَ فَرَعينِ أُرْسِلًا^(٧)!

- ذهاب الليل ومجيء الفجر:

-
- (١) زِيَابِ (راجع، فوق، ص ٨ في الجزء الرابع). تلميذ إِسحاقِ الموصليِّ. عبدِ الرحمنِ الأوسطِ (٢٠٦-٢٣٨ هـ).
- (٢) السلطان: صاحب السلطة (الحليفة، الدولة) - يقصد الغناء الرسمي، في البلاط.
- (٣) ابن باجَهَ (راجع، فوق، ص ٣١٥ في الجزء الخامس). الاستِهلال: مطلع الغناء. العمل: منح الغناء والسير فيه (٢).
- (٤) الأجدال (غير معروفة - وعلامة الاستفهام من الأصل المنقول عنه).
- (٥) ابن جوديِّ (٢). ابنُ الحَمارةِ (ضبطها حسن حسني عبد الوهاب (الورقات ١: ٤٥٤) بتشديد الميم. وتركها شوفي ضيف (المغرب ٢: ١٢٠) مهملة. وكذلك فعل إِحسانُ عَبَّاسٍ (نفع الطيب ١: ٢٠٥، ٣: ٥٩٧، ٤: ١١٣، ١٤٠)، وديديريغ (الوافي بالوفيات ٢: ٢٤٢). وابنُ الحَمارةِ الغرناطيِّ تلميذِ ابنِ باجَهَ، برعَ في الأَلحانِ وفي نِظْمِ الشِعْرِ. ويردُّ هذا الاسمُ في نِفقِ الطيبِ مرَّةً بكتيبةٍ واسمُها أبو الحسنِ عَلِيُّ وَثَلاتِ مَرَّاتِ أبو عامرِ مُحَمَّدٍ. ولَمَلَّ الأَثينِ واحدٌ.... في الحانَهَ (في الحانِ ابنِ باجَهَ).
- (٦) أبو الحسنِ بنِ الحانِسرِ المُرسِيِّ (٢).
- (٧) الفرج: الشَّعر. لاحتَ بَيْنَ فَرَعينِ: ظهرَ وجهها بَيْنَ شيءٍ من شِعْرِها في كلِّ حانِبِ.

نَبَّةٌ نَدِيمِكَ، إِنَّ الدِّيكَ قَدْ صَحَبَا
والفجر في كَيْدِ اللَّيْلِ السَّقِيمِ حَكِي
كَأَنَّهُ، بِظِلَامِ اللَّيْلِ مُتَمَرِّجًا،
كَأَنَّا الْفَجْرُ زَنَدٌ قَادِحٌ شَرًّا
كَأَنَّ أَوَّلَ فَجْرِ فَارِسٍ حُمِلَتْ
كَأَنَّ ثَانِيَ فَجْرِ غُرَّةٍ وَصَحَّتْ
- وصف الزلزال:

وَاللَّيْلُ قَوْضٌ مِنْ تَخْيِيمِهِ الطُّنْبَا (١)
سِرُّ الْمَتَّيْمِ عَنْ أَجْطَانِهِ غُلْبَا (٢)
سَمْرَاءُ تَفْتَرُّ أَبْدَتُ مَنْسَأَ شَيْبَا (٣)
فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ لَأَقَى الْفَحْمَ فَالْتَمَبَا (٤)
رَايَاتُهُ الْبَيْضُ فِي آثَارِهِ وَكَبَا (٥)
تَسِيلُ فِي وَجْهِ طِرْفِ أَدْهَمٍ وَقَبَا (٦)

تدعو إلى طاعة الرحمن كُلَّ تَقِي.
أولادها دَرَّ ثُدَي حَافِلِ غَدَقِي (٧).
وأفرشتهم فِرَاشًا غَيْرَ مَا قَلَقِي.
مِمَّا يَشُقُّ، من الأولاد، من خُلُقِي (٨)،
ثم استشاطت وآل الطبع للخرقِي (٩)
بعضاً على بعضهم من شِدَّةِ الحَنَقِ (١٠).

أما ترى الأرضَ في زلزالها عَجَبًا
أضحَّتْ كوالدة خرقاءَ مُرْضِعِمَةً
قد مَهَّدَتْهُمُ مَهَادًا غَيْرَ مُضْطَرَبِ
حتى إذا أبصرتَ بعضَ الذي كَرِهْتَ
هَزَّتْ ٣٣ مَهْدَهُمْ نَشَا تَنْهِنُهُمْ
فصكَّتِ المهدَ غَضْبِي فَهِيَ لَافِظَةٌ

- (١) صخب: علا صوته واحتلط بغيره (يقصد: صاح). الطنب: خشبات حول الخيمة تشد أطراف الخيمة إليها. قَوْضٌ: هدم، قلع.
- (٢) المتَّيْمُ: الذي أمرضه الحب. غُلْبَا (كذا في الأصل)، لعلها «حجبا».
- (٣) افتَرَّ: ايتسم فظهرت أسنانه. المنسم: الرائحة الطيبة (كذا يقصد الشاعر). الشنب: البارد! والشنب (بفتح ففتح): الجميل، الصافي.
- (٤) الزند: قطعة من الحديد تدفح (تستخرج) بها النار من الحجر. فحمة الليل: اشتداد سواده.
- (٥) أول فجر: الفجر الكاذب (أول ظهور نور الصباح من وراء الأفق) ويكون ضعيفاً. كبا: عثر. - كأن الفجر فارس (على حصان أسود؟) تالتت وراهه الرايات البيض حتى غلبته وغطت عليه!
- (٦) الفجر الثاني: الفجر الصادق (حينما يعم النور وجه الأفق الشرقي ولكن قبل أن تستير الأرض. العرَّة: مقدمة الوجه أو الرأس (وتكون بيضاء). نسيل: تمتد (تظهر ثابتة). الطرف: الحصان الأدهم: الأسود.
- (٧) الحرقاء الحمقاء. الدر: اللبن. حافل: مملوء. غدق: كثير.
- (٨) شق: صبب (بضم العين)، أنعب.
- (٩) نشا تنهينهم: نشاء أن تكفهم (تردهم، تمنعهم) عن السلوك السيء. آل: رحسج. الحرق: الحنق. - غضبت وعاد طبعها إلى الاضطراب (بمد الهدوء).
- (١٠) صك: صرب.

- مَنَامٌ مُنْذِرٌ بِمُصِيبَةٍ:

وجرى لي في المنام أمرٌ عجيبٌ في السراج . وذلك أفي رأيتُ^(١) كأنّي جالسٌ وبين يديّ ثلاثة سُرُجٍ موقودة^(٢)، وإلى جنبي زوجتي وهي تنفُخُ على أحد السُرُجِ لتُطْفِئَهُ . فأدركني عليها غَيْظٌ شديدٌ ونَهَيْتُهَا عن ذلك، فَأَلَحَّتْ في النَّفْخِ عليه . فاضطربتُ وَقُلْتُ لها: إِنَّ أَطْفَائِيهَ فَأَنْتِ طَالِقُ! فقامتُ فَفَنَفَخَتْ في السرجِ الثلاثة وَأَطْفَأَتْهَا . ولم أَكُنْ قَبْلَ ذلك (قد) جرى على لساني للطلاقِ ذِكْرُ البَتَّةِ^(٣)، ولا حَدِثْتُ نفسي بطلاقها قَطُّ . وكان لي منها ثلاثة بَنِينَ . وَأَتَقَّقَ بَعْدَ هذه الرؤيا بأيام أن مَرَضَتْ فماتت . وركبْتُ أنا وأولادِي الثلاثة البحرَ ومَعِيَ مالٌ طائلٌ . فمُطِيبَتِ السفينةِ في البحرِ وَغَرِقَ البنونَ الثلاثةَ والمالُ جميعُهُ . وَنَجَّوْتُ على لوحٍ مسلوباً^(٤) من الأهلِ والمالِ .

٤- أزهار الأفكار في جواهر الأحجار (بيشيا)، فلورانس ١٨١٨م؛ حققه يوسف حسن ومحمود بسيوني (المطبعة العامة للكتاب ١٩٧٧م).

- نثار الأزهار في الليل والنهار (جزء من «أزهار الأفكار» - اختصره ابن منظور)، القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٨ هـ.

- كتاب الباء في رجوع الشيخ إلى صباه (رجوع الشيخ إلى صباه من القوة على الباء)، بولاق ١٣٠٩، القاهرة ١٣١٦.

- الأحجاز التي توجد في خزائن الملوك وذخائر الرؤساء (راجع الأعلام للزركلي).

- سرور النفس بمدارك الحواس الخمس (هذه ابن منظور - حققه إحسان عباس)، بيروت (المؤسسة العربية للدراسات والنشر) ١٩٨٠م.

★ الوافي بالوفيات ٨: ٢٨٨ - ٢٩١؛ الديباج المذهب ٧٤ - ٧٥؛ الورقات لحسن حسني عبد الوهاب، ص ٤٤٨ - ٤٦٠ (راجع له أيضاً: مجلّة العكر - جوان ١٩٥٩م - ص ٤ - ١١٠؛ مجلّة تاريخ الأدب التونسي ٢٠٥ - ٢٠٨؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣٩: ١٢؛ (لعبد القادر زمامة)؛ المجلّة الآسيوية ١٨٢٨م، ص ٥ وما بعد؛ بروكلمن ١: ٦٥٢،

(١) أي رأيت فيما يرى النائم.

(٢) كذا في الأصل. والصواب: موقدة (من أوقد): مشتعلة.

(٣) البتّة: أبداً، قط، مطلقاً.

(٤) مسلوباً: مجرداً عما أملك.

حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيِّ

١- هو أبو بكرٍ أحمَدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحِسنِ بنِ أحمَدَ بنِ يحيى بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ القُرطُبيِّ الملقَّبِ، أصلُ أهله من قُرطُبةَ وقد انتقلَ جدُّه لأبيه - الحسنُ بنُ أحمَدَ - إلى مالقة. ووُلِدَ حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ فِي مالقةَ سَنَةَ ٦٠٧ للهجرة (١٢١٠ - ١٢١١ م).

سَمِعَ حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ من أبي الحِسنِ بنِ مُحَمَّدِ الشاربيِّ^(١). وسمع من كثيرين غيره في الأندلسِ والمغربِ والمشرقِ. وكان قبلَ رِحلتِهِ (نحو ٦٤٩ هـ) قد تصدَّرَ في بلدِهِ مالقةَ للتدريس فأقرأ القرآنَ وحدثَ ودرَّسَ الفقهَ والعربيةَ (النحو).

ورحَلَ حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ إلى المشرقِ بِنِيَّةِ الحجِّ. ويبدو أَنَّهُ وَصَلَ أَوَّلًا إلى الشامِ (سورية) ثمَّ انتقلَ إلى مِصرَ، ولكنَّهُ مَرِضَ في مصرَ ثمَّ تُوُفِّيَ في الثاني والعشرين من ربيعِ الأولِ من سَنَةِ ٦٥٢ (١١/٥/١٢٥٤ م).

٢- كان حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ ورِعًا زاهدًا مُتَّقِشَفًا. وقد كان مُقرئًا للقرآنِ مجودًا ومُحدثًا حافظًا وفقهياً وماهرًا في علمِ العربيةِ (النحو). ثمَّ هو كاتبٌ وشاعرٌ، وشِعْرُهُ كثيرٌ عاديٌّ قاصرٌ على الزُّهدِ والحِكمِ.

٣- مختارات من شعره

- قال حُمَيْدُ الْأَنْصَارِيُّ في الناسِ وأحوالهم:

مَطالِبُ النَّاسِ في دُنْيائِكَ أَجناسُ فَأَقْصِدْ فلا مَطْلَبٌ يبقَى ولا ناسٌ^(٢).

(١) تُوُفِّيَ في رمضان من سنة ٦٤٩ هـ. وفي الديباج المذهب (ص ٤٦): أبو الحسن بن محمد الشاربي (وتكرار «الشاربي» في الذيل والتذكرة يمكن أن يدل على أن الشاربي أصح).

(٢) اقتصد: اعتدل.

وأَرْضَ القنَاعَةِ مَالًا وَالتَّمْيَ حَسْبًا،
 وَإِنْ عَلْتِكَ رُؤُوسٌ وَأَزْدَرْتِكَ، ففِي
 فَمَا عَلَى ذِي تُقَى مِنْ دَهْرِهِ بَأْسٌ (١).
 بَطْنِ الثَّرَى يَسَاوِي الرَّجُلُ وَالرَّاسُ.
 - وَقَالَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْوَالِهَا:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الثَّيْبَ بَيْنَ صُبْحِهِ
 أَقَمْتُ عَلَى نَفْسِي فَنَاءً دَلِيلَهَا،
 وَلَيْلَ شَبَابِي قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ (٢)،
 فَصِرْتُ بُوْجِهِ مُعْرِضٍ عَنِ دَلِيلِهِ (٣).
 وَقَالَتْ: «تَمَّتْ مِنْ زَمَانِكَ سَاعَةٌ،
 وَلَا تَبْكِيَنَّ الْهَوْلَ قَبْلَ نَزْوَلِهِ (٤)،
 وَبَادِرْ إِلَى لَذَاتِ ذَاتِكَ وَأَعْتَنِي
 وَغَرَّتْ وَمَا بَرَّتْ، وَلَكِنْ أَجَبْتُهَا:
 طُلُوعَ مُحْيَا الْبَدْرِ قَبْلَ أَفْوَلِهِ (٥)».
 «وَكَمْ نَاصِحٍ لِي مَا أَصْخَتْ لِقِيلَةَ (٦)»!

٤ - ** الذليل والتكملة ١: ١٣٨ - ١٤٣ (رقم ٢١٤)، الديباج المذهب ٤٦: بنية الوعاة
 ١٣٥: نفع الطيب ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩.

أبو الخطاب السكوني

١ - هو أبو الخطاب محمد (١) بن أحمد بن خليل بن إسماعيل بن عبد الملك بن
 خلف بن محمد بن عبد الله السكوني، أصلُ أهله من لَبْلَةَ (في جنوبي البرتغال
 اليوم - غرب إشبيلية). وكان مسكنه في إشبيلية، ثم غادرها لما استولى عليها

-
- (١) بأس: مشقة، ضرر.
 (٢) بين: ظهر. ليل شبابي (شعري الأسود، شبابي).
 (٣) فناء دليلها (٤).
 (٤) الهول: المصيبة الخفيفة (الموت).
 (٥) البدر (المهبوب). الأفول: المغيب.
 (٦) غرَّت (أي الدنيا أو النفس): خدعت. برَّت: وفيت بما وعدت، صدفت بما قالت. أصخت: أملت
 سمي إليه، سمعت منه. القيل: القول.
 (٧) جاء في الذليل والتكملة ذكر ثلاثة إخوة لأبي الخطاب السكوني اسم كل واحد منهم «محمد» أيضاً. هم
 أبو الحكم (٥: ٦٣٠، رقم ١١٩٩) وأبو عمر (٥: ٦٣٥، رقم ١٢٠١) وأبو الفضل (٥: ٦٣٦، رقم
 ١٢٠٢).

النصارى (٦٤٦ هـ). روى أبو الخطاب السكوفي فتوناً من العلم عن نفرٍ من أهله ثم عن نفرٍ آخرين منهم: أبو عبد الله بن زرقون (ت ٥٨٦ هـ) وأبو جعفر بن مضاء (ت ٥٩٢ هـ) وأبو عمران المارتنلي الزاهد (ت ٦٠٤ هـ) وعبد الملك بن بدرون (ت ٦٠٨ هـ) وأبو عمر بن عسات (٥٤٢-٦٠٩ هـ) وأبو الحسن بن خروف (ت ٦١٠ هـ) وأبو محمد بن حوط الله (ت ٦١٢ هـ) وأبو بكر بن طلحة الإشبيلي (ت ٦١٨ هـ).

وكتب أبو الخطاب السكوفي، في أيام شبابه لبعض الأعمام ثم ترك ذلك. وكانت وفاته عن سنٍ عالية، في العشر الأواخر من شعبان من سنة ٦٥٢ (النصف الثاني من آب - أغسطس من عام ١٢٥٤ م).

٢- كان أبو الخطاب السكوفي حافظاً للحديث وفاقهاً وعارفاً بالتاريخ، كما كان مُبرِّزاً في علوم اللغة. وكان فصيحاً بليغاً يحطُّ برويةٍ وأرتجالاً بين يدي الملوك وفي المحافل الجمهوريّة. وله شعرٌ. غير أن شعره الواصل إلينا عاديٌّ ويؤوُّ بأشياء من الضعف.

وكان أيضاً مُصنِّفاً صنَّعَ برنامجاً سماه «التذكيرة» صنَّه التعريف بشيوخه ومداركهم العلميّة وبأحوالهم وبطرق أخذهم عنهم، وقد عدّ منهم ثبغاً وتسعين شيخاً. وكان هذا البرنامج ضحاً ولكنه ضاع لما غادر أبو الخطاب إشبيلية.

وله أيضاً قصيدةٌ سماها «ناظمة الفرائض»^(١) في عقْد العقائد - الحجج الإقناعية في المحجور إذا استعمل في الخطط الشرعية - النجحة الدارئة واللّمحة البرهانية في العقيدة السنية والحقيقة الإيمانية. وقد جمعت جملةً من رسائله الإخوانية خاصّةً ومن أشعاره في كتاب عنوانه «الفرر والدرر» (جمعه أبو بكر بن أحيه أبي عمر).

(١) في حاشية الصفحة ٦٣٢ (الذيل والتكملة، السفر الخامس): كذا في الأصل. ولعلها «الفرائد». (إذ للملوح أن هذه القصيدة في العقائد الإيمانية من علم الكلام، بينما «الفرائض»: في الوارثية. والمريدة: اللؤلؤة الثمينة النادرة).

- قال أبو الخطاب محمد بن أحمد الشكوي صاحب هذه الترجمة في السأم من الأسفار ومن أحوال الزمن وأحوال البشر:

أشكو إلى الله ما لا قيتُ من زمنٍ في غربةٍ عارضتُ في مآلفِ الوطن^(١).
إذا تنكَّر لي حالا (٢) تنكَّر لي أبناؤه وأثاروا نائراً الإحن^(٢).
أستغفرُ الله، كم لله من مینا! لُمتُ الزمان، ولا لومٌ على الزمن^(٣).
فالأمرُ لله في الحالاتِ أجمعها، والكلُّ لولاه لم يوجدَ ولم يكن.
هو الذي خلقَ الأشياءَ مُغترِعاً فالَمخُ بلامِحَةِ الألبابِ والفطن^(٤).
وكن مع الله في علمٍ وفي أدبٍ مُستَوْضِحاً سننَ القرآنِ والسُننِ^(٥).

- وله في شيءٍ من الجدَلِ الكلامي (علم الكلام):

بمَدْرَكِ العقلِ كلُّ الخلقِ مطلوبٌ كسباً، ولكن لِرَبِّ الخلقِ مَنسُوبٌ^(٦).
مشيئةُ الحقِّ في الأكوانِ كائنةٌ عِلماً قديماً، وسِرُّ الغيبِ محبوبٌ^(٧).
وكلُّ شيءٍ فمَقْدُورٌ بقُدْرَتِهِ، وهو المُسَبَّبُ، ما للغيرِ تَسبیبٌ^(٨).

- (١) عارضت في مآلف الوطن: حالت دون استقراره في وطنه.
(٢) حالا (كذا في الأصل). لعل المقصود: إذا تنكَّر لي وطني (في حال من أحواله) تنكَّر لي (أيضاً) أبناء وطني. الصواب أن يقال: حال. ولعل: حالا، خطأ من السخ (في الأصل المخطوط) أو في أثناء التصحيح (عند الطبع) أو من الإهال.
(٣) المنة: المروف، الفضل (بلا مقابل).
(٤) مغترعاً (على غير مثال سابق ومن غير مادة موجودة من قبل).... فاعرف ذلك بمقلك.
(٥) السن (يفتح ففتح): الطريقة، المثال. السن جمع سنة (بالضم فيها): عمل رسول الله.
(٦) كل الناس مطالبون بأن يعملوا أعمالهم بعد تفكير (وإرادة)، مع العلم بأن الله تعالى هو الذي يجعل الإنسان قادراً على أعماله (هذا الرأي يرجع في علم الكلام إلى أن أعمال الإنسان مكتوبة عليه منذ الأزل، ومع ذلك فهو يباشرها بإرادته (أو على الأقل يكون راضياً بها).
(٧) - كل ما يحدث الآن وبعد الآن في العالم هو بإرادة الله القديمة.....
(٨) إن الله وحده قادر على كل شيء، وهو سبب (موجد) الأشياء كلها. ولا يستطيع أحد غيره أن يوحده شيئاً.

فَلَمْ الْأَمْرَ لِلْأَحْكَامِ وَأَرْضَ بِهَا ، فَكَلَّ حُكْمَ بَصَفَحِ اللُّوحِ مَكْتُوبِ (١).

٤- ** الذيل والتكملة : ٥- ٦٣٠- ٦٣٥ (رقم ١٢٠٠).

أبو الحجاج البيهقي

١- هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البيهقي، وُلِدَ في بِيَّاسَة من كورة جِيَّانَ في ١٤ من ربيع الأول من سَنَةِ ٥٧٣ (١١٧٧/٩/١٠م). وقد تَنَقَّلَ في البلاد: زارَ إِشْبِيلِيَّةَ والجَزِيرَةَ الخَضْرَاءَ وغيرَهما ثم انتقل إلى تُونِسَ ولَزِمَ بِلَاطَ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى الحَفْصِيَّ (٦٢٦- ٦٤٧ هـ) ونال عنده حُظْوَةً فأجرى أبو زكريا له راتباً شهرياً. وألَّفَ البيهقي لأبي زكريا كتابَ الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام. وكانت وفاته في الرابع من ذي القعدة من سَنَةِ ٦٥٣ (١٢٥٥/١٢/٥م) في مدينة تونس.

٢- كان أبو الحجاج البيهقي أديباً بارعاً مُطَّلِعاً على أقسام الكلام من النظم والنثر، عارفاً بأيام العرب وأشعارها في الجاهلية والإسلام كثير الحفظ والرواية يحفظ النوادر والفكاهات المروية عن الأندلسيين مما جعله نديماً للملوك. وكان أيضاً عالماً في اللغة. ثم هو من أشيخ المؤرخين ومؤرخ الأندلس (المغرب ١: ٢٠٥، ٤٢٧، ٧٣: ٢). وهو مصنف له كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام (من مقتل عمر بن الخطاب إلى ثورة الوليد بن طريف الخارجي على هرون الرشيد ببلاد الجزيرة الفراتية). - ذيل على تاريخ ابن حيان - الحماسة المغربية (انتهى من تأليفها في مدينة تونس؛ في آخر شوال من سَنَةِ ٦٤٦). وله ذيل على كتاب «المتين» (في التاريخ)، لأبي مروان حيان بن خلف بن حيان (ت ٤٦٩ هـ)، وكان ابن حيان قد ألَّفَ هذا الكتاب في عشرة أجزاء وجعله قاصراً على أحداث عصره (نفع الطيب ٣: ١٨٨).

(١) كمن راصاً بالأحكام (ما يحكم عليك الله به في هذه الدنيا)، إذ لا فائدة من الاعراض عليها فإنها مكتوبة (عندك) في صفحة اللوح المحفوظ (في السماء، منذ خلق الله السماء والأرض).

- من مقدّمة كتاب الحماسة المغربية:

..... أما بعد، فإنّي قد كُنْتُ في أوَانِ حَدَاتِي وزمانِ شَيْبِي ذَا وُلُوعٍ بِالْأدبِ وَحِبَّةٍ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ. وَلَمْ أزلُ مُتَّبِعًا لِمَعَانِيهِ وَمُفْتَشًّا عَنْ قَوَاعِدِهِ وَمَبَانِيهِ إِلَى أَنْ حَصَلْتُ لِي جُمْلَةٌ مِنْهُ لَا يَسَعُّ الطَّالِبَ الْمُجْتَهِدَ جَهْلُهَا، وَلَا يَصْلُحُ بِالنَّاظِرِ فِي نِثْلِ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِثْلُهَا. وَحَمَلْتَنِي الْحُبَّةُ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ وَالْوُلُوعُ بِهِ عَلَى أَنْ جَمَعْتُ تَمَّا أَخْتَرْتُهُ وَأَسْتَحْسِنْتُهُ مِنْ أَشْعَارِ الْعَرَبِ جَاهِلِيَّهَا وَمُحَضَّرِيَّهَا وَإِسْلَامِيَّهَا وَمَوْلِدِيهَا^(١) وَمِنْ أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ مَا تَحْسُنُ بِهِ الْمَحَاضِرَةُ وَتَجْمَلُ عَلَيْهِ الْمَنَاطِرَةُ^(٢).

ثم إنني رأيت أن بقاءها دون أن تدخل تحت قانون يجمعها وديوان يؤلفها مؤذن بذهايتها ومؤد إلى فسادها. فرأيت أن أضم مختارها وأجمع مستحسنها تحت أبواب تقيّد نافرها وتضم نادرها. فنظرت في ذلك فلم أجد أقرب تبويهاً ولا أحسن ترتيباً مما بوبه ورتبه أبو تمام حبيب بن أوس رحمه الله تعالى في كتابه المعروف بكتاب الحماسة ولا أحسن من الاقتداء به والتوخي مذهبه لتقدمه في هذه الصناعة وأنفاده منها بأوفر حظ وأنفس بضاعة. فاتبعت في ذلك مذهبه ونزعت منزعه، وقرنت الشعر بما يجانسه ووصلته بما يناسبه. ونقعت ذلك وأخترته على قدر استطاعتي وبلوغ طاقتي وجهدي....

- وله هجاء فيه مجون في غلام يحبّه كان يقرأ عليه ثم شب، قاله يخاطب آخر:

قَد سَلَوْنَا عَنِ السَّذِيِّ تَدْرِيبَهُ وَجَفَوْنَا إِذْ جَفَا بِالْتِيهِ؛

(١) الشعر المحضرم هو الذي نظمه شاعر عاش في الجاهلية والإسلام. والشعر المولد هو الشعر العباسي لأن عدداً كبيراً من الشعراء العباسيين كانوا مولودين بين أب عربي وأم غير عربية، أو لأن معانيه كانت مولدة (مبتكرة أو منطوية) فيها إلى المعاني التي كانت عند غير العرب.

(٢) المحاضرة كلام القوم الذين يحضرون مجلساً واحداً ويتناول المحاضرون فيه كلاماً وأخباراً مما يحضرون ومن تناول أديبهم وذاكرتهم. والمنظرة: المباحثة في أمر بالمحااجة (بإقامة الحجج) ومحاولة كل مناظر أن يتغلب بالمحنة على مناظره.

وَتَرَكْنَاهُ صَاحِرًا لِأَنَاسٍ خَدَعُوهُ بِالزُّورِ وَالتَّمْوِيهِ:
لِمُضِلِّ يَهْدِيهِ نَحْوَ مُضِلِّ وَسَفِيهِ يَفُودُهُ لِسَفِيهِ!

٤- ** المغرب ٢ : ٧٣ ، الفتح الملقى ٩٤-٩٥ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٣٣ ، ٧ :
٢٣٨-٢٤٤ (وفيه مختارات كثيرة من كتاب الحماسة الغربية) ، نوح الطيب ٣ :
١٨١ ، ٣١٦-٣١٧ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٦٢ ، بروكلمن ١ : ٤٢٤ ، الملحق
١ : ٥٨٨-٥٨٩ ، الأعلام للزركلي ٩ : ٣٢٩-٣٣٠ ، (٨ : ٢٤٩) .

محمد بن عبد الله المرسي

١- هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي الفضل السلمي المرسي، وُلِدَ في مُوسَبِيَّةٍ في أَوَّلِ سَنَةِ ٥٧٠ (صيف ١١٧٤) أو آخِرِ ٥٦٩. قرأ القرآن على أبي الحسين محمد بن غلبون المرسي، وسمع النحو من أبي الحسن علي بن يوسف بن شريك الدائمي والطيب بن محمد بن الطيب والشلوبين وتاج الدين الكندي، وسمع الموطن في المغرب من الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عبيد الله الحجري.

وبعد أن تطوّف في الأندلس والمغرب في طلب العلم رحل، سنة ٦٠٧ وحبّح وتطوّف في الحجاز والشام والعراق ومصر وخراسان يزدادُ علماً أو يتصدّر للتدريس^(١). وفي سنة ٦٢٤ انتقل إلى مصر. وقد كانت وفاته في عريش مصر، وهو متوجه إلى دمشق، في خامس عشر ربيع الأول من سنة ٦٥٥ (١٢٥٧/٤/١م)^(٢).

٢- كان محمد بن عبد الله المرسي مُفسِّراً ومُحدِّثاً وفتياً، كما كانت له مشاركة في شيء من الهندسة المستوية^(٣) وفي علم الكلام. وكذلك كان أديباً ناثراً وناظماً

(١) راجع معجم الأديباء ١٨ : ٢١٠ ، ٢١١ بغية الوعاة ٦١ .

(٢) في بروكلمن (الملحق ١ : ٥٤٦) : في ٣ / ٤ / ١٢٥٧ م .

(٣) في معجم الأديباء (١٨ : ٢١١) ، راجع بغية الوعاة (٦١) : « وكان نبيلاً ضريراً يحمل بعض مشكلات أفقليدس .. وهذا مستغرب لأن الأعمى لا يستطيع معالجة المسائل القائمة على الأشكال (إلا إذا كانت كلمة «ضرير» خطأ في النسخ) .. ومع أن الصفيدي قد ترجم له في الواقي بالوقيات (٣ : ٣٥٤ - ٣٥٥) فإنه لم يذكره في نكت الهيمان في نكت العميان .

وعالماً بالنحو. وكانت له تصانيف كثيرة ورَدَّ له منها: رَيِّ الطَّهَّان في تفسير القرآن (كبير جداً في عشرين جزءاً، قَصَدَ منه أن يَرِبُطَ عند التفسير بين الآيات) - التفسير الأوسط (عشرة أجزاء) - التفسير الصغير (ثلاثة أجزاء) - مختصر صحيح مُسَلَّم - كتاب في أصول الفقه والدين - كتاب في البديع والبلاغة - الإملاء على المُفَصَّل (للزَّمَخْشَرِي) - الضوابط النحوية في علم العربية - الكافي في النحو - تعليق على الموطأ. وله عددٌ من التعليقات أيضاً في فنون مختلفة.

٣ - مختارات من شعره

- قال مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُرْسِيِّ فِي الثِّقَةِ بِمَعْنَى اللَّهِ:

قالوا: مُحَمَّدٌ، قَد كَبِرْتَ - وَقَدْ أَتَى دَاعِيَ الْمُنُونِ - وَمَا اهْتَمَمْتَ بِزَادٍ (١)؛
قُلْتُ: الْكَرِيمُ - مِنْ الْقَبِيحِ لَضَيْفِهِ عِنْدَ الْقُدُومِ مَجِيئُهُ بِالزَّادِ.

- وَقَالَ فِي الْغَزْلِ:

قالوا: فَلَانَ قَدْ أَزَالَ بَهَاءَهُ ذَاكَ الْعِذَارُ، وَكَانَ بَدَرَ تَامٍ (٢).
فَأَجَبْتُهُمْ: بَلْ زَادَ نَوْرُ بَهَائِهِ، وَلِذَا تَضَاعَفَ فِيهِ قَرَطُ غَرَامِي.
وَاسْتَقْصَرَتْ أَلْهَاطُهُ فَتَكَاتِبَهَا فَاتَى الْعِذَارُ يُمِدُّهَا بِسِهَامٍ (٣).

- وَقَالَ فِي أَنَّ النِّجَاةَ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) تَكُونُ بِاتِّبَاعِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ:

مَنْ كَانَ يَرْغَبُ فِي النِّجَاةِ فَمَا لَهُ غَيْرُ اتِّبَاعِ الْمُصْطَفَى فِيهَا أَتَى (٤).
ذَاكَ السَّبِيلُ الْمُسْتَقِيمُ، وَغَيْرُهُ سَبِيلُ الْغَوَايَةِ وَالضَّلَالَةِ وَالرُّدَى (٥).

(١) مُحَمَّدٌ (منادى: يا محمد). المنون: الموت. الزاد (هنا): التقوى والأعمال الصالحة التي تنفع الإنسان في الآخرة. في القرآن الكريم (٢: ١٩٧، البقرة): ﴿وَمَنْزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

(٢) بهاءه: جماله. العذار: الشعر النابت في الوجه. كان بدر تام: كان وجهه قبل أن يبت شعر وجهه أبيض كله (يشبه البدر)...

(٣) - مع تقدمه في الشباب خفَّ السَّحَرُ فِي عَيْنَيْهِ فَمَوْضُ مِنْ ذَلِكَ الشَّعْرَ الَّذِي يَبْدَأُ فِينَيْتِ فِي وَجْهِهِ (وكانوا يَرَوْنَ أَنَّ بَدْءَ نَبَاتِ الشَّعْرِ فِي الْوَجْهِ يَزِيدُ فِي الْجَمَالِ).

(٤) المصطفى: مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ. فَمَا أَتَى بِهِ مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ.

(٥) الردى: الموت، الهلاك.

فَاتَّبَعَ كِتَابَ اللَّهِ وَالشُّنَنَ الَّتِي صَحَّتْ فَذَكَ إِذَا اتَّبَعَتْ هُوَ الْهُدَى^(١)
 وَدَعَّ السُّؤَالَ بِكُمْ وَكَيْفَ؟ فَإِنَّهُ بَابٌ يَجْرُ ذَوِي الْبَصِيرَةِ لِلْمَعَى^(٢).
 السِّدْنَ مَا قَالَ النَّبِيُّ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُمْ قَفَا^(٣).

٤- ** معجم الأدياء ١٨ : ٢٠٩ - ٢١٣؛ الوافي بالوفيات ٣ : ٣٥٤ - ٣٥٥؛ بقية الوعاة ٦٠ - ٦١؛ نفع الطيب ٢ : ٢٤١ - ٢٤٢؛ بروكلمن، الملحق ١ : ١٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ٧ : ١١٠ (٦ : ٢٣٢).

ابن الجنان الأنصاري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن الجنان^(١) الأنصاري من أهل الرِّبَةِ. أخذَ أبْنُ الجنان الأنصاري العلمَ عن نَفَرٍ منهم: أبو الحسن سهل بن مالك وأبو بكرٍ عزيز بن عبد الملك القيسي المُرسي (ت ٦٣٦ هـ) والمعروفُ بآبِنِ خَطَّابِ النَّحْوِيِّ (نفع الطيب ١ : ٢٢٢) ثمَّ عبدُ الله بن عبدِ الحقِّ بنِ قطرَالِ المُتوفَى أيضاً سَنَةَ ٦٣٦ للهجرة (راجع نفع الطيب ٥ : ٢٥٦ و ٧ : ٤١٦) ثمَّ أبو الربيع بن سالم وأبو عيسى بن السِّدَادِ ثمَّ أبو عليِّ الشَّلَوَيْبِيُّ (ت ٦٤٥ هـ).

وَاتَّصَلَ أبْنُ الجنان الأنصاريُّ بِالمُتوكِّلِ مُحَمَّدِ بنِ يوسُفَ بنِ هودِ صاحبِ مُرسِيَّةَ (٦٢١ - ٦٣٥ هـ). فَلَمَّا اسْتولى الإسبانُ على مرسِيَّةَ (٦٤٠ هـ) انتقلَ إلى أوريُولَةَ. ثمَّ جاءه دعوةٌ من ابنِ خلاصِ صاحبِ سَبْتَةَ (المغرب) فَانتقلَ إلى سبتة. ثمَّ انتقلَ إلى

-
- (١) كتاب الله: القرآن الكريم. السنن (جمع سنة): الصل الذي كان الرسول يقوم به، والأحاديث التي كان يقولها.
 (٢) في الحياة أمور مفيدة (وراء الحسن الإنساني) لا فائدة من محاولة معرفتها، والحجت عن أسبابها وكيميائياتها يزيد في غموضها وفي حيرة الباحث.
 (٣) الصحب والصحاب: الذين عاشوا في زمن الرسول وعرفوه وصحبوه. التابعون: الذين لم يروا الرسول، ولكن رأوا صحبه. قفا يقفو: تبع.
 (٤) اختار خير الدين الزركلي أن يسمي ابن الجنان هذا (الأعلام ٧ : ٢٥٦ و ٧ : ٢٩) ابن الجنان بالياء بنقطتين تحتها. راجع تعليقه.

بِحَايَةٍ. وَفِي بَحَايَةِ مَرَضٍ تَمْ تُوَفِّي نَحْوَ ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م).

٢- كان ابنُ الجنانِ الأنصاريُّ من العلماءِ بالحديثِ والفقه، كما كان أديباً وخطيباً بارعاً وكاتباً مترسلاً وشاعراً مُحَسَّناً. وفنُونُ شعره الرُّهْدُ والمواعظُ والبَدِيعِيَّاتُ (القصائدُ في مدحِ الرسول) والألغازُ. والسهولةُ والعذوبةُ تَغْلِيانِ على شعره. ونثره متينٌ حَسُنَ الصِّنَاعَةُ. وله موشحاتٌ.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابنُ الجنانِ الأنصاريُّ (في مرضه الذي تُوَفِّي فيه) يرجو رحمةَ الله:

جَهَلَ الطَّيِّبُ شِكَايَتِي؛ وَشِكَايَتِي
فَإِنْ أَرْتَضِي بُرِّي تَدَارِكُ فَضْلَهُ،
مَا لِي اعْتَرَضْتُ بِالَّذِي يَقْضِي بِهِ،
وَقَالَ فِي الشَّفَاعَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ:

أَيَّدَهُسْبُ يَوْمٍ لَمْ أَكْفُرْ ذُنُوبَهُ
وَلَمْ أَقْضِ فِي حَقِّ الصَّلَاةِ فَرِيضَةً
بِذِكْرِ شَفِيعٍ فِي الذُّنُوبِ مُشْفَعٌ (٢)
عَلَى ذِي مَقَامٍ فِي الْحِسَابِ مُرْفَعٌ (١)
أُرْجَى لَدَيْهِ النِّعَمُ فِي صِدْقِ حُبِّهِ،
وَأَهْدَى إِلَى مِثْوَاهِ مَنِّي تَحِيَّةٌ
وَمَنْ يَرْتَجِ الْمُخْتَارَ لَا شَكَّ يُنْفَعُ (٥)
إِذَا قَصَدْتَ بَابَ الرِّضَا لَمْ تُدْفَعِ .

(١) الطيب (في النظر الأول): الحكيم الذي يداوي الناس. الشكاية: المرض. الطيب (في النظر الثاني): الله.

(٢) - مع أن الإنسان المؤمن لا يجوز له أن يعترض على أحكام الله، فإن ذلك لا يمنع من أن يعترض (بتصدي، يتوجه) الإنسان في طلب الخير من الله.

(٣) الشفيع المتفع يوم القيامة محمد رسول الله (ولكنه شفيع بعد إذن الله له بذلك). ففي القرآن الكريم (٣٢: ٤، سورة السجدة): ﴿ما لكم من دونه (من دون الله) من ولي ولا شفيع﴾ ثم (٢: ٢٥٥، سورة البقرة): ﴿من ذا الذي يشفع عنده (عند الله) إلا بإذنه؟﴾.

(٤) ذو مقام في الحساب (يوم القيامة) مرفع (عالي المقام): محمد رسول الله.

(٥) المختار (محمد رسول الله).

- الموشحة المشهورة .

هذه الموشحة بديعة في مدح الرسول وذكر فضائله ومُعجزاته . وهي مشهورة جداً لا تزال إلى اليوم تُسمع في المناسبات الدينية . ولقد كانت شهرتها منذ أيامه هو واسعة جداً عارضها أو قلدها شعراء كثيرون^(١) . من هذه الموشحة .

الله زادَ مُحَمَّدًا تَكْرِيماً
وَحِبَاءً فَضْلاً مِنْ لَدُنْهُ عَظِيماً^(٢)
وَاخْتِصَّاهُ فِي الْمُرْسَلِينَ كَرِيماً
ذَا رَأْفَةٍ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً . صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً^(٣) .

* * *

حَازَ الْحَامِدَ وَالْمَادِحَ أَحْمدُ^(٤) ،
وَزَكَتْ مَنَابِقُهُ وَطَابَ الْمَحْبُودُ^(٥) .
وَتَأْتَلَّتْ عَلَيْهِ أَوَاهُ وَالسُّودُودُ^(٦)
مَجْدًا صَمِيحًا حَادِثًا وَقَدِيمًا . صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً^(٧) .

* * *

فَخَرَّ لِأَدَمَ قَسْداً تَقْصَادَ عَصْرُهُ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْذِرَ وَيَجْرِي ذِكْرُهُ .
سِرُّ طَوَاهِ الطُّبَّاءِ مِنْ فَهْمِ نَشْرُهُ

(١) راجع نفع الطيب ٧ : ٤٣٢ - ٥١٩ (في أماكن كثيرة متتالية ومتفرقة).

(٢) حِبَاءٌ : أعطاه . مِنْ لَدُنْهُ : من عنده (لا يقال إلا في الله).

(٣) راجع التلخيص في ترجمة ابن سهل الإشبيلي (ت ٦٤٩ هـ) على « صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً » .

(٤) أحمد (محمد رسول الله).

(٥) زكا : طاب ، طهر . النسب (القراءة) . والمناسب : أصول الفرد وأبواؤه . المختد : الأصل (الكرم) والطبع (السلیم).

(٦) تأتل : نبت ، عظم . السودود (والسودود ، أيضاً) : السيادة .

(٧) الصمغ : وسط الشيء ، الخالص النقي من كل شيء (غيراً أو شراً).

معنى السجود لآدم تفهيماً^(١). صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا.

* * *

آيَاتُهُ بَهَّرَتْ سِنَاءً وَسِنَاءً^(٢)

وَأَفَادَتْ الْقَمَرِينَ مِنْهُ ضِيَاءً^(٣)

وَعَلَّتْ بِأَعْلَامِ الظُّهُورِ لِيَوَاءِ^(٤)

فَهَدَى بِهِ اللَّهُ الصِّرَاطَ قَوِيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا.

* * *

دَنَّتِ النَّجُومُ الزُّهْرُ يَوْمَ وِلَادَتِـنَا،

وَرَأَتْ حَلِيمَةً آيَةً لِيِيَادَتِـنَا.

وَمَحَدَّثَتْ سَفْدٌ بِذِكْرِ سَعَادَتِـنَا

فَتَفَاءَلُوا، نِعْمَ الْيَتِيمُ يَتِيماً^(٥). صلّوا عليه وسلّموا تسليمًا.

* * *

مَا زَالَ بُرْهَانُ النَّبِيِّ يَلُوحُ:

يَغْسِدُو بِهِ الْإِعْجَازُ تَمَّ يَرُوحُ،

(١) في الأخبار المروية أنّ «محمدًا» (صلّى الله عليه وسلّم) كان موجوداً قبل آدم أبي البشر. وفي هذه المحسنة أنّ الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (راجع القرآن الكريم، مثلاً، ٢: ٣٤، سورة البقرة) لأنّ «النطفة» التي نشأ منها «محمد» كانت موجودة في آدم منذ ذلك الحين (وهذه أقوال مخالفة لما ورد في القرآن الكريم، في أماكن كثيرة).

(٢) الآية: العلامة، المعجزة التي يختصّ الله بها بعض خلقه دون بعض (انقلاب المصاحبة كان آية موسى). بهر: أدهش، حير، غلب، ستر (الأشياء المائلة). السناء: ضوء البرق. السناء: العلوّ، الرفعة.

(٣) القمران: الشمس والقمر.

(٤) العلم: الجبل. الظهور جمع ظهر: رأس الجبل. اللواء: الراية (يسير بها الرجل فيتبعه الناس). وعلت:.... فاق (محمد) برسالته جميع الذين جاءوا قبله.

(٥) دنا: اقترب. الزهر: اللامعة. حليلة السعدية: مرضعة رسول الله. سعد (بنو سعد): قبيلة حليلة السعدية) - في هذه الأشرطة علامات ينسبها الشاعر (كما نسب نعر كثيرون مثلها) إلى ولادة الرسول (وليس من الأخبار الصحاح - وقد قال الرسول: أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد: اللحم المحمّف).

حَتَّىٰ أَنهَاءِ بِمَسَدَ ذَاكَ الرُّوحِ^(١)
يُوحِي لَهُ وَخِيَ الْآلِهَ حَكِيمًا. صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَلِيْمًا.

* * *

بِرَكَاتُهُ أُرْتَسَتْ عَلَى التَّغْدَادِ^(٢)
كَمْ أَطَقَمَتْ من حَاضِرِينَ وَبِئَادِ
من قَصَصَةٍ أَوْ حَنِيئَةٍ من زَادِ
رِزْقًا كَرِيمًا لِلجَبُوشِ عَمِيًّا^(٣)! صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَلِيْمًا.

* * *

وَالجِذْعُ حَنَّ لِسَه حَنَّيْنَ الوَالِيهِ^(٤)،
يُيَدِي الَّذِي يُخْفِيهِ من بِلْبَالِهِ^(٥).
أَفَلَا يَحْنُ مُتَمِيمٌ بِجِهَالِهِ^(٦)؟
يَشْتَاقُ وَجْهًا لِلنَّبِيِّ وَسِيًّا^(٧)؟ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَلِيْمًا.

* * *

ذَاكَ الشَّفِيْعُ مَقَامُهُ مُحَمَّدُ،

-
- (١) برهان النبي... ما عهده معاصروه من صدقه وأمانته واهتمامه بخير قومه. الروح: جبريل.
(٢) أرى: زاد. الحاضر: الساكن في المدينة. البادي: الساكن في البادية. القصة: وعاء صغير يوضع فيه الطعام. الحنية (ليست في الفاموس). الحشي: ما يؤخذ (من الأشياء) باليد: مقدار كفاً (شئ قليل).
(٣) العميم: الجمع الكثير.
(٤) كان في صدر مسجد الرسول في المدينة جذع (قطعة من ساق شجرة ضخمة) كان الرسول يقف عليه ليخطب في المسجد. فبعد وفاة الرسول أخذ نفر من الناس يأتون إلى هذا الجذع للتبرك به ثم يقولون إنهم يسمعون منه حنيناً (صوتاً بدلاً على الشوق والحزن) كحنين الواله (الشديد الحزن، المتحير). فقطع عمر بن الخطاب هذا الجذع لأنه قدّر أن سلوك نفر من الناس عند هذا الجذع بدلاً على الوثنية.
(٥) البليال: اضطراب العقل وتحيريه بأفكار مختلفة تخطر له.
(٦) المتيم: الذي أمرضه الحب.
(٧) الوسيم: الجميل.

ولواؤه يَبِيدُ الْعُـمْلَا مَعْقُودُ .
 فإِذَا تَوَافَتِ لِلْحِجَابِ وَفُودُ^(١) ،
 قالوا: تَقَدَّمَ بِالْأَنَامِ زَعِيمَا . صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا .

★ ★ ★

فَيَقُومُ بِالْبَابِ الْعَلِيِّ وَيَجُودُ ،
 وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ، أَنْ الْمَوْعِدُ^(٢) .
 فَيُجَابُ: قُلْ يُسْمَعُ إِلَيْكَ، مُحَقَّدُ!
 وَنُرَيْكَ مَيَّا نَضْرَةً وَنَعْمَا^(٣) . صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا .

★ ★ ★

أَعْظِمُ بَيْرَ مُحَمَّدٍ وَبِجَاهِهِ .
 أَكْرِمُ بِهِ مَتَوَسَّلًا لِلْإِلَهِي^(٤) .
 شَرِبْتَ كِرَامُ الرُّسُلِ فَضَلَ مِيَاهِهِ^(٥) .
 فَفَدَّتْ تُعَظِّمُ حَقَّهُ تَعْظِيمَا . صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا .

★ ★ ★

يَسَا سَامِعِي أَخْبَارِهِ وَمَفَاخِرِهِ
 وَمُطَالَمِي آثَارِهِ وَمَا آثَرَهُ^(٦) ،
 وَمُؤَمَّسِلِي وَافِي الثَّوَابِ وَوَاغِرِهِ ،
 إِنْ شِئْتُمْ فُوزًا بِذَلِكَ عَظِيمَا ، صَلَّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمَا .

-
- (١) للحساب: ليوم الحساب (يوم القيامة) وفود الأمم المختلفة (من أتباع الأنبياء).
 (٢) فيقوم (يقض) بالباب العليّ (بين يديّ الله). أن: قرب، حلّ. الموعد: الوعد (وعد الله بتفضيل أمة محمد على غيرها من الأمم، ففي القرآن الكريم: ﴿كنتم خير أمة أخرجت - بالبناء للمجهول - للناس﴾).
 (٣) النضرة (هنا) تألّف الوجة من نشاط أو سرور.
 (٤) نوسل الرجل: طلب شيئاً (تمن هو فوّه) مع الرجاء.
 (٥) شربت الرسل فضل مياهه (إنائه): كانت رسالاتهم جزءاً من رسالته
 (٦) المأثرة (بضمّ التاء المثناة): المكرمة (العمل الكريم) المتوارثة.

- من وصية كتبها ابن الجنان الأنصاريُّ على لسانِ ابنِ هودٍ^(١) إلى أولاده وعماله الموظفين في دولته).

.... إنا - والله المرشد - لنعلمُ أن الأمر الذي قلدنا الله تعالى منه ما قلدَهُ، وأسندَهُ إلينا من أمور خلقه ما أسندَهُ، قد ألزَمنا من حقوقه الواجبة وفروضه الراتبية ما لا يُستطاعُ إلا بمعونته أداؤه^(٢)، ولا يَسْتَتِبُ إلا بتوفيقِ الله تعالى انتهاؤه وابتدأؤه. فهو المشكورُ عزَّ وجلَّ على نعمته والمُستعانُ على ما يُدني من رضاه ويُقربُ من رحمته. وإن كلَّ امرئٍ بشأنه مشغولٌ، وعن حُوصِيَّة^(٣) نفسه مسؤول. ونحن بما استرعانا الله تعالى مشغولون، وعن الكبير والصغير مسؤولون. وعلينا النصيحةُ لله في عبادِهِ وبلادِهِ، والنظرُ لهم بمُنتهى جدِّ المُجتهد واجتهادِهِ. ولا قوَّةَ إلا بالله عليه توكلنا، وبِهِ إليه توصلنا^(٤). فعيننا تسهرُ لتنامَ للرعيَّةِ عُيونهم، وتحرُّكنا يتصلُّ ليحصلَ لهم سُكونهم. وأملنا ألا نُقرَّ فيهم بحولِ الله تعالى ظلمًا ولا هَضًا^(٥)، ولا نُخرمُ لهم في إقامة حقوقِ الله ما استَطعنا نَظماً. وأتَى^(٦) يَنصَرِفُ، عن هذا القصدِ بعملِهِ وبيئته، مَنْ يَعْرِفُ أن الله جلَّ جلاله لا يُجوزُ ظلمَ ظالمٍ في برِّيَّته^(٧). ولعلَّ الله الذي حمَلنا ما حمَلنا، واستعملنا بمشيتِهِ فيما استعملنا، أن يَهَبَ لنا توفيقَهُ ويسلِّكَ بنا إلى هُداه طريقَهُ.

- ذمَّ الدنيا (من خطبة لابن الجنان الأنصاري):

.... قَبِسْتِ الدارَ داراً لا تُداري، ولا تُقيلُ لعائرها عِثاراً^(٨)، ولا تُقبلُ

(١) المتوكل بن هود صاحب مرسية (٦٢١ - ٦٣٥ هـ).

(٢) الراتب: المتكرر على نسق واحد. أداؤه: القيام به.

(٣) الحوصية تصغير الحاصبة التي هي نسبة إلى الحاصفة (ما يحمي نفسك دون غيوك).

(٤) نستعين بالله في طلبنا شيئاً من الله.

(٥) الهضم: أن يكون لأحد عندك حق فتعطيه جزءاً منه ففط (والظلم أن نلبه كلَّ حقّه).

(٦) أتى: كيف؟

(٧) البرية: الخلق (بالفتح) جميع الناس.

(٨) الدار: هذه الدنيا. لا تقبل لعائرها عِثاراً (لا ترفع ساقطاً من سقطته): لا تغفر ذنباً (جاء به أحد خطأ).

لِمُعْتَذِرٍ أَعْتَذَاراً، وَلَا تَقِي مِنْ جَوْرِهَا^(١) حَلِيفاً وَلَا جَاراً. وَلَيْسَ لَهَا مِنْ عَهْدٍ وَلَا ذِمَامٍ: كَمْ فَتَكَتْ بِقَوْمٍ غَافِلِينَ عَنْهَا يَنَامُ، كَمْ نَازَلَتْ بِنَوَازِلِهَا مِنْ قِبَابٍ وَخِيَامٍ^(٢)، كَمْ بَدَلَتْ مِنْ سَلَامَةٍ بِدَاءٍ وَمِنْ صِحَّةٍ بِسَقَامٍ.. كَمْ أَبَادَتْ طَوَارِقَ حَوَادِثِهَا مِنْ شَيْخٍ وَكَهْلٍ وَغُلَامٍ. لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ، وَلَا تُرْثِي لَوَالِدٍ وَلَا وَلَدٍ. وَلَا تُخَلِّدُ سُرُوراً فِي خَلْدٍ^(٣)، وَلَا يَمْتَدُّ فِيهَا لِأَمَلٍ أَمَدٌ. بَيْنَمَا يُقَالُ قَدْ وَجَدَ، يُقَالُ قَدْ فُقِدَ! بَعْدَ مَا قَدْ طُبِعَتْ عَلَى نَكَدٍ وَكَمَدٍ، فَالْفَرَحُ فِيهَا تَرَحُّ، وَالْحَيْرَةُ عَيْرَةٌ^(٤)، وَالضَّحْكُ وَالْأَبْتَسَامُ بِكُأَاءٍ وَأَدْمَعُ سِجَامٍ^(٥). تُفَرِّقُ الْأَحْيَةَ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ، وَتُسَكِّنُ الْوَحْشَةَ مُؤَنَسَ رَبَاعِهِمْ^(٦)، وَتُبَيِّحُ بِالْهَيْمِ^(٧) جِمَى الْأَعْرَةِ فَلَا سَبِيلَ إِلَى امْتِنَاعِهِمْ، وَتَسَبِّحُ رِكَائِبَ الْخَلَائِقِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَارْتِجَاعِهِمْ^(٨)، فَيَسِيرُونَ طَوْعَ الزَّمَامِ^(٩)، وَيُلْقُونَ مَقَادَةَ التَّنْذِيلِ وَالِاسْتِئْلَامِ، حَتَّى يَلْجَأُوا بِالرَّغَامِ وَيَنْزِلُوا بِطُونَ الرَّجَامِ وَيَجْلُوا الْوَهْدَ بَعْدَ الْمَقَامِ السَّامِ^(١٠). فَلَا نَاجٍ مِنْ خَطْبِهَا الْعَظِيمِ وَلَا سَلِيمٌ^(١١): يَتَسَاوَى فِي حُكْمِ النَّيَةِ الْأَعْرُ وَالْبَهْمِ

- (١) وقى، بقى: حى، دافع عن. الجور: الظلم، الحيد عن طريق الحق.
- (٢) نازلت: حازت، اعتدت. النازلة: المصيبة. قباب (أهل القباب). القبة: خيمة كبيرة من جلد يسكنها الرؤساء والأغنياء. والهيمة تكون (في العادة صغيرة من شعر أو صوف أو نسيج آخر وسكنها عاتة الناس). الدنيا عدو لجميع الناس.
- (٣) لا ترثي لفلان: لا نرحمه. لا تخلد: لا تنسى، لا تديم. ثم اقرأ: ولا تخلد سروراً ولا في خلد (في بال): لا يحظر سأل أحد أن الدنيا تدوم لأحد.
- (٤) ترح: حزن. الحيرة: السرور. عيرة: دمية (حزن، أسف).
- (٥) السجام مصدر ججم: سال (كثيراً أو قليلاً). وان الخنآن (هنا) بصف الدموع بالمصدر «سجام» والمصدر (إذا جعلناه صفة) يلزم الأفراد أكان الموصوف مفرداً أو جمعاً.
- (٦) الرباع جمع ربع (بالفتح): المكان المسكون.
- (٧) الهيم (بالكسر): الموت.
- (٨) تحنت: تحرض وتحث على السرعة (تسوق بعنف). الركائب جمع ركوبة: دابة تركب في السفر. إلى الله (أي بالموت). ارتجاع (المخلوق إلى الله: ردّ الناس إلى الله يوم القيامة) لحسابهم.
- (٩) الزمام: لجام الدابة، رهنها.
- (١٠) الرغام: التراب. الرجام جمع رجمة (بالفتح): حجر يصب على القبر. الوهد: الأرض المنخفضة، الحفرة. السام (حقيقاً أن تكون: السامي): العالي (لأنّ المنقوص تلمز به الياء في التعريف والإضافة: هو سام، ولكنه سامي المقام والسامي في المقام).
- (١١) الخطب: المصيبة. الخطب العظيم: الموت. سليم معطوفة على ناج.

٤- ** عنوان الدراية ٣٠٢-٣٠٦، الإحاطة (١٣١٩ هـ) ٢: ٢٥٦-١٢٦٤ نفع
الطيب ٧: ٤٠٦-٤٣٨، ٤٤٠-٤٤١، ٥٠١-٥٠٢، ٥٠٦-٥٠٧ الأعلام
للزركلي ٧: ٢٥٦ (٢٩).

أبو الحسن الشاذلي

١- هو نور الدين أبو الحسن عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الجبَّارِ الشَّريفِ^(١) الرَّزْوِيلِيُّ الشَّاذِلِيُّ، وُلِدَ في قرية غُمارَةَ قرب سَبْتَةَ^(٢)، سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) ونشأ فيها وتلقَى علومه الأولى.

تاقت نفسُ أبي الحسنِ إلى التصوِّفِ منذ مَطْلَعِ شبابهِ فانتقل إلى زَرْوِيلَةَ^(٣). ثم إنَّه جاء إلى فاسَ فَلَقِيَ نَفراً من أتباعِ الصوفيِّ المشهورِ أبي القاسمِ الجُنيدِ البغداديِّ (ت ٢٩٧ هـ) ومن أتباعِ أبي مدين، أشهرُهم عبدُ السلامِ بنِ مَشيشِ (ت ٦٢٥ هـ) وأبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنِ حِرْزَمِ المعروفُ بابنِ حَرَّازِمِ وبأبي حِرْزَمِ (ت ٦٣٣ م) وأخذَ عنهم مُعظَمَ معارفِهِ وطريقةَ سلوكِهِ في التصوِّفِ.

(١) المنيَّة: الموت. الأعزُّ: الأبيض (الكريم الأصل). البهم: الأسود (المجهول الأصل). ويقال للشبه إذا لم يكن واضحاً في جودته أو في رداءه: لا أعزُّ ولا بيم. المضم (بالفتح): الدليل.

(٢) أبو الحسن الشاذلي من البربر أهل المغرب الأقصى كما يدلُّ على ذلك مولده في قرية غمارَةَ وتلقب في المغرب في مطلع حياته - في زرويلة وفاس - ولكن أنبأه المتأخرين رفعوا نسبه إلى الطوبين عامة مرة، وإلى الأدارسة مرة ثانية خاصة - ومن هنا أطلقوا عليه لقب الشريف. ويحسن أن نلاحظ أيضاً أن هؤلاء المؤرخين لحياه جعلوه يلقى من مشاهير الصوفيين والعلماء نفراً لم يجمع بينه وبينهم مكان ولا زمان - جرباً على عادة نفر من المؤرخين الذين لا يحكمون قوانين المنطق وطبيعة العمران ومجاري العادة عند التأريخ. - ومعظم الذين أرخوا لأبي الحسن الشاذلي شغلوا أنفسهم بالكرامات (شبه المعجزات) وبالروايات الخيالية والمسامات أكثر مما رجحوا إلى التاريخ وإلى ضبط أحداث حياة الشاذلي بالتواريخ.

(٣) سبتة مرفأ المغرب الأقصى على البحر الأبيض المتوسط.

(٤) زرويلة بلدة كانت عند شفتاون، قريبة من تطوان (في الجانب التالي من المغرب الأقصى).

بعدئذٍ أُنْتَقَلَ إلى تُونِسَ وتَلَقَّى على نَفَرٍ من عُلَمَائِهَا التَفْسِيرَ وَالحَدِيثَ وَالفِئَةَ وَالنَّحْوَ وَالأَدَبَ وَلَقِيَ فِيهَا المَتَصَوِّفَ أبا سَعِيدِ البَاجِيَّ (ت ٦٢٨ هـ).

ولعلَّ عبدَ السَّلامِ بنَ مَشِيشٍ كان قد أشار على أبي الحَسَنِ الشَّاذليِّ بِالتَّوَجُّهِ إلى تُونِسَ تَوْسِيْعاً لِطَرِيقَةِ التَّصَوُّفِ فَانْتَقَلَ أَبُو الحَسَنِ إلى تُونِسَ وَاتَّخَذَ رِبَاطاً^(١) في جَبَلِ رَغْوَانَ وَأَخَذَ يَنْشُرُ دَعْوَتَهُ في بِلَدَةِ شاذِلَةَ قَرِيباً من رِبَاطِهِ. وَكَثُرَ أَتْبَاعُ أَبِي الحَسَنِ في تُونِسَ وَعَظُمَ نَفوذُهُ فَسَمِيَ بِهِ أَبُو القَاسِمِ بنُ البَرَاءِ قَاضِي الجَمَاعَةِ بِتُونِسَ إلى السُّلْطَانِ أَبِي زَكَرِيَّا الحَفْصِيِّ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) فَتَمَرَّضَ أَبُو الحَسَنِ لشيءٍ من الأَضْطِهَادِ ثُمَّ نَفِيَ عَن تُونِسَ فَجَاءَ إلى مِصْرَ، وَلَعَلَّهُ في هَذِهِ الفِترَةِ ذَهَبَ إلى العِراقِ وَلَقِيَ في بَغدَادِ أبا الفَتْحِ الوَاسِطِيَّ (ت ٦٣٢ هـ).

وَعَادَ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذليُّ إلى تُونِسَ سَنَةَ ٦٤٠ هـ (١٢٤٢ م)، وَلَكِنَّهُ أَرْجَعَ عَنْهَا من جَدِيدٍ فَرَجَعَ إلى مِصْرَ (٦٤٢ هـ) وَمَعَهُ نَفَرٌ من خَاصَّةِ أَتْبَاعِهِ أَشْهَرُهُمُ أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ^(٢). وَاسْتَقَرَّ الشَّاذليُّ وَأَتْبَاعُهُ في الأَسْكَندَرِيَّةِ وَاتَّسَمَتِ دَعْوَتُهُ هُنَاكَ فَتَمَرَّضَ لشيءٍ من الأَضْطِهَادِ. ثُمَّ كُفَّ بِصَرِّهِ - أَوْ ضَعُفَ كَثِيراً - سَنَةَ ٦٤٦ هـ. وَيُقَالُ إِنَّهُ أَشْتَرَكَ في تِلْكَ السَّنَةِ نَفْسَهَا في مَعْرَكَةِ المَنْصُورَةِ الَّتِي نَشِبَتْ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَبَيْنَ الحَمَلَةِ الصَّلِيبِيَّةِ السَّادِسَةِ الَّتِي كان يَقودُهَا لُويْسُ التَّاسِعُ مُلْكُ فَرَنْسَةَ وَالَّتِي أُسِرَ فِيهَا لُويْسُ نَفْسَهُ.

وَسَارَ أَبُو الحَسَنِ الشَّاذليُّ في نَفَرٍ من أَتْبَاعِهِ إلى الحَجِّ - بَعْدَ أَنْ كان قد حَجَّ مَراراً من قَبْلُ - فَأَصَابَتْهُ وَعْكَةٌ في قَرِيَةِ حُمَيْتَرَةَ^(٣) بِبِصْحَاءِ عَيْنِذَابٍ من صَعِيدِ مِصْرَ، فَتَوَفَّى في شَهْرِ شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٥٦ (تَشْرِينَ الأوَّلِ - أكتُوبَرِ ١٢٥٨ م) فَتَوَلَّى أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ دَفَنَهُ.

(١) الرِبَاطُ: مَحَلُّ رِبْطِ الحَيْلِ، وَهُوَ مَكَانٌ تَنْزَلُ فِيهِ جَمَاعَاتٌ من المُجَاهِدِينَ لِصَدِّ العَدُوِّ عَن نَحْوِ البِلَادِ الإِسْلامِيَّةِ. ثُمَّ أَصْبَحَ الرِبَاطُ دالًّا على بِنَاءِ صَغِيرٍ ذي قَبْتَةٍ يَتِمُّ فِيهِ رِجْلٌ أو نَعْرٌ من الرِجَالِ لِلزَّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ، أَوِ لِلعِبَادَةِ.

(٢) أَبُو العَبَّاسِ المُرْسِيُّ: هُوَ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بنُ عَمْرِو (ت ٦٨٦ هـ).

(٣) حُمَيْتَرَةُ (بِالتَّصْفِيرِ) وَبَنَاتُهَا (ثَلَاثُ حُرُوفٍ المِجَاءِ مَنقُوطَةٌ بِنِقَطَتَيْنِ من فَوْقِهَا) عِلْمٌ (بِفتْحِ فَتْحِ) في بِصْحَاءِ عَيْنِذَابِ، من صَعِيدِ مِصْرَ (رَاجِعِ القَامُوسَ ٢: ١٤ ثُمَّ تَاجِ العُرُوسِ - الكَوْبَتِ ١١: ٩٤).

٢- أبو الحسن الشاذليُّ من كبار أصحابِ الطُّرُقِ^(١) الصوفية ومن أشهرهم. وكان الشاذليُّ قد تأثر بَعَدَ من كُتُبِ التَّصَوُّفِ المشهورة منها: المواقف والمُخاطبات لمحمد بن عبد الجبَّار النِّفَرِيِّ (ت ٣٥٤ هـ) - قوت القلوب لأبي طالبِ المَكِّيِّ (ت ٣٨٧ هـ) - الرسالة البيانية لأبي القاسم القُشَيْرِيِّ (٤٦٥ هـ) - إحياء علوم الدين للغزالي (ت ٥٠٥). ومع أنَّ الشاذليَّ من أصحابِ التَّصَوُّفِ المعتدل في التفكير والسلوك، فإنَّ الجانبَ السُّلبيَّ بارزٌ في حياته جدًّا: إنَّ تصوُّفه يقومُ على أربعِ دعائم: الذِّكْرَ وبساطة العمل الصالح، التفكير وبساطة الصبر، الفقر وبساطة الشُّكر، الحبَّ وبساطة بُغض الدنيا وأهلها، وثمرَةُ ذلك محاولة الاتِّصال بالحبوب (الله). ويبدو أنَّ الشاذليَّ كان في أولِ حياته أكثرَ ميلًا إلى الكِفاح والجهاد والعمل الاجتماعي، ولكن لم يُعْرِزْ نجاحًا في كِفاحه في المغرب الأقصى وتونس ومصرَ ثم نالَه من محاولة العملِ الإيجابيِّ اضطهادٌ مستمرٌّ، فأثر الإخلاء إلى الوجه السُّلبيِّ من التَّصَوُّف.

وكان للشاذليِّ نظم.

والشاذليُّ مُصنِّفٌ له: عمدة السالك على مذهب الإمام مالك في العبادات وغير ذلك - المقدِّمة العريية للجماعة الأزهرية (مختصر الكتاب السابق) - كتاب الإخوة - الرسالة الخوذية - التسلي والتصور على ما قضاه الله من أحكام أهل التجبُّر والتكبير - تخميس رائية أبي مدني - ديوان - مجموع أشعار^(٢) - رسالة الأمين - الاختصاص من الفوائد القرآنية والخواص (السِّرَّ الجليل في خواص حسينا الله ونعم الوكيل). وللشاذليِّ أحزاب^(٣) كثيرةٌ منها: حزب البرِّ (أو الحزب الكبير) - حزب البحر - حزب الإخفاء - حزب النصر - حزب الطمُّس على عيون الأعداء - حزب اللُّطف - حزب الفتح (أو حزب الأنوار) - حزب الضُّحى - حزب

(١) الطرق جمع طريقة: أسلوب للحياة الصوفية يقوم على الاقتداء بشيخ صوفي معين مع اتِّخاذ سلك معين وقراءة أحزاب معينة (الحزب: راجع حاشية تالفة).

(٢) لعلَّ هذا المجموع هو الديوان.

(٣) الحزب: الورد (بكر الواو): ترتيب لأبيات وأقوال على وجه مخصوص بقرائها التَّصَوُّف (أو التَّممُّد عامة) في أوقات معينة (راجع نموذج من ذلك في المختارات من آثار الشاذلي).

صلاة الفتح والمغرب - حزب الحمد - حزب التفريغ - الحزب الأول - الحزب الثاني - دعاء .

٣ - مختارات من آثاره

- من حزب البرّ المعروف بالحزب الكبير:

أعوذُ بالله من الشيطان الرَّجيم^(١). بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(٢)؛ ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ. كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ: إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سَوْءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ؛ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣). ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً؛ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ. وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).....
اللَّهُمَّ، إِنَّكَ تَعَلَّمْتَ أَنِّي بِالْجَهَالَةِ مَعْرُوفٌ. وَأَنْتَ بِالْعِلْمِ مُوصُوفٌ، وَقَدْ وَسَّغْتَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ جَهَالَتِي بِعِلْمِكَ فَسَمِعَ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ كَمَا وَسَّغْتَ بِعِلْمِكَ. وَاغْفِرْ لِي، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.....

يا الله، يا عظيم، يا علي، يا كبير: نَسَأَلُكَ الْفَقْرَ مِمَّا سِوَاكَ^(٥) وَالغِنَى بِكَ حَتَّى لَا نَشْهَدَ إِلَّا إِلَيْكَ^(٦). وَالطُّفَّ بِنَا فِيهَا لُطْفًا عَلِمْتَهُ يَصْلُحُ لِمَنْ وَالِاك، وَاكْتَسَبْنَا جَلَابِيبَ الْعِصْمَةِ فِي الْأَنْفَاسِ وَاللِّحَظَاتِ، وَاجْعَلْنَا عِبِيداً لَكَ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ، وَعَلِّمْنَا مِنْ

(١) القرآن الكريم (١٦: ٩٢، سورة النحل): ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

(٢) في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة تبدأ بمائة وثلاث عشرة سورة منها بالآية: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ». أما السورة التاسعة (سورة التوبة) فلا تبدأ بهذه الآية لأنها نزلت في الحزب وفي «براءة» الله ورسوله من المشركين الذين كانوا لا يزالون إلى ذلك الحين على الوثنية. ومطلع السورة التاسعة: ﴿بِرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.....﴾. ولذلك تعرف أيضاً بسورة «براءة». ثم إِنَّ الآية «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ترد في سياق سورة السمل (٢٧: ٣٠) فيكون عدد مرّات التسلسل في القرآن الكريم مائة وأربع عشرة بعدد السور.

(٣) القرآن الكريم ٦: ٥٤ (سورة الأنعام).

(٤) القرآن الكريم ٦: ١١١ (سورة الأنعام).

(٥) هذه الجملة يجب أن تعني ما يلي: نَسَأَلُكَ أَنْ تَحْمِلَنَا أَغْنَاءَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ سِوَاكَ، فَرَاهِ (محتاجين) إِلَيْكَ وَحَدِكَ وَأَنْ نَغْنَى (نصيح) أَغْنَاءَ بِكَ: بِمِطْلَاقِكَ (أنت).

(٦) حَتَّى لَا يَكُونَ أَمَامَ أَبْصَارِنَا وَبَصَائِرِنَا غَيْرُكَ.

لَدُنْكَ عِلْمًا نَصِيرٌ بِهِ كَامِلِينَ فِي الْحَيَا وَالْمَاتِ.....

اللَّهُمَّ، نَسْأَلُكَ إِيمَانًا دَائِمًا، وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا، وَنَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَنَسْأَلُكَ يَقِينًا صَادِقًا، وَنَسْأَلُكَ دِينًا قِيَمًا. وَنَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَنَسْأَلُكَ تَهَامَ الْعَافِيَةِ (١)، وَنَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ. وَنَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ.....

- من مقدّمة المقدّمة العزّية ومن خاتمتها:

.... هذه مقدّمة في مسائل العبادات وغير ذلك على مذهب الإمام مالك بن أنس، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، لِيَتَنَفَّعَ بِهَا الْوُلْدَانُ وَنَحْوُهُمْ - إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى - لَخَصَّتْهَا مِنْ كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ «عُنْدَةِ السَّالِكِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكٍ فِي الْعِبَادَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ». وَسَمَّيْتُهَا بِـ «الْمُقَدِّمَةِ الْعَزْزِيَّةِ لِلْجَمَاعَةِ الْأَزْهَرِيَّةِ» مُشْتَمِلَةً عَلَى أَحَدٍ عَشَرَ بَابًا.....

يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَلَّا يُرَى إِلَّا مُحْصِلًا حَسَنَةً لِمَعَادِهِ أَوْ دِرْهَمًا لِمَعَاشِهِ، وَيَتْرُكُ (٢) مَا لَا يَغْنِيهِ وَيَحْتَرِسُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَقِفُ عِنْدَ مَا أَشْكَلَ وَيُنْصِفُ جَلِيسَهُ وَيُلِينُ لَهُ جَانِبَهُ وَيَصْفَحُ عَنِ زَلَّتِهِ وَيَلْزِمُ الصَّبْرَ. وَإِنْ نَظَرَ عَالِمًا نَظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الْإِجْلَالِ، وَيُنْصِتُ لَهُ عِنْدَ الْمَقَالِ. وَإِنْ رَاجَعَهُ رَاجَعَهُ تَعَهُّمًا وَلَا يِعَارِضُهُ فِي جَوَابِ سَوَالِ سَأَلِهِ. وَمَنْ نَاطَرَ فِي عِلْمٍ فَبَسْكَينِيَّةٍ وَوَقَارٍ وَتَرَكِ الْإِسْتِيلَاءَ وَبَحْسِ التَّانِي وَجَمِيلِ الْأَدَبِ، فَإِنَّهَا مُعِينَانِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ.....

٤ - الشرح (أو الأنس أو السرّ) الجليل في خواص «حسبنا الله ونعم الوكيل» (٣)، القاهرة (طبع حجر) بلا تاريخ؛ القاهرة ١٢٩٧ هـ.

- حزب البحر (في مجموع لطيف)، القاهرة (طبع حجر) ١٨٦٥ م (١٢٨٢ هـ)؛ قازان ١٨٩٧ م (١٣١٤ - ١٣١٥ هـ)؛ مع أحزاب أخرى وأشعار وترجمة فارسية تتخلل السطور في مجموع عنوانه «لوح محفوظ»، لمحمد محفوظ الحقّ، أَرَا (٤) ١٣٠٩ هـ؛ مع أحزاب أخرى بمقدّمة هندستانية وترجمة تتخلل السطور، لمحمد عبد القيم، كاوبور

(١) العافية من كلّ بليّة: الإعفاء (الحماية) من كلّ مصيبة. قام العافية: قام الصحّة.

(٢) السياق النحوي يقتضي أن يكون الفعل «ترك» والأفعال التي بعده مطبوعة عليه «منصوبة»، ولكن المعنى حينئذ يضطرب ويصبح «وَأَلَّا يَتْرُكَ مَا لَا يَغْنِيهِ: أَي يَهْتَمُّ بِمَا لَا يَغْنِيهِ».

(٣) في القرآن الكريم (٣: ١٧٣)، سورة آل عمران: ﴿حَسْبَا اللهُ﴾ (إِنَّ اللهُ يَكْفِينَا مَكَائِدَ أَعْدَانَا وَيُدْفَعُ تِلْكَ الْمَكَائِدَ عَنَّا) وَنَعْمَ الْوَكِيلُ (وهو الذي نفوض إليه أمرنا في كلّ شيء).

- ١٨٩٦ م؛ مع ترجمة إلى لغة التاميل (في جنوب الهند) في مجموع «نفحة الأنبار (٩)»،
 لنوح عليّ القادري، بومباي ١٣٢٠ هـ.
- المقدمة العزّية للجماعة الأزهرية، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية: عيسى الباي
 الحلبي وشركاه) بعد ١٣٣٢ هـ.
- مجموع الأحزاب، القاهرة ١٣١٧ هـ.
- *** شرح حزب البحر:
- شرح.... لأحمد بن أحمد زروق^(١) (على هامش دلائل الخيرات)، مدراس ١٩٠٨ م.
- اللطيفة المرضية، لابن ماهلا (؟)، القاهرة ١٩٣٥ م.
- فيض الرحمن (حاشية) لحسن العدوي، القاهرة ١٢٨١ هـ.
- خلاصة الزهر.... لمحمد خليل الفاوقجي^(٢)، القاهرة ١٣٠٤ هـ.
- شرح حزب البرّ (أو الحزب الكبير):
- تنبيه العارف البصير على أضرار الحزب الكبير، للمرئضى الزبيدي^(٣)، القاهرة (مطبعة
 السعادة) ١٣٣٣ هـ.
- شرح حزب البرّ أو الحزب الكبير، تأليف أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي^(٤) (مع
 «تنبيه العارف»)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) ١٩٦٩ م.
- الجواهر المضيّة (؟) في شرح العزّية، لصالح بن عبد السميع الآبي الأزهرى، القاهرة (دار
 إحياء الكتب العربية) ١٣٣٢ هـ.
- درّة الأسرار وتحفة الأبرار، تأليف محمد بن أبي القاسم الصبّاح الحميري، تونس
 ١٣٠٤ هـ.
- مجموعة آراء سنيّة للسادة الشاذلية (تحرير محمد الطيّب الجزائري)، دمشق ١٣٠١ هـ.
- ابن عطا الله ونشأة الطريقة الشاذلية: تحقيق «احكم العطائية» - لبولس نونا،
 المعارف العلميّة في المآثر الشاذلية، تأليف محمد بن محمد عياد.....
- أبو الحسن الشاذلي، بقلم عليّ سالم عمّار، الجزء الأول، مصر، (مطبعة دار التأليف)
 ١٩٥١ م.
- أبو الحسن الشاذلي الصوفي والعارف بالله، بقلم الدكتور عبد الحليم محمود (أعلام العرب،
 رقم ٧٢)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر) ١٩٦٧ م.

(١) أحمد بن أحمد بن زروق (ت ٨٩٩ هـ)، له ترجمة في هذا الجزء.

(٢) محمد بن خليل المنشي الفاوقجي الطرابلسي (ت ١٣٠٥ هـ)، راجع بروكلمن، الملحق ١: ٧٧٦.

(٣) محمد بن محمد المرئضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) صاحب القاموس العظيم «تاج العروس».

(٤) عبد الرحمن الفاسي (ت ١٠٣٦ هـ).

نكت الحميان ٢١٣؛ ابن قنفذ ٣٢٣؛ شذرات الذهب ٥: ٢٧٨ - ٢٧٩؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى): ٤: ٢٤٦ - ٢٤٩؛ بروكلمن ١: ٥٨٣ - ٥٨٤، الملحق ١: ٨٠٤ - ٨٠٦؛ النبوغ المغربي ٣٥٧ - ٣٦٥؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٢٠ (٤: ٣٠٥)؛ مجلة العربي ٦/ ١٩٦٤ و ٧/ ١٩٦٤؛ سركيس ١٠٨٨ - ١٠٨٩.

ابن الأَبَارِ القُضَاعِيّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٦١٩ هـ) بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبي بكر بن الأَبَارِ القُضَاعِيّ البَلَنْسِيّ، وُلِدَ فِي بَلَنْسِيَّةَ فِي أَحَدِ الرَّبِيعِيْنَ مِنْ سَنَةِ ٥٩٥ (أَوَائِلَ ١١٩٩ م) وَنَشَأَ فِيهَا.

بَدَأُ ابْنُ الأَبَارِ تَلَقَّى العِلْمَ عَلَى وَالِدِهِ ثُمَّ سَمِعَ مِنْ نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ نُوحِ العَاقِقِيِّ السَّرْقُسْطِيِّ (ت ٦٠٨ هـ) وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ الأَنْصَارِيِّ (ت ٦١٠) وَقَدْ أَخَذَ عَنْهُ النُّحُو وَالأَدَبَ. وَمِنْ شِيُوخِهِ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُودُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللهِ (نَفَحِ الطَّيِّبِ ٤: ٣٣٥) المُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٢١ لِلهَجرَةِ - وَكَانَ مِنَ المَشْتَفِلِينَ بِالتَّارِيخِ؛ وَمِنْهُمْ أَبُو الحَطَّابِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ وَاجِبِ القَيْسِيِّ (ت ٦١٤ هـ) أَخَذَ عَنْهُ التَّارِيخَ. وَمِنْ أَكْبَرِ شِيُوخِهِ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ سَالِمِ بْنِ حَسَانَ الكَلَاعِيِّ (ت ٦٢٤ هـ) وَكَانَ بَارِعاً فِي الحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ مَعَ العِلْمِ بِالبَلَاغَةِ وَالأَدَبِ كَمَا كَانَ لَهُ عَدَدٌ مِنَ الكُتُبِ. وَقَدْ لَازَمَهُ ابْنُ الأَبَارِ عَشْرِينَ سَنَةً وَخَرَجَ عَلَى يَدَيْهِ وَتَعَلَّمَ مِنْهُ صِنَاعَةَ الكِتَابَةِ وَمِنْ شِيُوخِهِ أَيْضاً أَبُو جَمْفَرِ بْنِ الحِصَارِ، وَكَانَ عَارِفاً بِالقِرَاءَاتِ (نَفَحِ الطَّيِّبِ ٢: ٥٠).

وَفِي سَنَةِ ٦٢٥ هـ دَخَلَ ابْنُ الأَبَارِ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ فَكُتِبَ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصِ المَوْحِدِيِّ وَاليِ بَلَنْسِيَّةَ ثُمَّ لِابْنِهِ السَّيِّدِ أَبِي زَيْدٍ ثُمَّ لِزَيَّانِ بْنِ مَرْدَانِيشَ، فِي السَّنَةِ التَّالِيَةِ. وَلَمَّا حَاصَرَ دُونَ جَاقِمَةَ صَاحِبُ بَرْجَلُونَةَ (بِرِشْلُونَةَ) مَدِينَةَ بَلَنْسِيَّةِ (رَمَضانَ ٦٣٥) ذَهَبَ ابْنُ الأَبَارِ فِي وَفْدٍ إِلَى سُلْطَانِ تُونِسَ أَبِي زَكَرِيَا بِحِمِّي لِاسْتِجَادِهِ بِهِ عَلَى الفِرَنْجَةِ. وَأَنشَدَ ابْنُ الأَبَارِ يَوْمَذاك مِذْحَحَهُ فِي أَبِي زَكَرِيَا «أَذْرِكُ بِجَيْلِكَ خَيْلَ اللهِ أَنْدَلُسًا». وَأَرْسَلَ أَبُو زَكَرِيَا أُسْطُولاً لِجَنْدَةِ بَلَنْسِيَّةِ، وَلَكِنَّ الأُسْطُولَ وَصَلَ بَعْدَ فَوَاتِ

الأوان. ولما استولى الفرنجة على بلنسية (صفر ٦٣٦) خرج ابن الأبار منها بأسرته مع الجالين عن المدينة. وانتقل إلى تونس واستقر فيها. وتقلبت الأحوال بابن الأبار في تونس فكتب للسلطان أبي زكريا (٦٣٦ هـ) ثم وزرر للمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ)، كما غضب المستنصر عليه مراراً ورضي مراراً. وفي العشرين من المحرم من سنة ٦٥٨ (١٢٦٠/٦/٦ م)، في الأغلب، أمر المستنصر بقتله، بعد أن بلغ خصومه في الدس عليه الغاية.

٢ - كان ابن الأبار القضاعي عارفاً بالتاريخ بصيراً بطبقات الرجال ملماً بفنون كثيرة من العلم والأدب، أديباً ناثراً مترسلاً وشاعراً محنياً. وكان من فنونه المدح والاعتذار والوصف والغزل والنسيب والمجون. وله ترسل كثير التكلف.

وكذلك كان ابن الأبار مُصنفاً له من الكتب: كتابُ تكملة الصلة (وهو تكملة لكتاب الصلة لابن بشكوال، وقد حثه على وضع هذا الكتاب شيخه أبو الربيع بن سالم) - تحفة القادم (تراجم شعراء)^(١) - إعتاب الكتاب (تراجم لنفر عديدين من الكتاب المشاركة والمغاربة) - الحلة السراء في أشعار الأمراء - المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدقي - درر السمط في خبر السبط (الحسين بن علي!) - إيامض البرق في أدباء الشرق - إفادة الوفاة (في ذكر الوافدين على الأندلس) كتاب التاريخ - قطع الرياض (في أشعار مختارة) - معادن اللجين في مرثي الحسين - هداية المعترف في المؤلف والمختلف.

٣ - المختار من آثاره:

- قال ابن الأبار القضاعي يمدح أبا زكرياً يحيى الحفصي سلطان تونس

(١) كتاب «تحفة القادم» مفقود. ولكن أبا إسحاق البليغي كان قد صنع منه «المنتخب من كتاب تحفة القادم» (بتحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٧ م). والبليغي هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي إسحاق (إبراهيم؟) بن الحاج. أصل البليغي من مراكش ولكن مولده ومنشأه في الأندلس وهو ينتسب إلى بليغ (يفتح الباء، وتروى أيضاً بفتح الفاء مع كسر اللام المتددة) وهي حصن قرب المرتبة. ولعل وفاة أبي إسحاق البليغي كانت في مراكش في أواخر القرن الثامن للهجرة.

ويستنصره على الإفرنج لإنقاذ بلنسية (نفع الطيب، ٤: ٤٥٧-٤٦٠):

أدرِكْ بِجَنَلِكَ خَيْلَ اللَّهِ أَنْدَلُءَا، إِنَّ السَّيْلَ إِلَى مَنَاجِبِهَا دَرَسَا^(١).
 وَهَبْ لَهَا مِنْ عَزِيزِ النَّصْرِ مَا التَّمَسَتْ؛ فَلَمْ يَزَلْ مِنْكَ عِزُّ النَّصْرِ مُلْتَمَسَا.
 يَا لِلْجَزِيرَةِ! أَضْحَى أَهْلُهَا جَزْرًا لِلْحَادِثَاتِ، وَأَمْسَى جَدُّهَا تَعَسَا^(٢).
 فِي كُلِّ شَارِقَةٍ إِيْلَامٌ بَارِقَةٍ يَمُودُ مَا تَمُّهَا عِنْدَ الْعِدَا عُرْسَا^(٣).
 تَقَاسَمَ الرُّومُ لَا نَالَتْ مُقَاسِمَهُمْ إِلَّا عَقَائِلُهَا الْمَحْجُوبَةَ الْأُنْسَا^(٤).
 وَفِي بَلَنْسِيَّةٍ مِنْهَا وَشَاطِئِيَّةٍ مَا يَنْسِفُ النَّفْسَ أَوْ مَا يَنْزِفُ النَّفْسَا^(٥).
 مَدَائِنٌ حَلَّهَا الْإِشْرَاكُ مُبْتَسِمَا جَدْلَانِ، وَارْتَحَلَ الْإِيمَانُ مُبْتَسِمَا.
 فَمِنْ دَسَاكِرَ كَانَتْ دُونَهَا حَرَسَا، وَمِنْ كَنَائِسَ كَانَتْ قَبْلَهَا كُنْسَا^(٦).
 يَا لِلْمَسَاجِدِ عَادَتْ لِلْعِدَا بَيْعَا، وَلِلنِّدَاءِ غَدَا أَثْنَاءَهَا جَرَسَا^(٧).

- (١) - أسرع بإنقاذ الأندلس. درس: أمحي (فقد الأمل بنجاتها).
 (٢) يا للجزيرة: كان الله في عون جزيرة الأندلس وأنقذها من بليتها! جزراً: ذائع. الجد (فتح الحيم): الحظ. التمس: اليأس والشقاء.
 (٣) في كل شارقة = عند طلوع كل شمس: كل يوم. البارقة: السيوف (القاموس ٣: ٣١١، السطر ١٩). الإيلام: التزول، الإصابة، الزيارة. إيلام بارقة: قتل بالسيوف. العدى: الإسبان الإفرنج. وفي طبعة بيروت (٤: ٤٥٧): باقعة (داهية).
 (٤) البيت غامض. - الروم: نصارى الأندلس. تقاسم الروم: نوزعوا الغنائم بينهم. العقائل جمع عذبة: المرأة المصونة الكريمة. المحجوبة: المحبأة عن عيون الأجانب. الأنس جمع أنوس: (اللطيف العشرة، المؤانس). - الملووح في معنى البيت: يتقاسم الإسبان (بعد كل هجمة على العرب) الغنائم إلا النساء (فإنهن يقتلن...). فلا نال (تبتاً) مقاسم (بضم الميم: صاحب السهم أو النصيب في القسمة) شيء من تلك الغنائم!
 (٥) ما ينسف (يدك) يهدم، يتقلع الشيء من أصله) أو ما ينزف (ينزح، يلاشي، يفرغ) النفس = ما يقتل، ما يهلك.
 (٦) الدسكرة: المزرعة. كانت تلك الدساكر لحماية لتلك المدن التي سقطت في يد الإسبان (فذهبت المدن والدساكر معها). الكسس جمع كناس (بكر الكاف): بيت الطي (ساكن للنساء الجميلات).
 (٧) البيعة (بكر الباء): الكنيسة، معبد النصارى. النداء: الأذان، دعوة المسلمين إلى الصلاة من المآذن.

كانت حدائق للأخداق موقفةً
فأين عيش جنيناه بها خصرًا؟
محا معاينها طاعٍ أتيح لها،
صبل حبلها، أها المولى الرحيم، فما
وأخي ما طمست منها العداة كما
أيام صيرت لنصر الحق مُستبقاً
وقمت فيها بأمر الله مُنتصراً
هذي رسائلها تدعوك من كتيب،
توم يحيى بن عبد الواحد بن أبي
ملك تقلدت الأملاك طاعته
من كل غادٍ على يُمناه مُستلباً،
مؤيد لو رمى نجماً لأثبتته،
ماضي العزيمة والأيام قد نكلت،

فصوح النصر من أذواجها وعسا (١)
وأين عَصْرُ جَلِينَاهُ بِهَا سَلِسًا (٢)؟
ما نام عن هَضْمِهَا جِينًا وَلَا نَعْسًا (٣).
أَبْتَى الْمِرَاسُ لَهَا حَبْلًا وَلَا مَرَسًا (٤)
أَحْيَيْتَ مِنْ دَعْوَةِ الْمَهْدِيِّ مَا طُمِسًا (٥)،
وَبِتَّ مِنْ نُورِ ذَاكَ الْمَهْدِيِّ مُقْتَنِسًا،
كَالصَّارِمِ أَهْتَرَزَ أَوْ كَالْعَارِضِ أَنْجَسًا (٦)
وَأَنْتِ أَفْضَلُ مَرْجُوٍّ لِمَنْ يَتَسَا
حَفْصِ مُقْبَلَةٍ مِنْ تَرْبِهِ الْقُدْسَاءِ
دِينًا وَدُنْيَا فَنَسَاهَا الرِّضَا لَيْسَا
وَكَسَلٌ صَادٍ إِلَى نَعْمَاءِ مُلْتَمِسًا (٧).
وَلَوْ دَعَا أَفْقًا لَبَيَّ وَمَا اخْتَبَسَا (٨).
طَلَقُ الْمُحْيَا وَوَجْهَ الدَّهْرِ قَدْ عَبَسَا (٩).

- (١) للأخداق (للعيون) موقفة (جيلة): تسر الناظرين. صوح = يس. النصر: الأخضر الريان. الدوح والأدواح جمع دوحه: الشجرة الكبيرة. عسا، يمسو: يس.
- (٢) جليناه (جلوناه!): أبرزناه، جعلناه. سلساً: ليناً، رائقاً، مطاوعاً لنا.
- (٣) الطاعى: الظالم. وكان مؤرخو العرب يسمون كل ملك من ملوك الأيبان «طاعية». الهضم: انتزاع جزء من الحق من صاحبه. نيس: مال إلى النوم (غفل).
- (٤) صل حبلها: أحملها من أهلك وداع عنها المراس: شدة (العدو عليها)، كثرة حروبها. ما أبنى المراس لها حبلًا (صلة، قرابة بأحد) تحلى جميع الناس عنها) ولا مرسة (قوة على القتال).
- (٥) طمس: محا. المهدي بن تومرت (ت ٥٢٤ هـ) مصلح عظيم، وهو صاحب دعوة الموحدين ومؤسس دولتهم (راجع ص ٣٥٩ من الجزء الخامس).
- (٦) الصارم: السيف. اهترز: تحرك، تمايل بصله) استعداداً للضرب به أو في أثناء الضرب به). العارض: الغيم القليل يحمل مطراً. انسجس: تحرق، هطل منه المطر.
- (٧) بناء مستلماً = مقنلاً بده البنتى. صاد: عطشان.
- (٨) - لو رمى سهمه النجم لأصابه ولو دعا الغيم في السماء إلى أن يطر لأمطر.
- (٩) نكل عن الأمر: حس عنه وتأخر.

كَأَنَّهُ الْبَدْرُ - وَالْعَلِيَاءُ هَالَتُهُ -
تَدْبِيرُهُ وَسِعَ الدُّنْيَا وَمَا وَسِعَتْ،
قَامَتْ عَلَى الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ دَوْلَتُهُ
مُبَارَكٌ هَدْيُهُ، بَادٍ سَكِينَتُهُ؛
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى بَصِيرَتَهُ،
وَرَبٌّ أَصِيدٌ لَا تَلْفِي بِهِ صَيْدًا،
إِلَى الْمَلَائِكِ يُنْهَى وَالْمُلُوكِ مَعَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ، أَنْتَ لَهَا
وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَنْبَاءُ أَنَّكَ مَنْ
طَهَّرَ بِلَادَكَ مِنْهُمْ، إِنَّهُمْ نَجَسٌ،
وَاضْرِبْ لَهَا مَوْعِدًا بِالْفَتْحِ تَرْقُبُهُ.

- ومن نثره ما كتبه في ترجمة أستاذه أبي الربيع بن سالم^(١) في كتاب إعتاب

- (١) الهالة: ضياء محيط (في رأي العين) بالفرعادة. تحفًا: تحيط. القنا: جمع قناة: الفصبة، الرمح. شهب: القنا: النصال المركبة في رؤوس الرماح (كتابة عن كثرة الأسلحة ومضاتها).
- (٢) تدبيره: حكمه. عرف (رائحة) معروفه (خيرته): القليل من معروفه وعطائه. وسع الدنيا وما وسعت: أدرا، نظم الدنيا وكل ما فيها (كل ما وسعته الدنيا). واسى: عزى، أحسن إلي. الورى: جمع الناس. أسا: طيب، شفي.
- (٣) أنشرت: بعثت من الموت. وجود: «في الأصل، ولعلها «وجوه»: أنواع. رس: قبر.
- (٤) - لا يبالي إذا نزلت المصيبة فجأة (لأنه مستعد لجميع المفاجآت).
- (٥) الأصيد: المائل العنق تحميرًا (لأنه ملك عظيم). الأشوس: الذي ينظر بمؤخرة عينه من التكبر والغيظ (طلبًا للانتقام). - قد يتظاهر بعض الناس بالقدرة والشجاعة وليس له شيء منها.
- (٦) - هو في سلوكه وأخلاقه مثل الملائكة، وفي نسبه من الملوك. النبعة: عدد كبير من سيلات الفمخ أو من القصب أو النخل نشت من أصل واحد (كتابة عن الأسرة العظيمة النسبة). ما غرسا (بالبناء للمجهول أو للمعلوم!).
- (٧) - الشائع بين جميع الناس أنك وحدك الذي تستطيع أن تتغلب على ملوك الصفر (الروم، الإسيان الإفرنج) وتتخذ الأندلس.
- (٨) ترقبه: تنتظره (الأندلس).
- (٩) راجع ٥: ٦٩٣.

شَيْخِي الَّذِي أَوْرَثَنِي هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَرَضِيَّ اتَّخَاذَهَا لِي بِضَاعَةً، وَضَمِنَ أَنْ لَا إِضَاقَةَ (فِي امْتِنَانِهَا) وَلَا إِضَاعَةَ، جَاعِلًا قَوْلَ ابْنِ أَبِي الْخِصَالِ (١) شَاهِدًا فِي الْإِعْتِلَاقِ بِهَا وَالْإِتِّصَالِ: « مِنْ جَمَعَ بِلَاغَةً وَحَطًّا لَمْ يَخْشَ فِي دَوْلَةِ الْأَفْضَلِ حَطًّا ». فَاسْتَرْجَعَتْ حِصَانَهُ (٢) وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهَا قَابِلًا وَصَاتَهُ غَيْرَ مُسْتَبَدِّلٍ بِهِ خُطَّةً وَلَا مُتَبَوِّئَةً دُونَهَا خُطَّةً لِكَيْلًا أَنْقُضَ مَا أُبْرِمَ وَأُرْتَبِطَ خِلَافَ مَا اسْتَكْرَمَ (٣). وَكَانَ هُوَ - قَدَسَ اللَّهُ أَسْلَاءَهُ - وَأَجْزَلَ مِنَ النِّعَمِ الْمُقِيمِ جِزَاءَهُ (٤) قَدْ عُيِّنِي لِي فِي شَيْبَتِهِ، فَغَتَّبَ عَلَيْهِ وَالِي بَلَنْسِيَةَ جِينْتِيدَ وَحَجَّيَهُ رَائِعًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا وَالزَّمَهُ مَكَانًا قَاصِيًا كَانَ بِهِ قَاضِيًا (٥). فَخَاطَبَهُ مُسْتَعْطَفًا بِرِسَالَةٍ مِنْهَا:

وَبَعْدُ، فَكَتَبَ الَّذِي قَصَرَ، ثُمَّ عَايَنَ قَصْدَهُ وَأَبْصَرَ (٦)؛ وَأَقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَأَجْتَرَحَ (٧) فَلَمْ يَجِدْ أَجْدَى مِنْ أَنْ قَرَعَ بَابَ الْمَغْفِرَةِ وَاسْتَفْتَحَ. وَفِي عِلْمِ الْمَوْلَى أَنَّ الْعَبِيدَ أَهْلَ الْخَطَا وَمَطْنَةَ السَّعْيِ الْمُسْتَبْطِ (٨). إِنْ اعْرَقُوا النَّزْعَ عَنِ قَوْسِ الْأَجْتِهَادِ (٩)

(١) شَيْخِي: أَسَاتِذِي وَمُعَلِّمِي. إِضَاقَةٌ: ضَيْقٌ ذَاتُ الْبَدَنِ، فَفَرَّ. ابْنُ أَبِي الْخِصَالِ: أَدِيبٌ شَاعِرٌ (رَاحِعٌ ص ٣٦١ مِنَ الْجِزْرِ الْخَامِسِ).

(٢) الْحِطُّ: حَسَنُ الْحِطِّ، الْكِتَابَةُ الْمَسْتَلِصَةُ لِصُورِ الْأَحْرَفِ. الْحِطُّ: الْإِلْحَاطُ، النُّزُولُ عَنِ الرَّتْبَةِ الْعَالِيَةِ. اسْتَرْجَعَتْ حِصَانَهُ (عَقْلَهُ): وَجَدْنَاهَا رَاجِحَةً (صَحِيحَةً. مُصَيِّبَةً).

(٣) الْوِصَاةُ: الْوَصِيَّةُ، النَّصِيحَةُ. الْحِطَّةُ (بِضَمِّ الْحَاءِ): الطَّرِيقَةُ فِي الْعَمَلِ، الْمُنَاجَاةُ. الْحِطَّةُ (بِكَسْرِ الْحَاءِ): الْقِطْعَةُ مِنَ الْأَرْضِ. نَبَوًّا: نَزَلَ (فِي مَكَانٍ)، سَكَنَ. نَقَضَ: حَلَّ، أَبْطَلَ. أُبْرِمَ: أَحْكَمَ، قَرَّرَ. ارْتَبِطَ (الْحَيْلُ) اقْتَنَى (خَيْلًا) اسْتَكْرَمَ (الْحَيْلَ، الْمَرْأَةَ، إلخ): وَجَدَهَا كَرِيمَةَ الْأَصْلِ فَاتَّخَذَهَا لِنَفْسِهِ (لَمْ أَرَأَنَّ أَفْضَلَ إِلَّا مَا كَانَ هُوَ بِفِعْلِ).

(٤) قَدَسَ: بَارَكَ. أَسْلَاءَهُ: الْقَطْعُ مِنْ حَسَدِهِ (لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ مَاتَ شَهِيدًا فِي الْمَرْكَةِ). أَجْزَلَ: أَكْثَرَ. النِّعَمِ الْمُقِيمِ (الدَّائِمِ): الْخُلُودُ فِي الْحَيَاةِ. جِزَاؤُهُ: نَوَاقِصُهُ.

(٥) عَنِي ي: اِهْتَمَّ فِي وَسْمِهِ عَلَى تَأْدِيئِي. حَجَّيَهُ: حَجَّجَهُ. سَمِعَهُ مِنَ الدَّخُولِ إِلَى مَلَاطِهِ. رَائِعًا عَلَيْهِ وَغَادِيًا... (!) الزَّمَهُ مَكَانًا قَاصِيًا (بَعِيدًا) أَجْبَرَهُ عَلَى السُّكْنَى فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ. كَانَ بِهِ قَاضِيًا: هُوَ، أَيُّ الْوَالِي، اخْتَارَهُ هُنَاكَ لِلْقَضَاءِ (٥)

(٦) الَّذِي قَصَرَ..... (أَيُّ ابْنِ الْأَبَارِ).

(٧) اقْتَرَفَ (الذَّنْبَ): أَنَاهُ (أَذْنَبَ).

(٨) اجْتَرَحَ: اكْتَسَبَ ذَنْبًا، سَبَّ، شَتَمَ.

(٩) الْمَوْلَى: السَّيِّدُ. الْمَطْنَةُ: مَوْضِعٌ، مَكَانٌ. مَطْنَةُ السَّعْيِ الْمُسْتَبْطِ (الْمُتَأَخَّرِ) الْعَبِيدِ يَسْرِعُونَ فِي ارْتِكَابِ الْخَطَا

وأصابوا شاكلة المراد^(١)، فكالهَام في قرطه مراميا^(٢). وإن تَنَكَّبوا^(٣) مُرْتَضَى السَّعْيِ الحميدِ وتَجَنَّبُوا مُقْتَضَى الرَّأْيِ السَّديدِ، فغيرُ نَكْرٍ (أَنَّ ذَلِكَ) من شَيْمِ العبيدِ. ومَتَى نُوقِشُوا الحِصَابَ على كُلِّ زَلَّةٍ وَعُوقُوا على كُلِّ ضِلَّةٍ^(٤)، أَنفَاهُمُ العِقَابُ سريعاً وَأَهْلَكَهُمُ التَّأديبُ^(٥) جميعاً...

- ٤ - التكملة لكتاب الصلة (تحرير فرنسيسكو كوديرا)، مدريد ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م.
- التكملة لكتاب الصلة (تحرير فنزالس بالنسيه)، مجريط ١٩١٥ م.
- كتاب التكملة لكتاب الصلة (القسم الأول المقفود من طبعة الشيخ قداره في مجريط عام ١٨٨٦ - ١٨٨٩ م ومن طبعة غوثالث والنشيا، عام ١٩١٥ م) - (عني بطبعه وتعلق حواشيه ألفرد بل ومحمد بن أبي شب)، الجزائر (المطبعة الشرقية) ١٣٣٧ هـ / ١٩١٩ م؛ (نشره عزة المطار)، القاهرة ١٩٣٥ م؛ القاهرة (مكتبة الحاجي) وبعداد (مكتبة المنشي) ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- فهارس تكملة الصلة، من عمل الاركون وبالنسيا، مدريد ١٩١٥ م.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدي (فرنسيسكو كوديرا إي زيدين)، مدريد (روخس)، ١٨٨٤ - ١٨٨٦ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧؛
- الحلة البراء (قطع متفرقة نشرها دوزي)، ليدن ١٨٤٧ - ١٨٥١ م؛ ثم باريس ١٨٦٤، ثم ١٨٨٣ م؛ قطع أخرى (نشرها موللر) ١٨٨١ م؛ (حققه وعلق حواشيه حسين مؤنس)، القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٣ م.
- إعتاب الكتاب (حققه صالح الأستر)، دمشق (مطبوعات مجمع اللغة العربية) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- المتعصب من كتاب تحفة القادم: اختيار وتقييد أبي اسحاق ابراهيم بن محمد بن إبراهيم البليغتي (بتحقيق إبراهيم الإبياري)، القاهرة (المطبعة الأميرة) ١٩٥٧ م؛ (نشره ألفرد البستاني).....

ثم يتأخرون في التوبة وإصلاح أخطائهم. أعزوا: بالنوا^(٤). العز: مدّ القوس (وضع سية القوس مؤخرته - في وتر القوس ثم جذب الوتر لإطلاق السهم).

- (١) التاكلة: الحاصرة. أصاب التاكلة (قتل المصاب). أصاب تاكله الأمر: أحسن العمل وأتقنه...
- (٢) في قرطه مراميا^(٤).
- (٣) تَنَكَّب (الطريق): ابتعد عنه.
- (٤) الضلة (بالكسر): الضلال، ضد الهدى، الحيرة، الغلظة عن الصواب.
- (٥) التأديب: القصاص، الضرب (في سبيل الإصلاح).

- معارضة «ملتقى السبيل» لأبي العلاء المرعي (مطبوع مع «فتوى في القيام والألقاب» لابن تيمية)، بيروت (دار الكتاب الجديد) ١٩٦٣ م.
- ديوان ابن الأبار (تحقيق عبد السلام المرّاس)....
- ★★- الحلة السبئية (رسالة لعبد الله الطباع)، بيروت (دار النشر للجامعيين).
- ابن الأبار: حياته وكتبه، تطوان (معهد مولاي الحسن)
- المغرب ٢: ٣٠٩-٣١٢؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٥-٣٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٢٨٣-٢٨٤؛ الذيل والتكملة ٦: ٢٥٣-٢٧٥ (رقم ٧٠)؛ الفدح الملقى ١٩١-١٩٧؛ عنوان الدراية ٢٥٧-٢٦٢؛ ابن قنفذ ٣٢٤؛ شذرات الذهب ٥: ٢٩٥؛ نفع الطيب ١: ٣١٥، ٢: ١١٦، ٥٨٩-٥٩٤، ٥٩٧-٥٩٨، ٣: ١٣٩، ١٤٤-١٤٥، ٤٦٧، ٦٠٣-٦٠٤ (?). ٤: ٥٨-٥٩، ١١٩، ١٢١-١٢١، ٣٢٩، ٣٢٣-٣٢٤، ٤٥٧-٤٦٠، ٤٧٢-٤٧٣، ٤٩٠-٥٠٧؛ أزهار الرياض ٢: ٢٠٤-٢٢٧؛ المكتبة العربية الصقلية ٣٢٧-٣٣٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٦٣؛ بروكلمن ١: ٤١٦، الملحق ١: ٥٨٠-٥٨١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٠ (٦: ٢٣٢)؛ تراجم إسلامية ٣٤٢-٣٥٣؛ نيكل ٣٣٢-٣٣٣؛ مختارات نيكل ١٩١.

أبو المطرف بن عميرة

- ١- هو أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن الحسين بن عميرة الخزومي^(١)، أصله من جزيرة شقر (قرب بلنسية)^(٢).
- وُلد أبو المطرف في بلنسية، في رمضان من سنة ٥٨٠ (كانون الأول - ديسمبر ١١٨٤ م) أو قبل ذلك بستينين* . بدأ تلقي العلم في الأندلس ثم رحل (في الأندلس والمغرب؟) فدرس الحديث والفقه وعلم الكلام والأدب، ولكن مبله كان إلى اللغة:

(١) هو غير أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن عميرة (يفتح العين أيضاً) الضبي اللورفي القاري المحدث النوفى ٥٧٧ هـ (نفع الطيب ٢: ٦٠١). وغير أحمد بن يحيى بن أحمد عميرة الضبي (ت ٥٩٩) صاحب نبية المنتس (راجع ترجمته). * في الإحاطة (١: ١٨٥): ٥٨٢ هـ.

(٢) جزيرة شقر ببلدية جنوب بلنسية وليست جزيرة. وإباً قيل لها جزيرة لأن الماء (نهر شقر) يحيط بها (وفيات الأعيان، بيروت، ١: ٥٧). راجع تحت (ص ٢١٩) قول أبي المطرف بن عميرة: هل النهر عقد للجزيرة مثلاً عهدنا...؟ وشقر (بالفتح): جزيرة شرقها (تاج العروس - الكويت ١٢: ٢٢٢) وهي في وفيات الأعيان (١: ٥٧) بالضم: شقر.

أخذَ عن أحمدَ بنِ هرونَ بنِ عاتٍ (٥٤٢ - ٦٠٩ هـ) وأبي الربيعِ بنِ سالمٍ وابنِ حَوطٍ
الله وأبي الخطابِ أحمدَ بنِ واجبٍ (ت ٦١٤ هـ) وعن الشلوبين (ت ٦٤٥ هـ).

وعاد أبو المطرفِ فاستقرَّ في بلنسيةَ مدَّةً ثم تولَّى القضاءَ في شاطبةَ ثم في جزيرةِ
ميورقةَ (٦٢٧ هـ)، وكان فيها لما استولى عليها الإسبانُ (آخرَ رجبٍ
٦٢٨ = ١٢٣١/٦/٢ م). ثم إنَّه عاد إلى بلنسيةَ وشهدَ سقوطها^(١) أيضاً
(٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م).

عندئذٍ جازَ إلى المغربِ فاستوطنَ بجايةَ مدَّةً وأقرأ بها. ثم إنَّ الرشيدَ الموحديَّ
(٦٢٠ - ٦٤٠) استوزَّره. وتولَّى القضاءَ بعد ذلك في سلا ثم في مكناسَ ثم في سبتةَ.
ولما استولى المرينيونَ على سبتةَ غادرها إلى تونسَ ودخلَ في خدمةِ الحفصيينَ فاتَّخذَه
المستنصرُ باللهِ الحفصيَّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) مُستشاراً.

وكانت وفاةُ أبي المطرفِ بنِ عميرةَ في تونسَ ليلةَ الجمعةِ رابعَ ذي الحجةَ من سنةِ
٦٥٨ (١١/١١/١٢٦٠ م) في الأغلب.

٢- كان أبو المطرفِ بنُ عميرةَ ناثراً وناظماً ومؤرخاً مؤلفاً صنَّفَ كتاباً عن
« كائنة ميورقة » (سقوط جزيرة ميورقة في أيدي الإسبان)، والكتاب مفقود. ويبدو
أنَّ له كتاباً آخرَ « التبيين في علم الكلام ». ويأتي شعره مطولاتٍ ومقطعاتٍ، وبعضُ
مطولاته أفضلُ من مقطعاته في البيتين والثلاثة تماماً قاله في عدد من الأغراض
العارضة وبنائها على توريَّاتٍ قليلة التوفيق. وفنون شعره المدحُ والغزل والشكوى
والإخوانيات (قصائدُ يتبادلها الشعراءُ كما يتبادل سائرُ الناسِ رسائلهم). ونثره
نوعان: نوعٌ شديدُ التكلفِ كثيرُ الإشاراتِ حتَّى يغضَّ على القارىءِ، ولو كان
متقناً، ثم نوعٌ عاديٌّ سهلٌ مرسلٌ ومطلقٌ من الصنعة.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو المطرفِ بنُ عميرةَ يتشوقُ إلى بلنسيةَ بمدَّ سقوطها ورحيلِ عنها:

(١) نوح الطيب: ٤: ٤٦٠.

ويندبُ عهداً بالمشقَّر فاللوى .
تغيرَ ذاك العهدُ بعدني وأهله .
وأقفرَ رسمَ الدارِ إلَّا بقيةً
فلم تبقَ إلَّا زفرةٌ إثر زفرةٍ ؛
وإلَّا اشتياقٌ لا يزالُ يهزني ،
أقول لساري البرق في جُح ليلةٍ
تعرضَ مُجتازاً فكان مُدكراً
ألا ليت شعري ، والأمايُ ضلَّةٌ ؛
هل النهرُ عقدٌ للجزيرةِ مثلها
وهل للصبا ذيلٌ عليه عجره
وتلك المغاني ، هل عليها طلاوةٌ
ملعبٌ أفراسِ الصبايةِ والصبا
وقبلي ذاك النهرِ كانت معاهدُ
بجيت بياضُ الصُّحِ أزرارُ جيبه

وإين اللوى منه وأين المشقَّر (١) ؛
ومن ذا على الأيام لا يتغير ؟
لسائلها عن مثلِ حالي تُخبرُ .
ضلوعي لها تنقذُ أو تنقَطُر (٢) ؛
فلا غايةً تدنو ولا هو يفترُ .
كلانا بها قد بات يبكي ويسهر (٣) ،
بعهدِ اللوى ؛ والشهيدُ بالشيءِ يُذكرُ .
وقولي : « ألا ياليت شعري » تحيرُ .
عهدنا ؟ وهل حصباؤه (بعدُ) جوهر (٤) ؟
فيزورُ عنه موجهُ التُّكسر (٥) .
بما راقَ منها أو بما رَقَّ تحرُّ ؟
تروحُ إليها تارة وتُبكرُ (٦) .
بها العيشُ مطلولُ الحميلةِ أخضر (٧) ،
تطيبُ وأردانُ النسمُ تُعطرُ (٨) .

- (١) اللوى: ما استدار من الرمل: المشقَّر: حصن في شرقي بلاد العرب (والشاعر يبكي بها عن وطنه جزيرة شقر).
(٢) تنقذُ: تنقطع. تنقَطُر: تتشقق.
(٣) الساري: السائر في الليل. المنح: الجزء من الليل. ساري البرق الذي يلمع ليلاً). كلانا بها (وي تلك الليلة) يبكي (أنا أبكي بدموعي، والبرق يقط في أثره المطر).
(٤) الجزيرة: جزيرة شقر. هل النهر عقد للجزيرة (يحيط بها). الحصبا: الحصى.
(٥) الصبا: ريح لطيفة تهب على شبه جزيرة العرب من جبال فارس مارةً فوق مياه خليج الصرة (والعرب يحبونها). والشعراء يذكرون الصبا ويمنون بها كل ربيع محبوبه. ازور: مال.
(٦) الصباية: الحب. الصبا: الشباب. تروح (في المساء) وتبكر (في الصباح): دائماً تهب عليها هذه الريح.
(٧) القبلة: الجهة. وتشمعل عادة للجهة الجنوبية لأن اتجاه المسلمين في صلاتهم انتقل في عهد الرسول من القدس (شمال المدينة) إلى الكعبة في مكة (جنوب المدينة).
(٨) الحبيب: مدخل القميص في العنق (أعلى الثوب)، والأردان أطراف الثوب (أدنى الثوب). الريح الطيبة تعطر أجواء جزيرة شقر.

ليالِ بماءِ الوردِ يَنْضَحُ ثوبُها
جَنَابٌ بأَعْلَاهُ بَهَارٌ وَنَرْجِسٌ:
كذالكِ إلى أنِ صَاحَ بالقومِ صَاحِحٌ
وَفَرَّقَهُمَ أَيْدِي سَبَا وَأَصَابَهُمَ
وَطِيبُ هَوَاهُ فِيهِ مِسْكٌ وَعَنْبِرٌ.
فَأَبْيَضُ مَقْتَرٌ الثَنَايَا وَأَصْفَرُ (١).
وَأَنْذَرُ بِالْبَيِّنِ الْمُتَّصِتِ مُنْذِرٌ (٢).
عَلَى غَيْرَةٍ مِنْهُمْ قَضَاءٌ مُقَدَّرٌ (٣).

- وقال أبو المطرف يمدح الأميرَ أبا زكريا يحيى بن عبد الواحد الحفصيَّ سلطان
تونسَ (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) قَبْلَ أن يَنْتَقِلَ أبو المطرفِ إلى تونس (وفي الأبيات التالية
كثير من الجِناسِ والطَّباقِ):

شَاقَهُ غِيبٌ الخِيَالِ الوَارِدِ
لَمْ يَكُنْ بَعْدَ السُّرَى مُتَمَتِّعٌ
مَلِكٌ لَوْلَا حُلَاهُ الفُرُ لَمْ
فَضَلُهُ مِثْلُ سَنَا الشَّمْسِ، وَهَلْ
قَهَرَ البَغْيَ بِجِدِّ صَادِعِ
إِنَّا آلُ أَبِي حَفْصٍ هُدَى
قَمَدُوا فَوْقَ النُّجُومِ الزُّهْرَ عَنِ
وَعَنِ الإِسْلَامِ ذَادُوا عِنْدَمَا
أَيُّ فَخْرٍ عُمَرِيُّ المُنْتَمَى
مَا الفَتْوحُ الفُرُ إِلَّا لَهُمُ
بَارِقَ هَاجَ غَرَامَ المَاجِدِ (٤).
فِيهِ لِلرَّائِي وَلَا لِلرَّائِدِ (٥)
يَجْرُ بِالحَمْدِ لِسَانُ الحَامِدِ.
لَسْنَا الشَّمْسُ يُرَى مِنْ جَاحِدٍ؟
مَا تَعَدَاهُ وَجَدَّ صَاعِدِ (٦).
لِلوَرَى مِنْ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدِ.
هَمٌّ نَبَهَنَ عَزَمَ القَاصِدِ.
قَلَّ طَوْلُ العَهْدِ غَرَبَ الذَائِدِ (٧).
وَرِثُوهُ مَا جَدًّا عَنِ مَا جَدِ (٨).
بَيْنَ مَاضٍ بَادِيٍّ أَوْ عَائِدِ.

- (١) جناب: جانب من الأرض. أعلاه (نلاله!). البهار: زهر الربيع (ويطلق عادة على الزهر الأصفر).
- (٢) صاح بالقوم صائح (يدعوهم إلى التفريق أو الهلاك). البين: الفراق.
- (٣) أيدي سبأ: في كل جهة. غرة: غفلة. قضاء (حكم) مقدر (محسوب، مكتوب على الناس).
- (٤) غيب: بعد. الخيال الوارد: الحلم (النمام). الهاجد: التائم الذي يصلي بالليل.
- (٥) السرى: السير في الليل.....
- (٦) الجد: الجهد (بضم الجيم). لعلها الحد (بالهاء المهملة). الصادع: الذي يصدع (يشق، يكسر). وصدع بالأمر: أعلنه. الجد (بالفتح): الخطأ.
- (٧) ذاد: دافع. الغرب: الحد (حد السيف). قل: ثم، شق، كثر.
- (٨) عمري المنتمى: يرجع إلى عمر (بن الخطاب).

في مُحَيَّا لآحِقِي من سابقٍ؛ وعلى المولودِ سِما الوالدِ.

- كان بينَ أبي المَطْرَفِ بنِ عَمِيرَةَ وأبي عبدِ الله مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الجَنَّانِ (توفي بعيدَ ٦٥٠ هـ) وأبي الحسنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدِ الرُّعَيْنِيِّ بنِ الفَخَّارِ (٥٩٢ - ٦٦٦ هـ) مراسلاتٌ. وكانوا جميعاً كثيري التكلِّفِ للصَّاعَةِ في رسائلهم مَعَ حَسَدِ الإشاراتِ المُختلفَةِ من أدبيَّةٍ وتاريخيَّةٍ وجغرافيَّةٍ. وبما أنَّ حرفَ النونِ موجودٌ في اسميَّ أبي الحسنِ الرُّعَيْنِيِّ وابنِ الجَنَّانِ، فقد كتبَ أبو المَطْرَفِ رسالةَ التزمِ في كلِّ كلمةٍ منها حرفَ النونِ نثراً ونظماً. من هذه الرسالة (الذيل والتكملة ٥: ٣٤٨ - ٣٤٩):

محاسنُ دُنْيَانَا تَبِينُ لناظِرٍ يُنْقَبُ عنها مُسْتَبِينَا لِقِينِهَا^(١)
نَجِيبُ الرُّعَيْنِيِّنَ مارنُ أنْفِها، وَنَدْبُ بني الجَنَّانِ إنسانُ عَيْنِها^(٢).

البيانُ أنواعٌ. وإنَّ ظنَّ أنَّ يمينه صَناعٌ، فَلِنَسْجِه ناسٌ نَرفِهم نَقْلاً وَعِيناً^(٣)، وَنَعْدَهُم زَماناً زَماناً. فَتَجِدُ مناقِلَهُم نايِبَةً وَنَسَبَهُم مُتَدانِيَةً وَمَنازِعَهُم عنِ الإحسانِ وائِيَّة^(٤): معانٍ عُونٌ وَغِيظانٌ وَحُزُونٌ، وَنُكْتٌ تَنَدُرُ وَتَبْدُّ عِيونَ النَقْدِ حَموها تَنظُر^(٥). وإِنَّا الصَّاعَةُ لناظِمِي جَمانِها وَمُتَناوِلِي عِبانِها^(٦) اللذينِ يُتَوَعانِ الإنشاءِ وَيَصَعانِ أُمَكَّةَ النَّقْبِ الهِفاءِ^(٧)..... إنَّ نَظْماً أَنَسِياناً فَنَدَّ زَمانٌ وَنابِغَةٌ بني دُبيانَ وابنِ الحَسَنِ عِنْدَ بني حَمدانَ وَحُدُجانَ وَنَسِيبَهُ بالحِسانِ، وابنِ القَينِ وَنَصبِهِ من

(١) - محاسن الدنيا لا تبين (لا تظهر) إلا للناظر المتأمل الذي ينقب (يبلغ في البحث). عينا (هنا): حقيقته، وجودها المادّي.

(٢) الحبيب: الفاضل على مثله. الرعينيون: بو رعب (أفضل بوي رعب). المارن: أعنى الأنف (كتابة عن الرفعة والشرف). الندب: التحجب. إنسان العين: البؤبؤ (كتابة عن أفضل الأشياء).

(٣) الصاع: الماهر، البارع. نقلاً (ساعاً عنهم) وعينا (مشاهدة لهم).

(٤) المنقل (بالفتح): الطريق المختصر. المنقلة (بالفتح): أرض ذات حجارة. نايبة (من نأ أو من نوا): مرتفعة أو غير مسوية. مناقلهم نايبة (٣). وائية: ضميعة، مفصرة.

(٥) عون (جمع عون): (هنا) مكرورة، معادة. العوط والغبط (بالفتح فيها): أرض واسعة محمصة لينة. الحزن (بالفتح): أرض صلبة يصب فيها السير. السكنة: الفكركه الطريفة اللطيفة. البيدة (بالضمة أو بالفتح): القطعة (المسبوذة: الغليلة القيسة).

(٦) الهمانية (بالضمة): اللؤلؤة الكبيرة. العان: رسن الدائة.

(٧) النقة (بالضمة): المرح أو التفرة (بالضمة) من أثر الحرب الهاء: الفطران (صمان الأمور مواضعها).

الإحسان^(١). وإن نثرًا فَمَنْ ساكنٌ أرْجَانٍ ونائب ديوان الإنشاء ببغداد^(٢) وأصنافٌ كان من شأنهم وكان؟ ميمناً بالرحمن والمثاني والقرآن والنور والسكينة والسياسة ومكانه من المدينة^(٣)، إنها لَلْبَيْتَا بناء البيان وأنجبُ أبناء الزمان^(٤)؛ نزلاً منزل الفرزدقين وتناولاً أنواع المناقب باليدَيْن^(٥). فمن نزاهة تطامح كيوان ونوال يُنسي معن بني شيبان^(٦).

- لما استولى الإسبان على بلنسية عَظَمَ الرُّزْءُ على المسلمين، فكتب أبو المطرف إلى الشيخ أبي جعفر بن أُمَيَّةَ (نفع الطيب ١ : ٣٠٥ - ٣٠٨):

ألا أيها القلبُ المُصرِّحُ بالوَجْدِ، أما لك من بادي الصَّبايةِ من بُدِّ^(٧)؟
وهل من سُلُوِّ يُرْجَى لِمِيمٍ له لَوَعَةُ الصادي ورَوْعَةُ ذي الصَّدِّ^(٨)؟
يَحِنُّ إلى نجد. وهيهات! حرَّمت صروفُ الليالي أن يعود إلى نجد^(٩).
أمن بعد رزءٍ في بَلَنَسِيَّةِ ثَوِي بأخنائنا كالنارِ مُضْمَرَةَ الوَقْدِ^(١٠)،
يُرْجَى أناسٌ جَنَّةً من مصائب تُطاعنُ فيهم بالثَّقَفَةِ المُلْدِ^(١١)؟

- (١) الفد الزماني والثابطة الذيباني والحدججان (حدج: امرؤ القيس) شعراء جاهليون. ابن الحسين (التستبي). بنو حمدان (قوم سيف الدولة). ابن القين (الحداد) يقصد به الفرزدق، لأن حريراً كان يعبر الفرزدق بأنه من قوم حدادس (أي مديين).
- (٢) بغداد = بعداد. ساكن أرْجَانٍ ونائب ديوان بغداد (٤٤).
- (٣) المناقب: الآيات (تثنى: تقرأ تاسع وثالث، إلح، تكرر)، النور والسكينة معروفان والمقصود منها (هنا) غامض.
- (٤) اللبنة: قطعة من الطين المطبوخ أو من الحجر تجعل في بناء الجدران.
- (٥) الفرقدان: النجم القطبي (وهو نجم مزدوج). المنقبة: الفعل الكرم والمفخرة.
- (٦) كيوان: كوكب زحل. معن بني شيبان هو معن بن زائدة (ت ١٥١ هـ) من الفصحاء والشجعان والكرماء.
- (٧) الوحد والصباية: الحب.
- (٨) الميم الذي ييمه (أرضه) الحب. اللوعة: التألم. الصادي: العيطان (المتشاق إلى المحبوب) الروعة: الهبة. ذو الصد: المائل عن بریده (المحبوب).
- (٩) نجد (الأرض المرتفعة): مقاطعة في شمالي شبه جزيرة العرب (كتاية عن جزيرة شقر).
- (١٠) أحنأنا: ضلوعنا (في قلوبنا).
- (١١) جنة (بالضم): حياة. ستر. التثقف: الريح. الأملد: الناعم اللين من العصون (يقصد الريح المستقيم الذي ينحني ولا ينكسر).

وهل أذنبَ الأبناءَ ذنبَ أبيهم فصاروا إلى الإخراج من جنة الخلد^(١)؟
 مَرَجِباً بالسحابة^(٢) وما أعارتُ أُنْفِي من الوضاعة، وورَدَت سحرُ النُّهى.
 وتسحبُ ذَيْلاً على السُّهى^(٣)..... بلاغةٌ تفتنُ كلَّ لبيبٍ وترعى رَوْضَ كلِّ أديبٍ
 وتفضُّ على رُغمِ العدوِّ من حبيبٍ^(٤)..... وأجريتَ خَيْرَ الحادثةِ التي محقتَ بدرَ
 التَّامِ وذهبتَ بنِضارةِ الأيامِ. فيا مَنْ حَضَرَ يَوْمَ الطَّشَةِ وعزِّي في أنسه بعد تلك
 الوحشة، أحقُّ أنه دكَّتِ الأرضُ ونزَفَ المَعينُ والبُرْضُ وصَوَّحَ^(٥) رَوْضَ المُنَى وصرَّحَ
 الحنطِبُ وما كنى؟ أين لي كيف فُقِدَت رِجاحةُ الأحلامِ وعُقِدَت مَناحةُ الإسلامِ.....
 أحلمُ ما نرى؟ بل ما رأى ذاك حالمٌ: طوفانٌ يُقالُ عنده: لا عاصم^(٦)! مَنْ يُنصِفُنَا
 من الزمانِ الظالمِ؟ اللهُ بما يلقى الفؤادُ عالمٌ.

- وقال في تاريخ جزيرة ميبرقة: استيلاء الإسبان عليها (نفع الطيب ٤ :
 ٤٦٩ - ٤٧٠) - وقوله هنا من النثر المرسل.

إنَّ سَبَبَ أخذِها من المسلمين أن أميرها في ذلك الوقت محمد بن علي بن موسى
 كان في الدولة الماضية أحد أعوانها، وولَّيها سنة سِتِّ وسِتِّمِائَةٍ، واحتاج إلى الخشب
 المجلوب من يابسة^(٧). فأنفذ طريدةً بحريةً وقطعةً بحريةً^(٨). فعلم به والي طرطوشة
 فجهز إليها من أخذها. فعظَّم ذلك على واليها وحدث نفسه بالغزو لبلاد الروم^(٩).

(١) ذنب أبيهم (آدم).

(٢) السحابة: الغيمة، السحابة (!). سحب ذيلًا (تفتخر).

(٣) السها والسهى: نجم خفي (لبعده وعلوه).

(٤) غضن منه: حظ من قدره. حبيب (أبو تمام الشاعر).

(٥) أجريت خير الحادثة (ذكرت سقوط بلنسية). محقت بدر التام (ذهبت بنوره، أعادته مطلقاً). دكَّت
 الأرض دكًا: تهدمت، سقط كل ما عليها. نزف: فني، نفذ. المعين: الماء الكثير الجاري. البرض:
 البشر القليلة الماء. صوّح: بيس.

(٦) لا عاصم: لا مانع، لا حام. (ليس ثمة شيء يمنع المصيبة).

(٧) يابسة: جزيرة صغيرة في أرخبيل البلبار (شرق الأندلس).

(٨) طريدة (بدو أنها قطعة بحرية).

(٩) طرطوشة: في شمال شرقي جزيرة الأندلس (في منتصف المسافة بين بلنسية ومرسلونة). والي طرطوشة
 الإسباني. بلاد الروم (إسبانية التي كان يحكمها النصارى - والعرب كانوا، في الأندلس، يطلقون اسم
 الروم على كل طوائف النصارى).

وكان ذلك رأياً مشؤوماً. ووقع بينه وبين الروم * . وفي آخر ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بلغه أن سطحا من برشلونة^(١) ظهر على يابسة و (أن) مركباً آخر من طرطوشة انضم إليه. فبعث وكده في عِدَّةٍ قِطْعٍ إليه حتى نزل مَرَسِي يَابِسَةَ. ووجد فيه لأهل جَنَوَةَ^(٢) مركباً كبيراً، فأخذه وسار حتى أشرف على المُسَطِّحِ فقَاتله وأخذه. وظنَّ أَنَّهُ غالبُ الملوكِ، وغاب عنه أَنَّهُ أَشأمُ من عاقِرِ الناقَةِ^(٣). وإن الرومَ، لَمَّا بَلَغَهُمُ الخَبْرُ، قالوا لِمَلِكِهِمْ وهو من ذُرِّيَةِ أَذْفُونَش^(٤): كيف يَرْضَى المَلِكُ بهذا الأمرِ ونحن نقاتلُ بنفوسِنَا وأموالِنَا؟^(٥)....

٤- ** أبو المطرف أحمد بن عميرة الخزومي: حياته وآثاره، تأليف محمد بن شريفة، الرباط (جامعة محمد الخامس) ١٩٦٥ م.

المغرب ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ الوافي بالوفيات ٧: ١٣٣-١٣٥؛ الفتح المعلق ٤٢-٥٢؛ تحفة القادم ١٤٥-١٥٠؛ الذيل والتكملة ١: ١٥٠-١٨٠ (رقم ٢٣١)؛ أعمال الأعلام ٢٧٣-٢٧٤؛ الإحاطة ١: ١٧٩-١٨٦؛ الديباج المذهب ٤٦-٤٧؛ جذوة الاقتباس ١٧٢؛ عنوان الدراية ٢٥٠-٢٥٣؛ بنية الوعاة ١٣٧-١٣٨؛ نفع الطيب ١: ٣٠٥-٣١٧، ٣: ١٤٥-١٤٧، ٤٨٧-٤٨٨، ٤: ٤٦٩-٤٧١، ٤٩٠-٤٩٦، ٥٠٦-٥٠٧، ٢٤٦: ٦، ٥٠٧؛ وما بعد؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٠٤-٧٠٨؛ بروكلمن ١: ٣٨١، الملحق ١: ٥٤٦؛ الأعلام للزركلي ١: ١٥٢-١٥٣ (١٥٩)؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٠-١٩٤.

ابن عربيّة^(٦)

١- هو أبو عمرو عُثْمَانُ بنُ عَتِيقِ بنِ عُمَانَ القَيْسِيُّ المعروفُ بِأَبْنِ عَرَبِيَّةٍ وُلِدَ في

- (١) مسطح: يبدو أنه نوع من المراكب. برشلونة: مرفأ كبير مهم في شالي شرقي جزيرة الأندلس.
- (٢) جنوة: مرفأ في أقصى الشمال الغربي من شبه جزيرة إيطاليا. * (كدا).
- (٣) قالوا اسمه: فدار (بالضم)، عقر (ذبح) الناقة التي أرسلها الله اختباراً لقبيلة ثمود قوم النبي صالح، فنصب الله على ثمود وهدم بلادهم.
- (٤) الأذفونش في الأصل اسم علم على شخص (كان في إسبانية عدد من الملوك يحملون هذا الاسم). ثم أصبح هذا الاسم كاللقب للملوك الإسبانية النصارى، كما كان كسرى لقباً للملوك الفرس وقيصراً لقباً للملوك الروم والرومان.
- (٥) وهذه الرسالة تسمة تصف تست آراء المسلمين وتحاذلهم في القرن الأخير من حياتهم في الأندلس.
- (٦) يرد هذا الاسم: عربية (بفتح ففتح) عربّية (بتقديم الباء وبالفتح). وقد اخترت القراءة الأولى.

المهديّة، سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣-١٢٠٤ م)، ونشأ بها. ثمّ إنّه انتقل إلى تونس الحاضرة وأتصل بأبي زكريا يحيى بن عبد الواحد (٦٢٦-٦٤٧ هـ) فولاه القضاء في تبرسق. وكانت وفاته في تبرسق، ٢٨ المحرم ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م).

٢- كان ابن عَرَبِيَّةَ عالماً بالحديث وبالفقه وبعديد من فنون الأدب، غير أنّ شهرته كانت في الشعر. وهو شاعرٌ مُجيد يُقلدُ المِشَارِقَةَ مِنَ الإِسْلَامِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ (الأمويين والعباسيين). وأغراضه وجدانيّةٌ في النسيب والعتاب والوصف. وربّما تكلف استعمال الغريب من الألفاظ. وهو من الذين خصّوا القصيدة الشراطيسية لعبد الله بن يحيى الشراطيسي (ت ٤٦٦ هـ) في مدح الرسول. ثمّ هو مُصنّفٌ له: جوامعُ الكَلِمِ النَّوِيَّةِ - آثارُ السَّحَابَةِ فِي شِعْرَاءِ الصَّحَابَةِ - قصائدُ المِدْحِ ومصانيدُ المِنْحِ (وهي ديوانه). ثمّ له عدد من الكتب في الحديث والفقه.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن عريبة في النسيب والعتاب:

ألا، فَرَعَسَى اللهُ الحِمَى ونَسِمَهُ، وإن جَلَّ ما ألقاه من ساكني الحِمَى^(١)،
 وَيَتَمَكُّ، يا أهلَ نَجْدٍ. فإِنِّي أراكم تَلومونَ المَشوقَ المَتَمِّيا^(٢).
 هَجَعْتُمْ. وَمَن لي بِالهُجوعِ؟ فَرُبِّما أَلَمَ بِهِ مِنْكُمْ خَيالٌ فَسَلِّيا^(٣).
 أَيطِرُقُ جَفْنَبا بَاتَ مِني ساهراً وَيَتَرُكُ أَجفاناً لِمِ بَتْنِ نوما^(٤)؟
 ولَمّا اسْتَطارَ البرقُ قُلْتُ لصاحبي: أَقْلِي هَفا أُمُ نَفَرُهُ قَد تَبَسَّيا^(٥)؟
 أَعارَ وَمِيضَ البرقِ حُسْنَ اِبْتِسامِهِ وماذا عليه لو أعارَ له اللَّمى^(٦)؟

(١) جَلَّ: عظم، كثر، اشتدَّ. ما ألقاه (من العذاب في البعد عن محبوبي في الحِمَى).

(٢) نَيْمُ الحَبِّ الرَجُل: اشتدَّ عليه فأمرضه.

(٣) أَلَمَ (مَرَّ، زار) به (فيه: في المَجْعوع، الإِغْماء، النَوْم). في الأَصْل «سَلِّيا» (ولا وجه لها). أقرأ: فَسَلِّيا.

(٤) طَرِقَ: زار ليلًا. - أنا سهران لا أرى حبيبي في مومي (ولا في البيضة - بفتح ففتح). وأنتم تنامون

ملى جفونكم، ولكن لا ترونه في ماسمكم (لأنكم لا تفكرون به ولا تعرفون مكانته ولا تدركون جهاله).

(٥) اسْتَطارَ: انتشر. أقرب المعاني للفعل «هفا» هنا: حَسَّ. اشتاق.

(٦) اللَّمى: السمرة في الشفاء.

أَوِ الْبِرَّةِ الْعَذَبَ الَّذِي لَنْ تُذِيهَ حرارةُ أنفاسِ امرئٍ قَبْلَ الْمَاءِ^(١)؟
تَعْلَمُ مِنْهُ حُلْبُ الْبَرِقِ خُلْفَهُ؛ فَمِنْ أَيِّمَا بَرِّقٍ تَرَاهُ تَعْلَمُ^(٢)؟
- وَقَالَ فِي الْحَنِينِ إِلَى الْوَطَنِ (وَقَدْ تَكَلَّفَ فِيهِ الْغَرِيبَ مِنَ الْأَلْفَاظِ):
أَقُولُ لِرُكْسِبِ قَافِلِي مِنْ مُعَرَّسٍ بِحِمَّةٍ، تَرْدِي بِالْحَمُولِ مَشَاجِحُهُ^(٣)؛
لَكَ اللَّهُ، أَمْتِعْنَا عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي أَكْبَرُهُ أَسْلَافُنَا وَأَبَاجِسُهُ^(٤)؛
وَعَنْ وَطَنِ، لَوْلَا الْعُلَى وَطَلَابُهَا لَعَزَّ عَلَى مَمَوَايَ أَنِّي خَارِجُهُ^(٥)؛
وَعَنْ رَسْمِ إِيوَانٍ تَدَاعَتْ عِرَاصُهُ وَدَكَّتْ حَنَائِيهَا وَخَرَّتْ مَعَارِجُهُ^(٦)؛
وَمَا صَنَعَ الْقَصَّةُ الْعُبَيْدِيُّ وَالْحِمَى وَسُورُ الْمَصْلَى وَالْكَنْثِيبُ وَعَالِجُهُ^(٧)؟

- (١) البرد: قطرات الماء التي تجمد بعد سقوطها من السحاب (كتابة عن أسنان المحبوب).
(٢) البرق الخلب (الذي يبرق ويرعد ثم ينشع غيبه من غير أن يعطر). الخلف (بالضم): إخلاف الوعد. - هذا المحبوب تعلم قلة الوفاء بالوعد من هذا البرق الذي يراه في سائنا، فمن أي برق أخذ لون أسنانه البيض وعذوبة ريقه؟
(٣) الركب جماعة (على إبل) في سفر. قافل: واهج. المرعى: المكان الذي ينزل فيه المسافرون في أثناء سفرهم ثم يتابعون السفر بعد ذلك. الحمة: مكان يجتمع فيه ماء كثير. وجة (هنا) بلد (في تونس؟). تردى الخيل: تضرب الأرض بجوارفها صرماً من سرعة جريها. الحمول جمع حمل (بالفتح): الهودج على الجمل (شبه بيت تركب فيه النساء). مشاحج (٤). المشحج (بالكسر): الفراغ. - لعله يقصد البغال التي تحمل النساء والأحمال.
(٤) أمتنا: حديثنا حديثاً متمماً (يسرنا). الأبالج (٥) - الأبلج: الأبيض، الجميل، الكريم الأصل، الجواد، وجمعها بلج (بالضم).
(٥) خارجه: خارج منه (بعيد عنه). - خارج: خير «إن» وليست «ظرفاً متعلقاً بالخبر المحدوف (٤).
(٦) الرسم: أثر البناء بعد زواله. الإيوان: البناء العظيم لمجلس الملك. تداعى: تهدم. العرصة (بالفتح): المكان الواسع بين البيوت لا بناء فيه (والاستعمال هنا خطأ).
دك (بالبناء للمجهول) القصر: هدم كيلة. الحنية: القنطرة المعقودة. خر: سقط. المراج (بالكسر): المصعد (بالفتح): الطريق. يعصد فيها السائر. والشاعر يقصد بالمعارج السلال جمع سل (بضم ثم لام شدة مفتوحة).
(٧) القصر العبيدي: القصر الذي كان ينزل فيه أئمة العبيديين (الفاطميين) في المهديدة (في الفطر التونسي). الحمى (المكان الهروس: مسكن النساء، والقلمة). الكنثيب: الرمل المستطيل المحدوف. عالج: الرمل المتداخل المتراب. لعل الشاعر يعصد بالكثيب وعالج مكانين نلزته (راجع البيت التالي).

وشاطئُهُ أنى تنوع حُسْنُهُ، وخضرمه أتى تدقَع مائجه (١)
سلام على المهديتين ففيهما أب بنت عنه قاصر الخطو هادجه (٢).

٤- ** رحلة التجاني ٣٧٥-٣٨٠: مجل تاريخ الأدب التونسي ١٩٧-١٩٩، الأعلام للزركلي ٤: ٣٧١ (٢٠٩).

أحمد الللياني

١- هو أبو العباس أحمد بن إبراهيم الللياني - نسبة إلى لليانة قرب المهديّة، في القطر التونسي - انتقل به أبوه إلى تونس الحاضرة (العاصمة)، وفيها لازم الإمام أبا زكريا البرقي.

تولى أحمد الللياني عدداً من أعمال الدولة في أيام المستنصر الأول (٦٤٧-٦٧٥ هـ). وكانت له في الوقت نفسه صلات تجارية بفرنسة وإيطالية فجمع من ذلك ثروة كبيرة كانت سبباً لحسده عليها ثم مصادرتها. ولم يشف ذلك غلّ السلطان له فقتله بعد ذلك في المحرم من سنة ٦٥٩ (في آخر شهر ١٢٦٠ م).

٢- كان أحمد الللياني فقيهاً وشاعراً مشرقياً الديباجة مشرقياً الأغراض متين السبك صحيح التعبير. وفنون شعره الغزل والعتاب. وداليته التي تأتي في «مختارات من شعره» تذكرنا باليتيمة: «هل بالطلول لسائل ردُّ؟» (راجع ٢: ١٩٧).

٣- مختارات من شعره

- كان أحمد الللياني بعيد الطموح يُحدّث نفسه بأمر كثيرة (بالوصول إلى السطة مثلاً). وفي مثل ذلك يقول:

(١) أتى: كيف. المحصر: البحر العظيم.
(٢) المهديتين: ... (٢) المهديّة: بلد في منتصف الساحل الترفي من القطر التونسي. بنت عنه: استعدت (من بان بين). قاصر الخطو (صعب عاجر عن المسى). الهادج: الذي يسى بصعونه أو بارعاش

في أم رأسي حديثٌ
لسمع ليس يُبصر^(١).
فإن تطاولَ عمري
وساعدَ الجدُّ يظهر^(٢).
أرى جُوعاً صحاحاً،
ومذهبي أن تُكسر^(٣).
- وله في الغزل:

شادنٌ في القلب مرتعاً
خصّه بالحسن مُبدعاً^(٤).
لامني فيه أخو سَفِيهِ
بكلامٍ لست أسمعهُ^(٥).
ردّ لي قلبي لِتَعَذُّلِهِ،
فهو في كَفَيْهِ أجمهُ^(٦).
هل يرى دهرٌ يجرُّ به
بعد ما قد كان يمنعه.
وشقيقي النفس يُتَعَفُّني
بحديثِ جَلِّ موقِعِهِ^(٧).
لفظُهُ دُرٌّ يساقطُهُ،
وبناني السمعُ يجمعه^(٨).
- وقال أحدُ اللّليانيّ في العتاب:

هذي العذيبُ، وهذه نجدُ!
أين الذي يقضي به الوجدُ^(٩)؟

- (١) أم الرأس: الدماغ. لسمع ليس يبصر (بمع كلامي ولكن لا يتبين معناه ولا يدرك ما يخفيه له المستقل).
- (٢) الجدُّ (بالفتح): الخطّ.
- (٣) في البيت نوريتان. الجمع الصحيح (جمع الأسماء جمعاً مذكراً سالماً أو مؤنثاً سالماً ثم، جماعات من الناس: أهل الدولة مثلاً). تكسير الجمع من الكلام جمعه على غير نسق معلوم: جمع تائر تائرون (جمعاً سالماً) وتوّار (جمع تكسير). وتكسير الجمع (من الناس) تفريقه.
- (٤) الشادن: الغزال الصغير (الحيوب). في الأصل: خصّه في الحسن أبدعه. المبدع: الخالق (الله).
- (٥) السفه: النقص في العقل.
- (٦) عذل: لام. - إذا أردت أن أسمع نوتك في حبيبي حتى أهجره فاعمل أولاً على أن تردّ إليّ قلبي الذي هو أسير في يدي محبوبي.
- (٧) شقيق النفس: الذي هو عندك بمنزلة نفسك، (روحك، حيائك). الحيوب. جلّ موقعه: عظم وقمه (تأثيره في نفسي).
- (٨) - كلام محبوبي درّ (جوهر، لؤلؤ) يلقي به وهو يتكلّم، وأنا أصغي إليه بانتباه كأنّي ألتقط اللؤلؤ بيناني (أطراف أصابعي) من الأرض.
- (٩) العذيب: نبع ماء (وماؤه قليل ولكن حلوا) قرب ينبع (نهر المدينة المنورة). هذي العذيب..... هاهي قريبة منّي. الوجد: الحبّ. الذي يقضي به الوجد أن يزور الحبّ أرض حبيبه.

ما هكذا حال المُجِبِّ إذا
 سَرَّحَ دُمُوعَ العَيْنِ مُتَبَدِّراً
 وَأَثِمَ عَلَى شَقَفِ موَاطِنُهُمْ،
 لم أَنَسَ يَوْمَ ودَاعِيَهُمْ سَحَرَاءَ،
 فَمَسَى اللِّقَاءَ يَكُونُ مُقْتَرِنَاءً
 ولعلَّ ما نرجو تَجُودُ بِهِ
 أَعْلَامُ رَبِّعِ حَبِيبِهِ تَبْدُوا^(١)
 وبِذِكْرِ مَاضِي عَهْدِهِمْ فَأَشْدُّ^(٢)
 إن عَاقَ عن مَقْصُودِكَ البُعْدِ.
 والدمعُ أَنَسَمُ دُرَّةَ العِقْدِ^(٣)
 إن أَنَجَدْتُ كَلْفًا بِهِ نَجْدُ^(٤)
 كَفُّ الزَّمَانِ وَيُسَعِدُ الجَدَّ^(٥)

٤- ** - مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٥-١٩٧؛ عنوان الأريب ١: ٧٣-٧٤.

أبو بكر بن سيّد الناس

١- هو أبو بكر محمد بن الفقيه أبي العبّاس أحد (٥٦١-٦١٨ هـ) بن عبد الله (٥١١-٥٩١ هـ) بن محمد بن يحيى بن محمد^(١) بن سيّد الناس البعمرى الإشبيلي، أصله من منبج قرب حلب (في الشام)، وأصل أهله الأقربين من أبنة من عمّل جيان.
 يذكر أبو بكر بن سيّد الناس عن نفسه أنّه وُلِدَ لِعَتْرِ لِيَالٍ بَقِيَتْ من شهر أكتوبر الأعجمي في صدر سنة سبع وتسعين^(٢). فعلى هذا يكون مولده في عاشر المحرم من سنة ٥٩٧ (٢١/١٠/١٢٠٠ م)، في الحجيرة من قرى إشبيلية، وبدأ تلقي العلم على

(١) الأعلام: الجبال، الأماكن العالية البارزة. الربع: المسكن. - لا يفعل أحد مثل فعل: يرى أرض حبيبه ثم لا يذهب إليها.

(٢) ابتدرت العين: سال دمعها. البندر (الذي يهكي كثيراً^(٣)). شدا: غشى - كان ماضي عهدي معهم سيّداً.

(٣) ألم دره المقد: انقطع سلكه وتفرقت حيات لؤلؤه (كتابة عن كثرة مكانه).

(٤) أجدت: ساعدت (نجد على إتاحة الفرصة لربارتها).... مقرباً (!).

(٥) الجدّ (بالفتح): الخطّ.

(٦) ساق الرواة نسب أبي بكر بن سيّد الناس سيافة أطول. مع شيء من الاختلاف (راجع «عنوان الدراية» و«الذيل والتكملة».

(٧) سنة سبع وتسعين وخمسة. أكتوبر المعجمي (تشرين الأوّل) والشهر العاشر من السنة الشمسيّة في الحساب الحديث.

أبيه ولازمه خمس عشرة سنة، وعلى جدته لأبيه أم العفاف نزهة بنت سليمان اللخمي ولازمها ست سنوات ونصف سنة. ثم يذكرُ نقرأ كثيرين من الذين قال إنه تلقى العلم عليهم، منهم: أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر السلمي (ت ٦٠٣ هـ) وأبو ذر مضمب بن محمد الحنفي (ت ٦٠٤ هـ) وأبو الحسن بن خروف النحوي (ت ٦٠٩ هـ) وابن جبير الرحالة (ت ٦١٤ هـ) وأبو القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي (ت ٦١٩ هـ) وغيرهم كثيرين، حتى قال ابن عبد الملك المراكشي (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٧): «وشيوخه كثيرون يتعذر إحصاؤهم ويدعو إلى السأم استقصاؤهم»، مع أنه قد سرد من أسانهم ما ملأ أربع صفحات (٥: ٦٥٤-٦٥٨). ويبدو أن ابن سيد الناس كان مبالغاً في عدد الذين تلقى عليهم العلم وفي العلم الذي تلقاه أيضاً، حتى (الذيل والتكملة: ٥: ٦٥٨) «أنكر كثير من الناس عليه ذلك ونسبوه إلى ادعائه ما لم يروه (من العلم) ولقاء من لم يلقه (من الشيوخ) على الوجه الذي زعمه».

وأكتب أبو بكر بن سيد الناس (أي جعل الناس يكتبون عنه ما يلقي من فروع العلم) بحضن القصر (قرب إشبيلية) مدة - وفي الإكتاب أذهب معظم عمره في الأندلس - ثم فصل عنها وأكتب القرآن في قرية خاملة من قرى شريش (من أقصى الجنوب الغربي من الأندلس) تدعى بونينة. ثم فصل (نرح) من بونينة، بعد سنة ٦٤٠ للهجرة، إلى سبتة (في أقصى الشمال من المغرب، على البحر المتوسط)، بعدئذ انتقل إلى بجاية (في القطر الجزائري اليوم) فتولى الإمامة والخطابة بجامعها.

وفي حدود سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦ م)، دعاه المستنصر^(١) الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) إلى تونس الحاضرة وولاه الإمامة والخطبة بجامعه. وقد كانت وفاته بمحاضرة تونس، في جهادي الأخيرة^(٢) من سنة ٦٥٩ للهجرة

(١) في عنوان الدراية المنتصر (ص ٢٤٧) مرتين. وفي الحاشية: تحطنته لئيل الابتهاج لأنه قال المنتصر (راجع نيل الابتهاج ٢٢٩). وفي «خلاصة تاريخ تونس» لحسن حسني عبد الوهاب «المنتصر» (ص ١٠٨-١٠٩) أربع مرات، وفي الصفحة ١٢٥ «المنتصر». وفي زامباور (ص ١١٥): «المنتصر» وفي الحاشية المنتصر.

(٢) في «عنوان الدراية» (ص ٢٤٩): وكانت وفاته يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين جادى الآخرة، سنة سبع =

(١٢٦١ للميلاد). وَلَحِقَهُ قُبَيْلَ مَوْتِهِ مَرَضٌ فِي عَيْنَيْهِ (راجع نفع الطيب ٤ : ١١٠).

٢- كان أبو بكر بنُ سَيِّدِ النَّاسِ بارِعاً في القراءات حافظاً للحديث عارفاً برجاله وبأسانئهم وتاريخ وفتايتهم ومبلغ أعمارهم. وكان يقوم على البخاري^(١) قياماً حسناً. وكان إذا قرأ الحديث يُسَنِّدُهُ (إلى رواته) حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ إِذَا أَنْتَهَى الْإِسْنَادُ (رُجُوعاً إِلَى الرَّسُولِ) عَادَ إِلَى ذِكْرِ رِجَالِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ وَاحِداً وَاحِداً يُعَرِّفُهُمْ نَسَباً وَأَسْبَاباً وَصِفَةً (حَتَّى يَنْتَهِيَ نُزُولاً) إِلَى شَيْخِهِ..... ثُمَّ يَذْكُرُ لُغَةَ الْحَدِيثِ وَفِقْهَهُ وَالْخِلَافَ الْعَالِيَّ^(٢) وَدِقَاتِهِ وَرِقَائِقَهُ وَالْمُسْتَفَادَ مِنْهُ (راجع عنوان الدراية ٢٤٦-٢٤٧ ونيل الابتهاج ٢٢٩).
ثُمَّ هُوَ خَطِيبٌ وَلُغَوِيٌّ وَتَارِيخِيٌّ وَشَاعِرٌ.

وقيل في أبي بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ (الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٨ - ٦٥٩): « وَتَصَدَّى لِإِسْبَاعِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مُتَظَاهِراً بِسَمَةِ الرَّوَايَةِ وَالْإِكْثَارِ عَنْ^(٣) الشيوخ... فَأَنْكَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ ذَلِكَ.... وَعَلَى الْجُمْلَةِ، فَقَدْ كَانَ قَاصِراً عَمَّا تَعَاطَاهُ مِنْ ذَلِكَ شَدِيدَ التَّجَاسُرِ عَلَيْهِ، مُتَأَيِّداً بِمَا نَالَهُ مِنَ الْجَاهِ وَالْحُطُوتِ عِنْدَ الْأَمِيرِ بَنُوْنَ^(٤) ».

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو بكر بن سَيِّدِ النَّاسِ يَتَشَوَّقُ إِلَى زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ (الكعبة المشرفة في مكة):

أيا سائراً نحو الحِجَازِ، وَقَصْدُهُ إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، بِلَاغٍ^(١).
وَمِنْهُ إِلَى قَبْرِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ يَكُونُ لَهُ بِالرَّوَضَتَيْنِ مَرَاعٌ^(٥).

= وخسين وستائة. وفي «الذيل والتكملة» ٨ أو ٧ جادى الثانية، وفي «نيل الابتهاج»: ثالث عشر جادى الأخيرة ٦٥٧. توفي بنون في رجب (شدرات الذهب (٥ : ٢٩٩).

(١) كتاب «الجامع الصحيح» (في أحاديث رسول الله) لعماد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ).

(٢) الخلاف العالي = الخلاف في الأحاديث العوالي التي يروها أفراد معاصرون للرسول (٥).

(٣) مدعياً أنه تلقى العلم على شيوخ كثيرين.

(٤) قصده (نيتته) بلاغ (تبلغه مراده وتوجب له الأجر وإن لم يصل) (٥). أو أرجو أن تبلغ سلامي.

(٥) الروضة الشريفة (مكان قبر الرسول). المراع والمراعة: المكان الذي يتمرع فيه الشخص (يتقلب على التراب ليحك جسمه بالأرض أو للتدليل أو للباس، إلخ).

فأدفع عن قَصْدِي له وأراع^(١). فَمَا أَسَقَا، كَمْ قَدْ تَمَنَيْتُ قَصْدَهُ
 جَمِيعٌ، وَعِنْدِي ثَرْوَةٌ وَفَرَاغٌ^(٢). وَقَصَّرَ بِي جَدِّي، إِذِ الْأَمْرُ فِي يَدِي
 وَكَلَّلَ رَأْسِي مِنْ حَلَاةِ صِبَاغٍ^(٣). (وَذَا) الْآنَ قَدْ حَطَّ الشَّيْبُ بِمَفْرَقِي،
 ذُنُوبٌ لَهَا عِنْدَ الْفِرَاقِ مَصَاغٌ^(٤) (٥). أَعْلَلُ نَفْسِي بِالنَّسَى، وَتَصُدَّنِي
 فَيَنْضَحُ مِنْ شَيْبِ الذَّنُوبِ رِدَاغٌ^(٥). عَسَى تَوْبَةٌ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَرُزُورَةٌ
 أَحَادِيثُ صِدْقٍ تُجْتَلَى وَتُصَاغٌ^(٦). وَأَلْقَى شُيُوحًا يُؤَسُّ الْمَرْءُ مِنْهُمْ

- ومن رسالة بخط أبي بكر بن سيد الناس يقول فيها (الذليل والتكلمة ٥ :

: (٦٥٩ - ٦٦١):

أَمَا أَوْلْنَا فَمِنْ مَنِيحِ الشَّامِ . وَخَرَجَ سَلْفُنَا عُرَاةً فِي طَالِعَةِ بَلَجٍ^(٧) وَاسْتَوَطَنُوا أَبْدَةَ
 جَبَانَ - وَيَقَالُ إِنَّهَا شَبِيهُةٌ بِيَدِيهِمْ فِي خِيصْبِهَا وَأَسَاعِ خَيْرِهَا - كَذَا رَأَيْتُهُمْ وَسَمِعْتُهُمْ
 يَتَلَفَّظُونَ بِهَا ، بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ . وَفِي أَخْبَارِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ ، إِذْ ذَاكَ ، تَكَلَّمُوا
 فِيهَا بِالذَّالِ الْمُهْمَلَةِ وَمَوْلِدُ جَدِّي الْفَقِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ بِأَبْدَةَ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةَ وَخَمِيسَاتِهِ .
 وَتُوُفِّيَ فِي إِشْبِيلِيَّةَ عَامَ (مَعْرَكَةِ) الْأَرْكَ سَنَةِ إِحْدَى وَتَسْعِينَ^(٨) . وَمَوْلِدُ أَبِي يَاسِيشِيلِيَّةَ فِي

- (١) « ادفع » حَفَّهَا النَّصَبُ بَأَنَّ مَضْرُوبَةً بَعْدَ فَاءِ السَّبَبِيَّةِ (بَعْدَ فِعْلِ التَّمَنَّى) . وَلَكِنْ يَجِبُ حِينَئِذٍ نَصَبُ « أَرَاغٌ » فَيُحْدِثُ إِفْوَاءً (عَبِي : نَصَبٌ بِدَلِّ الرَّفْعِ فِي الْقَافِيَةِ) . أَرَاغٌ : أَعْبَدُ (عَنِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ) .
- (٢) الْجَدُّ (بِالْفَتْحِ) : الْحَطُّ . فِي الْأَصْلِ « إِذَا » (الصَّوَابُ إِذ) . - أَنَا سَتَطِيعُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الْحَجِّ ، وَلَكِنْ حَطَّيْ سَيِّئًا فَلَمْ تَتَّحَ لِي فِرْصَةٌ بَعْدَ الذَّهَابِ .
- (٣) حَطَّ : كَتَبَ (بَدَأَ الشَّيْبُ فِي رَأْسِي) . كَلَّلَ رَأْسِي : أَحَاطَ بِرَأْسِي صِبَاغًا (لَوْنٌ أَيْص : شَيْبٌ) مِنْ حَلَاةٍ : زِينَتِهِ . - كَانَ لَوْنٌ شَبِيهِةً جَمِيلًا .
- (٤) ذُنُوبٌ لَهَا عِنْدَ الْفِرَاقِ مَصَاغٌ (؟) : تَنَحَّرَفُ بِي عَنِ قَصْدِي .
- (٥) زُورَةٌ (لِلْمَدِينَةِ ، لِقَبْرِ الرَّسُولِ) . التَّيْنُ : الْعَيْبُ . نَضَحَ : غَسَلَ بِالْمَاءِ . الرِدَاغُ : الْوَحْلُ . أَرْجُو إِذَا زُرْتِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ أَنْ تَصِلَ تِلْكَ الزُّورَةَ (مَعَ التَّوْبَةِ) مَا عَلَيَّ مِنْ عَيْبِ الذَّنُوبِ .
- (٦) شُيُوحٌ (أَسَانِدَةٌ) . أَحَادِيثُ صِدْقٍ : أَحَادِيثُ صَادِقَةٌ (ثَابِتَةٌ ، صَحِيحَةٌ) . تَجْتَلَى : يَطْلُبُ الْإِنْسَانُ اجْتِلَاءَهَا (النَّظْرَ إِلَيْهَا) . وَتُصَاغٌ (تَحْمَلُ رَيْنَةً لِمَا يَجْفِظُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ فَنُونِ الْعَلَمِ) .
- (٧) بَلَجُ بَنِ بَشْرِ الْقَشِيرِيِّ (ت ١٢٤ هـ) قَائِدُ جَيْشٍ جَاءَ مِنَ الشَّامِ لِإِخْضَاعِ الثَّائِرِينَ فِي إِفْرِيْقِيَّةَ (تُونِسَ) تَمَّ دَخْلُ الْأَنْدَلُسِ وَشَارَكَ فِي الْقِتَالِ . رَاجِعْ أَخْبَارَهُ مَفْصَلَةً فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذِهِ السَّلْسَلَةِ (ص ٤٣ وَمَا بَعْدَهَا) .
- (٨) سَنَةٌ ٥٩١ هـ . وَمَعْرَكَةُ الْأَرْكَ اسْتَمَرَّ فِيهَا الْمُوَحَّدُونَ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْأَنْدَلُسِ وَحَفَنُوا وَطَأَتْ الْإِنْسَانَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ هُنَاكَ . رَاجِعْ فِي هَذِهِ السَّلْسَلَةِ الْجُزْءَ الْخَامِسَ (ص ٣٦٠) .

جُهادى الآخِرَةَ سَنَةً إِحْدَى وَسَعِينَ (وخمسة) ، وتُوْفِي بها في مُتَنَصَّفِ جُهادى الأُوْلَى سَنَةً ثِنْيَ عِشْرَةَ وَسِتِّائَةَ . ومولدي بقريّة من قُرى إِشْبيلية تُسَمَّى الحُجيرة ، خرج أُوْباي لها في غَلَّةِ الزيتون لِصَمِّ فائِد^(١) أَملَئِهم - وكانا مُتَحَابِّين لا يَصْبِرُ أَحَدُهما عن الآخر ، فخرجا جميعاً إليها - فكانتْ ولادتي بها لِعَشْرِ لِيالٍ بَقِيَتْ من شَهْرِ أَكْتابِر^(٢) العَجَمِي ، ولا أدري ما وافقَ من الأَشْهُرِ العربيّة لِتَلَفِّ تَقْيِيداتي وتَقْيِيداتِ سَلْفي في ضَيْعَةٍ^(٣) كُتبي . إِلا أَنّ والدتي كانتْ تقولُ: كنت ليلة موسم ينير من أربعين ليلة^(٤) ، وإلا ما تحمّقتْه بأخرة^(٥) من وجوه (من) أنّ ذلك كان في صدر سَنَةٍ سَبْعٍ وَسَعِينَ ، قَبْلَ السَّيْلِ الكَبيرِ بأشْهُرٍ .

٤ - ** الذيل والتكملة ٥ : ٦٥٣ - ٦٦٢ (رقم ١٢٤٥) ، عنوان الدراية ٢٤٦ - ٢٤٩ : نيل
الابتهاج ٢٢٩ - ٢٣٠ ، شذرات الذهب ٢٩٨ - ٢٩٩ .

ابن عبدون المكناسي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبدون بن قاسم الحزرجي المكناسي ، من أهل مكناس ، كانت وفاته في العشر الأول من ذي القعدة من سنة ٦٥٩ (خريف ١٢٦١ م) في الأغلب .

٢ - ابن عبدون المكناسي شاعر متين السبك جزل المعاني على شعره نفحة مشرقية بارزة . وفنونه الغزل والعتاب ووصف الطبيعة ينحو فيها المنحى الوجداني . ويبدو أنه كانت له مشاركة في القراءات والفقهاء .

(١) غلة الزيتون = موسم الزيتون (في الحريف) . الفائد = العائدة (٩) : محصول أراضيهم .

(٢) أكتوبر (راجع مطلع ترجمة أبي بكر بن سيد الناس) .

(٣) ضيعة = ضياع (بالفتح : فدان) .

(٤) (٩) .

(٥) الفيضان العظيم .

- قال ابن عبدون المكناسي في الشيب:

لَمَّا تَرَأْتِ لِلْمَشِيبِ بِعَفْرَتِي شُهْبٌ أُغْرَنَ عَلَى شَبَابِي الْأَذْهَمِ^(١)،
أَبْدَى التَّجَهُمَ مِنْ أُحِبِّ. أَمَا دَرَى أَنَّ الدِّيَاجِيَّ حُسْنَهَا بِالْأَنْجُمِ^(٢)؟

- وقال في فاس ومكناس:

إِنْ تَفْتَخِرْ فَاَسِّ بِمَا فِي طَيْهَا وَبِأَنَّهَا فِي زَيْهَا حَسَنَاءُ^(٣)،
يَكْفِيكَ مِنْ مِكَاسَةِ أَرْجَاؤِهَا وَالْأَطْيَابِ: هَوَاؤُهَا وَالْمَاءِ^(٤)!

- وقال في العتاب:

يَا جِيرَتِي وَمَنْ أَسْتَجَرْتُ بِهِمْ مِنْ جَوْرِ عِزِّهِمْ عَلَى ذَلِّي^(٥)،
عَلَّقْتُ حَبْلَ مَحَبَّتِي بِكُمْ. بِحَيَاتِكُمْ، لَا تَقْطَعُوا حَبْلِي.
مَا كَانَ أُنْدَى ظِلًّا عَيْشِنَا إِذْ كَانَ مُنْتَظِمًا بِكُمْ شَمْلِي؛
إِذْ نَجَّسْتَنِي ثَمَرَ الْمُنَى ذُلًّا فِي رَوْضِ أُنْسٍ وَافِرِ الظَّلِّ^(٦)؛
عُودُوا إِلَى عَادَاتِ وَصَلِكُمْ: لَا تَحْرَمُونِي لَسَدَةَ الْوَصْلِ.
حَاشَاكُمْ، وَالْفَضْلُ شَيْئَتُكُمْ، أَنْ تُغْفِقُوا الْإِخْصَابَ بِالْمَحْلِ^(٧)،
وَإِذَا أَيْتَمُّ عَيْرٌ جَوْرِكُمْ، فَالْجَوْرُ مِنْكُمْ غَايَةُ الْعَدْلِ.
إِنْ شِئْتُمْ قَتْلِي، فَهَا أَنَا ذَا. لَا تَحْذَرُوا مِنْ طَالِبِ ذَحْلِي^(٨)!

- (١) الفرق المكان الذي يفصل فيه الإنسان بين شعره. شهب: نجوم (شعرات بيض).
أغرن = هجمن - الأذهم: الأسود. - كثر الشعر الأبيض في شعري الذي كان شديد السواد.
(٢) تحمهم فلان فلانا: استقبله بوجه عابس كربه.
(٣) بما في طيها: داخلها (ماضيها من الآثار الجليلة والمكانة الرفيعة).
(٤) الأرجاء جمع رجا: الناحية.
(٥) الحور: الظلم (الاستبداد).
(٦) ذلل جمع ذلول: سهل. سهل الوصول إليه.
(٧) الشيعة: العادة (الجميلة). المهل (بالفتح): القطع. - (أعبدكم من أن تقطعوني بعد أن كنتم تحسنون إليّ).
(٨) الذحل: التآر.

ابن سُرَاقَةَ الشاطبيّ

١ - هو أبو عبد الله (ويُكنى أيضا : أبا بكرٍ وأبا القاسم) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ^(١) بْنِ مُحَمَّدِ
ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ الْأَنْصَارِيِّ الشَّاطِبِيِّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ سُرَاقَةَ . وُلِدَ فِي شَاطِبِيَّةٍ فِي رَجَبِ
مِن سَنَةِ ٥٩٢ (حزيران - يونيو ١١٩٦ م) . وَقَدْ سَمِعَ مِنْ قَاضِي الْجَمَاعَةِ بِقَرْطَبَةَ أَبِي
الْقَاسِمِ (أَحْمَدَ بْنَ يَزِيدَ بْنِ بَقِيٍّ) (ت ٦٢٥ هـ) .

وَرَحَلَ ابْنَ سُرَاقَةَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ رِحْلَتُهُ فِي زَمَنِ
بَاكِرٍ جِدًّا حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَبِي الْهَاسَنِ بْنِ شَدَادٍ (ت ٦٣٢ هـ) ، فِي بَغْدَادَ أَوْ
فِي أَثْنَاءِ رِحْلَةِ ابْنِ شَدَادٍ إِلَى حَلَبَ . وَكَذَلِكَ سَمِعَ فِي الْعِرَاقِ مِنْ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ
السُّهْرَوَرْدِيِّ (ت ٦٤٣ هـ) وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ الْجَوَالِقِيِّ وَأَبِي حَفْصِ الدِّينَوْرِيِّ وَآخَرِينَ .

وَتَوَلَّى ابْنَ سُرَاقَةَ دَارَ الْحَدِيثِ الْبَهَائِيَّةِ فِي حَلَبَ (مُدَّةَ سِيرَةٍ ، فَمَا يَبْدُو) ، إِذْ أَنَّهُ
أَنْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَتَوَلَّى بِهَا دَارَ الْحَدِيثِ الْكَامِلِيَّةِ ، مِنْ سَنَةِ ٦٤٢ لِلهَجْرَةِ إِلَى حِينَ
وَفَاتِهِ سَنَةَ ٦٦٢ (١١٦٣ - ١١٦٤ م) .

٢ - كَانَ ابْنَ سُرَاقَةَ الشَّاطِبِيَّ أَحَدَ الْأَثَمَةِ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِلْمِ وَأَحَدَ الشُّيُوخِ الْمَعْرُوفِينَ
بِالتَّصَوُّفِ ؛ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ بَيْتِ عِلْمٍ ، وَقَدْ تَوَلَّى نَفْرًا مِنْ أَهْلِ الْقَضَاءِ . ثُمَّ هُوَ شَاعِرٌ
عَلَى مَذْهَبِ الْقَوْمِ (الْمُتَّصِفِينَ) . وَشِعْرُهُ سَهْلٌ وَاضِحٌ ، وَلَكِنَّهُ يَنْمِضُ عَلَى الْقَارِيءِ الْعَادِيِّ
أَحْيَانًا بِمَعَانِيهِ الصُّوفِيَّةِ أحيانًا . وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ أَلَفَ كُتُبًا فِي التَّصَوُّفِ .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ .

- قَالَ ابْنُ سُرَاقَةَ الشَّاطِبِيُّ أَبْيَاتًا فِيهَا مَعَانٍ صُوفِيَّةٌ ، فِيمَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا :

(١) فِي نَسَبِهِ حَلَّافٌ . رَاجِعْ حَاشِيَةَ فِي الْأَعْلَامِ لِلزَّرْكَلِيِّ .

نَصَيْتُ، وَمِثْلِي لِلْمَكَارِمِ يَنْصَبُ،
 وَحَاوَلْتُ إِحْيَاءَ النَّفْسِ بِأَسْرِهَا
 وَأَتَعَبْتُ إِنْ لَمْ تَمْنَحِ الْخَلْقُ رَاحَةً،
 مُرَادِي شَيْءٌ، وَالْمَقَادِيرُ غَيْرُهُ.
 * إِلَى كَمْ أَمْتِي النَّفْسَ مَا لَا تَنَالُهُ
 وَقَدْ مَرَّ لِي خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حِجَّةً
 وَأَعْلَمُ أَنِّي - وَالثَّلَاثُونَ مُدَّتِي -
 فَمَاذَا عَسَى فِي هَذِهِ الْحَمْسِ أَرْتَجِي
 - وَقَالَ فِي الصَّدِيقِ الْمَخْلُصِ:

وَصَاحِبِ كَالزُّلَالِ يَحْوِ
 لَمْ يُخْصِ إِلَّا الْجَمِيلَ مِنِّي،
 صَفَاؤُهُ الشُّكَّ بِالْيَقِينِ
 كَأَنَّهُ كَاتِبُ الْيَمِينِ (٧)

- (١) نَصَبٌ يَنْصَبُ (يَكْسِرُ الصَّادَ فِي الْمَاضِي وَفَتْحَهَا فِي الْمَضَارِعِ): جَدٌّ وَسَمِي وَصَدٌّ (اتَّجَهَ إِلَى الشَّيْءِ).
 وَمِثْلِي لِلْمَكَارِمِ يَنْصَبُ (يَقْصِدُ أَنْ يَرْتَقِيَ إِلَى الْمَكَارِمِ). رَامَ: أَرَادَ. غَرَبَ (بِشَدِيدِ الرَّاءِ): اتَّجَهَ نَحْوَ
 الْغَرْبِ، أَمْعَنُ فِي فَرْعِهِ (بِالْعَمَلِ). وَرَمْتُ شُرُوقَ الشَّمْسِ وَهِيَ تَغْرُبُ: أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ الشَّمْسُ
 مَشْرِقَةً، بَيْنَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهَا أَنْ تَشْرِقُ وَتَغْرُبُ (أَرَدْتُ خِلَافَ مَا تَعَوَّدَهُ الْبَشَرُ).
 (٢) وَحَاوَلْتُ إِحْيَاءَ النَّفْسِ (بِالْعَمَلِ) بِأَسْرِهَا (كَلْبَهَا). وَقَدْ غَرَّغَتْ (تَرَدَّدَتْ الرُّوحُ عِنْدَ الْمَوْتِ فِي الْخَلْقِ = وَقَدْ
 أَوْشَكَتْ نَفْسُ الْبَشَرِ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الْجَهْلِ لِمَعْرِفَةِ الْحَقِيقَةِ).
 (٣) إِنْ لَمْ تَمْنَحِ (بِهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟) وَغَيْرِي إِنْ لَمْ يَتَعَبِ الْخَلْقُ يَتَعَبُ (٥).
 (٤) الْمُرَادُ: الْبَغِيضَةُ (بِالضَّمِّ)، الْمَطْلُوبُ. الْمَقَادِيرُ (مَا قَضَاهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ وَأَرَادَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ أَوْ مَا كَتَبَ عَلَيْهِمْ
 مِنَ الْهَوَادِثِ).
 (٥) كَانَ الشَّاعِرُ يَظُنُّ أَنَّهُ سَبْعِيشَ ثَلَاثِينَ سَنَةً فَقَطْ. وَكَانَ لَمَّا قَالَ هَذِهِ الْمَقْطُوعَةَ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ
 الْعُمُرِ (رَاجِعِ الْبَيْتَ السَّابِقَ) - فِي هَذِهِ السَّنَةِ (بَيْنَ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ وَالثَّلَاثِينَ) يَكُونُ الْإِنْسَانُ مِثَالًا إِلَى
 الذَّهَابِ إِلَى مَقَايِ (أَمَاكِنَ) الْلَهُوِّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَأَنَا أَرْفُضُ الْلَهُوَّ (فِي هَذِهِ السَّنَةِ) رَفْضًا بَاطِنًا. حَرَّ (بِفَتْحِ الْحَاءِ
 وَبِلَا شِدَّةٍ عَلَى الرَّاءِ): خَلِيقٌ، أَهْلٌ، يَسْتَحِقُّ.
 (٦) فِي هَذِهِ الْحَمْسِ (فِي السَّنَوَاتِ الْخَمْسِ الْبَاقِيَةِ مِنْ عُمُرِي). وَجَدِي: حَبِيبِي، شَوْقِي (يَمِيلُ نَفْسِي إِلَى الْلَهُوِّ)
 إِلَى أَوْبِ (رُجُوعِ) مِنَ الْعِشْرِ (عَشْرَ سَنَوَاتٍ). أَفْضَى: أَدَّى، وَصَلَ. - أَنَا الْآنَ أَشْرُ بِالْبَلِيلِ إِلَى الْلَهُوِّ كَأَنِّي
 لَا أَرَا لِي عِشْرَ سَنِينَ (٥).
 (٧) ... لَا يَذْكُرُ إِلَّا أَمْفَالِي الْجَمِيلَةَ الْحَسَنَةَ الصَّالِحَةَ. - عَلَى كَيْفِي كُلِّ فَرْدٍ مِنَ النَّاسِ مَلْكَانَ (بِفَتْحِ فَتْحِ):

٤- ** فوات الوفيات ٢: ١٨٥-١٨٦؛ الوافي بالوفيات ١: ٢٠٨-٢٠٩، شذرات الذهب ٥: ٣١٠-٣١١؛ فتح الطيب ٢: ٦٣-٦٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧ (٥: ٣٢٢).

أبو الحسن بن محمد الجياني

١- هو أبو الحسن علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي الجياني، أخذ النحو عن أبي الحسن بن الدباج وأبي علي بن السلوين. ثم إنه تصدّر للتدريس وتولّى القضاء مدةً مجّصن القصر (قرب إشبيلية). بعدئذ نزل في مراكش، وقد استكتبه الرشيد الموحدي (٦٣٠-٦٤٠ هـ) حيناً. وكانت وفاته سنة ٦٦٣ هـ (١١٦٤ هـ = ١١٦٥ م).

٢- يبدو أنّ أبا الحسن بن محمد الجياني قد وقف جميع آثاره على مدح الرسول. ومع أنّ آثاره هذه عادية في معانيها وفي المعجزات التي سردّها من تلك الحارقة للمادة والحارقة للطبيعة، فإننا نلمح فيها عاطفة دينية مشبوبة ورغبة ملحّة في زيارة قبر الرسول خاصّة. ويبدو أنّ هذه الفرصة لم تتح له قط. من أجل ذلك كتب رسالة طويلة بهذا المعنى وأرسلها لتوضع على قبر الرسول. وبعض شعره أكثر عدوية من نثره.

٣- مختارات من آثاره:

- من بديعياته (في مديح الرسول)^(١):

كيف لا أندبُ عهداً بالحمى عن جفوني طارق النومِ حمى^(٢)؟
نزعَت شوقاً إليه مهجّةً لم يدع منها الهوى غير دما^(٣).

اثان من اللاتكة) يُحصى الذي على الكف اليسى منها الأعمال الصالحة التي يأتي بها ذلك الفرد. ويحصى الآخر أعمال الفرد السيئة.

(١) أسماء الأماكن في هذه القصيدة ليست أعلاماً جغرافية معينة. بل رموز للمكان الذي يتشوق إليه المتصوّف أو المتفكّر.

(٢) الطارق: الآتي ليلاً. طارق النوم: النوم الطبيعي.

(٣) نزعَت: مالت، تشوّقت. مهجّة: دم القلب (القلب). الدماء (بالفتح): بقية الروح في الجسم.

يا ليالينا بذي الغُور، أما
وعهوداً باللوى قد سَلَفْتِ
يا حُدَاةَ العيسِ، رَفَقًا! إِنهَا
أَوْهَنَ الْوَحْدُ قُوَاهِنَ، فَإِنْ
مَدَّتِ الْأَعْنَاقَ لَنَا رَمَلْتِ
هَادِيَاتِ الْبَاهُوَادِي، كَلَّمَا
جَنَّبُوهَا مَوْرِدَ الْمَاءِ، فَقَدْ
وَعِدَاهَا بَعْدَاهَا ظَفَرًا
إِنهَا قَدْ حَمَلَتْ شُعْنًا، إِذَا
شَرِبُوا الدَّمْعَ حَمِيمًا وَأَرْتَوْوَا،
مَنْ عَدْبِيرِي مِنْ زَمَانٍ قَدْ مَضَى
حَضْرَتَا إِنْ لَمْ أَبْلُغْ أَمَلِي
إِنَّ حَسْبِي فِي غَدٍ أَنْ أَغْتَدِي
النَّسِيَّ الْأَبْطَحِيَّ الْمُجْتَبِيَّ

يَتَسَلَّى الْقَلْبُ عَنْكَ أَمَا
لَمْ أزلْ أَبْكِي عَلَيْكَ دَمًا.
شَكَتِ الْجَهْدَ وَبُعَدَ الرُّتْمَى (١)
لَا حَ نَجِدُ خَلْتِ فِيهَا لَمَّا (٢)
بَنَقَا الرَّمْلَ وَأُكْنَفِ الْجَمَى (٣)
ضَلَّ حَادٍ جَاذِبْتَهُ الْخَطْبَا (٤)
حَرَمْتَهُ أَوْ تَزَوَّرَ الْحَرَمَا (٥)
وَسُرُورًا يَوْمَ تَأْتِي الْمَوْبَا (٦)
مَا بَكَوْا قُلْتَ غَمَامٌ سَجَا (٧)
وَلِذَا عَافُوا الرِّزَالَ الشَّبَا (٨)
أَفْرَعُ النَّعْ عَلَيْهِ نَدَمًا
قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الرَّدَى مُحْتَرِمًا (٩)
لَايْذًا بِالْمُصْطَفَى مُحْتَرِمًا (١٠)
سَيِّدِ الْخَلْقِ الْكَرِيمِ الْمُتَنَمَّى (١١)

- (١) با حداة (سائق) العيس (السياق). الجهد: التعب. الرمي: الطليعة (الذي يسير في مقدمة القوم) - والشاعر يقصد المراد (المكان الذي يؤدّ الذهاب إليه).
- (٢) أوهن: أضعف. الوحد: السير (السرير المتوالي). ومع ذلك فلما اقتربا من نجد (من المكان الذي شتاق إليه) ظن أن بهائماً (جونا) لكثرة ما أسرع من جديد.
- (٣) رمل = يقصد بها هنا: غرقت قوائمها في الرمل وعجزت عن السير (وهذا معنى ليس في الفاموس)، مدت أعناقها لتصبح أقرب إلى المكان المقصود بضعة أصابع، هرول.
- (٤) الهادية: الناقة التي تسير في مطلع القافلة (لأنها تعرف الطريق). الخطام (بالكسر): اللجام. - شوقها يجعلها تعرف الطريق الصحيح أكثر من الهادي (السائق).
- (٥) لا تحاولوا أن تسقوها ماء في أثناء الطريق. لأنها عزمت على ألا تشرب ماء قبل وصولها إلى مكة.
- (٦) عداها (فعل أمر للشيء من «وعد») العدا: الأعداء. الموسم: اجتماع الناس في الحج.
- (٧) الأشت: الذي أغتر وجهه ونشئت شره من طول السفر وعبار الطريق. سجم: سال بكثرة.
- (٨) الحميم: الحار. الرزال: الماء الصافي. الشيم: البارد.
- (٩) احترم الموت الرجل: أخذه (قبل أوانه).
- (١٠) حسي: كفاية لي. لا يذ: ملتحي. المصطفى: رسول الله. محترماً = منحرمًا: لا بهائي أحد بسوء.
- (١١) الأبطحي: من بطحاء مكة (أشرف بقاعها واعزها). الهتبي (المختار المغرب). المنمي: الأصل.

الرسول الساطع النور السذي قد جلا نور هُدها الظلم.

- وله من رسالة طويلة كَتَبَ بها لتُوخَذَ إلى قبر رسول الله:

إلى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ورسولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الذي جُعِلَتْ له الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً^(١)، وكان ولم يَزَلْ مُتَنَقِّلاً من صَلْبِ آدَمَ نوراً^(٢). من يَلْجأُ إليه يومَ الْفَرَعِ الْأَكْبَرِ النَّيِّبُونَ^(٣). ويرجو مَذْخُورَ شَفَاعَتِهِ في غَدِ الْمَيْتُونَ. ذُوَانَةُ بَنِي هَاشِمِ الْمُتَحَشِّمِ في ذاتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَصْعَبُ الْمَاجِشِمِ^(٤). ... الْمَيْمُونُ النَّقِيبَةُ وَالطَّيْبَةُ^(٥)، الْمُشِيرُ إِلَى الْأَصْنَامِ فَخَرَّتْ صَرِيعةً^(٦). حَبِيبُ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ وَمَنْ أُنزِلَ عَلَيْهِ تَحْرِيمُهُ وَتَحْلِيلُهُ، وَقَامَ عَلَى صِدْقِهِ بُرْهَانُ الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَدَلِيلُهُ. الذي أَعْجَزَ الْبُلْغَاءَ وَهُمْ أَوْفَرُ النَّاسِ في وَقْتِهِ عَدْداً^(٧)، وَلَوْ اتَّخَذُوا الْبَحْرَ مِدَاداً وَالْأَشْجَارَ مِدَاداً^(٨) فَصَحَّحَهُمْ بِبَاهِرِ آيَاتِهِ وَمَا فَجَّرَهُمُ الْكَاذِبَ سَطُوعَ آيَاتِهِ^(٩)، الذي جُمِعَتْ له شَتَى الْفَضَائِلِ وَضُرُوبُهَا....

٤ - * * الذيل والتكملة ٥: ٢٨٧ - ٣٠٦ (رقم ٥٧٩)، الأعلام للزركلي (٤: ٣٢٣).

- (١) في الحديث « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » (في الإسلام تجوز الصلاة في كل مكان من غير ضرورة إلى بناء مخصوص أو لباس معين).
- (٢) انقل النور من آدم إلى أبائه واحداً بعد واحد، في نسب متصل مستمر، حتى وصل إلى محمد رسول الله.
- (٣) يوم الفرع الأكبر: يوم القيامة. مدخور الشعاعة: الشعاعة المدخرة لتكون يوم القيامة من حق محمد رسول الله.
- (٤) الدوابة: أعلى القوم. المتحشم.... الذي لاقى في سبيل الدعوة إلى الله أشد المصاعب.
- (٥) الميمون: المبارك. النقيبية: الطليعة. طلائع الجيوش التي قامت بالجهاد؟.
- (٦) لما كان فتح مكة، سنة ٨ (٦٣٠ م) صعد الرسول إلى ظهر الكعبة وبيده قضيب كان يدفع به الأصنام ويلقيها أرضاً وهو يتلو: ﴿فل: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً﴾ (سورة الإسراء، ٨١: ١٧). خرت: سقطت. صريعة: ملقاة أرضاً لافرق بينها وبين سائر المحاراة في الأرض).
- (٧) بلاعة الرسول (وكان أمياً لا يحط ولا يقرأ الحط) كانت معجزة ظاهرة في زمن اشتهر أهله بالبلاغة.
- (٨) المداد: الحبر. المدد: النجدة (لو جعلت جميع الأشجار تصلح لتكون أقلاماً).
- (٩) أول نور الفجر يكون ضميماً فيسمى الفجر الكاذب (لا تحين به صلاة الصبح) ثم ينشر النور من وراء الأفق واضحاً فيسمى الفجر الصادق. السطوع: الصاء القوي. الآيات: العلامات، الدلائل. الضروب: الأنواع.

ابن الفَخَّارِ الرَّعِينِي

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ هَيْصَمِ الرَّعِينِيِّ المعروفُ بِأَبْنِ الفَخَّارِ، وُلِدَ في إِسْبِيلِيَّةَ في سَمْبَانَ من سَنَةِ ٥٩٢ (صيف ١١٩٦ م) وفيها نشأ وأخذَ عن شيوخِ عصره - وقد عدَّ منهم في «بَرَنَامِجِهِ» مائةً وَأَثْنِي عَشَرَ - منهم: أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ خَرُوفِ النَحْوِيِّ (ت ٦٠٩ هـ) ومحمدُ بنُ عبدِ النورِ السِّيِّمِيُّ المَقْرِيءُ (ت ٦١٤ هـ) وأبو الحسينِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ زَرْقُونِ الفَقِيهِيُّ المحدثُ (٥٣٩-٦٢١ هـ) وأبو القاسمِ عامرُ بنُ هشامِ الأَزْدِيُّ القُرطُبيُّ الشاعِرُ (٥٥٣-٦٢٣ هـ) وأبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ البَلَوِيِّ الفَقِيهِيُّ (٥٥٤-٦٢٣ هـ) وأبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إدريسَ بنِ مِرْجِ الكُحْلِ (ت ٦٣٤ هـ).

جلسَ أبْنُ الفَخَّارِ الرَّعِينِيُّ للتدريسِ والإفادةِ مُنذُ سَنَةِ ٦١٤ للهجرة. وكان كثيرَ التَّنقُلِ في الأندلسِ والمغرب: في سنة ٦١٥ للهجرة كان قاضياً في مَورُور (من جَنُوبِ الأندلسِ بين شريشَ وقَرْمُونَةَ وإشبيلية). ثم رأيناهُ في مالقة (٦١٥ هـ) وإشبيلية وفي قرطبة (٦٢٥ هـ). وفي سبته بالمغرب (٦٢٩ هـ)، ثم في غرناطة (٦٣٦ هـ)، وتِلْصَانَ بالمغرب (٦٤٦ هـ). في هذه الأثناء كَسَبَ (في ديوانِ الإنشاءِ) لِنَفَرٍ من ملوكِ الأندلسِ وملوكِ المُدُوَّةِ الإفريقيةِ. وفي آخرِ عُمُرِهِ استقرَّ في مَرَاكُشَ حيثُ تُوُفِيَ في الرابعِ والعشرينَ من رمضانِ سَنَةِ ٦٦٦ (٧/٦ / ١٢٦٨ م).

٢- ابنُ الفَخَّارِ الرَّعِينِيِّ فقيهٌ ومُحدثٌ وأديبٌ ناثِرٌ مُترَسِّلٌ وناظِمٌ، وكتابته تتصفُ بخصائصِ عصره من الميلِ الشديدِ إلى السجعِ وإلى أنواعِ البديعِ، فقد يُنشئُ رسالةً أو يَنظِمُ قصيدةً في كلِّ كلمةٍ من كلماتها حرفُ العينِ أو حرفُ السينِ، مثلاً (راجع «مختارات من آثاره»). وله شيءٌ من الشعرِ الوُجْدانيِّ ذي النَّفحةِ الدينيةِ. ثم هو مُصنِّفٌ له: كتابُ الإيرادِ لِنُبذةِ المُستفادِ من الرِّوايةِ والإسنادِ بقاءِ حَمَلَةِ العلمِ في البلادِ على طريقِ الاقتصارِ والاقتصادِ (وهو بَرَنَامِجِ شيوخه: برنامجِ شيوخِ الرَّعِينِيِّ) - اقتفاءً السَّنِ في انتقاءِ أربعينَ من السَّنَنِ (في الحديثِ) - شرحِ الكافي لابنِ شُريحٍ^(١) - جَنَى

(١) كتاب الكافي (في الفراءات....) لمحمد بن شريح بن أحمد الرعيني الإشبيلي القرني (٣٩٢-٤٧٦ هـ). =

الأزاهر النضيرة وسنا الزواهر المنيرة في صيلة المَطْمَعِ والذَّخِيرَةِ تَمَّا وَكَدَّتُهُ الحَوَاطِرُ مِنْ
المَاسِنِ فِي هَذِهِ المَدَّةِ الأَخِيرَةِ (فِيهِ المَخَاطَبَاتُ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكِتَابِ والشُّرَاءِ).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفَخَّارِ الرَّعِينِيّ (مَعَ شَرطِ التَّزَامِ العَيْنِ فِي كَلِّ كَلِمَةٍ)^(١)

عَلَكَ عَلَّتْ عَلُوُّ الشُّعْرَيْنِ مُصَاعِدَةً لأَعْلَى المَطْلَمَيْنِ^(٢)
أَعَادَ عَلَى المُلَا عَصْرِي سُوْدِ بَرِيْعَانِ المَعَارِفِ مُمْرِعَيْنِ^(٣)
عُنِيَتْ بِمَنْزِعِي عَمَلِي وَعِلْمِي عِنَايَةً مُوَلِّسِعِ بِالْمَنْزِعَيْنِ
وَتَعْتَمِدُ العُقُولَ بِمُعْجَزَاتِ أُشِئْتَهَا تَرَوِعِ السَّاطِمَيْنِ^(٤)

علاؤك شَعْرُ عِظَامِي وَمَنْزَعُ اعْتِصَامِي^(٥) وَعُمْدَةُ اعْتَالِي وَعِزْوَةُ اعْتَادِي وَعُرْوَةُ
اعْتِدَادِي^(٦) وَمُهَيْجُ إِشْرَاعِي وَمَرْبِيعُ نِزَاعِي^(٧) بِعِنَايَتِكَ أَعَالِي الرِّعَانِ وَأَتَعَاطَى
الإِيمَانَ^(٨) وَأَدْعِي الإِفْرَاعَ وَأُعْنِي الِيرَاعَ^(٩) وَأُدْفِعُ العِيَّ وَأُضَارِعُ الأَلْمِيَّ^(١٠)

= طبع كتاب الكافي بإشكاف كتاب المکرر فیا تواثر من الفراءات و تحوّر ه لأبی حفص عمر بن الفاسم بن
محمد الشار الأنصاري، مکه ١٣٠٦هـ؛ القاهرة (مطبعة دار الكتب) ١٣٢٦ هـ (راجع بروكلمن.
الملحق ١: ١٧٢٢ الأعلام للزركلي ٧: ١٢٨ معجم المطبوعات العربية ١٧٧٦، ١٨٥٦).

(١) سيكون الشرح للقطعة التالية موجراً يكاد ينتصر على الألفاظ. إن المقصود من القطعة إبرار المهيد
اللفظي، والمعاني كانت تبعاً لذلك.

(٢) الشعرى اليبانية (الشعرى المبيضاء من النجوم المشهورة المهمة).

(٣) ريعان كل شيء: أوله وأفضله. المرع: الحصب.

(٤) تروع: تعجب الناظر (مع الشعور بشيء من الخوف). الساطعان: الشمس والقمر.

(٥) المشعر: المسك (مكان العبادة). الفرع: الملجأ.

(٦) العزوة: الانتساب، القرابة. العروة: كل ما يتسلك به ويعتمد عليه أو يربط شيئاً بشيء.

(٧) المهيج: الطريق الواضح. المربع: المسكن. النزوع: الميل والاشفاق.

(٨) عالي: باري في الطور. الرعن (يتفتح فسكون): أنف الجبل و طرفه الشاخص (العالي). أتعاطى الإيمان:

أحاول التوكل في الأمور.

(٩) الإفراع: علو الشرف في القوم. أعني: ألتجب. اليراع: الظلم (٩).

(١٠) أدفع العي: أبعد عن نفسي المحز عن الكلام. أضرع: أشانه. الألمي: الحيف الطريف. النلمي:

الذكي.

- وقال (من غير اشتراط معين) يُجيب أبا المطرف بن عميرة:

وافى الكتابُ وقد تقلدَ جِدهُ ما أنتَ مُحِصِنُ نَظْمِهِ ومُجِيدُهُ^(١)
أبَا المَطرَافِ، دَعْوَةً من خالِصِ لُعْلاكِ غائِبِ وُدِّهِ وشَهِيدُهُ^(٢)
أنتَ الوَحيدُ بلاغَةً وبراعَةً ولكِ البَيانُ طَريفُهُ وتَليدُهُ:^(٣)
فالنُثرُ أنتَ بديعُهُ وعبادُهُ، والنظْمُ أنتَ حبيبُهُ ووليدُهُ^(٤)

إيه، أُمُّها السَيِّدُ الَّذي جَلَّتْ سَيادَتُهُ وحَلَّتْ صَمِيمَ الفُؤادِ ودادَتُهُ^(٥)، دامتْ سعادَتُهُ
وهامتْ بما يَنفَعُ الناسَ عادَتُهُ. أَلَمِّي إِيَّيْكَ كِتابُ كَرِيمٍ خَطَّتَهُ تِلْكَ الِيمْنِيُّ الَّتِي الِيمْنُ^(٦)
فِيها تَخَطُّهُ وَسَبَقَتْ جَواهُرُ بَيانِهِ الَّتِي راقَ بِها سِنطُهُ^(٧). فلا تَسألُوا عَنِ ابْتِهاجِي
لأعاجيبِهِ وانْتِهاجِي لأَسالِيبِهِ وشِدَّةِ كَلْفِي بِالنِّهاجِ وَسِيمِهِ وجِدَّةِ شَفْئِي بِاسْتِرواحِ
نَسِيمِهِ^(٨).

أما أَنَّ القَلبَ لو فَهَمَ حَقيقَةَ اليَمِينِ قَبيلَ وَقوعِهِ وَعِلْمَ قَدَرِ ما نُفِثَ مِنَ الرُّوعِ فِي
رُوعِهِ^(٩)، لِبالِغِ فِي اجْتِنابِهِ واعْتَقَدَ المَعْنَى عَنْهُ مِنَ قَبيلِ المَعْنَى بِهِ^(١٠). وَلِها^(١١) اللهُ
الأطْباعَ فَإِنِها تَسْتَدْرِجُ المَرءَ وتَسْتَجِرُّهُ وتَسْتَخْرِجُ حِينَ تَعْرِيه، ما سِيرَهُ^(١٢)، ما زالَتْ تَقَبُّلُ

(١) الحيد: المعنى.

(٢) أبو المطرف (راجع، فوق، ص... ٢١٧....). التهيد: الشاهد (الحاضر).

(٣) الطريف والتليد: الجديد والقديم.

(٤) بديعه وعباده وحبيبه وولده: بديع الزمان الهمداني وعباد الدين الأصفهاني وأبو تمام والبحري.

(٥) الودادة (بالفتح): المودة.

(٦) أَلَمِّي إِيَّيْكَ: وصل إِيَّيْكَ من شخص عالي المرتبة. في القرآن الكريم (٢٧: ٣٠، النمل): ﴿إِنِّي أَنفِثُ إِيَّيْكَ كِتابَ كَرِيمٍ: إِنَّهُ مِنْ سُلْبانِ وإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. الِيمْنِيُّ: اليد اليمنى. الِيمْنُ: البركة.

(٧) السِنطُ: الخيط الذي تنظم فيه الآلية ليكون منها عقد.

(٨) الكلف: شدة الحب. الوسع: الوجه. الحميل: الشفط. الحب الذي يصل إلى الشفاف (يفتح العين: غلاف القلب).

(٩) اليمين: العباد والفراق. نفث: فجع. الروح (بالفتح): الخوف. الروح (بالضم): النفس.

(١٠) المعنى عنه (في الفقه والمعبادة): الذنب اليسر (اليمين القليل الذي لا يبطل وضوءاً). من قبيل المعنى به: الواجب معالجته (لأنه وإن كان يسيراً فإنه يؤدي إلى نتائج خطيرة).

(١١) لها: لمن.

(١٢) تستخرج (تزع منه) حين تعريه (من السم) ما (كان) بهراً. - أي تسلمه السم.

في الدُّرُوةِ والذُّرُوةِ وَتَحْتَلُّ^(١) بِالرَّغْبِيبِ فِي الجَاهِ وَالتَّرْوَةِ حَتَّى أَنَاتَ عَنِ الأَحْيَابِ
الجَانِبِ وَرَمَتْ بِالرَّغِيبِ أَقْصَى المَغَارِبِ^(٢).....

- وَقَالَ يَحْنُ إِلَى الذَّهَابِ إِلَى الحِجَازِ لِلحَجِّ:

حَسْبِي إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ شَدِيدُ، وَتَوَقِّي إِلَى وَادِي العَقِيقِ يَزِيدُ^(٣)
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ يُبَاحُ إِلَيْهَا وَصُولُ فَيَحْتَضِي بِالْوِلَاصِ عَمِيدُ^(٤)؟
وَمَنْ لِي أَنْ أَدْعَى إِلَى حَرَمِي هُدَى؟ وَهَلْ لِي عَلَى تِلْكَ البِقَاعِ وَفُودُ؟
وَهَلْ نَاقِعٌ لِي مَاءٌ زَمَزَمَ غَلَّةٌ لَهَا بَيْنَ أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ وَوُودُ^(٥)؟
وَهَلْ أَتَيْتَنِي نَحْوَ الرُّسُولِ لَطِيبَةً فَيَدْنُو لِقَلْبِي مِنْ مُنَاهِ بَعِيدُ^(٦)
وَالصِّقَ خَدَي - مِنْ ضَرِيحِ مُحَمَّدٍ - بِيحِثُ تَلَاقَتُ فِي ثَرَاهُ خُدُودُ؟
فَمَا لِي لَا أَسْمَى إِلَيْهَا مُبَادِرًا بَقِيَّةَ عُمُرٍ تَقْضِي وَتَبِيدُ^(٧)؟
تَحْتُ رِكَابِي نَحْوَهَا عَزْمَةٌ أَمْرِيءُ بِمَحْيَاهُ فِي ذَاتِ الإِلَهِ يَجُودُ^(٨)!
يَهْمُ فَيُلْقِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَةً وَيَعْضِي مَضَاءَ السَّهْمِ حَيْثُ يُرِيدُ^(٩)
فَأَقْضِي ذَمَاءَ النَفْسِ فِي عَرَصَاتِهَا غَرِيبًا لَدَيْهَا، وَالرَّغِيبُ شَهِيدُ^(١٠)؟

- (١) في الفاموس (٤: ٢٨): ما زال (فلان) يبتل من فلان في الدروة والغارب: يدور من وراء خدمته (أي يحاول أن يكرهه ويضيقه وهو ينظروا بمحاولة نفعه). حل ريد عمراً: خدعه (بعد أن وجد منه غفلة) فالتحلل هو الذي يمدح من يتو به.
- (٢) أنأى: أبعده. الأحباب جمع حب (بكسر الحاء): المحب أو المحبوب. الجانب جمع حبيبة. رمت به أقصى المغرب: بذته، طرحته أبعدهته إلى آخر المأمور من الأرض.
- (٣) البت العنق: الكعبة. وادي العقيق في المدينة.
- (٤) العميد أو العمود هو الذي ضرب على رأسه بالعمود (المهبة الذي كاد يهلكه الحب).
- (٥) زمزم: بئر في مكة (في الحرم). العقة: العطش. نفع الظان (الطشان) من الماء أو بالاء: روي وزال عطشه.
- (٦) وهل أتيتني: أرجع (بعد الحج إلى مكة) لطيبة (للمدينة)....
- (٧) إليها (إلى المدينة) مادراً (سرعاً). بقية عمر (في آخر عمري) بينا هذه البقعة تفضي (أوشكت أن تنتهي) وتبید (تلاشى، تهلك).
- (٨) الركاب: الإبل المدة للركوب. الهيا: الحياة. في ذات الآله: في سبيل الله.
- (٩) يهْمُ: يعزم (على أمر). بين عينيه (أمامه!).
- (١٠) الذمء: بقية الروح في الحد. فأقضي ذمء النفس: أموت. العرصة (بفتح فسكون): فحة أمام الدار لا بناء فيها.

وَأَنَّ أَمْرًا يُقْضَى فَرِيضَةً حَجَّهِ وَرَوْرَةَ قَبْرِ الْمُصْطَفَى لَسَعِيدٍ^(١)!

- من مقدّمة برنامج شيوخ الرعيني لأبي الحسن الرعيني:

أما بعد: فإن بعض الأصحاب العلية المجلّة المدّودين^(٢) - لأعتنائهم برواية العلم ونقله في عدول الملة^(٣) - سألتني أن أقيد له ما علق بالخاطر من أسماء من لقيته ورويت عنه. فتوقفت في إسعافه وأسْتَهْدَفْتُ لِسَاهِمِ الْمَلَامَةِ فِي خِلَافِهِ^(٤) سْتَرَأً (لهذا) التّرزي الذي أوتيته من ذلك وآنقاء من مني أن يطور تلك المسالك^(٥)، إلى أن غيَّبَ أَفْقُ الثَّرَى شِبَابَهُ وَنَهَبَتْ يَدُ الْجَلِي إِهَابَهُ. وَأَدْرَكَتْ بَعْدَ أُمَّةٍ^(٦) وَحَدَرْتُ أَنْ أَرْهَقَ^(٧) فِيهِ بِمَدْمَةٍ، فَأَثَرْتُ أَنْ أُسْتَدْرِكَ^(٨) مَا فَاتَ مِنْهُ لِمَنْ طَلَبَهُ بِمِثْلِ طَلْبِهِ، وَأَنْ أُورِدَ مَنْ هُوَ مِنَ الشَّيْخَةِ وَمَا عِنْدِي مِنَ السَّاعِ بِحَسْبِهِ^(٩). فَأَثْبِتْ مَا لَمْ يُفْلِتْهُ ذِكْرِي، وَأُورِدْ مَا لَمْ يَرْتَبْ فِيهِ^(١٠) فِكْرِي مِنْ أَسْمَاءِ الْأَشْيَاحِ الَّذِينَ لَقَيْتُهُمْ وَأَخَذْتُ عَنْهُمْ وَالْإِفْصَاحِ بِبَعْضِ مَا اسْتَفَدْتُهُ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ مَا مُنِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ النِّسْيَانِ وَذَهَبَ

(١) المصطفى من أسماء الرسول.

(٢) العلية (بالكسر) جمع «علي» (ذو المكانة الرفيعة في قومه). المجلّة (بالكسر) جمع جليل (المعلم). دو (المكانة السامية). المدود (المدكوب بين كبار القوم).

(٣) العدول (بالهم) جمع عدل (بالتفتح): العادل الأمين الذي يرضي الناس بحكمه. الملة: الدين (الأمة الإسلامية).

(٤) توفقت: أحجم، تردّد. في إسعافه (في إجابته إلى ما طلب). استهدف: تعرّض (أصبح ظاهراً مكتوفاً للذي يريد مهاجمته).

(٥) التّرزي: الغليل. آنقاء: شغفة، خوف. بطور: بمحوم حول الشيء (يسير في) تلك المسالك: الطرق (الصعبة، المنصّة).

(٦) الثرى: التراب. الجلي الهلاك. الإهاب: الجلد. إلى أن غيَّبَ إلخ: إلى أن مات. اذكرت (تذكرت) بعد أُمَّةٍ (زمن طويل). - راجع القرآن الكريم (١٢: ٤٥، سورة يوسف): ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾

(٧) حدر: حاف، تحبّب أرهق (بالسواء للمجهول) بمدمة: أتهم (بالسواء للمجهول) بأمر لا استحقّ المهمة به (لأنّي تركت عملاً أستطيع عمله).

(٨) أثر: فصل. اسدرك الرجل ما فاته: قام بعمل كان يجب عليه أن يعمل من قبل.

(٩) المشيخة: كبار الأساتذة. الساع: تلقى العلم من أهواء الرجال. بحسه (بسبب كل شيء نعلمه إلى النسيح الذي تعلّمت ذلك الشيء منه).

(١٠) أرتاب. شك.

مُعْظَمُ الْمُقَيَّدِ وَالْمُسْتَفَادِ بِالْتَرَدِّ^(١) فِي الْأَسْفَارِ وَالتَّحَوُّلِ عَنِ الْأَوْطَانِ....

- وله، في حديثٍ طويلٍ، رسالةٌ من (شعر ونثر) ألتزمَ فيها حرفَ العينِ في كلِّ كلمةٍ من كلماتها: وفيما يلي شيءٌ منها:

أَعِيدِ التَّعْهُدَ لِلْمُعِيدِ بِعَفْطَةِ تُعْنَى بِرَجْعَةِ عَهْدِكَ التَّبَاعِدِ^(٢).
أَعْهَدْتَ عَقْدَ الْعَزْمِ عِنْدِي عَارِيًّا عَنِ رَغْبِي عَهْدِ مُعَاهِدِ وَمُوَاعِدِ^(٣)؟
يَا عَلَمِي التُّبَيْعَ وَعَارِضِي التُّنَجَّعَ^(٤) وَمُعْتَمِدِي الْمَطَاعَ الْمُتَنَبِّعَ^(٥)، تَعْهَدْتِكَ لِلنَّعْمِ
هُمَّعَ عِيَادَهَا^(٦)، وَرَعَيْتِكَ لِلصَّمِّ شُرْعَ صِيَادَهَا^(٧)، وَأَعْتَلَى السَّعْدُ بِإِعْلَانِكَ وَأَعْتَسَى الْعِلْمَ
بِأَعْتَانِكَ، وَرُفِعَتْ الْأَعْيُنُ لِزَعَامَةِ إِبْدَاعِكَ.....

٤- برنامج شيوخ الرعيبي (حققه إبراهيم شوح)- دمشق (وزارة الثقافة والإرشاد القومي:
مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، رقم ٤)، دمشق (المطبعة الهاشمية)
١٣٨١ هـ= ١٩٦٢ م.

* * * الدليل والتكملة ٥: ٣٢٣-٣٦٩ (رقم ٦٣٦)- وفيها نصوص لغيره: صلة الصلة
١٤٠-١٤١ (رقم ٢٨٣)، الفدح الملقى ١٧٣، نفع الطيب ٥: ٥٢-٥٣، راجع ١:
٣١١، الأعلام للزركلي (٤: ٣٣٣).

(١) العبد (و دفاتري من مفردات المعلومات) والمستفاد (الذي تتقف به عقلي من الاختبار كما يصعب تدوينه في وقته، بل يتذكره الإنسان بعد مدة). مني: أصيب. التردد: كثرة الذهاب واليهي.

(٢) التعهد: الاعتناء، حس العاملة. العبد (المضروب بالعمود): الحب. تعني (تتعلق) برجعة (عودة) عهدك (رمن إحنائك، صداقتك، حبك) المساعد (الذي مرَّ عليه زمن طويل).

(٣) هل تذكر أنني عزمت مرة على عمل لم يكن فيه وفاء لك (... عن الوفاء بكل ما أنتظره مني صديقي أو ما وعدت به أحداً).

(٤) المر: المكان العالي (الحل)، التارة الظاهرة. التبع (الذي أقتدي به). العارض: الحباب المطر. التسجع: المكان الذي يذهب إليه الناس بعد أن يسقط عليه المطر (للترب منه ولرعي أنعامهم).

(٥) المتعبد المطاع المنع (الذي اعتمد عليه وأطبعه ثم هو لا يجيبني إلى ما أطلبه منه).

(٦) تعهدت (عمل طلب للدعاء) للنعم (حتى تال النم) هتج (فاعل تعهدت، والمفعول جمع هامة: حباية مطرة). العهد: المطر المتتابع (والضمير «ها» في «عهادها» راجع إلى «النم»).

(٧) رعيتك (حنك، دافعت عنك) للصمم (؟): لهانك. الصمدة (وجمها): صماد- بالكسر-: القصبية المنوبة المستنفة. الرمح. الشرع جمع شارعة (قناة- أي رمح- شارعة: سدة، موجهة نحو المدو).

أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الله النُمَيْرِيُّ الفاسِيُّ الوادي آشي، أصله من سُشْتَرٍ من عَمَلٍ (مِنْطَقَة) وادي آشٍ (قُرْبَ عَرْنَاطَة).

وُلِدَ الشُّشْتَرِيُّ حَوْ سَنَةَ ٦٠٢ هـ (١٢٠٥-١٢٠٦ م) وتَلَمَّذَ للقاضي مُحْيِي الدين مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيمَ بنِ الحَسَنِ بنِ سُرَاقَةَ الأنصاريِّ الشاطِئِي (ت ٦٦٢ هـ)؛ ثُمَّ ذَهَبَ إلى المَغْرِبِ ولَقِيَ المَتَصَوِّفَ المشهورَ عبدَ الحَقِّ بنَ سَعِيدِ (٦١٤-٦٦٨ هـ) فأخَذَ عنه واقتدى بِهِ (مَعَ أَنَّ ابنَ سَعِيدِ أصغرُ سِنًا). ثُمَّ إِنَّه رَحَلَ إلى المَشْرِقِ وتَطَوَّفَ بِهِ كَثِيرًا وحبَّ مرارًا.

وكانت وفاة الشُّشْتَرِيِّ في دِمِياطَ (بمصرَ)، في ١٧ من صَفَرِ سَنَةِ ٦٦٨ (١٦/١٠/١٢٦٩ م).

٢- كان أبو الحسن الشُّشْتَرِيُّ مُجَوِّدًا للقرآن عارِفًا بعمانيه، وكان له عِلْمٌ بالحِكْمَةِ وبطريقِ الصوفية. وقد أثارَ التَّجَرُّدَ (الرُّهْدَ) والعبادةَ. وله شِعْرٌ منه قَصِيدٌ ومنه مَوْشَحَاتٌ. وشِعْرُهُ على طَرِيقَةِ أهلِ الحَقِيقَةِ (المَتَصَوِّفِ). ولكن يَظْهَرُ على شِعْرِهِ شيءٌ من الضَمَفِ.

وللشُّشْتَرِيِّ كُتُبٌ كثيرةٌ منها: العُرْوَةُ الوُثْقَى (في بيان السُّنَنِ وإحصاء العلوم وما يجب على المسلم أن يَعْمَلَهُ ويعتقده إلى حين وفاته)- المَقَالِيدُ الوجودية في أسرار الصوفية- الرسالة القدسية في توحيد العامة والخاصة والمراتب الإيمانية والإسلامية والإحسانية- ديوان شعر.

٣- المختار من شعره

- لأبي الحسن الشُّشْتَرِيِّ مقاطعٌ على طَرِيقَةِ أهلِ الحَقِيقَةِ (المَتَصَوِّفِ) منها^(١):

(١) معاني هذه القطعة صوفية لا تنعم فيها دقيقاً إلا بالتأويل الذي ينفرد به المتصوفون. إن الألفاظ: التَّجَرُّدُ، الفِرَاقُ، الخَلْقُ، الأَمْرُ، الطَّيِّبُ، النُّشْرُ، إلخ الألفاظ صوفية معانها عند المتصوفة غير معانها المألوفة في القواميس.

فلم أندرج تحت الزمان ولا الدهر .
 فغبتُ بها عن عالم الخلق والأمر .
 وما القصدُ إلا التَّركُ للطَيِّ والنَّشر .
 فالفيتي ذاك الملقَّب بالغيِّر .
 ونزَّهتُ من أغنى عن الوصل والهجر .
 أريدُ به التشبيبَ عن بعض ما أدري .
 فأبصرَ أمراً جلَّ عن ضابطِ الحصر .
 وكانت له الألفاظ سِتراً على ستر .

بفكرٍ رمى سهماً تَعَدَى به عَدْنَا^(١) .
 نَغِيبُ به عَنَّا لَدَى الصَّعَقِ إِنْ عَنَّا^(٢) .

ما دُقَّتْهُ أَضْحَى بِهِ مَتَحِيَّراً ؛
 أَنْكَرْتُمْ مَا بِي أَتَيْتُمْ مُنْكَرَا .
 فَلْأَجَلِ ذَاكَ يُقَالُ : سِحْرٌ مُفْتَرَى ؛

لقد بُهتُ عَجَباً بالتجرُّدِ والفقرِ .
 وجاءت لِقَلْبِي نَفْحَةٌ قُدْسِيَّةٌ
 طَوَّيْتُ بِسَاطِ الكَوْنِ ، والطَّيِّ نَشْرُهُ ،
 وَعَمَّضْتُ عَيْنَ القَلْبِ غَيْرَ مَطْلَقِ
 وَصَلْتُ لِمَنْ لَمْ تَنْفَصِلْ * عَنْهُ لِحِظَةٍ
 وما الوصفُ إلا دونه ، غيرَ أَنِّي
 وذلكُ مثلُ الصَّوتِ أَيْقِظُ نَائِماً
 فقلتُ له : الأسماءُ تبغي بيانَه ؛

- أرى طالباً منَّا الزيادة لا الحثي
 وطلبنا مطلوبنا من وجودنا

- مَنْ لَامَنِي ، لو أَنَّهُ قَدْ أَبْصَرَ
 وَغَدَا يَقُولُ لَصَحْبِهِ : إِنْ أَنْتُمْ
 شَدَّتْ أُمُورُ القَوْمِ^(٣) عَنْ عَادَاتِهِمْ ،

٤ - ديوان أبي الحسن الششتري (تحقيق علي سامي النشار) . الاسكندرية . ١٩٦٠ م .

** عنوان الدراية : ٢١٠-٢١٣ : نيل الابتهاج ٢٠٢-٢٠٣ : نفع الطيب ٢ : ١٨٥-١٨٧ .
 ٢٠٥-٢٠٧ : دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) : ٤ : ٣٩٣ : بروكلين ١ : ٣٢٣
 الملحق ١ : ٤٨٣-٤٨٤ : نيكل ٣٥٢-٣٥٣ : مختارات نيكل ١٩٤-١٩٦ : الأعلام
 للزركلي ٥ : ١٢٠-١٢١ (٤ : ٣٠٥) .

(*) لم تعص عني القلب .

(١) عسى الحية .

(٢) الصعق : الغياب عن الحسن . عن : ظهر - ان مطلوبنا من حياتنا أن نصل إلى الله ، فإن تحلى لنا غيبنا عن الحسن .

(٣) القوم = المصوفون

ابن عصفور الإشبيلي

١- هو الأستاذ (وفيات ابن قنفذ ٣٣١) العلامة (وفات الوفيات ٢: ١١٦) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله بن عصفور الحضرمي الإشبيلي، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠-١٢٠١ م).

تلقَى ابنُ عصفورِ العَلمَ على نَفرِ مَنهم أبو الحسنِ الدبّاجِ (٥٦٦-٦٤٦ هـ) وأبو علي التَّلَوِينِ (٥٦٢-٦٤٥ هـ)، وقد لَازَمَ التَّلَوِينِ عَشْرَ سِنِينَ وقرأَ عليه كتابَ سيبويه. ثمَّ جالسَ للإقراءِ في إشبيلية نَفسها إلى أن حَدَّثَتْ بَينَهُ وبيْنَ التَّلَوِينِ مُنافَرةً أدَّتْ إلى وَخْبةٍ فَمَقاطِعِ (صلة الصلة ١٤٢) لِتَنافُسٍ في إعرابِ كَلِمَةٍ (راجع نفع الطيب ٢: ٢٠٩-٢١١). وكان التَّلَوِينُ أوسعَ وَجاهَةً فاضطَّرَّ ابنُ عصفورٍ إلى مُعادرةِ إشبيلية فَتَنقَلَ بَينَ شَريشَ وشَدونَةَ ومالقةَ ولُورقةَ ومُرَيبَةَ يَدْرُسُ على نَفرٍ من علمائها. ثمَّ إنَّهُ جالسَ للتدريسِ أشهراً في كُلِّ بلدةٍ يُمَلِّي فيها تَقايدَهُ (تعلقاته) على كتابِ الجَمَلِ لِلرَّجَاجِي وكتابِ الإيضاحِ لأبي عليِّ الفارسي وعلى الكَراسِةِ المَسبُوبَةِ لِلجَزُولِيِّ وعلى كتابِ سيبويه. وكان يُعَلِّمُ هذه الكُتُبَ كُلَّها من حِفْظِهِ.

ثمَّ إنَّ ابنَ عصفورٍ غادَرَ الأندلسَ إلى تُونسَ وتصدَّرَ فيها للتدريسِ مَدَّةَ سَيرةٍ ثمَّ انتقلَ إلى بجايةَ (في الجزائر اليوم) بانتقالِ مَخدومه (الحُصنِ إليه) الأميرِ أبي عبدِ الله محمدِ المستنصرِ الحُفَصيِّ (قبلَ سنةِ ٦٤٧ هـ، في الأَغلبِ، قبلَ أن يَلِيَ المَستنصرُ المَلِك). بعدئذٍ عادَ ابنُ عصفورٍ إلى لُورقةَ (جَنُوبَ شَرقِيّ الأندلس). ثمَّ انتقلَ إلى غَربِي الأندلسِ.

ولم تَظَلْ إقامَةُ ابنِ عصفورٍ في الأندلسِ فَرَجَعَ إلى المَغربِ ونَزَلَ في بلدةِ سَلا (قرب الرِّباط). في هذه الأثناء، فيها يَبدو، كان المَستنصرُ الحُفَصيُّ قد جاءَ إلى العرشِ، سنةَ ٦٤٧ هـ فاستدعى ابنَ عصفورٍ فعادَ ابنُ عصفورٍ إلى تُونسَ الحاضرةِ واستقرَّ فيها. وكانت وفاتُهُ في تُونسَ غَريباً في ذِي الحِجَّةِ من سنةِ ٦٦٩ في الأَغلبِ (مطلع الصيف من عام ١٢٧١ م).

٢- كان ابنُ عصفورِ الإشبيليِّ بارِعاً في العربيةِ (النحو) كَثُرَ طُلابُهُ وأقبلوا عليه من المَغربِ والمَشرقِ، إذ «كان بَقِيَّةَ الحاملينِ للواءِ العربيةِ في المَغربِ»، ثمَّ أصبَحَتْ

عليه الإحالة (الرجوع إلى رأيه) من المشرق والمغرب (نفع الطيب ٣ : ١٨٤).
 وابنُ عَصْفُورٍ يَتَّبِعُ مَذْهَبَ الْبَصْرِيِّينَ (في النحو) عُمُومًا وَيُقَدِّمُ سَبِيوِيَهَ (أشهر
 البصريين) خَاصَّةً عَلَى كُلِّ نَحْوِيٍّ. ثُمَّ هُوَ يَتَخَيَّرُ أحيانًا أَشْيَاءَ مِنْ آرَاءِ الْكُوفِيِّينَ
 وَالْبَغْدَادِيِّينَ.

ولابنُ عَصْفُورٍ أَشْيَاءَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ اِخْتِصَاصِهِ (راجع
 نفع الطيب ٥ : ٣٨٤).

وابنُ عَصْفُورٍ مُصَنِّفٌ مُكثِرٌ لَهُ: الْمَقْرَبُ (في النحو)، وَيُقَالُ إِنَّ حُدُودَهُ (تَعْرِيفَاتِهِ)
 كُلَّهَا مَأخُذَةٌ مِنَ الْجَزُولِيَّةِ (فوات الوفيات ٢ : ١١٦) تَأَلَّفَ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ
 الْجَزُولِيُّ الْمَغْرِبِيُّ (ت ٦٠٧ هـ). وَقَدْ اِتَّقَدَّ كَثِيرُونَ مِنَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ ابْنُ عَصْفُورٍ
 عَلَى هَذَا الْكِتَابِ (راجع نفع الطيب ٤ : ١٤٨). وَلَكِنَّ هَذَا الْكِتَابَ قِيَمَةٌ يَدُلُّ عَلَيْهَا
 كَثْرَةُ الَّذِينَ شَرَحُوهُ وَاسْتَحْصَرُوهُ^(١).

وله أيضاً: الْمُنْتَبِغُ فِي التَّصْرِيفِ (وأبوابه: الحروف الزوائد، أُنْبِيَّةُ الْأَسْمَاءِ، أُنْبِيَّةُ
 الْأَفْعَالِ، أَي الصَّيِّغِ الَّتِي تَأْتِي عَلَيْهَا الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ. نَحْوُ قَعْلٍ، فُعَالٌ، فَعَلٌ، اسْتَفْعَلُ
 إلخ؛ الإبدال، القلب والحذف والنقل، الإدغام، مسائل التمرين). وَالْمَقْرَبُ كِتَابٌ
 يَدُلُّ عَلَى سَعَةِ مَطَالَعَاتِ ابْنِ عَصْفُورٍ فِي كِتَابِ عِلْمَاءِ النُّحُو. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ فَأَلَّفَ «شرح
 المقرب».

وكذلك له شُرُوحٌ عَلَى عِدَدٍ مِنْ كِتَابِ النُّحُو: شَرْحُ كِتَابِ سَبِيوِيَهَ (ت ١٨٠ هـ) -
 شَرْحُ كِتَابِ الْجُعَلِ لِلرَّجَاجِيِّ (ت ٣٣٧ هـ) شَرْحُهُ ثَلَاثَةٌ شُرُوحٍ كَبِيرًا وَوَسَطًا وَصَغِيرًا -
 إِبْرَارَةُ الدِّيَاجِيِّ^(٢) - الْأَزْهَارُ - الْهَلَالُ أَوْ الْهَلَالِيَّةُ (البلغة ١٧٠) - السِّلْكُ وَالْعِنْوَانُ
 وَمِرَامُ اللَّوْلُوِّ وَالْمَرْجَانُ (بروكلمن، الملحق ١ : ٥٤٧) - الْمِفْتَاحُ - شَرْحُ الْإِبْرِيضِ^(٣) -

(١) راجع أسماء هؤلاء الشراح والمختصرين في «ابن عصفور والتصريف» (ص ٥٣ - ٥٥).

(٢) يقول فخر الدين قباوي (ابن عصفور والتصريف ٨٩، الحاشية ٤). لَعَلَّ (إِبْرَارَةُ الدِّيَاجِيِّ) أَحَدُ شُرُوحِ
 جَمَلِ الرَّجَاجِيِّ.

(٣) يرى بروكلمن (١ : ٣٥٢، السطر ٢٨) أَنَّ «الْإِبْرِيضَ» هُوَ «إِبْرِيضُ الْمَشْكَلِ» لِلْمَطْرُزِيِّ (ت ٦١٠ هـ).
 وَفِي دَائِرَةِ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ (٣ : ٩٦٢) أَنَّ الْإِبْرِيضَ هُوَ لِأَنَّ عَلِيَّ الْفَارِسِيَّ (ت ٣٧٧ هـ)؛ وَفِي بْرُوكْلَمَنْ =

مختصر المحتسب (في النحو لابن بابشاذ المصري المتوفى ٤٦٩ هـ) - البديع (شرح لمقدمة «الجزولية» في النحو للجزولي المتوفى ٦٠٧ هـ) - المقنع - مختصر الغرّة - منظومة في النحو. ثم له كتب ألصقُ باللغة والأدب: شرحُ الأشعار السبّعة (دواوين امرئ القيس، النابغة، زهير، علقمة الفحل، طرفة، عنترّة) ولكن لم يتمّه - شرح الحماسة (ديوان الحماسة لأبي تمام) ولكن لم يتمّه - شرح ديوان المتنبي - مفاخرة السالف والعدار^(١) - الضرائر (الضرورات التي تحمل الشاعر على مخالفة قواعد في اللغة أو في النظم) - سرقات الشعراء .

وكان لابن عصفور شيء من الشعر وشيء من الكتابة الأنيقة.

٣ - مختارات من آثاره

- قال ابن عصفور في وصف التّجمل بعد الجهل:

لَمَّا نَدَدْتُ بِالْتَفْرِيطِ فِي كِبَرِي وَصَرْتُ مُغْرَى بِشُرْبِ الرَّاحِ وَاللَّسِّ^(٢)
رَأَيْتُ أَنْ خِضَابَ الشَّيْبِ أَسْتُرِي إِنَّ الْبِيضَ قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّنْسِ^(٣)!

- من مقدمة كتاب المقرّب:

.... فلما كان علمُ العربيّة (النحو) من أجلّ العلوم قدراً وأعظمها خطراً، إذ به تقومُ للإنسانِ ديانته فتتمُّ صلاته وتصحُّ قراءته؛ وكانت أكثرُ الموضوعاتِ فيه لا تُبرِدُ غليلاً^(٤) ولا تُحصّلُ لطالبه مأمولاً، وأنها بين مُطوّلةٍ قد أسرف فيها غاية الإسراف

= أيضاً (١: ٣٥٤، الطر الناق) أن الإيضاح للسكاكي (٦٢٦ هـ) وأن «شرح الإيضاح» للسكاكي نفسه. وفي «ابن عصفور والتصريف» أن «الايضاح» (ص ٤٩) غير «شرح الإيضاح» (ص ٥١) وأن الإيضاح لأبي عليّ الفارسيّ.

- (١) السالف للمرأة، والعدار للرجل
(٢) الراح: الحمر اللبس سواد مسحس في باطن الشفة (المقصود: التّفليل)، الغزل - في «فوات الوفيات» (١١٦: ٢) - المحلّط في كبرى... يرشف الراح واللبس.
(٣) - أن أقل قدر من الريح يمكن أن يبدو على سبوح أبيض. إنه صنع شعره حتى إذا ظهرت منه هفوة لم يلمح الناس بحجّة أنّه منقّم في الس لا يجوز منه مثل ذلك العمل!
(٤) الخطر (أهمّة قسمة). اللبل: شدّه العطنس وحرارته. - لا تبرد غللاً (لا تمنح الإنسان ما يطلعه).

وَمُخْتَصَرَةٌ أَحَجَفَ فِيهَا غَايَةَ الإِحْجَافِ أَشَارَ مِنَ النُّجْحِ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي آرَائِهِ وَالْيَمْنُ مُعْتَادٌ فِي مَذَاهِبِهِ وَأَنْحَائِهِ - مَالِكُ عِنَانِ العِلْمِ وَفَارَسُ مِيدَانِهَا وَمُخْرِزُ قَصَبِ السَّبْتِ فِي حَلْبَةِ رِهَانِهَا وَتَارِيخُ الفَضَائِلِ وَعُنْوَانُهَا وَحَدَقْتُهَا وَإِنْسَانُهَا - الأَمِيرُ الأَجَلُّ الأَوْحَدُ البُؤَيْدُ الأَسْعَدُ أَبُو زَكَرِيَّا ابْنُ الشَّيْخِ المُقَدَّسِ ^(١) المُجَاهِدِ أَبِي مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ المُجَاهِدِ المُقَدَّسِ أَبِي حَفْصِ ^(٢) أَدَامَ اللهُ عِلَاءَهُمْ وَأَنَارَ بِنُجُومِ السُّعْدِ سَاءَهُمْ - إِلَى وَضَعِ تَأْلِيفِ مُنَزَّهِ عَنِ الإِطْنَابِ المُيَلِّ وَالإِخْتِصَارِ المُخِلِّ، مُخْتَوٍ عَلَى كَلْبِيَّاتِهِ مُسْتَعِيلٍ عَلَى فُصُولِهِ وَغَايَاتِهِ، عَارٍ عَنِ إِيْرَادِ المُجْلَافِ ^(٣) وَالدَّلِيلِ، مُجَرَّدٍ أَكْثَرُهُ عَنِ ذِكْرِ التَّوْجِيهِ وَالتَّعْلِيلِ، يُشْرِفُ النَّاطِرُ فِيهِ عَلَى جُمْلَةِ العِلْمِ فِي أَقْرَبِ زَمَانٍ وَيُحِيطُ بِمَائِلِهِ فِي أَقْصَرِ أَوَانٍ. قَوَّضَتْ فِي ذَلِكَ كِتَابًا صَغِيرًا الحَجْمِ مُقَرَّبًا لِلْفَهْمِ، وَرَفَقَتْ فِيهِ مِنْ عِلْمِ النُّحُوِّ شِرَائِعُهُ ^(٤) وَمَلَكَتُهُ عَصِيَّةً وَطَائِعَةً وَذَلَّتْهُ لِلْفَهْمِ بِحَسَبِ التَّرْتِيبِ وَكَرَّةِ التَّهْذِيبِ لِأَلْفَاظِهِ وَالتَّقْرِيبِ، حَتَّى صَارَ مَعْنَاهُ إِلَى القَلْبِ أَسْرَعَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى السَّمْعِ. فَلَمَّا أَتَيْتُ بِهِ عَلَى القَدْحِ تَمَنُّعًا عَلَى القَدْحِ ^(٥) مُشْبَهًا لِلعَقْدِ فِي التَّثَامِ وَوُضُولِهِ وَاتِّظَامِ فُصُولِهِ، سَمَّيْتُهُ «بِالمُقَرَّبِ» لِيَكُونَ أَسْمُهُ وَفَقِيَ مَعْنَاهُ وَمُتَرَجِّمًا عَنِ فُحْوَاهُ...

٤ - المتع (نشره فخر الدين قباوي). حلب ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م.

- المُقَرَّبُ (نشره أحمد عبد السَّارِ الجَوَارِي وَعبد الله الجَوَارِي). بَغْدَاد (رِثَاة دِيوَانِ الأَوْقَافِ فِي المَجْمُورِيَّةِ العِرَاقِيَّةِ - فِي سِلْسَلَةِ «إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الإِسْلَامِي»)، المِزْجَةُ الأَوَّلُ. بَغْدَاد (مَطْبَعَةُ العَالِي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

* * ابن عَصْفُور وَالتَّصْرِيفُ، تَأْلِيفُ فخر الدين قباوي. حَلْب (دَارُ الأَصْمَعِي) ١٣٩١ هـ = ١٩٧١ م.

صَلَةُ الصَّلَةِ ١٤٢ - ١٤٣ (رَقْم ٢٨٥)؛ قَوَاتِ الوَقَايَاتِ ٢ : ١١٦؛ الذَّيْلُ وَالتَّكْمَلَةُ ٥ : ٤١٣ - ٤١٤؛ وَقَايَاتُ ابْنِ قَفْذٍ ٣٣١؛ البَلْعَةُ ١٦٩؛ عُنْوَانُ الدَّرَايَةِ ٢٦٦ - ٢٦٨؛ بَغِيَّةُ الوَعَاةِ ٣٥٧؛ نَفْحُ الطَّيْبِ ٢ : ٢٠٩ - ٢١١، ٣ : ١٨٤. رَاجِعْ ٢ : ٢٧١ - ٢٧٢، ٧٠١.

(١) المُقَدَّسُ (بِكسر الدال - الذي يكسر من تقدس الله ونسيبته).

(٢) هُوَ أَبُو زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الوَاحِدِ المِصْطَاقِي (٥٩٩ - ٦٤٧ هـ) جَدُّ الخَلَفَاءِ المُنْصَوِّينَ.

(٣) المُجْلَافُ: اِخْتِلَافُ الحَاةِ فِي تَحْرِيجِ الإِعْرَابِ، إلخ.

(٤) الشَّرَائِعُ، المَفْرُوضُ أَنَّهُ جَمْعُ شَرِيعَةٍ (طَرِيقَةٍ!)؛ أَوْ: شِرَاعُهُ: قَلْعٌ (بِالكسر) السَّمْعَةُ.

(٥) القَدْحُ (يَنْفَعُ القَافُ): المِصْبُ. (وَكسر القاف) المَقْوُ (قَلْبُ مِمَّا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْسَهُ).

٤ : ١٤٨ . ٥ : ١٣٨٢ شذرات الذهب : ٥ : ٣٣٠ ؛ بروكلمن : ١ : ٣٨١ . الملحق : ١ :
٥٤٦ - ٥٤٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٩٦٢ الأعلام للركلي ٥ : ١٧٩ - ١٨٠ (٢٧) ؛
معجم المؤلفين ٧ : ٢٥١ .

الدَّرْحِينِي

١ - هو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن إجلاف من تيجار
في جبل نفوسة ومن أسرة كان لها نشاطٌ إباضيّ وعلم وفقه .

يبدو أن مولد الدَّرْحِينِي كان في السَّنوات الأخيرة من القرن السادس . ودرس في
مطلع شبابه في وَرْجَلَة (٦١٦ - ٦١٨ هـ) ثم رأيناه يتابع تلقي العلم (سنة ٦٣٣) في تَوْزَّر
بجَنُوبِي تُونِس . وبعد ذلك عاش مُدَّة في جزيرة جَرَبَّة . ولعلَّ وفاته كانت نحو ٦٧٠
(١٢٧٠ م) .

٢ - كان الدرّحينيّ فقيهاً إباضياً ومؤرخاً وشاعراً . ويبدو أن نشاطه الأدبي بدأ سنة
٦٢٦ (١٢٢٨ م) . أشهر بكتابه «طبقات المشايخ» . وهذا الكتاب قسمان واضحا
أولها (يبدو وكأنه منسوخ من «كتاب السيرة وأخبار الأئمة لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر
الوَرْجَلَانِي») ، أسترخص فيه أنتشار المذهب الإباضيّ في شمالي إفريقيا وتأسيس الدولة
الرُسُيْمِيَّة ثم ألحق به تراجم لنفر من فقهاء الإباضية المتقدمين من المغاربة . وأمّا ثاني
القسمين فهو مجموع تراجم لمشاهير الإباضية من فقهاء وغير فقهاء . ويتألف هذا القسم
الثاني من اثنتي عشرة طبقة تتناول كلُّ طبقة خمسين سنة . وقد خصت الطبقات الأربع
الأولى (في القرنين الأولين من الهجرة) بالفقهاء الإباضية من المشارقة . والطبقات الثماني
الباقية بالفقهاء الإباضية من المغاربة .

- طبقات المشايخ . القاهرة ١٣٠٢ هـ .

** دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن : ١ : ٤١٠ . الملحق : ١ : ٥٧٥ .

ابن أبي الحسين

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين^(١) سعيد بن الحسين بن سعيد بن خلف العنسي، من أهل القيروان، كان هو وأهله من أبناء الدولة (المقرئين من السلطان). ويبدو من شعره أنّ أهله كانوا من البدو الذين قدّمهم الحفصيون على قوم عيّان بن جابر (راجع، فوق، ص ١). وقد تولّى محمد بن أبي الحسين الحجابة (الوزارة) في أيام أبي زكريا يحيى (٦٢٥-٦٤٧ هـ) ثم في أيام ابنه محمد المنتصر (٦٤٧-٦٧٥ هـ)، فزاد ذلك في نفور عيّان بن جابر وقومه فرحلوا عن تونس^(٢). وكانت وفاة محمد بن أبي الحسين، سنة ٦٧١ للهجرة (١٢٧٢-١٢٧٣ م)، في تونس.

٢- كان محمد بن أبي الحسين رجلاً بعيد الهمة ذا عزم وحزم في الأمور. وقد وصفه حسن حسني عبد الوهاب ياتقان العلوم وبالعرفه باللغة وبرقة الشعر والبراعة في الترسل. وفي شعره متانة، وفيه وصف وفخر وشيء من الحكمة. ثم هو مصنف عني بكتاب «المحكّم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) رتبته على أواخر الكلمات وسماه «ترتيب المحكّم» ثم اختصره وجعل اسم مختصره «خلاصة المحكّم».

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله بن أبي الحسين بن سعيد قصيدة بحث فيها عيّان بن جابر على العودة إلى تونس:

(١) هذا السب الطويل من الأعلام (للرزمي). وقد اقتصر حسن حسني عبد الوهاب على محمد بن أبي الحسين بن سعد (مكان: سعيد)، أبو عبد الله.

(٢) راجع البيت الرابع عشر من المختارات من شعر عيّان بن جابر. يذكر حسن حسني عبد الوهاب أنّ محمد بن أبي الحسين قد تولّى الحجابة للمنتصر الحفصي. وفي بي حفص سلاطين تونس بضعة نفر تلقوا بالمنتصر، ولكنهم كلهم جاءوا بعد وفاة محمد بن أبي الحسين. والصواب أن يقال إنّ ابن أبي الحسين تولّى الحجابة للمنتصر الحفصي (٦٤٧-٦٧٥ هـ) وهو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد وأخو أبي زكريا يحيى مؤسس الدولة الحفصية (راجع زامباور، ص ١١٥ و ١١٧).

سلوا دمنةً بين القضا والواجر
 ودونكم، يا للرجال، تحيةً
 فنى ما دعتهُ زلةٌ فأجابها،
 وقد كان بيني، يا عنان، وبينكم
 وفي كلِّ عامٍ كان للجيش وقعةٌ
 فتختال أعطافٌ وتصلُ سُمرنا،
 تشاوى على خيلٍ تشاوى كأننا
 عزيزٌ علينا، يا عنان، ضلالةٌ
 تبصرٌ ولا تحمِلُ على النفس غيها؛
 فديتك، لا تشِرُّ الضلالةُ بالهدى؛

هل آسنَ فيها واكفاتُ المواطِرِ^(١)؟
 يُخصُّ بها عني عنانُ بن جابر^(٢).
 فكيف طوى كئحاً على نفسٍ غادر^(٣)؟
 بواطِنُ صنَّهاها بحفظِ الظواهر^(٤).
 نجرٌ بها أذيانسا جرٌّ سادر^(٥)
 ونهزٌ كالسمرِ أبتغاءِ المفاخر^(٦)
 وأسيفنا لم نستفيق من تاسكر^(٧).
 حدت بك لا تلوي على زجرٍ زاجر^(٨).
 أعيدك من كراتٍ دهرٍ جواسر^(٩)
 فديتك، لا تشِرُّ العمى بالبصائر^(١٠).

- (١) الدمة: آثار الدار (المكان الذي كان فيه دار مسكونة). العضا: نوع من الشجر. الواجر لعلها جمع سورج - بالفتح - : نوع من الشجر (تاج العروس - الكويت ١١ : ٥٠٧). آسنَ: هطل (فيها المطر دفعة - بالصم - واحدة وتتابع). الواكف: (المطر) السائل، الهاطل. المواطِر جمع ماطرة (٢) - عيمة مطرة.
- (٢) دونكم: خذوا (اعلموا). يا للرجال (ما أحسنه من رجل).
- (٣) الكئح: الجانب (من جسم الإنسان). طوى كئحاً: أسر (احقداً).
- (٤) صنَّها من صن: حفظ، حمى.
- (٥) جرٌّ فلان ذيله: مشى متبعراً (معجباً بنفسه). السادر (الذي لا يبالي بالعواقب، المتطلق في هواه لا يفكر في شيء آخر).
- (٦) العطف (بالكسر) الجانب الأعلى من الجسم. نصل: تهتز. السمر جمع أسمر: الرمح. اهتزاز الرمح (في الذهاب إلى الحرب) كناية عن الثقة بالظفر.
- (٧) الشوان: السكران (المرور بما يملك). تاسكر (تظاهر المرء بالسكر وهو ليس سكران).
- (٨) عزيز علينا (أمر صعب علينا، تقبل على نفوسنا، مسيء لنا). حدت بك: ساقتك، دفتك. لا تلوي: لا تلفت (لا تسع زجر زاجر: من يريد أن يردك عن الضلال).
- (٩) العمى: الضلال. كرة الدهر (هجمته بالأذى على الإنسان). جواسر (يريد بها جمع جاسرة: جريئة، شحاعة).
- (١٠) شرى: اشتري. البصائر جمع بصيرة: الفطنة وحس الإدراك للأموار (ولعله يقصد العين الباصرة، من مقارنة الصائر بالعمى).

وما العربُ العَرَبُ إِلَّا بِمِثْلِهَا ، فَمَنْ كَانَ أَوْفَى كَانَ أَوْلَىٰ فَآخِرٍ ^(١) .
فَكَمْ حَفِظْتَ مِنْ ذِمَّةِ قَوْسٍ حَاجِبٍ ، وَكَمْ مِثْلِي أَبْقَى السَّمَوَاتِ سَائِرٍ ^(٢) .
كَذَلِكَ كَانَ النَّاسُ يُؤْفُونَ ، فَاتَّبِعُوا سَبِيلَ الْوَفَاءِ كَابِرًا إِنْ تَرَىٰ كَابِرٍ ^(٣) .
وَمَنْ تَتَفَعَّ الذُّكْرَى تَلَفَى تَلَاغَهُ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ مِنَ الرَّشْدِ سَافِرٍ ^(٤) .
هَدَّتْكَ الْهُوَادِي ، يَا عَيْنَانُ ، وَأَمْطَرَتْ ذُرَاكَ الْهُوَادِي بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرٍ ^(٥) .

٤- ** مجمل تاريخ الأدب التونسي ١٩٩-٢٠١ ، الاعلام للزركلي ٦ : ٣٣٤ (١٠١-١٠٢) .

القرطبي صاحب التفسير

١- هو الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الخنزرجي الأنصاري من أهل قرطبة، ولد سنة ٥٧٨ للهجرة (١١٧٣ م). سمع من أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٥٧٨-٦٥٦ هـ) وأخذ عن أبي عليّ الحسن بن محمد بن محمد البكري وعن أبي الحسن عليّ بن محمد بن علي بن حفص اليحصبي.

- (١) الرباء: الصريحة السب. بمذها: بمددها (بكثره عددها). أوفى: أكثر عدداً. أكثر وفاء بالمهد.
- (٢) حاجب بن زرارة (بالضم) سبب بني تميم في الجاهلية (ت سنة ٣ هـ) كان قومه قد اعتدوا على بضعه من المراعي على ضفاف نهر الفرات لم تكن لهم. فغضب كسرى وأراد أن يمنع بني تميم من الرعي في جميع مناطق الفرات. فجاء حاجب إلى كسرى ووعده بالألأ يهود بنو تميم إلى الرعي في مناطق ليست لهم وجعل قومه رهأ للوفاء بوعده. ووفى بنو تميم بالوعد. والسؤال بن عاديا، يقال فيه إنه كان وفياً بوعده. فك حفظت من ذمة قوس حاجب (هذه القوس القبلية النسب كانت ثمينة جداً لأنها حلت بني تميم على الوفاء بوعدهم ثم علمتهم الوفاء بالوعد في غير موقعهم مع كسرى).
- (٣) كابرأ إنر (بعد) كابر: إرثاً من سلف عظيم إلى حلف عظيم بعده.
- (٤) - والذي ينغمه تذكر ماضيه بتلافي (يتجنب) تلافه (هلاكه) ثم يكشف (يرف) بختبر) وجهاً من أوجه الرشد (الصواب). سافر: واضح. ظاهر. ليس في «س» (هنا) معنى الشرط.
- (٥) الهادية: الدليل المتقدم في السير، الهادي الناصح. الدرود (بالكسر أو بالضم): المكان العالي (بينك الرفيع، الشريف). العادية: العيمة المطرة القادمة في الصباح. بين باد وحاضر: إذا كنت في البادية أو في الحضر (المدينة).

رَحَلَ الْقُرْطُبِيُّ إِلَى الْمَشْرِقِ وَاسْتَقَرَّ فِي مَنِيَّةِ بَنِي خَصِيبٍ، شَمَالَ أَسْوَاطَ بَصْعِيدٍ
بِضَرْ. وَكَانَتْ وَقَاتَهُ هُنَاكَ فِي تَاسِعِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٦٧١ (١٢٧٣/٣/٣١ م).

٢- كان القرطبي صاحبُ التفسير رجلاً صالحاً متعبداً زاهداً ومن العلماء العارفين
متبحراً في عددٍ من العلوم، وفي التفسير والحديث خاصة، كما كان مليحَ النظم.

وهو مصنفٌ له: الجامعُ لأحكام القرآن المُبين لما تضمنه (القرآن) من السُّنةِ وآيِ
الفرقان (أسقط منه القصصَ والتواريخ وأثبت عوضاً عنها أحكام القرآن واستنباط
الأدلةَ - وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ) - الأسنى في شرح أسماء الله
الحسنى - التذكار في أفضل الأذكار - التذكرة بأحوال الموتى وأحوال (أموال) الآخرة
(= التذكرة الفاخرة بأحوال الآخرة؟) - قمع الحرص بالزهد والقناعة وردل (ذل)
السؤال بالكف (بالكتب) والشفاعه - شرح التصفي - أرجوزة (جمع فيها أسماء النبي
صلى الله عليه وسلم) - الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن
دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام (ردُّ على كتاب في الجدَل
لأحدِ نصارى طُلَيْطَلَةَ) - كتاب العقيدة - المصباح في الجمع بين الأفعال (لابن القطّاع)
والصّحاح (للجوهرى) (بمجرداً من الشواهد).

والمقصودُ بكتابه «الجامع لأحكام القرآن» أن يكون تفسيراً لآيات القرآن. ولكن
هذا الكتاب ليس تفسيراً بمعنى «توضيح معنى الآية بعد، الآية»، بل هو «عَرْضُ
لكل ما يتعلق بكل آية من وجوه المعرفة من تفسير الألفاظ وبيان إعرابها وذكر ما
يتصل بها من أوجه البلاغة ومن الشواهد الدالة على المقصود منها سواءً أكانت هذه
الشواهد من أقوال الرجال أو من الأشعار أو من الأحاديث أو من الآيات حينما توافق
الآية الآية المقصودة بالتفسير. ولا شك في أنّ «الجامع لأحكام القرآن» ينكشف عن
سعة المعرفة التي كان القرطبي يتمتع بها وعن إصابة الرأي فيما يتناول من الموضوعات.

ثم إن هذا الكتاب مفيدٌ جداً للباحث، إذ هو يجمع للقارىء معظم ما يتعلق بكل
آية في مكانٍ واحدٍ. ولكنّه يَشُوْشُ الأمور على القارىء العادي حينما يحاول أن «يفسر»
القرآن بالقرآن» (أي يدلُّ على المقصود من آية ما يبراد ما يشبه تلك الآية مما ورد

من آيات القرآن، فيختلط الأمر حينئذ على القارئ العادي بين الآية المقصودة بالتفسير في موضعها والآيات المشهد بها. وهذه حُطّة تدعو إلى التّطويل. لقد جاء تفسير الآية: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ؟ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟﴾ (٢: ٤٤، سورة البقرة) في سبع صفحات (١: ٣١١-٣١٦) في نحو مائة وعشرة أسطر (نحو ألف وثلاثمائة كلمة) منها ستة عشر بيتاً من الشعر.

وهناك مأخذٌ آخر على أسلوب القرطبي في التفسير حينما يفصل بين كلمات الآية الواحدة ثم يُورد في أثناء تفسير تلك الآية أقساماً من آيات توافق الآية المقصودة بالتفسير في المعنى وفي اللفظ. ففي تفسير الآية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَابِنِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ. إِنَّا لَنَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢: ١٤) في أثناء شرح هذه الآية (١: ١٧٩-١٨١) يوردُ القرطبي أقساماً من آيات هي:

- وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا (٤٢: ٤٠، التورى).
- فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ بِهِ (٢: ١٩٤، البقرة).
- وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهُ (٣: ٥٤، آل عمران).
- إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا (٨٦: ١٦، الطارق).
- يَحَادِعُونَ اللَّهَ، وَهُوَ خَادِعُهُمْ (٤: ١٤٢، النساء).
- فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ (٩: ٧٩، التوبة).

إنَّ القارئ العادي لا يستطيع أن يعرفَ (بالتأكيد) أن هذه الآيات الستُ مختلفةٌ المواقع في المصحفِ وأنها ليست (في القراءة) من الآية المقصودة بالتفسير، والتي هي من سورة البقرة. ولكن هذه هناتٌ (مأخذٌ بيسرة) في «أسلوب» التفسير، وليست تمنعُ من أن نرى القرطبي في تفسيره هذا جيدَ الفهم للمقصود حسنَ التخريج للأدلة.

٣- مختارات من آثاره

١- من مقدمة «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي المفسر (١: ٢-٣): وبعد، فلما

(١) راجع الجامع لأحكام القرآن ١: ٣١١ وما بعد.

كان كتابُ الله هو الكفيلَ بجميعِ علومِ الشَّرْعِ الذي استقلَّ بالسُّنةِ والفرْضِ، ونزلَ به أمينُ السماءِ إلى أمينِ الأرضِ^(١)، رأيتُ أنْ اشتغلَ به مدى عُمري وأستفرغَ به مَنِّي^(٢) بأنْ أكتبُ فيه تعليقاًَ وحيزاً يتضمَّنُ نكتاً^(٣) من التفسيرِ واللُّغاتِ والإعرابِ والقراءاتِ و(من) الرَّدِّ على أهلِ الرِّبِّعِ والضَّلالاتِ^(٤) و(من) أحاديثِ كثيرةٍ شاهدةٍ لما نذكرُه من الأحكامِ ونزولِ الآياتِ^(٥) جامعاً بين معانيها ومُبيِّناً ما أشكلَ^(٦) منها (وذلك) بأقوالِ السلفِ ومن تبعَهُم من الخلفِ.

وعملتهُ تذكِرةً لنفسي وذخيرةً ليومِ رَمَسي وعملاً صالحاً بعدَ موتي. قال اللهُ تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانَ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾؛ وقال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾؛ وقال رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عملهُ إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ أو عِلْمٍ يُنتفعُ بهِ أو ولدٍ صالحٍ يدعو له».

وشرطي في هذا الكتابِ إضافةُ الأقوالِ إلى قائلِها والأحاديثِ إلى مُصنِّفِها^(٧)، فإنَّه يُقالُ: من بركةِ العلمِ أن يُضَافَ القولُ إلى قائله.

وكثيراً ما يجيءُ الحديثُ في كُتُبِ الفقهِ مُبهماً لا يُعرفُ من أخرجَه^(٨) إلا من أطلَعَ على كُتُبِ الحديثِ فيبقى من لا خبرةً له حائراً لا يُعرفُ الصحيحَ من السقيمِ^(٩) - ومعرفةُ ذلكِ علمٌ جسيمٌ^(١٠) - فلا يُقبلُ منه الاحتجاجُ به ولا الاستدلالُ حتى

(١) أمينُ السماءِ: جبريل. أمينُ الأرضِ: محمد رسولُ الله.

(٢) المنةُ (بالهم): العوَّةُ.

(٣) النكتهُ: النقطةُ البارزةُ، المسألةُ الدقيقةُ أو النادرةُ.

(٤) الربيعُ: الخيدُ أو الميلُ عن الطريقِ الصحيحِ. الضلالةُ: الباطلُ، مخالفةُ الطريقِ السليمِ.

(٥) نزولُ الآياتِ (أسبابُ نزولها، تاريخها).

(٦) أشكلُ الأمرُ: أشبه. النسي (ثم يمكس الحزم) فيه رأيٌ واضحٌ.

(٧) مصنفُ الأحاديثِ مرتَّبُ أحاديثِ رسولِ الله في أبوابها بحسبِ معانيها.

(٨) أخرجَ الحديثَ (بين طريقِ روايته).

(٩) الحديثُ الصحيحُ: الثابتُ في روايته عن رسولِ الله. التسمُّعُ من الحديثِ: ما كان في روايته عن رسولِ الله شكٌّ أو حرجٌ في أمانةِ رِجائه (فهو ضعیف) أو ما لم يكن من أحاديثِ رسولِ الله (فهو موضوع، مكذوب).

(١٠) جسيمٌ: عظيمٌ، صعبٌ.

يُضِيهِ إِلَى مَنْ خَرَجَهُ مِنَ الْأَيْمَةِ الْأَعْلَامِ وَالثَّقَاتِ الْمَشَاهِيرِ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ . وَنَحْنُ نُشِيرُ إِلَى جُمْلَةٍ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ . وَاللَّهُ الْمَوْقِفُ لِلصَّوَابِ .

(ثم إِنِّي) أَضْرَبُ^(١) عَنْ كَثِيرٍ مِنْ قِصَصِ الْمُضْرِبِينَ وَأَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ ، إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا غِنَاءَ^(٢) عَنْهُ لِلتَّبَيِّنِ . وَأَعْتَضْتُ مِنْ ذَلِكَ تَبَيِّنَ آيِ الْأَحْكَامِ بِمَسَائِلَ تُسِيرُ عَنْ مَعْنَاهَا وَتُرْشِدُ الطَّالِبَ إِلَى مُقْتَضَاهَا^(٣) . فَضَمَّنْتُ كُلَّ آيَةٍ تَتَضَمَّنُ حُكْمًا أَوْ حَكْمَيْنِ فَمَا زَادَ مَسَائِلَ تُبَيِّنُ فِيهَا مَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابِ التَّرْوِيلِ وَالتَّفْسِيرِ وَالتَّغْرِيْبِ وَالتَّحْكُمِ^(٤) ، فَإِنَّ لَمْ تَتَضَمَّنْ حُكْمًا ذَكَرْتُ مَا فِيهَا مِنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ^(٥) ، هَكَذَا إِلَى آخِرِ الْكِتَابِ . وَسَمَّيْتُهُ « الْجَامِعَ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالتَّبَيِّنِ لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنَ السُّنَّةِ وَآيِ الْفُرْقَانِ^(٦) ، جَعَلَهُ اللَّهُ خَالصًا لَوَجْهِهِ ، وَ(أرجو) أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ وَوَالِدِيَّ مِنْهُ^(٧) . إِنَّهُ سَمِعَ الدُّعَاءَ قَرِيبٌ مُجِيبٌ^(٨) . آمِينَ .

٤ - الجامع لأحكام القرآن، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٣٣ - ١٩٥٠ م، الطبعة الثانية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ = ١٩٦٣ م؛ القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م (نسخة مصورة).

- أفضية الرسول صلى الله عليه وسلم. القاهرة (الباي) ١٣٤٦ هـ .
- التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة^(٩) (في مجموع، رقم ٤)، القاهرة (مكنة الجمهورية العربية) بلا تاريخ؛ (صححه أحمد محمد مرسي)، القاهرة (مطابع مذكور وأولاده) بلا تاريخ.

-
- (١) أضرب عن الشيء: رفض الأخذ به، ترك العمل به.
 - (٢) الغناء (بالفتح): (هنا) الاستثناء. لا غناء عنه: ضروري.
 - (٣) مقتضاها: وجوبها، الحاجة إليها، وجه العمل بها.
 - (٤) التغريب (من الألفاظ): ما كان قليل الاستعمال. الحكم: الوجه الشرعي الذي يجب العمل به.
 - (٥) تأويل الكلام: المدول به عن الحقيقة إلى المجاز. ترك المعنى الظاهر وطلب المقصود الباطن.
 - (٦) الفرقان: القرآن الكريم (الذي يفرق بين الحق والباطل).
 - (٧) المنّ (بالفتح): النعمة، الفضل.
 - (٨) في القرآن الكريم (٢: ١٨٦، البقرة): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ﴾ (دعاني).
 - (٩) في بروكلمان (الملحق ١: ٧٣٧): بولاق ١٣٠٠؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ (لم ياب منها كلمة مطبوع).

- التذكار في أفضل الأذكار: القرآن الكريم (خرَجَ أحاديثه... أحمد بن محمد الغباري)، القاهرة (الخانجي) ١٣٥٥ هـ.
- ♦♦- شرح التذكرة القرطبية (لأحمد بن أحمد بن محمد، التوفى ٨٩٦ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ.
- مختصر التذكرة بأحوال الموتى الخ، لعبد الوهاب التمراني (ت ٩٧٣ هـ)، بولاق ١٣٠٠ هـ؛ مصر (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ، ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزاق) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ مصر ١٣٢٠ هـ.
- مختار تصير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تصنيف توفيق الحكيم (؟)، القاهرة (المهية المصرية العامة للكتاب) ١٩٧٧ م.
- الوفاي بالوفيات ٢: ١٢٢-١٢٣؛ الديباج المذهب ٣١٧-٣١٨؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٥؛ نفع الطيب ٢: ٤٨-٤٩، ٣: ٢٣٥-٢٣٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٥١٢ وما بعد؛ بروكسلن ١: ٥٢٩، الملحق ١: ٧٣٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢١٧-٢١٨ (٥: ٣٢٢)؛ سركيس ١٥٠٤، راجع ١١٣٣ (رقم ١٧).

ابن مالك النحوي

- ١- هو جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الحياتي. وُلِدَ ابنُ مالكٍ في جَبَان، سَنَةَ ٥٩٨ هـ (١٢٠٢ م) في الأغلب، ودرس فيها على ثابت بن خيار التوفى سَنَةَ ٦٢٨ هـ (نفع الطيب ٧: ٢٨٧) وعلى أحمد بن نوارٍ وعلى أبي عبد الله محمد ابن مالك المرشاني وعلى أبي علي الشلوبيني الصغير (ت ٦٦٥ هـ).
- ورحل ابنُ مالكٍ في مطلع حياته فدرس في مِصْرَ على أبي عمرو عثمان بن الحاجب (٥٧٠-٦٤٦ هـ) وأبي صادق بن الصباح (ت ٦٣٢ هـ). ثم جاء إلى دمشق فدرس على أبي الحسن بن السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) وأبي الفضل مكرم بن محمد (ت ٦٣٥ هـ). وانتقل إلى حَلَبَ فأخذ من ابن يَمِيشَ (ت ٦٤٣ هـ) ومن تلميذه ابن عمرو بن عمرو (ت ٦٤٣ هـ).

وتصدَّرَ ابنُ مالكٍ للتدريس في دِمَشقَ، وفي حَماة مُدَّةً، وفي حَلَبَ أيضاً.

وكانت وفاة ابن مالك في دِمَشقَ في الثاني عشر من شَبَّانَ من سَنَةَ ٦٧٢

(١٢٧٤/٢/٢٢٢ م).

٢- كان ابنُ مالكٍ إماماً في القراءات وفي اللُغة والنحو واسعَ الأَطلاعِ على أَسْمارِ العرب التي يُسْتَشْهَدُ بها في اللُغة والنحو: كان يأتي بالشاهد من القرآن الكريم، فإذا لم يجدهُ في القرآن أخذهُ من الحديث، فإذا لم يجدهُ فيها أخذهُ من أَسْمارِ العرب. ولاين مالِكُ النَّحْوِيُّ نظمٌ كثيرٌ يدورُ كُلُّهُ على جمع قواعدِ اللُغة والنحو وعلى سوارِدِها. وهذا النوع من النظم يكون في العادة كثير التكلُّفِ قليل الروتق.

ولاين مالِكُ تصانيفٌ كثيرةٌ منها: الفوائدُ (في النحو، وقد ضاع) - تسهيل الفوائد، (مختصر من الفوائد) - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (قيل: كتاب ضمَّته ابنُ مالِكٍ كتابه «تسهيل الفوائد») - شرحُ التسهيل - الموصَّل في نظمِ المُفصَّل (في النحو. والمُفصَّل للزحاحري) - سبك المنظوم وفكُّ المخبوم (نثرُ الكتاب السابق) - الكافيةُ الثانيةُ (وهي أرجوزة في ثلاثة آلاف بيتٍ مطَّلَعُها: قال ابنُ مالِكٍ مُحَمَّدٌ وقد ...). - الخُلاصةُ (مختصر الكافية، وتُعرفُ عادةً بِأَسْمِ الألفيةِ لأنَّها تتألفُ من نحو ألفِ بيتٍ، ومطلَّعُها: قال مُحَمَّدٌ هو ابنُ مالِكٍ) - شرح الكافية - إكمالُ الاعلامِ بِمَثَلاتِ الكلام - لاميةُ الأفعال - شرحُ لاميةِ الأفعال - فعل وأفعل - المُقدِّمةُ الأُسديةُ (في النحو وضعها بِأَسْمِ وَكَدِه تقي الدين الأسد - عُدَّةُ اللاظفِ وعُدَّةُ الحافظ - النظم الأوجزُ في ما يُهمزُ - الاعتضاد في الظاء والضاد - نُحفةُ المودود في المقصور والمدود. وله أيضاً الداليةُ الرموزةُ (وهي تحتوي على ما تحويه ألفيةُ الشاطبي^(*)) في القراءات السبع، وهي المعروفةُ بِأَسْمِ «جرز الأمانى ووجه التهانى» أو بِأَسْمِ الشاطبية اختصاراً. وفي الدالية أكثرُ مِمَّا في الشاطبية - اعراب مُشكيل البُخاري.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مالِكِ النَّحْوِيُّ في مطلعِ «الألفية»: -

قال مُحَمَّدٌ هُوَ ابنُ مالِكٍ: أَحْمَدُ ربي اللهُ^(١) خيرُ مالِكٍ،

(*) ارجع ترجمة الشاطبي (ت ٥٩١ هـ) - في الجزء الخامس.

(١) لفظ الجلالة «الله»، هنا، مرقق (بجمل الألف التي بعد اللام الثانية وقبل الهاء بين الفتح وانكسر) لأنه جاء بمدكسرة (في «ربي»). وفي غير هذا الموضع (أي بعد الفتح أو الضم) يلفظ اسم الجلالة «الله» مخفياً، نحو: قال الله... أو هذا خلقُ الله.

مُصَلِّياً عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفِيِّ
وَأَسْمَيْنُ اللَّهُ^(١) فِي أَلْفِيَةِ
تُقْرَبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ
وَتَقْتَضِي رِضًا بِفَيْسِرِ سُخْطٍ
وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَقْضِيلاً
وَاللَّهُ يَقْضِي بِهِاتِ وَافِرِهِ
وَالِهِ الْمُتَكَمِّلِينَ الشَّرْفَا^(٢).
مَقَاصِدُ النُّحُوِّ بِهَا مَخْوِيَّةٌ،
وَتَبْطُ الْبِذَلُ بِوَعْدِ مُنْجَرٍ^(٣)؛
فَائِقَةُ أَلْفِيَةِ ابْنِ مُعْطَى^(٤).
مَسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلَا^(٥).
لِي وَلِهِ فِي دَرَجَاتِ الْآخِرَةِ^(٦).
- وَمِنْ مَثَرِ الْأَلْفِيَةِ (هَمْزَةٌ «أَنْ» - مَتَى تُكْسَرُ وَمَتَى تُفْتَحُ):

لِ «إِنَّ، أَنْ، لَيْتَ، لَكِنَّ، لَعَلَّ،
«كَلِمَاتٌ زَيْدًا عَالِمٌ بِأَنِّي
وَرَاعٌ ذَا التَّرْتِيبِ إِلَّا فِي الَّذِي
وَهَمْزٌ إِنْ أَفْتَحَ لَدَّ مَضَرَّ
كَأَنَّ «عَكْسُ مَا لَمْ يَكُنْ» مِنْ عَمَلٍ^(٧)؛
كُفَاءً «وَلَكِنْ ابْنُهُ ذُو» ضِعْفٍ^(٨).
كَلِمَاتٌ فِيهَا «أَوْ... هُنَا غَيْرُ الْبِذِيِّ»^(٩)
مَدَّهَا، وَفِي سَوَى ذَلِكَ أَكْبَرُ^(١٠).

(١) الشَّرْفَا: مَعْمُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِالْفَتْحِ (الاسْمُ الْعَاكِلُ الْمُهْلِي بِاللَامِ - بِلَامِ التَّعْرِيفِ).

(٢) لَفْظُ الْجَلَالَةِ «اللَّهُ» مَعْمُولٌ بِهِ.

(٣) تَحَاوَلُ (هَذِهِ الْأَلْفِيَةُ) أَنْ يَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ وَجْهِ النُّحُوِّ الْأَقْصَى: الْأَبْعَدُ (التَّوَادُّ) أَي فِيهَا أُمَّتَةٌ عَلَى الْقَوَاعِدِ وَعَلَى مَا يَشُدُّ أَيْضًا عَنْ تِلْكَ الْقَوَاعِدِ. ثُمَّ تَبْطُ (تَفْصِلُ) الْبِذَلُ (الْعَطَاءُ): كَثْرَةُ وَجْهِ الْأَعْرَابِ. وَلَكِنْ بِإِيجَارٍ.

(٤) تَقْتَضِي (تَسْتَحِقُّ، تَطَالِبُ الْقَارِيهِ الْمَعْمُورَ) رِضًا (سُرُورًا بِهَا مِنْهُ). السُّخْطُ: الْكِرْهُ وَالغَضَبُ. فَائِقَةُ: فَاضِلَةٌ (تَزِيدُ فِي قِيَمَتِهَا وَفِي نَفْعِهَا عَلَى أَلْفِيَةِ ابْنِ مُعْطَى ت ٦٢٨ هـ - رَاجِعْ تَرْجِمَتَهُ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ).

(٥) وَهُوَ (ابْنُ مُعْطَى) مَسْتَحَقٌّ تَفْصِيلاً عَلَى أَنَّهُ سَقِيَ فِي نِظْمِ أَلْفِيَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

(٦) الْآخِرَةُ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ. دَرَجَاتُ الْآخِرَةِ (يَكُونُ الْمُؤْمِنُونَ الْمَسْمُومُونَ فِي الْجَنَّةِ فِي مَرَاتِبٍ يَطْلُو بِمَعْضَاهَا عَلَى بَعْضِ مَجْهَدِ أَعْمَالٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا).

(٧) عَمَلُ الْأَحْرَفِ التَّشْبِيهُ بِالْعَمَلِ: (إِنَّ، أَنْ، لَكِنَّ، لَيْتَ، لَعَلَّ) تَنْصَبُ الْاسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ: إِنْ رِيدَ قَائِمٌ وَعَمِلَ الْفِعْلُ الْبَاقِصَ (كَانَ وَأَخْوَانِهَا: طَلَّنْ، مَا زَالَ، الْحَجَّ) تَرْفَعُ الْاسْمَ وَتَنْصَبُ الْخَبَرَ: كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا.

(٨) الضَّمُّ: الْمَقْدَرُ - فِي الْأُمَّتَةِ (رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ).

(٩) «رَاعٍ» (فِعْلٌ مِنْ رَاعَى - بِرَوَاعِي) حَافِظٌ عَلَى تَرْتِيبِ الْأَلْفَاظِ فِي الْجُمْلَةِ: الْحَرْفُ الشَّبِيهُ بِالْعَمَلِ (أَوْ الْعَمَلُ الْبَاقِصُ) ثُمَّ اسْمُهُ ثُمَّ خَبَرُهُ: لَيْتَ رَيْدًا قَائِمًا - أَمَّا إِذَا اتَّصَلَ بِالْخَبَرِ (أَوْ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ) حَرْفٌ جَزْءِي (أَوْ حَرْفٌ)، فَحَيْثُ يَنْفَعُ الْخَبَرَ عَلَى الْاسْمِ: لَيْتَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ ثَمَرًا (أَوْ ثَمَرًا) - اسْمٌ «لَيْتَ» مُؤَخَّرٌ.

كَانَ فِي الدَّارِ رَجُلٌ. لَيْتَ هَا غَيْرُ الَّذِي: الَّذِي يَتَكَلَّمُ كَلَامًا فَيُحِبُّهَا.

(١٠) نَمِضٌ هَمْزَةٌ «أَنْ» - إِذَا كَانَتْ هِيَ وَاسْمُهَا وَحَرْفُهَا عَكْسًا تَأْوَلُهَا كَلِمًا بِمَصْدَرٍ يَكُونُ مَعْمُولًا لَهُ مَعْلٌ مِنْ =

وأَكْثَرَ فِي الْإِنْتِدَاءِ، وَفِي بَدءِ صِلَةٍ، وَحَيْثُ «إِنْ» لِيَمِينِ مُكْمَلَةٍ^(١)،
أَوْ حُكِيَتْ بِالْقَوْلِ، أَوْ حَلَّتْ مَحَلَّ
وَكَثَرُوا مِنْ بَعْدِ فِعْلِ عُلُقَا
بِالْلَامِ «كَأَعْلَمُ إِنَّهُ لَدَوْتُ نَفْسِي»^(٢)،
لَا لَامَ بَعْدَهَا بِوَجْهَيْنِ نُمِي^(٣)،
فِي نَحْوِ: «خَيْرُ الْقَوْلِ إِنِّي أَحْمَدُ»^(٤)،
لَامٌ اسْتِدَاءً، نَحْوِ «إِنِّي لَوَزَّرُ»^(٥)،
وَلَا يَلِي ذِي اللَّامِ مَا قَدْ نُفِيَا
وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ مَاكَ «رَضِيْنَا»^(٦)،

= الإعراب: علمت أن ربدأً قادم (علمت قدوم زيد - قدوم مفعول به) - العدل أن تنصف الناس من نفسك: العدل إنصافك الناس من نفسك (إنصاف خير) الخ. وفي سوى ذلك من الأماكن تكسر همزة «أُن».

(١) الهمزة في «أُن» (من الأحرف المشبهة بالفعل) تأتي أحياناً مكسورة وأحياناً مفتوحة. تكون مكسورة: إذا جاءت في أول الكلام (إن الله يحب المحسنين) - وفي بدء الحملة التي تكون صلة لاسم الموصول (جاء الذي إن حديثه يمحيني) - وبعد القسم (والله، إن العلم نافع).

(٢) حُكِيَتْ بِالْقَوْلِ (جاءت بعد فعل القول): قال سعيد: إن الجوّ بارد (إن «الجوّ بارد» جملة مفعولة القول، وهي تصلح لأن تكون بدء الكلام). «زرته وإني ذو أمل» «إني ذو أمل» جملة في محل نصب حال (بعد واو الحال).

(٣) لو قلنا: اعلم أن العلم نافع (همزة «أُن» تكون مفتوحة - لأن «أُن وما بعدها» بأول مصدر يقع معمولاً به لتفعل «علم». فإذا قلنا: اعلم إن العلم نافع، كسرنا همزة «أُن»).

(٤) إذا جاءت «أُن» بعد «إذا» المجاعة (وليس بعدها لام التوكيد): «سمعت صوتاً مطلقاً، فالتفت فإذا أنه ذئب يعوي (هنا يجوز فتح همزة أن وكسرها). فإذا تلتها لام التوكيد «.....» فإذا إنّه لذئب..... (تعبير كسر همزة «أُن»). وكذلك في القسم: «اقسم بالله أنه بريء (يجوز الوجهان في «أُن»). فإذا قلنا: «اقسم بالله إنه لبريء» (كانت همزة «ان» مكسورة). نفي ينفي: رفع، نسب (صح عن المتقدمين).

(٥) إذا جاءت «أُن» مسوقة ببناء الجراء (في جملة شرطية أو شبهة بالشرطية)، همزة «أُن» تكون مكسورة: ومن يتب من ذنوبه، فإن الله غفور رحيم يطرّد: يأتي بلا شواذ.

(٦) إن لام التوكيد تدخل على الخبر جوازاً: إني وانن - إني لواتق (ولكن همزة «أُن» تكون في الحالين مكسورة).

(٧) ولام التوكيد هذه تدخل على الفعل المضارع إذا كان متنبأً. إن الإنسان لبرصى عن المحس في كل حين، أو إذا كان اسم فعل (عمى الفعل المضارع): إن زيدا لنعم الرجل - ولعم الرجل زيد. ولكنها لا تدخل على الفعل الماضي ولا على الفعل المضارع إذا جاء مسمياً، فلا يقال: إن زيدا لرضي أو أن زيدا لا يرضي.

وقد يليها مع قَدْ، «كإِنَّ ذا» لقد سما «على العِدَا مُسْتَحْذُوا»^(١).

٤- كنت أودُّ أن أسقِّ تَأْلِيْفَ ابْنِ مالِكٍ وشروخها وحواشيها نَسَقاً منطقيّاً - كما كنت قد فعلت بتأليفِ ابْنِ هشامِ الأنصاريِّ (٣: ٧٨٣-٧٨٧) - ولكن يبدو أن الشروحَ والحواشيَّ على تأليفِ ابْنِ مالِكٍ أكثرُ تعقيداً منها على شروحِ ابْنِ هشامِ . ثم أدركني زمنُ الطَّباعة - وأنا في إعدادِ هذا الجزء للطبع (وإن كان وضعه بالتأليفِ والترتيب والنسخ قد تمَّ منذ زمن بعيد). من أجل ذلك آثرتُ الطريقةَ التالية، وهي أهونُ عليَّ. فعسى أن تُتاحَ فرصةٌ في الطَّبَعاتِ المقبلة فأسْتدركَ هنالك ما فاتني هنا.

ويرى القارئُ أنَّ الطَّبَعاتِ الحديثةَ هنا قليلةٌ (ولا أعتقدُ أنها في الأصلِ قليلةٌ). غيرَ أنني قد اعتمدتُ في جمعِ هذه الكُتبِ مكتبةَ جامعةِ بيروتِ العربيةِ (وكُتبُ ابْنِ مالِكٍ فيها قليلةٌ جداً لا تتجاوزُ أربعةً) ومكتبةَ يافثَ في الجامعةِ الاميركيةِ في بيروتِ (وكانتُ كُتبُ ابْنِ مالِكٍ فيها قليلةً أيضاً) ثمَّ معجمَ المطبوعاتِ العربيةِ ليوسفَ إلبانِ سركيسِ (مصر ١٣٤٦ - ١٣٤٧ هـ = ١٩٢٨ م) و«تاريخَ الأدبِ العربيِّ» لكارل بروكلمن (خسة أجزاء، ليدن ١٩٣٧ - ١٩٤٩ م).

كتب ابن مالك:

- * أَلْفَبَةٌ ابْنِ مالِكٍ، وتُعرفُ أيضاً بِاسْمِ «المُحَلِّصَة»: - (شرح دى ساسي)، باريس ١٨٣٣ م (١٢٤٩ هـ).
- بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٢٩، ١٣٣٢ هـ. القاهرة (المكتبة التجارية) الطبعة الثالثة ١٩٣٣ م.
- (مع شرح لعبد الواحد)، كاونور (الهند) ١٢٦٠ هـ.
- في مجموع «أمهات الفنون» (مصر؟) ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٩٥ هـ (١٨٦٣ - ١٨٧٨ م).

(١) وتدخل هذه اللام على «قد» التي تسبق العمل الماضي لتؤكد أو على الفعل المضارع لتكسبه تأكيداً: لقد جاء سعيد مسروراً - ولقد يكون الحسن محبوباً.

- القاهرة (طبع حجر - مطبعة المدارس)^(١) ١٢٩٠ هـ.
- قسنطينة (الجزائر) ١٨٨٧ م (١٣٠٥ هـ).
- (نشرها غوغيه)^(٢). بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- ؟ (مطبعة محمد أبي زيد) ١٣٠٦، ١٣٠٧ هـ.
- مصر (المطبعة البارونية) ١٣٠٨ هـ.
- طهران (طبع حجر) ١٢٨٨ (نيروزية: فارسية) = ١٣١٠ هـ.
- ؟ (في مجموع) ١٣١٠، ١٣١٣ هـ.
- (حرّرها محمد حسن علي)، لكنبو (طبع حجر) ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- نشرها أنريكو فسوا^(٣) - مع ترجمة وشرح) بيروت ١٨٩٨ م (١٣١٦ هـ).
- لاهور (الهند) ١٩٠٢ م (١٣٢٠ هـ).
- فاس ١٣٢٣ هـ.
- مصر (المطبعة الحسينية) ١٣٢٥ هـ).
- مصر (المطبعة الميمنية)، مراراً ثم ١٣٣٠ هـ.
- * شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح (للخاري)، الهند ١٣١٩؛ (تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (دار العروبة) ١٩٥٧ م.
- * أرجوزة في المثلثات^(٤) (نشرها محمد الأمين الشنيطي)، القاهرة ١٣٢٩ هـ.
- * تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد (تحقيق محمد كامل بركات)، القاهرة (دار الكاتب العربي) ١٩٦٧ م.
- * لامية الأفعال (المفتاح في أبنية الأفعال)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (مع الألفية)، بيروت ١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- * تحفة المودود في القصور والمدود (تحرير إبراهيم اليازجي)، القاهرة (مطبعة البيان) ١٨٩٧ م (١٣١٥ هـ)؛ (نشرها محمد بن الأمين الشنيطي - مع أرجوزة المثلثات لابن مالك)؛ (مطبوع مع الاعلام)، مصر ١٣٢٩ هـ.
- * منظومة فيا ورد بالواو والياء (في مجموعة)، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٦ هـ.
- ** شروح وحواش على كتب ابن مالك مباشرة:

(١) طبعة واحدة أو طبعان (٥).

(٢) Goguyer.

(٣) E. Vitto.

(٤) يرد هذا الكتاب بعنوانين مختلفة: الاعلام أو اكمال الاعلام بثلت الكلام (سركيس ٢٣٣) وأرجوزة في المثلثات - بيان ما فيه لمات ثلاث فأكثر - المثلث ذو المسمى الواحد (بروكلمن ١: ٣٦٣، الملحق ٥٢٦).

(أ) على ألفية ابن مالك:

- شرح على ألفية ابن مالك لأبي زيد عبد الرحمن بن عليّ الكودي (ت ٨٠١ هـ)، مصر (طبع ححر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشريفة) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة المسمية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم ١٣١٥، ١٣٢٠، فاس ١٣٩٤، ١٣١٨ هـ. ثم بلا تاريخ؛ القاهرة (المكتبة التجارية) ١٣٥٤ هـ.
- الدرر المفضة..... ليدر الدين محمد بن محمد بن عبد الله (ت ٦٨٦ هـ)، بيروت ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٢ هـ؛
- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك، لأثير الدين أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، (حرره وقدم له سدي غليزر)، بيوهافن (جمعة الاستشراق الاميركية) ١٩٤٧ م.
- شرح ألفية ابن مالك، لعبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل (ت ٧٦٩ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٣ هـ، ١٢٨١ هـ؛ القاهرة (دار الطباعة) ١٢٦٥ هـ؛ (نشرها دبريشي)، ليك ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ برلين ١٨٥٢ م بيروت (المكتبة العمومية) بلا تاريخ ثم ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الثالثة ١٩٣٢، ١٩٥٨ م.
- شرح خطبة (مقدمة) ألفية ابن مالك، تأليف محمد الكردودي، فاس (بلا تاريخ).
- أوضح المسالك أو التوضيح لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦٢ هـ) (تحرير عبد الرحيم الصفيوري)، كلكتا ١٢٤٨ هـ = ١٨٣٢ م، ١٢٣٧ هـ (١٢٥٣ هـ)؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣١٢، ١٣١٦ هـ؛ بولاق ١٣١٠ هـ؛ (في مجموعة) ١٣٢٦ هـ؛ القاهرة (مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده)، الطبعة الثالثة ١٩٦٤؛ القاهرة (المكتبة التجارية)، الطبعة الرابعة ١٩٥٦ م؛ بيروت (دار إحياء العلوم) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- المقاصد الحويّة في شرح شواهد الألفية (ويعرف بعنوان: الشواهد الكبرى)، ليدر الدين محمود بن أحمد المني (ت ٨٥٥ هـ)، القاهرة ١٢٩٧ هـ؛ (على هامش «خزانة الأدب» للبيدادي)، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد الأشموني (ت نحو ٩٠٠ هـ)، (هامش حاشية على شرح الأشموني)، بولاق ١٢٨٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣١٥ هـ؛ (حقّقته محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٥ م.
- البهجة^(١) المرّضة (شرح الألفية) لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، لكنهو ١٨٣١ م

(١) ربّما قرئت «البهجة» بالون راجع سركيس، ص ١١٠٧٦ بروكلس ١: ٣٦٢، الملحق ٢: ٥٢٤ (الكتاب رقم ١٥ فيها)

(١٢٤٧ هـ)، طهران (طبع حجر) ١٢٤٨، ١٢٦٨، ١٢٨٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٢ هـ؛ تبريز (طبع حجر) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة المدارس) ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٠ هـ؛ (بهاشم الأزهار الزبيبة) بولاق ١٢٩٤ هـ (٥)؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.

- تمرين الطلاب في صناعة الاعراب (على القسم الحوي من الألفية) لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥٢، ١٢٩٢ هـ؛ القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٤، ١٢٨٩، ١٢٩٣؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٢؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥؛ القاهرة ١٣٠٨، ١٣١٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١٢؛ القاهرة ١٣٣٥ هـ.

موصل الطلاب إلى قواعد الاعراب لخالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ)، (بهاشم «تمرين الطلاب»، سنة؟.

- الأزهار الزبيبة في شرح متن الألفية، تأليف أحمد بن زبي دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، بولاق ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة المنمنة) ١٣١٩ هـ.

(ب) شروح على لامية الأفعال:

- شرح بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ)، هلسنغفوس - فنلندا ١٨٥١ م (١٢٦٨ هـ)؛ (نشرها كلغرن)، هلسنغفوس ١٨٥٤ م (١٢٧١ هـ)؛ (نشرها كلغرن وفولك)، بطرسبورج ١٨٦٤ م (١٢٨١ هـ)؛ (نشرها فولك)، ليبسيغ ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)، بيروت ١٣١٢ هـ (سركس ٢٣٥).

- الهند ١٢٦١ هـ؛ (في «مجموع من مهمات الفنون»): القاهرة ١٢٧٣، ١٢٧٦، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٩٥، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦، ١٣٢٣ هـ؛ فاس ١٣١٧ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ (٥).

- الشرح الكبير والشرح الصغير، لمحمد بن عمر بن محرق البمني الحضرمي (ت ٩٣٠ هـ)، القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ تونس ١٣٢٩ هـ.

- حاشية على «لامية الأفعال» لأحمد الرفاعي المالكي الأزهرى، القاهرة ١٢٩٧، ١٣٠٤، ١٣٠٦ هـ.

- حاشية على الشرح الكبير والشرح الصغير (لابن محرق)، تأليف محمد الطالب بن حدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي الفاسي، فاس ١٢١٥ هـ؛ القاهرة ١٣١٨ هـ.

(ج) خلاصة ومعارضة:

- خلاصة الخلاصة (الألفية) لمؤلف مجهول، لكنهو (بلا تاريخ).
- المعارضة على ألفية ابن مالك أو الاحرار (؟ بروكلين ١: ٣٦٢، السطر ٢٢، الملحق ١: ٥٢٣، رقم ٢٥، ٣: ١٢١٥، السطر الخامس)، لعبد الودود بن علي بن أحمد بن المختار

- التقيطي (ت بعد ١٣٠٠)، القاهرة ١٣٢٧ هـ.
- *** شروح وحواش على شروح وحواش (منسوقة بحسب وفات مؤلفها) - والذين لم أعر الآن على تواريخ وفياتهم ألحقوا بآخر هذه القائمة:
- حاشية على شرح ابن عقيل لعبد الرحمن بن صالح المكوذي (ت ٨٠١ هـ)، القاهرة ١٢٧٩ هـ، ١٣٠٥ هـ.
- التصريح بمضمون التوضيح على أوضح السالك على ألفية ابن مالك، لخالد الأزهري (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٨٦، ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٣٥، ١٣٢٦، ١٣٤٤ هـ؛ طهران ١٢٨٦ ثم ١٢٩٩ هـ (١٨٨١ م) و١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م).
- حاشية لابن زين الدين الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) على شرح التوضيح لخالد الأزهري (بهاشم «التصريح بمضمون التوضيح»)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- حاشية (على البهجة المرصية للسيوطي)، تأليف ياسين بن زين الدين عليم الحمصي العليمي (توفي في عاشر شعبان من سنة ١٠٦١ = ١٦٥٩/٧/٢٩ م)، فاس ١٣٢٧ هـ؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٣، ثم (بهاشم التصريح على التوضيح، تأليف خالد بن عبد الله الأزهري)، طهران ١٨٨١ م (١٢٩٩ هـ) و١٨٨٨ م (١٣٠٦ هـ).
- حاشية على شواهد شرح ابن عقيل، لعبد المنعم الجرجاوي (ت ١١٩٥ هـ)، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ القاهرة ١٢٨٠، ١٢٩٥، ١٣٠١، ١٣٠٨، ١٣١١، ١٣٢٥ هـ.
- حاشية الشيخ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن عبد الفتاح الجبري الملوحي (ت ١١٨١ هـ) على شرح المكوذي على ألفية ابن مالك، مصر (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ. ثم (بهاشم شرح المكوذي)، القاهرة (؟) ١٣٠٥ هـ.
- شرح شواهد ابن عقيل، تأليف عبد المنعم الجرجاوي (ت ١١٩٥)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- زواهر الكواكب لبواهر المواكب، تأليف أبي عبد الله محمد بن علي بن سعيد التونسي (ت ١١٩٩ هـ)، وهي حاشية على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تونس ١٢٩٣ هـ، ١٢٩٨ هـ.
- فتح الجليل على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أو حاشية السجاعي، تأليف أحمد بن محمد السجاعي (ت ١١٩٧ هـ)، بولاق ١٢٧٠، ١٢٨٦، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٦ هـ؛ (مع تقرير النسخ محمد بن محمد الأنباي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٣٠٣ هـ.

- حاشية على أوضح المسالك، للطيب بن عبد المجيد الكراي (؟) (المتوفى سنة ١٢٢٧ هـ)، فاس ١٣١٥ هـ.
- حاشية محمد علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، بولاق ١٢٨٠، ١٢٨٥، ١٢٨٨؛ القاهرة ١٣٠٥، ١٣١٩، ١٣٢٣ هـ.
- نظم أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف أبي عبد الله محمد بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٤٧ هـ)، فاس ١٣١٨ هـ.
- شرح نظم أوضح المسالك.... تأليف ابن حمدون السلمي (مطبوع مع «نظم أوضح المسالك»).
- حاشية على شرح الأزهري لمحمد الأزهرى، تأليف حسن بن محمد العطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ.
- حاشية حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٣ هـ) على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ.
- كنف الحفاء والعتاء: حاشية على أوضح المسالك للطالب بن حمدون بن الحاج السلمي (ت ١٢٧٤ هـ)، فاس (؟) ١٣١٨ هـ.
- فتح الجليل بشرح شواهد ابن عقيل، تأليف محمد بن عبد الرحمن الشهير بلقب قطّة العدوي (ت ١٢٨١ هـ)، بهامش حاشية الجرجاوي، بولاق ١٢٦٤ هـ؛ ثم (مستقلة) بيروت ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) راجع بروكلمان ١: ٣٦١ (السطر العاشر)، الملحق ١: ٥٢٤ (السطر الثالث)؛ القاهرة ١٣٠٥ هـ؛ بهامش شرح شواهد ابن عقيل، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣١١ هـ.
- حاشية على شرح ابن عقيل، تأليف محمد الخضري لدمياطى (ت ١٢٨٨ هـ)، القاهرة ١٢٧٢، ١٢٨٢، ١٢٨٧، ١٢٩١، ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣١٧، ١٣٢٢، ١٣٤٥ هـ.
- حاشية نصر الموريني (ت ١٢٩١ هـ) على «منهاج السالك» للاشموني، بولاق ١٢٩٤ هـ.
- حاشية الشيخ أحمد الرفاعي الأزهرى (ت بعد ١٣١٢ هـ) على شرح بحرق على لامية الأفعال لابن مالك، القاهرة (المطبعة الوهيبية) ١٢٩٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٤ هـ.
- تقرير العالم (حاشية على حاشية الصبان) لمحمد الأنباري (ت ١٣١٣ هـ)، بولاق ١٢٨٨ هـ.
- حاشية محمد علي بن سعيد على منهاج السالك، فارس (طبع حجر) ١٢٦٨ هـ (؟). تونس ١٢٠٠-١٢٠٨، ١٢٩٢-١٢٩٣ هـ.
- تقارير على حاشية السجاعي لمحمد بن محمد الأنباري (ت ١٣١٣)، بولاق (؟) ١٢٩٦ هـ، ١٣٠٣ هـ.

- تقرير على حاشية الصبان (على شرح الأشموني لألفية ابن مالك)، تأليف اسماعيل الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، مصر ١٣٠٥ هـ.
- شرح محمد المهدي بن محمد الوزاني (ت ١٣٤٢ هـ) على شرح المكودي على ألفية ابن مالك، فاس ١٣١٨ هـ.
- إرشاد السالك إلى ألفية ابن مالك، تأليف عبد المجيد الشرنوبلي (ت ١٣٤٨ هـ)، بولاق ١٣١٩ هـ.
- منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة (الطبعة العاشرة).... الطبعة الحادية عشرة ١٩٦٦ م.
- بغية السالك إلى أوضح المسالك، تأليف عبد المتعال الصعدي (نحو ١٩٧٥ هـ)....
شروح وحواش لم أستطع تحقيق مؤلفها فسررتها بحسب تواريخ طبعتها:
- حاشية ميرزا أحمد طالب (على الهجة للسيوطي)، طهران ١٢٧٥ هـ.
- إرشاد السالك إلى فهم ألفية ابن مالك، تأليف محمد بن مسعود الترميضي العناني، فاس ١٣٠٥، ١٣١٥ هـ.
- حاشية المهدي بن مصطفى القرشي (التقرشي؟) على ألفية ابن مالك، فارس- إيران ١٣٠٩ هـ.
- حاشية على شرح المكوّدي لأحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج، فاس (بلا تاريخ)؛ القاهرة (بهاشم شرح المكودي)، ١٣١٥ هـ.
- حاشية..... على شرح مجرق على لامية الأفعال لابن مالك، فاس ١٣١٥ هـ، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٣١٨ هـ.
- حاشية على شرح المكوّدي، تأليف المهدي بن سليمان الصدري، فاس (٩) ١٣١٨ هـ.
- التوضيح أو تهذيب أوضح المسالك: حاشية ألفها محمد سالم علي وأحمد مصطفى المراغي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م).
- الكواكب الدرية (شرح الألفية)، تأليف صالح بن عبد الصنوع الآبي الأزهري، القاهرة ١٣٤٤ هـ.
- القواعد الأساسية للغة العربية حسب منهاج شرح الألفية، تأليف.... القاهرة () ١٣٥٤ هـ.
- فوات الوفيات ٣: ٢٨٤ - ٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٥٩ - ٣٦٤؛ ابن قنفذ ٣٢٢:
- بغية الوعاة ٥٣ - ٥٧؛ شذرات الذهب ٥: ٣٣٩؛ نفع الطيب ٢: ٢٢٢ - ٢٣٣؛ ٦:
- ٢٤٦، ٧: ٣٧٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٦١ - ٨٦٢؛ نيكل ٣٥٧ - ٣٥٨:
- مختارات نيكل ٢٠٤؛ بروكلمن ١: ٣٥٩ - ٣٦٣، الملحق ١: ٥٢١ - ٥٢٧؛ مركيس
- ٢٣٢ - ٢٣٤، راجع ١٧٨٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١١ (٦: ٢٣٣)؛ معجم المؤلفين ١٠:
- ٢٣٤؛ العربي ٩ / ١٩٧٢.

محمد بن الحسن القلبي

١- هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلبي، نسبة إلى قلعة بني حماد (فقد كان جد أبيه ميمون قاضياً فيها). نشأ في مدينة الجزائر وأخذ فيها عن محمد بن منداس. ثم إنه انتقل إلى بجاية واستوطنها، وفيها برع واشتهر. وقد تصدر للتدريس في فنون العربية - اللغة والنحو والأدب - وتوفي في بجاية، سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ - ١٢٧٥ م).

٢- كان محمد بن الحسن القلبي مشاركاً في عدد من فنون العلم، في الفقه والتاريخ واللغة والنحو والأدب، بارعاً في علم التصريف محباً للتعليل على طريقة ابن جني^(١). كما كان شاعراً على شعره نفحة دينية ونفحة صوفية. وكان مضافاً له: الموضع في علم النحو - حدق العيون في تنقيح القانون (نحو) - نشر الحفني في مشكلات أبي علي (الفارسي في كتابه: الإيضاح في النحو).

٣- مختارات من آثاره

- قال محمد بن الحسن القلبي في مدح الرسول:

أين أجل أن بانوا فؤادك مُغرماً وقلبك خفاق ودمعك ينجم^(٢)؟
وما ذاك إلا أن جسمك مُنجدٌ وقلبك مع من سار في الركب منهم^(٣).
ومن قائل في نظمه مُعجَباً: أجسم بلا قلب، فكيف رأيتم؟
ولا عجب أن فارق الجسم قلبه، فحيث نوى الهبوب ينوي التيمم^(٤)!
عاهم، كما أبدوا صدوداً وجفوة، يعودون للوصل الذي كنت أعلم.

(١) ابن جني: أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) من أئمة النحو والأدب.

(٢) بانوا: ذهبوا، ابتعدوا. سجم الدمع: سال.

(٣) أجد الرجل: جاء مجدأ (المكان العالي). الركب: الجماعة المسافرون معاً. أنهم (فتح فسكون) الرجل:

نزل إلى تامة (بالكسر): ساحل الهجاز (المكان المنخفض). - يريد أن يقول: حاجات جسمي مختلفة من

حاجات قلبي (نفسى، عقلي).

(٤) نوى: مكت. التيمم: الذي تيممه (ذللّه) الحب.

إليك، رسولَ الله، أرفعُ حاجتي؛ فأنتَ شفيعُ الخلقِ، والخالقُ هيمٌ^(١).
 فقد سارتِ الركبَانُ واغتموا النسي، وإني من دونِ الخلائقِ مُحَرَّمٌ^(٢).
 وهبني عصيتُ الله جهلاً وصنوةً، فمن يقبلُ الشكوى ومن يترحم^(٣)؟
 وقد أثقلتُ ظهري ذُنُوبٌ عظيمةٌ، ولكنَّ عفوَ الله أعلى وأعظم.

- وله من قصيدة يبدو عليها أثرُ ابنِ عبدونٍ: «الدهر يفجعُ بعدَ العينِ بالأثر»^(٤):

الخبرُ أصدقُ في المرأى من الخبرِ. فمهدي العُدْرَ، ليسَ العينُ كالأثرِ^(٥).
 وخَلَّ عن زمنٍ تخشى عواقبه، إنَّ الزمانَ إذا فكَّرتَ ذو غيرِ^(٦).
 أين الألى جنبوا خيلاً سومةً وشيدوا إرمًا خوفًا من القدرِ^(٧)؟
 تنافسَ الناسُ في الدنيا، وقد علِّموا أنَّ المقامَ بها كاللَّمْحِ بالبصرِ.
 أودى بدارا وأودى بابنِ ذي يزنٍ وقلَّ غرَبَ هرقلٍ؛ إنَّه لَحَرِيٌّ^(٨).

- (١) الهيم جمع هائم: الذي اشتدَّ عطشه، الذي اشتدَّ حبه، الذي سار على وجهه لا يدري إلى أين يذهب.
 (٢) النسي: ما يتناهى (يرغب فيه) الإنسان. اغتموا (رجعوا) النسي: وصلوا إلى مكة والمدينة. محرم = محروم (من الذهاب إلى الحج).
 (٣) الصنوة: الميل إلى السوء.
 (٤) راجع الجزء الخامس، ص ١٩٢.
 (٥) مهدي العدر (اجعل طريق اعتداري إليك مهدياً: سهلاً في السير): اقبل عذري. العين: الشخص المائل (القائم أمام الراي من كل شيء).
 (٦) حلَّ عن زمن: انك التذكَّرَ زمن. غير (بكسر ففتح) الدهر: أحداثه وأحواله المتغيرة. ويجوز أن تكون جمعاً لكلمة «غيرة» (بكسر ففتح ففتح) راجع تاريخ العروس (الكويت ٣: ٢٨٧).
 (٧) جنب الغوم خيلهم (جعلوها تسير مسرعة ملجمة إلى جنب إبليهم، استعداداً للقتال). السومة: المدة (صم ففتح ففتح) فداق شديدة منقوحة):. الهياة: شيد: بنى بالحجارة الضخمة. إرم (بكسر ففتح) مدينة قديمة. قبل كانت سفوحها من النحاس (وقد سَفَّه ابن خلدون، في مقدمته، هذا القول. وقال: هي ارم ذات العماد أو الأعمدة، أي البلدة التي يسكن أهلها في الخيام).
 (٨) أودى الدهر بالرجل (أهلكه). دارا ملك فارسي. ابن ذي يزن (ملك من ملوك اليمن العرب). قلَّ: نلَّ (قطع). العرب: حدَّ السيف. هرقل: ملك من ملوك الروم. إنَّه لحري: إنَّه حريٌّ بذلك (جدير به؛ ينظر منه ذلك: حريٌّ بالدهر أن يهلك كلَّ الناس، وحريٌّ هرقل أن يهلك كما يهلك جميع الناس).

وَلْتَمْتَكِرْ فِي مَلُوكِ الْعُرَبِ مِنْ يَمَنِ ، وَلْتَعْتَبِرْ بِمَلُوكِ الصِّينِ مِنْ مُضَرَ (١) :
أَفْنَاهُمْ الدَّهْرُ أَوْلَاهُمْ وَأَخْرَهُمْ لَمْ يَسِقَ مِنْهُمْ سِوَى الْأَسْمَاءِ وَالسَّيْرِ .

٤ - ** تعريف الخلف ٢ : ٣٥٩ - ٣٦٣ ؛ عنوان الدراية ٩٤ - ٩٩ ؛ تاريخ الجزائر العام ٢ : ٦٠ - ٦٢ ؛ تاريخ أعلام الجزائر ١٤٨ - ١٤٩ ؛ الأعلام للزركلي ٦ : ٣١٧ (٨٦) ؛ الطمار ٩٥ - ٩٨ ؛ الأصلة ٤ : ١٩ (ص ٢٨٢) .

ابن الجنان الشاطبي

- ١ - هو فخرُ الدين أبو الوليد محمدُ بنُ (الشريف، المشرف) سعيد بن هشام بن الجنان الشاطبي الحنفي، وُلِدَ في شاطبة سنة ٦١٥ للهجرة (١٢١٨ - ١٢١٩ م) .
قَدِمَ ابنُ الجنانِ الشاطبيُّ إلى الشامِ وَسَكَنَ دِمَشْقَ وَصَحِبَ فِيهِ كِبَالَ الدِّينِ عُمَرَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ الْعَدِيمِ (٥٨٨ - ٦٦٠ هـ) وابنه مجدّ الدين فانتقلَ في صُحْبَتِهَا مِنَ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ إِلَى الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ . وَفِي دِمَشْقَ دَرَسَ فِي الْمَدْرَسَةِ الْإِقْبَالِيَّةِ . وَكَانَتْ وَفَاتَهُ سَنَةَ ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ - ١٢٧٧ م) .
- ٢ - كَانَ ابنُ الجنانِ الشاطبيُّ أديباً فاضلاً وشاعراً مُحَسِّناً عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ .

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابنُ الجنانِ الشاطبيِّ فِي الْأَعْرَاضِ الصُّوفِيَّةِ :

أَفْنَانِي الْقَبْضُ عَنِّي حَتَّى تَلَاشِي وُجُودِي (٢) .
وَجَاءَ فِي السُّطِّ يُحْيِي رُوحِي بِفَضْلِ وُجُودِي (٣) .

- (١) ولتفتكر (فكرت أنت في ما صار إليه أمر ملوك العرب). مضر: عرب الشمال. وملوك الصين، في التاريخ، لا صلة لهم بمضر.
(٢) القبض: حال يكون الصوفي فيها مجذوباً إلى الله (لا وجود شخصياً له).
(٣) السط ضد القبض. يظل الصوفي في هذه الحال قريباً من لطف الله، ولكن الله يُبْطِئُ لَهُ وَجُودَهُ النَّحْصِي رَحْمَةً بِاللَّاسِ كَيْلَا يَفْرَعَهُمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُنْ أَنْ يَصِلَ إِلَى تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ .

فَقُلْتُ لِلنَّصْرِ: شُكْرًا، لَذَاكَ بِالنَّصْرِ جُودِي^(١).
وَقُمْتَ أَشْطَحَ سُكْرًا، فَعَيِنْتُ عَنْ ذَا الْوُجُودِ^(٢)!

- وَقَالَ أَبُو الْجَنَانِ، عَلَى الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ (الْقَدْحَ الْمَعْلَى ٢٠٧):

خَبِرْتُ بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ مُعْطَرٌ وَافَى شَدَاهُ فَظَلْتُ مِنْهُ أُسْكِرُ^(٣).
لَهُ مَا أَحْلَى شَمَائِلَهُ الَّتِي جَاءَ النَّيْمُ بِعَرْفِهَا يَتَبَخَّرُ^(٤).
وَافَى وَمَا فِي الْقَوْمِ مِنْ يَذْرِي بِهِ إِلَّا فَتَى فِي حُجَّةِ مُتَنَكَّرِ^(٥).
تَمَلَّى أَحَادِيثُ الْغَرَامِ بِقَلْبِهِ، وَلِسَانُهُ عَمَّا بِهِ يَتَنَخَّبِرُ^(٦).
حَتَّى إِذَا غَنَى لَهُ الْحَادِي بِهِ، وَسَرَى لَهُ مِنْ تَشْرِ لَيْلِي الْعَبِيرِ^(٧).
هَزَّ الْمَاعِطَفَ تَمَّ رَاحَ مُوَلَّهًا شَوَانَ فِي تِلْكَ الصَّبَابَةِ يَمُتُرُ^(٨).
- مَتَهَنِّكَأَ فِي الْعَاشِقِينَ، كَمَا تَرَى - يُسْدِي الَّذِي يُخْفِيهِ مِنْهُ وَيُضْمِرُ.

- وَابْنُ الْجَنَانِ أَيْضًا مَقْطَعَاتٍ فِي مِثْلِ ذَلِكَ^(٩):

* ذَكَرَ الْعُدَيْبَ فَمَالَ مِنْ سُكْرِ الْهَوَى صَبَّ عَلَى صُحُفِ الْغَرَامِ قِدَانُ طَوَى^(١٠).

- (١) إذا وصلت إلى مثل تلك الحال هان عليّ بذل نفسي (الاستغناء عن الحياة في هذه الدنيا).
- (٢) الشطح: كلام على طاهره رُعونة (حُفَّةٌ وَحَقٌّ وَتَصْرِيحٌ مَا لَا يَجُوزُ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَصْرَحَ بِهِ). السكر: غيبة تحصل للصوفي إذا جاءه لطف من الله أخرجه من شعوره بما حوله.
- (٣) النذا: طيب الرائحة.
- (٤) الشائل جمع شال (بالكسر): الخلق، السجّية، الصفة.
- (٥) وافى: جاء، وصل. فتى (يقصد الشاعر نفسه): الرجل الذي يعتمد عليه. في حبه متنكّر: (يظنّ الناس أن حبه مثل حبهم - حبهم ذلّ للمحجوب، وحبه اعتزاز بلفه).
- (٦) مع أنّ حبه في قلبه (قريب منه جدًا)، فإنه يتبادل عن هذا الحبّ (لأنّه مستغرب عند البشر).
- (٧) الحادي: سائق القافلة يعني للمسافرين كيلا يملّوا من طول الطريق. سرى: سافر ليلاً. النشر: الرائحة المنتشرة (الطيبية). العير: مادة طيبة الرائحة. ليلي (كتابة عن العزة الإلهية).
- (٨) المعطف (بالكسر): رداء واسع يلبس أرقاه للبرد. والشاعر يقصد المعطف (بالكسر): الجانب الأعلى من الجسم). هرّ عطفه: اقتخر وأعجب بنفسه (لأنّ الله أنعم عليه بتفريه - راجع البيت السابق). المولّه: الذي يكاد يُجنّ من شدّة الحبّ. شوان: سكران. الصبابة: الحبّة. يمتر من الصبابة: إنّ الحبّة (حبّة الله) قد شغلته عن كلّ شيء حتى أصبح يمتر (يقع) إذا شئ (أي غافلاً عن كلّ شيء آخر).
- (٩) المعاني في القطع التالية صوفية تحتمل تأويلات مختلفة (راجع القطعة السابقة).
- (١٠) العذيب: نبع ماء قرب بضع (بضمّ الباء). ويسمع مرقاً المدينة النورة.

يُكِي عَلَى وادي العقيق بِئله
 وبمُجسستي معبودُ حُسنٍ مِنْهُمُ،
 أوحى إلى قلبي الذي أوحى له .
 * يا رعى الله عَيْشَنَا بَيْنَ رَوْضِ
 حَسْبُ النهرِ عِنْدَهُ يَتَنَسَّى
 * لي حَيْبٌ عَن حُبِّهِ لَا أَحولُ .
 قالَ لي عاذِلِي: تَناسَ هواهُ .
 لو ضَلَلْنَا في قَترَةٍ مِن هواهِ
 ويميلُ من طَرَبٍ مُتَمَطِّفِ اللوى (١) .
 فلذا على عَرشِ القلوبِ قَدِ اسْتوى (٢) .
 فَمَجِبْتُ كَيْفَ نَطَقْتُ فِيهِ عَن الهوى (٣) !
 حيثُ مالَ السرورُ فِيهِ نَميلُ .
 وتخالُ الغُصونُ فِيهِ تَميلُ .
 إنَّ شرحَ الغرامِ فِيهِ يَطولُ .
 قُلْتُ: أنسى، يا عاذِلِي، ما تَقولُ؟
 لَهْدانَا مِن مُقَلَّتِيهِ رَسولُ (٤) !

٤ - * * الوافي بالوفيات ١ : ١٧٥ - ١٧٧ ؛ فوات الوفيات ٢ : ١٩٥ - ١٩٨ ؛ الفدح المعنى
 ٢٠٦ - ٢٠٩ ؛ المغرب ٢ : ٣٨٣ - ٣٨٤ ؛ بقية لوعة ٤٥ - ٤٦ ؛ نفع الطيب ٢ :
 ١٢٠ - ١٢٣ ؛ ٣ : ٣٥٣ .

ابن الناظر القرشيُّ

١ - هو أبو عليُّ الحُسينُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبي الأَحوصِ
 القرشيُّ الفهريُّ، أصلُه من بَلَنَسِيَّةَ ومولدهُ في جِيانَ سَنَةِ ٦٠٣ (١٢٠٦ - ١٢٠٧ م)،
 طَلَبَ العِلْمَ في عِدَدٍ مِن بُلدانِ الأندلسِ: أَخَذَ في غِرناطَةَ عَن أبي مُحَمَّدِ الكَوَّابِ وفي
 إشبيلية عَن عليِّ بنِ جابرِ الدبَّاجِ (ت ٦٤٦ هـ) ولازَمَ الثَلوبينَ (ت ٦٤٥ هـ) في الأدبِ

- (١) وادي العقيق ومنمطف اللوى: مكانان (الأوّل منها قرب المدينة)، والثاني اسم عام.
 (٢) معبود حُسنٍ (يفضد الله). وفي البيت إشارة إلى آياتٍ كثيرة في القرآن الكريم، منها (٢٠: ٥ سورة طه):
 ﴿الرحمن على العرش استوى﴾.
 (٣) أوحى (الله) إلى قلبي.... هنا أيضاً إشارة إلى قوله تعالى في سورة النجم (٥٣: ٣ - ٤): في حقِّ مُحَمَّدِ
 رسولِ الله: ﴿وما يَنطقُ عَن الهوى، إنَّ هو إلَّا وحيٌّ بوحى﴾.
 (٤) الفترة: المدة الفاصلة بين رسالتين. كان بين عيسى بن مريم ومُحَمَّدِ رسولِ الله فترة (هدوء)، مدة لم يعرف
 البشر فيها ديناً منزلاً).

والنحو وأخذَ عنه أكثرَ كتابِ سَيِّئُوهِ. وفي بَلْسِيَّةَ أخذَ عن أبي الربيعِ بنِ سالمٍ وفي مُرْسِيَّةَ عن أبي العباسِ بنِ عِيَّاشٍ وفي جزيرةِ شَعْرُ عن الخطيبِ أبي بكرِ بنِ وَصَّاحٍ وفي مالقَةَ عن الحاجِّ أبي مُحَمَّدِ بنِ عَطِيَّةَ وأبي القاسمِ بنِ الطَّلَسَانِ.

أقرأ ابنُ الناظرِ القُرشيُّ القرآنَ والعَرَبِيَّةَ (النحو) والأدبَ في غَرْنَاطَةَ مُدَّةً ثمَّ انتقلَ إلى مالقَةَ وتصدَّرَ فيها للإقراءِ والتحديثِ وخطبَ في جامعها بضعاَ وعشرينَ سَنَةً. ثمَّ إنَّه غادرَ مالقَةَ إلى غَرْنَاطَةَ فوُلِّيَ القضاءَ في المَرِيَّةِ وبسَطَةَ ومالقَةَ (وهي تابعةٌ لَغَرْنَاطَةَ).

وكانت وفاةُ ابنِ الناظرِ القُرشيِّ في الرابعِ عَشَرَ من جُادى الأولى من سَنَةِ ٦٧٩^(١) (١٣٨٠/٨/١٣ م).

٢- كان ابنُ الناظرِ القُرشيُّ من أهلِ المَعْرِفَةِ والدِّرَايَةِ (العِلْمِ بالحديثِ) والروايةِ الواسعةِ (للحديثِ) ومن القُرَّاءِ والمُعَمِّهاتِ، كما كان نَحْوِيًّا أديباً وشاعراً. والقطعةُ الواردةُ له هنا من لزومٍ ما لا يلزمُ، وفيها شيءٌ من الإحسانِ. ثمَّ هو مُصنَّفٌ له شرحُ المُتَسَوِّفِ (للإمامِ الغزالي؟) وشرحُ الجُمَلِ (في النحو للزجاجي؟)، إلى جانبِ مُصنَّفاتٍ في القراءاتِ والحديثِ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابن الناظر القُرشيُّ في الدنيا والآخرة:

رَغِبْتُ عن الدنيا لِعِلْمِي أَنَّهَا مَحَلُّ حَيَاةِ المَرءِ فِيهِ بِلَاغٌ^(٢).
وقد لاح في فَوَدَيِّ شَيْبٌ على الرِّدَى دليلٌ، وفيه- ما أَرَدْتُ- بلاغٌ^(٣).
وأملتُ من مَوْلَايَ نَظْرَةَ رَحْمَةٍ يكون بها مِنِّي إليه بلاغٌ^(٤)؛

(١) من بعية الوعاه (ص ٢٣٤) وهي مشبهة بالأحرف. وفي المرقفة العليا (ص ١٢٧): ٦٩٩ (ولكنها مدونة بالأرقام).

(٢) رغبت عن الشيء: زهدت فيه وتركته. بلاغ كناية (ما يتلغ به الإنسان كي يتنى حياً).

(٣) الفود: الشعر في جانب الرأس. الردى: الموت. بلاغ: بيان، انذار.

(٤) مولاي: ربي (الله). بلاغ: وصول (إلى الحق).

فأخطى إذا الأبرارُ قيل لهم غداً: هَلُمُوا إلى دار النعيم فراغوا^(١).
 رأيتُ بنيتها ما رمتهم سيهاها فطاشت، ولا حمَّ الهيامُ فراغوا^(٢).
 فمختُ إبي دار البقاء بهمتي، فمِندي عنها راحةٌ وفراغُ^(٣).

٤- ** المرقبة العليا ١٢٧: بغية الوعاة ٢٣٤: نفع الطيب ٢: ٥٣٦، ٥٤٠، ٥٥٠، ٥٧٥؛
 الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٠ (٢٤١).

سعید بن حکم القرشي

١- هو الأمير الرئيس أبو عثمان سعيد بن حكيم بن عمر بن أحمد بن حكيم بن عبد
 العزيز بن حكيم المَعافريُّ القُرشيُّ الطَّبيريُّ، أصلُه من طَبيرة^(٤) - من غربي
 الأندلس - وبها مولده في سادسِ جُمادى الآخرة من سنة ٦٠١ (١٢٠٥/١٩/٢٩ م).

تطوَّف سعيدُ بنُ حكيمٍ في الأندلس مُدَّةً ثمَّ استقرَّ في مدينةِ إشبيليةَ وقرأ فيها الموطأَ
 على أبي الحسين (أبي الحسن؟) بن زرقونٍ وعلى أبي عليِّ الثلوبين (ت ٦٤٥ هـ). ولكن
 يبدو أنَّه لم يكن على وفاقٍ مع والي إشبيلية من قِبَل الموحدين فانتقل إلى المُدوَّةِ
 المَغربية فجاء إلى سِنَّةٍ ثمَّ جال في إفريقية (تونس) والمغرب. بعدئذٍ استقرَّ مُدَّةً في
 تونسِ الحاضرة ثمَّ جاء إلى جزيرة مَيورقة^(٥)، وذلك قِبَل أن يتغلَّب عليها الإسبانُ في
 مُنتصفِ صَفَرٍ من سنة ٦٢٧ (١٢٣٤/١/٢ م). وقد كان له شيءٌ من الإشرافِ في

- (١) هَلُمُوا: تناولوا (فتح اللام)، أسرعوا. دار النعيم: الجنة. زاغ يروغ: مال، جاء إلى.
 (٢) بيوها (بو الدنيا): الناس. طاشت: حاد عن الهدف، أخطأ الهدف. سهامها (سهام الدنيا، سهام النبوة أو الموت). - كانت سهامها دائماً مصيبة (لم ينج أحد من الموت). حم: قرب. الهيام: الموت. زاغ: حاد (نحاً).
 (٣) عاج مال. قصد: دار البقاء: الآخرة (في مقابل دار الفناء: الدنيا). فراغ: خلاه الببال.
 (٤) يذكر حين مؤسس (الحلَّة السبراء ٢: ٣١٨، الحاشية) مدينتين باسم طَبيرة، إحداهما على بعد كيلومترين من مصب نهر منديق في منتصف الساحل العربي من البرتغال اليوم. والثانية قرب الساحل الجنوبي عند منتصفه. والذي يفلب على الطَّرِّ أن هذه البلدة الثانية هي التي ولد فيها سعيد بن حكيم.
 (٥) إلى الجنوب الشرقي من الأندلس أرخيل فيه ثلاث جرد ذوات أحجام ظاهرة: ميورقة (الكبيرة) ومورقة (الصغيرة) وباسة.

جزيرة ميورقة. ثم إنه جاء إلى جزيرة منورقة عاملاً (أميراً على جمع الضرائب). وفي أيام دولته في منورقة اشتغل بالحديث على المحدث أبي الحسين يوسف بن مَفُوز.

ولما آخَلَ أمرُ الموحدين وأستولى الإسبان على ميورقة أستطاع سعيد بن حكيم أن يَحُولَ بَيْنَهُمْ وبين الأستيلاء على منورقة بشيء من المداواة وبدفع جزية سنوية. وكان النافذ في منورقة محمد بن أحمد بن هشام، وكان أمرُ الموحدين قد ضَعُفَ وأفترقت الكلمة - فاستبدَّ سعيد بن حكيم بأمر الجزيرة في ثاني شَوالٍ من سَنَةِ ٦٣١ (١٢٣٤/٧/١ م) ثم أستمَرَ في حُكْمِهَا حُكْمًا عاقلاً صالحاً حَتَّى كَانَتْ وفاته (١) في السابع والعشرين من رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٨٠ (١٢٧٢/١/٩ م).

٢- كان سعيد بن حكيم القرشي حازماً في الإدارة شديد القسوة في العقوبة يقتل على شرب الخمر، عاتبه في ذلك أستاذه ابن مَفُوز، فردَّ عليه بقوله (أعمال الأعلام ٢٧٦): «يا فقيه! هذه الجزيرة كثيرة العنب. والناس يشربون الخمر بها ويسكرون فيضيعون الاحتراس فيظهر (يتغلب) علينا العدو». وكان مع ذلك مُحْسِناً إلى الأفراد وإلى الجماعات: يفكُّ الأسرى ويتصدَّق على المحتاجين وينصُرُ المظلومين.

وهو من العلماء والأدباء وذو حظ وافر من رواية الحديث. ثم هو أيضاً ناثرٌ شاعرٌ شديد الأخذ بالصناعة في نثره خاصة كثير الميل إلى الإلغاز في الأشياء المختلفة نظماً ونثراً. وفنون شعره السيب والحكمة والمدح والوصف. وأبرز فنون نثره الترسُّل.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة كتب بها سعيد بن حكيم القرشي (٢):

أمتع الله بك، أيتها الوليُّ الكريمُ الوفيُّ الصميمُ الشريفُ أبا المنيفُ حبياً وصنع لك وبلغك أملك. يخصُّك بالثناء - الطيب كثنائك، الصيب كوفائك - مجلِّك

(١) من زمامور (ص ٩٢)، وفي أعمال الأعلام (ص ٢٧٦): في حدود ٦٨٠.

(٢) يبدو أن سعيد بن حكيم كتب هذه الرسالة إلى أحد أمراء الحفصيين في تونس: أبي ركريت بن يحيى (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) أو ابنه أبي عبد الله محمد (المنصور) الأول (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ).

بالحقّ الواجب ومُجَلِّك من الودِّ بين الترائب^(١) سعيدٌ من حَكَم . ولا جديدٌ إلا عنايةُ الله تعالى وكِفايته ووقايته - سُبْحَانَهُ - (والتي) هي خيرٌ من دِفَاعِنَا - وحمايته^(٢) .

وقد وَرَدَتِ الْحَدِيثَانِ الْأَيْقَتَانِ وَالرَّوَضَاتِ الْغَضَّتَانِ تَعْبَانِ إِذْ تُنَسَّقَانِ وَتَرَوَانِ
لَا^(٣) تَرْمُقَانِ . وَالْحُسْنُ مِنْ مَرَاهَا يَنْفِرُ وَالذَّجْنُ يَنْجَلِي مِنْ سَنَاهَا إِذَا يُسْفِرُ^(٤) . سَبَقَتْ
أُولَاهَا كَالْبُشْرَى ، وَسَبَقَتْ بَعْدَ عَلَى أُنْثَرِهَا الْأُخْرَى وَجَاءَتْهَا خَفِيفَتِي الْحَمَلِ
لَطِيفَتِي الْمُجَمَّلِ ... فَلِلَّهِ مُهْدِيهَا وَمُظْلِمُهَا تَبْرَتَيْنِ^(٥) . لَقَدْ أَوْجِبَ بِرَّهَا حَقًّا كَبِيرًا ،
وَحَمَلًا مِنْ شُكْرِهَا مَا يَثْقُلُ ثَبِيرًا^(٦) . وَاللَّهُ يَتَوَلَّاهُ وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمَلِي مَا
أَوْلَاهُ^(٧)

- وَقَالَ مُلْفِرًا فِي شَمْعَةٍ :

مَا جَمِيلَةُ الْمَرَاةِ صَقِيلَةُ كَالْمِرَاةِ مُنْتَصِبَةٌ كَالْقَنَاةِ^(٨) مَرْتَقِبَةٌ مِنَ الْأَذَانِ بِالْعِشَاءِ
لِلْأَدَاةِ^(٩) . مَعَ الْاسْتِمْعَالِ قَرِيبَةُ الْحَيَاةِ ، وَعَلَى الْعَطْلَةِ وَالْإِغْفَالِ بَعِيدَةُ الْوَفَاةِ^(١٠) . مُنْهَلَةٌ
وَلَيْسَتْ بِفَامَةٍ ، مُسْتَقَلَّةٌ وَلَكِنْ بِدِعَامَةٍ^(١١) . وَمَعَ كَوْنِهَا تَهْمِي بَدْرَرٍ (فَأَيَّهَا) تَرْمِي

- (١) عَمَلَك : عَمْرَمَك . عَمَلَك : مَرْك (بِالضَّمِّ) . التَّرَائِبُ : عِظَامُ أَعْلَى الصَّدْرِ (بَيْنَ التَّرَائِبِ : فِي الْقَلْبِ) .
- (٢) حَابِيَتُهُ مَعْطُوفَةٌ عَلَى وَقَايَتِهِ .
- (٣) هَذِهِ الرِّسَالَةُ شَكَرٌ عَلَى هَدِيَّةٍ : حَدِيثَانِ وَرَوْضَانِ (٥) . أَنْبِقُ : جَمِيلٌ . غَضَنٌ : طَرِيٌّ . عَنَقُ (بِضَمِّ فَكْسَرِ) الطَّبْعِ : ... انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ . رَاقٍ يَرُوقُ : حَسَنٌ فِي الْعَمَلِ . رَمَقَ : نَظَرَ . لَمَّا (٥) : حَمَا (٥) .
- (٤) سَفِرَ : بَطَّخَ حَسَبَهُ وَجَمَالَهُ . الدَّحْنُ : الْعَيْمُ (النَّهَارُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ الْوَرْدُ لِكَثْرَةِ الْعَيْمِ) . السَّاءُ : الصَّوَاءُ السَّاطِعُ . يَسْفِرُ : يَشْرُقُ . لَعَلَّ الْهَدِيَّةَ كَانَتْ شَمْعَتَيْنِ .
- (٥) الْحَمَلُ (بِالْجَمِّ) : الْجَسْمُ أَوْ الْحَجْمُ . تَبْرَتَيْنِ : مُضَبَّنَتَيْنِ .
- (٦) بَرَّهَا : طَاعَتُهَا (الشُّكْرُ عَلَيْهَا) . يَثْقُلُ فِي الْبَرِّ : يَبْرُدُ فِي الثَّمَلِ عَلَى شَيْءٍ (اسْمُ جَمَلٍ) .
- (٧) الْحَمَلِيُّ : التَّمَمُ . مَا أَوْلَاهُ : أَسَخَّ عَلَيْهِ (أَعْطَاهُ) مِنَ النِّعْمَةِ .
- (٨) الْمَرَاةُ (بِضَمِّ الْمِيمِ) : الْمَرَأَى ، النِّظَرُ . (وَبِكْسَرِ الْمِيمِ) : صَفْحَةٌ مَصْفُوفَةٌ مِنْ مَعْدِنٍ أَوْ صَفْحَةٌ مِنْ زَجَاجٍ مَفْتَى أَحَدَ وَجْهَيْهَا يَرَى النَّاطِرُ فِيهَا نَعْمَةً . الْقَنَاةُ : الْقَصَّةُ ، الرَّمْحُ .
- (٩) مَرْتَقِبَةٌ : مُنْظَرَةٌ . مِنَ الْأَذَانِ بِالْعِشَاءِ (قَبْلَ أَذَانِ الْعِشَاءِ!) لِأَدَاةِ (٥) .
- (١٠) إِذَا أَضَاهَا الْإِنْسَانُ كَثِيرًا ذَابَتْ سَرْعَةً ، وَإِنْ لَمْ يَبْصُهَا كَثِيرًا طَالَتْ حَيَاتُهَا .
- (١١) مُنْهَلَةٌ : بِسَاقِطٍ مِنْهَا نَافِطٌ كَالدَّمُوعِ (مِنْ النِّعَمِ الدَّائِمِ) بِحَرَارَةِ بَوْرَاهَا) . مُسْتَقَلَّةٌ : نَاهِضَةٌ ، مُنْتَصِبَةٌ . بِدِعَامَةٍ (عَلَى دِعَامَةٍ : شَمْعَدَانٍ) .

بَشَّرَ^(١).... وليست من بيت النبوة وإن كان قد أُوحِيَ إلى آباؤها^(٢).... تُرَضِّعُ
 أبناً لم تَلِدْهُ ذا عقوق، يُسْرِعُ إلى أذاتها غيرَ فَروق^(٣)... تقومُ ليلها تَهَجُّداً، وتُريكَ
 ابتساماً دائماً وتَجَلُّداً^(٤).....

- وقال سعيد بن حكيم يصفُ عادته في الإحسان إلى الناس:

لا تَمْنَعِ المعروفَ يو	مأ مُعْرَضاً ومُعْرَضاً ^(٥) .
فكِلَاهُمَا من حَقِّهِ	فيه له أن يُفْرَضاً ^(٦) :
هَذَا تَنْزَعٌ فَاسْتَحَقُّ	قاً على نِزَاهَتِهِ الرِّضَا ^(٧) ؛
وَالْآخِرُ اسْتِخْيَا مِنَ التَّد	تَصْرِيحٍ فِيهِ فَمُرَّضَا.
هَذَا الَّذِي مَا زِلْتُ أَف	عَلُّ أَوْ أَقُولُ مُحَرَّضَا.

- وله في الحقد:

الحقدُ داءٌ في القلوبِ،	والصفح منه هو الطيب.
فاحلِّمْ عن الجاني فقد	يدعوه جِلْمُكَ أَنْ يَتوبَ.
وَأَسْ الذنوبِ، فَإِنَّا	ذَكَرُ الذنوبِ مِنَ الذنوبِ.

- وقال في النسيب:

إِنِّي لِأَكْلِفُ بِاسْمِهَا كَلْفِي بِهَا. فانظُرْ، فهذا للصفاء شعار^(٨).

- (١) همي بدرر (يسل من أعلاها نفاط كاللؤلؤ، كأنها نفاط ماء من المطر). ترمي شرر: يصدر منها نور (براه صيف الصر خبوطاً متجهة إلى كل جهة).
- (٢) يصح النعم الفاجر من المادّة - النعمة - التي نهته الحل أقراصاً ذوات سدسات لحزن فيها العسل. وفي القرآن الكريم: ﴿وَأُوْحِيَ رَبِّكَ إِلَى الْحَلِّ﴾ (١٦: ٦٨ سورة الحل).
- (٣) ترضع ابناً (تمدّ أو تزود الفضل الذي في وسطها بالمادّة التي تمكّنه من الإضاءة - ذو عمق (عصيان) لأنّ إضاءته يذيب جسمها (من التمعج) فكأنه يقبلها. فروق: خائف.
- (٤) تقوم (تتهر) الليل هجداً (في العادة). ابتساماً (من إشراق نورها) وتجلُّداً على احتمال حرّ الاحتراق.
- (٥) المرص: الذي سدى إياه لأحد الصدقة. المرص (بتشديد الراء): الذي يشر من طرف حفي إلى طلب الصدقة.
- (٦) أن يعرض له (انصب من الركاة).
- (٧) تنزّه: ترفع (عن طلب الصدقة).
- (٨) كلف (صح مكسر) بالشيء (تعلقت فيه به).

وإذا أُمِرُّ بدارها فكأنها
 غابت فأبكي بعدها شوقاً لها،
 تالته، ما لَمَحَتْ جفوني - مُدْنَأْت -
 بيضاء تحسب أنها من فضة،
 مالت معاطفها ولأن حديثها؛
 لو لم تُحَلِّ، لكان حلياً تُفَرِّها.
 تخشى البرية مُقَلَّتِها غيرها.
 قد دَرَّ فيها الوابلُ المِدرار^(١).
 والشمسُ تهملُ بعدها الأمطار^(٢).
 نُوراً. وهل بعد المِهة نهار^(٣)؟
 في الحَدِّ منها للحياء نُصار^(٤).
 أَيْكونُ عن خِرِ الجفونِ خِمار^(٥)؟
 إنَّ الفصونَ حُلِيَّها النُّوار^(٦).
 أيهابُ سِورة نَبَلِه الأَسوار^(٧)؟

- وقال يصف شمعة:

وصَفراءُ من غيرِ ما عِلْبَةٍ
 تُطِيلُ الوقوفَ على واحدٍ
 تَزِيدُ على الشمسِ في نورِها
 تُحارِبُ دأباً جيوشَ الظلامِ
 لها أذْمَعُ أبدأ سائلة.
 مَدَى قَيْلِها قُتْرَى ناحِلِه.
 إذا ما عَدَّتْ للدُّجى واصلِه^(٨).
 قُتْبِصْرُ مقولِة قاتلِه.

- (١) دَرَّ: جرى. الوابل: المطر الشديد. المِدرار: الكثير الماء.
 (٢) تهمل (تفتح التاء ثم كسر الميم أو ضمها) تنقط بكثرة. إذا احنجت الشمس بالغيوم كان ذلك سارة سقوط المطر.
 (٣) المِهة: الفترة الوحشية. الشمس (المحتم الوسط ٨٩٧). وهل بعد المِهة (بعد غياب الشمس) يمكن أن يبقى النهار طالماً (أو النور موجوداً).
 (٤) حدّها أبيض كالفضة ولكن حياءها (الذي أصبح عادة لها) يكسب وجهها حمرة كلون النصار (الذهب). مع أن الذهب الخالص أصفر لا أحمر (ويجيء احمرار الذهب الأثوف في العملة وفي الحلي من مزجه بالتحاس).
 (٥) المطف (بالكسر) والمعطف (بفتح الميم وتفتح الطاء): الطرف الأعلى من الجسم. الخمار: السكر - هل يمكن الإنسان أن يسكر من نظرات المرأة الجميلة؟
 (٦) تحلّى: تنزّهن بالحلى. لكان تُفَرِّها (أسانها التي تنه اللؤلؤ)... النُّوار: الزهر الأضف. و الفصون نورية (فروع الشجرة، والقوام المتدل).
 (٧) البرية: مجموع البشر. غيرها: غير هذه المرأة (على الاستثناء). أيهاب (أخفاف) سورة (سُدّة) نبله وسهامه الأَسوار (الفراس).
 (٨) يفصد: أن نور الشمعة يكون أقوى من نور الشمس إذا اقتربت الشمس من مبيها.

- قال سعيد بن حكيم في الملوك الذين لا يحكمون حكماً صحيحاً عادلاً:

إِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ مُلُوكِ أَصْبَحُوا وَهُمْ مَوَالٍ أَعْبَدَ الشَّهَوَاتِ (١)
الْأَطْيَانِ مَرَادُهُمْ وَمَرَادُهُمْ: أَرْبُ الْفُرُوجِ وَإِرْبَةُ اللَّهَوَاتِ (٢)
لَوْ وَقَفُوا وَقَفُوا اجْتَاعَهُمْ عَلَى نَفْيِ الْهَوَىٰ قَضَاءً عَنِ الْخَلَوَاتِ (٣)
مَرَّتْ سِنُونَ وَهُمْ مِلَاكٌ لِلزُّورَى. يَا لَيْتَهُمْ مَرَّوْا مَعَ السَّنَوَاتِ (٤)!

- ومَرَّتْ به في أيامِ صباهُ امرأةٌ جميلةٌ، كانَ زَوْجُهَا شُرْطِيًّا، فقال:

وَجَنَّةٍ خَازِنُهَا مَالِكٌ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهَا مَالِكًا (٥)
أَسْجُدُ فِي مِحْرَابِهَا سَجْدَةً سُكَّاءُ؛ وَمِثْلِي لَمْ يَزَلْ نَاسِكًا (٦)
وَكَيْفَ أَرْجُو الْقُرْبَ مِنْهَا وَقَدْ أَضْحَى حَامًا لَخَطُّهَا فَاتِكًا (٧)!!
إِنَّ أَمَائِي الْقَيْتِي ضِلَّةٌ يُمْنَى بِهَا حَتَّى يُرَى هَالِكًا.
مَنْ لِي بِهَا شَمْسَ الضُّحَى أَطْلَعْتُ جُنْحَ دُجَى مِنْ شَمْرِهَا حَالِكًا (٨)
سَلَكْتُ سُبُلَ الْغَيِّ فِي حُبِّهَا، وَلَمْ أَكُنْ قَبْلُ لَهَا سَالِكًا.

٤- * * المغرب ٢: ١٤٦٩ القدر المعلق ٢٨-٤١؛ الوافي بالوفيات ١٥: ٢١٢-٢١٣؛

- (١) موال (جمع مولى): نابعون. أعيد جمع قلته من «عبد».
- (٢) الأطيان: الطعام والنكاح. الأرب: الحاجة. الإربة: النعمة، المطلب. اللهوات جمع «لهاة» (بفتح اللام): الهنة التي في أول الحلق. المقصود: الفم.
- (٣) لو كانوا ناجحين في الحكم لخلعوا عنهم ترك هوى أنفسهم (أهواءهم الشخصية) وخصوصاً حلواتهم الصحيحة (كثرة الاهتمام بالنساء).
- (٤) مرّ زمن طويل وهم ملاك (قوام)، وهم كل شيء في حياة الزورى: الناس). يا ليتهم مرّوا كما مرّت السنوات (ماتوا).
- (٥) الحنة خازنها (بوابها) رضوان (بكسر الراء). ومالك خازن جهنم. ولكن هذه المرأة الجميلة، وهي جنة، لها خازن (زوج) هو مالك (لأنه شرطى موكل بمقاب الناس. يا ليتني كنت لها مالكا (زوجاً شريعياً).
- (٦) أسعد في محرابها.... (الكناية الملوحة واضحة، ولكن يمكن أن تكون قبيحة).
- (٧) ولكن الذي يعني من قربها ليس زوجها الشرطى، ولكن عيونها.....
- (٨) شمس يجوز فيها النصب (تخييراً) والجر (بدلاً من «ها»، والرفع (خبر لمبتدأ محذوف). المجمع: قسم، مدة من الليل. الدجى: الظلام. الحالك: التديد السواد. - هي شمس (بولونها الأبيض) نعيه النهار، ولكن شمرها الأسود يجعل من النهار جانباً مظلماً.

الحلّة السيرة ٢: ٣١٨ - ٣٢٠؛ الذيل والنكلمة ٤: ٢٨ - ٣٣؛ أعال الأعلام ٢٧٥ - ٢٧٦؛
 بعة الوعاء ١٢٥٥؛ نفع الطيب ٤: ٤٧١ - ٤٧٢؛ راجع أزهار الرياض ٣: ٢١٥ - ٢١٨؛
 الأعلام للزركلي (٣: ٩٣).

ابن معمر الهواري

- ١- هو أبو عليّ الحسن بن موسى بن معمر الهواريّ الطرابلسيّ وُلد في طرابلس،
 سنّة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ - ١٢١٣ م). قرأ ابنُ معمرٍ مدّةً يسيرةً في طرابلس ثمّ رحَلَ إلى
 المهديّة وقرأ على الفقيه أبي زكريّا يحيى البرقيّ (ت ٦٤٧ هـ). ثمّ إنّه انتقل إلى مدينة
 تُونس في أيام المُستنصر بالله (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وقد تولى القضاء في باجة وبجاية
 وغيرها، كما تولى خطّة العلامة الكبرى والنظر في خزانة الكُتب. ثمّ وقعت بينه وبين
 المُستنصر وحشةً فنّاه المُستنصر إلى المهديّة (من أواخر ٦٦٧ إلى آخر ٦٦٨ هـ). عادَ
 بعد ذلك إلى تُونس وإلى رئاسةِ خزانةِ الكُتب. وكانت وفاته في تُونس، في جادى
 الآخرة (*) من سنّة ٦٨٢ هـ (أيلول - سبتمبر ١٢٨٣ م).
- ٢- كان ابنُ معمرٍ الهواريّ فقيهاً وخطيباً ومناظراً، كما كان شاعراً رقيقاً يتوقّف
 على الأغراض الوجدانية. وشعره سهلٌ واضحٌ صحيحُ التركيب.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ معمرٍ الهواريّ من قصيدة له في النسيب:

لولا احورارُ جُنونٍ أودِعتْ سَمًا ما أنطرتْ سُحباً أجفاني الدموعَ دَمًا^(١)
 ولا وَقفتُ أصيلاً برَبِّعِكُمْ ولا سَقَيْتُ رُباهَ مِنْ دَمِي دِيماً^(٢)
 شَمَلُ السورِ شَتِيَتْ بعدَ بَيْنِكُمْ، وطالما كان قبلَ اليومِ مُلْتَمِياً^(٣)

* في نجات السرين والريحان (ص ٩٣): في التاسع من جادى الأولى.

(١) الاحورار: شدّة سواد العين مع شدّة بياضها.

(٢) أصيلاً = أصيلاً: قريباً من غروب الشمس. الدية: الغامة المطرة.

(٣) البين: البعد، البعاد.

الْبَيْنُ يَقَطَعُ مِنْهُ كُلُّ مُتَّصِلٍ ، وَالشَّوْقُ يَنْثُرُ مِنْهُ كُلَّ مَا اتَّظَلَّ .
 يَا مَنْ يُلَوِّمُ عَلَى مَا جَلَّ مِنْ أَسْفَى ، هَذَا السَّيْرُ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كُنَّا !
 أَنْبِيَكُمْ أَنَّنِي مِنْ يَوْمٍ بَيْنَكُمْ مَا زَلْتُ لِلسَّهْدِ وَالتَّدْكَارِ مُنْتَزِماً .
 أَرْتَاخُ إِنْ هَبَّ رِيحٌ مِنْ جَنَابِكُمْ أَوْ لَاحَ بَرَقَ بِذَاكَ الْأَفْقِ وَابْتَسَمَا .
 أَمَا وَمَنْ قَدَرَ الْأَشْيَاءَ مُقْتَدِرًا وَحُبُّكُمْ - وَكَفَى بِالْحُبِّ لِي قَمًّا - (١)
 مَا رَامَ قَلْبِي اصْطِبَارًا بَعْدَ بُعْدِكُمْ وَلَا تَأَخَّرَ بِي مِنْ وَجْدِهِ قَدَمًا (٢) !

- وكان ابنُ مُعَمَّرٍ محبوباً معَ صديقه محمد بن يحيى الفضيلي ثم أطلق سراحه قبل
 الفضيلي، فكتب إلى الفضيلي بيتين:

لَيْتَ سَرَّيْ فَكُ الْإِسَارِ مِنَ الْحَسَنِ ، لَقَدْ سَاءَ فِي قَدْيِ لِيَا فِيهِ مِنْ أُنْسِي .
 وَلَوْ أُنْسِي خَيْرْتُ فِيمَا أُرِيدُهُ ، لِأَثَرْتُ تَقْدِيمِي سَرَاخَكَ عَنْ نَفْسِي .

٤ - ** عنوان الأريب ٧٠-٧٢؛ نفعات النسرين والرمحان ٩٢-٩٦؛ رحلة التجاني
 ٢٧٤-٢٨٠؛ أعلام من طرابلس ٧٥-٨٤.

محمد بن موسى المزالي

١ - هو الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي عمران موسى بن النعمان
 المزالي التليساني الفاسي المراكشي الهنتاقي الإشبيلي، وُلِدَ فِي تِلِسَانَ، سَنَةَ ٦٠٦ هـ
 (١٢٠٥-١٢٠٥ م) أو سنة ٦٠٧ هـ.

رَحَلَ الْمَزَالِي إِلَى مِصْرَ فَسَمِعَ فِي الْإِسْكَانِيَّةِ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحَرَّاتِيِّ وَأَبِي الْقَاسِمِ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْهِجْدِ الصُّفْرَاوِيِّ (٥٤٤-٦٣٦ هـ) وَسَمِعَ بِمِصْرَ (الْقَدِيمَةَ) مِنْ أَبِي

(١) ومن قَدَرَ الْأَشْيَاءَ (الواو: اللضم. من قَدَرَ الْأَشْيَاءَ: أي الله تعالى). حِكْمٌ (مجرورة على أنها قسم، أو على
 أنها معطوفة على قسم).

(٢) رام: طلب. من وجده (من كثرة جبه لكم). فدما: مقدار قدم.

حسن الصابوني وابن الطفيل وابن المقير. وكانت وفاته في مِصرَ، سنة ٦٨٣ هـ (١٣٨٤-١٣٨٥ م).

٢- كان محمد بن موسى المزالي قهياً مالِكياً وزاهداً عابداً عارفاً (صوفياً). وله شعرٌ على الطريقة الصوفية سهلٌ حسنٌ. وكان مُصنفاً له كتاب «مِصباحُ الظلام في المُستغِيثين بحير الأنام في اليقظة والنام». (يبدو أنه ألفه سنة ٦٣٩ هـ).

٣- مختارات من شعره:

- قال محمد بن موسى المزالي في ليلي (العرّة الإلهية):

أَتَطْمَعُ أَنْ تَرَى لَيْلِي بَعِينٍ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى حَسَنِ سِوَاهَا^(١).
سِوَاهَا لَا يَرُوقُ الطَّرْفَ حُنّاً. وَأَوْصَافُ الْجَمَالِ لَهَا حِمَاهَا^(٢).
حِمَاهَا مَنزِلُ الْأَحْبَابِ قَدَمًا، وَإِنْ كَانَ الْجَمَالُ لَهَا حِمَاهَا^(٣).
أَتَنْظُرُهَا بَعِينٍ بَعْدَ عَيْنٍ، فَتَلِكُ الْعَيْنُ تَمَنُّهَا قَدَاهَا^(٤).
قَدَاهَا إِنْ أَرَدْتُ يَزُولُ عَنْهَا، بَعِينِ الدَّهْرِ غَيْرَكَ لَا تَرَاهَا^(٥).

٤- * * الوافي بالوفيات ٥: ١٨٩، بروكلمن. الملحق ١: ٦٦٥.

-
- (١) - لقد أعجبك في هذه الدنيا أشياء حسنة، ولذلك لن تستطيع أن ترى ليلي (العرّة الإلهية).
 - (٢) - كل ما رأيته ليس جميلًا في الطرف (العين). وجمال ليلي العظيم (غير الألف) حمى لها (منع من رؤيتها).
 - (٣) حِمَاهَا: منزلها هو منزل المحبوبين القدامى (الذين لا يجوز لأحد أن يجتأ أحدًا بعدهم). وحماها العظيم بحميتها (بمعنى أعين البشر) من رؤيتها.
 - (٤) أنظرها (أي ليلي: العرّة الإلهية) بعين (مادية، بعين جسمك) بعد عين (عين قلبك؟) فهذه العين الجسمية يجتمع فيها عادة قذى (وسخ) يمنعها أن ترى الألوهة).
 - (٥) - إذا أردت أن يزول القذى (الوسخ، العشى) من عينك لتستطيع أن ترى ليلي، فحسب لا ترى أحدًا غيرك (لا ترى إلا نفسك).

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي

١- هو أبو البقاء (أو أبو الطيب)^(١) صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف^(٢) الرندي الأندلسي من أهل رندة (في الجزيرة الخضراء، بين مالقة وشريش).

تلقى أبو البقاء الرندي العلم على أبيه وعلى نفرٍ منهم أبو الحسن الدباج وابن الفخار الشريشي وابن قطرال وأبو الحسن بن زرقون وأبو القاسم بن الجذ التونسي. ويبدو أنه كان منقطعاً إلى بني الأحمر كثير التردد على غرناطة، كما أنه قد أقام حيناً في مالقة. ولمل وفاته كانت في سنة ٦٨٤ (١٢٨٥-١٢٨٦م).

٢- كان أبو البقاء الرندي حافظاً للحديث وفقياً وفرضياً ومشاركاً في الحساب ثم كان بارعاً في منظوم الكلام ومنشوره مجيداً في المدح والغزل خاصة والرُّهْدِ والوصف. ولكن شهرته ترجع إلى قصيدته «لكل شيء إذا ما تم نقصان» وقد نظمها بعد ضياع عددٍ من المدين الأندلسية منها: بلنسية (٦٣٠هـ) وقرطبة (٦٣٦هـ) وجيان (٦٤٤هـ) وشاطبة (٦٤٥هـ) وإشبيلية (٦٤٦هـ) ومريسة (٦٦٨هـ). هذه القصيدة تجمع بين العاطفة المكلومة والسهولة المتناهية والترد المنطقي.

وكان أبو البقاء الرندي مُصنفاً ألف في الفرائض (تقسيم الإرث) نظماً ونثراً. وله أيضاً مقاماتٌ بديعة. ومن كُتبه: راحة الأُنس ونزهة النفس - مختصر في الفرائض - الوافي في نظم القوافي (في البلاغة والنقد وطبقات الشعراء وعمل الشعر وفي فنون الشعر وخصائصها المستحبة). ولكن يبدو أن الكتاب قليل الابتكار وأن غاية الرندي فيه كانت جمع الخصائص المشهورة من كتب النقد المختلفة. وكان اتكاؤه على

(١) في الإحاطة (مطبعة الموسوعات بمصر ١٣١٩هـ، ١: ٣٠٣، وفي طبعة محمد عبد الله عان، مصر - دار المعارف، ١: ٤٨٤): الطيب (ببإم).
(٢) في سبأقة نسه شيء من الخلاف. وقد جملة محمد رضوان الداية (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ص ٤٣٢): البقي (بنون مكسورة وفاء شديدة مفتوحة) نسبة إلى مدينة نفر في جنوبي العراق. والمصواب الغزي (بنون مفتوحة وفاء ساكنة وزاي منقوطة: اسم قبيلة مغربية). هذا إذا كان، الرندي مسواً إلى تلك القبيلة.

ابن رشيق واضحاً).

وكتاب « الوافي في نظم القوافي » يجمع بين^(١) النقد والبلاغة وشيء من الأخبار الأدبية الأندلسية وطائفة من شعر المؤلف، وهو أربعة أجزاء. الجزء الأول في فضل الشعر ومن تكلم به وأثاب عليه. ثم في الشعراء وطبقاتهم، ثم في عمل الشعر وآدابه ثم في أغراض الشعر من المديح والتهنئة والرثاء والأعتذار والعتاب والهجاء والوصف. والجزء الثاني في محاسن الشعر وبيده ومعانيه من الأبتداء والانتها والاستطراد والمطابقة وما يُناسبها من المقابلة ثم التشبيه والاستعارة والتجنيس والتضمين والمبالغة والتسليم (التقسيم والترتيب) والتسجيع والتسميط (التشبيه بالتوشيح). والجزء الثالث في عيوب الشعر من الإخلال أو سوء اللفظ وسوء التركيب والترتيب - عيوب السرعة - أكان الأخذ من شاعر آخر قصداً أو عمواً - ثم الضرورة (أو الرخص في الشعر) مما يدل على ضعف الشاعر في صناعة الشعر). والجزء الرابع في حد الشعر وفي العروض والقوافي وفي مجوز الشعر الأصلية (الخمسة عشر) والبحور المهملة.

٣ - مختارات من آثاره

- رثاء الأندلس. قال أبو البقاء الرندي هذه القصيدة يستنصر أهل العُدوة الإفريقية من بني مرين، لما جعل ابن الأحمر (محمد الغالب بن يوسف أول سلاطين غرناطة) يتنازل للإسبان عن عدد من القلاع والمدن آسرى لهم وأملأ في أن يبقى له حكمه المقلقل على غرناطة:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يُغمر بطيب العيش إنسان.
هي الأمور كما شاهدتها دُول^(٢)؛
من سره زمن ساءت له أزمان.
وهذه الدار^(٣) لا تُبقي على أحد،
ولا يدوم على حال لها شان:

(١) من « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس » لمحمد رضوان الداية (ص ٤٣٥ وما بعد)

(٢) الدولة (يفتح الدال أو يضمها): انقلاب الأمر مرة بعد مرة (مرة لهؤلاء ومرة لأولئك)

(٣) هذه الدار: هذه الدنيا.

يُمَزَّقُ الدهرُ حَتْبًا كُلَّ سَابِقَةٍ
وَيُنْتَضَى كُلُّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ، وَوَلَوْ
أَيُّ الْمُلُوكِ ذُوو التَّيْجَانِ مِنْ يَمِينٍ،
وَأَيُّ مَا شَادَهُ شَدَادُ فِي إِزْمٍ؟
وَأَيُّ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ؟
أَتَى عَلَى الْكَلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ
وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مُلْكٍ
دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارَا وَقَاتَلَهُ

إِذَا نَبَتَ مَشْرِيفَاتُ وَخِرْصَانٍ^(١)؛
كَانَ ابْنُ ذِي يَزْنَ وَالْعِمْدُ غَمْدَانٍ^(٢).
وَأَيُّ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيْجَانٌ^(٣)؟
وَأَيُّ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانٍ^(٤)؟
وَأَيُّ عَادٍ وَشَدَادٍ وَقَحْطَانٍ^(٥)؟
حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا^(٦).
كَمَا حَكَى عَنِ خِيَالِ الطَّيْفِ وَسَنَانٍ^(٧)؛
وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيْوَانٌ^(٨)؛

- (١) السابغة: الدرع. المشرقي: السيف (من صنع مشارف الشام، كتابة عن جودة حديده وصنعه). الحرصان (بالضم أو الكسر أو الفتح): الرمح. والمجمع خرصان (بالضم أو الكسر) - إذا لم تتمزق الدرع بالسيوف والرماح فلأنها تتهراً بمرور الزمن (من لم يقتل في الحرب مات بالدهر، بانقضاء أجله).
- (٢) انتضى الفارس السيف: سحبه من غمده. كل مدخر، مها تحافظ عليه، بدركه الجبل (بكر الباء). سيف بن ذي يزن: ملك من عظماء ملوك اليمن. غمدان قصر في اليمن.
- (٣) أين الملوك...؟ - ذهبوا (ماتوا). الإكليل: التاج الصغير. وأين منهم أكاليل وتيجان: (هذه لم تدفع عنهم الموت).
- (٤) شاد: نسي. شاد بن عاد: ملك يمني قديم فتح فتوحاً كثيرة بعيدة. إرم ذات العماد (الأعمدة): مدينة عظيمة تقول الحرافة إن جدرانها وسقوفها من الذهب والنحاس وأعمدتها من الزبرجد والياقوت. ساسان: مؤسس الدولة الساسانية (الفارسية المتأخرة).
- (٥) حازه: امتلكه. قارون: كان أغنى أغنياء العالم (كانت مفاتيح قصوره كثيرة إلى حد أن الرجل القوي لا يستطيع حملها كلها). عاد وشداد وقحطان من جدود العرب القدماء والأقوياء.
- (٦) أمر لا مرد له (الموت).
- (٧) خيال الطيف: الحلم (بضم الهاء): المنام. الوسنان: الذي أخذه الحماق (أفاق من النوم ولم يزل نسان).
- (٨) دار الزمان: انقلاب. دارا (داريوس) الأول فتح الهند وأخضع مقدونية (اليونان) ثم هزم في ماراثون (باليونان). أم: قصد. كسرى: لقب ملوك الدولة الساسانية. والمقصود هنا كسرى أنوشروان العادل الواسع السلطان والمعنى والوجهة بين الأمم. الإيوان: قصر عظيم لكسرى في المدائن (على عشرين كيلومتراً شرق بغداد). آواه (حماه من الموت).
- اقرأ: وقاتله (فعل ماضى) فذلك أحسن من حيث البيان. هذا مع العلم بأن دارا الثالث قد اغتاله بعض أتباعه، سنة ٣٣٠ ق.م. (بعد أن انهزم أمام الاسكندر المقدوني في معركة أربل، جنوب العراق). والمملوح أن الرندي قد قصد المجاسة بين «دار» و«دارا»، ولم يلمح الفرق بين دارا الأول (ت ٤٩٠ ق.م.) ودارا الثالث!

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ،
 فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ،
 وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوكٌ يَهْوُونَهَا؛
 ذَهَى الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَرَّتْ
 فَاسْأَلْ بَلَنِيَّةً: مَا شَأْنُ مُرْسِيَّةٍ؟
 وَأَيْنَ قُرْطُبَةَ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ
 وَأَيْنَ جَنْصٌ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزْوِ
 قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ، فَمَا
 تَبْكِي الْحَقِيقَةَ الْبِيضَاءَ مِنْ أَسْفِ،
 عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَّةٍ؛
 حَيْثُ الْمَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا
 حَيْثُ الْحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ
 يَا غَافِلًا، وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ،
 وَمَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِمُهُ مَوْطِنُهُ،
 تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقَدَّمَهَا،
 يَوْمًا، وَلَمْ يَنْلِكَ الدُّنْيَا سُلَيْمَانَ^(١)،
 وَلِلزَّمَانِ مَرَاتٌ وَأَحْزَانٌ؛
 وَمَا لَهَا حَلٌّ بِالْإِسْلَامِ سُلوَانٌ^(٢)؛
 هَوَى لَهُ أَحَدٌ وَانْتَهَدَ تَهْلَانٌ^(٣)،
 حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانٌ^(٤)؛
 وَأَيْنَ نَاطِطَةٌ أَمْ أَيْنَ جِيَانٌ؟
 مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانٌ؟
 وَنَهْرُهَا الْعَدْبُ فَيَاصُ وَمَلَانٌ؟
 عَسَى الْبِقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقُ أَرْكَانُ^(٥)؛
 كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيَّانٌ^(٦)،
 قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانٌ؛
 فَيَهِنُ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانٌ؛
 حَيْثُ الْمَنَابِرُ تَرْتَمِي وَهِيَ عَيْدَانٌ^(٧)،
 إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالِدِهِرٍ يَقْطَانٌ^(٨)؛
 أَبْعَدُ جَنْصٍ تَفْرُ الْمَرْءَ أَوْطَانٌ؟
 وَمَا لَهَا مَعَ طُوَالِ الدَّهْرِ نِسِيَانٌ.

(١)

- (٢) سلوان: شراب يجعل الناس ينسون (يفتح العين) مصائبهم.
- (٣) دهى: أصاب بداهية (مصيبة). الجزيرة (الأندلس). أحد (جبل قرب المدينة) تهلان: جبل في بلاد العرب.
- (٤) أصابها (أصابتها) العين (من الحد). ارتزأ (أصيب برزه: مصيبة كبيرة).
- (٥) القاعدة: العاصمة (مركز الدولة).
- (٦) الحبيبة: الإسلام. الهيان: الحب الشديد.
- (٧) المراب: نجوى في قبلة المجد يقف فيه الإمام عند الصلاة (كناية عن الماجد). جامدة (من جماد، ومع ذلك فهي تحس بالصيبة). العود: غصن الشجرة (الحشب).
- (٨) سبة (بكر ففتح): العاس.

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبِيضَاءُ رَأَيْتُهُ،
يا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً
وَحَامِلِينَ سَيْفَ الْهِنْدِ مُرَهَفَةً
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَاةٍ
أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ؟
كَمْ يَسْتَفِيتُ بَنُو الْمُسْتَطْمَعِينَ، وَهُمْ
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ،
أَلَا نَفُوسٌ أَيْسَاتٌ لَهَا هِمَمٌ!
يَا مَنْ لِدَلَّةِ قَوْمٍ، بَعْدَ عِزَّتِهِمْ،
بِالْأَسْرِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ،
فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهِمُ عِنْدَ بَيْعِهِمْ
يَا رَبِّ أُمَّ وَطِفْلٍ حَيْلَ بَيْنَهَا
وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُصْنِ النَّسْرِ إِذْ بَرَزَتْ،
يَفُودُهَا الْبَلَجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَةً
لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ،

- عمل الشعر

قال الرُّنْدِي^(١): يَبْنِي لَمَنْ يَوْمُ عَمَلِ الشَّعْرِ أَنْ يَتَحَرَّى أَوْقَاتَ الْفَرَاغِ وَأَمَكْنَةَ

- (١) البِيضَاءُ رَأَيْتُهُ (كناية عن المجد والقوة والظفر).
(٢) الفرس العتيق: الأصيل. الصامر (الحيل المصمر) ويكون عادة سريعاً. العقاب (بضم العين): طير من النكواسر (كالسر) تشبه به الخيل لقوة بدنه وسرعة انقضاضه.
(٣) مرهف: رقيق الحد. النقع: غبار الحرب. - تلمع سيوفهم لشدّة جلالها وصفائها.
(٤) رتبع: عاش في الحصب والسم كما يشاء. وراء البحر (في الفارّة الإفريقية). الدعاة: السمة في العيش مع الاطمئنان.
(٥) الطلج: الكافر من غير العرب. المكروه: (الفعل القبيح).
(٦) من «تاريخ القديس الأدي في الأندلس لمحمد رضوان الداهية» (ص ٤٤٠-٤٤١).

الخلوة و(ألا) يعمل شيئاً من الشعر حتى يشتهي. فإن الشهوة نعم المعين. وإذا سئم فليرخ نفسه ولا يُكره طبعه. و(يجس أن) يُطالع من أشعار الناس ما يستجيده في المعنى الذي يُريده، فإن من أمثاله: الكلام من الكلام وينبغي ألا يقبل كل ما يتعنه هاجسه وتفتت به وسأوسه^(١). بل ينقح ويختار ولا يذهب إلى الاستكثار. وإذا قرع من شعره تبتت في أمره فتأمله مرتين ورجع البصر فيه كرتين. فكثيراً ما سودت وجوه الميضات (٢) بالتغيير، وأدى العجل إلى الندم والتحير. و(كذلك) ينبغي أن يعرض كلامه على من يثق بمفرته ونصيحته، فإن الإنسان لا يرى عيب نفسه، والمرء - كما قيل - يفتن^(٣) بأبنة وشعره. وقد يفرض الشاعر أن يرتج عليه فيكهم حده ويصلد زنده^(٤) ولا يستطيع أن ينظم شيئاً. وقد يتأتى له (من) حُسن البديهة وجودة الفريجة ما يُعجب منه.

٤ - ** الذيل والتكملة ٤: ١٣٦ - ١٣٩ (رقم ٢٦٣): نفع الضب ٣: ٣٤٧ - ٤: ٤٧، ٤٨٦ - ٤٩٠، أزهار الرياض ١: ٤٧ - ٤٩: بروكلمس، الملحق ١: ٨٦٠ - ٢: ٩٢٥: نيكل ٣٣٧ - ٣٣٩: مختارات نيكل ٢٠٠ - ٢٠٢: الأعلام للزركلي (٣: ١٩٨): تاريخ النقد الأدبي لمحمد رضوان الداية ٤٣٢ - ٤٤٠: تاريخ النقد العباسي لإحسان عباس ٥٣٨ - ٥٣٩: مجلة العربي (الكويت) ٧/ ١٩٧٣. ص ١١٠٢/٤: ١٩٧٤ (لأكرم زعتر) ص ٧.

حازم القرطاجني

١ - هو أبو الحسن حازم بن محمد (سرقنطة ٥٥٤ - قرطاجنة ٦٣٢ هـ) بن حسن بن

- (١) الهاجس: الحاطر (ما يبدو في فكره من غير أن يقصده). نعت: نوح. الواسس: ما يحدث الإنسان به نفسه في أوقات فراغه (تأ لا فائدة منه أو تأ ما فيه خوف). والمقصود هنا حديث النفس عامة.
- (٢) يفتن (في الأصل بشدة على النون): أي يفتن أو يكثر من العيون (ولا معنى له هنا). والمقصود يفتن (بالساء للمجهول): أي يدخل عليه شيء من الرهو أو مجاسة الحق. وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾ (سورة التغابن). ٦٤: ١٥.
- (٣) أرتج (بالسواء للمجهول) على الشاعر: استغلق (العضى) عليه الكلام. كهم السف بهمكهم (بفتح الهاء فيها): كل. ضعف (لم يفتح). صلد يصلد (بضم اللام فيها): صلب (بضم اللام). الرند: حديدية تفتح بها البار من المحارة.

محمد بن خلف بن حازم الأوسى الأنصاري القرطاجي، نسبة إلى قرطاجنة التي بشرقي الأندلس، وفيها وُلِدَ سَنَةَ ٦٠٨ (١٢١١-١٢١٢ م).

بدأ حازم القرطاجي تلقي العلم في بلده على والده ثم لقي نقرأ من شيوخ عصره. وتقل في طلب العلم بين مرسية وإشبيلية وغرناطة، ولقي في إشبيلية أبا علي الشلوبين فنصح له أبو علي بدرس الفلسفة القديمة (اليونانية)، فاطلع على أشياء منها.

ولما بدأ الإسبان بالاستيلاء على شرقي الأندلس - على بياسة (٦٣٢ هـ) وبلنسية (٦٣٦ هـ) وشاطبة ودانية (٦٣٨ هـ) - أثر حازم أن يرحل، فانتقل إلى المغرب وقضى في مراكش العاصمة حيناً من الزمن مدح في أشائه السلطان الموحد أبي محمد عبد الواحد الرشيد (٦٣٠ - ٦٤٠ هـ). ثم إنه انتقل إلى تونس الحاضرة وأخذها دار إقامة ومدح ملوكها المحضين: أبا زكريا الأول (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) والمستنصر (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) والواثق (٦٧٥ - ٦٧٨ هـ).

وكانت وفاة حازم القرطاجي في تونس في ٢٤ رَمَضَانَ من سَنَةِ ٦٨٤ (١٢٨٥/١١/٢٤ م).

٢- كان حازم القرطاجي رجلاً واسع الدراية بأوجه كثيرة من فنون المعرفة النظرية: في اللغة والنحو والبلاغة والشعر والفلسفة، ولكنه لم يتعرض لإفادة الناس بما كان يعلم. وكان أديباً ناثراً قديراً وشاعراً مجيداً طويل النفس ينطوي شعره على أغراض كثيرة. ويغلب على شعره استجماع المعاني والتأنيق البلاغي أيضاً. وكان ناقداً بارعاً. ثم هو مُصَنِّفٌ له: سراجُ البلغاء أو منهاج البلغاء وسراج الأدباء (في البلاغة وفي المناهج الأدبية في النقد ونظم الشعر). ويبدو أنه قد تأثر - في جانب من هذا الكتاب - بالأراء اليونانية كما عرّضها أرسطو (ت ٣٢٢ ق. م.) وما عرّفه من كتاب الشفاء لابن سينا (ت ٤٢٨ هـ) من الجملة الأولى^(١): الفن الثامن (الخطابة) والفن التاسع (الشعر). ولحازم القرطاجي ديوان شعر - المقصورة (عارض فيها ابن

(١) الجملة الأولى (المجموعة الأولى: المجلد الأول).

دريد) - العروض - القوافي - التجنيس - شدّ الزبار على جفلة الحمار^(١).

٣- مختارات من آثاره

- قال حازم القرطاجني يمدح المستنصر الحفصي^(٢)

أُحْبِبْتَ وَحَدَكِ بِالْجَمَالِ الْمَطْلُوقِ؟ أَمْ قِيلَ إِذْ قِيمَ الْجَمَالُ - لَكَ: اتَّقِ^(٣)!
فَلَقَدْ جَرَيْتَ مِنَ الْجَمَالِ لِفَايَةِ أَصْبَحْتَ فِيهَا سَابِقاً لَمْ تُلْحَقِ.
مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَلُ مَا قَدْ جَنَّتْ عَيْنَاكَ؟ بَلْ مَا عُدُّرُ مَنْ لَمْ يَسْتَقِ؟^(٤)
أَخَذَ الْهَوَى عَهْداً عَلِيٌّ، فَلَمْ أُطِيقْ تَقْضَا لَهَا أَخَذَ الْهَوَى مِنْ مَوْثِقِ.
وَبِمُهْجَتِي مِنْهَا الَّتِي - مِذْ مُلَكَّتْ رِقُّ الْقُلُوبِ لِحَاظُهَا - لَمْ تُعْتِقِ.
عَقَدَ الْجَمَالَ وَشَاخَهُ مِنْهَا عَلَى خَصِرِ بِالْحَاظِ الْعَيُونَ مُنْطَقِ^(٥).
وَأَجَلَّتْ فِي إِثْرِ الشَّبَابِ وَإِثْرَهَا - لَمَّا نَأَتْ وَنَأَى - لَوَاحِظٌ مُشْفِقِ^(٦).
وَبِكَيْتُ أَيَّامَ الشَّبَابِ كَمَا بَكَى حَسَانَ أَيَّاماً حَسَنًا مَجْلُوقِ^(٧).
وَرَأَيْتُ أَيَّامَ النِّعَمِ قَدْ انْقَضَتْ لَمَّا انْقَضَى شَرْحُ الشَّبَابِ الْمَوْثِقِ^(٨).

(١) الزبار: شاق (بالكسر: حبل أو سير من جلد) شدّه به البيطار جفلة (شعة) الدائمة لتقاده به وتدنّ إذا

استمعت على رাকها أو قائدها (راجع تاج العروس - الكويت ١١: ٤٨٣ ثم راجع ٤٦٤)

(٢) هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن يحيى الحفصي سلطان تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ) كان عمرانياً مشهوراً أرسل إليه أهل الحجاز يبعثهم بالخلافة فسّر بذلك وتلقّب «أمير المؤمنين». وفي أيامه غزا

لويس التاسع ملك فرنسا (القدسي لويس) تونس. ولكنه هزم وقتل (٦٦٩ هـ ١٢٧٠ م).

(٣) حبا: أعطى. اتقى (من الانتقاء): فعل أمر (اختر، تحبّر).

(٤) سلا بولو: نسي، نسى (عن مصيبة أو أذى سابق): جنى: أحرّم. أذنب.

(٥) بالمحافظ العيون منطوق (عليه نطق: زتار): الشاق ينطرون إليه بكثرة حتى كأن عيونهم قد أصبحت كالزئار حول خصمه.

(٦) نظرت إلى شبابي الماضي وجمالها الحاضر لَمَّا نَأَتْ (ابتعدت هي عني) ونأى (شبابي: مضت أيام شبابي).
لواحظ مشفق (نظرات رجل حزين).

(٧) حسان بن ثابت الأصباري (ت ٥٤ هـ). حَسَنٌ (كَنَ حَانًا). حَلَّقَ (عاصمة العاسنة في حوران). ولعل للإشارة هنا إلى قول حسان:

لله دَرٌ عِصَابٌ - نَادِمَتُهُمْ يَوْمَ عَلَّقَ فِي الرِّمَاسِ الْأَوَّلِ!

(٨) شرح الساب: عموامه وقوته وهورته. الموثق: الذي يحس مرآة في العين.

ثم ينتقل الشاعر إلى المديح:

بِنْدَى أُمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تَبَجَّسَتْ
كَمْ فَرَّقَتْ مِنْ شَمْلِ مَالٍ فِي النَّدَى
وَلَكَّمْ أَثَارَتْ خَيْلُهُ مِنْ عَارِضٍ
سَبَّتِ الْعِيدَا حَتَّى غَدَّوْا أَيْدِي سَبَا،
قَادَ الْكَيْمَاءَ إِلَى الْعُدَاةِ، لُبُوسُهُمْ
أَخْلِيفَةَ اللَّهِ الَّذِي مَذَّ حَقَّقَتْ
جَلَيْتَ عَنَّا لَيْلَ كُلِّ ضَلَالَةٍ
أَجْرَى أُمُورَ الْخَلْقِ عَدْلُكُمْ عَلَى
أَذْكَيْتَ مِنْ طَرْفِ السَّانِ لِرَعِيهِمْ
مَا زَالَ فِي حِفْظِ الرَّعِيَّةِ سَاهراً

سُحْبُ الْمَكَارِمِ وَالسَّاحِ الْمَغْدِقُ (١)
مِنْهُ مَكَارِمٌ كَالسَّحَابِ الْمَغْدِقِ (٢)
صَحْبِ الرُّوَاعِدِ لِلْأَعَادِي مُصْعِقِ (٣)
وَتَمَزَّقُوا فِي الْأَرْضِ كُلَّ مُمَزَّقِ (٤)
يَبِيضُ تَرَجْرَجُ فَوْقَهُمُ الْكَرْبِيُّ (٥)
أَمْوَالُهُ آمَالُنَا لَمْ تُحْفِقِ (٦)
بِهَدَايَةِ مِثْلِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ (٧)
شَرَعَ الصَّلَاحِ الشَّامِلِ الْمُسْتَوْسِقِ (٨)
طَرْفًا بِهِ سِنَّةُ الْكِرَى لَمْ تَعْلَقِ (٩)
وَمُورَقًا لِيُنِيمَ كُلَّ مُورَقِ (١٠)

- ومن غزلة في مطلع قصيدة في المديح:

- (١) الندى: الكرم. تبجس: تمجّر (جرى بكثرة). المغدق: الكثير (السحاب المغدق: ذو الماء الكثير).
- (٢) الثغدق: الواسع من العيش (المفروض أن يقول في هذا البيت: كالسحاب المغدق، وأن يقول في البيت الذي سبق: والسحاب العيدق!).
- (٣) العارض: الغيم الكثير الذي يمرض (يسدّ) الأفق. صحب: شديد الصوت. مصعق: قاتل.
- (٤) سبي: أسر. أيدي سبا: متفرقين متباعدين في الأرض.
- (٥) الكمي: الشجاع، البطل. لبوسهم (لباسهم، على أبدانهم) بيض (دروع من حديد. بيض: جديدة) ترجرج (ترجرج، تتحرك أجزاؤها بسهولة للينها، دلالة على جودتها).
- (٦) حققت أمواله آمالنا (كانت عطايها لنا كثيرة كثرة بلغتنا بها كل ما نريد). أخفق: خاب.
- (٧) جليت عنا: كشفت عنا.
- (٨) المستوسق: المجمع والمنظم.
- (٩) أذكى: أوقد. السان: حديدة في رأس الرمح. السنة (بكسر السين): النعاس، النوم. الطرف: العين. الكرى: النوم. - أنت ترعاهم بطرف (بسكون الراء: عين) شديدة اليقظة (بفتح الفاء) مثل طرف (بفتح الراء) السان. به سنة الكرى لم تعلق لم ينم.
- (١٠) المؤرق (الذي هرب النوم عنه) - مؤرقاً (بإرادته) ليجعل المؤرق بمحوادث الدهر) بهام (يزيل أسباب أرقه: يسدّ له حاجاته).

با ظِيَّةَ القَمَرِ الحَالِي مُوَالِفَةً،
 وبِأَشِقَّةَ بَدْرِ التَّمِّ، لو أَمِنتُ
 حَاشَا لِلحَظِّكَ أن يُعْزِي إلى رَشَا
 ولِإِتِسَامِكَ أن يُعْزِي إلى زَهْرٍ
 مَا خَلَّتْ قَبْلَكَ أن أَرُونو إلى قَمَرٍ
 سُلْطَانُ حُسْنِكَ مَذ دَانَتْ بِطَاعَتِهِ
 يَا عَادِلِي فِي الهَوَى، أَقْصِرْ فَلَسْتُ أَرَى
 إِنَا، بِنِي الحُبِّ، لَا نُضْعِي إلى عَدَلٍ
 وَأَعْلَمْتَنِي بِأَن اللّيلَ مَوْعِدُنَا،
 حَتَّى إِذَا اللّيلُ أَخْفَى الشَّخْصَ عَنِّيهِ
 وَافِئْتُ مَنزِلَهَا والنَّجْمُ يَرْمُقُنِي
 فَبَسْتُ مُجْتَلِيَاً لِلبَدْرِ مُجْتَبِيَاً
 حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ أَنبَانَا بِطَلْعَتِهِ
 من قَلَدَ الحَلْيَ آرَاماً وَغَيَّرَانَا (١)
 - كَمَا أَمِنتِ - بِدَوْرِ التَّمِّ تَقْصَانَا (٢)
 إِذَا تَلَقَّتْ نَحْوَ السَّرْبِ وَسَانَا (٣)،
 إِذَا غَدَا بِسَقِيطِ الطَّلِّ رَيَانَا (٤).
 مُقَلِّدَاً أَنجَبَاً زَهْرَاً وَشُهْبَانَا (٥)
 قَلُوبُ أَهْلِ الهَوَى لَمْ تَنو عِصِيَانَا!
 مُقْصِرَاً فِي الهَوَى عَن شَاوِ غَيِّلَانَا (٦).
 وَلَا نُمِيلُ إلى العَدَالِ آذَانَا (٧).
 فَظَلَمْتُ مُرْتَبِيَاً مِيقَاتِ لُقِيَانَا،
 فَلَمْ يَكُنْ يُبْصِرُ الإِنْسَانَ إِنْسَانَا (٨).
 حَتَّى لَكِدْتُ أَظُنُّ النَّجْمَ غَيْرَانَا (٩).
 مِن رَوْضَةِ الحُسْنِ تَفَاحَاً وَرُمَانَا (١٠).
 بَرْدُ السَّوَارِ فَأَذْكِي القَلْبَ نِيرَانَا (١١).

- (١) القمر: وجه الأرض، التراب. الحالي: المرئي بالخطى (الجمال الطبيعي). الرمز: الغزال الأبيض.
- (٢) بدر التَّم: القمر ليلة أربع عشرة. هو ينقص بعد تمامه، وأنت أمتت القمصان (تظلين جبلة كما أنت الآن).
- (٣) يعزى: ينسب. رشاً: غزال صغير. السرب: قطع الغزلان. أنت أجل من جمع الغزلان.
- (٤) الطل الندى: سقيط الطل (الندى الذي يسقط في الليل). ريان: ندى. طري.
- (٥) أرنو (أنظر) إلى قمر (قناة جبلة). الزهر: اللامعات. التهان جمع شهاب: حجر يخرج من مداره حول القمر، فإذا مر في جو الأرض اشتعل وأضاء....
- (٦) العادل: اللاتم. أقصر: انته، توقف. متأخر: شأو: التوط، الغاية. غيلان مئة ذو الرمة (ت ١١٧ هـ) شاعر أموي محب، قيل إنه طاف بالمكان الذي تسكن فيه حبسته مئة عاماً كاملاً ثم رأى حاربتها فعاد مسروراً لأنه رأى من رآها!
- (٧) العدل: اللوم.
- (٨) المهيب: الظلمة.
- (٩) وافى: جاء، وصل. رمق: نظر إلى.
- (١٠) محتلاً: ناظراً. مجتنباً = جانباً، قاطعاً. التفاح كتابة عن الحدود. الرمان كناية عن الثديين.
- (١١) - شرب بأن الصبح طلع من شعورنا يبرد أجسامنا! أذكي: أشعل.

مالت تُودَعُنِي والدمعُ يَغْلِيها على الكلامِ فلا تَسْطِيعُ بَيِّباناً .
أدنى التعانقِ شَخْصِينا وَضَمَّها لَفَّ النواعمِ بالأغصانِ أغصاناً^(١) .
فيا لها ليلةٌ ما كان أقصرها وقتاً، وأفسحها في الحُسْنِ مَيِّداناً .

- وقال حازم القرطبيُّ يرُدُّ على أرسطو^(٢) في زَعْمِهِ أَنَّ الْأَقاويلَ الشِّعريةَ لا تكونُ إِلَّا كاذبةً:

وإِنَّا غَلَطَ في هذا- فَظَنَّ أَنَّ الْأَقاويلَ الشِّعريةَ لا تكونُ إِلَّا كاذبةً- قومٌ من المُتَكَلِّمينِ^(٣) لم يكنْ لهم عِلْمٌ بالشِّعرِ، لا من جهةِ مزاويلِهِ ولا من جهةِ الطَّرِيقِ المُوصلةِ إلى معرفته .

ولا مُرَجَّحٌ على ما يَقولُهُ في الشيءِ من لا يَعْرِفُهُ ولا التَّفاتُّ إلى رأيِهِ فيه فَإِنَّمَا يُطَلَّبُ الشيءُ من أهله، وإِنَّا يُقْبَلُ رأيُ المرءِ في ما يَعْرِفُهُ. وليس هذا جُرْحَةً لِلْمُتَكَلِّمينِ ولا قَدْحاً في صِناعتِهِم، فَإِنَّ تَكَلُّفَهُمْ أَنْ يَعْلَمُوا في طرِيقَتِهِم ما ليسَ منها شَطَطٌ. والذي يُورِّطُهُم^(٤) في هذا أَنَّهُم يَحْتَاجونَ إلى الكلامِ في إعجازِ القرآنِ^(٥) فيحتاجونَ إلى ماهيةِ الفِصاحةِ والبِلاغةِ من غيرِ أنْ يَتَقَدَّمَ لهم عِلْمٌ بذلك، فيَمْرَعونَ^(٦) إلى مُطالعةِ ما تيسَّرَ لهم من كُتُبِ هذه الصِّناعةِ. فإذا فَرَّقَ أحدهمَ بينَ التَّجَنُّيسِ والترديدِ، ومازَ الاستعارةَ من الأوصافِ^(٧)، ظَنَّ أَنَّهُ قد حَصَلَ على شيءٍ من هذا العلمِ فأخذَ يَتَكَلَّمُ في الفِصاحةِ بما هو مَحْضُ الجَهْلِ.....

(١) لَفَّ النواعمِ..... كما يُلَمَعُ بعضُ الأغصانِ الناعمةِ بعضها الآخرَ (سهولةً وإطلاقاً تاماً).

(٢) أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م.) فيلسوف اليونان عبر مزارع وأكبر فلاسفة العالم بإطلاق، كان مثل أساذه

أفلاطون (٤٢٨-٣٤٧ ق.م.) يرى أَنَّ الشعرَ من حَيِّزِ الخيالِ والتقليدِ بعيداً عن الواقعِ.

(٣) المُتَكَلِّمون: الذين يبدأون عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية (باستخدام الفلسفة).

(٤) التورط: الجور (الظلم) في الحكم. يورطهم: يحلهم على الدخول فيها لا يريدونه.

(٥) إعجاز القرآن: بحمى المادة في القرآن الكريم والتعريف عنها بما يحجز البشر عن الإنان مثله.

(٦) فرع إلى: لحاً.

(٧) التجنيس: الإتيان بكلمتين متعنتين (أو متقاربتين) في اللفظ مختلفتين في المعنى، كقول أبي تمام: بيض

الصفائح (السوف) لا سود الصفائح (الصفائح المكتوبة).... أما التردد فهو الهمي بكلمة واحدة

سنعطة في الحملة مرتين في علاقيتين مختلفتين، كقول زهير بن أبي سلمى:

ومن هباب أسباب المابيا يلبسه، وإن يرق أسباب السماء سلم. =

- المناسبة بين فنون الشعر وأوزان الشعر (من منهاج البلغاء، ص ٢٦٦):

..... ولما كانت أغراضُ الشعر شتى، وكان منها ما يُقصدُ به الجِدُّ والرِصانة وما يُقصدُ به المَزَلُّ والرِشاقة^(١)، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصَّغار والتحقير، وجب أن تُحاكى تلك المقاصد بما يُناسِبها من الأوزان ويُخَيِّلها للنفوس. فإذا قصدَ الشاعرُ الفخرَ حاكى غرضه بالأوزان الفخمة الباهية الرصينة، وإذا قصد في موضعٍ قصداً هزلياً أو استخفافياً وقصدَ تحقيراً شيئاً أو العَبَثَ^(٢) به حاكى ذلك بما يُناسِبُه من الأوزان الطائشة القليلة البهاء، وكذلك في كلِّ مقصِدٍ. وكانت شعراء اليونانيين تلتزم لكلِّ غرضٍ وزناً يليقُ به ولا تتعداهُ فيه إلى غيره^(٣).

وهذا الذي ذكَّرْتُهُ في تحييل الأغراض بالأوزان قد نبه عليه ابنُ سينا في غير موضعٍ من كُتبه، ومن ذلك قوله في الشفاء^(٤) في تمديد الأمور التي تجعل القول مُخيِّلاً: منها أمورٌ تتعلَّقُ بزمان القولِ وعدَدِ زمانه - وهو الوزُنْ - ومنها أمورٌ تتعلَّقُ بالمسموع من القول، ومنها أمورٌ تتعلَّقُ بالمفهوم من القول، ومنها أمورٌ تتردَّد بين المسموع والمفهوم.

- مكانة الفكر في الشعر (منهاج البلغاء، ص ٣٤١، ٣٤٢):

اعلم أنَّ خيرَ الشعر ما صدرَ عن فِكرٍ ولَعِبَ بالفنِّ والفرصِ الذي القولُ فيه مرتاحٌ

= الأسباب الأولى مطفئة بالمايا ومعناها (علل)، والأسباب الثانية منطفئة بالسماه ومعناها (الجمال، السلام). والفرق هنا بين الجناس والترديد أن الشاعر هو الذي أتى بالكلمة ثم استخدمها في وجهين (مع العلم بأن استعمال السب في علاقته بالسماه قد جاء في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فليمدد سبب إلى السماء ثم لقطع فليسطر﴾ (الحج، ١٥: ٢٢). والاستعارة نسبة الفعل إلى غير صاحبه، نحو: وليل كموج البحر أرحى سدوله عليّ. فإن أمراً القبس استعار لليل سدولاً وجعل له أيدياً يرخي بها السدول ويرفعها كما يفعل النسر) والوصف (هنا) ما كان قريباً من التشبيه (لأن الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه) كتول ابن الرومي مثلاً «ورازقتي مخطف (بضم فسكون فتفتح) المحصور»، فهو يصف نوعاً من السب محصوراً من أوسطه. هذا الوصف قريب من التشبيه ومن الاستعارة ولكن أركان التشبيه والاستعارة فيه غير واضحة.

(١) يفصد بالرشاقة: النظرف والتملح (ذكر أشياء نسر النص ولكن لا جدَّ فيها).

(٢) الصت: التلهي واللعب.

(٣) كان الشعراء اليونانيون (أو شعراء اليونانيين) يناسون بين الغرض الذي يعالجونه والحر الذي ينظون آيات ذلك الغرض عليه. وكذلك كان العرب أيضاً يعطون.

(٤) الشفاء كتاب جامع لطفة ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ = ١٠٣٧ م).

للجهة والمنحى الذي وَجَّهَ إليه كلامه لإقباله بكلِّيته على ما يقوله وتوفير نشاطِ الخاطر وحديثه بالانصباب معه حيثُ مالَ به هواه^(١). ولهذا كان أفضلَ النَّسَبِ ما صدرَ عن نفسٍ شجيَّةٍ وقرِيحةٍ قرِيحةٍ^(٢). وكذلك الإخوانيات^(٣) والمراثي وما جرى هذا المجرى.

.... واعلم أنَّ المنحى الشعريَّ، نسيباً كان أو مدحاً أو غير ذلك، فإنَّ نسبة الكلام المقول فيه إليه نسبةُ الفلادةِ إلى الجيد^(٤). (ذلك) لأنَّ الألفاظَ والمعاني كالآلي، والوزن كالسبك، والمنحى الذي هو مناطُ الكلام وبه اعتلاقُه كالجيد له. فكما أنَّ الحليَّ^(٥) يزدادُ حُسْنُهُ في الجيدِ الحَسَنِ، فكذلك النظمُ إنَّما يظهرُ حُسْنُهُ في المنحى الحَسَنِ. فلذلك وَجِبَ أن يكونَ مَنْ له قُوَّةُ التَّشْبِهِ^(٦) المذكورةُ أكملَ في هذه الصَّنَاعَةِ مِن لَيْسَ له تلك القُوَّة.

- من مقصورة حازم القرطاجني^(٧)

هذه المقصورة ألف وستة أبيات، أوردُ منها، بعد قليل، مائة وخمسة وثلاثين بيتاً. والأصلُ في المقصورة أن تكون قوافيها صِيناً مُشْتَقَّةً من أفعال ناقصة (مُعْتَلَّةِ الآخر بالواو أو بالياء). وكان ابنُ دريدٍ (ت ٣٢١ هـ) - صاحب المقصورة التي عارضها حازمُ القرطاجني - قد لَزِمَ هذه القاعدة. وإذا كان ابنُ دريدٍ قد جاء^(٨) في مقصورته بكلمة

(١) إلى حيث تميل به عاطفته.

(٢) ... ما صدر (خرج) عن نفس شجيَّة (حزينة) وقرِيحة (فكر) قرِيحة (مقروحة، مجروحة، معدبة).

(٣) الإخوانيات: رسائل يبادلها الأصدقاء خاصة (تثراً أو شراً).

(٤) الفلادة: العقد. الجيد: العنق.

(٥) كذا منقوطة ومشكولة في الأصل. والمقصود الحلي (يفتح الحاء وسكون اللام وبالياء، المنقوطة بنقطتين من تحتها): ما يزين به من مصوغات المدنآت والحجارة (القاموس ٤: ٣١٩) وهي مفردة تاسب الضائر المذكورة في النص. أمَّا الحلي (بضم فكسر فتشديد، كما في الأصل) فهي جمع وتمتضي أن تكون الضائر بعدها مؤنثة.

(٦) التشبه (كما في الأصل). المقصود النخل أو التشبيه.

(٧) حوليات كلية الآداب - جامعة ابراهم (عين شمس) المجلد الثاني (١٩٥٣ م): مقصورة أبي الحسن حازم القرطاجني - تحقيق النصِّ للدكتور مهدي علام، ص ١ - ١١٠.

(٨) شرح مقصورة ابن دريد، مصر (محمد علي صبيح) بلا تاريخ (راجع ص ١٠).

«سوى» (مكان «سواء»)، فإن له عذراً من جواز ذلك في اللغة (راجع القاموس ٤: ٣٤٥، السطر ١١)، وإن كانت كلمة «سواء» أفصح وأشهر. أما حازم القرطاجني فقد تاهل أحياناً فأهمل الهمزة في عددٍ من الألفاظ فقال، مثلاً، الظلم؛ يُبتدأ، السماء، الدواء، ابن ذكاء، طيبُ النسا، منشور اللوا، رقا (ص ٢٣، ٢٦، ٥٩، ٧٣، ٨٢، ١٠٤)، مكان الظلم، يُبتدأ؛ السماء، الدواء، ابن ذكاء، طيب النسا، منشور اللواء. رقا. وأبعد من ذلك كله في القافية المنصورة قوله «الهناء» (ص ٤٦) مكان «الهناء» - وليست هذه الألفاظ التي تُشير إليها هنا من باب القوافي المنصورة.

نظم حازمُ القرطاجني هذه المقصورة في مديح المستنصر بالله (أبي عبد الله محمد بن أبي زكريا يحيى) خامس سلاطين الحفصيين في تونس (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). وذكر حازمُ نفسه أنه طوى مقصورته هذه على عددٍ من الفنون والأغراض (ص ١٦) من مدح وغزل وحكمة ومثلٍ ومن وصف البلدان والرياض والأزهار والأزمان والبحار والصيد والنص والوعظ والقصاص. ثم قال إنها قصيدةٌ من الرجز غير مشطورة (أي تفاعيلها تامة: مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، عارضتُ بها قصيدةَ أبي بكر بن دريد المقصورة.

ومدح حازمُ القرطاجني بمقصورته هذه المستنصر بالله الحفصي مدحاً كثيراً (ص ١٥ - ١٧، الخ). ولكن هذه المقصورة متفاوتة في الجودة: فيها أبياتٌ سائرة وأبياتٌ كثيرةٌ الغريب كثيرةٌ التكلف. ثم إن فنونها الكثيرة (مدحاً وغزلاً وخرأً ومجوناً وحكمةً وحرأً وشكوىً وتاريخاً ووصفاً) جعلت تنظيمها مضطرباً، فهو في كثيرٍ من الأحيان يأتي إلى التاريخ ثم يغيره إلى فنٍ آخر ثم يعود إلى التاريخ. ومثل ذلك (في الفنون الأخرى) كثيرٌ أيضاً.

ولا شك في أن لحازم معرفةً بالغريب (الألفاظ القليلة الدوران على الألسنة) ومعرفةً باستعمالها. ثم إن إشارته إلى الأحداث التاريخية كثيرةٌ. أما أبياته في الوصف والغزل والحكمة ففيها سلاسةٌ وطلاوةٌ.

وفيا يلي نُحبةً من هذه المقصورة:

لله ما قد هجنت، يا يومَ النَّوى،
 لقد جمعتَ الظُّلمَ والإِظلامَ، إذْ
 فإنَّ يطلُّ ليلى، فكم قصَّرتُه
 وكم تَعَمَّتْ بوصولِ ناعمٍ
 شفى فُوادي رشفهُ، من بعدِ ما
 وعزِّي وجسدي بخودِ غرِّي
 فلو تجودَ قَدَّرَ ما ضنَّتْ حَكَّتْ
 خليفةَ اللهِ المُسمَى المُكْتَنَى
 المُرتقى من نِسْبَةِ المجدِ التي
 من نِبعَةِ أصولِها ثابتَةٌ
 ذاك أبو حفصِ الذي إلى علا

- (١) النوى: البعد، العاد. يوم النوى: يوم الفراق. التباريح: التدايد، المصائب. الجوى: ألم الحب.
- (٢) وارتبت: أخيت. - لعل في النظر الثاني إشارة إلى أن محبوبه للشاعر أو قريبة له ماتت وهي في أول شبائها (٣).
- (٣) قاصرات الطرف (البصر) عين (جمع عيناء - بالفتح - الواسعة العينين): النساء المغيبات اللواتي يقصرن (يجسرن) أبصارهن على أزواجهن ولا يمددن بصرهن إلى رجال آخرين. راجع القرآن الكريم (٣٧: ٤٨، الصافات): ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾. الدمية: التمثال الصغير (المرأة الجميلة).
- (٤) ناعم (قناه ناعمة: فتية، صغيرة السن) الباعم: ذو الصوت الجميل (مثل صوت الغزال). الطلى (بالفتح والألف المقصورة): ولد الطسة.
- (٥) رشفه (شرب الرين من فمه). أشفى بقلبي طرفه (نظره، عنقه) على شفا: (كاد لحظه أن يلف قلبي، أن يفتلني).
- (٦) عزبي (علبي) وجدي (شدة حبي، ألم الحب) بخود (امرأة جميلة) غرني (حدعني). العطف: الجانب الأعلى من الجسم. - يتأيل عطفها لئنه (قناها، جمالها).
- (٧) صن: بخل. أمير المؤمنين (المنصور الحفصي المدوح بهذه المقصورة).
- (٨) خير الأسماء = محمد. خير الكنى = أبو القاسم (كعبة الرسول).
- (٩) يصل نسبه إلى الفاروق أبي حفص عمر بن الخطاب.
- (١٠) راجع القرآن الكريم (١٤: ٢٤، إبراهيم): ﴿كشجرة أصلها ثايت ومرعها في السلاء﴾. النبعة: مجتمع جدور النبات (سلة القمح تكون واحدة من مجموع كبير مجتمع).
- (١١) أبو حفص (الأولى): الحد الأعلى للأسرة الحفصية الحاكمة في تونس. أبو حفص (الثانية): عمر بن الخطاب. غا: ارتفع، انتسب.

وزادَ عبدُ الواحدِ الهادي ابنُه
 ثم أمَّ اللهُ نورَ هَدْيِهِ
 ثم تجلَّتْ آيَةُ اللهِ التي
 بنحلهم، بل نحلهم، بل بذرهم،
 محمَّدٌ ليلٌ يحيى بن أبي
 مُستنصرٍ بالله منصورٍ به،
 فرعٌ كريمٌ من أصولٍ كَرُمَتْ
 إن أمرَ الدهرَ بنفعٍ يأتمر.
 حَضْرَتُهُ أُمُّ الْبِلَادِ كُلِّهَا
 كَجَسَدِ الْخَلْدِ تَرَى مَنْ رَأَى
 حُسْنَ الْبِلَادِ كُلِّهَا مُجْتَمِعٌ
 أَرْوَتْ، أميرَ المؤمنين، سَحْبًا
 طابَتْ به الأيامُ لي حتى لقد
 فيا حليلى، أنصيفي أكوأ
 بلغت آرابَ النسي في دولة
 في بُعْثَةِ كَجَسَدِ الْخَلْدِ التي
 أقَمَّ الأيامُ بين منظر

- (١) زاد (عبد الواحد) هذه المعالم علا (ارتفاعاً) فوق علاها.
- (٢) البناء: الرضة والمكأة العالية. الساء: الصوء. النور: الليمان.
- (٣) الحضرة: العاصمة. أم البلاد (أصل كل البلاد. أكرها). قضا: ابعد.
- (٤) يزدرى: يخمر. الخلد: قصر الخلد في بغداد منذ أيام أبي جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين ثم من رأى: مدينة عنى أربعين كيلومتراً شمال بغداد كانت عاصمة للخليفة المعتصم تاس الخلفاء العباسيين.
- (٥) المرا: حمار الوحش. «كل الصيد في خوف المرا» مثل معناه أن صد المرا أفضل من جمع أنواع الصيد.
- (٦) الأرب: الحاجة. العاية: أسى: أعنى. أنى: الند (وجمها أيدي): العصور المعروفة الند وجمها أيادي): العمة: العظمة: اللهاج جمع هوة (بالضم معها): العظمة

وَمَنْعَمٍ بِمَطْعَمٍ وَمَشْرِبٍ
 وَمَرْكَبٍ لِلْأَنْسِ وَمَجْلِسٍ
 وَمَلْتَمٍ لِمَرْشَفٍ وَمَهْضَرٍ
 فَالدهرُ عَيْدٌ وَالليالي عُرْسٌ،
 مَنَازِلٌ لِلْحُسْنِ تُسَمَّى جِلْفًا،
 ثُمَّ تَنَادَيْنَا بِقَصْدِ مَنَزَلٍ
 وَأَتْرَعْتَ لِلشَّارِبِينَ أَكُوْسٌ
 فَاجْتَمَعَ الْأَنْسُ بِمَجْمَعِ قَيْسِيَّةٍ
 حَارِبَتِ الْأَشْجَانَ عَنْهُمْ وَعَتَّتْ
 فَلَمْ تَدَعْ هَمًّا عَنَّا، حَتَّى لَقَدْ
 غَنَيْتُ عَنْهَا بِكُوْسِ أَدَبٍ
 وَأَثَرَتْ نَفْسِي عَلَيْهَا شَرْبَةً
 يُرْضِي الْعُيُونَ وَالْأَنْوَفَ وَاللَّهْمَا (١)،
 فِي مَدْرَسٍ وَمَحْضَرٍ فِي مُنْتَدَى،
 لِيَمْطَطِبَ مِنْ أَهْيَبِ طَاوِي الْحَمَا (٢)،
 وَالدهرُ أَحْلَامٌ كَأَحْلَامِ الْكَرَى (٣)،
 وَنَهْرُهَا السَّلَالُ يُنْسِي بَرْدِي (٤)،
 جَعْنَا فِيهِ السَّرُورَ وَتَدَى (٥)،
 مِمَّا حَلَا مَطْمَعُهُ وَمَا حَذَى (٦)،
 عَلَى عَجُوزٍ وَسَمَّهَا وَسَمَّ الْفَقَى (٧)،
 - مِنْ طَارِقِ الْهَمِّ - عَلَى مَنْ قَدَعْنَا (٨)،
 كَادَتْ تُشِبُّ كُلَّ هَمٍّ قَدْ عَنَا (٩)،
 تُسْقَى فَيُسْتَفْمَى بِهَا وَيُسْتَفَى (١٠)،
 مِنْ ضَرْبٍ يُجْنَى وَرِسْلٍ يُعْتَرَى (١١)

- (١) اللها جمع لموة (بالفتح فيها): الملقح (أقصى الفم).
 (٢) المرشف: الفم. ومهضر لمطف (أي: ضم الرجل امرأة إلى صدره). الأهيب: التحيف الجسم. طاوي (ضامر، تحيل) الحما (البطن).
 (٣) ترد كلمة «الدهر» مرتين في هذا البيت. وأفضل أنا أن أجمل «الدهر» الثانية «المر».
 (٤) منازل (في تونس) تسمى جلفاً (بلدأ في حوران - بين سورية وفلسطين اليوم - وبطلقتها الشعراء عادة على دمشق). ونهر تونس (نهر مجردة) السلال: الماء المذب الصافي. يردى: نهر دمشق.
 (٥) ندى المطر الأرض «(بلها)». ندا يندو (جاد، سخا): كثر فيه السرور. «ندى» معطوفة على «جمنا».
 (٦) أتريت: ملئت. هذا الشراب يحذو: قرص اللسان (بشدته أو مرارته).
 (٧) عجزوز: خمر. وسماها: صفتها.
 (٨) التحن (بفتح ففتح): الحزن (بالضم). عتا: ظلم، اشتد. الطارق: الآتي فجأة. يتوهم الشاعر أن شرب الخمر يذهب هموم شاربها.
 (٩) ترد كلمة «عتا» في بيتين متوالين (ص ٥٢، الطران الأولان). عتا (في البيت الثاني): كبر، عظم.
 «كادت تسب كل هم قد عتا» (كادت تحمل كل هم عتي أو كبير همّاً شائباً أو صغيراً جديداً - ٣).
 (١٠) تركت شرب الخمر واستمضت بأحاديث الرجال. هذه الأحاديث يراد بها أيضاً نسيان الهموم، وهي تسمى الهموم أيضاً.
 (١١) آثر: فضل. الضرب (بفتح ففتح): الصل. الرسل (بالكسر): اللبن الحليب. يمتري: يجلب (حديثاً).

كَمْ زُرْتُ فِي تِلْكَ الْمَغَانِي الْقُرُومِ
 لَمَّا غَلَا مَا أُرْخَصْتُ مِنْ وَصْلَهَا،
 مَا حَكَمْتُ عَيْنِي عَلَى قَلْبِي لَهَا
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَوَادًّا مَا رَعَى
 إِنْ تَحَدَّرَ فِي وَصْفِهِ فَإِنَّهُ
 وَنَاطِرٌ يَمْنَعُ كُلَّ نَاطِرٍ
 وَمَيْمٍ يَزْدَجِمُ الْبِرْقُ بِهِ
 وَصَحْنُ صَدْرٍ مُنْبِتٌ رُمَاتِي
 وَقَحِيزَانِ آخِيزَانِ فَوْقَ مَا
 يَكَادُ يَبْدُو خَصْرُهُ مُنْخَذِلًا
 تَشَوُّانٌ مِنْ خَمْرِ الصَّبَا يَحْبِبُهُ
 ظَبْيِي أَذَالَ اللَّبَثَ إِذْ أَدَى لَهُ؛

غَانِيَةً تَنْظُرُ مِنْ عَيْنِي رَشًا (١)
 أُرْخَصْتُ مِنْ دُرِّ الدَّمْعِ مَا غَلَا (٢)
 حَتَّى أَنْالَتْهَا بِعَيْنَيْهَا الرُّشَى (٣)
 ذِمَّتَهُ ظَبْيِي بِقَلْبِي قَدْ رَعَا (٤)
 بَدْرٌ عَلَى غُصْنٍ عَلَى دِعْصٍ نَقَا (٥)
 مِنْ وَرْدٍ خَدُّ نَاصِرٍ أَنْ يُجْحَسَى (٦)
 إِذَا أَنْبَرَى مَا بَيْنَ ظَلَمٍ وَلَمَى (٧)
 حُنٌّ، وَبَطْنٌ مُنْطَوٍ طَيِّ الْمَلَا (٨)
 تَمَّا بِهِ مِنَ النِّعَمِ الْمُتَعَذَّى (٩)
 مِنْ رَدْفِهِ إِذَا تَمَّتْ الْحَيْزَلَى (١٠)
 تَشَوَّانٌ مِنْ خَمْرِ الدُّنَانِ مَنْ نَجَا (١١)
 يَا مِنْ رَأَى ظَبْيًا لِلْبَيْتِ قَدْ أَدَى (١٢)

(١) العنى: المكان السكون. الغر جمع أغر وعراء (أبيض، بضاء): عظيمة، وجهة. العاسة: المرأة الخسيلة (المنسوبة بمجالها عن الخفي). الرشا: ولد الطيبة.

(٢) الدر: اللؤلؤ. لما بحتت علي بما جادت به على غيري بكت كثيراً

(٣) الرشى جمع رشوة.

(٤) أحسبتها بكل قلبي فلم تحفظ لقلبي تصحيبه، فبات قلبي.

(٥) وجهها كاليد، وقامتها كالفضن، وأردافها كالديعص (القطعة المستديرة من الرمل، الخائب من التفة) من نقا: رمل (أبيض).

(٦) ألاحظها (القاسية) تمنع كل ناظر إليها (محب لها) أن يعطف ورد حدها (أن يملها).

(٧) المسم: الفم. البرق (كناية على الاسنان البيض). انبرى (بدا، ظهر). الظلم (بالفتح): طريق الأساس وماؤها (نضارتها وحسن لونها). اللسى (بالفتح): السمرة في التعتين.

(٨) الملاءة (بالضم): ثوب يلف به الجسم (ووجهها ملاء - بالضم).

(٩) الهم المتدى (من التعدي بالأطعمة الطيبة الفسدة)

(١٠) منخذل (ليست في القاموس) = منخذول، مقطوع، منقطع (مخافة خصره وعظم ردفه يجلان إلى الراني أن أحدها سيفصل عن الآخر). الحيزلى: شنة (بالكسر) فيها تناقل (بطء)

(١١) الدن (بالفتح) وعاء الخمر الكبير. - أن الذي يصره يطهه سكران من الخمر (بما هو سكران من نشاط الشاب).

(١٢) أذال (٥) لعلها أذال (بالدال غير المقوطة): نصر (شخصاً على آخر) علب أدى: حمل (حدمع =

يا ظبيةَ حازتْ فُوَادِي فَعَدَا
يا لبتِ شِعْرِي، مَنْ سَلَبَتْ قَلْبَهُ
لا تَظْلَمِي إنْسَانَ عَيْنِي فِي الْهَوَى،
ظَنَنْتُ بِأَنَّ اللَّوْمَ يُنْسِي * خَاطِرِي
وَأَسْتَظَرُّكَ جَزِيئِي بِيَدَانِ الصَّبَا،
وَبَيْنَ جَنْبِي فُوَادٍ لَمْ يَرُغْ
وَأَعْتَاضٌ مِمَّا قَدْ أَفَاتَ دَهْرُهُ
ظَلُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدَهُ
فَإِنَّ ذَوِي رَوْضِ الصَّبَا، فَجُودُهُ
فَلَا تَظُنِّي أَنَّنِي آسَى لِيَا
قَدْ مَارَسْتُ نَفْسِي حَالِي دَهْرَهَا،
وَقَلْبْتُ قَلْبِي اللَّيَالِي بَيْنَ مَا
فَلَمْ يَطِيرْ لِمُؤْنِسٍ مَسْرَةً،
وَلِي فُوَادٌ مُنْصِفٌ فِي حُكْمِهِ

قَلْبِي مِنْ جَسْمِي بَعِيدَ الْمُتَوَى (١)،
هَلْ يَرْجِعُ السَّابِي إِلَيْهِ مَا سَى (٢)؟
فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٣).
عَنْ صَبْوَةِ لَسْلَوَةَ، فَمَا أَتَنَسَى.
لَمَّا رَأَتْ طِرْفَ الشَّبَابِ قَدْ كَبَا (٤).
جَنَابَهُ شَيْبٌ بِفُؤَدِي بَدَا (٥).
بِمَا أَفَادَ مِنْ يَدٍ وَمَا حَبَا (٦).
أَنْعَمُ مِنْ ظِلِّ الشَّبَابِ وَالصَّبَا.
يُمِيدُ غَضًّا نَاعِمًا مَا قَدْ ذَوَى.
قَدْ بَرَزِي صَرَفُ الزَّمَانِ وَبَرَا (٧).
فَلَمْ يَدُمُ سُرُورُهَا وَلَا الْأَسَى (٨).
قَدْ لَانَ مِنْ خُطُوبِهَا وَمَا قَسَا.
وَلَمْ يَطِشَنَّ لِمُوحِشٍ وَلَا نَزَا (٩).
مُتَّصِفٌ بِالْعَدْلِ فِيمَا قَدْ قَضَى.

- = الطريدة ليصطادها). - ظني غلب أبدأ (امرأة جميلة أسرت بحبها رجلاً قوياً). والمادة أن الأسد يتغلب على الظبي وأن القوي يخذع الضعيف.
- (١) المتوى: الشيء المقصود. حاز: استولى. - لا أستطيع أن أصل إلى قلبي (لا أستطيع أن أحكم عليه).
- (٢) رجع (بفتح ففتح) يرجع (بفتح فسكون فكسر) فعل لازم ومتعد: يرجع (هنا) يرد الشيء إلى صاحبه.
- (٣) معنى الشطر الأول (٤). «وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى» ﴿٣٧: ٥٣﴾. سورة النجم).
- (٤) لعلها: «يشي» (يرد، ينهي) مكان «ينسي».
- (٥) الفود: الشعر الثابت في جانب الرأس. - الثيب الذي بدا (ظهر) في شعري لم يرعني (لم يخفني)، فما زلت أحب.
- (٦) الدهر قوت عليه أشياء كثيرة (شابه) فتعرض منها صعبة أمير المؤمنين (راجع البيت التالي)، بما ناله من العطايا (من السلطان المستنصر). حبا: أعطى.
- (٧) آسى: أحرن. يز: غلب. سلب. صرف الزمان: شدائده ومصائبه. يزأ: يزو: قهر، بطش.
- (٨) الأسي: الحزن.
- (٩) طار (فرح). طاش السهم: انحرف. خف عقله واضطرب. نزا: وثب (اضطرب؟).

كَمْ دَمَتَ الْخُلُقَ لِمَنْ فِي خُلُقِهِ
 قَدْ وَافَقْتَنِي أَرْزُمِي وَخَالَفْتَنِي،
 وَلَمْ تُصَرِّ مُهَجَّتِي فِي الْحَدِّ، بَلْ
 لَمْ يَتَّعْرِفِ الْأَيَّامَ عِرْفَانِي بِهَا
 مَا يَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا حُلْمٌ،
 وَكَيْفَ تَصْفُو لِأَمْرِيءَ مَعِيشَةٍ،
 وَإِنَّا الْأَمَالُ فِيهَا صُورٌ
 وَالْعَيْشُ مَحْبُوبٌ إِلَى كُلِّ أَمْرِيءٍ:
 وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ فِي عَيْشَتِهِ
 وَخَيْرُ عَيْشٍ الْمَرْءُ مَا سُرَّ بِهِ.
 مِنْ أَقْطَعِ الْحِظِّ الْقَلِيلُ نَفْسَهُ،
 وَإِنَّ أَغْنَى النَّاسِ عِنْدِي عَاقِلٌ
 مَنْ آتَبَغَى مِنْ لَمْ يَقْدِرْ كَوْنُهُ
 قَدْ يُدْرِكُ الْحَاجَةَ مَنْ لَمْ يَسْعَ فِي
 مَنْ كَانَ سَعْدُ الْجَدِّ مِنْ أَعْوَانِهِ،
 وَمَنْ يَحْتَنُ الْجَدُّ لَمْ يَنْهَضْ بِهِ
 دَمَائَةً، وَكَمْ جَا لَمَنْ جَا^(١).
 وَلَانَ لِي عَطْفُ اللَّيَالِي وَعَسَا^(٢).
 قَصَرَ بِي جَدُّ إِذَا سِثْتُ أُمِّي^(٣).
 مَنْ زَجَرَ الطَّيْرَ وَعَافَ وَحَزَى^(٤)
 وَلَا مَرَاتِي الدَّهْرَ إِلَّا كَالرُّؤْيَى^(٥).
 وَمُورِدُ الدُّنْيَا مَسُوبٌ بِالْقَذَى^(٦)؟
 تُخْلَعُ أحياناً وَحِيناً تُكْسَى
 لَا فَرْقَ بَيْنَ الشَّيْخِ فِيهِ وَالْفَتَى.
 نَفَعَ إِذَا صَبِغَ الصَّبَا عَنْهُ نَضَا^(٧).
 وَمَنْ يَقُلْ قَوْلًا سَوَى هَذَا هَدَى^(٨).
 أَضْحَى عَنِ الْحِظِّ الْكَثِيرِ ذَا غِنَى.
 أَبْدَى أَقْتِنَاعاً بِالْقَلِيلِ وَأَكْتَفَى.
 لَهُ، فَإِنَّ سَتْحِيلًا مَا آتَبَغَى.
 طَلَّيْهَا، وَقَدْ تَوَتُّ مَنْ سَمَى.
 أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَقْصَى مَا رَجَا^(٩).
 جَدُّ لَمْ يَظْفَرْ بِأَدْنَى مَا نَوَى.

(١) دَمَتَ: لَبِنَ. جَا: قَا، يَس.

(٢) عَطْفُ الزَّمَانِ: جَانِبُ الزَّمَانِ (الزَّمَان). عَسَا: غَلَطَ، يَس.

(٣) الْحَدُّ (بِالْكَسْرِ): السَّمِي، الْكَدُّ. الْجَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِظُّ.

(٤) ... مِنْ اسْتَطْلَعَ النَّيْبَ: مَزَجَرَ الطَّيْرَ (إِذَا رَأَى طَيْرًا يَطِيرُ مِنَ السَّارِ إِلَى الْبَيْتِ تَعَادَلُ، وَإِذَا رَأَى طَيْرًا مِنَ الْبَيْتِ إِلَى السَّارِ تَشَاوَمَ) وَبِالْعَاقِفَةِ (التَّغَاوُلُ أَوْ التَّشَاوُمُ بِأَسْمَاءِ الطَّيْرِ الَّتِي تَمُرُّ بِالْإِنْسَانِ أَوْ بِالْأَمَاكِنِ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَهُ) عَلَيَّهَا تَلَكُ الطَّيْرِ. حَزَى: تَكَهَّرَ (حَاوَلَ مَعْرِفَةَ النَّيْبِ).

(٥) الْمَرَايَ: الْمَطَهْرُ النَّادِي لِلْمَعِينِ. الرَّؤْيَى جَمْعُ رُؤْيَا: الْمَامُ، الْحَلْمُ.

(٦) مَسُوبٌ: مَخْلُوطٌ، مَزْجُوحٌ.

(٧) صَبِغَ (لَوْنٌ) الصَّبَا (الثَّيَابُ): سَوَادَ السَّرِّ. نَضَا (فَعْلٌ لَارِمٌ وَمَتَمِدٌ): نَضَلَ (ذَهَبَ لَوْنُهُ)، أَيْضًا: خَلَعَ.

(٨) هَدَى يَهْدِي: نَكَلَّمَ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَعْهُومٍ وَلَا مَعْقُولٍ (مَنْ مَرَضَ أَوْ جُنُنَ).

(٩) الْحَدُّ (بِالْفَتْحِ): الْحِظُّ.

وخيرُ ما يدخِرُ المرءُ، وما
 والبعدِ مِمَّا لَا يُغِيدُ قُرْبُهُ
 وألْفَةُ النَّاسِ يَرَاهَا وَحْشَةً
 من لَمْ يَكُنْ مُتَّيِّبًا لِلْخَيْرِ لَمْ
 صَاحِبِ الْإِنْسَانِ فِي الْعُسْرِ كَمَا
 من يُرْضِ مَخْلُوقًا بِمَا لَا يَرْضَى
 إِنَّ ثَوَاءَ الْمَرْءِ فِي أَوْطَانِهِ
 لَا تَعْتَمِدُ أَنْ لَخَلْقِ قُوَّةً،
 فَاصْفِرُ الْأَشْيَاءَ قَدْ أَثَرَ فِي
 قَدْ أَهْلَكَ الْأَحْيَوشَ طَيْرٌ قَدْ رَمَى
 وَهَدَّ قَدِيمًا هُدُودًا بِنِيَا
 وَقَدْ أَعَادَ الْفَارُّ سُدَّ مَآرِبِ
 وَالْقَمَتِ التُّمْرُودَ مِنْ كُرْسِيِّهِ
 وَقَلَّمَ مَدَّ الْمَدَى لِمَنْ غَدَا
 وَكَيْفَ لَا يَخَافُ عَقْبَى الْبَنِي مِنْ
 قَدْ حَفِظَ اللَّهُ نِظَامَ الْخَلْقِ فِي

يُقِيهِ فِي أَعْقَابِهِ، طَيْبُ النَّسَاءِ.
 فَاسْتَدَّةً حَقِيقَةً أَنْ تُقْتَنَسَى.
 مَنْ أَلْفَ الْوَحْدَةَ عَنْهُمْ وَأَنْزَوَى.
 يُكْرَمُ، وَإِنْ كَانَ كَرِيمَ الْمُتَمَيُّ (١).
 صَاحِبَهُ فِي يُرِيهِ فَقَدْ وَفَى.
 خَالِقِهِ، فَإِنَّهُ شَرُّ الْوَرَى.
 عِزٌّ، وَمَا الْغُرْبَةُ إِلَّا كَالْتَوَى (٢).
 إِلَّا إِذَا مَا اللَّهُ أَعْطَاهُ التَّوَى.
 أَعْظَمِيهَا بِالْعَوْنِ مِنْ رَبِّ الْعَلَاءِ.
 جِيوشَهُمْ بِمَكَّةِ بِمَا رَمَى (٣).
 مَا كَانَ هَذَاذَ لِبَلْقَيْسِ ابْنَتِي (٤).
 دَكَّا كَأَنَّ لَمْ يَنْبِهِ مَنْ قَدْ بَنَى (٥).
 بَعُوضَةٌ عَدَّتْ عَلَيْهِ إِذْ عَدَا (٦).
 فِي الظُّلْمِ وَالْمُدَوَانِ مِمْدُودَ الْمَدَى.
 رَأَى عِقَابَ اللَّهِ فَيَمَنْ قَدْ بَعَى؟
 دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا سُدَى.

(١) منم: تابع، منسوب. كريم المتسمى: شريف الأصل، معروف الأجداد.

(٢) التواء: المكت، السكنى. التوى: الهلاك.

(٣) الأحويش: الأحباش. الطير المذكورة في سورة الفيل (رقم ١٠٥ في المصحف). جاءت على جيش أيرمة المشي أبابيل (جماعات) من الطير وألفت حجارة من سجيل (بالكسر: طين مطبوخ) فأبادت الجيش وما كان معه من الفيلة.

(٤) «بنياً» لها: بياً (في اليمن). هدهاد بن شُرْحَيْبِل (أبو بلقيس). هد عرشها أو ملكها (٥). راجع القرآن الكريم (٢٧: ٢٠ وما بعد، سورة النمل).

(٥) دك الرجل البناء: هده. في الأساطير أن فأراً نفر حجارة سد مأرب.

(٦) نمود من الجابرة (تاج العروس - الكويت ٩: ٣٤٠)، كان ملكاً ظالماً. وفي الأساطير أن بعوضة دخلت في أنه فوصلت إلى دماغه فكانت سبب موته. كرسبه (عرشه).

فليس يُخْلِي خَلْفَهُ مِنْ رَافِعٍ
إِمَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٍ بِوَحْيِهِ
قَدْ بَدَأَ اللَّهُ الْهُدَى بِآدَمَ
وَأَرْشَدَ الْخَلْقَ بِرُسُلٍ بِمَدِّهِ
وَجَعَلَ اللَّهُ جَمِيعَ هَدْيِهِمْ
وَخَلَقْتَهُ فِي الْهُدَى خَلَائِفًا
ثُمَّ آتَاهُ كُلُّ رِشَادٍ بِعَدْتِهِمْ
خَلِيفَةً أَحْسَنَ لِلنَّاسِ فَقَدْ
نَادَى إِلَى طَاعَتِهِ دَاعِي هُدًى
عَادَ بِهِ الدَّهْرُ رِبْعًا كُلَّهُ،
سَاقَ الْمُلُوكَ بِمِصْصَا سُلْطَانِهِ،
فَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ خَاقَانَ بِهَا
وَلَوْ أَرَادَ سَوْقَ كِسْرَى فِارِسَ،
وَلَوْ سَمَا بِهَا لِضَرْبِ قَيْصَرَ،
وَلَوْ بِهَا أَرَادَ سَوْقَ تُبَّعَ،

لِمَا هَوَى أَوْ رَاقِعٍ لِمَا وَهَى^(١) :
هَادٍ وَإِمَّا مَلِكٍ عَدْلٍ رِضَا.
وَأُظْهِرَ الْخَيْرَ بِهِ حَتَّى بَدَأَ^(٢) :
هَدَوْا إِلَى سَبِيلِهِ كَمَا هَدَى^(٣) :
وَفَضَّلَهُمْ فِي الْهَادِي الْمِصْطَفَى^(٤) :
بِهَدْيِهِمْ بَعْدَ هُدَاةِ يُقْتَدَى^(٥) :
إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجْتَبَى^(٦) :
جَزَاءَهُ بِالْإِحْسَانِ عَنْهُمْ مَنْ جَزَى.
لِصَوْتِهِ فِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ نَدَى^(٧) :
وَقَامَ مِيزَانُ الزَّمَانِ وَأَسْتَوَى
فَكَلَّمَهُمْ صَيَّرَهُمْ عَبْدَ الْعَصَا.
لِاتِّقَادٍ فِي طَاعَتِهِ وَمَا عَصَى^(٨) :
بِهَا شَاءَ وَهُوَ مَكْسُورُ الْمَطَا^(٩) :
لِنَاءَهُ قَسْرًا بِهَا ضَرْبَ الْجِزْيِ^(١٠) :
لِجَاءِهِ مُتَّبِعًا وَمَا أَبِي^(١١) :

(١) هوى: سقط. وهى: ضعف، استرخى، تنقق.

(٢) حتى (لعلها: حين).

(٣) كما هدى الله رسله (٤).

(٤) إشارة إلى محمد صلى الله عليه وسلم (بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم) المصطفى (المختار).

(٥) الخلائف: الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي.

(٦) المجتبي: القرب من الله، المختار. المقصود هنا: المنتصر الحنفى.

(٧) ندى الصوت (القاموس ٤: ٣٩٤، الطبر الأخرى): الصوت القوي الذي يكون له صدى (أثر) بعيد.

(٨) خاقان: لقب ملوك الترك.

(٩) المطا: الظهر. شاء: رده (عما يريد) مكسور المطا: مرغم. بها (بمصاه).

(١٠) سامة قسراً: أذله، قهره (وأرغمه على الاتقياد لأمره). ضرب الجزى (رتب عليه جزية): أخضعه

لحكاه.

(١١) تبع: لقب ملوك اليمن.

قد فاض في الآفاق نور سَعْدِهِ،
 وجعلتْ جُدُودَهُ تُرْبِي عَلَى
 من كلِّ منصورِ الجُنُودِ ناشِرٍ
 قَادُوا إِلَى أُنْدَلُسٍ كِتَائِباً
 وصَبَّحُوا الْأَرْكََ بِجَيْشٍ غَطَّ فِي
 ما زال يُمْلِي الْمَلَوَانَ نَصْرَهُ،
 طَاعَتُهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، فَمَنْ
 ليس السَّيِّدُ غَيْرَ مَنْ أَسْعَدَهُ
 ولا التَّخِيُّ غَيْرَ مَنْ بَدَاتِهِ
 يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، إِنْ نَاصِحُ
 لا تَغْتَرِرْ بِالْعُمُرِ وَأَعْلَمُ أَنَّ ما
 وَكُلُّ ما لا بُدَّ مِنْ إِيَّانِهِ
 لا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ الْمَرْءُ إِلَى
 فَالْعُمُرُ ما بَيْنَ وُجُودَيْنِ، وَمَنْ

وَأَلْسَ الْأَيَّامَ حُسْنًا وَكَسًا.
 ما شَيْدَتْ جُدُودَهُ مِنَ الْبَنِيِّ (١)
 لِلْعَدْلِ فِي الْأَفَاقِ مَنْشُورِ اللَّوَا
 أَمَامَهَا النَّصْرُ الْعَزِيزُ قَدْ قَدَى (٢).
 أَذْيَبِهِ أَذْفَشَ لَمَّا أَنْ غَطَّا (٣).
 وَسَيْفُهُ يَحْتَطُّ ما يُمْلِي الْمَلَأَ (٤).
 دَعَا إِلَى هَدْيِي، إِلَى تِلْكَ دَعَا (٥).
 إِلَهُهُ بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَالرِّضَا.
 قَدْ جَادَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَسَخًا (٦).
 فَاسْتَمِعِ النَّصْحَ وَكُنْ مِمَّنْ وَعَى.
 لَمْ يَمُضِ مِنْ أَيَّامِهِ كَمَا مَضَى.
 وَكَوْنِهِ فَإِنَّهُ كَمَا أَتَى.
 ما قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَقَضَى.
 ظَنَّ الْوُجُودَ واحِداً فَقَدَّ سَهَا (٧).

- (١) جدود جمع جد. الجَدَّ (بالكسر): الجهد والكَدَّ والعمل. والجَدَّ (بالتفتح): الحظُّ أو أبو الأب. البني جمع بِنْيَةٍ (البناء القائم). لقد بنى بعمله هو وحده أكثر مما كان جميع جدوده قد بنوا (بفتح النون).
- (٢) قدى: أصرع.
- (٢) الأرك: بلدة في الأندلس بواحي بَطْلَيْوس (عند منتصف الحدود بين اسبانية والبرتغال اليوم. حدثت عندها معركة (سنة ٥٩١ هـ) فهزم الموحدون الأسيان وردوا عن المسلمين في الأندلس شيئاً من الأذى. ووجه الدخ للخصميين بالانتصار في هذه المعركة أن الموحدين أسلاف الخصميين. الأذى: الموج. الأذفش: لقب ملوك الأسيان. غطا يغطو: (الماء): ارتفع. غطَّ: غمس.
- (٤) الملوان: الليل والنهار. يملئ (يتلو على الناس). يملئ (الثانية): يفرض، يوجب. الملا: رؤساء القوم (إشارة إلى عمله بالشورى، فهو لا يستبد في الحكم).
- (٥) من دعا إلى طاعة المستنصر فإنه يدعو إلى طاعة الله.
- (٦) في ذات الإله: في سبيل الله. سخا: جاد، بذل المال أو النفس. الخ.
- (٧) الوجودان الدنيا والآخرة.

ولا تَحِذْ عن سَنَنِ السُّنَّةِ في حالٍ، وَكُنْ مَنَ بِأَهْلِهَا اقْتَدَى^(١)
وَخُذْ من الأراءِ بِالرأْيِ الَّذِي وافقَ قولَ اللَّهِ وَاتركَ ما عدا^(٢).
نظمتُها فريدةً في حُسْنِها منظومةً نظمَ الفريدِ المُنتقى^(٣).
تَحَيَّرَ اللَّفظُ الفصيحَ خاطري لها، ولم يَحْفَلِ بِجَوْشِيِّ اللَّغْنَى^(٤).
قَدَّها من المعاني حليَّةً وزفَّها إلى المعالي وَهَدَى^(٥).
نظمتُها أبَنَ حازِمٍ، وَقَد نَمَى نِسبَتُها إلى أبَنِ حِزَامٍ من نَمَى^(٦).
وقَد عزا الإحسانَ في أمثالها لأبِنِ الحِسينِ أَحْمَدٍ مَنَ قَد عزا^(٧).
بداؤها بِاسمِ الَّذِي ختمتُها بِمحمديه، جَلَّ الإلهُ وَعلا.
فالبَدْءُ بِاسمِ اللَّهِ أَوْلَى ما به عِنْدَ اقْتِتاحِ كُلِّ أمرٍ يُعْتنى.
والحمدُ لله أَجَلُّ غايِةٍ يُبلِغُ بالقولِ لها وَيُنْتهى.

- قال حازمُ القَرَطاجنيُّ يمدحُ رسولَ اللَّهِ ببيدِيةٍ يُنصِّفُ فيها مُعلِّقةَ أمرِيءِ القيسِ
(صُدورُ القصيدة من نظم حازمٍ وأعجازُها تضمينُ أعجازِ مُعلِّقةِ أمرِيءِ القيسِ).
فمن أبياتِ هذه البيدِيةِ:

لِعَيْنِكَ قُلٌّ، إن زُرْتِ أَفْضَلَ مُرْسَلٍ: (قفا نَبْكَ من ذِكْرِي حبيبٍ ومَنْزِلِ)^(٨).
وَفِي طَبِيبَةٍ فَأَنْزَلِ، وَلَا تَغْشُ مَنْزِلًا (بِسْفَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ)^(٩).

- (١) حاد: مال، انصرف، ابتعد عن الطريق السوي. السن: الطريق. السنة: أعمال رسول الله.
- (٢) ... ما عدا (ما عداه): غيره.
- (٣) منظومة: مرتبه كأنها في سلك (خبط أو عقد). الفريد: اللؤلؤ الكبار.
- (٤) الجوشى من الألفاظ: الجوشى (ما كان غريباً في المعنى وقبيحاً في اللفظ). اللغنى جمع لغنة.
- (٥) زفَّ الناس العروس (نقلوها إلى بيت زوجها).
- (٦) ابن حزام شاعر جاهلي قديم، قيل امرئ القيس، قيل هو أول من وقف على الأطلال وبكى الديار. والناس رفعوا هذه الأرجوزة فقالوا هي من الشعر القديم (الجديد). نى الحديث: رفعه، نسيه.
- (٧) أمثالها: الحكم التي فيها. أحمد بن الحسين هو اللغني. عزا: نسب.
- (٨) أفضل مرسل: محمد رسول الله. المنزل: المكان الذي «تزل» فيه قافلة مدة ثم تتابع سيرها. ويكون المنزل عادة عند الماء.
- (٩) طيبة: المدينة المنورة. غشي الرجل المكان: أتاه، جاء إليه. سفظ اللوى والدخول وحومل أسماه أمكة.

وَرُزُّ رَوْضَةٍ قَدْ طَالَمَا طَابَ تَشْرُهَا
 فِيهَا حَادِيِ الْآبَالِ، سِرٌّ يَ وَلَا تَقُلْ:
 نَبِيٌّ هُدَى قَدْ قَالَ لِلْكَفْرِ بُورُهُ:
 لِأَمْدَاحِ خَيْرِ الْخَلْقِ قَلْبِي قَدْ صَبَا،
 يُنَادِي: إِلَهِي، إِنَّ ذَنْبِي قَدْ غَدَا
 فَكُنْ لِي مُجِيرًا مِنْ شَيَاطِينِ شَهْوَةٍ
 أَيَا سَامِعِي مَدْحِ الرَّسُولِ، تَشَقَّقُوا
 وَيَا مِنْ أَمِي الْإِصْغَاءِ، مَا أَنْتَ مُهْتَدٍ،
 (لِمَا نَجَّجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ)^(١)
 (عَقَرَتْ بَعِيرِي، يَا أَمْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزَلِ)^(٢)
 (أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ، أَلَا أَنْجَلِ)^(٣)
 (وَلَيْسَ فَوَادِي عَنْ هَوَاهَا يُنْسَلِ)^(٤)
 (عَلِيَّ بِأَنْوَاعِ الْمُهْمُومِ لِيَنْتَلِي)^(٥)
 (عَلِيَّ جِرَاصِ، لَوْ يُسْرُونَ مَقْتَلِي)^(٦)
 (نَسِمَ الصَّبَا جَاءَتْ بِرِيَا الْقَرْنُفَلِ)^(٧)
 (وَمَا إِنْ، أَرَى عَنَّاكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي)^(٨)

- وله أيضاً بديعة على مثال البديعة السابقة (يُنصّفُ فيها قصيدة لأمريء القيس أيضاً):

أَقُولُ لِعَزْمِي أَوْ لِمَالِحِ أَعْمَالِي: (أَلَا عِمَّ صَبَاحًا، أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي)^(٩)
 أَمَا وَعَظِي شَيْبٌ سَمَا فَوْقَ لِمَتِي (سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ)^(١٠)؟

- (١) الروضة: قبر رسول الله في المدينة المورة. النشر: الرائحة (الطيبة). الجنوب (رياح الجنوب) والشمال (رياح الشمال). نجتها (هنا): جعلت فيها آثاراً (وهذا غير المعنى المقصود في المعلقة). المعنى هنا: إن الجنوب والشمال قد جاءتا إلى هذه الروضة برائحة طيبة.
- (٢) الآبال جمع إبل (بكسر فكسر): الجهال (بالكسر). الهادي: سائق الإبل يهني لحفف عن المافرين في القافلة الليل من طول الطريق. عفر السرج البعير: أحدث فيه جرحاً.
- (٣) انجلى الليل أو الظلام: انحجب، انكسف.
- (٤) صبا: مال، انجبه. انسل (في شرح الزوزني): زال الحب من قلبه (رجع عن حبه).
- (٥) غدا: جاء باكراً. لينتلي: ليختبرني.
- (٦) مجير: منقذ. حراس جمع حريص: شديد الرغبة. لويسرون مقتلي (لو يستطيعون أن يكسبوا خير قتلي).
- (٧) الصبا: ريح الشرق (وتكون في نجد رطبة باردة ممتعة). الريا: الرائحة (الطيبة).
- (٨) إن (هنا) زائدة. الغواية = النسي: الضلال.
- (٩) «عم صباحاً» (غنية الصباح): الطلل: المكان الذي كان فيه خيمة ثم أزيلت وبقي أثرها في الأرض.
- (١٠) اللعة: الشعر الذي في جانب الرأس. حباب الماء: فتاقيع (أكر ملوثة هواء) تطفو (توم) على وجه الماء. حالاً على حال (مرة بعد مرة).

أَنَارَ بِهِ لَيْلَ الشَّيَابِ كَأَنَّهُ
نَهَانِي عَنِ غَيِّ وَقَالَ مَنَّهُأ:
أَغَالِطُ دَهْرِي، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنِّي
وَمُؤْنَسُ نَارِ الشَّيْبِ يَقْبَحُ لَهُوُ
أَشِيخاً وَتَأْتِي فِعْلٌ مَن كَانَ عُمُرُهُ
إِلَّا إِنهَا الدُّنْيَا، إِذَا مَا أَعْتَبَرْتَهَا
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَقُولُ عَزَائِمِي
فَأَنْزِلْ دَاراً لِلرَّسُولِ، تَرْبِلُهُا
جَوَارُ رَسُولِ اللَّهِ عَجْدٌ مُؤْتَلٌّ،
لَأُحَدِّثَ خَيْرَ الْمُرْسَلِينَ أَتَقَمَّتْهَا
وَإِنَّ رَجَائِي أَنْ أَلْقِيَهُ غَدَاً
فَأُذْرِكَ أَمَالِي، وَمَا كُلُّ أَمِيلٍ

(١) شب: توقد، تشمل. القفال (جمع قافل: راجع)، وهم المسافرون في القافلة سواء أكانوا ذاهبين إلى مكان أو راجعين إلى الوطن.

(٢) السمار جمع سامر: الساهر.

(٣) «أن» مصدرية «وليت ناصبة»... كبرت ولا بحسب الله أمثالي.

(٤) مؤنس نار الشيب: الذي شاب شعره. أنس الرجل الشيب في رأسه. رآه. الآسة (في العصر الجاهلي): المرأة التي يأسن الرجال بها. كأنها خط تمثال (جملة فنية).

(٥) ثلاثون شهراً في ثلاثة أحوال (أعوام: ستة وثلاثون شهراً؟). لم يمتنع بما أراد طويلاً (؟).

(٦) إذا ما اعتبرتْها: نظرت في أحوالها، تأملتها. ديار عافية (بمحوه الأثر). دو حال: مكان. الحال: المكان لا أنيس فيه (راجع القاموس ٣: ٣٧٢).

(٧) كَرَّ يَكُرُّ: هجم. اجفال (الملوح هنا: الجين، الخوف الباطن) - يريد أن يذهب إلى الحج وزيارة قبر الرسول بعد أن طال عليه الزمن ولم يفعل.

(٨) الوجيل: الخوف.

(٩) مؤتل: أصيل، قديم، شريف.

(١٠) أحمد من أسماء رسول الله. انتقبت هذه القصيدة. ورضتها: مارسها طويلاً فدل (سهل علي) نظمها.

(١١) انقل: المغض. القالي: المبخض. المغلي: المكروه. الخلال: الصفات.

(١٢) يمدرك (بالغ، واصل إلى) أطراف الخطوب (أحداث الدهر ومصائبه) ولا آل (بمدة على الألف

وكسرتين على اللام: مقصّر، منته): لا يستطيع أن يبال ما يطلبه ولا هو يترك طلب الأمور البعيدة المال

- ٤- ديوان حازم القرطاجني (تحقيق عثمان الكمّاك)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م.
 - منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة) تونس (دار الكتب الشرقية) ١٩٦٦ م.

★★ رفع الحجب المستورة عن المقصورة، تأليف محمد بن أحمد الشريف السبي، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٤٤ هـ.

- القدح المظلي ٢٠-٢١؛ الإحاطة ١: ٢٠٨؛ نغية الوعاة ٢١٤؛ شذرات الذهب ٥:
 ٣٨٧-٣٨٨؛ أزهار الرياض ٣: ١٧١-١٨٤؛ فنج الطب ٢: ٢٠٨-٢٠٩،
 ٥٨٤-٥٨٩؛ ٣: ٦٠٤؛ ٤: ١٤٨؛ ٥: ١٨٩-١٩٠، راجع ١٩٨، ٤٨١،
 ٥١٩-٥٢٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٣٧-٣٣٨؛ بروكلمن ١: ٣١٧، الملحق
 ١: ٤٧٤؛ حوليات كلية الآداب (القاهرة- عين شمس، جامعة ابراهيم): بحث وتحقيق
 للدكتور مهدي علام: «تاريخ أبي الحسن حازم القرطاجني الشاعر النسبي ونشأة فن
 المقصورة في الأدب العربي» (المجلد الأول، مايو- أيار- نوار ١٩٥١ م، تم «مقصورة أبي
 الحسن حازم القرطاجني: تحقيق النص»، المجلد الثاني، ص ١- ١١٠)؛ الأعلام للزركلي
 ٢: ١٦٣ (١٥٩)؛ معجم المؤلفين ٣: ١٧٧؛ الدابة (تاريخ النقد الأدبي في الأندلس)
 ٤٧١-٥٣٦.

علي بن موسى بن سعيد

- ١- هو نور الدين^(١) أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد^(٢)
 العنسي الغرناطي الأندلسي المغربي، وُلِدَ في ٢٢ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦١٠
 (١٢١٤/٢/٦ م) في الأغلِب، في قلعة يَحْضُبَ.

انتقل علي بن موسى إلى اشيلية فدرس فيها على أبي علي التلوييني وأبي الحسن
 الدباج وابن عصفور وغيرهم. وفي سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) رَحَلَ مَعَ أبيه فوصلا إلى
 الاسكندرية في العام التالي. وفي الثامن من شَوَّالٍ من سَنَةِ ٦٤٠ (٦٤٣ م) توفِّي والده.
 وبقي علي بن موسى بن سعيد في الاسكندرية والقاهرة مدة. ثم اتفق أن زار مصرَ
 كمال الدين بن العديم الحلبي فتابع علي بن موسى سفره مَعَ ابن العديم، سَنَةَ ٦٤٨ هـ،

(١) فوات الوفيات ٢: ١١٢؛ بروكلمن ١: ٤١٠.
 (٢) راجع سمة النسب ووجود بني سعيد، في تأليف كتاب «المغرب»، فوق، ص.

إلى حَلَبَ. ثمَّ إنَّه سافر إلى دِمَشقَ فبفدادَ فالصِرةَ فإلى أَرَجَانَ يَدْرُسُ على شيوخ الأَدبِ والفقهِ .

وعادَ عليُّ بنُ موسى إلى المَغْرِبِ، سَنَةَ ٦٥٢، وطال مُكثه في تُونِسَ، إذ دخل في خِدمة المُسْتَنْصِرِ الحَفْصِيِّ (٦٤٧ - ٦٧٥ هـ). ولكنَّ السُّتْمَرَ غَضِبَ عليه. ثمَّ إنَّه سافر مرَّةً ثانيةً إلى المَشْرِقِ، سنة ٦٦٦ (١٢٦٧ - ١٢٦٨ م)، وزارَ هولاكوا^(١) في أَرْمِينِيَّةٍ ونَزَلَ ضيفاً عليه مُدَّةً من الزمان. بعدئذٍ أَسْتَعَدَّ للعودة إلى المَغْرِبِ، ولكنَّ تُوْفِيَّ في دِمَشقَ في الأَغْلَبِ، سَنَةَ ٦٨٥ للهجرة (١٢٨٦ م).

٢ - عليُّ بن موسى بن سعيد جُغرافيٌّ ومُؤرِّخٌ وأديبٌ ناقدٌ ناثِرٌ شاعر. وشعره وَسَطٌ مَعَ أَنَّهُ يَسِمُ بالخصائص الاندلسية من التفنُّنِ في الوصفِ والتأقُّقِ في التعبير. غيرَ أن شهرته راجعة إلى المصنَّفات التي نَعَرَفَ منها: الطالِع السعيد في تاريخ بني سعيد - الغرَّة الطالعة في شعراء المائة السابعة^(٢) - القِدْحُ المَعْلَى في التاريخ المَحَلِّي - المرزومة - المُرْبِصُ المُطْرَبُ - المُنْتَقَطُ من أزهار الطُرْفِ - عُدَّةُ المُسْتَنْجِرِ وَعُقْلَةُ المُسْتَوْفِزِ - رايات المُبْرِزِينَ وغايات الميِّزِينَ - ملوك الشعر - المَشْرِقُ في أخبار المَشْرِقِ - المَغْرِبُ في أخبار المَغْرِبِ؛ ولعلَّه المغرب في حُلَى المغرب.

أمَّ عليُّ بنُ موسى بن سعيد تَأليفَ كتاب المَغْرِبِ في حُلَى المغرب. ولكتاب المَغْرِبِ منهاجٌ هو الإتيان بنَقْرِ من الشعراء البارزين من بُلْدانِ المَغْرِبِ (الأندلس ومِصْرُ والمغرب) من طبقات المجتمع المختلفة (الرؤساء والوزراء والعلماء: علماء الفلسفة والتنجيم والموسيقى والطب) والشعراء، إلا أن له في تصنيف الشعراء وترتيبهم طريقةً معقَّدةً جدًّا. ولكن الذي لا ريب فيه أن هذا الكتاب جمع تراجمَ نادرةً وغاذجَ من الشعر والموشحات رائعةً طريقةً.

٣ - المختار من آثاره

- قال عليُّ بنُ موسى بن سعيدٍ في ترجمة «أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد

(١) هولاكو سلطان التتار، وهو الذي دَمَّرَ بغدادَ وقضى على الخلافة العباسية، سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م).

(٢) هو كتاب «النصون الباسمة» (راجع القدح الملئ، ص ١٨٧).

هُوَ عَمُّ وَالِدِي وَأَحَدُ مُصَنِّفِي هَذَا الْكِتَابِ. كَانَ وَالِدِي كَثِيرَ الْإِعْجَابِ بِشِعْرِهِ مُقَدِّمًا لَهُ عَلَى سَائِرِ أَقَارِبِهِ. وَأَسْتَوِزُّهُ عُمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ مَلِكُ (وَالِي) غرناطة.... وَأَنْضَافُ إِلَى ذَلِكَ أَشْيَرَاكُهَا فِي هَوَى حَفْصَةَ الشَّاعِرَةِ، وَكَانَ عُمَانُ أَسْوَدَ اللَّوْنِ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُ (١) قَالَ لَهَا: مَا تُحِبِّينَ فِي هَذَا الْأَسْوَدِ وَأَنَا أَقْدِرُ أَنْ أَشْتَرِيَ لَكَ مِنَ السُّوقِ بِعَشْرِينَ دِينَارًا خَيْرًا مِنْهُ! ثُمَّ إِنَّ أَخَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ فَرَّ إِلَى مَلِكِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ابْنِ مَرْدَنِيشَ فَوَجَدَ عُمَانُ سَبَبًا إِلَى الْإِيقَاعِ بِأَبِي جَعْفَرٍ فَضَرَبَ عُنُقَهُ.

- وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَمِيدٍ (المغرب ٢ : ١٧٠): لَوْلَا أَنَّهُ وَالِدِي لَأَطْنَبْتُ فِي ذِكْرِهِ وَوَفَّيْتُهُ حَقَّ قَدْرِهِ. وَلَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْحِطُّ الْأَوْفَرُ؛ وَكَانَ أَشْغَفَهُمُ بِالتَّارِيخِ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ. وَجَالَ كَثِيرًا إِلَى أَنْ أَنْتَهَى بِهِ الْعُمُرُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، وَقَدْ عَاشَ سَبْعًا وَسِتِينَ سَنَةً لَمْ أَرَهُ يَوْمًا يُخَلِّي مِنْ مُطَالَعَةِ كِتَابٍ أَوْ كُتُبٍ مَا يَخْلُو، حَتَّى فِي أَيَّامِ الْأَعْيَادِ.

- وَمِنْ شِعْرِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى قَوْلُهُ فِي النَّهْرِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّسِيمُ وَتَمِيلُ عَلَيْهِ الْعُصُونُ:

كَأَنَّا النَّهْرُ صَفْحَةٌ كُيِّبَتْ أَسْطَرُهَا وَالنَّسِيمُ مُنْشِئُهَا.
لَمَّا أَبَانْتَ عَنْ حُسْنِ مَنْظَرِهِ مَالَتْ عَلَيْهَا الْعُصُونُ تَقْرَأُهَا.

- وَلَهُ قَصِيدَةٌ يَتَشَوَّقُ فِيهَا إِلَى الْمَغْرِبِ، فِي مَطَلَعِهَا:

هَذِهِ مِصْرٌ، فَأَيْنَ الْمَغْرِبُ؟ مَدُّ نَأْيٍ عَنِّي دُمُوعِي تَسْكُبُ.
فَارَقْتَهُ النَّفْسُ جَهْلًا؛ إِنَّمَا يُعْرِفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ.
أَيْنَ حِفْصُ: أَيْنَ أَيَّامِي بِهَا؟ بَعْدَهَا لَمْ أَلْقَ شَيْئًا يُعْجِبُ (٢).

- وَقَالَ ابْنُ سَمِيدٍ فِي التَّخْلِي (تَرَكَ الزَّوْاجَ):

أَنَا شَاعِرٌ أَهْوَى التَّخْلِي دُونَ مَا زَوْجٍ لَكَيْمَا تَخْلَصُ الْأَفْكَارُ.

(١) فُلِعَ إِلَى سَعِ عُمَانُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى قَالَ.

(٢) حِمص = اشيلة.

لو كنتُ ذا زوج لَكنتُ منقِصاً
 دعني أريح، طولَ التفرّب، خاطري
 كم قائل لي: «ضاع شَرخُ شبابه!»
 إذ لم أزل في العلم أجهدُ دائماً
 مها أرمُ من دون زوج لم أكنُ
 وإذا خرجتُ لفرجة هُنْتُها؛
 في كلِّ حينٍ رزقها أمتاراً^(١)
 حتّى أعودَ ويستقرّ قراراً^(٢)
 ما ضيّعتهُ بطلالةٌ وعُقاراً^(٣)
 حتّى تأتتْ هذه الأبيكار.
 كلّاً، ورزقي دائماً مِدراراً^(٤)
 لا صنعة ضاعت ولا تذكّاراً^(٥)

- وقال في طلب اللهو بالطرب في الحدائق والجنائن:

باكرِ اللهو؛ ومن شاء عتّب.
 ما تواني من رأى الزهر زها
 لا يلسدُ العيشُ إلّا بالطرب.
 والصبا تمرّح في الروض خبباً^(٦)
 - وقال في مثل ذلك:

وعشيّة بلّغتُ بنا أيدي النوى
 فحدائق ما بينها من جدولٍ
 والنخل أمثال العرائس لُبّها
 منها محارين جامعاتٍ للشخب^(٧)؛
 وبلابلٌ فوق العصون لها طرب.
 خرّ وجليتها فلائدٌ من ذهب^(٨)

(١) امتار الرجل لأهله: جلب لهم القوت من مكان بعيد.
 (٢) ما دمت مغترباً عن وطني فلا أريد أن أشغل (يفتح العين) بالي بالاهتمام بامرأة وأولاد. فإذا أنا رجعت إلى الوطن واستقررت فيه، فلكلِّ حدث حدث.
 (٣) شرخ الشباب: عنفوانه وقوته. العقار: الحمر.
 (٤) رام يروم: أراد، طلب. الكل: العاجز.
 (٥) الفرجة: التخلص من الهم. والفرجة (في الاستعمال الحاضر): الذهاب «للنزهة» وترويح البال في الأماكن التي فيها جمال الطبيعة أو احتجاج للناس.
 (٦) تواني: تكاسل، تأخر. الصبا (بالفتح): ربيع ليلة تهبّ على نجد (في بلاد العرب) من الشرق. خيب = خيباً: تيسر بشيء من السرعة (كما تيسر الخيل في أوّل ركضها). يقصد أن الهواء كان منعشاً.
 (٧) النوى: البعاد، المراق (المقصود: أن الشاعر رار أرضاً بعيدة؟). الخبة: الشيء، المختار أو المستقى (أجود ما في الأشياء).
 (٨) الحرّ: الحرير أو الثياب المسوجة من حرير الفلاذ (بالكسر): حلية (بالكسر) تلبس في المنى.

- ٤- عنوان المطربات المرقصات، القاهرة (مطبعة جمعية المعارف) ١٣٨٦ هـ؛ (نشره عبد القادر محمدا)، الجزائر (كاربونل) ١٩٤٩ م.
- العيون الدعج في حلى بنى طفج (القسم الخاص بالأخشيدين- في مصر- من كتاب «المغرب») (نشره تالوكيت)، ليدن ١٨٩٩ م.
- المغرب (قسم صقلية)، ليدن ١٨٩٨ م، بالرمو ١٩١٠ م.
- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة (القسم الخاص بالقاهرة من كتاب «المغرب».... (تحقيق حين نصار)، القاهرة (دار الكتب) ١٩٧٠ م.
- رايات المرزبن وغايات المعزبن (نشره أميليو غارثيا غومذ)، مدريد ١٩٤٢ م.
- المغرب في حلى المغرب (حققه شوقي ضيف)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣-١٩٥٥ م.
- المغرب: قسم مصر (نشره زكي محمد حسن وشوقي ضيف وسيدة كاشف)، القاهرة (مطبعة فؤاد الأول) ١٩٥٣ م.
- اختصار القدرح الملقى (تحقيق ابراهيم الاياري) ١٩٥٩ م.
- العصون اليامنة في محاسن شعراء المائة السابعة (بتحقيق ابراهيم الاياري)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٧ م.
- كتاب الجغراففة (حققه اسماعيل العربي)، بيروت (مشورات المكتب التحاري) ١٩٧٠ م.
- مختصر جغرافية ابن سعيد (نشره ج. فيرنه)، تطوان ١٩٥٨ م.

***- ابن سعيد المغربي، تألف محمد عبد المنى حسن عام ١٩٧٠ م.

فوات الوفيات ٢: ١١٣-١١٤؛ الذليل والسكلمة ٥: ٤١١ وما بعد؛ القدرح الملقى ١-١٢؛ الديباج المذهب ٢٠٨-٢٠٩؛ بعة الوعاة ٣٥٧؛ نفع الطيب ٢: ٢٦٢-٣٧٤ (يكثر القرى من الكلام على ابن سعيد هذا وعلى نفر من أهله ويقفل من «المغرب» كثيرا- راجع فهرس نفع الطيب ٨: ٦٧)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٢٦؛ نيكل ١٣٦١ مختارات نيكل ٢٠٥-٢٠٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٧٩ (٢٦-٢٧)؛ سركيس ١١٨-١١٩؛ بالنشيا ١٣٥-١٣٧؛ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس لمحمد رضوان الداية ٣٩١-٣٩٨؛ تاريخ النقد العباسي لاسان عباس ٥٣٢-٥٣٥؛ المكتبة العربية الصقلية ١٣٤-١٣٧؛ مجلّة الجمع العربي بدمشق ٣٣: ٣٠٢ (عام)، راجع ٥٢٥.

ابن أبي الربيع القرشي

١- هو الإمام أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي

الأموي العناني الإشبيلي، وُلِدَ (في إشبيلية) في رَمَضانَ من سَنَةِ ٥٩٩ (ربيع ١٢٠٣ م)، أَخَذَ القِراءاتِ عن مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ التَّمِيمِيِّ وَسَمِعَ (الحديث) من القاسم بن نَعْمَى وقرأ النحوَ على الثَّلوثينِ (ت ٦٤٥ هـ) والدَّبَّاجِ (٦٤٦ هـ)، وأذِنَ له الثَّلوثينُ بالتصدَّرَ لإِقراءِ النحوِ.

ولما استولى الإسبانُ على إشبيلية، في أوَّلِ شَعبانَ من سَنَةِ ٦٤٦ (١٢٤٨/١١/١٩ م) انتقل ابنُ أبي الرِّبيعِ إلى سَبْتَةَ وأقرأ بها النحوَ مُدَّةً. ثمَّ إنَّه عاد إلى إشبيلية. وكانت وفاته فيها سَنَةَ ٦٨٨ (١٢٨٩ م).

٢- كان ابنُ أبي الرِّبيعِ إمامَ النحوِ في عصره ومن المؤلفين فيه، له: المُلخَصُ في النحوِ - القوانين النحوية - الإفصاح في شرح الإيضاح (للفارسي المتوفى سَنَةَ ٣٧٧) - شرح الجُمَلِ (؟ للزجاجي المتوفى نحو سَنَةِ ٣٣٩: في عَشْرِ مُجلدات) - شَرَحَ (كتاب؟) سَيَّبَوِيهِ - بَرنامَج (شيوخه).

* * * بنية الوعاة ٣١٩: بروكلمن ١: ٣٨٢. الملحق ١: ٥٤٧: الأعلام للزركلي ٤: ٣٤٤ (١٩١).

ابراهيم بن أبي بكر التلمساني

١- هو أبو اسحاق ابراهيم بنُ أبي بكرِ بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني، أصله من وقش * ومولده في تلمسان، سَنَةَ ٦٠٩ (١٢١٢-١٢١٣ م). انتقل به أهله إلى الأندلس فسكنوا غرناطة ثلاثَ سَنَواتٍ ثمَّ تحوَّلوا إلى مالقة وطال سَكْنُهُمَ بها، وفيها تلقى ابراهيمُ مُعظَمَ معارفِهِ. ثمَّ إنَّه انتقل إلى سَبْتَةَ واستقرَّ فيها بقيةَ عُمُرِهِ.

وقد تلقى ابراهيمُ ابنُ أبي بكرِ العِلْمَ على كثيرين منهم (الديباج ٩٠): أبو بكر بن مُحَرِّبٍ وأبو الحسن بن طاهرِ الدَّبَّاجِ (الإحاطة ١: ٣٣٥ الرِّباج) وأبو علي الثَّلوثينِ (ت ٦٤٥ هـ) وأبو العباسِ عليُّ بنُ عصفورِ الهُواري وأبو المُطَرِّفِ بنُ عُميرة (ت ٦٨٥ هـ) وأبو يعقوبَ يوسفَ بنُ موسى الحاسي القاري (الإحاطة: الحاسي القاري).

(*) وقش (بتشديد القاف المفتوحة): مدينة بالاندلس (تاج العروس - الكويت ١٧: ٤٥٥).

وكانت وفاة إبراهيم بن أبي بكر في سنة ٦٩٠ (١٢٩١ م).

٢- كان إبراهيم الأنصاري التلمساني مبرزاً في علم العدد (الحساب) والفرائض (تقسيم الإرث) وماهراً في كثير من العلوم والأعمال التي يحاولها حاضر الذهن ذكياً. وكذلك كان لغوياً وأديباً وشاعراً مكثرأ ومُطِلاً. وشعره في المدح (وفي البديعيات: مدح الرسول) والأدب (الحكمة)، كما كان له نظمٌ في عددٍ من فروع العلم. وقد كان مُصنفاً له: نتيجة الخير ومُزيلة الضرر في نظم المغازي والسير^(١) - الأرجوزة: المنظومة التلمسانية في الفرائض (تقسيم الإرث)، نظمها نحو سنة ٦٣٥ للهجرة، وقد شرحها كثيرون^(٢) - المُعترات على أوزان العرب - مقالات في علم عروض الدوبيت.

٣- مختارات من شعره

- بين يدينا من شعر إبراهيم بن أبي بكر التلمساني:

★ ★ الغدر في الناس شيمةٌ سَلَفَتْ قد طال بين الورى تَصْرِفُهَا^(٣).
ما كلُّ من قد سَرَتْ له نَعَمٌ منك يرى قَدْرَهَا وَيَعْرِفُهَا.
بل ربِّها أَعْقَبَ الجزاءَ بها مَضْرُةٌ عَزَّ عنك مَصْرِفُهَا^(٤).
أما ترى الشمسَ تَغْطِيفُ بال نور على البدرِ وهو يَكْئِفُهَا^(٥)!
★ ★ أَرَأَيْتَ من رَحَلُوا وزَمُوا العيا ألا يزول على الطلول حَيِّباً^(٦)؟

-
- (١) المغازي جمع مغزاة (بفتح الميم): الغزوة (حرب يبير إليها المسلمون في أيام الرسول). البيرة: حياة الرسول والصحابة.
(٢) راجع بروكلمن.
(٣) شيمة: خصلة، عادة، سلفت: مضت (هنا: قديمة في الناس). الورى: الناس. تَصْرِفُهَا: تقلبها بين الناس وأفعالها فيهم.
(٤) عَزَّ (صعب) مَصْرِفُهَا (دفعها عنك).
(٥) القمر يستمدُّ نوره من الشمس. وفي بعض الأحيان يمترض القمر بين الشمس والأرض فتتكشف الشمس (يحتجب نورها عن الأرض).
(٦) زَمَّ العيس (النياق): جعل لها زمماً (لجاماً)، أي أَعَدَّهَا للرحيل. - يبدو أن الشطر الثاني سَمَّة لبيت آخر. للمموح ان الذي يمدُّ الرحلة للسر، لا يمتى محبوساً (واقفاً على بقايا المنازل).

أَحْبَبْتُ سَوْفَ يَمُودُ نَسْفُ تُرَابِهَا بِمَا يُنْفِي لَدَيْكَ نَيْسًا^(١).
 هل مؤنسٌ ناراً بجانب طُورِها لأنيسها أم هل تُجسُّ حَسِيًّا^(٢)؟

٤- ** الدياج المذهب ٩٠-٩١: الإحاطة ١: ٣٣٤-٣٣٧: بروكلمس ١: ٤٨٢. الملحق
 ١: ٦٦٦: معجم أعلام الخرائز ٩-١٠: الطمّار ٨٣-٨٤ (نقلًا عن الإحاطة).

ابن السَّمَطِ المَهْدَوِيّ

١- هو أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد الملك بن السَّمَطِ البَكْرِيّ المَهْدَوِيّ، وُلِدَ في المَهْدِيَّةِ (وهي مرفأ في منتصف التاطيء الشرقي من القطر التونسي) سَنَةَ ٦١٣ هـ (١٢١٦-١٢١٧ م). ويبدو أنه لَمَّا تَقَدَّمَ به السِّنُّ انتقل إلى الاسترقاق في التقوى والعبادة واشتدَّ الحنينُ به إلى الحجِّ إلى مَكَّةَ وإلى الزيارة إلى المدينة، ولكن لم يَتَسَرَّ له ذلك. وكانت وفاته في العُتْرِ الأواسط من شُعبانَ من سَنَةِ ٦٩٠ (أوائل آب-أغسطس ١٢٩١ م).

٢- كان ابنُ السَّمَطِ المَهْدَوِيّ قعيماً وأديباً عارفاً باللغة، وكان شاعراً قَصَرَ شِعْرُه لَمَّا تَقَدَّمَ به السِّنُّ على البديعيات. وشِعْرُه فصيحُ الألفاظ صحيحُ التركيب فيه شيءٌ يسيرٌ من الصَّنَاعَةِ ولكنه أحياناً قليلُ الرونق. والأفكارُ فيه كثيرةٌ والمعاني تَغْلِبُ فيه على الصِّبَاغَةِ.

(١) النقط تَمَثَّلَ نَقْصاً في الأصل. النيس: بقية الروح (النفس). الملعوح: هل تظنُّ أن شَمَّ ترابِ النازل ينعش الإنسان.

(٢) هل مؤنس ناراً: أهالك من يؤنس (يرى) ناراً: الطور: الجبل. الأنس: الساكن في المكان. - أتظنُّ أنك تال مراداً من الوقوف في دار خالية أو هل تظنُّ أن الدار الخالية تحسُّ بأنك واقف فيها؟ - في الأبيات معنى يقرب من أن يكون صوفياً. راجع في رؤية لار عند الطور سورة النصص (٢٨: ٢٩): ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً. قال لأهله: امكنوا، إني آنست ناراً، لعلِّي أتبكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون﴾

- قال ابن السَّمَطِ الْمَهْدِيُّ من بديعة (في مدح الرسول):

لعلَّ نُبياتِ الضُّحَى والأصائلِ تُؤدِّي إلى مَعْنَى الحبيبِ رسائلي^(١)،
 وتُهدي، إذا مرّت سَحيراً بِرَبِّه، سلامي إلى بَدْرِ بَطِينَةَ آفلي^(٢).
 وكلُّ الأمانِي في عُدُوِّ رواسمِ إلى رَسْمِهِ أو في رَواحِ رِواحلِ^(٣).
 وما سَوَّها بِلِ شَوْقِها يَسْتَحِبُّها حيثُ أَخِي الإِملاقِ يُدعى لِنائِلِ^(٤).
 وكَم آيَةٍ دَلَّتْ على صِدقِهِ، فِما أَلَبَّ لها الإِنكارِ في لُبِّ عاقلِ^(٥).
 رسولٌ أتى والنَّيُّ وارَتْ غيُومُهُ نجومَ المُهدى والرشدِ عن كلِّ غاقلِ^(٦).
 ووافى ودينُ الكُفْرِ قامَتْ دُعائُهُ بإبطالِ تحقِيقِ وتحقِيقِ باطلِ.
 فلَمّا بَدَتْ آياتُهُ وهبائُهُ بدا النَّقضُ فِما أُبرِموا في الحافِلِ^(٧).
 وفي كلِّ ما يَتَلَوُ الرسولُ دَلالَةً على صِدقِهِ من واضِحِ الدلائِلِ.
 هو المُصْطَفى من قَبْلِ تَكويِنِ آدَمِ على الخَلقِ من آبائِهِم والحلائِلِ^(٨).
 لهُ غابَةٌ من صَحْبِهِ هو لَيْثُها؛ لَدَيْهِم مَريرُ الموتِ عَذْبُ المناهِلِ^(٩).

- (١) الأصيل: الساعات الثلاث التي تسبق غروب الشمس. معنى: مسكن. الحبيب (محمد رسول الله).
 (٢) بدر (كتابة عن رسول الله). طيبة: المدينة المنورة. الأفل: الذي غرب وراء الأفق (غاب في قبره).
 (٣) الرواسم (رسم بضمتين جمع رسوم بالمنح: الناقة الشديدة الوطء على الأرض). الرسم (مكان السكنى الذي خلا من ساكنه). الراحلة: ما يرحل (يسافر عليه الإنسان). العدو: السر في الصباح. الرواح: الرجوع في الماء.
 (٤) الإملاق: الفجر. النائل: المطاء.
 (٥) ألب: عرض، تعرّض. ألب له الإنكار في لبّ عاقل (لم ينطع إنسان عاقل أن يعرض لها بإنكار: أن ينكرها).
 (٦) النعي: الضلال.
 (٧) النفض: الهدم. أبرموا: اتفقوا عليه.
 (٨) الحليلة: (الزوجة). يرى الصوفية أن عمداً (صلى الله عليه وسلم) هو مخلوق الأول (أي الذي خلق الله العالم من أجله).
 (٩) غابة (عدد وفير). الليث: الأسد (في هذا إشارة إلى «أسد الغابة» في معرفة الصحابة) وهو كتاب في تراجم أصحاب رسول الله لمرز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ).

صدورٌ إذا حَلَّوا بنايدٍ؛ وفي الوغى
أشداءٌ والمهيجاءُ حامٍ وطيسها،
فكم من عديمٍ صار فيهم كمتُرفٍ؛
كذا فليكن حُسنُ الثناء لئلا
على من به سادوا الورى وعليهم
فتحى متى أشأتهم وتغرني
وما المرء إلا طاعنٌ مُترحلٌ
وإسفارٌ صُبحَ الشيب عن ليلٍ لمتي
ولما تقصتُ في التواني شيبتي
ولم يبق لي إلا التفاني بأدمعٍ،
وكلُّ يرى أن المديحَ وسيلةً،
مدحتُ الشفيحَ المُضطفي غيرَ قائمٍ
وما المدحُ فيمن يخسُّ المدحُ باسمه
ولكنه جهْدُ المُقلِّ لقاصرٍ
ألم (يأت) قولُ الله في رَفَعِ ذكره؟

صدورُهُم تلقى صدورَ العوامل^(١)
ذوو رحمةٍ بالباستات الأرامل.
وكم من غريبٍ صار فيهم كأهل!
متى أمَلوا لم يُخلفوا ظنَّ أمل.
سلامٌ كَوَرِ الروضِ بينَ الخمائل^(٢).
أمانٌ وإمهالٌ كَتَوَيْفِ باطل^(٣).
مُعارٍ لأوقاتٍ تمرُّ فلائل.
دليلٌ على ظِلِّ من العُمُر زائل^(٤).
وأصحتُ من جرَّائها في حباتل^(٥)،
على طولِ تفريطي، هوامٍ هوامل^(٦).
لكلِّ كريمٍ، من أجلِّ الوسائل.
بمِشارٍ ما يُحصى له من فضائل.
وأوصافه إلا كتحصيل حاصل؛
عن الفرضِ في تعظيمه والنواغل^(٧).
وهل بعدَ قولِ الله قولٌ لقائل^(٨)!

- (١) صدور (الأولى): وجهاء الغوم. الوغى: الحرب. صدور (الثالثة): أعالي الرماح. العالية: التصل يكون في رأس الرمح (في الحرب يردون بصدورهم رماح أعدتهم، دفاعاً عن الدين).
- (٢) النور (بالفتح): الزهر الأبيض. الحميلة: النجر الكثير الكثيف المتلف (المتشابك).
- (٣) أمان جمع أمنية: ما يتمنى الإنسان أن يحصل عليه. الإمهال: ترك الأمر مهلة (بالضَم): مدة، فترة. توييف: تأخير. توييف باطل (٤).
- (٤) اللمة: شعر الرأس المجاور لئحة الأذن (وهو أول ما ينسب عادة من شعر الإنسان).
- (٥) التواني: النكاسل (عن عمل الصالحات). في حباتل (من الذنوب).
- (٦) التفاني بأدمع (ذهاب عمري شيئاً بعد شيء بالبيكاه). الهامي والهامل (النسك بكثرة).
- (٧) جهد الغل: الشيء القليل الذي يبدله الفقير أو العاجز. الفرض: ما يجب على الإنسان فعله. النافلة: ما ينطوع الإنسان في فعله.
- (٨) جاء في سورة الضحى (الثالثة والتسعين في المصحف): ﴿ورفما لك ذكرك﴾.

- وقال من بدعيمة ثانية:

سَرَيْتُمْ وَطَرْفِي مِنْ كَرَى الْعَزْمِ مَا هَبَّأ،
وَطَرْفُ اتِّهَاضِي فِي مَدَى الْحَزْمِ مَا خَبَّأ^(١)

ومنها:

فحسي رجائي أن يَمُنُوا بَعَطْفِهِمْ . وَأَنْ يُعْتَبُوا لِلْبُعْدِ مِنْ وَصْلِهِمْ قُرْبًا .
وَلَا غَرَوَ أَنْ يَلْقَى الطُّغْيَلِيَّ مَا جَدُّ . يُوَجِّهُ بِهِ يَلْقَى الْمَعَارِفَ وَالصَّحْبَا^(٢) .
وَإِنْ هُمْ جَفَوْنِي سَوْفَ أَهْدِي إِلَيْهِمْ . سَلَامِي لَعَلِّي بِالرِّضَا مِنْهُمْ أَحْيَى^(٣) .
وَمَنْ صَدَعَنَهُ الْحَبِّ فُلَيْقُشِ مَدَحَهُ ، فَإِنَّ امْتِدَاحَ الْحَبِّ يَسْتَنْزِلُ الْحَبَّأ^(٤) .
وَمَا الْقَصْدُ وَالْمَعْنَى بِالرَّمْزِ وَالْكُنَى . سَوَى مَنْ عَلَى كُلِّ النَّبِيِّينَ قَدْ أَرْمَى^(٥) ،
وَمَنْ شَاهَدَتْ عَيْنَاهُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ . وَأَيَّاهُ مَا يُعْجِزُ الْكُتُبَ وَالْكَتَبَا^(٦) .
أَحَاشِيكَ ، يَا كَلَّ الْمُنَى ، أَنْ تَسْدُوذَنِي

عَنْ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَرْضِ أَوْ أَمْنَعِ الشُّرْبَا^(٧)

وَرَبِّ كَرِيمٍ غَضَضَ عَنْ وَرْدٍ وَاغْغَلِي

حَيَاءً إِذَا وَافَاهُ إِذْ يَتْبَعُ الشُّرْبَا^(٨)

-
- (١) سري: سار في الليل. الطرف (بالفتح): العين، البصر. الكرى: النوم. الطرف (بالكسر) الخصاص. خبأ أسرع.
- (٢) الطغيبي: الذي يذهب إلى الولايم من غير دعوة خاصة به. - لا يد من أن يكون هنالك ماجد: شريف خير (بشديد الياء) يستقبل الطغيبي كما يستقبل أصدقاءه الذين دعاهم إلى وليسته (كتابة عن الرسول).
- (٣) جفوني: ابتعدوا عني، كرهوا مجيئي. حبا: أعطى، منح.
- (٤) الحب (بالكسر): المحبوب، طيفش: فليشر. - إذا مدحت الذي لا يجتك فيمكن أن نجمله محباً لك.
- (٥) المعنى: المفضود. الكنى: الإشارة إلى الشيء بالتمليح لا بالتصريح. أرمي: زاد.
- (٦) الكسب (بالضم) جمع كتاب. الكسب (بالفتح): الكتابة. - ما تضيق عن استيعابه الكتب وما تقصر الكتابة عن أن تحيط به.
- (٧) أحاشيك (أقول: حاشاك): أجلك عن فعل شيء..... زاد: دفع، طرد. الحوض: مجمع ماء يشرب منه المؤمنون يوم تقوم القيامة. يوم العرض: يوم الحشر، يوم القيامة.
- (٨) قد يتفق أن يدعو رجل كريم قوماً ثم يرى واغلاً (طفيلياً) ينبع سرهم (جمعهم) فنص الطرف عنه (يسمح بحضوره الوليمة).

لئن قَصَّرَتْ حَطْوِي إِلَيْكَ حَطِيئَتِي وَذَبَّنِي الْأَوْزَارُ عَنْ بَابِكُمْ ذَبًّا (١)،
فمن شِيمَةِ الْعَبْدِ الْفِرَارُ لِرَبِّهِ؛ وَمِنْ شِيمِ السَّادَاتِ أَنْ يُغْفِرُوا الذَّنْبَ!

٤ - ** رحلة النجافي (تونس ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨)، ص ٣٨٠ - ٣٩٣؛ عنوان الأريب
٧٧ - ٧٩؛ مجل تاريخ الأدب التونسي ٣٠٨ - ٣١٠؛ الأعلام للزركلي ٩: ٣١٩
(٨: ٣٤٣).

ابن عتيق المرسي

١ - هو أبو عليّ الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التلّقيّ الأجداد المرسيّ
الأصل السبّقيّ الاستيطان. يبدو أنه انتقل باكراً من مُرْسِيَّة إلى المغرب ونزل بسبّة
فعمل فيها عدلاً من العُدول (عند أبواب الحاكم) ثم دخل في خدمة أمير سبّة وأصبح
كاتباً له.

وفي الإحاطة (١: ٤٨٠) أن ابن عتيق السبّقيّ مُنْتَمٍ إلى صاحب الثورة على
المعتمد (٢). ولعلّ المقصود «المعتضد» الموحّدي (٦٤٠ - ٦٤٦ هـ)، وكان أنصاراً
للمرينيّين قد ثاروا عليه ثم قُتِلَ هو غيلةً في أثناء معاربتهم.

وبدا لابن عتيق السبّقيّ أن يعود إلى الأندلس فانتقل إلى المرية فوقع عياله في أسر
القراصنة (الإسبان أو البرتغاليين؟) فنظم قصيدة في مديح والي المرية من قبيل سلطان
غرناطة الغالب بالله (٦٢٩ - ٦٧١ هـ) يتوسّل إليه أن يساعده في استنقاذ عياله. ولا
شك في أنه أقام في غرناطة مُدَّة (ذَكَرَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي «الاحاطة»). وفي آخر عمره
استدعاه السلطان المرينيّ يوسف الناصر لدين الله (٦٨٥ - ٧٠٦ هـ) واستكّبه. ولعلّ
وفاته كانت سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩١ م) أو بعد ذلك بقليل.

٢ - كان ابن عتيق السبّقيّ مُشاركاً في عددٍ من الفنون: كاللغة والنحو والتاريخ
والأدب والتعاليم (الحساب والهندسة والفلك الخ). وكان بارعاً في لَمِبِ الشُّطْرَنْجِ

(١) ذَبَّ: دفع، طرد. الوزر (بالكسر): الذنب.

اخترع سُفرةً (رُفعة) مستديرةٌ بَدَلُ الرُقعةِ المربَّعةِ. وله تصانيفُ منها الكتابُ الكبيرُ (في التاريخ) وله التلخيصُ المسمَّى «مِيزَانُ العَمَلِ». وكذلك كان شاعراً مقتدرًا وصل إلينا من شعره شيءٌ من النسبِ والمديحِ ثم قصيدةٌ طويلةٌ في الهجاءِ المُفدَعِ الفاحشِ في مالكِ بنِ المرحَلِ - وكان بينهما عداوةٌ ومهاجاةٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال ابنُ عتيقِ السُّبِّيُّ يهجو مالكَ بنَ المرحَلِ (ت ٦٩٩ هـ):

لِكِلَابِ سِنَّةٍ فِي النَّبَاحِ مِدَارُكَ وَأَشْدُّهَا ذَرْكًا لَدُنْكَ مَالِكُ^(١).
 شَيْخٌ تَقَانَى فِي الْبَطَالَةِ عُمُرُهُ، وَأَحَالٌ فَكَيْهِ الْكَلَامُ الْآفَكُ^(٢).
 كَلْبٌ لَهُ فِي كُلِّ عِرْضٍ عَضَّةٌ وَبِكَلِّ مُخَصَّصَةٍ لِبَانٍ فَاتِكُ^(٣).
 أَحْلَى شَائِلِهِ السُّبَابُ الْمُفْتَرَى، وَأَعْفُ سِيرَتِهِ الْهَيْجَاءُ الْمَاعِكُ^(٤).
 يَغْشَى مَحَاطِرَهُ اللَّئِيمُ تَفَكُّهًا، وَيَعَافُ رُؤْيَتَهُ الْحَلِيمُ النَّاسِكُ^(٥).
 فِي شِعْرِهِ مِنْ جَاهِلِيَّةِ طَبَعِهِ أَثْقَالُ أَرْضٍ لَمْ يَنْتَلِهَا فَاتِكُ^(٦).
 إِنَّ سَامَ مَكْرُمَةٍ جَسًا مُتَقَابِلًا يَرِغُو كَمَا يَرِغُو الْبَعِيرُ الْبَارِكُ^(٧)،
 وَيَدِبُّ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ إِلَى الْحَنَاءِ عَدْوًا كَمَا يَعْدُو الظَّلِيمُ الرَّاتِكُ^(٨).
 وَالدهرُ بِأَكْ لَأَنْفِلَابِ صُرُوفِهِ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَهُوَ لِاهٍ ضَاحِكُ.
 وَالسُّنُّ تَنْصَحُهُ بِأَفْصَحِ مَنْطِقِي، لَوْ كَانَ يَنْجُو بِالنَّصِيحَةِ هَالِكُ.

(١) المدرك والمدرك: الوصول (اعتناء على الناس). مالك (بن المرحل).

(٢) البطالة: الهزل. وأحال (غير شكل) فكَيْهِ الكلام الآفك (الكذب).

(٣) المحصنة: المرأة العفيفة (ذات الزوج).

(٤) الماعك! يقصد الشاعر «المك» (يقع فكسر): الأحمق، الشديد الخصومة.

(٥) الرجل اللئيم يدرك أن جملة ابن المرحل خطر عليه ومع ذلك فهو يحضر مجالسه لأن فيها أسباباً للضحك (عليه: على ابن المرحل).

(٦) فاتك (٤). الفاتك هو الكثير الجرأة على الأمور.

(٧) إن سام (لعلمها: إن سم: إذا طُلب منه). جئا: رجع.

(٨) دب: شئ بطه واستغفاه. الجمح: الجانب من الليل. الحناء: العمل القبيح. العدو: الركض. الظلم: ذكر النعام. الراتك: الذي يركض بخطى متقاربة.

تُسب، يا ابنَ تَمِين، فقد جَزَتِ المَدَى
يا ابنَ المَرَحَلِ لو شَهِدْتَ مَرَحَلًا
وأرتاحَ لِقِيَا بِنِكَ مالِك^(١)،
وقدِ أَخْنَى بِالرَّحْلِ مِنْهُ المَارِك^(٢)،
ولأبْتِ للَمِينِ اللثِيمَةَ لَمَحَةً
وعلا بَصْفَ عَرَكَ أذْنِكَ عَارِك^(٣)،
وَشُقِلَتْ عَنْ ذَمِّ الأَنَامِ بِشَاغِلِ،
وَتَسَاكَ خَصَمٌ مِنْ أَيْكَ مَاحِكِ.

- وله قصيدةٌ يمدح بها والي المَرِيَّةِ وكان قريباً للسلطان الغالب بالله:

مُلِقَى النوى ملق لبعض نوالكا، فاشفِ المَحِبِّ ولو بَطَيْفِ خَيَالِكا^(٤)،
لا تَحْسَبَنِي مِنْ فُلاَنٍ أَوْ فُلا، أنا من رجالِ اللهِ ثمَّ رِجالِكا^(٥)،
نَصَبَ العَدُوِّ جَبائِلًا لِحَبائِبي، وَعَلَقْتُ فِي اسْتِخْلاصِها بِجِمالِكا^(٦)،
وكفأكَ شَرَّ العِينِ عَيْبٌ واحِدٌ، لا عَيْبَ فِيهِ سِوَى قُلوْلِ نِصالِكا^(٧)،

الإحاطة ١: ٤٨٠ - ٤٨٤؛ بغية الوعاة ٣٥٤؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٦٣ (٢٤٣).

ابن الغمَّازِ البِلنسي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن سعيد بن محمد بن علي بن مكنف المعروف بابن الغمَّازِ الأنصاريِّ البِلنسيِّ، من أهل

- (١) سِرَّ مالِك (غازن النار) بلبياك (في وقت قريب) لأنك الآن طامن في السُّرِّ. تَمِينُ (!).
- (٢) المَرَحَلُ: الجَدُّ الذي ينسب إليه مالِك هذا. يقول له: المَرَحَلُ ليس اسم الجمل الذي كان يرحل عليه جدك، بل هو اسم جدك الذي كان يحمل عليه الناس أشياءهم فإخنى حاركة (أعلى كتفه) من أجل ذلك.
- (٣) لكت رأيت في جدك لوماً يبدو من عينيه ثم (جاء) من يورك أذنك (بشدّها: احتقاراً لك) ويصفحك أيضاً (كرهاً لك).
- (٤) ملقى النوى (الآتي من مكان بعيد!) ملق..... النوال: العطاء...
- (٥) من فلان أو (فلان) في «فلا» اكفاء (ذكر أحرف نداءً على الحرف المحذوف).
- (٦) حباله (بالضم): الشرك (بفتح فتح). الحباب جمع حبيبة. علفت بجمالك: أحبيتك (المقصود: أصبحت أنا أسيراً لك).
- (٧) النصل: حدّ السيف وغيره. الفلول: التفوق التفتيح. عيبك الوحيد أن سيفك مفلّلة من قتالك الأعداء (من قول النابغة: بين فلول من قراع الكتائب).

بَلْسِيَّةَ، وَكَذَلِكَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مِنْ سَنَةِ ٦٠٩^(١) وَتَلَقَّى الْعَلَمَ عَلَى كَثِيرِينَ يَلْعُونَ مِائَةَ عَدَا. وَقَدْ تَقَلَّ فِي عَدَدِهِ مِنْ مُدُنِ الْأَنْدَلُسِ وَمُدُنِ الْعُدُوَّةِ الْإِفْرِيقِيَّةِ، وَكَانَ يَمْعَلُ فِي هَذِهِ الْبُلْدَانِ فِي الْعَدَالَةِ وَالتَّوْتِيقِ أَوْ يَتَوَلَّى فِيهَا الْقَضَاءَ: تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي بَجَايَةِ مَعَ الصَّلَاةِ فِي جَامِعِهَا الْأَعْظَمِ؛ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ مِرَاراً فِي تُونِسَ وَأَصْبَحَ فِيهَا قَاضِي الْقَضَاءِ. وَيَبْدُو أَنَّهُ تَحَلَّى فِي أَوَاخِرِ عُمُرِهِ عَنِ الْعَمَلِ لِلتَّكْسَبِ وَعَنِ الْمُنَاصِبِ ثُمَّ تَفَرَّغَ لِلرَّوَايَةِ وَالْإِفَادَةِ (التدريس). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي تُونِسَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَيْضاً مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ (١٢/١١/١٢٩٣ م).

٢- ابْنُ الْعَمَّازِ الْبَلْسِيُّ فِي الْأَصْلِ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ وَمِنَ الْفُقَهَاءِ. وَكَانَ شَاعِراً مُحْسِناً سَهَلَ الْقَوْلَ وَاضِحَ الْمَعَانِي، وَعَلَى شِعْرِهِ نَفْحَةٌ دِينِيَّةٌ وَدَلَالٌ مِنَ الْإِخْلَاصِ.

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ شِعْرِهِ

- قَالَ ابْنُ الْعَمَّازِ الْبَلْسِيُّ فِي رَجَاءِ عَفْوِ اللَّهِ:

وَقَالُوا: أَمَا تَخْشَى ذُنُوباً أَتَيْتَهَا، وَلَمْ تَكُ ذَا جَهْلِ فَتُعْذَرُ بِالْجَهْلِ؟
فَقُلْتُ لَهُمْ: هَبْنِي^(٢) كَمَا قَدْ ذَكَرْتُمْ: تَجَاوَزْتُ فِي قَوْلِي وَأَسْرَفْتُ فِي فِعْلِي؛
أَمَا فِي رِضَا مَوْلَى الْمَوَالِي وَصَفْحِهِ رَجَاءً وَمَسَلَّةً لِمُقْتَرَفٍ مِثْلِي^(٣)!

- وَقَالَ فِي مَحَاسِبَةِ نَفْسِهِ:

أَمَا آنَ لِلنَّفْسِ أَنْ تَحْتَمَا؟ أَمَا آنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يُقْلِعَا^(٤)؟
أَلَيْسَ الْثَانُونَ قَدْ أَقْبَلْتِ فَلَمْ تُبْقِي فِي لَذَّةٍ مَطْمَعَا؟
تَقْضَى الزَّمَانَ وَلَا مَطْمَعُ لَهَا قَدْ مَضَى مِنْهُ أَنْ يَرْجِعَا.
تَقْضَى الزَّمَانَ، فَوَاحِرْتَا لَهَا فَاتٌ مِنْهُ وَمَا ضِيْعَا.

(١) عَاشُورَاءُ: الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنَ الْهِجْرَمِ (النَّهْرِ الْفَرَعِيِّ الْأَوَّلِ). هَذَا الْيَوْمُ يَمْعُ (مِنْ سَنَةِ ٦٠٩ هـ) فِي ١٢/١١/١٢٩٣ م.

(٢) هَبْنِي (عَلَى الْحَرِيدِ: مَخَاطَبَةُ النَّفْسِ): لِأَفْرَضَ أَنَا أُنِي...

(٣) مَوْلَى الْمَوَالِي: اللَّهُ. الْمَسَلَّةُ: الْمَلَى وَالسَّلْوُ (السِّيَانُ وَالتَّعْرِي). الْمُقْتَرَفُ: الْمُرْتَكِبُ (لِلذُّنُوبِ الْكَبِيرَةِ).

(٤) آنَ: حَارَ. اقْتَرَبَ (أَلَمْ يَأْتِ الْوَقْتُ بَعْدَ). أَقْلَعُ: رَجَعَ (عَنِ الْعَمَلِ الْقَبِيحِ).

ويا وَيَلْتَسَاهُ لِذِي شَيْبَةٍ يُطِيعُ هَوَى النَّفْسِ فِيمَا دَعَا؛
وَبُعْدًا وَسُخْقًا لَهُ إِذْ غَدَا يَمَّعُ وَعَظًا وَلَنْ يَنْمَعَا^(١)؛
- وقال في التسليم لله في كل شيء:

يا صاحبَ الهَمِّ، إِنَّ الهَمَّ مُنْفَرَجٌ؛ كم من أمورٍ شِدَادِ فَرَجِ اللهِ!
اليأسُ يَقْطَعُ أحياناً بِصَاحِبِهِ. لا تَيَأَسَنَّ فَإِنَّ الفاتِحَ اللهُ.
اللهُ حُبُّكَ فِيمَا عُدَّتْ مِنْهُ بِهِ، وأين يَأْمَنُهُمْ مَنْ حَبَّه اللهُ^(٢).
إِذَا قَضَى اللهُ فَاسْتَسَلِمَ لِقُدْرَتِهِ، ما لِأمرِيهِ حيلةٌ فِيمَا قَضَى اللهُ.
سَلِّمْ إِلَى اللهِ فَمَا شاءَ وَأَرْضَ بِهِ، فَالْحَيِزُ أَجْمَعُ فِيمَا يَصْنَعُ اللهُ.

٤- ** عنوان الدراية ١٢٩ - ١٣٠: الدياج ٧٦ - ٧٩: نفع الطيب ٤: ٣٠٦ - ٣١٧،
٣٢١ - ٣٢٢، ٣٢٩ - ٣٤٠: وفيات ابن قنبل ٣٣٤: درة الحجال ١: ٧٩ - ٨٠،
الأعلام للزركلي ١: ٢١٢ - ٢١٣ (٢٢١).

حافي رأسه

١- هو الشيخ محيي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن أبي
محمد الزناتي الكملاني^(٣) (نسبة إلى قبيلة من البربر) الإسكندراني (نسبة إلى
إسكندرية مصر) الملقب «حافي رأسه»^(٤).

- (١) الحق: البعد الشديد. بعداً وسحقاً جلة قال في الدعاء على المذنب.
(٢) حبسك: يكفبك، كافيك. عدت (التحات) منه (من الذنب) به (بالله). يأمنهم (كذا في الأصل!).
(٣) الكملاني (من بغية الوعاة ٥٧).
(٤) في الوافي بالوفيات (٣: ٣٦٥): «لقب بحافي رأسه لعمرة كانت في دماغه (الحفاص في صدغه). وقيل:
كان في رأسه شيء يشبه (حرف) ح. وقيل: لأنه كان في أول أمره مكشوف الرأس، فأراه رئيس في الشعر
(الإسكندرية) فأعطاه ثياباً جنداً. قال له: هذا ليدي، ورأسني حاف. فأمر له بعمامة. فلزمه ذلك
اللقب». من أجل ذلك يحسن أن يلفظ لقبه: حافي (بكسرتين) رأسه (بالرفع: ضم السين) على أن
«رأسه» «فاعل» «حاف».

وُلِدَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَافِي رَأْسِهِ فِي تَاهَرْتِ (١)، سَنَةَ ٦٠٦ هـ (١٢٠٩ - ١٢١٠ م).
ويبدو أَنَّهُ رَحَلَ مِنْذُ مُطْلَعِ شِبَابِهِ حَتَّى يَكُونَ قَدْ أَخَذَ فِعْلاً عَنِ عَبْدِ النَّمَمِ بْنِ صَالِحِ
التَّمِيمِيِّ (٥٤٧ - ٦٣٣ هـ) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ الْمُهَيْدِ الصَّفْرَاوِيِّ (٥٤٤ - ٦٣٦ هـ)،
وَكِلَاهُمَا حِجَازِيٌّ الْأَصْلُ إِسْكَندَرَانِيٌّ الدَّارِ. وَقَدْ أَخَذَ أَيضاً عَنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
مَخْلُوفِ الْإِسْكَندَرِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَاسْتَقَرَّ حَافِي رَأْسُهُ فِي الْإِسْكَندَرِيَّةِ (فَعُرِفَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالْإِسْكَندَرَانِيِّ) وَتَصَدَّرَ
لِلتَّدْرِيسِ فِيهَا. وَكَانَتْ وَقَاتُهُ فِي رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٣ هـ (٢) (صَيْف ١٢٩٤ م).

٢ - كَانَ حَافِي رَأْسَهُ مِنْ أُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ (النَّحْوِ)، قَالَ الصَّنَدِيُّ (٣):

« هُوَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ الْمُحَمَّدِيِّينَ - مِنْ كِبَارِ النَّحْوَةِ - فِي عَصْرِ وَاحِدٍ: حَافِي رَأْسَهُ فِي
الْإِسْكَندَرِيَّةِ، وَهَاءُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمِ النَّحَّاسُ (٦٢٧ - ٦٩٨ هـ) فِي مِصْرَ
(الْقَدِيمَةِ: مَدِينَةُ عَمْرُو بِالضَّمَّاطِ) وَابْنُ مَالِكٍ (ت ٦٧٢ هـ) فِي دِمَشْقَ. وَكَانَ لِحَافِي رَأْسُهُ
شَعْرٌ.

٣ - مَخْتَارَاتٌ مِنْ شَعْرِهِ

- قَالَ حَافِي رَأْسَهُ يَشْكُرُ الْمُهْجُونَ الَّذِي عَلَّمَهُ الصِّرَاحَ عَلَى الْمُهْجَرِ:

أُمَلِّمِي الصِّرَاحَ الْجَمِيلَ بِهَجْرِهِ فَنَسَى فَوَاداً عَنْهُ لَمْ يَكْ يَنْثَنِي.
لَا بُدَّ مِنْ أَجْرِ لِكُلِّ مُعَلِّمٍ. وَإِلَى السَّلْوِ ثَوَابٌ مَا عَلَّمْتَنِي (٤).

- وَقَالَ يَهْجُو مُتَكَبِّراً (وَيُجْرِي هَذَا الْمُهْجَاءَ فِي تَوْرِيَّةٍ نَحْوِيَّةٍ بَيْنَ رُفْعَةِ الْقَدْرِ
وَالرَّفْعِ فِي النَّحْوِ ثُمَّ بَيْنَ جَرِّ طَرَفِ الثَّوْبِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لِلتَّكْبِيرِ وَالْحَيْلَاءِ وَبَيْنَ الْجُرِّ

(١) فِي الْوَاوِي بِالْوَعَاتِ (٣: ٣٦٥، الطَّرِيقُ الثَّانِي): وُلِدَ بِنِلسَانَ... بظَاهِر. وَفِي بَعْضِ الْوَعَاةِ (ص ٥٧، الطَّرِيقُ
الثَّلَاثُ مِنْ أَسْفَل): وُلِدَ بِنَاهَرْتِ بظَاهِرِ تِلْمَسَانَ.

(٢) مِنْ بَنِيَّةِ الْوَعَاةِ: سَنَةُ ٦٩٣ أَوْ ٣٩١ (عَنْ أَثَرِ الدِّينِ أَبِي حَنَّانٍ). وَفِي فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ: سَنَةُ ٦٨٠.

(٣) الْوَاوِي بِالْوَفَاتِ ٣: ٣٦٥.

(٤) فِي الْأَصُولِ: وَإِلَى السَّلْوِ (وَالْمَعْنَى غَيْرِ مُسْتَقِيمٍ). اقْرَأْ: وَفِي السَّلْوِ أَوْ وَلِكَ السَّلْوِ (لِكَ مَنَى السَّلْوِ: نِيَانِ
الْحُبِّ) أَجْرًا عَلَى تَعْلِيمِكَ إِيَّايَ الصِّرَاحِ.

في النحو. ثم هنالك طباق بين «الرفع» و«الجر»:

وَمُعْتَبِدٍ أَنْ الرِّثَاةَ فِي الكَيْبِرِ ، فَاصْبَحَ مَمْقُوتًا بِهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي ؛
يَجْرُ ذُبُولَ الكَيْبِرِ طَالِبَ رُفْعَةٍ . أَلَا فَاعْجَبُوا مِنْ طَالِبِ الرِّفْعِ بِالْجَمْرِ !

- ويبدو أنه افتقر فباع كُتُبَهُ فَكَتَبَ إِلَى الأمير نور الدين علي بن مسعود الصوائي يطلبُ منه عَوْنًا. في البيتين توريتان: الصواب (الحق، الإصابة) والصوائي (لقب الأمير نور الدين) ثم «بلا كتاب» (بلا كتاب في مكتبي - بلا كتاب مُنزَل):

شَكَوْتُ إِلَيْكَ ، نُوْرَ الدِّينِ ، حَالِي ، وَحَسْبِي أَنْ أَرَى وَجْهَ الصَّوَابِ .
وَكُنِّي بِمَنْهَا وَرَهْنَتْ ، حَتَّى بَقِيْتُ مِنَ المَجُوسِ بِلَا كِتَابٍ !

٤- ** فوات الوفيات ٢: ٢٨٤-٢٨٥؛ الوافي بالوفيات ٣: ٣٦٤-٣٦٦؛ بعية الوعاة ٥٧-٥٨؛ معجم أعلام الجزائر ١٥٨-١٥٩.

عبد العزيز الملزوزي

١- هو عبد العزيز بن عبد الوهاب بن محمد الملووزي النجار الكناسي، كان شاعر البلاط المريني أيام المنصور يعقوب بن عبد الحق (٦٦٧-٦٨٤ هـ) وابنه يوسف (٦٨٥-٧٠٦ هـ). وقد رافق يعقوب المنصور في معظم حملاته في العُدوة الإفريقية وفي الأندلس. وكان المنصور يُكرِّمُه، أجازَه على قصيدته «بمجد الله أفتتح الخطابا» بعشرة آلاف دينار! وأجازَ مُشِيدَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ أبا زيد الغرابي بألف دينار! وكانت وفاة عبد العزيز الملووزي سنة ٦٩٧ (١٢٩٧-١٢٩٨ م).

٢- عبد العزيز الملووزي شاعرٌ مُكثِّرٌ له قصائدٌ طوالٌ ومُقطَّعاتٌ قصارٌ في المدح والوصفِ والنسيب. وقد حاولَ نظمَ ملاحمَ تَوْفَرٍ له فيها عُنْصُرًا الإطالةَ والسُرْدَ التاريخيَّ لسير الملوك، ولكن لم يتوفَّر له فيها عُنْصُرًا الخيالِ والقَصَصِ المُحْكَمِ. ثم هو مؤلِّفٌ له كتابٌ في تاريخ المغرب (لم يجعلَ له عنوانًا). وله أرجوزةٌ «نظم السلوك في من نزل المغرب من الملوك».

- قال عبد العزيز الملزوي:

لِمَرَّاكُسٍ فَضَّلَ عَلَى كُلِّ بَلَدَةٍ، وما أبصرت عيناً لها من مُشَابِهٍ.
وما هيَ إِلَّا جَنَّةٌ قَدْ تَزَحْرَفَتْ، ولكنها حُفَّتْ لَنَا بِالْمَكَارِهِ^(١).

- وقال في النسيب:

أَعْلَمْتِ بَعْدَكَ زَفْرَقِي وَأَنْبِي وصَابَتِي يَوْمَ النَّوَى وَشُجُونِي^(٢)؟
مِنْ بَعْدِ بُعْدِكَ مَا رَكَنْتُ لِرَاحَةٍ يوماً، وَلَا غَاضَتْ عَلَيْكَ شُؤُونِي^(٣).
قَد كُنْتُ أَبْكِي الدَّمْعَ أَيْضًا نَاصِعًا، فالْيَوْمَ تَبْكِي بِالذِّمَاءِ جُفُونِي.
قُلْ لِلَّذِينَ قَدِ ادَّعَوْا فَرْطَ الْهَوَى: إِنْ سِتْتُمْو عَلَيَّ الْهَوَى فَلَوْنِي.
إِنِّي أَخَذْتُ كَثِيرَهُ عَنْ عُرْوَةٍ وَرَوَيْتُ سَائِرَهُ عَنِ الْمَجْنُونِ^(٤).

- وقال يرفعُ نَسَبَ بَنِي مَرَيْنٍ - وَهُمْ فَخِذٌ مِنْ زَنَاتَةَ - إِلَى قَيْسِ عَيْلَانَ مِنْ عَرَبِ الشَّهَالِ:

قَد جَاوَرَتْ زَنَاتَةَ الْبِرَابِرَا فَصَيَّرُوا كَلَامَهُمْ كَمَا تَرَى^(٥).
مَا بَدَّلَ الدَّهْرُ سِوَى أَقْوَالِهِمْ وَلَمْ يَسُدِّلْ مِنْتَهَى أَحْوَالِهِمْ^(٦).
بَلْ فَعَلَّهُمْ أَرْبَى عَلَى فِعْلِ الْعَرَبِ فِي الْحَالِ وَالْإِيثَارِ تَمَّ فِي الْأَدَبِ^(٧).

(١) تزحرفت: تزينت. في الحديث الشريف: «حفت الجنة بالمكاره» (أي أن استحقاق الدخول إلى الجنة يقتضي القيام بعدد من الأعمال - الواجبات وأوجه الإحسان - وهذه تقبله في العادة على النفس الإنسانية).

(٢) الصابية: الحب. النوى: البعاد (الفراق). الشجن (يفتح ففتح): الحزن.

(٣) الثأن: بحري الدمع من العين.

(٤) عروة بن حزام (بكرس الحاء) ومجنون بني عامر (قيس بن الملوح: يفتح الواو الشددة) من الشعراء المهين المدريين في العصر الأموي.

(٥) - أصبح كلام بني زناتة الآن قريباً من البربرية لأنهم بربر، بل لأنهم جاوروا البربر!

(٦) - لظنهم أصبحت بربرية، ولكن أطفالهم لا تزال عربية!

(٧) أرى: زاد. الإيثار: تفضيل الآخرين على النفس. حتى أن النتائج الأدبي في زناتة (في النثر والشعر) أحسن منه عند العرب الأصحاح.

فَانظُرْ كَلَامَ الْعُرْبِ قَدْ تَبَدَّلَا وَحَالُهُمْ عَنِ حَالِهِ تَحْوَلَا^(١)؛
لَا يَعْرِفُونَ الْيَوْمَ مَا الْكَلَامُ، وَمَا لَهُمْ نُطْقٌ وَلَا إِفْهَامٌ^(٢).
كَذَلِكَ كَانَتْ قَبْلَهُمْ مَرِينُ كَلَامُهُمْ كَالسُّدْرِ إِذْ يَبِينُ^(٣).
فَاتَّخَذُوا سِوَاهُمْ خَلِيَلَا فَبَدَّلُوا كَلَامَهُمْ تَبْدِيلَا

٤- ** الاستقصاء ٢: ٣١؛ الأدب المغربي ٢٢٦-٢٣٠؛ النبوغ المغربي ٢٢٦ (ترجمته).
٩١٢ الج.

بدر الدين بن هود

١- هو بدرُ الدين أبو عليّ الحسنُ بنُ عليّ بن يوسف بن هودِ الجُدَامِيّ المُرسِيّ، قيل هو أخو المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هودِ المستبدِّ بِبَيْتَةِ الأندلس في أيامه (٦٢١-٦٣٥ هـ)^(١).

وُلِدَ بدرُ الدين بنُ هودِ في مُرْسِيَّةَ، سَنَةَ ٦٣٣ للهجرة (١٢٣٥-١٢٣٦ م). وَأَسْتَفَلَ حِينَمَا بِالطَّبِّ وَالْحِكْمَةِ ثُمَّ صَجِبَ الْمُتَصَوِّفَ أَبِي سَبِيحٍ (ت ٦٦٩ هـ). ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ وَدَخَلَ الْيَمَنَ وَقَدِمَ إِلَى الشَّامِ وَأَسْتَقَرَّ فِي دِمَشْقَ حَيْثُ تُوُفِيَ فِي ٢٦ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٦٩٩ (١٣٠٠/٦/١٦ م).

٢- يبدو أن بدرَ الدين بن هودِ كان ذا اضطرابٍ عَصَبِيٍّ فَاتَّجَهَ مِنْذُ مَطْلَعِ حَيَاتِهِ إِلَى سُلُوكِ الأحوالِ الصوفيةِ عَادَةً أَوْ دَعْوَى وَنَشَأَ عِنْدَهُ قَلَّةٌ مَبَالِغَةً بِالْعُرْفِ الأجتاعيِّ

(١) - حتّى العرب الطارئون على العرب تبدلت لهجنتهم لأنهم هم أيضاً جاؤروا البربر.

(٢-٣) المعنى المقصود في هذه الأبيات ملوح من استقراء الأبيات السابقة.

(٤) يسوق الصفدي (الوفاي بالوفيات ١٢: ١٥٦) نسب بدر الدين بن هود على الصورة التالية: الحسن بن عليّ أبو علي بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس (٦٣١-٦٣٥) أبي عبد الله أبي يوسف بن هود. ويسوقه الصلاح الكندي (وفيات الوفايات ١: ١٦٣): الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس بن يوسف بن هود الجُدَامِيّ. واللسان غير واضح. غير أن مراجعة تاريخ الوفاة لبدر الدين هذا والملك الأندلسي يمكن أن يدل على أن ابن هود ملك الأندلس عم بدر الدين صاحب هذه الترجمة (راجع - مثلاً - زاماور ٩٣).

والديني. حَدَّثَ لَهُ زُهْدٌ مُفْرَطٌ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَصَحِبَ ذَلِكَ غَفْلَةً شَدِيدَةً فَكَانَ يُرَى كَأَنَّهُ غَارِقٌ فِي التَّفَكِيرِ مُتَّصِلٌ الْحُزْنَ كَثِيرُ الْإِنْتِبَاضِ عَنِ النَّاسِ، وَشَرِبَ مَرَّةَ الْحَمْرِ عَلْنَا وَلَمْ يُبَالِ بِلَوْمِ النَّاسِ فَكَانَ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: «وَمَا جَرَى؟ أَيْنُ هُوِدٍ شَرِبَ خُرّاً». وَكَثُرَ الشُّطْحُ^(١) فِي كَلَامِهِ وَفِي أَعْمَالِهِ، فَكَانَ، مَثَلًا، إِذَا طَلَمَتِ الشَّمْسُ اسْتَقْبَلَهَا وَصَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ. فَغَدَّ نَفَرٌ كَثِيرُونَ ذَلِكَ مِنْهُ خُرُوجًا عَنِ الْإِسْلَامِ. فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَاعَةَ (٦٣٩ - ٧٣٣ هـ).

وبدُرُ الدِّينِ بِنِ هُوْدٍ شَاعِرٌ مُكْتَبِرٌ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ، فِي بَعْضِ شِعْرِهِ تَلْمِيحٌ وَفِي بَعْضِهِ تَصْرِيحٌ. وَبَعْضُ شِعْرِهِ مَتِينٌ السَّبْكَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ. وَكَانَ يَمِيلُ فِي تَصَوُّفِهِ إِلَى وَحْدَةِ الْوُجُودِ أَوْ الْإِتِّحَادِ^(٢)، وَهُوَ - فِي ذَلِكَ - كَثِيرُ الشُّبْهِ بِعَمْرٍ بِنِ الْفَارُضِ.

٣- مختارات من شعره

- قَالَ بَدْرُ الدِّينِ بِنِ هُوْدٍ الْمَرْسِيَّ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ التَّصَوُّفِ:

فَوَادِيٍّ مِنْ مَحْبُوبِ قَلْبِي لَا يَخْلُو، وَسِرِّي عَلَى فِكْرِي مَحَاسِنَهُ يَجْلُو^(٣).
 أَلَا يَا حَبِيبَ الْقَلْبِ: يَا مَنْ بَدَّرَهُ عَلَى ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي شَاهِدٌ عَدْلُ^(٤)،
 تَجَلَّيْتُ لِي مَنِّي عَلَيَّ فَأَصْبَحْتُ صِفَاقِي تُنَادِي: مَا لِمَحْبُوبِنَا مِثْلُ^(٥)!
 أَوْرِي بِذِكْرِ الْجَزَعِ عَنِّي وَبِأَنهِ؛ وَلَا الْبَانُ مَطْلُوبِي وَلَا قَصْدِي الرَّمْلُ^(٦).
 وَأَذْكُرُّ سَعْدِي فِي الْحَدِيثِ مُغَالِطًا وَلَيْلِي؛ وَلَا لَيْلِي مُرَادِي وَلَا جَمَلٌ.

- (١) الشُّطْحُ: كَلَامٌ عَلَيْهِ رَعُونَةُ (حَقَّةٌ وَحَقٌّ وَخُرُوجٌ عَنِ الْمَأْلُوفِ).
- (٢) مَذْهَبُ الْوَحْدَةِ (وَحْدَةُ الْوُجُودِ) أَوْ الْإِتِّحَادِ (فِي التَّصَوُّفِ): أَنْ يَفْقَدَ التَّصَوُّفُ شَخْصِيَّتَهُ تَمَّ تَحَقُّقُ ذَاتِهِ فِي اللَّهِ فَيَفْقَدُ الْإِنْسَانَ وَيَبْقَى اللَّهُ.
- (٣) سِرِّي يَجْلُو (يُظْهِرُ) مَحَاسِنَ مَحْبُوبِي لِمَكْرِي.
- (٤) عَلَى ظَاهِرِي مِنْ بَاطِنِي (رَاجِعُ الْحَاشِيَةِ السَّابِقَةِ): سُلُوكِي الظَّاهِرِ الْخَالِفِ لِعَقْدَانِ النَّاسِ تَوَعُّهُ (بِغَيْرِهِ) مَعْرِفَتِي الْبَاطِنَةِ.
- (٥) تَجَلَّيْتُ (ظَهَرَتْ حَقِيقَتُكَ لِي). لِي مَنِّي عَلَيَّ (رَاجِعُ الْحَاشِيَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ): التَّصَوُّفُ لَا يَسْتَدَلُّ بِالْمُنْتَقِ وَبِالْبِرَاهِينِ الْخَارِجَةِ، بَلْ يَأْتِيهِ فِي قَلْبِهِ (فِي نَفْسِهِ) مِنَ الْإِتِّحَادِ الذَّاقِي (أَوْ الْوَهْمِ).
- (٦) وَرَى: ذَكَرَ شَيْئًا وَهُوَ يَرِيدُ غَيْرَهُ. الْجَزَعُ: مَحْطَفُ الرَّمْلِ. الْبَانُ: شَجَرٌ أَغْصَانُهُ طَوَالٌ مُسْتَقِيمَةٌ سَمْرَاءٌ.

ولم أرَ في العُثاقِ مثلي، لأنِّي
 سبوى مشرٍ حلّوا النُّظامَ ومزّقوا النِّدَّ
 مجانين، إلّا أنْ ذلَّ جُنونهم
 تَلدُّ لي البَلوى ويحلّو لي العَذلُ^(١)،
 يباب؛ فلا قَرَضٌ عليهم ولا نَقْلُ^(٢)؛
 عزيزٌ؛ على أعتابهم يسجدُ العقلُ^(٣)!

- وله في مثل ذلك (في العزة الإلهية):

خُضْتُ الدُّجَنَةَ حتّى لَاحَ لي قَبَسٌ
 فقلتُ للقوم: هذا الرِّبُّعُ رَبُّهُمْ؛
 وقلتُ للمين: غُضِّي عن عَماينِه؛
 وقال بدر الدين بن هود أيضاً:
 وبان بان الحِمْي من ذلك القَبَسِ^(٤).
 وقلتُ للسمع: لا تَحَلُّو من الحَدَسِ^(٥).
 وقلتُ للنُّطق: هذا موضِعُ الحَرَسِ!

عَلِمُ قومي بِي جَهْلٌ
 أَنَا عِبْدٌ، أَنَا رَبٌّ؛
 أَنَا دُنْيَا، أَنَا أُخْرَى،
 أَنَا مَشُوقٌ لِدُنِّي،
 فَوْقَ عَشْرِ دُونَ تِسْعِ
 إِنَّ شَأني لأَجْمَلُ^(٦).
 أَنَا عِزٌّ، أَنَا ذُلٌّ^(*).
 أَنَا بَعْضٌ، أَنَا كُلٌّ.
 لستُ عَنِّي الدَّهْرَ أُسَلِّو.
 بَيْنَ حَسْرٍ لي مَحَلٌّ^(٧).

٤- ** الوافي بالوفيات ١٢: ١٥٦-١٥٩؛ فوات الوفيات ١: ١٦٢-١٦٣؛ المعبر للذهبي ٥: ٣٩٧؛ شذرات الذهب ٥: ٤٤٦؛ الأعلام للزركلي ٢: ٢٢١ (٢٠٣).

- (١) البلوى: الهنة (المصيبة الكبيرة). العذل: اللوم (بلا صوغ).
- (٢) حلّوا النظام: تركوا التقيّد بالعرف السائد. مزّقوا الثياب: تركوا مظاهر الأمور وعملوا بمخافتها (في ظنهم أو وهمهم). الفرض (الواجب في الدين). النفل (ما يقوم به الإنسان متطوعاً): صوم رمضان فرض على المسلم البالغ العاقل الصحيح (غير المريض). أمّا صوم غيره من الأيام فهو نفل.
- (٣) عزيز: قوي (نفس، نادر، مرغوب فيه).
- (٤) الدجّة: الظلام. قبس: شيء يؤخذ من النار (العزة الإلهية). بان: ظهر. البان: نبات أغصانه مستقيمة. الحمى: المكان الحصين. بان الحمى (مدرك الألوية).
- (٥) الربيع: المسكن.. الحدس (يسكون الدال): الظن، التوهم.
- (٦) أجل: أرفع، أعلى قدراً. * كلمة «أنا» رسم «أنا» ولكن تلفظ «أن» (بإسقاط «الألف»).
- (٧) البيت غير واضح (لعلّ المقصود: لي وجود في كلّ مكان).

ابن فَرَحٍ (١) الإشبيليُّ

١- هو شهابُ الدين أبو العباس أحمدُ بنُ فَرَحٍ بن أحمد بن محمد بن فَرَحٍ اللَّخْمِيّ الإشبيليّ، وُلِدَ في إشبيلية سنة ٦٢٥ (١٢٢٨ م). وفي سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م) استولى فرديناندُ الثالثُ ملكُ قُشتالة على إشبيلية فكان ابن فَرَحٍ في الدين وقعوا في الأسر (وهو في مطلع شبابه) فاستطاع الهرب. ثم إنه رحَلَ إلى مِصرَ في أوائل عَشْرِ الحُسين (بُعِيد ٦٥٠ هـ) وتَفَقَّه فيها على العِزِّ (عِزِّ الدين عبد العزيز) بن عبد السلام (٥٧٧-٦٦٠ هـ) وسَمِعَ من شرف الدين الأنصاري الحمويِّ وأحمد بن زين الدين وإسماعيل بن عزَّوزٍ والنجيب بن الصيقل وابن علاَّق. ثم إنه انتقل (بعد مُدَّة) إلى دِمَشقَ فَسَمِعَ من ابن عبد الدائم (٥٧٥-٦٦٨ هـ). ثم كانت له في الجامع الأمويِّ حَلْفَةٌ مشهودة.

وكانت وفاةُ ابن فَرَحٍ الإشبيليِّ في دِمَشقَ في تاسع جُمادى الثانية من سنة ٦٩٩ (١٣٠٠/٣/٢ م).

٢- كان ابنُ فَرَحٍ الإشبيليُّ من علماء الحديث ورواته ومن الفقهاء. وهو ناظِمٌ مقتدر، اشتهر بقصيدته (القصيدة الغرامية) وهي منظومة غزلية (ظاهرها غزلٌ) في ألقاب الحديث. هذه القصيدة عَشْرُونَ بيتاً جَمَعَ فيها ابنُ فَرَحٍ عدداً من أسَاء الحديث. وقد كان لها شهرةٌ، رواها عنه كثيرون وشرَّحها كثيرون آخرون (٢). وله أيضاً: شرح الأربعين (حديثاً) للتَّووي.

٣- مختارات من شعره

من قصيدة ابن فَرَحٍ الإشبيليِّ في ألقاب الحديث (٣).

-
- (١) فرح بسكون الراء، وقد نصَّ المغربي على ذلك (نفع الطيب ٢: ٥٣١).
- (٢) في نفع الطيب (٢: ٥٣١): وقد شرح هذه القصيدة جماعة من أهل المشرق والمغرب بطول تعدادهم. راجع ما طبع من هذه الشروح (بروكلمن، الملحق ١: ٦٣٥).
- (٣) جمعت كلَّ لقب من ألقاب الحديث مطبوعاً بحرف غلظ. ولم أفرَّ هذه الألقاب لأنها ترد هنا في =

غرامي صحيح والرجافيك مُفضِّل^(١)،
وصبري عنكم يشهد العقل أنه
ولا حنّ إلا سماع حديثكم
وأمرني موقوف عليك، وليس لي
ولو كان مرفوعاً إليك لكنت لي
وعذّل عذولي منكر لا أسيفه
أقضي زماني فيك متصلّ الأسى
خذ الوجد عني مُندأ ومُعتمناً
غريب يقاسي البعد عنك، وما له
فرقناً بقطع الوسائل ما له
أورّي بسعدى والرباب وزينب،^(٢)

وحزني ودمي مُطلق ومُكَلِّ.
ضيف ومترك، وذلي أجمل.
مُشافة يملى علي فأنقل.
على أحد إلا عليك الموعَل.
- على رُغم عذالي - ترق وتعدل.
وزور وتدلّيس!! يُردُّ ويهمَل.
ومنقطعاً عما به أتوصل.
فغيري موضوع الهوى يتحيل.
وحق الهوى عن داره متحوّل.
إليك سبيل لا ولا عنك معدّل.
وأنت الذي تُعنى وأنت المومَل.

٤- ** الوافي بالوفيات ٢ : ١٤٢ ؛ درة المجال ١ : ٣٦-٣٧ نفع الطيب ٢
٥٢٨-٥٣١ ؛ شذرات الذهب ٥ : ٤٤٣-٤٤٤ ؛ بروكلمان ١ : ٤٥٩ ، الملحق ١
٦٣٥ ؛ الأعلام للزركلي ١ : ١٨٦ (١٩٤-١٩٥) ؛ نيكل ٣٦٠ .

مالك بن المرحّل

١- هو أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج
المعروف بابن المرحّل، وُلِدَ في مالقة سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧-١٢٠٨ م). أخذ عن أبي
علي الثلوبيني (ت ٦٤٥ هـ) وابن الدبّاج وقد تولّى القضاء في عددٍ من الأماكن بعضها
في نواحي غرناطة. ثم إنّه انتقل إلى المغرب وسكّن سنةً وتماطى فيها صناعة التوثيق،

= • تورات • (السمى اللطفي اللموي في مقابن المسمى الفتي). بطول شرحها، مع أن المقصود ليس غامضاً.
أما ألقاب الهديث: صحيح سلسل موقوف مرفوع ضيف إلخ فهي موجودة في معظم القواميس.
(١) المصل: المرض الذي عجر الأطباء عن مداوانه.
(٢) أورّي (أوهم) بسعدى إلخ (إن تعزلي هؤلاء النسوة...)

وقد آجازه في ذلك أبو القاسم بن بقي.

تقرَّب مالك بن المرحَّل من المنصور المبرِّقي (٦٥٦ - ٦٨٥ هـ) وخصَّه بمدائحه. وكانت وفاة مالك بن المرحَّل سنة ٦٩٩ هـ (١٢٩٩ - ١٣٠٠ م) في سنة.

٢- كان مالك بن المرحَّل سبقيُّ مشاركاً في عددٍ من العلوم كاللِّغَةِ واللُّمَّة والنَّحو، كما كان من مشاهير الأدباء (نفع الطيب ٢: ٥٥١) كاتباً ومترسلاً وشاعراً. وفنون شعره مديحٌ وبديعيات^(١) ووصفٌ وتحليلٌ مع شيءٍ من المرحِّح أحياناً ومن التهكم في نشره وشعره. وكان له عددٌ من الآثار: ديوان شعره - كتاب دويبت^(٢) - أرجوزة نظَّم بها «فصيح نعلب»^(٣) - الواضحة (نظم في الفرائض: تسمي الإرث) - أرجوزة في النحو - الموطأ - التبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير (عارض به الناطية)^(٤) - العروض - الرمي بالحصى والضرب بالعصا - الوسيلة الكبرى المرحَّج نفماً في الدنيا والأخرى (رتبها على حروف المعجم والتزَّم اقتتاح أبياتها بحروف الروي)^(٥) - المعشرات النبوية (على نسق «الوسيلة الكبرى»، ولكن عدد الأبيات في كلِّ مقطوعة أقل) - العشریات الزهدية (لآثار الثلاثة الأخيرة في مدح الرسول).

٣- مختارات من آثاره

- وَقَعَ في كلام ابن المرحَّل تعبيرٌ هو «كان ماذا» فخطَّاه ابن أبي الربيع النحوي وقال: الصوابُ «ماذا كان». فجرت بين الاثنين مُناظراتٌ لم يصل إلينا تماماً قاله فيها ابن أبي الربيع شيءٌ، ولكن وصل إلينا بعض ما قاله ابن المرحَّل. من ذلك:
عابَ قومٌ «كان ماذا» لِيستَ شِعْري لِمَ هَذَا.

(١) الديمية: قصيدة في مدح الرسول.

(٢) شافي (مردوجات: بيتان بيتان من الشعر) من الوزن العارسي وعلى تقفية مميبة.

(٣) هو أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ) من أئمة اللغة والنحو ومن رواة الشعر.

(٤) أرجوزة في القراءات للقاسم بن فيره الناطي (ت ٥٩٠ هـ).

(٥) راجع مؤشحة في «مختارات من آثاره». على حروف المعجم (على جميع أحرف الهجاء، من الألف إلى الباء. وكل بيت في المؤشحة - مجموع أشطر - يبدأ في مطلعته بحرف ثم يكون هذا الحرف قافية ذلك البيت في المؤشحة).

وإذا عابوه جهلاً دون علم، كان ماذا!

(ثم قال مالك بن المرحل يُخاطب ابن أبي الربيع):

لا بد لك أن تُصيح من تحت طبقٍ على طبقٍ نيران^(١): كان ماذا؟ «نادوا: يا مالك، لبئس علينا ربك! قال: إنكم ما تكون. لقد جئناكم بالحق، ولكن أكثركم للحق كارهون»^(٢).

إلى كم تُعبدُ في «كان ماذا» تقييداً بعد تقييدٍ؟ لقد حصلتَ منها في أمرٍ شديد. إلى كم تُعبدُ فيها وتُبديء وتُنظِّم وتُنشيء؟ غرَّك احتيالي لقدحك ومزحك وصبري على ألم جرحك، حتى قلت: «ما جرح يميت إيلام»^(٣).

انتَهزت الفرصة في إذاية صبور، ودلَّك جلمه في غرور^(٤) حتى قلت:

كُلَّ جلمٍ أتى بغير احتيالٍ حجةً لاجيءٍ إليها اللئام^(٥)!

تالله، لو نُهِيت الأولى لانتَهت الآخرة^(٦) ولم تكن الفارقة تُسمُّها الفارقة^(٧). ولكن أغضيتُ على القذى وصبرتُ على الأذى حتى قيل: لو قدَرَ لانتصر! واتصل الأمرُ فصار ديدناً^(٨)، فلا جرَم أن أتمقَّب كلامك وألفتَ عليك لامك فأقول، وإنَّا أخطبُ من سمعَ خطابي ونظر في كتابي.

(١) الطبق (ها): الحال. طبقاً عن طبق: حالاً بعد حال، أي إذا أنت بت (بكر الميم) فتدخل النار (راجع القرآن الكريم ٨٤: ١٩، سورة الإنشاق).

(٢) مالك: حازن جهنم (راجع القرآن الكريم ٤٣: ٧٧-٧٨ سورة الزخرف). لبئس علينا ربك: يظلمون من الله أن يبينهم (حتى يتخلصوا من العذاب في جهنم). ماكون: باقون (إلى الأبد).

(٣) شطر للمتي.

(٤) دلى الرجل شيئاً في مكان عميق (أنزله، أغرقه).

(٥) البيت للمتي. والرواية: بغير اقتدار.

(٦) لو أنك وجدت من هناك (نصح لك) حيناً أخطأت في المرة الأولى لانتَهت في الآخرة (لما أخطأت مرة ثانية ولما عوقبت مرة بعد مرة).

(٧) الفارقة (القرآن الكريم ٧٥: ٢٥ سورة التوبة): المصيبة الكبيرة التي تكسر قوار (جمع قفارة، بالفتح فيها): عظام مسللة الطهر.

(٨) الديدن: العادة.

(٩) اللام: الهول، الأمر الشديد (لا يُد من أن أتابع أقوالك وأردَ عليك الأذى الذي تريد أن تلحقه بي).

- لابن المرحّل السّبيّ مَوْصَحَةٌ بديعية (في مدح الرسول) « من غرّر القصائد، وفيها لزومٌ ما لا يلزم من ترتبها على حروف المعجم يجعلها (أي يجعل حروف المعجم) بدأً وروياً على اصطلاح المغرب » (نفع الطيب ٧: ٤٥٣ وما بعد): من هذه البديعية:

ألف: أَجَلُ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ

بضائه شمسُ النهار تُضيءُ

وبه يُؤمَلُ مُحَيَّنٌ ومُسيءُ

فضلاً من الله العظيم عظيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً

باء: بَدَأَ فِي أَفْقِ مَكَّةَ كَوْكَبًا،

ثمّ اعتلى فجلاً سناه النّهبها

حتى أثارَ الدهرَ منه وأخصبها،

إذ كان فيضُ الخيرِ منه عيماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

ثاء: ثَوَى فِي الْأَرْضِ مِنْهُ حَدِيثٌ

فِي كُلِّ أَفْقٍ طَيْبُهُ مَبْنُوثٌ.

داع بأنواع الهدى مَبْنُوثٌ

يتلو نُجوماً أو يُهزُّ نُجوماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

نون: نَبِيٌّ جَاءَ نَا بَيَّانٍ

وَبِمُعْجَزَاتٍ أُبْرِزَتْ لِيَمَانٍ.

وبخبره أن جاء بالقرآن

يُثَنِّي قُلُوباً تَشْتَكِي وَجُوماً. صلّوا عليه وسلّموا تسليماً.

- وَقَالَ يَصِفُ قِصَرَ اللَّيْلِ:

وَعَشِيَّةٍ سَبَقَ الصَّبَاحُ عِشَاءَهَا فَاصْفَاءً، فَهَا أَمْسَيْتُ حَتَّى أَسْفَرًا^(١).

سَكِيَّةٌ لَبَسَتْ حُلِيَّ ذَهِيَّةً، وَجَلَا تَبَسُّمُهَا نِقَاباً أَحْمَرَ^(٢)؛

(١) أسفر (الصبح): بدأ، ظهر.

(٢) سَكِيَّةٌ: كلون المسك (في الواد). لبست حل ذهبية (تلعب من كثرة النجوم) وجلت تبسمها نقاباً أحمر (أول ظهور =

وكانَ شُهَبَ الرَّجَمِ بَعْضُ حُلِيِّهَا عَثَرَتْ بِهِ مِنْ سُرْعَةٍ فَتَكَرَّرَا^(١).

- وقال في الثُّرَاءِ الَّذِينَ يَفْتَحُونَ قِصَائِدَهُمْ بِالغَزَلِ (مُسْتَحِينًا طَرِيقَتَهُمْ):

ضَلَّ الْمُحِبُّونَ إِلَّا شَاعِرًا غَزَلًا يُطَارِحُ الْمَدْحَ بِالنَّشِيبِ أَوْ طَارًا^(٢)،

لَا يَشْتَكِي الْحُبَّ إِلَّا فِي مَدَائِحِهِ - دَعَوَى - لِيُصْنِفِي أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا^(٣).

كضارب العودِ وَشَى فِيهِ تَوْشِيَةً، وبعدَ ذلك غَنَى فِيهِ أَسْمَارًا^(٤)!

- وقال في السَّيْبِ (وقد جَانَسَ بَيْنَ عَيْنٍ حَرًّا وَسَاقٍ حَرًّا - وَسَاقٍ حَرًّا ذَكَرَ الْقَهَّارِيُّ:

الْحَمَامُ، وَهُوَ يُحَدِّثُ صَوْتًا عَذْبًا لَا يُدْرِي أَبْكَاءَ هُوَ أَمْ غَنَاءَ):

رُبَّ رَبْعٍ وَقَفْتُ فِيهِ وَعَهْدٍ لَمْ أَجَاوِزُهُ وَالرَّكَائِبُ تَسْرِي

أَسْأَلُ الدَّارَ - وَهِيَ قَفْرٌ خِصْلَاءُ - عَنِ حَبِيبٍ قَدْ حَلَّهَا مِنْذُ دَهْرٍ،

حَيْثُ لَا صُنْعِدُ عَلَى الْوَجْدِ إِلَّا عَيْنُ حَرٍّ تَجُودُ أَوْ سَاقُ حَرٍّ^(٥)!

٤- ** بغية الوعاة ١٣٨٤، نفع الطيب ١٤٥: ٤ (مسألة «كان ماذا»)، ج ٧: ٤٥٣-٤٥٩؛

أزهار الرياض، راجع ١: ٣٢؛ الأدب المغربي لتاويت ٢٢١-٢٢٥؛ السبوح المغربي

لكون ٢٢٥-٢٢٦، ٣٩٩-٤١٥، ٧٢٥-٧٢٧، ٩١٢-٩١٧؛ بروكلس ١:

٣٢٣-٣٢٤، الملحق ١: ٤٨٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٦؛ ١٣٨ (٥: ٢٦٣، ٧:

٢٠١-٢٠٢).

= (المعبر) فإيا أحر (اللون الأحمر على الأفق الشرقي قبل طلوع الشمس).

(١) شهب (غيوم الرجم): البيازك: (قطع من الحجارة تنفلت من مدارات الكواكب فتجذب نحو الأرض، فإذا مرت في جو الأرض استعملت من احتكاكها بالهواء).

(٢) النشيب: الغزل. أوطار جمع وطر: غاية، مقصد (بكسر الصاد). - بطارح المدح (يجمل قبل المدح): يبدأ قصائده بالغزل.

(٣) - هو غير محب، ولكنه يشكو الحب في شره ليستميل الأسماع لسباع مديحه التالي.

(٤) من عادة العواد (ضارب العود) أن يبدأ بتقريع (عزف بيرو، قليل) قبل أن يبدأ هو بالغناء. الركائب جمع ركوبة (بالفتح): دابة معدة للركوب. تسري: تسير في الليل.

(٥) المسعد (العين، المثارك). الوجد (أم الحب). عين حرّ (رجل حرّ يكيي ملك فيخفف شيئاً من مصيبك) أو ساق حرّ (طير يهني فيسبك غناؤه العذب بعض أملك).

يحيى بن عليّ اليفرقيّ

١- هو أبو زكريّا يحيى بن عليّ بن سلطان اليفرقيّ، يبدو أنّ أصله من المغرب الأقصى^(١). وُلد يحيى بن عليّ سنة ٦٤١ للهجرة (١٢٤٣-١٢٤٤ م). وكان يُقرىء العربية (النحو) في تونس فتخرّج به نُخبته من نُجباء تونس حتّى أصبح له فيها صيتٌ عظيم. وكانت وفاته سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠-١٣٠١ م).

٢- كان يحيى بن عليّ اليفرقيّ عالماً بالقراءة والتفسير والفقه والنحو والأدب، ولكنّ براعته كانت في النحو وحده فكان يُلقبُ في المشرق «جبلَ النحو». واليفرقيّ هذا يعدُّ نفسه من المجتهدين في الفقه فلا يُحيزُ مثلاً نكاحَ الكتابيات^(٢). وهو أيضاً شاعر رقيقٌ مُحينٌ.

٣- مختارات من شعره

- قال يحيى بن عليّ اليفرقيّ في الغزل:

ماذا على الفُضنّ الميَّاس لو عَطَفَا على صُبايةِ صَبِّ حالفِ الدَّنَفَا^(٣) ؟
يا رَحمةَ لَعُوادي مِنْ مُعَدِّبِهِ، كمَ ذا يُحْمَلُهُ أَنْ يُحْمِلَ الكَلْفَا^(٤) !
ويا رعى الله داراً ظلَّ يَجْمَعُنَا في ظِلِّ عيشِ صفا مِنْ صَيِّبِهِ وَضَفَا^(٥) .
مودةً يَتَنَسَا في الحُبِّ كاملةً ونحنَ لا نَعْرِفُ الإِعْرَاضَ وَالصَّلْفَا^(٦) .

٤- ** بعية الوعاة ١٤١٢ نفع الطيب ٤ : ١٤٦ - ١٤٧ .

- (١) برون، بيران، ايفران في المغرب الأقصى.
- (٢) الكتابية: المرأة من أهل الكتاب كاليهود والنصارى: وهذا رأى الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، ولكنّ معظم فقهاء المسلمين يجيزون ذلك.
- (٣) الصباية (بضم الصاد): بقية الحياة. الصبّ: الحبّ. الدنف: اشتداد المرض والإشراف منه على الموت.
- (٤) الكلف: الولوج بالشيء، احتال الأمر بشقّة.
- (٥) دار مؤنّثة، وقد تذكر (القاموس ٢ : ٣١٦). الصيب: ما يصيب الإنسان من سهم أو نحوه. صفا من صيبه (لم يكن فيه ما يسيءه!) صفا: قاص.
- (٦) الصلف: التكبير. وفي رواية: صفا من طيبه وصفا (وهو أقرب إلى المعنى المراد).

ابن عبد النور الملقبي

١- هو أبو جعفر أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد الملقبي، وُلد في مالقة في رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٣٠ (مطلع الصيف عام ١٢٣٣ م).

يبدو أن ابن عبد النور قد استفاد أكثرَ علومه من المُطالعة، إذ لم يكن له اعتناءُ بِلقاءِ الشيوخ، ولكن أخذَ في بلدِه القراءَةَ عن الخطيب أبي الحسن الحجّاج بن أبي رِيحانة المرَبليّ (ت ٦٧٢ هـ) وقرأ أشياء من الجزولية في النحو^(١) على محمد بن يحيى بن مُفَرِّح الملقبي (ت ٦٥٧ هـ).

ورحلَ ابنُ عبدِ النور الملقبي إلى المغرب ونزلَ في سَبْتَةَ حِيناً. ثم إنّه عاد إلى الأندلس وجلسَ لإِقراءِ القرآنِ الكَرِيمِ في وادي آشَ والمَرِيّةِ وبِرَجّةِ وغرناطة. وقد تولى القضاء حِيناً آخرَ نِيابةً لا أصالةً.

وكانت وفاةُ ابنِ عبدِ النور الملقبي في ٢٧ من ربيعِ الثاني من سَنَةِ ٧٠٢ (١٣٠٣/١٢/١٦ م) في المَرِيّةِ.

٢- كان ابنُ عبدِ النور الملقبي قِيماً على العربيةِ (النحو) - إذ كانتِ العربيةُ جُلَّ بضاعتهِ - كما كانت له مُشاركةٌ في المنطقِ والعروضِ وقَرَضَ الشعرَ وفي فروعِ الفقه. وشِعْرُه وَسَطٌ، ولم يكنْ يَقْصِدُ قولَ الشعرِ، بل كان يقولُ ما يَحْظُرُ في بالِه حِيناً بعدَ حِينٍ.

وكان له تصانيفُ منها كتابُ رَصْفِ المعاني ثم كتابُ البَسْمَلَةِ (بسم الله الرحمن الرحيم) والتَّصْلِيَةِ (الصلاة على الرسول). وله كتاب في شَرْحِ «الكوامل» لأبي موسى الجزولي^(٢)، وله كتابُ شَرْحِ فيه «مُغرب» أبي عبد الله بن هشامِ الفهرريّ الشَّواشِ (لم يُتِمّه). ثم له جزء (كتاب صغير) في العروضِ وجزء في شِوَاذِ العروضِ. ثم شرح على كتاب الجَمَلِ الكَبِريّ لأبي القاسمِ الزجّاجي (ت ٣٢٧ هـ) وإملاء على كتاب المُقَرَّبِ

(١) راجع الحاشية التالية.

(٢) هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلْسَخْتِ الجزولي (ت ٦٠٧ هـ) من علماء العربية (راجع ٥:

لأَبْنِ عُصْفُورٍ، وَسَوَى ذَلِكَ قَلِيلٌ.

وكتابُ «رصف المباني في حروف المعاني»، وهي (في هذا الكتاب) خمسة وتسعون حرفاً منها ثلاثة عشر مُفْرَدَةٌ (حرفٌ واحدٌ، نحو: الهمة، الباء والتاء والكاف واللام والميم والسين والواو، الخ) ثم اثنتانِ وثمانونَ مركبةٌ (أكثرُ من حرفٍ واحد، نحو: كمي، لا، لم، لماً، ليس، كأنّ، لوما، منذ، مع، نعم، على، في، هل، الخ). ثم إن هذه الأحرف - سواءً منها ما كان مُفْرَدًا أو كان مركباً - تنقسمُ قسمين: عاملةٌ (تؤثّر في الكلمات التي تدخل عليها فتحجّرها أو تنصّبها (لخ) أو غير عاملةٍ (لا تؤثّر فيها يليها: لا تبدّل إعرابه).

٣ - مختارات من آثاره

- من شعر ابن عبد النور أبياتٌ في الغزل (لعلّ فيها اتجاهاً صوفيّاً):

محاسنٌ من أهوى يضيّقُ لها الشرحُ،	له الهمةُ العلياءُ والحلقُ السّمحُ.
له بهجةٌ يفتى البصائرَ نورها،	وتعشى بها الأبصارُ إن غلس الصّبحُ ^(١) .
إذا ما رنا فاللحظُ سَهْمٌ مُفَوّقٌ؛	وفي كلّ عَضْوٍ من إصابته جرحُ ^(٢) .
إذا ما آتسنى زهواً وولّى تبحّراً	يفارُ لذاك القُدّ من لينة الرّمحِ ^(٣) .
وإن نَفَحَتْ أزهاره عند رَوْضِيه	فِيخجِلُ رِيّاً زَهْرُها ذلك النّفحِ ^(٤) .
هو الزمنُ المأمولُ عند ابتهاجه؛	فَلَمَتَهُ لَيْلٌ وغرَّتَهُ صُبْحُ ^(٥) .

- (١) بهجة: حسن ونصارة. يعشى: يغطي. البصائر جمع بصيرة: قوة الإدراك والفتنة. تعشى: تضعف، تعجز (بكر الجيم) عن النظر. غلس (ليست في الفاموس)، المقصود «غيب» (يفتح فكسر): أظلم.
- (٢) رنا: أدام النظر. مفوّق: له فوق (بالضّم): شبه زاوية حادة في أسفله لنبت في وتر القوس عند الرمي. والتاعر يقصد «سهماً سدّداً» (يصب المهدف).
- (٣) الزهو: العجب (بالضّم) بالصر. التبحر: المشي بحال حسنة فيها هدوء واختيال (إعجاب بالصر). - الرمح الحيد يكون فيه لين (بحني ولا يكسر).
- (٤) نفع الرهر: انتشرت رائحته.
- (٥) عند ابتهاجه (عند ابتهاج الزمن): أزدهاره وأمنه وصفاته. اللّمة (بالكسر): شعر الرأس المجاور للأذن. لته ليل (شديدة الواد): كتابة عن الشاب. وغرته (جبهته، أعلى وجهه) صبح (بيضاء): كناية عن الوجاهة في اللبس.

لقد خامرت نفسي مُدَامَةً حُبِّي، قَلْبِي من سُكْرِ المُدَامَةِ لا يضحو^(١).
وقد هام قلبي في هواه، فَبَرَّحْتُ بأسراره عَيْنَ لِمَدَمِيهَا سَح^(٢).

- من مقدّمة كتاب «رصف المباني في حروف المعاني»:

الحمد لله مُدَبِّرُ الأشياءِ ومُحْكِمِهَا ومَقْدِرُ النِّجِّ ومُقَسِّمِهَا....^(٣)، ومُعَلِّمِهَا، ومُخَصِّصِ عَرَبِيَّتِهَا بأفضلِ الأُمَمِ وأكرمِهَا؛ الذي جَعَلَ الكلامَ خَاصِيَةً البَشَرِ، وأَظْهَرَ بِهَا نَظَرَ الناظِرِ وَعِبْرَةَ الْمُعْتَبِرِ (ثمَّ) ضَمَّنَهُ مِنَ المعانيِ الجَمَّةِ وفِضَائِلِ الحِكْمَةِ مَا لَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمٌ أُمَّةٌ وَلَا يُهْتَدَى إِلَى بَعْضِهِ إِلَّا بَعْدَ أُمَّةٍ^(٤).....

وبعدُ، فَإِنَّ لِسَانَ العَرَبِ لَمَّا كَانَ أَشْرَفَ الأَلْسِنَةِ وَشَشِنَةً^(٥) اتَّبَعَ (٤) فَهْمُهُ أَحْسَنَ شَشِنَةً، إِذْ مِنْهُ يُتَوَصَّلُ إِلَى مَقَاصِدِ الشَّرْعِ فِي أَحْكَامِهِ وَأَغْرَاضِ قَوَاعِدِ العِلْمِ وَأَعْلَامِهِ، وَكَانَ مُقَسِّبًا إِلَى تَسْمِيَةِ المَعْرُوفِ - مِنَ الأَسْمَاءِ والأَفْعَالِ والحُرُوفِ - وَكَانَتِ الحُرُوفُ أَكْثَرَ دَوْرًا، وَمَعَانِي مُعْظَمِهَا أَشَدَّ غَوْرًا^(٦)، وَتَرْكِيبُ أَكْثَرِ الكَلَامِ عَلَيْهَا وَرُجُوعُهُ فِي قَوَاعِدِهِ إِلَيْهَا، أَتَقَضَى مَا خَطَرَ مِنَ النِّظَرِ أَنْ أُجِثَّ عَنْ مَعَانِيهَا وَأُطَالَعَ غَرَضَ الوَاضِعِينَ فِيهَا. فَوَحَّدَتْ مِنْهُمْ مَنْ أَغْفَلَ بِمَعْضَاهَا وَأَهْمَلَ، وَمَنْ تَسَامَحَ فِي الشَّرْحِ وَتَسَهَّلَ، وَمَنْ أَخْتَصَرَ مِنْهَا (أَوْ) أَسَهَبَ، وَمَنْ رَكَّبَ البَسيطَ وَبَسَطَ المُركَّبَ، وَمَنْ شَتَّتَ أَلْفَظَهَا وَعَدَّدَ، وَأَطَالَ الكَلَامَ لغيرِ فَائِدَةٍ وَرَدَّدَ.

فدعاني الغرضُ الخاطِرُ والرفيقُ العابرُ^(٧) (إلى) أن أُؤَلِّفَ فِيهَا كِتَابًا يَشْتَمِلُ عَلَى

(١) خامر: خالط. المدامة: الخمر المطبوخة بالنار (وتكون شديدة الإسكار).

(٢) هام: سار على غير هدى. يروح به الحب: آذاه وأضر به. وجعله عاجزاً (عن كتمان سره). السح: الكثير اليلان.

(٣) الحكيم: المتن. المنحة (بالكسر): العطية.

(٤) يصل إليه فهم أمة (عدد كبير من الناس). بعد أمة (بعد مدة طويلة من الزمن).

(٥) الششنة: العادة الغالبة على الإنسان. اللهجة النازلة عن اللغة الفصحى (٤).

(٦) أكثر دوراً (دوراً على الألسنة): أكثر استعمالاً في الكلام. أشد (أبعد) غوراً (عمقاً): غير واضحة المعاني (في استعمال الناس).

(٧) الخاطر: الذي يبدو فجأة. العابر: المارّ اتفاقاً (هو يقصد أن تأليف كتابه لم يكن عن قصد).

شرحها وإيضاح ما حَيِّيَ من بَرَجِهَا^(١) لِيَسْتَفِيَّ صدرُ الناظر فيه على المأمول ويُفِيدهُ - إن شاء اللهُ - إن أخذَهُ بالقبول.

وسَمَّيْتُهُ «رَصْفَ المَبَانِي في شرح حروف المعاني» لِيَكُونَ أَسْمُهُ وَفَقَّ مَعْنَاهُ وَلَفْظُهُ مُتَرَجِّمًا عَنِ فَعْوَاهِ. وَنَظَّمْتُهُ عَلَى تَرْتِيبِ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ لِيَكُونَ فِي التَّأْلِيفِ أُنْبَلَ وَعَلَى تَقْهِمِهِ أَسْهَلَ. وَذَكَرْتُ..... مِنْهَا عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي التَّنْقِطِ مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ وَأَزِيدُ حَتَّى أَتَمِّمْتُ إِلَى آخِرِ حَرْفٍ فِيهِ. وَعَلَى التَّرْتِيبِ الْمَذْكُورِ اتَّبَعْتُ أَوَّلَ حَرْفٍ مِنْهُ - إِذَا كَانَ مُرَكَّبًا - مَا يَلِيهِ مِنْ ذَلِكَ التَّرْتِيبِ. وَمَا كَانَ نَاقِصًا (مِنْ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَمَا كَانَ مُرَكَّبًا.....^(٢))

وَيَسْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مُجْمَلًا وَمُفْصَلًا عَلَى مَا.....^(٣) الْجُهْدُ وَحَمَلٌ عَلَى بَسْطِهِ وَتَقْصِي مَوَارِدِهِ الْجِدِّ. وَأَنْهَيْتُ فِي ذَلِكَ.....^(٤) لَتَكُونَ لِلْكِتَابِ الْمَزِيدَةُ عَلَى مَا سِوَاهِ. وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَاهُ^(٥). وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْتَرْشِدُ إِلَى مَا يُرِيدُ، وَأَسْتَعْضِدُ فِيمَا أَقْصِدُ. فَمَا الْمَفْرَعُ^(٦) إِلَّا إِلَيْهِ، وَمَا التَّوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْهِ: إِلَيْهِ أَفْرَعُ وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ، هُوَ حَنِي وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

- مِنْ مَتْنِ كِتَابِ «رَصْفِ الْمَبَانِي فِي شَرْحِ حُرُوفِ الْمَعَانِي (ص ٣١٠ - ٣١١):
أَعْلَمُ أَنَّ «مَ» فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، لَفْظٌ مُشْتَرِكٌ يَقَعُ تَارَةً أَسْمًا وَتَارَةً حَرْفًا، وَذَلِكَ بِحَسَبِ عَوْدِ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ وَعَدَمِ عَوْدِهِ (بِحَسَبِ قَرِينَةِ الْكَلَامِ. وَحِطْنَا مِنَ الْقَسْمَيْنِ الْحَرْفِيَّةِ^(٧) وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ مَعْنَاهَا فِي غَيْرِهَا. وَلَهَا فِي الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ:
الموضع الأول أن تكون حرفاً نفي. وتنقسم لهذا المعنى قسمين: قسم^(٨) يدخل

(١) البرج: التبع والأذى.

(٢) (١ و ٣) بياض في الأصل (اقرأ: وسمي - السمي - العمل (أي حاولت الوصول إلى نهايته وقامه).

(٥) تصمين من حديث لرسول الله «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى». فمن كانت هجرته لله ورسوله (في سبيل الله وطاعة لرسول الله)، هجرته لله ورسوله.....

(٦) المرفع: الملبأ.

(٧) وقصدنا من البحث في «ما» على أنه حرف (حرف نفي، حرف استفهام) لا على أنها اسم موصول بمعنى الذي.

(٨) الأصح أن يقال «قسماً» (بدل من قسم).

على المبتدأ والخبر، وقسم لا يدخلُ عليها.

فالقسم الذي يدخل على المبتدأ والخبر للعرب فيه مذهب أهل الحجاز ونجد (وذلك) أن يُجروها مجرى «ليس» فيرفعوا بها المبتدأ أسماً لها وينصبوا خبره خبراً لها، فيقولوا: «ما زيد قائماً، وما عبد الله ركباً». وذلك تسيبها لها بليس، إذ «ليس» هي للنفي مثلها، وداخلة على المبتدأ والخبر مثلها ونفي الحال^(١). وزاد بعضهم: وتدخل الباء في الخبر كما تدخل في خبر «ليس»، فتقول: «ما زيد بقائم» كما تقول: «ليس زيد بقائم».

إلا أنهم لا يُعملونها عملها إلا بثلاثة شروط: الأول ألا يدخل على الخبر «إلا» فيصير موجباً فينتقض النفي من جهة النفي^(٢) إذا دخلت، فيرتفع ما بعدها على المبتدأ والخبر. والثاني ألا يتقدم الخبر على الأسم، فإن تقدم ارتفع ما بعدها بالأبداء والخبر لأنها حرف ضعيف لا يقوى قوة «ليس»، إذ هي فعل على ما ذكر في بابها. وعمل «ما» بحق الشبه، كما ذكر^(٣). والثالث ألا تدخل عليها «إن» الزائدة لشيئها بالناقية^(٤)، فكأنه دخل نفي على نفي فصار إيجاباً، فتقول: «ما زيد إلا قائم، وما قائم إلا أنت، وما إن زيد قائم». قال الله تعالى: ﴿ما هذا بشراً﴾^(٥)، فهذا آجتمعت فيه الشروط. وقال تعالى: ﴿ما أتم إلا بشرٌ مثلنا﴾^(٦). وقال الشاعر:

فما إن طيننا جين، ولكن منايانا ودولة آخرينا^(٧).

(١) نفي الحال (إذا قلنا: ليس زيد مريضاً، فمضى ذلك أنه الآن ليس مريضاً).

(٢) ينتقض (يطل) النفي من جهة النفي (إن النفي الثاني يطل النفي الأول، فتصح الجملة مثبتة).

(٣) يقال «ما» المشبهة بليس.

(٤) إن «إن» (بكسر فسكون): حرف نفي يشبه «ما» (إن أنت إلا تلميذ = ما أنت إلا تلميذ = أنت تلميذ).

(٥) القرآن الكريم (١٢: ٣١، سورة يوسف).

(٦) القرآن الكريم (٣٦: ١٥، سورة هود).

(٧) الشعر لفروة بن سيلك، وهو شاعر من الصحابة، توفي ٣٠ هـ. والطب (بالكسر): الثأن، العادة المعروفة عاً. يقول فروة هذا البيت من مقطوعة يمتدح فيها عن انهزام قومه في إحدى المعارك (راجع تاج العروس - الكويت ٣: ١٢٥٩، ابن الأثير ٢: ٢٩٥ - ٢٩٧).

- ٤- رصف المياي في شرح حروف المعاني (تحقيق أحمد محمد الخراط)، دمشق (منشورات مجمع اللغة العربي بدمشق) ١٣٩٥ هـ = ١٩٧٥ م.
* الإحاطة ١: ٢٠٣-٢٠٩؛ بغية الوعاة ١٤٣-١٤٤.

ابن عبد الملك المراكشي

١- هو الشيخ (نفع الطيب ٥: ٦٠٤) أبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد (المرقبة العليا ١٣٠) بن عبد الملك الأوسى الأنصاري المراكشي، من أهل مراكش، وُلِدَ في ربيع عَشْرَ ذي الحِجَّة من سَنَةِ ٦٣٤ (١٢٣٧/٧/٩ م) في الأغلب.

روى عن أبي الحسن علي بن محمد الرُعيني وأبي عبد الله محمد بن علي بن هشام وأبي الوليد بن عفير. وأجاز له ابن الزبير (ت ٧٠٨ هـ) صاحبُ صلة الصلة.

وكان في أيام شبابه قد أراد أن يرحل إلى الأندلس فلما وصل إلى جنوبيها تجوّل فيه ثلاثة أيام ثم عاد إلى المغرب. وقد تولى قضاء مراكش مدة ثم أحرّعه بوشاية من رجلٍ كان ابن عبد الملك عنيفاً في معاملته. أمّا وفاته فكانت في أواخرِ المُحرّم من سَنَةِ ٧٠٣ (أواسطِ تمّوز - يوليو ١٣٠٣ م) في تِلْسان.

٢- كان ابن عبد الملك المراكشي عارفاً بعددٍ من فنون المعرفة: في الحديث والفقه والتاريخ واللغة والنحو والشعر، كما كان ناثراً وناظماً. وشعره عاديّ جداً. ثم إنه كان مُصنِّفاً له: كتاب (في الأحكام)^(١) جَمَعَ فيه بين كتاب أبي الحسن علي بن محمد بن القطان الفاسي (ت ٦٢٨ هـ) وكتاب ابن المواق المراكشي. أمّا شهرته فترجع إلى كتابه «الذيل والتكملة لكتايمي الموصول والصلة»^(٢)، وهو (أي الذيل والتكملة) قاموس عام لرجال الأندلس منذ الفتح إلى آخر القرن السابع للهجرة (ولم يمتد لآساع نطاقه).

(١) لعبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي المعروف بابن الخراط (٥١٠-٥٨١ هـ) كتاب في «الأحكام» (الأحكام الشرعية المستفادة من الحديث) صنع منه ثلاث نسخ: كبرى ووسطى وصغرى. وقد ألف ابن القطان في الرد على عبد الحق كتاباً عنوانه: كتاب الوهم والإيهام الواقفين في كتاب الأحكام (لعبد الحق الإشبيلي).

(٢) الموصول في تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ). والصلة لابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ).

- من مقدمة « الذليل والتكلمة »:

.... قال عبد الله^(١) المومل رُحما محمد بن محمد بن عبد الملك بن محمد ابن سعيد أمدّه الله بتوفيقه وجعله من طائفة الحق وفريقه: الحمد لله الذي أعلى معالم العلم بأعلامه، وأحلى موارد الفهم لأولي أعلامه^(٢)، ويسرّ كلّ منهم به لما يسرّ له من أقسامه، وألهمّه إلى التمسك بأسباب سعادته فصعد بإلهامه، وآتمّ بما به ارتسم من الأنظام في سلك جزبه فأفلح بآتسامه وأرتسامه وانتظامه^(٣)، وصرف إليه دواعي شغفه به وغرامه، ووقف عليه متوالي أهتاله وأهتامه^(٤)، فمنهم من آتمّه بمستقرّه مُعملاً صديق جدّه وتصميم أعترامه^(٥).....

أما بعد، فإنّي قصّدت في هذا الكتاب إلى تدليل صليّة لراوية أبي القاسم بن بشكوال تاريخ الحافظ أبي الوليد بن الرضوي^(٦)، رجمها الله، في علماء أهل الأندلس والطارئين^(٧) عليها من غيرهم، بذكر من أتى بعده منهم، وتكميلها بمن كان من حقه أن يذكره فأغفله. وقبل الشروع في إيراد ما قصّدت إليه من ذلك فلا بد من ذكر مقدّمة تطلّع على وجه العمل الذي اعتمدته، وترشد إلى المسلك الذي فيه سلكته سائلاً من الله سبحانه (وتعالى التوفيق) والصواب في القول والعمل، وإيجاداً على ما يعصم من موقعة الخطأ والحطل^(٨) (فإنه لا) مأمول إلاّ خيرُهُ، فأقول:

(١) عبد الله، هنا، صفة وليس اسماً. إذ نقول: قال عبد الله محمد بن مالك، أو هذا كتاب من عبد الله عبد الملك بن مروان....

(٢) المراكشي مولع ها بالجناس: أعلى معالم العلم بأعلامه - أحلى موارد.... بأعلامه. المورد: المكان يشرب منه الناس. الأعلام جمع حلم (بالكسر): العقل والتروي في الأمور.

(٣) الآسام (الانصاف) والأرتسام (العمل بمتضى منهج معين) والأنظام (الانتساب إلى فريق معلوم يعمل بهم).

(٤) الشغف: شدة الحب. منوال: متتابع، مستمر. الأهناس: أتهار العرصة.

(٥) صمّ: عزم على الأمر ومضى فيه بنيات.

(٦) في ابن بشكوال (ت ٥٧٨ هـ) وابن الرضوي (ت ٤٠٣ هـ) راجع ٥: ٤٥٦ و ٤: ٣٣٧.

(٧) الطارئين: الآتي إلى المكان من خارجه للزيارة أو الاستقرار.

(٨) أهد ظلان فلاناً: ساعده، أعانه. عصم: حمى (أبعد عنه الأخطاء). الحطل: فساد العقل وسوء الحكم على الأمور.

إِنَّ الحَافِظَ أبا الوليد، رَحِمَهُ اللهُ رَبَّ أبوابِ كتابه على تَوَالِي حروفِ المُعْجَمِ المعروفِ ببلادِ المشرقِ، فَعَلَّ أبو عبد الله البُخاري^(١)..... (هنا أسماءُ مؤلِّفين) وتَبِعَهُ على ذلك الترتيب أبو القاسم بن بَشْكَوَالِ في صِلَتِهِ تاريخه، وقد فَرَّغَ من كتابيها حرفُ الظاء^(٢). وخالفهم في ترتيب الحروف أبو عبد الله بنُ الأَبَارِ^(٣) - وهو أنبَلُ تابعيهِ^(٤) - وأبو العباس بن فرتون^(٥) (الوافي ٧ : ١٣٥ - وكتابه الذيل على الصلة لابن بشكوال مفقود) ومُصلِحُ كتابه ومُكْمَلُهُ أبو جعفر بن الزبير^(٦) فرتبوا أبوابَ كُتُبِهِم على نَسَقِ الحروفِ المعروفِ ببلادِ المغرب، وهو مُتَّفِقٌ (مع) الترتيب المشرقي إلى الزاي، وبعده عند أهل المغرب والأندلس ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش ه و ي .

وجعل ابنُ الفَرَضِيِّ وأبْنُ بَشْكَوَالِ الأسماءَ في الأبوابِ على طبقاتِ المذكورين فيها فقدما الأسبق في الوجود فالأسبق، وعقباً كلَّ أسمٍ من أسماء الأندلسيين بن وجدوه من موافقهِ من الغريباء - وهم في مُصْطَلَحِهَا الطارئون على الأندلس من غيرها، سواء أكان أصلهم منها أو من غيرها - إن وجدوا له في الغريباء سميّاً، وجعلا الأسماءَ في كلِّ بابٍ على حَسَبِ الأَكْثَرِ والأشهرِ فالأشهر^(٧)، وختماً كلَّ حرفٍ بِذِكْرِ مفاوِيدِ (آخر ص ٩)

-
- (١) البخاري (ت ٢٥٦ هـ) له «الجامع الصحيح» في أحاديث رسول الله، وله «التاريخ الصغير» في رجال الحديث ثم «الضعفاء الصغير» في رواية الحديث... فعل... البخاري (أي كما فعل البخاري في ترتيب أسماء الرجال في كتابيه الأخيرين).
- (٢) فَرَّغَ من كتابيها حرف الظاء (لم يرد في كتابيها ذكر رحل يبدأ اسمه بالظاء المعجمة).
- (٣) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأَبَارِ (ت ٦٥٨ هـ) له كتاب «التكملة لكتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ومشاهيرهم» لابن بشكوال.
- (٤) أنبل: أبرز، أشهر (أفضل) تابعيه (الذين فعلوا في التأليف كما فعل ابن بشكوال في سرد تراجم الرجال).
- (٥) أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) من المؤرخين، له كتاب الذيل على الصلة (على كتاب الصلة لابن بشكوال).
- (٦) أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ)، له صلة الصلة (... كتاب الصلة لابن بشكوال).
- (٧) الأسبق فالأسبق والأشهر فالأشهر (... لا يحملون ورود الأسماء في كتبهم على ترتيب حروف الهجاء، بل على مقدار الشهرة عند الناس. مثال ذلك: يأتي اسم «حسن ثم حنين» قبل اسم حاتم (بفتح التاء) أو حباب (بالضمة)، وإن كانت الألف والنون تأتيان في حروف الهجاء قبل السين. ثم يأتي عندهم من اسمه :

الأسماء الموجودة فيه^(١) بتقديم الأندلسيين وتأخير الغرباء إن وجداهم. وكذلك فعل أبو عبد الله بن الأبار وأبو جعفر بن الزبير - فيما وضعت عليه من تاريخها. فأثرت ترتيب كتابي هذا بأن وضعت أبوابه على ترتيب حروف المعجم المشرقي لصحة اعتباره^(٢).....

وبدأت في حرف الهمة بمن أسمه أحد، وفي حرف الم بمن أسمه محمد، تبركاً بموافقة أسمي النبي صلى الله عليه وسلم. وقد تقدم البخاري إلى تصدير تاريخه بذكر من أسمه محمد، لما ذكر أوله سيد البشر نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إذ كان أشهر أسمائه. وجعل - بعد الفراغ من ذكر من أسمه محمد - حرف الهمة مبتدئاً فيه بمن أسمه أحد، فبعد بتوالي الأسمين المباركين في صدر كتابه من غير فصلٍ بينها، وجعل سائر المسمين باسم أوله ميم في حرف الميم.... وقدمت في باب العين من أسمه عبد الله وعبد الرحمن لأنها أحب الأسماء إلى الله. ووسّطت بينها من أسمه عبيد الله لشرف الإضافة^(٣) (آخر ص ١٨) وأتليت^(٤) من أسمه عبد الرحمن من أسمه عبد الرحيم لأشترائهما في الأستفاد من الرحمة ولتلازمهما في تسمية التبرك وآي من كتاب الله العزيز^(٥)... وأتبع ذلك سائر المعبدن ممتبراً^(٦) في ترتيبهم حروفاً

= علي من الأندلسيين قبل الذي اسمه علي من الطائرين على الأندلس. يجب أن يقال: الأشهر فالأقل شهرة... (كلما كان الاسم أشهر عند الناس قدم في السرد على غيره).

(١) المفاريد: الأسماء المفردة المادرة (التي يكون منها في رجال المذكورين في كتب هؤلاء الواحد أو الاثنان، فنأتي كلها مجموعة بعد استيفاء أسماء المشهورين. فبعد الحسن والحسين... (في باب الحاء المهملة) يأتي حاطب وحجاج وحبيش وحر (بالكسر) مجموعة على غير ترتيب مخصوص.

(٢) لصحة اعتباره.... لأن ترتيب اللفظ عند النارة: (زي، سين، شين، صاد) أقرب إلى النطق من ترتيب هذه الحروف عند المغاربة (زاي، ط، ك، ل، م، ن، ع.... س، ش، ه).

(٣) لشرف الإضافة إلى اسم الحلالة: عبد الله، عبد الرزاق، عبد الصميع، عبد الطاهر.....

(٤) أتليت: جعلته تالياً (بعد غيره).

(٥) لورود أسمي الحلالة (الرحمن والرحيم) مقرونين في عدد من آيات القرآن الكريم. نحو: «بسم الله الرحمن الرحيم - الحمد لله... الرحمن الرحيم (١: ١-٢، سورة الفاتحة) - وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم (٢: ١٦٣، سورة البقرة)، الخ.

(٦) مضبراً: ناظراً، مقبلاً.

أوائل أسماء الله على حسب ما ألفيه منها^(١). وما لم ألفه منها تحطيته إلى أول ما ألفيه بعده منها. وذكرت سائر الأسماء في سائر الأبواب والتراجم على ترتيب الحروف المذكورة..... ولكنني لاحظت صورة الحرف في الهجاء لا أصله، كمؤمل أذكره فيمن بعد الميم من اسمه واو، وإن كانت (ألواو) صورة للهمزة^(٢)..... ولا عبرة بأداة التعريف^(٣). وهنا ذكرت الكسرى التي هي أسماء لها كسرى، وأضفت إليها الكسرى التي لعلها أسماء جهلت كُناها^(٤)، أو كُنى جهلت أسماؤها.... (ص ٢٣).

وجمعت هذا الكتاب بما أفرق - فيما لا أحصيه عدداً - من برامج روايات الشيوخ لجلّة^(٥) أئمة هذا الشأن كلها وافية بالشروط المعتبرة في توثيق النقل منها، إذ معظمها بخط جامعها، وسائرها^(٦) بخطوط المتمدّ عليهم من رجال هذا الفن ومقابلتهم وتصحيحهم، إلى ما نقلته من مقيدات ذوي العناية بهذه الطريقة من موالد ووفيات ورفع أنساب^(٧) وتبيين أحوال الرواة وشبه ذلك من الفوائد، مع ما تلقّيته من مشايخي الذين أخذت عنهم شفاهاً، وما التفتّطه من طبقات القراءات والأسمعة^(٨) على الشيوخ أو منهم والتواريخ على تفريق مقاصدها، وكل ذلك مما أنسجت عليه إروائيتي بين سماع

(١) ألفي: وجد.

(٢) يجعل، عند الترتيب، من اسمه شأس قبل مؤمل (وإن كان لفظ الهمزتين بالفتح) لأن صورة الكتابة في الأولى ألف وفي الثانية واو.

(٣) ولا عبرة بأداة التعريف (لا تحسب أداة التعريف عند سرد الأسماء وترتيبها). من أجل ذلك يأتي اسم ثابت قبل اسم الحسن، لأن الثاء (الثلثة) تأتي قبل الهاء (ولا قيمة في الترتيب للألف في أول اسم الحسن).

(٤) «أبو بكر» (في الأصل) كنية الخليفة الأول في الإسلام، وكان اسمه عبد الله. ثم إن نقرأ من المسلمين جعلوا يستون أبناءهم «أبا بكر» (فأصبحت الكنية اسماً). ثم اتخذ هؤلاء كسرى فصاروا يقال فيهم: أبو عبد الله (كنيته) أبو بكر (اسمه) بن سعيد بن علي.....

(٥) الجلّة (بالكسر): العظما والسادة.

(٦) سائرها: باقيها (في البستان عشر شجرات، ثلاث منها شجرات قنّاح، وسائرها - أي السبع الباقية - من البرتقال).

(٧) رفع النسب: سرده إلى أقدم ما يمكن.

(٨) الأسمعة (يقصد بها هنا جمع سباع - بالفتح)، وهي المقالات التي يسمعا الطالب من شيوخه (أسانده).

وقراءة ومُناولة وإجازة^(١) وغير ذلك من ضروب التحمُّل^(٢). وقد جرى عمل الأسيّاح على تقديم إسنادهم إلى من تقدّمهم من المؤرّخين لِنَسِيوِا إليهم ما ينقلونه عنهم إلى كُتُبهم هذه، ثم يُعقِّبون ذكراً من يذكرّون من الرواة أو بعضهم بتعيين مَنْ ذكّره. وذلك رأيٌ رشيد وعمل صالح سديد أجلُّ مُثمراته تبرُّؤ الناقل من عهدته ما نَقَلَ والإحالة^(٣) به على ذاكه الأوّل تقوية^(٤) للاحتجاج به وتصحيحاً للأستناد إليه. لكنني وجدتهم لا يقومون بمقتضى ذلك العمل على التّمام، فإنهم يأتون بمن يريدون ذكره فيرفعون في نسبه ويذكرّون كُتبه وشهرته إن كانتا له، ويعزّونه^(٥) إلى قبيلته وبلده أو إليها ويعرفون من أمره ما يستحسنون إيراده، ثم يُعقِّبون ذلك بقولهم: كان من أمره كَيْتَ وكَيْتَ. فكلُّ ما بدأوا به ذكره إنّما هو من قبيلهم غير معزّو إلى أحدٍ ممن قدّموا ذكره في صدور كُتُبهم^(٦). وهذا العمل منهم ليس في القليل ممّا يذكرّونه، ولا في النُدرة، بل يكاد يكون معظّم من يذكرّون على هذا الأسلوب^(٧). فصارت المهدة فيه عليهم فيما لم ينسيوه إلى غيرهم^(٨). وأيضاً فإنّ الذي ينقلونه عن غيرهم إنّما ينقلونه عن الاختيار والانتخاب لا على التّوالي والاستيعاب^(٩). فعزّوت تلك الأقوال،

- (١) من طرف تلقّي العلم في الإسلام: السماع (سماع المحاضرات من الأساتذة) والقراءة (تلاوة النصوص بين يدي الأستاذ) والمناولة (نقل الرواية من الأستاذ إلى التلميذ؟) والإجازة (الثهادة: كتابة الأستاذ للطالب ورقة فيها أن الطالب أصبح قادراً ومأذوناً له بأن يعلم الناس ما تعلّمه).
- (٢) وغير ذلك من ضروب التحمُّل: ما يجعله التلميذ من أستاذه (ما يأخذه التلميذ عن أستاذه).
- (٣) الإحالة: أن يشير المؤلّف للقرّاء إلى المكان الذي استقى المؤلّف منه أخباره. المهدة (بالضم): التبعة (بفتح فكسر).
- (٤) تقوية للاحتجاج: تثبيتاً لصحة النقل عن الآخرين.
- (٥) عزّوت هذا العمل إلى فلان: نسبته إليه.
- (٦) يقول نفر من المؤلّفين إنّهم سيأخذون عن فلان وفلان أو من الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني. ولكنهم كثيراً ما يذكرّون أشياء من عند أنفسهم.
- (٧) وأكثر ما يذكره أولئك المؤلّفين بقولونه هم (وبهوتهم القاري أحياناً أنّه مروى عن العلماء السابقين).
- (٨) فكلّ قول لا يذكرّون أنّه مأخوذ عن عالم ما، فإنّ تسمية ما فيه (من الصواب أو الخطأ) ملقى على عاتقهم هم.
- (٩) هم ينخبرون (بذكرهم ما يريدون ذكره فقط) ... لا على اتّوالي (لا يذكرّون تسلسل الرواية) ولا على الاستيعاب (لا يذكرّون كلّ شيء).

بعد اقتضاها، إلى قائلها مُتَوَفَاةٌ مُسَامِحَةٌ^(١). ولو قَرَضْنَا اسْتِيفَاءَ تِلْكَ الْأَقْوَالِ كَمَا وَقَعَ فِي بَعْضِهَا مِمَّا أَخْصَرَ - أَوْ لَا يُمْكِنُ اخْتِصَارُهُ - لَكَانَتْ عَهْدَةٌ تَقْلُهَا عَلَيْهِمْ. إِذْ لَوْ رَامَ أَحَدٌ مِنْ.....^(٢).

- قال ابن عبد الملك المراكشي في مدينة مراكش:

لِلَّهِ مَرَاكِشُ الْفَرَاءِ مِنْ بَلَدٍ، وَحَيْدًا أَهْلُهَا السَادَاتُ مِنْ سَكَنٍ.
إِنْ حَلَّهَا نَازِحُ الْأَوْطَانِ مُعْتَرِبٌ أَسْلَوَهُ بِالْأَنْسِ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَطَنِ^(٣).

- ومن كتاب التكملة والصلّة (بقية السفر الرابع، رقم ١٢٢، ص ٤٩ وما بعد):
وقد تعاطى جماعة من الشعراء تذييل بيتي الحريري^(٤) المذكورين بما كان سُكُوتُهُمْ عَنْهُ أَصَوْنًا وَاقْتِضَا حَمِيمٍ أُسْتَرٍّ؛ وَإِخْلَادُهُمْ إِلَى حَضِيضِ الْعَجْرِ عَنْ مُسَامَاتِهِ فِي أَوْجِ^(٥) إِجَادَتِهِ أَوْلَى بِهِمْ وَأَجْدَرُ. فَمِنْ مُطِيلٍ غَيْرِ مُطِيبٍ وَمُجِيلٍ فِكْرَهُ فِي اسْتِدْعَاءِ مَا لَيْسَ لَهُ بِمُجِيبٍ، وَمِنْ مُقَصِّرٍ لَوْ أَبْصَرَ لِأَقْصَرٍ، وَلَوْ أَنْصَفَ لِمَا تَكَلَّفَ. وَقَدْ أُثْبِتُ هُنَا مِنْ ذَلِكَ بَعْضٌ مَا وَقَعَ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ حَقِّهِ الْإِضْرَابُ عَنْهُ. وَاسْتَوْدَعْتُهُ هَذَا الْمَوْضِعَ تَقِيَّةً عَلَيْهِ مِنَ الضِّيَاعِ وَرَجَاءً إِفَادَةَ مُسْتَشْرِفٍ^(٦) لِلِاسْتِفَادَةِ بِهِ وَالِاتِّفَاعِ... وَهَذِهِ

(١) متوفاة: كاملة قدر الإمكان. ساعة (مع شيء قلل من الجاوز).

(٢) هنا ينقطع الكلام في الأصل المطبوع (والخطوط).

(٣) أسلوه: سلوه (بفتح السين وتثنية الدال) أسوه.

(٤) تذييل: تكميل، زهادة (أبيات على بيتي الحريري). للحريري صاحب المقامات (ت ٥١٦ هـ) سنان:

سَمِ سَمَةٌ تَحْسَنُ آثَارَهَا، وَاشْتَرَى لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمَهُ.
وَالْمَكْرَ مِمَّا أَسْمَعْتَ لَا تَأْتَهُ لِنَقْتَنِ السُّؤْدِ وَالْمَكْرَمَهُ.

لاحظ أن أول كل بيت مثل آخره: سم سم، سم سم. وقد اعتقد الحريري أن الإتيان بأبيات على مثلها غير ممكن. وقد حاول نفر ذلك فعاهوا بعدد من الأبيات. وابن عبد الملك المراكشي يرى أبيات هؤلاء النفر نازلة عن بيتي الحريري.

(٥) الإخلاق: السكون والاطمئنان. المحضض أدنى (أقرب) ما يصل إليه كوكب من الأرض، والأوج أبعد ما يصل إليه كوكب عن الأرض (وهي كناية على أسفل الأشياء وأعلاها). المسامة: محاولة السوّ (الارتفاع) إلى مستوى شيء آخر أو مكانة شخص آخر.

(٦) تقيّة: خوفًا. المستشف: الذي يحاول رؤية الأشياء من بعيد.

القطعة - كما ترى (١) - أسبك من غيرها وألسن نظماً، وأبين معاني وأمنن مباني. غير أنها منحطة عن بيتي الحريري.... فقد وضع بهذا كله أن الحريري هو الذي دان له الاختراع للبدائع والإنشاء، وأن براعة معلمه معلنة أن الفضل بيد الله يؤتية من يشاء (٢). والله هو! فلقد نصحت إشارته وزجرت مناهضيه، ونصت عبارته فنهرت - إذ بهرت - معارضيه (٣)....

٤ - كتاب الذيل والتكملة لكتابي الوصول والصلة (حقه إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٥ م (عدد من أجزاءه).

★ المرقبة العليا ١٣٠ - ١٣٢؛ النبوغ المغربي ٢٠٦؛ الأدب المغربي ٢٦٢ - ٢٦٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦١ (٣٢)؛ دعوة الحق ٣/ ٥٩ ص ٢٤.

الفبريني صاحب الدراية

١ - هو أبو العباس أحمد بن أحمد (وقيل محمد) بن عبد الله بن محمد الفبريني، أصله من قبيلة بني غبرين في بلاد القبائل (المنطقة الجبلية)، ولد في الأغلب في مدينة بجاية (القطر الجزائري) سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ - ١٢٤٧ م).

درس أبو العباس الفبريني قسطاً صالحاً من علوم الدراية (أصول الدين وأصول الفقه والمنطق والتصوف) وشيئاً كثيراً من علوم الرواية (التفسير والحديث والفقه والنحو) وسمع من نفر كثيرين منهم: أحمد بن خالد المألقي (ت نحو ٦٦٠ هـ) وعبد الله ابن محمد بن عمر القلمي (ت ٦٦٩ هـ) وأحمد بن عثمان بن عجلان القيسي (ت ٦٧٠ هـ)

(١) إشارة إلى أبيات على مثال بيتي الحريري.

(٢) المعلم: العلامة الظاهرة نصب على الطرق السلطانية (الدولية) ليستدل بها الناس على البلدان والمناطق بين البلدان (كتابة عن أن بيتي الحريري شيء بارز في نابه).
معلمة اسم فاعل من «علم»، والجملة بعدها في محلّ مفعول به. «إنّ الفضل الخ» تضمين (٣: ٧٣، سورة آل عمران).

(٣) المناهض: المقاوم. المعارض: المباري، الذي يحاول أن يجري معك أو أن يجاريك في عمل شيء. نهر: زجر. بهر: أدهش.

ومحمد بن الحسين بن ميمون التيمي القلمي (ت ٦٧٣) ومحمد بن أحمد بن محمد بن مرسى الطيب (ت ٦٧٤ هـ) وأبو العباس أحمد بن محمد الصدقي الشاطبي (ت ٦٧٤ هـ) وعبد الحق بن ربيع الأنصاري البجائي (ت ٦٧٥ هـ) وعبد المجيد بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدقي الطرابلسي (ت ٦٨٠ هـ) وعبد المنعم بن محمد الصائفي الجزائري (ت بعيد ٦٨٠ هـ) وأحمد بن عيسى الهاربي (ت ٦٨٢ هـ) وعبد العزيز بن عمر بن مخلوف (ت ٦٨٦ هـ) وأبو القاسم ابن أبي بكر اليميني بن زيتون (ت ٦٩١ هـ) وعبيد الله بن أحمد بن عبد المجيد الأزدي (ت ٦٩١) وأحمد بن محمد بن الغمار البلنسي (ت ٦٩٣ هـ) وغيرهم.

واشتهل أبو العباس الغبريني بالتدريس زمناً، درس في جامع الزيتونة في تونس ثم تولى القضاء في بلدان عديدة كان آخرها بجاية، من غير أن ينقطع عن التدريس في تونس وبجاية وغيرها. ثم ترقى إلى منصب قاضي القضاة في بجاية وبقي في منصبه حتى وقعت وحشة بينه وبين أمير بجاية أبي البقاء خالد الذي جاء إلى حكم بجاية سنة ٧٠٠ هـ (١٣٠٠-١٣٠١ م).

لما سار أبو البقاء لتأديب واليه على قسنطينة (الجزائر) محمد بن يوسف الهمداني الأندلسي، سنة ٧٠٤ هـ اصطحب أبا العباس الغبريني. ثم إن أبا البقاء أرسل الغبريني في سفارة إلى صاحب تونس محمد الواثق أبي عصيدة. ووشى جماعة إلى أبي البقاء بأن الغبريني قد حرص أبا عصيدة على الثورة ففضب أبو البقاء ثم ألقى الغبريني في السجن ثم أمر بقتله، سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٥ م).

٢- كان أبو العباس الغبريني رجلاً، قبل أن يلي القضاء، يُحب الاختلاط بالناس فيكثر من حضور الولائم ويدخل إلى الهامات العامة. فلما ولي القضاء ترك ذلك كله ومال إلى الجد فأصبح مهيباً وقوراً شديداً في أحكامه. وكان للمتصوفين المعتدلين أثر كبير في نفسه يؤمن بكراماتهم.

والغبريني مؤلف له: «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» وقد ذكر له بروكلمن (الملاحق ٢: ٣٣٧) مصنفاً هو «البرنامج» (فهرست بأسماء شيوخه).

وكتاب «عنوان الدراية» مجموع تراجم لعلماء وأدباء من القرن الهجري السابع، سواء أكانوا من أهل مجاية أو من الوافدين عليها والزائرين لها (من أنحاء القطر الجزائري ومن الأندلس ومن المشرق). وترى شيئاً من غاية الكتاب ومنهج تأليفه في النص المختار.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة عنوان «الدراية»:

.... إِنَّهُ لَمَّا كَانَ طَلَبُ الْعِلْمِ اللَّدْنِيِّ^(١) فُرْضاً عَلَى الْكِفَايَةِ حِيناً وَمُتَمَعِّناً فِي الْحَالِ^(٢)، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ - فِي تَحْصِيلِهِ - مِنْ تَلْقَائِهِ عَنِ الرِّجَالِ... فَلِذَلِكَ اهْتَمَّ الْعُلَمَاءُ بِذِكْرِ الرِّجَالِ وَاسْتَعْمَلُوا فِي تَمْيِيزِ أَحْوَالِهِمُ الْفِكْرَ وَالْبَالِ... وَقَدْ اخْتَلَفَتْ فِي ذَلِكَ مَصَادِرُهُمْ وَمَوَارِدُهُمْ^(٣)، وَإِنْ اتَّفَقَتْ فِي بَعْضِ الْوُجُوهِ مَقَاصِدُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ التَّجْرِيعَ وَالتَّمْدِيلَ فِي الْمُحَدِّثِينَ^(٤)، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ مِنْ يُعْرِفُ بِالْحِفْظِ وَالْإِتْقَانِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الْعُلَمَاءِ وَالْمُجْتَهِدِينَ... (و) كَلَّ ذَلِكَ يُحْصَلُ الْإِفَادَةُ وَيُسَهَّلُ لِلطَّالِبِ مُرَادَهُ. وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَضَ فِي هَذَا عَلَى^(٥) سَبِيلِ الْمُكَاتَرَةِ وَطَرِيقِ الْبَاهَاةِ وَالْمَفَاخِرَةِ، كَمَا قَصَدَهُ بَعْضٌ مِنْ قَصَرَتْ مَعْرِفَتُهُ وَلَمْ تَرْتَقِ إِلَى دَرَجَةِ أُولَى النُّهَى دَرَجَتُهُ، (بل) يَكُونُ الْقَصْدُ فِي هَذَا إِنَّمَا هُوَ مَا يَتَمَلَّقُ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَيُوصَلُ إِلَى

(١) العلم اللدني: العلم الذي هو من لدن (يفتح ضمّ فسكون: عند) الله، من قوله تعالى (١٨: ٦٥)، سورة الكهف: ﴿وَعَلَّمَنَا مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾.

(٢) فرض الكفاية هو العمل الذي إذا قام به بعض المسلمين سقط عن بعضهم الآخر (كشيخ الخنيرة ونوحي القضاء). متمين (فرض عين: واجب على كل مسلم يجد في نفسه القدرة على شيء، كالجهاد إذا خيف على الإيمان). في الحال: الآن (في زمن المؤلف).

(٣) تلقيه عن الرجال: بالرواية (بأن ينقل التأخر الخبر عن مسدّم عليه بالزمن). مصادرهم: الأمور التي اعتمدها واستندوا إليها. مواردهم: غاياتهم والنتائج التي وصلوا إليها.

(٤) المحدّثين (رواة الحديث عن رسول الله). المرحج والتعديل: نقد رجال السند (الذي يروون الحديث سلسلاً واحداً عن واحد) بالمرحج (الكشف عن ضعفهم أو جهلهم أو كذبهم أو انقطاعهم بأن يكون بين أحدهم والذي سبقه في سلسلة السند زمن طويل، الحج) والتعديل (معرفة ما في الراوي من العدل أو العدالة: كالمعلم والتقوى والأمانة والخلق الكريم، الخ).

(٥) كذا في الأصل (ولعلّ الصواب: ينبغي أن لا يحرص هذا على...).

السبيل المرصية، وذلك بحيث يعلم طالب العلم (أولئك) الأئمة الذين بهم يقتدى
وبسلوك سننهم السوي يهتدى.

وإنني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء بيجاية في هذه المائة
السابعة^(١).... أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره وظهرت جلالته وعرفت مرتبته
في العلم ومكاتبه. وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين
والشيخ أبي علي المسيلي والفقير أبي محمد عبد الحق الإشبيلي، رحمهم الله ورضي عنهم،
لقرب عهدهم بهذه المائة - لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة - للتبرك بذكرهم
ولانتشار فخرهم. و (أنا) أبدأ بهم، رضي الله عنهم، ثم أتلوهم بذكر شيختي وأعلام
إفادتي، ثم أتلو^(٢) (هؤلاء) بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم، رحمهم الله.
وسميت هذا المجموع: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة
بيجاية.....

- وقال أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني (المرتبة العليا ١٣٢):

لا تُسكحن سرك المكنون خاطبه وأجعل لميته بين الحشا جدًا.
ولا تقل: نفضة المصدر راحته. كم نافث روحه من صدره نفاثا.

٤- عنوان الدراية.... (عني بنشره محمد بن شب، الجزائر ()
١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م)؛ نشره عادل نويض، بيروت () ١٩٦٩ م؛
(تحقيق رابع يونان)، الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٩٧٠ م.

** الدياج المذهب ٧٩ - ٨٠: نيل الإبتهاج ٧٣ س؛ تعريف الخلف ١: ٢١ - ٢٧؛ وفيات
ابن قنفذ ٣٣٨ - ٣٣٩؛ درة المجال ١: ١٠ - ١١؛ المرقبة العليا للتباهي ١٣٢؛ شجرة
النور الزكية ٢١٥؛ بروكلمن ٢: ٣١٠ - ٣١١، الملحق ٢: ٣٣٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٨٧
(٩٠)؛ سركيس ١٤٠٧؛ أعلام الجزائر لنويض ١٥.

(١) المائة السابعة: من ٦٠١ إلى ٧٠٠ للهجرة (بواضا: ١٢٠٤ - ١٣٠٠ للميلاد).

(٢) أتلو: اتبع.

؛ أبو العباس العزقي

١- هو أبو العباس أحمد بن أبي طالب اللخمي العزقي، كان أهله ذوي رئاسة في سبته، في أواخر أيام الموحدين (نحو ٦٢٥-٦٦٥ هـ)، فنقلهم ابن الأحرر إلى غرناطة.

سمع أبو العباس العزقي من أبي علي بن خيسر. ثم كانت وفاته في ٢٨ من ذي الحجة ٧٠٧ (١٣٠٨/٦/١٨ م). وفي الأدب المغربي (ص ٢٣١) سنة ٧١٧ هـ.

٢- أبو العباس العزقي شاعر حسن السبك على شعره شيء من الرقة والطلاوة، وهو يُقَدَّرُ المشاركة. وفنونه وجدانية من الشكوى والخمر والنسيب في الأكثر.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباس العزقي في الخمر والنسيب:

هذا الصباح، فغادني بصبح؛ وأنهض براحك فهي راحة روعي^(١).
لا تكترث بمحطوب دهرك واسمعي كأساً تحسن منسه كل قبيح.
ما لي وللأطلال أسأل صامتاً منها وأعول في مهابة فيح^(٢)!
في الراح والريحان شغل شاغل لي عن عيافة بارح وسنيح^(٣).
وأهيم في وزد الحدود وآسها، لا في عرار بالفلاة وشيح^(٤).
كم عرضوا لي بالملام وصرحوا، فصصت في التمريض والتصريح.

(١) غادني (قدم لي باكراً) بصيبح (بمخر في الصباح). الراح الخمر.

(٢) الطلل: مكان بناء الحبة (وهنا): الديار الحربة. أعول: رفع صوته بالكاء. المهمة: الصحراء الواسعة. الأفيح: الواسع.

(٣) البارح: الطير إذا مر من بين الرائي إلى يساره (وكان عند العرب دليل شؤم). والسنيح أو السنيح ضد البارح. العيافة: الاستدلال بطيران الطيور على المستقبل.

(٤) الأس: نبات أوراقه خضر. آس الحدود (أوائل الشعر النابتة في الوجه). العرار والنسيب من نبات البادية.

عَجَباً لَمْ يَلْقَوْنِي بِلَا مِهِم
 إِنَّ صَوْحَ الرُّوضِ النَّضِيرِ، فَخَذَهُ
 قَلْبِي بَعْدَهُمْ يَزِيدُ تَوْقُداً؛
 - وله في السيب والعتاب:

مَلَكْتَ رَقِي بِالْجِهَالِ فَأَجِيلِ،
 أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَى الْمَلَا حِ، (وَمَنْ يَجْرُ
 إِنْ قِيلَ: أَنْتَ الْبَدْرُ، فَالْفَضْلُ الَّذِي
 لَوْلَا الْحِظْوْظُ لَكُنْتَ أَنْتَ مَكَانَهُ،
 مَا زِلْتُ أَعْدُلُ فِي هَوَاكِ، وَلَمْ يَزَلْ
 أَصْبَحْتُ فِي شُغْلِ مَجْهَلِ شَاغِلِ
 لَمْ أَهْمِلِ الْكِتَانَ، لَكِنْ أَدْمَعِي
 إِنْ كُنْتُ بَعْدِي حَلْتِ عَمَّا لَمْ أَحُلْ
 أَوْ حَالَتِ الْأَحْوَالُ فَاسْتَبَدَلْتِ بِي؛
 وَحَكَمْتَ قَلْبِي بِاعْتِدَالِكَ فَاعْدِلِ (٣).
 فِي حُكْمِهِ، إِلَّا جُفُونَكَ، يُعْزَلِ (٤).
 لَكَ بِالْكَهَالِ؛ وَتَقَضُّهُ لَمْ يُجْهَلِ.
 وَلَكَانَ دُونَكَ فِي الْحِضِضِ الْأَسْفَلِ!
 سَمِعِي عَنِ الْعُدَّالِ فِيكَ بِمَعْزَلِ.
 عَنِ أَنْ أَصِيحَّ إِلَى كَلَامِ الْعُدْلِ (٥).
 هَمَلْتِ. وَلَوْ لَمْ تَقْضِي لَمْ تَهْمَلِ (٦).
 عَنْهُ، وَقَدْ أَهْمَلْتِ مَا لَمْ أَهْمِلِ،
 فَأَنَا مُجْبِي فِيكَ لَمْ أَسْتَبْدِلِ.

٤- * نوح الطب ٢: ٣٦؛ النوح المغربي ٢٢٦-٢٢٧، ٧٣٢-٧٣٥، ٧٦٤-٧٦٥؛
 الأدب المغربي ٢٣١-٢٣٥.

أبو جعفر بن الزبير

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن

(١) إذا رأوه قالوا: « سبحان الله » (الجماله الحارقي).

(٢) صوح: يس.

(٣) أحمل: عاملني بإحسان ولطف.

(٤) « ومن يجز يعزل » راجع موشحة عبادة بن ماء السله (٤: ٤٤٩-٤٥٠ من هذه السلسلة....

(٥) أصاخ: استمع.

(٦) - أنا كنت حيي، ولكن دموعي التي انهرت بكثرة دلت الناس على حيي لك.

عاصم بن مسلم بن كعب التميمي الجبلي، وُلد في ذي القعدة من سنة ٦٢٧ (خريف عام ١٢٣٠ م) في أسرة غنيّة معروفة في جيان.

تلا أبو جعفر بن الزبير القرآن بالقراءات السبع على أبي الحسن الثاري وغيره. وخرج به أبوه من جيان، سنة ٦٤٣ هـ، لما استولى عليها العدو. وفي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧ م) كان في فاس فلقبى أبا العباس أحمد بن يوسف بن فرتون (ت ٦٦٠ هـ) مؤرخ أهل فاس وتلمذ عليه.

وتصدّر أبو جعفر بن الزبير لإقراء كتاب الله وإسماع الحديث وتدريس الفقه وتعليم العربية (النحو) في جيان ثم في مالقة، فيما يبدو. وظهر في مالقة مشعوذ يدعى إبراهيم الفزاريّ فقاومه ابن الزبير. ولكن ذلك المشعوذ استعان عليه بالمتغلب على تلك المدينة - أحد بني أشقيلولة التحييين - فأوذي ثم اضطرّ إلى مبارحة مالقة فحاء إلى غرناطة. واتفق أن جاء إبراهيم الفزاريّ رسولاً من أمير مالقة إلى غرناطة فانتهر ابن الزبير الفرصة وشرح للسلطان أمر هذا المشعوذ. وثبت على المشعوذ شعودته وأنه ادعى النبوة أيضاً فقيل.

وكانت وفاة أبي جعفر بن الزبير في غرناطة، من ثامن ربيع الأول من سنة ٧٠٨ (١٣٠٨/٨/٢٦ م).

٢ - كان أبو جعفر بن الزبير مُصنفاً له من الكتب: ملاك التأويل في المشابه اللفظي في التنزيل (القرآن) - الإعلام بين ختم به القطر الأندلسي من الأعلام - صيلة الصلة (وصل به صيلة ابن بشكوال) - معجم شيوخه - برنامج رواياته (٤).

وأسلوبه في الكتابة موجز واضح وربما تأنق في الكتابة حيناً (كما نرى في النص - في « مختارات من آثاره »).

٣ - مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن الزبير في الأنصاف عن أمور الدنيا (بغية الوعاة ١٢٧):

ما لي وللتَّال؟ لا أمَّ لي، إن سَلتُ: مَنْ يُعزَلُ أو مَنْ يَلِي (١)؟
حَتَّى دُنُوِي أَثَقَلتْ كَاهِلِي؛ ما إن أرى غَمَاءَها تُتَجَلِي (٢).

- وقال (صلة الصلّة، ص ٢٨ - ٣٠، رقم ٤١):

عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي من أهل المنشأة من حصون مألقة بقريةها (٣)،
يكنى أبا محمد.... كان ورعاً زاهداً أديباً حافلاً (٤) بالغ الأدب، لا يُشَقُّ غبارُه إذا
نَظَمَ أو كَتَبَ: رشاقة جيلٍ عليها، وحلاوة أغراضٍ جرّت طباغُه على عِناهُ (٥) إليها.
وأما الورعُ والزهدُ فهما لباسُه وشعارُه (٦)، وإن أتهمت أو أنجّدت فبحكم ماذونية
الأدب ولودعيته مقاماته وأشعاره (٧). كان، رحمه الله، يرى تفضيل سكنى البوادي
على الأمصار (٨)، وإن أساءَ لِنَفْسِه - كما قال بعضهم - الاختيار. (ولكنه فعل ذلك)
إيثاراً للحمول ورجاء لإعداد ذلك في عمله المقبول (٩).... وقد قيّدتُ من نظمه
وشعره.... ما يهدُ بسنِّه في الآداب وإحرازه الغاية في ذلك الباب... وكان بينه
وبين الشيخ الأديب الفاضل الورع الجليل أبي الحجاج بن الشيخ حلة (١٠) متأكّدة، وكانا
يتراسلان نظماً ونثراً بما يملأ الأرجاء طيباً ونثراً (١١)، إلى أنبساطٍ ودُعابةٍ ما شان مثله

- (١) لا أمَّ لي، لا أمَّ لك تعبير يستعمل للذم والسب، وقد يستعمل في المدح على سبيل التمجيب. والأم، في
الأصل، الوالدة، وهي أيضاً الثأن والأمر والقصْد. لا أمَّ لي (هنا): تكلمتني أمِّي (يدعو على نفسه
بالموت) أو لا ثأن لي يمثل هذا الأمر (٢). سلت = سألت. من يعزل (عن الحكم) ومن يلي (يتولى الحكم).
(٢) الكاهل: ما بين الكفين. الغمَاء: الشدة (المصيبة) التي تمّ (تغطّي على ما سواها). تتجلى: تنكشف.
(٣) المنشأة: موضع النشأة (مكان فيه أشجار وأزهار).
(٤) حافل: كثير لونه (القاموس ٣: ٣٥٨) - أديب حافل: أديب بارع في عدد من فنون الأدب (٢).
(٥) جرى على عناه (رسنه، لجمامه): سهل عليه الجري (البراعة في الأعمال).
(٦) الثعار: ثوب يلبس بما يلي البدن. هذا الأمر لباسي وشعاري (يستغرق كلَّ اهتمامي وجميع أعمالِي).
(٧) اللودعي: الذكي الفصيح. فبحكم ماذونية الأدب ولودعيته (٢). القامة: فن من فنون الأدب.
(٨) البادية: المكان البادي (المبعد عن العمران). المص (بالكسر): المدينة الكبيرة.
(٩) إيثاراً (تفضيلاً) للحمول (قلة الثمراء). العمل المقبول: المسلك الديني الذي يؤدي إلى رضا الله واستحقاق
الجنة.
(١٠) الحلة (بالضم): الصداقة.
(١١) النشر: الريح (أو الرائحة) الطيبة.

أمثالها، ولا عابه. وكانا في الفضل والدين والأدب المتين كَفَرَسَيَّ رَهان^(١). وقد قَلَّدَ بعضُ الجَلَّةِ أخبارَها لِيقْتَنِي من وفق آثارها^(٢). وقد تُوفِّيَ الشَيْخُ الفاضل أبو مُحَمَّدٍ عبد الوهَّابِ سَنَةَ ٥٩٨....

٤- صلة الصلة (تحقيق إتيان ليفي برونسال) الرباط ١٩٣٧م؛ بيروت (مكتبة خياط - بالتصوير) بلا تاريخ (؟ ١٩٦٦م).

الرواقى بالوفيات ٦: ٢٢٢؛ الدياج الذهب ٤٢ (فاس ٥٧)؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ١: ٨٤-٨٦؛ الإحاطة ١: ١٩٥-٢٠٠؛ البدر الطالع ١: ٣٣-٣٥؛ بنية الوعاة ١٢٦-١٢٧؛ شذرات الذهب ٦: ١٦؛ نفع الطيب ٢: ٢٩-٣٠؛ ٦١٦، ٣٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٦؛ نيكل ٣٦٢؛ الاعلام للزركلبي ١: ٨٣-٨٤ (٨٦).

ابن خَمِيسِ التِّلْسانِيُّ

١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَمِيسِ الحِمَيْرِيِّ الحِجْرِيِّ الرَّعْنِيِّ التِّلْسانِيِّ، نَسَبُهُ إِلَى حِجْرٍ ذِي رُعَيْنٍ مِنْ حِمَيْرٍ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ اليَمَنِ.

وُلِدَ ابْنُ خَمِيسِ التِّلْسانِيُّ سَنَةَ ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ م) أَوْ قُبَيْلَ ذَلِكَ، وَلَا نَكَاذَ تَعْرِفُ شَيْئاً عَنْ حَيَاتِهِ الْأُولَى سِوَى أَنَّهُ آثَرَ الْحَيَاةَ فِي عَزْلَةٍ عَنِ النَّاسِ. وَقَدْ عَاصَرَ ابْنَ خَمِيسِ جِلَّةً مِنَ الْمُلَهاءِ فِي تِلْسانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَخْلَفَ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ التَّنَسِيَّ (الجزائري) المَطْطَاطِي التِّلْسانِيُّ (ت ٦٧٠ هـ) وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقِ المَعْجِسِيِّ التِّلْسانِيِّ (٦٢٠-٦٧١ هـ) وَالأَدِيبُ الكاتِبُ النَّاعِرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ داوودَ بْنِ خَطَّابِ العَاقِقي (ت ٦٧٠ هـ)؛ وَلَكِنَّا لَا نَعْلَمُ إِذَا كَانَ قَدْ أَخَذَ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ شَيْئاً مِنْ فُنُونِ العِلْمِ وَالأَدَبِ.

(١) ما شان عاب) مثله (رجلاً مثله) أمثالها (أمثال هذه الدعابة وذلك الانبساط). الانبساط: ترك النفس (أحياناً) على حقيقتها: ترك الجِدَّةَ (بالكسر) والتَقَبُّدَ بالعِرفِ القاسي. فرما رهان (قادران على الجري، ولا يكاد أحدها سبق الآخر).

(٢) يقْتَنِي (يَتَّبِعُ) من وفق (؟). آثاره: خطواته (طريقته في الحياة).

في سنة ٦٨٨ هـ (١٢٨٩ م) التقى الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد
 ابن مسعود العبدري بابن خيس في تلمسان، وكان ابن خيس لا يزال يحب العزلة. ثم
 إنه خرج من عزلته الطويلة وتولى منصباً في ديوان الإنشاء للسلطان أبي سعيد عثمان بن
 يعفراسن بن زيان (٦٨١ - ٧٠٣ هـ) في النصف الثاني من مدته. وفي سنة ٧٠٣ هـ
 (١٣٠٤ م) لقي جفوة في بلاط تلمسان فخرج غاضباً وجاء إلى سبنة ومدح أبا طالب
 العزفي المستبد بملك سبنة يومذاك؛ ثم استقر في سبنة للإقراء. غير أن نفراً من
 الطلاب أساءوا إليه فانتقل وشيكاً إلى مآلقة ثم إلى غرناطة، قيل قبل أن تنتهي سنة
 ٧٠٣ هـ.

ولما قتل الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم، في أول شوال من
 سنة ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م)، قتل ابن خيس معه ظلماً.

٢- كان لابن خيس التلمساني عناية بفنون من العلم والأدب: بالفقه والمذاهب،
 وباللغة والعربية (النحو)، وبالتاريخ وأيام العرب وأحوالهم، مُلمّاً بشيء من علوم
 الحكمة كالمناطيق والطب؛ كما كان أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً فحلاً على المنهج المشرقي.
 وكانت على شعره نفحة قوية من نفس المرعي. وابن خيس شاعرٌ مُحسِنٌ سريعُ الحاطرِ
 طويلُ النفسِ رائقُ المعاني واضحُ المقاصد يُغلب على شعره شيء من القصص الملحمي
 من جاهلية العرب. وفي بعض شعره فكاهة ودعابة؛ وفي بعض شعره نفحة دينية
 قريبة من التصوف.

ومع أن ابن خيس التلمساني ميّالٌ إلى استجماع الغريب في شعره وإلى تصيّد وجوه
 البلاغة، والبدیع منها خاصة، في التركيب المتين، فإن شعره ديباجة راقية بالغة في
 الوضوح والسلاسة والمُدبوبة.

ومن فنون شعر ابن خيس في القصائد الباقية لنا المدح والفخر والشكوى والحنين
 والغزل والنسيب والحمريات (وهو يفضل الحشيشة على الخمر).
 ولابن خيس شيء من الترسُّل لا يلحقُ بشعره.

- قال ابن خيسر التُّلَسَانِي يفتخرُ ويشكو الشَّيخوخَةَ بعدَ انقضاءِ الشَّبابِ :
 إِنَّ كُنْتَ تَجْهَلُ أَنِّي لَا أَرْقُدُ ، فَاسْأَلْ يُخْبِرُكَ السُّهَاءُ وَالْفَرْقَدُ (١) .
 وَإِنْ أَتَمَّمْتَهَا لِبَعْضِ تَشَابُهٍ بَيْنِي وَبَيْنَهَا - فَطَيْفُكَ يَشْهَدُ (٢) .
 وَلَقَدْ أَيْتُ اللَّيْلَ لَا أُدْرِي بِهِ سَهْرًا ، كَمَا بَاتَ السُّلَيْمُ الْأَرْمَدُ (٣) ،
 أُرْعَى كَوَاكِبَهُ وَأَرْقُدُ صُبْحَهُ ؛ وَالصُّبْحُ أَنَا مِنْ هَوَايَ وَأَبْعَدُ (٤) .
 بَانَ الْخَلِيطُ ، وَبَانَ قَلْبِي إِثْرَهُ سَهْرًا ، كَمَا زَعَمَ الرُّعَابُ الْأَسْوَدُ ؛
 وَتَبَايَسَتْ أَغْرَاضُنَا وَجُومُنَا ؛ فَالْجِسْمُ يُتَّهَمُ وَالْعَرِيضَةُ تُنْجَدُ (٥) .
 وَنَهَضْتُ لَوْ وَافَى نُهوضِي قُوَّةَ مِنِّي وَسَاعَدَنِي الشَّبابُ الْمُسْعِدُ (٦) .
 لَا تَعْجَبَنَّ لِعَزَمَتِي وَتَتَّبِعِي ؛ فَالشَّوْقُ يَنْهَضُ وَالزَّمَانَةُ تُقْعِدُ (٧) .
 أَوْدِي صِبَايَ وَغَاضَ مَاءَ مَعِينِهِ ، وَذَوَى قَضِيبُ قَوَامِي الْمَتَاوُدُ (٨) ؛

- (١) السُّهَاءُ : نجم خفي في بساتن نعش الصفرى . الفرقد أو الفرقدان : نجم القطب الشمالي (لأنه في الحقيقة نجم مزدوج) . - السُّهَاءُ والفرقد شهدان أنني لا أرقد (لا أنام) لأنني أراهما طول الليل (في تذكرك) . ثم إن السُّهَاءَ والفرقد في كوكبة (أو عنقود نجوم) لا تغيب (فهل كان الشاعر يعرف ذلك ؟) . راجع البيت التالي .
- (٢) - وإذا لم تقل شهادتها لأنني شبهها (في السناء : الرفعة) فاسأل طيفك (خيالك) فهو يزورني طوال الليل (لأنني أحلم بك طوال الليل) .
- (٣) الأرمد : الذي به مرض في جفونه . السليم : الليل (سُمِّيَ ليلياً تفاضلاً بسلامته : شفائه) .
- (٤) - أسأله الكواكب ثم أقول أنا ما إذا جاء الصبح . ولكن الصبح لا يأتي (أظن يقظان ليل نهار) .
- (٥) تابيت : اختلفت . أغراضنا : أهدافنا ، غاياتنا ، أمنياتنا . يُتَّهَمُ : يأتي تهمة (وهي منخفضة) . يُنْجَدُ : يأتي بجداً (الأرض المرتفعة) . - أهدافنا سامية ، ولكن أجسامنا لا تستطيع تحقيق تلك الأهداف .
- (٦) - كنت أنهدى (أسو لتحقيق أهدافي) لو أن جسمي وهني قوة على ذلك ولو كان لا يزال في بقعة من شباب ناعد على ذلك .
- (٧) - لا تعجب من رغبتني (في السمو) وتنتظني وتباطئي (عجزني عن السير إلى رغبتني) . الزمانَةُ : المرض الدائم . يقعد : يجعل الإنسان مقعداً (عاجزاً ، لا يستطيع الحركة) .
- (٨) أودى : هلك ، ذهب . غاض ماء معينه : جف نبع الماء ، انقطع عن السبع . ذوى القضيب : بيس الفصن ، جف ماؤه ودعت نضارته . المتأود : المتعطف ، المتأيل (لأنه لين ، نضير أخضر) .

وأتى الشيبُ يزورني مُتَفَقِّداً؛ والشيبُ أَبْغَضُ زائرٍ يَتَفَقَّدُ (١).
ولَى الشابُ وشرَّخه: لم يَبْقَ لي بَعْدَ الشابِّ وشرَّخه ما أَقْفَدُ (٢)!

- وقال في الشيب والشكوى والفخر بنفسه وبشعره:

عَجَباً لها! أيدوقُ طَمَمَ وِصالِها من ليس يَأْمَلُ أن يَمُرَّ بِبِالِها؟
وأنا الفقيرُ إلى تَلَعَةِ سَاعَةِ منها؛ وَتَمَنُّعِي زَكَاةَ جِمالِها (٣).
يَعْنَادُنِي في اللَّيْلِ طَيْفُ خيالِها فَتُصَيِّبُنِي الحَاظِطُها بِبِمالِها (٤).
ومن العجائبُ أن أقيمَ ببلدَةٍ يوماً، وَأَسْلَمَ من أذى جِمالِها.
شَغِلُوا بِدُنْيائِهِمْ! أَمَا شَغَلْتَهُمْ عَنِّي؟ فَكَمْ ضَيَّعْتُ من أَشغالِها (٥)!حُجِبُوا بِجَهْلِهِمْ، فَإِنْ لاحتْ لهم شَمْسُ الهُدَى عَنَبُوا بِضَوْءِ دُبالِها (٦).
وَإِنْ انْتَسَبْتُ فَإِنِّي من دَوْحَةِ تَمَقِيلِ الأَنسابِ بَرْدَ ظِلالِها (٧).
من جَمِيرٍ من ذي رُعَيْنٍ من دُرا حَجِرٍ من العُطاءِ من أَقِبالِها (٨).
خُذْها، أبا الفضلِ بنِ يَحْيَى، تُحْفَةً جاءَتْكَ لِم يُنْجِ عَلى مِناولِها:
ما جالَ في مِضارِها شِعرٌ، ولا سَمَحَتْ قَرِيجَةٌ شاعِرٍ بِمِثالِها!

- (١) تفقد الرجل الأمر: بحث عنه أو عن حاله.
(٢) الشرح = شرح الصبا: عنوانه، ذروته.
(٣) تلمة: ما يتخلل (يلهو) به الإنسان. زكاة جمالها: ما تصدق به المرأة من التمتع بجمالها.
(٤) اعتاد المكان: جاء إليه مرة بعد مرة - حتى في المنام فتتك في لحظاتها.
(٥) شغلوا بدنياهم (دعوة عليهم بأن تشغلهم الدنيا عن مصالح أنفسهم). - فك ضيعت (مصالح كثيرة لي) من أشغالها (بسبب الأمور التي شغلني بها).
(٦) حجوا بجهلهم: حجهم جهلهم عن معرفة حقائق الأمور. فإن لاحت لهم شمس الهدى (الحق، المعرفة الرئاسة) عشوا (لعوا، التهاوا) بضوء دبالها (الدبال جمع ذبالة: العتيلة التي تضيء في السراج) = هم يلتهون بظواهر الأشياء وبصغار الأشياء عن حقائقها (المسمى صوفي).
(٧) انتسبت: ذكرت نسي. من دوحه (شجرة كبيرة): من أسرة عظيمة. تمقيل: تمام بعد الظهر (تنعم).
برد طلاها: في ظلها (في ظلها العليل البارد) = تمنى الأنساب أن تكون مثل نسي.
(٨) حير (ابن سبأ بن يحيى - بضم الميم): أبو قبيلة من عرب الجنوب. رعين: حصن في اليمن. ذو حجر رعين: أبو قبيلة في اليمن. - يقصد الشاعر أنه من نسل ملوك اليمن.

٤- المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خنيس (عمل عبد الوهّاب بن منصور)، فاس (مطبعة ابن خلدون) ١٣٦٥ هـ.

** تعريف الخلف ٢: ٣٦٦؛ ابن قنفذ ١٣٤١؛ أعمال الأعلام ٢٥٤-٢٥٥؛ نفاضة الجراب ٢١؛ الكنية الكامنة ٣١؛ بغية الوعاة ٨٦؛ المرقبة العليا للباهي ١١٤؛ نفع الطيب ٥: ٣٥٦-٣٧٨، ٧: ١٣١-١٣٣؛ دائرة المعارف للإسلامية ٣: ٨٣٣-٨٣٤؛ الأعلام للركلي ٧: ٢٠٤ (٦: ٣١٤)؛ معجم أعلام الجزائر لنويش ١٧٠-١٧١؛ الظنار ١٢٤-١٤٢؛ مجلّة الأصالة ٧/١٩٧٥، ص ١٢٨ وما بعد، راجع ١٤٩-١٥٠.

ابن الحكيم الرندي

١- هو ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيى الحكيم. وقد عُرفَ بِحَيِّي بَلَقِبِ «الحكيم» لَطِبْتِهِ (لأنّه كان يعمل في الطب). كان أسلافُ ابنِ الحكيم من إشبيلية ثم انتقلوا إلى رُنْدَةَ في دولة بني عَبَّادِ (القرن الخامس الهجري)، وفي رُنْدَةَ كانوا يُعرفون ببني قَتُوح.

وُلِدَ ابنُ الحكيمِ الرُنْدِيّ في رُنْدَةَ في ربيعِ الأولِ ٦٦٠ وفيها نشأ وأخذَ قِراءةَ القرآنِ بالقراءاتِ السَّبعِ وأخذَ العَرَبِيَّةَ عن أبي الحسنِ عليّ بنِ يوسفَ القَبْدَرِيّ السَّفَّاحِ النُّعَوِيّ وأبي القاسمِ بنِ الأيسرِ وغيرِهما. ثمّ إنّه رَحَلَ، سَنَةَ ٦٨٣ هـ (١٢٨٤م) - وكان لا يزالُ ذا قِتاةٍ - إلى المشرقِ فزارَ مِصرَ ثمّ حَجَّ، سَنَةَ ٦٨٤ هـ (١٢٨٦م). وبعدَ انتهاءِ موسمِ الحجِّ جاء إلى الشامِ، وزار العراقَ (نفع الطيب ٢: ٦١٩).

وعادَ أبو عبدِ اللهِ بنُ الحكيمِ إلى رُنْدَةَ سَنَةَ ٦٨٦ هـ. وفي آخرِ السَّنَةِ التاليةِ انتقلَ إلى غَرْنَاطَةَ وأتصلَ بِثانيِ مُلوِكِها أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ (الثاني) الفقيه (٦٧١-٧٠١ هـ) فأثبته في خواصِّ دولتهِ ثمّ رَقاه إلى كِتابَةِ الإنشاء. ولمّا جاء ثالثُ مُلوِكِ بني نصرِ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ (الثالث) المعروفُ بِالْمُخلُوعِ ارتقتْ منزلَةُ ابنِ الحكيمِ الرنديّ فجمعتْ له الكِتابَةُ والوزارةَ ولُقِّبَ ذا الوزارتين. وقد كان ابنُ الحكيمِ مُمدِّحاً مَدِّحَهُ أبو مُحَمَّدِ عبدُ المُهيِّينِ الحَضْرَمِيّ (٧٤٩ هـ) وأبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الجِيَّابِ (ت ٧٤٩ هـ).

ولم يَصِفْ الدهرُ لابنَ الحكيمِ الرُّنديِّ فقِيلَ يَوْمَ خُلِعَ مُحَمَّدُ الثَّالِثُ النَّصْرِيُّ، فِي أَوَّلِ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م) وَمُثِّلَ بِهِ.

٢- كان ابن الحكيم الرندي رجلاً عالي الهمة كريم النفس جليل الأخلاق وكان عالماً ذا عناية بالرواية (للحديث) وأديباً خطيباً وكاتباً بليغاً وعالماً بنقد الشعر، وكان له نظمٌ كثير. وتثره أعلى رتبة من شعره (نفع الطيب ٢: ٦٢٤). وفنونه المدح، وله شيء من الغزل الذي يميل إلى المجون. وكان يكتب أنواعاً من الخط الجميل.

٣- مختارات من آثاره

- لابن الحكيم الرندي مَقَطَعَاتٌ قِصَارٌ مِنْهَا:

إِنِّي لِأَعْبِرُ أحياناً فَيُلَحِّقُنِي يُسِّرُ مِنَ اللَّهِ؛ إِنَّ الْعُرَى قَدْ زَالَا^(١).
يَقُولُ خَيْرُ الْوَرَى فِي سُنَّةٍ ثَبَّتَتْ: «أَنْفِقْ وَلَا تَحْشَنْ مِنَ الْعَرْشِ إِقْلَالًا»^(٢).
* مَا أَحْسَنَ الْعَقْلَ وَأَنَارَهُ، لَوْ لَازَمَ الْإِنْسَانُ إِيشَارَهُ^(٣):
يَصُونُ بِالْعَقْلِ الْفَتَى نَفْسَهُ كَمَا يَصُونُ الْحُرُّ أَسْرَارَهُ،
لَا سِيَّأَ إِنْ كَانَ فِي غَرْبِيَّةٍ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ مِقْدَارَهُ!
* مَا زِلْتُ أَسْمَعُ عَنْ عَلَيْكَ كُلَّ سَنَاءٍ أَنبِيءُ مِنَ الشَّمْسِ أَوْ أَجْلِي مِنَ الْقَمَرِ^(٤)،
حَتَّى رَأَى بَصْرِي فَوْقَ الَّذِي سَمِعْتُ أُذُنِي، فَوْقَ بَيْنِ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ!

- وَقَالَ فِي صِبْيَاهُ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا السُّلْطَانَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدًا (الثاني) الفقيه لما جاء السلطان إلى رُبْدَةَ:

هَلْ إِلَى رُدِّ عَشِيَّاتِ الْوِصَالِ سَبَبٌ، أَمْ ذَاكَ مِنْ ضَرْبِ الْمَحَالِ؟
وَلِيَالٍ مَا تَبَقَّى بَعْدَهَا غَيْرُ أَشْوَاقِي إِلَى تِلْكَ اللَّيَالِي.

(١) أعبر الرجل: اتفرغ. البسر: الضيق.

(٢) خير الورى: محمد رسول الله. في سنة (في حديث عن رسول الله أو في عمل من أعماله).

(٣) إيشاره (تفضيل العقل في أعماله على العاطفة).

(٤) السبا (بالعصر، بلا مد): الصوه الصيت الحسن. أبى: أجل.

وغزالٍ قد بدا لي وجهه
 من تلى عن هواه فأنا
 فلئن أتعبني حبي له،
 إذ لآلي جیده من قبلي
 قد داوى بلهاه ظمأى
 أهما المولى الذي نَمَاؤه
 فرأيتُ البدرَ في حالِ الكمالِ .
 بيواه عن هواه غيرُ سالٍ .
 فلکم نلتُ به أنعمَ حالِ .
 ووشاحاهُ يميني وشيالي^(١) .
 مزجك الصهباء بالماء الزلال^(٢) .

- وله من رسالة طويلة كتبها عن السلطان:

..... وقد تقررَ عند الخاصِّ والعالمِّ من أهل الإسلام، واشتهرَ في آفاق الأقطار
 اشتهاً الصَّبحِ في سوادِ الظلام، أنا لم نزلْ نَبْدُلُ جُهْدنا في أن تكون كلمة الله هي
 العليا ونسَمَحُ في ذلك بالنفوس والأموال رجاء ثواب الله لا لِعَرْضِ الدُّنيا^(٣).

وإنما ما قصرنا في الاستنصار والاستنصار^(٤)، ولا أقصرنا عن الاعتصام بكلِّ من
 أمَلنا معامَلته والاستظهار^(٥)، ولا اكتفينا بمطولات الرسائل وبنات الأفكار حتى
 اقتحمنا بأنفسنا لُجج البحارِ فَمَحْنَا بالطارفِ من أموالنا والتلادِ^(٦) وأعطينا رجاء
 نصرة الإسلام موفورَ الأموال والبِلاد، واشترينا بما أنعم الله به علينا ما فرض الله على
 كافة أهل الإسلام من الجهاد.....

٤- ** الإحاطة ٢ : ٢٧٨-٣٠٣؛ أزهار الرياض ٢ : ٣٤٠-١٣٤٧ نفع الطيب ٢ :

- (١) اللَّآي (جمع لؤلؤة). الجيد (بالكسر): أعلى الصدر. من قبلي (بكر فتح): في إجماعي. الوشاح: نسج
 عريض تلف المرأة به أعلى جسمها. يميني وشيالي (بدي الحنى وبدي اليسرى). نصف الشاعر هنا
 اعتناق الرجل والمرأة.....
- (٢) اللمي: السرة في الثنتين (كتابة عن التقييل). الصهباء: الحمر. الزلال: الماء الصافي البارد.
- (٣) العرض (بفتح فتح): السلة (بالكسر): البضائع المروضة في السوق.
- (٤) الاستنصار: أن يطلب الحاكم أو القائد من الناس أن ينغروا (بكر الفاء) معه لمساعدته ونصرته.
 الاستنصار: طلب المونة.
- (٥) أقصر الرجل عن أمر: تأخر عنه وهو قادر عليه. الاعتصام: الاستماعة (بآخرين) ليرداد هو قوّة.
 الاستظهار: الاستماعة.
- (٦) الطارف والطريف: المال الذي يكسه المرء نفسه. التلاد (التالد والتليد): المال الذي يرثه الشخص
 عن كان قبله.

أبو عبد الله محمد الغالب بالله

(ثالث ملوك بني نصر)

١ - هو أمير المسلمين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجي، وُلِدَ في الثالث من شعبان من سنة ٦٥٥ م (١٢٥٧/٨/١٩) وجاء إلى الحكم سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٢ م).

استولى أبو عبد الله، في السنة الأولى من حكمه، على مدينة المنظر (وكانت قرب وادي آش أو قرب جيان) وغنم منها غنائم كثيرة وأسّر صاحبها الإسباني. وفي سنة ٧٠٣ هـ تقم على قريبه الرئيس أبي الحجاج بن نصر الوالي بمدينة آش فعزله، وكاذ هذا العزل يؤدي إلى فتنة وثورة. ولكن أبا عبد الله استطاع أن يقضي على الفتنة في مهدها وأن يدبر اغتيال الوالي أبي الحجاج. وفي شوال من سنة ٧٠٥ هـ غزا سبتة واستطاع أن يستولي عليها في المحرم من سنة ٧٠٦ (صيف ١٣٠٦ م). ولقد أثر عنه في أحوال كثيرة كثير من القوة والفظظة.

وفي عيد الفطر من سنة ٧٠٨ (١٣٠٩/٣/١٣ م) خلع أبو عبد الله، ولكن لم يعيش بعد ذلك طويلاً فقد أصيب بالسكنة في أواخر جمادى الثانية من سنة ٧١٠ (تشرين الثاني - نوفمبر ١٣١٠ م) ثم توفي في أوائل شوال من تلك السنة (أواخر شباط - فبراير ١٣١١ م). وقيل بل قُتِلَ غيلةً.

٢ - كان أبو عبد الله صاحب نادرة ظريفة وشاعراً رقيقاً فوق أنداده من الملوك. وكان له مجموع من الشعر فيه قصائد مطولات ومقطعات قصار. ويبدو أنه كان مكثراً من العزل والفخر.

٣ - المختار من شعره

- قال أبو عبد الله بن نصر ثالث ملوك بني الأحمر:

وَأَعَدَنِي وَعَدَاً وَقَدْ أَخْلَفَا؛
وَحَالَ عَنِ عَهْدِي وَلَمْ يَزَعْه،
مَا بِالْهَامِ لَمْ تَمَّطَفْ عَلَى
يَسْتَلْعُ الْأَنْبَاءَ مِنْ نَحْوِهَا
مَلَكُوكَ الْقَلْبِ، وَإِنِّي أَمْرُو
يُزَهَفُ سِنْفِي فِي الْوَعَى مُصَلَّتَا،
وَتَرْتَجِي يُمْنَايَ يَوْمَ النَّدَى:
يَا لَيْتَ شِعْرِي، وَالْمَسَى جَمَّة،
هَلْ يَرْتَجِي الْعَبْدُ تَدَانِيكُمْ
أَقْلُ شَيْءٍ فِي الْمَلِيحِ الْوَفَا.
مَا ضَرَّهُ لَوْ أَنَّهُ أَنْصَفَا^(١).
صَبَبُ بِهَا مَا زَالَ مُسْتَعْطِفَا.
وَيَرْقُبُ الْبِرْقَ إِذَا مَا هَفَا^(٢).
عَلَيَّ مُلْكُ الْأَرْضِ قَدْ وَقَّعَا^(٣).
وَيَتَقَى عَزْمِي إِذَا أَرْهَفَا^(٤)؛
تَخَالَهَا السُّحْبَ غَدَّتْ وَكُنَّا^(٥).
وَالدَّهْرُ يَوْمًا هَلْ يُرَى مُنْصِفَا:
أَوْ يُصْبِحُ الدَّهْرُ لَهُ مُنْعَفَا^(٦)؟

٤ - روضة النسرین (نشرها یوالی ومارسیه)، باریس ١٩١٧ م.

- نثر (نثر) الجمان فی شعر من نظمی وایام الزمان.

* الإحاطة ١: ٥٥٢ - ٥٦٤؛ اللوحة البدریة ٤٧ - ٥٦؛ بروکلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢:

٣٤٠، راجع ٣٧٠؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩ - ٣٣٠).

ابن منظور

١ - هو جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (وقيل: رضوان) بن أحمد بن

أبي القاسم.... الأنصاري الرويني^(٧) الحزرجي الإفريقي المصري - المعروف بابن

(١) حال: تغير. لم يره: لم يحفظ (عهدي).

(٢) هفا: أسرع. هفا الطائر بجناحه: حركها. هفا البرق (لمع).

(٣) قد وَقَّعَ: جعل وقفاً عليّ (لا يجوز لأحد غيره ولا يلق به).

(٤) رهف وأرهب (السب): شذبه ورقفه. وصلت: شهور (محبوب من غمده).

(٥) الندى: الكرم. تخالها: تظنّها، تحسبها. وكف: كثيرة الوكف (المطول، عزيرة المياه).

(٦) سحف: مساعد (على نيل الأمان).

(٧) الرويني: نسبة إلى ربيع بن ثابت الأنصاري، أمره معاوية على طرابلس الغرب، سنة ٤٦ هـ

(٦٦٦ - ٦٦٧ م)، فمزا إفريقية وتوفّي في برقة وهو أمير عليها. وقبره مشهور في الجبل الأخضر في

برقة.

مكرّم - وُلِدَ^(١) في ٢٢ من المُحَرَّمِ من سَنَةِ ٦٣٠ (١١/٨/١٢٣٢ م).

قِيلَ إِنَّ ابْنَ مَنْظُورٍ سَمِعَ مِنْ ابْنِ الْمُغَيَّرِ (عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْبَغْدَادِيِّ) الْمُحَدَّثَ بِالْديَارِ
الْمِصْرِيَةِ (ت ٦٤٣ هـ) وَرَوَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ: مُرْتَضَى بْنِ حَاتِمٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ
الطَّيْفَلِيِّ وَيُوسُفُ الْهَيْلِيِّ ثُمَّ حَدَّثَ هُوَ فِي مِصْرَ وَدِمَشْقَ.

وَحَدَّمَ ابْنَ مَنْظُورٍ فِي دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ - قِيلَ مُعْظَمَ حَيَاتِهِ^(٢) - . ثُمَّ إِنَّهُ تَوَلَّى الْقَضَاءَ
مُدَّةً فِي طَرَابُلُسَ (لِيبْيَا) ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَبَقِيَ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوُفِّيَ، فِي شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ
٧١١ (كَانُونِ الْأَوَّلِ - دَيْسَمْبَرِ ١٣١١ م) بَعْدَ أَنْ عَمِيَ.

٢- كَانَ ابْنُ مَنْظُورٍ مُحَدِّثًا تَفَرَّدَ بِالْعَوَالِي^(٣) وَمَتَسَلًّا مَلِيحَ الْإِنشَاءِ وَعَارِفًا بِاللُّغَةِ
وَالنَّحْوِ وَالتَّارِيخِ، كَمَا كَانَ شَاعِرًا مَقْلًا مُحْسِنًا (يَنْظِمُ الْمُقَطَّعَاتِ). ثُمَّ كَانَ مُفْرَمًا بِاخْتِصَارِ
الْكُتُبِ لَهُ اخْتِصَارَاتٌ لِلْكَتَبِ التَّالِيَةِ^(٤): الْحَيَوَانَ لِلجَاهِظِ - دُرَّةَ الْعَوَاصِلِ لِلحَرِيرِيِّ -
تَارِيخَ بَغْدَادَ لِلخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ - ذَيْلَ ابْنِ النَّجَّارِ عَلَى تَارِيخِ بَغْدَادَ - تَارِيخَ
بَغْدَادَ لِلشُّعْمَانِيِّ - تَارِيخَ مَدِينَةِ دِمَشْقَ لِابْنِ عَسَاكِرٍ - الْأَغَانِي (وَرَتَّبَهُ عَلَى الْحُرُوفِ) -
نِسْوَارَ الْمَاحِضَةِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ التَّنُوخِيِّ - فَصْلَ الْخُطَابِ فِي مَدَارِكِ الْحَوَاسِرِ
الْحَمْسِ لِأَوَّلِي الْأَبْيَابِ لِأَحْمَدَ بْنَ يُونُسَ التِّيْفَاشِيِّ - صَفْوَةَ الصَّفْوَةِ لِابْنِ الْجَوْزِيِّ

(١) لَسَ فِي الْمَصَارِدِ الَّتِي بَيْنَ يَدَيِ ذِكْرِ الْبَلَدِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ ابْنُ مَنْظُورٍ . وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ابْنُ مَنْظُورٍ قَدْ وُلِدَ
سَنَةَ ٦٣٠ هـ . ثُمَّ سَمِعَ مِنْ ابْنِ الْمُغَيَّرِ الَّذِي تَوُفِّيَ فِي ٦٤٣ هـ ، فَالْفَرُوضُ أَنْ يَكُونَ قَدْ وُلِدَ فِي مِصْرَ . وَلَكِنْ
طَاهِرُ الزَّوَاوِيِّ يَسْتَنْجِحُ مِنْ نِسْبَةِ « الطَّرَابُلُسِيِّ » وَهِيَ تَرِدُ فِي الْمَصَادِرِ أَنَّهُ وُلِدَ فِي طَرَابُلُسَ (أَعْلَامُ لِيْبْيَا
٣٠١) . وَيُرَى عَلَيَّ الْفَنِيهِ حَسَنَ (مَجْلَّةٌ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِدِمَشْقَ - رَاجِعْ رَقْمَ ٤) أَنَّ ابْنَ مَنْظُورٍ لِيْبْيَا
بِتَلَاثَةِ أَسْبَابٍ: إِنَّ جَدَّهُ رُوَيْفَعًا (رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ ص ٣٦٩) مَدْفُونٌ فِي طَرَابُلُسَ ، وَأَنَّ ابْنَ مَنْظُورٍ نَفْسَهُ
كَانَ قَاضِيًا فِي طَرَابُلُسَ ، وَأَنَّ أَسْلَافَهُ وَأَعْقَابَهُ (وَيَعْرِفُونَ بِأَنَّ ابْنَ مَكْرَمٍ) كَانُوا بِطَرَابُلُسَ وَبِتَاجُورَاءِ
التَّابِعَةِ لَهَا (ص ٣٦١) .

(٢) لَعَلَّ الْقَصُودَ بِمُحَمَّدَ بْنَ مَكْرَمٍ الَّذِي قَضَى حَيَاتَهُ فِي دِيْوَانِ الْإِنشَاءِ فِي مِصْرَ شَخْصَ آخَرَ كَانَ مِنْ كِتَابِ
الْإِنشَاءِ فِي أَيَّامِ تَلَاوُونَ (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) فِي الْقَاهِرَةِ (رَاجِعِ دَائِرَةَ الْمَعَارِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ ٣ : ٤٦٤ - فِي
تَرْجُمَةِ ابْنِ مَنْظُورٍ صَاحِبِ لِسَانِ الْعَرَبِ) . وَهَذَا كَالْعَالَمِ بِالْحِسَابِ هُوَ أَيْضًا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ مَكْرَمٍ بْنِ
شَبَّانِ الْكِرْمَانِيِّ (بِرُوكْلَمَنِ ، الْمُلْحَقُ ٣ : ١٠٢٣) .

(٣) الْأَحَادِيثُ الْعَوَالِي هِيَ الْأَحَادِيثُ الَّتِي دَوَّنَتْ فِي زَمَنِ مُتَقَدِّمٍ .

(٤) ذَكَرَتْ فِيهَا بِلِي الْأَسْمَاءَ الْأَصْلِيَّةَ لِلْكَتَبِ الْمُخْتَصَرَةِ لِأَلِ الصَّانِعِينَ الَّتِي جَمَعَهَا ابْنُ مَنْظُورٍ لَهَا .

(ت ٥٩٧ هـ) - المقدّ لابن عبد ربّه - يتيمة الدهر للثعالبي - زهر الآداب للحضريّ -
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسّام - جامع المفردات (الأدوية) لابن البيطار،
النخ.

ومن تأليفه «لسان العرب» (انتهى من وضعه سنة ٨٦٩ هـ)، وهو قاموسٌ شاملٌ
للألفاظ اللغوية والأعلام الجغرافية والشخصية ولعددٍ من الحقائق التاريخية، بناه ابن
منظور على خمسة كتب هي: «الجمهرة» لابن دُرَيْد (ت ٣٢١ هـ) و «تهذيب اللغة»
للأزهريّ (ت ٣٧٠ هـ) و «الصّحاح»^(١) للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) و «حواشي» عبد
الله بن بَرِّي (ت ٥٨٢ هـ) و «المُحكّم» لابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) و «النهاية في غريب
الحديث والاثر» لجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ). وله أيضاً: نثار الأزهار في الليل
والنهار وأطاييب أوقات الأصائل والأسحار وسائر ما يشتمل عليه من كواكب الفلك
الدوّار - أخبار أبي نُواس.

٣- مختارات من آثاره

- من مقطعات ابن منظور:

* ضَعُ كِتَابِي، إِذَا أَتَاكَ، إِلَى الْأَر
فَعَلَى خَتْمِهِ وَفِي جَانِبَيْهِ
كَانَ قَصْدِي بِهَا مُبَاشِرَةَ الْأَر
النَّاسُ قَدْ أَتَمُّوا فِينَا بَطْنَهُمْ
مَاذَا يَبْضُرُّكَ فِي تَصْدِيقِ قَوْلِهِمْ
ضِرٌّ ثُمَّ قَلْبُهُ فِي يَدَيْكَ لِهَامَا^(٢)؛
قُبْلٌ قَدْ وَضَعْتَهُنَّ تُوَامَا^(٣).
ضِ وَكَفَيْكَ بَالْتِبَامِي، إِذَا مَا^(٤)...
وَصَدَّقُوا بِالذِّي أُذْرِي وَتَدْرِينَا^(٥).
بَأْنَ نُحَقِّقُ مَا فِينَا يَطُونُونَا^(٦)؟

(١) العنوان الكامل هو: تاج اللغة وصحاح العربية. والحواشي عليه كثيرة (راجع بروكلسن ١:

١٣٣-١٣٤، الملحق ١: ١٩٦-١٩٧).

(٢) لهماً: قبلاً، ولكن مرةً بعد مرة.

(٣) توأما: شتين شتين (قبليتين قبليتين).

(٤) إذا ما.... (في البلاغة: اكتهاء، بمعنى أن الكلمات التي لم تذكر مفهومة: إذا ما وصل إليك كتابي).

(٥) أذنبوا لأنهم أتهمونا بما ليس فينا.

(٦) ماذا يضرُّنا أن ترتكب الذنب الذي يهْموننا به الآن ظلماً؟

حَمَلِي وَحَمَلُكَ ذَنْبًا وَاحِدًا، يَمَّةٌ بِالْعَفْوِ، أَجَلٌ مِنْ إِثْمِ الْوَرَى فِينَا^(١).
 * بِاللهِ، إِنْ جُرَّتْ بِوَادِي الْأَرَاكِ وَقَبَلْتُ أَعْصَانَهُ الْخَضْرُ فَالْك^(٢)،
 ابْتَعْتُ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهِ؛ فَإِنْسِي، وَاللهِ، مَا لِي سِوَاكَ^(٣)!

- من مقدمة «لسان العرب»:

.... أما بعد، فإن الله سبحانه قد كرم الإنسان وفضله بالنطق على سائر الحيوان، وشرف هذا اللسان العربي بالبيان على كل إنسان، وكفاه شرفاً أنه به نزل القرآن وأنه لمة أهل الجنان^(٤).... وإني لم أزل مشغولاً بمطالعات كتب اللغات والاطلاع على تصانيفها وعمل تصاريدها. ورأيت علماءها بين رجلين: أما من أحسن جمعه فإنه لم يُحسِّنَ وَضْعَهُ، وأما من أجادَ وَضَعَهُ فإنه لم يُجِدْ جَمْعَهُ، فلم يُبْدِ حُسْنَ الْجَمْعِ مَعَ إِسَاءَةِ الْوَضْعِ، وَلَا نَفَعَتْ إِجَادَةُ الْوَضْعِ مَعَ رِدَاءَةِ الْجَمْعِ. ولم أجد في كتب اللغة أجل من تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن عليّ ابن إسماعيل بن سيده الأندلسي رجمها الله، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق وما عداها بالنسبة إليها ثبات للطريق^(٥). غير أن كلاً منها مطلبٌ غيرُ المَهْلِكِ ومنهَلٌ وعرُّ المَلَكِ.... ووجدتُ أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيبَ مُخْتَصَرِهِ وشَهَرَهُ بسهولة وَضَعِهِ.... غير أنه في جَوِّ اللُّغَةِ كَالذَّرَّةِ وَفِي بَجْرِهَا كَالْقَطْرَةِ وَإِنْ كَانَ فِي نَحْرِهَا كَالذَّرَّةِ. وهو مع ذلك قد صحَّفَ وحرَّفَ وجزَّفَ فيما صرف^(٦). فأتيج له

- (١) لأن يكون لنا معاً ذنب واحد (فيكونوا هم صادقين بتهمتنا) خير (في النظرة الإنسانية) من أن نكون نحن (ونحن اثنان فقط) بريئين ويكون الناس كلهم مدنين.
- (٢) إن جرت (قطعت، مرتت به) وادي الأراك (مكان في الحجاز بنيت فيه شجر الأراك الذي تحمل منه المسابك (أداة لتنظيف الإنسان). قبكت أعضانه فاك (فلك): مرتت بالسواك على أسنانك.
- (٣) فأرسل إلى المملوك (البد الرقيق، يكتسب الشاعر بذلك عن نفسه) شيئاً منها. فأنسي ما لي سواك (تورية): ليس عندي سواك - ليس لي من أطلب منه هذا الطلب سواك (غيرك).
- (٤) المروي أن اللغة العربية هي لمة أهل الجنة.
- (٥) ثبات الطريق: الطرق الفرعية الضيقة. الثبينة (يفتح فكسر ثم ياء مشددة): الطريق في الجبل.
- (٦) صحَّف: أبدل في الكلمة حرفاً بحرف (فرح تصعب: فرح، فرخ، قزح، قرح الخ). حرَّف: صرف الكلام عن المعنى المصود. قرأ الأب لويس شيخو جملة هي: وكانت الكلمة لا «سقف» عليها، فأثبتها في بعض كتبه: وكانت الكلمة «لا سقف» عليها. وقرأ أحد تلاميذه جملة البلاذري: وقح العرب =

الشيخ أبو محمد بن بَرِّي فَتَبَّحَ ما فيه وأمنى عليه أماليه مُخرِجاً لِسَقَطاته مؤرخاً لِعَلَّطاته .
 فاستخرت الله سبحانه وتعالى في جمع هذا الكتاب المبارك^(١) الذي لا يُأْهِمُ في سَعَةِ
 فضله ولا يُشَارِكُ، ولم أُخْرِجْ فيه عما في هذه الأصول . ورتبته ترتيبَ الصَّحاح في
 الأبواب والفصول^(٢) . وقصدت توشيح^(٣)ه بحليل الأخبار وجميل الآثار مضافاً إلى ما
 فيه من آيات القرآن الكريم والكلام على مُعْجَزاتِ الذِّكْرِ الحكيم^(٤) لِيَتَحَلَّى بِتَرْصِيعِ
 دُرَرها عِقْدُهُ ويكونَ على مَدَارِ الآياتِ والأخبارِ والآثارِ والأمثالِ والأشعارِ حَلَّهُ
 وَعَقْدُهُ . فرأيتُ أبا السعاداتِ المباركِ بنَ محمدِ بنِ الأثيرِ الحَزْرِيَّ قد جاءَ في ذلك
 بالنهاية^(٥) وجاوزَ في الجودةِ حدَّ الغايةِ . غيرَ أنه لم يَضَعْ الكَلِمَاتِ في مَحَلِّها ولا راعى
 زائد حروفها من أصلها . فوضعتُ كُلَّ ما منها بمكانه . . . فجاء هذا الكتاب بمحمد الله
 واضح المنهج سهل السُّلوكِ وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أُمْتُ بها^(٦) ولا وسيلةٌ
 أَمَسَكُ بسببها سوى أني جمعتُ ما تفرقَ في تلك انكسب من العلوم وبسطت القولَ
 فيها فَلْيَعْتَدِ^(٧) من ينقلُ عن كتابي هذا أنه ينقلُ عن هذه الأصولِ الخمسة . . . فإنني
 لم أقصِدُ سوى حفظِ أصولِ هذه اللغة النبوية وضَبْطِ فضلها إذ عليها مدارُ أحكامِ
 الكتاب العزيز والسُّنة النبوية وذلك لِمَا رأيتُهُ قد غَلَبَ في هذا الأوانِ مِن
 اختلافِ الأَلْسِنَةِ والألوانِ . حتى لقد أصبحَ اللحنُ في الكلامِ يُعَدُّ لِحْنًا مردوداً^(٨) وصار
 التُّطْقُ بالعربية من المعاييرِ معدوداً . وتنافسَ الناسُ في تصانيفِ التَّرْجُمَاتِ في اللغة
 الأعجمية وتفاصحوا في غير اللغة العربية . فجمعتُ هذا الكتاب في زمنِ أهلِهِ بغيرِ

= الثام فتحاً ببيراً (أي سهلاً هيناً) فجعلها • قليلاً • جَزَفَ (أكثر بلا قاعدة) فيما صرفَ (ذكر للجدد صيغاً
 أكثر مما يحتمل!)

(١) أي كتابه: لسان العرب .

(٢) مثال ذلك: • علم • نجت عنها في باب الميم فصل الميم كأنها • معل • .

(٣) ترتيبه .

(٤) الذكر الحكيم: كلام الله تعالى، القرآن الكريم .

(٥) بالنهاية: بأقصى (بأوسع) ما يمكن . و«النهاية في غريب الحديث والأثر» كتاب لعبد الدين بن الأثير .

(٦) مَتَّ: انتسب .

(٧) اعتدَّ: حسب (أهين) .

(٨) اللحن (الأولى): الخطأ في القول . اللحن (الثانية): النعم . مردود (مكزَّر، مألوف) .

لَعْتَهُ يَفْخَرُونَ... وَسَمَّيْتُهُ «لِسَانَ الْعَرَبِ»....

- ٤- نثار الأزهار..... الآستانة (مطبعة الحوائب) ١٣٩٨ هـ.
- لسان العرب..... بولاق ١٢٩٩، ١٣٠٠-١٣٠٨، ١٣٤٨ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٣٢ هـ=١٩١٣ م.
- أخبار أبي نواس..... القاهرة ١٩٣٤ م (١٣٤٣ هـ)؛ نشره محمد عبد الرسول وشكري محمود أحمد، بغداد (المعارف).....
- مختار الأغاني في الأخبار والنهائي (تحقيق حسين نصار)، القاهرة (الدار المصرية للنأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٥ هـ.
- * تصحيح لسان العرب، تأليف أحمد تيمور، القاهرة ١٣٣٤، ١٣٤٣ هـ.
- فهرس لسان العرب (فهرست التراء، صنمه عبد القيوم محمد)، لاهور ١٩٣٨ م (١٣٥٧ هـ).
- فوات الوفيات: ٢: ٣٣١-٣٣٢؛ الوافي بالوفيات ٥: ٥٤-٥٧؛ درة الحجال ٢: ٣١٥-٣١٦، نكت الهيمان ٢٧٥-٢٧٦؛ بغية الوعاة ١٠٦-١٠٧؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦-٢٧؛ بروكلمن ٢: ٢٥، الملحق ٢: ١٤-١٥؛ مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ٣: ٣٢ (١٩٥٧/٧/١ م) ص ٤٦٦-٦٦٩ (تحقيق تاريخه، بقلم علي الفقيه حسن)؛ سيركيس (معجم المطبوعات العربية) ٢٥٥-٢٥٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٢٩-٣٣٠ (١٠٨)؛ أعلام ليبيا ٢٩٩-٣٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٤٦٤؛ الدرر الكامنة: ٢٦٢-٢٦٤ (رقم ٧٢٥)؛ المنهل العذب ١: ١٥٧؛ نفحات السنين والريحان ١٤٦-١٤٨.

أبو العباس الملياني

- هو أبو العباس أحمد بن عليّ المليانيّ، ومن أهل ميلانة (جنوب مدينة الجزائر). كان عمّه أبو عليّ أحمد قد تار على الحفصيين فلم ينجح ففرّ إلى المغرب ولجأ إلى السلطان يعقوب المرينيّ (٦٦٧-٦٨٤ هـ) فأقطعه السلطان يعقوب بلدة أغمات (قرب مدينة مراكش). وكان أبو العباس أحمد في صحبة عمّه.

أكمل أبو العباس المليانيّ دراسته في أغمات ومراكش. ولما جاء يوسف بن يعقوب إلى عرش المرينيين، سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) جعل أبا عليّ أحمد على جباية الأموال،

ثم بدا من أبي عليٍّ ما حَلَ السُّلْطَانَ يَوْسَفاً على قتلِهِ. ثم عَلَتْ منزلة أبي العباسِ فجَعَلَهُ السُّلْطَانُ يَوْسَفاً «كاتبَ العلامة» (صاحب التوقيع على المراسلات والمراسيم السلطانية). ثم استطاع أبو العباس أن يدبِّرَ مَقْتَلَ الذين كانوا سببَ مقتل عمِّه وأن يَفِرَّ إلى بِلْصَانَ (الجزائر اليوم). وفي سَنَةِ ٧٠٣ هـ غادرَ تلمسانَ إلى غرناطة واستقرَّ فيها إلى حين وفاته، في تاسع ربيع الثاني من سَنَةِ ٧١٥ (١٣١٥/٧/١٣ م).

٢- كان أبو العباسِ المِلبانيُّ كاتباً وشاعراً، وكانت له مُشاركةٌ في الطِبِّ. وفي المصادرِ والمراجعِ مقطوعةٌ واحدةٌ من شعرِهِ تُنبئُ، عن نَفْسٍ ومقدرةٍ في مُعارضةِ الشعرِ المَشْرِقيِّ، في الحماسةِ خاصَّةً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو العباسِ المِلبانيُّ يفتخرُ بِنفَلته إلى أدَّتْ إلى مقتلِ خُصومِ عمِّه وبغيرها:

العِزُّ ما ضُرِبَتْ عليه قبائي،	والفضلُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ثيابي ^(١) .
والزَّهْرُ ما أهداه غُصْنُ بَراعتي،	والمِسْكُ ما أبداه نَقْشُ كِتابي ^(٢) .
والمجدُ يَمْنَعُ أن يُزاحمَ مؤردي،	والعِزُّ يَأبى أن يُسامَ جَنابي ^(٣) .
فإذا بَلَوْتُ صَنِيعَةَ جَارِئِهَا	بجَميلِ شُكري أو جَزِيلِ قَوابي ^(٤) .
وإذا عَقَدْتُ مودَّةَ أَجْرِيئِهَا	بجِري طِعامي في دَمي وشَراي.
وإذا طَلَبْتُ من الفِراقِ والسُّهى	ثأراً، فأوشِكُ أن أنالَ طِلاي ^(٥) !

٤- ** الإحاطة ١: ٢٩٢-٢٩٤ نصح الطيب ٦: ٢٦٦-٢٦٨ الاستقصا ٢: ٣٧-٣٨ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٤-١٩٥ معجم أعلام الجزائر ٣١: الطمار ١٩٦-١٩٧ البوغ المغربي ٦٩٧.

- (١) القصة: خيمة من جلد (تكون للولوك). - العِزُّ موجود في سبي فقط، والفضل من صفاتي وحدي.
- (٢) نقش: تلوين (النقش هنا: الخبر الذي أكتب به رسائلي) أنا وحدي أحسن الكتابة.
- (٣) الناس يرهبون (لسمو مكانتي) أن يقتربوا من حوص الماء الذي هو لي (وإذا لم يكن عليه أحد). - وعزمي (شجاعتي، قوتِي) تأبى (ترفض) أن يسام (ينزل ظلم) جاني (في بيتي، بي).
- (٤) إذا صغ أحد بي معروفاً أثنته بشكري الجميل أو بعطائي الكثير.
- (٥) الفراق والسهى: نجوم معروفة (ولكن الشعر يأتي بها هنا كناية عن البعد). أو شك: اقتراب.

التجانيّ صاحب الرحلة

١ - ينتسب آلُ التُّجانيّ في تونسَ إلى قبيلةِ تِجَانٍ من قبائل المغرب (الأقصى)، ولعلَّ أحدهمُ أبا القاسم (ت نحو ٥٥٥ هـ) كان قد جاء في جيشِ السُّلطانِ الموحّدي عبدِ المؤمنِ بنِ عليٍّ^(١)، في أواسطِ القرنِ السادسِ للهجرة. ويبدو أن أبا القاسم هذا دخلَ في خِدمةِ الدولة ثم خَلَفَهُ فيها ابنُه مُحَمَّدٌ.

ولمَّا استقلَّ بنو أبي حفصِ المِنتاقِيّ^(٢) - وأبو حفص في الأصل من رجالِ عبدِ المؤمنِ الموحّدي - دخلَ إبراهيمُ وأحمدُ^(٣) ابنا مُحَمَّدِ بنِ أبي القاسمِ التُّجانيّ في خِدمةِ الدولةِ الحفصيةِ الجديدة.

وقد نَبَغَ من أسرةِ التُّجانيّ نَفَرٌ من العُلَمَاءِ والأدبَاءِ نَعُدُّ منهم عليَّ بنَ إبراهيمِ^(٤) وأخته رَئِيبَةَ^(٥) وأخاه عُمَرُ ثم مُحَمَّدَ بنَ عليٍّ^(٦). وكان منهم أيضاً مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ والدِ صاحبِ الرحلة.

وُلِدَ التُّجانيّ صاحبُ الرِّحْلَةِ - واسمُه في الأغلب أبو مُحَمَّدٍ عبدُ الله بنُ مُحَمَّدِ بنِ تُونسَ بينَ سَنَتَيْ ٣٧٠ و ٣٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) فبدأ تَلَقَّى القِراءَةَ والكِتَابَةَ على أبيه ثم أقبلَ على حُضُورِ دروسِ الشيوخِ في التفسيرِ والحديثِ والفِقهِ والأدبِ والتاريخِ وغيرها. وقد كان من شيوخِهِ أبو بكرِ عبدُ الكَرِيمِ العوفي (ت ٦٩٨ هـ) قرأ عليه الفِقهَ

(١) عبد المؤمن بن علي (راجع، فوق، ص ١).

(٢) أبو حفص المِنتاقِيّ (راجع، فوق، ص ١).

(٣) كان إبراهيم وأحمد هذان في بلاط أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص مؤسس الدولة الحفصية باستقلاله عن الموحدين (٦٢٦-٦٤٧ هـ). وكانا من أهل الأدب والبلاغة.

(٤) أبو الحسن علي بن إبراهيم التُّجاني (ت ٧٠٨ هـ) أخذ عن ابن الأَبَر (ت ٦٥٨ هـ) والشاعر حازم

الفرطاحي (ت ٦٨٤ هـ) وابن عصفور (ت ٦٦٩ هـ) والكلاعي (ت) وخاصة عن قاضي تونس

ومحدثها الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن العَمَّازِ البُنسي الأندلسي (٦٠٩-٦٩٣ هـ)، وكان قهياً شاعراً.

(٥) زينب بنت إبراهيم التُّجاني (التُّجانية) من شهرات الأدبيات التونسيات في العصر الحفصي.

(٦) عمر بن إبراهيم التُّجاني كان من العُلَمَاءِ والكتابِ والنحاةِ ثم يقولون الشعر. أمّا أبو الفضل مُحَمَّدُ بنِ عليِّ

ابن إبراهيم التُّجاني (٧١٨ هـ) فهو من أعلام العلم والأدب في العصر الحفصي، خدم مدةً طويلةً في ديوان

الرسائل. وكان شاعراً ناثراً محسناً (راجع مجمل تاريخ الأدب التونسي، ص ٢١٠).

(سنة ٦٩٣ أو ٦٩٤ هـ) وأبو القاسم بن عبد الوهاب بن قائد الكلاعي (ت)
وأبو علي عمر بن محمد بن علوان التونسي (ت ٧١٠ هـ) أخذ عنه سنة ٧٠٢ هـ. ثم إنه
كان ينتهز الفرص في أثناء رحلته للقاء الشيوخ والأخذ عنهم.

سلك التجاني سبيل أسلافه في الدخول في خدمة الدولة في ديوان الإنشاء، ويبدو
أنه دخل هذا الديوان في أيام أبي عَصيدة (٦٩٤ - ٧٠٩ هـ) محمد بن يحيى الوائلي.

في هذه الأثناء كان الاضطراب شديداً في السلطنة الحفصية الشرقية (الملكة
التونسية) والنزاع بينها وبين السلطنة الحفصية الغربية (مملكة الجزائر) عنيفاً. وكان من
شيوخ المؤرخين وكبار رجال الدولة الحفصية في تونس الأمير أبو يحيى زكريا بن محمد
اللحياني طامعاً في الملك، فعزم على مغادرة تونس لترتيب الأمور في خارجها^(١)، وكان
قد اتخذ التجاني كاتباً خاصاً به. فلما غادر تونس (منتصف ٧٠٦ هـ = أواخر
١٣٠٦ م) اصطحب التجاني. ثم إن التجاني عاد إلى تونس في صفر من سنة ٧٠٨
(صيف ١٣٠٨ م)، لأسباب صحيحة.

واستطاع أبو يحيى زكريا اللحياني أن يزحف على العاصمة (حاضرة تونس) وأن
يأخذ البيعة^(٢) لنفسه، سنة ٧١١ هـ، في حديث طويل. ولم ينس أبو يحيى كآبته القديم
فجعله رئيساً لدواوين رسائله - صاحب خطة العلامة الكبرى - . ولكن أبا يحيى
أدرك وشيكاً - وقد تقدمت به السن - أنه عاجز عن الكفاح في سبيل استقرار الأمر
له فتخلى عن الملك ثم انسحب، سنة ٧١٧ هـ إلى طرابلس. واجتمع أنصار أبي يحيى
وولّوا ابنه محمداً أبا ضربته مكانه.

عند هذا التاريخ انقطعت أخبار التجاني صاحب الرحلة، ولعله قتل بعيد ذلك في
من قبل من أنصار أبيه، في النزاع بين أبي ضربته وأبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة
(الجزائر اليوم)، سنة ٧١٨ هـ (١٣١٨ م).

٢ - اشتهر أبو محمد عبد الله التجاني برحلة قام بها بصحبة الأمير أبي يحيى زكريا

(١) ليمد العدة للاستيلاء على الملك.

(٢) أن يحمل الناس على اختياره حاكماً.

أَبْنِ مُحَمَّدِ اللَّعْبَائِيَّ. وَلَكِنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ كَانَتْ قَصِيرَةً (٧٠٦-٧٠٨ هـ) وَلَمْ يَتَجَاوَزْ بِهَا صَاحِبُهَا الْقَطْرَ التُّونِسِيَّ وَجَانِبًا مِنْ غَرْبِي لِيَبْيَا الْيَوْمَ. وَإِذَا نَحْنُ نَظَرْنَا إِلَى هَذِهِ الرَّحْلَةِ مِنْ حَيْثُ وَصَفَ الْمَنَاطِقَ الَّتِي مَرَّ بِهَا التَّجَائِي حَكْمَنَا بِأَنَّهَا رَحْلَةٌ قَاصِرَةٌ جِدًّا لَمْ تَصِفْ مِنْ مَعَالِمِ تِلْكَ الْبِلَادِ إِلَّا شَيْئًا قَلِيلًا. غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ غَنِيَّةٌ بِأَوْجِهِ الْاِسْتِطْرَادِ إِلَى التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَالْعِلْمِ وَإِلَى إِيرَادِ الْمُرَاسَلَاتِ بَيْنَ صَاحِبِهَا وَنَفَرٍ مِنْ رِجَالِ عَصْرِهِ، فَهُوَ يُورِدُ تِلْكَ الْمُرَاسَلَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ التَّفْصِيلِ كَمَا يُورِدُ نَازِحَ كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الْأَدْبَاءِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ. وَلَكِنَّ مِنْ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ فِي «الرُّحَلَاتِ» أَنْ يُكْتَبَرَ صَاحِبُ الرَّحْلَةِ مِنَ الْاِسْتِهَادِ بِكُتُبِ الْجُغْرَافِيَّةِ وَالتَّارِيخِ كَمَا فَعَلَ التَّجَائِي. وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ تَصِفَ جَانِبًا كَبِيرًا مِنْ حَيَاةِ تُونَسَ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ لِلْهِجْرَةِ (وَهُوَ جَانِبٌ غَامِضٌ فِي تَارِيخِ تُونَسِ).

وَأَسْلُوبُ التَّجَائِي فِي رِحْلَتِهِ أَسْلُوبٌ سَلِيمٌ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الصَّنَاعَةِ. وَالرَّحْلَةُ تَدُلُّ عَلَى تَقَافٍ لُغَوِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ وَاسِعَةٍ. أَمَّا شِعْرُ التَّجَائِي فَهُوَ عَادِيٌّ جِدًّا.

٣- مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

.... هَذَا تَقْسِيدٌ يَشْتَمَلُ عَلَى وَصْفِ مَا شَاهَدْتُهُ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الْبِلَادِ مُضَمَّنٌ ذِكْرًا^(١) أَحْوَالِهَا وَصِفَاتِهَا وَبَيَانَ طُرُقِهَا وَمَسَافَاتِهَا، وَالْإِشَارَةَ إِلَى مُفْتَتِحِهَا وَبُنَائِهَا^(٢)، وَأَحْوَالِ مَنْ اِسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَوَالِمِ وَمَا يَتَمَيَّزُ بِهِ كُلُّ بَلَدٍ مِنَ الْآثَارِ وَالْمَعَالِمِ، وَمَا يُتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَيُشَوَّقُ^(٣) إِلَى الْاِطْلَاعِ عَلَيْهِ. وَقَدْ أُلْسِنَ ذَلِكَ مِنْ حَلَّةِ النِّظْمِ وَالتَّنْزِيمِ تَمَّا وَرَدَ فِي هَذِهِ السَّفَرَةِ إِلَيَّ أَوْ صَدَرَ عَنِّي اِسْتِفْتَاخَ خِطَابٍ أَوْ رَدًّا جَوَابٍ تَمَّا تَحَسَّنَ الْمُحَاضِرَةُ^(٤) بِهِ وَتَحَصَّلَ الْإِفَادَةُ...

(١) مَضْمَنٌ نَمَتْ «تَقْسِيدٌ» (تَدْوِينٌ). ذَكَرَ مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «مَضْمَنٍ».

(٢) مُفْتَتِحُهَا: الَّذِي اِسْتَوْلَى عَلَيْهَا بِالْقُوَّةِ. بِنَاءٌ جَمْعُ بَانَ (الَّذِي بَنَى الْبَلَدَةَ)

(٣) تَشَوَّقٌ: تَطَلَّعَ لِبَرِي شَيْئًا عَنْ بَعْدٍ. تَشَوَّقٌ: مَالٌ يَرْغَبُهُ إِلَى شَيْءٍ مَا.

(٤) صَدَرَ عَنِّي: أَرْسَلْتَهُ (أَرْسَلْتُ رِسَالَةً). اِسْتِفْتَاخَ (مَطْلَعٌ، مَقْدَمَةٌ) خِطَابٍ (كِتَابٌ، رِسَالَةٌ). الْمُحَاضِرَةُ: (قِي =

فكان خروجي من تونس المحروسة صُحبة الركاب العالي المَخْدومي الليمومي^(١) أعلى الله مقامه وأطال في المرز دَوامه، في آخر جُهادي الأولى من عام سِتَّةٍ وَسَبْعِمِائَةٍ. وكان مرادُه منها إننا هو التوجُّه لأداء فريضة الحج التي لا يسع تركها بعد الاستطاعة عليها أحداً من الأنام. بهذا تعلقَت أمالُه وعليه كان عن (دار) الخِلافة انقِصالُه. إلا أن أمر الحج طُوي عن الناس في هذه الحركة ذِكرُه وأُخفي عنهم أمرُه. وسبب ذلك أنه لما علِم في تدبير الرعيَّة من حُسن عَنانِه^(٢) وما اجتمعت عليه قلوب الجمهور واستم من محبته وثنائه، لو بين لهم انطلاقة لأبدي كلُّ منهم به اعتلاقه فصدوه عن حجِّه وردوه عما يَمَم من نهجه^(٣). فرأى أن كنم الحج أصلح، وأنه الأكفد في طريق السياسة والأرجح^(٤) فجعل أمر جربة سبباً إلى نيل ذلك المرام ورجا مع ذلك أن يكون على يده استرجاعها إلى الإسلام.....

- جزيرة جربة (ص ١٢١):

وجزيرة جربة من أعظم الجزائر خطراً وأشهرها في سالف الزمن عبارة وذكراً^(٥).... وهي أرض كريمة المزارع عذبة المزارع^(٦). وأكثر شجرها النخيل والزيتون والعنب والتين. وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه، إلا أن هذه أكثر ثمرها وعليها مدار غلاتها، وغيرها من كرائم الأرضين لا يقاربها على الجملة في ثمارها أو يساويها. وتفتحها لا يوجد في جميع بقاع الأرض له نظير لما يوجد بها منه صفاء وجفافاً وطيب مذاق وعطارة استنشاق^(٧)، وراثته توجد من المسافة المديدة والأميال

= (الأصل) المهالدة (القال) والركض (السابق) ثم استعملت في تبادل الآراء في موضوع أو إلقاء فصول من العلم على جماعة.

- (١) في رحلة التجاني (ص ٤) يقول حسن حسني عبد الوهاب: «هكذا (وردت) في جميع النسخ التي بأيدينا».
- (٢) الفناء (يفتح العين): النفع والكفاية (حسن تصريف الأمور وحل التهمة).
- (٣) الاعتلاق: التعلق، التصك. يم: قصد. النهج: الطريق، الحطة.
- (٤) أكد: أكثر تأكيداً وتثبيتاً. الأرجح: الأثقل (أقرب إلى العقل وأحسن حجة).
- (٥) الخطر (يفتح ففتح): الرضة والشرف. سالف: ماضي. العاهرة: العمران، اتساع البناء. الذكر (بكسر فسكون): الصيت والثرة (إن التحسيس لم يتم بين خطراً وذكراً).
- (٦) كريمة المزارع (خاصة تبت غللاً كثيرة). عذبة: حلوة. المزارع جمع مشرع: مكان أستقاء الماء.
- (٧) جفافاً (٤). عطارة ليست في القاموس (يقصد: طيب رائحة).

العديدة. وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل ذلك كثيراً ثم قلَّ الآن بسبب أن النصارى يُتخفون به ملوكهم وكبارهم دون تمويض لأربابه^(١) عنه. فرأى أهل الجزيرة أن غيره من الشجر أعود^(٢) بالفائدة عليهم فقطعوا أكثره.... وأكثر مساكن أهلها أخصاص^(٣) من النخيل يجعل كل واحد منهم في أرضه واحداً أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعاليه. وليس بها بناء قائم إلا دُور قليلة. وهم ينقسمون إلى فرقتين: فرقة تُعرف بالوهبية ورئاستهم في بني سمون، وأرض هذه الفرقة من الجزيرة الجهة الغربية وما والاها من جهة الشمال؛ وفرقة تُعرف بالثكاره ورئاستهم في بني عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من جهة الجنوب. وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم. وكلا^(٤) الطائفتين خوارج غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب الخوارج..... والمتصلحون^(٥) منهم لا يُياسحون بشيائهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم ولا يؤاكلونه في آنيته. وإن استسقى عابري سبيل ماء من بعض أنبارهم استخرجوا ماء البئر كله فاحود^(٦).

- توزر:

وتوزر هي قاعدة بلاد الجريد^(٧)، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياهاً. وأصل مياهها من عيون تنبع من الرمل وتجتمع خارج البلد في وادٍ متسع وتشتب منه جداول كثيرة. وتفرغ عن كل جدول مذانب^(٨) يُقِيمونها بينهم على أملاك لهم مقررة مقاسم من المياه معروفة. ولهم على قسمتها أمناء من ذوي الصلاح

(١) النصارى (الإسبان أو البرنغاليون) الذين كانوا يمتلون جربة، كانوا يهدون من هذا التفاح إلى ملوكهم

ورؤسائهم. ولكنهم كانوا يأخذون هذا التفاح من أصحابه بلا ثمن.

(٢) أعود: نفع. أعود فائدة: أكثر جلياً للفائدة (للريح).

(٣) بيت (كوخ) من غصون الشجر أو من القصب.

(٤) يجب أن يقال: وكلتا الطائفتين.

(٥) المتصلحون (غير موجودة في الفاموس): الصالحون (الذين يسيرون في الحياة على النهج التويم ويتشددون في السلوك).

(٦) الأنبار (يقصد الآبار جمع بئر). ماح البئر يميحها: نزع ماءها (أفرغها).

(٧) بلاد الجريد: جنوبي تونس حيث يكثر النخيل.

(٨) المذنب (بكسر الميم): سبل الماء.

فيهم يقيمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم في ذلك معروفٍ وأمرٌ مُقرَّرٌ
 مألوفٍ. وعلى ذلك الماء أرحاءٌ^(١) كثيرةٌ منصوبةٌ. ومن العَجَبِ أن هذا الواديَّ يحتلُّ
 ما يحتلُّ من غثاء^(٢) أو غيره، فإذا انتهى إلى المُقَسَمِ افترقَ هنالك أجزاءً بالسوية على
 عدد المسارب^(٣) فمضى كلُّ قسمٍ منها إلى سَرَبٍ منها. وهذا يمًا شاهدته فيها عياناً.
 وكثيرٌ من أهلها إنمَّا يسكنون بغايتها، ولا مُناسبةٌ بين مباني الغاية ومباني داخلِ البلد،
 فإن مباني الغاية أضخمُ وأحسنُ. ويداخل البلد جامعان للخطبة^(٤) وحمامٌ واحدٌ.
 ومُتفرِّجهم^(٥) موضعٌ يعرفونه بباب النشر، وهو من أحسن المُتفرِّجات لأنَّ يجتمع الماء
 هنالك... ويجتمعُ به القصارون فينشرون هنالك من الثياب الملونة والأمتعة الموسية^(٦)
 ما يعمه على كبره فيخيلُ للناظر أنه رَوْضٌ تفتحت أزهاره واطردت أنهاره^(٧).....

٤- ** رحلة التجاني (قدم لها حسن حسي عبد الوهاب - نشرتها كتابة الدولة للتربية
 التوميّة والرياضة)، تونس (المطبعة الرسميّة) ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م؛ ونشر منها قطع
 مختلفة (راجع بروكلمن).

- تحفة العروس ونزهة النفوس، القاهرة (المطبعة الشريفة) ١٣٠١ هـ؛ فاس (طبع حجر)
 ١٣١٧ هـ؛ الفصول الأولى والسابع والثامن نشرها دوزي في باريس والجزائر ١٨٤٨ م
 (١٢٦٦ هـ).

فتح الطيب ٤: ١٢٠-١٢١، ٥: ١٨٢-١٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة
 الأولى) ٤: ٧٤٥، بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٨؛ المكتبة العربية الصقلية
 ٣٧٥-٤٠٣؛ عنوان الأريب ٨٢-٨٤ (راجع ص ٨٠، السطر الأوّل)؛ مجمل تاريخ
 الأدب التونسي ٢١٢-٢١٤؛ سركيس ٦٥٠.

- (١) الرحا والرحى: الطاحون (حجران يدور أحدها على الآخر).
- (٢) الوادي: النهر. الغثاء: ما يجمله السيل من الوسخ وفئات (بضم الفاء) الأشياء.
- (٣) السرب: (مخرج الماء).
- (٤) جامع الخطبة: مسجد الجمعة (الجامع الذي يصلّي فيه الإمام أو الحاكم).
- (٥) المُتفرِّج: المتفرّج.
- (٦) القصار: الذي يبيّض الثياب. يكون الحمام أسمر اللون فيقصرونه (بضم الصاد؟ بتشديدها أيضاً):
 بالمجونه بوادٍ كياوية حتى يبيضن. الموشى: الملون أو ذو النقوش.
- (٧) الطرد المهر: تابع جريان مائه.

ابن رُشيد السبتيّ

١- هو محبّ الدين أبو عبد الله محمد بن عمّار بن محمد بن عمر بن محمد بن ادریس بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهريّ، من أهل سبتة، ويُعرفُ بأبن رُشيد (تصغير «رُشيد»).

وُلدَ ابنُ رُشيدٍ في سبتة، وفي سنة ٦٥٧ للهجرة، في الأُغلب. وجعلَ المقرئُ (أزهار الرياض ٢: ٣٥٦) مولده في رمضان من سنة ٦٥٧ أو ٦٥٩. وفي سنة بدأ ابنُ رُشيدٍ دراسةَ الحديثِ والنحو، ثمّ انتقل إلى فاس فتابع فيها الدراسة. ففي سنة قرأ ابنُ رُشيدٍ القرآنَ العزيزَ بالقراءاتِ السَّبعِ على أبي الحسن بن أبي الربيع وعلى أبي الحسن عليّ بن محمد الكتاميّ المعروف بأبن الحضار، كما درّسَ على ابنِ أبي الربيع أيضاً أشياء من النحو ومن غير النحو.

وفي سنة ٦٨٣ للهجرة (١٢٨٤ م) عزمَ ابنُ رُشيدٍ على الحجِّ. واتفقَ أنْ مركبُهُ مرَّ في طريقه إلى المشرق بشرفِ المرية (في جنوبيّ الأندلس)، فلقني هنالك الوزيرَ أبا عبد الله ابنَ الحكيمِ الرنديّ متوجّهاً إلى الحجِّ أيضاً، فأصطحبنا. واتفقنا الرفيقانَ فرصةَ الرحلةِ إلى المشرق فلقينا نفراً من الشيوخ وأخذنا عنهم عدداً من فنون المعرفة. وفي أثناء الطريق أخذَ ابنُ رُشيدٍ عن نفرٍ كثيرين من الشيوخ في المرية وفي بجاية (في الجزائر اليوم) وفي تونس ثمّ في الإسكندرية والقاهرة ودمشق وفي مكة والمدينة (راجع أزهار الرياض ٢: ٤٣٩). وكان ابنُ رُشيدٍ وابنُ الحكيمِ الرنديّ يتدبجان (ياخذ كلُّ واحدٍ منهما عن الآخر ما عنده من الأحاديث: أحاديث رسول الله).

وبعد ثلاثِ سنواتٍ من التَّطوُّفِ في المشرق عاد ابنُ رُشيدٍ إلى سبتة. ولكنه عاش فيها بضعةَ سنواتٍ في عزلةٍ أو في إهمالٍ من الدولة ومن الناس. ولكن في سنة ٦٩٢ للهجرة (١٢٩٣ م) دعاه صديقه ورفيقه في الرحلة ذو الوزارتين ابنُ الحكيمِ الرنديّ إلى الأندلس، في أيام أبي عبد الله محمد الثاني، ثاني سلاطين بني الأحمر في غرناطة (٦٧١ - ٧٠١ هـ). وفي غرناطة تولى ابنُ رُشيدٍ الخطبةَ والإمامةَ (يومَ الجمعة) في الجامعِ الأعظم. ولقد أقامَ ابنُ رُشيدٍ في غرناطةَ مدّةً (٦٩٢ - ٧٠٨ هـ) يُقرئُ فنوناً من

العلم، كما كان في أثناء هذه المدة كلها يُدرّس كل يوم صحيح البخاري. ثم لما توفّي أبو جعفر بن الزبير (في ربيع الأول من سنة ٧٠٨ = مطلع الحريف من عام ١٣٠٨ م) - وكان على قضاء المناكح (عقد الزواج) - خلفه ابن رشيد في هذا المنصب.

وفي شوال من سنة ٧٠٨ (آذار - مارس ١٣٠٩ م) خلع السلطان أبو عبد الله محمد الثالث بن محمد الثاني، ثالث سلاطين غرناطة، وقتل الوزير ابن الحكيم الرندي، فعاد ابن رشيد إلى المغرب ونزل في فاس. وجعل له السلطان المريني أبو الربيع سليمان بن عامر الحيار في السكنى حيث شاء في المغرب، فأختار أن ينتقل إلى مراكش - لأنه كان قد سكنها مرة واستحسنها - فولاه السلطان الصلاة والخُطبة فيها في الجامع العتيق. وقد أقام في مراكش سنتين لا يشغله سوى التدريس والتحقيق (الأنصراف إلى التوسع في فنون المعرفة).

ثم إن السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب المريني (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) استدعاه، فيما يبدو، إلى فاس (وكانت فاس في ذلك الحين عاصمة المغرب) فجاء ابن رشيد إليها وأستقر فيها يُدرّس الحديث (نفع الطيب ٥ : ٣٨٩) في حلقة له في جامع القرويين (نفع الطيب ٥ : ٢٧٠).

وبقي ابن رشيد في فاس إلى أن أذركته المنون، في الثالث والعشرين من المحرم (في الأغلب) من سنة ٧٢١ (١٣٢١/٢/٢٢ م).

٢ - كان ابن رشيد السبتي كريم النفس حسن العشرة براً بأصدقائه. وكانت له معرفة بالقراءات، ولكن مُعظّم عيانيته كان مُنصرفاً إلى علم الحديث، فلقد كان واسع المعرفة بالحديث: بصيحة متنه وضبط أسانيده وعدالة رجاله (أي مراتب رواته في الثقة بما يروون). وكان هو في كل ذلك ثقة عدلاً. وكذلك كانت له معرفة باللغة والنحو (نفع الطيب ٥ : ٢٧٤) وبالآداب وتاريخ الأدب. ثم كان له علم بالنقد أيضاً (نفع الطيب ٤ : ١٢٤ و ٤٧٥ س). وكذلك كان هو أديباً وخطيباً بليغاً (نفع الطيب ٥ : ٣٣٧ و ٥١٤). وكان في شعره تكلف وميل إلى التجنيس (أزهار الرياض ٢ : ٣٥٣ - ٣٥٤) مع المعرفة بالعروض والقوافي، ولكن نثره كان جيداً.

وكان ابن رُشيد السبتي مُصنِّفاً. وأشهرُ ما له في هذا الباب «رحلته»: مَلَّةُ العيبة^(١) بطول الغيبة في الوجهتين الكريمتين مكة وطيبة^(٢) (ذكر فيها نقرأ كثيرين من العلماء والأدباء الذين لقيهم، كما ذكر فيها أشياء من أرائهم وغازج من أشعارهم، بالإضافة إلى عدد من الملاحظات الجغرافية والتاريخية). وله أيضاً من الكتب^(٣): إفادة النصيح بالتحريف بإسناد الجامع الصحيح^(٤) - السنن الأبين والمورد الأيمن في السند المُعتمِن^(٥) - ترجان التراجم (في أشياء تتعلق بتراجم الرواة الواردة أسماؤهم في صحيح البخاري) - المقدمة المُعرفة لعلو المسافة والصفة^(٦) - تقييد على كتاب سيبويه - إحكام التأسيس في أحكام التجنيس - الإضاءة والإنارات في البديع (وهو المسمى: المرتع المرعب لرائد التسجيع والترصيع)^(٧) - وصل القوادم بالحوافي^(٨) (شرح لكتاب القوافي لشيخه حازم القرطاجني) - جزء مختصر في العروض.

مختارات من آثاره

- قال ابن رُشيد السبتي في الرَّحْلة والأعتراب (النبوغ المغربي ٨٠٩):

- (١) العيبة: ريبيل (حقيبة أو كيس) من جلد توضع فيه الثياب.
- (٢) في الوجهين (ورد مكانها أيضاً: في الرحلة إلى). طيبة (بالفتح): المدينة المنورة.
- (٣) راجع أزهار الرياض ٢: ٣٥٠.
- (٤) الجامع الصحيح للبخاري.
- (٥) السنن: الطريق. الأبين اسم تضليل من بين (بشديد الباه): واضح. المورد: مكان شرب الماء. الأيمن صيغة تفصيل من «المن» (وهي صفة معناها: الكثير والقليل، والطويل والقصير. المورد الأيمن: المشرب الكثير الماء (٤). المعتمِن: السند الطويل (روى فلان عن فلان عن فلان.... الخ).
- (٦) علو المسافة والصلة.... (٥).
- (٧) المرتع: المرعى. المريع: الحصب (الكثير الضب والماء). الرائد: الطالب. التسجيع (السجع): تقفية العواصل (أواخر الجمل) في النثر. الترصيع (من أنواع البديع): أن تكون الألفاظ في الجملة الواحدة متنقطة في الوزن وفي الأعجاز (بفتح الهزرة: الأواخر)، كقوله تعالى: ﴿إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿إِن عَلَيْنَا حِيَابَهُمْ﴾ (المعجم الوسيط ٣٤٩) - لاحظ: إلينا وعلينا، إياهم وحياهم.
- (٨) القادمة: الريشة الطويلة في مقدمة جناح الطائر، والحافية: الريشة الصغيرة الناعمة في باطن جناح الطائر.

تَفَرَّبَ وَلَا تَحْفِلْ لِفُرْقَةِ مَوْطِنٍ تَفَرَّزُ بِالْمُنَى مِنْ كُلِّ مَا شِئْتَ مِنْ حَاجٍ (١).
فلولا اغترابُ المسك ما حلَّ مفرقاً، ولولا اغترابُ الدر لم يحفظ بالتاج (٢).

- قام ابن رُشيد للخطبة يوم الجمعة بعد فراغ المؤذن الثاني وكان (ابن رشيد) قد ظنه (الأذان) الثالث. فكثرت (٣) لفظُ الناس (٤). فقال ابنُ رُشيدٍ بديهية:

إِنَّ الْوَاجِبَ لَا يُبْطِلُهُ الْمُنْدُوبُ (٥)، وَإِنَّ الْأَذَانَ الَّذِي بَعْدَ الْأَوَّلِ غَيْرُ مَشْرُوعِ الْوَجُوبِ. فَتَأَهَّبُوا لَطَلَبِ الْعِلْمِ وَأَتَّبِعُوا. وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ. وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (٦). وَقَدْ رَوَيْنَا عَنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ مِنْ قَالَ لِأَخِيهِ - وَالْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - : « أَنْصَيْتَ »، فَقَدْ لَعْنَا (٧). جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَمَلٍ فَعْمِيلٍ، وَعَمِلٍ فَعْمِيلٍ، وَأَخْلَصَ فَتَخَلَّصَ (٨).

- وقال ابن رُشيدٍ يصف سطح البحر وقد أنبسطت عليه أشعة البدر (أزهار الرياض ٢: ٣٥٣):

انظُرْ إِلَى الْبَدْرِ قَدْ مَدَّتْ أَشِعَّتُهُ عَلَى خُضْرَةِ حَتَّى أَيْبَضَ أَرْزَقُهُ (٩).
والرياح قد صنعت دِرْعاً مساميرها حَبَابَ مَاءِ يَرُوقُ الْعَيْنَ رَوْتَهُ (١٠).

- (١) لا تحفل: لا تنهم، لا تبال: الحاج (جمع حاجة).
- (٢) المفروق: مكان فرق الشعر في الرأس (الرأس). الدرّة: المؤلّوة. حظي بالأمر: ظفر (بفتح فكسر) به. - لم يحفظ بالتاج (لم ترصّع به نيجان الملوك).
- (٣) من عادة المؤذنين أن يؤذّنوا لصلاة الجمعة (صلاة الظهر يوم الجمعة) مرتين أو ثلاثاً (واحدة منها، أو منها، بين يدي الخطيب، حيناً يصعد المنبر). والمشروع في الدين أذان واحد.
- (٤) لفظ الناس: اختلاط أصواتهم فتصبح سهمة (لا تفهم). - استغرب الناس أن يبدأ ابن رشيد بالخطبة يوم الجمعة قبل الأذان الثالث المألوف عندهم.
- (٥) الواجب: الفرض. المندوب: ما يستحسن فعله في العبادة (ولكنه ليس فرضاً).
- (٦) القرآن الكريم (٥٩: ٧، سورة الحشر).
- (٧) لنا، يلمو: تكلم (فعل فعلاً يبطل صلاته). - إذا صعد الخطيب المنبر يوم الجمعة، وجب على جميع المصلين أن يستمعوا إلى أقوال الخطيب، ولا يجوز لأحد أن يتكلم ولا أن يصلي.
- (٨) وعمل فعميل (منه عمله). أخلص الرجل في عمله: ترك فيه الرياء (قلبه من أجل الله أو من أجل المبدأ، لا ليراه الناس). تخلص: صفا (قلب الرجل: أصبحت جميع أعماله موضوعة مواضعها).
- (٩) خضرة: اسم للحر.
- (١٠) سامر: مسامر (جمع مسامر). الحباب: فقايع من الماء تكون مملوءة هواء. الروتق (الجهال، الحسن الذي =

- وقال ابن رُشيدٍ يرثي أبناً له (الأدب المغربي ٢٣٦ - ٢٣٧):

فإن ألتَمِيتَ فالشخصُ للعينِ مائلٌ، وإن أستمعَ فالصوتُ للأذنِ طارقٌ^(١).
وإن أذعُ شخصاً بأسمه لضرورة، فإنَّ أسمه المَحبوبُ للنطقِ سابقٌ^(٢).
وإن تفرَّعَ الأبوابُ راحةً قارعٌ، يَطيرُ عندها قلبٌ لذكراه خاققٌ^(٣).
رأتكَ المنايا سابقاً فأغرَّتْها، فجدُّ طلاباً إنهنَّ لواحقٌ^(٤).
لئن سَلَبتَ مِنِّي نَفْسِي دَخائِرِي، فإنِّي بمذخورِ الأجرِ لوائِقٌ^(٥).
وقد كان ظنِّي أَنِّي لك سابقٌ، فقد صارَ عَلمي أَنِّي بك لاحقٌ^(٦).
غَرِبَينِ كُنَّا، فَرَقَ الدهرُ بيننا بأبرحِ ما يَلقَى الغريبُ المُفارقُ^(٧).

- من رحلة ابن رشيد: في رابع (النبوغ المغربي ٦١٧ - ٦١٨):

.... ذكر غريبة عنت لنا في رابع. وما عنت^(٧)، بل أغنت في معنى الآية الكريمة وأقت^(١). وهي قوله تعالى^(١٠): ﴿يا أيها الذين آمنوا، لَيبْلُونَكُمْ اللهُ بشيءٍ من الصِّدِّ تالَهُ أَيْدِيكُمْ وِرماحكم لِيَتَلَمَّ اللهُ مِنْ مِخَافِهِ وَرُسُلَهُ بِالغَيْبِ﴾.

صَحْبِي فِي الطَّرِيقِ مِنَ الْمَدِينَةِ - عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ - إِلَى الْبَيْتِ

-
- = يسرّ العين). راق المنظر العين: وجدته العين حسناً. الصورة البلاغية هنا خطأ، فالريح لا تحمل على ماء البحر (أو ما النهر) حباً بل بتأريخ.
- (١) كفيها التفت أنخيل أنه واقف أمام عيني. وكل صوت أسمه يجيئ إلي أنه صوته.
- (٢) وإذا أنا أحتجت إلى أن أنادي أحداً بأسمه، سبق إلى لساني أسم ابني الميت. اقرأ: في النطق.
- (٣) طار القلب يطير (من الفرح أو من الخوف).
- (٤) رآك الموت سابقاً (للناس في معالي الأمور). فأركض ما شئت فإن الموت يلحق بك.
- (٥) بمذخور الأجر (بالأجر المذخور - المبتأ لي ليوم القيامة).
- (٦) كنت أظن أنني سابق لك (ساموت قبلك، لأنني أكبر منك سناً).
- (٧) أبرح: أشد، أكثر شدة، أكثر ألماً. - كل فراق بأمر من أمور الدنيا أهون على النفس من الفراق بالموت.
- (٨) عنت (من «عن»: ظهر). رابع (ها): وادٍ بين مكة والمدينة قريب من البحر. عنت (من «عنى»: أتعب، أهمل).
- (٩) أقتى فلان فلاناً: أعطاه (مالاً أو شيئاً ثميناً).
- (١٠) القرآن الكريم (٥: ٩٤، سورة المائدة). يخافه بالغيب: يتقيد بأمر الله، ولو لم يكن أحد من أولي الأمر (رجال الدولة) يراقبه. يبلو: يختبر. تالاه أيديكم ورماحكم: يسهل صيده.

الحرام^(١) أحدُ الشيوخ من سُرفاء المدينة. فلَمَّا وافَيْنَا^(٢) رابعَ رأيتُ أمراً عَجَباً من تَخَلُّلِ الوحشِ (من الغزال والأرنب، بين الجبال والرحال^(٣))، بحيث يناله الناس بأيديهم، والناسُ يُنادون: حَرَامٌ، حَرَامٌ! والجوارحُ قد سُلِّبَتْ خيفةً تَعَدِّي جاهلٍ يتصَفَّ الجاهل^(٤). فقال لي ذلك الشيخ الشريف: «تَأَمَّلْ تَرَّ عَجَباً. هكذا جرت عادتنا في هذه الطريق؛ إذا مرَرْنَا به ونحن محرمون^(٥) نَجِدُ به من الوحش ما ترى. فإذا عُدْنَا مُحَلِّين^(٦)، لم نَجِدْ به شيئاً». فلما عُدْنَا كان (الأمر) كما قال. فبان لي من معنى الآية ما لم يكن عِنْدِي بِالمُشَاهِدة^(٧).

٤ - رحلة ابن رشيد إلى الحرمين الشريفين (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه)*.

★ الوافي بالوفيات ٤: ٢٨٤-٢٨٦ (رقم ١٨٠٥)؛ أوصاف الناس ١٠٠-١٠٢؛ الديباج المذهب ٣١٠-٣١١؛ الدرر الكامنة حيدرآباد ٤: ١١١-١١٣ (رقم ٣٠٨)، مصر ٤: ٢٢٩-٢٣١ (رقم ٤١٧٢)؛ بنية الوعاة ٨٥-٨٦؛ دَرَّةُ المَجَالِ ٢: ٩٦-١٠٠؛ شذرات الذهب ٦: ٥٦؛ أزهار الرياض ٢: ٣٤٧-٣٥٦؛ نفع الطيب ١: ٦٠٦-٦١٥؛ ١٩٥-١٩٦، ١٩٦-١٩٥، ٥٨٢-٥٨٣، ٥٨٩، ٦٢٣-٦٢٤، ٣: ٥٢٣، ٤: ١٢١، ١٢٢، ٣١١-٣١٣، ٤٩٦، ٥: ٢٧٤، ٤٨٠-٤٨١؛ دَرَّةُ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ ٣: ٩٠٩؛ بروكلمن ٢: ٣١٧، المُلْحَقُ ٢: ٣٤٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤)؛ معجم المؤلفين ١١: ٩٣-٩٤؛ الأدب المغربي ٢٣٦-٢٣٨؛ السيوخ المغربي ٢٠٦، ٣٨١ (في الترقيم الأول)، ٦١٧، ٦١٨-٨٠٩.

(١) البيت الحرام: الكعبة (مكة).

(٢) وافينا: وصلنا إلى...

(٣) تَخَلُّلُ الوحشِ بين الجبال والرحال: مرور الوحش (الحيوانات غير الأليفة) بين الجبال والرحال (الأحمال) - سواء أكان المسافرون سائرين (يتابعون سفرهم) أو كانوا نازلين (مستريحين)، وقت التوقف عن متابعة السفر).

(٤) الجوارح: الطيور الكاسرة كالنسر وغيره. سللت: رُبِطت باللاسِل - كان الجوارح قد ربطت فلا تنقض على أحد أو على شاة مع أحد لئلا يضطر محرم (حاج) إلى قتلها (إلى سحك دم لا يجوز سفكه في أثناء الإحرام بالحج). تمصَّب: سلك الطريق على غير علم بها (هجم على أمر لا يعرف عواقبه). المهمل: الأرض لا علامات فيها (جبال أو أشجار الخ).

(٥) المحرم: الذي نوى الحجَّ وجعل يقوم بالناسك (بأعمال الحج).

(٦) المهمل (بتشديد اللام): الذي انتهى من القيام بناسك الحجِّ ثم نوى الخروج من الإحرام.

(٧) بان: ظهر. بالمُشَاهِدة (بالملاحظة الشخصية).

(*) راجع جملة «قافلة الزيت» (جمادى الأولى من سنة ١٣٩٢).

ابن البناء العددي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بابن البناء (لأن والده كان بناءً) العددي (لبراعته في علم العدد: العلم الرياضي) المراكشي.

وُلِدَ ابْنُ الْبِنَاءِ الْعَدْدِيُّ فِي مَرَاكُشَ، سَنَةَ ٦٤٧ للهجرة على الأصح (نيل الابتهاج ٦٧)، وتلقى علومه في مراكش وفي فاس. وقد كان له شيوخٌ (أساتذة) كثيرون (نيل الابتهاج ٦٦) مِنْهُمْ الْقَاضِي الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَحْمِي قَرَأَ عَلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْكُتُبِ وَذَكَرَهُ فِي كِتَابِ « الْأَصُولِ » أَوْ « الْأَرْكَانِ » لِأَقْلِيدَسَ (في الهندسة المستوية). ومنه أبن حجلة الرياضي قرأ عليه أشياء من الطب والفلك، كما قرأ الفلك على أبي عبد الله ابن مخلوف السلجاسي. ومن شيوخه أيضاً أبو عبد الله بن يسر قرأ عليه القرآن في مراكش. ومهم قاضي الجماعة أبو الحجاج يوسف التنجيسي المكناسي ثم أبو الوليد بن الحجاج قرأ عليه كتاب المعيار وكتاب المستصفي (وكلاهما لأبي حامد الغزالي). ومن شيوخه أبو عمران موسى الزناتي قرأ عليه شرحه على كتاب الموطأ (للملك بن أنس) وتفقّه عليه. وكذلك قرأ كتاب سيبويه (في النحو) على أبي إسحاق الصنهاجي العطار.

وتصدّر ابن البناء المراكشي في مراكش للتدريس، ويبدو أنه كان يُدرّس موضوعاتٍ مختلفةٍ كاختلاف الموضوعات التي تلقاها عن شيوخه.

وكانت وفاة أبي العباس بن البناء في سادس رجب من سنة ٧٢١ (١٣٢٢/٨/٢م) في مراكش.

٢- كان أبو العباس بن البناء رجلاً وقوراً فاضلاً حسن السيرة وافر العقل مهذباً حسن الحديث، ولكن قليل الكلام، لا يكاد يتكلم إلا في العلم الذي يريد أن يفيد به الطلاب. وكذلك كان إماماً معظماً عند الملوك، وبلغ عندهم مكانة اجتماعية سامية. وكان له ميل إلى التصوف.

ومع أن ابن البناء كان مشهوراً بالرياضيات، فإنه برع أيضاً في فنون كثيرة. فبالإضافة إلى الحساب والهندسة والفلك، وإلى جانب معرفته بأشياء من التنجيم والسحر وما يتعلق بها، فإنه قد برع في قراءة القرآن وبمعرفة الحديث والفقه والنحو

ولأبي العباس بن البناء تصانيفٌ كثيرةٌ العددِ سُنُوْعَةُ الموضوعاتِ، منها: تلخيصُ أعمالِ الحسابِ. هذا الكتابُ موجزٌ جداً. من أجل ذلك شرحه علماءٌ كثيرون. وفي كتاب «التلخيص» هذا أشياءٌ من علمِ العددِ (خواصُّ الأعدادِ، من تقسيمها أفراداً وأزواجاً وجعلها متوالياتٍ حسابيةً وهندسيةً) ومن الحسابِ (الأرقامُ ثم تدوين الأعدادِ في مراتبٍ) ثم أشياءٌ من الجبرِ ومن الأعمالِ الأربعةِ فيما يتعلّقُ بالأعدادِ الصحيحةِ والكُورِ (راجع الحواشي على النّصِ المختار لابن البناء). ويقول قَدْرِي طُوقَانُ (تراث العرب العلمي ٧٤-٧٥، ٤٣٠): بحثَ أبْنُ البناءِ في «قاعدةِ الخطّائِنِ لحلِّ المُعادلاتِ ذاتِ الدَّرَجَةِ الأولى... وأدخَلَ بعضَ التعميلِ على الطريقةِ المعروفةِ بطريقِ الخطأِ الواحدِ، ووضع ذلك بشكلِ قانونٍ....»

ولابنِ البناءِ أيضاً كتابٌ اسمه «رَفَعُ الحِجابِ عن وجوهِ أعمالِ الحسابِ» شرحَ فيه أبْنُ البناءِ نفسه كتابَه «تلخيصَ أعمالِ الحسابِ». يقول ابنُ خَلْدُونِ (المقدّمة- دار الكتاب اللباني، بيروت، ١٩٩٧): وهو مُستَفْلِقٌ على المُبتدئِ بما فيه من البراهينِ الوَثيقَةِ اللَّبانيِ. (ثم) هو كتابٌ جليلٌ أدركنا المُشِيخَةَ (كِبَارُ الأُساتذة) تُعظِّمُه .

وله أيضاً: مقالاتٌ في الحسابِ (فيه كلامٌ على الأعدادِ الصحيحةِ والكُورِ والجذورِ والتناسُبِ)- كتابُ الأصولِ والمُقَدِّماتِ (في الجبرِ والمُقابِلة)- تنبيهُ الألبابِ على مسائلِ الحسابِ- مسائلٌ في العددِ التامِّ والناقصِ- جزءٌ في العملِ بالرُومي (بتدوين مسائلِ الحسابِ بالأحرفِ لا بالأرقامِ)- التمهيدُ والتيسيرُ في قواعدِ التكميرِ- رسالةٌ في علمِ المُساحَةِ (الهندسةِ المُستوية)- مقدّمةٌ في أقليدِسِ والمقالاتِ الأربعِ- منهاجُ الطالبِ في تعديلِ الكواكبِ- اليَسارةُ في تعديلِ الكواكبِ اليَسارةُ- تسهيلُ العبارةِ في تكميلِ ما نَقَّضَ من اليَسارةِ (وهو مُلحَقٌ مُتَمِّمٌ للكتابِ السابقِ) قانونٌ لترحيلِ الشّمسِ والقمرِ في المنازلِ ومعرفةُ أوقاتِ الليلِ والنهارِ- كتابٌ تحديديُّ القِبلةِ^(١)- رسالةٌ في الأنواءِ

(١) بَنَحَ المِلسونُ في صِلاهم- حيث كانوا من الأرضِ- نحو الكعبةِ المُشرّفةِ في مكّةِ المُكرّمة. ومعرفةُ القِبلةِ (الاتّجاهُ نحو الكعبةِ) يحتاجُ إلى دِقّةٍ في حسابِ الجهاتِ.

(أحوال الجو) - (رسالته) في المناخ - كتاب في التنجيم والأنواء .

ولابن البناء كُتِبَ في تيسير القرآن وفي الفقه منها: عنوان الدليل مرسوم خطّ التأويل - منحنى ملك التأويل - حاشية على الكتّاف (للرّمخشري؟) - جزء صغير على سورة « إنا أعطيناك »، و« العَصْر »^(١) - تيسير الباء في البَسْمَلَة^(٢) - بداية التعريف (في الاعتقاد) - الأقتضاب والتقريب للطالب اللبيب في أصول الدين - مُنتهى السؤل في علم الأصول - رسالة الفرق بين الحواريك الثلاثة: المعجزة والكرامة والسحر - مراسم الطريقة في علم (فن) الحقيقة (في التصوف).

ثمّ له في الأدب: الرّوض المريع في صناعة البديع^(٣) - قانون في معرفة الشعر - مقالة في عيوب الشعر - قانون في الفرق بين الحكمة والشعر - شرح الأرجوزة^(٤) - موشح كافل للمطلّب^(٥).

٣ - مختارات من آثاره:

- مختارات من « تلخيص أعمال الحساب » لابن البناء :

الرّغرض من هذا الكتاب تلخيص أعمال الحساب وتقريب أبوابه ومبانيه. وهو يشتمل على جزئين: الأول (منها) في أعمال العدّد المعلوم^(١)، والثاني في القوانين التي يُمكنُ بها الوصول إلى معرفة « المجهول المطلوب » من « المعلوم المفروض »، إذا كان بينها صلة تقتضي ذلك^(٥). ومن الله أسأل العون والتوفيق والإرشاد إلى سواء السبيل.

..... العدّد ما تألّف من الأحاد^(١). وهو ينقسم بحسب ما أخذه قسمين: صحيحاً

(١) سورة الكوثر وسورة العصر (الورتان ١٠٨ ثم ١٠٣ في المصحف).

(٢) البسطة: بسم الله الرحمن الرحيم.

(٣) المريع: المحصب. البديع (الجناس والطباق) من المحصّات اللفظية في البلاغة.

(٤) العدّد المعلوم: المقدار المعروف (٥، ١٧، ٢٣، ١٠٨، إلخ) - إن كلّ عدد من هذه يدلّ على مقدار معين.

(٥) هذا تعريف علم الحبر، فإذا نحن قلنا في المتناقبة: س + ٤ = ١١، قلنا: س (المجهول المطلوب) إذا جمع إلى ٤، يكون المجموع ١١. إذ ١١ - ٤ = ٧ (وهو المجهول المطلوب).

(٦) كلّ عدد يتألّف من أحاد، ٥ = ١ + ١ + ١ + ١ + ١، الخ.

وَكثراً. والصحيحُ على ضربَيْنِ (نوعين): زوجٌ وفردٌ^(١). والزوجُ على ثلاثة أنواع: زوجُ الزوج، وزوجُ الفردِ، وزوجُ الزوجِ والفردِ^(٢). والفردُ على نوعين: أولٌ وفردُ الفردِ^(٣). ولَمَّا كان العدَدُ يَتَرَايَدُ إلى غيرِ نهايةٍ^(٤)، جُعِلَ له ثلاثُ مراتبٍ^(٥)، وُسِّمِيَ أيضاً منازلَ - وتَدَوَّرَ عليها منازلُ العددي - في كلِّ مرتبةٍ منها تسعةُ أعدادٍ.

فالمرتبةُ الأولى من واحدٍ إلى تسعة، وُسِّمِيَ مرتبةَ الآحاد. والثانيةُ من عشرةٍ إلى تسعين، وُسِّمِيَ مرتبةَ العشرات. والثالثةُ من مائةٍ إلى تسعمائة، وُسِّمِيَ مرتبةَ المئتين.

وللعددي آثنا عشرَ أسماً بسيطاً يتركَّبُ منها جميعُ أسمائه. فالتسعةُ الأولى منها هي الآحاد، والعاشرُ للعشرات، والحادي عشرُ للمئتين، والثاني عشرُ للألاف - وهي بمنزلة الآحاد^(٦) - ومن هنا يعودُ الدورُ^(٧).

الجبرُ هو الإصلاح^(٧). والمقابلةُ طَرَحُ كُلِّ نوعٍ من نظيره حتى لا يكونَ في الجهتينِ

(١) شفع ووتر، أو مجوز (٢، ٤، ٦، ٨، إلخ) ومُفرد (٣، ٥، ٧، ٩، إلخ).

(٢) زوج الزوج، زوج الفرد، زوج الزوج والفرد: اصطلاحات تطلق على المتوالية الهندسية (حينما يكون كلُّ حدٍ في المتوالية مساوي نصف الحد الذي يليه. فزوج الزوج هو المتوالية التي تبدأ بعدد شفع: ٢، ٤، ٨، ١٦، إلخ. وزوج الفرد هو المتوالية التي تبدأ بعدد فرد: ١، ٣، ٥، ٧، ٩، ١١، إلخ. وزوج الزوج والفرد يجب أن يكون زوج زوج الفرد، أو هو تحريد الحدود المفردة، نحو ١، ٣، ٥، ٧، ٩، ١١، وهذه سلسلة حياية: يزيد كلُّ حدٍ فيها على الحد الذي قبله بفرق معلوم، بعد أن تبدأ السلسلة بعدد مفرد). وإذا قلنا النسبة «زوج الزوج والفرد»، فيكون معنى ذلك $2+3=5$ ، ثم تستمرُّ في التضعيف: ٥، ١٠، ٢٠، ٤٠، إلخ.

(٣) فرد أول هو العدد الذي لا يقسم إلا على نفسه (وعلى واحد): ١، ١٧، ٥٩، إلخ. وفرد الفرد.....

(٤) الواضح هنا أن الأعداد لا تنتهي: لا تقف عند عدد معين.

(٥) الأعداد التسعة الأولى هي آحاد العشرة تمثل مرتبة العشرات لأنها في الترتيب تمثل مرتبة زائدة إلى اليسار: ١٠، ١٠٠، والأحد عشر ١١٠٠ تمثل (في الترتيب) مرتبة ثالثة. والاثنا عشر (في الترتيب) تمثل مرتبة ثالثة إلى اليسار ١١١٠٠ = (يخمن إذا نحن أردنا أن ندرك هذا التنظيم أن نعلم أن الفيناغوريين لمَّا تكلموا في علم العدد - أو خواص الأعداد - لم يكن عندهم أرقام، بل كانوا يمدِّون مجموعات من الحصى يرتَّبون بعضها خلف بعض).

(٦) ومن هنا يعود الدور: بعد أن ننهي من المراتب: آحاد، عشرات، مئتين (مئات) يصل إلى الألوف (آحاد الألوف) ثم نستمرُّ على السط السابق فنقول: عشرات الألوف، مئات الألوف، ألوف الألوف. ثم نقول: آحاد ألوف الألوف، عشرات ألوف الألوف، مئات ألوف الألوف، ألوف ألوف الألوف، إلخ.

(٧) الجبر (بالمعنى اللغوي): الإصلاح (إذا كسر عظم في إنسان، فإنه يُجبر) (والجبر هنا حمل الكسور =

نوعان من جنس واحد. والمعادلة هي أن يُجَبَّرَ الناقصُ إلى الزائدِ ويُطْرَحَ الزائدُ من الزائدِ و(يطرح) الناقصُ من الناقصِ من الأشياءِ المتجانسة^(١).

ومدارُ (علم) الجبر على ثلاثة أنواع: العددُ والأشياء والأموال. فالأشياء هي الجذور، والمالُ ما يجتمعُ من ضربِ الجذرِ في نفسه. والعددُ ما لم يُنسَبْ إلى جذرٍ ولا مال^(٢)...

واعلمَ أنَّ أسَّ الأشياءِ واحدٌ^(٣)، وأسَّ الأموالِ آثنانِ، وأسَّ الكُموبيثلاثة^(٤).... فإذا ضربتَ هذه الأنواعَ فأجمعَ (أسَّ المضروبِ إلى) أسَّ المضروبِ فيه فيكونُ مجموعُ الأسِّينِ أسًّا للخارج^(٥). وإذا ضربتَ عدداً في أحدِ هذه الأنواعِ، فالخارجُ ذلك النوعُ بعينه^(٥).

- وقال ابن البناء العدديّ في الحكمة (النوع المغربي ٨٠٧):

قصدتُ إلى الوجازةِ في كلامي لعلمي بالصواب في الاختصار^(١)
ولم أخذزُ فهوماً دونَ فهمي ولكن خيفتُ إزراءَ الكيبار^(٢)
فتأنُ فحولتُ العلماءَ ثأني، وثأن البسطَ تعلمُ الصغار^(٣).

= أعداداً صحيحة: $\frac{1}{2} ب + ٣ ح - س = ١٠٠$ ، تجعل الجبر: $ب + ١٢ ح - س = ٤٠٠$ (بأن تضرب المعادلة كلها بأربعة لتخلص من الربع، فيصبح حلّ المسألة أهون). القابلة أن تجمع الحدود المتجانسة وأن تفرق الحدود المختلفة في طرفي المعادلة: $٣ س + ١٢ ح = ٢٢ + ٣ س - س = ٢٢ - ١٢$ ، تساوي $٢ س = ١٠$ ، أو $س = ٥$.

- (١) الشيء أو الجذر: س، ص، ب إلخ (عدد مجهول). المال: الشيء المضروب بنفسه: $س \times س = س^٢$. العدد (المفوظ، المعلوم) ١٨، ٥٢، ٢١٨، إلخ (ليس معه جذر ولا مال).
- (٢) هنالك أساس وأس. في ب^٢ = ب أساس، والعدد ٣ فوقها هو الأس. ومعنى ذلك أن ب = مضروبة بنفسها (ب × ب). وب^٣ تعني أن ب = مضروبة بنفسها مرتين (ب × ب × ب) إلخ. وحينما يكون الأس واحداً فنحن لا نكتبه: نحن لا نكتب ب^١، بل ب = فقط.
- (٣) س^٢ ندعى مالا (أو س تريبعا)، س^٣ ندعى كماً (أو س مكتمة).
- (٤) حينما تضرب س^٢ في س^٢ يصبح لدينا س^٤ (تجمع الأساس - بالكسر جمع أس بالضم - فقط).
- (٥) إذا ضربنا س في س في س، يسمى الأساس كما هو (س)، ثم نجمع الأساس (بالكسر: جمع أس).
- (٦) الوجازة: الإيجاز، الاختصار. - الكلام الكثير المفصل يكون أكثر مدعاة إلى الخطأ.
- (٧) أزرى المهمل بالإنسان: عابه، جعله محتقراً.
- (٨) الإيجاز شأن العلماء في مخاطبة بعضهم بعضاً. أما البسط (الشرح والتفصيل) فيكون في تعليم الصغار (المهمل).

- ٤- منهاج الطلب في تعديل الكواكب (.....)، (الطبعة المغربية) ١٩٥٢ م.
 - تلخيص أعمال الحساب (حقّقه محمود سويبي)، تونس (منشورات الجامعة التونسية) ١٩٦٩ م.
 * نيل الابتهاج ٦٥-٦٨؛ البدر الطالع ١: ١٠٨؛ الإعلام بين حلّ مَرَآئش من الأعلام ١:
 ٣٧٥-٣٨٤؛ ابن قنغد ٣٤٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣١؛ بروكلين ٢:
 ٣٣٠-٣٣١، الملحق ٢: ٣٦٣-٣٦٤؛ تراث العرب العلمي لطوقان ٤٢٩-٤٣٢؛
 الأعلام للزركلي ١: ٢١٣-٢١٤ (٢٢٢)؛ النبوع المغربي ٢١٣، ٨٠٧.

ابن آجروم

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داوود الصنهاجيّ المعروف بابن آجروم (ومعنى آجروم أو أكروم - بالكاف المقوode، بلغة البربر - «الفقير الصوفي»). وُلِدَ في فاس، في سنة ٦٧٢ للهجرة (١٢٧٣-١٢٧٤).

تلقَى أبو عبد الله بن آجروم علومه في فاس ثم ذهب إلى الحجّ - وقد استوفى علمه، فيما يبدو - فقد ألف «مقدمته» الجرومية (أو «الأجرومية») تجاه الكعبة. و«المقدمة» هذه هي أشهر كُتُبِ ابن آجروم وأبعدها أثراً. وجلس ابن آجروم للتدريس في فاس يعلم النحو والقراءات.

وكانت وفاة ابن آجروم في فاس في صفر من سنة ٧٢٣ (شباط - فبراير ١٣٢٣ م).

٢- كان أبو عبد الله بن آجروم بارعاً في النحو وفي القراءات وعارفاً بفنون أخرى من العلم كالفرائض والحساب والأدب. وكانت له أراجيز ومصنّفات، له: فرائد المعاني في شرح حِرْزِ الأمان^(١) - المقدمة الأجرومية.

ومع أن السيوطي قد قال (بغية الوعاة ١٠٢، السطر ٤ من أسفل): وله معلومات

(١) للإمام الناطقي (ت ٥٩٠ هـ) - راجع الجزء الخامس.

من فرائضَ (تقسيم الإرث) وحسابِ وأدبِ بارع»، فليس من الواضح أن البيهقي
الذين نَسَبَهَا المَقْرِي (نفع الطيب ٥ : ٩٥-٩٦) إلى ابنِ آجْرُومَ، وهما:

يا غائباً كان أنسي رَهَنَ طَلْعَتِهِ، كيف أصطباري، وقد كابدتُ بَيْنَهَا
دعوايَ أَنَاكَ في قلبي يُعَارِضُهَا شَوْقِي إِلَيْكَ، فكيف الجمعُ بَيْنَهَا؟

أنها لأبي عبد الله بنِ آجْرُومَ، كما تُوهَمُ الحاشية التي علقها إحسانُ عباس (ص
٩٥) وقال فيها: «المشهور بهذا الاسم هو محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي (ت ٧٢٣)،
وهو نحويٌّ، وله في النحو مؤلف سُمِّيَ الأَجْرُومِيَّةُ». ولعلَّ هذين البيهقيين لِمَنْدِيلِ بنِ
آجْرُومِ ابنِ صاحبِ الأَجْرُومِيَّةِ، فهو شاعرٌ غَيْرُ مُقِلٍّ. ولقد رَوَى له المَقْرِي بيتين آخرين
أكثرُ طلاوةً (نفع الطيب ٥ : ٤١٨) ثم أوردَ له أيضاً قصيدةً (نفع الطيب ٧ :
١٢٣-١٢٥). ولمنديل هذا (ت ٧٧٣ هـ) ترجمة في هذا الجزء.

أما في النحو خاصةً، فإن أبا عبد الله محمد بنِ آجْرُومَ من أتباعِ المذهبِ الكوفيِّ،
فقد قال السُّيوطيُّ (بغية الوعاة ١٠٢): «..... إنا استفدنا من مُقَدِّمَتِهِ أنه كان على
مذهبِ الكوفيِّين في النحو، لأنَّه عبَّرَ بالحنفِصِ^(٢) - وهو عبارتهم. وقال الأمرُ
مجزومٌ^(٣)، وهو ظاهر في أنه مُعْرَبٌ^(٤)، وهو رأيهم. وذكر في الجوازِمِ «كيفنا»،
والجزمُ بها رأيهم: وأنكره البصريون.»

وقد كان للأجرومية على إيجازها، شهرةٌ كبيرةٌ في المشرق والمغرب، فقد صنَّعَ
النحاةُ عليها نحو سِتِّينَ شرحاً، كما أنها قد عُرِفَت في الغربِ (في أوروبا) منذ القرن
العاشر للهجرة (السادس عشر للميلاد) ونُقِلَت إلى مُعْظَم اللُّغات الأوروپيَّة، ولها في
اللاتينية وحدها ثلاثة نقول^(٥).

- (١) بينها = منسى = بين « (فراق، بعاد). ها (في «بينها») ضمير يرجع إلى «طلعت» وإلى «اصطباري».
- (٢) عبَّرَ بالحنفِصِ (كما يقول الكوفيون) بدل الجزم.
- (٣) وقال في فعل الأمر إنه مجزوم (وهو قول الكوفيين)، بينما هو عند غيرهم «سبي على السكون».
- (٤) ... ولأن ابن آجْرُوم قال في فعل الأمر إنه «مجزوم»، فقد دل ذلك على أن ابن آجْرُوم يقول في فعل
الأمر إنه معرب (كما يقول الكوفيون).
- (٥) دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٩٧، أ-على العمود الأيمن.

* الكلام * الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع^(١)، وأقسامه ثلاثة: اسم وفعل وحرف جاء لمعنى^(٢). فالاسم يُعرَفُ بالحفّض والتنوين ودخول الألف واللام وحروف الحفّض، وهي: من وإلى وعن وعلى وفي ورُبَّ والباء والكاف واللام؛ وحروف القسم، وهي: الواو والباء والتاء. والفعل يُعرَفُ بقَدِّ والسين وسوف وتاء التانيث الساكنة. والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل^(٣).

* الأعراب * هو تغيير أو آخر الكلم لا اختلاف العوامل الداخلة عليه لفظاً أو تقديراً^(٤). وأقسامه أربعة: رفع ونصب وحفّض وجزم. فللأسماء من ذلك الرفع والنصب والحفّض، ولا جزم فيها. وللأفعال من ذلك الرفع والنصب والجزم، ولا حفّض فيها.....

(١) اللفظ هو الصوت المشتمل على عدد من الحروف. المركب (المؤلف، المجموع إلى غيره) فلا يكون اللفظ كلاماً (جملة تامة) إلا إذا كان مؤلفاً من كلمتين فأكثر (إلا إذا كان في الفعل ضمير مستتر وجوباً، نحو «قم»). ويجب أن يكون الكلام مفيداً (يؤذي معنى مألوفاً) بالوضع (بحسب ما تواضع - أي اتفق - عليه العرب: يجب أن تكون الجملة التامة مركبة من ألفاظ معروفة في اللغة العربية).

(٢) ... وحرف جاء لمعنى. الاسم والفعل يدلان على معانٍ في مبيها (بيت، شجرة، اجتماع)، والحرف يدل على معنى في غيره (لا يثبت معناه إلا إذا قرُنَ بغيره: هذان سعيد وسليم - جاء سعيد والسما تظن - ما شأنك والآخرين: فالواو في الجملة الأولى للمطف، وفي الجملة الثانية للحال، وفي الجملة الثالثة للمعية).

(٣) قوله: «الاسم يعرف بالحفّض والتنوين ودخول اللام... والفعل يعرف بقَدِّ... والحرف ما لا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل» إشارات ظاهرة بدركها العربي. أما غير العربي فلا ينفع بها. إن كلمة «أحد» مثلاً هي - في الأصل فعل مضارع للمتكلم المزد - من أجل ذلك تدخل عليها قد والسين وسوف. ثم نقلت كلمة «أحد» إلى اسم العلم فأصبح يدخل عليها الحفّض، وتقبل التنوين (في ضرورة الشعر)، إلخ.

(٤) - إذا قلنا: لن يذهب سعيد إلى المدرسة، فإن «يذهب» و«سعيد» و«المدرسة» معرفة لفظاً بالفتحة والضمّة والكسرة على التوالي. أمّا إذا قلنا: يرجى من القاضي أن ينهى عن الظلم، فإن الفعل «يرجى» والاسم «القاضي» والفعل «ينهى» معرفة بتدبيراً بالضمة المقدّرة على الألف في «يرجى» (منع من ظهورها التمدّد: لفظ فتحتين في وقت واحد). والاسم «القاضي» «مرب بالضمة تقديراً (منع من ظهورها التقلّل: لاستئغال لفظ الضمة الطارئة على الياء المسبوقة بكسرة أصلية).

المُعْرَبَاتُ قسمان: قسَمَ يُعْرَبُ بالحركات، وقسَمَ يُعْرَبُ بالحروف. فالذي يُعْرَبُ بالحركات أربعة أنواع: الأسمُ المُفْرَدُ وجمع التَكْسِيرِ وجمع المؤنثِ السالمِ والفعلُ المُضارعُ الذي لم يتصل بآخره شيء؛ وكلُّها تُرْفَعُ بالضمة وتُنصَبُ بالفتحة وتُخَفَضُ بالكسرة وتُجْزَمُ بالسكون. وخرَجَ عن ذلك ثلاثة أشياء: جمعُ المؤنثِ السالمِ يُنصَبُ بالكسرة والأسمُ الذي لا يُنصَرَفُ يُخَفَضُ بالفتحة، والفعلُ المُضارعُ المعتلُّ الآخرُ يُجْزَمُ بِحَدَفِ آخِرِهِ. والذي يُعْرَبُ بالحروف أربعة أنواع: التَّنْبِيَةُ وجمعُ المذكرِ السالمِ والأسماءُ الخمسةُ والأفعالُ الخمسةُ وهي يَفْعَلانَ وتَفْعَلانَ ويفْعَلونَ وتَفْعَلونَ وتَفْعَلينَ. فأما التَّنْبِيَةُ فترْفَعُ بالألفِ وتُنصَبُ وتُخَفَضُ بالياء. وأما جمعُ المذكرِ السالمِ فيُرفَعُ بالواو وتُنصَبُ ويُخَفَضُ بالياء. وأما الأسماءُ الخمسةُ فترْفَعُ بالواو وتُنصَبُ بالألفِ وتُخَفَضُ بالياء. وأما الأفعالُ الخمسةُ فترْفَعُ بالتَّوْنِ وتُنصَبُ وتُجْزَمُ بِحَدَفِهَا.

* باب لا * اعلم أن «لا» تنصب النكرات بغير نون، إذا باشرت النكرة ولم تتكرر «لا»، نحو: «لا رجل في الدار»^(١). فإن لم تباشرها، وجب الرفع ووجب تكرار «لا»، نحو: «لا في الدار رجل ولا امرأة». فإذا تكررت جاز إعمالها وإلغاؤها. فإن شئت قلت: «لا رجل في الدار ولا امرأة»، وإن شئت قلت: «لا رجل في الدار ولا امرأة»^(٢).

٤ - المقدمة (الأجرومية):

إن قصر هذه الرسالة (المقدمة الأجرومية) قد سهل شرحها وطبعها. فالطبقات التالية هي أمثلة من الطبقات الكبيرة المختلفة الأماكن والسين:

(١) لا: نافية للجنس. رجل: اسم «لا النافية للجنس» مبني على ما ينصب به (ها، على الفتحة). ومعنى الجملة: لا يوجد في الدار رجل ولا أكثر من رجل (لكن يمكن أن يوجد فيها نساء أو أطفال أو حجارة). أما إذا قلنا: لا رجل (بضمتين) في الدار، تكون لا هنا نافية للوحدة، فيكون المعنى هنا، إذن: ليس في الدار رجل واحد، بل فيها رجلان أو ثلاثة رجال أو أكثر («لا»، هنا، تعمل عمل «ليس»: لا كاذب محموداً عند الله ولا عند الناس).

(٢) في الجملة: «لا رجل في الدار ولا امرأة» (الواو: حرف عطف، امرأة: مملوطة على رجل، فهي أيضاً اسم للحرف «لا» النافية للجنس). أما إذا قلنا: «لا رجل في الدار ولا امرأة» (بضمتين على «امرأة»، كانت الواو حرف عطف، وكانت «لا» حرف نفي عادي، وكانت «امرأة» مبتدأ، وكان خبر امرأة مقدراً بغيره ما قبله: لا رجل في الدار، ولا امرأة في الدار).

- لندن ١٦١٧ م (١٠٣٦ هـ)؛ روما ١٥٩٢ م (١١٠٢ هـ)، ١٦٣١ م؛ بولاق ١٢٣٩، ١٢٥٢، ١٢٩٣ هـ؛ كامبردج (بريطانية) ١٨٣٢ م (١٢٤٨ هـ)، ١٨٥٢ م؛ بيروت ١٨٤١ م (١٢٥٧ هـ)، ١٨٥٧، ١٨٧٤، ١٨٨٦ م؛ باريس ١٨٤٤ م (١٢٦٠ هـ)؛ الجزائر ١٨٤٦ م (١٢٦٤ هـ)، ١٨٦٠؛ الجزائر ١٢٨٣ هـ؛ القاهرة (حجر) مراراً؛ القاهرة ١٢٧٣، ١٢٩٣، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (في مجموع) ١٢٧٦، ١٢٩٧، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٦ هـ؛ جونية (لبنان) ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ)؛ الهند ١٨٥٣ م (١٢٧٠ هـ)؛ مشن (ألمانية) ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ القدس ١٨٧٦ م (١٢٩٣ هـ)؛ دمشق ١٣٠١ هـ؛ في مجموع: الرسائل العلمية التسع، دمشق (مطابع الفكر الإسلامي) ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م؛ مكة المكرمة ١٣١٤ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٣٣ هـ؛ فاس (طبع حجر) ١٣٤٥ هـ؛ مختارات برونو وفيشر (بألمانية) (ص ١٧١ - ١٨٣)؛ متن الأجرومية في علم العربية، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.

** شروح وحواش على متن الأجرومية:

- شرح الأجرومية، لشارح مجهول، بولاق ١٢٤٢ هـ.
- شرح المكوذي، أبو زيد عبد الرحمن بن صالح (ت ٨٠١ هـ)، تونس ١٢٩٢؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٥ هـ؛ القاهرة (مطبعة عبد الرزاق) ١٣٠٩ هـ.
- شرح الأزهرى، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ هـ)، بولاق ١٢٥١، ١٢٥٩، ١٢٧٤، ١٢٨٠، ١٢٨٤، ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٦٢، ١٢٦٥، ١٢٨١ هـ؛ بهامش حاشية أبي النجا، ١٣٠٤ هـ؛ ثم ١٣١٢، ١٣١٩ هـ. فاس ١٣١٥ هـ.
- شرح الخطاب الرعيبي، جمال الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤ هـ)، بولاق ١٢٩٥ هـ؛ القاهرة ١٢٩٨، ١٣٠٢ هـ.
- شرح ابن جبريل، زين الدين (ت نحو ١٠٥٤ هـ)، (تحرير دلفين)، باريس ١٨٨٥ م (١٣٠٢ هـ)، الطبعة الثانية ١٨٨٦ م.
- شرح الكفراوي، حسن بن عليّ (ت ١٢٠٢ هـ)، بولاق ١٢٤٢، ١٢٤٨، ١٢٤٩ (٢)، ١٢٥٢، ١٢٥٧، ١٢٦٢، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاثوليكية) ١٢٨٠، ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة (مطبعة المعارف المصرية) ١٢٨٦ هـ؛ القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٢٩٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرزاق) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٢٩٢، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٣٠٦، ١٣١٤ هـ.
- حاشية أبي النجا الطننداعي، محمد مجاهد (أُلْفِتْ نحو ١٢٣٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٢٨٤، ١٢٩٩، ١٣٠١، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٤٢، ١٢٤٤ هـ؛ تونس ١٢٨٤ هـ.
- شرح الباجي (البيجي) المسعودي، أبو عبد الله محمد (ت ١٢٩٧ هـ)، راجع سركيس (معجم =

- = المطبوعات العربية) ص ١٧٤٤ .
- شرح أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤ هـ)، القاهرة (المطبعة الشرفية) ١٢٩٧، ١٣١١، القاهرة (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٤٤ هـ، مكة ١٣١٤ هـ .
- شرح العجمي، عبد الله بن عثمان (أتمها سنة ١٣٠٧ هـ)، مكة ١٣١٣ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- عوائد الصلة الربانية لعبد الرحيم السيوطي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣٣٥ هـ .
- شرح (متن) الأجرومية لهاشم بن الشحات الشرقاوي، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ .
- شرح العشماوي، عبد الله بن فاضل، بولاق ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة ١٢٩١، ١٢٩٨، ١٣٠٢، ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٠، ١٣٤٤ هـ؛ راجع أيضاً سركيس (معجم المطبوعات العربية)، ص ١٣٢٩ .
- شرح النووي: «كشف المروطية عن ستار الأجرومية»، لمحمد عمر النووي، القاهرة (مطبعة شرف) ١٢٩٨ هـ؛ القاهرة ١٣٢٦، ١٣٤٢ هـ .
- شرح القادر (؟) الفاسي علي مقدمة الأجرومية....
- ** شروحٌ وحواشٍ علي شروحٍ وحواشٍ :
- (أ) علي شرح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهرى (ت ٩٠٥ هـ):
- حاشية أبي النجا محمد الطنتداعي (فرغ من تأليفها سنة ١٢٢٣ هـ)، بولاق ١٢٨٤ هـ؛ (تحرير كارلتي)، تونس ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٧ هـ؛ القاهرة ١٣٢٠ هـ، ثم طبعات أخرى .
- حاشية حسن المطار (ت ١٢٥٠ هـ)، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٠٧ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٠٧ هـ أيضاً؛ القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٥ هـ .
- (ب) علي شرح حسن بن علي الكفراوي (ت ١٢٠٢ هـ):
- حاشية إسماعيل بن موسى الحامدي (ت ١٣١٦ هـ)، بولاق ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة (المطبعة الكاستيلية) ١٢٨٠، ١٢٨٣ (؟)، ١٢٩٨ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣١١ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ .
- فوائد الطريف والتالد، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن الجرجاوي (ت ١٣٤٢ هـ)، القاهرة ١٣١٨ هـ .
- حاشية أحمد بن محمد الحاج، فس ١٣١٥ هـ (؟) .
- منحة الكريم الوهاب وفتح باب النحو للطلاب = حاشية لأحمد بن أحمد التجاري الدماطي (ت بعد ١٣٠٩ هـ)، بولاق (بهاشم شرح الكفراوي) ١٢٤٨ هـ؛ ١٢٨٢، ١٢٩١، ١٢٩٢ هـ (؟) .
- (ج) متفرقات:

- الكواكب الدرّية في شرح منمنمة الأجرومية للخطّاب (؟)، تأليف محمّد بن أحمد بن عبد الباري الأهدل (ت ١٢٩٨ هـ)، بولاق ١٣١٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة محمّد مصطفى) ١٣١٢ .
 - حاشية على شرح النووي (؟) للأجرومية، لمحمّد معصوم بن سليم السمراني، القاهرة ١٣٢٦ هـ، ١٣٤٢ هـ.
 - شرح (متن) الأجرومية، لهاشم بن السّحات الشرفاوي، وعليه تقييدات وجيزة وشروح لما يجب التنبيه عليه عزيزة، القاهرة (المطبعة الميمنية) ١٣٢٦ هـ.
 - حاشية على شرح أبي العباس أحمد بن محمّد السوداني على مقدّمة ابن أجروم، تأليف محمّد المهدي بن محمّد الوزّاني، فاس ١٢٩٨ هـ.
 - تقريرات على حاشية أبي النجاء على شرح الأزهري على الأجرومية، تأليف محمّد بن محمّد الأنباري (ت ١٣١٣ هـ)، القاهرة ١٢٨١، ١٣٠٢، ١٣١٩ هـ.
 - الدرّة البهية في نظم الأجرومية ليحيى بن نور الدين العمريطي (ت بعد ٩٨٩ هـ)، لكهوه (الهند) ١٢٦٠ هـ؛ كاونبور (الهند، «في مجموع» طبع حجر) ١٢٩٠ هـ؛ القاهرة ١٢٨٧ هـ، ١٣٠٢، ١٣٠٩، ١٣٤٤ هـ؛ مع حاشية الباجوري ١٢٩٧ هـ.
 - المنظومة السّنة لما يُسمّى متن الأجرومية، لعلي بن عبد الله السمرّاق الطرابلسي (الليبي)، مصر (مطبعة شرف - طبع حجر) ١٣٠٧ هـ.
- بغية الوعاة ١٠٢-١٠٣؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦؛ نفع الطيب ٧: ١٢٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٧؛ بروكلمن ٢: ٣٠٨-٣١٠، الملحق ٢: ٣٣٢-٣٣٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٣ (٣٢)؛ سركيس ٢٥-٢٦؛ النبوغ المغربي ٣١٠.

ابن الفخّار الجذامي النحوي

١- هو أبو بكر (أو أبو عبد الله) محمّد بن عليّ بن محمّد البيري (الإلبيري) النحويّ الجذامي المالمقي الشريشي، وُلِدَ في أركُش (بليدة قُرب شريش على وادي لكّه)، نحو سنّة ٦٣٠ (١٢٣٢-١٢٣٣ م) وفيها نشأ. وقد تَطَوّف في بُلدانٍ كثيرة وتلقّى العلمَ عن رجالها^(١): استولى الإِسبانيّ على أركُش سنّة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) فانتقل إلى شريش.

(١) لم أذكر الأشخاص الذين أخذ عنهم ابن الفخّار لأنّ السيوطي (ت ٩١١) ذكر في بغية الوعاة أن من شيوخ ابن الفخّار (ت ٧٢٣) عليّ بن إبراهيم السكوني وأبا عبد الله بن خميس (٦٢٥-٧٠٨ هـ) وأبا الحسين بن أبي الربيع (ت ٦٨٨) والأبدي وابن الصانع (٧١٠-٧٦٦ هـ) وأنا عمر بن حوط الله أو حوطه (٥٤٣-٦١٢ هـ). وعدد من هؤلاء، كما يتّضح من تاريخ وفياتهم لا يمكن أن تتّسّق حياتهم مع حياة ابن الفخّار.

واستولى الإسبان على شريش، سنة ٦٦٣ (١٢٦٤ م) فانتقل إلى الجزيرة الخضراء. وحوصرت الجزيرة الخضراء، سنة ٦٧٧ (١٢٧٨ م)، ولكن الأندلسيين وأحلافهم المرينيين استطاعوا إبادة الأسطول الإسباني. وزار سبتة في العُدوة الإفريقية، ثم استوطن مآلقة وتصدّر فيها للإقراء، وظلّ يُقرئ فيها إلى وفاته، سنة ٧٢٣ (١٣٢٣ م).

٢- كان ابن الفخّار الجذامي عالماً بالقراءات والتفسير وبالفتح والحديث والأدب، وكان الآية الكبرى والإمام المُجمّع على إمامته في فنّ العربية (النحو) المتفوّح عليه من الله حفظاً واطلاعاً ونقلًا وتوجيهاً بما لا مطمّع فيه لسواه (فتح الطيب ٥: ٦٠٤، ٧: ١٦٥)، وكان شيخ النحويين لعهدِهِ وسيبويه زمانه (فتح الطيب ٥: ٧٥، ٣٨٣). وله شعرٌ عليه جفافٌ شعر العلماء. وله من التأليف: تيسير (سورة) الفاتحة - شرح الرسالة (في الفقه المالكي) - شرح مشكلات سيبويه - الردّ على مَنْ نسب رفع الخبر بـ «لا» إلى سيبويه - تحريم الشطرنج، وغيرها.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن الفخّار الجذامي النحوي في الوصف:

انظر إلى وِردِ الرِّياضِ كأنه ديباجُ خدِّ في بَنانِ زَبْرَجَدٍ^(١).
 قد فَتَحَتْه نِصارَةٌ فبدا له في القلبِ رَوْتُقُ صُفْرَةٍ كالصَّجْدِ.
 حَكَتِ المِجْوانِبُ خدَّ جِبِّ ناعمٍ، والقلبُ يَحْكِي قلبَ صَبِّ مُكَمَّدٍ^(٢).

- ولابن الفخّار نص نحوي (فتح الطيب ٥: ٣٥٥-٣٥٦):

وَرُؤُنُ «إجازة» في الأصل إجازة فأعلتْ بِنَقْلِ حَرَكَةِ الواوِ إلى الجيمِ حَمَلًا على الفعلِ الماضيِ أَسْتَقْلا^(٣). فمَحَرَكْتَ الواوِ في الأصلِ وانفَتَحَ ما في اللفظِ فصارت

(١) البان جمع بناة: إصبع (أو عقدة الإصبع). زبرجد: حجر كريم أخضر. بنان زبرجد: أطراف الكلس (في الزهرة) الغلاف الأخضر الذي يلف الزهرة قبل تنفتحها.

(٢) الحبّ (بالكسر): المبوب. الصبّ: الحبّ.

(٣) جذر هذا الفعل «جوز»، استعمل العرب لفظه فقالوا: جاز. وكذلك صيغة إفعالة يجب أن تكون =

« إجازة - بِالْفَيْن - فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ الثَّانِيَةَ عِنْدَ سِيَّوِيهِ لِأَنَّهَا زَائِدَةٌ، وَالزَّائِدُ أَوْلَى بِالْحَذْفِ مِنَ الْأَصْلِيِّ^(١). وَحُذِفَتِ (الْأَلْفُ) الْأُولَى عِنْدَ الْأَخْفَشِ لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى، وَهُوَ الْمَدُّ. وَقَوْلُ سِيَّوِيهِ أَوْلَى لِأَنَّهُ قَدْ نَبَتَ عِيَّوُصُ النَّاءِ مِنَ الْمَحذُوفِ فِي حَوْ « زَنَادِقَةَ »^(٢)، وَتَعْوِيصُ الزَّائِدِ مِنَ الزَّائِدِ أَوْلَى مِنْ تَعْوِيصِ الزَّائِدِ مِنَ الْأَصْلِيِّ لِلتَّنَاسُبِ. وَوَزْنُهَا فِي اللَّفْظِ عِنْدَ سِيَّوِيهِ إِفْعَلَةٌ، وَعِنْدَ الْأَخْفَشِ إِفَالَةٌ، لِأَنَّ الْعَيْنَ مَحذُوفَةٌ^(٣) .

٤- ** الكتيبة الكامنة ٧٠-٧١؛ بغية الوعاة ١٨٠، درة المجال ٢: ٨٣-٨٦؛ فنج الطيب ٥: ٧٥، ٣٥٥-٣٥٦، ٣٧٨، ٣٨١، ٦٠٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٥ (٦: ٢٨٤).

القُبْدَرِي صَاحِبُ الرِّحْلَةِ

١- هو أبو محمد محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود (أو سمود) البنسبي الشهير بابن المعلم؛ لا نعرف من أحداث حياته إلا ما أشار إليه هو في ثنايا « رحلته » التي كان قد بدأها من بلاد قبيلة حاحة (في المغرب) في الخامس والعشرين من ذي القعدة من سنة ٦٦٨ (١٢/١١/١٢٨٩ م). وقد سجع في أثناء رحلته من نقر من العلماء منهم في تونس الحاضرة عبد الله بن هرون الطائي، كما تسلّم فيها الحرقة من الشيخ أبي محمد عبد

- = « إجازة »، وقد وجدها العرب ثقيلة على اللفظ أيضاً فاملوها معاملة الفعل الماضي وقالوا « إجازة ».
- (١) في فقه اللغة (فلمة النحو): إجازة تصبح بقلب الواو ألفاً (مناسبة حركة الميم في الفعل جوز): « إجازة (الألف الأولى مقبولة عن واو إجازة، والألف الثانية من أصل الصيغة أفعالته). وكان سيويه (ت ١٨٠ هـ) يرى أننا حذفنا الألف الأولى المقبولة عن الواو (لأن هذه الألف زائدة: ليست من أصل الصيغة). أما الأخفش (الأصغر؟: أبو الحسن المتوفى ٣١٥ هـ) فيرى أن الحذف يجب أن يتناول الألف الثانية (وإن كانت أصلية في بناء صيغة إفعالته) لا الألف الأولى (وإن كانت غير أصلية) ذلك لأن هذه الألف الأولى الزائدة ضرورية لأنها تقرر حركة الميم.
- (٢) زنديق تجمع على زناديق (مثل: تلميذ: تلاميذ، وأستاذ: أساتيد) وقد تحذف الياء الزائدة في المفرد « زنديق »، ويجعل مكانها تاء زائدة (في الجمع) فتصبح زنادقة مثل تلامذة وأساتدة ومعثلة إلخ.
- (٣) عين الفعل هي الحرف الثاني في جذر الفعل الثلاثي: فعل. فهي جاز (وأصلها جوز) تكون عين الفعل هي الواو.

الله بن يوسف الأندلسي. وسمع في القيروان من أبي زيد عبد الرحمن بن الأشدي. ثم سمع (في مِصرَ) من شرف الدين الدُمياطي وابن دقيق العبد وزين الدين بن المنير. ولا يبعدُ أن تكون وفاته نحو سنة ٧٢٥ (١٣٢٥ م). ويبدو أنه قد قضى جانباً كبيراً من حياته في المغرب حتى عُرِفَ أيضاً باسم «الحبحي» (نسبة إلى حاحة) وحتى كان ميله إلى الميرينيين أصحاب المغرب الأقصى أكثر منه إلى بني عبد الواد أصحاب المغرب الأوسط.

٢- للمبدري «رحلة» عنوانها «ملئ العيبة فيما أجمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطينة» أو «ما سما إليه الناظر المطرق إلى بلاد المشرق. وتُعرف عادةً باسم «الرحلة المغربية».

هذه «الرحلة» قليلة الابتكار قليلة الفوائد الجغرافية فقد أخذ العبدري كثيراً من أوصاف البلدان عن الجغرافيين المتقدمين، إلا أنه يصف البلدان التي مرَّ بها من النواحي العمرانية والاقتصادية والعلمية ثم يعرف عدداً من علماء القرن السابع ومن أدبائه ويورد أشياء من نتاجهم مع شيء من النقد. وكان جُلُّ اهتمامه مجال الثقافة والتدريس وخصوصاً في المغرب.

٣- مختارات من آثاره

- من مطلع الرحلة:

..... وبعد: فلاني قاصدٌ، بعد استخارة الله سبحانه، تقييداً ما أمكن تقييده ورسماً ما تيسر رسمه وتسيده مما سما إليه الناظر المطرق في خير (٤) الرحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان وأحوال من بها من القطان حسناً أدركه الحس والعيان وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان من غير تورية ولا تلويح، ولا تقييح حسن ولا تحسين قبيح، بلفظ قاصد لا يحجم مفرداً ولا يجمع فيتمدى المدى، مسطراً لما رأيته بالعيان ومقرراً له بأوضح بيان حتى يكون السامع لذلك كالمبصر وتلحق فيه السبابة بالخصر تشفي به نفس المتطلع المتشوق ويقف منه على بغيته السائل المتعرف. وأذكر مع ذلك ما استفدته من خبر وأنشدته من دُرر..... وأثبت في خلال ذلك من نظمي

ما يُقْلِعُ إِلَيْهِ الْكَلَامُ..... وأضيف إلى ذلك ما يَضْطَرُّ إِلَيْهِ التَّبَيُّانُ فَمَا قَصَرَ فِيهِ
 الْعِيَانُ مِنْ نُبْذِ مَذْكُورَةٍ وَتُتَفِّ مَشْهُورَةٍ وَنُكَّتِ مَرْسُومَةٍ فِي الْكُتُبِ مَسْطُورَةٍ تَسْمِيَاءَ لِفَرْصِ
 التَّقْيِيدِ وَتَعْمِياً لِأَرْبِ الْمُسْتَفِيدِ حَتَّى يَكُونَ التَّالِيفُ فِي بَابِهِ مُغْنِياً وَعَنِ الْاِئْتِقَارِ إِلَى غَيْرِهِ
 مُسْتَعْنِياً، مُبْتَنِياً فِي كُلِّ رَسْمٍ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَيْتُهَا وَالْآثَارِ الَّتِي وَعَيْتُهَا.....
 كَانَ سَفَرَنَا - تَقَبَّلَهُ اللَّهُ - فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ عَامَ ثَمَانِيَةِ وَثَمَانِينَ
 وَسِتِّمِائَةٍ، وَمَبْدَأَهُ مِنْ حَاحَةِ صَانِئِهَا اللَّهُ....
 - مِنْ طَرَابُلُسَ إِلَى تُونِسَ (ص ٦٩):

ثُمَّ وَصَلْنَا إِلَى مَدِينَةِ إِطْرَابُلُسَ، وَهِيَ لِلْجَهْلِ مَأْتَمٌ وَمَا فِيهَا لِلْعِلْمِ غَرَسٌ: أَقْفَرَتْ
 ظَاهِراً وَبَاطِناً. وَذَمَّهَا الْخَبِيرُ بِهَا سَائِراً وَقَاطِناً^(١). تَلَمَّعَ لِقَاصِدِيهَا لَمَعَانَ الْبَرَقِ الْخُلَّبِ
 وَتَرِيهِ ظَاهِراً مُشْرِقاً وَبَاطِناً قَدْ قَطَّبَ، اِكْتَنَفَهَا الْبَحْرُ وَالْقَفْرُ، وَاسْتَوَلَى عَلَيْهَا -
 مِنْ عُرْبَانِ^(٢) الْبَرِّ وَنِصَارَى الْبَحْرِ - النُّفَاقُ وَالْكَفْرُ..... لَا تَرَى فِيهَا شَجْراً وَلَا
 ثَمَراً، وَلَا تَحْوِضُ فِي أَرْجَائِهَا حَوْضاً وَلَا نَهْراً. لَيْسَ عَلَى نَاشِئِهِ مِنْهُمْ فَضْلٌ لِذِي شَيْبَةٍ
 وَلَا لِذِي الْفَضْلِ بَيْنَهُمْ هَيْبَةٌ: تَرَى أَجْسَاماً حَاضِرَةً وَالْعُقْلُ فِي عَقْلِ^(٣).. غَيَابَاتِ
 الْغَيْبَةِ..... وَأَهْلُ تُونِسَ فِي طَرَفِي نَقِضَ: أَوْلَتْكَ فِي الْأَوْجِ وَأَوْلَاءَ فِي الْحَمِضِ.
 وَلَمْ أَرَبْهَا مَا يَرُوقُ الْعِيُونَ وَسَاءَ عَنِ أَنْ يُقَوِّمَ بِالْدُونَ، سَوَى جَامِعِهَا وَمَدْرَسَتِهَا، فَإِنَّ
 لَهَا مِنْ حُسْنِ الصُّورَةِ نَصِيباً وَمِنْ إِتْقَانِ الصَّنْعَةِ سَهْماً مُصِيباً. وَمَا رَأَيْتُ فِي الْغَرْبِ
 مِثْلَ مَدْرَسَتِهَا الْمَذْكُورَةِ لَوْلَا أَنَّ مَحَاسِنَهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى الصُّورَةِ، فَمَا يَسْبُبُ بِهَا لِلْعِلْمِ طِفْلاً
 وَلَا يَحْيِي صَرُورَةً^(٤)..... وَقَدْ حَضَرْتُ بِهَا تَدْرِيسَ الشَّيْخِ الْمُنِيِّ الْقَاضِي الْحَطِيبِ أَبِي
 مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّيِّدِ^(٥) - وَهُوَ بَيْتُ قَصِيدِهِمْ وَكَبِشُ كَتَبَتِيهِمْ^(٦) وَوِاسِطَةُ قِلَادَتِهِمْ

(١) سائراً (ماراً، مسافراً) وقاطناً (ساكناً في البلد).

(٢) العُرْبَانُ: العُروْبُون (ما يدفعه الشترى مقدماً لحفظ حقّه في السلمة المطلوبة) - راجع تاج العروس
 (الكويت) ٣: ٣٢٧، العمود الثاني، السطر الثامن ثم ٣٥٠ في أسفل العمود الأول، ثم ٣٥١، العمود
 الأول، السطر ١٣. والساس يقولون: عُرْبَانٌ (بمعنى الأعراب، البدو).

(٣) العقل: القيد، الرباط. الغيبة (بالفتح): القفر.

(٤) الصرورة: الذي لم ينزوّج ولم يحج.

(٥) ابن عبد السيد.....

(٦) كبش الكتيبة الخ: أكبر الرجال في قومه وأشهرهم وأقوام الخ.

وأَنْفُ سِيَادَتِهِمْ، ذُو سَمْتٍ وَوَقَارٍ، وَقَدْ أَثَرَ الْكِبَرُ فِي جِسْمِهِ، كَثِيرُ الْمَوَاطِبَةِ لِلْمَسْجِدِ وَالذِّكْرِ، خَيْرٌ فِي دِينِهِ - وَمَا كُنْتُ آتِيَهُ بَعْدَ مَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِقَصْدِ الدُّعَاءِ لِأَنَّهُ ضَيْقُ الْخَلْقِ لَيِّنُ النَّظَرِ وَفِي لِسَانِهِ حَبْسَةٌ لَا يَكَادُ يُفْهَمُ مَعَهَا. وَقَدْ اسْتَفْرَغْتُ جُهْدِي وَقَتَ إِقْرَائِهِ وَفِي تَفْهَمِهِ مَا يَقُولُ فَمَا فَيَمُنْتُهُ إِلَّا بَعْدَ مُدَّةٍ. وَأُظَنُّهُ لَا رِوَايَةَ لَهُ. فَإِنِّي سَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ فَأَبَهَمَ جَوَابَهُ وَتَسَمَّرَ. وَحَاوَلْتُ مُدَاخَلَتَهُ فَصَدَّقَنِي عَنْ ذَلِكَ بِشَكَاسَتِهِ وَجَهَامَةِ لِقَائِهِ

٤- الرحلة المغربية (حققتها محمد الغاسي)؛ الناشر: جامعة محمد الخامس (الرباط)
١٩٦٤ م؛ (حققتها ابن جدو.....)....

** جذوة الاقباس (فاس) ١٩٩٩؛ درة المجال ١: ١٣٤؛ تاج العروس (الكويت) ٣: ٣٧٩؛
نوح الطيب ٢: ٤٨٣، ٥٨٩؛ العربي (أكتوبر ٦٩) ص ١٤٢؛ نيل الابتهاج ٦٨؛ بروكلمن
١: ٦٣٤، الملحق ١: ٨٨٣؛ دائرة المعارف الإسلامية ١: ٩٦.

ابن عذارى المراكشي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى، أصله من الأندلس. وسكن مراكش وكان قائد فاس (حاكمها)، توفى نحو ٧٢٠ هـ (١٣٢٥ م).

٢- ابن عذارى المراكشي مؤرخ حكيم دقيق محب للإيجاز والتنسيق المنطقي مع تقييد كامل للحوادث في كتابه بتواريخها. له البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب^(١)، كان لا يزال يعمل فيه في سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م). وله تاريخ الشرق، ولكن لم يصل إلينا.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة «البيان المغرب»:

..... وبعد- جعلنا الله ممن نظر فاعتبر ووعظ فازدجر^(٢)- فإن خير ما شغلنا

(١) هذا هو العنوان المذكور في مقدمة الكتاب.

(٢) ازدجر: رجع عن اقرار الذنب.

به الأذكارُ والأفكارُ وتحدثت مَعَهُ بالليلِ والنهارِ^(١) حَفِظُ مَا أَفَادَ مِنْ الْعُلُومِ وَالْأَخْبَارِ .
وإنَّ خَيْرَ مَا رَيَّضُنَا^(٢) بِهِ النُّفُوسَ الْبَشَرِيَّةَ مُجَالَسَةُ الْعُلَمَاءِ وَالْأَخْبَارِ وَمَذَاكِرَةُ الْأَدْبَاءِ
ذَوِي الْهِمَمِ وَعُلُوُّ الْمِقْدَارِ ، ففِي مُجَالَسَتِهِمْ وَمَذَاكِرَتِهِمْ مَا يَسْحَرُ الذَّهْنَ وَيُنَوِّرُ الْأَفْكَارَ .
فإن قَدَدْتُ مُجَالَسَتَهُمْ فَلَا عِيُوضَ مِنْهَا غَيْرُ كِتَابٍ يَتَّخِذُهُ (الإنسان) جَلِيسَهُ وَيَجِدُهُ فِي كُلِّ
وَقْتٍ أُنَيْسَهُ وَطَلَبَ بَعْضُهُمْ إِلَيَّ - مَنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ عَلَيَّ - أَنْ أَجْمَعَ لَهُ كِتَابًا مُفْرَدًا
فِي أَخْبَارِ الْبِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ ... فَلَمْ يُمَكِّنِي التَّوَقُّفُ فِي ذَلِكَ
وَالِاعْتِدَارُ ... فَجَمَعْتُ لَهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ نُبْدًا وَلَمَعًا مِنْ عَيُونِ التَّوَارِيخِ وَالْأَخْبَارِ
تَمَّا أَجْرَى اللَّهُ بِهِ تَصَارِيفَ الْأَقْدَارِ فِيهَا مَرَّ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَعْصَارِ ، فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَمَا
وَالِأَهْلِ مِنَ الْأَقْطَارِ : جَمَعْتُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ الْجَلِيلَةِ مُقْتَضِبًا مِنْ غَيْرِ إِسْهَابٍ وَلَا
إِكْتَارِ^(٣) . فَاقْتَطَعْتُ عَيُونَهَا وَاقْتَضَبْتُ فَنُونَهَا . وَوَصَلْتُ الْحَدِيثَ الْقَدِيمَ ، وَالْقَدِيمَ
بِالْحَدِيثِ ، لِأَنَّهُ إِذَا اتَّصَلَ يُسْتَرْفَى وَيُسْتَحْلَى ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَسَمَّيْتُ كُلَّ مَآرِبِي فَكَأَنَّ أَطْيَبَهَا خَيْثُ ،
إِلَّا الْحَدِيثُ فَإِنَّهُ عِنْدَ اسْمِهِ أَبَدًا حَدِيثُ^(٤) .

.... وَلَمَّا كَمَلْتُ مَا قَدَيْتُهُ وَجَرَدْتُهُ جَزَيْتُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ ، كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا قَائِمٌ
بِنَفْسِهِ لِيَكُونَ لِمَطَالَعِهِ أَوْضَحُ بَيَانٍ وَأَسْهَلُ مَرَامٍ لَدَى الْعِيَانِ . وَسَمَّيْتُهُ بِالْبَيَانِ الْمَغْرِبِ
فِي اخْتِصَارِ أَخْبَارِ مَلُوكِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ . أَمَّا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ فَاخْتَصَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ
إِفْرِيْقِيَّةَ مِنْ حِينِ الْفَتْحِ الْأَوَّلِ إِلَى خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ثُمَّ أَخْبَارَ أَمْرَانِهَا
مِنْ وِلَاةِ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ وَمَنْ دَخَلَ الْغَرْبَ مِنْهُمْ وَمَنْ قَامَ بِإِفْرِيْقِيَّةَ إِلَى حِينِ
إِبْتِدَاءِ الدَّوْلَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ الْمُرَابِطِيَّةِ^(٥) . وَالْجُزْءُ الثَّانِي اخْتَصَرْتُ فِيهِ أَخْبَارَ جَزِيرَةِ

(١) وتحدثت معه « قلفة هنا .

(٢) كذا في الأصل ، والصواب : رَوَّضُنَا (بالواو) ، أي ذلَّلناها ، عَوَّدناها ، مَرَّناها على ...

(٣) البلاد الغربية : المغربية (بالإضافة إلى الشرقية) .

(٤) اقتضب الكلام : قطعه . والمقصود هنا : اختصره . الإسهاب : الزيادة في الألفاظ من غير زيادة في المعاني .

(٥)

(٦) الغرب (إفريقية والأندلس) . قام بأفريقية (حكما) . الدولة المرابطية (من بني لمتونة) قامت نحو سنة

٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) .

الأندلس وأتلاكها الغابرين الدُّرسَ من حين الفتحِ الأوَّلِ ثمَّ من وِليها مِنَ الأُمراءِ للخلفاءِ الأُمويِّينَ بالشرقِ ثمَّ من قام بها من العربِ الفُهريِّينَ إلى حينِ دخولِ الخلفاءِ الأُمويِّينَ^(١) ومن قام عليهم من الثُوَّارِ الأندلسيِّينَ... وذكرتُ فيه أخبارَ ملوكِ الطوائفِ بعدَ انقضاءِ دولِ الخلائفِ... وغيرهم من الرؤساءِ الأندلسيِّينَ، وكلُّ ذلكِ إلى حينِ دُخولِ لَمْتونةَ إلى الأندلسِ سَنَةَ ٤٧٨. والجزءُ الثالثُ اختصرتُ فيه أخبارَ (ملوكِ) الدولةِ المُوحَّديةِ... واستيلاءهم على (ممالكِ) أُمراءِ المَغربِ والأندلسِ... وذلكِ إلى حينِ انقراضِ الدولةِ المرابطيةِ وابتداءِ الدولةِ المُوحَّديةِ ثمَّ ما تَخَلَّلَ بعدَ ذلكِ للمُوحَّدينَ... وذكرتُ الدولةَ الحَفْصيةَ... في البلادِ الإفريقيةِ والدولةَ المُهديةَ (والدولةَ) النَّصْريةَ في البلادِ الأندلسيةِ، والدولةَ السعيدةَ المرينيةَ في البلادِ الغرَّبيةِ، اختصرتُ من ذلكِ كلُّه ما اشتهرَ أمرُه وأمكنني ذِكرُه... وذلكِ إلى انقضاءِ الدولةِ المُوحَّديةِ واستيلاءِ الإمارةِ اليوسفيةِ المرينيةِ على حضرتهم المراكِشيةِ، وذلكِ على مُرورِ السنينِ إلى عامِ ٦٦٧....

٤- البيان المغرب: الجزء الأوَّل والجزء الثاني (دوزي)، ليدن (بريل) ١٨٤٨-١٨٥١ م؛ (كولان ولفي بروفسال)، ليدن (بريل) ١٩٤٨-١٩٥١ م؛ بيروت... الجزء الثالث^(٢) (أ. لمي بروفسال)، باريز (بولس كسترالكتي) ١٩٣٠ م؛ القسم الخاصُّ بتاريخِ المُوحَّدين (تحقيق أمبروسي هويسي ميراندا وساهمة محمد بن تاويت ومحمد إبراهيم الكتّاني)، تطوان ١٩٦٠ م؛ قطعة من تاريخ المرابطين ١٩٦٧ م.

★ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٠٥-٨٠٦؛ بروكلمن ١: ٤١١-٤١٢، الملحق ١: ٥٧٧؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣١٤ (٩٥)؛ سركس ١٧٢.

ابن أبي زرع

١- هو، في الأغلب، أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عُمَرَ بنِ أَبِي زَرَعٍ، كان من أهلِ فاسٍ يحترفُ التوثيقَ فيها، وفيها تُوَفِّيَ بعدَ ٧٢٦ (١٣٢٦ م).

(١) الفهريُّون: القرشيُّون. يشير إلى النزاعِ في أيامِ يوسف الفهري (راجع فوق ٤٤-٤٥، ٤٨-٤٩) دخولِ الخلفاءِ الأُمويِّينَ، ابتداءً من عندِ الرحمنِ الداخلِ، سنة ١٣٨ هـ (٧٥٦ م).
(٢) حوادث هذا الجزء المطبوع تتدَّ من سنة ٣٩٢ إلى سنة ٤٥٧ هـ (١٠٠٢-١٠٦٥ م).

٢- كان ابنُ أبي زرعٍ عدلاً في التوثيق كما كان مؤرخاً نزيهاً وصلَّ إلينا منه «الأنيسُ المطربُ بروض القُرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس»، وهو يتناولُ تاريخ المغرب من قيام الدولة الإدريسية (سنة ١٧٢ هـ) إلى سنة ١٧٢٦ هـ، وقد آلفه للسلطان أبي سعيد عثمان المريني (٧١٠ - ٧٣١ هـ)، وكان أبو سعيد هذا من أهل العلم والمعرفة. ويبدو أن ابن أبي زرعٍ قد عرَّف كثيراً من «البيان المغرب» لابن عذارى^(١). وكذلك وصلَّ إلينا اسم كتاب آخر لابن أبي زرعٍ هو «زهرة البستان في أخبار الزمان».

٣- مختارات من آثاره

الحمد لله مُصَرِّفِ الأمور بمشيئته وتدييره ومُسَهِّلِ المسير بتوفيقه وتيسيره، ومُنْدِعِ الأشياء بحكمته وتصويره^(٢)، خالقِ الخلق بقدرته وبإسطر الرزق بتقديره^(٣)...

أما بعدُ- أطال الله بقاء مولانا الخليفة الإمام مُعْطِي الإسلام ورافعه ومُدلِّل الكُفْر وقامعه^(٤)... أبي سعيد عثمان بن مولانا... أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق^(٥)... إني لما رأيت مكارم دولته السعيدة مقام سعادة^(٦) أطالها الله وخلدتها وأعلى كلمتها وأيدها تُنظَّم نُظَمُ الجُمان^(٧) وصورَ إحصانها تُسَلَّى بكلِّ لسان... أردتُ خدمةَ جبالها والتقربَ إلى كمالها والتفويؤَ بظلالها والورودَ من عذب زلالها^(٨) بتأليف كتاب

-
- (١) راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٣٩، السطر السادس من أسفل.. ليس بين يدي «روض القُرطاس» لأقارن مادته بجادة «البيان المغرب».
- (٢) مدع الأشياء: خالقها (من العدم). تصويره: إعطائه لها شكلاً مخصوصاً.
- (٣) بسط الرزق (وسمه) بتقديره (على ما أراد كما يجب).
- (٤) قمع: ضرب بالقمعة (بكرس أوله): عصا من خشب أو حديدة رأسها موجَّ بضرب بها الحيوان ليسرع أو ليهُدأ.
- (٥) أبو عثمان سعيد بن يفراس بن زيان سلطان من سلاطين بني عبد الواد في تلمسان (٦٨١-٧٠٣ هـ) وأبو يوسف يعقوب المنصور سلطان الموحدين (٥٥٨ - ٥٨٠ هـ).
- (٦) مقام سعادة (مكان سعيد من يكون فيه أو يأتي إليه).
- (٧) أيدها: ساعدها وجعلها قوية. الجمانة (بالضم) اللؤلؤة الكبيرة.
- (٨) الورود (المهيء إلى الماء): الشرب. العذب: الحلو. الزلال: الصافي العذب.

جامع لطيف الأخبار^(١) وملح الآداب يحتوي على غرر من التاريخ وعجائبه ونوادير الآثار وغرائبه يُخبرُ بنبذ من أخبار ملوك المغرب المتقدمين وأمرائه الماضين وأمه السالفين وتاريخ أيامهم وذكر أنسابهم وأعمارهم وسيرهم وغزواتهم وأحوالهم في دولتهم وما رَسَموه بالمغرب من المراسم وصنَعوه من المصانع والمعالِم وفتحوه من البلاد والأقالِم^(٢) وبنَوْه من الحصون والمدن والمكازم... من أول دولة الأمير إدريس بن عبد الله الحسني إلى هذا الأوان^(٣)....

فألقت هذا المجموع المُتَّصِبَ اتَّيَمَّتْ جواهره من كُتُبِ التاريخ المُعْتَمَدِ عليها وجمعت شواردها عن مهاد المَعُولِ على مُحْتَمَا^(٤) والمرجوع إليها سوى ما رَوَيْتَهُ عن أشياخِ الحُفَاطِ والكَتَّابِ وَقَيْدَتَهُ عن الرواة الثقات الأُنْجَابِ. وَحَدَّثْتُ فِيهِ الْأَسَانِيدَ خِيْفَةَ الْإِكْتَارِ وَالْإِمْتِدَادِ^(٥). وَتَرَكْتُ التَّسْهِيبَ^(٦) وَالتَّطْوِيلَ، وَتَجَنَّبْتُ الْإِخْتِصَارَ وَالتَّقْلِيلَ.

٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس.... (تورنبرغ)، أسبلا ١٨٤٣-١٨٤٦ م؛ فاس (طبع حجر) مراراً؛ فاس ١٣٠٣، ١٣٠٥، ١٣٠٧، ١٣١٣ هـ؛ (نشره محمد الهاشمي الفيلاي)، الرباط ١٣٥٥ هـ= ١٩٣٦ م.

*** ابن أبي زرع، تأليف عبد الله كَوْن، بيروت (دار الكتاب اللبناني)....

المكتبة العربية الصقلية ٤٠٣-٤٠٤؛ النبوغ المغربي ٢١٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٩٤-٦٩٥؛ بروكلمن ٣: ٣١٢، الملحق ٢: ٣٣٩؛ الأعلام للزركلي ١٢١: ٥ (٤: ٣٠٥)؛ سركيس ٣٢.

(١) لطيف مفعول به من «جامع».

(٢) المراسم: (جمع مرسوم) طريقة الإدارة أو الحياة، الخطة. المصنع: المكان بيني لجمع الماء. العلم: العلامة الواضحة (إشارة على الطريق والأبنية المشهورة). الأقالِم: الأقاليم (مناطق الأرض).

(٣) إدريس بن عبد الله (الأول) أول ملوك الدولة الإدريسية في ولبلي في المغرب الأقصى (١٧٢-١٧٧ هـ). الأوان: الزمان، الوقت.

(٤) مهاد المَعُولِ على مُحْتَمَا (كذا في الأصل). المح: خاص كل شيء (النفيس منه): المادة الصفراء في البيضة.

(٥) الأسانيد.... الامتداد (كذا في الأصل). اقرأ: الإسناد... الامتداد أو: الأسانيد والتמיד.

(٦) التسهيب: التطويل فيما لا حاجة إليه.

ابن الزيات الكلاعي

١- هو أبو جعفر أحمد بن الحسن بن علي الكلاعي المعروف بابن الزيات، وُلِدَ في بَلَشْ مَالَقَةَ، في حدود سَنَةِ ٦٤٩ للهجرة (١٢٥١ م).

تَلَقَى ابنُ الزَيَاتِ الكَلَاعِيَّ العِلْمَ على نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ خَالَهُ الفقيهُ الحَكِيمُ أبو جعفرِ أَحْمَدَ بنَ عَلِيِّ المِذْجَجِيِّ، وَمِنْهُمْ عِيَاضُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عِيَاضِ بنِ مُوسَى، قرأ عليه بَلَشْ وَأَجَازَ عِيَاضُ لَهُ. وكذلك كان منهم أبو جعفر بن الزبير وأبو الحسن الصائغ النحوي وأبو الحسن بن أبي الربيع. وأخذ ابن الزيات طريقة التصوف عن أبي الحسن فضل بن فضيلة وتأدب به.

ودخل ابن الزيات الكلاعي غرناطة مراراً لطلب العلم في أول أمره ثم للقيام بأمور مختلفة عامة وخاصة، فقد استدعاه السلطان مرة^(١).

وكانت وفاة ابن الزيات الكلاعي في بلدته بَلَشْ سَحَرَ يوم الأربعاء في السابع عشر من شوال من سنة ٧٢٨ (١٣٢٨/٨/٢٥ م).

٢- كان ابن الزيات الكلاعي كريم الأخلاق مع مروءة وتواضع، كما كان كثير العبادة متصوفاً. وقد كان أيضاً خطيباً وبارعاً في عدد من فنون المعرفة كالتفسير والحديث واللغة والنحو والشعر. وكان له كتب كثيرة منها: لذة (لذات) السمع من (في) القراءات السبع - قرّة عين السائل وبغية نفس الأمل (أرجوزة في اختصار البيرة النبوية) - رصف نفائس الآلي في وصف عرائس المعالي (في النحو) - قاعدة البيان وضابطة اللسان (في النحو) - شرف المهارق في اختصار المثارق^(٢) - المقام المخزون في الكلام الموزون.

(١) كان في وفد حل رسالة من سلطان غرناطة إلى ملك لإسبان (راجع نفع الطيب ٤: ٥١١، الطر الأول).

(٢) المهارق جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) صحيفة بيضاء. المثارق: كتاب المثارق أو مشارق الأنوار للقاضي عياض بن موسى التومني سنة ٥٤٤ هـ (راجع نفع الطيب ٢: ٢٣٢، ٦٦٥ على الأخص)، ٥: ٥٣٥، ٥٣٧. ثم ارجع إلى بروكلمان ١: ٤٥٧، الملحق ١: ٦٣٢)، وفيه: المثارق أو مطالع الأنوار على صحيح =

- لأبي جعفر ابن الزيات الكلاعي في مذهب أهل التصوف (الإحاطة ١: ٣٠٢،

الكتيبة الكامنة ٣٦):

دَعْنِي عَلَى حُكْمِ الْهَوَى أَنْتَضِعْ، فَعَسَى يَلِينُ لِي الْحَبِيبُ وَيُخْتَعِ^(١).
إِنِّي وَجَدْتُ أَخَا التَضَرُّعِ فَائْتِرًا بِرَأْدِهِ، وَمِنْ الدُّعَا مَا يُسْمَعُ.
فَأَمَحُ اسْمَ نَفْسِكَ طَالِبًا إِثْبَاتِهِ، وَأَقْنَعُ بِتَفْرِيقِي لَمَلِّكَ تُجَمِّعُ^(٢).
وَأَخْضَعُ، فَمِنْ أَدَبِ الْمُحِبِّ خُضُوعُهُ. وَلِرُبِّيَا نَالِ الْمُنَى مَنْ يَخْضَعُ.

- وقال في توحيد الله، يجمع بين أشياء من علم الكلام وأشياء من التصوف، ثم جعل ذلك في خطبة ألقى منها حرف الألف، على كثرة دوران حرف الألف في الكلام (الإحاطة ١: ٢٩٨ - ٢٩٢):

حَمِدْتُ رَبِّي جَلًّا مِنْ كَرِيمٍ مَعْمُودٍ، وَشَكَرْتُهُ عَزًّا مِنْ عَظِيمٍ مَوْجُودٍ... كَرِيمٌ لَوْ تَقَوَّمَ
فِي فَهْمٍ لِحُدُودِ^(٣)... لَوْ فُهِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لَبَطَلٌ قَدَمُهُ^(٤)، وَلَوْ عَلِمَتْ لَهُ كَيْفِيَّةُ لِحَصَلِ
عَدَمِهِ^(٥). وَلَوْ حَصَرَهُ طَرْفٌ لِقَطِيعِ تَجَسُّمِهِ^(٦)... عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكُوبِ قُطْبُرِ^(٧)، عَلِيمٌ
مِنْ غَيْرِ تَرْثُوبِ فِكْرِ^(٨). مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُسَبِّكُهُ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وَهْمٍ يُذْرِكُهُ....

= (صانح الآثار (وهو كتاب للفاضي عياض في الألفاظ الغريبة في الحديث مما جاء في الموطأ لمالك بن أنس وفي صحيح البخاري وصحيح مسلم).

- (١) الحبيب (هنا) هو الله تعالى (في المدرك الصوفي)، ويمكن أن تعني عندهم «الرسول».
- (٢) في التصوف: امح أسمك (شخصيتك في العالم البشري) طالباً إثباته (تحقيق نفسك في ذات الله). ثم اقع بأن تدرك أنك مفترق (لت إثباته) لعلك تجمع معه (تصبح أنت وإياه واحداً: بزوال شخصيتك الإنسانية وبقاء الله وحده في الوجود).
- (٣) لو استطاع الإنسان أن يفهم الله لكان الله محدوداً (يحيط به فهم الإنسان).
- (٤) لو عرفنا كيف وحد الله لنا كان قديماً (بل لكان حادثاً مثل جميع الأشياء في الدنيا المادية).
- (٥) ولو علم الناس الله كيفية (شكلاً) لأنعدم (كما تنعدم جميع الأشياء التي لها أشكال- لأنَّ العدم في الفلسفة هو تبدل الصور المختلفة على المادة الواحدة).
- (٦) طرف: بصر، عين. (لو كان الله يرى لكان حسياً، بلا شك).
- (٧) أنَّ الله عظيم، كبير ولكن ليس له قطر (حدود: طول وعرض وعمق).
- (٨) الله علم بكل شيء (ولكن من غير منهج فكري، كما يعرف الناس الأشياء).

القَيْجَاطِيّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ عمَرَ بنِ إبراهيم بن عبد الله الكِنَانِيّ القَيْجَاطِيّ، نسبة إلى بلدة قَيْجَاطَة (أو قَيْشَاطَة) من أعمال جِيَان (إلى الشرق من قُرُطْبَة).

وُلِدَ القَيْجَاطِيّ سَنَةَ ٦٥٠ للهجرة (١٣٥٢ م) وتلقَى العلمَ على أبيه وعلى نَفَرٍ منهم: عبدُ الله بنُ مُسَاعِدِ الصَّائِيّ وأبو جعفر بن الصَّبَاغِ وابن الصَّائِعِ^(١) والأُبَيْدِيّ وأبو عليّ ابن الأَحْوَصِ.

وفي سَنَةِ ٧١٢ للهجرة (١٣١٢ م) دُعِيَ القَيْجَاطِيّ إلى غَرْنَاطَة فأقْرَأَ بالجامعِ الأعظمِ فيها القِرَاءَاتِ والنحوَ والأدبَ، ووَلِيَّ فيها الخُطَابَة أيضاً. وقد نابَ عن بعضِ القُضَاةِ مُدَّةً وأذْرَكَه الوَفَاةُ، في ٢٧ من ذي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٧٣٠ (١٠/١١/١٣٣٠ م)، وهو على القضاء.

٢- كان أبو الحسن القَيْجَاطِيّ مُتَوَاضِعاً حَسَنَ الخُلُقِ فَكَيْفَا حُلُوِّ الحديثِ. وكذلك كان ذَكِيًّا بارِعاً في عددٍ من العلوم كالقِرَاءَاتِ والنحوِ والأدبِ، وكان خَطِيْباً وشاعراً وناثراً وأستاذاً تَكَرَّرُ الأَسْتَفَادَةُ منه. وقد كانت له تصانيفٌ، كما كان له شعرٌ ونثرٌ.

مختارات من شعره

- قال أبو الحسن القَيْجَاطِيّ في تَذَكُّرِ الشَّبَابِ:

والعُمُرُ مثلَ البدرِ يبدو حُسْنُهُ حيناً، ويعقُبُ بعدَ ذاك سرارُهُ^(٢).

(١) لم اُهدد إلى شيءٍ من تراجم الأشخاص المذكورين في هذه الجملة. ولعلَّ «ابن الصائغ» هو الذي سَأَتِي ترجمته (ص ٤٥٣).

(٢) السرار (بالفتح أو بالكسر): آخر ليلة من النهر القمري (مها بسر القمر لا يطهر في سماء البلد ليلاً).
يعقب: يتبع.

ما للإخاء تقلّصت أفيأوه! ما للصفاء تكدّرت آثاره!
ولأنت تعلم أنّي - زَمَن الصِّبا -
ما زلتُ مِمَّنْ عَفَّ فيه إزاره (١).
- وله من قصيدة في الرثاء:

أرى أرجلَ الأرزاء تشدُّ نحونا
وأيديها تسمى إلينا قتمند (٢).
ونحنُ أولو سهوٍ عن الأمر، ما لنا
سوى أملٍ إيجابنا عنده جعد (٣).
فإنَّ خَطَرَتِ للمرءِ ذكْرَى بخاطرٍ،
فتسبيحُه الساهي إذا سُمِعَ الرعد (٤).
مُصابٌ به قَدَّتْ قلوبٌ وأنفُسُ
لَدَيْنا، إذا في غيره قُطِعَتْ بُرْدُ (٥).
تليْنُ له الصَّمُّ الصِّلابُ، وتنهَمي
عيونٌ، ويسكي عنده الحجرُ الصلْدُ (٦).
وقد كان يبدو الصبرُ منّا مجلداً،
وهذا مُصابٌ صبرنا فيه ما يبدو (٧).

٤- ** أعمال الأعلام ٢٩٩ ص؛ الدياج المذهب ٧-٢؛ بغية الوعاة ٣٤٤؛ فتح الطيب ٥؛
١٣٢:٥ (٤:٣١٦).

ابن هاني السبتي

١- هو أبو عبد الله محمد بن علي بن هاني اللّخميّ السبتي (٨)، أصله من إشبيلية.

- (١) الإزار: ثوب يلف على القسم الأدنى من الجسم. عَفَّ إزاره (لم يقرب امرأة ليست زوجاً له).
- (٢) اشتدَّ: ركض، أسرع. الرزء: المصيبة.
- (٣) المجدد: النكران. - نحن لا نلقي بالأل إلى الأحداث التي تمرّ بنا إلا بعد أن تقع (راجع البيت التالي).
- (٤) يهيو (ينفل - ضمّ الفاء -) الإنسان عن نسج الله، فإذا سمع رعداً خاف من انقضاء الصواعق عليه، فسحّ الله.
- (٥) المصاب (هنا) موت الرجل الذي يرثيه القبيحاطي. قَدَّتْ قلوب وأنفُس (حزنت حزناً شديداً) لدينا (لأنّ الميت منّا). إذا في غيره (اقرأ: في غيرنا) قُطِعَتْ برد (البرد: ثوب من حرير) كناية على الفرح. - يتفق أحياناً، إذا مات رجل أن يحزن لموته قوم ويفرح بموته قوم آخرون.
- (٦) هذا المصاب تليْن له الصَّمُّ الصِّلاب (المحارة القاسية). أهيمى بهمي (ليست في الفاموس). همى المطر يهيمى: مال بكثرة. الصلْد: القاسي، اليابس.
- (٧) في أحوال سابقة من المصائب، كما نتجلّد: نظهاره بأننا لنا محزونين أو حزناء (جمع حزين). أما في هذا المصاب فلا يبدو منّا صبر، بل يظهر حزناً واضحاً شديداً.
- (٨) في بروكلس محمد بن عبد الله (!) بن خاتمة السبتي.

قرأ على أبي إسحاق الغافقي وأبي بكر بن عبيد النحوي وأبي عبد الله بن حريث. وقد استشهد في حصار جبل طارق، أصابه حجرٌ منجنيق، في أواخر ذي القعدة من سنة ٧٣٣ (١١/٨/١٣٣٣ م).

٢- كان ابن هاني السبيعي من كبار علماء العربية (النحو)، أديباً ناظماً وناثراً مترسلاً، وله مشاركة في التاريخ. شعره عادي قليل الطلاوة. ونثره أكثر براعة. وكان مُصنِّفاً له: شرح التسهيل (لابن مالك النحوي)- الغرّة الطالعة في شعراء المائة السابعة- انشاد^(١) الضوَالِّ وإرشاد السؤَال (في لحن العامة)- قوت المقيم. وقد دَوّن ترسّل أبي المطرف بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هاني السبيعي:

لولا مَشِيبٌ بَفُودِي لِلْفُؤَادِ عَصَى أَنْضَيْتُ فِي مَهْمَةِ التَّشْيِيبِ لِي قُلُصَا^(٢).
 وَكَسْتُ جَارَيْتُ فِيهِ مَنْ جَرَى طَلْقًا مِنَ الْإِجَادَةِ لَمْ يَجْمَحْ وَلَا نَكَصَا^(٣).
 وَمَنْ أَعَدَّ مَكَانَ النَّبْلِ نَبْلًا جَجَى لَمْ يَرُضْ إِلَّا بِأَبْكَارِ النَّهْمَى قَنَصَا^(٤).

- وله في الجوابِ على رسالة وردت إليه من أبي القاسم الشريف (وكان شائباً أديباً):

-
- (١) أشد الصالحة (الهيمية التائهة من صاحبها): عرّفها ودلّ عليها. - يبدو أن هذا الكتاب قد عرف بماوين مختلفة: لحن العامة- تنقيف اللسان وتلقيح (الأذهان) - المدخل إلى تقويم اللسان (وهذا العنوان نشره كولان في مجلّة هسبريس ٥، المجلد ١٢، ص ١-٣٢). راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧١.
- (٢) العود: شعر الرأس السائل على جانب الأذن. عصى العواد (لم يستطع أن يلهو كما يلهو السّان). أنضى: أُنْعَبَ وأُنْف. المهمة: الغلاة الواسعة. الفلوص (بالفتح): النافعة. لولا أنّي كبرت في السنّ جدّاً لأت الدنيا بالفرل!
- (٣) جرى الفرس طلقاً: خارجاً من قيده (سريعاً). لم يجمع (يشرد) ولا نكص (جن-رجع)- أي لقلت غرلاً عفيفاً جيّداً!
- (٤) النبل جمع نلة (بالفتح): السهم. المحجى: العقل. القنص: الصيد.

هذا، بُني، ما سَحَّ بِهِ الذَّهْنُ الكَلِيلُ واللِّسَانُ الفَلِيلُ^(١) في مُرَاجَعَةِ قَصِيدَتِكَ
 الغُرَاءِ الجَالِبَةِ السَّرَاءِ، الآخِذَةِ بِجَمَاعِ القُلُوبِ المُؤَفِّيةِ بِجَوَامِعِ المَطْلُوبِ الحَسَنَةِ المَمْتَعِ
 والأسلوبِ^(٢).... أَيْنَزَعُ غَيْرِي هَذَا المُنزَعُ أَوْ المَرءُ بِنَفْسِهِ وَابْنَهُ مُؤَلِّعٌ؟ حَيَّا اللهُ الأَدبَ
 وَبَنِيهِ وَأَعَادَ عَلَيْنَا أَيَّامَهُ وَسِينِيهِ.... غَيْرَ أَنَّ الإِحْسَانَ فِيهِ قَلِيلٌ، وَلطَرِيقِ الإِصَابَةِ فِيهِ
 عِلْمٌ وَدَلِيلٌ... فَلْيَهْنِكْ، أَيُّهَا الابْنُ الذَّكِيُّ، البَرُّ الزَّكِيُّ، الحَبِيبُ الحَفِيَّ^(٣). الصَّفِيَّ
 الوَفِيَّ، أَنْتَ حَامِلٌ رَايَتَهُ وَوَاوَصَلٌ غَايَتَهُ^(٤)، لَيْسَ أَوْلُوهُ وَأَخْرُوهُ لَكَ بِمُنكَرِينَ
 (لَكِن) لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^(٥). وَلَوْلَا أَنَّ يَطُولُ الكِتَابَ وَيُنْحَرَفُ الشُّعْرَاءُ
 وَالكُتَّابُ^(٦) لَفَاضَتْ يَتَابِعُ هَذَا الفَضْلُ قِنَاصًا، وَخَرَجَتْ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِنَ البَلَاغَةِ
 أَيْضًا. قَرَّتْ عَيُونٌ أودَاءَكَ، وَمُلِثَتْ غَيْظًا صَدُورُ أَعْدَائِكَ، وَرَقِيتَ دَرَجَ الآمَالِ
 وَوَقِيتَ عَيْنَ الكِبَالِ^(٧)....

٤- * * أوصاف الناس ١٠٣-١٠٤؛ بغية الوعاة ٨٢؛ نوح الطيب ٦: ٢٤٥-٢٥٣؛
 النبوغ المغربي ٢١٠-٢١١، ٣٨٧-٣٩١ (الترقيم الثاني)، ٧٣٥-٧٣٦،
 ٨٧١-٨٧٢؛ بروكلمان، الملحق ٢: ٣٧١؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٧٦ (٦: ٢٨٤).

ابن القويح^(٨) التونسي

١- هو ركنُ الدين أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يوسفَ^(٩) الجَعْفَرِيَّ
 المَالِكِيَّ التُّونِسِيَّ، وَيُعرفُ بِابْنِ القُويحِ. وُلِدَ فِي تُونِسَ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ٦٦٤ (١٢٦٦ م).

- (١) الكليل: الضعيف، الكال (السيف الذي لا يقطع). الفليل (بمضد: الأفل) السيف الذي تلمّ (تقطع) حده.
- (٢) الممتع: الطريق الواضح.
- (٣) الذكي: ذو الفهم والحدق (بكسر الهاء). البر: المطيع لقومه. الزكي: الطاهر. الحفي: العارف (الرفيق في مساملة الآخرين).
- (٤) الذي تم الكيال فيه.
- (٥) «ولا تجد أكثرهم شاكرين» تضمين من القرآن الكريم (١٧: ٧ سورة الأعراف).
- (٦) ويحرف.... يستطردون إلى موضوعات منتمة.
- (٧) الأوداء: الأصدقاء المحبون. وقت عين الكيال: حفظك الله من الحد (لأن الكامل في صفاته محسود).
- (٨) القويح (بفتح القاف كجوهرا): طائر صغير أحر الرجلين... (راجع القاموس ٣: ٦٤).
- (٩) في بغية الوعاة (ص ٩٧).... يوسف بن عبد الرحمن بن عبد الجليل.

وقرأ النَّحْوَ على يحيى بن الفرج بن زيتون^(١)، وقرأ الأصولَ على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس. ثم إنه رحلَ فجاء إلى بصرى سنة ٦٩٠. ويبدو أنه تنقل بين القاهرة ودمشق مراراً. وقد سمع في دمشق من تقي الدين بن الواسطي وابن القواس وأبي الفضل بن عساكر، كما سمع في حماة من ابن المرزوق المحدث.

وكان ابن القويح يتصدرُ للتدريس في فنونٍ مختلفةٍ ويقومُ بتدريس الطبِّ في المارستان المنصوري في القاهرة والإعادة^(٢) في المدرسة الناصرية. وتولَّى نيابةَ الحكم (القضاء) للقاضي المالكي في القاهرة مدةً ثم تركها تدبُّناً لأنه لم يضمن أن يتجنَّبَ فيها مجاراةَ الحكماء. وكانت وفاته في تاسع^(٣) ذي الحجة من سنة ٧٣٨ (١٣٣٨/٦/٢٨ م)، في القاهرة.

٢- كان ابن القويح التونسي رجلاً ذكياً واسعَ معرفةٍ كثيرَ الحفظٍ لعددٍ من فنون العلم. وقد كان ضيقَ الصدرِ كثيرَ المللِ من كلِّ شيءٍ إلى جانب أنه كان حسنَ الصحبةِ حسنَ المعاملةِ للناس، وعلى شيءٍ من اليسارِ أغناه عن التملق. وله نثرٌ سائغٌ وشعرٌ جيدٌ في الغزل والأدب خاصة. ومن فنونه الحديثُ والأصولُ والفقهُ والتاريخُ والبراعةُ في معرفة الخطوط (والخطوط بالعلم المغربي خاصة)، مع أنه لم يكن حسنَ الخطِّ. وكانت له معرفةٌ بالأدب والنقد^(٤) وباللغة والنحو وبالطبِّ يُكثِرُ من مطالعة كتاب القانون لابن سينا، كما كان كثيرَ الاهتمام بالحكمة (الفلسفة) مكيّاً على مطالعة كتاب الشفاء لابن سينا

(١) هنالك في عنوان الدراية (ص ١١٤): الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي بكر البني الشهير بابن زيتون من أهل تونس (ت ٦٩١ هـ).

(٢) المارستان: المستشفى (وكان فيه في العادة مدرسة لتعليم الطب). المعيد (من الإعادة) مدرّس « يعيد » شرح ما عمض من دروس الأستاذ (نائب أستاذ).. المدرسة الصلاحية (نسبة إلى الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي) كانت في القدس (راجع وفيات الأعيان ٣: ٢٤٤).

(٣) في بغية الوعاة (ص ٩٨): في سابع عشرين الحجة (٢٧).

(٤) كان ابن القويح يقرأ مطلع قصيدة ابن هاني الأندلسي (ت ٣٦٢ هـ):

فتكات لحظك أم سيف أبيضك

بالنصب (في فتكات، سيف الخ) على أنها مفعول به لعل تقديره أعاني. وكان ذلك عنده أبلغ من القراءة المشهورة بالرفع.

وكتاب المباحث المشرقية لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ). ثم هو مُصنّف له تفسیر سورة ق (السورة الحسين في المصحف) وتعليق (أو شرح، راجع بغية الوعاة ٩٨) على ديوان المتنبي.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن القويّ التونسيّ في السيب:

جَوَى يَنْطَلِى فِي الْفُوَادِ اسْتِعَارُهُ، وَدَمْعٌ هَتُونٌ لَا يَكْفُ انبِهَارُهُ^(١)،
وَلَوْعَاءٌ بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ بِأَسْرِهِ فَحَازَ الْفُوَادَ الْمُسْتَهَامَ إِسَارُهُ^(٢).
غَزَالَ لَهُ صَدْرِي كِنَاسٌ وَمَرْتَعٌ، وَمِنْ حَبِّ قَلْبِي شَيْحُهُ وَعِرَارُهُ^(٣).
جَرَى سَاجِحاً مَاءَ الشَّابِ بِرَوْضِهِ فَأَزْهَرَ فِيهِ وَرْدُهُ وَبِهَارُهُ^(٤).
يَعْمَلُ بِعَذْبٍ مِنْ يَرُودِ رِضَابِهِ تَفَاوَحَ فِيهِ مِسْكُهُ وَعُقَارُهُ^(٥).
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ حُصْنٍ مُفَرَّقٍ فَصَارَ لَهُ قُطْباً عَلَيْهِ مَدَارُهُ.
زُلَالٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِي وَرُودُهُ، وَلَدُنُّ وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِي اهْتِصَارُهُ^(٦).
وَسَلْسَالٌ رَاحَ صَدَّ عَنِّي كَأْسُهُ، وَغُودِرٌ عِنْدِي سَكْرُهُ وَخَمَارُهُ^(٧).

- (١) الجوى اشتداد المرض والحزن من أثر الضيق. تطلعت النار: تلهبت (ارتفع لهيها واشتد). الاستعار: نوّقت النار (اشتداد حرارتها). الهتون: الكثير القطر (سبلان الماء والدمع الخ).
- (٢) جماله استولى على فؤاد الحبّ جلة.
- (٣) الكناس: البيت (المكان) الذي بأوي إليه الغزال. المرتع: المكان الذي ترعى فيه الماشية. حبّ القلب (ضغ الحاء) جمع حبة القلب: مهجته وسوداؤه (داخله ودمه). الشح نبت طيب الرائحة ترعاه الماشية. العرار: بات له زهر طيب الرائحة. - هذا الغزال (المحبوب) يسكن في قلبي ويتمنّى من دم قلبي (ولذلك نزل في السقام والمزال).
- (٤) ورده كناية عن خديه الأحمرين. وبهارة (كناية عن وجهه الأبيض).
- (٥) على الرجل يعلّ (يكسر العين): شرب شيئاً قليلاً ومرة بعد مرة. العذب: الحلوى. البرود: البارد. الرضاب: الريق ما دام في الفم. تفاوح = فاح (انتشرت منه رائحة طيبة). العقار: الخمر.
- (٦) ريفه حلوا سائغ في الحلق ولكن لا أستطيع وروده (الترب منه). وقوامه لدن (طري، ناعم) ولكن لا أستطيع هصره (صمّه إلي).
- (٧) السلال: العذب الصافي الذي يجري بسهولة في الحلق. الراح: الخمر. صدّ عني كأسه (منعت من شربه اللذيذ). غودر: ترك (بالبناء للمجهول)، بقي. السكر والخمار: الصداق والألم من أثر شرب الخمر.

دنا ونأى فالدارُ غيرُ بعيدة، ولكنْ بُعداً صدّه ونفاره^(١).
 كسمتُ الهوى لكنْ بدمي وزفرقي؛ وسُقي تآوى سيره وجهاره^(٢).
 أراحة نفسي، كيف صيرتْ عذابها؟ وجئة قلبي، كيف منك استباره^(٣)؟

- وكتبَ إجازةً لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفدي^(٤) جاء فيها:

يقولُ العبدُ الفقيرُ إلى رحمةِ ربِّهِ وعفوهِ عمَّا تعاطَمَ من ذنبهِ محمدُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ
 الرحمنِ القرشيِّ الجعْفريِّ المعروفِ بابنِ القَوَّعِ: بعدَ حمدِ اللهِ ذي الجِديِّ والثَّناءِ، والعظْمةِ
 والكِبَرِيَّاءِ، الأوَّلِ بلا ابتداءٍ والآخِرِ بلا انتهاءٍ، خالقي الأرضِ والسَّماءِ وجاعلي
 الإصباحِ والإمساءِ؛ والشُّكرِ^(٥) له على ما مَنَّ به من تعاطَمِ الآلاءِ وترادُفِ النِّعماءِ^(٦).
 نَحْمَدُهُ ونذكُرُهُ ونعبُدُهُ وشكْرُهُ لَتَفَرُّدِهِ باستحقاقِ ذلكِ وتوفُّرِ ما خصَّنا به مِن العِلْمِ
 هنالكِ وأضَاءِ به بضيائها من نورِ الفِهمِ. ونُصَلِّي على نبيِّهِ محمَّدِ سَيِّدِ العَرَبِ والعُجمِ^(٧)
 وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الذينَ فازوا من كلِّ فَضْلٍ يَعْظُمُ الخَطْءُ ووُفُورِ القَسَمِ. أَجَزْتُ
 لِفِلاَنٍ^(٨).... جَمِيعَ ما يجوزُ لي أنْ أروِيَهُ بما روَيْتُهُ من أصنافِ المَرْوِيَّاتِ أو قُلْتُهُ نظماً أو
 تَثْراً أو اخْتَرَعْتُهُ مِن سَأَلَةِ عِلْمِيَّةٍ مُفْتَتِحاً، أو اخْتَرَعْتُهُ من أقوالِ العلماءِ واستَنْبَطْتُ
 الدليلَ عليه مُرْجَعاً بما لم أَصْنَعْهُ في تصنيفِ ولا أَجمَعُهُ في تأليفِ، على شَرَطِ ذلكِ عندِ
 أهلِ الأَثَرِ^(٩).

وقَفَّه اللهُ لِمَا يَرْتَضِي في القَوْلِ والفِعْلِ وما يَدْرِي*.

- (١) ... نمرته مَنِّي محمله بعيداً عني (وإن كان ساكناً بقربي).
- (٢) أنا لا أبكي ولا أنتهد (من أثر تعديبه لي بحبه)، ولكن سقي (مخولي) يدل على ذلك.
- (٣) أراحة نفسي (المهرة للداء).
- (٤) خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ) اشتهر بكتب التراجم، له الوافي بالوفيات كبير جداً، قد طبع منه إلى الآن حصة عشر حزاء (عام ١٩٧٩ م) فاستنوق أسماء المحدثين ووصل إلى حرف السين.
- (٥) والشكر (وبعد الشكر). * أدرى فلان فلاناً (داراه؟)
- (٦) ترادف: تابع، توالي. المعاء: المنفض والدعة (المبش في رفاهية وأمن).
- (٧) كذا في الأصل. (بضيائها).
- (٨) العرب والمجم (غير العرب) كلتا الكلمتين بضم فسكون. الفم (بفتح فسكون): النصب، الحصة.
- (٩) لصلاح الدين خليل بن أيبك (راجع الحاشية ٤).
- (٩) بحسب القواعد التي أقرها علماء الحديث للثبوت من أمانة الراوي ومن صحة الحديث المروي.

وزادَهُ فضلاً إلى فضلهِ
فهذه الدارُ بما تحوي
دَلَّتْ بَنِيهَا في غرورٍ، فهم
تُرِيهِمْ بِشَرًّا. وَيَسَا وَيَحْتُمُ!
يَنَّا تَرَى مُتَبَهِّجًا نَاعِمًا
أَمَّنَ مَا كَانَ وَأَقْصَى مَنَى-
فَمَدَّ عَنْهَا وَاشْتَفَلَ بِالذِي
فَإِنَّا الْخَيْرُ خَصِيصٌ بِمَا
- وله (بغية الوعاة ٩٨):

تَأْمَلُ صَحِيفَاتِ الْوُجُودِ فَإِنَّهَا
وَقَدْ خَطُّ فِيهَا - إِنْ تَأْمَلْتَ خَطُّهَا:
من الجانبِ السامي إليك رسائلٌ (٧).
« أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ » (٨).

٤-٢٢ * الوافي بالوفيات ١: ٢٣٨-٢٤٧؛ الديباج المذهب ٣٢٩، بغية الوعاة ٩٧-٩٨؛
درة المجال ٢: ٣٠٠ وما بعد؛ نفع الطيب ٢: ٢٢٥-٢٢٦؛ الأعلام للزركلي ٧:
٢٦٤ (٣٥).

- (١) الحشر: يوم القيامة.
- (٢) دَلَّى الرجل الحبل في البئر: مدّه نزولاً. بني الدنيا: الناس. العمى: منذ الولادة.
- (٣) البشر: طلاقة الوجه، إظهار السرور.
- (٤) في الطمئنان تامّ محققاً جميع أمانيه. فاجأه: أتاه بغتة. قاصصة الظهر: المصصة المطيعة التي تتلّ المصاب بها عن التفكير والتصرف.
- (٥) آخر الدهر (منذ ساعتك هذه إلى آخر حياتك).
- (٦) النشر والنشور: القيامة في الآخرة.
- (٧) من الجانب السامي (الآهني).
- (٨) هذا من قول لبيد بن ربيعة الجاهلي:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ «وَكُلُّ نَعِيمٍ - لَا عَالَةَ - زَائِلٌ»

ابن عمر الملكيشي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم الملكيشي البجائي (نسبة إلى بجاية في الجزائر) الجزائري التونسي. نشأ في بلاد الجزائر وبدأ تلقى علومه فيها. وقد رحل إلى المشرق وحج وتلقى أشياء من العلم في الحجاز والقاهرة والإسكندرية.

ويبدو أن شيئاً من الاضطراب وقع في الجزائر - مقتل أبي حمو الأول موسى بن عثمان (٧١٨هـ) - فأثر الملكيشي الانتقال إلى الأندلس، في السنة نفسها، ومدح نقرأ من الكبراء، وقد أقام حيناً في مالقة. ثم إنه عاد إلى المدوة الإفريقية وتقلد في تونس خطة الكتابة. وفي تونس كانت وفاته في غرة المحرم من سنة ٧٤٠ (١٣٣٩/٧/٩م).

٢- كان ابن عمر الملكيشي فقيهاً وذا ميل إلى التصوف، كما كان أديباً كاتباً مترسلاً وشاعراً ينظم رويةً وارتجالاً. وفي شعره سهولةً وشيء من الرقة. وفنه الغزل والنسيب.

٣- مختارات من شعره

قال ابن عمر الملكيشي في النسيب:
 * * رضاً! نلت ما ترصين من كل ما يهوى
 وصفحاً عن الجاني المسيء لنفسه؛
 بما بيننا من خلوة مضموية
 ففي أشكى لوعة البين ساعة،
 ففي ساعة في عرصة الدار وانظري

فلا توفيني موقف الذل والشكوى.
 كفاه الذي يلقاه من شدة البلوى.
 أرق من النجوى وأحلى من السكوى^(١).
 ولا يك هذا آخر العهد بالنجوى.
 إلى عاشق ما يستفيق من البلوى^(٢).

(١) بما بيننا: استحكفك بالذي بيننا. خلوة مضموية: عفيفة (بالفكر لا بالاجتماع). السكوى (في الفاموس) طائر لذيق اللحم. و (في العرف) المن والسكوى: نوع من الصمغ الحلو يتكون على نوع من الأشجار في فارس والعراق.

(٢) العرصة: أرض خلاء أمام البيت. البلوى (مكررة).

وكم قد سألتُ الرِّيحَ شوقاً إليكمُ
 فيا رِيحُ، حتَّى أنتِ مِنَّ يَغَارُ بي؟
 خلقتُ وُلِّي قلبٌ جليدٌ على النَّوى،
 أرى لك، يا قلبي، بقلبي مَحَبَّةً
 فقابلهُ بالبُشرى وأقبِل عَيْبَةً،
 ولا تَعْتَدِرْ بالقطرِ أو بِلَلِ النَّدى،
 فما حنَّ سَراها عَلَيَّ ولا أَلوى^(١).
 ويا نَجْدُ، حتَّى أنتِ تَهوى كما أهوى.
 ولكنَّ على قَدِّ الأَجَبَةِ لا يَتَّقَى^(٢).
 بَعَثْتُ بها سِرِّي إليكَ رَسولاً.
 فقد هَبَّ سِكْمِي النَّسيمَ عَلَيلاً.
 فأحسُّ ما يَأْتِي النَّسيمُ بَليلاً!

٤- ** نيل الابتهاج ٢٣٩-٢٤٠، تعريف الخلف ١: ١٧٣-١٧٦؛ فصح الطيب ٦:
 ٢٤٠-٢٤٢؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١١١-١١٢؛ معجم أعلام الجزائر
 ١٧١-١٧٢؛ الطمار ١٩١-١٩٣؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٠٥ (٦: ٣١٤).

محمد بن أحمد بن جُزَيِّ

١- هو أبو القاسم مُحَمَّدُ بنُ أَحَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أَحَدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ يَحْيَى بنِ عَبْدِ
 الرَّحْمَنِ بنِ يَوْسَفَ بنِ جُزَيِّ الكَلْبِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ، وُلِدَ في تاسِعِ ربيعِ الثَّانِي من سَنَةِ ٦٩٣
 (١٣٦٤/٣/١٠ م) في غرناطة.

قرأ أبو القاسم بنُ جُزَيِّ القرآنَ والحديثَ والفقهَ والنحوَ على أبي جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ
 الغرناطِيِّ (٦٢٧-٧٠٨ هـ)؛ ثم كان من شيوخه أبو عبد الله مُحَمَّدُ بنُ أَحَدَ بنِ داوودَ
 ابنِ الكَمَادِ اللُّخْمِيِّ (ت ٧١٢ هـ) وأبو علي بن بَرطالَ وأبو عامرِ بنِ ربيعِ الأَشعْرِيِّ
 والشيخَ البركةَ الوَلِيِّ الحَظِيْبُ أبو عبد الله الطنجاليّ الهاشميّ وقاسم بن عبد الله بن
 الشاط.

تصدَّر ابنُ جُزَيِّ للتدريسِ ثمَّ أصبحَ منذ مطلعِ حياتِه خطيباً في الجامعِ الأعظمِ في
 غرناطة. وكانت وفاته يوم الاثنينِ شهيداً في وقعة طريفَ (معركة نهر سالادو) - وهو

(١) أَلوى (مال وعطف).

(٢) النَّوى: البعاد.

يحرّض الناس على جهاد المُتديّن الإسبان، في سابع جُهادى الأولى من سنة ٧٤١
(٣٠/١٠/٧٤١ م).

٢- كان أبو القاسم بن جُزَيِّ مُشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في القراءات والتفسير
والحديث، وفي الفقه وأصول الفقه، وفي اللُغة والنحو والأدب. وله شعرٌ يدورُ على
المعاني الدينية من التقوى ومدح الرسول والتَّصوُّف. وشعرُه هذا قريبُ المعاني سهلُ
التركيب وفيه شيءٌ من الصنّاعة ومن التكلُّف أيضاً. وكان له في فنّ البديع نوعٌ أسَمُه
« التَّخْيِيرُ » (وذلك أن يكونَ للبيتِ قافيتان بمعنى واحدٍ ولكن على رويّين مختلفين).
راجع مثلاً نَفَحَ الطيب (٥: ٥١٧):

أيا من كَفَفْتُ النَفْسَ عنه تَعَفُّفاً، وفي النفس من شوقٍ إليه لَهيبٌ (غرامُ)،
ألا إِنّا صـــــــــــــــــبري كصـــــــــــــــــبر، وإِنّا
على النفس من تقوى الإله رقيبٌ (لجامُ)^(١).

وكان أبو القاسم بن جُزَيِّ مؤلِّفاً، له: التسهيلُ في علوم التنزيل (في تفسير القرآن،
وفيه شيء من النقد) - المختصر البارع في قراءة نافع - وسيلة المسلم في تهذيب صحيح
مسلم - الدّعوات والأذكار المُخرَجة من صحيح الأخبار (استعرض فيه ما ورد عن
رسول الله من الذُكر والدّعوات في الكتب الخمسة)^(٢) - تقريب الوصول في علم الأصول
(أصول الفقه) - النور المبين في شرح عقائد الدين - الأنوار السنيّة في الألفاظ السنيّة
(ويقال: الأقوال السنيّة) في المذاهب السنيّة (ألّفه لابنه أحمد) - القوانين الفقهية في
تلخيص مذهب المالكية - قوانين الأحكام الشرعية في مسائل الفروع الفقهية (انتهى
من تأليفه في العاشر من المُحرّم، سنة ٧٣٥ هـ / ١٠ / ١٣٣٤ م) - الفوائد العامة في لحن
العامة - فهرس أشتمل على عددٍ كبير (من شيوخه؟) من أهل المشرق والمغرب.

(١) الصبر (بفتح فكسر، ولا يَكُنْ إلّا في ضرورة الشعر): عصارَة (بالضمّ) شعر مرّ (القاموس ٣: ٦٧).

(٢) الشهور أنه يقال كتب الحديث سنة، وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم ثم كتب السنن الأربعة لأبي
داوود والسائي (بالفتح) والترمذي (بالكسر) وابن ماجة.

- من مقدمة «قوانين الأحكام الشرعية»:

الحمد لله ذي الجلال الذي عَجَزَتْ عن إدراك كُفهِ عقولُ العارفين^(١)، و(ذي) الكمال الذي قَصَّرَتْ عن إحصاء ثنائه أَلْبِينَةُ الواصفين.... و(ذي) العظمة الذي عَسَتْ لِعِرْمَتِهَا وجوه الطائفين والعاكفين^(٢)..... سُبْحَانَهُ من مَلِيكَ لم يَخْلُقْ عِبَادَهُ عِبْثًا ولم يَتْرُكْهُمْ سُدىً، بل أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَذَاعِينَ إلى الحقِّ والهُدَى. ثم خَتَمَ الرِّسَالَةَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صاحب الدعوة التامة والرسالة العامة إلى الإنس والجان، و(صاحب) الملة الناسخة لجميع الأديان^(٣) والشريعة الباقية إلى آخر الأزمان والآيات البيّنة والأدلة القاطعة الساطعة البرهانية^(٤). وأنزل عليه القرآن ﴿هُدًى للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان﴾^(٥)، وجعله مُعْجِزَةً ظاهرةً لِلْعِيَانِ مُتَّجِدَةً ما اختلفَ المَلَوَانِ^(٦) وتعاقتِ الأزمانُ.....

أما بعدُ، فهذا كتابٌ في الأحكام الشرعية ومسائل الفروع الفقهيّة على مذهب إمام المدينة أبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه، إذ هو الذي اختاره أهل بلدنا بالأندلس وسائر المغرب اقتداءً بدار الهجرة^(٧) وتوفيقاً من الله تعالى وتصديقاً لقول

(١) الكنه: جوهر النية وحقيقته. العارف (في التصوف): الذي يعرف الأمور بما منحه الله من الكنف عن بعض أمور النفس.

(٢) عنى: خضع، ذل. العرة: القوة. الطائف (في الأصل): الذي يقوم بالطواف (الدوران) حول الكعبة (ويكون ذلك في وقت معلوم). العاكف: المتقطع للعبادة في مسجد لمدة هو يبنيها ثم لا يخرج عن اعتكافه في أثناء تلك المدة (وليس للاعتكاف وقت محدد). للطائفين والعاكفين (في كل وقت وزمن).

(٣) الملة (بالكسر). الدين. نسخ: أ بطل. الأديان (المقصود: الشرائع). الأديان السابوية لا تُسَخُّ لأنها كلها من عند الله. ولكن الشرائع (القواعد التي يبرر عليها الناس في شكل عباداتهم وفي سلوكهم الاجتماعي تتبدل بتبدل الأزمان).

(٤) الآية: الحقيقة العالية، المحررة. البيّنة: الطاهرة، الواضحة. القاطعة: التامة. الخازمة (التي نقطع الحصى عن مواصلة الخدال). الساطع: المبر (الظاهر نكل إنسان). البرهان: الدليل الحاسم (من «برهانا» - في الحبشة - : التور).

(٥) ﴿هُدًى للناس.....﴾ (٢: ١٨٥، سورة البقرة).

(٦) الملوان (مثنى): الليل والنهار.

(٧) دار الهجرة: المدينة المنورة.

الصادق المصدوق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا يزالُ أهلُ المغربِ ظاهرينَ على الحقِّ حتى تقومَ الساعةُ ». ثم زدنا إلى ذلك التسمية على كثير من (وجوه) الآتفاق والاختلاف الذي^(١) بين الإمام المُسَمَّى^(٢) وبين الإمام أبي عبد الله مُحَمَّدَ بنِ إدريسَ الشافعيَّ والإمام أبي حنيفةَ الثُّمَّانِ بنِ ثَابِتٍ والإمام أبي عبدِ اللهِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَلٍ لِتَكْمُلِ الْفَائِدَةِ وَيَعْظُمُ الْإِتِّفَاعُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ هُم قُدْوَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَأَوْلُو الْأَتْبَاعِ وَالْأَشْيَاعِ^(٣).

وَرُبَّمَا نَهَتْ عَلَى مَذْهَبِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَيْمَةِ الْمُسْلِمِينَ كُفْيَانَ الثُّورِيِّ وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوِيَةَ وَأَبِي ثَوْرٍ وَالنَّخَعِيِّ وَدَاوُودَ بْنَ عَلِيٍّ إِمَامَ الظَّاهِرِيَّةِ^(٤) - وَقَدْ أَكْثَرْنَا مِنْ نَقْلِ مَذْهَبِهِ^(٥) - وَاللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ وَسَعِيدَ بْنَ الْمُسَيْبِ وَالْأَوْزَاعِيَّ^(٦) وَغَيْرِهِمْ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، فَإِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُجْتَهِدٌ فِي دِينِ اللَّهِ، وَمَذَاهِبُهُمْ طُرُقٌ مُوصِلَةٌ إِلَى اللَّهِ.

(١) كذا في الأصل. يجب أن تكون «تأ».

(٢) المُسَمَّى (أي مالك بن أنس).

(٣) مالك والشافعي وأبو حنيفة (وكان في قبه واجتهاده بأخذ بالرأي) وأحمد بن حنبل (كان يعتمد النصوص في الأكثر - حتى عدّه نفر من المؤرخين في المحدثين لا في الفقهاء) هم أصحاب المذاهب الأربعة المعمول بها إلى الآن عند أهل السنة والجماعة.

(٤) الأتباع (الذين ينتمون المذهب الذي ولدوا عليه) والأشباع (الذين ينتمون مذهباً ثم يحالون من ليس على مذهبهم).

(٥) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (ت ١٦١ هـ) من كبار زمانه في رواية الحديث وعلوم الدين والنموى. الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) زعيم علم الكلام والاعتزال وتحكيم العقل في الأمور. وكان صالحاً تقياً. عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) من حفاظ الحديث. إسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) من كبار حفاظ الحديث. أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ) من الفقهاء الكبار الذين كانوا يتكلمون بالرأي. النخعي: إبراهيم بن يزيد (ت ٩٦ هـ) من أكابر التابعين ومن كبار الحفاظ ورواة الحديث - ثم حفص بن غياث (ت ١٩٤ هـ) من حفاظ الحديث. وداوود بن عليّ الأصبهاني (ت ٢٧٠ هـ) صاحب المذهب الظاهري (وهو مذهب باند: بطل العمل به) يعتمد النص الوارد في القرآن وفي الحديث ولا يأخذ بشيء آخر إلا عند الضرورة القصوى (إذا سححت قواعد اللغة والبلاغة بذلك).

(٦) اقرأ: من النقل. مذهب.

(٧) الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) إمام أهل مصر - في زمانه - في الحديث والفتنة. سعيد بن المسيب =

واعلم أن هذا الكتاب يُنِيف^(١) على سائر الكتب بثلاث فوائد.

* الفائدة الأولى: أنه جنَّع بين تمهيد المذهب وذكر الخلافِ العالِي^(٢)، بخلاف غيره من الكتب فإنها في المذهب خاصة أو في الخلافِ العالِي خاصة.

* الفائدة الثانية: أُنِي جَمَعته بحسن التّصميم والترتيب وسهّلته بالتّهذيب والتّقريب. فكَم فيه من تقسيم قسَم^(٣) وتفصيل أصيل يُقَرِّبُ البعيدَ وَيُلَيِّنُ الشريدَ^(٤).

* الفائدة الثالثة: أَنَا قَصَدْنَا الجَمْعَ فيه بين الإيجاز والبيان، على أَنها قَلِمَا يجتمعان.

فجاء - بحمدِ الله - سهّلَ العبارة لطيفَ الإشارة تامّ المعاني مُختَصَرَ الألفاظ. وإلى الله نرغبُ (في) أن يجعله مُوجِباً لغفرانه ومُوصلاً لرِضوانه وفاقماً لحزائِنِ إحسانه وأَمْتِنَانِه، إنه ذو فضل عظيم.....

- قال مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيْيٍّ مِنْ بَدِيعِيَّةٍ (في مَدَحِ الرَسُولِ):

أرومُ امتداحِ المصطفى فيردني قصوري عن إدراك تلك المناقب^(٥)
ومن لي يحصر البحر، والبحرُ زاحراً؛ ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب!^(٦)

(ت ٩٤ هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع. والسيب اسم (بضم) الميم وفتح السين ثم ياء شديدة مكسورة: اسم فاعل). ويجوز أن يكون بفتح الباء (ولكن الكسر أفصح). أما السيب بن حزن بن أبي وهب الخزومي (والد سعيد بن السيب) فهو بالكسر. جاء في تاج العروس (الكويت ٣: ٩٠). أن سعيد بن السيب هذا كان يقول (وقد سمع أناً يلمطون اسم السيب بالفتح): «لئن الله من سبب أبي» (أي لفظ اسمه بالياء الشديدة المنوطة). أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) فقيه أهل الشام، كان له مذهب في الفقه قائم على الحديث، انتشر مذهب في الأندلس - في الغالب - ثم ياد.

- (١) أناف العدد على كذا: ارتفع، زاد.
- (٢) العالِي: المتعَمِّمُ في الزمن (التقريب من زمن الرسول).
- (٣) قسيم: جمل.
- (٤) أصل: جَبَدَ (واضح). ثَبِنَ الماءُ السَّيْحَ (حملة مطاوعاً للعمل به). التّريد: النافر، الذي يصعب إساكه.
- (٥) المصطفي = مُحَمَّدُ رَسولِ الله. قصوري = قصيري. المناقب جمع منفة: العمل الكريم.
- (٦) المحصر: الإحاطة بالنسب. زاحر: مملوء (كثير الماء).

ولو أن كل العالمين تألفوا
فأنسكت عنه هيئة وتأهباً
وربُّ سكوتٍ كان فيه بلاغةً،
وقال في الابتهاال إلى الله:

يا ربِّ، إنَّ ذُنوبي اليومَ قد كَثُرَتْ
وليس لي بعذابِ النارِ من قبَلِ،
فانتظر، آلهي، إلى ضِعفي وسكنتي،
وقال في مُرادِه من الحياة الدنيا (وهو من لزوم ما لا يلزم):

لكلِّ بني الدنيا مُرادٌ ومَقْصِدٌ؛
لأبْلَغَ من علمِ الشريعةِ مبلِغاً
وفي مثل هذا قَلِيَّاتٍمِنْ أُولو النُهَى .
وقال يمتخِرُ بالِمْفَةِ والتقوى:

وكم من صفحة كالمس تبدو
غضضتُ الطرفَ عن نظري إليها
فِيُنلِي حُسْنُها قلبَ الحزينِ (٨)
مُحافظةً على عِرْضِي وديني (٩)

-
- (١) تألفوا: استال بعضهم بعضاً (اجتمعوا وتعاونوا).
(٢) أسك عن الأمر: كَفَّ وتوقَّف. الهيبة: الخوف (من ألا يبحح الإنسان في محاولة أمر). التأهب (في القاموس) الاستعداد.
(٣) أطاق: استطاع.
(٤) قبل (بكر ففتح) الطاقة، الاستطاعة (الاحتال). الجلد: تكلف الأمر ومحاولة (القيام) به.
(٥) بلاغ: ما يرجو الإنسان أن يصل إليه في الحياة، العاية من الحياة .
(٦) بلاغ: وصول، نيل (الدخول إلى الجنة).
(٧) أولي (أصحاب) النهى (القول). بلاغ: الضروري من أسباب المعاش (ما يتبَلَّغ الإنسان به: ما يكتمى به)
(٨) صفحة: خَدٌّ، وجه. كالتس: مشرفة (جبلية). يلي من أسلى (أدخل اللو أو التلي أو النيان على النفوس).
(٩) غصَّ الرجل طرفه (بصره): كَفَّه، خفَّضه (سَمِعَه من أن يرى ما لا يجوز رؤيته).

- ٤ - القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية، تونس ١٣٤١ - ١٣٤٤ هـ = قوانين الأحكام الشرعية ومساائل الفروع الفقهية، بيروت (دار العلم للملايين) بلا تاريخ^(١).
- التسهيل لعلوم التنزيل، مصر (مصطفى محمد) ١٣٥٥ هـ؛ بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
- ** الديباج المذهب ٢٩٥ - ٢٩٦ (٢٦٤)؛ نيل الانتهاج ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الدرر الكامنة ٣ : ١٣٠٣، درة المجال ٢ : ١١٧ - ١١٨؛ الكتيبة الكامنة ٤٦؛ نوح الطيب ٥ : ٥١٤ - ٥١٧؛ أزهار الرياض ٣ : ١٨٤ وما بعد؛ الداية ٥٢٩ - ٥٣٣ (أوجز محمد رضوان الداية رؤوس موضوعات البلاغة في كتاب «التسهيل»)؛ بروكلمن ٢ : ٣٤٢، الملحق ٢ : ٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ٥ : ٣٢٥ (٦ : ٢٢١).

أبو حيانَ الغرناطي

١ - هو أثير الدين أبو حيانَ محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيانَ النَّفْزِيُّ الجَيَّافِي الغرناطي، أصلُ أهله من قبيلة نَفْرَةَ البربرية من المغرب الأقصى جاءوا إلى الأندلس وسكنوا حَيَّانَ.

وُلِدَ أبو حيانَ في قرية قُرْبَ غرناطة في أواخر شَوَّال من سنة ٦٥٤ (أواسط تشرين الثاني - نوفمبر ١٢٥٧ م). وقد تلقى في غرناطة شيئاً من علوم القرآن والحديث واللغة على عدد من الأئمة القليلين الذين كانوا آنذاك في غرناطة. كان من هؤلاء ابن الطباع فلم يُسرَّ منه أبو حيانَ فكشف عن عيوبه في كتاب له سماه «الإلماع في فساد إجازة ابن الطباع»^(٢). ويبدو أن سلطان غرناطة - أبا عبد الله محمد بن محمد المعروف بالقبه (٦٧١ - ٧٠١ هـ) - غضب من أجل ذلك على أبي حيانَ فانتقل أبو حيانَ إلى مالقة (وكانت مالقة آنذاك تحت حكم المرينيين) وسمع شيئاً من علوم القرآن واللغة من أبي جعفر بن الزبير^(٣). ثم إنَّه غادر الأندلس إلى سبتة (المغرب الأقصى) سنة ٦٧٩ هـ

(١) كتب عبد العزيز سيد الأهل (نوفى نحو ١٩٨٠ م) تعريفاً قصيراً لهذا الكتاب (ص ٥ - ١١).

(٢) الإجازة: شهادة من عالم في فنٍّ من الفنون بأنَّ الذي يحمل منه هذه الإجازة قد سمع منه العلم الذي يلقبه.

(٣) يذكر بروكلمن (٢ : ١٣٣) أن أبا حيانَ الغرناطي كان يدرس في مالقة منذ سنة ٦٧٠ هـ. وهذا يعني أنه غادر غرناطة قبل أن يمجه محمد بن محمد القبه إلى عرش غرناطة.

وسمع من أبي الحكم مالك بن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ) ومن أبي القاسم العزقيّ (٧١٧ هـ).
وتطوّف مدة في المغرب.

ولا نعلم متى بارح أبو حيّان سبتة إلى المشرق، ولكننا نعلم أنه تطوّف كثيراً في
مصر والسودان والحبشة والحجاز والعراق والشام. وقد أخذ أبو حيّان في أثناء ذلك
كلّه أوجهاً من فنون العلم عن أئمة البلدان التي زارها. وقد سمع في القاهرة من بهاء
السدّين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحلبي المعروف بابن النحاس
(ت ٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م).

ودرس أبو حيّان الغرناطي التفسير والحديث والنحو في الجامع الأحمر في القاهرة
وخلف أستاذه ابن النحاس في تدريس هذه الفنون في المدرسة المنصورية في القاهرة.
وكذلك درس في المدرسة الصالحية في دمشق (٧٣٥ هـ = ١٣٣٥ م).

في أول الأمر كان أبو حيّان على المذهب الظاهري، وكان في الوقت نفسه مائلاً
إلى التشيع. في هذه الأثناء كان مُعجباً بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ). ثم إن أبا حيّان انتقل
إلى مذهب الشافعي فجعل يحمل على ابن تيمية ويتهمه بالقول بالتجسيم.
وكفّ بصراً أبي حيّان في أواخر أيامه. وكانت وفاته في ٢٨ صفر ٧٤٥
(١٣٤٤/٧/١١ م).

٢- كان أبو حيّان الغرناطي عارفاً باللغة وإماماً في الصرف والنحو وبارعاً في
التفسير والحديث والفقّه. وكان شاعراً مكثرأً وفي ديوانه قصائد ومقطعات وموشحات.
وفنون شعره كثيرة منها المدح والوصف والخمر والغزل والمجون. وكان يقول الشعر
رؤيّةً وأرتجالاً. وعلى شعره شيء من الضعف وفيه كثير من الصنّاعة وشيء من
الفكاهة. وله أيضاً رسائل أدبيّة.

وعرّف من اللغات الأجنبية الفارسيّة والتركيّة والحبشيّة. وكانت مؤلفاته نحو
حسين منها: البحر الهيط في تفسير القرآن العظيم - إتحاف الأريب بما في القرآن من
الغريب - التذيل والتكميل في شرح التسهيل (في اللغة) - منهج السالك في الكلام على
ألفيّة ابن مالك - نهاية الاعراب في علم التصريف والاعراب - رجز مجاني القصر في

شراء العصر - نوافث السحر في دماثة الشعر - تحفة النُدس في غداة الأندلس -
 الإدراك للسان الأتراك - الأفعال في لسان الترك - منطق الخرس في لسان الفرس -
 نور العَبس في لسان الحبش - المحبور في لسان اليعمور .

٣ - المختار من آثاره

- لأبي حيانَ الفَرناطِيّ أبياتٌ شهورةٌ من الحكمة البارعة في الأصدقاء والأعداء :

عِداتي لهم فضلٌ عليّ ومِنَّةٌ ، فلا أذهبَ الرحمنُ عني الأعدايا .
 همُّمٌ بحثوا عن زلتِي فأجتنبْتُها ، وهم ناصوني فأكسبتُ العاليا .

- وله في التهكم بالتصوّفين :

أيا كاسياً من جيّد الصوف نفسهُ ويا عارياً من كلِّ فضلٍ ومن كَيْسٍ^(١) .
 أتزهي بصوفٍ ، وهو بالأمسِ مُصبحٌ على نعجةٍ واليومِ أمسى على تيسٍ !

- وله في الوداع ، وفيه توريةٌ بين ابنِ مُقلّةٍ (خطاط عباسي بارع مجيد) وبين ابنِ
 قنلةٍ (ابن العين : الدمع) :

سَبَقَ الدمعُ بالمسيلِ المطايا إذ نوى من أحبُّ عني قنلةً ؛
 وأجادَ السُّطورَ في صفحة ال خدّاً ؛ ولم لا يُجيدُ وهو ابنِ مُقلّةٍ ؟

- وقال في الدفاع عن البخل :

رجاؤك قلماً قد غدا في حباتي قنيصاً ، رجاءُ اللُّتاجِ مِنَ القمِّ .
 أتتسبُّ في تحصيله وأضعفه ؟ إذا كنتُ معراضاً عن البرءِ بالقمِّ !

- وقال في فضل المال :

أتسى بشفيرٍ ليس يُمكن ردهُ ؛ دراهمُ يبضُّ للجروحِ مراهمُ ؛
 تُصيرُ صعبَ الأمرِ أهونَ ما يرى ، وتَقضي لُباناتِ الفتى وهو نائمُ .

(١) الكيس (بالفتح) : العقل ، الفطنة (بالفتح) : حسن الإدراك للأمور ، الذكاء .

- وقال في إباء النفس وعزتها:

وَقَصَّرَ آمَالِي مَالِي إِلَى الرَّدَى وَأَنْتِي، وَإِنْ طَالَ الْمَدَى، سَوْفَ أَهْلِكُ
فَضَّتْ بِمَاءِ الْوَجْهِ نَفْسٌ أَيْبَةً، وَجَادَتْ يَمِينِي بِالَّذِي كُنْتُ أَمْلِكُ.

- من موشحه لأبي حيان الغرناطي في الخمر):

إِنْ كَانَ لَيْلٌ دَاخٍ. وَخَانَا الْإِصْبَاحُ فُورَهَا الْوَهَاجُ يُعْنِي عَنِ الْإِصْبَاحِ

* * *

سُلَافَةٌ تَبْدُو كَالْكُوكَبِ الْأَزْهَرِ؛
مِزَاجُهَا شُهُدٌ وَرِجْمُهَا عَنَبٌ،
يَا حَبْدَا الْوَرْدُ مِنْهُ وَإِنْ أَسْكُرْ^(١).

قلبي بها قد هاج، فما يراني صاح عن ذلك المنهاج وعن هوى، يا صاح!

* * *

وَبِي رِثًا أَهَيْفٌ قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي^(٢)،
بَدْرٌ فَلَا يُخْفَ مِنْهُ سَنَا الْخَدِّ،
بِلِحْظِهِ الْمُرْهَفُ يَسْطُو عَلَى الْأُنْدِ

كسوة الحجاج في الناس والساح. فما ترى من ناج من لحظة السّاح^(٣)

٤- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، القاهرة ١٣٢٨ هـ.

- هداية النحو (بلا تاريخ).

(١) داج: مظلم. خاننا الإصباح: لم يطلع الصباح في ميعاده.

(٢) السّلافة: الخمر. التور: (بتح الثين وكسرهما وضمتها): الصل. فما يراني صاح: فما يراني قلبي صاحياً ميقناً (من الحب والسكر). الورد (بكسر الواو): الشرب.

(٣) يا صاح: يا صاحبي.

(٤) وبى (أحباً) رثا (غزال) أهيف (تجمل القد). قد لجّ في بعدي (أصر على الابتعاد عني). المرهف: التاطع.

(٥) الحجاج بن يوسف والي العراق في أيام عبد الملك بن مروان كان مشهوراً بالقسوة والبطش. السّاح (الأولى): أبو العباس السّاح الخليفة العباسي الأول (قتل خلفاً كثيراً من أهل البيت الأموي بقسوة وغدر. السّاح (الثانية): الذي يفتح (يسفك) الدم. ما ترى من ناج: لا ينجو منه أحد.

- الإدراك للسان الأتراك، استانبول ١٣٠٩ هـ؛ (جعفر أوغلو)، استانبول ١٩٣١ هـ.
- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، حاة (مطبعة الإخلاص) ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م؛ دمشق ١٩٣٢ م.
- الارتضاء في الفرق بين الصاد والظاء (بتحقيق محمد حسن آل ياسين)، - مطوع مع «الفرق بين الصاد والظاء» لمحمد بن ثوان الحميري، بغداد (مطبعة المعارف) ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م.
- ديوان أبي حيان الأندلسي (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، بغداد (مطبعة العاني) ١٣٨٨ هـ = ١٩٦٩ م.
- ** أبو حيان النحوي، تأليف خديجة الحديثي، بغداد (مطبعة النهضة)، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م.
- فوات الوفيات ٢: ٣٥٢-٣٥٦؛ الوافي بالوفيات ٥: ٢٦٧-٢٨٣؛ ابن قنفذ ١٣٤٩
- نكت الحميان ٢٨٠-٢٨٦؛ بنية الوعاة ١٢١-١٢٣؛ الدر الطالع ٢: ٢٨٨-٢٩١؛
- شذرات الذهب ٦: ١٤٥-١٤٧؛ نفع الطيب ٢: ٢١٢، ٢٢٨، ٢٢٩-٢٣٠،
- ٥٣٥-٥٨٤، ٦٥٥-٦٥٦، ٥: ١٩٢، ٢٦٢، ٢٦٦، ٣٥٢، ٤٧٠؛ دائرة المعارف
- الإسلامية ١: ١٢٦؛ بروكلمن ٢: ١٣٣-١٣٤، الملحق ٢: ١٣٥-١٣٦؛ الأعلام
- للزركلي ٨: ٢٦ (٧: ١٥٢)؛ البحث العلمي، - ستمبر-دجنبر (أيلول-كانون الأول)
- ١٩٦٤، ص ٢٤١-٢٤٧ (ببلم سعيد غراب)؛ سركيس ٣٠٦-٣٠٧.

الطويجين الساحلي

١- هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الساحلي (نسبة إلى جدّه لأُمّه) المشهور بطويجين من أهل غرناطة. كان أبوه أمين العطارين في غرناطة وعالماً فقيهاً قديراً في حساب الفرائض (تقسيم الإرث)، وكان ربّ أسرة معروفة بالصلاح والتقوى وعلى قدر من الثروة.

نشأ إبراهيم في غرناطة وتلقّى العلم فيها ثم أصبح مؤتقاً (كاتباً عدلاً) بسياط شهود غرناطة.

وكان إبراهيم كثير الرحلة جاء إلى الشرق فزار مصر والشام والعراق واليمن والحجاز فحج وزار المدينة. ويبدو أنّه، بعد ذلك، في سنة ٧٢٤ هـ، دخل بلاد السودان (الغربي) ثم عاد وشيكاً في العام نفسه. ولكن يبدو أنه تردّد إلى السودان مراراً

وَاتَّصَلَ بِمَلِكِهِ ثُمَّ عَادَ مَرَّةً وَأَهْدَى إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ هَدِيَّةً طَرِيفَةً فَأَثَابَهُ مَلِكُ الْمَغْرِبِ عَلَيْهَا مَالًا كَثِيرًا.

وعاد في اواخر أيامه إلى السودان ونزل في تَبَكُّو (مالي اليوم) فأدركته فيها الوفاة، يوم الإثنين في السابع والعشرين من جمادى الآخرة من سنة ٧٤٧ (١٦/١٠/١٣٤٦م).

٢- كان الطويجيني الساحلي ناظماً وناثراً قديراً يجمعُ الجزالة والمثانة وربياً رأيت على شعره شيئاً من الرقة. ثم هو كثيرُ الغريب يتكلفُ الصنعة ويكثرُ في نثره خاصة من الإشارات التاريخية والأدبية حتى ليَقْرُبُ أن يُصبح شعره ونثره ألفازاً. ولا شك في أنه كان مُلمّاً بمددٍ من العلوم. والمادة في أدبه تَلَبُّ على الأسلوب. وشعره مقسم بين المدح والرتاء والنسيب والخمر، وله أشياء على طريقة القوم (الصوفية).

٣- مختارات من آثاره

- لما وصل الطويجيني الساحلي في بعض أسفاره إلى مدينة مراكش خاطبَ أهلَ غرناطة برسالةٍ طويلة منها:

سلامٌ ليس دارينُ شعاره وحلقِ الروض والنضير به صيداره^(١)، وأنسى نَجْدًا شمه الزكي وعزاره^(٢). جرّ ذيله على الشجر فتعطرَ وناجى عُصْنَ البان فاهتزَ لحديثه وتأطرَّ^(٣). وارشفَ الندى من ثغور الشقائق وحيًا خدود الورد تحت أردية الحدائق. طربت له النجديّة المُستَهامة فَجرت صباها ببطن تهامة^(٤). وحنَّ ابنُ دهبان لصباه

-
- (١) دارين: مكان مشهور (في الشام وفي البحرين) ببياناته ذات الرائحة الطيبة. النجار: الطراز، العلامة. الصادر ثوب نصفي يغطي الصدر. والجملة: سلام.... صداره « غير مفهومة. اقرأ: « سلام لبست دارين شعاره، وحلى الروض النضير به صداره » (سلام أخذت دارين منه عطرها، واتخذ الروض النضير- الزاهر- منه صداره، أي ثوبه الجميل الألوان)
- (٢) شمه (اقرأ: شيبه). المرار نبات زكي الرائحة (إشارة إلى قول الشاعر: تمتع من شمع عرار نجد).
- (٣) سلام جرّ ذيله (مع).... تأطرّ: تنسى، قابل (من السرور والطلب).
- (٤) النجديّة (؟) المستهامة، الهائمة، المتسوفة، العاشقة (الهامة ؟). هجرت صابها (بالفتح: ؟ بالفتح: الريح الباردة). تهامة: ساحل الحجاز (المنخفض عند شاطئ البحر).

وسلا به التميمي عن رياه^(١) وأنسي الثميري^(٢) ما تَصَوَّعَ بَرِّزَنَبَ من بطن نعمانه^(٣)...
 حتى إذا رامت أنفاسُ تحيَّاته ورقتْ وملكتْ نفاسَ النفوسِ واستشرقت^(٤). ولبستْ
 دارينَ في مِلائها ونظمتِ الجوزاءِ في عِدِّ ثنائها^(٥) واشتغل بها الأعشى عن رَوْضِهِ
 ولهى ، وشهدَ ابنُ بُرْدٍ شَهادَةَ أطرافِ المَساويك لها^(٦) خيمتْ في رَبْعِ الجودِ
 بفرانطة ورقتْ وملأتْ دُلُوها إلى عِدِّ ركبهِ^(٧)، وأقبلتْ منابتُ شرقها عن غَرْبِهِ لا عن
 عَرْفِهِ^(٨). هنالك تُتْرِي لها صدورَ الجالسِ تُخْمِلُ صُدُوراً^(٩) وترابُ المعالي تُحَلِّي
 عقوداً نفيسةً وجذوراً^(١٠)، ومحاسنُ الشرفِ تُحاسِنُ الرُوجَ في زُهرها^(١١) والأفنيةُ في
 إيوانها والأنديةُ في شِعبِ بَوانها^(١٢). لو رآها النعمانُ لهَجَرَ سَدِيرَهُ^(١٣) أو كَسِرَى لَبَدًا

(١) وحَنَ ابن دهمان لصباه (٩). سلا: نسي. التميمي (٩) رياه (اقرأ: رياهه، لموازنة نعمانه الآتية).

(٢) الثميري هو محمد بن عبد الله بن غير (ت نحو ٩٠ هـ) شاعر أموي له قصيدة مملها:

تَصَوَّعَ مَسْكَا بَطْنِ نَعْمَانَ إِذْ شَتَّ بِسَهِّ زَيْنَبِ فِي نَوَةِ عَطِيرَاتِ.

نعمان: وادي في الحجاز (نعمان الإراك).

(٣) اقرأ: واسترقت.

(٤) الجوزاء مجموع من النجوم.

(٥) اقرأ: ولها (من لما يلهو) يشير إلى الأعشى ميسون بن قيس الذي يقول في معلقته اللامية: ما روضة من

المحزن (يفتح الحاء) مضطبة....

(٦) يقول بن بشر بن برد:

يا أَطْيِبَ النَّاسِ رَيْحاً غَيْرَ مَحْتَبِرٍ إِلَّا بِقَيْسَةَ أَطْرَافِ الْمَاوِيكِ!

(٧) اقرأ: إلى عقد كربه. الكرب (يفتح ففتح): الحبل يندّ فوق خيبة الدلو.... خيمت في ربع الجود

(يقصد وصلت رسالتي إلى تومي الكرام). رقت (٩). ملأت دلوها إلى عقد كربه (ملأته تماماً). المقصود

غير واضح لي).

(٨) الغرب: ماء يميل أو ينقط من الدلو عند نقله الماء به. العرف: الرائحة الطيبة. (المعنى العام غير

واضح).

(٩) اقرأ: الترائب (عظام في أعالي الصدر).... وقرأ: شدوراً (قطع صغيرة من ذهب توضع بين حبات

اللؤلؤ في العقد.

(١٠) تحاسن: تباهى غيرها بحسبها هي. الزهر: الكواكب. البروج: مناطق في السماء تنتقل الكواكب فيها

(بحسب المدرك القديم في الفلك).

(١١) الأضية جمع فناء (بكر الفاء): باحة فيحة أمام الدار. الإيوان: القاعة العظيمة الواسعة تحاسن

الأضية في إيوانها (٩).

الأندية جمع ندى: نقاط الماء التي تتجمع في أثناء الليل على الأغصان والعشب إلخ. شعب بوان: تمر =

إيوانه وسريه^(١) أو سيف^(٢) لقصّر عن عُمدانه أو حسانَ تَرَكَ جَلَقَ لِنَسانه^(٣)....
 لك إبليس! أفلا أشقت من عذابي وسمحت ولو بسلام من أحبابي^(٤): أسلمتني إلى
 ذرع البيد ومحالفة الذميل والوخيد^(٥)، والتنقل في المشرق والمغرب، والتمطي في
 الصهوات والغوارب^(٦).....

- وقال في النسيب والخمر:

زارت وفي كلِّ لحظٍ طرفٌ مُحترسٍ وحولَ كلِّ كِناسٍ كفٌّ مُفترسٍ^(٧).
 يشكو لها الجيدُ ما بالحلبي من هَدَرٍ ويشكي الزندُ ما بالقلب من خرس^(٨).
 في لحظها سحرٌ فرعونٍ، وِرْقَتها آياتُ موسى، وقلبي موضعُ القبس^(٩).

= مشهور في غربي بلاد فارس فيه خصب كثير وفواكه متوعة.
 هذا من قول التنبي

يقول بضم بَوَّانِ حِصاني: أعن هدا يُبار إلى الطمان؟
 أيوكم آدم سنَّ المعاصي .علمكم مفارقة الجنان.

- (١٢) التحان بن النذر ملك الحيرة. السدير: قصر النيمان.
 (١) إيوان كسرى: بناء فخم عظيم على نحو عشرين ميلاً شرق بغداد كان العاصمة الصفية للفرس.
 (٢) سيف بن ذي يزن: ملك في اليمن. غمدان قصر.
 (٣) حسان بن ثابت. غسان: بنو غسان ملوك الشام في جلق قرب بصرى في سهل حوران (وربما أطلقها
 بعضهم على دمشق). إشارة إلى قول حسان:
 لله ذرٌ عصابية نادمنهم يوماً تجلّقى في الزمان الأول.
 (٤) لك إبليس: لا بارك الله فيك. أشفق: خاف، هاب.
 (٥) ذرع: قياس. البيد جمع بيدها: الأرض الواسعة (السر الكبير) الذميل: سير سريع لين: الوخيد: سير
 سريع مخطى واسعة: محالفة الذميل والوخيد: الاستمرار في الأسفار.
 (٦) الصهوة: ظهر الحصان. المغرب: كعب العير. التمطي: طول السر.
 (٧) الطرف: العين. الكناس: مأوى الطهي. زارت وهي خاتمة من الذين وجدتهم حوها، وكلّ من كان
 حوها كان يريد الوصول إليها (!).
 (٨) الجيد: العنق. الحلبي ما تزئين به المرأة. الهدر: صوت العير والغلام (عليها حلبي كثير يسمع له صوت
 عند تحركها ومشيا). القلب (بضم القاف): سوار من قطعة واحدة. الشاعر يقصد بالقلب (الجمع: عدد
 من الأمورة أو الاساور) وهذه الأساور خرساء لأن زند الفتاة تمتلئ (كثير اللحم)، فالأساور لا تتحرك
 في زندها.
 (٩) القبس: النار (قلبي مشعل مجتها).

أشكو إليهما فؤاداً واجسلاً، أبداً

في «النازعات»، وما تنفك في «عبس»^(١).
يا شقة النفس، إن النفس قد تلفت هذا فؤادي وجفني فيك قد جمعا
إلا بقية رجع الصوت والنفس^(٢).
ضدين فاعتبري إن شئت واقبسي^(٣)!
وليلة جثها سخرأ أجوس بها
شبا الموالى وخيف الأخف الشرس^(٤)،
حلو الفكاهة بين اللين والشرس^(٥).
فشار أبناؤها في ساعة العرس^(٦).
فذاك خدك، يا ليلي، وذا نفسي!
من معرك جال بين الفجر والغلس^(٧)،
كريمة الذليل لم تخنج إلى دس^(٨).
وتمسح النوم عن أجفانها النمس^(٩).
طوراً، ودمني يتلوها مجنبس^(١٠):
نور ونار أضاءا في رواجيتها:
حتى إذا أب نور الفجر في وضع
قامت تجر فضول الريطر آسة
تلوث فوق كيب الرمل مطرفها
فظل قلبي يقفوها بملتهب

- (١) واجسلاً: خائفاً (من أن تهجره). النازعات وعبس: السورتان ٧٩ و ٨٠ في المصحف. من معاني الزروع:
الحنين والانتياق. العبس (بفتح فسكون والموسى): تجمع جلدة أوجه دلالة على النور والزرجر.
(٢) الشقة: (بفتح الشين): الجزء من الشيء (بضم الشين): نصفه.
(٣) الضدان: الماء (السقاء) في عيني، والبار في قلبي: اعترى: تمجني. وإن لم تصدقني فاقبسي (قرني شيئاً
من قلبي فإنه يهترق).
(٤) الحر (بفتح ففتح أو بفتح فسكون): الزمن عند الفجر. أجوس: أدور، أمجول. الشبا: حد السيف أو
السكين. الموالى جمع عالية: أعلى الريح. الخيف جمع خيفة (بفتح المهاء): عرين الأسد. الأخف (٤).
(٥) بتنا (قصيدا الليل) ناطى: نسى مرة بعد مرة. يا (في تلك الليلة). مزوجة (خراً مزوجة بام) لعلها
يقصد: مشولة (خراً مرت عليها ريح الشمال - بفتح الشين - فأصبحت باردة).
(٦) أنكحتنا: زوجتها من أبيها (الماء). مزجتها بام. وهي آيسة (امرأة فارقتها الحيض) كناية عن قدمها. فشار
(تظاير). أبناؤها: ففاقبع الماء التي تجول على وجه الحمر عند مزجها بالماء. في ساعة العرس (عند
امتزاج الحمر بالماء).
(٧) أب: رجع. الوضع: الوضوح، البياض، الغلس: الظلام. من معرك جال (٤).
(٨) الربطة: قطعة واحدة من نسج نفيس تلبس فوق الرداء، فضول الربط: أطراف الربطة القريبة من
الأرض (قامت تجر إلخ: انصرفت بأمان). آسة: فتاة صغيرة السن. كريمة الذليل طاهرة، نقيّة (محمولة
كرامتها). جنح: مال.
(٩) تلوث: تلف. كيب: الرمل: تلة (كناية عن امتلاء جسمها في وسطه). المطرف: ثوب ثمين.
(١٠) قفا: نبع. يتلوها: يرافها، يتبعها. منسحس: سائل فائض (من الدمع).

دَهْرٌ يَلُؤُنُ لَوْتَيْهِ كَمَا دَتَهُ: فالصبحُ في مَأْتَمٍ وَاللَّيْلُ فِي عُرْسٍ !

- وقال وفي قوله لَمَحَاتٌ مِنَ التَّصَوُّفِ:

دَعِ الْعَيْنَ تُذْرِي الدَّمْعَ فِي طَلَلِ الرَّبِيعِ فليس حراماً أن أُرِيقَ بِهَا دَمْعِي (١).

وَحَدَّثَ عَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ: أَحَلُّوا بِنَجْدٍ أَمْ أَقَامُوا عَلَى سَلْعٍ (٢)؟

وإن لم يكن قد فاز طَرْفِي بِنظرةِ إِلَيْهِمْ، فَحَسْبِي أَنْ يَفُوزَ بِهِمْ سَمْعِي.

ذَكَرْتُكَ، يَا نَجْدٌ، ففَاضَتْ مَدَامِعِي. وَأَيُّ نَصِيرٍ لِلْمُحِبِّ سِوَى الدَّمْعِ!

وإن تَقَنَّ، يَا نَفْسُ، الْعَزَاءَ تَحْتَلًّا، فَإِنَّكَ مَكْلُومٌ الْحَنَاءُ دَائِمُ الصَّدْعِ (٣).

أَحِبُّ، كَمَا حَسَّتْ رِكَابِي، إِلَى مَنِي؛ وَمَا ذَارُهَا دَارِي وَلَا رَبُّعَهَا رَبْعِي (٤).

وَقَالُوا: غَدَاً تَقْضَى بِجَمْعٍ دُيُونُنَا. وَحَسْبِي بِجَمْعٍ أَنْ أَرَى لَيْلَةَ الْجَمْعِ (٥).

لَيْسَ لِي قَلْبِي، يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ، طَائِعٌ صَبُورٌ عَلَى الشُّكْوَى (شُكُورٌ) عَلَى الْمَنْعِ!

تَجَلَّى لَطَرْفِي فِي مُحْيَاكِ رَوْضُهُ وَوَزْدَتُهُ الْمُحْمَرَّةُ اللَّوْنِ مِنْ زَرْعِي (٦).

وَتَفَرَّكَ مِنْ دَمْعِي وَخَسَّكَ مِنْ دَمِي،

وَخَصْرُكَ مِنْ فِكْرِي وَحَلِيٌّكَ مِنْ سَجْمِي (٧).

قَصَّرْتُ فُؤَادِي فِي رِضَاكِ عَلَى الْجَوَى وَحَرَسْتُ عُنْدَلِي فِي هَوَاكِ عَلَى سَمْعِي (٨).

(١) أدرى: فرَّق، أسأل. الربيع: السكن. أراق: سكب على الأرض.

(٢) الذين عهدتهم: الذين عرفهم. أحلوا... إلخ: أين هم اليوم؟

(٣) أن تقن العزاء: (أن تحفظه): تصبري. التحلل: التشدد واحتمال المصيبة (خوفاً من شامة المدق).

مكلوم: مجروح. الحناء: داخل الجسم (القلب). الصدع: الانكسار. كان يخاطب النفس، ثم التفت إلى

عاطية نفسه: فإنك (بفتح الكاف).

(٤) الركاب: ما يركبه المسافر (الناقة). ميني: مكان قرب مكة فيه منسك للحجاج (كتابة عن الشوق إلى

الله).

(٥) جمع: مزدلفة، قرب بني حيث بيت الحجاج بعد نزولهم من عرفات. تقضي جمع ديوننا: تتحقق جميع

آمالِي. أن أرى ليلة الجمع: أن أكون وإياها في مكان واحد (كتابة عن العزة الإلهية).

(٦) - أحر خدأها لما نظرت أنا إليها فانسحت.

(٧) - ريقك الصافي من دموعي، ولون خدحك من دمي، وخصرك ناحل كحول فكري من كثرة التنكير

فيك (٩) ونظم ما تترننين به من الحلى جميل كشمري فيك (١).

(٨) قصرت فؤادي: جعلته كعفني. الجوى: ألم الحب. العذل: اللوم. رضيت أن أتألم لصدودك عني ولم

أرض أن أوملك أو أن أسمع لوماً فيك.

أبو بكر بن شبرين

١- هو الشيخُ الكاتبُ القاضي أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن شبرين الجذامي، أصله من إشبيلية، من حصن شلب^(١)، انتقل أبوه - سنة ٦٤٦ هـ - من إشبيلية إلى رُنْدَة ثم سَكَنَ غَرْنَاطَةَ ثم انتقل إلى سَبْتَةَ (في المغرب).

وُلِدَ أبو بكر بن شبرين في سَبْتَةَ، في أواخر سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٦ م). بدأ تعلّمه بالقراءة على جدّه لأمّه أبي بكر بن عبّيدة الإشبيليّ وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقي. ثمّ إنّه رحل إلى تُونِسَ ولقي نقرأ من علمائها.

وفي أواخر سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥-١٣٠٦ م) جاء إلى غَرْنَاطَةَ وتولّى الكتابة للسلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الخلوع (٧٠١-٧٠٨ هـ). وتولّى القضاء أيضاً. وقد رتّى الوزير ابن الحكيم الرُنْدِيّ (قُتِلَ ٧٠٨ هـ) ثمّ رتّى السلطان مُحمَّد بن إسماعيل (٧٢٥-٧٣٣ هـ) المقتول.

وكانت وفاة أبي بكر بن شبرين في ثالث شعبان من سنة ٧٤٧ (١٣٤٦/١١/١٩ م).

٢- كان أبو بكر بن شبرين من أهل الدين والفضل والعدالة ومن شيوخ الكُتّاب حَسَنَ الخطّ. وكان فصيحاً مُتقدراً في نظم الشعر بارعاً في النثر. وفنون شعره الرثاء والفخر. وقصائده طوّالٌ وعليها شيء من الرُوتق والنّفس الصوفي. غير أنّه أحياناً كثيرُ التكلّف.

(١) حصن شلب (٢). هنالك بلدة معروفة باسم « شلب » بعد مائتي كيلومتر إلى المغرب من إشبيلية، وتقع قرب الساحل الجنوبي في البرتغال اليوم.

- قال ابن شبرين الجذامي في القائد بكر بن الأشقر الحضرمي (ت ٧١٤ هـ):
 ه كان له في الجذمة مكانٌ كبيرٌ وجاءه عريض. ثم صرّقه الأمر عن اسمه * وأنزله الدهر
 على حكمه. تغمّده الله برحمته (الإحاطة ١: ٤٥١-٤٥٢).

- وقال في التذکر والاعتبار والابتهاال:

ظَعَنَ الصَّبَا، وَمِنَ الْمَحَالِ قُفُولُهُ. إِنَّ كُنْتَ بَاكِيَهُ فَتَلِكْ طُلُولُهُ^(١).
 رَعِيًّا لَجِرَانِي وَلِلظَّلِّ الَّذِي قَدْ كَانَ يَجْمَعُنَا هُنَاكَ ظَلِيلُهُ.
 هَذَا دِيَارُهُمْ فَمَتَّلَهُمْ بِهَا، إِنَّ الْمُتَيْمَّ شَأْنُهُ تَمِيلُهُ^(٢).
 عَهْدٌ أُحِيلَتْ حَالُهُ، فَالْيَوْمَ لَا مَعْقُولُهُ مِنَّا وَلَا مَنقُولُهُ^(٣).
 أَشْجَاكَ مَجْتَمَعٌ عَفَّتْ آيَاتُهُ وَتَعَاوَرَتْهُ شِئَالُهُ وَقَبُولُهُ^(٤)؟
 قَدْ كُنْتَ تَصْفُرُّ عَنِ سِنِي قِيَانِهِ، فَالْيَوْمَ تَصْفُرُّ عَنِ سِنِيكَ كَهُولُهُ^(٥).
 مَا كَانَ مَاضِي الْعَيْشِ إِلَّا خَطَرَةٌ خَطَرْتُ، وَوَقْتُ قَدْ تَتَابَعُ جِيلُهُ^(٦).
 ضِيَمْتَنِي فِي طَلَبِ الْفُضُولِ بُكُورَهُ، لَكِنْ نَدِمْتُ وَقَدْ أَتَاكَ أَصِيلُهُ^(٧).
 دَعُ عَنْكَ تَذْكَارَ الصَّبَا، إِنَّ الصَّبَا رَسْمٌ يَهِيْجُ لَكَ الْغَرَامَ مَحِيلُهُ^(٨).

- (١) ظعن الصبا (رحل الشاب). القفول: الرجوع. الطلل: مكان البيت بعد أن ينهزم. (شبهه الجسم بعد أن يفارقه الشاب بالطلل). * رسمه (٢).
 (٢) التيمم: الذي أمرضه الحب لأنه لا يستطيع أن يصل إلى محبوبه) يتجمل محبوبه تجملًا.
 (٣) أُحِيلَتْ: تبدلت. في ألفاظ الفلاسفة: المعقول (المعروف بالرهان) والمنقول (الروى). الواصل إلينا عن أسلافنا). لم يبق من شبابي حقيقة ولا مظهر.
 (٤) شجاء، شجوا: حزن (فعل متعدي) وأحزن. عفا بضم: أمحى. الآية: العلامة (مظاهر العمران)؟. تعاورته (الرياح) تداورته: تهبّ عليه من جهة مرة ثم من جهة ثانية مرة أخرى. الشال: الريح الشمالية. والقبول: ريح الصا (القاموس ٤: ٣٤) وتهبّ من المغرب.
 (٥) الكهل من جاوز الأربعين. كنت أصغر أصحابي (في أيامهم) فصرت أكبرهم سنًا (في أيامي).
 (٦) خطرة: مدة يسيرة. تتابع جيله: ماتوا واحداً بعد واحد.
 (٧) بكوره: أوكه (زمن الشباب). أصيله (الأصيل): ما بين الظهر والمصر: آخره (عصر الشيخوخة).
 (٨) الهييل: التغير المحو.

يا مفرقاً نزل الشيبُ به، اتَّيَدُ؛
 لم يعمدْ شيبٌ محلَّةَ لَمَّةٍ
 قد كان أنسي في الشبابِ فضدني
 حي إذا رُمْتُ الأُنسِ مُؤنَّسٌ
 يتلى الزمانُ ولا يزال مُجدِّداً،
 يا حاضراً عِندي، وليس بجائزِ
 يا غائباً عن ناظريِّ ولم يَمِبْ
 يا واحداً حقاً، وليس يُمكن
 أنا ذلك العبدُ الظلومُ لِنفِيهِ
 فالحرَّ لا يُؤدِّي لَدنِيهِ نَزِيلُهُ (١).
 سوداءٌ إلَّا والجمامُ زميلُهُ (٢).
 وأبي عليَّ وصالُهُ ووُصُولُهُ (٣).
 - من رَبَّنَا سُبْحانَهُ - تَزِيلُهُ (٤).
 لا نَصَّهُ يَسْلَى ولا تَأويلُهُ (٥).
 إدراكُهُ؛ إنَّ العُقُولَ تُحيلُهُ (٦).
 إحسانُهُ عَنِّي ولا تَتَوِيلُهُ (٧).
 تَسْبِيهُهُ - كَلَّأَ - ولا تَخْيِيلُهُ،
 زَلَّتْ به قَدَمٌ وَأنتَ مُقِيلُهُ.

٤- ** الإحاطة ١ : ١٠٤، ٤٥١-٤٥٢، ٥٥٢-٥٥٣، ٥٥٧، ٢ : ١٧٤-١٨٢؛
 الكسبة الكامنة ١٦٦-١٧٢؛ اللحة البدرية ٩٨-١٠٢؛ أوصاف الناس ٣٧-
 ٣٩؛ أعمال الأعلام ٢٩٨، ٣٠١-٣٠٤؛ الرقبة العليا ١٥٣؛ نوح الطيب ١ :
 ١٧٧-١٧٨؛ ٥ : ٥٤١-٥٤٣، ٦٠٥٤٣ : ٢٥١-٢٥٣؛ النبوغ المغربي ٤١٣-٤١٥،
 ٧٣٧-٧٣٨، ٩٣٣-٩٣٦.

ابن الجيَّابِ الفَرِناطِيّ

١- هو أبو الحسنِ عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ سُلَيْمانَ بنِ عليِّ بنِ سُلَيْمانَ بنِ حَسَنِ الأَنْصارِيّ
 المعروفُ بِأَبْنِ الجِيَّابِ، وُلِدَ في غَرِناطَةَ في جُهادِي الأولى من سَنَةِ ٦٧٣ (خريف
 ١٢٧٤ م).

- (١) المرق: نصف الرأس أو جانبه (مكان فرق الشعر) اتشد: سر على مهل. التزيل: الضيف (كتابة عن النسب).
 (٢) اللمة: شعر مقدم الرأس. الجمام: الموت.
 (٣) قد كان (الصا: هو الشباب) أنسي... وأبي عليَّ وصالهُ ووُصُولُهُ (لا أنا الآن أصلح له ولا هو يصلح لي).
 (٤) الآن تبدلت باللهم فراءة القرآن (تزييله).
 (٥) المص: (ظاهر اللفظ) وتأويله (النظر في باطن المعنى).
 (٦) يا حاضراً (خطاب لله تعالى).. العقل يمع أن بدرك الإنسان حقيقة الله.
 (٧) ماغائباً (لأن الله لا يرى). السويل: العطاء.

أخذ أبو الحسن بن الجيَّاب أشياء من العلم عن ابن الزبير التَّقِيَّ (ت ٧٠٨ هـ) صاحب «صِلَةِ الصَّلَةِ» وعن ابن رُشِيدِ السَّبْتِيِّ (ت ٧٢١ هـ) صاحب الرُّحْلَةِ. دَخَلَ ابنُ الجيَّابِ إلى الدِيوانِ السُّلْطَانِي كاتِباً سَنَةَ ٧٠٨. ثمَّ إنَّهُ وَرَرَ لأبي الحِجَّاجِ يوسُفَ النِّبَارِ سابعَ سُلْطَانِ بَنِي نَصْرِ في غَرْنَاطَةَ (٧٣٧ - ٧٥٥ هـ). ويبدو أَنَّهُ آسَمَرَ في خِدْمَةِ الدَوْلَةِ النَّصْرِيَّةِ مُنْذُ تَوَلَّى الكِتَابَةَ إلى حِينِ وفاتِهِ بالطاعونِ، في ٢٣ شَوَّالِ ٧٤٩ (١٣٤٩/١/١٥ م).

٢- كان أبو الحسن بن الجيَّاب مُتَفَنَّئاً في العلومِ مُقَدِّماً فيها: في القراءات والحديث والفقهِ والفرائض وفي اللُّغَةِ والنحو والبلاغة والأدب وفي الحساب والتاريخ، كما كان مشاركاً في علم التصوِّف. ثمَّ إنَّهُ كان ناثراً وشاعراً مُكثِراً في عددٍ من فنونِ الشعر: في الغَزَلِ (الصوفي على الأرجح) والمدح والرثاء والأدب (الحكمة) وفي الأُلغاز. ومَعَ أن شعره سهلٌ واضحٌ صحيحُ المباني، فإنَّ رَوْنَهُ قليلٌ. وله مُعَشَّرات في الشعر.

٣- مختارات من آثاره

- من رسالة لابن الجيَّابِ الغرناطي على لسانِ سُلْطَانِ غَرْنَاطَةَ^(١) إلى السلطان أبي سعيد المرينيِّ صاحبِ فاسٍ (٧١٠ - ٧٣٢ هـ):

المَقَامُ - لدى المَلِكِ المنصورِ الأعلامِ والفضلِ الثابتِ الأحكامِ، والمجدِ الذي أشرقت به وجوهُ الأيامِ والفخرُ الذي تُتَدَارَسُ أخبارُهُ بينَ الرُّكنِ والمَقَامِ^(٢) والعِزِّ الذي تملو به كلمةُ الإسلامِ - مَقَامُ^(٣) مَحَلِّ الأَبِ الواجبِ الإكبارِ والإعظامِ..... أما بعدَ حَمْدِ الله الذي أوَّلَكُم مَلِكاً منصوراً وفخراً مشهوراً، وأحيا بدوَلتكم العَلِيَّةَ لمكارمِ الأخلاقِ ذِكْراً منشوراً، والصلاة والسلامُ على سَيِّدنا مُحَمَّدٍ رسولِ الله الذي اختاره (الله)

(١) في هذه المدة (٧١٠ - ٧٣٢ هـ) كان في غرناطة ثلاثة سلاطين: أبو الجيوش نصر بن محمد

(٧٠٨ - ٧١٣ هـ) وأبو الوليد إسماعيل بن فرج ومحمد بن إسماعيل (٧٢٥ - ٧٣٣ هـ).

(٢) الركن الباني ومقام إبراهيم عند الكعبة المشرفة.

(٣) مقام: خير «المقام» (في أول الرسالة).

بشيراً ونذيراً^(١)، وشرح هدايته صدوراً،.... وأما الذي عند معظّم أمرِك من الإِعظام لِماكم والإِكبار^(٢)، والثناء المُردّد المُجدّد على توالي الأعصار^(٣).... والعلَم بما لكم من المكارم التي سار ذِكْرُها في الأقطار أشهر من المثل السيار، والاعتداد^(٤) بِسُلطانكم العَلِيّ في الإعلان والإسرار، والاستناد إلى جَنابِكُم الكَرِيم في الأُمُوال والأفْعال والأخبار... وإلى هذا - أيدَ اللهُ تعالى سُلطانكم ومهد^(٥) أوطانكم - قدّمْت مُطالعةُ مَمايِمِك، أسأهُ اللهُ، أن مَلَكَ قسالة دَسَ مَنْ يَتَحَدَّثُ في عَقْدِ صلح يَعودُ بِالهُدنة على البلاد ويرتفع به عنها مكابذته من جِهَةِ الأَعادِ^(٦). وقدَرنا أولاً أن ذلك ليس على ظاهرِ الحالِ فيه وأنّه يُبدي فيه غير ما يَحْفِيهِ. ولكن جَرِينا معه في ذلك المِضمارِ قَصداً للتشوّفِ على الأخبار^(٧). فلَمّا دار الحديثُ في هذا الحُكْمِ ظَهَرَ مَه أَنّه قد جَنَحَ لِلسُّلْمِ. وكان خَدِيمنا تَقَرُّوزُ^(٨)، مُحْكَمِ الاتِّفاقِ، قد وَرَدَ إِشْبِيلِيَةَ لِبعضِ أَشغالِهِ، فاستحضره وأخذَ مَعَهُ في أمرِ الصلحِ وَشَرَحَ أحوالِهِ.... فأَعيدَ إِلَيْهِ بِأنّه إن أرادَ المُصالحةَ على صلحِ والدهِ مَعَ هذه الديارِ النَّصْرِيَّةِ من غيرِ زيادَةٍ على شروطِ تلكِ القَضِيَّةِ، ولا يَعرَضُ لاسْتِرجاعِ مَعْقِلِ من المَعاقلِ التي أُخْلِصَتْ من يَدِ النَّصْرانِيَّةِ، وأن يَكونَ عَقْدُهُ على الجزيرةِ الحَضْرَاءِ وَرَنْدَةَ وَغَيرِها من البلادِ الأَنْدَلِيسِيَّةِ، فلا يَدَّ من مُطالعةِ مَحَلِّ وَالدِّينِ السُّلطانِ أميرِ المُؤمِنينِ أَبِي سَعِيدِ - أَيْدَهُ اللهُ - واستطلاعِ ما يَراه.....

- (١) البشير: الآتي بالخبر المرح (للطائمين) والندير: الآتي بالخبر السيئ، (للمصابين).
- (٢) وأما الذي عند معظّم (بضمّ ففتح فضاء شديدة مكسورة) أمرِك... أي سلطان غرناطة.
- (٣) الأعصار جمع عصر (بالفتح): الدهر، المدة من الدهر.
- (٤) لم أهدن إلى «اعتداد» في الفاموس. المقصود: الأعداء والأشكال وأسطار الماعده عند الحاجة إلى الماعده.
- (٥) مهد الأوطان: سكنها، جعلها مطمئنة آمنة هادئة.
- (٦) كابد الرجل الأمر مكابدة: عاناه، فاسي في عمله. الأعداء = الأعداء. الأعداء.
- (٧) المِضمار (النوط الذي تركه الخيل): السبيل. التشوّف: محاولة الإنسان أن يرى الأشياء البعيدة.
- (٨) الخديم: الخادم، الذي يهد إليه نصريف الأمور، الذي يحمله ويسيطر بينا وبين غرنا. هرور (٢): أمر الخديم.

- وقال ابن الجيّاب في الدَّهْر:

أرى الدَّهْرَ في أطواره مُتَقَلِّباً، فلا تَأْمَنَنَّ الدهرَ يوماً فتُخَدَعَا.
فما هُوَ إِلَّا مثل ما قالَ قائلٌ: (مِكْرٌ مِفْرٌ مَقِيلٌ مُذْبِرٌ مَعَا)^(١)

- وقال في المَهْمِ والمَهْرَمِ:

وقائِلةٌ: لِمَ عَرَاكَ المَشِيبُ؟ وما إنْ بَعَدَ الصِّبَا من قَدَمِ^(٢)؛
فقلتُ لها: لِمَ أَشِيبُ كَبِيرَةً، وَلَكِنَّهُ المَهْمُ نِصْفُ المَهْرَمِ.

- وقال في مطلع قصيدة (وهو غَزَلٌ صوفيٌّ في الأَكْثَرِ):

زارتُ نَجْرُزَ نَخْوَةَ أذْيَالِهَا هيفاءَ تَحْلِطُ بالنَّارِ دَلَالِهَا^(٣)
وافتَتِكَ تَمْرُجٌ لِينِهَا بَقَاوَةٌ قد أذْرَجَتْ طَيِّ العِنَابِ نَوَالِهَا^(٤)
كَمْ رُمْتَ كَتَمَ مَزَارِهَا، لَكِنَّهُ صَحَّتْ دَلَائِلُ لِمَ تُطِيقُ إِعْلَالَهَا^(٥)؛
تركتُ على الأَرْجاءِ عِنْدَ مَسِيرِهَا أَرْجَاءَ كَأَنَّ المِسْكَ قُتَّ خِلَالَهَا^(٦)
يا حُسنَ لَيْلَةٍ وَصَلِهَا، ما ضَرَّهَا لو أَتْبَعْتَ من بَعْدِهَا أَمْثَالَهَا؟
هذا الرِّيحُ أَتَاكَ يَنْشُرُ حُسنَهُ فافسَحْ لِنَفْسِكَ في مَدَاهِ مَجَالِهَا.
واخْلَعْ عِذارَكَ في البِطَالَةِ جَامِحاً وَأَقْرُنْ بِأَسْحَارِ المَنَا أَصَالَهَا^(٧)

٤- ** الديباج المذهب ٢٠٧-٢٠٨؛ الكتيبة الكاملة ١٨٣-١٩٢؛ اللوحة البديرة

(١) هذا الشطر من معلقة امرئ القيس: المَكْرُ: الماحم. المَفْرُ: المارِبُ (الراجع). - هذا الحصان يُرى لسرعته وكأنه يروح وبجيء في وقت واحد: لا تكاد تراه ذاهباً حتى تراه عائداً. و (هنا) هو كناية عن خداع الدهر لنا.

(٢) عرا الدهر الناس: أصابهم بأحداثه. «إن» زائدة.

(٣) الحوة: الخفاة، النكتر.

(٤) وافى: جاء، وصل. أدرج فلان شيئاً في شيء: أدخله. النوال: العطاء، (الوصال).

(٥) رام يروم: طلب. إعلاها (كدا في الأصل). ولعل المقصود «كتابها».

(٦) أرجاء جمع رجا: ناحية. الأرج: الرائحة الطيبة. فت الرجل المسك: طبعه (وإذا طحن المسك زادت رائحته، إذ تكثر سطوحه التي تلامس الهواء، ثم يحفَّ حل دقايقه على الهواء).

(٧) العذار (بالكسر): الثمر النابت على جانبي الوجه. والمدار: القسم من رس الدامة والذي يوضع في رأسها. خلع الرجل عذاره: انتمس في الشهوات وترك الحياء ولم يبال بما يعون الناس فيه.

٥٨-٦٠: الإحاطة ١: ١٣٤، ١٩٩، ٣٩٧، ٤٠٣-٤٠٤، ٥٤٥،
 ٥٥٠-٥٥١، ٥٧٠، ٢ (القاهرة ١٣١٩ هـ) راجع ٢٨٥-٢٨٧: درة المجال ٢:
 ٤٣٥: بغية الوعاة ٣٤٨: شير فرائد الجمان ٢٣٩-٢٤٢: نفع الطيب ٤: ٣٢٦،
 ٢٢: ٥٣٤-٤٦٤، ٤٩٩-٥٠١، ٦٠٤، ٦: ١٢٤-١٢٨،
 ٢٦٠-٢٦١، ٧: ١٠١: أزهار الرياض ١: ١١٥، ٢: ٣٤٢-٣٤٤، ٣: ١٩٦،
 بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٩: الأعلام للزركلي (٦: ٥).

ابن جابر الوادي آشي

١- هو شمسُ الدين أبو عبدِ الله محمدُ بنُ جابرِ بنِ محمدِ بنِ قاسمِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ حسانِ القيسيِّ الواديِّ آشي^(١)، وُلِدَ في تُونِسَ سَنَةَ ٦٧٣ (١٢٧٤ م) ونشأ فيها أيضاً.

قرأ ابنُ جابرِ الواديِّ آشيُّ هذا على شيوخِ كثيرين في الأندلس وإفريقية ومصر والشام والحجاز، رجالاً ونساءً، ثم خصَّهم ببرنامجٍ ذَكَرَهُم فيه فكانوا نحوَ ثلاثمائة. وكان ابنُ جابرٍ قد رَحَلَ إلى المَشْرِقِ مرتينِ (نحوَ سَنَةِ ٧٢٠ ونحوَ سنة ٧٣٤) - وقد كان في أثناء ذلك كلِّه يَسْمَعُ من الشيوخِ ويُقْرِئُ الذين يجتمعون إليه.

وكانت وفاةُ ابنِ جابرٍ في تُونِسَ، في الطاعونِ العامِّ، سَنَةَ ٧٤٩ (١٣٣٨ م).

٢- كان ابنُ جابرِ الواديِّ آشيُّ قارئاً ضابطاً للقراءة^(٢) ومُحَدِّثاً واسعَ الروايةِ ثقةً مقصوداً يرحلُ إليه الطُّلابُ. ثم كان أيضاً لُغَوِيًّا ونَحْوِيًّا وأدبياً يزوي الشعرَ، وربَّما نظَّم شيئاً منه بينَ الحينِ والحينِ، كما كان مُشاركاً في الفقه. وكان وقوراً دِينياً حسنَ الخلقِ عفيفاً لطيفاً المعشر ظريفاً. ثم إنه كان يُقْرِئُ الطُّلابَ ويُسمِّعُهم احتساباً (بلا أجرٍ)، أما عَيْشُهُ فكان يَكْتَسِبُهُ من العملِ في التجارة.

ولابنِ جابرِ الواديِّ آشيُّ تصانيفٌ: الأربعونِ البدائيةِ (في الحديث) - أسانيدُ

(١) هو غير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠) - راجع ترجمته، تحت.
 (٢) لقراءة القرآن الكريم.

كُتِبَ المالكية - الإنشادات البدائية - ترجمة القاضي عياض (لعله أول تأليفه) - تقييد القصيدة العروضية السمة المقصد الجليل إلى علم الخليل (للإمام أبي عمرو بن الحاجب) - زاد المسافر وأنس السامر (رحلة تكلم فيها على بلدان زارها وعلى شيوخ أخذ عنهم) - سؤالات (من مرويات شيخه قاضي مصر عبد الغفار بن عبد الكافي السعدي، قرأها عليه) مع أناشيد - برنامج.

٣ - مختارات من آثاره:

- من مقدمة برنامج الوادي آشي (ص ٣٧ - ٣٨):

.... أما بعدُ فإنَّ بعضَ أربابِ الرواية^(١) ذا الشَّغَفِ بها والعناية أحبَّ أن أقيّد له أسماءَ مَنْ لقيتهُ من شيوخِي الجِلَّةِ^(٢)، زَمَنَ مُقامي بَنُوسٍ وفي زَمَنِي الرحلة، وأنَّ أَسَمِي له ما أخذتهُ عنهم كائناً ما كان على حَسَبِ الوُسْعِ والإمكان، ومن أجازني مِن لَقيتهُ وأخذتُ عنه أو مِنِّمٍ لم أَخْذْ عنه سِوَاهُ^(٣) أو كَتَبَ لي بها من المشرق والمغرب، وأفصحَ له عن جُملةِ ذلك وأُعْرِبَ^(٤). فأجَبْتُهُ لِمَا سأل وجعلته في جُزءٍ من كَمَا أَمَلُ: في أحديها أسماءُ الشيوخِ وأَسَائِبِهِمُ وكُنَاهِمُ وما أمكَنَ من ذِكرِ مواليدِهِمُ ووفياتِهِمُ وأناشيدِهِمُ^(٥)؛ وفي الآخرِ ذِكرُ المأخوذِ عنهم مُضَافاً لهم ما فيه من عُلُوِّ سَنَدِي^(٦) لكن بالإجازة، مُعْتَمِداً في ذلك طريقَ ذِوي الاستِجَازةِ إذ * فاتَ الحِصُولُ المامولُ منهم في ذلك اللاتِقِ^(٧)، لِنَتَعَرُّضِ الشواغلِ عن « السَّنَنِ » المطابقِ، راجياً في ذلك عُلُوِّ السَنَدِ. واللهُ سُبْحانَهُ الهادي للرَّشَدِ، وأنَّ يجعله ذُخْراً تَقَدِّمَةً * * بين يَدَيُنَا ولا يجعله وبالاً^(٨).

(١) الرواية: رواية (نقل) العلم عن شيوخ متقدمين.

(٢) رجل جليل من جلة (بكسر الحيم): عظيم (القاموس ٣: ٣٤٩).

(٣) سواء (كذا في الأصل): لعلها « سواء » (بالهمزة: سواء أكتُ قد أخذتُ عنهم أو لم أخذ عنهم).

(٤) أفصح (أكتف) له عن جملة (مجموع) ذلك وأعرب (ابن).

(٥) وأناشيدهم (٤). لعلها « وأسانيدهم » (ما يروونه عن شيوخهم).

(٦) السند العالي (في الحديث) ما كان رواه قريبين من عصر رسول الله.

* لعلها « إن ».

(٧) أطلب الإجازة منهم عن بُعد إذا لم أستطع الأخذ عنهم شخصياً. اللاتق (٤).

* * لعلها « تقدمة ».

(٨) الوبال: الهلاك.

وحسرة علينا. إنه تعالى مؤلّي التوفيق الهادي لأحسن طريق يسنّه وكرّمه.

- ترجمة لأحد شيوخه (رقم ١٣، ص ٥١ - ٥٢):

أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون بن عبد العزيز بن اسماعيل الطائي القرطبي، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى. مَوْلُودُهُ بِهَا (١) عَامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِمِائَةٍ. أَخَذَ عَنِ جَدِّهِ لِلَّامِ الْمُقْرِيهِ الْقَيْمِ (٢) بِجَامِعِ قُرْطُبَةَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ قَادِمِ الْمُعَاوِيَّ وَ (عَنْ) وَالِدِهِ (٣). وَمِنْ جِلَّةِ أَشْيَاخِهِ: الْقَاضِي بَحْضَرَةُ مَرَاكُشْ (٤) أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَقِيٍّ، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَوْطِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ الْحَارِثِيِّ، وَأَخُوهُ أَبُو سُلَيْمَانَ دَاوُودَ، وَأَبُو الْحَسَنِ سَهْلُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَمَاعَةٌ ذَكَرَهُمْ فِي بَرْنَامِجِ شَيْخِهِ. قَرَأَتْ عَلَيْهِ وَسَبِعَتْ (مِنْهُ) وَأَجَازَنِي إِجَازَةً عَامَةً وَكَتَبَ خَطَّهُ بِهَا. وَعُمِّرَ حَتَّى أَلْحَقَ الْأَصَاغِرَ بِالْأَكَابِرِ (٥). وَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ (٦). وَكَانَ مَشْكُورَ الْقَلَمِ نَظْمًا وَنَثْرًا. وَمِمَّا وَجَّهَ لِي - بِحِطِّ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَيَّانَ - مَرْثِيَةٌ فِي وَالِدِي، رَجِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى، يَعْتَدِرُ فِيهَا عَنِ عَدَمِ حُضُورِهِ الْجَنَازَةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ (بِهَا) حَتَّى سَمِعَ. وَهِيَ:

عزّائك في أبٍ لك أو أرح لي عزاءً مُحسَبٌ محبوبٍ وخِـل.

(١).....

وَوُفِّيَ - عَفَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - لَيْلَةَ الْخَمِيسِ الْحَادِي عَشَرَ لِيذِي قَعْدَةَ عَامِ اثْنَيْ وَسَبْعِمِائَةٍ. وَدُفِنَ بِالرِّجَالِ (٧).

٤ - برنامج الوادي آشي (تحقيق محمد محفوظ)، أثينا - بيروت (دار الغرب الإسلامي)

١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م.

(١) بها (في قرطبة).

(٢) القَيْم: الشرف (على الجامع).

(٣) حضرة مراکش (العاصمة).

(٤) عمر (بالبناء للمجهول مع تنديد المم): طال عمره. ألقى الأصغر بالأكار (روى عنه الأبناء بعد أن كان قد روى عنه آباؤهم).

(٥) أقرأ: واختلط عقله....

(٦) بعد البيت السابق ثلاثة أبيات عادية ومضطربة.

(٧) الرّجّال: مقبرة كبيرة شهورة في مدينة تونس العاصمة.

★ ★ الوافي بالوفيات ٢: ١٨٣؛ الدياج المذهب ٣١١-٣١٣؛ نفع الطيب (يبدو أن هالك شيئاً من الخلط بين ابن جابر هذا المتوفى سنة ٧٤٩ وابن جابر الضرير المتوفى سنة ٧٠٨-راجع فهرس «نفع الطيب»؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٣ (٦٨)؛ ثم راجع المصادر والمراجع في ترجمته التي صنعها محمد محفوظ في التوطئة لبرنامج الوادي آشي.

عبد المهيمن الحضرمي السبتي

١- هو أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن محمد الحضرمي، وُلِدَ سَنَةَ ٦٧٦ هـ (١٢٧٧-١٢٧٨ م) فِي سَبْتَةِ وَتَأُ فِيهَا. قَالُوا إِنَّ مِنْ أَشْيَاخِهِ عَيْدُ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الرَّبِيعِ الْأَشْبِيلِيِّ (٥٩٩-٦٨٨ هـ) وَأَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَمَّازِ (ت ٦٩٣ هـ) وَأَبَا الْقَاسِمِ بْنِ النَّاطِطِ الْأَشْبِيلِيِّ (ت ٧٢٥ هـ) وَغَيْرِهِمْ. وَلَكِنْ مِنَ الصَّعْبِ أَنْ نَعُدَّ ابْنَ أَبِي الرَّبِيعِ وَابْنَ الْعَمَّازِ مِنْ شُيُوخِهِ لِلْفَرَقِ فِي الزَّمَنِ. كَانَ عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ الْحَضْرَمِيُّ صَاحِبَ الْقَلَمِ الْأَعْلَى فِي الْمَغْرِبِ كَتَبَ لِلسُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدِ عَمَّانَ الرَّبِيعِيِّ (٧١٠-٧٣١) وَوَلَانِيَهُ وَخَلَفَهُ عَلَيَّ (٧٣١-٧٥٢ هـ). وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي تُونِسَ بِالطَّاعُونِ فِي ١٢ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٤٩ (١٣٤٩/٢/٣ م).

٢- كَانَ عَبْدُ الْمُهَيْمِنِ الْحَضْرَمِيُّ إِمَامَ الْحَدِيثِ وَالنَّحْوِ فِي الْمَغْرِبِ فِي عَصْرِهِ، وَكَانَ كَاتِبًا مَتْرَسَلًا وَصَاحِبَ مَقَامَاتٍ وَشَاعِرًا مِنْ فَنُونِهِ الْمُدْحُ وَالْفَزْلُ وَالْوَصْفُ وَالْحَمَاسَةُ. وَعَلَى لُفْتِهِ عُمُومًا، فِي النَّثْرِ خَاصَّةً وَفِي الشَّعْرِ، شَيْءٌ كَثِيرٌ أَوْ قَلِيلٌ مِنَ الضَّعْفِ. وَقَدْ يَحْتَدِي فِي شِعْرِهِ أَغْرَاضَ نَفَرٍ مِنْ شِعْرَاءِ الْمَشْرِقِ الْمَشْهُورِينَ وَمِنْ أَسْلُوبِهِمْ فَيَأْتِي بِبِالشَّعْرِ الْمَتِينِ الْجِيدِ.

٣- مختارات من آثاره

- من مقامة الافتخار لعبد المهيمن الحضرمي:
بَرَزْتُ يَوْمًا لِحَارِجِ بَلَدِ فَاَسَ الْأَشْهَرِ^(١) وَأَتَهَيْتُ إِلَى وَايِهَا الْمَرْوِفِ بُوَادِي

(١) الأشهر (بنت دبلد).

الجوهر . فلم يكن غير بعيد وإذا أنا بمَحْمِلٍ بالنيِّد^(١) ، وقد دار بينها عتابٌ بألغازٍ
تَعَجَّرُ عنها أَلْسِنَةُ الكُتَّابِ: بيضاءٌ وسمرَاءٌ في مُفَاتِنَةِ كِبْرِي ، وكاملةٌ وقصيرةٌ في مُعَاطَةِ
كثيرة ، وَسَمِينَةٌ ورقيقةٌ في مُعَاتِبَةِ حَقِيقَةٍ ، وعربيَّةٌ وحَضْرِيَّةٌ^(٢) في مُجَادَلَةِ قُوَيْهَ ، وعجوزٌ
وصبِيَّةٌ في مُخَاصِمَةِ بَدِيَّةٍ^(٣) . فَبَيْنَمَا أَنَا أَنْظُرُ في تلكَ الوجوهِ المُرَوِّقَةِ^(٤) ، إذا بجاريةٍ
يَغْلِبُ ضِيَاءُ وجهها على ضياءِ الشمسِ ؛ فَوَقَفْتُ بَيْنَ الصُّفوفِ وَسَلَّمْتُ بِبَنَانِهَا الحُمْسِ . ثمَّ
تقدَّمتُ وقالت: الحمد لله الذي جعلَ البياضَ طِرَارًا كُلَّ جِبَالٍ ، وشرفَ أهلَهُ بالحياءِ
والكِبَالِ ، وأعطاهمُ عِزَّةً لا تَبِيدُ وصَيْرَ السَّمَرَ لهمُ عبيد^(٥) . أَلَا وَإِنَّ عَلَيَّ قَلْبِي جَمْرَةٌ مِنْ
مُعَاتِبَتِكَ ، يا ذَاتَ السُّرَّةِ . أعِنْدَكَ ، يا سمرَاءُ ، ما عندي ؛ وليس قَدُّكَ كَقَدِّي ولا خَدُّكَ
كخَدِّي: جَبِينِي ذُو انْتِهَاجٍ ، وذَوَانِي كَقِطْعِ الزَّاجِ^(٦) ونُغْرِي أُنْفُوحَانِ ، ودِيَابِجُ
وجهي أَرْجُوَانِ^(٧) . وَإِنَّ أَرْسَلْتُ شَعْرِي المَضْفُورَ فظلامٌ لَيْلٍ على بِياضِ كافُورِ
قال الكاتِبُ: وكانتِ العجوزُ مَحْضُوبَةَ البَنَانِ ، سَوَّكَةً^(٨) النَّمْرِ وليس لها أسنانُ ،
مصبوغةٌ الحَاجِبِ والسَّالِفِ تَدْبُ ما فاتها في الزمانِ السَّالِفِ^(٩) . ثمَّ أَسْتَدَّتْ وَأَجَادَتْ فَمَا
قَصَّدَتْ:

إِذَا جَفَّ لَيْنُ التَّيْنِ يَحِلُّو مَدَاقَهُ ؛ وَأَحْلَى مَدَاقًا فِي الثَّهَارِ العِجَازُ .

- (١) اقرأ: فلم يكن غير قليل فإذا . محفل: اجتماع (محل الاجتماع)، جماعة . يرتج: يضطرب، يوح (يكثر فيه).
الغيداء: الجميلة.
(٢) عربية (بدوية).
(٣) بدية = بدئية: فاحشة الكلام.
(٤) الرونق (جمال الوجه ونضارته).
(٥) اختار عبد المهيمن الحضرمي أن يقف على «عبيد» بالكون. وهذا خطأ. يجب أن تلحق بكلمة
«عبيد» ألف الإطلاق «عبيدا» فإن الكلمة منصوبة (مفعول به ثان من «صير».)
(٦) الذؤابة: الشعر المضفور (المجدول كالحبال). الزاج: من الأملاح (في تصنيف المواد في الكيمياء). وفي
«المعجم الوسيط» (ص ٤٠٧): الزاج الأبيض، والأزرق والأخضر. والمقصود هنا «الواد».
(٧) الأنفوحان: زهر برِّي قلبه أصفر، وبتلاته بيضاء منتظمة تُشَبُّ الأسنان بها. الديابج: نسج كله من
الحرير، ويكون ملوناً ألواناً (يظهر له إذا تحرك في النسي ألوان مختلفة؟). الأرجوان: لون أحمر فيه
شيء من الزرقة (يسى «لون الملوك».)
(٨) سوك الرجل أسنانه: دلكتها، مسحها بالموك. والمقصود هنا أن تلك العجوز كانت بلا أسنان.
(٩) السالف الأولى (الشعر في جانب الرأس متديلاً أمام الأذن)، والسالف الثانية: الماضي.

فَطَمَمِي ذِكِّي طَيْبُ النَّشْرِ عَاطِرٌ وَإِنْسَانٌ عَيْنِي لِلْمُحِبِّينَ غَامِزٌ!
 ثم قالت: وإن أردت - يا هذه - المَجُونَ والرَّقَاعَةَ (١) ، فأنا - والله - رَبُّهُ الصَّنَاعَةَ
 وأستاذة الجماعة .

وإذا بالصَّبِيَّةِ قد أَتَتْ تَدْرُجُ دَرْجَ القَطَا (٢) على الأقدام ، وتبدت فأقبلت إقبال
 العام وورَدَتْ وُرُودَ الغِنَى على أهل الإعدام (٣) تَرْمُقُ بلحظٍ نائمٍ وتفعل بأشفارها
 في قلوب العاشقين ما تفعل الصوارم (٤) . ثم نادت: أَيُّهَا المَجُوزُ الشَّمْطَاءُ يا من كَشَفَتْ
 بَعْبِهَا عن نفسها البِغَاءَ . هيهات ، يا عَجُوزُ ، . . . أن يكون لك بَعْدَ الهَرَمِ طَلْقٌ ، أو
 يَكُونَ الجَدِيدُ مِثْلَ الخَلْقِ (٥) ! أما رأيتِ شَعْرِي الفَاجِحَ وثَغْرِي البَاسِمَ وِعُصْنِي
 النَاعِمَ ؟

- ولعبد المهيمن الحضرمي في الفقر والغنى :

يُحْفَى الفَقِيرُ، وَيَغْشَى النَّاسُ قَاطِبَةً بَيْتَ الغَنِيِّ . كذا حُكْمُ المَقَادِيرِ (٦) .
 وَإِنَّمَا النَّاسُ أَمْثَالُ الفَرَاشِ ، فَهُمُ يُلْفَوْنَ حَيْثُ مَصَابِيحُ الدَّنَانِيرِ .

- وقال يمدح ذا الوزارتين ابن الحكيم الرندي (٦٦٠ - ٧٠٨ هـ) :

وعاذلة باتت تلوم على السرى وتكثُرُ من تَعَذُّلِهَا وتَطْيِيلِ (٧) .
 دَرِينِي أَسْمَى لِلتي تُكْسِبُ العُلَا سَاءً ، وتُبْقِي الذِّكْرَ وهو جَيْلٌ (٨) .

- (١) الرقاعة: الحفاة، والواقحة أيضاً .
- (٢) درج (مشى وهو ينقل رجلاً بيد رجل على مهل) . القطة: طائر (يشي بخطوات قصيرة متقاربة) .
- (٣) إقبال العام (٤) . الإعدام: الفقر .
- (٤) الأشجار جمع شفرة (بالفتح) : طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر . الصارم: السيف .
- (٥) الطلق: التوط (بالفتح) : المسافة التي يركضها الإنسان (سريعاً) في مَدَّة محدودة . الخلق (يفتح ففتح) :
 المتحرّك من الثياب .
- (٦) جفا فلان فلاناً: جانبه ، ائتمد عنه . غشي (يفتح فكسر ففتح) الرجل مكاناً يغشاه: جاء إليه . المقادير
 جمع مقدار (ما حكم به على الإنسان أن يفعله) .
- (٧) العاذلة: التي تلوم الناس بلا سبب (أو بلا معرفة للسبب الصحيح في أعمال الناس) . السرى: السير في
 الليل (للذهاب إلى المدح) .
- (٨) الساء: بالعلو، الرضة .

فإِذَا تَرَيْتَنِي مِنْ مَارَسَةِ الْهَوَى
لَوْلَا اغْتِرَابُ الْمَرْءِ فِي طَلَبِ الْعَلَا
لَوْلَا نَوَالُ ابْنِ الْحَكِيمِ مُحَمَّدٍ
وَزَيْرٌ سَمَا فَوْقَ السَّهْكِ جَلَالَةً،
مِنَ الْقَوْمِ: أَمَا فِي النَّدَى فَلِئْتَمَّ
وَأَبْلَجُ وَقَادُ الْجَبِينِ كَأَنَّمَا
نَسِيمٌ بِهِ الْعَلِيَاءُ حَتَّى كَأَنَّهَا
سَرَى ذِكْرُهُ فِي الْحَافِقِينَ فَأَصْبَحْتُ
فَلَيْتُ إِلَى لُقْيَاكَ نَاصِيَةَ الْفَلَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا نَفْسٍ عَزُوفٍ وَهَمَةٍ
وَتَأْبَى لِي الْأَيَّامُ إِلَّا إِدَالَةً.

نَحِيلًا، فَحَدُّ الشَّرْفِيِّ نَحِيلٌ^(١).
لَمَا كَانَ نَحْوَ الْجِدِّ مِنْهُ وَصُولٌ
لَأَصْبَحَ رَبْعُ الْجِدِّ وَهُوَ مَحِيلٌ^(٢).
وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا النُّجُومُ قَبِيلٌ^(٣)؛
هَضَابٌ، وَأَمَا فِي النَّدَى فَيُؤَلُّ^(٤).
عَلَى وَجَنَّتِيهِ لِلنُّضَارِ مَسِيلٌ^(٥).
بُيِّنَتْهُ فِي الْحُبِّ وَهُوَ جَمِيلٌ^(٦).
إِلَيْهِ قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَمِيلٌ^(٧).
بِأَيْدِي زُكَّابٍ سَيْرُهُنَّ ذَمِيلٌ^(٨).
عَلَيْهَا لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ دُحُولٌ^(٩).
فَصَوْنُكَ لِي! إِنَّ الزَّمَانَ مُدِيلٌ^(١٠).

٤- ** أوصاف الناس ١٩٩ بغية الوعاة ٣١٥، نفع الطيب ٥: ٢٤٠، ٤٦٤-٤٧١،
٥٣٧؛ النبوغ المغربي ٤١٩ (التسلسل الثاني)- ٤٣١، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٦٧؛ الأدب
المغربي ٤٣٥-٤٣٧؛ الأعلام للزركلي ٤: ٣١٨ (١٦٩).

- (١) المشرق اليمع المضوع في «شرف» (بفتح ففتح)، وهو مكان في الشام: سورية.
- (٢) النوال: العطاء. الربع: المكان المكون. محيل (بالفتح): ما تحول وتبدل. الربع المحيل: الذي تركه سكَّانه (محرب).
- (٣) السهك: أحد نجمين أحدهما السهك الراجح وثانيهما السهك الأعزل. القبيل: القوم، الأهل.
- (٤) الندى (بتشديد الياء): مجلس القوم. الندى (بفتح ففتح): الكرم.
- (٥) الأبلج: الواضح، الأبيض (البشوش الوجه). النضار: الذهب.
- (٦) هام (تفتح، أحسن). جميل بن معمر وبنيته بنت جأ عاشقان من العصر الأموي.
- (٧) الحافق: الأفق. الحافقان: المشرق والمغرب (في جميع البلاد).
- (٨) فلا الرجل شيئاً عن شيء: عزله وسمه. والمقصود هنا: أفلت الرجل. الفلاة (الأرض الواسعة، البرداء). دخلها، سار فيها. ناصية الفلا (جمع فلاة): رأس الفلاة: المكان الصعب سها. الذميل: السير السريع. ركاب جمع ركوبة (الدابة) التي يركبها الإنسان للسر.
- (٩) عروف: مائلة (عن أعراض الدنيا وكارحة لها). دحول جمع ذحل (بالضم): تأثر.
- (١٠) أدال فلان فلاناً (من حصمه): أنصمه، أخذ له بحقه. - التركيب في النظر الثاني غير واضح.

الجزنائي الفاسي الكرياتي

١- هو أبو العباس أحمد بن محمد بن شبيب الجزنائي الكرياتي^(١) التازيُّ الدار ونزيلُ فاس.

قرأ الجزنائيُّ في بلده فاسَ على شيوخٍ منهم أبو عبد الله بن آجرؤم (ت ٧٢٣ هـ) وأبو عبد الله بن رُشيد (ت ٧٢١ هـ)، وقرأ في تونسَ على يعقوب بن الدارس، أخذ عنه علم الطبِّ والهيئة (الفلك).

ورأسَ الجزنائيُّ ديوانَ الكتابة في فاس في عهدِ عثمان المرينيِّ (٧١٠-٧٣١ هـ) ثم بضعَ سنّاتٍ من عهدِ أبنته عليٍّ (٧٣١-٧٥٢ هـ). وقد دخلَ غرناطةَ على عهدِ السابعِ من ملوكها الأميرِ محمدٍ^(٢) لقربٍ من ولايته، وأستغلَّ هنالك في الكيمياء وفي أمرِ الأدوية المُفردة (راجع الإحاطة، ص ٢٨٥). ولا نعرفُ شيئاً من أحداثِ حياته التاليةِ إلاَّ أنَّ وفاتهُ كانت في تونسَ بالطاعونِ يومَ عيدِ الأضحى من سنّة ٧٤٩ (١٣٤٩/٤/١ م).

٢- كان الجزنائيُّ الفاسيَّ فقيهاً وحاسباً وطبيباً وأديباً ناثراً مُتربّلاً وشاعراً. وهو يُجيد تقليدَ المارقةِ في الشعر والنثر، وفي نثره تكلفٌ أكثرُ مما في شعره. وشعره الآخُرُ

(١) ابن محمد - زيادة من الإحاطة (١: ٢٨٠).

(٢) في النبوغ المغربي (الجزنائي) «بشدة على النون (ص ٢٢٧) ولا حركة أخرى على الكلمة. ومثل ذلك فعل محمد بن تاويت الطنجي (التعريف بآين خلدون، ص ٤٨، الحاشية ١). أما محمد رضوان الداية فلم يجرهما (نثر فراند الجبان، ص ٣٣٥). وأما بروكلن (الملحق ٢: ٣٣٩) فاختار أن يجعلها «الجزنائي» (بفتح فسكون). - والكرياتي (الإحاطة ١: ٢٨٠)، نسبة إلى قبيلة من قبائل الريف المغربي (كذا). وفي الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، الجزء الأول، ص ١٣٩): المغربي (بالعين المصححة).

(٣) في الإحاطة (١: ٢٨٥): «دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد». ولكن السابع من ملوك غرناطة، عند لسان الدين بن الخطيب نفسه (اللمحة الدرية ١٠٢) هو يوسف بن إسماعيل بن فرج (مولده سنة ٧١٨ للهجرة، وجاء إلى العرش ٧٣٣ هـ، وتوفي ٧٥٥ هـ). أمّا السلطان محمد ملك غرناطة فيجب أن يكون السادس من ملوكها: محمد بن إسماعيل بن فرج، (٧٢٥-٧٣٣ هـ). كما في اللمحة الدرية (ص ٩٠) لسان الدين بن الخطيب نفسه. وقد ذكر عبد الله كُتُون (النبوغ المغربي ٢٢٧) أن الجزنائيُّ «كان كاتباً في ديوان الإنشاء عند أبي الحسن المريني»، وأبو الحسن هذا هو علي بن عثمان سلطان فاس (٧٣٢-٧٤٩ هـ). فليوفق القارىء بين هذه التواريخ.

عاديّ. غير أن أسلوبه متينٌ ومعانيه جَزَلَةٌ.

وكان للجزنائيّ الفاسيّ عناية بالعلوم الفلسفية والرياضية والطبيعية وبالصنعة (الكيمياء القديمة: الخرافية)، له في الصنعة: كتاب الأصداف المنفضة عن أحكام علم صناعة دينار الذهب من الفضة.

٣- مختارات من آثاره

- قال أحمد بن شعيب الجزنائيّ يرثي جارية له روميةً أسماها صُبْحُ (الإحاطة ١ : (٢٨٥):

يا موحشي، والبُعد دونَ لِقائه،
يُدينك مِنِّي الشوقُ حتّى إنسي
أدعوك عن شَحَطٍ وإن لم تسمع^(١).
لأراكَ رَأْيَ العين لولا أدمي^(٢).
وأحنُّ شوقاً للسيم إذا سرى
مجديثكم وأصبحُ كالمبتلع:
كان اللقاءُ فكانَ حظّي ناظري،
وسَطَ الفراقُ فصار حظّي سَمعي^(٣).
فأبعثَ خيالك تُهدِه نارَ الحشا
إن كان يجهلُ من مُقامي مَوْضي^(٤).

- قال الجزنائيّ الفاسيّ في الحماسة وحال الدنيا والناس:

عَجِبْتُ من الأيامِ أَنّي ألفتُها!
ولا بَسْتُ حالِها من الكُرهِ والرِّضا،
مُسالمةُ الأيامِ إحدى العجائب^(٥).
وقد شابَ رأسي وَهِيَ سُدُ الذوائبِ.
ومارستُ أبناءَ الزمانِ فلم أجدُ
أخا ثِقَةً، يا حارِ، غيرَ التجاربِ^(٦).

(١) التحط: البعد.

(٢) كثرة أدمي تحول بيني وبين رؤيتك (لو كنت حاضراً أمامي).

(٣) كان لقاؤنا حينما كنت أنت حياً. سطا يطلو: بطش أعندى، ظلم. صار حظّي ما أسمعه عنك.

(٤) أربل خيالك (في المنام) لتهدأ لوعتي قليلاً. وإذا كان خيالك لا يعرف مقامي (بضم الميم: مكان وجودي) فيكفي أن تشر نفسي به.

(٥) - عجبت (من نفسي) أنّي (كيف) استطلعت أن ألق الأيّام، فإنّ سالمة الأيام (العيش معها بأمان) أمر عجيب في ذاته.

(٦) باحار= يا حارث (أنتا الإنسان). لا أتق إلا بما عرفته عن تجربة.

مَلِيُونَ بِالْبُغْضَاءِ إِلَّا تَمَلَّقَا،
وَيَمَسُّ اللَّيَالِي عِفَّةً وَقَنَاعَةً،
وَقَضَّيْتُهَا حَسًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً
فَمَا لِي لِلْأُوطَانِ! هَلْ يُطَلَّبُ الْجَدَا
وَمَا كُنْتُ أَرْضَى أَنْ أُقِيمَ بِبَدَلَةٍ،
سَأَلْتُ مِنْ بِيَدِ طَلَّاحٍ أَنْجِدِ
حَلِيفَ سُرَى لَا يَسَامُ الْبَيْدَ وَالسُّرَى،
أَرْجِي بِهَا مِنْ عَزَمَتِي مُتَوَقِّدًا

وما هو إلا مثلُ إيساسِ حالب^(١).
وقد ضيفَ ذرعاً عن سَنَى مَارِي^(٢).
أَصْدَقُ ظَنِّي بِالْأَمَانِي الْكُؤَادِبِ.
مِنَ الْقَطْرِ إِلَّا كَاتِبًا فِي الْحَائِبِ^(٣)؟
فَكَيْفَ وَمَا سُدَّتْ عَلَيَّ مَذَاهِي؟
قَلِيلَ هُمُومِ النَّفْسِ جَمَّ الْمَطَالِبِ^(٤)،
طِوَالَ اللَّيَالِي فِي عِرَاضِ السَّبَاسِبِ^(٥)؛
فَأَحْسِبُنِي بَعْضَ النُّجُومِ الثَّوَابِقِ^(٦).

- وله من رسالة:

قد كان حنيني إلى سيدي - أطلال الله بقاءه وسنى لقاءه - موصولاً مع الاتصال،
ودائماً مع البكر والأصال^(٧). لا تلحقه فترة فأضيل فيها عن هديه الواضح الأمام^(٨)،
وأظلل فيها من سواه عاكفاً بأعلى صنم^(٩)؛ ومنظر العيش أنيق، وغصن الشيبه
وريق^(١٠)، والدهر جمع ولم يحسن التفریق.... والدار حريّة بما تهوى الأنفس، واليد

- (١) ملي = ملوه. الإيساس: التلطف والداراة. ولعلها هنا: المرّي (بفتح فسكون): ذلك ضرع البقرة بشيء قليل من حليبها لتدرّ.
- (٢) سَنَى: ساني (أحسن المعاشرة). والشاعر يقصد: حصول، تحقيق.
- (٣) الجدا: العطاء. القطر: المطر.
- (٤) أنجد جمع نجد (أرض عالية، صعبة المرتقى).
- (٥) البيد جمع بيهاء (الأرض الواسعة). السرى: السير ليلاً. السبب: المغازة (الصحراء الواسعة التي يتيه فيها السائر).
- (٦) أرجي: أرسل، أبعث. متوقداً: مشتعلًا (رجلاً شيطاً). ثاقب: شديد اللعنان (كأنه يثقب الليل).
- (٧) سنى لقاءه: أحسن معاملته (؟) (يقصد: قرب). السكره (بالضم): وقت الصباح. الأصال جمع أصيل: الوقت عند العصر (منتصف الزمن بين الظهر والمغرب).
- (٨) فترة: هدوء، كسل. أمم: قريب.
- (٩) بأعلى (يجب أن تكون «على»)، عاكف على صنم: جامد لا يتصرف في أمر.
- (١٠) أنيق: جميل، يحسن في العيون: النفس: الجديد، الطري. وريق: عليه ورقه (الأخضر)، في مطلع الشاب.

مليئةً بضار العُقار تَصْرِفه في لَجين الأكوُس^(١)، وشمَلنا المُنتظِمُ عِقْدٌ على لَبَةِ^(٢) الزمان، وليالينا في مُقلته كُحْلٌ وفي وَجَنَتِهِ خَيْلانٌ^(٣). فكيف وقد عادَ الدهر بجَوْرِهِ وَسَطاه، فشتَّ عِقْدٌ شمَلنا وأذهبَ وَسَطاه^(٤)، وأرانا من حَدَثانِهِ عَجَباً؟....

٤- ** شير فرائد الجمان ٣٣٥-٣٤٣؛ الإحاطة ١: ٢٨٠-٢٨٥؛ أوصاف الناس ١٠٦-١٠٧؛ نيل الانتهاج ٦٨؛ النبوغ المغربي ٢٢٧، ٧٣٠-٧٣٢، ١٩٣٣؛ الأدب المغربي ٢٤٣-٢٤٩.

ابن الصائغ المغربي

١- هو مُحِبُّ الدين أبو عبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الله بنِ مُحَمَّدِ بنِ لُبِّ بنِ الصائغِ الأُمويِّ القُرشيِّ المَغْرِبِيِّ، قرأ على أبي الحسن بن أبي العيش وعلي الخطيب بن علي التنجاطي (بغية الوعاة ٦٠).

جاء ابنُ الصائغِ المَغْرِبِيُّ إلى مِصرَ قَلْبِي فيها، سَنَةَ ٧٢٨ هـ (١٣٢٧-١٣٢٨ م) ابنَ أُنَيْكَةَ الصَّمْدِيِّ صاحبِ كتاب الوافي بالوَقِيَّاتِ وقرأ مَعَهُ صَحيحَ البُخاري على شهاب الدين أحمد بن المُرْحَلِ النُحويِّ وعلي فتح الله بن سَيِّدِ الناسِ وعلي أبي القاسمِ أخي أبي الفتح. وكان في مِصرَ مُلازماً لأثير الدين أبي حَيَّانِ الغُرناطِيِّ (ت ٧٤٥ هـ). وحجَّ ابنُ الصائغِ المَغْرِبِيُّ ومدَّحَ قاضي مَكَّةِ نجم الدين مُحَمَّدَ بنَ مُحَمَّدِ الطبريِّ (ت ٧٣١ هـ).

عاش ابنُ الصائغِ المَغْرِبِيُّ في قَفرٍ شديدٍ، ثم كانت وفاتُهُ في مِصرَ بالطاعونِ، سَنَةَ ٧٤٩ هـ، (١٣٤٨ م).

-
- (١) الدار: المسكن، البلد، الوطن. خرية: مستحقة. الضار: الذهب. العقار: الحمر. الأكوُس جمع كأس.
 في لَجين (فَصَّة) الأكوُس: في كووس من الزجاج الأبيض كالفضة.
 (٢) اللَّبَةُ: الصدر.
 (٣) خيلان: تكبير.
 (٤) الجور: الظلم. سواه (بفصد سطوته ويطنه). سواه (٥) - يستقيم المعنى إذا حذفنا الماء من الكلمتين. سطا (فعل ماض): بطش. وسط (بفتح فتح): الاعتدال.

٢- كان ابن الصائغ المغربي عارفاً بالنحو والمروض واسع المعرفة باللمة. وكان ينظم الشعر ويأتي أحياناً بالقوافي النادرة مع لزوم ما لا يلزم. وكان بارعاً في الضرب على العود.

٣- مختارات من شعره

- لما كان ابن الصائغ المغربي في مكة أشده قاضياً نجح الدين الطبري قصيدة كافية من لزوم ما لا يلزم مطلعها (راجع الوافي بالوفيات ١: ٢٢٩):

أشبهت البدر التمام إذا بدا حسناً، وليس البدر من أشباهك!
فأشبهت هذه القصيدة ابن الصائغ. فأرضها بقصيدة مدح بها نجح الدين. من هذه القصيدة:

رقي لِحْجَمِ رَقٍّ مِنْ دَنْفِ الْهَوَى؛	وَشِفاء ما تَحْوِيهِ حَوْ شِفاءِكِ ^(١) .
وَسَنْ تَقَى وَسَيَ فَمَنْتُ وَلَمْ أَنْتِ،	ما لَيْلَةُ السَّاهِي كَلِيلِ السَّاهِكِ ^(٢) !
إِنِّي سَمِنتُ الزَّهْرَ بِلَّ عِيونِهِ	طَلُّ فَأَنبَهُهُ لَدَى إِنبَاهِكِ ^(٣) ،
زَمَماً أَرَدَدْتُ آهَةَ الشُّغُوفِ مِنْ	حُرْقِي، فَتَحَكِيئِي تَرَجُّعِ أَهِكِ ^(٤) .
أَنْضَارِي، أَشْتَمَلَ الشَّيْبُ فَأَنْضَبْتُ	شَمَلَ الحِمْنا ما راق من أمْواهِكِ ^(٥) .
حَلَكُ المَفارِقِ قَدْ تَنْفَسَ صُبْحُهُ؛	يا نَفْسُ، هُبِّي مِنْ كَرَى اسْتِمْهاِكِ ^(٦) ،

(١) رقي (من الرقة: الحنو، المطف). رقي: أصبح رقيقاً (نحيل الحسم). الدنف: الهلاك (الموت). شفاء = شفاؤه. الحوة (بالضم): السرة (في الشفاء).

(٢) الوس: النوم. وسن (وسنك = نومك مطمئنة غافلة عني) نفى (منع) وسي (نومي أنا، لأنني معدب بحبك) الساهي (الغافل) كليل (مثل ليل) الساهك: الرمد (بفتح فكسر)، الذي أصابه مرض في عينيه.

(٣) الطل: المطر الخفيف، قطرات من الماء تتجمع في الليل على ورق الشجر. - لما انتهت أنت من النوم، فتحت الأزهار.

(٤) الشغوف: الحب الذي وصل الحب إلى شفاف (غلاف) قلبه فأمرضه. أردد التأوه من هجرك منذ زمن طويل. تحكيئي (تسهي، تقلدني) ترجع (ترديد، تكرار) أهك (قولك: أه). - ؟.

(٥) أنضاري = يا نضاري (زهو شباني) التي كانت لي قدماً. أنضب: جفف. اشتعل الشيب: عم الشيب رأسي. - راق: صفا. أمواه جمع ماء. - ؟.

(٦) حلك (ظلام). المارق جمع مفرق: مكان فرق الشعر في الرأس. قد تنفس صبحه (ظهر فيه الشيب). الكرى: النوم. استمهاه = العمه (بفتح فتحح): الممي: العملة.

يستدهونك للنسيب، فشرقي
 قاضي الشريعة والمقيم مَنَارَهَا
 يا نفس، إني قد نَقَّهْتُ من الغنى،
 هذا الجَوَادُ بما حوى أَمْنَاهُ فِي
 يَسْخُو بما يُوعِي، ويظني ما يَمِي،
 دارت رَحَى الأَزْمَات تَبْنِي جَارَهُ
 أُمَّ القُرَى، قد جَارَ مَنْ أُمَّ القُرَى
 ناسبتُ غُرَّتَهُ وبيتَ نَسِيهِ
 يا فِكْرَةَ بَدَّهْتُ بأبدعِ مُلْحَةٍ،
 بشريفِ مَكَّةَ مُنْتَجِ اسْتِيْدَاهِكِ (١)،
 حيثُ المَقَامُ وحيثُ بِنْتُ إِلهِكِ (٢).
 ولقد غَنَيْتُ اليَوْمَ بِاسْتِنْفَاهِكِ (٣).
 إِفْقَارِ كَيْسِ المَالِ أَوْ إِزْهَافِكِ (٤).
 كَم بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِي وَنِفَاهِكِ (٥).
 فَأَجَارَهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ دَاهِكِ (٦).
 بِنِئَاءِ بُدْنِكِ كُلِّهَا وَشَاهِكِ (٧).
 فَأَعَدَّتْ «لَيْسَ البَدْرُ مِنْ أَشْبَاهِكِ» (٨).
 مَا أَقْرَبَ الإِبْدَاعِ مِنْ إِبْدَاهِكِ (٩)!

- (١) يستدهونك للنسيب (يطلبون منك أن تقولي بديهة - بغير استعداد - نبأ)، فلا تضيعي وقتك وجهودك بقول النسيب، بل امدحي بهذه البديهة شريف مكة... شريف مكة: حاكمها، الوالي عليها. المنتج (مبنيًا للمفعول: المنتوج، المولود).
- (٢) مَنَارَهَا: مفعول به من «القيم». المقام: مقام إبراهيم (قرب الكعبة). بيت الله: الكعبة.
- (٣) نَقَّهْتُ الرجل من المرض (شفي منه). نَقَّهْتُ من الغنى (افتقر). استنفاهك، يا نفسي أنا... الذي يريد أن يشفيني من الفقر).
- (٤) أَمْنَاهُ (يقصد: أمنته، مراده) أَرْفَاهِكِ (أَنْ يَجْعَلَ لَكَ، يَا نَفْسِي، رِفَاهِيَةَ: سَعَةَ مِنَ العَيْشِ النَّاعِمِ).
- (٥) يَسْخُو: يجود. أوعى الشيء: يوعبه (وضعه في وعاء. حفظه) - يجود بكل ما يملك. يظني (؟): يمي: يحفظ، يجمع (من المأل). - يرى أن جمع المال من غير انفاقه على المستحقين ظلم (؟). كَم بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِي وَنِفَاهِكِ: كَلَّ مَالٌ (مَهَا يَفْلُ) يَجْعَلُكَ، يَا نَفْسِي، نَاقِمَةً مِنْ فِتْرِكَ (غِنَةٍ).
- (٦) الأَزْمَةُ: الشدة، الضيقة (الفقر). الرَحَى (بالألف الطويلة أو بالألف المتصورة): الطاحون. دارت الرَحَى (اشتدَّتْ الحَالُ عَلَى الإِنْسَانِ).
- الدهاك: الطاحون (الغنيب، الشديد).
- (٧) أُمَّ القُرَى (مَنَادِي): يَا أُمَّ القُرَى (مَكَّة). جَارٌ: استجار. مِنْ «أُمَّ» (قَصْدُ القُرَى (بِالْكَسْرِ): الضِيافَةُ. النِئَاءُ (بِالْكَسْرِ): البَاحَةُ. البَدْنُ (بِالضَّمِّ) جَمْعُ بَدَنَةٍ (بِمَتْحِ فَتْحِ): الحَيَوَانَاتُ الَّتِي يَبْقَى لِبَدَنِهَا فِي مَوْسَمِ المَلْحِ فِي مَكَّةَ. النَّاءُ = الشَاءُ جَمْعُ شَاةٍ. - مِنْ اسْتِحَارِ بَكَ (يَا مَكَّةَ) اسْتَحَقَّ كُلَّ عَطِيَّةٍ (؟).
- (٨) أَرَدْتُ أَنْ أَمْدَحَ وَضَاءَهُ وَجْهَهُ فِي شِعْرِ. فَأَعَدَّتْ: رجعت، عجزت (؟) فرددت الكلام الذي قلته أنت في مطلع قصيدتك: «ليس البدر من أشباهك». - لم أقبل أن أشبهه بالبدر، لأن البدر لا يشبهه (؟).
- (٩) فأجأتني فكرة معارضة قصيدة بحم الدين الطبري، بأبدع ملححة (تطرّفًا). في الأصل: الإبداع بعد «ما» المنجيّة. لعلّ جعل «ما» حرف نفي والإبداع فاعلاً أوضح. لم يصل إبداعني (مقدّرني في الشعر) إلى مستوى الفكرة التي حطرت لي (وهذا ملموح في البيت التالي).

عَرَضْتِهَا لِمَعَارِضٍ لَمْ يَخْكِيهَا . أَنَّى ، وَقَد لَزِمَتْ قَوَائِمَهَا هَكَذَا (١) .

٤-★★ الوافي بالوفيات ٣: ٣٧٥-٣٧٨، راجع ١: ٢٢٩؛ الكتيبة الكامنة ٨٨-١٩٠؛
بغية الوعاة ٦٠، شذرات ٦: ٢٦٥؛ درة الحجال ٢: ٣٠٣-٣٠٥؛ نفع الطيب ٤:
٣٣٧-٣٣٦ .

أبو الغلاء بن سماك (٢)

١- هو أبو الغلاء محمد بن محمد بن سماك بن عبد الحق بن سماك العاملي الغرناطي،
سَمِعَ من أبي الحسن بن أبي العيش وأبي عبد الله بن الفَخَّار وأبي عبد الله بن بكر وأبي
القاسم بن جُزَيٍّ، وكتب في الدار السُّلْطَانِيَّة (في غرناطة). ثم كانت وفاته في المحرم من
سنة ٧٥٠ (مطلع الربيع من عام ١٣٤٩ م).

٢- كان أبو الغلاء بن سماك بارعاً في الأدب شاعراً مُكْتَرِأً، فيما يبدو، يَغْلِبُ على
شعره المَدْحُ ووصفُ الحربِ وأشياء من التأمُّلِ والحِكْمَةِ مَعَ نَفْحَةٍ صُوفِيَّة. وبرع في علم
العروض. ثم كانت له مشاركة في علم السياسة. وكذلك كان مُصَنِّفًا له: الزُّهْرَاتُ المنثورة
في نكبات الأخبار الماثورة - الدر الثمين في مناهج الملوك والسلاطين - رَوِّقَ التحبير
في حُكْمِ السياسة والتدبير.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو الغلاء بن سماك في الوحدة والانصراف إلى العلم والإفادة بالعلم:

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا كِتَابٌ وَخَلْوَةٌ أَكُونُ بِهَا بِاللَّهِ ثُمَّ مَعَ اللَّهِ (٣)؛

(١) لم يحكما: لم يستطع أن يأتي بما يحكما (بشيء). أنى؟: كيف؟ إن القافية «هك» أمر صعب.

(٢) سماك (غير حملة باللام وغير مضبوطة بالشكل فيما لدي من الكتب). وأبو الغلاء بن سماك هذا هو غير
أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الحياقي المعروف بابن السمان (ت ٦٤٠ هـ) وكان أيضاً شاعراً (المدح الملقى
١٣٤: نفع الطيب ٣: ٣١٤-٣١٥).

(٣) الخلوَّة (بالهمس): الوحدة (بالكسر). بالله ومع الله (هنا) من تعبير الصوفية: في حال أسعها الله علي ثم
متصلاً بالله (شيئاً واحداً مع الله).

وأشْرُ من ذاك الكتابِ معارفاً لكلِّ مُنيبٍ للمُهَيِّمِ أَوْاهِ (١).
 - وقال أبو العلاء بن سماك يمدحُ السلطانَ ويذكرُ أَسْتَرْدَادَ حِصْنِ كانَ الإسبانُ قدِ
 اسْتَوْلَوْا عليه (الكتيبة الكامنة ١٩٩):

فَتَحَّ تَلَقَّى النَّصْرُ مِنْهُ تَحِيَّةً من لَفَظِهَا ماءَ البِشَاةِ يَقَطُرُ
 فَتَحَتْ سَيْوُفُكَ كَرِيكُولَ، وَإِنَّهُ فِي الفَتْحِ عُنْوَانٌ لِمَا هُوَ أَكْبَرُ
 ثَغْرٌ عَلَى الأَرْضِ الفِضَاءِ طَلِيعةً، فَلَهُ عَلَى كَلِّ البَسِيطَةِ مَظْهَرٌ (٢).
 يَرُونِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ كَأَنَّهُ لِحَظِّ يَضُمُّ عَلَيْهِ مِنْهَا مَخْجِرٌ (٣).
 مَا أَنْ يَشُنُّ الكُفْرُ يَوْمًا غَارَةً إِلاَّ وَبِالمِغْوَارِ مِنْهُ مَنذِرٌ (٤).
 صَبَدَ العُدَاةُ عَلَيْهِ أَمْنَعُ مَغْفَلٍ مُمْتَلِئِينَ بِأَنَّهُ لَا يُحْصَرُ (٥).
 فَسَمَتْ جَبُوشُكُ مِنْهُ أَعْلَى شَاهِقٍ يَرْتَدُّ عَنْهُ الطَّرْفُ وَهُوَ مُحَيَّرٌ (٦).
 فِي رَأْسِ سَنْ لَا تُغَامُ سَاؤُهُ، مِنْ دُونِهِ قَطَرُ الغَمَامِ المُمْطَرُ (٧).
 فَكَانَ هِرْمِسٌ بَتَّ حِكْمَتَهُ بِهِ، وَأَذَقَّ فِيهِ فِكْرَهُ الإسْكَندَرُ (٨).

- (١) أَوْاه: كثير النضج والدعاء. المنيب (الراجع إلى الله: النائب). المهيم من أسماء الله الحسنى.
 (٢) الثغر: المكان مجشئ منه مجيء العدو. الأرض الفضاء: الواحة. طليعة: مقدمة من الجيش تراقب
 تحرك العدو. البسيطة: الأرض (الكرة الأرضية). مظهر: إشراف أو نظر من مكان مرتفع (ظهر فلان
 البيت: صبد إلى طهره أو سطحه).
 (٣) يرون: ينظر. المحجر: التجويف الذي تستقر فيه العين.
 (٤) المغوار: المغائل الكثير العارات على أعدائه. منذر (بالبناء للمجهول؟): يأتي العدو بالنبا الشيء. كلما
 شن الإسبان غارة وقتت عليهم (من هذا المغوار) هزيمة.
 (٥) المغفل (المحصن) المنيع (الذي ينجز المهاجم عن الوصول إليه). متملئين (أو متحيلين). يحصر (يمكن
 إقامة طوق من الحصار حوله).
 (٦) الطرف: البصر.
 (٧) الس: المكان المرتفع (؟) كسن الرمح (؟). في الحاشية (شق). لا تغام ساؤه: لا يصل الغيم إلى أعلاه.
 الممطر (بالبناء للمعلوم؟) - الغيوم التي تتمر تكون تحته.
 (٨) هرمس اسم لعدد من الأشخاص الحزاقين. هرمس هنا هو هرمس الأول الذي استخرج بفكره جميع
 علوم الأقدمين. بت: نشر. به (؟). الإسكندر (الافروديسي) فيلوف قديم كان بارعاً في العلوم
 الحكيمية، وقد فسّر أكثر كتب أرسطوطاليس

فَصَفَا مِنَ النَّعَقِ الْمُنَارِ عَلَيْهِمْ بُرْدٌ بِأَطْرَافِ الرَّمَاحِ مُحَبَّرٌ^(١).
 فَاسْتَنْزَلُوا مُسْتَلِمِينَ، وَرَبِيًّا أَعْيَا الْحِمَاةَ حُلُولُ مَا لَا يُقَدَّرُ^(٢).
 أَلْقَوْا يَدَ الْإِذْعَانِ خِيْفَةً هُلُكِيَهُمْ، وَضُلُوعُهُمْ تَسَدَّقُ أَوْ تَسْفَطُرُ^(٣).

٤- ** الكنية الكامنة ١٩٨-٢٠٠: الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٧٨ (رقم
 ٤٨٢)- (القاهرة) ٤: ٤٩٥-٢٩٦ (رقم ٤٣٤): الأعلام للزركلي (٧: ٣٦).

ابن ليون التنجيبي

١- هو أبو عثمان سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التنجيبي^(١) أصله من لورقة
 ومولده سنة ٦٨١ هـ (١٢٨٢ م) في المريّة، وفيها قضى حياته كلها لم يُغادرها قط.
 وتصدّر فيها للتدريس. وكانت وفاته بالطاعون، في رابع عشر جمادى الآخرة من سنة
 ٧٥٠ (١٣٤٦/٨/٤١ م).

٢- كان ابن ليون التنجيبي مشاركاً في عددٍ من فنون المعرفة: في الطب (وكان
 طبيباً ماهراً) وفي الحكمة (الفلسفة) والفقهاء والفرائض (تقسيم الإرث) والمباحة (الهندسة
 المسوية) والعروض. وقد كانت له قدرة على النظم يتناول الآراء المختلفة فينظمها في
 مقطعات (من البيتين والثلاثة): يقتبس من القرآن الكريم والحديث الشريف ومن شعر
 الشعراء ومن الأقوال الشائعة. وشعره واضح المعاني سهل التركيب ينوء أحياناً كثيرة

(١) ضفا: امتد (فوق رؤوس الأعداء). النعق (بالفتح): غبار الحرب. بُرد: ثوب من حرير. محبّر: مزين،
 منقح.

(٢) استنزل الحفمُ حصنه من الحصن (أجبره على النزول). أعيا الحماة (مفعول به مقدم) ما لا يقدر
 (بالبناء للمجهول) المعنى الملموح: إن حماة الحصن (من الإسيان) قد أعياهم (أتمهم، أعجزهم) حلول
 (البقاء في الحصن) لأن الله لم يقدر (لم يشأ) لهم ذلك.

(٣) الإذعان: الخضوع. ألقوا (بفتح القاف) يد الإذعان: استسلموا وخصموا. الهلك (بالضم): الهلاك. اندق
 (أصبح دقيقاً أو طحياً). تسفطُر: تسقَط، تسقط (من الخوف؟).

(٤) هو غير سعد بن أحمد التنجيبي الموندي الجبائي (محو ٦٦٢ - ربيع شعبان ٧٢٢) أحد شيوخ الثوري
 والفنبا (نيل الانبهاج ١٢٤-١٢٥).

بأشياء من الضَّعْف (في النَّحْوِ وفي الوزن)، ولا تَكَادُ تَلْمَحُ له ابتكاراً، وكثيرٌ من معانيه مُكرَّرٌ في مقطعاتٍ عديدة. ثم هو مُكثِرٌ اختارَ له المقرئُ ما ملأ به أكثرَ من خمسين صفحةً من «نفع الطيب».

وابنُ ليونَ التُّجَيْبِيُّ مُصَنَّفٌ مُكثِرٌ له ثلاثون كتاباً (وقيل: مائة كتاب)، منها: أَدَاءُ الدَّيْمِ في الوصايا والمواعظ والحكم (انتهى من تأليفه في منتصف شعبان من سنة ٧٣١) - الأبياتُ المهذبة في المعاني القربة - نُصح (نصائح؟) الأحاب وصحائح الآداب - المُعدة في علوم الإسناد (الحديث الشريف) - إبداء الملاحاة وإنهاء الرُّجاحة في أصولِ صِناعةِ الفِلاحة (رجز) - كتابٌ في الهندسة - كتابٌ في الفلاحة - كمالُ الحافظ وجمالُ الالفاظ في الحكم والوصايا والمواعظ.

واختصرَ ابنُ ليونَ التُّجَيْبِيُّ عدداً من الكتب منها: لَمَحُ السَّحْرِ في رُوحِ السِّعْرِ (لحمدي بن أحمد بن الجلاب الفهري) - أتمَّ اختصاره سنة ٧٣٩ هـ) - بُغِيَّةُ المُوَاسِ من «بهجة المجالس وأنس المجالس» (لابن عبد البر) - المرتبة العُلَيَا (لابن رشاد القفصي) - التُّخْبَةُ العُلَيَا من «أدب الدين والدنيا» (لأبي الحسن الماوردي) - الإنبالة العِلْمِيَّة «من رسالة في أحوال فقراء الصوفية المتجردين» (لعملي بن عبد الله الشستري).

٣ - مختارات من شعره

- من مقطعاته في الأدب (الحكمة):

* شرُّ إخوانك من لا	تهدي فيه سبيلا:
يُظهِرُ الوُدَّ ويُخفي	مكره داءٍ دَخِيلاً؛
يَتَّقِي منك أَمَّاءً	وهو يُؤَلِّيكَ الجميلاً!
* لَنْ لِمَنْ تَخشى أذاهُ	والقَهُ في بابِ داره.
إِنَّا الدنيا مُدارا	ة؛ فَمَنْ تَخشاهُ داره!
* إذا كانت عيوبك عند نقدي	تعدُّ، فأنتَ أجدَرُ بالكَمالِ.
مَتى سَلِمْتَ من النَّقْدِ البرايا؟	وحَبُّكَ ما تُشاهدُ في الهلال!

* سَكْرُ الْوِلَايَةِ مَا لَهُ صَحْوٌ، يَهْدِي الْفَتَى أَيَّامَ عِزَّتِهَا، فَحَدَارٍ، لَا تَفْرُزُكَ صَوْلَتُهَا * خَلَّ رَأْيَ الْجُهَالِ مَا أَسْطَغَمَتْ وَأَتْبَعَ رَأْيَ أَهْلِ الصَّلَاحِ نَوْرٌ يُجَلِّي * زَمَنُ الْفَضَائِلِ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ، رَكَدَتْ رِيَّاحُ الْحِدْيِ بَعْدَ هُبُوبِهَا، هَيْهَاتَ، مَا زَمَنُ الْكِرَامِ وَمَا هُمْ؟ * لَا تُقْبَلُ الْحُكْمُ عَلَى بَلَدِيَّةِ رِيَاسَةِ الْمَرْءِ عَلَى الْأَهْلِ وَالِ * تَغَافَلْ فِي الْأُمُورِ وَلَا تُتَاقَشْ مُنَاقَشَةَ الْفَقِي تَجْنِي عَلَيْهِ * جَرَّبَ النَّاسَ مَا أَسْطَغَمَتْ تَجْدُهُمْ فَالسَّعِيدُ السَّعِيدُ مَنْ أَخَذَ الْعَفْ * أَرْحَ النَّفْسَ تَتَنَفَّعَ بِحَيَاتِكَ وَاطْرَحَ عَيْنَ مَنْ سِوَاكَ، وَسَلِمَ وَاعْتَبَرَ بِالَّذِينَ بَادَا، وَبَادَرَ

وَكَلَامُهَا وَجِرَاكُهَا زَهْوٌ. فَإِذَا تَقَصَّصْتَ نَابَهُ شَجْوٌ^(١). وَزَمَانُهَا، فُتُبُوتُهَا مَخْوٌ^(٢)! رَأْيَ أَهْلِ الْحُلُومِ وَالتَّجْرِيْبِ. ظُلْمَةَ الْكَرْبِ فِي لِيَالِي الْخُطُوبِ. وَلَوَى بِطَيْبِ الْعَيْشِ وَشَكَرَ حَيْلَهُ^(٣). وَعَلَا فَرِيقُ الْهَزْلِ بَعْدَ خُمولِهِ^(٤). ذَهَبُوا؛ وَجَدَّ الدَّهْرُ فِي تَحْوِيلِهِ. نَشَأَتْ فِيهَا؛ إِنَّهُ يُحَقِّدُ! حَيْرَانَ وَالْحِلَّانَ لَا تُحَمِّدُ. فَيَقْطَعُكَ الْقَرِيبُ وَذُو الْمَوَدَّةِ. وَتُبْدِلُهُ مِنَ الرَّاحَاتِ شِدَّةِ. لَا يَرَى الشَّخْصَ مِنْهُمْ غَيْرَ نَفْسِهِ. وَذَارَى جَمِيعَ أَبْنَاءِ جَنِيَّةِ^(٥). وَأَغْنَمَ الْعَيْشَ قَبْلَ يَوْمِ وَقَاتِكَ. جُمْلَةَ النَّاسِ يَمْفَلُوا عَنْ أذَاتِكَ^(٦). مَا يُدَانِيكَ مِنْ سَبِيلِ نَجَاتِكَ .

(١) نابه: أصابه. شجو: حزن.

(٢) ... لا يفرق (يفرق) بين صولة الدنيا من صولة (سلطة). الثبوت والهو (من اصطلاحات

الصوفية). الثبوت (ها - في المعنى اللغوي): وجود السلطة في يدك (في الدنيا). هو: ذهاب لخصيتك

(الهو - عند الصوفية - أن يتلاشى وجود الإنسان ويبقى وجود الله).

(٣) وشك: قرب.

(٤) ركذ: هدا، سكن.

(٥) العفو (هنا): ما يفضل عن لباس (لا تراحم أحداً على مغم من مغانم الدنيا، واقع بما يتركه تماماً لا

يحتاجون إليه).

(٦) «من» (زائدة)، زادها الشاعر لإقامة الوزن). أطرَح: ترك، أراح عن عاقته.

٤-★★ الكتيبة الكامنة ٨٦-٨٧؛ نيل الابتهاج ١٢٣-١٢٤؛ درة المجال ٢:
 ٤٦٧-٤٧٠؛ نفع الطيب ٥: ٥٤٣-٦٠٣؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة
 الأولى) ٤: ٨٥٥؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٨٠، الأعلام للزركلي ٣: ١٣٢
 (٨٣-٨٤).

محمد البدرى

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد البدرى الأندلسى، قرأ على أبي جعفر بن الزيات
 وعلى آبن الكماد، وأخذ أصول الدين وأصول الفقه (؟) والنحو عن أبي عمر بن منظور
 ولازمه. وقد حج، ويبدو أنه - وهو في طريق ذهابه أو إيابه - قد أخذ الفقه عن أبي
 عبد الله بن عبد السلام في تونس. ثم إنه عاد إلى الأندلس وأقرأ في بلده بلش. وكانت
 وفاته سنة ٧٥٠ للهجرة (١٣٤٩ م).

٢- كان أبو عبد الله محمد البدرى حسن التلاوة للقرآن الكريم، جيد المعرفة بالفقه
 وأصول الدين وخطيباً بليغاً حسن الوعظ. وكذلك كان شاعراً مجيداً رقيقاً غزلاً.

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله محمد البدرى في النسيب (نيل الأبتهاج ٢٤٩):

خالٌ على خدك أم عنبرٌ ولؤلؤٌ ثمرٌ أم جوهر^(١)؟
 أوريث نار الحبّ (بي) في الحشا، فصارت النارُ به تُنكر^(٢).
 لو جُدت لي منك برشف اللّمي، لقلّت: خرّ عسلٌ سكر^(٣).
 دغني في الحمى أذنب لوعة، سفك دم العاشق لا يُنكر.

٤-★★ نيل الابتهاج ٢٤٨-٢٤٩؛ عنوان الأريب ١: ١٠٢-١٠٣.

(١) المنبر: طيب أسود اللون. الجوهر (هنا): اللؤلؤ أيضاً.

(٢) البيت في الأصل: نار الحبّ في الحشا فصارت الناس.... تُمر (بالياء للمجهول): تُوقد، تُسفل.

(٣) اللّمي: سُمره النفاه (كتابة عن الرقيق).

ابن المراح

١- هو أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الأزديّ الغرناطيّ، وُلد في بلشَ قرب مألقة، قضى حياته يتطوَّف في الأندلس وفي المغرب يتقرَّب من الحكام بغيَّة التكبُّب منهم. ولكنه لم ينل حظوة ولا شهرة - لا في المغرب ولا في الأندلس نفسها. وكانت وفاته في بلش بالطاعون، سنة ٧٥٠ (١٣٥٠م).

٢- كان ابن المراح من طبقة متوسطة في النائرين والشعراء كثير الهجاء، وهو يمثل الطريقة الساسانية في الأندلس (الاستجداء بالأدب). وليس في شعره براعة خاصة إلا في رثائه للديك. وقد رثى والدَ ابن الخطيب وأخاه بعد استشهادها في وقعة طريف (سنة ٧٤١) ثم مدح ابن الخطيب نفسه (سنة ٧٤٩). وأبرز آثاره «مقامة العيد» (عبد الأضحى).

٣- مختارات من آثاره

- من مقامة العيد لأبي محمد الأزديّ بن المراح:
يقولُ شاكِرُ الأيادي وذاكِرُ فخرِ كل ناد وناثرِ غررِ الغررِ للعاكفِ والبادي
والرائحِ والغادي^(١): اسمعوا مِنِّي حديثاً تلذُّهُ الأسماعُ ويستطرفه الاستماعُ ويشهدُ مجسِّبه
الإجماعُ، وهو من الأحاديث التي لم تتفق إلا للثلي ولا ذُكرت عن أحدٍ قبلي.
وذلك - يا مشرَّ الألفاء والحُلصاء والأجباء - أني دخلت في هذه الأيام داري في بعض
أدواري لأقضي من أخذ الغذاء أو طاري على حسب أطواري. فقالت لي ربة البيت: لم
جئتَ ولم أتيت؟ قلتُ: جئتُ لكذا وكذا، فما الغذاء؟ قالت: لا غذا عندي اليوم ولو
أودى بك^(٢) الصومُ، حتى تسل الاستخارة وتمعل كما فعل زوجُ الجارة طيب الله نجاره

(١) شاكِرُ الأيادي (الثنى على الدين أنعموا عليه)، والمقصود به ها «الراوي» الذي يروي المقامة عن المجلس الذي يرد ذكرها فيه. الغرة: البياض في الجهة. العمل الجميل. ناثر غرر الغرر: ناثر ذكر الأعمال الجميلة. العاكف: القائم في بلده (المدنية). البادي (الساكن في البادية). الرائح: الراجع في المساء. الغادي: الذهاب (المسكّر) في الصباح.

(٢) أودى بك: أهلكك. الصوم: (ها) الجوع. الاستخارة: طلب خير ما في الأشياء. تسل الاستخاره (٢).

وملاً بالأرزاق وجاره^(١). قلت: وما فعل؟... قالت: إنه قد فكّر في العيد ونظر في أسباب التعميد وفعل في ذلك ما يتحسّنه القريب والبعيد. وأنت قد نسيت ذكره ومخوته من بالك ولم تنظر إليه نظرة بعين اهتالك. وعيد الأضحى في اليد^(٢) والنظر في شراء الأضحية (اليوم) أوفق من الغد.....

فلم يسنني إلا أن عدوت أطوف السكك والشوارع وأبادر لما غدوت بسبيله وأسارع، وأجوب الآفاق وأسأل الرفاق، واخترق الأسواق واتحتم زريبة بعد زريبة واختبر منها البعيدة والقريبة. فما استرخصته استنقصته، وما استغلّيته استغلّيته^(٣).... حتى انقضى لثلاثي يومي وقد عيّبت بدوراني وصومي.... فأومأت^(٤) للإياب وأنا أجد من خوفها^(٥) ما يجد صغار الغنم من الذئب، إلى أن مررت بقصّاب في مجزرة وقد شدّ في وسطه ميزره..... وبين يديه عنز قد شدّ يديه في روقيه^(٦)، وهو يجذبه فيبرك، ويجره فلا يتحرك، ويروم سيره فيرجع القهترى ويعود إلى ورا، وهو يقول: آه له من جانٍ باعٍ وشيطان طاعٍ^(٧).....

فقلت للقصّاب: كم طلبك فيه على أن تُمهّل الثمن حتى أوقيه. قال: ابغني أجيراً وكُنْ له الآن من الذبح مجيراً^(٨). وخذه بما يرضى لأولي التقصي.... ابتمه مني نسيّة وخذه هدية^(٩).... وقال: تضمن لي فيه عشرين كباراً أقبضها منك لانقضاء الحول

(١) التجار: الأصل. الوجار: بيت التعلب، (ها) البيت عموماً.

(٢) الاهتال: أنتهاز الفرصة، التمسك بالشيء. في اليد: قريب.

(٣) ما وجدته رخيص الثمن كان ناقصاً في عيني (لا يلقى، لا يكتفي) وما كان غالي الثمن كان عالياً (جيداً أو فوق طاقتي).

(٤) عي: تمب. أوما: أثار.

(٥) الإياب: الرجوع (إلى البيت). من خوفها (من الخوف من ربة الدار: من أمرأتي).

(٦) المجررة: مكان الجرّ (ذبح الغنم الح). المترز- والمترزة: ثوب قصير يشدّ على وسط البدن. العنز: الأنتى من العز (المقصود هنا: تيس) ذكر العز، أو الماعز (وتقال للذكر وللأنثى). الروق: القرن. شد يديه إلى روقه: قيده ليمنعه من الهرب.

(٧) الجاني: المذنب. الباغي: الظالم. الطاعي: الذي جاور الحدّ في كل شيء.

(٨) (الملسوح): استأجر رجلاً يذمعه الآن.

(٩) التقصي: الفناء والأفطاع - المقصود: أولى التفاضي: أصحاب الديون، الدائون. خذ بما يرضى أولى =

ديناراً ديناراً^(١).....

فجلبني للاتباع منه الإنسان في الأمد^(٢).... فقال: قد بعته لك فاقبض متاعك
وها هو في قبضك فاشدّد وثاقه وهلمّ لتعقد عليه الوثاق^(٣). فاحدثت معه إلى دكان
التوثيق وابتدرت من السعة إلى الضيق^(٤). وأوثقتي بالشهادة تحت عقد وثيق وحلني
من ركوب الدين ولحاق الثين في أوعر طريق. ثم قال لي: هذا تيسك فثأنك وإياه وما
أظنك إلا تهيأه^(٥). وآت مجالين أربعة فإنك لا تقدّر أن ترقعه، ولا يتأتى لك أن
يتبعك ولا أن تتبعه.....

[وأفلت التيس من المجال وغاب عن النظر فجعل شاكر الأيادي يطلبه فلقبه
رجل غاضب يقول]:

إن عنزك حين شرد خرج مثل الأسد وأوقع الرّهج^(٦) في البلد، وأضرّ بكل
أحد. ودخل دهليز الفخارة فقام فيه وقعد. وكان العمل فيه مطبوخاً ونيئاً^(٧) فلم
يترك منه شيئاً. ومنه كانت معيشتي، وبه استقامت عيشتي، فأنت ضامن مالي، فارتفع
معي للوالي.... ورجل^(٨) يقول (هلمّ إلى المحتسب^(٨))، و (أنا) أعرف ما نكسب

-
- = التفاضي (بمن أعلى من الثمن المدفوع نقداً). نية (بمن مؤجل). خذه هدية (خذه الآن من غير أن
تدفع مالا فكانه هدية) - هذا التعبير موجود بشقيه في القامة المضيرية لبديع الزمان الهمداني.
(١) كباراً: (دنانير) كبيرة، وافية، راجحة. الحول: العام. لا تقضاء الحول (بعد عام واحد).
(٢) الإناء: التأجيل. الأمد: مدة الدفع.
(٣) الوثاق: الرباط. الوثاق: التسجيل عند الكاتب المدل.
(٤) ابتدرت من السعة إلى الضيق: أسرع من السعة (أخذ عنز بلا مال) إلى الضيق (كثرة التضيق علي
بالمشروط).
(٥) الثين: الميب = اللجوء إلى الدين (بفتح الدال). الوعر: المكان الصلب الخفيف (الطريق التي يصعب
سلوكها). تهيأه = تهيأ له: تستطيع السيطرة عليه.
(٦) الرهج (بفتح الهاء أو بكونها): الثقب.
(٧) العمل: (يقصد) المصنوعات (من الفخار) - ما يطبخ طينه فأصبح فخاراً قابلاً، وما زال نيئاً لم يطبخ
بعد.
(٨) ارتفع معي للوالي: أذهب معي إلى الحاكم. المحتسب: مفتش متبرع أو موظف ينظر في أحوال السوق وما
يقع فيها من الضرر أو الإساءة الخ.

وإلى مَنْ تَنَسَّبُ وقد كَثُرَ عِنْدَهُ (١) بِكَ التَّشْكِي، وصاحب الدَّهْلِيْزِ قَبْلَكَ يَبْكِي. وقد أمر بِإِحْضَارِكَ، وهو بِاتِّظَارِكَ.... ثم أَسْكَنِي بِالْيَمِينِ حَتَّى أَوْصِلَنِي إِلَى الْأَمِينِ. وقال لي: أُرْسَلَتِ التَّيْسَ لِلْفَسَادِ كَأَنَّكَ فِي نِعْمِ اللَّهِ مِنَ الْحَمَادِ (٢). قُلْتُ: إِنَّهُ شَرٌّ، ولم أَذِرْ حَيْثُ وَرَدَ (٣). قال: قد أَمِنْتَ إِنْ ضَمِنْتَ، وَعَلَيْكَ التُّقَاتُ.... حَتَّى يَقَعَ الْإِنْصَافُ أَوْ ضَامِنٍ كَافٍ (٤). فَابْتَدَرَ أَحَدُ إِخْوَانِي وَبَعْضُ جِيرَانِي فَأَدَى عَنِّي مَا ظَهَرَ بِالتَّقْدِيرِ، وَأَلَّتِ الْحَالُ لِلتَّكْدِيرِ (٥).....

وَتَوَجَّهْتُ لِدارِي وقد تَقَدَّمَتُ أَخْبَارِي. وَقَدِمْتُ بِبُغْيَارِي وَتَعْيِيرٍ (٦) صغاري وكباري. والتيسُّ على كاهل الحَمَالِ يرغو كالبعير ويزأر كأسد إذا فَصَلَتِ العَيْرُ (٧). فقلتُ لِلْحَمَالِ: أَنْزِلْهُ عَلَى مَهْلٍ فَالتَّعْيِيدُ قَدِ اسْتَهْلَ. فَحِينَ طَرَحَهُ فِي الْأُسْطُوَانِ (٨) كَرَّ إِلَى العِدْوَانِ وَصَرَخَ كَالشَّيْطَانِ. وَهَمَّ أَنْ يَقْفِزَ الجَيْطَانَ. وَعَلَا فَوْقَ الجِدَارِ وَأَقَامَ الرَّهْجَةَ فِي الدَّارِ. ولم تَبْقَ فِي الرِّزَاقِ عَجُوزٌ إِلَّا وَصَلَتْ لِتَرَاهُ وَتَسْأَلُ عَمَّا اعْتَرَاهُ وَتَقُولُ بِكُمْ اشْتَرَاهُ. والأولاد قد أُرْهَقَهُمْ لَهْفُهُ (٩) ودخل قلوبهم خوفه.

فابتدرت رَبَّةُ الدار وقالت: كَيْتَ وَكَيْتَ، لا خَلَّ ولا زَيْتَ، ولا حَيَّ ولا مَيْتَ. ولا مَوْسَمَ ولا عَيْدَ، ولا قَرِيبَ ولا بَعِيدَ. سُقَّتِ العِفْرِيَّتُ إِلَى المَنْزَلِ.... ومق تفرح

-
- (١) اعرف ما تكسب (اعرف مقدار دخلك) وإلى من تنسب (ومكانتك في البلد) - أي أنت قادر على الدفع وتحاف أن يشيع عنك التمسع عن الدفع. عنده (عند الوالي).
- (٢) كانت في نعم الله من الحامد: كأنك تحمد أصحاب الأموال فتريد إبطال ما يملكون.
- (٣) ورد: (هنا) ذهب.
- (٤) عليك التناقض إلى أن يقع الإنصاف: سغيد يدك بالحديد حتى تدفع ما يرضي الخصم. أو ضامن كاف: أو تأتي بضامن قادر على الدفع الآن.
- (٥) آل: رجع. التكدير: الكدر والحزن.
- (٦) نعيم (كذا بالأصل).
- (٧) العير: القافلة فيها الجمال والحيل والحمير الخ. فصلت: خرجت من البلد (داخل السور) وأصبحت في الطريق (في البادية - قرية من الوحوش الضارية المفترسة).
- (٨) العبد قد استهل: نبتت رؤية هلاله (هنا: أعلن وقته). الأسطوان: دهليز قائم سقفه على أعمدة (٩).
- (٩) الرهجة (٩): الصباح والفتنة.
- (١٠) أرهقهم: (حملهم فوق ما يطيقون) لهفه: الخوف منه - أكثر خوفهم منه.

زوجتك والعزُّ أضحيتك. متى تطبخ القدور وولَّدك مغدور^(١)؟ ... والله، لو كان
القزُّ يُخرِجُ الكنز، ما عمَّرَ لي داراً ولا قرَّبَ لي جواراً. أخرج عني، يا لكُم: فعل الله
بك وصنع! وما حبَّسك عن الكباش السَّان والضَّان^(٢) الرفيعة الأثمان؟ يا قليل
التحصيل، يا مَنْ لا يعرف الحياطةَ ولا التفصيل.....

٤- ** (ذهبت مِنِّي المصادر التي أخذت منها هذه الترجمة). دائرة المعارف
الإسلامية ٣: ٨٩١.

ابن هذيل الفرناطي

١- هو أبو زكريا يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن هذيل التَّجِيبِي الفرناطي، كان كثير
الابتعاد عن الناس؛ لاشتغاله بعلوم الأوائل^(٣) وليلته إلى الاعتزال^(٤)، كما كان
مكروهاً جدًّا في المغرب والأندلس. ولعله اعتقل مدةً من أجل ذلك (راجع نفع
الطيب ٥: ٤٩٣). وفي أواخر أيامه خدَّمَ السلطان^(٥) بطنه وقام بإقراء الأصول
والفرائض والطب. وفي آخر عمره فُلِحَ ثم تُوْفِيَ في ٢٥ من ذي القعدة من سنة ٧٥٣
(١٣٥٣/١/٢ م).

٢- كان ابن هذيل الفرناطي عارفاً بعلوم التعاليم^(٦) وبعلم القداماء كما كان

-
- (١) العزُّ أضحيتك!: تضحى عزاً والأفضل أن تضحى ضاناً (خروفاً). ولدك مغدور: مصاب بأذى من
التيس (!).
- (٢) اللكج: اللثيم، الأحق. الكباش: الذكر من الضأن.
- (٣) علوم الأوائل أو علوم القداماء هي العلوم الفلسفية كاللطق وعلم ما وراء الطبيعة (البحث في الأسباب
والوجود والنفس والآخرة).
- (٤) الاعتزال، في تاريخ الفكر الإسلامي، حركة ترمي إلى تفسير مظاهر الوجود المادية والمدارك الروحية
تفسيراً عقلياً وإلى تحكيم العقل حتَّى في ما لم يجر تحكيم العقل فيه (كالمعاند الدينية مثلاً).
- (٥) المفروض أنه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل (٧٣٣-٧٥٥ هـ).
- (٦) علوم: التعاليم هي العلوم التي تجري في الأعداد: الحساب والجبر والهندسة والفلك والموسيقى ثم الطبيعيات
(الفيزياء) والكيمياء.

مُتَزَلِّيًا يَقُولُ بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ عَلَى غَيْرِ الْمُمْكِنَاتِ وَلَا يَعْلَمُ الْجُرْئِيَّاتِ (١). وَكَانَ قَدِيمًا كَبِيرًا وَطَبِيبًا شَهُورًا وَأَدِيبًا شَاعِرًا لَهُ مَذْحُ وَغَزَلٌ وَشِكْوَى وَعِتَابٌ، وَقَدْ جَمَعَ جَانِبًا مِنْ شِعْرِهِ فِي دِيْوَانٍ وَسَمَّاهُ «السُّلَيْبَانِيَّاتِ وَالْعَزْفِيَّاتِ» (٢).

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن هذيل الفرناطِيّ في النسيب:

نَامَ طِفْلُ النَّبْتِ فِي حِجْرِ النَّعَامِي
لَاهْتِزَّازِ الظَّلِّ فِي مَهْدِ الْحَزَامِي (٣).
وَسَقَى الْوَسْعِيُّ أَغْصَانَ النَّقَا
فَهَوَّتْ تَلْتِيمُ أَفْوَاهِ النَّدَامِي (٤).
كَحَلِّ الْفَجْرِ لَهَا جَفْنَ الدُّجَى
وَعَدَا فِي وَجْهِ الصُّنْحِ لِنَامَا (٥).
تَحَسَّبُ الْبَدْرَ مُحْيَا تَمَلِّ
قَدْ سَقَتْهُ رَاحَةُ الصُّبْحِ مُدَامَا (٦).
يَا عَلِيلَ الرُّوحِ، رِفْقًا: عَلَيَّ
أُبَلِّغَنَّ عَنِّي عُرْيَا بِالْحَمِي
أَشْفُ، بِالسُّقْمِ الَّذِي حَزَّتْ سَقَامَا (٧).
هَمْتُ فِي أَرْضٍ بِهَا حَلَوَا غَرَامَا (٨).
كَسْتُ أَشْفِي غَلَّةً مِنْ طَيْفِكُمْ
لَوْ أُذِتُمْ لِحُفُونِي أَنْ تَمَامَا (٩).

- وَقَالَ يَمْدُحُ السُّلْطَانَ أَبَا الْوَلِيدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ فَرَجٍ لَمَّا هَاجَمَ حُصْنَ أَشْكَرَ، سَنَةَ

(١) في المزملة نعر يقولون إن الله لا يقدر على المستحيلات (على مخالفة القوانين التي وضعها هو في الوجود: لا يستطيع عمل الشر، ولا جعل الصخر يطفو على وجه الماء، أي أنهم ينكرون المعجزات). وكذلك هنالك نعر منهم (ومن الفلاسفة) يقولون إن الله يعلم الكلبيات (أي قوانين الوجود وما يحدث من جريان تلك القوانين)، ولكنه لا يعرف الحوادث الجزئية التي تجري في العالم.

(٢) السُّلَيْبَانِيَّاتِ: نسبة إلى سليمان (غلام كان الشاعر يشبّه به). وَالْعَزْفِيَّاتِ (نفع الطيب ٥: ٤٨٨) أو العريبات (الكعبة الكامنة ٧٤) والعريفات (الأعلام للزركلي ٩: ١٦٣) - لم أعر على تفسير لها.

(٣) الحجر (بالكسر): القراية، الكف، الوقاية. النعامي: ربيع الجنوب. الحزامي: نبت طيب الرائحة.

(٤) الوسعي: مطر الريح. النقا: الرمل الأبيض.

(٥)

(٦) محيا: وجه. غل: ثوان سكران. الدمام: الحمر. تحسب البدر إلخ (تسبح فيه حمرة من فعل الحمر!).

(٧) علي: اسقي (من ريقك) قليلاً بعد قليل. السقم الطبيعي (في المحبوب): الرقة والنحول من علامات الجبال. - سقامك يشفي مرضي من حبك (٥).

(٨) العريب: تصغير للتحبيب. الحمى: سكن العرب (الأصلي).

(٩) الغلة: العطش. الطيف: المنام.

٧٢٤ هـ، ورماء بالنفطِ فَنَزَلَ أَهْلُ ذَلِكَ الْحِصْنِ عَلَى حُكْمِهِ (أطاعوه):

بِحَيْثُ الْبُيُودِ الْحُمْرُ وَالْأَسَدُ الْوَرْدُ كَتَابُ سُكَّانِ السَّمَاءِ لَهَا جُنْدٌ^(١)
عَاكِرُ مَلِكٍ شَرَفَ اللَّهُ قَدْرَهُ، فَيَبَانُ فِي إِقْدَامِهَا السَّهْلُ وَالنَّجْدُ^(٢)
وَتَحَسُّ نَوْرَ الصَّدْقِ وَالْعَزْمِ دَائِمًا سِرَاجًا مِنَ التَّقْوَى بِأَزْرِهِمْ يَبْدُو^(٣)
هَمُّ الْقَوْمِ رُهْبَانٌ إِذَا لَبَسُوا الدُّجَى، وَإِنْ لَبَسُوا حَرَّ الْهِيَاجِ فَهُمْ أَسَدٌ^(٤)
حَدَوْا حَدَّ وَسُلْطَانٍ عَلَى الشَّرْعِ عَاطِفٍ رَفِيقٍ بِهِمْ حَانٍ، إِذَا عَظَّمَ الْجَهْدُ^(٥)
وَتَحْتَ لُؤَاءِ الشَّرْعِ مَلِكٌ هُوَ الْهُدَى تَضِيقُ بِهِ الدُّنْيَا إِذَا رَاحَ أَوْ يَفْدُو
فَلَوْ رَامَ إِدْرَاكَ النُّجُومِ لَنَالَهَا لَوْ هَمَّ لَأَنْقَادَتْ لَهُ السُّنْدُ وَالْهِنْدُ
ومنها يصفِ فِئْلَ آلَةِ النَّفْطِ وَيَتَكَلَّمُ عَلَى أَهْلِ الْحِصْنِ:

وظَنُّوا بِأَنَّ الرَّعْدَ وَالصَّعْقَ فِي السَّمَاءِ فَحَاقَ بِهِمْ مِنْ دُونِهَا الصَّعْقُ وَالرَّعْدُ^(٦)
عَجَائِبُ أَشْكَالٍ سَمَا هَرِيسٌ بِهَا مُهَنْدَسَةٌ تَأْتِي الْجِبَالَ قَتْنَهُدٌ^(٧)
أَلَا إِنَّهَا الدُّنْيَا تُرِيكَ عَجَائِبًا؛ وَمَا فِي الْقُوَى مِنْهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَبْدُو^(٨)

- حَدَّثَ الشَّيْخُ أَبُو زَكَرِيَّا بْنِ هُدَيْلٍ فَقَالَ (الإحاطة ١: ٢٨٦):

- (١) سُكَّانُ السَّمَاءِ: الملائكة. جند (ها): ساعدون.
- (٢) الجند: المرتفع من الأرض (يقصد: الصعبة المرتقى).
- (٣) الأزر جمع إزار: ثوب للقسم الأسفل من الجسم (هم أتقياء بطبيعتهم).
- (٤) فِي اللَّيْلِ يَصْلُونَ وَيَذْكُرُونَ اللَّهَ وَفِي حَرِّ الْهِيَاجِ (الحرب) يَجَارِبُونَ بِشَجَاعَةٍ.
- (٥) حَذَا حَدْوَهُ: صنع مثل صنيعه. حان: ذو جنو. المجد: التعب، المشقة، شدة الزمان.
- (٦) الصعق: نزول الصواعق. حاق: أحاط. من دونها (من تحت السماء: من الأرض).
- (٧) هرس (في الحرافات اليونانية): رسول الآلهة و(في الفلك): عطارد (أقرب الكواكب إلى الشمس) وهرس الثلث العظيمة أو الثلث بالحكمة ابن زفس (زوس أو جوبيتر أو المشتري) كبير آلهة اليونان. وكان هرس هذا حكيمًا في بابل ثم انتقل إلى مصر وعرف صنعة الكيمياء وغيرها.
- (٨) وما في القوى إلخ = مدرك فلسفي: كل شاطئ يكون أولًا بالقوة (كاسنًا) ثم يصير بالفعل (ظاهراً): النار في الحطب والفحم وعود التثاب (الكبريت) موجودة في هذه الأشياء بالقوة، فإذا نحن أوقدنا هذه الأشياء صارت النار التي كانت كامنة من قبل في هذه الأشياء ظاهرة فعلاً.

حَضَرْتُ بِمَجْلِسِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَكِيمِ^(١) - وَأَبُو الْعَبَّاسِ بَدْرُ هَالِيهِ^(٢) وَقُطِبُ جَلالته^(٣) - فَلَمْ يُجَزَّ بِشَيْءٍ إِلَّا رَكُضَ فِيهِ وَتَكَلَّمَ بِإِلْهِ فِيهِ^(٤). ثُمَّ قُضِيَ إِلَى زَبَّارَيْنِ^(٥) يُصَلِّحُونَ شَجَرَةَ عِنَبٍ، فَقَالَ لِعَرِيفِهِمْ: حَقٌّ هَذَا أَنْ يُقَصَّرَ (ثُمَّ) يُطَالَ هَذَا، وَيُيَمَّلَ كَذَا. فَقَالَ الْوَزِيرُ: يَا أَبَا الْعَبَّاسِ، مَا تَرَكْتَ لِهَوْلَاءِ أَيْضاً حَقّاً مِنْ صِنَاعَتِهِمْ يَسْتَحِقُّونَ بِهِ أَجْراً. فَمَجَّبْنَا مِنْ أَسْتِخْصَارِهِ وَوَسَاعَةِ ذَرْعِهِ وَامْتِدَادِ حَقِّ كِفَايَتِهِ.

٤- ** الدرر الكامنة ٤: ١٤١٢، الكتيبة الكامنة ٧٣-٨٠؛ تثير فرائد الجمان ٣٢٠-٣٢٣؛ الإحاطة، راجع ١: ٣٥، ٥٣، ٢١٢-٢١٣، ٢٨٦، ٣٩٩؛ نفع الطيب ٣: ٥١٣٥٧، ٩٧، ١٢٧، ٤٨٧-٤٩٧، ٦٠٥، الأعلام للزركلي ٩: ١٦٣ (٨: ١٣٦): معجم المؤلفين للكحالة ١٣: ١٨٢-١٨٣.

أبو عبد الله بن جزي الكليبي

١- آل جزي بيت مشهور في المغرب والأندلس برز فيه نفر من رجال الدولة والعلم والأدب. من هؤلاء أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى الكليبي القرناطي، وُلِدَ فِي سَوَالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٢١ (خريف ١٣٢١ م) فِي غَرْنَاطَةَ. نَبَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُزِي بَاكراً وَبَرَعَ فِي الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فَاتَّخَذَهُ سُلْطَانُ غَرْنَاطَةَ أَبُو الْحَجَّاجِ يَوْسُفُ بْنُ الْأَحْمَرِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ) كَاتِباً ثُمَّ غَضِبَ عَلَيْهِ فَرَحَلَ، مَحُو سَنَةً

- (١) أبو عبد الله بن الحكيم الرندي (ت ٧٠٨ هـ)، راجع ترجمته في هذا الجزء.
- (٢) هو أبو العباس أحمد بن عرفة اللخمي (ت ٧٠٧ هـ). الحالة دائمة منيرة تحيط بالتمر (وبغيره). بدر هالته: أعظم أهل دولته المحيطين به. القطب: محور تدور عليه الأشياء (كالأرض والرحا: الطاحون، الخ).
- (٣) لم يجز (يبحث) في شيء إلا ركض فيه (يبحث فيه أحسن من جميع الحاضرين) وتكلم ببله فيه (بله فمه، وبالتفصيل وبثقة بالنفس).
- (٤) الزبارون: جماعة من المعتنقين بأمر البساتين يأتون إليها في أواخر الشتاء فيزبرون (يضم الباء) أطراف الأغصان (أي يقطعون أشياء من رؤوس الأغصان) مما يكون قد بسس في أثناء الشتاء.
- (٥) الدرر (ها): القدرة (في المعرفة بالأمور المختلفة).

٧٥٣ هـ (١٣٥٢ م)، إلى المغرب وسكن فاس^(١) ونال حظوة عند السلطان أبي عنان فارس. وكانت وفاته في الأغلب في ٢٩ من شوال سنة ٧٥٧ (١٠/٢٥/١٣٥٦ م) شاباً بعد مَرَضٍ، في فاس.

٢- كان أبو عبد الله بن جزيّ معلماً بفنون كثيرة من الحديث والفقه واللغة والنحو والتاريخ والحساب، كما كان كاتباً مجيداً وشاعراً بارعاً مولعاً بالصناعة وخصوصاً التورية. وأكثر شعره المديح والغزل على الأسلوب القديم في المعاني المذرية خاصة. ثم هو مُصَنَّفُ كِتَابِ تَرْجَمَةَ لِنَفْسِهِ، وله كتاب « الأنوار في نسب النبي المختار ». وعليه أملى ابن بطوطة رحلته (تحفة النظائر). ومن المعقول أن يكون قد أسنخ على هذا « الإملاء » شيئاً من أسلوبه وبراعته. وله باع طويلاً في الصناعة، كتب رسالة سينية (في كل كلمة من كلماتها سين).

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو عبد الله بن جزيّ في النسب:

مَتَى يَتَلَقَى شَائِقٌ وَمَشُوقٌ وَيُضِيحُ عَانِي الحُبِّ وَهُوَ طَلِيقُ^(٢)
أَمَّا إِنَّمَا أُمْنِيَّةٌ عَزَّ نَيْلُهَا

وَمَرَمَى - لَعَمْرِي - فِي الرَّجَالِ سَحِيقُ^(٣)!

وقد يرزق الإنسان من بعد بأسه؛ وروض الرمي بعد الدبول يروق^(٤).

تباعدت لما زادني القرب لوعة، لعل فوادي من جواه يفيق^(٥).

ورمت شفاء الداء بالداء مثله؛ فإنني بالأأأشتفي لَحَقِيقُ

(١) في الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ، ص ١٩٤-١٩٥): « اتصل بنا خير وفاته فاس مبطوناً في أوائل

(سنة) ثمان وخمسين وسمائه، ثم تحققت أن ذلك في أوائل ربيع الأول من ذلك العام».

(٢) الشائق: الذي يدعو الآخرين إلى حبه. المشوق: المحب. العاني: الأسير.

(٣) عز نيلها: صعب الحصول عليها. مرمى: هدف. سحيق: بعيد.

(٤) يروق: يصحح منظره جيلاً.

(٥) اللوعة: حرقة في القلب من حب أو مرض. الجوى: شدة الحب وحررته.

- وقال في التورية:

يقولون لي: أصبحت بالأس مولماً! فقلت: وهل في حبي الأس من بأس^(١)
ألم تعلموا أن الهوى قد أعلني؛ وكيف ترى شوق الليل إلى الآسي^(٢)؟
* وغزال له جفون مراضٌ * تبعثُ الوجدَ في قلوب الصّاح^(٣).
غرني لحظه، وقد قيل: شك! فإذا هم يعنون شاكِي السّلاح

- وكتب أبو عبد الله بن جزيّ إلى أمير المؤمنين المتوكل على الله أبي عيّن فارس
يُهنّئه بشفاء ولده أبي زيّان محمدٍ وضمن هذه التهنة عدداً كبيراً من أسماء الكتب (أسماء
الكتب محصورة بين أهلة):

ماذا عسى (أدبُ الكتاب) يُوضّح من^(٤)

خِصالِ مجّدك وهي (الزاهر) (الزاهي).

وما الفصيح بـ (كليات) (مُوعِب)ها (كاف) فيأتي بـ (أنباء) و (إنباء).

أبقى الله تعالى مولانا الخليفة وسعادته (القدح المُلعي)، و (الزاهر) (كبال)ه (التاج

(١) المولى: المغموم. الأس نبات مستقيم العروق قاسي الورق طيب الرائحة.

(٢) أعلني: أمرضني. الآسي: الطيب.

(٣) الوجد: الحب. شك: مريض. شاكِي السّلاح: متقلّد جميع سلاحه (استعداداً للقتال).

(٤) هناك عدد من هذه الكتب لم أهد إليها (الزاهي، الموعب، الميقات)، ثم هناك كتب في أسمائها

«أشتراك» والإشارة إليها في هذا النص تدلّ على عدد من الكتب (الزاهر، الأنباء، الكبال، نزّهة

الناظر، القصد والأسم، الايضاح، الإرشاد، شفاء الصدور، الملخص). أمّا سائر هذه الكتب فمعروف:

أدب الكتاب (لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي التوقّي نحو ٣٣٦ هـ)، فصيح اللغة (لشلب التوقّي سنة

٢٩١ هـ)، إنباء الرواة على أنباء النحاة (لملّي بن يوسف القطفي التوقّي ٦٤٦ هـ)، التاج المُلعي في

مساجلة القدح المُلعي (لسان الدين بن الخطيب التوقّي ٧٧٦ هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب

والشاعر لأبي الفتح بن الأثير التوقّي ٦٣٧ هـ)، المقدم المظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود

والأحكام (لأبي محمد عبد الله بن عبد الله بن سلمون الكتّاني التوقّي ٧٦٧ هـ)، إحياء علوم الدين لأبي

حامد الغزالي التوقّي ٥٠٥ هـ)، منهاج العابدين (للغزالي أيضاً)، تشبيه الغافلين (لأبي الليث السمرقندي

التوقّي ٣٧٥ هـ)، مطمح الأنفس ومسرح التأسّس في ملح أهل الأندلس (للفتح بن خاقان الأندلسي

التوقّي ٥٢٩ هـ)، بنية المنتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (لابن عميرة الضبي التوقّي ٥٩٩ هـ)،

أدب الدنيا والدين (لأبي الحسن المارودي التوقّي ٤٥٠ هـ)، سراج الملوك لأبي بكر الطرطوشي التوقّي

٥٢٠ هـ). والكتب التي لم تذكر هنا معروفة لمؤلفين متأخرين في الزمن.

المحلّي). تجلّى من حلاه (نزهة الناظر) وبسير بعلاه (المثل السائر)، ويتّسق من سناه (العقد المنظم) ويتّضح بها (القصد الأمّ)^(١). ولا زالت (هدايت) هـ مُتكفّلة بـ (إحياء علوم الدين) و(إيضاح) (منهاج العابدين) و(إرشاد) هـ يتولّى (تنبيه الغافلين) ويأتي من (شفاء الصدور) بـ (النور المبين) و(مبقيات) الخدمة ببابه (مطمح الأنفس) و(ملخص) الجود من كفه (بغية المتّمس). قد حكم (أدب الدنيا والدين) بأنك (سراج الملوك).....

٤- ** الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ١٦٥؛ الكتبية الكامنة ٢٢٣-٢٢٨؛ الإحاطة ٢: ١٨٦-١٩٥؛ أزهار الرياض ٣: ١٨٩-٢٠٤؛ نفع الطيب ٢: ١٧٠-١٧١، ٥: ٥٢٦-٥٣٦، ٥٣٨-٥٣٩، ٧: ١٠٧-١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٥٦؛ بروكلمن (في ترجمة ابن بطّوطة) ٢: ٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٦ (٣٧).

المَقْرِيّ الجَدّ*

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشيّ الأصل التلمسانيّ المولد، ثمّ أشتهر فيما بعد بالمَقْرِيّ، نسبةً إلى مَقْرَة، بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة (نفع الطيب ٥: ٢٠٥، السطر الثالث)، إحدى قرى زاب بإفريقية أو الزاب (وفيات الأعيان ١: ٣٦٠)- مزاب أو ميزاب، في جنوبيّ القطر الجزائريّ.

وُلِدَ المَقْرِيّ الجَدُّ في أيام أبي حمو موسى بن عثمان بن يَمْرَاسَن بن زِيان (٧٠٧-٧١٨ هـ)، ولم يشأ أن يُعَيِّنَ السَّنَةَ التي وُلِدَ فيها (نفع الطيب ٥: ٢٠٦-٢٠٧).

عدَّ المَقْرِيّ الحفيدُ لِجَدِّهِ خَلْفًا كثيرًا من الشيوخ منهم أبو زيد عبد الرحمن

(١) ليس في بروكلمن (راجع فهرست الكتب) كتاب باسم «القصد الأمّ» (بفتح الميمزة والميم)، بل فيه: القصد والأمّ - القصد الجليل... - القصد إلى الله إلخ... الأمّ في أنبياء الظلم - الأمّ لإيقاظ المهم.

(*) جدّ المَقْرِيّ أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «نفع الطيب».

(ت ٧٤١ هـ) بن محمد بن عبد الله بن الإمام وأخوه أبو موسى عيسى (ت نحو ٧٥٠ هـ) وأبو موسى عمران بن يوسف المشدالي ثم أبو إسحاق إبراهيم بن حكيم السلوي (قتل ٧٣٧ هـ) وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المجاصي (ت ٧٤١ هـ).

عَمِلَ المَقْرِيُّ فِي التِّجَارَةِ بَيْنَ المَغْرِبِ وَالصَّحْرَاءِ وَالسُّودَانَ المَغْرِبِي (جَنُوبَ المَغْرِبِ) يُتَاجَرُ بِالبَضَائِعِ الثَّمِينَةِ، وَقَدْ وَرِثَ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ حَجَّ فِي سَنَةِ ٧٤٤ هـ (١٣٤٤ م) وَزَارَ القُدْسَ.

وَلَمَّا عَادَ المَقْرِيُّ إِلَى المَغْرِبِ اتَّصَلَ بِأَبِي عِنَانِ فَارِسِ بْنِ عَلِيٍّ فِي أَوَّلِ سَنَةِ مِنْ حُكْمِهِ، سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) فَوَلَّاهُ أَبُو عِنَانِ قِضَاءَ فَاسٍ ثُمَّ أَصْبَحَ قَاضِي الجَمَاعَةِ (قَاضِي القَضَاءِ) فِيهَا وَخَطِيبَ جَامِعِهَا (جَامِعِ القَرَوَيْنِ). وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ شَيْئاً مِنَ القُتُورِ نَشَأَ بَيْنَ أَبِي عِنَانِ وَالمَقْرِيِّ فَعُزِلَ المَقْرِيُّ عَنِ القِضَاءِ وَبَقِيَ مَدَّةً بَعِيداً عَنِ مَنَاصِبِ الدَّوْلَةِ.

وَفِي أَوَائِلِ شَهْرِ جُمَادَى الآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ ٧٥٧ (حزيران - يونيه ١٣٥٦ م) كَانَ أَبُو عِنَانِ قَدْ رَضِيَ عَنِ المَقْرِيِّ فَأَرْسَلَهُ فِي سِفَارَةٍ إِلَى الأَنْدَلُسِ لِإِزَالَةِ شَيْءٍ مِنَ الخِلَافِ بَيْنَ بَنِي مَرْوَانَ فِي المَغْرِبِ وَبَنِي الأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةَ). وَلَكِنْ المَقْرِيُّ - وَيَبْدُو أَنَّهُ كَانَ قَدْ بَدَأَ يَهْرَمُ فِي نَفْسِهِ وَفِي جِسْمِهِ - أَهْمَلَ السَّفَارَةَ وَمَكَثَ فِي مَالِقَةَ مُنْقَطِعاً إِلَى التَّأْمُلِ وَالعِبَادَةِ. وَبَلَغَ الخَبْرُ إِلَى أَبِي عِنَانِ فَغَضِبَ وَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْدَلُسِ جَمَاعَةً لِيَسْتَبْتُوا مِنْ حَالِ المَقْرِيِّ. وَاتَّقَلَ المَقْرِيُّ إِلَى غَرْنَاطَةَ وَعَادَ بِجَامِعِهَا. ثُمَّ صَلَّحَ مَا بَيْنَ أَبِي عِنَانِ وَالمَقْرِيِّ قَلِيلاً. وَفِي السَّنَةِ التَّالِيَةِ عَادَ المَقْرِيُّ إِلَى فَاسٍ، وَلَكِنْ لَمْ يُمْعَرَ بَعْدَ ذَلِكَ طَوِيلًا، فَقَدْ تُوُفِّيَ سَنَةَ ٧٥٩ لِلهِجْرَةِ (١٣٥٨ م)، كَمَا جَاءَ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ (٥: ٢٨٠)، فِي فَاسٍ، وَنُقِلَتْ جُثَّتُهُ إِلَى تِلْصَانَ.

٢- المَقْرِيُّ المَجْدُ فِقْهِيٌّ عَالِمٌ وَأَدِيبٌ وَمُتَّصِفٌ. وَأَسْلُوبُهُ مُرْسَلٌ لَا تَكَلُّفَ فِيهِ قَائِمٌ عَلَى التَّفَكِيرِ وَالمَنْطِقِ. وَلِلْمَقْرِيِّ المَجْدُ نَثْرٌ صُوفِيٌّ وَشِعْرٌ صُوفِيٌّ كَثِيرَانِ. غَيْرَ أَنَّ الغَالِبَ عَلَى شِعْرِهِ جَفَافٌ شِعْرِ العُلَمَاءِ وَقِلَّةٌ الرُّؤْيَى. وَلَهُ قَصِيدَةٌ تَائِيَةٌ جَمَلَهَا تَبَمَّةٌ، فِي زَعْمِهِ

لثانية ابن الفارض^(١). والواقع أنها محاكاة قاصرة لثانية ابن الفارض وترديد لعددٍ من المدارك البسيطة في ألفاظٍ مختلفة. وليس فيها من عمقٍ مقاصد ابن الفارض شيء. والمقريّ الجدُّ مُصنّفٌ له من الكتب:

الحقائق والرفائق (أقوالٌ جامعة في التصوّف؛ راجع المختارات) - القواعد (وهو كتاب يشتمل على ألفٍ ومائتيّ قاعدةٍ فقهية) - كتاب يشتمل على أكثر من مائة مسألةٍ فقهية (وهو غير الكتاب السابق) - عمَلٌ من طَبِّ لِمَنْ حَبَّ^(٢) (وهو كتابٌ مختلف الموضوعات فيه أحاديثٌ حكيميةٌ ثمّ كَلِمَاتٌ، أي قواعدٌ عامّةٌ، من الفقه) ثمّ قواعدُ وأصولٌ (في الاعتقاد) ثمّ اصطلاحاتٌ وألفاظٌ - الطَّرْفُ والتَّحَفُ (أو التحف والطرف) - المحاضرات (وفيه فوائدٌ وحكاياتٌ وإشاراتٌ تتعلّق بالتصوّف وبالتصوّفين) - اختصارُ المَحْصَلِ^(٣) - شرح الجَمَلِ للحونجي^(٤).

٣ - مختارات من آثاره

- في نفع الطيب (٥ : ٣٢٨) عن المقريّ الجدِّ أنه قال في وصفٍ ثائيةٍ له : « هذه لَمَحَةُ العَارِضِ لِتَكْمِلَةِ أَلْيَةِ ابنِ الفَارِضِ^(٥)، سَلَبَ الدهرُ من فرائدها مائةً وسبعةً وسبعين، فاستعنتُ على رَدِّهَا بِجَوْلِ اللهِ المُعِينِ ». من هذه الأبيات:

وَسَأُنْ الهوى ما قد علمتُ، ولا تَسَلْ؛ وَحَسْبُكَ - إن لم يُخَيِّرِ الحُبُّ - رُؤْيِي؛
سَقَامٌ بلا بُرءٍ، ضلالٌ بلا هدى، أَوَامٌ بلا رِي، ذَمٌّ لا بِقِيمة^(٦).
ألا أُنْهَى اللُّؤَامُ عَنِّي قَوْضُوا رِكَابَ مَلَامِي فهو أَوَّلُ مِحْنَتِي^(٧)،

(١) راجع ٣ : ٥٢٠ من هذه السلسلة.

(٢) طب: داوى، وتأتي أيضاً بمعنى الرفق (بالكسر) والحر.

(٣) «المحصل» لغز الدين الرازي (٤).

(٤) محمد بن أناماور الحونجي (ت ٦٤٦ هـ)، له كتاب «الجمال» (في) .

(٥) العارض: المقبل على الشيء، التصدّي له. الثانية الكبرى لابن الفارض (راجع ٣ : ٥٢٠).

(٦) أوام: عطش. دم لا بيسمة (إذا قتل، فليس لدمه قيمة لا يطالب أحد بدنيه - بكسر الدال وفتح الياء بلا تشديد).

(٧) قَوْضُ الرِكَابِ (٤) - يقصد الرحل (اتركوا لومي).

ولا تَمْدُلُونِي فِي الْبُكَاءِ وَلَا الْبُكَى ،
 وَكَمْ مَوْقِفِي فِي الْهَوَى خُضْتُ دُونَهُ
 سَلِ السَّلْسِيلَ الْعَذْبَ عَنْ طَعْمِ رَيْقِهِ
 لَقَدْ عَزَّ عَنْكَ الصَّبْرُ حَتَّى كَأَنَّهُ
 وَأَنْتَ - وَإِنْ لَمْ تُتَبَّحْ مِنِّي صُبَابَةً -
 وَكُلُّ فَصِيحٍ مِنْكَ يَسْرِي لِمَسْمِي ،
 تَهَوُّنٌ عَلَيَّ النَّفْسُ فَيْكُ ، وَإِنَّهَا
 وَتُخَيِّرُ أَصْوَاتُ الْبِلَابِلِ أَنَّهَا
 وَفِي كُلِّ خَلْقٍ مِنْهُ كُلُّ عَجِيْبَةٍ ،

- وللمقرئ الجدَّ أبياتٌ في الفخر رشيقة الألفاظ (ولكنَّ في معانيها شيئاً من الغموض - لغلبة الخيال الصوفي عنده):

غَنُّ - إِنْ تَأَلَّنْ بِنَاسٍ - مَعْتَرٌّ
 عَرَبٌ مِنْ بِيضِهِمْ أَرْزَاقُهُمْ ،
 عَرَضَتْ أَحْسَابُهُمْ أَرْوَاحَهُمْ
 أَوْرَثُونَا الْمَجْدَ حَتَّى إِنَّا
 أَهْلُ مَاءٍ فَجَرَتْهُ الْهَيْمُ .
 وَمِنَ السَّمْرِ الطَّوَالِ الْحَيْمُ (٢) .
 دُونَ نَيْلِ الْعِرْضِ ، وَهُوَ الْكِرْمُ (٨) .
 نَرْتَضِي الْمَوْتَ وَلَا نَزْدَجِمُ (١) .

- (١) العذل: اللوم. الكاه معروف. والبكى: البكاء والغناء (من الأضداد).
- (٢) الظبي جمع طبة (بضم ففتح بلا تشديد): حدّ السيف. الننان (بالكسر): نصل الرمح.
- (٣) - الماء العذب السائغ في الحلق أخذ عذوبته وحلاوته من ريق المحبوب.
- (٤) السراقة (٥). سارقة النظر: النظرة الحافظة، السريعة.
- (٥) الصابة: بقية الشيء (بقية الروح).
- (٦) أنا أكرم نفسي (أرفع مقامها) عن أن تنظر إلى غيرك. سواك (سوى الله).
- (٧) البيض: السيوف. السمر: الرماح. الحيم: الصفات، الأخلاق. - يحصلون عيشهم بمجدهم (بالكسر) وكدهم وأخلاقهم مستقيمة كالرماح.
- (٨) الحسب: العمل الكريم. نيل العرض: اعتداء أحد على أعراضهم. - نسهم الشريف بمجملهم على أن يدافعوا عنه (عن عرضهم)، ولو أن ذلك أدى إلى موتهم (وهذا هو الكرم الصحيح).
- (٩) - فضل أن توت على أن نزاحم الناس على أعراض الدنيا (راجع البيت التالي).

ما لنا في الناس من ذنبٍ سوى أننا نلوي إذا ما اقتحموا^(١)!

- للمقرئ الجدُّ أقوالٌ صوفية في كتابه «الحقائق والرقائق» منها:

حقيقة: عمِلَ قَوْمٌ عَلَى السَّوَابِقِ، وَعَمِلَ قَوْمٌ عَلَى اللُّوَاخِقِ^(٢). والصوفيُّ من لا ماضيَ له ولا مُسْتَقْبَلٌ؛ فَإِنْ كَانَ زُجَاجِيًّا فَبَخِرْ - رقيقة: من لم يجدْ أُمَّ البُعْدِ لم يجدْ لَذَّةَ القُرْبِ. فَإِنَّ اللَّذَّةَ هِيَ التَّحْلُصُ مِنَ الأُمَّ - حقيقة: العمل دواء القلب. وإذا كان الدواء لا يصلح إلا إذا كان على حِمِيَةِ البَدَنِ، فكذلك العمل لا ينجح إلا بعد صَوْمِ النَّفْسِ: فَارِقْ نَفْسَكَ وَتَعَالَ - رقيقة: الزادُ لك، وهو مكتوبٌ. والزائدُ عليك، وهو سلوب^(٣). فَأَجْمِلْ فِي طَلَبِ المَضْمُونِ، وَلَا تَلْزَمْ نَفْسَكَ صَفَقَةَ المَقْبُونِ^(٤) - رقيقة: قُمْتُ ببعض الأَسْحَارِ عَلَى قَدَمٍ لِلإِسْتِغْفَارِ، وَقَدِ اسْتَشْرَعْتُ الصَّبَابَةَ وَاسْتَدْتَرْتُ بِالكَّابَةِ^(٥). فأملِ الجَنَانَ عَلَى اللِّسَانِ بِمَا نَفَتْ فِي رُوعِهِ رُوحَ الإِحْسَانِ:

مُنْكَسِرُ القَلْبِ بِالجَنَائِيَا يدعوك، يَا مَانِحَ العَطَايَا^(٦).

أَقْعَدَةُ الذَّنْبِ عَنْ (رِفَاقِ) حَتَّوْا لِرِضْوَانِكَ المَطَايَا^(٧).

ومنه، أثرٌ حَقِيقَةٌ فِي شَأْنِ الحَلَّاجِ، ثُمَّ قُلْتُ:

وَلَرَّبِّ دَاعٍ لِلجَمَالِ أَطْعَمْتُهُ وَأَبِي الجَمَالِ عَلِيٌّ أَنْ أَتَقَدَّمَ^(٨).

فَأَطْعَمْتُ بِالعِصْيَانِ أَمْرَهُمَا مَعَاً وَجَنَحْتُ لِلتَّسْلِيمِ (حَقِي) أَسْلَمَا^(٩).

(١) - إذا اقتحم الناس: هجموا (على غرض من أغراض الدنيا) فنحن نلوي (نلتفت، تنصرف) عنه. وهذا ذنبنا عند الناس (أنا جناء).

(٢) - نصف الناس يفتخرون بأعمالهم الماضية، ونصفهم الآخر يمدون بأن يعملوا في المستقبل أعمالاً عظيمة.

(٣) الزائد عما يحتاج إليه من الطعام أو من غير الطعام «سلوب» (أأخوذ منك)، ما دمت لا تستخدمه (تستهلكه)، فهو لغيرك.

(٤) حينما يتم البيع بين اثنين يقومان بصفقة (يضرب أحدهم بكفه كمن الآخر). المبون: الذي يدفع في سلعة أكثر من ثمنها (أو يأخذ أقل من ثمنها).

(٥) استشر: ليس الثعار (ثوباً يلبس ملاصقاً للبدن). استندر: ليس الدثار (ثوباً يلبس فوق سائر الثياب).

(٦) الجنايا جمع جناية. مانح العطايا هو الله.

(٧) رفاقي الطائون يطلبون رضاك. وأنا مدبب أخجل من أن أطلب رضاك.

(٨) - جماله يفريني بحبه، وجلاله (عظمته وهيبته) يمنعني من أن أصرح بحبي إياه.

(٩) فأطعمت بالعصيان أمرها (لم أطع داعي الجمال): لم أحبه، ولم أطع هيبته: لم أدع (بفتح) ودال شديدة =

- إنَّ عَمَلَ أَهْلِ قُرْطُبَةَ لَيْسَ حُجَّةً فِي الْقَضَاءِ وَالْفَتْوَا^(١):

جاء في نفع الطيب (١: ٥٥٦-٥٥٧): «واعلم أنه، لعِظَمِ أمرِ قُرْطُبَةَ، كان عملُها حُجَّةً بالمغرب، حتَّى إنهم يقولون في الأحكام: «هذا مما جرى به عملُ قُرْطُبَةَ». وكان المقرئُ الجدُّ لا يرى صحَّةَ ذلك، فقال في كتابه «القواعد»:»

وعلى هذا الشرطِ ترتبَ إيجابُ عملِ القضاةِ بالأندلس، ثمَّ أنتقلَ إلى المغرب. فبينما نحنُ تنازَعُ الناسَ في عملِ أهلِ المدينةِ ونُصِّحُ بأهلِ الكوفة^(٢)، معَ كثرةِ ما نزلَ بها من علماءِ الأُمَّةِ كملِّيٍّ وابنِ مَسعودٍ^(٣) ومن كان معهما: «ليسَ التَّكْحُلُ في العَيْنَيْنِ كالتَّكْحُلِ^(٤)»، سَنَحَ لنا (بغضِ الجهودِ ومودَّةِ التقليدِ):

اللهُ أَخْرَجَ مُسَدِّقِي فَتَاخَرْتِ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا!
يا اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ. ذَهَبَتْ قُرْطُبَةُ وَأَهْلُهَا، وَلَمْ يَبْرَحْ مِنَ النَّاسِ جَهْلُهَا. مَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَسْمُو فِي مَحْوِ الْحَقِّ قَيْسِيَّةً، وَالْبَاطِلُ لَا زَالَ يُلْقِنُهُ وَيُلْقِيهِ^(٥). أَلَا نَرَى

= مفتوحة) أنني أحبه، وسلتُ أري إليه (يهزل في ما يشاء) حتى أسلم أنا: حتى أُنجو (فربما ادعت حبه فلم أستطع الوصول فأندم أنا أو أكون عنده عاجزاً أو ملوماً).
(١) كان الفقهاء يُعدُّون أعمالَ أهلِ المدينةِ قواعدَ فقهيةً، لأنَّ الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاشَ في المدينةِ، ولأنَّ كبارَ الصحابةِ كانوا من أهلِ المدينةِ، ولأنَّ المدينةَ كانتُ عاصمةَ الخلافةِ الإسلاميةِ. وبما أن قُرْطُبَةَ كانت عظمةَ الثَّانِ في السِّياسةِ والحضارةِ، فقد كان جماعةٌ من فقهاءِ المغربِ يُعدُّونَ ما جرتِ العادةُ بهِ في قُرْطُبَةَ قاعدةً صحيحةً في فِقهِ (المعاملات: البيع والشراء إلخ). وكان المقرئُ الجدُّ لا يرى هذا الرأيَ.

(٢) على هذا الشرط: صحَّةُ اتخاذِ عملِ أهلِ قُرْطُبَةَ حُجَّةً في الفقه (في المعاملات).

(٣) نحنُ تنازَعُ أهلَ المدينةِ في ذلك (المقرئُ الجدُّ لا يريد أن يقبل عملَ أهلِ المدينةِ مصدرراً من مصادر التشريع). نصح بأهلِ الكوفةِ (نمَّصَ أهلِ الكوفةِ لأنهم أرادوا أن يكون عملُ أهلِ بلدهم مصدرراً للتشريع) مع كثرةِ الفقهاءِ والعلماءِ فيها، من أمثالِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ثمَّ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ (ت ٣٢ هـ): من السابقين إلى الإسلامِ، ومن أكابرِ صحابةِ رسولِ الله، كان خادماً للرسولِ ورفيقاً له في الحضرِ والسفرِ.

(٤) الشطر من بيتٍ للمنتبهي من القصيدة التي مطلعها: أجاب دمي، وما الداعي سوى طلل. التَّكْحُلُ: وضع الكحل في جفون العينين. الكحل: الجبال الطبيعي في العينين.

(٥) يلقن: يعلم. يُلقي: يحمل الناس على قبول الآراء.

خِصَالَ الْجَاهِلِيَّةِ كَالنِّيَاحَةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ^(١) وَالتَّطْمِينِ وَالتَّضْفِيلِ وَالكِهَانَةِ وَالنَّجُومِ وَالحَطَّ وَالتَّشَاؤُمَ^(٢) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَأَسْمَاءُهَا كَالعَمَةِ وَبَثْرِب^(٣). وَكَذَلِكَ التَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ^(٤) وَغَيْرُهُ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ وَحُدِّرَ مِنْهُ؛ كَيْفَ لَمْ تَزُلْ مِنْ أَهْلِهَا وَأَنْتَقَلَتْ إِلَى غَيْرِهِمْ^(٥) مَعَ أَيْسَرِ أَمْرِهَا، حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَرْفَعُونَ بِالدِّينِ رَأْسًا بَلْ يَجْعَلُونَ العَادَاتِ القَدِيمَةَ أَسًّا^(٦). وَكَذَلِكَ مَحَبَّةُ الشَّعْرِ وَالتَّلْحِينِ وَالتَّسَبُّبِ* وَمَا أَخْرَطَ فِي هَذَا السَّلْكِ ثَابِتَةُ المَوْجِعِ فِي القُلُوبِ^(٧). وَالتَّشْرَعُ فِينَا مُنْذُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ وَسَبْعٍ وَسِتِّينَ سَنَةً لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا قَوْلًا وَلَا نَحْمِلُهُ إِلَّا كَلًّا^(٨)!

٤- ** الإحاطة ٢: ١٣٦-١٦٥ المرقبة العليا ١٦٩-١١٧٠ نيل الإبهام ٢٤٩-٢٥٤؛ شذرات الذهب ٦: ١٩٦ (في وفيات سنة ٧٦١ هـ)؛ نفع الطيب ١: ٥٥٦-٥٥٨، ٥: ٢٠٣-٢٣٤، ٢٥٤-٣٥٠؛ ٣٢٣ (١٩٦٦ م) تم (كانون الثاني-يناير ١٩٧١ م)، ص ٩٩-١٠٤ (مفalan بقلم عبد القادر زمامة)؛ الأعلام للزركلي ٧: ٣٦٦، ٣٧٠ (٣٧)؛ مجلّة الأصاله (الجزائر) ٤: ٣٦، ص ١٤١، ١٨٧.

أبو القاسم السبتي الفرناطي

١- هو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالشريف الحسيني السبتي مولداً ونشأة الفرناطي داراً (الطول سكناه في غرناطة).
وُلِدَ أَبُو القاسمِ السبتيُّ فِي سَنَةِ فِي سَادِسِ ربيعِ الأولِ مِنْ سَنَةِ ٦٩٧

(١) التكاثر: الضجر بكثرة الأولاد أو بكثرة الأموال.

(٢) الحطّ (في الرمل ؟): التنجم (؟).

(٣) العمة (؟) ويثرب من أسماء المدينة المنورة في الجاهلية.

(٤) التنابز بالألقاب: دعوة الإنسان خصومه بألقاب قبيحة.

(٥) تلك العادات السبئية لم تزل (بضم الزاي: تذهب) عن العرب، بل أنتقلت منهم إلى غيرهم (البربر).

(٦) الأس: الأساس * لعلها السبب *.

(٧) ثابتة الموضع في القلوب (محبوبة).

(٨) منذ سبعمائة سنة وسبع وستين سنة.... (يبدو أن المقري الجدي قد قال هذه الجملة في أواخر حياته) سنة

٧٥٤ للهجرة: ٧٦٧-١٣ قضاها الرسول في مكة قبل الهجرة = ٧٥٤ (تاريخ وفاة المقري الجدي) الكل

(بالفتح) التقل (هو يلوم المسلمين في الأندلس في زمانه).

بدأ أخذَ العِلْمَ عن أبيه وعن نَفَرٍ منهم: أبو إسحاقَ إبراهيمَ الغافقيَّ (ت ٧١٦ هـ) وأبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ رُشيدِ السبتي (ت ٧٢١ هـ) وأبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنِ هاني السبتي (ت ٧٣٣ هـ) وغيرهم.

رحل أبو القاسم السبتي إلى الأندلس في مَطْلَعِ حَيَاتِهِ وتصدَّر للإقراء في مالقة وأتصل، في أثناء ذلك، برئيس الكتاب أبي الحسن الجياب^(١) فكانت بينهما مُراسلات ومخاطبات فصدّاقةً. ويبدو أنّ ابن الجياب أشارَ بانتقاله من مالقة إلى غرناطة وأنه أدخله في ديوان الإنشاء. ثم إنَّ أبا العباس السبتي تولَّى الخطابة والقضاء في غرناطة. غير أنه صُرفَ عن قضاء غرناطة، في شعبان من سنة ٧٤٧ لغير زلة. وقد تولَّى القضاء في وادي آش^(٢) ثم أعيدَ وشيكاً إلى قضاء غرناطة وظلَّ في هذا المنصبِ إلى حين وفاته، في ٢١ شعبان من سنة ٧٦٠^(٣) (١٣٥٩/٦/١٨ م).

٢- كان أبو القاسم السبتي مُقدِّماً في عددٍ من فنون العلم والأدب: في التفسير والحديث والفقهاء والأحكام واللغة والنحو والبلاغة والعروض والتاريخ. وهو مُصنّفٌ له: رفع الحُجُوبِ المستورة عن محاسن المقصورة (شرح مقصورة ابن حازم القرطاجي)- رياضة الأبي في شرح قصيدة الخزرجي (أرجوزة: الرامزة الشافية في علم العروض والغافية أو القصيدة الخزرجية لأبي عبد الله مُحَمَّد بن عثمان الخزرجي من أحياء النصف الأول من القرن السابع للهجرة)- شرح تسهيل الفوائد (لابن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة ٦٧٢ هـ)- جُهدُ المُقَلِّ (ديوان شعره)- وغير ذلك من الشروح. ثم هو نائر مترسِّلٌ شاعرٌ من فنونه الوصف والغزل خاصة والمدح.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو القاسم السبتي الغرناطيُّ يَصِفُ ساقيةً (ناعورة):

(١) انظر فوق، ص ٤٣٨.

(٢) وادي آش قرب غرناطة.

(٣) في نفع الطيب (٥: ١٩٧): وفاته سنة ٧٦١ هـ.

وَذَاتِ حَسِينٍ تَسْتَهْلُ دُمُوعَهَا
تَعَجَّبْتُ أَنْ لَيْسَتْ تَرِيمُ مَكَانَهَا،
وَأَرْصَدْتُهَا فِي الرَّوْضِ أَيَّةَ عُدَّةٍ،
تَخَالَفَ مَاءَ الْمَرْزَنِ حُكْمًا وَمَاؤَهَا؛
فِيُنَجِدُ هَذَا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُتَمَّهَا،
لَنْ قَدَفَتْ ذَوْبَ اللَّجِينِ عَلَى الثَّرَى
سِجَامًا إِذَا يَجِدُو رَكَائِبَهَا الْهَادِي^(١).
وَلَمْ تَعْلَمْ مَنْ تَأْوِيِبِ سَيْرٍ وَإِسَادٍ^(٢).
فَكَانَتْ لَدَفْعِ الْمَحَلِّ عَنْهُ بِمِرْصَادٍ^(٣).
وَكَلَّ عَلَى رَوْضِ الرَّبِيِّ رَائِحَ غَادِي^(٤).
وَذَاكَ تَرَاهُ مُتَمَّهَا بَعْدَ إِجْمَادٍ^(٥).
لَقَدْ خَلَصْتَهُ الْقَضْبُ حَلِيًّا لِأَجْيَادٍ^(٦)!

- وأهدى نسخة من ديوان شعره لتلميذه لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) وكتب عليه: هذه أوراق ضمنتها جملة من نبات فكري وقطعا مما يجيش به في بعض الأحيان صديري. ولو حرمت لأضربت عن كتبها كل الإضراب ولزمت في دفتها وإخفائها دين الأعراب^(٧). ولكني آثرت على المحو الإثبات^(٨) وتمثلت بقولهم: إن أحسن ما أوتيه العرب الأبيات^(٩). وإذا هي عرضت على ذلك المجد وسألها كيف نجت من الواد^(١٠)، فقد آوتتها من حرمتكم إلى ظل ظليل وأحلتها من فئاتكم في

- (١) دولاب الناعورة يحدث صوتاً وهو يدور. تستهل: تسكب. سجاما: بكثرة ودوام. يجدو: يحقون. الركائب: الحيوانات المعدة للركوب (يشبه القواديس الصناديق المركبة على محيط دولاب الناعورة بالركائب).
- (٢) تريم: تبرج، ترك. التأويب: سير النهار كله. الإساد: المشي في الليل.
- (٣) أرصدتها: أعدتها. أيّة عدة: عدة عظيمة (وسيلة). المحلّ، التحط، قلة نتاج الأرض.
- (٤) المزن: المطر. رائح وغاد (يأتي في الماء وفي الصباح).
- (٥) أجد (ارتفع). أنهم (انخفض). ذوب اللجين (الفضة): الماء الناصع البياض الصافي.
- (٦) لقد خلصته... إلخ: أخرجت منه قضبان النبات أزهاراً تضعها النساء الجميلات في أجسادهن (أعناقهن، أعلى صدورهن).
- (٧) الكتب (بفتح فسكون): الكتابة، التدوين. أضرب: أمتنع. الأعراب (البدو). دينهم (عادتهم) دفن النبات.
- (٨) المحو والإثبات من ألفاظ الصوفية. المحو ضياع شخصية المتصوّف في الله (بقاء شعره في صدره). الإثبات ثبوت شخصية المتصوّف في الله (درجة فوق المحو)، ظهور شعره الذي يتلّه.
- (٩) الأبيات: أبيات الشعر، الشعر.
- (١٠) ذلك المجد، كناية عن مكانه لسان الدين بن الخطيب الذي أهدى الشاعر إليه ديوانه. الواد: دفن الإنسان حياً.

مُغْرَسٍ وَمَقِيلٍ^(١). وَأَهْدَيْتَهَا عَلِيًّا بَانَ كَرَمَكَ بِالْإِعْضَاءِ عَنْ عُيُوبِهَا كَفِيلٍ. فَاعْتَنَمَ قَلِيلٌ
الْهُدْيَةَ مِنِّي: إِنَّ جُهْدَ الْمُقَلِّ غَيْرُ قَلِيلٍ^(٢).....

- ومن قوله في الغزل:

ظَفِرْتُ بِلْتِمِهَا فَبَدَا أَحْمَرَارٌ بَوَجَّتْهَا يَزِيدُ الْقَلْبَ وَجْدًا^(٣).
فَأَغْرَاهَا بِي الْوَاشِي، فَظَلَّتْ تَلُومٌ. وَلَمْ أَكُنْ مِمَّنْ تَعَدَى.
وَمَا كَانَتْ سِوَى قَبْلِ، فَفِيهَا جَنِينَ أَقَاحِيًّا وَغَرَسَنَ وَرْدًا^(٤)!

- ٤- رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة (راجع، فوق، ص ٤٧٨): فيها ترجمة
لحازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ).
** قضاة الأندلس ١٧١-١٧٧؛ الديباج المذهب ٢٩٠-٢٩١؛ بغية الوعاة ١٦؛ نفع
الطيب ٥: ١٨٩-١٩٩، ٦: ٢٤٨-٢٥١؛ النبوغ المغربي ٢١١-٢١٢، ٣٣٦،
٧٦٥-٧٦٨؛ الأدب المغربي ٢٣٩-٢٤٢؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٤ (٥: ٣٢٧):
معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٢٥٢ و ٣١٧ (مكررة).

أبو جعفر بن صفوان

١- هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي، وُلِدَ فِي مَالِقَةَ، سَنَةَ
٦٧٥ هـ^(٥). أَخَذَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْبَاهِلِيِّ، وَ(فِي مَرَاكِش) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
الْمُورَخِ وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ الْبِنَاءِ^(٦). وَتَوَلَّى أَبُو جَعْفَرٍ بِنُ صَفْوَانَ الْكِتَابَةَ فِي غَرْنَاطَةَ

- (١) أَوْبِنَهَا (أَسْكَنَهَا) مِنْ حَرَمِكُمْ (فِي جَنِبِكُمْ الَّذِي لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَرْتِكَاتِ ظَلَمِ فِيهِ). الْفَاءُ (بِكْسَرِ الْفَاءِ):
بَاحَةَ الدَّارِ. الْمَغْرَسُ: مَكَانُ النَّوْمِ لِبَلَاءِ الْقَيْلِ: مَكَانُ النَّوْمِ نَهَارًا.
(٢) جَهْدُ الْمُقَلِّ: مَا يَبْدُلُهُ الْفَقِيرُ أَوْ الضَّعِيفُ مِنْ مَالِهَا أَوْ طَاقَتِهَا. وَهْ جَهْدُ الْمُقَلِّ «عَتَوَانَ دِيوَانَ أَبِي النَّاسِمِ
السَّيِّئِ».
(٣) الْوَجْدُ: التَّوَقُّ وَالْحُبُّ.
(٤) الْأَقَاحِيُّ جَمْعُ أَقْحَوَانَ (بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَالْهَاءِ): أَزْهَارٌ بَيْضٌ ذَاتُ أَوْسَاطٍ صَفْرٍ. - قَبَلْتُ خَدَّهَا الْأَبْيَضَ
فَأَحْرَ خَجَلًا (كَأَنَّهُ نَبَتٌ فِيهِ وَرْدٌ = زَادَ جَمَالَهُ).
(٥) مِنَ الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ ص ٤٣ = ٧٦٣ هـ = ١٢٧٦-١٢٧٧ م.
(٦) كَذَا فِي الدِّيْبَاجِ الْمَذْهَبِ. وَالْمَوْسُوحُ أَنْ ابْنَ الْبِنَاءِ هَذَا هُوَ ابْنُ الْبِنَاءِ الْمَرَاكِسِيِّ (ت ٧٢١ هـ) الْمَالِمِ
بِالْحِسَابِ.

في زمن السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف المعروف بالفيهي (٦٧١-٧٠١ هـ) تم استغنى من منصفه وعاد إلى مالقة وفيها توفي في آخر جمادى الآخرة من سنة ٧٦٣ (٢٥/٤/١٣٦٢م).

٢- كان أبو جعفر بن صفوان صدراً من صدور الكتاب وشاعراً أكثر شعره في الشكوى، وبعضه في التصوف. وكان أيضاً بارعاً في عدد من فنون المعرفة كاللغة والأدب والتاريخ والحساب والفرائض والتوثيق والفلسفة والتصوف. وكان مصنفاً له: مطلع هلال الأنوار الإلهية - بنية المستفيد - شرح كتاب القرشي في الفرائض، وغيرها.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو جعفر بن صفوان في عدد من المعاني الصوفية^(١):

بان الحميم، فما الحمى والبان	بشفاء من عنه الأحبة بانوا ^(٢) ؟
لم ينقضوا عهداً بينهم، ولا	أنهائم ميثاقك الحدان ^(٣) .
لكن جنحت لغيرهم، فأزالهم	عن أنهم بك موحش غيران ^(٤) .
لو صح حبك ما فقدتهم، ولا	سارت بهم عن حبك الأظعان ^(٥) .
لا يشتكي ألم البعاد مئيم	أحبابه في قلبه سگان.
شغلتك بالأغيار عنهم مقلّة	إنانها عن لمجهم وسان ^(٦) .
غمض جفونك عن سواهم معرضاً؛	إن الصوارم حجبتها الأجفان ^(٧) .

- (١) سأشرح هذه الأبيات شرحاً نوعياً أدبياً وسأترك الصور الصوفية بلا شرح.
- (٢) بان: ابتعد، سافر. الحميم: الصديق المخلص - فما أثر الحمى (الممكن) والبان (نوع من الشجر) في شفاء (تعزية) من ابتعد عنه أحبه؟
- (٣) البين: البعد. الميثاق: العهد. الحدان: أحداث الزمان (المصائب).
- (٤) جنح: مال، انصرف.
- (٥) الظن (بالفتح): الراحة عليها هودج للنساء.
- (٦) الأغيار (في التصوف): الموجوات في عالم الشاهدة، الأشياء الموجودة في عالنا: البحر، الشجرة، البيت، الإنسان (كل ما هو غير الله في الأمور الشاهدة). وسان: نسان.
- (٧) الصارم: السيف. الجفن (الأولى): جفن العين، (والثانية): جفن السيف، قرابه، بينه - ما دام السيف في قرابه فليس سيفاً (لأنه في هذه الحال لا يفعل فعل انيسوف).

واصرِفْ إِلَيْهِمْ لَحْظَ فِكْرِكَ شَاخِصاً
يا لِحْماً سِرِّ الوجودِ بَعِينِهِ،
أَنْتَ الْحِجَابُ لِما تُؤْمَلُ مِنْهُمْ؛
- وقال في الموت وهلاك الأعداء:

وقالوا: قضاء الموتِ حَتْمٌ على الورى
فلا تَنْتَسِمُ رِيحَ ارْتِياحِ لِقَدِيدِهِ،
فقلتُ: بلى، حُكْمُ الْمَنِيَةِ شامِلٌ؛
ولكنْ لِتَقْدِيمِ الأَعادي إلى الرَدَى
وأمنٌ ينام المرءُ في بَرْدِ ظِلِّهِ،
وحسبي بيتٌ قاله شاعرٌ مضى
وإنْ بقاء المرءِ بعدَ عَدُوِّهِ -
يُدِيرُ صَفِيرَ كَأْسِهِ وَكَبِيرُ^(٢)
فإنَّكَ عن قَصْدِ السَّيْلِ تَحورُ^(٣).
وكلُّ إلى ربِّ العبادِ يَصيرُ.
تَشاطُ بِعودِ القَلْبِ مِنْ سرورُ^(٤)
ولا حَيَّةٌ لِلحِقْدِ ثَمَّ تَتورُ.
غداً مثلاً في العالمينِ يَيرُ:
- ولو ساعةً من عُمرِهِ - لَكثير!

- كان سلطانُ غرناطةَ أبو الحجاجِ يوسفُ الرابعُ متوجِّهاً إلى الجزيرةِ الخضراءِ
لنَجْدَتِها على الإسبانِ، سنة ٧٤٤ هـ (١٣٤٣ م). وكان في صُحْبَتِهِ لسانُ الدينِ بنُ
الخطيبِ. فتمهَّلَ السلطانُ قليلاً في مألَفَةٍ، فانتَهزَ لسانُ الدينِ الفرصَةَ وجمعَ شعراً
بِصَفْوَانَ وَسَمَّاهُ «الدُّرُّرُ الفَاخِرَةُ وَاللُّجَجُ الزَّاخِرَةُ» وطلبَ من ابنِ صفوانِ أنْ يُجيزَ له
ولابنِهِ عبدِ اللهِ رِوايةَ هذا الديوانِ، فكتبَ ابنُ صفوانِ في الإجازةِ ما يلي:

الحمدُ لله مُستَحِقُّ الحَمْدِ. أُجِبتُ سُؤالَ الفقيهِ الأجلِّ الأفضَلِ السَّريِّ الماجِدِ
الأوحدِ.... الحائِزِ في فَنِّي النَظْمِ والنَثْرِ وأُسلوبيِ المِكاتِبَةِ والشعرِ رُتبَةَ الرِثاسَةِ...
أبي عبدِ اللهِ بنِ الخطيبِ - وَصَلَ اللهُ سعادَتَهُ وَمِجادَتَهُ، وَأَسَى^(٥) من الخَيْرِ الأوفِرِ
والصُّنْعِ الجميلِ الأَبهرِ مَقْصِدَهُ وإِرادَتَهُ، وَبَلَّغَهُ في نَجَلِهِ الأَسعَدِ وابنِهِ الراقِي بِمَحْتَدِهِ

(١) - ما دمت تدرِكُ نَمَكِ مَسْتَقلاً شَجيراً في مِكانِكَ فإِذراكِ العِرةِ الأَتيةِ مِحبوبِ بِكَ (مستحيل عليك).

(٢) يدير كأسه: يشرب منه (يموت).

(٣) أنتسم صيغة غير قاموسية. المقصود نَسَمَ: نَفَسَ. الأرتياح: السرور. تحور: تَميل، تَضَلَّ.

(٤) - لموت أحد المحصنين سرور يدخل على قلب الحمص الآخر مرة بعد مرة.

(٥) أسى: رُعب (زاد).

الفاضل ومَنشأه الأطهر محلَّ الفرقد، أفضل ما يُؤمَلُ بخلته إياه^(١) في المكرمات وإفادته؛ وأجزت له ولابنه عبد الله المذكور - أبقاها الله تعالى في عزّة سنيّة الخلال وعاقبة مُتدّة الأفياء وارفة الظلال^(٢) - روايةً جميع ما تَمَيَّدَ في الأوراق المُكْتَسَبِ على ظَهَرِ أوَّلِ ورَقَةٍ منها من نَظْمِي ونَثْرِي وما تَوَلَّيْتُ إنشائه واعتمدتُ بالارتجال والرواية اختياره وانتقاه، أيامَ عُمُرِي، وجميع ما لي من تصنيفٍ وقصيدٍ ومقطوعةٍ وقصيدٍ، وجميع ما أحمله عن أشياخي - رضي الله عنهم - من العلومِ وفنونِ المنشور والمنظوم، بأيّ وجهٍ تَأْتَى ذلك وصَحَّ حَمَلِي له وثَبَّتَ إسنادهُ لي، إجازةً تامّةً في ذلك كلّهُ عامّةً على سُنَنِ الإجازاتِ الشرعيةِ وشرطها المأثور عند أهلِ الحديثِ المرعي^(٣). والله يَنْفَعُنِي وإياها بالعلمِ وحَمَلِهِ وَيَنْظِمُنَا في سِلْكِ حِرْزِهِ المُفلحينِ وأهلِهِ وَيُفِيضُ عَلَيْنَا من أنوارِ بركِهِ وفضله. قال ذلك وكتبهُ بِحَطِّ يَدِهِ الفانيّةِ العبدُ الفقيرُ إلى الغنيِّ به أحدُ بنِ إبراهيمِ بنِ أحمدَ بنِ صفوان - ختم الله له بخير - حامداً الله تعالى ومُصَلِّياً ومُسلِّماً على مُحَمَّدٍ نَبِيِّ المُصطفى الكرمِ وعلى آله الطاهرينِ ذوي المنصبِ العظيمِ وصَحْبِهِ البررةِ أُولَى المنصبِ الأثرةِ^(٤) والتقديمِ، في سادسِ ربيعِ الآخرِ عامِ أربعةِ وأربعينِ وَسَبْعِمِائَةٍ^(٥). وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوكيلُ.

٤- ** الدياج المذهب ٤٤٣ نيل الابتهاج ٤٧٢ الإحاطة ١: ٢٢٩ - ٢٤٠: الكتيبة
الكامنة ٢١٦ - ٢٢٣: درة المجال ١: ٧٨ - ٧٩ معجم المؤلفين لكحالة ١:
١٣٣ - ١٣٤.

ابن الحاج النميري الغرناطي

١ - هو الشيخُ برهانُ الدينِ أبو اسحاقَ إبراهيمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ بنِ

- (١) الهند: كرم الأصل والشرف. الفرقد (النجم القطبي، وغيره). المصود: المكان العالي. النحلة (بالكسر): ما ينحله (بمنه) الإنسان أو يمتدده.
(٢) الوارف: المتمد.
(٣) المرعي: المعمول به (نمت لكلمة شرطها «).
(٤) الأثرة: المنزلة، وتقدم الإنسان في المنزلة على غيره.
(٥) ١٣٤٣/٨/٢٨ م.

موسى التميميُّ الغرناطيُّ، وُلِدَ في غرناطة سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣-١٣١٤ م).

دَخَلَ ابنُ الحاجِّ ديوانَ الإنشاء سنة ٧٣٤ هـ. وفي مطلع سنة ٧٣٧ هـ (آخر صيف ١٣٣٦ م) تطوَّفَ قليلاً بشرق الأندلس ثم رَحَلَ إلى المشرق وحجَّ. وكثُرَ ذهابُه إلى المشرق وحجَّه، وكان في كلِّ مرَّةٍ يعودُ إلى إفريقيَّة ويعودُ أحياناً إلى الأندلس. وفي نفع الطيب (٧: ١٠٧) أنَّ رِحْلَتَهُ وصلتْ إلى ما وراء الشام والمراق. وقد لقيَ في الشام نقرأ من كبار علماء الحديث وأخذ عنهم. من هؤلاء: علَمُ الدين البرزالي (ت ٧٣٩ هـ) والحافظ المزيُّ (ت ٧٤٢ هـ) والحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ).

وملَّ ابنُ الحاجِّ الخدمةَ في دواوين الدَّوَلِ (في الأندلس وفي المغرب) فأثر الانسحاب من الحياة العامة واعتزل (رمضان ٧٥٧ = مطلع الحريف من عام ١٣٥٦ م). ولكنَّ السُّلطانَ أبا عيَّانَ المرينيَّ أجبره على الرجوع إلى الخدمة. فلما توفِّيَ أبو عيَّان (٧٥٩ هـ) عاد ابنُ الحاجِّ إلى الأندلس. ولعلَّه في هذه الحِقبة تولى القضاء حيناً في غرناطة.

ثم إنَّ ابنَ الحاجِّ توجهَ رسولاً من قبَلِ السُّلطانِ محمدِ الخامس صاحبِ غرناطة إلى السُّلطانِ أحمد بنِ الزيَّانيِّ صاحبِ تلمسان. فلما وصلتْ سفينته إلى مقرَّبَةٍ من وهران (شاطئ الجزائر) تعرَّضَ لها أسطولٌ للعدو^(١)، وذلك في سادسِ ربيعِ الآخر من سنة ٧٦٨ (١١/١/١٣٣٧ م). ولكنَّ السُّلطانَ محمدَ الخامس أتقده^(٢) بعد أن لَبِثَ في الأسرِ سِتَّةَ عَشَرَ يوماً. وعاد ابنُ الحاجِّ إلى الأندلس^(٣).

٢- كان ابنُ الحاجِّ التميميُّ الغرناطيُّ محدِّثاً وفقهياً، كما كان ناثراً وشاعراً. قال فيه القرنيُّ «الشاعرُ المُلقَّبُ له النظمُ الرائعُ العذبُ الجامعُ بينَ جَزَالَةِ المعاربةِ ورِقَّةِ

(١) كان ذلك في عصر الفرصة حينما كان الأوروبيون من إسبانيا وبرنابيين وهولنديين وانكليز وفرنسيين يفتطمون البحر على مراكب المسلمين.

(٢) قبل أتقدها يبلغ حجم، وقيل أرسل أسطولاً كبيراً حارب القراصنة.

(٣) لم يرد ذكر وفاة ابن الحاجِّ التميمي في نفع الطيب ولا في نيل الابتهاج. ولكنه كان بلا ريب حياً في ٧٦٤ هـ (لما كتب رسالته إلى لسان الدين بن الخطيب). ولكن غير الدين الرركلي (الأعلام ١: ٤٢) ذكر أنَّ وفاته كانت سنة ٧٦٨ هـ (١٣٦٧ م). وفي المنهل الصافي (١: ٦٦-٦٨) ودائرة المعارف الإسلامية: نحو ٧٨٥ هـ.

المشاركة^(١). ويبدو أن مُعْظَمَ شِعْرِهِ مُقْطَعَاتٌ قِصَارٌ تَعَلَّبُ فِيهَا التَّوْرِيَاتُ. وَأَبْرَزُ فُنُونِهِ الْمَذْحُ وَالغَزَلُ. ولابن الحاجّ تَأْلِيفٌ كَثِيرٌ مِنْهَا: رحلة - فيض العُباب وإجالة قِداح الآداب في الحَرَكَة إلى قُسْطَيْنَة والزَاب^(٢) - المِساهلة والمِساهمة في تبيين طرق المِداعبة والمِمازحة - إيقاظ الكِرَام بأخبار المِنام - تنعيم الأشباح بِمِحادِثَة الأرواح - كتاب الوسائل ونُزهة النواظر والحِماثل - الرِّهْرَات وإجالة النَظَرَات - كتاب في التَّوْرِيَة (على حروف المُعْجَم) - مِثَالِيَة القَوَانِين في التَّوْرِيَة وَالاسْتِخْدام وَالتَّضْمِين^(٣) (وهو كَلَمَةٌ مِنْ نِظْمِهِ) - بِيان الاسْمِ الأَعْظَم^(٤) - اللِبَاس وَالصُّحْبَة (جَمع فِيهِ طَرِيقُ التَّصَوُّفَة) - نُزْهَة الحَدَقِ فِي ذِكْرِ الفِرَقِ - الفُصُولُ المُتَضَبِّة فِي الأَحْكَامِ المُتَّخِبَة (رَجَزٌ فِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة) - رَجَزٌ فِي 'جَدَل'.

٣ - مِخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- قَالَ ابْنُ الْحَاجِّ التُّمَيْرِيُّ لَمَّا نَوَى (قَصْد) عِلْمَ الدِّينِ الْبِرْزَالِيَّ مِغَادِرَةَ دِمَشْقَ:

نَوَى النَّوَى عِلْمَ الدِّينِ الرِّضَا فَأَنَا مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ بِالنَّامِ ذُو أَلَمٍ^(٥).
فَلَا تَلْمِئْنِي عَلَى حُبِّي دِمَشْقَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ فِيهَا زَمَانًا صَاحِبَ الْعِلْمِ^(٦).

- وَقَالَ يَذْكَرُ الأَثَارَ (آثَارُ البِلَادِ - الأَحَادِيثُ) وَكَيْفَ تُرَوَى (تُسَمَّى) - يَنْقَلِبُهَا وَاحِدٌ عَنْ وَاحِدٍ بِسِلْسِلَةٍ (حَلَقَاتٌ مَجْمُوعٌ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ تُدَارُ بِهَا النَّاعُورَة) - نَسَقٌ مِنْ

(١) نفع الطب ٧: ١٠٧. لو قال: جزالة المشاركة ورقة الغارية لكان أولى!

(٢) ارتفاع الموج، وكثرة الماء في السيل. الإجالة: المرح والخلط. القداح جمع قده (بالكسر): سهام تستخدم في البسر أو لعب الفخار. (يبدو أنه قام برحلة للتكسب يرى فيها حظه في النجاح، كأنها كان يقامر). الحركة: السفر. قسطنطينة (كذا تلفظ اليوم) هي قسطنطينية، نسبة إلى ملك الروم (الأمبرطور البيزنطي) قسطنطين الكبير الذي بناها في مشهد مدينة سابقة كانت قد حُرِبَتْ فِي أَثْنَاءِ ثَوْرَة عَامِ ٣١١ م. بِلَادِ الزَاب تقع في جُوبِ الحِزَائِرِ قَرِيبَةً مِنَ الصَّحْرَاءِ الكَرِي (مزاب، ميزاب).

(٣) التورية والاستخدام والتضمين من أبواب البلاغة.

(٤) الاسم الأعظم: الاسم المنتم للهائة من أسماء الله الحسنى (والمعروف منها تسعة وتسعون اسماً)، ويرى المتصوفة أن من عرف هذا الاسم تَرَدَّعَا بِهِ اسْتِجَابَ اللهِ لَهُ كَلِّ دَعْوَةٍ.

(٥) النوى: العباد، الغربة.

(٦) صاحب العلم: الرجل المشهور ذو الفؤاد - وصاحب العلم: صديق علم الدين البرزالي.

الرجال الذين يروون الحديث) من الذهب (المعدين المعروف - الحافظ شمس الدين الذهبي):

رَحَلْتُ نَحْوَ دِمَشْقِ الشَّامِ مُتَبَيِّئاً رِوَايَةَ عَنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَدَبِ (١).
فَفُزْتُ فِي كُتُبِ الْأَثَارِ حِينَ غَدَتِ تَرَوَى بِسِلْسِلَةِ عَظْمِي مِنَ الذَّهَبِيِّ!
- وقال لما مات أبو يحيى أبو بكر سلطان تونس فخلفه ابنه أبو حفص عمر (٧٤٨ هـ) بمد أن قتل إخوته (أبو بكر سلطان تونس - أبو بكر الصديق ثم عمر سلطان تونس بعد أبيه أبي بكر - عمر الفاروق الخليفة الثاني):

وقالوا: أبو حفص حوى الملك غاصباً، وإخوته أولى، وقد جاء بالشكر.
فقلت لهم: كفوا، فما رضي الوري سوى عمر من بعد موت أبي بكر (٢)!
- وقال في النسب (خفيف: محتمل، مرغوب فيه):

أتوني فعاثوا من أحب جالته. وذاك على سنع المحب خفيف (٣).
فما فيه عيب، غير أن جفونه مراض وأن الحضر منه ضعيف (٤).
- وقال أيضاً (الهجاء: ضد المدح، تهجئة الكلبيات):

لي المدح يُروى منذ كنت كأننا تصورت مدحاً للورى وثناء (٥).
وما لي هجاء. فاعجبين لشاعر وكاتب سر لا يقسم هجاء.
وقال في الغزل الصريح وفيه توريات بكتابات قبيحة ولكن بارعة:

ومهاة تقول، إن هي كلت ودعا للمزاج خيل مازج (٦).
وازر الردف، إن في الأزر مني رمل ييرين، يا طبيب، وعالج (٧)!

(١) الأحلام جمع حلم (بالكسر) العتل. (٢) الوري: الناس.

(٣) الأشياء التي ظنوها عبثاً في عبوي هي حسات في محبوب.

(٤) مراض: ناعسات (وهم ينعون أنها مريضة، مقبحة). ضعيف: خفيف (وهم ينعون أنه ناقص التكوين).

(٥) تصورت (كأني كلفي - كل عمل - مدح جميع الناس والثناء عليهم).

(٦) المهاة: الغزالة (المرأة الجميلة). كلت: تبت (من الغزل....).

(٧) المزاج: المداعبة (دعب: جامع). حل: صديق. مازج: معاشر (بقدرته على المداعبة). الردف: مؤخر =

- وقال :

هذه الشمس بالحجاب توارث
بعد نور لها ورَحْبٍ وبشر^(١).
وأتى الليل بالنسيم عيلاً
فهو يمشي من أفضه لابن زُهر!

(عليلاً: لطيفاً، بارداً- عيلاً: مريضاً ثم ابن زُهر: النجوم؟ - ابن زُهر: طبيب أندلسي مشهور كان قبل عصر ابن الحاج).

- وردت رسالة من لسان الدين بن الخطيب إلى الحاج الثميري (جواب رسالة سابقة لابن الحاج) فردَّ ابن الحاج برسالة جاء فيها:

..... قَمَّا بِيْرَاعَتِكَ الَّتِي هِيَ الْوَاسِي الْمَطَاعُ وَضُرْبِكَ^(٢) الَّذِي أَنْهَجَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَالْأَسْبَاحُ، لَقَدْ عَادَ لِي بِكَتَابِكَ عَيْدُ الشُّوقِ وَجَادَ لِي بِخَطَابِكَ جِدُّ التَّوْقِ^(٣). وَلَعَهْدِي
بِنَفْسِي - رَهْنُ أَشْجَانِي غَيْرَ مَحْلُولَةٍ عُقْدَةٌ لِسَانِي - أَشَدُّ مِنْ الصَّخْرَةِ جَلْدًا وَأَغْلَظُ مِنْ
الْإِبِلِ كِبْدًا^(٤). حَتَّى إِذَا بَدَّتْ حَرِيْقَةُ الْقَلْبِ وَهَبَ نَيْمُهُ الرُّطْبَ وَأَفْيَحَ مَوْرِدَهُ
الْعَدْبُ^(٥) وَأَضَاءَ بِنُورِهِ الشَّرْقُ وَالغَرْبُ وَلَمْ يَبْقَ لِي بَثٌّ وَلَا سَجَنٌ^(٦) وَلَا شَاقَتِي أَهْلُ

= البدن. وازر الردف (ساعدي على حمله). الأزرج جمع إزار (نوب للنصف الأسفل من الجسم). يبرين
وعالج مكانان في بادية العرب كثيرا الرمال. في الأزرمسي رمل يبرين وعالج (أشياء كثيرة، طاقة
كبيرة). عالج (فعل أمر من عالج به الجاه: داواه). عالج الشيء: مارسه. وفي حديث: «عالت امرأة
فأصبت منها» (تاج العروس - الكوكب ٦: ١٠٩).

(١) توارث الشمس بالحجاب: غابت. رحب: مكان واسع (في السماء الظاهرة لأعيننا). البشر: طلاقة الوجه
والسائنة. الفرح.

(٢) الواسي (كذا في الأصل) لعلها الواشي. الطرس: الورقة. (سأكتفي هنا بشرح الألفاظ المفردة لأن القطعة
المذكورة قائمة على التلاعب بالألفاظ كما يطول أمر الكشف عن مقاصد ذلك التلاعب).

(٣) عيد: عودة (في موثقة لسان الدين بن الخطيب: عاده عيد من الشوق جديد). جدُّ التوق (التزوع،
الميل، التوق) المجدي، الحقيقي.

(٤) الجلد: الاحتمال (في موثقة لسان الدين أيضاً: ليس لي صبر ولا لي جلد). أغلظ من الإبل كبدًا: أقدر
على الاحتمال، وأشد بعداً في السفر وأكثر صبراً على البعد عن الوطن.

(٥) أفيح؟ (يقصد فاح من « فبح » أفتح، كثر) مورده (مكان الاستقاء منه). العذب: الحلو.

(٦) البت والشحن: الحزن.

ولا وطنٌ ومضى سيفُ اللسان بعد النبؤِ ونَهَضَ طِرْفُ الفِكرِ بعد الكُبوِّ (١) وهَزَنِي الطربُ المثيرُ للأفراحِ ومشى الجَدَلُ في أطرافي وأعطاني (٢) مَشَى الرَّاحِ (٣).... قُلْتُ: من لي (٤) بَشْرِيَةِ من كَأْسِ بِيَانِهِ وَقَطْرَةٍ من بُحورِ إِحْسَانِهِ حَتَّى أُؤَدِّيَ ولو بَعْضَ حَقِّهِ.... فَأَمَّا وقد نَفَقْتُ عِنْدَكَ بِضَاعَتِي المَرْجَاةَ (٥) وَشَمِلَنِي من لَدُنْكَ الحِلْمُ والأَنَاةُ وَشَرَّفَتْنِي بِالْحِطَابِ الكَرِيمِ. وَالمِرسَالَةُ الَّتِي عَرَفْتُ فِي وَجْهِهَا نَضْرَةَ النَعِيمِ (٦)، فَمَا أَنبِي إلا إِيرَادَهَا عَلَيْكَ وَكَلَّهَا خُرَاجُ وَلِبُرْدِهَا فِي الإِجَادَةِ إِينَاجُ (٧). وَلَمَلَّكَ تَرْضَى التَّخْرِيجَ من مُدَوِّنَةِ الأَخْبَارِ وَالمِيسُوطَةِ وَالمِوَاضِحَةِ، لَكِن من الأَعْدَارِ (٨).....

وإذا كان المرء على دين خليله، ومن شأنه سلوك نهجه وسيله، فالأليق أن أزهّد في الصفراء والبيضاء وأقابل زخرف الدنيا (١) بالبنضاء، وأزجو على يدك حنّ التخلّي والاطلاع على أسرار التجلي (٢) حتى أسمع بك في آخري ودنيائي وأجد بركة خاطر في ماتي ومجياي. أبقاك الله بقاء سِرٍّ وأمتع بمناقبك التي يخسدها الياقوت

(١) مضى السيف: قطع، مرّ في الشيء الذي ضرب به. النبؤ: رجوع السيف عن الضربة. - في الأصل: ونهض طرف (بفتح فسكون) الفكر بعد الفكر (بضم الباء) - والصواب ما أثبتته في المتن. الطرف (يكسر الطاء) الحصان. والكبو: العثرة. (في أصل هذا النص قراءات خاطئة).

(٢) المجدل: الفرح.

(٣) الراح: الخمر.

(٤) في الأصل: مالي. الصواب من لي: من يعطيني.

(٥) المَرْجَاة (من «أزجي»): المشوشة، الرديئة.

(٦) نضرة النعيم: وضاعة ولعان في الوجه من الرفاهية والنعمة. في القرآن الكريم (٨٣: ٢٤)، سورة المطففين: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾.

(٧) إيرادها (؟). الخراج بضم الخاء أو بفتحها دمل يخرج في البدن (شيء رديء). البرد: التوب (من الحرير). نيج التوب وأنيج: يلي وتبرأ.

(٨) التخريج (هنا): التعليل. المدونة كتاب في الفقه، والواضحة كتاب في التجويد (تجويد القرآن - مقصور على الفاتحة). ولم أعرف المسوطة (وناشر الكتاب لم يذكرها في فهرست الكتب التي ورد ذكرها في الكتاب). من المعروف أن المسوطة كتاب في الفقه. - يقصد يريد أن يدون عذره مبسوطةً (بتفصيل) وواضحةً.

(٩) الصفراء (العملة من الذهب) والبيضاء (العملة من الفضة). الزخرف: الزينة.

(١٠) التحلي: ترك الاختلاط بالناس. وترك الزواج أيضاً. التجلي: وضوح الأشياء للإنسان، عطف الله عليه بإفادته علوماً من عنده (من عند الله).

والدُرِّ. ولا زِلَتْ في سِيَادَةِ تَرَوْقُ نَعْمًا وسَعَادَةٍ لا تَرَى فيها عَوَجًا ولا أُنْتًا^(١). وأقرأ
 عليك سلاماً عاطر العَرَفِ^(٢) كَرِيمِ التَّكْيِيدِ والعَطْفِ..... كَتَبَهُ أَخُوكَ وَمَمْلُوكُكَ
 وشيعةٌ مَجْدِكَ في الرَّابِعِ والعَشْرِينَ من جُمَادَى الأُولَى عَامِ أَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِمِائَةٍ.

٤- ** نيل الابتهاج ٤٤-٤٦؛ الوافي بالوفيات ٦: ٤٠؛ الإحاطة ١: ٣٥٠، ٣٧١؛
 الكتيبة الكامنة ٢٦٠-٢٦٩؛ نثر فرائد الجمان ٣٠٣-٣١٨؛ نفع الطيب ٢:
 ٥٣٤-٥٣٥، ٥٣١: ٧، ١٠٨؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ١٧٨٠، بروكلمن،
 الملحق ٢: ٣٦٩؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٢-٤٣ (٤٩)؛ مجلة «البحث
 العلمي» ١/ ١٩٦٥ م، ص ٧١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١: ٥١.

ابن خاتمة الأنصاري

١- هو أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الأنصاري^(٣)، وُلِدَ
 في النَمْرِيَّةِ، في مطلع القرن الثامن للهجرة فيما يبدو^(٤). وتلقى ابن خاتمة العلم على
 نفر^(٥) منهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المُرِّي قرأ عليه ابن خاتمة ولازمه،
 وأبو إسحاق إبراهيم بن العاصي التَّوْخِي ومُحَمَّدُ بنُ جَابِرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حَسَّانِ الوَادِي
 آشِي، وهو روايةٌ مُحَدَّثٌ (بأحاديث رسول الله) رَحَّالٌ (صاحب رحلات)، وأبو البركاتِ
 ابنُ الحَاجِّ وأبو القاسمِ عبدُ الرحمنِ بنُ شُعَيْبِ القَيْسِيِّ من أهل النَمْرِيَّةِ، وأبو جعفرِ
 القرشيُّ المعروفُ بابنِ فَرْكُونِ وأبو القاسمِ مُحَمَّدُ بنُ سَهْلِ بنِ مالِكِ وأبو جعفرِ بنِ الأغرِّ

(١) الأمت: الاختلاف في الأرض ارتفاعاً وانخفاضاً. «لا ترى فيها الح» تضمين من القرآن الكريم (٢٠: ١٠٧، سورة طه).

(٢) المرغ: الرائحة الطيبة.

(٣) الأنصاري: نسبة إلى «الأنصار» الذين نصرُوا رسولَ الله لَمَّا هاجر إلى المدينة (أهل المدينة). ويزيد
 محمد رضوان الداية (محقق ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص ٩ م، السطر الأخير) «المريني» (نسبة إلى
 بني مرين حكام المغرب)!

(٤) في مقدمة الديوان (ص ١٧ م) ترجيح أنه عاش نحو سبعين سنة.

(٥) راجع في ذيل وفيات الأعيان (ص ٨٦) أسماء نفر آخرين من شوخه. وفي مجلة «دعوة الحق» (الرباط،
 صفر ١٣٩٢ هـ = إبريل - نيسان ١٩٧٢ م، ص ١٤٦) أن مولده كان سنة ٧٣٤ هـ.

(الإحاطة ٢٤٩، وقد صُعبَ عليَّ تَتَبُّعُ أَسَائِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ).

وقَدَّ ابنُ خاتمةَ للإقراء في الجامعِ الأعظمِ في المَرِيَّةِ فأقرأ اللغةَ والنحوَ والبلاغةَ والأدبَ، وكان في الوقتِ نفسه يقومُ بعقدِ الشروطِ. ثم دَرَسَ في المدرسةَ اليوسيفيةَ التي أنشأها في غرناطةَ أبو الحجاجِ يوسفُ الأوَّلُ بنُ الأحمرِ (٧٣٣-٧٥٥ هـ)^(١).

وكانتِ صِلَةُ ابنِ خاتمةَ ببنيِ الأحمرِ حَسَنَةً، زارَ غرناطةَ مراراً إحداهما في شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٧٥١ (خريف ١٣٥٠ م). وكان لا يزالُ حيًّا في ثانيِ عَشْرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٧٧٠^(٢) (٢١ / ٣ / ١٣٦٩ م)، كما في الإحاطة (١ : ٢٦٧). ولَعَلَّ وفاتهَ كانتِ بعيدَ ذلكِ بقليلٍ.

٢- ابنُ خاتمةَ الأنصاريُّ ناثِرٌ له رسائلٌ إخوانيَّةٌ ودِيوانِيَّةٌ، وَهُوَ ناظِمٌ مُكثِرٌ مُتَعَدِّدُ الفنونِ والأغراضِ له مديحٌ دينيٌّ في اللهِ وَنِعَمِهِ وَنَسِيبٌ وَغَزَلٌ مُؤنَّثٌ ومذكَرٌ ومُجَوِّدٌ ثمَّ له أوصافٌ في الطبيعةِ والخمرِ وله حِكْمٌ ومُلْحٌ وفُكاهاتٌ. وشِعْرُهُ عاديٌّ في الأَكْثَرِ تَغْلِبُ عليه الصَّناعةُ اللَّفْظِيَّةُ والصَّناعةُ المعنويَّةُ. وله مُوشَّحاتٌ كثيرةٌ. وَيَغْلِبُ على شعرِ ابنِ خاتمةَ التقليدُ، فترى فيه آثارَ الشعراءِ ظاهرةً مِنْ مِثْلِ أبي نُوَاسٍ وأبي تَمَّامٍ والبُحْتَرِيِّ والمُتَنَبِّيِّ وابنِ هانِي الأندلسيِّ وابنِ الفارِضِ وسِوَاهُمْ. غيرَ أَنَّهُ سَلِمَ العِبارَةُ مِنِ السَّبْكِ.

وابنُ خاتمةَ الأنصاريُّ مؤلِّفٌ له: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد (في وصف الطاعون الجارف الذي اجتاحت العالم في آسية وأوربة وإفريقية، سنة ٧٤٩ هـ = ١٣٤٨ م) - مَزِيَّةُ المَرِيَّةِ على غيرها من البلاد الأندلسية (فيه شيء من جُغرافيَّةِ تلكِ المدينة وتاريخيَّها وتراجُمِ رجالِها وَرُؤَاها) - إِنْحاقُ العقلِ بالْحِسِّ في الفرقِ بينِ اسمِ الجنسِ وعلمِ الجنسِ (٤) - إِبْرادُ اللَّالِ من إنشادِ الضَّوَالِ (وهو استدراك على « إنشاد الضَّوَالِ وإرشاد السُّؤالِ » لمحمَّدِ بنِ هانِي اللخمي السَّنْبِي التوفِّي سنة ٧٣٣ في لَحْنِ العامَّة) - رائقُ التحلية في فائقِ التورية (مجموع شعر).

(١) يقوم بعقد الشروط (بتنظيم عقود البيع والزواج وغيرها، ولعله يشبه الكاتب العدل في أيامنا)!

(٢) راجع التعليق على دقة هذا التاريخ (الدِيوان، ص ١٦ م - ١٧ م).

- من مقدّمة ديوانه:

وبعد، فإنّ بعضَ خُلصائي^(١) - وهو من لا يَسَعُ، لجميلِ وُدّه، غيرُ تكميلِ قصيدِهِ - قد خَطَبَ إليّ بُنياتٍ فكري وأبياتٍ شعري جملةً يسهلُ استظهارها ويَجْمَلُ في مِنصَةِ المُحاضرةِ استحضارها^(٢)، تأخذُ مِنَ الآدابِ بأطوارها وفنونها وتشمَلُ مِنَ المعاني على أبقارها وعونها^(٣)..... وعِنْدَمَا كَمَلُ إبدارُها وتمَّ اغتِيامُها واختيارُها رَفَقْتُها إليه سادِلةً^(٤) ثوبَ الحياءِ تُقدِّمُ رجلاً وتؤخِّرُ أخرى مِنَ الاستحياءِ، رِيحانةً مِنْ أدواحٍ ونَسَمَةً مِنْ أرواحٍ^(٥). وقد قَسَمْتُها أربعةَ أقسامٍ قَصَدَ التنشيطِ والإجمامِ^(٦): القَسَمَ الأوَّلَ في المدحِ والثناءِ - القَسَمَ الثاني في النسيبِ والغزلِ - القَسَمَ الثالثَ في المُلحِ والفكاهاتِ - القَسَمَ الرابعَ في الوصايا والحِكَمِ. وختَمْتُها ببُنْدَةٍ مِنَ التَّوشيحِ الذي له في مِضارٍ^(٧) الأدبِ المِجالُ الفِصحِ.....

- قال ابن خاتمة في ذكر لطف الله ونعمه:

أما أَبْصَرْتَ عَيْنَكَ لِلحَقِّ مُرْشِداً؟ أما سَمِعْتَ أذْناكَ لِللهِ دَاعِياً؟
أبْعَدَ شَيْبِيبٍ تَسْتَجِدُّ شَيْبِيَّةً؟ وبعد هَوَى تَبْغِي عَمَى أَوْ تَعَامِياً^(٨)؟

- (١) الخِصاءُ جمع خِصص (بِكسر الخاء): المِندَن (بِكسر الميم): الصديقُ المُخلصُ.
- (٢) بُنياتٌ جمع بِنْيَة (مُؤنثٌ بِنْيَة بِضَمِّ الباءِ تَصْغِيرُ «بِنْيَة»). بناتُ الأفكارِ: الآراءُ، الأُحوالُ. جملَةٌ: مقداراً يَسيراً. استظهارها: حفظها غيباً. مِنصَةٌ: منبر. المُحاضرة: المُسابقة، المُناظرة. استحضارها: تذكُّرها عند الحاجة.
- (٣) البكر: (الأشياء) التي لم يعرفها أحدٌ من قبل. المُونُ جمع عوان: المرأةُ التي كان لها زوج، والحربُ التي قوتلَ فيها مرَّةً بعد مرَّةٍ، الشيءُ الذي عرف من قبل.
- (٤) الإبدار: الإكثال (أصبحت كالبدن تامّة). الاعتِيام: أخذ الشيء. رَفَقَها: أهداها، أرسلها. سادِلةٌ: مرخية.
- (٥) رِيحانةٌ (نبته لها رائحة طيِّبة) من أدواحٍ: أشجارٌ كبيرة (بفصد: شيئاً مختصراً من شيءٍ مُفصل، واسع). نسمةٌ من أرواحٍ: هواءٌ قليلٌ من رياحٍ كثيرة.
- (٦) الإجمام: ردُّ الجسمِ المتعبِ إلى الراحة.
- (٧) المِضار: الشوط، المِجال الذي يركضُ فيه المُسابِقون.
- (٨) تَسْتَجِدُّ شَيْبِيَّةً: تطلبُ العودَةَ إلى أفعالِ الشَبانِ.

وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضَرَ ناصعاً؟
 فما خُطباءُ العُربِ أفصحُ واعظاً
 ولا صَفحاتُ الهِنْدِ أزدَعُ زاجراً
 وسائلةٌ: ما بالُ جَفنِكَ والبُكا؟
 إليك، فما في خاطري فَضْلٌ وَسَمَةٌ
 - وله من موشحه:

يا مصباح
 هل تلتاح،
 يا بدرُ، أو ترتاح
 لذِي وَدٍّ(٥)؟

★ ★ ★

مَرَاكَا
 لَهَا كَا
 رِيَا كَا
 لا تَفْأَحُ
 الفَوَاحُ
 البدرُ بالسَّدى.
 الخمرُ بالشَّهيدِ.
 القَطْرُ بالتَّدْ.
 كَرِيْبِكَ النَّفَاحُ
 يروِحُ الأرواحُ
 مِنَ الوَجْدِ(٦).

★ ★ ★

- (١) الصدغ: جانب الرأس. الآس: نبات له أوراق تشبه بأذان الخيل شديدة الحاضرة. ما الذي جعل لون الآس أخضر وجعل لون الورد أحمر. قان أو خان (من الفارسية: دم): شديد الحمرة.
 (٢) صفحات الهند: السوف من صنع الهند: أردع زاجراً: أقوى أثرأ في المنع (عن عمل الشر والأذى). من البرق (لأن البرق يدل على الزاجر الألهي).
 (٣) لماذا يكون البكاء مئزماً لجفنك (لعينك، لك)؟ ساليا: ناسياً، متلياً عن، غافلاً عن.
 (٤) البك: اثريكي، أذهي عني. - أنا مشغول (بجمي) عن أن أذكر لك خاطراً (فكرة في خاطري) فكيف يكون عندي وسعة من وقت لأسرد على سمك حديث حبي (الطويل).
 (٥) الإصباح: طلوع الصبح. - هل تلتاح (تتغير) يا (شبيه) البدر (عن عهدك في المحبة) أو ترتاح (تسكن) تطمن، تستقر على حب) ذي ودٍّ (ذي محبة لك).
 (٦) في السعد: في أعلى مكان من فلك البروج (في أمّ أحواله). اللسي: سمة الثنتين (كتابة عن التقبيل).
 الشهد (بفتح الشين وكسرهما وضماً) الصل قبل أن يؤخذ من أقراص شمعه. الريا: طيب الرائحة. =

يا جَنَّةَ قد ذَلَّ جانِبِها ،
 وفتنة قد ضلَّ رائِثِها
 بوَجَّةَ قد جَلَّ بارِها
 كمَّ أمداخ يحوكُها المَدَّاحُ
 في إيضاح جَبالِكَ الوَصَّاحُ

ولا تُجَدِّي^(١)!

- وقال في الغزل العنيف:

زارتُ على حَذَرٍ مِنَ الرُّقْبَاءِ والليلُ مَلْتَفٌ بِفَضْلِ رِداءِ^(٢) .
 تَصِلُ الدُّجَا بَسَوادِ فَرعِ فَاحِمِ لِتَزِيدَ ظِلْماءَ إِلى ظِلْماءِ^(٣) .
 قَوَّشِي بِها مِنَ وَجْهِها وَحُلِيِّها بَدْرُ الدُّجَى وَكواكِبُ الجوزاءِ^(٤) .
 أَهلاً بِزائِرَةٍ على خَطَرِ السُّرى ما كُنْتُ أَزجوها لِيوْمِ لِقاءِ^(٥) .
 أَقْسَمْتُ لولا عِفاةَ عُدْرِيَّةَ وَتَمَّيَّ عَليَّ لَه رَقِيبٌ رائي^(٦) ،
 لَتَنَقَّتُ غَلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضاها وَنَضَحْتُ وَرَدَّ خُدودِها بِمِكاثِي^(٧)!

= الفطر: ماء المطر (الغني، الصافي، الطاهر) الندى: نبات له رائحة زكية. النفاح: الذي ينفخ (بمض)، يرسل، ينفخ منه) رائحة طيبة. بروح (يسكن، يهدى، يدخل الاطمئنان على الإنسان). الوجد: الحب وألم الحب.

(١) الجاني (هنا): المذنب. ذلَّ جانبها: خسر من لم يتمتع بما فيها بالحق. الوجعة: صفحة الخد. بارها: خالفها. حاك: نسج. إيضاح: تبيان، توضيح. الوصاح: المشرق، اللامع. تجدي: تنفع (مها يكثر الكلام لا يفربوصف جالك).

(٢) الرقيب: الجاسوس على المحبين. ملتف بفضل (بيقية) رداء: لم يبق منه إلا قليل.

(٣) الفرع: الثمر. الفاحم: الشديد السواد (كالضحم). - إن شرها جعل سواد الليل (الذي كان قد بدأ بجفأ بأقتراب الصبح) أشد سواداً.

(٤) الذي أعلمني أنها قادمة لزيارتي (في ذلك الليل) أن ضاء الليل (بنور وجهها) وسمعت صوت الحلى التي كانت تزين بها. (بدر: فاعل وشي). وجهها كاليد (بظهور نوره) وحليها تشبه كواكب الجوزاء (عنفود نجوم) لضعف نورها في رأي العين بالإضافة إلى البدر في رأي العين.

(٥) السرى: السير في الليل. اقتحمت سواد الليل (على ما في ذلك من الخوف والخطر) في وقت ما كنت أظن أنها تجيء إلى زيارتي.

(٦) عذرية: نسبة إلى بني عذرة (كان عشاقها مشهورين بمعتهم في الحب). الرقيب: الجاسوس على المحبين. رائي = راء (ناظر)!

(٧) الرضاب: الريق ما دام في الفم. نعتت: بللت، رويت وأرويت. الطقة: العطش. نضح: رش.

- وقال يَصِفُ الربيعَ وَيَدُلُّ في أَثناء ذلك على نَعَمِ الله:

أَهْلًا بِأَيَّامِ الرَّبِيعِ وَطَيْبَهَا: أَسَى الخَلِيعِ وَنَزْهَةَ المُتَبَلِّ^(١)!
زَمَنَ أَرْقَى مِنَ الوَادِ شَائِلًا وَأَلْدُ من عَصْرِ الشَّابِ الأوَّلِ^(٢)!
أَعْجِبْ به من مَهْرَجَانِ قَائِمٍ بَيْنَ البَسِيطَةِ والحَيَا المُتَهَلِّلِ^(٣)؛
فَالطَّيْرُ تَتَدَوُّ والغَدِيرُ مُصَفَّقُ والقُضْبُ تَرْقُصُ والأَزَاهِرُ تُتَجَلَّى^(٤)!
فَاعْطِفْ على وَجْهِ الزَّمَانِ وَحَيِّهِ وانظُرْ إلى حُسْنِ الرَّبِيعِ المُقْبَلِ^(٥)!
وَأَجِلْ لِحَاظِكَ في صِفَاحِ كِتَابِيه حَتَّى تَبَيَّنَ واضِحًا مِنَ مُشْكِلِ^(٦)!
مَا قَطَّحَ الزَّهْرُ الجَنِّيُّ نُغُورَهُ إِلَّا لِيَرْتَشِفَ طَيْبَ ذَاكَ السَّلْسَلِ^(٧)!

- وقال في الوصف والخرم:

إلى كم يُناديك داعي الوتر؟ قَلْبُ البِدَاءِ ودين بالسهر^(٨)!
ونبته جفونك من غمضها، فقد نبته الروض قطر المطر^(٩)!
أما تبصرُ الشهب مثل العقو د قد نهب الصبح منها درر^(١٠)؛

- (١) يسر بها الخليع (الذي لا يبالي بفانون الأخلاق) والمتبل (الزاهد).
- (٢) الشائل جمع شال (بكسر التين): الخلق (بضم فم)، الخصلة.
- (٣) المهرجان: العيد العظيم (يكون للملوك). البسيطة: وجه الأرض. الحيا: المطر. تهلل المطر: انكب وسال - أزهار الربيع بألوانها وزوانها ثم الزكية الرائحة قلاما بين الأرض والحباب.
- (٤) القضب جمع قضب: غصن. الأزهار (الأزهار) تنجلي: تظهر وتفتح!
- (٥) وجه الزمان (٢). حيي: ألق عليه التحية.
- (٦) صفاح نقال لوجوه نصال السيوف، وهي هنا: صفحات أو صحاف - إذا جلست بنظرك في وجه الأرض المملوءة بالنبات والأزهار استطمت أن تعرف كثيراً من أسرار الوجود (٤).
- (٧) الجنى: الطري. السلسل: الماء العذب الصافي (الذي يسهل مروره في الخلق).
- (٨) داعي الوتر: صوت الموسيقى. لب: أحب. دن (فعل أمر من دان) خضع، جعل الأمر له عادة.
- (٩) قطرات المطر جعلت الأزهار تفتح (فكأن الروض كله يتفتح من نومه بعد ليل الشتاء).
- (١٠) الشهب جمع شهاب: الحجر الصغير المنطقت من مداره حول الأرض والناقط إلى الأرض ينتحل قبضي، حينما يدخل جو الأرض. والشاعر يقصد بالشمس: النجوم. مثل العقول: تبدو للمعين كأنها مجاميع يرتبط بعض نجوم كل مجموع منها ببعضها الآخر. قد نهب الصبح منها درر: لما اقترب الصباح خفي عدد من النجوم الضئيلة النور (فكأن الصبح قد نهبا أو سرقها).

وَضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ خَيْفَةً عَلَيْهِ مِنَ الْبَحْرِ لَمَّا انْفَجَرَ^(١) .
 وَرَوْضَتُنَا تُجْتَلَى كَالْعُرُوسِ كَسَاهَا سَنَا الصُّبْحِ مِثْلَ الْحَفْرِ^(٢) .
 وَقَدْ نَظَمْتَ مَائِلَاتُ الْفُصُونِ لَأَلْسِيءٍ طَلَبُ عَلَيْهَا انْتَرَّ^(٣) !
 وَقَامَتْ سَمَاءٌ لَنَا دَوْحَةٌ تَطْلَعُ كَالزُّهْرِ فِيهَا الزُّهْرُ^(٤) .
 فَحُتَّ الْمُدَامَ وَسَقَى النَّدَامَى وَسَلَّ الْقَرَامَ وَخَلَّ الْفِكْرَ^(٥) .
 وَخَالِسُ زَمَانِكَ غَفْلَاتِهِ ، فَقَدْ فَازَ بِالْعَيْشِ مَنْ قَدِ جَسَرَ^(٦) .

- ٤- ديوان ابن خاتمة الأنصاري... (حققه الدكتور محمد رضوان الداية) دمشق (مشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م .
 - إيراد (؟) اللآل من اشاد الضوالم^(١) (طبع في أوروثة ثم صور في بغداد).
 * تشير فرائد الجبان ٣٣١-٣٣٢؛ الإحاطة ١: ٢٤٧-٢٦٧؛ الكنبية الكاملة ٢٣٩-٢٤٥؛ نيل الابتهاج ١٧٢؛ نفع الطيب ١: ٢٤، ١٧٥ (نص من مزية المرية)، ٤: ٣٤٦-٣٤٨، ٥: ٣٦٠-٣٦١ (نص من مزية المرية)، ٦: ٢٨-٣٨ (رسائل منه وإليه)، راجع ٢٣٠-٢٣١؛ أزهار الرياض ١: ٢٦٥-٢٦٧، ٣: ٥٤-٥٥، ٢٠٢؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٥-٣٣٦، الملحق ٢: ٣٦٩؛ ٢٢٢ ع د ١٧: ٣٥٨ الأعلام للزركلي ١: ١٧١-١٧٢ (١٧٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٢: ١٩.

- (١) ضمَّ الدجا ذيله: تقلص من جوانب السماء. - خاف الليل من هياج البحر فأراد أن يهرب!!
 (٢) يجتلي الناس الشيء: لينظروا إليه (لجأه). الحفر: الحياء. - الروضة لم تبرز بكل ما فيها من جمال (لاستمرار الليل) فكأنها خجلة لا تبدي كل ما فيها من جمال.
 (٣) المائل ضد المستقيم (لعلها: ماشاء: المتحركة بيناً وشألاً). الطل: المطر الخفيف. إن حبات ماء المطر الجامدة على الأغصان (من أثر الليل البارد) تشبه اللؤلؤ.
 (٤) كان فوقنا دوحه (شجرة كبيرة) وكانت الزهر (بضم الزاي: النجوم) تبدو من خلال أغصانها وأوراقها كالأزهار.
 (٥) حثَّ المدام (الخمر) أسرع في شرب الخمر. سقى (أكثر من إسقاء) الندامى (الدين يشتركون في شرب الخمر). سلَّ: فعل أمر من «سلى» (طلب الترويح عن النفس). خلَّ الفكر: دع التفكير في هموم الحياة.
 (٦) خالس: خذ حُطَّة (على غفلة من غيرك). خالس زمانك غفلاته (إنك لن تستطيع أن تنال سروراً من دهرك إلا إذا كان غافلاً عنك). قد فاز بالعيش (الطيب) من جسر (من كان جريئاً).

منديل بن أجروم

١- هو أبو المكارم منديل، وأسمه محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي، وهو ابن النحوي المشهور أبي عبد الله محمد بن محمد بن أجروم (ت ٧٢٣ هـ).

تلقى منديل بن أجروم العلم على نفرٍ كثيرين منهم أنيرُ الدين أبو حيان (ت ٧٤٥ هـ) والشيخ الخطيبُ أبو عبد الله القطان المُسفر (ت ٧٤٣ هـ) وقاضي الجماعة في تونس أبو عبد الله محمد بن عبد السلام المُستيري (ت ٧٥٠ هـ)، كما كان قد أخذ قراءة القرآن عن المُكْتَب بنِ برال التونسي.

وحجَّ منديل بن أجروم سنة ٧٤١ للهجرة ثم كانت وفاته في ربيعِ جُمادى الأولى من سنة ٧٧٣ (١١/١٤/١٣٧١ م).

٢- كان منديل بن أجروم مُقرئاً للقرآن الكريم ولُغويًا ونحويًا وفقهياً، كما كان أديباً وشاعراً مُجيداً مُكثرًا، وكانت له براعةٌ خاصةٌ في اللُغة والأدب، فكان يُقرئ مقاماتِ الحريري كأحسن ما يكون إقراؤها.

٣- مختارات من آثاره:

- قال أبو المكارم منديل بن أجروم في مدينة فاس (نفع الطيب ٧: ١٢٣-١٢٥):

أُثِمَا العارِفون قَدَرَ الصَّبوحُ ، جَدَّدوا أُنْسًا بِبابِ الفُتوحِ^(١) .
 حيثُ ثابتُ مفارِقُ اللُّوزِ نُورًا وِتاقاطنُ كاللَّجَينِ الصريحِ^(٢) .
 وكانَ الذي تاقَطَ منه شَفَقًا مَرَقَتَه أيدي الرِّيحِ .
 ثم حُطُّوا رِحالَكم فوقَ نَهرٍ كَلَّ في وَصْفِهِ لِبانِ الفِصيحِ^(٣) ؛

(١) الصبوح: شرب الخمر صباحاً. باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس، ويبدو أنه قد كان عنده جنائز يقصدها الناس للزئمة واللهو.

(٢) النور: الزهر الأبيض. اللجين: اللحية. الفضة.

(٣) كل: تمب، عجز.

فوق حافاتِه حدائقُ خُضْرٍ
 وكانَ الطيورَ فيها قِيانَ
 وهيَ تدعوكمُ إلى قُبَّةِ الجوّ
 فيه ما تشتهون من كلِّ نورٍ
 وغصونٍ تهيج رقصاً إذا ما
 فأجيبوا دُعاءها، أُنْها الرُّ
 واجنحوا للمُجونِ فهوَ جديرٌ
 واخلعوا ثمَّ للتصابي عذاراً،
 تثيرُ الشمسُ ثمَّ كلُّ غُدُو
 فأنهضوا، أُنْها المُجِونَ، مثلي
 هكذا يُرَبِّحُ الزمانُ، وإلّا
 ليسَ عنها لعاشقٍ مِنْ نِزوحِ.
 هتفتُ بينَ أعجمٍ وفصيح^(١)،
 ز: هَلَمَّوا إلى مكانٍ مليح^(٢)،
 مُغْلِقٍ في الكِيامِ أو مفتوح^(٣)،
 سَمِعَت صوتَ كلِّ طيرٍ صَدوح^(٤)،
 ب، وخالوا مَقالَ كلِّ نَصيح^(٥)،
 وخليقٌ مِنْ مِثْلِكُمْ بالجنوح^(٦)،
 إنَّ خلعَ العِذارِ غيرُ قبيح^(٧)،
 زَعْفَراناً مَبْلُلاً بِنُضوح^(٨)،
 لَنرى ذاتَ حُنْها الملموحِ.
 كُلُّ عيشٍ سواه غيرُ رَيبِ^(٩)،

- قال أبو المكارم مَندِيلُ بنُ آجروم (نفع الطيب (٢: ١٩٤ - ١٩٥):

حدثني مَنْ يوثقُ بقوله أن أبا اسحاقَ الطُويجِيْنَ كانت وفاته يومَ الاثنين ٢٧ جُادى
 الأخيرة سَنَةَ ٧٤٧ بتَبْكُمُو موضعٍ بالصحراءِ من عُمالَةَ مالي، رَجِمَهُ اللهُ. ثمَّ ضَبَطَ
 الطُويجِيْنَ بكسر الجيمِ. قال: وبذلك ضَبَطَهُ بِحَظِّ يَدِهِ، رَجِمَهُ اللهُ. قال: وَمَنْ نَسَبَهُ
 للساحلي، فَإِنَّه نَسَبَهُ لِجَدِّهِ لِلأَمِّ. انتهى.

٤- ** نيل الأبتهاج ٣٤٧: نفع الطيب ٢: ١٩٤ - ١٩٥، ٥: ٤١٨، ٧: ١٢٣ - ١٢٥.

- (١) الفينة (بالتحج): المرأة الجميلة المنية. هتف: رفع صوته. الأعم الذي لا يفهم العرب كلامه.
- (٢) قبة الجوز...
- (٣) الكيام: الكأس (الأوراق الخضراء) التي تحيط بالزهرة قبل أن تفتح الزهرة.
- (٤) الصدوح: دو الصوت المطرب.
- (٥) السرب: الجماعة السائرون معاً.
- (٦) المجون: قلة المبالاة بالعرف الاجتماعي مع الانتماس في اللهو أحياناً. جنح: مال.
- (٧) الغدو: التكبير في السبي (في الصباح). النضوح: رش الماء على الأشياء.
- (٨) العذار: الرس، اللجام. خلع العذار كتابة عن ترك الحياء في اتیان المحارم.
- (٩) يربح الزمان: تحصل منه استفادة للإنسان. الريب: ما فيه ربح (يقال: بخارة ربيحة).

أبو البركات بن الحاجّ البليقي*

١- هو أبو البركات مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الشَّيْخِ الْوَلِيِّ أَبِي إِسْحَاقَ^(١) بْنِ الْحَاجِّ السُّلَمِيِّ^(٢) الْبَلِيقِيِّ^(٣)، وُلِدَ فِي الْمَرِيَّةِ سَنَةَ ٦٨٠ هـ (١٢٨١ - ١٢٨٢ م)، وَبَدَأَ تَعَلُّمَهُ فِيهَا فِي إِسْبِيلِيَّةٍ. ثُمَّ إِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَقَرَأَ فِي بَجَايَةِ عَلَى قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي مَنصُورٍ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَقِّ الشُّذَالِيِّ (ت ٧٣١ هـ) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى مَرَاكُشَ وَبَعْدَئِذٍ اسْتَقَرَّ فِي سَبْتَةَ. ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَنَزَلَ فِي مَالِقَةَ وَأَخَذَ عَنِ الْقَاضِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الطَّنْجَالِيِّ.

وَفِي سَنَةِ ٧٣٥ هـ تَوَلَّى أَبُو الْبَرَكَاتِ الْبَلِيقِيُّ الْقَضَاءَ فِي مَالِقَةَ، ثُمَّ تَوَلَّى الْقَضَاءَ وَالْحُطْبَةَ فِي الْمَرِيَّةِ ثُمَّ قَضَاءَ الْجَمَاعَةِ فِي غَرْنَاطَةَ ثُمَّ فِي الْمَرِيَّةِ ثَانِيَةً. ثُمَّ أُعِيدَ إِلَى قَضَاءِ غَرْنَاطَةَ. وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ كَانَ يَقُومُ بِالسَّفَارَةِ بَيْنَ الْمُلُوكِ (فِي الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ). وَفِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ اسْتَعْفَى مِنْ جَمِيعِ الْمَنَاصِبِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْمَرِيَّةِ، فِي رَمَضَانَ^(٤) مِنْ سَنَةِ ٧٧٣ (صَيْفَ ١٣٧٢ م).

٢- كَانَ أَبُو الْبَرَكَاتِ بْنُ الْحَاجِّ الْبَلِيقِيُّ رَجُلًا صَالِحًا يُرَاعِي الْخُلُقَ الْكَرِيمَ فِي أَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ (كَمَا سَنَى فِي قَصِيدَتِهِ الْحَاشِيَةِ). وَقَدْ عَمِلَ فِي بِنَاءِ الْأَبَارِ وَبَنَى فِيهَا بِنْفِهِ وَبِمَالِهِ، وَكَانَ يَقُولُ (فِي شِعْرِهِ) إِنَّ النَّاسَ لَا يَعْرِفُونَ مَا فِي ذَلِكَ مِنَ اللَّذَّةِ الصَّحِيحَةِ وَمِنَ الشُّعُورِ بِالْخَيْرِ فِي النَّفْسِ. وَكَانَ لَهُ شَعْرٌ وَنَثْرٌ، وَأَعْرَاضُهُ وَجُدَانِيَّةٌ أَبْرَزُهَا الْعُنْصُرُ الصُّوفِيَّ. غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْبَلُ الْخُرَافَاتِ الَّتِي تُرَوَى عَنْ نَفَرٍ مِنْ رِجَالِ التَّصَوُّفِ (خَرَقَ الْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالتَّوَسَّطَ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ). وَكَانَ مُصَنِّفًا لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: أَسْمَاءُ

(*) هو غير أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحاجّ المبدري القاسمي الغنبي المتصوّف المتوفى سنة ٧٣٧ للهجرة (الديباج المذهب ٣٢٧ - ٣٢٨).

(١) كان أبو إسحاق هذا من كبار التصوّفة، وكان قبره في مراكش شهوراً يزار (فتح الطيب ٥: ٤٧٤).

(٢) نسبة إلى بني سليم (بضمّ السين). وقيل إنه من نسل العباس بن مرداس الصحابي الشاعر (ت ١٨٨ هـ).

(٣) بلنق حصن قرب المريّة. وهي بفتح الباء وسكون اللام (المريّة العليا ٢٣٦).

(٤) في المريّة العليا، رمضان سنة ٧٧٣ (ص ١٦٦). وفي فتح الطيب (٥: ٤٨٧) أنّ وفاته كانت في شوال،

الكتب والتعريفُ بمؤلفيها (على حروف المعجم) - الإفصاح فيمن عُرِفَ بالأندلس بالصِّلاح (في عدد من رجال التصوّف) - مُشْتَبِهَاتُ مُصْطَلِحَاتِ الْعُلُومِ - الْمُؤْتَمَنُ فِي أُنْبَاءِ مَنْ لَقِيْتَهُ مِنْ أُنْبَاءِ الزَّمَنِ - الْعَذْبُ وَالْأَجَاجُ مِنْ كَلَامِ أَبِي الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ (ديوان شعره) - وَقَدْ يَكْبُو الْجَوَادُ فِي غَلْطَةِ أَرْبَعِينَ مِنَ النَّقَادِ^(٥) - تَارِيخُ الْمَرِيَّةِ - الْعَلَنُ فِي أُنْبَاءِ أُنْبَاءِ الزَّمَنِ - سَلْوَةُ الْخَاطِرِ - شِعْرٌ مَنْ لَا شِعْرَ لَهُ (أَيُّ مَنْ لَمْ يَشْهَرِ بِالشَّعْرِ) الْح.

٣- مختارات من آثاره

- قال أبو البركات بن الحاجّ البليقي:

يَأْسَى شُجُونَ حَدِيثِي الْإِفْصَاحُ إِذْ لَا تَقُومُ بِشَرْحِهِ الْأُلُوحُ^(١).
 قَالَتْ صَفِيَّةٌ، عِنْدَمَا مَرَّتْ بِهَا إِبْلِي: أَتَنْزِلُ سَاعَةً تَرْتَاحُ^(٢)؟
 فَأَجَبْتُهَا: لَوْلَا الرَّقِيبُ لَكَانَ لِي مَا تَبْتَغِي بَعْدَ الْغَدْوِ رَوَاحُ^(٣)!
 قَالَتْ: وَهَلْ فِي الْحَيِّ حَيٌّ غَيْرُنَا؟ فَاسْمَحْ - فَدَيْتُكَ - فَالسَّاحُ رَبَّاح.
 فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الرَّقِيبَ هَوَالِكُ يَيْدِيهِ - مَيَّا - هَذِهِ الْأُرُوحُ^(٤)؛
 وَهُوَ التَّهِيدُ عَلَى مَوَارِدِ عِبْدِهِ، سِيَّانٍ مَا الْإِخْفَاءُ وَالْإِفْصَاحُ^(٥).
 قَالَتْ: وَأَيْنَ يَكُونُ جُودُ اللَّهِ إِذْ يُخْشَى؟ وَمَنْهُ هَذِهِ الْأَفْرَاح.
 فَافْرَحَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَاشْطَحَ فَتَشَوَّانُ الْهُوَى شَطَّاحُ^(٥).
 وَارْهَجَ عَلَى ذِمِّمِ الرِّجَالِ وَلَا تَخْفَ، فَالْحِلْمُ رَحْبٌ وَالتَّوَالُ مُبَاحُ^(٦).

(١) الشجون (يفتح ففتح): الغصن. الحديث شجون (متشعب، وله أصول غامضة).

(٢) صفة اسم فتاة، كناية عن محبوبة مثالية (في هذه الأبيات قرائن صوفية).

(٣) تبتهجي (خطأ) صوابه: تبتهجين. بعد الغدو (الجمه في الصباح) رواح (رجوع في المساء).

(٤) الرقيب (راجع البيت الثالث أيضاً هو (هنا) الله!

(٥) التهيد: التاهد، الحاضر. المورد: مكان الشرب (كناية عما يفعله الإنسان).

(٥) الشطح كلمة عليها رجوع (لفظ قبيح ومعنى سلم). قتل يحيى الدين بن عربي لأنه شطح أمام الناس

فقال: أنتم وما تعبدون تحت قدمي (يقصد أنكم تعبدون المال).

(٦) في القاموس: أَرَهَجَ (مزيد بالهمزة): أثار غبار الحرب، طرب للحرب، أثار الفتنة. الذمة: العهد....

(٥). النوال: المطاء.

وانزل على حكم السرور ولا تبئ،
واخلع عذارك في الخلاعة، يا أخي،
وانظر إلى هذا النهار، فيه
لا تغذل الدنيا على تلويها،
فأجبتها: لو كنت عالمة الذي
من كل معنى غامض من أجله
حتى لقد سكرت من الأمر الذي
لعدرتني وعلمت أنني طالب
فاترك صفيك قارعا باب الرضا،
يا أخت، حي على الفلاح وخلي،

- وللبلقيتي مقطعات في الشكوى من كل شيء. من هذه المقطعات:

* قالوا: تعربت عن أهل وعن وطني.
مضى الأحيى والأهلون كلهم،
أفرغت حزني ودمعي بدمهم، فأنا
* قد كنت مغروراً بوعظي وما
من حيث قد أملت إصلاحهم
فلم أجذ للناس أوعظ من

فقلت: لم يبق لي أهل ولا وطن؛
وليس بعدهم سكنى ولا سكن (١).
من بعد ذلك لا دمع ولا حزن!
أبثت من علمي بين البشر،
بالوعظ والعلم، فخان النظر.
أصوات وعاط جلود البقر (٢)!

(١) لا تبئ (غلطة مشهورة في «لا تبأ») : لا تهتم. الجناح: الذب.

(٢) باسم الذي..... باسم الله (٣).

(٣) بلتاح: يعطش. يتغير (٤).

(٤) ناح: بكى (٥).

(٥) ما: ذلك الذي (معمول به من «طالب»).

(*) فاترك « (في البيت الأول) ثم «حي» و«خلي» (في البيت الثاني) أفعال أمر للمفرد المذكور على التجريد (مخاطبة الشاعر نفسه)، برغم وجود «يا أخت» (في البيت الثاني).

(٦) السكى: المسكن (المزبل). السكن: الزوجة.

(٧) وعاط جلود البقر (٥).

* * يا مَنْ إِذَا مَا رُمْتُ تُودِعُهُ ، وَدَعْتُ قَلْبِي قَبْلَ ذَاكَ الْوُدَاعِ .
 فَأَتْرُكُ التَّوْدِيعَ عَمْدًا لَكَيَّ أَعْلَلُ النَّصْرَ بِيَعِضِ الْخِدَاعِ ^(١) .
 يَا مِحْنَةَ النَّصْرِ بِأَلُوفِهَا ، مِنْ أَجْلِهَا قَدْ جَاءَ هَذَا الصَّرَاغُ ^(٢) .
 * * رَعَى اللَّهُ إِخْوَانَ الْحَيَانَةِ إِنَّهُمْ كَفَوْنَا مَوُونَاتِ الْبِقَاءِ عَلَى الْعَهْدِ .
 وَلَوْ قَدْ وَفَّوْنَا كُنَّا أَسَارَى حُقُوقِهِمْ نُرَاوِحُ مَا بَيْنَ النَّسِيئَةِ وَالْحِقْدِ ^(٣) .

- وفي سنة ٧٥١ هـ (١٣٥٠ م) اتَّفَقَ أَنَّ أَبَا الْبَرَكَاتِ بْنِ الْحَاجِّ الْبَلْفَيْقِيَّ رَأَى تَطْلِيقَ امْرَأَتِهِ - لِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ^(١) - فَأَوْقَعَ عَلَيْهَا طَلْقَةً وَاحِدَةً ^(٢) وَكُتِبَ ذَلِكَ فِي نُسْخَةٍ ^(٣) نَصَّهَا:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ . يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ ^(٤) الرَّاجِي رَحْمَتَهُ مُحَمَّدٌ الْمَدْعُوُّ بِأَبِي الْبَرَكَاتِ ابْنِ الْحَاجِّ خَارَ اللَّهُ لَهُ ^(٥) وَلَطَفَ بِهِ :
 إِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ لَمَّا أَنْشَأَ خَلْقَهُ عَلَى طِبَاعٍ مَخْتَلِفَةٍ وَغَرَائِزَ شَتَّى - فَبَيْنَهُمُ السَّخِيُّ
 وَالبَخِيلُ ، وَالشُّجَاعُ وَالجَبَانُ ، وَالفَيِّ وَالفَطْنُ ، وَالكَيْسُ وَالعَاجِزُ ، وَالمُسامِحُ وَالمُنَاقِشُ ،
 وَالمُتَكَبِّرُ وَالمُتَوَاضِعُ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّغَاتِ المَعْرُوفَةِ مِنَ الخَلْقِ - كَانَتْ العُشْرَةُ لَا

- (١) ... ببعض الخداع: بأنهم لم يوافقوا، لم يرحلوا.
- (٢) الصراع في نفس الإنسان قائم لأنه لا يستطيع تغيير شيء، قد ألهه. السيئة: الدين لأجل (تسدين مملفاً وتعد وفائه بعد مدة).
- (٣) لو وفوا (بفتح الفاء) لوجب علينا لهم حق بأن يحازمهم على وفائهم في المستقبل. فإذا لم نفعل حضوا (بفتح الحاف) علينا.
- (٤) لا بد في الطلاق في الإسلام من سبب شرعي. وقد ذكر أبو البركات هذا السبب في الصك الذي سجله على نفسه ونسب العيب في ذلك إلى نفسه لا إلى امرأته.
- (٥) في الإسلام يحق للسلم أن يطلق امرأته ثلاث مرات وأن يتردها مرتين، ولا يجوز استردادها بعد الطلقة الثالثة (بعد المرة الثالثة). قال الله تعالى (٢: ٢٢٩ سورة البقرة): ﴿الطلاق مرتان، فإمساك (بعدها) بمرفوف أو تسريح بإحسان﴾.
- (٦) الطلاق يجب أن يكون بصك مكتوب (أو يشهد من القاضي). ويحسب الإيثار على هذا الصك عند أهل السنة، ويجب الإيثار عليه عند الشيعة والدروز.
- (٧) كل مسلم هو عبد الله. قال عبد الله الحجاج بن يوسف... قال عبد الله عبد الملك بن مروان... قال عبد الله عبد الله بن الزبير... الخ.
- (٨) أراد له الخير.

تستمر بينهم إلا بأحد أمرين: إما بالاشتراك بالصفات أو في بعضها وإما بصبر أحدها على صاحبه إذا عُدِمَ الاشتراك. ولما عِلِمَ الشارع^(١) أن بني آدمَ على هذا الوضع شرع لهم الطلاق ليستريح إليه من عيَلِ صبره^(٢) على صاحبه توسعة وإحساناً منه إليهم^(٣). فلأجل العمل على هذا طلق كاتب هذا عبد الله محمد المذكور زوجته الحرة العربية المصونة عائشة ابنة الشيخ الوزير الحبيب النزيه الأصيل الصالح الفاضل الطاهر المقدس المرحوم أبي عبد الله محمد الميلى طليقة واحدة- ملكت بها أمرها دونه^(٤) - عارفاً قدره. قصد بذلك إراحته من عشرته^(٥)، طالباً من الله أن يُغني كلاً من سعيه^(٦)، مُشهداً بذلك على نفسه^(٧) في صحته وجواز أمره^(٨)، يوم الثلاثاء أول يوم من شهر ربيع الثاني عامٍ أحدٍ وخسينٍ وسبعين^(٩).

- وقال يُنكر أن يكون الرجال الصالحون ممن يأوي إلى الجبال هرباً من الناس (زعماً بأنهم متصوفون):

زَعَمُوا أَن فِي الْجِبَالِ رِجَالاً صَالِحِينَ - قَالُوا - مِنَ الْأَبْدَالِ^(١٠).
وَأَدَّعَوْا أَنَّ كُلَّ مَنْ سَاحَ فِيهَا فَسَيَلِقَاهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ.

- (١) الشارع هو الله تعالى.
- (٢) سماح الطلاق في الإسلام إذا استحال على الزوجين أن يستمرا في بناء أسرة سليمة سعيدة ثم خيف استمرار شقاها وتزاعها. قال الله تعالى (٤: ٣٤ سورة النساء): ﴿وإن خفت شقاق بينها فابغتها حكماً من أهله وحكماً من أهلها، إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ (وإلا فيكون الطلاق مباحاً).
- (٣) توسعة من الله على الناس (حتى لا يمشي الزوجان والأسرة معها في نكد مستمر).
- (٤) أي أنه لا يستطيع زواجها بعد ذلك إلا برضاها.
- (٥) نسب هنا سوء العشرة إلى نفسه هو (وهذا غاية في الإحسان والخلق الكريم).
- (٦) هذا من توله تعالى (٤: ١٢٩ سورة النساء): ﴿وإن يتفرقا يُغن الله كلاً من فضله﴾.
- (٧) الإشهاد على صك الطلاق (الحاشية ٦، ص ٥٠١).
- (٨) لا يجوز للسلم تطليق امرأته في مرض الموت أو في مرض يضيق منه الخلق أو في ثورة من الغضب أو في حال السكر (وإن فعل ذلك لا يقع طلاقه: لا يصح).
- (٩) م ١٣٥٠/٦/٨.
- (١٠) الأبدال جمع بدل (بفتح ففتح أو بكسر فسكون) وبدل: والأبدال (في الصوفية) طبقة تلي طبقة الأقطاب الأربعة، ولا يخلو العالم عند الصوفية في زمن من الأزمان من واحد منهم (لأنهم الصلة بين الله وخلقه).

فاخترَقْنَا تلكَ الجبالَ مراراً
 ما رأينا بها خِلافَ الأفاعي
 وسباعٍ يَجرونَ بالليلِ عدواً؛
 ولو أنا كُنَّا لدى العُدوةِ الأخِ
 وإذا أظلمَ الدُّجى جاءَ إبليدِ
 هو كان الأيسرَ فيها، ولولا
 خَلَّ عَنكَ المُحالُ، يا مَنْ تَعَنَى.
 يَنعالمُ طَوراً ودونَ نَمالِ،
 وشبا عَقْرِبَ كَيْشَلِ النَّبالِ (١)،
 لا تَسَلُنِي عَنْهُمُ بتلكَ الليالي (٢).
 رى رأينا نَواجِذَ الرُّبالي (٣).
 سُ إلينا يَزورُ طَيْفَ خيالِ (٤).
 هُ أُصِيبَتِ عَقولُنا بالجَنبالِ (٥).
 ليسَ يلقى الرجالُ غيرَ الرجالِ (٦)!

٤- ** المرقبة العليا ١٦٤-١٦٧، الإحاطة ٢: ١٠١-١٢١؛ الكنية الكاشفة
 ١٢٧-١٣٤؛ الدياج المذهب ٢٩١-٢٩٥ (٣٢٣-٣٢٨)؛ نفع الطيب ٤:
 ١٥٣، ٥٠، ٤٧١-٤٨٧، ٦٠، ٣٨، ٨٨، ٢٦٦، ٤٨٢؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٦٩
 (٣٩).

لسانُ الدينِ بنِ الخطيبِ

١- هو لسانُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ
 سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سعيدِ بنِ أحمدَ السَّلْمانيِّ، نِسْبَةً إلى سَلْمَانَ وَهُوَ مَوْضِعٌ في اليمنِ؛ وقد
 جاءَ أهلُه عَقِبَ الفتحِ واستقروا في قُرْبيةٍ ثم انتقلوا، بعدَ وقعةِ الرِّبَضِ (راجعَ فوقَ،
 ص ٤: ٨٩) إلى طَلَيْطَلَةَ. ولَمَّا اشتدَّ خَطَرُ النصارى على طَلَيْطَلَةَ، في مُنتَصَفِ القرنِ

(١) الشبا جمع شاة: إبرة المغرب التي تلع المغرب بها.

(٢) السبع (يفتح فضم): كلٌ حيوان يأكل اللحم.

(٣) العُدوة: أرض إفريقية. النواجذ جمع ناجذ: الضرس. الرُّبالي: الأسد.

(٤) كأنه طيف خيال (منام).

(٥) الجنون.

(٦) المحال: المسحيل (الذي لا يتحقق في الواقع). تعنى: أنتمب نفسه (يطلب المسحلات). لس يلقى

الرجال....: إنَّ الرجالَ من الناس لا يرون إلا رجالاً آخرين من الناس (ولا يهتدون إلا بالمشايخ).

المِجْرِيّ الحَاسِ، انتقلوا (في أيامِ جَدَّةِ سَعِيدٍ) إلى لُوشَةَ، وكانتْ مَدِينَةً كَبِيرَةً عَلَى نَحْوِ سَعِينَ كِيلُومِتْرًا غَرْبَ غَرْنَاطَةَ. وَكَانَ سَعِيدٌ هَذَا عَالِمًا وَعَرَعًا فَجَعَلَ يُلْقِي دُرُوسَهُ وَمَوَاعِظَهُ فِي لُوشَةَ عِنْدَ بُرْجٍ لَهُمْ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ أُمَّلَاكِهِمْ فَعَرَفَتِ الْأُسْرَةُ بِاسْمِ آلِ الحَظِيْبِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُعْرَفُ بِآلِ الوَازِرِ. وَكَانَ وَالِدُ ابْنِ الحَظِيْبِ فِي خِدْمَةِ بَنِي نَصْرٍ فِي دِيْوَانِ الإِنشَاءِ.

وُلِدَ لِلسَّانِ الدِّينِ بْنِ الحَظِيْبِ فِي ٢٥ مِنْ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٧١٣ (١١/١٦/١٣١٣ م) فِي مَدِينَةِ لُوشَةَ وَنَشَأَ فِيهَا وَفِي غَرْنَاطَةَ. وَلَقَدْ تَلَقَى عُلُومَهُ فِي غَرْنَاطَةَ عَلَى نَفَرٍ مِنْهُمْ: الوَازِرُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الحَيَّابِ (ت ٧٤٩ هـ)، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ الفَخَّارِ الإِلبِرِيُّ النُّحَويُّ (ت ٧٥٤ هـ)، وَالمُحَدِّثُ أَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الحَسَنِيُّ السَّبْتِيُّ التَّلَسَّانِيُّ (ت ٧٦٠ هـ)، وَالقَاضِي أَبُو البَرَكَاتِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَاجِّ البَلْفِيْقِيِّ (ت ٧٧١ هـ)، وَالمُحَدِّثُ الفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْزُوقِ التَّلَسَّانِيِّ (ت ٧٨١ هـ) وَكَانَ قَدْ وَقَدَّ عَلَى غَرْنَاطَةَ، سَنَةَ ٧٥٣ هـ، وَعَمَّنْ خَطِيْبًا لِمَسْجِدِ الحَمْرَاءِ فَتَصَدَّرَ فِيهِ لِلتَّدْرِيسِ. وَكَانَ مِنْ شِيُوخِهِ أَيْضًا شَمْسُ الدِّينِ بْنُ جَابِرِ الوَادِيِّ آسِيٍّ وَالمُطِيبُ الفِيلَسُوفُ أَبُو زَكَرِيَّا مِجْيِيِّ بْنِ هَذِيلٍ.

وَفِي سَنَةِ ٧٤١ هـ (١٣٤٠ - ١٣٤١ م) تُوُفِّيَ وَالِدُ ابْنِ الحَظِيْبِ فَحَلَّ هُوَ مَكَانَهُ فِي دِيْوَانِ الإِنشَاءِ كَاتِبًا لِأَسْتَاذِهِ أَبِي الحَسَنِ بْنِ الحَيَّابِ وَزَازِرِ السُّلْطَانِ أَبِي الحُجَّاجِ يُوْسُفَ الأوَّلِ النُّبَارِ (٧٣٣ - ٧٥٥ هـ). وَفِي سَنَةِ ٧٤٩ هـ (١٣٤٩ م) تُوُفِّيَ ابْنُ الحَيَّابِ فِي الطَّاعُونَ الجَارِفِ فَخَلَفَهُ لِلسَّانِ الدِّينِ فِي الوَازَرَةِ وَرِئَاسَةِ دِيْوَانِ الإِنشَاءِ (وَكَانَ رَئِيسُ الوَازَرَةِ أَوْ الحَاجِبُ أَبُو نَعِيمِ رِضْوَانٍ). وَلَمَّا قُتِلَ أَبُو الحُجَّاجِ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ (الحَاسِ) الغَنِيُّ بِاللَّهِ، سَنَةَ ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) اسْتَمَرَّ رِضْوَانٌ فِي الحِجَابَةِ وَلِسَانِ الدِّينِ فِي الوَازَرَةِ.

وَسَفَرَ لِلسَّانِ الدِّينِ للغَنِيِّ بِاللَّهِ إِلَى السُّلْطَانِ المَرْبِئِيِّ أَبِي عِنَابِ فَارِسِ المَتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ (٧٤٩ - ٧٥٩ هـ) تَأْكِيدًا لِلْمُوَدَّةِ وَاسْتِنْبَاجًا عَلَى الطَّاعِيَةِ مَلِكِ قَسْطَالَةَ. وَغَطَّمَتْ ثَمَّةُ الغَنِيِّ بِاللَّهِ فِي لِسانِ الدِّينِ قَلْبَهُ «ذَا الوَازَرَتَيْنِ».

وَفِي ٢٨ مِنْ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ ٧٦٠ خَلَعَ الغَنِيُّ بِاللَّهِ وَقُتِلَ الحَاجِبُ رِضْوَانٌ فَرَّ

الغني بالله إلى فاس ونَزَلَ على السلطان أبي سالم إبراهيم بن علي. ومع أن لسان الدين جعل يُصانع السلطان الجديد إسماعيل (الثاني) بن يوسف (٧٦٠-٧٦٦ هـ) فإن السلطان الجديد لم يطمئن إليه فما عثم، بتحريض ممن حوله، أن نكبه وصادر أمواله وأملاكه. غير أن لسان الدين استطاع الهرب فلجأ إلى فاس أيضاً والتقى في بلاط فاس المريني باين خلدون.

وفي منتصف سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١ م) استطاع الغني بالله أن يعود إلى غرناطة ويسترد ملكه فاستدعى لسان الدين من فاس وردّه إلى الوزارة فملت مكاتبه من جديد وعظم نفوذه.

وغاظ ذلك الخصوم والحساد كالوزير الشاعر ابن زمرك تلميذ لسان الدين وكقاضي الجماعة في غرناطة أبي الحسن علي بن عبد الله الجذامي المالقي النباهي (٧١٣- نحو ٧٩٨ هـ) فجعلوا يحرضون الغني بالله عليه يتهمونه بالانحراف في ولاته وبالإنحاد. وأذرك لسان الدين أن من الأسلم مبارحة الأندلس قبل قوات الأوان فاستأذن بالذهاب إلى الحج ثم ذهب إلى فاس.

وزاد الخصوم والحساد في تحريض الغني بالله على لسان الدين فأحرقت كتب لسان الدين في غرناطة، في منتصف سنة ٧٧٣ هـ (١٣٧٢ م) ثم كتب الغني بالله إلى السلطان المريني أبي فارس عبد العزيز المستنصر بن علي بأن يقبض على لسان الدين ويعدمه. فلم يلتفت عبد العزيز لهذا الطلب.

وفي ربيع الثاني من سنة ٧٧٤ (١٣٧٣ م) توفي عبد العزيز وخلفه ابنه أبو زيان محمد السعيد، وكان طفلاً صغيراً. فناء الأحوال بين بني الأحمر وبين بني مرين فقام بنو الأحمر بقتنة في المغرب ذهبت بحمد السعيد وجاءت بأبي العباس أحمد المستنصر بن إبراهيم، في السادس من المحرم من ٧٧٦ (١٣٧٤/٦/١٧ م). وعلى الأثر جاء ابن زمرك * إلى فاس يطالب أبا العباس أحمد بمن الوصول إلى العرش على ما كان قد جرى الاتفاق بشأن لسان الدين. فحوكم لسان الدين محاكمة صورية وألقي في السجن. ودخل عليه قوم من الرعاع قتلوه في سجنه، (أوائل ٧٧٦ هـ = أواسط ١٣٧٤ م).

* زمرك (متنح الراي والميم أو بضما).

٢- كان لسانُ الدينِ ابنُ الخطيبِ رجلاً مُتَمَدِّدَ نواحي الشخصيةِ واسعَ الثقافةِ مُحيطاً بوجوه كثيرةٍ من فنونِ عصره بارِعَ التعبيرِ عن كلِّ موضوعٍ يتناوله حتَّى إنَّه كَسَفَ أنوارَ كثيرين من الذين عاصروه. وبرَّعَ في الفلسفةِ والسِّياسةِ والطَّبِّ، وأمَّا في التاريخِ فكان مؤرِّخَ عصره بلا مُنازعٍ.

ثمَّ هو أديبٌ ناثِرٌ ومُترَسِّلٌ وشاعرٌ مقدرٌ، وهو مُكثِرٌ مِنَ النِّتاجِ في النثرِ وفي الشعرِ. غيرَ أنَّه كثيرُ التكلُّفِ في النثرِ والشعرِ معاً ممَّا يدلُّ على مقدرةٍ في الفَنِّينِ تحملِ أسلوبه فيها قوياً مُرصعاً فحماً، ولكنَّ سَلْبَهُ كثيراً من الطَّلَاوةِ. وعلى كلِّ فإنَّ أدبه أعظمُ قيمةً في مادتهِ وفي خصائصه المعنويةِ. وسَنَسْطِيعُ أن نرفَعُ شأنَ النِّتاجِ الأدبيِّ لسانِ الدينِ إذا نحنُ نظرنا إليه على أنَّه صورةٌ صحيحةٌ أمينةٌ للعصرِ الذي عاش فيه. فَمِنْ شعره الجميلِ ذي العاطفةِ والأثرِ في النفوسِ قوله لما جاء سفيراً إلى أبي عَينانٍ يستنجدُه على الطاغيةِ ملكِ قِنتالَةَ (فتح الطيب ٥: ٩٨-٩٩):

خليفةَ الله، ساعدَ القَدرُ	عُلاك ما لاح في الدُّجى قَمَرُ؛
ودافعتْ عنك كَفُّ قُدرتِه	ما ليس يَسْطِيعُ دَفَعَهُ الشر.
وَجْهَكَ في النَّائباتِ بدرُ دُجى	لنا، وفي المَحَلِّ كَمُك المَطَرِ ^(١) .
والناسُ طَرّاً بأرضِ أُنْدلسِ	لولاك ما أوطَنوا ولا عَمَروا ^(٢) .
وجُملةُ الأمرِ أَنه وَطَنُ	في غيرِ عَليّاك ما له وَطَر.
ومَن بِهِ- مُذ وَصَلتْ حَبِلُهُمْ-	ما جَعَدوا نِعمَةً ولا كَفَروا.
وقد أَهَمَّتْهُمُ بأنفُسِهِمْ	فوجَّهوني إِلَيْكَ وانتظروا!!

ولسانُ الدينِ بنِ الخطيبِ مُصَنِّفٌ خِصْبٌ له كُتُبٌ قيمةٌ منها: الحُللُ المرقومة (=رقم الحلل في نظم الدول)؛ تاريخُ منظومٍ شعراً للملوك المشرق والمغرب والأندلسِ يَتَخَلَّله

(١) المَل: الفحط، الجفاف (حين لا تثبت الأرض شيئاً).

(٢) طَرّاً: جعباً. أوطن الرجل المكان: اتَّخَذَهُ وَطناً. عمر الرجل الأرض: سَكَمها، وعمر الرجل الدار: بناها.

شروحٌ نثراً - اللوحة البدرية في الدولة النصرية (مختصر لتاريخ بني نصرٍ في غرناطة حتى سنة ٧٦٥هـ) - الإحاطة في أخبار غرناطة - أعمال الأعلام في من بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - التاج المجلّى في مساجلة القُدح المُعلّى (تاريخ مملكة بني نصر) - نفاضة الجراب في علّالة الاغتراب (أخباره ووصف أحواله في أثناء منفاه بالمغرب) - خَطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف (رحلة في مدن الأندلس) - مُقنعة السائل عن المرض الهائل (وصف الطاعون الجارف الذي كان سنة ٧٤٩هـ = ١٣٤٨م) - رِيحانة الكُتاب ونُجعة المتنب (ملخصات من عدد من كتبه ثم من عدد من الرسائل) - مِيارُ الاختيار في ذكر المشاهد والديار (... المباحث والآثار) - السُحر والشُعر (مختارات من شعر شعراء المشرق وشعراء الأندلس) - الكيّبة الكامنة في من لقيته بالأندلس من شعراء المائة الثامنة - كُناة الدُكّان بعد انتقال السكّان (رسائل متبادلة بين السلطان أبي الحجاج يوسف ملك غرناطة والسلطان أبي عنان المريني) - مفاضلة (مفاخرة) بين مالقة وسلا - طُرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر (مختصر اللوحة البدرية) - الإكليل الزاهر في من فصل (٩) عند نظم التاج والجواهر (وهو تكملة لكتاب المجلّى) - كتاب عمل من طبّ لمن حبّ (في الطب) - الوصول لحفظ الصحة في الفصول (في الطبّ والحِمْية، إلخ) - بستان الدول (كتاب في السياسة والحرب والقضاء وطبقات المجتمع، لم يتم) - درّة التنزيل وغرّة التأويل - المباخر الطيّبية في المفاخر الخطيبية (ترجمة حياته) - الدرر الفاخرة واللُجج الزاخرة (مجموع شعر أستاذه أبي جعفر بن صفوان) - مجموع من شعر ابن الجيّاب - مجموعة من موشحات أئمة التوشيح بالأندلس - عائد الصلّة (تمتة لكتاب الصلّة لابن الزبير) - ديوان شعره .

٣- مختارات من آثاره:

- موشحة لسان الدين بن الخطيب المشهورة، وهي معارضة لموشحة ابن سهل الأندلسي راجع ص ١٧٤؛ ثم راجع آخر هذه الموشحة:
جادك العَيْثُ، إذا العَيْثُ هَمِي، يا زمانِ الوصلِ بالأندلسِ .

لم يكن وصلك إلا حلماً في الكرى أو خلسة المختلس!

إذ يقود الدهر أشات المنى - ينقل الخطو على ما نرسيم^(١)

زُمرأً بين فرادى وتُساء، مثلما يدعو الوفود الموسيم^(٢).

والحيا قد جلل الروض سناء؛ فتنور الروض عنه تبسيم^(٣).

وروى الثمان عن ماء السماء. كيف يروي مالك عن أنس^(٤)!

فكساء الحنن ثوباً معلماً يزدهي منه بأهسى مئيس^(٥).

في ليالٍ كمتت سر الهوى في الدجى لولا شمس الغر^(٦).

مال نجم الكأس فيها وهوى مستقيم السير سعد الأثر^(٧).

وظر ما فيه من عيب سوى أنه مرّ كلمح البصر.

حين لندّ الأنس فيه، أو كما هجم الصبح هجوم الحرس.

غارت الثهب بنا، أو ربّما أثرت فينا عيون الترجس^(٨).

أي شيء لا مرىء قد خلصا فيكون الروض قد مكن فيه^(٩)؟

تتهب الأزهار فيه الفرصا أينت من مكره ما تتقيه^(١٠).

(١) يفعل ما تنتهي نحو.

(٢) الموسم: العيد، المناسبة التي يجتمع فيها الناس.

(٣) الحيا: المطر. سنا: ضياء، بهاء، جمال.

(٤) الثمان: شقائق الثمان (زهر بري أحمر). الثمان: أحد ملوك الحيرة. ماء السماء: المطر. ماء السماء:

ماوية أم المنذر الثالث ملك الحيرة أحد أسلاف الثمان المذكور. مالك فقيه عظيم مشهور هو صاحب

الذهب المالكى. أنس: والد مالك، وكان خادماً لرسول الله ولم يكن له شيء من علم ابنه مالك.

(٥) مزين، مزخرف.

(٦) الفرر جمع غرة بضم الفين: القصة (بضم القاف): الشعر في مقدمة الجبهة.

(٧) نجم الكأس: الحبيب الذي يطفو على كأس الخمر. مال نجم الكأس: انحدرت الخمر في حلوقنا، شربناها.

(٨) غارت الثهب بنا: انحدر حباب الخمر (أو الخمر) في حلوقنا. عيون الترجس (زهر أبيض وفي وسطه

شيء أصفر): عيون النساء الحسان. - سكرنا من الخمر ومن عيون الحسان

(٩) أي الناس صفت له الحياة وعاش مطمئناً حتى يكون الروض دائماً أخضر مزدهراً؟

(١٠) - من أجل ذلك تتفتح الأزهار ثم تدل من تلقاء نفسها حتى تأمن أن يعذبها الزمن ويقضي عليها وهي =

وإذا الماء تناجى والحصى،
تُبصِرُ الوردَ غَيوراً بِرِماسا
وترى الآسَ لَبِيساً فَمَا
يا أَهْيَلِ الحَيِّ من وادي الغضا،
ضاق عن وِجدي بكم رَحْبُ الفضا؛
فأعيدوا عهدَ أنسٍ قد مضى
واتقوا اللهَ وأُخِيوا مُغرَماً
حبس القلبَ عليكم كَرَمًا،
وبقلبي منكم مُقْتَرِبُ
قَمَرٌ أَطْلَعَ مِنْهُ المَغْرِبُ
قد تَساوى مُخِينٌ أو مُذْنِبُ
أحورُ القلعة مَسْئولُ اللَمْسِ
سَدَدَ السَهْمِ فأضنى إذ رمى
إن يكن جَارًا، وخابَ الأملُ
فَهُوَ للنَّفسِ حَيِّبٌ أَوَّلُ؛

وَحَلَا كُلُّ خَلِيلٍ بِأَخِيهِ^(١)
يَكْسِي من غَيْظِهِ ما يَكْسِي^(٢)
يَسْرِقُ السَّمْعَ بِأُذُنِي قَرَسَ^(٣)
وبقلبي مَسْكَنٌ أتم بِهِ^(٤)
لَسْتُ أدري شَرْقَهُ من غَرْبِهِ
تُنْقِدُوا عَائِنِكُمْ من كَرْبِهِ^(٥)
يَتَلَشَّى نَفْسًا في نَفْسٍ؛
أَقْتَرِضُونَ خَرَابَ الحَيْسِ؟
بأحاديثِ المَنَى وَهُوَ بَعِيدُ:
شَقْوَةُ المُنْضَى وَهُوَ سَعِيدُ
في هِوَاهِ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدُ
جَالَ في النَّفْسِ مَجَالَ النَّفْسِ^(٦)؛
بِقَوَادِي تَبْلِسَةَ المَفْتَرَسِ.
- وفؤاد الصَّبِّ بالشوقِ يَدُوبُ -
ليس في الحسبِ لمحبوبِ ذُنُوبُ.

- = عاقلةً (الأزهار مُدَّةٌ مَعِيَّةٌ قصيرة تنسوقها الأزهار كلَّ عام، بخلاف الإنسان الذي لا يعلم متى يدركه الموت، وقد يدركه الموت قبل أن يحقق شيئاً من الغاية من الوجود).
- (١) الماء تناجى الحصى (٢): يكلمه سراً، يوسوس له (كتابة عن الصوت الذي يحدثه ماء النهر عند مروره على الحجارة).
- (٢) ورقة الآس تشبه أذن الحصان النقي - كأن الآس بانتصاب أورافه يحاول أن يجتلس السمع ويهرف ما تحدث به.
- (٣) وادي المضى قرب مكة.
- (٤) العاني: الأسير، أسير حيكم.
- (٥) الحيس (في المشرق): الهبوس، (في المغرب): الوقف (الأوقاف)، الموقف (قلبي الموقف على حكم).
- (٦) المحور: شدة بياض العين وشدة سواد سوادها. اللي: السمرة في الشفة.

أمره مُعْتَمَلٌ مُتَمَثِّلٌ في ضلوعٍ قد بَرَاها وقلوبُ^(١).
حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا، لم يراقبَ في ضِيفِ الأَنْفُسِ.
يُنْصِفُ المَظْلُومَ مِنِّ ظَلَمًا، وَيُجَازِي البَرَّ مِنهَا والمُسي.
مَا لِقَلْبِي كَلِمَا هَبَّتْ صَبَا عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدٌ^(٢)!
كَانَ فِي اللُّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبًا قَوْلُهُ: إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ^(٣)؟
جَلَبَ الهَمَّ لَهُ وَالوَصِيَا فَهُوَ لِلأَشْجَانِ فِي جُهْدِ جَهِيدٍ^(٤)
لَاعَجَّ فِي أَضْلَمِي قَدِ أَضْرِمَا، فَهَوَّ نَارًا فِي هَسَمِ اللَّيْسِ^(٥)
لَمْ يَدَعْ مِنْ مُهْجَتِي إِلَّا ذَمًّا كِبَاءَ الصُّبْحِ بَعْدَ الفَلَسِ^(٦).
سَلِمِي، يَا نَفْسُ، فِي حُكْمِ القِضَا وَاعْمُرِي الوَقْتَ بِرُجْعَى وَمَتَابٍ^(٧)
دَعَاكَ مِنْ ذِكْرِ زَمَانٍ قَدِ مَضَى بَيْنَ عُنْتِي قَدِ تَقَضَّتْ وَعِتَابٍ^(٨)
وَاصْرِفِي القَوْلَ إِلَى المَوْلَى الرِّضَا مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أُمِّ الكِتَابِ^(٩)
الكَرِيمِ المُتَهَمِي وَالمُتَمَسِّي أَسَدِ السَّرْجِ وَبَدْرِ المَجْلِسِ^(١٠)

- (١) أمره (أمر المحبوب): حكمه، إرادته. متمثل (مماها في هذا النص): يجب العمل به. مثل: تحب طاعته. ولكن أمر المحبوب صعب التنفيذ ييري الحب: بحمله غيلاً، هزياً، مريضاً.
(٢) الصبا، ربح الشرق. عيد، الأمر الذي يعود مرة بعد أخرى.
(٣) اللوح المحفوظ: القضي به في علم الله على البشر، المكتوب عليهم منذ الأزل. ﴿إن عذابي لشديد﴾ تضمين من سورة إبراهيم (١٤: ٧).
(٤) الوصب: التعب. الأشجان (جمع شجن بفتح ففتح): الأحزان. للأشجان: من الأشجان. جهد جهيد: تعب شديد جداً.
(٥) اللاعج: العاطفة المتقدة، الهوى الشديد المحرف.
(٦) الذم: بقية الروح في الجسد. الفلاس: الظلام في آخر الليل. كباء الصبح بعد الفلج (الملوح أن الشاعر يفقد أن يقول: «شيئاً قليلاً»، ولكن التشبيه لا يؤدي هذا المعنى).
(٧) - أقبلني بفناء الله. أعمرني (أقضي) الوقت برجعي (بالرجوع إلى الله).
(٨) العتاب: اللوم على ما فات. العتي: الرضا (بعد العتاب).
(٩) أم الكتاب: سورة الفاتحة (الأولى في المصحف).
(١٠) المنهى: النهاية (أي ذاته، ذات المدوح وشخصه). التمسى (أسلافه). أسد السرج (البطل إذا ركب الخيل، في الحرب). بدر المجلس (السيد الذي توجه إليه الأنظار في كل اجتماع).

يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلًا
 مُصْطَفَى اللَّهِ سَمِيَّ الْمُصْطَفَى
 مَن إِذَا مَا عَقَّدَ الْعَهْدَ وَقَى
 مِن بَنِي قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، وَكفى،
 حَيْثُ بَيْتُ النَّصْرِ مَخْمِيَّ الْحِمَى
 وَالهُوى ظِلُّ ظَلِيلٍ خَيْمًا،

ها كَمَا يَا سَيْطَةَ أَنْصَارِ الْعَلَا
 غَادَةَ أَلْبَسَهَا الْحُسْنَ مُلَا
 عَارَضَتْ لَفْظًا وَمَعْنَى وَحُلَى
 (هَلْ دَرَى ظَبْيِي الْحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى
 فَهَوَى فِي حَرٍّ وَخَفَسَقَى مِثْلًا

- وقال لما زار قبر المعتمد بن عباد في أغصان بإفريقية:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَنْ طَوْعٍ بِأَغْصَانٍ:
 رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى الْمَهْمَاتِ.

- (١) روح القدس: جبريل.
 (٢) مصطفى الله (الذي اختاره الله) سمي (التيه بالاسم) المصطفى (محمد رسول الله). الغني بالله (محمد الخامس الغني بالله من ملوك بني نصر في غرناطة).
 (٣) إذا قبح الخطب (إذا اشتدت الأمور) عند (العزم وكان حازماً في مجالتها) في نفع الطيب (٧: ١٤): فتح (بالياء للمجهول).
 (٤) قيس بن سعد بن عبادة الحزرجي الأنصاري من دهاة العرب (راجع المحبر لابن حبيب، ص ١٥٥، و ١٨٤). وبنو نصر أصحاب غرناطة كانوا يردون نسبهم إلى قيس بن سعد.
 (٥) الندى: بخار الماء المعلق في الهواء (في الليل). - من يزرع حسنة ينمئح بالحو الجمل الذي ينشأ منها!
 (٦) البسط (حفيد الرجل من أبنائه). إن عثر الدهر بأحد أقاله (أنهض من عثرته) أو إذا عثر الدهر نفسه، فإن محمداً الخامس الغني بالله يمكن أن يسعد الدهر على النهوض!
 (٧) العادة: المرأة الجميلة (الفصيذة). الملاة: ثوب يشر على انفراس (وثوب سابغ تلبسه المرأة) جمعها ملاة (بضم الميم أيضاً).
 (٨) الصب: الهب. حلّه: نزل فيه، سكه المكس والكاس (بالكسر): بيت الفراء.

لَمْ لَا أُرْوِكُ، يَا أُنْدَى الْمُلُوكِ يَدَا
وَأَنْتَ مَنْ لَوْ تَحَطَّى الدَّهْرُ مَضْرَعَهُ
أَنَافَ قَبْرِكَ فِي هَضْبٍ يُعَيِّرُهُ
كُرْمَتٌ حَيًّا وَمَيِّتًا وَأَشْهَرَتْ عَلًّا،
مَارِيءٌ مِثْلَكَ فِي مَاضٍ؛ وَمُعْتَقِدِي
وَيَا سِرَاجَ اللَّيَالِي الْمُدْلَهَمَاتِ^(١).
إِلَى حَيَاتِي، لَجَادَتْ فِيهِ أَيْبَاتِي.
فَتَسْتَحْيِيهِ حَيَّاتُ التَّحِيَّاتِ^(٢).
فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ.
الْأَيُّرَى - الدَّهْرُ - فِي حَالٍ وَلَا آتِي^(٣).

- التاريخ (من مقدمة «الإحاطة»)

.... وَلَمَّا كَانَ الْفَنُّ التَّارِيخِيُّ مَأْرَبَ الْبَشَرِ وَوَسِيلَةً إِلَى ضَمِّ النُّشْرِ^(٤) يَغْرِفُونَ بِهِ
أَنْسَابَهُمْ فِي ذَلِكَ شَرْعًا وَطَبْعًا وَمَافِيهِ، وَيَكْتَسِبُونَ بِهِ عَقْلَ التَّجْرِبَةِ فِي حَالِ السُّكُونِ
وَالرَّفِيهِ^(٥)، وَيَسْتَدَلُّونَ بِبَعْضِ مَا يُسَدِّي بِهِ الدَّهْرُ وَيُسْفِيهِ، وَيَرَى الْعَاقِلُ مِنْ تَصْرِيفِ
قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَسْرُحُ صَدْرَهُ بِالْإِسْلَامِ وَيُحْفِيهِ، وَيَمُرُّ عَلَى مِصَارِعِ الْجَبَابِرَةِ فَيَحْسِبُهُ
بِذَلِكَ وَاعْظَمًا وَيَكْفِيهِ. وَكُتِبَ اللَّهُ يَتَخَلَّلُهُ مِنَ الْقَصَصِ مَا يَتَمُّ هَذَا الشَّاهِدُ لِهَذَا الْفَنِّ
وَيُؤَيِّقُهُ. قَالَ تَعَالَى^(٦): ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُوثِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾. وَقَالَ
عَزَّ مِنْ قَائِلٍ^(٧): ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَإِنْ
كُنْتَ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

فَوَضَّحَ سَبِيلُ مُبِينٍ، وَظَهَرَ أَنَّ الْقَوْلَ بِفَضْلِهِ يَقْتَضِيهِ عَقْلٌ وَدِينٌ^(٨). وَإِنَّ بَعْضَ
الْمُصَنِّفِينَ مِمَّنْ تَرَكَ نَوْمَهُ لِمَنْ دُونَهُ، وَأَنْزَفَ مَاءَ شَبَابِهِ مُودِعًا إِيَّاهُ بَطْنُ كِتَابِهِ يَقْصِدُهُ

(١) الليل المدلم: التبدد الظلام (المصائب الكبيرة).

(٢) أناف: علا، ارتفع. اتحنى: مال إلى ناحية. الحفي: الذي يهت بالأمر (ثأته التحيات المخلصة من كل جانب).

(٣) رمي، (رؤي). الدهر (بالنصب): طول الدهر.

(٤) كذا في الأصل.

(٥) لعلها: السكون الرفيه (بلا واو العطف): السكون في سعة من العيش.

(٦) القرآن الكريم ١١: ١٢٠، هود.

(٧) القرآن الكريم ١٢: ٣، يوسف.

(٨) بفضله = بفضل التاريخ.

الناس وَيَرِدُونَهُ ^(١) اِخْتَلَفَتْ فِي مِثْلِ هَذَا الْبَابِ أَعْرَاضُهُمْ. فَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِإِثْبَاتِ حَوَادِثِ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ اعْتَنَى بِرِجَالِهِ بَعْدَ اخْتِيَارِ الْأَعْيَانِ عَجْزاً عَنِ الْإِحَاطَةِ بِهَذَا الشَّانِ، عَمُوماً فِي أَكْثَرِ الْأَقْطَارِ وَخُصُوصاً فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ (ثُمَّ يَبْدُدُ لِسَانَ الدِّينِ أَسْمَاءَ نَفَرٍ كَثِيرِينَ أَلْفَوْا كِتَاباً فِي تَارِيخِ مَدِينِهِمْ).

فِدَاخَلْتَنِي عَصِيَّةٌ لَا تَقْدَحُ فِي دِينٍ وَلَا مَنْصِبٍ ^(٢)، وَحَمِيَّةٌ لَا يُدْمُ فِي مِثْلِهَا مُتَعَصِّبٌ، ... وَرَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الْحَضْرَةَ ^(٣) الَّتِي لَا حَفَاءَ بِهَا وَقَرَّ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابِ إِثَارِهَا وَأَرَادَهُ مِنْ جَلَالِ مِقْدَارِهَا، جَعَلَهَا تَفَرُّدَ الْإِسْلَامِ وَمُنْبُؤَ الْعَرَبِ الْأَعْلَامِ قَبِيلٍ ^(٤) رَسُولَهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ وَمَا خَصَّهَا مِنْ اعْتِدَالِ الْأَقْطَارِ وَجَرِيَانِ الْأَنْهَارِ وَإِنْفِصَاحِ الْإِعْتَارِ وَالتَّفَافِ الْأَشْجَارِ.. نَزَّلَهَا الْعَرَبُ الْكِرَامُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ مُخْتَطِينَ فَعَمَرُوا وَأَوْلَدُوا ^(٥) وَأَثْبَتُوا الْمَفَاخِرَ وَخَلَدُوا.....

وَقَدْ كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْغَافِقِيُّ ^(٦)، مِنْ أَهْلِ غَرَناطَةَ، قَدْ قَامَ مِنْ هَذَا الْبَرَعِضِ بِفَرَعِضٍ وَأَقَى مِنْ كُلِّ بَيْتَعِضٍ. فَلَمْ يَبْقَ مِنْ عِلَّةٍ، وَلَا سَدَّ خَلَّةٍ، وَلَا كَثَّرَ قَلَّةً ^(٧) فَفُتِمَتْ بِهَذَا الْوُضُوفِ وَانْتَدَبَتْ لِلتَّلَايِفِ. وَرَجَوْتُ عَلَى نَزَارَةِ حَظِّ الصَّحَّةِ وَازْدِحَامِ التَّوَاغِلِ الْمُلْحَةِ أَنْ أَضْطَلِعَ مِنْ هَذَا الْقَصْدِ بِالْعَبِيءِ الَّذِي طَالَمَا طَاطَأَتْ لَهُ الْأَكْبَادُ ^(٨)....

- (١) لَمَنْ هُوَ دُونَهُ (أَقْلَ مِنْهُ، لَمَنْ لَا تَسْمُو نَفْسَهُ إِلَى جَلِيلِ الْأُمُورِ) وَمَنْ قَضَى أَيَّامَ شِبَاهِهِ (شَاطِئُهُ) يَدَوِّنُ التَّارِيخَ (بِإِخْلَاصٍ) يُقَصِّدُهُ النَّاسَ لِيَرِدُوا مِنْ مَوْرَدِهِ (يَسِيرُوا مِنْ نَعْمِهِ: لِيَسْتَفِيدُوا مِنْهُ).
- (٢) الْعَصِيَّةُ: شِدَّةُ الْإِهْتِمَامِ بِأَهْلِ الرَّحْلِ (وَلَوْ أَسَاءَ ذَلِكَ إِلَى نَوْمِ آخَرِينَ). لَا يَفْدَحُ: لَا يَمِيبُ. الْمَنْصِبُ: الْمَكَانَةُ.
- (٣) الْحَضْرَةُ: الْعَاصِمَةُ (غَرَناطَةُ).
- (٤) التَّفَرُّدُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَجْتَمِعُ مِنْهُ عِجْمُ الْعُدُوِّ (حُدُودِ الْبُلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَى بُلَادِ الْأَعْدَاءِ الْخَارِجِيِّينَ).
- (٥) الْمُنْبُؤُ: الْمَسْكَنُ وَالْمُسْتَقَرُّ. الْقَبِيلُ: الْقَوْمُ، الْأَهْلُ.
- (٦) اِخْتَطَّ: أَنْشَأَ خَلَّةً (بِكَسْرِ الْهَاءِ): مَكَانَ السَكَنِ (الْبَلَدَ، الْمَدِينَةَ). عَمَرَ الْأَرْضَ: سَكَنَهَا وَأَنْشَأَ فِيهَا حَيَاةَ عِمْرَانِيَّةٍ (اِقْتِصَادِيَّةً وَاجْتِمَاعِيَّةً). أَوْلَدُوا: جَاءَهُمْ أَوْلَادٌ (نَسْلٌ)، أَيَّ عَاشُوا فِيهَا مَدَّةً طَوِيلَةً.
- (٧) لَعَلَّهُ أَبُو جَمِيحٍ الْبَيْهَقِيُّ بْنُ عَيْسَى بْنِ الْبَيْهَقِيِّ الْهَمْدَانِيُّ (ت. ٥٧٥ هـ)، كَانَ لَهُ اشْتِغَالٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ (رَاجِعْ نَفْحَ الطَّيِّبِ ١: ١٣٧، ١٦٤، ٢٠٨) وَسَائِرَ الْمَطَائِنِ الْوَارِدِ ذِكْرَهَا فِي فِهْرَسْتِهِ.
- (٨) الْعِلَّةُ: الْعَطَشُ. الْحَلَّةُ: الْفُرْجَةُ، التَّبَعُ الصَّغِيرُ، الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ. الْوُضُوفُ: عَظْمٌ دَقِيقٌ فِي السَّاقِ (وَهُوَ يَقْصِدُ الْوُضُوفِيَّةَ: الْعَمَلُ الَّذِي يَقْدَرُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ). وَانْتَدَبَتْ (نَفْسِي) لِلتَّلَايِفِ.
- (٩) التَّوَاغِلُ: لَيْسَتْ فِي التَّامُوسِ. الْمَقْصُودُ الْأَشْغَالُ جَمْعُ أَشْعُولَةٍ (بِالضَّمِّ): مَا يَشْغُلُ (يَنْتَعِجُ الْغَيْثُ) الْإِنْسَانَ وَيُلْهِمُهُ. الْكِنْدُ (يَنْتَعِجُ فَضْحُ): الْكَاهِلُ (يَجْمَعُ الْكَمِينَ).

والترتيب الذي انتهت إليه جيلتي وصرفتُ في اختياره مُخَلِّقِي هو أني ذَكَرْتُ
البلدة^(١)، حاطها الله، مُبَيَّهاً منها على قديمها وطيب هوائها وأديمها، وإشراق علها
ومحاسن حلها، ومن سكنها وتولاها، وأحوال أناسها ومن دال^(٢) بها من ضروب
القبائل وأجناسها، وأعطيت صورتها وأزختُ في الفخر ضرورتها. وذكرتُ الأسماء على
الحروف المبوَّبة^(٣) وفصلتُ أجناسهم بالتراجم المرتبة: فذكرتُ الملوك والأمراء ثم
الأعيان والكبراء ثم الفضلاء ثم القضاة ثم المقرئين والعلماء ثم المُحدِّثين والفقهاء وسائر
الطلبية النجباء ثم الكتاب والشعراء ثم المُعالم والأثراء^(٤) ثم الزهاد والصالحاء
والصوفية والفقراء ليكونُ الابتداء بالملك والاختتام بالملك وَلِيُنظَمَ الجميعُ انتظام
السُّلك^(٥). وكلُّ طبقةٍ تنقسمُ إلى من سكن المدينة مُحْكَم الأصاله والاستقرارِ أو طرأ
عليها مِمَّا يُجاورها مِنَ الأقطارِ أو خاضَ إليها - وهو الغريبُ - أُنباج^(٦) البحارِ أو
ألمَّ بها ولو ساعةً من نهار. فإن كَثُرَتِ الأسماءُ نَوَّعْتُ وتَوَسَّعْتُ، وإن قلتُ اختصرتُ
وجمعتُ. وآثرتُ ترتيبَ الحروفِ في الأسماءِ ثم في الأجداد والآباء لِشُرُودِ الوَفِيَّاتِ
والمواليِدِ التي رَبَّتْها الزمانُ عَنِ الاستقصاءِ^(٧). وذَهَبْتُ إلى أن أذكرَ الرجلَ ونسبَه
وأصالته وحسبَه ومولده وبلده ومذاهبه وأنحاله^(٨) والفقن الذي دعا إلى ذكره،
وحليته ومُشِيختَه^(٩) - إن كان تَمَنَّ قِيَدَ عِلْمًا أو كسبه - ومآثره إن كان تَمَنَّ وَصَلَ الفضل

(١) البلدة (غرناطة).

(٢) دال فلان دالة ودولة: صارت له دالة (نصيب ودور في الحكم).

(٣) على الحروف (كما ترتب في القاموس).

(٤) المُعالم: الولاء على المدن. الأثراء ليست في القاموس (لعله يقصد الفضلاء، ذوي الفضل والمكانة الاجتماعية في بلدانهم).

(٥) بالملك (أهل القوة). الاختتام بالملك (بأهل الصلاح). انتظام السلك (ليكون الكتاب مثلاً لجميع طبقات المجتمع على الترتيب المخصوص).

(٦) التبيح: وسط الشيء (ووسط البحر أيضاً).

(٧) - يقصد أن الحصول على تاريخ مولد الأشخاص ووفاتهم ليس سهلاً في كلِّ حين.

(٨) الأحوال ليست في القاموس (لعله يقصد جمع نحلة - بكسر النون - الطريقة التي يحصل الإنسان بها معاشه).

(٩) حليته (صفاته وأحواله). مشيخته (أسانده).

بِسَبِّهِ (١) وشِعْرَهُ إِنْ كَانَ شَاعِرًا، وَأَدَبُهُ وَتَصَانِيفُهُ إِنْ كَانَ كَانَ مِنْ أَلْفَ فِي فَنِّ وَهَدْيِهِ، وَمِخْتَنَّتُهُ إِنْ كَانَ مِنْ بَرِّهِ الدَّهْرُ وَسَلَبُهُ (٢)، ثُمَّ وَفَاتَهُ وَمُنْقَلَبُهُ إِذَا اسْتَرْجَعَ اللَّهُ مِنْ مَنَحِهِ حَيَاتِهِ مَا وَهَبَهُ (٣).

وجعلتُ هذا الكتابَ قِسْمَيْنِ وَمُسْتَمِلًا عَلَى قَتْنَيْنِ: الْقِسْمَ الْأَوَّلَ فِي حُلَى الْمَعَاهِدِ وَالْأَمَاكِنِ وَالْمَنَازِلِ وَالْمَسَاكِنِ، وَالْقِسْمَ الثَّانِي فِي حُلَى الزَّائِرِ وَالْقَاطِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالْمَسَاكِنِ.

- ٤- الإحاطة في أخبار غرناطة، مصر (مطبعة الموسوعات) ١٣١٩ هـ: الجزء الأول (حققه عبد الله عيان)، مصر (دار المعارف) ١٣٧٥ هـ=١٩٥٥ م.
- الإشارة في أدب الوزارة في السياسة (تحقيق عبد القادر زمامة)، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٢ م.
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلّق بذلك من الكلام: قسم المغرب (أو إفريقية: تونس) (نشره حسن حسني عبد الوهاب)، بلرم في جزيرة صقلية ١٩١٠ م؛ الكتاب كلّه (تحقيق ليفي بروفصال)، الرباط ١٩٣٤ م، بيروت (دار المكشوف) ١٩٥٦ م؛ الجزء الثالث (بعضون: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط) (تحقيق أحمد مختار العبّادي ومحمد إبراهيم الكتّاني)، الدار البيضاء (دار الكتاب) ١٩٦٤ م؛ موجز تاريخ إسبانية (مثنور أنطونيا)، مدريد ١٩٣٣ م؛
- أوصاف الناس (٤)
- جيش التوشيح (حقّقه هلال ناجي)، تونس (مطبعة المنار) ١٩٦٧ م.
- الحُلل المرقومة أو رقم الحُلل في نظم الدُول، تونس (المطبعة العمومية) ١٣١٦ هـ: (قسم صقلية) ١٧٩٠ م.

- الحُلل المُوَسَّيَّة في (ذكر) الأخبار المراكشية (*) (تحقيق بشير الغورقي)، تونس ١٩١١ م=١٣٢٩ (تحقيق علّوش)، الرباط ١٩٣٦ م.
- ديوان الصيّب والمجّهم والكمّام (دراسة وتحقيق محمد الشريف قاهر) الجزائر (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) ١٣٩٣ هـ=١٩٧٣ م.

(١) ... وصل إلى مكاتنه في قومه بسبب علمه (!).

(٢) الهنة: المصيبة والشقاء يصيب الإنسان. برّ: غلب وسلب.

(٣) ... أذكر وفاته، إذا كان قد توفي في أبيي.

(٤) في نسبة هذا الكتاب والحلل الموشية، إلى لسان الدين بن الخطيب شك. ذكر علّوش أن الكتاب لمؤلف مجهول. راجع أيضاً الأعلام للزركلي ٧: ١١٣ (٦: ٢٣٥).

- روضة التعريف بالحَبِّ الشريف (تحقيق عبد القادر أحد عطار عبد الستار)، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٦٨ م.
- ربحانة الكتاب ونجعة المتناهب (قطع منه) ١٩١٦ م.
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، فاس (تحقيق إحسان عباس)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٣ م.
- كاسة الدكان بعد رحيل السكان (تحقيق محمد كمال شبانة)، القاهرة (دار الكاتب العربي للطباعة والنشر) ١٩٦٦ م.
- اللوحة البدرية في الدولة النصرية (صححه محب الدين الخطيب)، القاهرة (المطبعة السلفية) ١٣٤٧ هـ؛ بيروت (دار الآفاق) ١٩٧٨ م.
- مجموع رسائل (*).
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (نشره أحمد مختار العبادي)، الاسكندرية (مطبعة جامعة الاسكندرية) ١٩٥٨ م.
- معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار (مولر)، منش: ميونيخ ١٨٦٦ م؛ فاس ١٣٢٥ هـ.
- مفاخرة مالقة وسلا (مولر)، منش: ميونيخ ١٨٦٦ م.
- مقتعة السائل في المرض المائل (مولر) منش ١٨٦٣ م.
- نفاضة الجرباب في علالة الاغتراب (تقديم أحمد مختار العبادي)، القاهرة (دار الكاتب العربي للتوزيع والنشر) ١٩٦٣ م.
- ** نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب (نشره دوزي- دوغات- كرايل- رايت)، ليدن (بريل) ١٨٥٥-١٨٦١ م؛ مصر (بولاق) ١٣٧٩ هـ؛ مصر (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٤ هـ؛ (حَقَّقَهُ مُحَمَّدُ محيي الدين عبد الحميد)، بر بيروت (دار الكتاب العربي) ١٣٦٩ هـ؛ (حَقَّقَهُ إحسان عباس)، بيروت (دار صادر) ١٣٨٨ هـ=١٩٦٨ م.
- ابن الخطيب: حياته وكتبه، تأليف محمد بن أبي بكر التطواني وعبد العزيز بن عبد الله (معهده مولاي الحسن)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٤ م.
- ابن الخطيب وزير غرناطة، تأليف عبد الهادي أبي طالب، القاهرة (المكتبة التجارية) ١٩٥٠ م؛ الدار البيضاء ١٩٦٠ م.
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، بقلم عبد العزيز بن عبد الله، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٣ م.

نيل الأبتهاج ٢٦٤-٢٦٥؛ الدرر الكامنة ٣: ٢٤٤-٢٤٧ (رقم ١٢٦١)، ٣: ٤٦٩-٤٧٤؛ ثبير فرائد الجمان ٢٩٢-٢٩٣؛ وفيات ابن قنفذ ٣٧٠-٣٧٢؛ درة

(*) مجموع رسائل، لعلّه «مشاهدات لسان الدين...».

المجال ٢: ٢٧١-٢٧٤؛ شذرات الذهب ٦: ٢٤٤-٢٤٧؛ نفع الطيب ١: ٧٠-٨٠،
 ١٠٥-١١٢، ١١٥-١١٧، ١٢٥-١٢٦، ١٨٦-١٩٠، ٣٢١-٣٢٦، ٤٥٣-٤٥٤،
 ٥٠٥-٥١٩، ٤: ٤٠٤-٤٤٦ (رسائل من إثنائه)، ٥: ٧ إلى آخر الجزء ٦: ٥-٧،
 ١٣-٤٥، ٦٠-١٣٨، ١٦٢-٢١٣، ٢١٩-٢٢٧، ٢٣٠ وما بعد، ٢٦٨-٣٨٠،
 ٣٨٥-٤٤٦، ٤٤٧-٥١٥ (في الصفحات السابقة ثغرات قصيرة)، ٧: ٦٥-٦٨،
 ٩٧-١٠٨، ١٤٥ وما بعد (تلاميذه)؛ أزهار الرياض ١: ٣٠-٣٤، ٦٢-٦٣،
 ٦٤-٦٥، ١٧٩، ١٨٦، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٣١، ٢٤٩، ٢٩١، ٢٩٤، ٣٣٦، ٥: ٦-٦،
 ٧-١١، ١٦٤-١٦٦، ٢١٣-٢١٥، ٢١٨، ٣٠١-٣٠٢، ٣٧٦؛ الاستقفا ٢:
 ١٠٥-١١٩، ١٢٥-١٢٨، ١٣٢، ١٣٤-١٣٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣:
 ٣٨٥-٣٨٧؛ بروكلمن ٢: ٣٣٧-٣٤٠، الملحق ٢: ٣٧٢-٣٧٣؛ نيكل ٣٦٣-٣٦٦؛
 مختارات نيكل ٢٠٧، ٢١٢-٢١٥؛ سركيس ١٥٨٨-١٥٩١؛ الأعلام للزركلي ٧:
 ١١٢-١١٤ (٦: ٢٣٥)؛ بالنشيا ١٣٨-١٣٩، ٢٥١-٢٥٩، ٣٠٢ وما بعد؛ مجلة الجمع
 العلمي العربي ٢٣: ٤ (١٠/١٩٤٨)، ص ٥٢٤، ثم المجلد ٤٧، ص ١٧٠؛ البحث العلمي
 ٥/١٩٦٨، ص ١٢٣؛ العربي ٦/١٩٦٧، ص ٤٧، ١٢/١٩٦٥، ص ٣٠-٣٥؛ الأصالة
 ٤: ٢٦، ص ٣٣١؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢١٦-٢١٧.

ابن أبي حجلة

١- هو شهابُ الدين أبو العباسِ أحدُ بنِ يحيى بنِ أبي بكرِ بنِ عبدِ الواحدِ
 التِّلْسانِيِّ المعروفِ بابنِ أبي حَجَلَةَ^(١)، وُلِدَ في تِلْسانَ، سَنَةَ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). رَحَلَ
 وَحَجَّ ثُمَّ ذَهَبَ إلى دِمَشْقَ فدرَسَ الأدبَ ثُمَّ انتَقَلَ إلى القَاهِرَةِ وتولَّى شَيْخَةَ الصُّوفِيَّةِ
 بصِهْرِيَجٍ مَنجَكَ خارجَ القَاهِرَةِ. وكانت وفاته في القَاهِرَةِ بالطاعونِ في سَلْخِ ذِي القَعْدَةِ
 من سَنَةِ ٧٧٦ (١٣٧٥/٥/٢ م) أو في مُسْتَهَلِّ ذِي الحِجَّةِ.

٢- كان ابنُ أبي حَجَلَةَ ذا اتِّجاءٍ دينيٍّ وميلٍ إلى التَّصَوُّفِ المُتَدَلِّ حَمَلًا على

(١) الحجلة طائر مكور المحم أصفر من الدجاجة أحمر المنقار والساقيين، يري يصاد للحمه الطيب. قبل إن
 عبد الواحد الجد الأعلى لصاحب هذه الترجمة كان من المتصوفة ذوي الكرامات، وقد باضت حجلة
 على كته!

القائلين بَوْحْدَةِ الوجودِ وعلى عَمَرِ بنِ الفارضِ خَاصَّةً (١). وكان أديباً ناثراً شاعراً له قصائدٌ ومُقطَّعاتٌ وبيديعاتٌ ومَقاماتٌ. وقد عارضَ جَمِيعَ قصائدِ عَمَرِ بنِ الفارضِ ببيديعاتٍ (بمدائحٍ في رسولِ الله) وهو مؤلِّفٌ مُكثِرٌ ذكروا أن له أَكثَرَ من ثمانينَ كتاباً منها: ديوان الصِّبابة (تراجمٌ لنفسيٍّ من الشعراءِ الحَبِيبينَ ومختاراتٍ لهم) - سكردان (٢) السلطان (الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون؛ وهو مجموع في معنى العدد «سبعة» في أرض مصر وتاريخها وسكانها وحكامها) - الطاريء على السكردان (نقل الكرام في مدح الكرام: الملك الناصر حسن) - سلوة الحزين في موت البنين - جوار الأخيَّار في دار القَرار - الطبِّ المسنون في دفع الطاعون - التذكير بالموت وسكسَى القبور والخروج منها والنُشور - دفع النِّقمة في الصلاة على نبيِّ الرحمة - أنوذج القتال في نقل العَوال (٣) (في الشطرنج) - مفناطيس الدرِّ النفيس (مختصر في أنواع من الأدب) - منطق الطير - الأدب الغضِّ - حاطب ليل - عنوان السعادة - نحر أعداء البحر - أطيب الطيب - النعمة الشاملة في العشرة الكاملة - السجع الجليل فيما جرى من النيل، الخ.

٣ - مختارات من آثاره

الحمدُ لله الذي جعلَ «للماشقين بأحكامِ الغرامِ رضا» (٤)، وحبَّبَ إليهمُ الموتَ في حُبِّ مَنْ يَهْوُونَهُ «فلا تُكنْ، يا فتى، بالحبِّ مُعْتَرِضاً» (٥). فكم فيهم من عاشقٍ ومُحِبِّ صادق:

رأى فحبَّ فرامَ الوصلِ فأمتنعوا فسامَ صبراً فأغشى نيلَه فقضى!

(١) وحدة الوجود أو الاتِّحاد مذهب متطرِّف في الصوفية يرى أن مجموع الوجود هو الله، وأن كلَّ جزءٍ منه يمثِّل قوَّة من قوى الله (وقال بعضهم: كلَّ جزءٍ من العالم يمثِّل الله!). عمر بن الفارض (ت ٦٣٢ هـ) متصوِّف متطرِّف، ولكنَّه أشعر شعراءِ الصوفية من العرب، وثاني شعراءِ الصوفية في العالم بعد جلال الدين الرومي (ت ٥٧٢ هـ).

(٢) السكردان.....

(٣) «الحديث العالي» ما أسنوفت روايته شروط الصِّحة وكان الدين زروُّه قريبين من زمن رسول الله - وفي هذا التعريف شيء من الغموض - (راجع «قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقَّق محمد هجة البيطار، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ص ١٢٧).
(٤) إلى ٥) من أبيات للشابِّ الطريف (ت ٦٨٨ هـ).

أَحْمَدُهُ جَمَدٌ « من خافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (١) » ، وَشَبَّ بِذِكْرِ مَحْبُوبِهِ ،
 إِنْ كَانَ تَهَامِيًّا فِي حِجَازٍ أَوْ شَامِيًّا فِي نَوَى (٢) :

طَوْرًا تَيَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ ، وَإِنْ لَاقَيْتُ مَعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي (٣) !
 وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْحَمِيدُ الْمَجِيدُ : شَهَادَةٌ مِنْ أَصْبَحَ مَوْتُهُ
 لِبُعْدِهِ أَقْرَبَ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (٤) ، وَقَالَ لِعَاذِلِهِ : « لَفَدَ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ،
 وَإِنَّكَ لَتَعَلَّمُ مَا نُرِيدُ » (٥) .

لَوْ أَنَّ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقْتَعٍ عَدَرْتُ ، وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمٍ (٦) .
 وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةٌ مِنْ أَخْلَصَ فِي مُوَالَاتِهِ وَتَبَرَّأَ مِنَ الْإِيْمِ حِينَ
 تَوَلَّى عَنْهُ مَحْبُوبُهُ بِجَانْتِمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ (٧) . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ
 وَهَامَ عَاشِقٌ (٨) . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَنَا هَذَا كَمَا قِيلَ :

عَلَى أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَصْرِيِّينَ غَلَبُوا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ بِالتَّأْلِيفِ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلَمْ يَفْرُقْ
 بَعْضُهُمْ فِي التَّشْبِيهِ بَيْنَ زَيْنَبَ وَالرَّبَّابِ (٩) :

وَكُلُّ يَدْعِي وَصَلًّا بَلِيْلِي ، وَلِيْلِي لَا تُقِرُّ لَهُ بِذَاكَ (١٠) .

- (١) القرآن الكريم ٧٩ : ٤٠ ، التارعات .
- (٢) تهامة : ساحل الحجاز . (الأرض المنخفضة بالإضافة إلى نجد) . شامياً (شامياً) من بلاد الشام (سورية) .
 نوى قرية بالشام .
- (٣) - حيناً انتسب إلى اليمن (عرب الجنوب) معدّ وعدنان (جدان لعرب الشمال) . البيت لعمران
 بن حطّان .
- (٤) حلل الوريد : تمرّ للدم في جانب الضيق (في الضيق وريدان) .
- (٥) القرآن الكريم ١١ : ٧٩ هود . العاذل : اللاتم .
- (٦) - لو كنت أشكو من حبيب مقنع (امرأة محبوبة) لمان عليّ الأمر . معممّ : بلبس عمامة (رجل) . والبيت
 للضنّي .
- (٧) الإيتم : الذنوب . براته (براهته!) .
- (٨) ذرّ (ظهر من وراء الأفق) شارق (طالع من شمس أو قمر أو نجم ما) . هام : حار من شدّة الحبّ .
- (٩) زينب والرباب : اسمان للنساء (لم يفرّق بين محبوب ومحبوب) .
- (١٠) البيت

فَرَبِّعْ كِتَابِنَا هَذَا بِذِكْرِ الْعَامِرِيَّةِ مَعْمُورٌ^(١)، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا آفَهُ الشَّهَابُ مَحْمُودٌ
 شُكُورٌ^(٢). وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ عَلِمَ صِحَّةَ هَذَا الْكَلَامِ، وَأَشَدَّ فِي تَصْدِيقِ هَذِهِ الدَّعْوَى
 « إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ »^(٣). مُؤَلَّفُ طَوْقِ الْحَمَامَةِ « بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَجَلْتِهِ يَحْجُلُ^(٤)،
 وَصَاحِبُ « مَنَازِلِ الْأَحْيَابِ » مِمَّنْ عَرَفَ الْمَحَلَّ فَيَاتِ دُونَ الْمَنْزِلِ^(٥):

* وَعَدَّرْتَ طَيْفَكَ فِي الْحَفَاءِ لِأَنَّهُ يَسْرِي فَيُصْبِحُ دُونََنَا بِمَرَاحِلِ^(٦).

* فَيَا دَارَهَا بِالْحَيْفِ إِنَّ مَرَارَهَا قَرِيبٌ، وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ^(٧)!

فَإِنْ قُلْتَ « الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ »^(٨)، وَ« هَلْ غَادَرَ الشُّرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ »^(٩)! قُلْتَ:
 نَعَمْ، فِي الْخَمْرِ مَعْنَى لَيْسَ فِي الْعَيْبِ^(١٠)....

وَلَمْ يَزَلْ كِتَابُنَا هَذَا فِي سُودَاتِهِ مُنْذُ حِجَجٍ، وَبُيُوتِهِ مِنْ بُحُورِهَا فِي لُجَجِ^(١١): لَا
 أُبِيحُ مَا فِي مَنَازِلِ الْأَحْيَابِ لِيَاكُنَ وَلَا أَمَكُنُ عَاشِقًا مِنَ الْمُرُورِ بِتِلْكَ الْأَمَاكِنِ.....
 حَتَّى بَرَزَ لَطْفِهِ الْمَرْسُومُ الشَّرِيفُ الْمَلِكِيُّ النَّاصِرِيُّ^(١٢)... فَبَادَرْتُ إِلَى تَجْهِيزِهِ وَسَبِّكَ

(١) الربع: السكن. العامرية: ليلي (محبوبة قيس بن الملوح). معمور: سكنون، عامر (بكثر في كتابنا ذكر ليلي، وذكر الحب).

(٢) الشهاب: محمود بن همد الهلبي (انظر بعد بضعة أسطر).

(٣) إذا قالت حذام فصذوها فإن القول ما قالت حذام

(٤) طوق الحمامة كتاب لابن حزم (ت ٤٥٦). المجلة: ستر للمرأة. حجل: مشى على رجل واحدة، أو مشى بتعثر كأنه مقيد.

(٥) منازل الأحباب ومنازه الألباب (حكايات في الحب وأشعار في الغزل)، تأليف شهاب الدين محمود بن همد الهلبي (ت ٧٢٥). بات دون المنزل (المكان الأمين لنزول القوافل، إذا جاء الليل ولم تكن قد وصلت إلى بلد له سور)، قصر فيا أراد.

(٦) يبدو أن البيت قديم، وقد ضمنه ابن عني (ت ٦٣٠ هـ) في بعض قصائده (راجع وفيات الأعيان، بيروت ٥: ١٥).

(٧) البيت لأبي العلاء المرّي.

(٨)....

(٩) مطلع معلقة عنتره.

(١٠) من بيت المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة:

فإن تكن تطلب الغلباء نبتها، فإن في الخمر معنى ليس في العيب.

(١١) المحقة (بكر الماء) السنة، العام بيوتة.... في ليج (اللجة: معظم الماء، الموجة الكبيرة): غير منظم!

(١٢) الأشرف ناصر الدين شيبان (٧٦٤-٧٧٨ هـ)!!

إبريزه^(١) حَسَبَ المرسومِ الشريفِ، بلا تَسْوِيفٍ ولا تَكْلِيفٍ.....

وسَلَكْتُ في تَأْلِيفِهِ الاختصارَ والاقْتصارَ على النواذِرِ القصارِ.... وَسَمَّيْتُهُ «ديوانَ الصَّبَابَةِ» لِیُضِیحَ الواقِفُ عليه مُولِهاً وَيَعْلَمُ إنْ لم أكنْ أنا لِلصَّبَابَةِ، فَمَنْ لها^(٢)؟....
ورَبَّيْتُهُ على مُقدِّمةٍ وثلاثينَ باباً وخاتمةً. أمَّا المُقدِّمةُ ففي ذِكْرِ حَدِّ الصِّقِّ واشتقاقِهِ وما قِيلَ فيه... وأمَّا الأبوابُ (فهي): ذِكْرُ الحُسْنِ والجَمالِ - ذِكْرُ المُحَيِّينَ والظُرُفَاءِ من الملوكِ والحلفاءِ - ذِكْرُ من عَتِيقَ على السَّعاجِ -.... ذِكْرُ الغَيْرَةِ وما فيها من الحَيْرةِ - ذِكْرُ إِفْشاءِ السَّرِّ والكتانِ - ذِكْرُ الاحْتِمالِ على طَيِّفِ الحَيالِ - ذِكْرُ العِتَابِ عندِ اجْتِماعِ الأَحْبابِ..... إلخ. وأمَّا الخاتمةُ ففي ذِكْرِ مَنْ مات مِنْ حَبِّهِ.....

- ٤- ديوان الصبابة، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٩ هـ؛ ١٢٩١ هـ؛ ١٣٠٥ هـ (بهاش «تزيين الأسواق»، لداوود الأنطاكي التوفقي ١٠٠٨ هـ)، مصر ١٢٩١ هـ؛ القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠٢، ١٣٠٨ هـ.
- سكردان السلطان، بولاق ١٢٨٨ هـ (بهاش «المخلاة» لبهاء الدين العاملي التوفقي ٩٥٣ هـ)، القاهرة (البابي) ١٣١٤، ١٣١٧ هـ.
- مجتبي الأدباء، مصر.
- مغناطيس الدرّ النفيس، مصر ١٣٠٥ هـ.

★ الدرر الكاسنة (القاهرة) ١: ٣٥٠-٣٥٢، (حدر آباد) ١: ٣٢٩-٣١١ (رقم ٨٢٦)؛
تعريف الخلف ٢: ٤٢-٥٣؛ نثر الجمان ٢٢٨-٢٢٩؛ شذرات الذهب ٦:
٢٤٠-٢٤١؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٦٨٦؛ بروكلن ٢: ١٣-١٤، الملحق ٢:
٦-٥، راجع ٢: ٣٠٩، الملحق ٢: ٤٦٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٣٥٥ (٢٦٨-٢٦٩)؛
معجم المؤلفين لكحالة ٢: ٢٠١؛ معجم أعلام الجزائر ٤٧-٤٨؛ سركيس ٢٨-٢٩.

ابن بطوطة

١- هو شمسُ الدين أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ ابراهيمِ اللواتي الطنجي المروفُ بابنِ بطوطة، وُلِدَ في ١٧ رَجَبِ ٧٠٣ (١٠٣٤/٢/٢٤ م) في طَنْجَةَ.

(١) الإبريز: الذهب الخالص.

(٢) موله: شديد الحب للشيء. فمن لها؟ من يستطيع ذلك غيري؟

في سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م) خرج ابن بطوطة من طنجة بنية الحج، ولم يكن قادراً على توفير وسائل السفر بنفسه فاضطر إلى أن يرافق القوافل التي قبلت أن تحمله مجاناً، فطالت رحلته وتراجت طريقه: جاز البحر من مصر إلى الحجاز فلم يتيسر له الوصول إلى مكة فعاد إلى مصر ثم سار إلى القدس في بيروت فحلب فاللاذقية فحلب فدمشق. وبعد الحج تطوف في الشام والعراق وفارس وبلاد الروم (آسية الصغرى والقسطنطينية وشبه جزيرة القرم، ثم قطع نهر الفولغا إلى الأفغان والتركستان والهند فتولى القضاء في ذهلي (عاصمة الهند) عامين. وبعد أن تولى القضاء عاماً ونصف عام في ذية المهل^(١) زار الصين وسيلان وسومطرة. ثم عاد إلى فاس (المغرب) في شعبان من سنة ٧٥٠ هـ (أواخر ١٣٤٩ م). وفي العام التالي زار غرناطة (الأندلس) وملي^(٢) وتمبكتو في السودان الغربي (غربي إفريقيا).

وكانت وفاة ابن بطوطة في مدينة مراكش سنة ٧٧٩ هـ (١٣٧٧ م).

٢- رحلة ابن بطوطة من أعجب الرحلات امتدت أكثر من خمس وعشرين سنة. وكان ابن بطوطة يستقر في عدد من المدن ويتزوج ويتولى عدداً من المناصب والأعمال. من أجل ذلك كان في رحلته أخباراً كثيرة موثوقة برغم غربتها. وكان ابن بطوطة يكتب مذكرات في أثناء رحلته. ولكن مذكراته هذه ضاعت في بحر الزنج. فلما استقر في مدينة مراكش أملى ما كان يتذكر منها على ابن جزبي^(٣) وسماها «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، وهي تُعرف عادة بعنوان رحلة ابن بطوطة.

(١) ذية المهل جزائر جنوب شرق الهند تعرف في الكتب الأوروبية المعاصرة لنا باسم مالديف، وتسمى اليوم رسياً محلياً.

(٢) ملي = مالي في السودان الغربي. ومالي تطلق اليوم على جمهورية في غربي إفريقيا عاصمتها باماكو.

(٣) ابن جزبي هذا: محمد بن محمد بن جزبي الكلبي المتوفى سنة ٧٥٧ للهجرة (راجع ترجمته). وقد أملى ابن بطوطة رحلته على ابن جزبي هذا تلبية لرغبة أبي عنان فارس بن علي سلطان بني مرين (٧٢٩-٧٥٩ هـ).

- من «رحلة ابن بطوطة»:

(أ) ذِكْرُ إِحْرَاقِ أَهْلِ الْهِنْدِ أَنْفُسَهُمْ:

ثم اتفق بعد مدة أن كنت بمدينة أكثر أهلها من الكفار تُعرفُ بأبحري، وأميرها سلمٌ من سامرة السند^(١)، وعلى مقرية منه الكفار العُصاة، فقطعوا الطريق يوماً. فخرج الأمير لقتالهم ومعه رعيته من المسلمين والكفار، ووقع قتالٌ شديدٌ مات فيه من رعيته الكفار سبعة نفر. وكان لثلاثة منهم ثلاث زوجات فاتفقن على إحراق أنفسهن.

وإحراق المرأة بعد زوجها عندهم أمرٌ مندوبٌ إليه غير واجب. لكن من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً بذلك ونسبوا إلى الوفاء. ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب وأقامت عند أهلها بائسة مُمتَهنة لقدم وفاتها. ولكنها لا تُكره على إحراق نفسها.

ولما تماهدت النسوة الثلاث اللاتي ذكرناهن على إحراق أنفسهن أقمن قبل ذلك ثلاثة أيام في غناء وطربٍ وأكلٍ وشربٍ كأنهن يُودعن الدنيا، و (كانت) تأتي إليهن النساء من كل جهة. وفي صبيحة اليوم الرابع أتيت كل واحدة منهن بفرسٍ فركبته وهي منزينة متعطرة، وفي يمانها جوزة نارجيلٍ تلعبُ بها وفي يسراها مرآة تنظرُ فيها وجهها، والبراهمة يحفون بها وأقاربها معها، وبين يديها الأبطال والأبواق والأنفار^(٢)، وكل إنسانٍ من الكفار يقول لها: «أبلغني السلام إلى أبي أو أخي أو أمي أو صاحبي». وهي تقول: «نعم!» وتبسم لهم.

وركبتُ مهنٍ لإرى كيفية صنعين في الاحتراق. فبرنا مهن نحو ثلاثة أميال. وانتهينا إلى موضعٍ مظلمٍ كثير المياه والأشجار متكاثف الظلال، وبين أشجاره أربع قبابٍ في

(١) من سامرة السند: من مجوس الهند الذين دخلوا في الإسلام (٤). السند: المناطق العربية الشمالية من الهند (باكستان الغربية اليوم).

(٢) الألبال والطبول جمع طبل: آلة موسيقية من ذوات القرع (الضرب) كبيرة وبوجهين. البوق: آلة موسيقية من ذوات الفخ وجمعها بوق (بضم ففتح). الأنفار جمع نفر (بفتح فسكون) ونفير: الجماعة من الناس (وإن بطوطة يقصد بكلمة أنفار: مرامير).

كُلُّ قَبِيَّةٍ صَنَّمٌ مِنَ الْحِجَارَةِ. وَبَيْنَ الْقِيَابِ صَهْرِيحٌ مَاءٌ قَدْ تَكَاثَفَتْ عَلَيْهِ الظَّلَالُ
 وَتَزَاوَمَتْ الْأَشْجَارُ فَلَا تَخَلِّلُهَا الشَّمْسُ. فَكَأَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ مِنْ جَهَنَّمَ، أَعَادَنَا اللَّهُ مِنْهَا!
 وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى تِلْكَ الْقِيَابِ نَزَلْنَا إِلَى الصَّهْرِيحِ. وَأَنْعَسْنَا فِيهِ وَجَرَدْنَا مَا عَلَيْنَا مِنْ
 قِيَابٍ وَحُلَى فَتَصَدَّقْنَا بِهِ. وَأَبَيْتُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ بَثْوِبَ قَطْرِي خَسْبِي غَيْرَ مَخِيطِي،
 فَرُبُّطَ بَعْضُهُ عَلَى وَسَطِهَا وَبَعْضُهُ عَلَى رَأْسِهَا وَكَيْفِيَّهَا، وَالنِّيرَانُ قَدْ أَضْرَمَتْ عَلَى قُرْبِ
 مِنْ ذَلِكَ الصَّهْرِيحِ فِي مَوْضِعٍ مَنْخَفِضٍ وَصُبَّ عَلَيْهَا رَوْغُنٌ كَسَجَتْ - وَهُوَ زَيْتُ
 الْجُلْجُلَانِ^(١) - فَرَاذٌ فِي اسْتِعْمَالِهَا. وَ (كَانَ) هُنَاكَ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا بِأَيْدِيهِمْ خُسْبٌ
 كِبَارٌ، وَأَهْلُ الْأَطْبَالِ وَالْأَبْوَابِ وَقُوفٌ يَنْتَظِرُونَ مَجِيءَ الْمَرْأَةِ - وَقَدْ حُجِبَتِ النَّارُ
 بِمَلْحَمَةٍ لَثَلًا يُدْهِشُهَا النَّظْرُ إِلَيْهَا. فَرَأَيْتُ إِحْدَاهُنَّ لَمَّا وَصَلَتْ إِلَى تِلْكَ الْمَلْحَمَةِ نَزَعَتْهَا مِنْ
 أَيْدِي الرِّجَالِ بَعْثُفٍ وَقَالَتْ لَهُمْ: «مَارَا مَيْتَرَسَانِي أَزْ أَطَشُ؟ مِنْ مِيدَانِمْ أَوْ أَطَشُ اسْتِ.
 رَهَا كَنِي مَارَا!» وَهِيَ تَضْحَكُ. وَمَعْنَى هَذِهِ الْجُمْلَةِ: أِبَالنَّارِ تُخَوِّفُونَنِي؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا نَارٌ
 مُحْرِقَةٌ^(٢). خَلَّوْا عَنِّي^(٣). ثُمَّ جَمَعَتْ يَدَيْهَا فَوْقَ رَأْسِهَا خِدْمَةً لِلنَّارِ وَرَمَتْ بِنَفْسِهَا
 فِيهَا. عِنْدئذٍ ضَرَبَتْ الْأَطْبَالُ وَالْأَنْفَارُ وَالْأَبْوَابُ، وَرَمَى الرِّجَالُ مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَطَبِ
 عَلَيْهَا، وَجَمَلُ الْآخَرُونَ تِلْكَ الْحُسْبُ مِنَ فَوْقِهَا لَثَلًا تَتَحَرَّكُ. وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَكَثُرَ
 الضَّجِيحُ.

وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ كِدْتُ أَسْفُطُ عَنْ فَرَسِي لَوْلَا أَنَّ أَصْحَابِي تَدَارَكُونِي بِالْمَاءِ فَسَلَّوْا
 وَجْهِي. وَانصرفتُ.

(ب) مدن الشام:

ومدينة صور هي التي يُضْرَبُ بِهَا المثلُ في الحصانة والمنعة لأنَّ البحرَ محيطٌ بِهَا مِنْ

(١) الجُلْجُلَانُ: السَّم.

(٢) «محرقه» غير موجودة في الأصل الفارسي.

(٣) هذه العبارة «خلَّوْا عَنِّي». هي معنى «رها كني مارا» (حرفياً: اعملوا لي طريقاً)، وهي غير موجودة في الأصل فأضمتها. (هذه جملة مهمة تدلُّ على أنَّ مجوس الهند منذ أيام ابن بطوطة كانوا يتكلمون اللغة الفارسية - لغة المسلمين - ثم تدلُّ على أنَّ ابن بطوطة تعلَّم عدداً من لغات البلاد التي زارها وطال مكه فيها. وكذلك تدلُّ - إذا كان هذا النقص موجوداً في جميع النسخ - أنَّ ابن جزيري لم يتوَعَّب كلام ابن بطوطة كلَّه فكان ينصرف بما أملاه عليه ابن بطوطة كثيراً أو قليلاً).

ثلاث جهاتها. ولها بابان أحدهما للبر والآخر للبحر..... وبنائها ليس في بلاد الدنيا أعجب منه ولا أغرب شأنًا..... ثم سافرت إلى مدينة صيدا وهي على ساحل البحر حنة كثيرة الفواكه يحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر..... ثم سافرت إلى مدينة طبرية، وكانت فيما مضى مدينة ضخمة ولم يبق منها إلا رسوم تنبئ عن ضخامتها وعظم شأنها. وبها الحمامات العجيبة... وماؤها شديد الحرارة.....

ثم سزنا إلى مدينة بيروت وهي صغيرة حنة الأسواق وجامعها بديع الحسن، وتجلب منها إلى مصر الفواكه والحديد... ثم، وصلت إلى مدينة طرابلس وهي إحدى قواعد^(١) الشام وبلداتها الضخام، تخترقها الأنهار وتحفها البساتين والأشجار وقد تكنفها البحر بمراقبه العميقة والبر بجيراته المقيمة^(٢)، ولها الأسواق العجيبة والمارح^(٣) الخصبية. والبحر منها على ميلين، وهي حديثة البناء. وأما طرابلس القديمة فكانت على ضفة البحر وتملكها الروم زماناً. فلما استرجعها الملك الظاهر خربت وأخذت هذه الحديثة^(٤).

(ج) النارجيل:

وهو جوز الهند. وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأنًا وأعجبها أمراً. وشجره شبه شجر النخل، لا فرق بينهما إلا أن هذه تثمر جوزاً وتلك تثمر تمرًا. وجوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيه شبه العينين والقم. وداخلها شبه الدماغ - إذا كانت (لا تزال) خضراء - وعليها ليف شبه الشعر، وهم يصنعون منه جبالاً يخيطنون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد. ويصنعون منه الجبال للمراكب.

والجوزة منها - وخصوصاً التي مجزائر ذببة^(٥) - تكون بمقدار رأس

(١) القواعد: المدن الكبيرة المهمة.

(٢) المقيمة: الدائمة.

(٣) المرح: المرعى، المكان الذي تروح فيه الماشية.

(٤) طرابلس القديمة كانت الجزء المعروف اليوم باسم «البناء» - (طرابلس الحرة). طرابلس الحديثة

(المجددة): طرابلس البلد.

(٥) راجع، فوق ص ٥٢٢. الحاشية الأولى.

الآدمي. ويزعمون أن حكماً من حكماء الهند في غابر الزمان كان متصلاً بملك الملوك ومُعظماً لديه، وكان للملك وزير بينه وبين هذا الحكيم مُعادة. فقال الحكيم للملك: «إن رأس هذا الوزير إذا قطع ودُفِنَ تخرجُ منه نخلةٌ تُشيرُ بشمرٍ عظيمٍ يعودُ نفعه على أهل الهند وسواهم من أهل الدنيا». فقال له الملك: «فإن لم يظهر من رأس الوزير ما ذكرته؟» قال (الحكيم): «فإن لم يظهر فأصنع برأسي كما صنعت برأسه».

فأمر الملك برأس الوزير فقطع. وأخذهُ الحكيمُ وغرس نواة تمرٍ في دماغه وعالجها حتى صارت شجرةً وأثمرت بهذا الجوز.

وهذه الحكاية من الأكاذيب، ولكن ذكرناها لشهرتها عندهم.

- شعوذ في الصين:

..... وفي تلك الليلة حَضَرَ أحدُ المُشعوذين^(١)، فقال له الأمير: أرنا من عجائبك. فأخذ (المشوذ) كُرَّةَ خَسْبٍ لما نُقِبَ وفيها سُيور^(٢) طوالٌ فرمى بها إلى الهواء فأزفعت حتى غابت عن الأبصار، ونحْنُ في وسطِ المَثورِ^(٣) أيامَ الحرِّ الشديد. فلما لم يَبْقَ في يده من السَّيرِ إلا (شيء) يسير^(٤)، أمرَ مُتعلِّماً^(٥) له فتعلَّق به وصعد في الهواء إلى أن غاب عن أبصارنا. فدعاه فلم يُجِبْهُ ثلاثاً^(٦). فأخذ (المشوذ) سِكِّيناً بيده كالفتاظِ وتعلَّق بالسَّيرِ (وصعد) إلى أن غاب أيضاً. ثم (إنه) رمى بيده الصَّبي إلى الأرض، ثم رمى بيده الأخرى ثم برجله الأخرى ثم بجسده ثم برأسه.

ثم هَبَطَ (المشوذ) وهو ينفُخُ، - وثيابه مُلَطَّخةٌ بالدم - فقَبَلَ الأرضَ بين يدي الأمير، وكلمه بالصَّيني، (ف) أمرَ له الأميرُ بشيء.

- (١) شعد الرجل وشوذ: برع في الاحتيال وفي إظهار الأشياء على غير حقيقتها.
- (٢) السيور جمع سير (بالفتح): قطعة من جلد مقدودة بمرض الإصبع أو نحو ذلك، ولكن طويلة كالخيل.
- (٣) المثور ليست في القاموس بمعنى يوافق موقفاً في هذا النص. والمتصوّد مجلس ضاحٍ (في الخلاء) يجلس فيه الأمير.
- (٤) يسير: قليل.
- (٥) المتعلم: صبي يقوم بين يدي أحد أرباب الصنائع ليتعلم منه صنعه. وكان الكلمة الفرنسية apprenti مأخوذة من معنى هذه الكلمة العربية. والإنكليز قالوا: apprenticed من نظرهم إلى الكلمة الفرنسية.
- (٦) اقرأ: فدعاه ثلاثاً فلم يجبه.

ثم إنه أخذ أعضاء الصبي فالتصق بعضها ببعض، وركضه^(٧) برجله فقام سويًا. فعجبت منه وأصابني حَقَقَانٌ^(٨)، فسقوتني ما أذهب عني ما وجدتُ.

وكان القاضي فخر الدين إلى جانبي، فقال لي: والله، ما كان من صعود ولا نزول ولا قطع عضو، وإنما ذلك شعوذة.

- ٤- تحفة النظار.... (رحلة ابن بطوطة) (تحرير ديميريري وسانغوينيتسي)، باريس (المطبعة الأهلية) ١٨٥٣-١٨٥٨ م (١٢٧٠ هـ وما بعد)، الطبعة الثانية ١٨٦٩-١٨٧٩ م، الطبعة الثالثة ١٨٩٣-١٨٩٥ م؛ القاهرة (مطبعة وادي النيل) ١٢٨٧-١٢٨٨ هـ؛ القاهرة (مصطفى فهمي) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة (مطبعة التقدم) ١٣٢٢ هـ؛ القاهرة ١٣٤٦ هـ؛ بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ م.
- * * تحفة النظار (أختصار محمد فتح الله بن محمود البيهقي العمري الأنصاري)، القاهرة (طبع حجر) ١٢٧٨ هـ، (طبع حروف) ١٢٧٩ هـ.
- مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة «تحفة النظار» (وقف على تهذيبها أحمد العوامري ومحمد جاد المولى)، (بلا تاريخ)، القاهرة (المطبعة الأميرية) ١٩٣٣-١٩٣٤ م.
- ذيل على فصل الأخيّة (؟) الفتيان التركية لابن بطوطة، بقلم جودت محمد، استانبول ١٣٥١ هـ (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٦٦).
- رحلة ابن بطوطة، تأليف محمد مصطفى زيادة، القاهرة () ١٩٣٩ م.
- ابن بطوطة، تأليف فؤاد بدوي، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- أدب الرحلة: تاريخه وأعلامه: المسعودي- ابن بطوطة- الريحاني، تأليف جورج غريب، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٦ م.
- ابن بطوطة، تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧ م.
- الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٣: ٤٨٠-٤٨١؛ نفع الطيب ١: ١٥٢-١٧٥، ١٧٦-٧؛ ٣٣٨-٣٣٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٣٥-٧٣٦؛ بروكلمن ٢: ٣٣٢-٣٣٣، الملحق ٢: ٣٦٥-٣٦٦؛ الأعلام للزركلي ٧: ١١٤ (٦: ٢٣٥-٢٣٦)؛ معجم المؤلفين لكحالة ١٠: ٢٣٥-٢٣٦؛ سركيس ٤٨-٤٩؛ النبوغ المغربي ٢١٢-٢١٣؛ الأدب المغربي ٤١٢-٤١٧.

(١) ركض الرجل الحجر برجله: ركله، صدمه، دفعه.

(٢) الحَقَقَان: شدة النُبْس (يفتح فسكون): شدة ضربات القلب وسرعتها.

أبو جعفر الفَرْنَاطِيُّ الرَّعِينِيُّ^(١)

١- هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك بن اسماعيلَ الفَرْنَاطِيُّ الإلبيري الرَّعِينِيُّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٠٨ أو ٧٠٩ هـ (١٣٠٨ - ١٣١٠ م). قرأ القرآن بالسبع على أبي الحسن علي بن إبراهيم القيجاطي، والحديث على أبي عبد الله محمد بن علي الخولاني الإلبيري، والفقّه على أبي عبد الله البياني. وكانت وفاته في مُنتَصَفِ رَمَضانَ من سَنَةِ ٧٧٩ (١٣٧٨/١/١٦ م).

٢- أبو جعفر الفَرْنَاطِيُّ الرَّعِينِيُّ عانى الأدب مُدَّةً حَتَّى بَرَعَ فيه. ولكن أدبه ظلَّ أدبَ شروحٍ ومُعَارَضَاتٍ واقتباسٍ من القرآن ومن الحديث ومن أقوالِ الشراء ومن موضوعاتِ النحوِ والبلاغةِ في مَقْطَعَاتٍ من بَيِّنَاتٍ وثَلَاثَةِ وأربعة. وفي شذرات الذهب أنه كان كثيرَ التاليفِ في العربية (النحو) وغيرها. وكان قد شَرَحَ بديعة رقيقه ابن جابر الأندلسيَّ وسَمَّاهَا « طِرَازَ الحَلَّةِ وشِفاءِ العَلَّةِ » (نفع الطيب ٢: ٦٧٦).

٣- مختارات من آثاره

- لأبي جعفر الفَرْنَاطِيُّ الرَّعِينِيُّ مَقْطَعَاتٌ منها:

★ * أبدت لي الصدغ على خدّها، فأطلع الليل لنا صُبْحَهُ^(٢).
فخدّها مع قَدّها قائلٌ (هذا شقيق عارض رُمحهُ)^(٣).
★ * جنص لمن أضى بها جنةً يدنو لَدَنها الأملُ العاصي^(٤).
حلّ بها العاصي. ألا فاعجبوا من جنة حلّ بها العاصي^(٥)!

(١) راجع عدداً من تفاصيل حياته في ترجمة رقيقه ابن جابر الأندلسي (ت ٧٨٠).

(٢) الصدغ، في الأصل، ما فوق الحدّ. و (هنا) الشعر الذي يتدلّى إلى جانب الجبهة. - فظهر بياض خدّها من خلال شعرها.

(٣) فدّها: قوامها الذي يشبه قوام الرمح. والعجز اقتباس، (تضمن ناقص) من قول الشاعر:

جاء شقيق عارضاً رمحاً إن يسي عمك فيهم رماح.

(٤) حصن المدية الشامية على نهر العاصي. جنة: روضة ذات أنهار وأشجار.

(٥) العاصي (الأولى) نهر العاصي. العاصي (الثانية): المذنب. الحنة (الثانية): حنة الخلد في الآخرة.

★ ★ ومُورِدِ الْوَجَنَاتِ دَبَّ عِذَارُهُ، فَكَأَنَّهُ حَطَّ عَلَى قُرْطَاسٍ (١).
 لَمَّا رَأَيْتُ عِذَارَهُ مُتَّعِجِلًا، قَدْ رَامَ يُخْفِي الْوَرْدَ مِنْهُ بَأْسَ (٢)،
 نَادِيَتُهُ: قِفْ كَيْ أُوَدِّعَ وَرْدَهُ؛ (مَا فِي وَقُوفِكَ سَاعَةً مِنْ بَأْسِ) (٣).
 ★ ★ يَا رَاحِلًا يَبْنِي زِيَارَةَ طَيِّبَةٍ، بَلَّتَ الْمُنَى بِيْزَارَةَ الْأَخْيَارِ (٤)،
 حَيَّ الْعَقِيْقَ إِذَا وَصَلْتَ وَصِيفَ لَنَا، وَادِي مَنَى، يَا طَيِّبَ الْأَخْبَارِ (٥).
 وَإِذَا وَقَفْتَ لَدَى الْمَرْفِ دَاعِيًا، زَالَ الْعَنَا وَطَفِرْتَ بِالْأَوْطَارِ (٦).
 ★ ★ هَذِهِ رَوْضَةُ الرَّسُولِ، فَدَعْنِي، أَبْذِلْ الدَّمَعَ فِي الصَّعِيدِ السَّعِيدِ (٧).
 لَا تَلْمَنِي عَلَى انْكَابِ دُمُوعِي؛ إِنَّهَا صُنَّتْهَا لِهَذَا الصَّعِيدِ.
 ★ ★ حَسَنَ النَّيَّةِ مَا اسْطَظَمْتَ وَلَا تَتَّبِعْ فِي النَّاسِ أَسْبَابَ الْهَوَى.
 إِنَّهَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، مَنْ يَنْوُ شَيْئًا فَلَهُ مَا قَدْ نَوَى (٨).
 ★ ★ قَالَتْ، وَقَدْ جَاوَلْتُ تَيْلَ وَصَالِهَا؛ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ لَا تَجُوزُ الْمَسْأَلَةُ؛
 بِاللَّهِ، قُلْ لِي: أَيْنَ نَحْوُكَ، يَا قَتِي؟ أَرَأَيْتَ مُوَصُولًا يَجِيءُ بِلا صِلَةٍ (٩)؛
 ★ ★ لَا تُعَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ؛ قَلْبًا يُرْمَى غَرِيبُ الْوَطَنِ.
 وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ (خَالِقَ النَّاسَ بِمُخْلِقِ حَسَنِ) (١٠).

(١) العذار: الشعر الثابت في الوجه: كأنه حطَّ (أسود) على قرطاس (ورق أبيض).

(٢) الورد: أحمرار الخدين. الأس نبت أوراقه شديدة الخضرة. والعرب تسمي الأسود أخضر.

(٣) المعجز تضمنين من مطلع قصيدة لأبي تمام:

ما في وقوفك ساعة من باس نقضي ذمام الأربع الأدراس.

(٤) طيبة: المدينة (مدينة الرسول).

(٥) العقيق وادٍ قرب المدينة يتنزّه فيه الناس. منى: مكان قرب مكة بيت فيه الحاج بعد الفجر (يفتح فكون: النزول من جبل عرفة).

(٦) المرف: عرفة: جبل يقف عليه الحاج يوم التاسع من ذي الحجة.

(٧) الروضة: مكان قبر الرسول. الصعيد: الأرض، التراب. الصعيد (لأنه ضمّ حصد الرسول).

(٨) في الحديث: إنّها الأعمال بالنيّات. وإنّما لكلّ امرئ ما نوى....

(٩) أين علمك بالحو! هل يمكن أن يأتي اسم موصول بغير صلة (جملة تمّ معنا: رجع القائد الذي ربح المعركة - «ريح المعركة» صلة لاسم الموصول «الذي») وفي «الوصول» تورية: الحب الذي استجاب له حبيبه ثم الكلمة التحوية (الذي، التي، الحج).

(١٠) المعجز تضمنين.....

- وله في مقدّمة شرحه لبديعة رقيقه ابن جابر الأندلسي.
 نادرة في فنّها فريدة في حُسنها، يُجنى ثمرُ البلاغة من غُصنها وتنهلُ سواكب
 الإِجادة من مُزنها. لم يُنسج على منوالها^(١) ولا سمّحت قريحته بمثالها. رأيتُ أن أضع لها
 شرحاً يجلو عرائسَ معانيها لمعانيها^(٢)، ويؤدي غرائبَ ما فيها لموافيها^(٣). لا أميلُ
 الناظر فيه بالتطويل ولا أعوّقه بكثرة الاختصار عن مدارك التحصيل. فخيرُ الأمور
 أوسطها، والغرضُ ما يقربُ الأمور ويضبطها. فأعربُ من ألفاظها كلّ خفي وأسكتُ
 من لغاتها عن كلّ جلي^(٤)..

٤- ** النهل الصافي ١: ٢٩٩؛ الدرر الكامنة ١: ٣٦١-٣٦٢ (١: ٣٤٠)؛ الوافي
 بالوفيات ٨: ٣٠٥-٣٠٧، راجع ٦: ٣٠٥-٣٠٧؛ بغية الوعاة ١٧٦ (راجع
 ١٤)؛ شذرات الذهب ٦: ٢٦٠-٢٦١؛ فح الطيب ١: ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٢٠٤؛
 ٥٦٥، ٦٧٥-٦٧٧، ٦٨٠، ٦٨٤ وما بعد، ٦٨٧ وما بعد، ٢٨٨-٢٨٩،
 ٣٤٧:٧-٣٤٨، ٣٧٦-٣٧٧؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٦٠ (٢٧٤).

ابن جابر الأندلسي

١- هو شمسُ الدين أبو عبد الله محمدُ بنُ عليّ بن جابر الهواريّ الأندلسيّ المرينيّ
 الضريبُ، وُلِدَ في المرية سنة ٦٩٨ (١٢٩٨-١٢٩٩ م).

قرأ ابنُ جابر القرآنَ على محمد بن أبي العيش^(٥) والحديثَ على محمد الزواوي والفقّهَ
 على محمد بن سعيد الرنديّ، ثم رَحَلَ - وهو في مطلع حياته - إلى مصرَ، ومعه أبو جعفر
 الغرناطيّ (كان ابنُ جابر ينظّمُ وأبو جعفر يُدوّنُ له نظمه)، وقد عرّفا بالأعمى
 والبصير. وفي مصرَ سمِعَ الرقيقانِ من أبي حيّان الغرناطيّ (ت ٧٤٥).

-
- (١) المزن: المطر. المتوال: آلة لحياكة السيج. لم ينسج أحد على منوالها: لم يصنع أحد مثلاً.
 (٢) المعاني: الذي يجهد نفسه في فهم الشيء أو عمله.
 (٣) الوافي: الواصل (الذي يصل إلى هذه البديعية ويقرأها ليفهم ما فيها).
 (٤) لغاتها: ألفاظها المختلفة (والدالة على معنى واحد، أو على معانٍ متقاربة). الخفي: الواضح.
 (٥) كذا في الوافي بالوفيات وفي نكت العميان. وفي بغية الوعاة: ابن بعيش.

ثم حجّ الرفيقان واستأنفا الرحلة إلى الشام، سنة ٧٤١هـ، ونزلًا دمشقَ فسيما فيها جانباً من صحيح البخاري من الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (ت ٧٤٢هـ). وانتهر الرفيقان فرصة موت المزني فانتقلا إلى حلب، سنة ٧٤٣هـ، وجلاّ يُحدّثان بصحيح البخاري. ثم انتقلا إلى البيرة (على الفرات، قرب سُميساط).

ثم اتفق أن تزوج ابن جابر فاختلت صُحبتهما وافتراقا. وتوفي أبو جعفر سنة ٧٧٩هـ فرثاه ابن جابر. أما ابن جابر فكانت وفاته سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٨ - ١٣٧٩ م) في البيرة.

٢- ابن جابر الأندلسي أديبٌ نائرٌ وشاعرٌ، وله إلمامٌ بالحديث وبراعةٌ في اللغة والنحو والعروض والبلاغة. وهو شاعرٌ مُكثِرٌ له مُقطعاتٌ حسانٌ. وقد اشتهر بقصيدته «بديعةُ العُمان» أو الحلةُ السيرا في مدح خيرِ الوري^(١)، وهي مائةٌ وسبعةٌ وسبعون بيتاً جمَعَ فيها خمسينَ وجهاً من البديع (الصناعة اللفظية). هذه القصيدة نازلةٌ عن مستوى الشعر الجيد لأن ناظمها تكلف فيها ما من شأنه أن يجعل الشعر متخلخلاً ضعيفاً. ثم هو مُصنّفٌ شرحَ بديعته وشرحَ ألفية ابن مالك وألفية ابن مَعطٍ. وله من الكتب: كتاب الغين في مدح سيّد الكونين (مجموعٌ مدائح في الرسوب مرتبة على الحروف) - رسالة في البيرة ومولّد النبي - المنحة في اختصار الملحّة^(٢). ثم له قصائدٌ وأراجيزٌ منها: وسيلة الأبيّ في أسماء الصحابة والتابعين على ما ذكّر أبو نعيم^(٣) - غاية المرام في تثلث الكلام - في العروض - في النحو - في المقصور والمدود - مدح المدينة.

(١) قال ابن حجة الحموي (٧٦٧ - ٨٣٧هـ) في «بديعة العُمان» ما يلي (خزانة الأدب، مصر ١٣٠٤هـ، ص ١٢): «..... وجدته صرح في براعتها (في مطلقها الذي تكون فيه براعة الاستهلال، أي الابتداء الجيد الموافق) بمدح النبي صلى الله عليه وسلم..... فهذه البراعة ليس فيها إشارة تشر بفرض الناظم وقصده، بل أطلق التصريح وثر المدح ونشر طيب الكلام. فإن قال قائل: إنها براعة استهلال. قلت: إن البديعة لا بد لها من براعة (استهلال) وحسن مخلص (حسن انتقال من موضوع إلى موضوع) وحسن ختام. فإذا كان مطلع القصيدة منبأ على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع. ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة إلى طريق الجماعة (أصحاب الدعيّات). غير أن الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الأندلسي شرحها شرحاً مفيداً.»

(٢) ملحّة الأعراب (منظومة في النحو للمستدثين) للحريري (٥١٦هـ).

(٣) هو أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (٣٣٦ - ٤٣٠هـ) من حفاظ الحديث ومن المؤرّخين لرجاله. له كتب منها: كتاب معرفة الصحاب.

- من بديعة العميان:

- كافي الأراملِ والأيتامِ كافلُهُمْ، وافي الندى لِمُوافي ذلك الحرمِ (١).
 دَعَ عنك سلمى وسلّ ما بالعتيق جرى وأمّ سلماً وسلّ عن أهله القدمِ (٢).
 من لي بدارِ كرامٍ في البدارِ لها عِزٌّ، فَمَنْ قَدَلَهَا عن ذاك يُتَضَمُّ (٣).
 بانوا فهانَ دمي وَجَدًا فها نَدَمي، فقد أراقَ دَمي فها ما أَرى قَدَمي (٤).
 وَحَقَّهْمُ، ما نَسِينا عهدَ حُبِّهْمُ ولا طَلَبنا سِوَاهُمُ. لا، وَحَقَّهْمُ (٥).
 مَنْ لي بِمُسْتَلِمٍ للبيدِ مُعْتَصِمٍ، بالعيس لا مُسْتِمٍ يوماً ولا سَتِمٍ (٦).
 ذو مِرَّةٍ فاستوى حتّى دنا فرأى وقيل: سلّ قَدَ خَيْرَتَ فاحْتَكِمِ (٧).
 واسهَرُ إذا نامَ سارٍ وامنضَ حيثُ ونى واسمَحَ إذا شَحَّ نَفْساً واسرٍ إن يُقَمِ (٨).

- (١) الوافي: الراجح، الكثير. الموافي: القادم، الواصل إلى. الحرم: المكان المحرم، المقدس (مكة أو المدينة). - جناس ناقص بين: كافي وكافل ثم وافي وموافي.
 (٢) العتيق: مرج في المدينة. بالعتيق: بالأحر: (الدمع) المزوج بدم. أمّ: قصد.
 (٣) سلغ: اسم مكان في الحجاز. - جناس تام مركب (من كلتئين) بين سلمى وسل ما تم بين سل عن وسلما.
 (٤) البدار: الإسراع. لها بهو: غفل، اشتغل عن الأمر، نسي. اهتضم: وقع عليه ظم. - جناس تام. بدار (في دار) وبيدار (إسراع). لها (فعل ماضٍ)، لها (جار ومحرور).
 (٥) بانوا: بعدوا، سافروا. هان: رخص، ذل. وجداً: اشتياًقاً. ها: أداة التنبيه من هذا (اسم إشارة). - جناس تام مركب أيضاً: فهان دمي، فها ندمي. ثم أراق دمي، أرى قدمي (أرى قدمي أراق دمي جملة قديمة معروفة، فيما أعتقد).
 (٥) وحقهم (الواو: للضم. حقهم: مجرور بالياء) - ردّ الإعجاز على الصدور بين «وحقهم ما» و«لا وحقهم».
 (٦) مستلم للبيد (جمع بيداء، أرض واسعة مقفرة): ملتي بنفسه غير مهمم بالخطر. معتصم بالعيس (النياق): معتمد على الناقة التي يركبها لتقطع به تلك المسافات الطوال. المسم: الذي يجعل غيره يكلّ. المسم: الذي ملّ من طول السير. - سجع (قافية في وسط البيت: مستلم ومعتصم ثم مسم ومسم).
 (٧) مِرَّة: (قوة، أو منظر حسن). ذو قوّة: جبريل. استوى: استقرّ. دنا: اقترب. - اقتباس من القرآن ﴿ذو مِرَّةٍ فاستوى، فهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلى﴾ (٥٣: ٦-٨، سورة النجم). - في حديث الإسراء والمراج: وصل محمد رسول الله مع جبريل إلى قرب عرش الرحمن.
 (٨) سار: سائر في الليل. ونى: كلّ وتمب. أسر: (فعل أمر من أسرى (سار ليلاً). أقام: لبث، بقي في مكانه. - طباق (معان متضادة) بين سر ونام ثم امنض وونى، ثم اسمح وشح (محل)، ثم أسر وبهم.

إلى نبيّ رأى ما لا رأى ملكٌ وقام حيثُ أمينُ الوحيّ لم يقم^(١)
 فأيّضُ بعدَ سوادِ قلبٍ مُنتَصِرٍ، واسودَّ بعدَ بياضٍ وجهُ مُنهزم^(٢)،
 يَمّ نبيّاً تُبارى الرّيحُ أنملةُ والمُزَنَ من كلّ هامِي الوذقي مُرتكِم^(٣)،
 تَكَادُ تَشْهَدُ أن الله أرسلَهُ

إلى الوري نُظفُ الأبناء في الرّحم^(٤)،
 تُحيطُ كَفَاهُ بالبحرِ المُحيطِ، فلذُ به ودعُ كلُّ طامِ الموجِ مُلتطم^(٥)،
 من أعزبِ العُربِ، إلّا أنْ نَسَبَتَهُ إلى قُريشِ حُباةِ البيتِ والحَرَمِ^(٦)،
 لا عيبَ فيهمِ سوى أن لا ترى لَهُمُ ضيفاً بجوعٍ ولا جاراً مُهتضم^(٧)،
 عيبتَ عيادَهُمُ فزانوهُمُ بأنْ تَرَكوا سيوفَهُمُ وهي تيجانٌ لِهَامِهِمُ^(٨)،
 تجري دِمَاءُ الأَعادي من سيوفِهِمُ مِثْلَ المواهبِ تجري من أكفِهِمُ^(٩)،
 إذا بدا البدرُ تحتَ الليلِ قُلْتُ له: أَنْتَ يا بدرُ أمْ مرأى وُجُوهِهمُ!^(١٠)

- (١) الملك (بفتح ففتح): واحد الملائكة. أمين الوحي حيريل. - طباقي بالنبي: رأى ولا رأى ثم قام ولم يقم.
- (٢) طباقي: أبيض واسودّ، سواد وبياض، منتصر ومنهزم. وعكس (تعبيران أحدهما ضد الآخر).
- (٣) يَمّ: اقتصد. تبارى: تنافس، تباين. أنمله: أصابعه (يده). كناية عن الكرم). المزن: المطر. هامى الودق (البرق): الماء الساقط من السحاب بعد البرق (ويكون عادة غزيراً). مرتكِم: السحاب المتراكم (فيه ماء كثير). - مبالغة (لأنّ الإنسان لا يمكن أن يكون أكرم من المطر الذي هو من كرم الله).
- (٤) الوري: البشر، مجموع الناس. النطفة: ماء الرجل قل أن ينحف في رحم المرأة ليصبح جنيناً. - مبالغة وعلوّ.....
- (٥) البحر المحيط: الأقيانوس، البحر العظيم. لاذ يلود: لحأ. دع: ارتك (الاستغناء) من كل طامي الموج (البحر المملوء بالأعواج). ملتطم: يضرب بعض موجه بعضاً. - مبالغة.
- (٦) من أعزب العرب: من أنفى العرب نسباً. - تأكيد المدح بما يشبه الذمّ (انتقل هنا من مجموع العرب إلى قبيلة منهم).
- (٧) مهتضم: مطلول. - تأكيد المدح بما يشبه الذمّ (لا عيب فيهم: مدح. ضيفهم بجوع: ذمّ. ضيفهم لا بجوع: يشبه الذمّ).
- (٨) الهامة: الرأس. المصود هامهم تيجان لسوفهم. - تأكيد الذمّ بما يشبه المدح. تزيين السيوف برؤوس الأعداء ذمّ للأعداء، ولكنّ ظاهره (زانوا، زينوا، تيجان) مديح.
- (٩) المواهب: المطايا. - استنحاح: جعل الشاعر جري المواهب من الأكف (وهو مجاز، استعارة) مثل جري الدماء من السيوف (وهو حقيقة).
- (١٠) مجاهر العارف: هو يعرف أن الذي يراه هو بدر السماء، ولكنه يتجاهل ذلك (وهو عارف بالحقيقة) لأنّ وجوههم أجل من البدر.

- وقال في الذين يتخذون الحضرة لباساً للدلالة على أنهم من نسل رسول الله:
 جعلوا لأبناء الرسول علامة. إن العلامة شأن من لم يُشهر.
 نور النبوة في كريم وجوههم يعني الشريف عن الطراز الأخضر.
 - وله مقاطع منها:

*** يا أهل طيبة، في مفاكم قمر
 كالقيث في كرم، واللبيث في حرم،
 *** ولما وقفنا كي نودع من نأى
 بكينا. وحق للمحب إذا بكى
 *** ممتننا قري الجبال وقالت:
 ليس في غير زادنا من مجال^(٢).
 فأقمنا على الرجال وقلنا: ما لنا حاجة بحط الرجال!^(٤)

- وكب تعليقاً على كتاب نسيم الصبا^(٥) منه:

لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصبا المرسومة في صفحات الحسن فإذا
 أبصرها اللبيب صبا^(٦)، انتعش بها خاطر انتعاش النبت بالعام وهمت^(٧) سحائب
 بيانها فأثمرت حدائق الكلام. وأخرجت أرض القرائع ما فيها من النبات.....
 فصول هي للحسن أصول، وشمول لها على كل قلب شمول^(٨). ليس لقدامة على التقدم
 بها حصول^(٩)، ولا لسحبان لأن ينحّب ذيلها وصول^(١٠). ولا انتهى قس الأيادي لهذه

(١) طيبة: مدينة الرسول. قمر (كتابة عن الرسول).

(٢) اللبيث: الأسد. حرم: المكان الذي يأوي إليه الأسد (لا يجسر أن يقرب أحد منه).

(٣) رفضت أن تمتعنا بجبالها وسمحت بأن تقدم لنا الطعام إذا غن نزلنا بها ضيوفاً.

(٤) عندئذ بقينا على سروج خيلنا وقلنا لها: لا حاجة بنا إلى النزول ضيوفاً عليها.

(٥) «نسيم الصبا» كتاب في وصف الطبيعة والحياة الإنسانية في أسلوب أنيق مسجع ليدر النين أبي محمد

الحسن بن عمر بن حبيب الدمشقي الحلبي (٧١٠ - ٧٧٩ هـ).

(٦) اللبيب: العاقل. صبا: مال، اشتاق.

(٧) همى المطر بهمي: انهمر، سقط غزيراً.

(٨) التمول: الحمر الباردة. التمول (مصدر): عموم، إحاطة.

(٩) قدامة بن جعفر البغدادي (ت ٣٢٧) كاتب بليغ له كتاب «نقد الشعر».

(١٠) سحبان وائل (ت ٥٤) خطيب مخضرم (عاش في الحاهلية وفي الإسلام) مشهور بالصاحفة.

الأيادي^(١)، ولا ظَفِرَ بَدِيعِ الزَّمَانِ^(٢) بهذه البدائع الحسان.....

- لابن جابر الوادي أشي الضرير مقصورة نلمح في نفسها شيئاً من مقصورة ابن دُرَيْدٍ (ت ٣٢١ هـ)، ولكنها في بنائها مُمَرَّاتٌ (كلُّ مقطعٍ منها عَشْرَةُ آيَاتٍ). وفي قوافيها خاصَّةٌ هي: جميع آياتها محتومة بألف مقصورة ثم كلُّ مَقْطَعٍ من عَشْرَةَ آيَاتٍ مَبْنِيٌّ على رَوِيٍّ (قبل الألف المقصورة) هو أحدُ أَحْرَفِ الهجاء على التوالي: الهمزة، الباء، التاء، الثاء، الخ، كما سئري. ولكن المقطع الذي على رَوِيٍّ الغين المنقوطة سبعة آياتٍ فقط. ثم تأتي ثلاثة مقاطع، بعد المقطع الذي على رَوِيٍّ الياء، والذي يجب أن يكون المقطع الأخير، أولها أربعة آياتٍ على رَوِيٍّ اللام وثانيها تسعة آياتٍ على رَوِيٍّ الراء ثم مقطعٌ من سبعة آياتٍ على رَوِيٍّ الدال. ومجموع آيات هذه المقصورة مائتان وسبعة وسبعون.

والموضوع الغالب على هذه المقصورة «مدح الرسول»، وإن كان فيها أشياء من الغزل والأدب (الحكمة) والتاريخ. راجع بناء القوافي في المختارات السيرة التالية (نفع الطيب ٧: ٣٠٦-٣٢٣):

لَمَّا رَأَى من حُسْنِهَا ما قد رأى .	بَادَرَ قلبي للهوى وما آرتأى
وكان قلبي قبل هذا قد نأى....	فقرَّبَ الوَجْدُ لقلبي حُبَّهَا،
حديث أنسٍ مثلَ أزهارِ الرُّبَى	يا رَبِّ ليلٍ قد تعاطينا به
إذ واصلت ما بيننا ريحُ الصَّبَا؛	في روضةٍ تعانقتُ أغصانُهَا،
عَذَّبَ الجنى رِيَّانَ من ماء الصَّبَا....	أيامَ كان العيشُ غُضًّا حُسنُهُ
ولا زمانٍ قد تعدَّى وعَتَا ^(١) ،	تالله، لا أعيا بعيشٍ قد مضى،
سَادَ الورى طفلاً وكَهلاً وفتى .	مُدُّ عِلَقَتِ كَمَيِّ بالهادي الذي
يُهدى به مَنْ في دُجَى الليلِ مَتَا ^(٢)	إِنَّ رَسولَ اللهِ مِصْبَاحُ هُدَى

(١) فمن ساعدة الأبيادي (ت ٢٢ قبل الهجرة) خطيب جاهلي مشهور. الأبيادي: النعم والمطايا.

(٢) بديع الزمان الهنذلي (٣٥٨-٣٩٨ هـ) مؤسس فنِّ المصانمات.

(٣) عتا: ظلم وتحرر.

(٤) متا: شئ وأسرع.

إِنَّ تَحْسِبِ الرُّسُلَ سِمْاءَ قَدْ بَدَتْ، فإِنَّه في أَقْفِهَا نَجْمٌ هُدَى .
 واسطَةُ القَوْمِ إِذَا مَا نَظِمُوا، وَمَلْجَأُ القَوْمِ إِذَا الحَطْبُ عَدَا.....
 يَا مُجَنَّبِيَّ مِنْ خَيْرِ قَوْمٍ حَسَبًا فِيهَا أَتَى مِنْ زَمَنِ وَمَا مَضَى،
 اخْتَارَكَ اللهُ رَسولًا هَادِيًا أَكْرَمَ بِمَا اخْتَارَ لَنَا وَمَا أَرْضَى .
 عَجِزْتُ لِلْأَيَّامِ: مَنْ عَزَّ بِهَا ذَلَّ، وَمَنْ يَضْحَكُ بِهَا يَوْمًا بِكِي .
 وَكَمْ صَرِيحٍ غَادَرْتُ لَيْسَ لَهُ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمًا وَلَا مِنْ مُشْتَكِي .
 عَدَّتْ عَلَيَّ نَفْسَ عَدِيٍّ، وَسَقَتْ مِنْهَا ابْنَ حُجْرٍ كَأَسْمُ كَالذُّكَا^(١).....
 لَمْ يَأْمَنِ المَأْمُونُ مِنْ صَوْتَيْهَا، وَلَا ابْنُ هَنْدٍ مِنْ عَوادِيهَا خَلَا^(٢) .
 وَغَالَتِ الزَّبَاءُ فِي مَبْنَعِهَا فَأَظْفَرْتُ عَمْرًا بِهَا فَمَا أَلَا^(٣) .
 وَأَهْلَكْتَ عَادًا وَأَفْنَتَ جُرْهُمًا وَزَوَّدْتِ مِنْهَا تَمِيمًا بِالصَّلَى^(٤).....
 وَالآنَ قَدْ أَكْمَلْتَهَا فِي مَدْحِهِ مَقْصُورَةً يَقْصُرُ عَنْهَا مَنْ خَلَا^(٥) .
 ضَمَّنْتَهَا مِنْ كَلِّ فَنُّ دُرَّرًا نَظْمًا، فَأَضْحَتِ مِنْ نَفِيسَاتِ الحَلَى .
 حَلَيْتُهَا جِيدَ مَعَالِيهِ، وَمَا أَمْلَحَ حَلْيَ المَدْحِ فِي جِيدِ العُلَا!

٤- بدعيّة العبيان أو الخلة السيرا في مدح خير الورى (عني بنشرها عبد الله مخلص) القاهرة
 (المطبعة السلفية ومكنتها) ١٣٤٧ هـ؛ (طبعت مع: سبل الرشاد إلى نفع العباد لأحمد عبد
 المنعم الدمهوري) مصر ١٣٠٥ هـ.

* * خزانة الأدب لابن حجة الحموي (مصر ١٣٠٤ هـ، ص ١٢)؛ نكت الهيمان
 ٢٤٤-٢٤٦؛ الوافي بالوفيات ٢: ١٥٧-١٥٨؛ فوات الوفيات ٢: ٦٨-٧٣؛

-
- (١) عدِيٌّ بن زيد قتله النعمان بن المنذر في الجاهلية. ابن حجر: امرؤ القيس. الذكا: أتاد النار واشتداد
 لهبها.
 (٢) المأمون العباسي (٤). ابن هند: معاوية بن أبي سفيان.
 (٣) الرباء ملكة عربية (في الجاهلية) حاصرها عمرو بن عدِيٍّ ليقبّلها (في حديث طويل) فأنشجرت بالسّم
 مختارة.
 (٤) عاد وجرهم من القبائل الجاهلية البائدة (التي انقرضت). كان النعمان قد أحرق جماعة من بني تميم
 بالنار.
 (٥) في هذا البيت ما يدلّ على أن ابن جابر قد أراد مدح أحد معاصريه بهذه القصورة.

١ بغية الوعاة ١٤، راجع ١٧٦؛ نفع الطيب ١: ٣٨، ٢: ٣٨٧،
 ٦٦٤-٦٧٥ (مع شيء من الاستطراد)، ٦٨٠-٦٩٠، ٤: ٣٢٠-٣٢١، ٥: ٢٠٠،
 ٢٠٢، ٤٧١، ٦٠٤، ٦: ١٧٢، ٧: ٣٠٢-٣٢٦، ثم ممارضات له ٣٣٧-٣٣٩،
 ٣٤٧، ٣٤٩-٣٧١؛ شذرات الذهب ٦: ٣٦٨؛ دائرة المعارف الإسلامية بروكلمن ٢:
 ١٤-١٥، الملحق ٢: ٦؛ سر كيس ٦٠-٦١؛ الداية ٥٣٧-٥٣٩؛ الأعلام للزركلي ٦:
 ٢٢٥-٢٢٨ (٥).

محمد بن يوسف الثغري التلمساني

١- هو أبو عبد الله محمد بن يوسف القيسي الثغري، وُلِدَ في تِلْمَسَانَ ونشأ فيها. وقد
 أدرك دولة بني زِيَّانَ في دَوْرِهَا الْأَوَّلِ ودورها الثاني، وكان وثيقَ الصِّلَةِ بِبِلَاطِيهَا:
 ألقى قصيدةً في المَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ (٧١٧ هـ = ١٣٦٩/١٠/٩ م)^(١)، في عهدِ أَبِي
 حَمُو موسى الْأَوَّلِ بْنِ عُمَانَ (من سلاطين الدور الأول) ثم كان من شعراءِ أَبِي حَمُو موسى
 الثاني بن يوسف (٧٦٠-٧٩١ م) من سلاطين الدور الثاني. فإذا نحن قَبَلْنَا هَاتَيْنِ
 الروايَتَيْنِ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدُ الثَّغْرِيُّ هذا قد عاش مُدَّةً طَوِيلَةً جَدًّا، وَأَنْ يَكُونَ
 قَدْ وُلِدَ سَنَةَ ٦٩٠ هـ (إذا نحن فَرَضْنَا أَنْ يَكُونَ قد ألقى قصيدتهُ تلك وعمرهُ خمسٌ
 وعشرون سنةً فقط). ثم لا يجوزُ أَنْ يَكُونَ قد أَدْرَكَ أَحَدًا بعدَ أَبِي حَمُو الثاني.

وتقعُ وِفاةُ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّغْرِيِّ في أواخرِ القرنِ الثامنِ، نحو سَنَةِ ٧٨٠ للهجرة
 (١٣٧٨ م) في الأغلب.

٢- كان مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ الثَّغْرِيُّ أديباً عارفاً بِنقونِ الأدبِ ناثراً شاعراً. وفنونه
 المدحُ والرثاءُ والوصفُ والشعرُ الدينيُّ. وكانت بينه وبين لسانِ الدينِ بنِ الخطيبِ
 (ت ٧٧٦ هـ) مُراسلاتٌ.

(١) تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٩؛ الطائر ١٧٧. ومن غير المألوف أن يكون قد أدرك أما زِيَّانَ
 (٧٩٦-٨٠١ هـ) ثم عاش بعده، كما يقول عبد الحميد حاجبات (الأصالة ٤: ٣٦ ص ١٥٠).

- قال محمد بن يوسف الثغري في الشيب وحال الدنيا:

أَقْصِرْ فَإِنَّ نَذِيرَ الشَّيْبِ وَافِي، وَأَنْكَرْتَنِي الْغَوَافِي بَعْدَ عِرْفَانٍ (١).
وَقَدْ تَمَادَيْتَ فِي غَمٍّ بِلَا رَشْدٍ؛ وَالنَّفْسُ تَأْمُرُنِي وَالشَّيْبُ يَنْهَانِي.
كَمْ مِنْ خُطِيءٍ، فِي الْخَطَايَا، قَدْ خَطَوْتَ وَلَمْ
فَلَا تَفْرَّتْكَ الدُّنْيَا بِزُخْرُفِهَا، فَيَا نَدَامَةً مَنْ يَفْتَرُّ بِالغَافِي!

- حَفِظَ أَبُو زَيْنَانَ مُحَمَّدٌ (وَلَدُ أَبِي حَوَّ مَوْسَى الثَّانِي) سُورَةَ الْبَقَرَةِ (٢) فَأَقَامَ أَبُو حَوَّ
حَفَلًا لِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ فَأَشَدَّ الثُّغْرِيُّ قَصِيدَةً فِي مَدْحِ آلِ زَيْنَانَ، مِنْهَا:

تَهَلَّلَ وَجْهَ الرَّوْضِ وَابْتَسَمَ الزُّهْرُ وَغَارَتْ بِهِ فِي أَفْقِهَا الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ (١).
وَضَاحَكَتِ الْأَرْضُ السَّمَاءَ مَسْرَةً وَقَابَلَهَا مِنْ كُلِّ رِيحَانَةٍ ثَغْرُ (٢).
وَمَالَتْ قُدُودُ الْقُضْبِ زَهْوًا كَأَنَّهَا نَشَاوَى تَسْتَتُّ فِي مَعَاطِنِهَا الْخَمْرُ (٣).
وَعَسَّتْ قِيَانُ الْوُرْقِ خَلْفَ سُتُورِهَا، وَلِلْوُرْقِ أَنْ غَسَّتْ بِأَوْرَاقِهَا سَيْرُ (٤).
لِمَوْلَايَ مَوْسَى أَبَدَتِ الْأَرْضُ زِينَةَ فَتَوَجَّهَا زَهْرٌ وَوَشَّحَهَا نَهْرُ (٥).
وَقَدْ رَفَلْتُ فِي حَلَّةٍ سُنْدُوسِيَّةٍ وَشَاهَا الصَّبَا وَشَيْئًا وَدَبَّجَهَا الْفَطْرُ (٦).

(١) في البيت تجريد (يجرد الشاعر من نفسه شخصاً بمخاطبه). بعد عرفان (بعد معرفة منها بمكانتي أيام شائي).

(٢) لم تراقب الله: لم تحف الله (لم تشعر، وأنت ترتكب الذنوب، أن الله يراك).

(٣) السورة الثانية في المصحف وأطول سور القرآن الكريم (مائتان وست وأمانون آية).

(٤) المقصود: غارت منه (من الغيرة والغيرة والحمد). الزهر: الالامعة التديدة اللعنان.

(٥) كل زهرة متفتحة كانت، كأنها ثغر ينسم لتلك المناسبة.

(٦) القصب جمع قضيب: العنق. زهواً: عجباً بالنفس. الشوان: ثارب الخمر.

(٧) الغيبة (بفتح الغاف): المرأة الحسناء الغنبة. الورق جمع ورقاء: الحماية. (بأوراق الأشجار التي تسمى فيها). - نسع الحائم تسمى على الأغصان ولا تراها (لأن أوراق الأغصان نحجها).

(٨) في أعلاها (على الأشجار) أزهار، وفي أسفلها (على الأرض) نهر جار.

(٩) رفل: لبس ثوباً ضامياً (واسعاً) جنبلاً وتختبره في المشي. سندس: حرير أخضر. وشاها: طرزها، زينها.

الصبا (بالكسر): الثياب الربيع الجديد. الصبا (بفتح): الريح الشرقية: توجع فيها فتحدث في نباتها موجات مخلتفة. دبجها جعل نباتها كالديباج (النبات الأخضر). الفطر: المطر.

وإنَّ أبا زِيَانٍ زَيْنٌ لِذَاتِهِ، زكا منه نَجَلٌ حينَ طابَ له نَجْرٌ^(١).
وقد حَدِّقَ القرآنَ حِدْقَ مَجُودٍ، فأشْرَقَ منه القلبُ وانشرحَ الصدرُ^(٢).
فيا مَلِكاً فاضتْ أشعَةُ نورهِ فأشْرَقَ منها للعُلى أنجُمُ زُهْرُ.
هنيئاً، لك البُشرى، بَنَيْتَ بِهِدْيِهِمْ من الدينِ أركاناً يهدُّ بها الكُفْرُ^(٣).
بهم تزدهي الأعلامُ والبِيضُ والقنا كما ازدهتِ الأَقلامُ واللُّوحُ والحِيزُ^(٤).
جَمَعْتُمْ لَدَى القَصْرَيْنِ كُلَّ فَضِيلَةٍ سِما لَكُمُ في الحافِقَيْنِ بِها ذِكْرُ:
ماتَرُ شَقٍّ من قِرَى وقِرَاءَةٍ تَضَمَّنَ منها كُلَّ ماثِرَةٍ قَصْرُ^(٥).
فمن صَدَقَاتِ غارٍ من جُودِها الحِيا،

وفيضِ هِياتِ غاضٍ من جودِها البحرِ^(٦).
دَعَوْتُمْ إِلَيْها كُلَّ بادٍ وحاضِرٍ فَلَبَّوا كَأَنَّ الناسَ ضَمَّهُمُ الحِشْرُ^(٧).
كَأَنَّ الثَّرِيًّا نَحَوَكُمُ مَدًّا كَفَّها، فَمِمنَ نَيْلِكُمُ في كَفَّها وَرِقٌّ وَفَرُّ^(٨).
مكارِمُ لا تَنفَكُ تَزْدادُ جِدَّةً على الدهرِ لا تَبْلى وإنَّ بَلِيَّ الدهرِ.
فدامتْ بِكِ الأيَّامُ تُظهِرُ حُسْنِها فيحسُنُّ في أوصافِها النَظْمُ والنثرُ!

٤- ** نفع الطيب ٧: ١٢١ وما بعد، راجع ٦: ٤٢٧ وما بعد؛ تاريخ الجزائر العام ٢: ١٩٩-٢٠٠؛ الطمار ١٧٧-١٨٥؛ معجم أعلام الجزائر ١٨٨-١٨٩؛ الأصالة ٤: ٢٦، ص ١٥٠.

- (١) زكا: طاب، طهر. نجل: ابن. نجر: أصل.
- (٢) حدق: مهر، برع. التجويد: إعطاء الحروف حَقًّا في الخارج ومن المدود.
- (٣) الهدي (بفتح مكيون) والهدى (بالضم) بمعنى.
- (٤) الأعلام والبِيض (السوف) والقنا (الرماح) كناية عن الحرب والشجاعة. والأقلام إلح كناية عن العلم.
- (٥) الماثرة: العمل النيل الكرم. الفرى: الضيافة والكرم.
- (٦) الحيا: المطر. غار من جودها: الحيا (نمد المطر). غاض الماء: ذهب في باطن الأرض. - لو كانت عطاياكم من ماء المطر ومياه البحار لنفدت (بفتح النون وكسر لفاء) تلك المياه.
- (٧) البادي: الساكن في البادية. الحاضر: الساكن في المدينة أجمع الناس). الحشر: يوم العاصم.
- (٨) النيل: العطاء. الوراق (بفتح فكسر): الفضة. وفر: كثر. الثريا مجموع نجوم شبه الكف في رأي العين. - كأن الثريا كف تمد طلباً لعطائكم، فكأن جمع نجومها (الصن السبهة بالفضة) من عطاياكم.

يحيى بن خلدون

١- هو أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن الحسن بن خلدون الحضرمي، وُلِدَ في تونس سنة ٧٣٣ (١١٣٢-١١٣٣ م) أو ٧٣٤. وفيها نشأ وتلقى العلم على نفرٍ منهم عبد المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٩ هـ) وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأبي (ت ٧٥٧ هـ) والحافظ أبو عبد الله السطّي (ت ٧٥٠ هـ) وسواهم من الذين درّس عليهم أخوه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

تقلّبت الأحوال يحيى بن خلدون كثيراً لأنه كان مُتقلّب الهوى في السياسة تنقله مصلحته الشخصية بين الحفصيين في تونس والمريّنيين في فاس وبني عبد الواد في تلمسان. وكان قد تولّى للحفصيين في بجاية (وهي اليوم من الجزائر) مناصب عادية. وحاول أبو حمو الثاني (من بني عبد الواد أصحاب تلمسان) أن يستولي على بجاية - في حديثٍ طويل - فلم يستطع. فلما عاد الحفصيون إلى بسط سلطانهم على بجاية اعتقلوا يحيى بن خلدون (لشكّهم في ولائهم). ولكنه هرب ووصل إلى تلمسان سنة ٧٦٩ (١٣٦٧-١٣٦٨ م) فعينه أبو حمو (٧٦٠-٧٩١ هـ) كاتباً للإشياء بعد توصية من أخيه عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨ هـ).

ثم إن يحيى انحاز إلى المريّنيين وشيكاً (سنة ٧٧٢)، ومالأهم مائة استطاعوا أن يهددوا بها تلمسان. وبرغم ذلك رضي أبو حمو على يحيى وأعادته إلى منصبه. ولكن ذلك أثار غيظ أبي تاشين (ابن أبي حمو الثاني) فدبر مقتل يحيى في رمضان من سنة ٧٨٠ (يبدأ رمضان هذا في ١٣٧٨/١٢/٢٢ م).

٢- كان يحيى بن خلدون رجلاً سياسياً ومؤرخاً كما كان ميالاً إلى الأدب والشعر ينظّم في المديح والوصف، ولم يكن نظمُه عالياً. وله ميلاديات (في مدح الرسول) سنطرد فيها أحياناً إلى المدح. وشهرته قائمة على كتابه الذي وصل إلينا وعنوانه في لفظ يحيى بن خلدون «... وسميته بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد وما حازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الأطواد...»، وقد ألفه بطلب من أبي حمو نفسه وانتهى في تأليفه إلى سنة ٧٧٧ (١٣٧٥ م). وقيمة الكتاب تقوم على توفّره على

عهد أبي حمو الثاني ثم فيه صورة لبلاط تِلْسانَ في ذلك العهد وقصائد كثيرة تامة لشعراء ذلك العصر. فقيمة الكتاب تاريخية واجتماعية وأدبية معاً.

٣- مختارات من آثاره

- نَظَمَ يحيى بن خَلْدُونٍ في مَوْلِدِ سَنَةِ ٧٧٨^(١) قصيدةً حذا فيها حَدْوَ لِسَانِ الدِّينِ
أَبِي الخَطِيبِ في مَوْلِدِيَّةٍ لَهُ^(٢) ثُمَّ اسْتَطْرَدَ فِيهَا إلى مَدْحِ السُّلْطَانِ أَبِي حَمُو. قَالَ يحيى بنُ
خَلْدُونٍ (نفع الطيب ٦: ٥١٠-٥١٣):

ما على الصَّبِّ في الهوى من جُنَاحٍ	أن يُرى حَلْفَ عَبرَةٍ وافْتِضَاحٍ ^(٣) .
يا رعى الله بِالْحَصَبِ رَبْعاً	أَذْنَتْ عِنْدَهُ النَّوى بِانْتِزَاحٍ ^(٤) .
نألُ السِّدَارَ بِالخَلِيطِ وَنَشِي	ذَلِكَ الرَّبْعَ بالدُمُوعِ السِّفَاحِ ^(٥) .
يا أَهْيَلِ الجِمِيِّ، نداءً مَشُوقٍ	ما له عن هوى الدَّمِيِّ من بَرَّاحٍ ^(٦) .
طالها استمذِبةُ المدايِمِغِ وَرِداً	في هِواكِمْ عن كَلِّ عَذْبِ قَرَّاحٍ ^(٧) .
واخْخاري يَوْمَ القِيامَةِ إنْ لم	يَغْفِرِ اللهُ ذَلَّتِي واجْتِراحي ^(٨) .

(١) يقع مولد محمد رسول الله في الثاني عشر من شهر ربيع الأول (الشهر الثالث في التقويم القمري المحجري). وذكرى مولده سنة ٧٧٨ يوافق ١٣٧٦/٧/٣٠ م.

(٢) للسَّالِ الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ (ت ٧٧٦ هـ) مولدية مطلقها (نفع الطيب ٦: ٥٠٩):

ما على القلبِ بعدكم من جُنَاحٍ أن يرى طائراً بِمَسِيرِ جُنَاحِ
الجناحِ الأُولَى، (بضم الجيم: الذنب والائتم) والجناحِ الثَّانِيَةِ (بفتح الجيم: أحد جناحي الطائر).

(٣) الصب: الحب. حلف (حليف) عبرة (دعامة): دائم الكفاء.

(٤) الهصَّب: مكان رمي الجمرات في الحج (مسك من مساك الحج) الربيع: المنزل المعمور المسكون. أذن: نادى وأعلن عن عزمه، قارب. النوى: البعاد، الفراق. انتزاح: ابتعاد (حيناً وصلنا إلى مكَّة شعرنا بأننا أصبحنا قريبين من غايتنا)

(٥) الخَلِيطُ: الساكن مع آخرين. نأل به: سأل عنه. السِّفَاحِ: الفواح لست في القاموس في المعنى المقصود (القصود: المسفوح، الماطلة بكثرة). وفي القاموس: بينهم سحاح (بكسر السين): سفك دماء.

(٦) أهيل الحمى (كناية عن أهل مكَّة). الدمى (النساء الجميلات) البراح: المبارحة، الترك، التحلي عن الأشياء.

(٧) الورد (بكسر الواو): الشرب. القراح: الخالص، الصافي.

(٨) الاجترأح: ارتكاب الذنوب (المعظمة).

لم أقدم وسيلة فيه إلا حُبَّ خير الورى الشفيح الماحي^(١)
سيد العالمين دنيا وأخرى أشرف الخلق في الملا والساح
سيد الكون من سماء وأرض سِرُهُ بَيْنَ غَايَةِ وَاِفْتِيَاحِ^(٢)
زهرة الغيب مظهر الوحي معنى الـ نور كُنْهُ الْمَشْكَاةِ وَالْمِصْبَاحِ^(٣)
آية المكرّمات قطب المعالي مُصْطَفَى اللَّهِ مِنْ قُرَيْشِ الْبِطَاحِ^(٤)
أول الأنبياء تخصيص زلفى، آخِرُ الْمُرْسَلِينَ بَعَثَ نَجَاحِ^(٥)
من ليلاده بمكة ضاءت من قرى قيصر جميع الضواحي^(٦)
وخبث نار فارس وتداعت من مشيد الإيوان كل النواحي^(٧)
من رقى في السماء سبعا طباقاً ورأى آي ربه في انضاح^(٨)
ودنا منه قاب قوسين قرّباً ظافراً في الملا بكل اقتراح^(٩)

- (١) فيه (في يوم القيامة). خير الورى (محمد رسول الله) ومن أسماه الشفيح الماحي.
(٢) كان موجوداً في الافتتاح (عند خلق العالم) وسيظل موجوداً عند فناء العالم. راجع البيت الذي سأتي: أول الأنبياء ...
(٣) الكنه: جوهر الشيء وحقيقته والغاية منه. المشكاة: تجويف في الجدار يوضع فيه المصباح. يبدو أن الشاعر يشير هنا إلى الآية الكريمة (٢٤: ٣٥، النور): ﴿اللّٰهُ نُورُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ: مِثْلُ نُوْرِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيْهَا مِصْبَاحٌ...﴾ (.... إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مُحَمَّدًا رَسُولًا لِيَدُلَّ النَّاسَ عَلَى آيَاتِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِظْمَتِهِ).
(٤) المصطفى (المختار) من أسماء الرسول. قريش البطاح (بطحاء مكة: وسطها) كانوا أقوى وأشرف من قريش الظواهر (الذين كانوا يسكنون خارج مكة). وقريش كانوا أشرف العرب.
(٥) أول الأنبياء الذين أراد الله أن يرسلهم إلى خلقه ولكن آخر من بعث منهم بالرسالة الأخيرة التامة.
(٦) في الخبر أنه في ليلة ميلاد الرسول أضاءت الأرض ما بين المشرق والمغرب، ورؤي هذا النور في مكة. قيصر: لقب ملك الروم (اليونان).
(٧) خبا: خد، انطفأ. أهل فارس كانوا يبدون النار، وكانوا يحرصون على أن تظل تلك النار المعبودة في الهيكل تامة الاتقاد. وقد خبت هذه النار في ليلة مولد الرسول. تداعي: تناقض وتهدم. المشيد: المبني. الإيوان: قصر كسرى. في الخبر وفي التاريخ أن زلزالاً حدث في بلاد فارس، وفي نحو مولد الرسول، وأن عدداً من القصور تهدم.
(٨) سبعا (السوات السبع - مفعول به) طباقاً: بعضها فوق بعض - طباقاً - نمت سبعا، أو بدّل منها: أعاق السماء -. رأى عجائب خلق الله بوضوح.
(٩) قاب قوسين: قاني قوس (مسافة ما بين طرفي القوس: إلى مقربة شديدة).

مَنْ هَدَى الخَلْقَ بَيْنَ حُمْرٍ وَسُودٍ
 مَنْ إِلَى حَوْضِهِ وَظِلِّ لُؤَاهُ
 أَحْمَدُ الْمُجْتَبَى حَبِيباً، وَإَتَى
 فِي أَنَاجِيلِهِ المِيسِحُ تَلَاهُ
 يَا رُؤَاةَ القَصِيدِ والتَّعْرَ عَجَزاً،
 إِنَّمَا حَسْبُنَا الصَّلَاةُ عَلَيْهِ،
 يَا إِلَهِي، بِحَقِّ أَحْمَدٍ، عَفْواً
 وَأَدِمْ دَوْلَةَ الخَلِيفَةِ موسى
 ناصِرِ الحَقِّ خَاذِلِ الظُّلْمِ عَدْلًا
 يَتَلَقَّى النُّدَى بِوَجْهِ حَيٍّ
 يَا إِمَاماً بَدَّ المُلُوكَ جَلَالًا
 أَنْتَ شَمْسُ الكَمَالِ دُمْتَ عَلَيْهَا
 وَأَبُو تَاشِفِينَ بِدَرٍّ مَنِيرٍ
 وَبِكُمْ رُيِّبَتْ سَمَاءُ المَعَالِي

وَجَلَا لَيْلَ غَيْمِهِم بِالصَّبَاحِ (١).
 يَلْجَأُ انبَاسُ بَيْنَ ظَلامٍ وَضَاحِي (٢).
 فَوْقَ عِزِّ الحَبيبِ مَرْمَى طِياحِي (٣).
 بِاسْمِهِ، وَالكَلِمُ فِي الأَلْوَاغِ (٤).
 مَا عَسَى تُذَكِّرُونَ بِالأَمْدَاحِ (٥)؟
 وَهِيَ لِمَفُوزِ آيَةٍ اسْتَفْتَاحِ.
 عَنِ ذُنُوبِ جَنَّتَهُنَّ قِيَّاحِ.
 ذِي المَعَالِي المُنِينَةِ الأَوْضَاحِ،
 مَلْجَأُ الخَائِفِينَ بَحْرُ السَّاحِ.
 وَيُلاقِي البِدا بِبَاسِ صِفَاحِ (٦).
 وَجَمالًا، قُدِيدَتِ بِالأُرُواحِ (٧).
 بِأَعْتِباقِ مِنَ المُنَى وَأَصْطِباغِ (٨).
 زَانَهُ اللهُ بِالحِجَالِ الصَّبَاحِ (٩).
 وَأَهْتَدَى النَاسُ فِي الدُّجَى وَالصَّبَاحِ.

- (١) الحمر (جمع أحر): المعجم. السود: العرب. جلا: كشف لعمى الضلال.
- (٢) الحوض (النفيا) واللواء (للظل) يوم القسامة. الظامىء: العطشان. الضاحي: الذي أصابه حرّ الشمس.
- (٣) أحمد (من أسماء الرسول) المجتبي: المغرب. حبيباً (أي حبيباً لله). طياحي (أملئ) كبير جداً لأنني مدنت كثيراً (فأملئ في شفاعة الرسول لي على مقدار ذنبي وفوق ما أستحق).
- (٤) الهاء في «أناجيله» راجعة إلى ما بعدها (إلى الميسح). تلاه: قرأه، ذكره. الكلم: موسى. الألواح العشرة (الوصايا العشر) التي أوحي الله بها إلى موسى على جبل الطور. (لقد ذكر في التوراة وفي الإنجيل أن محمداً صلى الله عليه وسلم يبعث نبياً).
- (٥) أيها الثمراء الذين تحاولون مدح الرسول بالقصائد فتمحرون.
- (٦) - أبو حو الثاني يعطي كثيراً. ومع ذلك يستحي من الذين يعطيهم لأنه يود دائماً أن يعطيهم أكثر. الناس: القوة. الصفايح جمع صفيحة: الحجر العريض، السيوف (٥).
- (٧) بد: غلب، سبق، فاق.
- (٨) الاعتناق والاصطباح (في الأصل): شرب الحمر ساءة وصاحاً. (هنا): صاحاً وساءة (دائماً).
- (٩) أبو تاشفين: ابن أبي حو الثاني. الحلال: الصفات. الصباح: البياض (الحمالة).

- وصف تلمسان من كتاب « بنية الرواد » (نفع الطيب : ٧- ١٣٣- ١٣٥):

ودارٌ ملكهم وَسَطٌ بَيْنَ الصَّحراءِ وَالتَّلِّ^(١)، تُسَمَّى بِلِغَةِ الْبَربرِ تَلْمَسَنَ - كَلِمَةً مَرْكَبَةً من « تلم » ومعناه تَجْمَعُ، و« سن » ومعناه اثنان: أي الصَّحراءِ وَالتَّلِّ، فَيَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْعَلَمَةُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِي، رَجَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَ حَافِظًا بِلِسَانِ الْقَوْمِ^(٢) - وَيُقَالُ « تَلْمَسَانِ »، وَهُوَ أَيْضًا مَرْكَبٌ من « تلم » ومعناه لها، و« شان »: أي لها شَأْنٌ. وَهِيَ مَدِينَةٌ عَرِيقَةٌ^(٣) فِي التَّمَدُّنِ لِذَيْدَةَ الْهَوَاءِ عَذْبَةُ الْمَاءِ كَرِيمَةُ الْمُنْتَبِتِ اقْتَعَدَتْ بِسَفْحِ جَبَلٍ، وَدُوَيْنَ رَأْسِهِ بَسِيطٌ أَطْوَلُ من شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ^(٤)، عُرُوسًا فَوْقَ مِئْصَةِ، وَالشَّارِيخُ مُشْرِفَةٌ^(٥) عَلَيْهَا إِشْرَافُ التَّاجِ عَلَى الْجَبِينِ. وَيُطَلُّ مِنْهَا عَلَى فَحْصِ أَفْجِحٍ^(٦) مُعَدُّ لِلْفَلَاحَةِ تَشُقُّ ظُهُورَهُ الْأَسْلِحَةَ عَلَى مِثْلِ أَسْنَمَةِ الْمَهَارِيِّ^(٧)... وَبِهَا لِلْمَلِكِ قَصُورٌ زَاهِرَاتٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى الْمَصَانِعِ الْفَائِقَةِ وَالصُّرُوحِ الشَّاهِقَةِ وَالْبَسَاتِينِ الرَّائِقَةِ تَمَّا زُخِرْفَتْ عُرُوشُهُ وَنُعِمَّتْ غُرُوسُهُ وَنُوسِبَتْ أَطْوَالُهُ وَعُرُوضُهُ. فَأَزْرَى بِالْحَوْرُنُقِ وَأَخْجَلَ الرُّصَافَةَ وَعَبَّتْ بِالسَّدِيرِ^(٨). وَتَنْصَبُ إِلَيْهَا مِنْ عَلِيٍّ أَنْهَارٌ من مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ تَسْجَادُ بِهِ

(١) دار ملكهم: عاصمتهم (تلمسان): التل: الجبل..

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدي الأبي التلمساني أندلسي الأصل من أبلة (أبيلة: أزيله، إلى الشمال الغربي من مدريد). كان شيخاً (أستاذاً) كبيراً تلقى العلم عليه يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن المشهور وغيرها كثير. القوم: البربر.

(٣) عريقة: قديمة.

(٤) دون (تحت ولكن بمسافة قصيرة) بسيط (أرض منبسطة مستوية) أطول من شرق إلى غرب: طولها من الشرق إلى الغرب أكثر من طولها من الشمال إلى الجنوب.

(٥) المئصة: المنصدة (المكان المرتفع). الشراخ: رأس الجبل.

(٦) الفحص: كل موضع يسكن (سهل). أفجیح: واسع.

(٧) الأسلحة جمع سلاح (هنا): مكان مسلح، حصن! النام: كتلة شحم على ظهر الجمل (قبة). المهاري (جمع) الإبل المهرية (من مهرة - بفتح ففتح - في اليمن).

(٨) المصنع: حوض للماء، والمصنع أيضاً التصر والحصن. الصرح: البناء العالي. الرائق: الذي يجذب العين.

(٩) زخرف: زين. الرش (هنا): المظلة (السقف من أغصان الشجر). نحق: نقش (بالألوان)، زين. الغرس: الشجر (!).

(١٠) أزرى: عاب، أظهر نقص الأشياء التي تقارن به. عبث (هزى، استخف). الحورنق والسدير والرصافة قصور. والرصافة خاصة أسماء لمدن تم قلعة للاسابعيين.

أيدي المذانب والأسرابُ المكفورةُ خلالها^(١). ثم تُزيّله بالمساجد والمدارس والسقايات بالقصور^(٢)، وعليه الدورُ والحماماتُ فيُغيمُ الصهاريجُ ويُفحقُ الحياضَ وَيَسقي رَيْعَهُ^(٣) خارجها مغارسَ الشجرِ ومنابتَ الحبِّ. فَبَيْتِ التي سَحَرَتِ الألبابَ رُوءَاءَ وَأَصْنَبَتِ النُّهى^(٤) جِلالاً وَوَجَدَ المادحونَ فيها المَقالَ فأطالوا وأطابوا... فأنا أُشيدُ ساكنها قولَ ابنِ خَفَاجَةَ^(٥) لاستحقاقها إياه عِندي:

ما جئةُ الخلدِ إلا في منازلكم؛ وهذه كُنْتُ، لو خَيْرْتُ، أختارُ.
لا تَتَّقوا بعدها أن تدخلوا سَفْراً، فليس تُدْخَلُ بعدَ الجَنَّةِ النارُ^(٦)!

وتوسّطت قُطراً ذا كُوبٍ عديدةٍ تعمُرُها أشاجُ^(٧) البربرِ والعربِ، مَرِيعةُ الجَنبَاتِ مُنْجِبَةٌ لِلحَيوانِ والنباتِ^(٨)، كريمةُ الفِلاحةِ زاكيةُ الإِصابةِ. فربّما انتهت في الزوج الواحدِ إلى أربعمائة مدّ كبير^(٩).....

٤- بغية الرواد (نشرة ألفرد بل)، الجزائر (مطبعة بير فوتانه) ١٣٢١ هـ وما بعد=١٩٠٣-١٩١٣ م.

* نفع الطيب، راجع ٦: ٣٨٩-٣٩٩، ٥١٠-٥١٣، ٥١٥-٥١٧، ٧: ١٣٣-١٣٥، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٣١-٨٣٢ (تحليل جيد للكتاب: بغية الرواد)، بروكلمن ٢: ٣١٢-٣١٣. الملحق ٢: ٣٤٠. الأعلام للزركلي ٩: ٢١١ (٨: ١٦٦). الفكر ١٢/٦٠.

- (١) علّ (يفتح العين) تكون معرفة ومبينّة على الضمّ بمعنى «من المكان العالي». وتكون نكرة ومعربه بمعنى «من مكان عالٍ». أي مكان كان. آس: متميّز الطعم، فاس.
الندب (بكسر فكون ففتح): مسل الماء من جانب الهر المسرب (يصح فكون ففتح): تمر الماء أو الحمة، إلح. المكورة (المسورة، المظاة). خلافاً: بسها (المارب قائمة بين الدانِب).
- (٢) بالمساجد: إلى المساجد (!). السباية: موضع السبايا. بالقصور (في القصور!).
- (٣) أعمم وأفحق: ملأ. الصهريج: حوض كبير للياه. الربع (ما يفيض من الشيء، أو يبنى بعد أخذ الحاجة منه).

(٤) اللب: العقل. الرواء: الجمال. الهى: العقل.

(٥) راجع. فوق ص ٣١٨: ٥.

(٦) لا تَتَّقوا: لا تخافوا. سفر: جهنم.

(٧) الكور جمع كورة: النبعة من الأرض فيها عدد من الثرى. معمرها: تسكنها وتبنى فيها. أشاج: أخلاط.

(٨) المريج: الحصبب (الكسر الغنّب). المسجب: الذي يسحب (بالياء للمجهول) وناح جيد.

(٩) زاكية الإِصابة... فربّما انتهت في الزوج... (٩).

ص ٣٢-٣٧؛ الأصلة ٣: ١٣ ص ٢١٣-٢٢٢ (الممود بو عياد - وفيه تحليل واف
للكتاب وتلخيص لقيمته)، ٤: ٢٦ ص ١٥١-١٥٢؛ معجم المطبوعات العربية ٩٧-١٩٨
معجم المؤلفين ١٣: ٢٢٨.

ابن مرزوق الخطيب

١- آلُ الخطيبِ في المغربِ أسرةٌ مشهورةٌ: كان مرزوقٌ من عَجِيسَةَ^(١) ومن أحياءِ
النصفِ الثاني من القرنِ الخامسِ للهجرة. ثم برزَت هذه الأسرةُ في التاريخ لما أخذ أبو
بكر بن مرزوقٍ نفسه بِخدمةِ المتصوِّفِ المشهورِ أبي مَدَيْنِ (ت ٥٩٤ هـ). وبعد أبي بكرٍ
توالى آلُ مرزوقٍ على خدمةِ مقامِ أبي مَدَيْنِ في جبلِ العبادِ المُطلِّ على مدينةِ تِلْمَسَانَ.

وصاحبُ هذه الترجمةِ هو شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ (أبو بكرٍ) محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ
ابنِ محمدَ بنِ أبي بكرٍ بنِ مرزوقِ العجيسيِّ ويُعرفُ بابنِ مرزوقِ الجَدِّ، تميَّزاً له من
حفيدهِ محمدٍ^(٢). وُلِدَ ابنُ مرزوقِ الخطيبِ الجَدُّ سنةَ ٧١٠ (١٣١٠-١٣١١ م) في
تِلْمَسَانَ، وفيها نشأ وتلقَى مبادئَ علمه. وفي سنةَ ٧٢٨ رَحَلَ بِصُحْبَةِ والدهِ أحمدَ
(٦٦٨-٧٤١ هـ) وَحَجَّ وطاقَ في مِصْرَ والحجازِ والشامِ ولقِيَ في أثناءِ هذا التَّطَوُّفِ
عدداً كبيراً من العلماءِ - زعموهم أَلَمِّيْنَ - وأخذَ عنهم. وفي سنةَ ٧٣٣ (١٣٣٣ م) عادَ
وحدهُ إلى المغربِ فجعله السلطانُ أبو الحسنِ عليُّ المُرَيْنيُّ (٧٣١-٧٥٢ هـ) صاحبَ
سِرِّهِ وخطيبَ منبره وأمينَ رسالته. وفي سنةَ ٧٤٨ (١٣٤٧ م) سَقَرَ له إلى صاحبِ
قشتالةِ أَلْفُونشَ الحادي عَشَرَ لعقدِ الصَّلحِ وفكِّ الأَسرى.

وفي سنةَ ٧٥٢ حَدَثَ نزاعٌ في البيتِ المالكِ في المغربِ ففادَرَ ابنُ مرزوقِ
المغربَ - في حديثِ طويلٍ - وجازَ إلى الأندلسِ واستقرَّ في غرناطةَ فجعله السلطانُ أبو
الحجاجِ يوسفُ خطيباً في جامعِهِ ومُقرئاً في مدرسته. ثم إنَّ اضطرابَ الأحوالِ في

(١) عَجِيسَةَ: اسمُ مكانٍ في الزابِ في جنوبيِ المغربِ (راجع تاريخ الجزائر العام ٢: ١٠٤)، قبيلة من البربر
(شدرات الذهب ٦: ٢٧١).

(٢) كان ابن مرزوق الحفيد من علماء الحديث (نفع الطيب ٥: ٥٢٠) ثم كان هنالك محمد الكفيف
(٨٢٤-٩٠١ هـ) من الخطباء والمحدثين، وهو ابن محمد الحفيد (راجع نفع الطيب ٥: ٤١٩).

المغرب وفي الأندلس حملَ ابنَ مرزوقٍ على التردّد بينهما مراراً وعرضه للنكبات وللحجّ في المغرب ثلاث مرّات. ومَلَ هذا القلق في الحياة فانتقل إلى تونس، سنة ٧٦٤، وتولّى بها الخطبة في جامع الموحدين. ثم إنَّ الأحوال ساءت بين الحفصيين سلاطين تونس والمرينيين سلاطين المغرب، فاختر ابنُ مرزوقٍ أن يرحلَ إلى مصر (في ربيع الأول سنة ٧٧٣) فنال فيها حظوةً عند الملك الأشرف شيمان وتولّى الخطابة والتدريس في أماكن كثيرة. وكانت وفاته في القاهرة في ربيع الأول من سنة ٧٨١ (مطلع الصيف من عام ١٣٧٩ م).

٢- كان ابن مرزوق الخطيبُ الجدُّ رجلاً وقوراً مع كثير من الظرف وقليل من الدعابة. وكان «عالم الدنيا» في أيامه (كما ذكرَ المقرئ في أماكن كثيرة من نفع الطيب) مشتغلاً بقراءة القرآن وبالحديث والتفسير وأصول الفقه وفروعه؛ ولكن شهرته كانت في الحديث. وله ترسلٌ ونظمٌ ليسا من الطبقة العليا، ولكنها يُستلآن عصره وينطقان بفضلِهِ، إذا نحن قسناها بشعر أمثاله من العلماء وبنثرهم. وكان أيضاً مُصنفاً، إلا أن كُتبه ضاعت سوى فهرسة شيوخه. فمن كُتبه: شرح الشفا في التعريف بمحقوق المصطفى^(١) (لبياض ت ٥٤٤ هـ) - شرح عمدة الأحكام عن سيّد الأنام^(٢) - شرح الأحكام الصغرى (العبد الحقّ بن الخراط الإشبيلي المتوفى سنة ٥٨١ هـ) - الإمامة^(٣) - عقيدة أهل التوحيد المُخرجة من ظلمات التقليد - إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب^(٤) - إيضاح المراد فيما تشتمل عليه الخلافة من الفوائد - المفاتيح

(١) المصطفى: محمد رسول الله.

(٢) فيه الأحاديث المطوية على الأحكام الشرعية، ولذلك يُلقب أيضاً باسم: عمدة الأحكام عن سيّد الأنام من أحاديث النبي عليه السلام (أو: في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام) وهو من تأليف عبد الغني أن عبد الواحد الجماعلي (ت ٦٠٠) وقد جمع ابن مرزوق في شرحه لهذا الكتاب بين شرح تميّ الدين ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢) وشرح عمر بن عليّ الفاكهاني (ت ٧٣٤) بالإضافة إلى زيادات كثيرة من عنده.

(٣) ضلّ عني العنوان الكامل لهذا الكتاب، وأظنّه في الكلام على البخاري ومسلم.

(٤) هو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب (ت ٦٤٦) وهو من النحاة ومن الفقهاء (كتابه المذكور هنا في الفقه).

المرزوقية لحلّ الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية أو^(١) شرح القصيدة الخزرجية المسماة: الرامة الثافية في علم العروض والقافية (لأبي محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الخزرجي الأندلسي المتوفى نحو سنة ٢٢٦) - تمهيد السالك إلى شرح ألفية ابن مالك - المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن^(٢) - النور البدر في التعريف بالفتية المقرئ^(٣)، إلخ.

٣- مختارات من آثاره

- قال ابن مرزوق الخطيب في المقرئ الجيد^(٤):

كان صاحبنا المقرئ معلوم القدر مشهور الذكر تبعه بعد موته، من حسن الثناء وصالح الدعاء، ما يرجى له النفع به يوم اللقاء^(٥). وعوارفه معلومة عند الفقهاء مشهورة عند الدهماء^(٦).

- عرف ابن مرزوق الخطيب أن لسان الدين بن الخطيب قادم إلى فاس برسالة إلى السلطان أبي عنان. فأرسل إليه مراكوباً (حصاناً لركوبه) ومعه رسالة فيها إشارة إلى فضل أبي عنان. من هذه الرسالة:

من قاس جود أبي عنان في الندى	بسواه، قاس البحر بالضحاح ^(٧) .
ملك يفيض على العفاة نواله	قبل السؤال وقبل بسطة راح ^(٨) .
فلجود كعب وابن سعدة في الندى	ذكر محاه عن نداء ماحي ^(٩) .

(١) لعلّ العنوانين لكتاب واحد.

(٢) هو السلطان المريني أبو الحسن علي بن سعيد (ت ٧٥٢).

(٣) راجع الحاشية التالية.

(٤) محمد بن محمد المقرئ (ت ٧٥٩ هـ) وهو جد أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١) مؤلف «نفع الطيب».

(٥) يوم اللقاء: يوم القيامة.

(٦) الدهماء: عامة الناس: سوادهم (الجانب الأعظم منهم).

(٧) الضحاح: الماء القليل الممق، القليل.

(٨) أفاض: سكب. العافي: الذي يطلب المطاء. النوال: المطاء.

(٩) كعب بن عامر من أحواد الجاهلية. وأما ابن سعدة ففرقه إحصان عباس (نفع الطيب ٦: ٦٤ ح) أنه

أوس بن حارثة الطائي (راجع أيضاً ابن الأثير ١: ٦٢٧). الندى: الكرم.

ما إن سَمِعْتُ - ولا رأيتُ - بمثله: من أَرَجِيَّ لِلنَّدى مُرتاح^(١).
 بَسَطَ الأمانَ على الأنامِ ، فأصَبَحوا قد أَلْحِنوا مِنْهُ بِظِلِّ جَناحِ^(٢).
 وَهَمَى على العافِينَ سَيِّبُ نَوالِهِ حتَّى حَكَى سَحَّ الغمامِ السَّاحِي^(٣).

فالحمد لله، يا سيدي وأخي، على نعيمه التي لا تُحصى حَمْدًا يُومُّ بنا جميعاً المُقَصِّدِ الأَسْنَى^(٤) فيبلغُ الأمدَ الأقصى. فطالَبا كان مُعْظَمُ سيدي للأسي في خَبالٍ، وللأسفِ بينَ اشتغالِ بالٍ واشتغالِ بِلِبالِ^(٥). ولقد وِميَكُم على هذا المقامِ المُولَوِيِّ^(٦) في ارتقابِ، ولوا عيِدِكُم بذلك في تَحَقُّقِ وقوعِهِ من غيرِ شكٍّ ولا ارتيابِ... وليسيدي الفضلُ في قَبولِ مَرَكوبِهِ الواصلِ إليه بِسَرَجِهِ ولِجامِهِ. فهو مِن بعضِ ما لَدَي المُعْظَمِ من إِحسانِ مولاةٍ وإِنعامِهِ^(٧). ولعمري، لقد كان وافداً على سيدي من سُنَّتِهِ مَعَ غيرِهِ. فالحمد لله، يَسِّرَ في إيصالِهِ على أَفضَلِ أحوالِهِ^(٨).

- كَتَبَ لِسَانِ الدِّينِ بنِ الخَطِيبِ فَصلاً في «الإحاطة» عن ابنِ مرزوقِ، وقال في هذا الفصلِ: «أَحَسَّتْ مِنْهُ... صاغيةٌ إلى الدُّنيا وحينئذٍ لما بَلَاهُ اللهُ مِنْ غُرُورها^(٩)». واطَّلَعَ ابنُ مرزوقِ على هذا الفصلِ (بعدَ النَكْبَةِ التي حَلَّتْ بِلِسَانِ الدِّينِ)، فَفَلَّقَ على

- (١) الأَرَجِيُّ: الواسع الخلق المرتاح (الذي يرتاح: يسر) بأعمال الكرم.
- (٢) ألحَف فلان فلاناً: اشتري له لحافاً، ألبسه ثوباً (عطاءً، ستره). - ولو قال: قد ألحنوا من ظله بجناح لكان هو أشعر وكان التركيب أمثن ولفظاً الوزن صحيحاً.
- (٣) همى: سال بكثرة. السيب: الفيض. سح: سال. الساحي (المطر) الهاطل بكثرة حتَّى أَنَّهُ يجرف ما فوق سطح الأرض.
- (٤) يَوْمٌ: يقصد، يتَّجه إلى. المقصد: الغاية. الأَسْنَى: الأعلى.
- (٥) الأَسْنَى: الحزن. الخبال: ضعف العقل. اللبالب: شدة الهم، الوسواس. «كان مُعْظَمُ سيدي للأسي»: أكثر أيام أحزان (٤).
- (٦) المقام المولوي (نسبة إلى مولي): بلاط أبي عنان في فارس.
- (٧) المُعْظَمُ (يكسر الظاء المُتَدَدَة): ابن مرزوق نفسه! من إِحسانِ مولاة (لسان الدين بن الخطيب!) على سيدي (لسان الدين بن الخطيب).
- (٨) كان ابن مرزوق قد تسلَّم هدية من الخيل هذا الحصان أحدها (٩).
- (٩) صاغية الرجل: خاصته المتألمة إلى اتِّباعِهِ (المحم الوسيط ٥١٨) - يقصد: ميلاً إلى الدنيا. - حينئذٍ لما بلاه الله (انتحه، أصابه) من غرور (الدنيا): باطلها. - إشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب كان قبل نكبته قد أحبَّ الدنيا مع ما كان يعلم من باطلها.

هذا الفصل بما يلي:

تَوَهَّمَ مَا لَا يَفْعُ (١)، بَلْ لَمَّا تَجَلَّتْ عَنِّي سَحْبُ النَكْبَةِ وَالْإِمْتِحَانِ جَزَمْتُ بِالرَّحْلَةِ
وَعَزَمْتُ عَلَى النَّقْلَةِ (٢). وَنَفَرْتُ مِنْ خِدْمَةِ السُّلْطَانِ وَمِلَازِمَةِ الْأَوْطَانِ. وَالْعَجَبُ كُلُّ
الْعَجَبِ أَنْ جَمِيعَ مَا خَاطَبْتَنِي بِهِ - أَبْقَاهُ اللَّهُ تَعَالَى - تَحَلَّى بِهِ أَجْمَعًا، وَابْتُلِيَّ بِمَا مِنْهُ
حَذَرٌ (٣). فَكَأَنَّهُ خَاطَبَ نَفْسَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ. فَاللَّهُ تَعَالَى يُحْسِنُ لَهُ الْخَاتَمَةَ وَالْخَلَاصَ (٤).

- في نفع الطيب (٥: ٣٩٧-٤٠٢) مَوْلِدِيَّة (قَصِيدَةٌ فِي مَوْلِدِ الرَّسُولِ) طَوِيلَةٌ
(١١٧ بيتاً) بَارِعَةٌ نَقَلَهَا الْمُقْرِيُّ عَنْ «الإحاطة» لِلسَّانِ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ، وَذَكَرَ أَنَّ
لِسَانَ الدِّينِ قَدَمَهَا بِقَوْلِهِ: «وَمِنْ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مَحَاسِنِهِ مَا أُشِيدَ عَنْهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ لَيْلَةُ
الْمِيلَادِ الْمُعْظَمِ مِنْ عَامِ ٧٦٣ (٥)». ثُمَّ قَالَ الْمُقْرِيُّ إِنَّ لِسَانَ الدِّينِ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ إِنَّ
الْقَصِيدَةَ لَيْسَتْ لِابْنِ مَرْزُوقٍ (٦) بَلْ هِيَ مَقُولَةٌ عَلَى لِسَانِهِ وَمُنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ. وَرَأَيْتُ الْمُقْرِيَّ أَنَّهَا
لِابْنِ مَرْزُوقٍ نَفْسِهِ. وَالْوَاقِعُ أَنَّ نَفْسَ الْقَصِيدَةِ مُخْتَلَفٌ مِنَ النَّفْسِ السَّائِدَةِ فِي الشَّعْرِ الَّذِي
قَالَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ. وَسَاقِفٌ بِجَانِبِ الْمُقْرِيِّ وَأُورِدُ فِيمَا يَلِي جَانِبًا وَافِيًا مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

وَصِيفٌ لَجِيْرَانِ الْجِمَى وَجَنْدِي بِيْهَمٍ وَسَهْرِي .
وَحَقِّيْمٌ، مَسَاقِفٌ غَيْرَتُ وَوَدِي صُرُوفُ الْغَيْرِ (٧).
لَهُ عَهْدٌ فِيهِ، قَضَى ضَيِّبْتُ، حَيْمِدُ الْأَثَرِ .

(١) ظنَّ لسان الدين بن الخطيب ما ليس صحيحاً في سلوك ابن مرزوق.

(٢) النقلة (بالفتح): صوت الليل، (وبالكسر): المرأة التي لا تُخَطَّبُ لِكَبْرِ سَهْمِهَا، (وبالضم): النسيمة.
المقصود: الانتقال، هجر المكان.

(٣) حذرتي من شيء (لم يكن في) ثم وقع هو فيه.

(٤) فالله تعالى يحسن له الخاتمة (ختام حياته) والخلاص فيها. وفي هذا دلالة على أن ابن مرزوق كتب هذه
الملاحظة حينما كان لسان الدين منكوباً ومسجوناً.

(٥) مولد الرسول في الثاني عشر من ربيع الأول. وذكرى مولده سنة ٧٦٣ يقع في ٩ / ١ / ١٣٦٢ م.

(٦) يقول إحصان عباس (نفع الطيب ٥: ٣٩٧ ح): لم ترد هذه القصيدة في «الإحاطة». ولا ريب في أنه
يقصد في «مخطوطات الإحاطة» لا في النسخة المطبوعة فقط.

(٧) صروف الغير: تقلب أحداث الدهر.

أَيَّامُهُ هِيَ السَّقِي وَيَا لَيْلٍ فِيهِ، مَا
عَيْبَ بغيرِ القِصْرِ. المُمْرُ قَيْنَانٌ وُوجِدَ
هُ الدَّهْرُ طَلَّقَ الغُرَّ (١). والشَّمْلُ بِالْأَحْبَابِ مِنْ
ظُومٍ كَنَظْمِ السُّدُرِ: صَفْوٌ مِنَ العَيْشِ بِسَلَا
شَائِبَةٍ مِنْ كَسَدِ. عَهْدِي بِحَادِي الرُّكْبِ كَالِ
وَرَقَاءٍ عِنْدَ السَّحَرِ (٢). لَيْتَكَ، لَيْتَكَ، إِذْ
عَةِ الخَلْقِ بَارِي الصُّورِ (٣). وَلَا حَسْبَ الكَعْبَةِ يَدِ
تُ اللهُ ذَاتُ الأَثَرِ (٤). تَمَّ ثَنَوْنَا نَحْوَ رَسُو
لِ اللهُ سَيَّرَ الضُّمَّرَ (٥)، فَعَايَنُوا فِي طَيِّبِيَّةِ
لِ اللهُ نَوْرٍ نَيَّرَ (٦). رَأَوْا رَسُوْلَ اللهِ وَانْسَبُوا
شَفَّوْنَا بِلَهْمِ الجُودِ (٧). زِيَارَةُ المَهَادِي الشَّفِيَّةِ
عِ جَنَّةٍ فِي المَحْشَرِ (٨). رَبَّعٌ بِهِ مُسْتَنْزَلٌ إِلَيْهِ
وَالسُّورِ (٩)،

- (١) فَبَان: طَوِيلُ الشَّرِّ (المَقْصُودُ: لَا يَزَالُ فِي العَمْرِ مَنُوعًا). الفَرَّةُ: شَرُّ مَقْدَمِ الرَّأْسِ. طَلَّقَ: وَاضِحٌ، مَشْرُقٌ، ضَاكٌ. طَلَّقَ الغُرَّ: مَرُورٌ.
- (٢) حَادِي (مَاتِقٌ) الرُّكْبِ (المَجَاعَةُ المَسَاغِرُونَ مَعًا). إِنَّ صَوْتَ الحَادِي (مَعَ آتِهِ فِي العَادَةِ بِكُونِ غَلِيظًا) هُوَ هُنَا مَجَّيَّبٌ كَصَوْتِ الوَرَقَاءِ (المَهَامَةُ) فِي السَّحَرِ (الصَّبَاحِ) لِأَنَّهُ يَسِيرُ نَحْوَ مَكَّةَ لِلحَجِّ.
- (٣) لَيْتَكَ اللهُ لَيْتَكَ: دَعَاءٌ يَجْهَرُ بِهِ المَحْجَّاجُ فِي اتِّجَاهِهِمْ نَحْوَ مَكَّةَ. لَيْتَكَ (اسْمُ فِعْلٍ): أَنَا مَقِيْمٌ عَلَى طَاعَتِكَ وَاسْتِجَابِ لِدَعَائِكَ!
- (٤) الأَثَرُ: الرُّوْتِقُ وَالمَجَالُ.
- (٥) تَمَّ: رَدٌّ، عَطْفٌ (تَابِعُ السَّيْرِ فِي اتِّجَاهِ آخَرَ) نَحْوَ قَبْرِ رَسُوْلِ اللهِ (فِي المَدِينَةِ). «سَيَّرَ» مَفْعُولٌ بِهِ مِنْ «ثَنَوْا». الضُّمَّرُ (المَخِيلُ وَالتَّبَاقُ الضَّامِرَةُ، النَحِيلَةُ. وَتَكُونُ سَرِيْعَةً).
- (٦) طَيِّبِيَّةٌ: مَدِينَةُ الرُّسُوْلِ.
- (٧) رَأَوْا قَبْرَ رَسُوْلِ اللهِ.
- (٨) المَهَادِي التَّفِيحُ (رَسُوْلُ اللهِ) هَدَى النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَسَيَفْعُ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ لِإِنْقَاذِ المَذْنِبِينَ غَيْرِ المُشْرِكِينَ مِنَ عَذَابِ النَّارِ. المُنَّةُ: الوَقَاةُ. المَحْشَرُ: يَوْمُ المَحْشَرِ، يَوْمُ القِيَامَةِ.
- (٩) المَكَانُ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الوَحْيُ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ.

وَمُلْتَقَى جَبْرِيلَ بِالْهَادِي الزَّكِيَّ الْمُعْصِرَ (١)؛
 مُنْتَخَبُ اللَّهِ وَمُخَذُّ تَارُ الْوَرَى مِنْ مُضَرَ (٢)
 ذُو الْمُعْجَزَاتِ الْغُرِّ أَمْ شِئَالِ النُّجُومِ الزُّهْرُ.

* * *

يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ عَلَى الْإِسْلَامِ
 يَا مَنْ لَدَى مَوْلِدِهِ الْإِسْلَامُ
 إِيْوَانُ كِسْرَى ارْتَجَّ إِذْ لَسْتُ
 لِسِيهِ وَخَيْرِ الْبَشَرِ، مَقْدَسُ الْمَطَهَّرِ
 ضَاءَتْ قُصُورُ قَيْصَرَ (٣).

* * *

يَا وَيْحَ نَفْسِي، كَمْ أَرَى
 وَاحْشِرْنِي مِنْ قَلْبَةِ الزُّهْرِ
 ضَيَّعْتُ فِي الْكَبِيرَةِ مَا
 لَيْسَ مِنْ مَرٍّ مِنْ الْإِسْلَامِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَنْسَى
 هَلْ أَرْجِي مِنْ عَوْدَةٍ
 فَأُبْرِدَ الْغَلَّاسَةَ مِنْ
 فِي غَفْلَةٍ مِنْ عُمْرِي!
 زَادَ وَيْقَعِدِ الْبُحْرَى
 أَعْدَدْتُ لَهُ فِي صَيْغَرِي
 أَيُّسَامَ بِالْمُنْتَظَرِ
 تَسْرَقُ طَيْبُ الْعُمْرِ،
 أَوْ رَجَعْتَهُ أَوْ صَدَرَ (٤)
 ذَاكَ الزُّلَالِ الْخَصِيرِ (٥).

* * *

يَا ابْنَ الْإِمَامِ الطَّاهِرِ الْإِسْلَامِ
 مَذْحُوكٌ قَدْ عَلِمَ نَظْمَ
 جَبْرَ الزَّكِيَّ السَّيِّرِ (٦)
 مَ الشَّعْرِ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ.

(١) الهادي (الرسول) الزكيّ (الطاهر) المعصم (الأصل).

(٢) مضر: عرب الشمال (المقصود: من العرب).

(٣) أرنيج: أهنر، تزلزل. في التاريخ أنّ إيوان كسرى تهدم منه بزلزال في نحو الوقت الذي ولد فيه الرسول.

(٤) عودة إلى الحجّ وزيارة المدينة. الصدر (بفتح ففتح): الرجوع (من الحجّ وقد تقبل الله حجّي).

(٥) الطلة: العطش (التوق الشديد إلى زيارة مكة والمدينة). الزلال: الماء الصافي. الخصر: البارد.

(٦) لآ قبلت هذه القصيدة، سنة ٧٦٣، كان ابن مرزوق لا يزال في المغرب، وكان السلطان يومذاك محمد بن يعقوب (٧٦٢-٧٦٧ هـ). والأبيات طبعاً مديح. الزكيّ البيرة (تمت الحياة): الطاهر السلوك.

جَهْدُ الْقِلِّ الْيَوْمَ مِنْ مِثْلِي كَوْنِعِ الْمَكْتَبِ (١).
فَلِإِنْ يُقَصِّرَ ظَاهِرِي، فَلَمْ يُقَصِّرْ مُضْمَرِي!

- من المُسْنَدِ الصَّحِيحِ الْحَسَنِ مِنْ أَحَادِيثِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ (٢):

لَمْ يَزَلْ (٣) (هَذَا) (١) دَابَّةً (٥)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فِي حَالِ إِمَارَتِهِ وَخِلَافَتِهِ (٦) - فَهُوَ
بِمَدِينَةِ فَاسٍ حَرَسَهَا اللَّهُ الْآثَارُ الْجَمِيلَةَ وَالْبِنَايَاتُ الْحَفِيظَةَ كَمَسْجِدِ الصَّفَّارِينَ وَمَسْجِدِ
حَلْقِي النَّعَامِ (٧)، وَكَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا غَايَةً فِي الْكِبَرِ وَالضَّخَامَةِ. وَصَوْمَةٌ (٨) كَلَّ وَاحِدٍ
مِنْهَا غَايَةً فِي الْارْتِقَاعِ وَالْحُسْنِ. وَ(لَهُ) مَسَاجِدُ عِدَّةٌ وَصَوَامِعُ. وَبِالْمَدِينَةِ الْبَيْضَاءِ كَذَلِكَ.
وَبِالنُّصُورَةِ مِنْ مَدِينَةِ سَبْتَةَ الْجَامِعِ الْمُتَّصِلِ بِالْقَصْرِ السَّعِيدِ، وَهُوَ جَامِعٌ حَافِلٌ وَصَوْمَعَتُهُ
حَافِلَةٌ (٩)....

وَأَمَّا الْجَامِعُ الْكَبِيرُ فَقَدْ آتَفَقَ الرَّحَالُونَ وَأَجَعَ الْمُتَجَوِّلُونَ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا لَهُ
ثَانِيًا - (وَإِنْ كَانَ) جَامِعُ بَنِي أُمَيَّةَ (قَدْ) تَمَّ حُسْنُهُ لَمَّا كَمَّلَ تَرْتِيبُ وَضْعِهِ . وَ(لَوْ)
كَمَلَتْ تَبَيَّاتُ هَذَا الْجَامِعِ لَمَّا قَصَرَ عَنْهُ.

(١) الجهد: أقصى ما يستطيع الإنسان بذله. جهد المقلّ (الفقير): الشيء الذي يستطيعه المقلّ. الوسع: ما يقدر عليه الإنسان - المقدار القليل من الفقير كالمقدار الكبير من الغني.

(٢) أبو الحسن عليّ بن عثمان عاشر سلاطين بني مرين (٧٣٢ - ٧٤٩ هـ) في المغرب. وقد جالس ابن مرزوق هنا بين «الحسن» اسم السلطان و«الحسن» من مراتب الأحاديث الرويَّة عن رسول الله. المسد هو الحديث الواصل بروايته إلى الرسول. والصحيح: الحديث المرفوع المتصل بنقل عدل ضابط في التحري والأداء سالمًا من شذوذ وعلّة (المعجم الوسيط ٥١٠) أي هو الحديث الذي رواه ثقات معروفون متصلو الرواية إلى رسول الله. الحسن: هو الحديث الذي عُرف بخرجه واشتهر رجاله (المعجم الوجيز ١٥١). أحاديث (هنا): أخبار.

(٣) لم يزل السلطان أبو الحسن.

(٤) إضافة بقتصبا المسمى.

(٥) الدأب: العادة والتأب.

(٦) في خلافته (أبام ملكه) وإمارته (قبل أن يتولّى الملك).

(٧) الحفيلة: الكثيرة (أو الكثير السكان). الصفارين: سوق الدين يعملون الأدوات النحاسية. حلق النعام: (اسم موضع).

(٨) الصومعة: المئذنة.

(٩) حافل (كثير المصلّى). حافلة:.....

وجامع المنصور بِمَرَاكِشَ (وهو) الذي تُضْرَبُ به الأمثال.... أكبرُ مِسَاحَةٍ، إلَّا أن ما كان في هذا (الجامع) من الرُّخَامِ والإِحْكَامِ^(١) أغْرَبُ وأَعْظَمُ. ولا شكَّ (في) أن صَوْمَعَتَهُ لا تَلْحَقُ بِهَا صَوْمَعَةٌ في مِشَارِقِ الأَرْضِ ومِغَارِبِهَا. صَعِدْتُهَا غَيْرَ مَرَّةٍ مَعَ الأَمِيرِ أَبِي عَلِيٍّ النَّاصِرِ، وَهُوَ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى فَرْسِهِ وَأَنَا عَلَى بَغْلَتِي^(٢)، من أسْفَلِهَا إلى أَعْلَاهَا، وَكَأَنَّا في وِطَاءٍ^(٣) من الأَرْضِ. وَكَانَتْ عَلَى البَابِ الجَوْفِيِّ^(٤) مِنْهُ، وَلَهَا مَجْرِيَانِ يُطْلَعُ فِيهَا إلى أَعْلَاهَا. وَكَانَتْ مُحْكَمَةَ البِنَاءِ وَالنَّجَارَةِ فِي الأَحْجَارِ بِصِنَاعَةٍ مُخْتَلَفَةٍ^(٥) من الإِحْكَامِ فِي كُلِّ جَانِبٍ.

..... وهذه الزوايا التي يُطْلَقُ عَلَيْهَا في المِشْرِقِ الرُّبُطُ. وَالحَوَاتِقُ وَالحَانِئَاتُ عِلْمٌ عَلَى الرُّبُطِ، وَهُوَ لَفْظٌ أَعْجَمِي^(٦). وَالرُّبَاطُ فِي أَصْطِلَاحِ الفُقَرَاءِ عِبَارَةٌ عَنِ احْتِسَابِ النَّفْسِ فِي الجِهَادِ وَالحِرَاسَةِ^(٧)، وَعِنْدَ المُتَّصِفَةِ عِبَارَةٌ عَنِ المَوَاضِعِ الَّتِي يُتَبَرَّزُ فِيهَا لِلعِبَادَةِ..... قُلْتُ: وَالظَّاهِرُ أَنَّ الزَوَايَا عِنْدَنَا فِي المَغْرِبِ هِيَ المَوَاضِعُ المُتَمَدِّةُ لِإِرْفَاقِ الوَارِدِينَ وَإِطْعَامِ المُحْتَاجِ مِنَ القَاصِدِينَ^(٨). وَأَمَّا الرُّبُطُ عَلَى مَا هُوَ المُصْطَلَحُ عَلَيْهِ فِي المِشْرِقِ فَلَمْ أَرَ فِي المَغْرِبِ عَلَى سَبِيلِهَا وَنَمَطِهَا^(٩) إلَّا رِبَاطَ سَيِّدِي أَبِي مُحَمَّدٍ صَالِحِ وَالزَّوَايَةِ المُنَسُوبَةِ لِسَيِّدِنَا أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عُمَرَ، نَعَى اللهُ بِهِ، بِسَلَى، غَرْبِي الجَامِعِ

(١) الإِحْكَامُ (بِالكَسْرِ): الدَقَّةُ وَالإِتْقَانُ.

(٢) الصَّوْدُ فِي هَذِهِ المُتَدَنَةِ لَا يَكُونُ عَلَى دَرَجٍ بَلْ عَلَى سَطْحٍ مَائِلٍ (وَقَدْ صَدَدْتُ أَنَا إِلَى أَعْلَى صَوْمَعَةِ الكُتَيْبَةِ فِي مَدِينَةِ مَرَاكِشَ، فَكَانَ الصَّوْدُ إِلَيْهَا أَسْهَلُ وَأَقَلَّ إِرْهَاقًا مِنَ الصَّوْدِ عَلَى دَرَجٍ).

(٣) وِطَاءٌ: الأَرْضُ الوَاطِئَةُ المُتَوَاتِرَةُ.

(٤) الجَوْفِيُّ: القَبْلِيُّ (المُتَّجِهَ إِلَى جِهَةِ مَكَّةَ. وَبِمَكِّيٍّ أَنْ تَقَالَ عَلَى جِهَةِ الجُوبِ).

(٥) النَّجَارَةُ: (العَمَلُ فِي الحَشَبِ). بِصِنَاعَةٍ مُخْتَلَفَةٍ (ذَاتُ أَشْكَالٍ مُخْتَلَفَةٍ مِنَ التَّزْيِينِ).

(٦) الحَوَاتِقُ وَالحَانِئَاتُ جَمْعُ حَانِيَاءَ (بِكَافٍ مَعْقُودَةٍ) مِنَ اللُّغَةِ الفَارَسِيَّةِ: بَيْتُ المَلِكِ (مَسْكَنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ الدَّرَاوِيشُ وَالصَّوْفِيَّةُ جَمَاعًا، وَيَقُومُونَ فِيهِ بِعِبَادَتِهِمْ).

(٧) الفُقَرَاءُ (الصَّوْفِيَّةُ). وَبَلَسْتُ هُنَا فِي مَكَانِهَا. الرِّبَاطُ يَكُونُ فِيهِ مَحَارِبُونَ لِلدَّفَاعِ عَنِ حُدُودِ البِلَادِ الإِسْلَامِيَّةِ.

(٨) لِنَفْعَةِ المَافِرِينَ الوَاصِلِينَ إِلَى ذَلِكَ المَكَانِ (شِبْهُ الفُنْدُقِ؟).

(٩) النَّمَطُ: الشَّكْلُ، المِثَالُ.

(١٠) سَلَى = سَلَا: بَلَدَةٌ إِلَى شِمَالِ مَدِينَةِ الرِّبَاطِ. غَرْبِي (أَقْرَأُ: غَرْبًا). الغَرْبِيُّ هُوَ الجَانِبُ العَرَبِيُّ مِنَ المَكَانِ (وَيَكُونُ دَاخِلًا فِيهِ). «غَرْبٌ» (ظَرْفٌ): إِلَى الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ مِنَ المَكَانِ (وَلَا تَكُونُ دَاخِلَةً فِيهِ: رَأْسُ بَيْرُوتَ هُوَ غَرْبِي مَدِينَةِ بَيْرُوتَ. وَبَيْرُوتَ غَرْبُ دِمَشْقَ: تَمَعُ فِي الغَرْبِ مِنْ دِمَشْقَ).

الأعظم منها . ولم أر لها ثالثاً على نحوها في ملازمة السكّان وصفاتهم وشبههم بمن ذكره ،
نفع الله بهم .

٤- المسند الصحيح في أحاديث أبي الحسن (قطعة بتحقيق ليبي بروفنسال) ، مع ترجمة لابن
مرزوق (بالفرنسية) والنصّ (بالعربية والفرنسية) ، من مجلّة (المجلد الخامس ،
١٩٢٥ م) ، باريس (لاروز) .

★ الدرر الكامنة ٣ : ٣٦٠ - ٣٦١ : الإحاطة (الفاخرة ١٣١٩ هـ) ٢ : ٢٢٣ وما بعد ؛
الديباج المذهب ٣٠٥ - ٣٠٩ : نيل الابتهاج ٢٦٧ - ٢٧٠ : بغية الوعاة ١٨ - ١٩ ؛
شذرات الذهب ٦ : ٢٧١ - ٢٧٢ : نفع الطيب ٥ : ١٥٢ - ١٥٣ ، ٢٠٠ - ٢٠١ ، ٢٢٤ ،
٢٧٩ ، وما بعد ٦ : ١١ - ١٢ ، ٦٤ - ٦٥ : شجرة النور الزكية ٤٣٦ : الاستقصا ٢ :
٩٤ - ٩٥ : دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٨٦٦ (راجع عن أسرته ٣ : ٨٦٥ - ٣٦٨) تاريخ
الجزائر العام ٢ : ١٠٢ - ١٠٥ : معجم أعلام الجزائر ١٤٠ - ١٤١ ؛ بروكلمن ٢ : ٣١٠ ،
المحقق ٢ : ٢٣٥ - ٢٣٦ : الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٦ (٥ : ٣٢٨) ؛ الأصالة (مجلّة) ٤ : ٢٦ ،
ص ١٤٣ و ١٠٦ ؛ دودو (كتب وشخصيات) ٢٩ - ٤٦ ؛ معجم المؤلفين لكحالة ٩ : ١٦ .

أبو سعيد بن لبّ

١- هو أبو سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لبّ التعلّبيّ الشاطبيّ الغرناطيّ ، وُلِدَ
سنة ٧٠١ هـ (١٣٠١ - ١٣٠٢ م) . قرأ القرآن الكريم بالسّبع على أبي الحسن
القيجاطي^(١) وروى الحديث عن ابن جابر الوادي أشي وأخذ العربية (النحو) عن ابن
الفخّار وأبي حيّان الغرناطي . ثمّ إنّه أقرأ في المدرسة النّصّرية ، ابتداءً من ثامن عشر
رجب من سنة ٧٥٤ (١٣٥٣/٨/١٨ م) . وكانت وفاته في ذي الحجّة من سنة ٧٨٢
(آذار - مارس ١٣٨١ م) .

٢- كان أبو سعيد بن لبّ فقيهاً ماهراً في القراءات ، عارفاً بالتفسير شاركاً في
أصول الدين وأصول الفقه وفي الفرائض ، بارعاً في علوم الأدب جيّد النظم والنثر ،
تغلّب على نظمه الصبغة الدينية . وكانت له تاليف منها : شرح الزجاجي^(٢) - شرح

(١) أبو الحسن علي بن عمر القيجاطي (٦٥٠ - ٧٣٠ هـ) من علماء النحو تولّى الخطابة (في صلاة الجمعة) في
غرناطة ومات فيها .

(٢) لعله شرح كتاب «المجل الكبير» (في النحو) لأبي القاسم الزجاجي (ت ٣٤٠ هـ) .

٣- مختارات من شعره

- قال أبو سعيد بن لبّ قصيدة في مدح رسول الله، منها:

تروم جفوني لنـارِ الهوى خموداً قتهمي دُموعاً غزاراً^(١) :
 فإء جفوني يسحّ انبهاً ونار فؤادي تهيج استماراً^(٢)
 أحنّ اشتياقاً لريح سرت وأبدي هياماً لبرق أنسار^(٣)
 فإ فوز من فاز في طيبة بلثم المغاني جداراً جداراً^(٤) ؛
 وألصق خدّاً على ترّبها وأكمل حجّاً بها واعتباراً^(٥) !
 فإ هادي الخلق دار نعيم تناهت جلاً وطابت قراراً^(٦) ،
 لأنت الوسيلة والمرجى ليوم يرى الناس فيه سكارى
 وما هم سكارى، ولكنهم ذهنتهم ذواه فهموا حيارى^(٧) :
 ترى المرء - للهول - من أمه ومن أقربيه يطيل الفراراً^(٨) .

- وقال في وداع شهر رمضان:

أزمنت، يا شهر الصيام، رحيلاً؟ وقاربت، يا بذر الزمان، أفولاً^(٩) ؟

- (١) رام: طلب. الخمود: الانطفاء. همى المطر: انسكب وسال.
- (٢) سحّ: سال من أعلى إلى أسفل. اجهلت السماء = هملت: دام مطرها. استمرت النار: اشتد اشتغالها.
- (٣) الهيام: الخنون من العشق.
- (٤) طيبة: المدينة (على ساكنها أفضل السلام). المغنى: المكان السكنون.
- (٥) الحجّ: القيام بالناسك. في مكة في موسم الحجّ (٨-١٠ من ذي الحجة، آخر أشهر السنة الهجرية).
- (٦) «دار» مفعول به من «هادي». تناهت: بلغت الحد الأقصى. الفرار: المستقر: البقاء الدائم.
- (٧) ليوم يرى الناس فيه سكارى وما هم سكارى - اقتباس من القرآن الكريم في وصف هول يوم القيامة ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد﴾ (٢٢: ٢، سورة الحج).
- (٨) في هذا البيت أيضاً اقتباس: ﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (٨٠: ٣٤-٣٦، سورة عس).
- (٩) أزمع: عزم، أراد. الأفول: الغياب.

أَجْدَكَ! قَدْ جَدَّتْ بِكَ الْآنَ رَحْلَةٌ؟ رُوَيْدَكَ! أُمَيْكُ لِلْوَدَاعِ قَلِيلًا (١).
 نَزَلْتُ فَأَزْمَعْتُ الرَّحِيلَ كَأَنَّا نَوَيْتُ رَحِيلًا إِذْ نَوَيْتَ نَزُولًا.
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ أَهْلَكَ قَدْ مَضَوْا: تَفَانُوا فَأَبْصَرْتَ الدِّيَارَ طُلُولًا (٢).

- وقال في السيب:

خُذُوا لِلْهُوَى مِنْ قَلْبِي الْيَوْمَ مَا أَنْقَسِي،
 فَمَا زَالَ قَلْبِي كُلُّهُ لِلْهُوَى رِقًّا.
 دَعُوا الْقَلْبَ يَصْطَلِي فِي لَطْفِ الْوَجْدِ نَارَهُ فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَوْنَ بَعْضُ الَّذِي أَلْتِي (٣).
 فَإِنْ كَانَ عَبْدٌ يَسْأَلُ الْعَتَقَ سَيِّدًا، فَلَا أُنْبَغِي مِنْ مَالِكِي فِي الْهُوَى عَتَقًا.
 بَدَعُوا الْهُوَى يَدْعُو أَنَسًا، وَكُلُّهُمْ إِذَا سُئِلُوا طُرُقَ الْهُوَى جَهَلُوا الطَّرْقًا (٤).
 فَطُرُقَ الْهُوَى شَتَّى، وَلَكِنَّ أَهْلَهُ يَحُوزُونَ فِي يَوْمِ السِّيَاقِ بِهِ السَّبْقًا (٥).
 وَكَمْ جَمَعَتْ طُرُقَ الْهُوَى بَيْنَ أَهْلِهِ،

فَحَيْثُ تَرَى سِيَمَا الْهُوَى فَاعْرِفِ الصِّدْقًا (٦).
 فَمِنْ زَفْرَةٍ تُزْجِي سَحَابَيْبَ عَبْرَةٍ، إِذَا زَفَرَتْ تَرُقِي فَلَا عَبْرَةَ تَرُقَا (٧).
 إِذَا سَكَنُوا عَنْ وَجْدِهِمْ أَعْرَبَتْ بِهِ بَوَاطِنُ أَحْوَالٍ وَمَا عَرَقَتْ نُطْقًا (٨).

(١) أجذك: استحلفك بحقيقتك! جدت: حدثت بعد أن لم تكن، و(ها): أمرعت (لأنَّ شهر رمضان أصبح

في أواخره فبدأ انقضاؤه أسرع مما كان يبدو في أوائله). رويدك: تمهل!

(٢) أهلك قد مضوا: (سكان الأندلس الآن قتلوا، وأصبحوا أقل قوة وفخامة مظهر مما كانوا).

(٣) صلي: شعر بجزء (النار). لطفى: جهنم (شدة حر النار). الوجد: الحب الشديد.

(٤) - صحة الحب لا تكون بالدعوى، بل باللوك (بحال المرء تجاه محبوبه).

(٥) «عند السرى» (راجع الكنية الكاملة ٦٩، السطر الأول) - وفي نفع الطيب (٥: ٥١٢، السطر

السادس): «عند الوى» (بضم الين أو كسرهما): العدل، الاعتدال، الوسط، الناس الآخرين، المثل،

النظير، الشبيه). السرى: السير في الليل (وقت الجد في السير - لأنَّ العرب القدماء كانوا يافرون في

الليل لقلَّة الحرِّ فيه ويستريحون في النهار عند اشتداد الحرِّ).

(٦) السياه: العلامة.

(٧) الزفرة: إخراج نفس حارَّة (لشدة الحزن). أزجي: أرسل، سبب. العبوة: الدفعة. ترقى: تصعد (من

الصدر). ترقأ: تحفأ، (ينقطع صاحبها عن البكاء).

(٨) الوجد: الحب الشديد. - في هذا البيت ما يدلُّ على شمه من الاتِّعاه الصوفي.

٤- ** الكيبة الكامنة ٦٧-٧٠؛ الدياج المذهب ٢٢٠-٢٢١؛ نيل الابتهاج ٢١٩-٢٢١؛ بغية الوعاة ١٣٧٢؛ شذرات الذهب ٦: ٢٨٠-٢٨١؛ نفع الطب ١٠٨-١٠٩، ٢٦٥، ٥٠٩-٥١٤، ١٥٢٥ بروكلن ٢: ٣٣٦، الملحق ٢: ٣٧١؛ مختارات نيكل ١٩٦-١٩٧؛ الأعلام للزركلي ٥: ٣٤١ (١٤٠)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٨: ٥٨.

أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي

١- هو أبو جعفر^(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزي، من أهل غرناطة، وُلِدَ سَنَةَ ٧١٥ هـ (١٣١٥-١٣١٦ م). تَلَقَى العِلْمَ على والده وعلى نَفَرٍ آخَرِينَ ثم دَخَلَ في خِدْمَةِ الدولة، في خُطْبَةِ الكِنَاةِ، في أوائل أيام أبي الحجاج يوسف الأول^(٢) سابع ملوك بني نصر (٧٣٣-٧٥٥ هـ). ثم إنّه تَوَلَّى القضاء في بَرَجَةَ ثم في أُنْدَرَسَ ثم في وادي آش^(٣). ثم إنّه أصبح قاضياً بمدينة غرناطة وخطيباً فيها في مسجد السلطان (الجامع الأكبر) في ثامن شَوَالٍ من سَنَةِ ٧٦٠ (١٣٥٩/٩/٢ م). ثم صُرِفَ عن الخُطْبَةِ ثم أُعيد إليها، سَنَةَ ٧٦٣ هـ. ويبدو أنّ وفاته كانت في سَنَةِ ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م).

٢- كان أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي فقيهاً وأديباً شاعراً. وقد كان برُغم اتّجاهه الديني - قليل الثقة بالناس. وفي شعره لَفَتَات بارعة.

٣- مختارات من شعره

- كَسب لسانُ الدين بن الخطيب إلى أبي جعفر بن جزي يطلبُ شيئاً من شعره،

- (١) كَنَاهُ لسانُ الدين بن الخطيب في الكيبة الكامنة (ص ١٣٨): أبا جعفر، ولم يكنه في الإحاطة (راجع ١: ١٦٣-١٦٨). والمقري كناه «أبا بكر» (نفع الطيب ٥: ٥١٧، راجع ٢: ٧٠٥٤، ٧٠٢٢).
- (٢) بَرَجَة، ضبطها محمد عبد الله عنان بضمّ الباء (الإحاطة ١: ١٦٤، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٤، ٥٠٨). وهي مضبوطة بالضمّ أيضاً في القاموس وفي تاج العروس (مع ملاحظة التاج أنّ الإطلاق يقتضي الفتح). وفي معجم البلدان مضبوطة بالفتح، وهي في معظم المراجع الحديثة مضبوطة بالفتح أيضاً. تقع بَرَجَة غرب الرّبة (في الجنوب الشرقي من الأندلس) على مقربة من ساحل البحر. وأندرس من أمهال الرّبة أيضاً، على نهر باسمها، غرب غرناطة. ووادي آش إلى الشمال الشرقي من غرناطة.

فأرسل أبو جعفر إلى لسان الدين ما طلبَ وكتبَ إليه بهذه الآيات (الكتيبة الكامنة
:١٤٢):

فَدَيْتُكَ، يَا سَيِّدِي، مِثْلَمَا فِدَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي زَيْتُهُ^(١).
جَمَالُ فَعَالِكَ أَظْهَرْتَهُ، وَسِرُّ كَمَالِكَ أَخْفَيْتَهُ^(٢).
شَوَّفْتَ مِنِّي إِلَى بِنْتِ فِكْرِي فَشَرَّفْتَ شِعْرِي وَزَيَّنْتَهُ^(٣).
وَقَدْ وَرَدْتِكَ، وَأَنْتَ الَّذِي أَخَذْتَ قُوَادِي، فَخُذْ بِنْتَهُ^(٤).

- وقال في التورية في «معين» (بين أن تكونَ أسماً أو تكونَ علماً):

كَمْ بَكَافِي لِبُعْدِكُمْ! كَمْ أُنِينِي! مَنْ أَظْهَرِي عَلَى الْأَسَى؟ مَنْ مُعِينِي^(٥)?
جَرَحَ الْخَدَّ دَمْعُ عَيْنِي، وَلَكِنْ لَا عَجِيبٌ إِنْ جَرَحَ آبِنُ مُعِينِي^(٦).

- قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن جزي في سلوك الناس حيال الغني والفقير:

أَرَى النَّاسَ يُوَلُّونَ الْغَنِيَّ كَرَامَةً، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرُقْمَةٍ مِقْدَارِ.
وَيُوَلُّونَ عَنِ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ، وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يَلَاقِيَ بِأَكْبَارِ.
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ،

فَمَا صَحَّحُوا مِنْهَا إِلَّا حَدِيثَ آبِنِ دِينَارٍ^(٧)!

(١) زان وزين (بالشديد) بمعنى واحد.

(٢) النعال (بالفتح): الفعل الحميد.

(٣) شوّف: تطلّع، نظر من بعيد. بنت الفكر: نتاج الفكر من شعر ونثر وحكم إلخ.

(٤) وقد وردت: أرسلتها أنا إليك فوصلت إليك.

(٥) الظهير: المعين، المساعد لك في ما نسي إليه. الأسى: الحزن.

(٦) جرح (في النظر الثاني): جرحه (عابه وأسفط عدالته: صدقه في الشهادة). والتعديل والتجريح (في علم الحديث): تبيان مراتب رواة الحديث في الصدق وصحة النقل. ابن معين هو يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي (ت ٢٣٣ هـ = ٨٤٨ م) من أئمة الحديث ومؤرخي رجال الحديث، وكان إماماً عارفاً بأصول التعديل والتجريح.

(٧) ابن دينار: الرجل الغني (هم يصدقون الرجل الغني فقط). وعيسى بن دينار (ت ٢١٢ هـ) من فقهاء الأندلس ومن رجال الحديث أيضاً.

- وله قصيدة جعلَ كلَّ عَجْزٍ فيها عَجْزاً من قصيدة لامرئ القيس (ما عدا مَطْلَمَها، فإنَّ عَجْزَه صدرُ المَطْلَعِ في قصيدة امرئ القيس نفسها)*. من هذه القصيدة:

أقول لعزمي أو لصالح أعمالي: (ألا عِمَّ صباحاً، أُنْها الظَّلُّ البالي) (١)
 أما واعِظي شَيْبُ علا فوقَ لِمَتي (سُمُو حَبَابِ الماءِ حالاً على حال) (٢)
 أخالطُ دَهْرِي، وهو يعلمُ أَنِّي (كَبُرْتُ، وأنَّ لا يُخِينُ اللّهُ أَمْثالي).
 وقد عَلِمْتُ مِنِّي مواعِدُ نَوْبِي (بأنَّ الفتي هَذي وليس بَعَال) (٣)
 ألا لَيْتَ شِعْرِي، هل تقولُ عزائي (لِخَيْلي: كُرِّي كَرَّةً بعد إقبال) (٤)،
 فأنزِلْ داراً للنَّبِيِّ نزيلُها (قليلُ هوموم ما بَيَّت بأوجال)
 فطوبى لِنَفْسٍ جاوَرَتْ خَيْرَ مُرْسَلٍ (بِئْتَرِبَ أدنى دارِها نَظراً عال) (٥).
 جوارُ رسولِ اللهِ بِمَجْدٍ مُؤْتَلِّ (وقد يُدْرِكُ المَجْدُ المُوْتَلِّ أَمْثالي) (٦).
 وما ذا الذي يُمْنِي عِنانَ السُّرى، وقد (كفاني - ولم أطلب - قليلٌ من المال) (٧).

٤- ** الدرر الكامنة () ١ : ٢٩٣ () ، الكتيبة الكامنة ١٣٨-١٤٣ ،
 الاحاطة ١ : ١٦٣-١٦٨ ، بغية الوعاة ١٦٢-١٦٣ ، شذرات الذهب ٦ : ٢٨٦ ،
 نفع الطيب ٥ : ٥١٧-٥١٩ ، راجع ٧ : ٢٨٢ ، أزهار الرياض ٣ : ١٨٧-١٨٨ ،
 معجم المؤلفين لكحالة ٢ : ٧٢ .

- (*) لحارم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) تصيف مثل هذا لهذه القصيدة (لامرئ القيس) نفسها .
 (١) عم بالكسر فعل أمر (أو طلب) من «وعم» (بفتح ففتح أو بفتح فكسر) يعم (بفتح فكسر). عم صباحاً أو مساءً (من تحبة الماهلية). أقول لعزمي.... (ليس لي عزية ولا أعمال صالحة).
 (٢) اللعة: الشعر الجاور للأذن. الحباب: فتاقع الماء. حالاً على حال: مرة بعد مرة (٤).
 (٣) هذي يهذي: خلط في الكلام من أثر مرض أو حزن. - وعدت مراراً أن أتوب ولم أقبل.
 (٤) كَرَّ: هجم. إقبال (كذا في الكتيبة الكامنة ١٤٠)، وفي «شرح ديوان امرئ القيس للسندوي (الطبعة الخامسة: القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ص ١٦٤): لإجمال (مضى وأسرع - من الخوف: هرب) (٤).
 (٥) يترب: المدينة (مدينة الرسول). أدنى دارها نظر عال:
 (٦) مؤتل وأتيل: ثابت على الزمن.
 (٧) يني: يرده. عناني: لجامي (فرسي) أي يميني عن السفر (إلى الحج). - وهذه رحلة تقتضي قليلاً من المال فقط، وأنا لم أطلب شيئاً كثيراً فوق ذلك.

محمّد الظريف التونسي

١- هو أبو عبد الله محمّد الظريف التونسي، نشأ في تونس وطلب العلم والأدب فيها. وكانت وفاته في الجبل المبارك (جبل المنار) ويُعرف في تونس بأسم «سيدي بو سعيد» أو مرسى قرطاجة^(١)، وذلك يوم الخميس في حادي عشر جُمادى الآخرة من سنة ٧٨٧ (١٣٨٥/٧/١٨ م).

٢- كان محمّد الظريف التونسي من علماء تونس وصلحاتها المشهورين متصوّفاً منفرداً بنفسه، تُروى له كرامات. وكان بارعاً في فنون عِدّة منها الموسيقى. وشعره سهلٌ رائقٌ يدور على مدح الرسول وعلى الوعظ وتهذيب الأخلاق.

٣- مختارات من شعره

- قال محمّد الظريف يَصِفُ رَوْضَةَ:

وَرَبَّ رَوْضَةٍ أُنْسٍ قَدْ مَرَزَتْ بِهَا مَحْضَرَةَ ذَاتِ أَشْجَارٍ وَأَعْصَانٍ^(٢).
 قُطُوفُهَا تُنَمِّشُ الْأَرْوَاحَ دَانِيَةً بَجَنَّةِ ذَاتِ رَوْحِ ذَاتِ رَيْحَانٍ^(٣).
 تَحَلَّلَ الْمَاءُ فِي أَنْهَارِهَا فَصَدَّتْ تَرَهُو بُوْرْدٍ وَنَسْرِينٍ وَنُعْمَانٍ^(٤).
 وَقَامَ فِيهَا خَطِيبٌ فَوْقَ مِنبَرِهِ يَشْكُو الْعُمَادَ بِتَغْرِيدِ وَالْحَمَانَ^(٥).
 مُرَوِّقُ الصَّدْرِ مَحْضُوبُ الْبِنَانِ لَهُ مِنَ الزَّبْرِجَدِ وَالْيَاقُوتِ لُونَانٍ^(٦).

(١) «سيدي بو سعيد» (جبل أبي سعيد) منطقة جبلية مشرفة على البحر في الصاحبة الشمالية من تونس الحاضرة. والمنطقة هي قرطاجة (أو قرطاج، كما يلفظها التونسيون في الصيغة الفرنسية). وقرطاجة (قرطاج) حديث: القرية - المدينة - الحديثة)، وهي من بناء الكمانيين (الفينيقيين).

(٢) الأُس: السرور، الألفة بين الأصحاب.

(٣) قطوف جمع قطف (بكرس القاف): ثمر. دانية: قرية (من الذي يريد قطفها) روح (راحة) ربحان (رزق حسن) راجع القرآن الكريم (٥٦: ٨٩، سورة الواقعة).

(٤) ترهؤ: تلمع، تنتشر. نسرين: ورد أبيض اللون. نعمان = شقائق النعمان (زهر برّي أحمر اللون).
 خطيب = طائر مفرّد (هنا: حمامة).

(٦) مروّق الصدر (في صدره ريش مختلف الألوان). محضوب (مصوغ) البنان (الأصابع). المقصود هنا «القوائم»، وقوائم الحمامة تكون عادة حمراء. الزبرجد: حجر كريم أخضر اللون. الياقوت: حجر كريم أحمر اللون. يبرز في هذه الحمامة لونان: اللون الأسود (والعرب يقولون للأسود أخضر) واللون الأحمر في قوائمها

يَبِضُّ جَوَانِحُهُ سَوْدٌ مَنَابِهُ
مَطْوُوقٌ الْجَيْدُ، فِي أَطْرَافِ مَقْلَتَيْهِ
وَأَطْرَبَ الطَّيْرِ فِي أَوْكَارِهَا فَعَدَّتْ
نَاشِدَتُكَ اللَّهُ، يَاطِيرَ الْأَرَاكِ، إِذَا
وَسَاعَدْتِكَ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا
وَجِئْتَ طَيِّبَةَ الْوَادِي وَجُرْتَ عَلَى
سَلَمٍ عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍّ
الْمَاشِي الَّذِي فَاضَتْ فِضَائِلُهُ
وَقُلْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا أُمَّلِي،
جِئْتَنِي بِتُونِسَ مَوْثُوقَ بَزَلْتَيْهِ،
وَكَلَّ عَامِ أَرْجِي أَنْ أُرَوِّرَكُمْ،
أَمُوتُ وَالْقَلْبُ شَتَاقٌ لَزُورَتَيْكُمْ؛
فَكُنْ شَفِيعِي فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ إِذَا
- وَقَالَ أَيضاً يَورِي فِي بَاسِمِهِ:

- (١) المنكب (بالكسر): الكتف. المك أسود اللون، والكافور أبيض اللون.
- (٢) مطوق الجيد (العتق). لعدد من أنواع الحمام طوق (شبه العقدة) من ريش لونه مخالف للون الريش في سائر جسمها. البهاء: الجمال. الثاني (الشديد الحمرة، من «قانه» في الفارسية: دم). هنا: اللون الزاهي البراق.
- (٣) ناشدتك الله: سألتك (طلبت منك) وأنا أقسم بالله. الأراك: شجر يتخذ الناس من أغصانه الماويك (جمع سواك): لجلاء الأسنان، إشارة إلى الحجاز.
- (٤) طيبة: المدينة المنورة. الوادي (وادي مكة، أو مدينة مكة؟). وادي العتيق (قرب المدينة). العاني: الأسير (الموجود في بلده غير قادر على الذهاب إلى الحج).
- (٥) المصطفى المختار (محمد رسول الله). مضر (بمجموع عرب الشمال). عدنان (جدّ عرب الشمال).
- (٦) عند ميزابي (يوم القيامة حين توزن حسنات المرء وسيئاته للفصل في أمره إلى الجنة أو إلى النار).
- (٧) مَوْثُوقٌ، يقصد مَوْثُوقٌ (مربوطاً). الزَّلَّةُ: الخطأ، العثرة، الذنب. والقلب في الشرق (المشرق): يحن إلى مكة. الرند (شجر طيب الرائحة) والبان (شجر جميل الأغصان) كتابة عن المقام المحمود (القدس).
- (٨) يوم الجزاء: يوم القيامة.

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرام عفيفاً .
فإذا تعفّفَ عن محارمِ ربِّه، فهناك يدعوهُ الأناضُ ظريفاً .

٤- ** عنوان الأريب ١: ١٠٣-١٠٥؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٦-٢١٧ .

أبو جعفر بن زرقاله

١- كان آل زرقالهُ أسرةً قديمةً السُكنى في مدينة المريّة، وكان جدّ صاحب الترجمة (واسمه أيضاً: أحدٌ وكُنيتُه أبو جعفر) من العُدول^(١) أديباً ناثراً ناظماً وعالماً فاضلاً ذا مكانة عند أهل الدولة وذا صلةٍ بهم .

أمّا أبو جعفر (الحفيد) صاحبُ هذه الترجمة فالذي نعرّفه عنه أنّه تلقى شيئاً من العلم على أبي البركات بن الحاجّ البلّقي^(٢)، كما قرأ رحلة أبي البقاء البلّوي^(٣) « تاج المفرّق في تحليّة علماء المشرق » على مؤلّفها مراراً وقرّظها شعراً ونثراً .

ولعلّ وفاة ابن زرقاله هذا كانت في أعقاب القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد).

٢- أبو جعفر أحدُ بنُ زرقالهُ (الحفيد) هو الفقيهُ الوزير الكاتب الماهر والناظم النائر شُغفَ برحلة أبي البقاء البلّوي واعتنى بها عنايةً فائقةً ونظّم في مدحها قصائد ومقطعاتٍ ثمّ جمّع ما قيل فيها نظماً ونثراً وعرّف القائلين فيها تعريفاً حسناً . ثمّ هو مؤلّف له « رائقُ التحليّة في فائقِ التّورية » جمعه من أبياتٍ في التورية لابن خاتمة الأنصاريّ (ت ٧٧٠ هـ، راجع فوق ص ٣٨٩) أنشدّه إياها ابنُ خاتمة نفسه .

(١) العدل، والجمع عدول: أشخاص تميّنتهم الدولة فيجلسون مع القاضي في مجلس الحكم ليشهدوا على أحكامه ويصحّحوها إذا وقع فيها خطأ . وكان نفر من هؤلاء يعملون مستقلين ويرتزقون من الشهادة في المحاكم لمن يطلب منهم ذلك ويدفع لهم مبالغ يتفق عليها .

(٢) أنظر، فوق، ص ٤٩٨ .

(٣) أنظر، فوق، أبو البقاء خالد بن عيسى البلّوي الأندلسي قاض، وله شعر ونثر، توفي في أواخر القرن الهجري الثامن (راجع نقيح الطيب ٢: ٥٣٢-١٥٣٤، بيل الابتهاج ١١٥: الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة ٢: ٢٩٧).

- من مقدّمة كتاب « رائق التحلية » لابن زرقاله:

..... الحمد لله الذي خصّ هذه الأمة باللسان العربي المبين و(ب)البيان المُتَبَلِّج
 العُرّة الوضّاح الجبين فهَصَرُوا من ثَمَرَاتِهِ الدائِيَةِ القُطُوفِ بِفَنِي مائل^(١)، وتَفَيَّأُوا
 ظِلَالَهَا عن الأَيَّانِ (والشَّائِلِ)^(٢).... وبعدُ، فلمَّا كان الأَدبُ حِلِيَّةَ العَرَبِ الذي إليه
 انتهت فَصَاحَتُهَا وبه ظهرت رَجَاحَتُهَا^(٣)، وكان الشَّعْرُ منه بمنزلةِ الرُّوحِ من الجسدِ....
 فهو طِرَازُ بُرْدِهِ وُوسْطَى عِقْدِهِ^(٤). ولم يزلِ النَّاسُ - خَلْفًا عن سَلَفٍ - يتوارثونه
 وَيَتَّبِعُونَ (فيه) منهجَ العَرَبِ وَيَقْتَفُونَهُ، هذا وإن كانوا لا يَتَّجِعُونَ إلَّا من واديهم ولا
 يَسْتَمْطِرُونَ إلَّا من غَوَادِيهِمْ^(٥). فلم يَخُلُ كُلُّ عَصِرٍ من شاعرٍ يكون شُراءُ زَمَانِهِ
 عِيَالًا^(٦) عليه وَيَرْجِعُ كُلُّ (واحد) منهم إليه.... وكان شاعرٌ عَصْرِنَا يبلدنا
 هذا- عَصَمَهُ اللهُ- (و) الذي رَفَعَ سماءَ الأَدبِ وبنَّاهَا، ومَهَّدَ أرضَ الشَّعْرِ
 ودحاها^(٧)..... شيخُنَا الأَسَاطِدُ أبو جعفرٍ أحدُ بَنِي خاتَمَةِ.....

و(قد) كان لي بحاسنِ الأَدبِ شَفَفٌ وباقْتِنَاءِ جواهره كَلَفٌ، أَتَبَثْتُ به تَبَثٌ
 الولدِ بالوالدِ، والمُوصُولِ بالصَّلَةِ والمُعَانِدِ^(٨)، وأَقْصِدُ عُرْرَ عِيُونِهِ وَأَعْتَمِدُ أَبْكَارَهُ دُونَ

(١) حصر الرجل النصف: جذب به إليه. الدائية (الغريبة) القُطُوفِ (الثمرات التي تجنى من الأعصان). الفن: النصف.

(٢) الأَيَّانِ (جمع بين، الجانب الأيمن) والشَّائِلِ (جمع شمال بكر التين).

(٣) الحلية: الرينة. انتهت (بلغت النهاية: الكمال). الرجاحة (بفتح الراء): الحلم (المعجم الوسيط ١: ٣٣٠) بكر الماء: سمة الصدر.

(٤) الطراز: العلامة في الثوب دلالة على صاحبه (إذا كان من الملوك أو من هو في صفهم). والوسطى في العقد: الجوهرة الكبرى تكون في العقد، وتكون في وسطه.

(٥) اتجع: ذهب (إلى المرعى). الغادية: السحابة المطرة صاحبا.

(٦) عيالا عليه: يعتمدون عليه في نظم الشعر (يأخذون من معانيه).

(٧) مهّد: سوى، جعل الشيء مستويا. دحا الشيء: يدحوه: مدّه وبسطه.

(٨) الاسم الموصول: الذي، التي، الخ. ويكون له في الجملة صلة وعائد (مثل ذلك: الرجل الذي جاء من بعيد - الضمير في « جاء » عائد، يعود إلى الرجل. جملة « جاء من بعيد » صلة الموصول لا محل لها من الإعراب) ولا معنى لاسم الموصول إذا لم يأت بعده صلة وعائد.

عُونِهِ^(١). وَأَتَّوَفُّ لِلْأَسْطِلَاعِ مِنْهُ مِنْ مَا لَمْ^(٢) تَمَرَّقَ الْأَيَّامُ بُرْدَتَهُ وَتُخَلِّي الْأَقْلَامُ جِدَّتَهُ^(٣)..... وَكَانَتْ التَّوْرِيَّةُ^(٤) مِنْ عَاسِنِ الشَّعْرِ تَشْهَدُ لِصَاحِبِهَا بِجَلَالَةِ الْقَدْرِ وَتَحِلُّ مِنَ النَّفْسِ مَحِلَّ النَّوْرِ مِنَ الرِّيَاضِ، وَالشَّحْرِ مِنَ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ^(٥)، وَتَمْتَرُجُ بِالْأَرْوَاحِ امْتِرَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ لِلطُّفِّ مَعْنَاهَا وَدِقَّةَ إِشَارَتِهَا وَرِقَّةَ عِبَارَتِهَا، اسْتَشْدَّتْهُ - أَبْقَاهُ اللَّهُ - مَا وَقَعَ لَهُ مِنَ الْمَنْظُومَاتِ فِيهَا، وَرَغِبَتْ مِنْهُ أَنْ يُسَمِّيَ جِيمَهَا وَيَسْتَوْفِيَهَا^(٦). فَأَجَابَنِي إِلَى ذَلِكَ عَمَلًا عَلَى شَاكِلَةِ فَضْلِهِ^(٧) وَمَا يَلِيْقُ مِنَ التَّخَلُّقِ بِكَرِيمِ مَحِلِّهِ.

٤- رائق التحلية في فائق التورية (حققه محمد رضوان الداية)، دمشق (منشورات دار الحكمة).

ابن عباد الرندي

١- هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن مالك النَّفْزِيَّ الحِمَيْرِيَّ المعروف بابن عباد الرندي، أصلُ أهلِهِ مِنْ قَبِيلَةِ نَفْزَةَ (فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى) وَمَوْلَدُهُ فِي رُنْدَةَ (الْأَنْدَلُسِ)، سَنَةَ ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) وَمِنْشَأُهُ فِيهَا.

حَفِظَ ابْنُ عِبَادِ الرُّنْدِيُّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي السَّابِعَةِ مِنْ عُمُرِهِ ثُمَّ تَلَقَّى النُّحُوَّ وَالْأَدَبَ وَالْفِقْهَ أَصُولًا وَفُرُوعًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ أَبُوهُ، وَكَانَ أَبُوهُ وَاعِظًا مَعْرُوفًا.

(١) عيون الشيء: خياره (أحسن ما فيه). البكر: الغنائة التي لم تنزوج بعد. العوان: المرأة المتوسطة في العمر (يقصد المعاني المتبكرة والمعاني المألوفة).

(٢) من ما لم (ترسم: مما لم).

(٣) البردة: الثوب الواسع. تخلق: تمرق، تُنَلَّفُ (تجعل الشيء قديماً متبرئاً)

(٤) التورية (في البلاغة): الجهر، بلفظ أو تركيب له معنيان قريبٌ وبمعنى يفهم عادة معناه القريب بينما يكون القائل قد قصد المعنى البعيد، فإذا قلت لرجل ملأ الله فمك ذهباً، يظنك تدعو له (بأن يعطيه الله ذهباً بمقدار ما يبع منه) بينما يمكن أن تكون أنت تدعو عليه (بأن تسقط أسنانه ثم يستعص عنها بأسنان من ذهب).

(٥) النور (بفتح النون): الزهر الأبيض. الحدق: العيون. الميراض: المريضة (الناعسة).

(٦) أقرأ: سمعني بها جيمها (بماعدني في الحصول عليها).

(٧) الشاكلة: السجّية، الطبع. على شاكلة فضله: على ما تعود من التفضل على الناس.

رَحَلَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَاكِرًا فَتَنَقَّلَ بَيْنَ فَاَسَ وَتِلْمَسَانَ وَمَرَّ أَكْشَرَ وَسَلَا وَطَنْجَةَ. فَفِي تِلْمَسَانَ دَرَسَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الشَّرِيفِ التِّلْمَسَانِيِّ (٧١٠ - ٧٧١ هـ) كَبِيرِ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ فِي أَيَّامِهِ. أَمَّا فِي طَرِيقِ الْقَوْمِ (التَّصَوُّفِ) فَقَدْ لَازَمَ أَحْمَدَ بْنَ عَمْرٍاءَ بْنِ عَاشِرٍ (ت ٧٦٥ هـ) وَتَأَثَّرَ بِهِ كَثِيرًا.

وَفِي سَنَةِ ٧٧٧ عَيَّنَ ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ إِمَامًا وَوَاعِظًا فِي جَامِعِ الْقَرَوِيِّينَ فِي فَاَسَ وَظَلَّ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ إِلَى وَفَاتِهِ فِي ثَالِثِ رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ ٧٩٢ (١٣٩٠/٦/١٧ م).

٢- ابْنُ عَبَّادٍ الرُّنْدِيُّ خَطِيبٌ وَوَاعِظٌ وَصُوفِيٌّ مُصَنِّفٌ لَهُ مِنَ الْكُتُبِ: الرَّسَائِلُ الْكُبْرَى (وَهِيَ مَكَاتِبَاتٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّصَوُّفِ وَفِي تَفْسِيرِ مُشَابَهَةِ^(١) الْآيَاتِ كُتِبَ بِهَا إِلَى أُمَّثَالِهِ الْمُتَّصِفِينَ) - الرَّسَائِلُ الصَّغْرَى^(٢) وَجَهَّهَا مِنْ سَلَا، قَبْلَ سَنَةِ ٧٧٠ لِلْهِجْرَةِ فِي الْأَغْلَبِ: سَبَتْ مِنْهَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أُدَيْبَةَ (؟) وَتَبِعَ إِلَى تَلْمِيذِهِ الرَّحَّالَةِ الْحَدِيثَ بِحَسْبِ السَّرَّاجِ (ت نَحْوَ ٨٠٣ هـ) ثُمَّ وَاحِدَةً إِلَى الْإِمَامِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ النَّاطِقِيِّ (ت ٧٩٠ هـ) - غَيْثُ الْمَوَاهِبِ الْعَلِيَّةِ فِي شَرْحِ الْحُكْمِ الْعَطَائِيَّةِ^(٣) (فِي الزُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ) - كَفَايَةُ الْمُحْتَاجِ - فَتْحُ الطَّرْفَةِ وَإِبْصَاحُ الشَّرْفَةِ - شَرْحُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى - رَسَائِلُ (فِي عِدَّةٍ مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ الْوَارِدَةِ فِي كِتَابِ «قُوَّةِ الْقُلُوبِ»^(٤)).

٣- مَخْتَارَاتٌ مِنْ آثَارِهِ

- لِابْنِ عَبَّادٍ (مِنَ الرَّسَائِلِ الصَّغْرَى): الرَّسَالَةُ الثَّلَاثَةُ: كِتَابٌ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ التَّقْلِيدِ

(١) الْآيَاتِ الْمُشَابِهَاتِ الَّتِي تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ (وَقِيلَ هِيَ: الْحُرُوفُ الَّتِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَلَا نَعْرِفُ نَحْوَ دِلَالَتِهَا).

(٢) الرَّسَائِلُ الصَّغْرَى أَوْ الْكُبْرَى لَا تَحْتَمِلُ فِي مَادَّتِهَا وَاتِّجَاهِهَا وَأَسْلُوبِهَا، بَلْ فِي حَجْمِهَا: الرَّسَائِلُ الْكُبْرَى ٢٦٢ صَفْحَةً وَالرَّسَائِلُ الصَّغْرَى ١٣٨ صَفْحَةً.

(٣) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ الْإِسْكَدَرِيِّ (ت ٧٠٩ هـ) الْمَالِكِيُّ النَّازِلِيُّ، صَحَبَ أَبَا الْحَسَنِ النَّازِلِيَّ. وَكَانَ ابْنُ عَطَاءٍ فِي زَمَانِهِ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ عَلَى لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ. وَقَدْ كَانَ شَدِيدَ الْمُقَاوَمَةِ لِلْإِمَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) لِأَنَّ ابْنَ تَيْمِيَّةَ كَانَ شَدِيدَ الْمُحْتَمِلَةِ عَلَى الصُّوفِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذَاهِبِ وَالْأَرَاءِ الْمُخَالَفَةِ لِرَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. وَابْنُ عَطَاءٍ مُصَنِّفَاتٌ أَشْهَرُهَا الْحُكْمُ الْعَطَائِيَّةُ.

(٤) قُوَّةُ الْقُلُوبِ كِتَابٌ فِي التَّصَوُّفِ لِأَبِي طَالِبِ الْمَكِّيِّ (ت ٣٨٦ هـ).

والبدعة وما اشتلا عليه من القبائح والمفاسد:

أَسَلَّمْ عَلَيْكُمْ وَأَعْرَفَكُمْ بِوُصُولِ كِتَابِكُمْ إِلَيْنَا تُعْلَمُونَ فِيهِ بِوُصُولِ جَوَابِنَا إِلَيْكُمْ، وَأَنَّهُ وَقَعَ مِنْكُمْ مَوْقِعًا اقْتِضَاءَهُ حُسْنُ ظَنِّكُمْ وَسَلَامَةُ اعْتِقَادِكُمْ. وَطَلَبْتُمْ مِنَّا بَيَانَ التَّقْلِيدِ وَالبِدْعَةِ اللّٰذِيْنَ أَسْرَتْ إِلَيْهِنَّ فِي الجَوَابِ الْمَذْكُورِ وَأَنْ أُكْتَبَ إِلَيْكُمْ نُبْدًا فِي ذَلِكَ.

فاعلم أن هذين المُنْتَبِئِينَ قد ورد الشرعُ بدمهما وعيبَ المتصّفِ بهما.

أَمَّا التَّقْلِيدُ فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ البِدْعِ الَّتِي يَأْتِي ذِكْرُهَا، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ اتِّبَاعِ الْغَيْرِ بِلَا دَلِيلٍ وَلَا حُجَّةٍ، كَمَنْ يَقْلُدُ شَخْصًا لِعِظَمِ عِلْمِهِ عِنْدَهُ أَوْ (كَمَنْ يَقْلُدُ) أُمَّةً مِنَ النَّاسِ لكَثْرَتِهِمْ وَقِدَمِ زَمَانِهِمْ. وَقَدْ عَابَ الْحَقُّ تَعَالَى ذَلِكَ عَلَى طَوَائِفَ مِنَ الْكُفْرَةِ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ.....

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الصُّمَّةَ الذَّمِيمَةَ قَدِ اسْتَطَارَ^(١) فِي هَذَا الزَّمَانِ شَرُّهَا وَعَمَّ ضَرُّهَا، فَتَرَى الْمُتَفَقِّهَ الْغَيِّ إِذَا قَرَعَ سَمْعَهُ شَيْءٌ مِنْ عِلْمِ التَّحْقِيقِ^(٢) أَوْ عِلْمِ^(٣) مِنْ أَعْلَامِ أَهْلِ التَّصَدِيقِ يَلْوِي خَدَّهُ وَيُقَطِّبُ وَجْهَهُ وَيَقُولُ لِقَرْطِ غِبَاوَتِهِ: لَوْ كَانَ هَذَا حَقًّا لَتَصَّ عَلَيهِ فَلَانٌ وَتَدَاوَلَتْهُ الْقُرُونُ وَالْأَزْمَانُ. وَتَرَى الْمُتَّصِفَ الْجَاهِلَ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ مَسْأَلَةٌ مِنْ مَسَائِلِ الْأَحْكَامِ وَمَعَالِمِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ يَتَنَكَّرُ لِمَجْلِسِهِ وَيَغْتَرُّ بِتَزْوِيرِهِ وَتَلْبِيسِهِ^(٤) وَيَقُولُ لَشِدَّةِ جَهَالَتِهِ: هَذِهِ ظَوَاهِرُ وَرُسُومٌ وَمُخَاطَبَاتٌ لِلْعُمُومِ. وَقَدْ كَانَ سَيِّدِي^(٥) فَلَانٌ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتَسِبُ وَلَا يَنْتَسِبُ إِلَى مَذْهَبٍ. وَتَرَى الْفَاجِرَ الْعِيَّارَ^(٦) مِنْ ذَوِي الْكِبَائِرِ وَالإِصْرَارَ يَقْتَدِي بِهَيَوَاتِ الْقُدَمَاءِ وَزَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ وَيَمْتَدُّ^(٧) ذَلِكَ دِينًا مَتِينًا وَحَقًّا مُبِينًا.

(١) استطار: انتشر.

(٢) علوم التحقيق (علوم التصوف).

(٣) أو علم (كذا!).

(٤) التزوير: التحسين والتزيين (وهنا: إيراد الشيء على خلاف حقيقته). التلبيس: (خلط الشيء بغيره).

(٥) ظواهر (أمر ظاهر غير حقيقية، غير مفصودة لذاتها) ورسوم (أمر وضعها الناس لأنفسهم يمكن أن يعضوا في وقت آخر غيرها). ومخاطبات للعموم (للعامة ليس على الخاصة من العلماء أتباعها). سيدي: شيجي (الذي أُنعم وأُنقذ به).

(٦) الفاجر: الفاسق الذي يكثر من إتيان المحارم من غير أن يبالي. العيار: الكثير التحوال في الأرض، الذي يتبع هواه في كل شيء ولا يبالي.

(٧) اعتد الأمر دينًا: عدّه وأحضره (أَنَحَدَهُ).

وقد ينتهي الجهل بأقوام إلى ألا يروا لأحدٍ فضلاً على مَنْ قلدوه من أئمتهم
ويستحقرون بَدَلْ مُهَجِّمٍ في مُحَامَاتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ.....

واعلّم أن كلّ مسألةٍ مطلوبٍ فيها إصابةٌ ما في نفس الأمر^(١) وله (للإنسان)
مُدوّحةٌ عن التقليد فيها بأن ينظر إلى وجه الدليل المنصوب عليها: إمّا على جهة
الوجوب كسائل الاعتقادات، أو على غير جهة الوجوب كغيرها من المسائل. فالتقليدُ
في ذلك مذمومٌ سواء اتفقت^(٢) إصابته أم لم تتفق. (لكن) لا يدخلُ في ذلك تقليدُ
العامة للمجتهدين في المسائل اليقينية الفرعية، لأنّ المطلوب فيها إصابةٌ ما غلبَ على ظنِّ
المجتهد، ولا سبيلٌ للعامة إلى هذا إلّا بالتقليد. ولا يدخلُ فيه أيضاً تقليدُ مَنْ يحتاج
إلى فنٍّ من فنون العلم لأربابه^(٣)، وإن كان المطلوب فيه إصابةٌ ما في نفس الأمر^(٤) إذ لا
مدوّحةٌ له عن التقليد فيه، كعلم التفسير والحديث والتاريخ والنحو واللغة والطب.
فالتقليد في نفسه مذمومٌ لا ينبغي الاعتماد عليه إلّا عند الضرورة.....

وأما البدعة فقد وردَ في ذمّها آياتٌ كثيرةٌ وأخبارٌ*

إنّ الله تعالى بعثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى جميع الأنام وهادياً لهم
إلى دار السلام^(٥)، وكانوا إذ ذاك في جاهليةٍ جهلاء وضلالةٍ ظلماء^(٥)، مُسْتَنَّةً أراؤهم
مُفْتَرِّقَةً أهواؤهم لم تأمُرْ أحلامهم الفاخرة^(٦) إلّا بإيهال النظر في مسالك العير^(٧)، ولم
تهدِهِم ألبابهم إلّا إلى عبادة حَجَرٍ وشمسٍ وقمر. فَمَنَّ اللهُ عليهم بأن بعثَ فيهم رسولاً
من أنفسهم - و (من) أزرأهم وأنفسيهم^(٨) - حلّاهُ بأكمل الصفات وأحسن الأخلاق ووفّاهُ
من مواهبِهِ وَمَنَحَهُ نفائسَ الأعلاق^(٩)..... (تمّ يذكر أحاديث وأخباراً من نشأة

(١) إصابة نفس الأمر (المفصود: ما في الأمر نفسه).

(٢) اتفقت = اتفقت؟

(٣) من فنون العلم لأربابه (علم موجود عند أناس غير موجود عند آخرين).

(٤) الأخبار (جمع خبر): الأحاديث المروية عن رسول الله.

(٥) دار السلام: الجنة.

(٥) ضلالة ظلماء (عمياء): ضلال (ضياح، تيه) لا يهندي فيه الضائع إلى سبيله.

(٦) الحلم (بالضم): العقل. الفاخرة (٤).

(٧) العيرة (بالكسر): الدرس، نتيجة الاختبار.

(٨) أنفس الأشياء: أئمتها، أحسنها.

(٩) وفّاه: كمل له، أمّ عليه. العلق (بالكسر): النسيء الذي يضنّ (يحخل) الإنسان به.

البدع واتساعها).

وقد بُدِّنا عن المَقْصِدِ قَلْتَرَجِعْ إِلَيْهِ. فَجَمِيعُ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي هَذِهِ التُّبْدَةِ إِشَارَةٌ إِلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِدْعِ وَهُوَ مَا يُؤَدِّي إِلَى اخْتِلَافٍ وَتَنَازُعٍ وَتَهَاجُرٍ وَتَقَاطُعٍ مِنْ أَيْ وَجْهِ أَدَى إِلَى ذَلِكَ. وَيَقَعُ ذَلِكَ بَيْنَ مُبْطِلِينَ بِسَبَبِ شِدَّةِ التَّعَصُّبِ مِنَ الْجَانِبِينَ، وَبَيْنَ مُبْطِلٍ وَمُحِقٍّ فَيَنْقَسِمُ الْأَمْرُ فَيَكُونُ سَبَبُهُ مِنْ جِهَةِ الْمُبْطِلِ هَوَى مُرَدِّياً وَشَيْطَاناً مُغْوِياً (١)، وَمِنْ جِهَةِ الْمُحِقِّ قِيَاماً بِوَأْجِبِ الدِّينِ وَنَصِيحَةً لِلْمُسْلِمِينَ. وَيَسْتَحِيلُ وَقُوعُ بَيْنَ مُحِقِّينَ.....

- ٤- غيب المواب العلية بشرح الحكم العطائية (شرح النفري على متن السكندري) بولاق ١٢٨٥ هـ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٢٩٩ هـ؛ (المطبعة الخيرية) ١٣٠٣ هـ؛ (المطبعة الميمنية) ١٣٠٤ هـ؛ ١٣٢٠ هـ.
- الرسائل الكبرى، فاس (حجر) ١٣٢٠ هـ.
- الرسائل الصغرى (نشرها بولس نوبيا)، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٧ م.
- * * شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي على غيب المواب (بإمش طبعة بولاق).
- الكتيبة الكامنة ٤٠-٤٤؛ نيل الابتهاج ٢٧٩-٢٨١ (٢٨٧ وما بعد)؛ نفع الطبيب ٥: ٣٤١-٣٥٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٢٢٠؛ بروكلمن، الملحق ٢: ٣٥٨؛ سركيس ١٥٧-١٥٨؛ الأعلام للزركلي ٦: ١٩٠ (٥: ٢٩٩)؛ بالنسبة ٣٩٠؛ معجم المؤلفين لكحالة ٢٠٧-٢٠٨.

ابنُ زَمْرَك

- ١- هُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الصَّرِيحِيِّ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ ابْنِ زَمْرَك (بفتح الزاي والراء أو بضمهما)، أَصْلُ أَهْلِهِ مِنْ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ وَقَدْ سَكَنَ سَلْهُ غَرْنَاطَةَ.
- وُلِدَ ابْنُ زَمْرَك فِي ١٤ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ٧٣٣ (١٣٣٣/٦/٢٩ م) فِي غَرْنَاطَةَ وَنَشَأَ فِيهَا. وَقَدْ تَلَّمَ الْعِلْمَ عَلَى نَعْرِ مِنْهُمْ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ اللَّوْشِيِّ (ت ٧٥٢ هـ)؛

(١) أُرْدِي: المهلك. المعوي: المضلل، الداعي إلى الخيبد عن الصواب.

وأبو عبد الله محمد بن بيشن العبدي (ت ٧٥٣ هـ)، وابن الفخار الإلبيري وأبو القاسم الحسني التلمساني وأبو البركات البلقيمي وأبو فرج بن لب. غير أن أكثر أخذِه كان عن ابن مَرْزُوقِ التِّلْمَسَانِي.

أما الذي تولى العناية بابن زمرك فهو لسان الدين بن الخطيب: إنه أستاذُه على الحصر في فنون الأدب وولي نعمته في الترقّي في مراتب الدولة. لما تولى ابن الخطيب الوزارة، سنة ٧٤٩ هـ، لأبي الحجاج يوسف الأول النيار، أدخل ابن زمرك في خدمة الدولة كاتباً.

في سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م) جاء محمد الخامس الغني بالله إلى عرش غرناطة فأخذت مكانة ابن زمرك ترتفع في دولة بني الأحمر، إذ أصبح ابن الخطيب حاجباً للدولة فجعل تلميذه ابن زمرك في حاشية السلطان. وفي سنة ٧٦٠ هـ خلع محمد الخامس الغني بالله فلجأ إلى أبي سالم إبراهيم بن علي سلطان بني مرين في فاس ولحق به ابن زمرك (بينما بقي ابن الخطيب في غرناطة). وبعد عامين (في ٢٠ جُمادى الآخرة ٧٦٣ = ١٧/٤/١٣٦٢ م) عاد محمد الخامس الغني بالله إلى غرناطة - وابن زمرك معه - واستعاد عرشه وردّ ابن الخطيب إلى الوزارة وجعل ابن زمرك كاتباً خاصاً به ولقّبهُ بالرئيس. ولعلّ ابن زمرك قد وجدّ في هذه الأثناء فُسحة من الوقت فتصدّر لتدريس الفقه واشتهر بذلك في مالقة وفي غرناطة.

كانت الأسرة المرينية في فاس قد ضعفت، وكان بنو الأحمر يتلاعبون بها ويضربون بعض أعضائها ببعض ثم ينصرون بعضهم على بعض. ويبدو أن ابن الخطيب مال مع بعض بني مرين على محمد الغني بالله، أو أن ابن زمرك اتهمه بذلك (٧٧٠ هـ) ففر ابن الخطيب إلى فاس خوفاً من سوء العاقبة في غرناطة. بذلك أصبح ابن زمرك وزيراً مكان ابن الخطيب.

وداخل ابن زمرك العجب بما وصل إليه من الرفعة والنفوذ فاستبدّ برأيه في الأمور واستعذب التأمّر والإيقاع بالناس، ولكن لم يستطع أحد أن يصل إليه، فقد كان محمد الغني بالله - وقد كان ابن زمرك شاركة سراءه وضراءه - يحميه ولا يسمع فيه قول سوء.

وفي صَفَرٍ من سنة ٧٩٣ (كانون الثاني - يناير ١٣٩١ م) توفي محمد الغني بالله فخلّفه ابنه أبو الحجاج يوسف الثاني، ولم يكن هو ولا حاشيته يعطفون على ابن زمرك فسجن ابن زمرك في سجن ألمرّية، في أول ربيع الأول من سنة ٧٩٤ (١٣٩٢/٧/٢٢ م). ومع أن ابن زمرك خرج من السجن بعد ذلك وعاد إلى الوزارة مُدَّةً يسيرة ثم صرّف منها وشيكاً فإن النّعمة ظلت عليه شديدة - ذلك لأنه، فيما يبدو، استأنف شيئاً من الكَيْدِ والتأمُر. فاقنحَ السلطانُ بنفسه على ابن زمرك منزله وقتله هو ووَلَدَيْهِ وعدداً من خَدَمِهِ وأنصارِهِ في أواخرِ سنة ٧٩٥ أو أوائل سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م).

٢- كان ابن زمرك شُعْلةً من شعلِ الذكاءِ جيّدِ الفهمِ حلُوِ المُجَالِسةِ عَذْبِ الفِكاهَةِ، ولكِنَّه كان أيضاً ميالاً إلى الكَيْدِ والدَسِّ. ولقد شارك في فنونٍ كثيرةٍ منها التفسيرُ والفِقْهُ (في الأصول والفروع) واللّغَةُ. وكان أيضاً شِعْراً وُجْدَانِيّاً مُجِيداً، قيل فيه إنه آخرُ الشعراءِ الفُحولِ في الأندلس، كما كان وشاحاً وخطيباً ومُتْرَسِّلاً وناقداً. وشعرُهُ قصائدٌ طوالٌ ومقطعاتٌ بعضها مُرتَجَلٌ. ثم إنه كان كَلِفاً بالمعاني البديعة والألفاظ الصّفيّة.

أما فنونُ شعرِهِ فأكْبَرُها المديحُ. ومدائحهُ كثيرٌ طوالٌ تبدأ بغزلي، وهي عادةُ سُلْطَانِيّاتٍ (لأنّها تقال في سلطان غرناطة) وعيديّاتٍ (لأنّ القسم الأوفر منها كان يقال في الأعياد تهنئةً) واعتذاريّاتٍ. وله ميلاديّاتٌ كثيرٌ أيضاً (بديعيّات، في مدح الرسول). ومن قصائدهُ ميلاديّاتٌ عيديّاتٍ. ورتاؤه قليلٌ جدّاً. وله وصفٌ خُطّاجي النزعة أكثره في وصفِ قصورِ الحَمراءِ وبساتينها. وله خمرِيّاتٌ أيضاً يدعونها صَبُوحِيّاتٍ (والصُّبُوحُ شرب الخمر في الصباح). وغلبَ على شعرِهِ، في بعضِ أدوارِ حياتِهِ، شيءٌ من التّصوُّفِ.

٣- مختارات من آثاره

- مَوْشِحَةٌ مشهورة لابن زمرك قالها في أثناء إقامته في فاس (٧٧٦ هـ)، لَمَّا ذهب إليها ليطلب سلطان فاس بقتل لسان الدين بن الخطيب (راجع ترجمة ابن الخطيب):
أبْلِغْ لِبَغْرَانِطَةِ السَّلَامِ وَصِفْ لَهَا عَهْدِي السَّلِيمِ

فَلَوْ رَعَى طَرْفُهَا ذِمَامَ مَا بَتُّ فِي لَيْلَةِ السَّلِيمِ^(١).

* * *

كَمْ بَتُّ فِيهَا عَلَى اقْتِرَاحٍ أَعْلُ مِنْ خَمْرَةِ الرُّضَابِ؛
أَدِيرُ فِيهَا كُؤُوسَ رَاحٍ قَدْ زَانَهَا الشَّرُّ بِالْحَبَابِ؛
أَخْتَسِلُ كَالْمُهْرِ فِي الْجِيَّاحِ تَشْوَانٌ فِي رَوْضَةِ الشَّبَابِ؛
أَضَاجِكُ الزَّهْرِ فِي الْكِيَامِ مُبَاهِيَاً رَوْضَهُ الْوَسِيمِ؛
وَأَفْضَحُ الْعُضْنَ فِي الْقَوَامِ إِنْ هَبَّ مِنْ جَوْهَا النَّسِيمِ^(٢).

* * *

بَيْنَا أَنَا وَالشَّبَابُ ضَافٍ وَظُلُّهُ فَوْقَنَا مَدِيدٌ،
وَمَوْرِدُ الْأَنْسِ فِيهِ صَافٍ وَبُرْدُهُ رَائِقٌ جَدِيدٌ،
إِذ لَاحَ فِي الْفَوْدِ، غَيْرَ خَافٍ، صُبْحٌ بِهِ نُبَّةُ الْوَلِيدِ؛
أَيَقْظَ مَنْ كَانَ ذَا مَنَامٍ لَمَّا انْجَلَى لَيْلُهُ الْبَهِيمِ،
وَأَرْسَلَ الدَّمْعَ كَالْفَنَامِ فِي كُلِّ وَاوٍ بِهِ أَهْمِ^(٣).

* * *

بِأَجِيرَةٍ عَهْدُهُمْ كَرِيمٍ وَفَعْلُهُمْ كُلُّهُ جَمِيلٌ،

(١) عهدي السلم: عهدي الذي كان سلاماً في ربوعها. لو رعى طرفها ذمامي: لو دام لي صفاؤها. ما بت في ليلة السلم: ما قضيت زماناً (بعد ذلك) أتألم كأنني سلم (ممدوغ).

(٢) على اقتراح: حسب مقترحي، على ما أشتهي. أعل: أسمى مرة بعد مرة. الرضاب: الريق. الراح: الخمر. والحباب الذي يطفو على سطح تلك الخمر من ثمر الحبيب. الجيَّاح: السناط. الكيام: الورق الأخضر الذي يثقل الزهر قبل أن يتفتح. الوسيم: ذو الملامح الجميلة. - وفوامي المتأيل من الشباب أجزل من الفصص المتأيل في النسيم.

(٣) صاف: سايق. يعم كل ما ألتقي عليه. المورد: (التريفة) المكان الذي يتقي الناس منه. البرد: الثوب. برد الشباب حديد (في أول الشباب). الفود: الثمر في طرف الرأس عند الأذن. صبح (شيب). قد نبه الوليد: قد دعا الذي يظن نفسه أنه لا يزال صغيراً إلى التفكير بانقضاء القسم الجميل من عمره. لَمَّا انْجَلَى (انجاب، زال، انتفض) ليله البهيم (الأسود، كناية عن الشباب الذي يكون الثمر فيه أسود). أهم: أسير على وجهي من غير تفكير (أصبحت نادماً على كل ما كنت قد عملته في إنان حنون الشباب).

لا تَعْدِلُوا الصَّابَةَ إِذْ يَهَيِّمُ
 القُرْبُ مِنْ رَبِّكُمْ نَعْمًا،
 كَمْ مِنْ رِيَّاضٍ بِهِ وَسَامٌ
 غَدِيرُهُمَا أَرْزَقُ الْجِيَامَ،
 فَبَلَّهْ قَدْ صَبَا جَمِيلٌ.
 وَبُعْدُكُمْ خَطْبُهُ جَلِيلٌ.
 يُزْهِى بِهَا الرَّائِضَ الْمُسِيمَ:
 وَنَيْتُهَا كُلُّهُ جَمِيمٌ^(١).

* * *

أَعْنَدَكُمْ أَنِّي بِنَاسِ
 أَذْكَرُ أَهْلِي بِهَا وَنَاسِي،
 اللَّهُ حَنِيٌّ، فَكَمْ أَفَاسِي
 مُطَارِحًا سَاجِعَ الْهَامِ
 وَالدَّمْعُ قَدْ لَجَّ فِي أَنْجَامِ
 أَكَابِدُ الشُّوقِ وَالْحَنَسِينِ^(٢)؟
 وَالْيَوْمُ فِي الطَّوْلِ كَالسَّنِينِ.
 مِنْ وَخْةِ الصَّبِّ وَالبَتِينِ،
 شَوْقًا إِلَى الْإِلْفِ وَالْحَمِيمِ؛
 وَقَدْ وَهَى عِقْدُهُ النِّظْمِ.

* * *

يَا سَاكِنِي جَنَّةِ العَرِيفِ،
 كَمْ تَمَّ مِنْ مَنْظَرٍ شَرِيفِ
 وَرَبُّ طَوْدٍ بِهِ مُنِيفِ
 وَالنَّهْرُ قَسَدٌ سُلُّ كَالْحُسَامِ
 وَالزَّهْرُ قَدْ رَاقَ بِأَنْسَامِ
 أَسْكِنْتُمْ جَنَّةَ الخُلُودِ.
 قَدْ حُفَّ بِالْيَمْنِ وَالسُّوْدِ!
 أَذْوَاحُهُ الخَضْرُ كَالْبُنُودِ؛
 لِرَاحَةِ الشَّرْبِ مُتَدِيمِ،
 مُقْبَلًا رَاحَةَ النَّدِيمِ^(٣).

(١) لا تعدلوا: لا تلموا. الصب: الحب المتناق. صبا: مال (إلى النساء)، أحب. جميل = جميل بن معمر الشاعر الأموي القنري. الربع: السكن، المكان المعمور. الخطب: التأن، الأمر (المصاب). جليل: عظيم، خطير. وسام جمع وسيم: جميل. يزهي: يتنخر، يند بنفسه. الرائض: التنزه في الرياض. السيم الذي يرسل أنعامه للرعي (كتابة عن الشاب الذي يندفع في شبابه بغير رادع ولا قيد). أرزق الحمام (الأطراف): ماؤه صاف. الجميم: النبات الكثير المنتشر (كل هذا كتابة عن الشباب).

(٢) أكابد: أفاسي. الصب: الحب (بشارة إلى زوجته). مطارحاً ساجع الحمام: مشاركاً الحمام في نواحه. لج في انسجام: تدافع في المطول والسقوط. وهى (صفت) عقده النظم: الخيط الذي كان يمسك الدمع من قبل (يشبه دموعه باللؤلؤ الملوك في خيط، فإذا انقطع الخيط تآثر اللؤلؤ وتفرق) وكذلك حينما قد هو صبره (الذي كان كالخيط لدموعه) أخذت هذه الدموع تسيل: توقفت.

(٣) جنة العريف: جنيحة جميلة جداً في قصر غرناطة. تم: هنالك (في جنة العريف). حف: أحيط. اليمن: =

- ولاين زمرك من موشحة أخرى:

لَوْ تَرَجَّعُ الْأَيَّامُ بَعْدَ الذَّهَابِ لَمْ تَقْدَحِ الْأَيَّامُ ذِكْرِي حَبِيبُ^(١)
وَكُلُّ مَنْ نَامٍ بِلَيْلِ الشَّبَابِ يُوقِظُهُ الدَّهْرُ بِصَبْحِ الْمَشِيبِ^(٢)

* * *

يَا رَاكِبَ الْعَجْزِ، أَلَا نَهَضَةً. قَدْ ضَيَّقَ الدَّهْرُ عَلَيْكَ الْمَجَالَ.
لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الصَّبَا رَوْضَةٌ تَسَامُ فِيهَا تَحْتَ فَيْءِ الظَّلَالِ.
فَالْعَيْشَ نَوْمٌ وَالرَّدَى يَقِظَةٌ^(*)، وَالْمَرْءُ مَا بَيْنَهَا كَالْحَيَّالِ.
وَالْعُمْرُ قَدْ مَرَّ كَمَرِّ السَّحَابِ وَالْمُلْتَقَى بِاللَّهِ عَمَّا قَرِيبِ.
وَأَنْتَ مَخْدُوعٌ بَلَمَعَ السَّرَابِ تَحْبُهُ مَاءٌ وَلَا تَسْتَرِيبُ^(٣)!

* * *

- وقال ابن زمرك من كلام له يمتزج فيه الشعرُ بالنثر (الإحاطة ٢: ٢٣٧ وما

بعد):

يَا جَانِحَةَ الْأَصِيلِ، أَيْنَ يَذْهَبُ قُرْصُكَ الْمُدْهَبُ وَقَدْ ضَاقَ بِالْمَشُوقِ الْمُدْهَبُ^(١)؟

= البركة. طود: جبل. ضيف: عال. الدوح: الشجر الكبير. البود: الأعلام (يقول: نمو أشجاراً في هذه
الجنينة كأنها أعلام مرتفعة). قد سلّ كالحمام (السيف) كناية عن أنه أبيض جار صاف يتر به التراب
(الذين يشربون الخمر مراً). مستديم: دائم، لا ينقطع جريانه في جميع فصول السنة. راق: حسن منظره.
بأبسام: ضحك (كناية عن تفتحه). مقبلاً راحة (باطن الكف) النديم (كلّ رجل يشرب الخمر مع آخر):
يجعل منه النديم في كفه.

(١) - أن مرور الزمن ينسي الإنسان أحواله.

(٢) وكل من نام (غفل عن الأعمال الصالحة) يوقظه الدهر (يجعله الدهر يندم). ليل الشباب (كناية عن سواد
الشعر). صبح المشيب (كناية عن بياض الشعر).

(*) يقظة (يقنح ففتح)، ثم هي خطأ في التقية مع «روضة»...

(٣) لع السراب (انعكاس للضوء يرى من بعيد كأنه ماء): كناية عن الشباب. استراب فلان بفلان: رأى منه
ما يريب (ما يدعو إلى الشك والتهمة).

(٤) هذه قطعة من الإنشاء المنقح. من أجل ذلك سأكتفي بالتفسير اللغوي. الجانحة (المائلة). الأصيل: من
منتصف الوقت بين الظهر وغروب الشمس حتى غروب الشمس. جانحة الأصيل: الشمس. القرص
(قرص الشمس: جرمها - بالكسر). المذهب (بالضم): اللون بلون الذهب. المشوق: المحب. المذهب
(بالفتح): الطريق.

أَمَسْتُ شَمْسُ الْأَسْمَاءِ مَحْجُوبَةً عَنِ عَيْنِي، وَقَدْ ضَرَبَ الْبُعْدُ الْحِجَابَ بَيْنَهَا وَبَيْنِي. وَعَلَى كُلِّ حَالٍ - مِنْ إِقَامَةٍ وَتَرْحَالٍ - فَمَا مَحَلُّكَ فِي قَلْبِي مَحَلًّا فِيهَا^(١)، وَمَا كُنْتُ لِأَقْنَعُ مِنْ وَجْهِكَ تَخْيِيلًا وَتَسْبِيحًا. وَمَنْ أَيْنَ أَنْتَظَمْتَ لَكَ عَقُودَ التَّشْبِيهِ، وَأَنْتِ مُتَّجِمَةٌ بِثَوْبِي زُورٍ، وَجِيْبُ الظَّلَامِ عَلَى جِسْمِكَ حَتَّى الصَّبَاحِ مَزْرُورٌ^(٢). وَرَاءَكَ مِنَ الصُّبْحِ غَرِيمٌ مُطَالِبٌ تَقَلَّبُ فِي كَفِّهِ الْمَطَالِبُ.

وَيَا بَرَقَ الْغَمَامِ، مِنْ أَيِّ حِجَابٍ تَبْتَسِمُ! وَبِأَيِّ صُبْحٍ تَرْتَسِمُ! وَأَيُّ وَجْهِ مِنْ السَّحَابِ تَسِيمُ^(٣)؟ أَلَيْسَتْ مَبَاسِمُ الثُّغُورِ لَا تُجِدُّ بِأَقْفِي وَلَا تَغُورُ^(٤)؟ هَذَا، وَإِنْ كَانَتْ مَبَاسِمُكَ مُفْتَرَّةً، فَلَطَالَمَا ضَحِكْتَ فَأَبْكِي الْغَوَادِيَّ وَعَطَلْتِ الرَّائِحَ وَالْغَادِيَّ^(٥).....

- وَمِنْ مَقْطَعَاتِ ابْنِ زَمْرَكِ:

فُوَادِي قَدْ تَمَلَّكُهُ الْغَرَامُ، وَوَجْدِي لَا يُطَاقُ وَلَا يُرَامُ^(٦).
 وَدَمْعِي دُونَهُ صَوْبُ الْغَوَادِي، وَشَجْوِي فَوْقَ مَا يَشْدُو الْهَمَامُ^(٧).
 إِذَا مَا الْوَجْدُ لَمْ يَبْرَحْ فُوَادِي، عَلَى الدُّنْيَا وَسَاكِنِهَا السَّلَامُ^(٨).

- (١) مَحَلُّكَ (مَكَانَكَ). مَحَلًّا (كَذَا بِالْأَصْلِ. اقْرَأْ: عَلِيٌّ: حُلُوءًا، مَحْبُوبًا).
- (٢) ثَوْبًا زُورٍ (بِاطِلًا): الْأَقْفُ وَالتَّمَقُّقُ عَلَى الْأَقْفِ (٤) - لَوْنُ الْأَقْفِ الْغَرِيمِ بَعْدَ غِيَابِ الشَّمْسِ يَرَى أَحْمَلَ مِنْ لَوْنِهِ قَبْلَ غِيَابِ الشَّمْسِ (٤). الْجِيْبُ: مَدْخَلُ الْفَتَقِ مِنَ التُّوْبِ. حَتَّى الصَّبَاحِ (طُولُ اللَّيْلِ). مَزْرُورٌ (مَعْقُودٌ بِالْأَزْرَارِ): مَفْلُوقٌ.
- (٣) مَا أَجَلَ الْحِجَابِ (السَّارِ: صَفْحَةُ الْغَيْمِ) الَّذِي تَبْتَسِمُ (تَلْعَمُ) مِنْ خِلَالِهِ. وَمَا أَجَلَ النُّورِ الَّذِي تَسْتَمَلُّ بِهِ (عِنْدَ الْبَرَقِ). وَمَا أَجَلَ صَفْحَةِ الْغَيْمِ الَّتِي تَضِيئُهَا عِنْدَ لَمَانِكَ (بِالْبَرَقِ).
- (٤) مَبَاسِمُ الثُّغُورِ (جَمْعُ ثَغْرٍ: فَمُ الْهَيْبُوبِ). لَا تُجِدُّ: لَا تَرْتَفِعُ (لَا تَشْرُقُ): لَا تَطْهَرُ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مَحْتَفِيَّةً (وَلَا تَغُورُ: تَتَمَيَّبُ كَالشَّمْسِ الْمَادِيَّةِ). ضَحِكُ الْغَيْمِ بِالْبَرَقِ. أَبْكِي الْغَوَادِيَّ (جَمْعُ غَادِيَّةٍ: الْغَمَامُ الْمَقْبَلُ صَبَاحًا) فَأَبْكِيهَا (جَمَلْتُهَا تَطْرُقُ).
- (٥) الرَّائِحَ (فِي الْمَاءِ) إِلَى مَكَانِهِ الْأَصْلِيِّ (بَيْتِهِ). الْغَادِيَّ: الْمُنْطَلِقُ فِي الصَّبَاحِ إِلَى مَا يَقْصِدُ (إِلَى عَمَلِهِ).
- (٦) الْوَجْدُ: أَمُّ الْحُبِّ. لَا يُطَاقُ (لَا يَطِيقُهُ أَحَدٌ إِذَا فُرِضَ عَلَيْهِ) وَلَا يُرَامُ (لَا يُطَلِّبُهُ أَحَدٌ بِاخْتِيَارِهِ).
- (٧) دُونَهُ: أَقَلُّ مِنْهُ. صَوْبٌ: هَطُولٌ، انْصَابٌ. الْغَوَادِيَّ: الْغَيْمُ الْمَطْرَةُ فِي الصَّبَاحِ. التَّجْوُ: الْحَزْنُ. - الْهَمَامُ دَائِمُ التَّصَوُّوتِ.
- (٨) الْوَجْدُ: الْحُبُّ. يَبْرَحُ: تَرَكَ.

* أيا لا يمي في الجود، والجودُ شيمتي، جُبِلْتُ على إيثارها يومَ مَوْلدي (١).
 ذَرِيني، فلو أَنِّي أَخَلَدْتُ بِالغِنَى لَكُنْتُ ضَنِيباً بِالذِي مَلَكَتْ يَدِي (٢).
 * لَقَدْ عَلِمَ اللهُ أَنِّي أَمْرُؤٌ أَجْرَرُ تَوْبَ الْعَفَافِ الْقَشِيبِ (٣).
 فَكَمْ غَمَضَ الدَّهْرُ أَجْفَانَهُ وَفَارَزَتْ قِدَاحِي بَوَصْلِ الْحَبِيبِ (٤).
 وَقِيلَ: رَقِيبُكَ فِي غَفْلَةٍ؛ قَفَلْتُ: أَخَافُ الْإِلَهَ الرَّقِيبَ.

***-٤ الكتبية الكامنة ٢٨٢-٢٨٨: الإحاطة (القاهرة ١٣١٩ هـ) ٢: ٢٢١-٢٢٠،
 نثر الجمان ٣٢٧-٣٢٩؛ الدرر الكامنة (حيدر آباد) ٤: ٣١٢-٣١٣؛ نيل
 الابتهاج ٢٨٢-٢٨٣؛ نفع الطيب ٥: ٤٦-٥٠، ٧٥-٨٠، ١٣٤-١٣٦،
 ١٦٩-١٨٠، ١٩٤-١٩٧، ٧: ١٤٥-١٦٦، ٢٧٩-٢٨١؛ أزهار الرياض ٢:
 ٧-٢٠٦؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٩٧٢-٩٧٣؛ بروكلمن ٢: ٣٣٦، الملحق
 ٢: ٣٧٠؛ نيكل ٣٦٦-٣٦٩؛ مختارات نيكل ٢١٦-٢١٨؛ الاستقصا ٢:
 ١٢١-١٢٢ (وصف الزرافة)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٢٨ (٧: ١٥٤)؛ مجلة العربي
 (الكويت) أيلول- سبتمبر ١٩٦٢ (ص ١٠٨)؛ بالشيا ١٣٩-١٤٢.

ابن فرحون

١- هو بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ فَرْحُونَ
 الْبَيْعَمَرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَبَانِيُّ (٥) (بِضْمِ الْهَمْزَةِ) الْجَيْتَانِيُّ نِسْبَةً إِلَى بَلَدَيْنِ فِي
 الْأَنْدَلُسِ.

وُلِدَ ابْنُ فَرْحُونَ فِي الْمَدِينَةِ وَبَدَأَ دِرَاسَتَهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَمِّهِ وَعَلَى جَمَالِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ

-
- (١) التيمة: الحصلة. الإيثار: التفضيل.
 (٢) ذريني: اتركيني. اخلد: أبقى في الحياة إلى الأبد. ضنين: حريص، يحيل. - لكنت ضنياً... (لما
 أنفتت كل ما كنت أملكه).
 (٣) توب العفاف (كتابة عن العمّة ترك إتيان ما هو حرام في الدين وفي الحلق). القشيب: المجهد. ما زال
 عفاي جديداً (لم أدته بشيء حرام).
 (٤) كثيراً ما سحت لي فرصة للاتصال بالحبوب، ولم يكن أحد يرانا.
 (٥) في تطريز الديباج (ص ٣٠): الإباني (بالياء).

الله محمد بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي (ت ٧٤١ هـ) وكان خطيب المدينة وكبير المؤذنين فيها. وكان الحديث أكثر دراسته.

ورحل ابن فرحون مراراً إلى مصر. وفي سنة ٧٩٢ زار القدس والشام وحج ولقي (في الحج) أبا عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوزعامي التونسي (٧١٦-٨٠٣ هـ) فأعجب به ابن عرفة وأجاز له رواية جميع ما سمعه منه ورواية جميع كتبه. وفي ربيع الآخر من سنة ٧٩٣ (١٣٩١ م). عين قاضياً في المدينة.

وكانت وفاة ابن فرحون في العاشر من ذي الحجة من سنة ٧٩٩ (١٣٩٧/٩/٤ م)، بعد أن فُليح شقه الأيسر.

٢- كان ابن فرحون من أهل بيت علم ومن صدور المدرسين واسع المعرفة حسن التحقيق رأساً في أصول الفقه وفروعه وبالفروض والوثائق^(١) عارفاً بالتاريخ والنحو والطب أيضاً. وقد كان شديد النصرة لمذهب الإمام مالك. ولابن فرحون تأليف منها: تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات (وهو شرح لمختصر ابن الحاجب^(٢))، وقد جمعه من نفي من الشراح في ثمانية أسفار - تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام - درة الفواص في محاضرة الخواص (ألّفه ألقاضاً على أبواب الفقه) - كشف النقاب للحاجب عن مصطلح ابن الحاجب^(٣) - ارشاد السالك إلى أفعال المناسك (في الحج) - المنتخب في مفردات ابن البيطار^(٤) (في الطب والأدوية) وغير ذلك مما لم يُتم تأليفه. وقد شُهر بكتابه: «الديباج المذهب في أعيان علمه المذهب» انتهى من تأليفه في شعبان من سنة ٧٦١ (١٣٦٠ م). يبدأ هذا الكتاب بمقدمة قصيرة (راجع مختارات من آثاره) يأتي بعدها فهرس موجز (غير الفهرس المقيّد بالصفحات) (والذي ألحقه الناشر بالكتاب). ثم تأتي تسع عشرة صفحة

(١) الفروض والفرائض: تقسيم الإرث والوثائق والتوثيق (كتابة العهود والصكوك بين المتخاصمين والمتراضين والتبايعين).

(٢ و٣) راجع ٣: ٥٥٩.

(٤) ابن البيطار: عبد الله بن أحمد الملقب الأندلسي (ت ٦٤٦ هـ = ١٢٤٨ م). من علماء النبات والأعشاب التي تدخل في الأدوية. الأدوية المفردة: المواد التي تدخل في تركيب الدواء.

في حياة الإمام مالك وأحواله وتأليفه ثم تأتي بعد ذلك التراجم على الحروف الهجائية.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة الديباج المذهب:

..... وبعد، فإنّ أولى ما أنجفَ به الطالبُ اللبيبُ ودوّنَ للأديبِ الأريب^(١) التعريفُ بحالِ مَنْ جعلَ تَقْلِيدَهُ بينَهُ وبينَ الله حُجَّةً واتَّخذَ اقتفَاءَهُ هَدْيَهُ في الحلالِ والحرامِ مَحَجَّةً^(٢)، ثمّ حالِ الرُّوَاةِ عنه والناقلينِ عنهم والجهتهدينِ في مذهبِهِ والقائمينِ على أصولِهِ والمُفْتينِ على قواعدهِ والمدوّنينِ لمسائلِهِ وتَمييزِ دَرَجَاتِهِم في العِلْمِ والفَهْمِ واللِّينِ والوَرَعِ والتعريفِ بشقائِهِم وشهادةِ أهلِ العِلْمِ فيهم وفي مؤلّفاتِهِم. فشرَفَ العِلْمَ بهذا الفنِّ معلومٌ والجهلُ به مذمومٌ. وليس هو ممّا قيلَ فيه: علمٌ لا ينفعُ وجهالةً لا تُضرُّ، فإنّ هذا مقولٌ في عِلْمِ الأنساب^(٣)، وهو فنٌّ غيرٌ هذا.

وقد ذكّرتُ في هذا المجموعِ الوجيزِ مشاهيرَ الرُّوَاةِ وأعيانَ الناقلينِ للمذهبِ والمؤلّفينِ فيه ومن تخرّجَ به أحدٌ^(٤) من المشاهيرِ وجماعيةً من حُفَاطِ الحديثِ. وأضربتُ عن ذِكْرِ غيرِ المشاهيرِ إيثاراً للاختصارِ، لأنّ الإحاطةَ بِهِم مُتَعَدِّرةٌ واستيفاءُ مَنْ يُمكنُ ذِكْرُهُ يخرجُ عن المقصودِ. وذكّرتُ جماعةً من المتأخّرينِ ممّنَ لم يبلغْ دَرَجَةَ الأئِمَّةِ المُتقدِّينِ بهم قصداً للتعريفِ بحالِهِم لكونِهِم قَصَدُوا التَّأليفَ ولأنّ لكلِّ زمانٍ رجالاً. وكذلك ذكّرتُ بعضَ الرُّوَاةِ الحُفَاطِ المتأخّرينِ لكونِهِم من مشاهيرِ أهلِ زمانِنَا. ولم يَغَ ترتيبُ أسْمائِهِم في هذا التَّأليفِ على الوجهِ المطلوبِ، بل وَقَعَ فيه تقدِيمٌ وتأخيرٌ من غيرِ قَصْدٍ. وذكّرتُ العُدْرَةَ عن ذلك في آخرِ الأسماءِ.

(١) الاتحاف: إهداء الأشياء الثمينة. الأريب: ذو الذكاء والفطنة (بكر الفاء).

(٢) تقليده = تقليد المتأخر للمتقدم (تقليد الفن جاءوا بعد الإمام مالك لملك). اقتفاء: اتباع. الهجة: الطريق المستقيم (الواضح).

(٣) علم الأنساب (النسب): ترواية بعض الناس من بعض.

(٤) ... ومن تخرّجَ به أحدٌ من المشاهيرِ (وذكّرتُ أشخاصاً من غير المشاهيرِ إذا كان قد تلقى العلم عليه رجل مشهور).

وبدأت بمُقَدِّمَةٍ تشتملُ على ترجيحِ مذهبِ مالكٍ والحجَّةِ في وجوبِ تقليدهِ مُلَخَّصاً من كلامِ الإمامِ أبي الفضلِ عياضِ بنِ موسى رَحِمَهُ اللهُ في مُقَدِّمَةِ كتابه السَّمِيِّ بالمداركِ ** . وأُتْبِعَتْ ذلكَ بِذِكْرِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والتعريفِ بِبُنيَّةِ يسيرةِ من أحوالِهِ. (ثم يأتي ذكرُ مَنْ اشتمَلَ عليهم هذا التَّأليفُ مرتباً على حُرُوفِ المُعْجَمِ ليسهلَ الكُشفَ عن المطلوبِ. وَسَمَّيْتُهُ «الديباجُ المُذْهَبُ» في أعيانِ علماءِ المُذْهَبِ....

- ٤- تبصرة المحكام.... (على هامش «فتح العلي» لمحمد بن عيش)، فاس (طبع حجر) ١٣٠١ هـ (راجع سركيس ١٣٧٤)، القاهرة (مطبعة شرف) ١٣٠١ هـ؛ القاهرة (مطبعة مصطفى محمد) ١٣٠٢ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ.
- الديباج المذهب، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٢٩ هـ؛ القاهرة ١٣٣٠؛ (طبعة عباس بن عبد السلام بن شقرون)، القاهرة (مطبعة المعاهد) ١٣٥١ هـ.
- ** نيل الابتهاج ٣٠ - ٣٢؛ شذرات الذهب ٦: ٣٥٧؛ الدرر الكامنة ١: ٤٨؛ بروكلمن ٢: ٢٢٦، الملحق ٢: ٢٢٦ (أيضاً)، دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٦٣؛ الأعلام للزركلي ١: ٤٧ (٥٢)؛ معجم المؤلفين لكحالة؛ سركيس ٣٠٢ - ٣٠٣.

أبو زيد المكوذي

١- هو أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوذي، نسبة إلى بني مكوذ من قبائل هَوَارة (مَسْكَنُهُم بَيْنَ فاسَ وَتازةِ المُطَرِّزِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ ٧٢٦ للهجرة أو ١٣٢٦ م (راجع سركيس ١٧٨٦).

تصدَّرَ أبو زيد المكوذي لتدريسِ النَحْوِ في فاسَ (راجع نفع الطيب ٥: ٤٢٨)، وكانَ يُدرِّسُ الكتابَ (كتابَ سيبويه) في مدرسةِ العطارين - وهو آخرُ من درَّسَ هذا الكتابَ في فاسَ - إذ أصبحَ الاعْتِادُ فيما بعدُ على أَلْفِيَةِ أبْنِ مالِكٍ والتي كانَ المكوذيُّ قد وضعَ عليها شَرْحاً جيِّداً.

(** ترتيب المدارك وتقریب المسالك لمعرفة مذهب مالك (بروكلمن ١: ٤٥٦).

وكانت وفاة المكوذيّ هذا في فاس في الحادي عشر من شعبان ٨٠٧
في الأغلب. (١٤٠٥/٢/١٣)

٢- كان أبو زيد المكوذيّ، في زمنه، عالم فاس وأديبها، بارعاً في الفقه وفي العلوم اللسانية من اللغة والنحو والعروض والأدب، كما كان شاعراً راجزاً ومُقصدّاً. ثم إنّه كان مُصنفاً له: شرح ألفية ابن مالك - شرح مقدّمة ابن آجرّوم - شرح المقصور والمدود لابن مالك - البسط والتعريف في نظم علم التصريف - نظم المُعرب من الألفاظ - المقصورة (نحو ثلاثمائة بيت، أراد بها مدح الرسول ومُعارضة مقصورة حازم القرطاجنيّ. ولكنها مملوءة بالشكوى أيضاً. وفيها كثير من ترداد المعاني إلى جانب اتكائه فيها على معاني السابقين، من كعب بن زهير، إلى ابن دريد إلى حازم القرطاجنيّ إلى البوصيريّ. وفي هذه المقصورة براعة وسهولة وإن كان المكوذيّ يتكلّف فيها الغريب من اللفظ أحياناً كما فعل في الأبيات المتعلقة بوصف الجمل).

٣- مختارات من آثاره

- من مقصورة المكوذيّ الفاسي:

أرّقي بارق نجدي إذ سرى يُوميض ما بين فرادي وتني^(١).
فيا له من بارقٍ ذكرني من الهوى ما كنتُ عنه في غني.

- وبعد أن يصف روضاً بعد ليل من المطر يقول:

وأشتكي دهرأ دهاني صرّفه لما قضى بالبين فيما قد قضى^(٢).
منازلٌ كانت بنا أوهلاً نلنا بها حيناً أساليب النسي.
كم بت في أفيائها أجري إلى غاياتها بطرفٍ جد ما كبا^(٣).

(١) فرادي وتني (قد يأتي البرق مرّة مرّة أو مرّتين مرّتين).

(٢) صرف الدهر وتصاريفه (مصائبه). البين: البعاد.

(٣) الطرف (بكر الطاء): الفرس السابق. كبا: عثر، وقع.

وكم سَحَبْتُ، إِذْ صَحِيتْ غَيْدَهَا
وكم لثَمْتُ زَهْرَ ثَغْرِ أَشْنَبِ
وكم رَشَفْتُ مِنْ رُضَابِ سَلْسَلِ
أَيَّامَ أَزْهَارِ النُّسَى مُونِقَةً
يا لَيْتَ شِغْرِي، وَالْأَمَانِي خُدْعُ،
وهَلْ لَنَا مِنْ عَوْدَةٍ لِمَعْدِ
والدَهْرُ فِي صُرُوفِهِ ذُو عَجَبِ
يُكْمِي إِذَا أَضْحَكَ يَوْمًا أَهْلَهُ،
هَذَا هِيَ الدُّنْيَا فَلَا يَفْرُزُكَ مَا
فَانْفِضْ يَدَيْكَ مِنْ عُرَاهَا وَارْمِهَا
وَسِرِّكَ أَكْثَمُهُ عَنِ الْخَلْقِ وَلَا
وَاقْنَعْ - عَلَى عِزٍّ - بِمَا يَكْفِي، وَلَا
كَمْ مِنْ صَدِيقِي مُظْهِرٌ لُودِهِ
يَبِئْسَ فِي وَجْهِكَ إِنْ لَاقَيْتَهُ،
يُدْبِعُ مَا يَرَاهُ مِنْ قُبْحِ، وَإِنْ

يَرَوْضُهَا، ذَيْلَ السَّرُورِ وَالْمَنَا*
مِنْ شَادِنِ عَذْبِ الثَّنَايَا وَاللَّمَى (١).
يَفْعَلُ بِالْأَلْبَابِ أَفْعَالَ الطَّلَا (٢).
وَالدَّهْرُ ذُو وَجْهِ مُنِيرٍ مُجْتَلِي (٣).
هَلْ يَرْجِعُ الدَّهْرُ لَنَا عَهْدًا مَضَى (٤)؟
صَبَّوتُ فِيهِ جُلًّا أَيَّامِ الصَّبَا (٥).
يُدْنِي بِهَا كَلًّا جَدِيدًا لِلْبَلَى (٦).
وَيُعْقِبُ الْكَرْبَ إِذَا الْمَيْشُ صَفَا.
تَرَاهُ فِيهَا مِنْ سُرُورٍ وَهَنَا*،
وَإِذْرَأْ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ التُّهَى (٧).
تُطْلِعُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنَ الْوَرَى (٨).
تَحْرِصُ؛ فَإِنَّ الْحِرْصَ ذُلٌّ لِلْفَقَى.
لَكِنْ لَهُ قَلْبٌ عَلَى الْحِقْدِ انطوى:
وَإِنْ تَغِيبَ يَغْتَبِكُ فِي كُلِّ مَلَا (٩)؛
رَأَى جَمِيلًا مِنْكَ أَخْفَى مَا رَأَى.

- (١) الثنب: البياض في الأسنان: التادن: الغزال الصغير. اللمي: السرة في الثفاء.
(٢) الرضاب: الريق ما دام في الفم. السلسل: الذي يجري في الحلق بسهولة. اللب (بالضم): العقل. الطلاء
(بالكسر): الخمر. * المناء: الفطران (والشاعر يقصد المناء: الفرح والسرور).
(٣) مونقة: جبلية تعجب العين. مجتلي: يحب الناس أن ينظروا إليه.
(٤) خدع (بضم ففتح) جمع خدعة (بالكسر). وخدع (بضم وتشديد أو بضم ضم) جمع خادع. رجع يرجع
(فعل لازم ومتعد).
(٥) صبا: مال (سلك فيه سلك الحيين). جل: معظم، أكثر.
(٦) صروف الدهر: تقلبه (ومصائبه). البلى: التهرؤ.
(٧) العروة (بالضم) الحلقة (للزرّ وشبهه)، ما يمسك به المتقلقل. ادرا: ادفع (عنك بها مصائب الدهر). التهى:
العقل.
(٨) الورى: الناس، مجموع الخلق.
(٩) ملا = ملأ: النخبة من القوم، (وهنا): كل جمع من الناس.

كَمْ خُضْتُ فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي جَامِعًا لا أَرْعُوِي نُضْحًا لِلْخِي مَنْ لَهَا^(١) ؟
وَكَمْ تَبَيْتُ إِذْ تَبَيْتُ أَمْلًا قَدْ انْقَضَتْ لَذَاتُهُ وَمَا انْقَضَى .
وَاحْتَرْنَا ، قَدْ مَرَّ عُمْرِي ضَائِعًا بَيْنَ خُرْزَبَلَاتٍ لَهْوٍ وَهَوَى .
هَلَكْتُ فِي الْهَلَاكِ لَوْلَا أَنِّي ذَخَرْتُ ذُخْرًا أُرْتَجِي بِهِ الْهُدَى .
وَلَيْسَ ذُخْرِي غَيْرَ مَدْحِ أَحَدٍ سَيِّدِ أَهْلِ الْأَرْضِ طُرًّا وَالسَّمَا^(٢) :
مَقْصُورَةٌ ، لَكِنَّهَا مَقْصُورَةٌ عَلَى امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْوَرَى^(٣) .

- من شرح المكوذي على ألفية ابن مالك:

أما بعد فهذا شرحٌ مختصرٌ على ألفية ابن مالك مهذبٌ المقاصد^(١) وواضحُ المسالك تُفهمُ به الفاظها ويحظى بمعانيها حفظًا، مُعَرَّبٌ عن إعراب أبياتها^(٢) ومُقرَّبٌ إليها شَرَدٌ من عباراتها^(٣)، من غير تعرُّضٍ للنقل^(٤) عليها ولا إضافة غيرها إليها، ولا إنشادٍ شواهدٍ إلا ما لا بدُّ منه، ولا إيرادٍ مذاهبٍ إلا ما لا مندوحة عنه^(٥)، يستفيد به البادي ويستحسنه الشادي^(٦). والباعثُ على ذلك أن بعض الطلبة المُبتدئين والفيئة المُجتهدين المُعتنين يحفظها القانعين بمعرفة لفظها طلبًا مني أن أضع شرحًا على نحو ما ذكرته و(أن) أبين الفاظها ومعانيها على حسب ما وصفتُه. فأجبتُه إلى ما اقترح عليَّ وأسعفتُه بما أملَ لديَّ. والله سبحانه وتعالى ينفعنا وإياه بالعلم.

(١) الجامع: الحصان الثارد: اللحي: اللوم.

(٢) أحد من أسلم محمد رسول الله.

(٣) مقصورة (الأولى): قصيدة مبنية في قافيتها على الألف المقصورة. مقصورة (الثانية): قاصرة على (شيء واحد)، مخصوصة بشيء واحد. المصطفى من أسلم محمد رسول الله.

(٤) مهذب المقاصد: مختصر الأهداف (لم أذكر فيه جميع الوجوه التي تجوز في كل موضوع من مواضع الصرف والنحو).

(٥) معرب: مبين. - وكثيراً ما يعرب المكوذي أبيات هذه الألفية.

(٦) لها شرد من عباراتها (لما كان غير واضح من عباراتها).

(٧) للنقل (٤) = للنقد، للتقص (التبني على ما فيها من الخطأ أو على خلاف ما «نقله» النحاة الآخرون عن العرب).

(٨) مندوحة: متسع (ما لا مندوحة عنه: ما لا بد منه).

(٩) الشادي: الذي حصل طرفاً من العلم (لا يكفي لأن يجعله عالماً).

وبرزقنا وإياه سلامة الإدراك والفهم بمنه^(١) وكرمه. آمين.

- ما لا ينصرف^(٢):

(الصَّرْفُ تَنْوِينٌ أَنْسَى مُبَيَّنًا مَعْنَى بِهِ يَكُونُ الْأَسْمُ أَمْكَنًا)

يَعْنِي أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ الَّذِي يَتَبَيَّنُ بِهِ أَنَّ الْأَسْمَ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ^(٣) يُسَمَّى أَمْكَنًا^(٤). وَمَا صَرَّحَ بِهِ مِنْ أَنَّ الصَّرْفَ هُوَ التَّنْوِينُ هُوَ مَذْهَبُ الْمُحَقِّقِينَ. وَيُمنَعُ الْأَسْمُ مِنَ الصَّرْفِ لَوْجُودِ عِلَّتَيْنِ أَوْ عَلَيَّةٍ (وَاحِدَةٍ) تَقُومُ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ. وَقَصْدُهُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُبَيِّنَ الْأَسْمَاءَ الَّتِي لَا تَنْصَرِفُ، وَإِنَّا ذَكَرَ الصَّرْفَ وَعَرَّفَهُ لِأَنَّ بِمَعْرِفَتِهِ يُعْرَفُ الْأَسْمُ الَّذِي لَا يَنْصَرِفُ. فَمَا وَجِدَ فِيهِ التَّنْوِينُ الْمَذْكُورُ فَهُوَ مُنْصَرِفٌ، وَمَا لَمْ يُوْجَدْ فِيهِ (فَهُوَ) غَيْرُ مُنْصَرِفٍ. ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ مَا لَا يَنْصَرِفُ أَتْنَا عَشْرَ نَوْعًا: خَمْسَةٌ فِي النَّكِرَةِ وَسَبْعَةٌ فِي الْمَعْرُفَةِ... قَالَ:

(فَالِأَلْفُ التَّانِيثِ مُطْلَقًا مَنَعَ صَرْفَ الَّذِي حَوَاهُ كَيْفًا وَقَح)

يَعْنِي أَنَّ «أَلْفَ التَّانِيثِ» تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ مُطْلَقًا - أَي مَقْصُورَةً كَانَتْ أَوْ مَمْدُودَةً - كَيْفَمَا كَانَ الْأَسْمُ الَّذِي هِيَ فِيهِ، مِنْ كَوْنِهِ نَكِيرَةً أَوْ مَعْرُفَةً، مُفْرَدًا أَوْ جَمْعًا، نَحْوُ: ذِكْرَى وَسَلْمَى وَحُبْلَى وَسُكَارَى وَحِرَاءَ وَأَسْمَاءَ وَزَكَرِيَّا. وَإِنَّا مَنَعْنَا أَلْفَ التَّانِيثِ وَحَدَّاهَا (الْأَسْمَ الَّذِي هِيَ فِيهِ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهَا قَامَتْ مَقَامَ عِلَّتَيْنِ، وَهِيَ التَّانِيثُ وَلِزُومِ التَّانِيثِ^(٥).

فـ «أَلْفُ التَّانِيثِ» مُبْتَدَأٌ، خَبْرُهُ «مَنَعَ»، وَ «مُطْلَقًا» حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي «مَنَعَ» الْعَائِدِ عَلَى الْمُبْتَدَأِ. وَ «حَوَاهُ» صِلَةٌ «الَّذِي». وَالضَّمِيرُ الْعَائِدُ مِنَ الصِّلَةِ إِلَى الْمَوْصُولِ (هُوَ) فِي «حَوَاهُ». وَالْهَاءُ فِي «حَوَاهُ» عَائِدَةٌ عَلَى أَلْفِ التَّانِيثِ. وَكَيْفًا

(١) المن: النعمة، الكرم (يفتح ففتح).

(٢) فيما يلي نموذج من هذا الباب (ما لا ينصرف: المنوع من الصرف)، ولم أورد فيما يلي كل ما ذكره صاحب الألفية وشارح الألفية من أنواع الكلمات التي تمنع من الصرف.

(٣) يتصل به (التنوين) يقبل التنوين (جرت عادة العرب على تنوينه).

(٤) أمكن: متمكن، ثابت في جميع وجوه الإعراب على القواعد العامة المألوفة.

(٥) التانيث ولزوم التانيث: التانيث بمعنى (علّة معنوية) ولحاق علامة التانيث به (علّة لفظية).

وَقَعَ شَرْطٌ حُدُفَ جَوَابُهُ، لِذِلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ^(١). والتقديرُ: «كَيْفَمَا وَقَعَ مَنَعُ الصَّرْفِ».

ثم أشار إلى النوع الثاني مما يَنْعُ (الصرف) في التَّكْرَةِ فقال:

(وزائداً فَعْلَانٌ فِي وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُرَى بِنَاءِ تَأْنِيثِ حُخَيْمٍ)

يعني أن «زائدي فَعْلَانٌ» - وهما الألف والنون الزائدتان - يَمْنَعَانِ الصَّرْفَ، إذا كانت في وَصْفٍ سَلِمَ مِنْ أَنْ يُحْتَمَ بِنَاءِ التَّأْنِيثِ. والمانع له من الصرفِ الألفُ والنونُ والصفَةُ. وفهم منه أن ذلك مخصوصٌ بهذا الوزنِ الذي هو فَعْلَانٌ. وفهم من قوله: «في وَصْفٍ»، أن هاتين الزائدتين لو كانتا في غير الوصف لم يَمْنَعَا، نحو سِرْحَانِ^(٢). وفهم منه (أيضاً) أن الوصفَ المحتوي على هاتين الزائدتين إذا أُنْثِ بالهاء لم يَمْنَعِ، نحو نَدْمَانٍ فَإِنَّ مُؤَنَّثَهُ نَدْمَانَةٌ. فبمثال ما تَوَقَّرْتَ فيه شروطُ المانعِ غَضْبَانٌ وسِرْحَانٌ، فإنَّكَ تَقُولُ فِي مُؤَنَّثَيْهِمَا: غَضْبَى وسِرْحَى، ولا يجوزُ فيها غَضْبَانَةٌ وسِرْحَانَةٌ.

و «زائداً» معطوفٌ على الضميرِ المُسْتَتِرِ في «مَنَعِ» العائدِ على أَلِفِ التَّأْنِيثِ. وجازَ العَطْفُ عليه للفصلِ بالمفعول^(٣). والتقديرُ: (أَنَّ الَّذِي) مَنَعِ الصَّرْفِ أَلِفُ التَّأْنِيثِ وَ «زائداً فَعْلَانٌ». ويجوزُ أن يكونَ «زائداً فَعْلَانٌ» مُبْتَدَأً، والخبرُ محذوفٌ لِذِلَالَةِ مَا تَقَدَّمَ عَلَيْهِ، أي: وَ «زائداً فَعْلَانٌ» كذلك^(٤). وَ «سَلِمَ...» إلى آخِرِ البَيْتِ فِي مَوْضِعِ الصَّفَةِ لـ «وَصْفٍ». وَ «حُخَيْمٍ» فِي مَوْضِعِ المفعولِ الثَّانِي لـ «يُرَى»، وَ «بِنَاءِ» (جَارٌ وَمَجْرورٌ) مُتَعَلِّقٌ بِـ «حُخَيْمٍ»....

(١) كيفما وقع منع من الصرف (لم يذكر «منع من الصرف» لأن هذا المعنى تقدم على اسم الشرط وفعله «كيفما وقع»).

(٢) السرحان: الذئب.

(٣) «وزائد فَعْلَانٌ» معطوف على «ألف التأنيث» (في البيت السابق). والفصل بالمفعول (مجموع «صرف» الذي حواه - وهي مفعول به - معترضة بين الفعل «منع» وفاعله «زائداً فَعْلَانٌ»).

(٤) كذلك: «جار ومجرور (خبر «زائداً فَعْلَانٌ»، أو في محل خبر).

(٥) «سلم من أن يرى محتوماً بِنَاءِ التَّأْنِيثِ» جملة فعلية في محل نعت لكلمة «وصف». و «يرى بِنَاءِ تَأْنِيثِ حُخَيْمٍ»: يرى فعل مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو (يرجع إلى اسم). و «حُخَيْمٍ» جملة فعلية من الفعل «حُخِمَ» ونائب الفاعل المستتر فيه في محل مفعول به ثان للفعل المجهول «يرى».

فالأذهمُ القَيْدُ لِكَوْنِهِ وُضِعَ فِي الْأَصْلِ وَصَفًا أَنْصَرَفَهُ مُنْعَ

من أسماء القَيْدِ «أذهم»، وهو في الأصل، وصف؛ لكنه أَسْتَعْمِلَ أَسْتِمَالَ الْأَسْمَاءِ فَالْفَيْتُ فِيهِ الْأَسْمِيَّةُ وَبَقِيَ غَيْرَ مُنْصَرِفٍ عَلَى مُقْتَضَى الْأَصْلِ، فتقول: «مَرَزْتُ بِأَذهم»، أي بَقَيْدٍ. ومثل «أذهم» في ذلك «أرزم» لِنَوْعِ مِنَ الْحَيَاتِ وَ «أسود» لِلحَيَّةِ أَيْضًا.

فـ «أذهم» مُبْتَدَأٌ، وَ«القَيْدُ» بَدَلٌ مِنْهُ - بَدَلُ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ (١) - .
وَ«لِكَوْنِهِ» مُتَعَلِّقٌ بِ«مُنْعَ». وَ«فِي الْأَصْلِ» مُتَعَلِّقٌ بِ«وُضِعَ».

ثمَّ إِنَّ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي عَلَى وَزْنِ «أَفْعَلَّ» مَا جَاءَ فِيهِ الصَّرْفُ وَمُنْعَ الصَّرْفِ (مَعًا).
وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ (أَبْنُ مَالِكٍ) بِقَوْلِهِ:

(وَأَجْدَلٌ وَأَخْيَلٌ وَأَفْسَى مَصْرُوفَةٌ. وَقَدْ يَنْلَنَ الْمُنْعَا)

«أجدلٌ» أَسْمٌ لِلصَّخْرِ. وَ«أخيَلٌ» أَسْمٌ لِطَائِرٍ ذِي خَيْلَانٍ (٢). وَ«أفسى» أَسْمٌ لِضَرْبٍ (٣) مِنَ الْحَيَاتِ. وَليست هذه الْأَسْمَاءُ صِفَاتٍ - لَا فِي الْأَصْلِ وَلَا فِي الْأَسْتِمَالِ - فَصَحَّهَا الصَّرْفُ، وَلِذَلِكَ صَرَفَهَا أَكْثَرُ الْعَرَبِ. وَبعضُ الْعَرَبِ يَنْعَمُ مِنَ الصَّرْفِ، وَوَجْهُهُ (٤) أَنَّهُ (٥) لَاحِظٌ فِيهَا مَعْنَى الصَّفَةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي «أجدلٍ» لِأَنَّهُ مِنْ «الجدلِ» وَهُوَ الْقُوَّةُ. وَ«أخيَلٌ» (يُمْكِنُ أَنْ تُنْصَعَ مِنَ الصَّرْفِ) لِأَنَّهُ مِنَ «الخيولِ» (٦)، وَهُوَ الْكثيرُ الْخَيْلَانِ. وَفَهُمْ مِنْ قَوْلِهِ: «مَصْرُوفَةٌ، وَقَدْ يَنْلَنَ الْمُنْعَا» أَنْ الصَّرْفَ هُوَ الْكثيرُ (٧).....

٤ - شرح ألفية ابن مالك، فاس بلا تاريخ؛ فاس ١٢٩٤ هـ، فاس ١٣١٨ هـ؛ ثم في مصر، (بهاشم حاشية أحمد الملوحي) طبع حجر ١٢٧٩ هـ؛ مصر (مطبعة محمد مصطفى) ١٣٠١ هـ،

(١) أي بدل كل من كل: المُبدل منه (البدل) هو المُبدل نفسه.

(٢) الخيلان: التكثير والإعجاب بالنفس.

(٣) ضرب: نوع.

(٤) وجهه (وجه منه من الصرف أو سبب منه من الصرف).

(٥) أَنَّهُ (أَنْ بعض العرب).

(٦) الغالب أَنَّهُ مَصْرُوفٌ أَكْثَرُ مِنْهُ مَنُوعًا مِنَ الصَّرْفِ.

- ١٣٤٥ هـ؛ مصر (المطبعة الشرفية) ١٣٠٣ هـ؛ مصر (المطبعة الخيرية) ١٣٠٥ هـ؛ مصر (المطبعة الميمنية) ١٣٠٥ هـ؛ ثم مصر ١٣٢٠ هـ.
- شرح مقدّمة ابن أجروم، تونس ١٢٩٢ هـ؛ مصر ١٣٠٤ هـ؛ مصر (مطبعة عبد الرزّاق) ١٣٠٩ هـ؛ ١٣٤٥ هـ.
- شرح مقصورة ابن حازم القرطاجني (نشرها عبد الله كنون)، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- البسط والتعريف في نظم العلم الشريف (عليها شرح بعنوان: التفتح اللطيف لمحمد بن أبي بكر الصغير المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ= ١٦٧٨ م)، فاس ١٣١٥-١٣١٦ هـ.
- ★ الصوّ اللامع ٤: ٩٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٨-١٦٩ (١٤٥)؛ بنية الوعاة ٣٠٠؛ شذرات الذهب ٨: ٤؛ السوغ المغربي ٢١٠، ٨١٠-٨١٧، ٩١٧؛ الأدب المغربي ٢٧٨-٢٨٠؛ بروكلمن ٢: ٣١٠، ٣٦١، الملحق ٢: ٣٣٦، ٥٢٤؛ الأعلام للزركلي ٤: ٩١ (٣: ٣١٨)؛ معجم المؤلفين لكحالة ٥: ١٥٦؛ سيركيس ١٧٨٦-١٧٨٧.

ابنُ خَلْدُون

١- لما فتح المسلمون الأندلس دخلَ مع جيوش الفتح رجلٌ يميُّ من عرب حَضْرَمَوْتِ^(١) اسمه خالدُ بنُ الخطاب. وسكن خالدٌ هذا في قَرْمُونَةَ ثم انتقل إلى إشبيلية حيث عُرفَ بِأَسْمِ خَلْدُونِ (تصغير خالد: خالد الصغير)^(٢). ولما أَسْتَدَّ حَظْرُ الإِسبَانِ على إشبيلية سَنَةَ ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) هَجَرَها أَلُ الخَطَّابِ إلى ثغر سَبْتَةَ^(٣). ثم أنتقل محمدٌ جدُّ فيلسوفنا إلى تُونِسَ وولِيَ الوزارةَ حيناً. وكذلك مالَ والدُ فيلسوفنا (وأسمه محمدٌ أيضاً) إلى الشؤُونِ العسكرية والإدارية، ولكنه عادَ قُفِنَ بِالْعِلْمِ وأصبح

(١) حضرموت منطقة في جنوبي شبه جزيرة العرب.

(٢) يرى عبد الله كنون (مجلّة «البحث العلمي»، الرباط، جادى الآخرة- رمضان ١٣٨٤ هـ، ص ١٢٧-١٣٦). أن صيغة «خلدون» عربية تميد التحطيم بدلالاته الجسمية (أي بالواو والنون اللحنتين به) وهما في رأيه علامة جمع المذكر السالم، وعندني أن الواو والنون لاحقة تميد التصغير والتحبّب، ففي المشرق يقال عند التصغير والتحبّب كلبون وسعدون، صغيرون، الخ. وربما استعملت صيغة قول لهذا الغرض في الأسما المذكّرة والمؤنثة نحو: قدّور (تصغير عبد القادر) فطوم، عيوش (تصغيراً لفاطمة وعائشة) الخ.

تَمَّةٌ فِي الْفِقْهِ وَاللُّغَةِ، وَقَدْ تُوِّفِيَ بِالطَّاعُونَ الْجَارِفِ^(١) الَّذِي ذَهَبَ فِيهِ كَثِيرُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ
سَنَةَ ٧٤٩ هـ (١٣٤٩).

أَمَّا ابْنُ خَلْدُونِ نَفْسُهُ (وَهُوَ وَلِيُّ الدِّينِ أَبُو زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ... ابْنِ
خَالِدِ بْنِ الْخَطَّابِ) فَقَدْ وُلِدَ فِي تُونِسَ عُرَّةَ رَمَضَانَ ٧٣٢ (٢٧ / ٥ / ١٣٣٢ م). وَتَلَّمَ،
عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ تُونِسَ وَالْوَارِدِينَ إِلَيْهَا، الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ حِفْظًا وَتَفْسِيرًا ثُمَّ
الْحَدِيثَ وَالْفِقْهَ وَاللُّغَةَ وَالنَّحْوَ وَكَثِيرًا مِنَ الشَّرْحِ.

وَفِي سَنَةِ ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) أَلْتَحَقَ ابْنُ خَلْدُونِ بِمَاشِيَةِ أَبِي الْحَسَنِ الْمَرْيَنِيِّ سُلْطَانَ
مَرَاكُش^(٢). غَيْرَ أَنَّ أَوَّلَ عَهْدِهِ بِمَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ فَمَلَأَ كَانِ سَنَةَ ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)، فَقَدْ
تَوَلَّى «كِتَابَةَ الْعَلَمَاءِ» (دِيوانِ الرِّسَالِ) لِأَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ تَافَرَاكِينِ الْمُسْتَبَدِّ عَلَى الدَّوْلَةِ
يَوْمَئِذٍ بَتُونِسَ. ثُمَّ إِنَّهُ وَصَفَ لِأَبِي عَنَانَ صَاحِبِ فَاَسَ^(٣)، وَكَانَ يَجْمَعُ الْعُلَمَاءَ فِي بَلَاطِهِ،
فَأَسْتَقْدَمَهُ عَامَ ٧٥٥ هـ ثُمَّ أَسْتَخْدَمَهُ فِي آخِرِ سَنَةِ ٧٥٦ هـ (آخِرَ عَامِ ١٣٥٥ م)، ثُمَّ
غَضِبَ عَلَيْهِ فَسَجَنَهُ سَنَةَ ٧٥٨ هـ^(٤).

وَتَقَلَّبَ ابْنُ خَلْدُونِ فِي الْبِلَادِ فَكَانَ عِنْدَ بَنِي مَرِينٍ فِي فَاَسَ (٧٦٠ هـ = ١٣٥٩ م)،
وَعِنْدَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ فِي تِلْمَسَانَ (٧٦٣ هـ) ثُمَّ عِنْدَ بَنِي الْأَحْمَرِ فِي غَرْنَاطَةَ (٧٦٤ هـ)؛
فَأَرْسَلَهُ بَنُو الْأَحْمَرِ فِي سِفَارَةٍ إِلَى بَطْرِهِ مَلِكِ قِشْتَالَةَ (بَطْرَسَ الرَّابِعَ الْقَاسِي) لِإِتْمَامِ عَقْدِ
الصُّلْحِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ. ثُمَّ أُنْقَلَّ هُوَ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّهُ سَيَّمَ التَّطَوُّافَ
وَالْمَنَاصِبَ وَخَافَ عَوَاقِبَ السِّيَاسَةِ فَاتَّرَ الْأَعْتِزَالُ فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ، شَرْقَ تِلْمَسَانَ،
فَمَكَثَ عِنْدَ بَنِي الْعَرِيفِ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ وَبَدَأَ بِتَأْلِيمِ كِتَابِهِ فِي التَّارِيخِ. وَلَكِنَّهُ أَحْتَاَجَ
إِلَى مَوَادِّ لِكِتَابِهِ لَمْ تَكُنْ مَتَيْسَّرَةً فِي قَلْعَةِ ابْنِ سَلَامَةَ فَذَهَبَ إِلَى تُونِسَ
(٧٨٠ هـ = ١٣٧٨ م).

(١) هو الطاعون الذي عمَّ أوروبا وعرف عندهم باسم «الموت الأسود».

(٢) أبو الحسن علي بن عنان، تولى الملك من المهرم ٧٣٢ إلى جمادى الآخرة ٧٤٩.

(٣) المتوكل على الله أبو عنان فارس بن علي، جاء بعد أبيه أبي الحسن علي وبقي في الملك إلى الخامس والعشرين من ذي الحجة من سنة ٧٥٩.

(٤) راجع الفصيحة التي نظمها ابن خلدون في مديح أبي عنان (في المهنارات من آثاره).

وفي سنة ٧٨٤ هـ (١٣٧٢ م) سار ابنُ خلدون إلى الحجِّ، ولكنه لما وصل إلى مِصرَ عرِضَ عليه القضاء على المذهب المالكي فقبله، فتأخَّرَ ذهابه إلى الحجِّ حتى سنة ٧٨٩ هـ. وعاد من الحج إلى القاهرة وأتقطع فيها للتدريس حيناً ثم عاد إلى تولَّى القضاء (٨٠١ هـ = ١٣٩٩ م).

ولما غزا تيمورلنكُ سوريةَ ذهبَ الملكُ الناصرُ فرجٌ^(١) ابنُ الملكِ الظاهرِ برقوقَ إلى دمشقَ ليُفاوضَ تيمورَ وأصطحب معه العلماءَ وفيهم ابنُ خلدونِ. ثم سمع الناصرُ فرجٌ بمؤامرةٍ عليه في مِصرَ فأضطرَّ إلى العودة. فحملَ ابنُ خلدونِ التَّبعَةَ كُلَّهَا وذهبَ سراً على رأس وفدٍ لمفاوضة تيمورَ في الصلحِ وألقى بين يديه خطبةً نفيسةً؛ فأكرمه تيمورُ عليها وأعادَه إلى مِصرَ. وتولَّى ابنُ خلدونِ القضاءَ بِمِصرَ بعدَ ذلك مراراً، ثم وافاه اليقِينُ بالقاهرة في ٢٥ رَمَضانَ ٨٠٨ هـ (١٥ آذار - مارس ١٤٠٦ م).

٢- ابنُ خلدونِ أديبٌ وشاعرٌ وناقدٌ، ثم هو عالمٌ وفيلسوفٌ. وهو واضعُ عِلْمِ الاجتماعِ ومُدوِّنُ فلسفةِ التاريخِ. أمَّا أعظمُ آثاره فهو كتابُه المشهورُ في التاريخِ «كِتابُ العِبَرِ ودِيوانُ المُبتدِئِ والخَبَرِ في أَيَّامِ العَرَبِ والعَجَمِ والبربرِ ومن عاصَرَهُم من ذوي السُّلطانِ الأَكْبَرِ»^(٢). وأهمُ أقسامِ هذا الكتابِ عامَّةً وخاصةً الجزءَ الأوَّلَ منه وهو المعروفُ بِاسمِ «مُقَدِّمة»^(٣) ابنِ خلدونِ أو بِاسمِ «المُقَدِّمة» فحسبُ.

ولابنِ خلدونِ في «مُقَدِّمته» أسلوبانِ أسلوبٌ أنيقٌ كثيرُ التكلُّفِ والتَّصْنيعِ.

(١) السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق من سلاطين المماليك البرجية (في مصر) جاء إلى العرش في شوال من سنة ٨٠١ ثم بقي على العرش (في المرة الأولى) إلى ربيع الأول من سنة ٨٠٨ (قبل وفاة ابن خلدون بستة أشهر).

(٢) تيمورلنك (٤). - تيمورلنك (تيمور الأعرج)، ولد سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م)، تولَّى الملك على بلاد ما وراء نهر جيحون (تركستان) من سنة ٧٧٢ إلى سنة ٨٠٨ (١٣٧٠ - ١٤٠٥ م) وكان فاتحاً ظالماً وسفكاً للدماء. ومنذ سنة ٧٨٢ هـ بدأ باجتياح إيران (فارس) وما يجاورها من البلاد. ثم اقتحم الشام (سورية) وغزب حلب ودمشق وبغداد (٨٠٤ - ٨٠٥ هـ) وهزم بايزيد يلديرم (بايزيد الصاعقة) سلطان الدولة العثمانية، قرب أنقرة، سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م). ثم توفي تيمورلنك عشية عزمه على اقتحام الصين، سنة ٨٠٨ للهجرة (في السنة التي توفي فيها ابن خلدون). وتيمورلنك، كان برغم كلِّ سموته ومظالمه مسلماً مؤمناً وأديباً محباً للأدب.

(٣) مقَدِّمة (بكر الدال الشدَّة أو بفتحها).

تَجِدُهُ فِي دِيبَاجَةِ الْمَقْدَمَةِ وَفِي عَدِيدٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ مِنْ فُصُولِ الْمَقْدَمَةِ ثُمَّ أُسْلِبُ سَهْلٌ مُرْسَلٌ نَجْدُهُ فِي فُصُولِ الْمَقْدَمَةِ عَامَّةً (ذَلِكَ لِأَنَّ فُصُولَ الْكِتَابِ الْأُخْرَى مِنَ الْأَجْزَاءِ السَّتِّ الْبَاقِيَةِ أَكْثَرُهَا تُقُولُ عَنْ آخَرِينَ).

وهنا موضع كلام على زمن تأليف كتاب «العير». يقول ابن خلدون (في آخر الجزء الأول: المقدمة):

«أَتَمَمْتُ هَذَا الْجُزْءَ الْأَوَّلَ بِالْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ، قَبْلَ التَّنْقِيحِ وَالتَّهْذِيبِ، فِي مُدَّةِ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ آخِرُهَا مُنْتَصَفُ عَامِ سَعَةِ وَسَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ^(١). ثُمَّ تَعَفَّيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَهَدَيْتُهُ وَأَلْحَقْتُ بِهِ تَوَارِيخَ الْأُمَمِ.»

تناول عبد الرحمن بدوي هذا الموضوع (مؤلفات ابن خلدون، ص ٣٤ - ٤٠) ومال إلى أن يكون ابن خلدون قد وَضَعَ كِتَابَهُ كُلَّهُ (سبعة أجزاء) في نسخته الأولى على الأقل، في مدى خمس سنوات (راجع ص ٣٦). والذي أميلُ إليه أنا أن ابن خلدون قد «دَوَّنَ» في هذه المدَّة ما كان قد جَمَعَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ مَوَادِّ كِتَابِهِ. وَعِنْدِي أَيْضاً أَنَّ «المقدمة» (أو الجزء الأول) قد كُتِبَتْ بَعْدَ جَمْعِ تِلْكَ الْمَوَادِّ. بِهَذَا وَحْدَهُ نَسْتَطِيعُ فَهْمَ قَوْلِ ابْنِ خَلْدُونِ (التعريف برحلة ابن خلدون، ص ٢٢٩): «وَسَرَعْتُ فِي تَأْلِيفِ هَذَا الْكِتَابِ وَأَنَا مُقِيمٌ (بقلمة ابن سلامة) وَأَكْمَلْتُ الْمَقْدَمَةَ عَلَى ذَلِكَ النِّحْوِ الْغَرِيبِ الَّذِي أَهْتَدَيْتُ إِلَيْهِ (تمليل التاريخ: فلسفة التاريخ) فِي تِلْكَ الْخَلْوَةِ. فَسَأَلْتُ شَائِبَ^(٢) الْكَلَامِ وَالْمَعَالِي عَلَى الْفِكْرِ حَتَّى أَمْتَحِضَتْ زُبْدُهَا^(٣)» وَتَأَلَّفْتُ نَتَائِجَهَا.»

إِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ كُلَّهُ كَانَ فِي ذِهْنِ ابْنِ خَلْدُونِ مُدَّةً طَوِيلَةً - يَعْمَلُ فِي عَقْلِهِ الْبَاطِنُ - كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ النَّصِّ - وَالْأَفْلَسُ مِنَ الْمَالُوفِ أَنْ يَكْتُبَ إِنْسَانٌ مِثْلَ هَذَا الْمَوْضِعِ الْجَدِيدِ التُّشَعُّبِ الْمُرْدِّحِ بِالْأَقْوَالِ وَبِالْأَحْدَاثِ عَلَى سَبِيلِ الْأَسْتِشْهَادِ وَالتَّمثِيلِ، وَفِي نَحْوِ مِائَةِ وَسَبْعِينَ أَلْفِ كَلِمَةٍ (فِي النِّسْخَةِ الْأُولَى مِنْ

(١) عام ١٣٧٧ للميلاد.

(٢) الثوبوب (بالضم): الدفعة (بالضم) من المطر.

(٣) امتحض اللبن (الحليب) تحرك في وعائه. والمقصود هنا «مُخَضَّت» (بالبناء للمجهول) زبدتها: انفصل السن من الحيض (ماء اللبن)، ظهرت وتكوّنت خلاصته.

المقدمة)، في خمسة أشهر. فَلَعلَّ ابنَ خَلْدونِ كانَ قد جَمَعَ موادَّ كتابِهِ كُلِّها ثمَّ جَلَسَ في تلكَ المَدَّةِ يُؤَلِّفُ (يَجْمَعُ بعضَ موادِّهِ إلى بعضٍ) فبدأ، بطبيعةِ الحالِ، بالجزءِ الأوَّلِ ثمَّ أُنقَلَ إلى تَهذِيبِ الأجزاءِ الباقية. ومَعَ ذلكَ فالْمَوْضُوعُ يَحْتَاجُ إلى دراسةٍ داخليةٍ (مقارَنةٍ نصوصِ المقدمةِ أوِ الجزءِ الأوَّلِ بنُصوصِ الأجزاءِ الباقية).

* * *

وإبنُ خَلْدونِ مُحِيطٌ بِكثيرٍ منَ علومِ الأقدمينَ قَبْلَ الإسلامِ ومنَ العلومِ الحادثةِ بَعْدَ ظُهورِ الإسلامِ، في الفِلسَفَةِ النَّظَريَّةِ وفي العِلْمِ العَمَلِيِّ معاً. ومَعَ أنَّ ابنَ خَلْدونِ أَشْرَفِيٌّ في حَيَاتِهِ العَمَلِيَّةِ (يُفَضِّلُ الرِّوَايَةَ الدِّينِيَّةَ على الأخذِ بالعقلِ)، فَإِنَّهُ عِنْدَ البَحْثِ في كُلِّ شَيْءٍ منَ وُجُوهِ الثَّقَافَةِ الإنسانيَّةِ (في الفِلسَفَةِ وفي الدِّينِ أيضاً) مُعتزِلِيٌّ المُنْهَجَ (يأخذُ بقواعدِ المَنطِقِ وبِما يَدُلُّ عليه العَقْلُ ثمَّ بما هو مُشَاهِدٌ في الأَجْتِمَاعِ الإنساني).

وهُوَ أيضاً عالِمٌ حَسَنُ الرِّوَايَةِ لِلعِلْمِ مُنْصِيفٌ لخصومهِ واضِحٌ في بَحْثِهِ يَعرِضُ رَأْيَ المَحْضَمِ كما يَقولُ الحَضَمُ - وإنَّ كانَ ذلكَ الرَأْيُ مُخَالَفاً لرَأْيِ ابنِ خَلْدونِ نَفْسِهِ أوِ لاعتقادهِ أيضاً، كما نرى عِنْدَ كَلَامِهِ على اليهودِ والنصارى، في الفِصلِ الثالثِ والثلاثينَ مِنَ الفِصلِ الثالثِ (في طَبْعَةِ دارِ الكِتَابِ اللبْنَانِيِّ: من «البابِ» الثالثِ) منَ الكِتَابِ الأوَّلِ^(١) مثلاً.

وإذا عَرَضَ ابنُ خَلْدونِ للعلومِ الطَّبِيعِيَّةِ أوِ الرِّياضيَّةِ - وَهِيَ لَيْسَتْ عُلُوماً داخليةً في اِختِصاصِهِ - فَإِنَّهُ يُحْسِنُ عَرَضَهَا وتَفْهيمَهَا إلى حَدِّ كَبِيرٍ، كما نرى عِنْدَهُ في الكَلَامِ على الحِسابِ والمَهندِسةِ أوِ على الفَلَكِ والجغرافيةِ أوِ على الكِيمياءِ والطَّبِّ^(٢).

وإبنُ خَلْدونِ مُؤَلِّفٌ له^(٣) (غَيْرُ كِتَابِ العِبرِ): لُبَّابِ المَحْصَلِ^(٤) في أَصُولِ

(١) راجع المقدمة (بيروت ١٩٠٠ م)، ص ٢٣٠-٢٣٥ بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١ م، ص ٤٠٨-٤١٦.

(٢) مثلها، ص ٤٨٢ وما بعدها ثم ص ٨٩٤-٩١٩.

(٣) مؤلفات ابن خلدون، ص ٩ وما بعد.

(٤) «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» أو «المحصل من نهاية العقول في علم الأصول»: كتاب في الفلسفة العقلية أو فلسفة ما بعد الطبيعة (بروكلمن ١: ٦٦٨) للنخري الرازي، وهو أبو عبد الله محمد بن عمر، ولد =

الدين - تلخيصٌ عديدٌ من كسبِ أبي رُشدٍ^(١) - تقييدٌ في المنطق - كتابٌ في الحساب - شرحٌ رَجَزٌ في أصولِ الدينِ لِلسانِ الدينِ بنِ الخطيب^(٢) - شرحُ البردة^(٣) - شفاءُ السائلِ لتَهذيبِ المسائلِ^(٤).

وَيَنْظِمُ أبْنَ خَلْدُونَ الشِعْرَ فَيُطِيلُ. وَمُعْظَمُ شِعْرِهِ فِي الْمَدِيحِ وَفِيهَا يَتَّصِلُ بِالْمَدِيحِ. وَفِي شِعْرِهِ مَعَانٍ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُهَا يَرِدُ عِنْدَ كِبَارِ شُعْرَاءِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَمْثَالِ أَبِي تَمَّامٍ وَأَبْنِ الرَّومِيِّ وَالْمَتَسَّبِيِّ. وَفِي قَوَافِيهِ خَاصَّةً كَثِيرٌ مِنَ الْأَلْفَاظِ عَلَى صِيغٍ غَيْرِ مألُوفَةٍ، وَكَثِيرٌ مِنْ قَوَافِيهِ قَلْبٌ مَجْلُوبٌ (لَا يَنْزِلُ فِي خِتَامِ الْآيَاتِ مَنزِلَةً مألُوفَةً أَوْ مُسْتَقَرَّةً). وَعَلَى شِعْرِهِ عَامَّةً قَدْرٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجَفَافِ وَقِلَّةُ الطَّلَاوَةِ. وَكَانَ ابْنُ خَلْدُونَ يَشْعُرُ بِذَلِكَ كُلَّهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ:

وَمَا كَانَ لِي نَظْمُ الْقَرِيضِ بِضَاعَةً، وَلَكِنْ دَعَا نِي نَحْوَ مَدْحِكَ جَاذِبُ.

٣- مختارات من آثاره

- من المقدمة

(أ) من الديباجة:

الحمد لله الذي له العزّة والجبروتُ، وبيده الملكُ والملكوتُ^(٥)، وله الأسماءُ الحُسنى

= سنة ٥٤٣ أو ٥٤٤ للهجرة (١١٤٨ - ١١٥٠ م). وهو من المفسرين (للقرآن الكريم) ومن الفقهاء والفلاسفة. كانت وفاته سنة ٦٠٦ هـ (١٢١٠ م).

(١) من كسب ابن رشد التي كان ابن رشد قد لخصها من كتب أفلاطون وأرسطو، فيما يبدو، ككتاب السياسة (المعروف باسم «الجمهورية») لأفلاطون، وكتاب السياسة لأرسطو (راجع مؤلفات ابن خلدون، ص ٩-١٠).

(٢) لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ).

(٣) البردة: بديهيّة (قصيدة في مدح محمد رسول الله) لكتب بن زهير التوماني سنة ٢٦ للهجرة (٦٤٥ م) (راجع الجزء الأول، ص ٢٨٢ وما بعد).

(٤) في مسائل مختلفة، منها التصوّف.

(٥) العزّة: الغلبة (المنقلب على كل ما سواه). الجبروت: القهر (حمل الناس على الطاعة). الملك (الحكم في الأرض) والملكوت (الحكم في السماء). - الجبروت والملكوت (هما في الأغلب بصيغة الجمع - بالواو والتاء من اللغات الأعرابية (التي يقال لها خطأ سامية - للدلالة على جميع أنواع الملك (الحق).

والنموت؛ العالمُ فلا يَغزُبُ عنه ما تُظهِره النُّجوى^(١) أو يُخفيه السكوت، القادرُ فلا يُعجزه شيءٌ في السموات والأرض ولا يفوت. أنشأنا من الأرض نَساً^(٢)، وأسْتَعْمَرْنَا فيها أجيالاً وأممًا، ويسر لنا منها أرزاقاً وهَسباً، تَكْتَفُنَا الأرحام والبيوت، ويَكْفُلُنَا الرزقُ والقوت، وتُبَلِّينَا الأيامَ والوقوت، وتَمْتَوِرُنَا الآجالَ التي حُطَّ عَلَيْنَا كِنَاهُهَا الموقوت^(٣). وله البقاء والثبوت. وهو الحميُّ الذي لا يموت.....

أما بعد، فإنَّ فنَّ التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتُسدِّ إليه الركائبُ والرَّحال^(٤)، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغفال، وتتنافس فيه الملوك والأقيال، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال^(٥)؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدُّول والسوابق من القرون الأولى، تسمو فيها الأقوال^(٦)، وتضربُ فيها الأمثال، وتُظَرَّفُ بها الأنديةُ إذا غَصَّها الاحتفال^(٧).....

(١) عزب يعزب: غاب، خفي. النجوى: الكلام سرّاً بين شخصين.

(٢) أنشأنا (صنعنا، خلقنا) من الأرض (التراب) نَساً (حياة) - جعل الحياة من شيء لا حياة فيه.

(٣) تكتفنا: تحيط بنا. الرحم (بفتح فكس): كيس في بطن الأنثى يتخلق فيه المولود. - نحن (وكل شيء آخر) محدودون بالأمكنة، أما هو (الله) فلا يحويه مكان (لمطمته) ولا يحده. يكفلنا الرزق والقوت (الطعام يبقينا أحياء). أما هو فلا يحتاج إلى من يرزقه ولا يحتاج إلى طعام. تبلينا: تهلكنا (تأخذ من قوتنا وحياتنا وعمرنا). تمتورنا الآجال (الأجل: مدى عمر الإنسان): تتداولنا (يموت بعضنا إثر بعض). الكتاب الموقوت: الموت.

(٤) الركوبة (بالفتح): دابةٌ يهاجر الناس عليها. الرجل (بالكس): ما يوضع على ظهر الدابة للركوب عنها. تشد إليه.... (يقصده الناس).

(٥) السوقة: الرعية، عامة الناس أو العامة من الناس. الأغفال جمع غُفل (بالضم): الإنسان العادي، من لا حسب (عمل مجيد) له، الذي لا يعرفه أحد. القليل (بالفتح): ملك اليمن (الملوك من عرب الشمال والأقيال من عرب الجنوب: جميع الملوك). يتساوى فيه العلماء (يعرفه العلماء) والجهال (يُدعي معرفته الجهال) أو: يُسرَّ بساعه العلماء والجهال.

(٦) تسمو (تكثر، تزيد) فيه الأقوال: يضيف إليه الناس أشياء ليست منه.

(٧) تُظَرَّفُ به الأندية (أماكن اجتماع الناس) إذا غَصَّها (ملأها) الأحتفال (أجتماع الناس): يكون التاريخ (القصص - بفتح فتح - وأخبار الناس) طريفاً (جديداً - ولو أعيد ذكر الحادثة الواحد، مرة بعد مرة، محبوباً).

(ب) في أن من طبيعة الملك الترف:

وذلك أن الأمة إذا تغلبت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها كثر رباشها^(١) ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشوتته إلى نوافله^(٢) ورقته وزينته ويذهبون إلى من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم. وتصير لتلك النوازل عوائد ضرورية في تحصيلها، ويتزعمون مع ذلك إلى^(٣) رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والأنية، ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأمم: في أكل الطيب ولبس الأنيق وركوب الفاره، ويناغي^(٤) خلفهم في ذلك سلفهم إلى آخر الدولة. وعلى قدر ملكهم يكون حظهم من ذلك وترفعهم فيه إلى أن يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تبلغها بحسب قوتها وعوائدها من قبلها. سنة الله في خلقه، والله تعالى أعلم.

(ج) العباسة أخت الرشيد^(٥) (المقدمة ١٥ / ٢٢):

ومن الحكايات المدخولة^(٦) للمؤرخين ما ينقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامية من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاها^(٧)، وأنه لكلفه بمكانها من معاقرته إياها الخمر^(٨) أذن لها في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعها في مجلسه، وأن العباسة تحيلت عليه في آتاس الخلوة به لها شغفها من

(١) الرباش (جمع ريش): المال والأثاث - الأدوات التي يعضها الناس في بيوتهم - (تاج العروس - الكويت ١٧ : ٢٣٠).

(٢) العوائد هنا: العادات (أو دخلهم من المال). النافلة: ما يزيد على المطلوب أو الضروري.

(٣) نزح إلى الشيء: مال إليه.

(٤) الأنيق: الجميل المنظر، ما يحسن شكله في العين. الفاره (بالهاء): الدابة الجميلة المنظر والشيطة في سيرها. يناغي: يداي، ينافس.

(٥) راجع كتاب «تجديد التاريخ» للمؤلف، ص ١٥٢ وما بعد.

(٦) المدخولة: التي فيها خطأ (لا صحة لها).

(٧) مولاها: المنتسب بالولاء إليه: كان غير العربي إذا دخل في الإسلام آتسب إلى أحد رجال العرب (المسلمين) بالولاء أو إلى قبيلته. مثال ذلك أبو تمام الطائي (شعر رومي - يوناني - الأصل، ينتسب إلى بني طيء بالولاء: بالموذة والطاعة).

(٨) الكلف: الشغف، الميل (بالفتح) والهاصة.

حُبّه - زَعَمُوا في حالة السُّكْرِ - فَحَمَلْتِ وُوْشِيَ بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتغَضِبَ^(١).

وهيأت ذلك^(٢) من مَنَصِبِ العَبَاسَةِ في دِينِهَا وَأَبْوَيْهَا وَجَلَالِهَا، وَأَنَّهُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ أَيْ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعُظْمَاءُ الْمِلَّةِ^(٣) مِنْ بَعْدِهِ. وَالعَبَاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ المَهْدِيِّ أَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ السَّجَّادِ بْنِ عَلِيٍّ أَبِي الخَلْفَاءِ^(٤) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجُمَانِ القُرْآنِ^(٥) أَيْنِ العَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْبَةُ خَلِيفَةِ أُخْتِ خَلِيفَةِ^(٦) مَحْفُوفَةَ^(٧) بِالْمُلْكِ العَزِيزِ وَالخِلَافَةَ النَّبَوِيَّةَ وَصُحْبَةَ الرُّسُولِ وَعَمُومَتَهُ وَإِقَامَةَ الْمِلَّةِ^(٨) وَنُورَ الوَحْيِ وَمَهِيْطَ المَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةَ عَهْدٍ بِبِدَاوَةِ العُرُوبِيَّةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ^(٩) البَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِّ وَمَرَاعِ الفُحْشِ. فَأَيُّ يَطْلُبُ الصَّوْنَ وَالعَفَافُ إِذَا ذَهَبَا عَنْهَا؟ أَوْ أَيُّ تَوْجِدِ الطَّهَارَةِ وَالدِّكَاءِ^(١٠) إِذَا فُقِدَا مِنْ بَيْتِهَا؟ أَوْ كَيْفَ تُلْجَمُ نَسَبًا بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدْنَسُ شَرَفَهَا العَرَبِيُّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي العَجْمِ..... وَكَيْفَ يَسُوِّغُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ يَضْهَرَ إِلَى مَوَالِي الأَعَاجِمِ عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ وَعِظَمِ آبَائِهِ. وَلَوْ نَظَرَ التَّمَاكُلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ المُنْصِيفِ وَقَاسَ العَبَاسَةَ بِأَيْبَةِ مَلِكٍ مِنْ عِظْمَاءِ مُلُوكِ زَمَانِهِ لَاسْتَنْكَفَ^(١١) لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قَوْمِهَا وَأَسْتَنْكَرَهُ وَلَجَّ^(١٢) فِي تَكْذِيبِهِ. وَأَيُّ قَدْرُ العَبَاسَةِ وَالرَّشِيدِ مِنَ النَّاسِ^(١٣)!

(١) استغضب، المقصود: «أغضب» بالبناء للمجهول: قُلْ بِهِ مَا يَدْعُو إِلَى الغَضَبِ.

(٢) هيأت ذلك: ما أبعد ذلك!

(٣) المِلَّةُ (هنا): الدِّينُ، الإسلام.

(٤) مُحَمَّدُ المَهْدِيُّ (أَيْنُ أَبِي جَعْفَرِ المَنْصُورِ): الخَلِيفَةُ العَبَّاسِيَّةُ الثَّالِثَةُ. أَبُو الخَلْفَاءِ: الَّذِي كَانَ (جَمِيعُ) الخَلْفَاءِ (العَبَّاسِيِّينَ) مِنْ نَسَلِهِ.

(٥) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسِ بْنِ عَمِّ الرُّسُولِ، كَانَ مَوْثُوقًا فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ.

(٦) ابْنَةُ خَلِيفَةِ (أَيْبَةُ مُحَمَّدِ المَهْدِيِّ) أُخْتُ خَلِيفَةِ (أُخْتُ هُرُونَ الرَّشِيدِ).

(٧) مَحْفُوفَةُ: مَحَابَّةٌ (مِنْ قَرَبٍ).

(٨) إِقَامَةُ الْمِلَّةِ: المَهِابَةُ عَلَى عَقَائِدِ الدِّينِ وَتَعَالِيمِهِ.

(٩) سَدَاجَةُ الدِّينِ: بَسَاطَةُ الدِّينِ وَصَفَاؤُهُ.

(١٠) الدِّكَاءُ (كَذَا فِي الأَصْلِ). اقْرَأ: الزَّكَاةَ (بِالزَّايِ أُخْتُ الرَّاءِ): الطَّهَارَةُ.

(١١) اسْتَنْكَفَ: كَرِهَ، امْتَنَعَ، رَفَضَ.

(١٢) لَجَّ: اسْتَمَرَّ (أَصْرًا).

(١٣) هُرُونَ الرَّشِيدِ وَأُخْتُهُ العَبَّاسَةُ فَوْقَ مَسْتَوَى النَّاسِ العَادِيَيْنِ.

وإنما نكَبَ البرامكة ما كان من آسِنَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَأَحْتِجَافِهِمْ أُمُوالَ
الجِبايةِ^(١).....

(د) تقليد المغلوب للغالب:

يقول ابن خلدون^(٢):

فِي أَنَّ الْمَغْلُوبَ مُوَلِّعٌ أَبَدًا بِالْأَقْتِدَاءِ بِالْغَالِبِ فِي شِعَارِهِ وَزِيَّهِ وَنِحْلَتِهِ^(٣) وَسَائِرِ أحوالِهِ
وعَوَائِدِهِ^(٤) - وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكِمَالَ فَيَمِنُ غَلْبِهَا وَانْقَادَتِ
إِلَيْهِ، إِمَّا لِنِظْرَةٍ^(٥) بِالْكِمَالِ بِهَا وَقَرَّ^(٦) عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ (ذَاتَهَا)^(٧) مِنْ
أَنَّ اتِّقَادَهَا (ذَلِكَ) لَيْسَ لِعَلْبٍ طَبِيعِيٍّ^(٨)، إِنَّمَا هُوَ لِكِمَالِ الْغَالِبِ، فِذَا (هِيَ) غَالِطَتْ
(ذَاتَهَا) بِذَلِكَ (كَانَ ذَلِكَ) لَهَا أَعْتِقَادًا فَانْتَحَلَتْ^(٩) جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ .
وَذَلِكَ هُوَ الْأَقْتِدَاءُ . (وَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ) لِمَا تَرَاهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ أَنَّ غَلْبَ الْغَالِبِ لَهَا
لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةٍ بِأَسْرِ^(١٠)، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا أَنْتَحَلْتَهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا
بِذَلِكَ عَنِ الْعَلْبِ، وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ . وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي
مَلْبِسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا^(١١) بَلْ وَفِي^(١٢) سَائِرِ أحوالِهِ . وَأَنْظُرْ ذَلِكَ

(١) احتجف الرجل الشيء: استخلصه (حازه، أخذه بغير حق). الجباية: الضرائب الواجبة للدولة على الناس.

(٢) المقدمة ١٤٧/٢٥٨.

(٣) الشعار: العلامة، الثارة الدالة على شرف أو منصب. النحلة (بالكسر): الدين.

(٤) العوائد (العادات).

(٥) النظرة: اللحمة، (رؤية، اعتقاد).

(٦) قر: ثبت.

(٧) تُغَالِطُ لِنَفْسِهَا.

(٨) العلب الطبيعي (القائم على القوة أو الفضل أو سبق في مبادئ الحياة).

(٩) انتحلت: اتخذت، عملت.

(١٠) الشدة في الحرب، القوة.

(١١) لا يكتفي الضيف بتقليد القوي في نوع طعامه مثلاً، بل في الشكل (الصورة) الخاص الذي يملكه القوي في تناول طعامه.

(١٢) «بل وفي» تعبير خاطيء (بزيادة الواو) يرد عند ابن خلدون وعند غيره كإبن تيمية (ت ٨٢٧ هـ) مثلاً.

في الأبناء مع آباؤهم كيف تجدهم متشبهين بهم دائماً، وما ذلك إلا لأعتقادهم الكمال فيهم.

وأنظر إلى كل قُطرٍ من الأقطار كيف يَقلِبُ على أهله زِيَّ الحامية^(١) وجُنْدِ السُّلطانِ في الأكثرِ لِأنهمُ الغالبون لهم، حتَّى إنَّه إذا كانت أُمَّةٌ تُجاوِرُ أُخرى - ولها الغلبُ عليها - فيسري إليهم من هذا التَّشْبُه والأقتداء حظُّ كبيرٌ، كما هو في الأندلس لهذا العَهدِ مع أُمَّةِ الجِلالَةِ^(٢) فإنك تجدهم يتشبهون بهم في ملايسهم وشاراتهم و (في) الكثير من عوائدهم وأحوالهم حتَّى في رَسْمِ التائيل^(٣) في الجُدرانِ والمصانع^(٤) والبيوت، حتَّى لقد يَستَشرُّ^(٥) من ذلك الناظرُ بعينِ الحكمة أَنه من علاماتِ الأستيلاء^(٦). والأمرُ لله. (ثم) تأمَّلْ في ذلك سيرَ قولهم: « العامةُ على دينِ المَلِكِ »^(٧)، فإنَّه من بابِه^(٨)، إذ المَلِكُ غالبٌ لِمَنْ تحتَ يَدِه، والرعيَّةُ مُتَّدون به لأعتقادِ الكمالِ فيه أعتقادَ الأبناء بآباؤهم والمتعلِّمين بمعلِّمهم. والله العليمُ الحكيمُ، وبه سُبحانَه وتعالى التوفيقُ.

(هـ) العلوم العددية:

وأولها الأرقاماتيقي^(٩)، وهو معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف^(١٠): إمَّا على

-
- (١) الحامية: الجنود المكفون بحفظ الحدود (ويكونون عادة من جنود القوي الذي يحتل بلداً ضيقاً).
 - (٢) الجلالة: سكان الجانب الشمالي الغربي من شبه جزيرة الأندلس (هنا: نصارى الأندلس).
 - (٣) التائيل هنا (صور الرجال النصارى ورموزهم).
 - (٤) المصنع (هنا) حوض الماء أو البناء العظيم (القصير).....
 - (٥) استشر الشيء: أحس به.
 - (٦) ... استيلاء الإسبان على الأندلس. (قال ابن خلدون ذلك قبل خروج العرب من الأندلس بنحو مائة عام).
 - (٧) في المثل المشهور: الناس على دين ملوكهم.
 - (٨) من بابِه: من نوعه.
 - (٩) الأرقاماتيقي: الحساب.
 - (١٠) نسق الأعداد على نظام معين.

التوالي^(١) أو بالتضميف^(٢)؛ مثل أن الأعداد إذا توالَتْ مُتفضِّلةً بعددٍ واحدٍ، فإنَّ جَمَعَ الطَّرْفَيْنِ مِنْهَا سَاوٍ لَجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدُهَا مِنَ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ^(٣)، ومثلُ ضِعْفِ الوَاسِطَةِ^(٤).... ومثل أن الأعداد إذا توالَتْ على نسبةٍ واحدةٍ بأن يكون أولُها نصفَ ثانيها، وثانيها نصفَ ثالثها، الخ، أو يكون أولُها ثلثَ ثانيها، وثانيها ثلثَ ثالثها الخ، فإن ضربَ الطَّرْفَيْنِ أَحَدَهُمَا فِي الآخَرَ (يكونُ حَسْبِيذٌ) كضربِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدُهَا مِنَ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدِهِمَا فِي الآخَرَ^(٥)، ومثلُ مُربِّعِ الوَاسِطَةِ^(٦).....

(و) لغة القرآن الكريم:

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ: فَنُ الشَّرْحِ، وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَنْظُومُ الْمُتَمَيِّ - وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رُويٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ ؛ وَفَنُ النَّثْرِ، وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فَنُونٍ وَمَذَاهِبَ فِي الْكَلَامِ.....

وَأَمَّا الْقُرْآنُ^(٧) وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُنْتَوِرِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ. وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مَسْجَمًا^(٨)، بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِهِ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَائِهِ الْكَلَامَ عِنْدَهَا^(٩)، ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيُتَسَّى مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفِ

(١) على التوالي بفرق معين: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، الخ أو ١، ٢، ٤، ٦، الخ أو ١، ٥، ١٠، ١٥، الخ.

(٢) التضميف: ضرب الأعداد في السلسلة المتوالية الأعداد بعدد معين. ضرب الأعداد باثنين، مثلاً، ١،

٢، ٤، ٨، الخ، أو بثلاثة: ١، ٣، ٦، ٩، ١٢، الخ، أو بخسة: ١، ٥، ١٠، ١٥، ٢٠، الخ.

(٣) في: ١، ٢، ٤، ٦، ٨، الخ، ١، ٢، ٤، ٦، ٨، الخ، ١، ٢، ٤، ٦، ٨، الخ، أي (١٢) = ٤ + ٨.

(٤) راجع الحاشية التي قبل السابقة: ١، ٢، ٤، ٦، ٨، ١٦، ٣٢، الخ (كل عدد هنا هو نصف العدد الذي

بعده. وفي الحاشية نفسها: ٣ هي ثلث ٩، و ٩ هي ثلث ٢٧، الخ.

(٥) في المتوالية بالتضميف، ١، ٢، ٤، ٦، ٨، ١٦، ٣٢، الخ مثلاً، ٨ × ٨ = ٤ × ٤، ثم ٨ × ٢ = ٤ × ٤، الخ.

أو ٨ × ٢ = ٤ × ٤، الخ.

(٦) حينما يأتي في آخر أبيات الشعر ألفاظ مثل: مال، نالوا، أزالوا، حال، فاللام هي الروي، أما القافية

فهي ال، نالوا، الخ.

(٧) القرآن (القراءة): كلام الله القديم المدون في المصحف. لا تقل: عندي قرآن. قل: قرأت

القرآن - عندي مصحفان - قرأت في المصحف.

(٨ و ٩) لا يقال للألفاظ التي في أواخر آيات القرآن: (السورة ١١٣): ﴿قُلْ: أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ =

يكونُ سَجْمًا ولا قافية.....

(ز) تعريف الشعر:

الشعر هو الكلام البليغ المَبْنِي على الاستعارة والأوصاف، المُفَصَّلُ بأجزاء متَّفِقَةٍ في الوزن والروِي (مستقلًا) كلُّ جزءٍ منها في غَرَضِهِ ومَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وبعدهُ والجاري على أساليبِ العربِ المخصوصةِ به..... وقلنا الجاري على الأساليبِ المخصوصةِ به فَصْلٌ له (أي يفصله، يجعله مفصولًا مختلفًا) عَمَّا لم يَجْرِ منه على أساليبِ الشعر المعروفة؛ فإنه حينئذٍ لا يكونُ شِعْرًا، إنَّما هو كلامٌ منظوم، لأنَّ الشعر له أساليبٌ تخصُّه لا تكون للمنشور. وكذا أساليبُ المنشور لا تكون للشعر. فما كان من الكلام منظومًا وليس على تلك الأساليب فلا يُسمَّى شعرًا. وهذا الاعتبار^(١) كان الكثيرُ ممن لَقِينَاهُ من شيوخنا^(٢) في هذه الصَّنَاعَةِ الأدبيةِ يَرَوْنَ أن نظمَ المتنبيِّ والمعريِّ ليس هو من الشعر في شيء لأنَّها لم يَجْرِيَا على أساليبِ العربِ فيه.....

اعلم أن لِعَمَلِ الشعر وإحكام صِنَاعَتِهِ شروطًا أوَّلُهَا الحِفْظُ من جنسه، أي من جنس شعر العرب، حتَّى تنشأ في النفس مَلَكَةٌ تُنْسِجُ على مِنَوَالِهَا. وَيُتَخَيَّرُ المحفوظُ من الحرِّ النقيِّ الكثيرِ الأساليبِ. وهذا المحفوظُ المختارُ أقلُّ ما يكفي فيه شعرُ شاعرٍ من الفحول الإسلاميين^(٣) مثل ابن أبي ربيعة وكثيرٍ وذي الرُّمَّةِ وجريِّ وأبي نُوَاسٍ وحَبِيبِ والبحرِيِّ والرَّضِيِّ وأبي فراس..... والمختارُ من شعر الجاهلية. ومن كان خاليًا من المحفوظ فنظَّمه قاصرٌ رديٌّ. ولا يُعْطِيهِ الرونقُ والحلاوةُ إلَّا كَثْرَةُ المحفوظِ.

= * ومن شرَّ غاسقٍ إذا وقب * ومن شرَّ نفاثاتٍ في العُقد * ومن شرَّ حاسدٍ إذا حدَّ * * أسجاع (كما في الخطب الجاهلية مثلاً)، بل فواصل بين الجمل جاءت فيها هذه الألفاظ في محلِّها (بلا قصد للموافقة بين الأحرف).

(١) الاعتبار: العبرة (بالكسر)، أي الاتِّعَاطُ بالحوادث التي تمرُّ بالإنسان، الاستفادة من أخطاء الآخرين ومن مصائبهم. والمقصود هنا: إنعام النظر (تنهِّمُ الأمور).

(٢) الشيوخ: الأساتذة الكبار.

(٣) الشعراء الإسلاميون هم الفنن كانوا في صدر الإسلام (أمام الخلفاء الراشدين) وفي الدولة الأموية: حسان ابن ثابت وعمر بن أبي ربيعة وجريِّ والأخطل الصرَّافي كانوا شعراء إسلاميين.

(ح) اللفظ والمعنى:

(ويجب على الشاعر أن) يَحْتَسِبَ الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ جُهْدَهُ، وَإِنَّا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى الْفَهْمِ. وكذلك كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ، فَإِنَّ فِيهِ نَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ، وَإِنَّا الْمُخْتَارُ مِنْهُ مَا كَانَتْ أَلْفَاظُهُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى^(١) مِنْهَا قَلِيلًا. فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَتْ حَسْرًا، وَاشْتَغَلَ الذَّهْنَ بِالْقَوْصِ عَلَيْهَا فَضَعَّ الذُّوقَ مِنْ أَسْتِيفَاءِ مَذْرِكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ. وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ أَلْفَاظَهُ إِلَى الذَّهْنِ. وَهَذَا كَانَ شُبُوحُنَا، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، يَعْيبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ أَيْ خَفَاجَةَ شَاعِرٍ شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَازْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْيبُونَ شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ^(*) النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا مَرَّ، فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنِ طَبَقَةِ الشَّعْرِ؛ وَالْحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذُّوقُ.

(ط) نشأة الموشح:

(راجع الجزء الرابع، ص ٤٢٢ و ٤٣٥).

- مدح أبي عنان فارس:

كَانَ أَبُو عِنَانٍ فَارِسٌ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ أَحَدَ سَلَاطِينِ بَنِي مَرْيَمَ فِي فَارِسَ (٧٤٩-٧٥٩ هـ) قَدْ غَضِبَ عَلَى أَبِي خَلْدُونَ وَحَبَسَهُ. وَلَمَّا طَالَ الزَّمَنُ عَلَى أَبِي خَلْدُونَ فِي السُّجُنِ، نَظَّمَ قَصِيدَةَ فِي مَدْحِ أَبِي عِنَانِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ - وَكَانَ قَدْ مَضَى عَلَيْهِ فِي السُّجُنِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا - وَأَرْسَلَهَا إِلَيْهِ فِي الثَّلَاثِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ ٧٥٩ هـ (فِي أَوَاسِطِ تَمُوزَ - يُولِيُو مِنْ عَامِ ١٣٥٨ م). مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ:

عَلَى أَيِّ حَالٍ لَلْيَالِيِ أَعَاتَبُ؟ وَأَيُّ صُرُوفٍ لِلزَّمَانِ أَغَالِبُ^(٢)؟
كَفَى حَزَنًا أَنِّي عَلَى الْقُرْبِ نَازِحٌ وَأَنِّي عَلَى دَعْوَى شُهُودِي غَائِبُ^(٣)؛

(١) أوفى: أكثر.

(*) عدم النسج: ترك النسج (كلمة «عدم» هنا ستمثلة على غير الوجه الصحيح).

(٢) صروف الدهر: أحداثه (مصائبه).

(٣) نازح: بعيد. وأني على دعوى شهودي غائب (مع أنني موجود في بلدك، فأنا غائب عن رعابتهك).

وَأَتَى عَلَى حُكْمِ الْحَوَادِثِ نَازِلٌ
أَجْنُ إِلَى إِلَهِي، وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ
وَمَا أُنْسَ لَا أُنْسَ الْوَدَاعِ، وَقَدْ جَرَتْ
عَشِيَّةً بَانُوا وَالْقُلُوبُ جَوَامِدٌ،
وَقَفْنَا وَلَا نَجْوَى سِوَى بَيْنِ أَعْيُنِ
مَضُوعًا يُزِيمُونَ السَّيْرَ إِلَّا تَلَفْتُمْ
وَأَتَيْتُمُوهُمْ طَرَفِي وَقَلْبِي، وَمَا دَرَوْا
رَعَى اللَّهُ عَهْدًا ضَمَّهُ أَفَقُ تُونِسِ
وَجَادَتْ عَلَيْهِ الْغَانِيَاتُ بِهَا حَوَتْ
بِلَادٌ بِهَا فَضَّ الشَّبَابُ تَائِمِي
يُذَكِّرُنِي عَهْدَ الرِّضَا فِي جَنَابِهَا
فَأُضْبِو، وَلَكِنْ أَيْنَ مَنِي مَزَارُهَا،

تَسَالِمُنِي طَوْرًا، وَطَوْرًا تُحَارِبُ.
مَهَامِيهِ فَيَحُ دُونَهُنَّ سَبَاسِبُ^(١).
دُمُوعٌ وَرُمَتْ لِلْفِرَاقِ رَكَائِبُ^(٢)،
وَكَانَ عَقِيقٌ فِي النَّوَظِرِ ذَائِبُ^(٣).
وَشَتَّ بِالْهَوَى مِنْهَا دُمُوعٌ سَوَاكِبُ^(٤).
كَمَا أَلْتَمَسْتَ بَيْنَ الْأَرَاكِ الرَّبَائِبُ^(٥).
بَأَنِّي عَلَى آثَارِ هَذَيْنِ ذَاهِبُ^(٦).
وَمَمَّهْدُ أُنْسٍ لَمْ تَرَعُهُ النَّوَائِبُ^(٧).
مِنَ الظُّلْمِ لَا مَا تُحْتَوِيهِ السَّحَابُ^(٨).
وَلَا مَسَّ فِيهَا التَّرْبُ مَنِي التَّرَائِبُ^(٩).
أَسَانٍ تَقَضَّسَتْ لِي بِهَا وَمَأْرِبُ.
وَأُنْكِي وَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَنِّي السَّحَابُ^(١٠).

- (١) الإلف: الرفيق، صاحب الندي تَعَوَّدَتْ صحبته. المهمة: المفازة (الصحراء) البعيدة. الفيح (جمع أفيح وفيحاء): الواسعة. السبب: المفازة (الصحراء).
- (٢) زَمَتْ (بالبناء للمجهول) الركوبة (بالفتح): أخرجت الدابة للركوب عليها والسير بها.
- (٣) بانوا: ابتعدوا، رحلوا. القلوب جوامد: صابرة، ساكنة. عقيق: أحمر. (دموع حمراء كأنها من دم).
- (٤) النجوى: الكلام سرًّا بين شخصين. - الدموع هي التي أعلنت أن بيننا حبًّا.
- (٥) أزمع السير: نوى السير، قصد. الأراك: شجر. الربائب جمع ربيبة: الصغير الذي يرمى عند غير أهله، ثم واحدة الغنم (من الضأن أو المعزى) التي تربط إلى جانب البيت ولا تسرح في المراعي (وليس في هذه صديقة). والمقصود هنا: الغزلان (النساء الجميلات).
- (٦) طرفي: نظري. ذاهب (ميت).
- (٧) الأفق (هنا): المنطقة، البلد. راع فلان فلانًا: أخافه.
- (٨) الغانية: المرأة الجميلة. الظلم: الرقيق.
- (٩) التميمية: عوذة (بالضم) أو حرز يعلق على أجسام الأطفال. فضَّ الشَّباب تائمي: نشأت فيها حتى بلغت الشباب. التريبة: عظمة في الجانب الأهل من الصدر. ولا مسَّ فيها التربة النع: ولدت فيها. راجع قول الشاعر الأعرابي (نفع الطيب ١: ١٧٣):
- بِلَادٍ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَائِمِي وَأَوَّلَ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَابِهَا.
- (١٠) أصبو: اشتاق، وإن لم تغن عني السحاب (كان مطر السحاب أقل من دموعي).

وقد أمتطي فكري لدى الليلِ مركباً
وأغشو إلى مدح الخليفة فارس
إمام هدى ضاوت شمس أهدائه
فَعَقَلْ، إذا ما أظلم الخطبُ، نيرٌ؛
تراحم تيجان الملوك يبابه
لك الله من ملكٍ أغرَّ مهذبٍ
جبرتَ عبادَ الدينِ بعدَ أنصداعه
وشيدتَ فخراً في ذؤابةٍ مَشْرِ
ومهدتَ ركنَ الملكِ منك بعزيمةٍ
ودوختَ أرضَ الغربِ حتى ساقبتَ
ولما طغى بالشرقِ كلُّ مكذبٍ

بذِكْرِ الذي تُعَدِّي إليه الرُكائبُ (١).
فَتَنجَابُ عَنِّي للخطوبِ غِيَابُ (٢).
فبَانَتْ لنا من يَتِينِ المذاهبِ (٣):
وَفِكْرٌ، إذا ما أشكلَ العِلْمُ، ثاقِبٌ (٤).
كما أَرَدَحَتِ بالدارعينِ المَوَائبِ (٥).
تَقِيلُ المَراقي عِندهُ والمناصبُ (٦).
على حينٍ لم يَجْبِرْهُ الصَدْعُ شاعِبٌ (٧).
نَمَتَكَ إلى العَلْيَاءِ منهم عَصَائِبُ (٨).
تَذَبُّ بها عنه الحُمأةُ الصوارِبُ (٩).
لِأَمْرِكَ طَوْعاً عَجْمُهُ والأعاريِبُ (١٠).
عَصِيٌّ تُناجيه الأُماني الكواذِبُ (١١).

- (١) تحدي إليه: ناق إليه (بزوره الناس ويقصدونه). الروبه (بالفتح): الدابة التي يافر الناس عليها.
(٢) عشا: قصد. فارس: أبو عنان التوكل على الله (المدوح بهذه القصيدة). الحجاب: الخجل، زال. الخطب: المصيبة. الغيب (يفتح فسكون): جانب من الليل شديد الظلمة (بالضم) أو شديد الواد.
(٣) بان: ظهر، وضح. الذهب: الطريق، المنهج (في الحياة) - عرفنا به (بمسن رأيه) الصواب والخطأ.
(٤) أشكل الأمر: ألتبس، أختلط فيه الصواب والخطأ. الثاقب: الذي ينقب (ينفذ، يمزق الأشياء)، النور القوي.
(٥) الدارع: الذي يلبس درعاً. الجندي. - يقصده ذوو التبحان (الملوك) بمدد كبير كمدد الجنود الذين ييرون في موكبه (في رفقته من الحرس).
(٦) الأغر: الأبيض (الجيد، العظيم). تقيل (٤) المرامي (الدرجات، المقامات) عنده والمناصب: الوصول إليه صعب، والذين هم عنده هم في أعلى طبقات الناس (٤).
(٧) جبر الطبيب العظم المكسور: ردّه إلى حاله الأصلية (الصحيحة)، أصلحه. عماد (عمود) الدين: الأساس الذي يقوم عليه الدين. الصدع: الشق. شبع الرجل الأمر يشبعه (يفتح العين فيها): جمعة وفرقة أو أصلحه وأضده (من أفاظ الأضداد). والثابع (هنا): الجامع للأمر، المصلح.
(٨) الذؤابة: طرف الثور (أعلى الأقسام في الشبه)، الذروة (أعلى الجبل). نمتك: رفعتك، بلغت بك إلى الملك. العصابة (بالكسر): الجماعة من الناس.
(٩) ذب: دفع، حمى.
(١٠) دوخ الرجل البلاد: سار فيها حتى عرف جميع طرقها، استولى عليها. أرض الغرب: بلاد المغرب (الجانب الشمالي الغربي من قارة إفريقيا).
(١١) طغى: ظلم، عصى. تناجيه الأُماني الكواذِب: توهمه أنه إذا حاربك (أو ثار عليك) نجح وانتصر.

بدأتهم بالقول؛ لو أن سقيم
 ولكن أبوا إلا جاحاً وما دروا
 ولجوا على ظن بأن حصونهم
 فستهم بالرعب قبل نزالهم،
 وأرسلتهم من آل أمحوج غلباً
 من القوم ما غير القنا في طريقهم
 إذا ظلمت - جنح النهار - دروعهم،
 ففي الحزب آساد وفي السلم سادة،
 وسرت، فلولا أن أمرك وازع
 بجيش يفتق الأفق منه بركب،
 حميداً لها ساءت لديهم عواقب^(١)
 بأنك حرب الله، والله غالب^(٢)
 ممنة، لو أن غيرك طالب^(٣)
 فقلت جموع منهم ومضارب^(٤)
 عليها من الأبطال شوس أغلب^(٥)،
 أنيس، ولا غير المهند صاحب^(٦)
 أضواء وجوه منهم ومناقب^(٧)
 ويوم الندى والمكرمات سحائب^(٨)
 لآسرت جبال عندها وأهاضب^(٩)
 ويعجز عن حصر الكيبي حاسب^(١٠)

- (١) - حاولت في أول الأمر أن تخاطب الثائرين عليك بالكلام (المعروف). ولو كانوا يريدون الخير لا قهرتهم وقتلتهم.
- (٢) الجاح: المصيان، الرخص على غير هدى. بأنك حرب الله (تحارب في سبيل الله). حرب الله (٤).
- (٣) لج: استمر، تابع (السير)، أصر.
- (٤) حصونهم (فلاعهم) منيعة (لا يستطيع أحد أن يتولى عليها)، ولكنها لم تكن منيعة لا قصدتهم أنت.
- (٥) نزل بهم الرعب (الخوف) قبل نزالهم (قبل أن تحاربهم). قلت (بالبناء للمجهول): انفضت، تفرقت، هربت. جموع (من الجنود المحاربين). المضارب: الحيام (السكان غير المحاربين). - استوليت أنت على جميع أهل البلاد.
- (٦) أمحوج (الملموح هنا آل أمحوج إشارة إلى الخيل) وفي تاج العروس (الكويت ٦: ٢٤٠) محاج (بفتح الميم وبضمها): أسم فرس معروفة من خيل العرب. غلب (بضم فلام مشدودة) لم أجدها في القاموس والمقصود: الغالبون، الأشداء - وهي (أي غلباً) حال صاحبها آل أمحوج. والدليل على أنها إشارة إلى الخيل قوله: «عليها من الأبطال.....». الأشوس: الجريه الشجاع. الأغلب: اللطيف الرقبة من داء أو من غيره (تاج العروس - الكويت ٣: ٤٩١)، وهي هنا كناية عن الرجل القوي.
- (٧) القنا: الرماح. المهند: السيف (من صنع الهند) الجيد.
- (٨) جنح النهار (ظرف زمان) في النهار. الدرع من حديد (وتكون عادة سوداء). المنقبة: الفعل الكريم.
- (٩) الهضبة (بفتح ففتح): السهل المرتفع، الجبل إذا كان عليه بقعة متوية. والجمع هضاب (بالكسر)، وجمع الجمع أهاضيب. وتحذف الياء (تصبح أهاضب) للضرورة في الشعر (تاج العروس - الكويت ٤: ٣٩٥).
- (١٠) يفتق الأفق: تضيق الأرض. الركب (بمعنى «الركاب»): الفرسان. الكيبي: القطعة من الجيش.

أبي الله إلا أن يكون لك الملا
 وإن أثبت الأعداء أنني مُذنبٌ،
 وهبهم رموني بالتي لست أهلها،
 أبعد أنتزاحي عن بلادِي تحنني
 وغراء من نسلِ الجديلِ وشدقم
 يجاذبُ عطفِها المراحُ قننني
 وتكبرُ قدرًا أن يميلَ بيثها
 رقتُ بها في صمحةِ البيدِ أسطراً
 وجئتُ بها غورَ الفلاةِ ونجدها،
 كأنِّي لفظٌ، والبلادُ تحيبيني

تُئيلُ الورى عفوًا فتُغني المَعايبُ (١).
 فصفحك، يا مولاي، للذنبِ سالب.
 آيسَ أنتساي واضحٌ مُتناسبُ (٢)؟
 إلى بابك الأعلى مطيُّ شواذبُ (٣)؟
 لها في الرياحِ العاصفاتِ مناسبُ (٤)،
 كما التفتت في الروضِ حسناء كاعبُ (٥)
 لغيرك قصدُ أو تحنُّ مطالب.
 كما زانَ رقماً في الصحيفة كاتبُ (٦).
 وليس سيوى من ذنبها ما أصاحبُ (٧).
 خواطرُ منها للمعاني حرائبُ (٨)،

- (١) تئيل (تمطي) الورى (جميع الناس) عفوًا (الزيادة من مالك، ما لا تحتاج إليه من المال). المَعايب (جمع معاب ومعابة ومصيبة): العيوب، النقص، الخطأ (القر). تُغني: تفي، تُغني (تزول).
 (٢) ... لستُ أهلها (لم أهلها). أنتساي (صلي بك). متناسب (متبادل بيني وبينك).
 (٣) انتزاحي: أنتعادي. تحنني، تدفني. المطية: الدابة يركبها المسافر. الشاذب: الحصان الضامر البطن (ويمكون سريعاً).
 (٤) غراء: (فرس) بيضاء (أو لها بياض في جبهتها)، كريمة الأصل. الجديل وشدقم حصانان للنعمان بن المنذر (القاموس المحيط ٣: ٣٤٧ و٤: ١٣٥).
 (٥) العطف (بالكس): الجانب الأعلى من الصدر. المراح: النشاط: يجاذب عطفها المراح (نشاطها بجملها) تئيل يميناً وياراً). تشني: تئيل (تلنت، تلتفت) بدلال وكبرياء. الكاعب: الفتاة إذا تكور ثدياها وتم نواها.
 (٦) رقتُ بها..... سرت طويلاً في البوادي (كثرت أسفاري). زان: زين، زخرف. الرق: الكتابة (يقصد سافرت كثيراً في البلاد وإلى كل مكان).
 (٧) جاب محبوب: قطع (سافر): الفلاة: الأرض الواسعة. الغور (المنخفض من الأرض). النجد: ما ارتفع من الأرض. سافرت في كل مكان وإلى كل مكان. من ذنبها (من عذب هذه الناقة بالأسفار الكثيرة؟) يقصد ابن خلدون بذلك نفسه. ما أصحاب (ليس ممي رفيق سواي - وحيداً).
 (٨) كأنِّي لفظ (كلام، أسئلة). والبلاد (في البلاد). تحيبيني خواطر (فاعل دحيبيني ٢٥) منها للمعاني حرائب (سلوبة) - كنت، وأنا في كل بلد، تحظر في بالي خواطر لا أستطيع أن أجد معاني يمكن التعبير عنها (كنت أكره كل البلاد حتى وصلت إليك - انظر البيت التالي).

تَطْنُ بِأَنَّ الشَّرْقَ عَنْ حَمَلِ كَتْمِهِ إِلَى أَنْ حَطَّطْتُ الرَّحْلَ فِي سَاحَةِ الْمَلَأِ وَأُصْدَرْتَنِي عَنْ وَرْدِ نَعْمَاكَ نَاهِلًا فَكَيْفَ أَوْلِي شَطْرَ غَيْرِكَ وَجَهَةً وَمَا خَلَصْتَ إِلَّا لِبَابِكَ هِجْرَتِي، وَإِنِّي عَلَى عِلْمٍ بِأَنْ لَا مُمْلِكُ وَلَكِنْ عَوَادٍ إِنْ عَدَّتْنِي عَنِ الزَّمَا سَأَنْزِعُ عَمَّا أَنْتَ - وَاللَّهِ - سَاخِطٌ، وَأَسْطُو عَلَى الْأَيَّامِ مِنْكَ بِنُوبَةٍ وَتُوْبِعُنِي نَعْمَاكَ أَفْضَلَ نِعْمَةٍ

يَضِيقُ فَتَطْوِي سِرَّهُنَّ الْمَغَارِبُ^(١) لَدَى بَابِكَ الْأَعْلَى كَمَا حَطَّ آيِبُ^(٢). وَقَدْ أَثْقَلْتُ ظَنِّي إِلَيْكَ الْمَوَاهِبُ^(٣). أَوْمَلُ مِنْهُ نَجْمَةٌ أَوْ أَرَاقِبُ^(٤)؟ وَلَمْ تَصْفُ لِي مَعْنَ سِوَاكَ الْمَشَارِبُ^(٥). سِوَاكَ عَلَى الدُّنْيَا، وَلَا عِنْدَكَ ذَاهِبُ^(٦). نِ زَمَانًا، فَإِنِّي الْيَوْمَ مِنْهُنَّ تَائِبُ^(٧). فَأَمْرُكَ مَحْتَمٌ عَلَى الْخَلْقِ وَاجِبُ^(٨). كَمَا أَفْتَرَسْتَنِي بَيْنَهُنَّ النَّوَابِ^(٩). يَرِيشُ بِهَا عَظْمِي وَتَرَى الْمَكَاسِبُ^(١٠).

- (١) لا في الشرق (تونس) ولا في المغرب (الجزائر والمغرب) وجدت من يدرك معناني (يعرف مقداري ومكانتي)...
- (٢) حططت الرحل: نزلت، استقررت (سكنت). الآيب: الراجع من سفر إلى بلده (يلبني فيه دائماً).
- (٣) أصدرتني: رددتني. الورد (بالكسر): الهيمه إلى الماء للشرب. ناهل: ريان (مكفف من الماء) - لآ جئت إليك أعطيتني عطايًا كثيرة. وقد أثقلت الخ (وكت أظن أن ما أريد أن أطلبه منك كثير): أعطيتني فوق ما كنت أريد.
- (٤) النجمة: قصد أصحاب الأموال لنيل عطايهم. أراقب. (أرجو أن يمطيني شيئاً - يقصد أن جميع الناس، غيرك، بجلاله).
- (٥) - هاجرت (قصدت) إلى أبواب ملوك كثيرين. يهيش إليك وحدك كان اعتقاداً مني بكرمك وإخلاصاً في محبتك. لم تصف لي الخ: لم أكن سروراً عند أحد (غيرك).
- (٦) - أنا واثق بأنه لا يوجد في هذا العالم ملك (يهتق هذا الاسم) غيرك. وليس هنالك من يهتق أن يذهب الناس إليه (للطعام) غيرك.
- (٧) ولكن عوادي (جمع عادية): نوابي، مصائب. عدتني: جاوزتني، (أهدتني). عن الزمان (عن السرور في الحياة؟ عنك). زماناً (مدة).
- (٨) نزع عن الشيء: تركه.
- (٩) - سأعندي أنا على حوادث الأيام (على المصائب) بنوبة (بمدة أكون فيها حرّاً قوياً غنياً)، كما كانت المصائب قد اعتدت عليّ كثيراً من قبل، وسيكون الفضل في ذلك لك.
- (١٠) راش يريش: أصبح غنياً، ذا رماش (أثاث كثير في بيته). يريش عظمي: يكسي عظمي لحماً، بمد أن أفترقت وجئت حتى برزت عظامي للميون. تَرَى تَوَالِي، تتصل.

فما في اللَّيالي من ذميرٍ ولَو أُمي ، إذا حُصِدَتْ بعدَ المبادي العَوَاقِبُ^(١) .
- مطلع في الغزل:

قال ابن خلدون في صدر قصيدة طويلة في المديح (سنة ٧٦٢ هـ):

أَرْفَنَ فِي هَجْرِي فِي تَمْدِيهِ وَأَطْلَنَ مَوْفَقَ عَبْرَتِي وَنَحْيِي^(٢) ؛
وَأَبِينِ يَوْمَ الْبَيْنِ وَقَفَّةً سَاعَةً لِدَوَاعِ مَشْغُوفِ الْفَوَادِ كَثِيبِ^(٣) .
مَا هَاجَنِي طَرْبٌ وَلَا أَعْتَادَ الْجَوَى لَوْلَا تَذَكُّرُ مَنْزِلِ وَحْيِيبِ^(٤) .
وَإِذَا الدِّيَارُ تَعَرَّضَتْ لِمُتَيْمٍ هَزْنَهُ ذِكْرَاهَا إِلَى التَّشْيِيبِ .
فِي كُلِّ شَيْعِبٍ مُنِيَّةٌ مِنْ دُونِهَا هَجْرُ الْأَسَانِي أَوْ لِقَاءِ شَعُوبِ^(٥) .
هَلَّا عَطَفْتَ صُدُورَهُنَّ إِلَى التِّي فِيهَا لُبَانَةٌ أَعْيِنِ وَقُلُوبِ^(٦) .
فَتَوْمٌ مِنْ أُنْكَافٍ يَثْرَبُ مَأْمَأً يَكْفِيكَ مَا تَخْشَاهُ مِنْ تَثْرِيبِ^(٧) .

٤- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي

- (١) العاقبة: النهاية، النتيجة. - فما في الليالي.....: إذا صلحت حال الإنسان نسي كل شئ كان قد لقيه من قبل. لتكسير (ت ١٦٦٦ م = ١٠٢٥ هـ، بعد ابن خلدون بمائتين وسبع عشرة سنة)، رواية تشيلية عنوانها: All's Well That Ends Well: ما كانت نهايته حسنة فهو حسن.
- (٢) هؤلاء السوء جعلتني أطيل وتقوي على الأطلال أبكي وأنتخب.
- (٣) أمي: رفض. البين: البعاد، الفراق. المشغوف: الذي بلغ الحب إلى شغاف (بضم الشين) قلبه (شغاف القلب: غلافه أو حجاباه أو داخله).
- (٤) الطرب ما يثير الإنسان من فرح أو حزن. أعتاد: عاد مرة بعد مرة. الجوى: شدة الوجد والحنين إلى الم محبوب حتى تشبه حاله حال المريض.
- (٥) الثيب (بكسر الشين) الثعب، الفرقة، القسم من الطريق أو من الأمة. شعوب (يفتح الشين وبلا لام للتعريف): الثبّة، الموت.
- (٦) صدورهن: صدور النياق (هلا يلمت بالنياق نحو المدينة، مدينة الرسول). اللبنة: الحاجة.
- (٧) أم: قصد. أكناف: أطراف. يثرَب: المدينة، مدينة الرسول. التثريب: اللوم.
- (*) اعتمدت في جمع هذه القائمة مراجع مختلفة: تاريخ الأدب العربي (النسخة الألمانية) لبروكلن - بطاقات مكتبة يافت في الجامعة الأميركية في بيروت - مؤلفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (دار المعارف بصر ١٩٦٢ م).
- (٨) يُفني هذا الكتاب باسم «عنوان العبر.....» (بروكلن ١: ٣١٦، السطر ٢١) وبأسم «ترجمان العبر.....» (مؤلفات ابن خلدون، ص ٢٩، السطر الأول).

- السلطان الأكبر^(١)، بولاق^(٢) ١٢٨٤ هـ؛ بيروت (مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة، والنشر، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١ م (١٣٧٤ هـ)، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م).
- الجزء الأول من كتاب العبر (ويعرف بمقدّمة ابن خلدون):
- * (نشرها كاترمير)، باريس ١٨٤٧ - ١٨٥٨ م.
- * (بتصحيح نصر الموريني)، بولاق ١٢٧٤ هـ.
- * بيروت (المطبعة الأدبية) ١٨٧٩، ١٨٨٦، ١٩٠٠ م.
- * مصر - القاهرة ١٣١١، ١٣٢٠، ١٣٢٢، ١٣٢٧، ١٣٣٦^(٣)، ١٣٤٩ هـ (٤).
- * القاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م.
- * (تحرير عليّ عبد الواحد وافي)، القاهرة (لجنة البيان العربي) ١٣٧٧ هـ وما بعد = ١٩٥٧ - ١٩٦٢ م.
- * (لجنة من العلماء)، القاهرة (المكتبة التجارية) بلا تاريخ.
- * (اللجنة الدولية لترجمة الروائع)، بيروت ١٩٦٧ م.
- أقام من كتاب العبر:
- أخبار الفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وتوغرها وكيف تغلبوا عليها وبداية أمرهم في ذلك ومصابره (نشرها تورنبرغ)، أوبسلا ١٨٤٠ م.
- أخبار دولة بني الأغلب في إفريقية وصقلية إلى حين أسبلاء الفرنجة على صقلية (نويل دي فيرجيه) باريس ١٨٤١ م.
- تاريخ الدول الإسلامية في المغرب (نشره دي سلان)، الجزائر (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٧ - ١٨٥٦ م.
- تاريخ الأسرة المقلبية (تيزهاوزن)، بطرسبورج ١٨٥٩ م.
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩ - ١٩٥٠.
- التعريف^(٥) لابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً (تحقيق محمد بن تاويت الطنجي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٧٠ هـ = ١٩٥٠ م.
- كتب لابن خلدون:
- لباب المحصل^(٥) في أصول الدين، القاهرة (المطبعة الحسينية) ١٣٢٣ هـ.

- (١) ويعرف اختصاراً باسم «تاريخ ابن خلدون».
- (٢) بولاق حيّ من أحياء القاهرة كانت فيه المطبعة الأميرية. فإذا قيل بولاق يمكن أن يُعنى بها سكان الطبع (في مقابل القاهرة)، ويمكن أن يعنى بها المطبعة.
- (٣) إن طبعتي ١٣١١ و ١٣٤٩ كانتا في المطبعة الأزهرية. ولم أستطع تحقيق أسماء المطابع للطبعات الباقية.
- (٤) ترد هذه الترجمة الذاتية التي صنعاها ابن خلدون لنفسه في آخر كتاب «العبر» (في آخر الجزء السابع).
- (٥) قال عبد الرحمن بدوي (مؤلفات ابن خلدون، ١٥ - ١٦) : «... وقد نُشر الكتاب في إستانبول سنة ١٩٥٨ (للسيلاد). ثم جاء الأب أفناطوبوس عبده اليسوعي مدير مجلة «المشرق» التي يصدرها الآباء =

- شفاء السائل لتهديب السائل (نشره لوثيانو رويو)، تطوان (دار الطباعة المغربية) ١٩٥٢ م؛ (عارضه في أصوله محمد بن تاويت الطنجي)، أنقرة (منشورات كلية الآليات)، إستانبول (مطبعة عثمان بلش) ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٧ م؛ (نشره إغناطيوس عبده خليفة السوسي - في منشورات معهد الآداب الشرقية) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٥٩ م. كتب ودراسات مستقلة في ابن خلدون^(١):

***- إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون أو المرشد المبدئي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي^(٢)، تأليف أحمد بن الصديقي، دمشق ١٣٤٧ هـ = ١٩٣٤ م.

- ابن خلدون، تأليف تيسير شيخ الأرض .
- ابن خلدون، تأليف محمد جعفر وفوزي سليمان، القاهرة (الدار القومية للطباعة والنشر) بلا تاريخ.

- ابن خلدون: حياته وتراثه الفكري، تأليف محمد عبد الله ع inan، القاهرة (دار الكتاب العربي) ١٩٣٣ م، القاهرة (دار الكتب المصرية) ١٩٥٣ م، ثم ١٩٦٦ م.

- ابن خلدون ولففته الاجتماعية تأليف جوسون بوتول (ترجمة غنيم عبدون)، القاهرة (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر) ١٩٦٤ م.

- ابن خلدون (في سلسلة الروائع، رقم ١٣ - ١٥) تأليف فؤاد أفرام البستاني، بيروت (المطبعة الكاثوليكية).

- ابن خلدون في المدرسة العادلية (مطبوع مع «محمد والمرأة») تأليف عبد القادر المغربي، دمشق (مطابع قوزما) ١٩٢٨ م.

- ابن خلدون: قائمة بمؤلفاته، انظر، تحت: قائمة بمؤلفاته.

- ابن خلدون: مُنتخبات، تأليف جميل صليبا وكامل عياد، دمشق (مطبعة ابن زيدون) ١٩٣٣ م.

- ابن خلدون منشيء علم الاجتماع، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) بلا تاريخ.

= البوعيون في بيروت لبنان، فشر كتاب ابن خلدون (شفاء السائل) في نشرة أخرى فرغ من طبعا في ٣٠ أبريل (نيسان) سنة ١٩٥٩، أي بعد نشرة محمد بن تاويت الطنجي بحوالي تسعة أشهر. ومن المؤكد أنّ الأب أغناطيوس عبده خليفة - برغم ذلك - لم يطلع على نشرة الأستاذ الطنجي، وإلا لتلاف الأخطاء الفاحشة المديدة جداً والتي وقعت في طبخته. وهي على أنواع.....

(١) هنالك عدد من المقالات والبحوث على مستويات مختلفة من الطول (ومن القيمة أيضاً) نشرت في عدد من المجلات المختلفة لم أر ضرورة لذكرها هنا. فمن شاء الإطلاع على عناوينها ومطابقتها فليرجع إلى كتاب «مؤلفات ابن خلدون» لعبد الرحمن بدوي (ص ٣١٧ - ٣٢٣).

(٢) المهدي هو الذي يرجع إلى الدنيا في آخر الزمان ليملاً الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً. راجع كلام ابن خلدون في ذلك في مقدمة ابن خلدون: بيروت ١٩٠٠ م (ص ٣١١ - ٣٣٠)، بيروت - دار الكتاب اللبناني ١٩٦١ م، (ص ٥٥٥ - ٥٨٦).

- ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع، تأليف عبده الحلو، بيروت (بيت الحكمة) ١٩٦٩ م.
- ابن خلدون وعلوم المجتمع، تأليف محمود عبد المولى، ليبيا (الدار العربية للكتاب) ١٩٧٦ م.
- أعمال بهرجان ابن خلدون المنقذ في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير (كانون الثاني) (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنايحية)، القاهرة (الاتحاد القومي - دار ومطابع الشعب) ١٩٦٢ م.
- التفكير العلمي عند ابن خلدون، تأليف ابن عمار الصغير، الجزائر ١٩٦٩ م.
- حياة ابن خلدون ومثل من فلسفته الاجتماعية، تأليف محمد الحضرمي التونسي، القاهرة (المطبعة السلفية ومكبتها)، دمشق ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٤ م.
- دراسات عن ابن خلدون، تأليف ساطع الحصري^(١)، بيروت (مطبعة الكنائس) ١٩٤٣ - ١٩٤٤ م؛ (نشر على نفقة محمد ناجي الحصري^(٢)، بغداد)، مصر (دار المعارف) ١٩٥٣ م؛ طبعة ثالثة، بيروت (دار الكتاب العربي) ١٩٦٧ م.
- دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون، تأليف ، بغداد (مطبعة أسعد) ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، تأليف محسن الزمرلي، تونس ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م.
- عبد الرحمن بن خلدون، بقلم علي عبد الواحد وافي (أعلام العرب، رقم ٤)، القاهرة وزارة الثقافة والإرشاد القومي - الإدارة العامة للثقافة، قبل (٢) ١٩٦٢ م.
- عبد الرحمن بن خلدون: حياته وآثاره ومظاهر من عبقريته، تأليف علي عبد الواحد وافي، القاهرة (وزارة الثقافة والإرشاد) بلا تاريخ.
- العرب وابن خلدون، تأليف أبي القاسم محمد كرو، تونس (مطبعة الترقمي) ١٩٥٦ م.

-
- (١) هو ساطع بن محمد هلال الحصري (بضم فتح)، كنيته: أبو خلدون (لأنه سمي ابنه خلدوناً)، حلبي الأصل، ولد سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) في صنعاء اليمن. تعلم في استانبول فنشأ تركي الثقافة. أنشأ مجلة «التربية» (بالتركية) وألف عدداً من الكتب (بالتركية أيضاً). وعمل في التخطيط والإدارة. وفي عام ١٩١٨ م (بعد الحرب العالمية الأولى)، جاء إلى سورية وأتصل بالملك فيصل وتولى وزارة المعارف ثم (بعد سقوط الدولة العربية في سورية وانتقال الملك فيصل إلى العراق)، ذهب هو أيضاً إلى العراق وتولى إدارة دار الآثار ورئاسة كلية الحقوق. وفي عام ١٩٤١ (بعد خيبة ثورة رشيد عالي الكيلاني) أخرج من العراق فجاه إلى بيروت. ثم انتقل (بعد الحرب العالمية الثانية، عام ١٩٤٦) إلى مصر. ولساطع الحصري عدد كبير من الكتب بالعربية أهمها «دراسات عن ابن خلدون». وقد كان ساطع الحصري قد جمع مواداً كثيرة لكتابه هذا. فلما أخرج من العراق بقيت تلك المواد في العراق. ودون ساطع الحصري هذا الكتاب من ذاكرته، بعد الاستماعة بعدد يسير من الكتب. وكانت وفاته في مصر، سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ م).
- (٢) بالخاء والصاد المنقطتين من فوقهما (وبالتصغير).

- المصيبة والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، تأليف محمد عابد الجابري، الدار البيضاء (دار الثقافة) ١٩٧١ م.
- علم الاجتماع الخلدوني، تأليف حسن الساعدي، طبعة ثالثة، القاهرة (دار المعارف) ١٩٧٥ م.
- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، تأليف طه حسين (نقله إلى العربية محمد عبد الله عيان)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٤٣ هـ = ١٩٢٥ م.
- قائمة مؤلفاته وبعض المراجع التي كتبت عنه بمناسبة المهرجان العلمي الذي ينظمه المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة (دار الكتب) ١٩٦٢ م (صفحات: ٣٦ و ٢٢).
- كلمة في ابن خلدون، تأليف عمر فرّوخ، بيروت (منشورات مكتبة منيمنة) ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م، الطبعة الثانية ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م.
- لقاء ابن خلدون وتيمورلنك، (تعليق محمد توفيق)، بيروت (دار مكتبة الحياة) ١٩٦٥ م.
- مجلّة «الحديث» (حلب)، عدد خاص (أيلول - سبتمبر ١٩٣٢ م).
- مجلّة «الفكر» (تونس)، عدد خاص (آذار - مارس ١٩٦١ م).
- مختارات من ابن خلدون، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٤٩، ١٩٥٠ م.
- مع ابن خلدون، تأليف أحمد محمد الحوفي، مصر ١٩٥٢ م.
- مقدّمة ابن خلدون: دراسة - مختارات، تأليف يوحنا قمير، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٤٧ م.
- منتخبات من مقدّمة ابن خلدون (مع ملاحظات بقلم دونكان ب. ماكدونالد)، لندن (بريل) ١٩٦٢ م.
- منطق ابن خلدون في ضوء حياته وشخصيته، تأليف علي حسين الوردى، القاهرة (معهد الدراسات العربية العالية) ١٩٦٢ م.
- مهرجان ابن خلدون (مايو - أيار ١٩٦٢)، نظّمته كلية الآداب (في جامعة محمد الخامس) بمشاركة اتحاد كتاب المغرب العربي وجمعية قداماء مولاي إدريس، الدار البيضاء (دار الكتاب) بلا تاريخ.
- مؤلّفات ابن خلدون، تأليف عبد الرحمن بدوي (منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية)، مصر (دار المعارف) ١٩٦٢ م.
- صفحات من كتب^(١) (منسوقة على حروف المهجاء):
- أزهار الرياض ٢: ٢٠٦ وما بعد؛ الاستقصا ٢: ١٢٠ - ١٢١؛ الأعلام للزركلي ٤: ١٠٦ - ١٠٧ (٣: ٣٣٠)؛ بالنتيها (راجع: تاريخ الفكر الأندلسي)؛ البدر الطالع ١:

(١) فيما يلي صفحات من الكتب التي جرت العادة بإيراد بعضها دون بعض في آخر كل ترجمة (في هذا الكتاب) ما أمكن. ولكن هنالك عدداً أكبر من الكتب التي برد فيها فصول تملقّ بان خلدون لم أر أن أستنفدها هنا. وبإمكان الباحث، إذا أراد، أن يراجع إليها في مؤلّفات ابن خلدون «العبد الرحمن بدوي»، ص ٣١٧ - ٣٣٨ (بالربية وبغير العربية).

٣٣٩-٣٣٧ بروكلمن ٢: ٣١٤-٣١٧، الملحق ٢: ٣٤٢-٣٤٤؛ تاريخ العلوم عند العرب (لعمر فَرُوخ) ٤٤٢-٥١٦؛ تاريخ الفكر الأندلسي ١٥٤-١٥٥؛ ٢٥٩-٢٦٦، ٤١٥-٤١٧؛ تاريخ الفكر العربي (لعمر فَرُوخ) ٦٩١-٧٠٩؛ تاريخ النقد الأدبي (لإحسان عباس) ٦١٥-٦٣٠؛ تعريف الحلف ٢: ٢١٣-٢١٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (بالانكليزية) ٣: ٨٢٥-٨٣١؛ سارطون (راجع: مقدّمة إلى تاريخ العلم)؛ سركيس ٩٥-٩٧؛ شذرات الذهب ٧: ٧٦-٧٧؛ الضوء اللامع ٤: ١٤٥-١٤٩؛ عصر سلاطين المماليك ٦: ٢١١-٢٤٨؛ عنوان الأريب ١: ١٠٧-١١٤؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢١٨-٢٢٣؛ معجم المطبوعات العربية (راجع: سركيس)؛ معجم المؤلفين ٥: ١٨٨-١٩٠؛ مقدّمة إلى تاريخ العلم (لمورج سارطون بالانكليزية)؛ راجع فهارس الأجزاء الثلاثة (خسة مجلّدات) والجزء الثالث (مجلدين) منها خاصة: عَضْر جفري شوسر وابن خلدون وحداي كرسكاس^(١)، ص ١٠١٩-١٨٧١ (مجموع المجلد الثاني من الجزء الثالث)؛ المكتبة العربية الصقليّة ٤٦٠-٥٠٨؛ نفع الطيب ١: ١٤٧، ٢٣٢-٢٣٨، ٢٨٢-٢٨٣، ٣٢٧-٣٣٠، ٣٣٢، ٣٤١-٣٤٢، ٣٥٢-٣٥٤، ٣٥٦-٣٥٩، ٣٦٤-٣٦٦، ٣٩٨، ٤٢٤، (٤٤٦-٤٤٩)، (٤٥٢-٤٥٣)، (٥٧٧-٥٧٨)، (٢): ١٢٥، ٢٠١-٢٠٢، (٤): ٥٢٣-٥٢١، (٥): ٨، ٩٥، ١٠٨، ١١٠-١١٢، ٢٥٤-٢٥٦، ٤١٢، (٦): ١٧١-١٩١، ٣٩٦-٣٨٩، (٧): ٥، ١٧؛ نيل الابتهاج (مصر) ١٦٩-١٧٠.

ابن قنفذ القسطنطيني

١- هو أبو العباس أحمدُ بنُ حسنِ الخطيبِ (ت ٧٥٠ هـ) بنِ عليّ الخطيبِ (ت ٧٣٣ هـ) بنِ حسنِ^(٢) بنِ عليّ بنِ ميمونِ القسطنطينيِّ، نسبةً إلى قسطنطينة (قسطنطينة)

(١) جفري شوسر (١٣٤٠-١٤٠٠ م) شاعر وكاتب انكليزيّ من أهل لندن، أشهر كُتبه «أفايصوص كاتريري». وقد عملت كُتبه على تثبيت عدد من قواعد اللغة الانكليزية. - حداي (بفتح الهاء المهمله أو بكسرها) بن إبراهيم كراسكاس (أو فراقاس) من أهل برشلونة (إسبانية)، فيلسوف يهودي حاول أن يخلّص الفكر اليهودي من أثر الفلسفة الأرسطوطاليسية. ومعّ أنّه لم يرفض مكانه العقل في الفلسفة، فإنّه حاول أن يلقني عليه عدداً من القيود. ويبدو أنّه كان لحجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ = ١١١١ م) أثر بالغ في تفكيره، كما أنّه تأثر أيضاً بنفر آخرين من الفلاسفة المسلمين كابن رشد مثلاً (ت ٥٩٥ هـ = ١١٩٨ م).

(٢) لابن قنفذ القسطنطيني في كتاب «الفارسية» ترجمة ودراسة مفصّلتان (ص ٣٩-٩٥)، وهو هنالك ابن «القنفذ» (بالتعريف). وفي بروكلمن: ابن قنفوذ. أمّا سبب التسمية «ابن قنفذ» فلا يعرف الدارسون لها وجهاً. وفي سلسلة نسبه «الحسين» مكان «الحسن» (مرتين).

في القَطْرِ الجزائري، والشهيرُ بابنِ الحطِيبِ وبابنِ قُنْفُذٍ^(١). ولعلَّ مَوْلَدَهُ كانَ في سَنَةِ ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ - ١٣٤٠ م).

بدأ ابنُ قُنْفُذٍ طَلَبَ العِلْمَ على والدهِ حَسَنِ وعلى جَدِّه لِأَمِّهِ أَبِي يَعْقُوبَ يَوْسُفَ بنِ يَعْقُوبَ المَلَّارِيِّ الصَوْفِيِّ (ت ٧٦٤ هـ) ثمَّ على الحَسَنِ بنِ خَلْفِ اللَّهِ بنِ بَادِيسَ القَنْسَطِينِيِّ (ت ٧٨٤ هـ) والحَسَنِ بنِ أَبِي القَاسِمِ بنِ بَادِيسَ القَنْسَطِينِيِّ (ت ٧٨٧ هـ) وغيرِها.

وفي سَنَةِ ٧٥٩ هـ (١٣٥٨ م) رَحَلَ ابنُ قُنْفُذٍ إلى فاسَ وتلقَى العِلْمَ على نَفَرٍ من عُلَمَائِها ومن العُلَمَاءِ الطارئينَ عليها. من هؤلاءِ جميعاً: الشَّريفُ الغرناطِيُّ أبو القاسمِ مُحَمَّدُ ابنُ أَحَدِ السَّبْتِيِّ (ت ٧٦٠ هـ)، وأبو مُحَمَّدِ المَرْغِيَّيِّ الرُّقَنْدَرِيُّ (ت ٧٦٨ هـ)، والشَّريفُ التِّلْمِسانِيُّ أبو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحَدَ بنِ عَلِيِّ (ت ٧٧١ هـ)، والشَّيخُ الفقيهُ أبو زَيْدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اللُّجائِيِّ (ت ٧٧٣ هـ)، وأبو عِمْرَانَ موسى بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُعْطَرِ المَبْدُوسِيِّ (ت ٧٧٦ هـ) وأبو مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ الوانِجِيَّيِّ القَاسِيَّ (ت ٧٧٩ هـ)، وابنُ مرزوقِ التِّلْمِسانِيِّ أبو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بنُ أَحَدٍ (ت ٧٨١ هـ)، وأبو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بنُ قَاسِمِ القَبَّابِ القَاسِيَّ (ت ٧٧٩ هـ).

وقد تَطَوَّفَ ابنُ قُنْفُذٍ في عِدَّةٍ من مَدَنِ القَطْرِ المَغْرِبِيِّ (٧٥٩ - ٧٧٦ هـ) ثمَّ عادَ إلى قَنْسَطِينَةَ وتولَّى الخُطْبَةَ والقضاءَ والإفتاءَ فيها وتصدَّرَ حيناً للتدريسِ.

وكانتْ وِفاةُ ابنِ قُنْفُذٍ القَنْسَطِينِيِّ في ثَاني عَشَرَ رَبيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٨٠٩ (١٤٠٦/٨/٢٧ م).

٢- نشأ ابنُ قُنْفُذٍ القَنْسَطِينِيِّ في أسرةٍ علمٍ ووجاهةٍ وثروةٍ، فقد كانَ جَدُّه ثمَّ والدهُ من بَمدٍ جَدُّه يتولَّىانِ الخُطْبَةَ في قَنْسَطِينَةَ مَدَّةً تزيدُ على سِتِّينَ سَنَةً. وكانَ مَوْلَفاً مُكثِراً، ولكنَّ أَكثَرَ مَوْلَفاتِه قد ضاع. ومُعظَمُ هذهِ المَوْلَفاتِ كانَ في الفِقهِ وفي الفَلَكِ والطَّبِّ والحِسابِ والفرائضِ (تقسيمِ الموارِثِ) ثمَّ في العَرَبِيَّةِ (النحو). فمن هذهِ الكُتُبِ: معاونةُ الرائضِ في مبادئِ الفرائضِ - هوايةُ السالكِ في بيانِ أَلِيَّةِ ابنِ مالِكٍ - سِراجُ

(١) توفِّي سنة ٦٦٤ هـ (وفيات ابن قنفذ ٣٣٠). وأرى أن الذي بين وفاة جده (٧٣٣ هـ) وبين وفاة والد جده (٦٦٤ هـ) واسع جداً (٦٩ سنة!).

الثقات في علم الأوقات - تيسير (تسهيل) المطالب في تعديل الكواكب - حطّ النّقاب
 عن وجوه أعمال الحساب - الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية - نُحفة الوارد في
 اختصاص الشرف من قبَلِ الوالد - شرف الطالب في أسنى المطالب - تحصيل المناقب
 وتكميل المآرب - شرح المنظومة الحسائية في القضايا النجومية (لأبي الحسن علي بن أبي
 الرجال القيرواني) - طبقات علماء قسنطينة - أنس الفقير وعزّ الحقيّر (في ترجمة أبي
 مدين شعيب الصوفي) - كتاب الوفيات. وهنالك كتب أخرى له ضاعت.

٣- مختارات من آثاره

- من مقدّمة « الفارسية » وخاتمتها:

.... وبعدُ فهذا مُختَصَرٌ فيه ما تَشَوَّفُ النفسُ إليه مِنَ الاطِّلاعِ على مبادئ
 الدَّوْلَةِ الحَفْصِيَّةِ وما يتعلَّقُ بها من مُهمَّاتِ الوقائعِ الجَلِيَّةِ بكلامٍ كَلِّمْتُ الحاضِرَةَ به
 وتحصّلُ الإفادةَ بسببِهِ. ولشرفِهِ برَفِيعِهِ إلى الحضرة العلية وفخرِ زمانٍ وضعهُ بأيامِ
 الإمارة العزيزية والمجاهدية سَمَّيْتُهُ « الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ». والله
 المسؤولُ في التوفيقِ والهداية إلى سواءِ السبيل.

... وههنا انتهى الغرض فيما تعلق بالدولة الحفصية العمرية من ذكر بعض وقائعها
 الجلية، من مبدئها إلى هذا التاريخ الذي هو من آخر سنة خمس وثلاثمائة - أدامها
 الله رحمة للإسلام بمجاه النبي عليه السلام.

- من متن كتاب « الفارسية » في مبادئ الدولة الحفصية:

وفي السنة التي بُوعَ فيها الأميرُ أبو حفص^(١) أخذَ النصارى جزيرةَ جَزْيرةَ وأَسْرَوْا
 من الشبابِ القويِّ والثابتِ الحَسَنَةِ^(٢) ثمانيةَ آلافٍ وقتلوا الصغارَ. ونهبوا الأمتعةَ

(١) هو أبو حفص عمر، جاء إلى العرش سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) ولم تطل مدته (راجع زامباور ١١٥)، ولم
 يُعَدَّهُ حسن حسني عبد الوهاب في سلاطين بني حفص في تونس (راجع خلاصة تاريخ تونس، ص
 ١٠٧-١٠٨ و ١٢٥).

(٢) جربة جزيرة عند الشاطئ الجنوبي الشرقي من القطر التونسي.

(٣) يقصد: من الثبان الأهواه ومن الثبات (الفتيات) الحسانوات.

والأموال والزيت والزبيب ما حملوا (في) سُنْمِهِمُ التي هي نحوُ السعينَ وفي سُنْفِ الجزيرة التي هي نحوُ الثلاثين. وفي مدته أيضاً، في سنة ثلاثٍ وثمانينَ وسبعمائةً، نزلَ النصارى المَهْدِيَّةَ؛ وماتَ منهم نحوُ المائَةِ، ومات من أهل المدينة ثلاثةً. وأنصرفوا بعدَ إقامة خمسةِ أيامٍ.

- وصف «كتاب الوفيات»

قال ابنُ قنفذ^(١):

.... ومما حافظ عليه أهل الحديث كثيراً تاريخ وفيات الصحابة والمحدثين خوفاً من المُدلسين^(٢)، ولذلك قال بعضهم: إذا آتَيْتُمْ أحداً في أخذٍ أو روايةٍ فأحسبوا سنَّه وسنَّةَ وفاةٍ من أخذ عنه^(٣)، فبذلك يتبينُ هل أدركه أم لا.... ولتذكرُ في هذا الكتابِ ما حَضَّرني من وفيات الصحابة والمُحدثين والمؤلفين. (وقد رَبَّته على المِثْنِ من السنينِ^(٤)) بوجهٍ لم أُسْبِقْ إليه.

- من متن «كتاب الوفيات»:

المائة الثامنة^(٥): تُوْفِيَ الفقيهُ المُحدِّثُ الجليلُ الشهيرُ الفاضلُ قاضي الجماعة ببجاية أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ الغبريني^(٦) صاحبُ «عنوان الدرّاية» وغيره شهيداً سنَّةَ أرْبَعٍ وسبعمائةٍ. وفي هذه السنَّةِ تُوْفِيَ أبو الحسنِ الغرافي^(٧). وفي سنَّةِ سَبْعٍ وسبعمائةٍ تُوْفِيَ فقيهُ شيوخِ الأولياءِ أبو زيدٍ الهزميري^(٧) بمَدِينَةِ فاس. وتُوْفِيَ الفقيهُ الأديبُ أبو

(١) نص يرد في كتاب لابن قنفذ هو «شرف الطالب في أسنى الطالب» (راجع «كتاب الوفيات» - تحقيق عادل نويح - ٢١).

(٢) التدليس أن يكتم البائع عيب السلعة عن المشتري. وفي الحديث خاصة: أن يرغم رجل أنه سمع حديثاً من فلان وهو لم يسمعه منه، أو ينسب إلى شيخه أشياء ليست موجودة في شيخه.

(٣) فأحسبوا سنَّ (الراوي) والسنَّة التي تُوْفِيَ فيها الرجل الذي قال ذلك الراوي أنه أخذ عنه.

(٤) رَبَّته على تعاقب سنوات الوفاة (فذكر الذي مات في سنة قبل الذي مات في سنة بعدها).

(٥) المائة الثامنة (أو القرن الثامن) تبدأ سنة ٧٠١ وتنتهي سنة ٨٠٠.

(٦) تجد ترجمته في هذا الجزء.

(٧) هو علي بن أحمد بن عبد الحسن بن أحمد الحسيني الإسكندراني (٦٢٨ - ٧٠٤ هـ) محدث ثقة.

(٧) هو أبو زيد عبد الرحمن الهزميري من أهل مرآكش، كان من الأولياء الصالحين. وروي الناس عنه عدداً من الكرامات.

عبد الله محمد بن خميس التونسي سنة ثمان وسبعماية.

... العشرة^(١) الثالثة من المائة الثامنة. توفي الشيخ المحقق أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان بن البناء الأزدي العددي بمدينة مراكش سنة إحدى وعشرين وسبعماية..... العشرة^(٢) الرابعة من المائة الثامنة..... وفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعماية.... وفي هذه السنة توفي الجد والدي علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ، وكانت مدة خطبته بمسطنطينة نحواً من خمسين سنة. وتقلد خطة القضاء بها مدة ثم استعفى فعوفي^(٣). وكانت به وسوسة^(٤) في شأن عبادته بلغت به إلى أنه إذا قبل أحد طرفي ثوبه حبسه بيده^(٥) ليفيله. وأمر مرة بإخراج منبر الجامع حتى طهر له من صمود غيره عليه. ولقي أعلاماً من الناس.

- ٤- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية (تحرير هنري بيريس)، الجزائر (المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية) ١٩٣٩ م (طبع في مصر)؛ (تحقيق محمد الثاذلي النيفر وعبد المجيد التركي)، تونس (الدار التونسية للنشر) ١٩٦٨ م.
- كتاب الوفيات (نشره هنري بيريس)، الجزائر بلا تاريخ للطبع؛ (حققه عادل نوهض)، بيروت (المكتب التجاري للطبع والنشر والتوزيع) ١٩٧١ م.
- أسن الفقير وعز الحفير (تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور)، الرباط (جامعة محمد الخامس: المركز الجامعي للبحث العلمي) ١٩٦٥ م.
- *** تعريف الخلف ١: ٢٧-٣٢؛ الإعلام بين حل مراكش من الأعلام ٢: ١٦؛ درة الحجال ١: ٦٠ (١: ١٢١-١٢٣)؛ جذوة الاقتباس ٧٩؛ نيل الابتهاج ٧٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٨٤٣-٨٤٤؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٣٤١؛ الأعلام للزركلي ١: ١٤٤ (١١٧)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٠٩.

(١) ولأصح أن يقال: العشر (أي العشر السنوات أو السنوات العشر) الثالثة (من المائة الثامنة).

(٢) استمعى فلان من مصبه (طلب التخلي عنه) فأعني (المجهول من «أعنى») وعوفي (المجهول من «عافى») بمعنى واحد. والصيغة الأولى «أعنى» أفصح وأكثر استعمالاً.

(٣) الوسوسة والوسواس (والعامة تقول: سراب): وهم (بفتح فسكون فضمتين) بأن كل شيء بمنه (بفتح الميم) الآخرون نجس (بفتح فكسر). وهذا مرض نفسي.

(٤) حبس طرف ثوبه بيده (أسك بطرف ثوبه ليمده عن باقي ثيابه).

ابن الأحمر

صاحب نشير الجمان^(١)

١- ليس في سلسلة نسب ابن الأحمر هذا من تولى عرش غرناطة. إنه أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج^(٢) بن إسماعيل بن يوسف المدعو بالأحمر. وُلِدَ أبو الوليد إسماعيلُ بُعِيدَ سَنَةِ ٧٢٥ هـ (١٣٢٥ م). ويبدو أن السلطان أبا الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج المعروف بلقب «النيكار» (٧٣٣-٧٥٥ هـ) قد خاف طمع أبناء عمه بالملك فأخرجهم من الأندلس: خرجَ عمه محمد بن فرج ومعه ابنه يوسف^(٣) وحفيده إسماعيل (صاحب هذه الترجمة) إلى المغرب، وذلك - فيما يبدو - في أيام أبي سعيد عثمان بن يعقوب (٧١٠-٧٣٢ هـ) تاسع ملوك بني مرين في فاس.

اشتغل أبو الوليد بن الأحمر منذ مطلع حياته بالعلم والأدب فتلقى علم العربية (النحو) على محمد بن محمد بن داوود الصنهاجي، والأدب والتاريخ على أحمد بن محمد الصباح وعبد الغفار بن موسى البوظفي، وسمع الموطأ من الحسن بن عطية بن موسى الوائشريسي. وهناك نفر من العلماء أجازوا أبا الوليد بن الأحمر إجازة عامة (في علوم مختلفة) منهم محمد بن أحمد بن عبد الملك بن شعيب الفشتالي وأبو عبد الله محمد بن سعيد الرعيني السراج.

ثم تصدر أبو الوليد بن الأحمر للتدريس في جامع القرويين في فاس وأخذ بمخالطة رجال العلم والأدب والسياسة. وقد كان أول اتصال له بالبلاط المريني في أيام أبي

(١) هذه الترجمة مبنية على الدراسة المفصلة القيمة التي قدم بها محمد رضوان الداية دراسته في كتاب «نشير الجمان». غير أن السلسلة النطقية لتاريخ بني الأحمر كثيرة التقيد.

(٢) في زاماور (ص ٩٥): إسماعيل بن محمد بن فرج، وفي نشير فرائد الجمان (ص ٦٦): إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن فرج. وقد قبلت هنا السلسلة الثانية.

(٣) في نصح الطبيب (٨٤:٥): كانت فتنة أندلس في الليلة الثامنة والعشرين من شهر رمضان عام ستين وسبعمائة (١٣٥٩/٨/٢٢ م) والتي جاء بها إلى عرش غرناطة إسماعيل بن محمد بن فرج عم أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن فرج (صاحب هذه الترجمة)، بعد حسة وثلاثين عاماً من مولد صاحب هذه الترجمة والذي فرضنا أنه جاء مع أبيه وجدّه إلى المغرب طفلاً.

عنان فارس المتوكل بن علي (٧٤٩-٧٥٩ هـ) فقال عنده حظوة كبيرة. ومع أنه أصبح مؤرخ دولة بني مرين وكتاباً عند ملوكهم ووزرائهم، فإن صلته بهم ضعفت بعد أي عنان ثم اختلفت مكانته عندهم صعوداً وهبوطاً.

وكانت وفاة أبي الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر في فاس، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) في الأغلب.

٢- تقوم شهرة أبي الوليد بن الأحمر على أنه مؤلف خصب ترك لنا في مؤلفاته صورة للعصر الذي عاش فيه من الناحية السياسية ومن الناحية الأدبية. فمن كتبه: عرائس الأمراء ونفائس الوزراء - أعيان مدينة فاس - مستودع العلامة ومستبدع العلامة^(١) - المنتخب من درر السلوك في شعر الخلفاء الأربعة والملوك - فريد العصر في شعر بني نصر - شرح البردة (للوصيري) - تثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان - تثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان - حديقة النسرين في أخبار بني مرين - روضة النسرين^(٢) في أخبار بني عبد الواد وبني مرين (الفا سنة ٨٠٧ هـ) - تأنيس النفوس في اكمال نقط العروس (لسان الدين بن الخطيب) - نظم وشرح كتاب رقم الحلال (لسان الدين بن الخطيب)^(٣) - فهرست ابن الأحمر^(٤).

(١) الاسم غريب غامض الدلالة. ويقال إن كلمة العلامة الثانية بتشديد اللام (راجع تثير فرائد الجمان ١٣٢). العلامة (بتسهيل اللام، بلا تشديد)، في الأصل: الطراز (رسم اسم الملك على الأوراق والتياب والأسلحة الخ). وصاحب العلامة أصبح يطلق في الأندلس على رئيس ديوان الانشاء.

(٢) ألف أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر هذا الكتاب أولاً برسم السلطان المريني أبي العباس أحمد المنصور بالله بن إبراهيم (٧٧٦-٧٨٦ هـ) وبمناو « النفعة النسرينية واللمحة المرينية » ووقف به في تاريخ بني مرين عند سنة ٧٨٩ للهجرة (١٣٨٧ م). ثم جعل له مقدمة جديدة برسم السلطان المريني أبي سعيد عنان بن أحمد (٨٠١ وما بعد) وجعل له أيضاً عنواناً جديداً هو « روضة النسرين... » (راجع بروكلمان، الملحق ٢ : ٣٤٠).

(٣) كتاب « رقم الحلال الموشية » لسان الدين بن الخطيب تاريخ موجز لدول الإسلام نظمها ابن الخطيب شعراً ثم جعل عليه ابن الخطيب شرحاً قصيراً. ويبدو أن أبا الوليد بن الأحمر قد وصل هذا الكتاب (أي: زاده واستمر فيه، نظماً وشرحاً، على غرار ما كان لسان الدين قد فعل).

(٤) الفهرست: البرنامج = فهرست ابن الأحمر أو برنامج ابن الأحمر: كتاب تكلم فيه ابن الأحمر على شيوخه (أسانده).

وأبو الوليد بن الأحمر شاعرٌ وناثر. له في الشعر قصائدٌ ومقطعاتٌ أكثرها شعرٌ مناسباتٍ يُغلبُ عليها المديحُ، وفيها شيءٌ من الرثاء والغزل وبعض الأغراض الإخوانية. أما أماديجهُ فأكثرها في بني مرين الذين عاشَ في كنفهم لاجئاً وفي نفرٍ من رجالِ دولتهم، وقد مدحَ أيضاً الغنيَّ بالله النَّصْرِيَّ - وهو محمدُ (الحامس) بنُ يوسف بن الأحمر ثامنُ ملوكِ غرناطة. غير أننا لا ندري متى مدحَ الغنيَّ بالله هذا: أحين كان الغنيَّ بالله ملكاً على عرش غرناطة (٧٥٥ - ٧٦٠ هـ) أم حين كان في فاس لاجئاً (٧٦١ - ٧٦٣ هـ)؟

ولأبي الوليد بن الأحمر نسيبٌ وغزلٌ ليس فيها براعة خاصة. وله أيضاً بديعياتٌ أو مولدياتٌ في مدح محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثم له أيضاً عددٌ من الأخوانيات لا تخرج عن نطاق المديح كثيراً.

وفي شعر أبي الوليد بن الأحمر صناعةٌ وتكلفٌ يُلقبان على شعره شيئاً من جفاف شعر العلماء والفقهاء. ولأبي الوليد بن الأحمر تثرٌ ينقسم ترسلاً يكثرُ فيه التأتُّق والتكلفُ وتدويناً في الكتبِ مُرسلاً فيه محاولةٌ للجري على سجيّة النفس.

٣- المختار من آثاره

- قال أبو الوليد اسماعيل بن يوسف بن الأحمر في مَوْلِدِيَّةٍ (بديعيةٌ يمدحُ بها رسولَ الله):

ففي الماءَ لَمَّا مِنْ أَصَابِعِهِ انْهَمَى لَمُعِجْرَةٌ مَا فِي الْبِرَايَا ضَرِيْبُهَا^(١).
وفي الماءَ - لَمَّا جَاؤَهُ - وَمِيَاهُهُ بِهِ الْأَرْضُ يُرْوَى حَزْنُهَا وَسُوءُهَا^(٢)؛
فَلَمْ تَنْدُ أَحْضَافُ الْمَطِيِّ بِأَنْدِهِ، وَأَمْوَاهُ مَا خِيفَ مِنْهَا رُؤُوسُهَا^(٣).

(١) من المعجزات التي تروى للرسول أن الماء سأل من بين أصابعه حتى ارتوى الجيش العطشان. الضريب: المتبل، التبييه.

(٢) الحزن: الأرض الهللة. السهب (بالفتح): الأرض الواسعة.

(٣) الحفت: باطن قائمة الحمل. تندی: تبتل المطي: الحيوانات المدة للركوب. رصب الماء: غار في الأرض (كان الماء كثيراً إلى درجة أن الأرض ما كانت قادرة على امتصاصه).

إليك، رسولَ الله، نيرانَ لَوْعتي؛
هي النفسُ في آمالِ زَوْرِكَ سَوْطِها،
فها هُوَ سَوْقي الحارجي شَيْبِها^(١).
وَرَعْبَتْها في أن يُتَاحَ رَعْبِها^(٢).
- وقال يمدح الغني بالله:

ألا يا عُفَاةَ الأرض، طُرًّا تَبَادروا
هو القَدُّ في الأُملاك طُرًّا لِأنَّه
هُمَّامٌ إذا ما الرُّوعُ عَبَّ عِبَابُه
ولاحت بروقُ الهِنْدِ وامتلاً الفضا
أراك مُحِيًّا تالياً سورةَ الضُّحى
تعرَّزَ منه الدينُ لَمَّا أقامه،
نَاصِصٌ على العافين طُرًّا مواهِباً
خَلَفْتُ يَمِيناً بَرَّةً، ليس في الدُّنَا
إلى جودِ مَلِكٍ جُودُه عَمَرَ الدُّنْيَا^(٣).
أجلُّهم قَدْرًا وأحْسَنُهم هَدْيًا^(٤).
وأبْدَى عليه النِّعَمُ من نَجْهَ رَبِّيا^(٥).
بصُلْصالِ رَعْدِ الطُّبَلِ أَعْظَمَ به شَيْئا^(٦)!
وقلباً على الأعداءِ قَدْرِكِبِ البَغْيَا^(٧).
ولم يَشْكُ منه المَلِكُ وهنأَ ولا وهيا^(٨).
بأفضالِهِ وَعَدًّا لهم كان مَأْتِيا^(٩).
مَلِيكاً سِوَاهِ للمعالِي سَمَى سَعْيَا.
- وقال في السيب والغزل:

سَهْرَتْ في مَنْ جَفَّنَهُ نَائِمٌ
ظَبِيٌّ ظَبِي عَيْنَيْهِ فَعَالَةٌ
وَدَبَّتْ في مَنْ جِنَّمَهُ نَائِمٌ
بِالْقَلْبِ ما لا يَفْعَلُ الصَّارِمُ^(١٠).

- (١) في البيت تورية: الحارجي: الظاهر (وأحد الحوارج). الشيب: رقع الفرس. كلتا يديه، والشاعر يقصد: الشوب، اشتعال النار، وشيب بن يزيد الشيباني (ت ٧٧ هـ - من رؤساء الحوارج وأبطالهم). يقول: ظاهر شوقي إليك كاشتعال النار أو كبطولة شيب الحارجي، فكيف يباطنه.
- (٢) الزور: الزيارة. السؤل: المطلب. الرغب: التهم (شدة التوق).
- (٣) العافي: الذي يطلب المعروف.
- (٤) القد: الفرد، الأوحد. الأملك: الملوك.
- (٥) الروع: الخوف (الحرب). عبَّ عبابه (اضطرب موجه). النعم: غبار الحرب.
- (٦) بروق الهند: لمان (السيوف) الهندية.
- (٧) سورة الضحى هي السورة الثالثة والتسون في المصحف. الضحى هو الوقت الذي يكون بعد شروق الشمس مباشرة (ويكون لامعاً جداً). أراك محياً... فرحاً، ضاحكاً. البني: الظلم.
- (٨) تعرَّزَ: اشتدَّ، اعتزَّ، توى. الوهن: الضعف. الوهي (في الجدار): التهدم (في التوب): الشقاق، التهرؤ.
- (٩) مأتياً: آتياً لا شك فيه. تضمن من القرآن الكريم: ﴿إِنَّه كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ (سورة مريم).
- (١٠) الظبة (بضم ففتح): حدّ السيف. الصارم: السيف.

يَشَأُ عَنْ عَيْنَيْهِ سِكْرَ الْهَوَى فَكَلْنَا مِنْ تَمَلِّهِ هَائِمٌ (١).
 شَكْوَتْ مَا بِي مِنْ جَوَى حُبِّهِ مِنْ وَلَّهِ لَمَلَهُ رَاحِمٌ (٢).
 يَضْحَكُ فِي الْحُبِّ، وَأَبْكِي أَنَا. اللَّهُ فَيَا بَيْنَنَا حَامٍ!

- من مقدمة شير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان:

وبعد؛ فإنَّ الأدبَ زَهْرٌ حَوَتْهُ مِنَ الْبِدَائِعِ كِيَامَةٌ، وَرَوْضٌ مُدَبَّجٌ (٣) حَاكَمَهُ مِنَ الْهَامِدِ غَمَامَةٌ. وَهُوَ أَعْدَبُ مَا تَطْمَحُ إِلَيْهِ الْهَيْمَمُ... لَمَا يَسْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ ضَيْطِ التَّوَاقِي وَالْأَوْزَانِ، وَيَحْتَوِي عَلَيْهِ مَسْرَحُهُ مِنْ بَدِيعِ الْحَلَاوَةِ وَالنَّفْعَاتِ الْمُدْهِبَةِ لِلْأَحْزَانِ. إِذْ بِهِ تَفَاوُتٌ فِي النَّاسِ الْأَخْطَارُ، وَتَشْرِيفُ النَّفُوسِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ الْأَقْطَارُ. وَلَمَّا كَانَ (الأدب) فِي الرَّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ فِي نَفُوسِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحَلِّ... وَكَانَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي أَنَا فِيهِ مَنْ يَأْتِي فِي نَظْمِهِ بِالْبَدِيعِ وَيُوقِّعُهُ، مِنْ كُلِّ أَسَدٍ فَحَلٍ يَسْتَنْزِلُ وَكَافِ الْإِجَادَةِ فِي مَحَلِّ، مِمَّنْ يُقَالُ لَهُ فِي الشَّعْرِ حَبِيبُهُ، وَهُوَ لِلْإِدْرَاكِ جَلِيلُهُ (٤)... مِنْ مُحِبِّ مُتَغَزِّلٍ، وَمَادِحٍ لِلرَّفْدِ مُسْتَنْزِلِ (٥)، سَخَّتْ لِأَهْلِهِ نَصِيحَتِي وَسَمَّحَتْ بِعَمَلِهِ قَرِيحَتِي. فَجَمَعْتُ فِي هَذَا التَّالِيفِ مَا وَجَدْتُهُ لَهُمْ مُتَمَحَقًّا شَاعَهُ (٦)، وَمَا أَلْفَيْتُهُ مِنْ نَفَائِسِ جَوَاهِرِهِمْ مُتَفَرِّقًا شَاعَهُ؛ مُعَوَّلًا فِي ذَلِكَ عَلَى مَا طَابَ فَصَلُهُ وَفَرَعُ دُرَى الْإِجَادَةِ فَرَعُهُ وَأَصْلُهُ. وَلَمْ أَعُولْ إِلَّا عَلَى مَنْ فِي عَصْرِنَا نَبَغَ وَأَثَابَ التَّخْيِيلَاتِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْإِحْسَانِ صَبَّغَ... وَلَمْ أَثْبِتْ إِلَّا قَادِرًا لَا يُبَارِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِ، إِذْ تَبَرَّأَ مِنَ الْعَمِيِّ وَمَقْتِهِ. وَضَرَبْتُ عَنْ غَيْرِهِمْ صَفْحًا.

(١) التمل: السكر. هائم: حائر (لا يدري ما يفعل).

(٢) الهوى: ألم الحب. الوله: ذهاب العقل من الحزن.

(٣) الكيامة: الكأس (الغلاف الأخضر) الذي تكون فيه الرهرة قبل أن تتفتح. مدبج: (توب من الحرير) مزين ومنقوش بالأشكال والألوان.

(٤) الوكاف (كذا في الأصل: ص ٢١٦، الطر الخامس عشر): بردعة الحمار. والمقصود: الوكف (بالفتح) أو الوكيف أو الوكفان (بفتح ففتح): هطول المطر. محل (لعلها بفتح ففتح فتشديد) حبيبه: حبيب بن أوس (أبو قام)، كناية عن البراعة في الشعر.

(٥) الرغد: العطاء. مستنزل: الذي ينجح في استنزال شيء (إقناع الآخرين بفعله).

(٦) الهاق (بالضم): ليلة آخر الشهر (لا ضوء قمر فيها). - من شعر جيد (له شعاع) ولكنه مستور، محبوب (لم ينشر بعد). الشعاع (بالضم): الضوء المنتشر. الشعاع (بالفتح): (الأشياء) المتفرقة.

والشعراء كثيرون، هم لأرياح الكلام مُشيرون... واقتصرَتْ فيه على مَنْ لِنَفْسِهِ
 أَشَدَّنِي، وَمَنْ يَنْظِمُهُ الْبَارِعِ اسْتَرَشَدَنِي مِمَّنْ رَأَيْتُهُ بِالْبَيَانِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْأَعْيَانِ، وَمَنْ
 بَيْتِي لِحِفَّتِهِ وَأَنْشِدْتُ لَهُ فَأَلْحَقْتُهُ وَالْمُ بِمَا أَشَدَّنِي رِوَايَةً عَنْ قَائِلِ أَعْيِنَهُ تَمَا يَسْتَجِيدُهُ قَائِلُهُ
 وَيَزِينُهُ. وَعَرَضِي أَنْ أُكْتَبَ مَا أُجِدُّهُ مِنَ الرِّسَائِلِ لِمَنْ نَبَتَ اسْمُهُ وَأَضْمَنَهُ أَنْوَاعًا شَتَّى
 مِنَ الْمَكَاتِبِ وَأَحْسَنَ رَسْمِهِ؛ إِذْ هَذَا النُّوعُ الْإِنْسَائِيُّ مِنَ الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا بِالْمَوْضِعِ الَّذِي لَا
 يُجْهَلُ عُلُوُّهُ وَلَمْ يَتَقَلَّدْ حُلِيَّتَهُ مِنَ الْجِنْسِ الْإِنْسَائِيِّ إِلَّا الْأَحَادُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُهْمَلَ سُوهُ.
 وَجَمَلْتُهُ عَلَى فُصُولٍ أَرْبَعَةٍ: الْفُصْلُ الْأَوَّلُ فِي شُعْرَاءِ الْمَشْرِقِ - الْفُصْلُ الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ
 الْمَغْرِبِ؛ وَهَذَا الْفُصْلُ أَجْمَلُهُ عَلَى تَوْعَيْنِ: النَّوعِ الْأَوَّلِ فِي شُعْرَاءِ الْأَنْدَلُسِ، وَالنُّوعِ
 الثَّانِي فِي شُعْرَاءِ بَرِّ الْعُدُودِ.

وَسَمَّيْتُهُ تَشِيرًا فَرَائِدِ الْجِهَانِ فِي نَظْمِ فُحُولِ الزَّمَانِ، مِنْ أَهْلِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ قُرْسَانِ
 الْكَلْبِيَّةِ الْكَلْبَانِيَّةِ مِنْ أَرْبَابِ الْقَوَافِي مِنْ كُلِّ مَدِيدِ الْخَوَافِي^(١)، مِمَّنْ شَفِي عَلَى مَفَاخِرِهِ
 أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ وَالْمَحَابِرِ وَقَوْمٌ بِأَمْدَاحِ شَرَفِهِ خُطْبَاءُ الْمَنَابِرِ، مِنْ فُقَيْهِ كَاتِبِ مُجَدِّ
 بِالسُّوَيْدِ، وَعَالِمٍ كَانَ مِنْهُ لِإِقْرَاءِ الْعُلُومِ مَا حُمِدَ بِالتَّجْوِيدِ؛ وَمَنْ أَدِيبٍ ذِي جَاهٍ
 عَرِضَ سَلَكُ مِنَ الْإِدْرَاكِ بَرُوضِ أَرِيضِ^(٢). وَعَلَى مَنْ أَدْرَكَهُ جِثْتُ بِالتَّمْوِيلِ، وَغَيْرُ
 مَا يُؤْمَلُ الْمَرْءُ فَإِبْرَاهِيمَةُ مِنْ أَفْعَالِ التَّمْوِيلِ.

٤ - روضة السنين في دولة بني مرين، الرباط (المطبعة الملكية) ١٣٤٤ هـ، تم
 ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٢ م.

- ستودع العلامة ومستبدع العلامة (بتحقيق محمد بن تاويت الطنجي ومحمد التركي التونسي)،
 منشورات كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في الرباط، تطوان ١٣٨٤ هـ =
 ١٩٦٤ م.

- شير فرائد جهان، في نظم فحول الزمان، (دراسة وتحقيق «بقلم» محمد رضوان
 الداية)، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٧ م.

★ جذوة الاقتباس ٤٩٩؛ درة المجال ١: ١١٦؛ نيل الابتهاج (القاهرة) ٩٨ - ٩٩

(١) الكيبة الكاسنة في من لقبناه في الأندلس في المائة الثامنة (٧٠١ - ٨٠٠ هـ) كتاب للسان الدين بن
 الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) الحاقية: الرينة الطويلة في مقدمة الجناح (كتابة عن القوة على الطيران).
 (٢) الأريض: (المكان) الكثير النبت الحسن المنظر.

تثير الجمان في نظم فحول الزمان، ص ٣٧٧-٤٠٤ (ترجمة له) ثم راجع مقدمة المحقق؛ أزهار الرياض ١: ١٨٦، ٢٩١-٢٩٢، ٣: ١٩٥-١٩٨؛ بروكلمن ٢: ٣١٣، الملحق ٢: ٤٠، الأعلام للزركلي ١: ٣٢٩ (٣٢٩-٣٣٠)؛ مجلّة البحث العلمي (ماي-غشت = أيار-آب ١٩٦٤)، ص ٢٥٤-٢٦٧؛ معجم المؤلفين ٢: ٣٠١.

يوسف بن يوسف بن الأحمر

١- هو الثالث عشر من ملوك غرناطة: أبو الحجاج يوسف الناصر (الثالث) بن يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس: الغني بالله) بن أبي الحجاج يوسف (الأول) بن إسماعيل (الأول) بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر.

تلقى يوسف بن يوسف بن الأحمر أشياء من علمه على أبي محمد عبد الله بن جزّي وأبي عبد الله الشريشي والقاضي أبي عبد الله محمد بن علاقي والصوفي أبي مهدي بن الزيات. ثم جاء إلى العرش بعد موت أخيه محمد، سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م). وقد كانت أيامه أيام ضعف واضطراب من استمرار تنازع أمراء بني الأحمر على البقعة الصغيرة التي كانوا يحكمونها ومن إلحاح الإسبانيين على أطراف غرناطة بالاستيلاء قدرة أو حيلة. وكانت وفاة يوسف بن يوسف سنة ٨١٩ هـ (١٤١٧ م).

٢- كان يوسف بن يوسف بن الأحمر أديباً ناثراً وناظماً ومصنفاً. وفنون شعره المولديّات والرثاء والحجاسة والغزل والشكوى. وشعره عاديٌّ ظاهر الضعف أحياناً تلمح فيه تقليد شعراء المارقة يسير كقولهِ، مثلاً (ديوان ١٣٧):

يا آل يوسف، لي في قُطْرِكُمْ قَمَرٌ قد ظلّ من فلكِ الأزرار^(١) مطلمة

من قول ابن زريق البغدادي:

أستودعُ الله في بغدادَ لي قمرأً بالكرخ^(٢) من فلكِ الأنوارِ مطلمه.

وصفَّ يوسف بن يوسف ديوان ابن زمرّك (قتل ٧٩٦ م).

(١) في زاباور (ص ٩٤) سنة ٨٢٠ هـ.

(٢) الأزرار: مدخل التوب في العنق.

(٣) الكرخ: الجانب الغربي من بغداد.

- قال يوسف بن يوسف بن الأحرر:

خَلِيلِيَّ، مَهْلًا! فالزمانُ كما تدري . ولا بُدَّ من يُسْرِ على أترِ العُسرِ .
فمها دَهَا صَحْوٌ فلا بُدَّ من قَطْرِ ، ومها دجا خَطْبٌ فلا بُدَّ من فَجْرِ (١) .
وَأَلطافُ صُنِعِ اللهُ رائِعَةُ البُشرِ (٢) .

على العدلِ يجري حُكْمُهُ وقضاؤُهُ ، وَمِنَّا له التَّسليمُ فيما يشاؤُهُ .
وَمَنْ كانَ بالحقِّ اليقِينِ اهتداؤُهُ رأى النُصرَ خَفَّاقاً عليه لِواؤُهُ .
وَسُخفاً لباغٍ حادٍّ عن عَلمِ النُصرِ .

رَضِيْتُ بما يرضاه رَبِّي وناصرِي : مُجاهدَةً بَيْنَ السِيوفِ البِواتِرِ ؛
وبَيْنَ اِفتكاري في العَدُوِّ المُحاصرِ أنادي إلهاً عالماً بالسرائِرِ ،
عسى عَطْفَةٌ من عالمِ التَّهْيِ والأمرِ (٣) .

إليه استنادي حَيْثُ حَلَّتْ رِكاتِي ، عليه اعْتادِي في جَمِيعِ المَطالِبِ
وخيرِ شَفيعٍ من لُؤيِّ بنِ غالِبِ وأتباعه ما بَيْنَ سِبطِ وصاحبِ
وما جاء في الفُرْقانِ والتَّشعُّعِ والوَتْرِ (٤) .

- وقال في الشكوى من حال الأندلس والحرب:

وَمِمَّا أَهاجَ الوَجْدَ مِنِّي والبُكاَ وميضٌ بأعلى الرَقَمَتَيْنِ يُلوحُ (٥) .
تَعرَّضَ من دونِ المُصلَّى ، ودونَهُ مَجالٌ لأيدي الناعِجاتِ فِسيحُ (٦) ،

(١) صحو: انقطاع المطر (لعل المقصود: قحط). القطر: المطر.

(٢) البشر يمكن أن تكون بضم الباء وتسكين التين (بدل فتحها، جوازاً في الشعر) جمع بشري.

(٣) عالم التَّهْيِ والأمر: المَلَأَ الأَعْلَى (من لدى الله).

(٤) لُؤيِّ بنِ غالِبِ من أجداد رسول الله. السبط: ابن البنت (الحسن والحسين سبطا رسول الله). صاحب واحد صحابة الرسول. الفُرْقان: القرآن. التشعُّع والوتر إشارة إلى سورة الفجر (٨٩: ١-٣): ﴿والفجر وليال عشر والتشعُّع والوتر﴾.

(٥-٦) اللوجد: الشوق. الرقنين اسم مكان لا يقصد هنا به علماً معيناً، والمصلَّى مثله. الناعجات: النوق السريمة.

بَلِيلٍ كَانَ الشُّهْبَ فِيهِ فَوَارِسٌ
فَمِنْ بَيْنِ هَاوٍ قَدْ تَكَدَّرَ وَاخْتَفَى،
فَإِنْ يَكُ لَيْلُ الْمَجْرِ لَيْسَ يُنْقَضُ
سِرْضِي بِحُكْمِ السِّيفِ مِنِّي مُسْرِفٌ،
أَنَا الْيُوسُفِيُّ النَّاصِرُ الْمَلِكُ الَّذِي
يُصْرِّحُ مَلِكُ الرُّومِ جُهْدًا بِصُلْحِهِ،
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْحُرُوبِ تَطَلُّعٌ،
وَأَنْ مَقَامِي لَا مَقَامَ يَرُوقُهُ،
يُكَلِّ عَلَيْهَا لِلرُّبُوقِ صَفِيحٌ (١).
وَأَخْرَجَ خَفَاقَ الْفُوَادِ جَرِيحٌ (٢).
فَللصَّبْرِ وَجَهٌ بِالصَّبَاحِ صَبِيحٌ.
وَيَسْمَحُ بِالْمَالِ الْعَرِيضِ شَحِيحٌ (٣).
أَيْدِ ذَرَارِيِّ الْعِدَا وَأَيْحُ.
وَبُرْهَانٌ مَقْصُودِي لَدُنِي صَحِيحٌ (٤).
وَهَلْ لِي إِلَى غَيْرِ الْجِهَادِ طُمُوحٌ؟
فَلَيْسَ قُتُورًا أَنْ تَقِلَّ قُتُوحٌ (٥)!

٤- ديوان ملك غرناطة: يوسف الثالث (حقيقه عبدالله كتون)، تطوان ١٩٥٨ م؛ الطبعة الثانية، القاهرة (مكتبة الانجلو المصرية) ١٩٦٥ م.
** درة المجال ٢: ٢٨٣؛ نوح الطيب ٤: ٣٠٣ (٩)؛ الأعلام للزركلي (٨: ٢٥٩)؛ مجلة «دعوة الحق» (المغرب)، مقال لأحمد العراقي القاسبي، في عدد (عديدي ٩) رمضان وذى الحجة ١٣٩٢ هـ.

ابن جابر الفسّاني المكناسي

١- في «الأعلام» للزركلي (٦: ٢٩٤): محمد بن جابر الفسّاني المكناسي (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مكناس، له «نظم المرقبة العليا في تمبير الرويا» ثم (٨: ١٠): محمد بن يحيى بن محمد بن جابر الفسّاني (ت ٨٢٧ هـ) من أهل مكناسة، له نظم في علم الرويا.

وإذا نحن رجعتنا إلى نيل الابتهاج (ص ٢٨٦ - ٢٨٧) والنبوغ المغربي (ص ٢٢٩)

- (١) التهب: التجوم. الصفيح: الصفحة المستوية من الحديد (انسيف).
- (٢) هاو: غائب (يقرب وراء الأقب في رأي العين). خفاق الفؤاد: يزهر (بومض تاعاً). جريح (لونه أحم).
- (٣) العريض (الكثير؟). شحيح: بخيل.
- (٤) الروم: الإفرنج، نصارى أوروبة. جهداً (٩) لعلها: جهراً.
- (٥) موقني كملك في غرناطة لا يرضي أحداً (الضعفي والضعف دولي). قنور: هدوء، كل. إن ترك الحرب ليس عن كمل في ولكن عن عجز مني.

والأدب المغربي (ص ٢٧٤) وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ جَابِرِ النَّسَائِيِّ الْمِكَاسِيَّ مِنْ أَهْلِ مِكَاسَةَ تَلْمِذَ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْمَنَّانِ الْمِكَاسِيِّ (ت ٧٩٢ هـ) وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ اللَّخْمِيِّ مِنْ سُكَّانِ مِكَاسَةَ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ابْنِ جَابِرِ النَّسَائِيِّ الْمِكَاسِيِّ سَنَةَ ٨٢٧ (١٤٢٤ م).

٢- كان ابن جابر المقصود بهذه الترجمة أديباً شهيراً (راجع نفع الطيب ٥: ١٦٧) وشاعراً مجيداً كما كان مُصَنِّفاً بارعاً وعلماً بالقراءات له (راجع نيل الابتهاج ٢٨٦): نُزْهَةُ النَّاطِرِ لابن جابر (رَجَزٌ فِي التَّعْرِيفِ بِلِدَيْهِ مِكَاسَةَ) - كِتَابٌ فِي رَسْمِ الْقُرْآنِ - تَسْمِيطُ الْبُرْدَةِ (لِلْبُوصَيْرِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦٩٦) - نَظْمُ الْمَرْقَبَةِ الْعَلِيَا فِي تَعْبِيرِ الرَّوْيَا (لابن راشد).

٣- مختارات من شعره

- قال أبو عبد الله محمد بن جابر النَّسَائِيُّ الْمِكَاسِيُّ مُخَمَّساً بَيْنَتَيْنِ لِيَلَانَ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي رَسُولِ اللَّهِ (نفع الطيب ٥: ١٦٧):

يَا سَائِلاً لِضَرْيَحِ خَيْرِ الْعَالَمِ يُنْهِي إِلَيْهِ مَقَامَ صَبِّ هَائِمِ^(١)،
بِاللَّهِ، نَادٍ وَقُلِّ مَقَالَةَ عَالِمٍ: (يَا مُصْطَفَى مِنْ قَبْلِ نَشْأَةِ آدَمِ^(٢))
وَالْكُونُ لَمْ تُفْتَحْ لَهُ أَغْلَاقُ^(٣).

بِشْنَاكَ قَدْ شَهِدَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ، وَاللَّهُ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ وَسَلَّمًا^(٤).
يَا مُجْتَسِيَّ وَمُعْظَمًا وَمُكْرَمًا، (أَيْرُومُ مَخْلُوقٌ تَسَاءَكَ بَعْدَمَا^(٥)).

-
- (١) يا سائلاً (كذا في الأصل). اقرأ: يا سائراً! الضريح: القبر. خير العالم (محمد رسول الله). يُنْهِي... (يحمل إليه وصفاً لحال رجل محب له - هو لم يستطع الذهاب إلى المدينة فحمل أحد الزاهيين إليها رغبته).
(٢) مصطفى: مختار، منقته، مفضل (اختار الله محمداً رسولاً إلى الناس كافة من قبل أن يُخلق آدم أبو البشر).
(٣) الكون (مصدر = كان - يكون). والناس يلحنون فيمنون بالكون = مجموع الوجود. اغلاق (ليست في القاموس) والملموح أن الوجود لم يظهر بعد.
(٤) ثناك = ثناؤك (التناء عليك: بصفاتك الجميلة).
(٥) مجتسي: مقرب، مختار. أيروم: أطلب (أطلب في مثل صفاتك)?

أتى علي أخلاقك الخلاق^(١).

وقال مورياً بالبرق والعقرب (وبالبراق والعقارب) مُتَفَرِّلاً (النبوغ المغربي ٧٤١، الأدب المغربي ٢٧٤):

إِنْ خِضَتْ مِنْ قَتِكَ الْمُهَنْدِ وَالقَنَا؛ فَإِذَا رَنَتْ وَإِذَا مَسَتْ لَا تَقْرَبِ^(٢)؛
فِي قَلْبِ بُرْقُمِهَا مَحْسَنٌ أَنْزَلْتِ قَمَرَ السَّمَاءِ لَنَا بِقَلْبِ الْعَقْرِبِ^(٣)؛
** حَلَّتْ عَقَارِبُ صِدْغِهِ مِنْ خَدِّهِ قَمَرًا فَجَلَّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ^(٤)؛
وَلَقَدْ عَهَدْنَاهُ يَجِلُّ بِبُرْجِهَا؛ فَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ^(٥)!
- وقال في جبال مكناسة (النبوغ المغربي ٧٦٤، الأدب المغربي ٢٧٦):

لَا تُتَكِرُنُ الْحُسْنَ مِنْ مِكَنَاسِيهِ، فَالْحُسْنُ لَمْ يَبْرَحْ بِهَا مَعْرُوفًا.
وَلَيْتِنِ مَحَتَّ أَيْدِي الزَّمَانِ رُسُومَهَا، فَلَرَبِّهَا أَبْقَتْ هُنَاكَ حُرُوفًا.

٤- درة المجال ٢: ٢٧٨، نيل الابتهاج (القاهرة) ٢٨٦-٢٨٧، ٣٢١؛ نفع الطيب ٥: ١٦٧، النبوغ المغربي ٢٢٩، ٧٤١، ٧٦٤، ٨٠٩؛ الأدب المغربي ٢٧٤-٢٧٦؛ بروكلمن ٢: ٣٣٤، الملحق ٢: ٣٦٧؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٩٤، راجع ٨: ١٠ (٦: ٦٨ و ٧: ١٣٩)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٤٦.

أبو بكر بن عاصم

١- هو الرئيس أبو بكر محمد بن محمد بن عاصم القيسي الأندلسي القرناطي،

- (١) في القرآن الكريم (٦٨: ٤ القلم) في خطاب الرسول: ﴿وَإِنَّكَ لَأَنْتَ خَلْقٌ عَظِيمٌ﴾. الخلاق: الله.
- (٢) المهند: السيف (من صنع الهند). القناسة: القنصة (الرمح). رنا يرنو (نظر، تطلمع). إن كت تحاف الهلاك فلا تنظر (إلى هذه الفتاة الجميلة) إذا هي نظرت إليك أو إذا هي مرت بك.
- (٣) في قلب (وسط) برقها محسن (وجهها). هذه المحسن جعلت من وجهها قمرًا (شيثًا جيلًا) بقلب (بمكس) العقرب = عقرب: ب ر ق ع). هنا تورية: العقرب: برج (مجموع نجوم) يربا القمر (في رأي قدماء الفلكيين). - والعقرب (الحشرة السامة المعروفة).
- (٤) عقارب صدغه (كتابة عن خصل الشعر المتدلّية من جوارب رأسه). جل: فاق، ارتفع.
- (٥) الكلام على القمر (المحبوب الجميل) وفيه تورية: القمر الهرم - بكسر الهمزة - السواوي يرم عادة ببرج العقب - والعجيب أن العقارب (خصل الشعر) قد تدلّت من جوانب رأس المحبوب (ثم هي لا تضره).

وُلِدَ فِي غَرْنَاطَةَ فِي ثَانِي عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ ٧٦٠ (١١/٤/١٣٥٩ م).

نشأ أبو بكر بن عاصم في غرناطة وتلقى فيها علومه على خاليه: قاضي الجماعة أبي بكر بن جزي ثم رئيس علماء اللسان أبي إسحاق بن جزي^(١). وتم أخذ عنهم أبو بكر ابن عاصم: أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الحاج الثميري (٧١٣ - ٧٦٨ هـ) وأبو سعيد ابن لب (ت ٧٨٢ هـ) وأبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٦٠ هـ) وأبو محمد عبد الله بن الشريف التليصاني (ت ٧٩٢ هـ) وأبو عبد الله القيجاتي (القيجاطي) وأبو عبد الله بن علاقي وأبو الحسن علي بن منصور الأشهب وأبو عبد الله البلنسي.

كان أبو بكر بن عاصم قد بدأ حياته العملية بالوراقة (تجليد الكتب وبيعها) ثم أصبح قاضي الجماعة (قاضي القضاة) في غرناطة^(٢)، كما كان قد تولى الكتابة (الوزارة) - في غرناطة أيضاً - مدة يسيرة^(٣). وكانت وفاته يوم الخميس في الحادي

(١) لم أهدد إلى تفصيل أمرها.

(٢) في نفع الطيب (٥: ١٩) ترجمة لأبي بكر بن عاصم، علق عليه المحقق (في الحاشية) أن أبا بكر بن عاصم هذا «كان من أكابر فقهاء غرناطة، تولى قضاءها سنة ٨٨٨ (للهجرة) وله مؤلفات منها شرحه على تحفة والده في الأحكام.....». ومع أن رقم الحاشية موضوع على اسم «أبي بكر بن عاصم» لا على اسم ابنه أبي يحيى بن عاصم (المذكور في السطر السابق)، فإن تاريخ الوفاة (أزهار الرياض ١: ١٤٥): «ولي القضاء عام ثمان وثمانين وثمان مئة» (كذا بالأحرف) خطأ (لأن أبا بكر توفي سنة ٨٢٩، وتوفي ابنه أبو يحيى سنة ٨٦٠ هـ). والصواب ما جاء في «نيل الابتهاج» (ص ٣١٣): «تولى القضاء عام ثمان وثلاثين وثمان مئة» (بالأحرف أيضاً). وقد نبه على ذلك أيضاً خير الدين الزركلي (الأعلام، طبعة عام ١٩٧٩ م، ٧: ٤٨).

(٣) في «نفع الطيب» (٧: ١٦٩)، راجع «أزهار الرياض ٢: ١٩»: «وقدم للكتابة الفقيه ابن عاصم (أي أبو بكر) لمدة من عام (مدة يسيرة من عام). وفي «تاريخ الفكر الأندلسي» (ص ٤٢٩): «واستورزه يوسف الثاني الغني بالله صاحب غرناطة...» - ويبدو أن تقوم هذه الجملة أن يقال: يوسف الثاني بن محمد الخامس الغني بالله. أما يوسف الثاني فقد جاء إلى عرش غرناطة، سنة ٧٩٣ ثم خلع (٩٧٤؟)، وكانت وفاته سنة ٧٩٦ هـ، فبها يبدو. وأما محمد الخامس الغني بالله فقد تولى عرش غرناطة في حقيقتين (يكسر الهاء): من ٧٥٥ إلى ٧٦٠ (ولم يكن أبو بكر بن عاصم قد ولد بعد) ثم من ٧٩٣ إلى ٧٩٦ هـ للهجرة. وعلى كل حال فإن أبا بكر بن عاصم لم يكن قد برأ في الإدارة (الوزارة)، فقد جاء في «أزهار الرياض» (٢: ٢٦٤، الطبعين ١١ و ١٢): «... (وعندي) حيلة أقيم لك بها في عام واحد عدد ما كان يقوم على يدي..... ابن عاصم (من جمع أموال الجباية) في عشرين عاماً... أو لعل أبا بكر ابن عاصم لم يكن ظالماً في جمع المال من الرعيّة.

عَثَرَ من شَوَالٍ، سَنَةَ ٨٢٩ (١٥/٨/١٤٢٦ م).

٢- كان أبو بكر بن عاصم مُتَضَلِّعاً من القِراءات وبارعاً في النحو يجمعُ بين القياس والسَّماع، وإن كان أميلُ إلى رأيِ البَصْرِيِّين في السَّماع^(١). وكذلك كان أديباً عارفاً بالبلاغة والعروض، كما كان شاركاً في المنطق وعلم العدَد (الحساب) والفرائض (تقسيم الإرث)، ثم كان أديباً ناثراً وشاعراً ومُصنِّفاً في عدد من فنون المعرفة. فمن تصانيفه: تحفةُ الحُكَّام في نُكْتِ العُقود والأحكام (١٦١٨ بيتاً من الرَّجَز) - حدائقُ الأزهار (أو حديقةُ الأزهار) في مُستَحْصِنِ الأُجُوبِةِ والمُضْحِكاتِ والحِكَمِ والأمثال والحِكَاياتِ والنوادر (وهذان الكتابانِ وصَّلا إلينا وصُعبا). ثم كانت له كُتُبٌ (لا نعلم أنها باقية)، منها (أراجيزُ): مَمْبَعٌ (في نيلِ الابتهاج: منبع) الوُصولِ في علمِ الأُصولِ (أصول الفقه) - مُرتَقَى الوُصولِ للأُصول^(٢) (الأرجوزة الصُغرى) - نَيْلُ النُيِّ في اختصارِ المُوافَقاتِ (للشاطبي) - المُوجِزُ في النحو (حاذى به رَجَزُ ابنِ مالِكٍ في عَرْضِ البَسَطِ له والمُحَاذَاةُ لِقَصدِه) - ثم قصائدُ: إيضاحُ المعاني في القِراءاتِ الثَّانِيَةِ (في نَيْلِ الابتهاج: في قراءة أبي عمرو الداني، المُتوفى سَنَةَ ٤٤٤ هـ) - الأملُ المُرتَقِبُ في قِراءةِ يَنْقُوبِ^(٣) - كَنْزُ المُفَاوِضِ في علمِ الفرائض.

٣- مختارات من آثاره

- من العاصمية (تحفة الأحكام):
الحمدُ لله الَّذي يَقْضِي ولا يَقْضِي عليه، جَلَّ شَأْنًا وَعَلَا^(٤).
ثم الصَّلَاةُ بِدَوَامِ الأَبَدِ على الرُّسُولِ المُصْطَفَى مُحَمَّدٍ^(٥)،
وآلِهِ وَالفِئَةِ المُتَّبِعَةِ في كُلِّ ما قَد سَنَّهُ وَشَرَعَهُ^(٦).

(١) راجع الجزء الثالث من هذا الكتاب، ص ٤٧.

(٢) بروكلمن، المحقق ٢: ٣٧٥.

(٣) هو أبو محمد يعقوب بن اسحاق بن زيد الحضرمي البصري (١١٧ - ٢٠٥ هـ) أحد القراء المشرة.

(٤) يقضي: يحكم (على الناس بما يسيبهم)، ينصل في خلافتهم.

(٥) الأبد: الدهر.

(٦) الفئة (الجماعة) المُتَّبِعَةُ (لشرعته): المسلمون. سَنَّهُ: جملة سَنَةٍ (طريقة الحياة يتحسن العمل به). شرعه:

أوجب العمل به (جملة شريعة).

وبعد، فالقصد بهذا الرجز آتت فيه الميل للتبيين وجئت في بعض من المسائل فضيحه الفيد والمقرب نطمته تذكرة، وحين تم، سمته بـ «تحفة الأحكام» وذاك لما أن بليت بالقضاء وإنسي أسأل، من رب قضى والحمل والتوفيق أن أكونا حتى أرى من مفرد الثلاثة (باب القضاء وما يتعلق به):

منفذ بالشرع للأحكام له نيابة عن الإمام (٨).

(١) آتت: فضلت. التضمن: تداخل بعضه ببعض (جعلته منفصلاً تفصيلاً واضحاً). والتضمن عند المروضين (بالفتح: علماء الشرع): أن يكون تام معنى البيت من الشعر في البيت الذي يليه، كقول أبي نواس:

الحميد لله، أني - عسى حدائنة سني -
فقت الحيين طراً بيمض ما شاع عني.

(فإن خير «إن»، في البيت الأول، «فقت» في البيت الثاني).

(٢) بالخلف (باختلاف الأتوال) لاشتهار القائل (إذا كان الذين جاءوا بهذه الأتوال المختلفة من المشهورين بالعلم والصدق).

(٣) تذكرة: تذكيراً (لي). ما تم به البلوى (حاجة الناس إليه). ألم بالموضوع: تناوله باختصار.

(٤) التكت (هنا): الأمور التي تبدو غامضة، والأمور الجزئية التي يغفلها الناس أحياناً. العقود (جمع عقد بالفتح): ما يتفق عليه الفريقان كتابة.

(٥) أطلب من الذي قضى علي (أي الله) بأن أكون قاضياً أن يرفق بي في القضاء (في حياي يوم القيامة).

(٦) الحمل (القدرة على القيام بما يوجهه علي منصب القاضي).

(٧) في الحديث الشريف: القضاة ثلاثة: اثنان في النار وواحد في الجنة: من مفرد الثلاثة (الواحد الذي هو في الجنة).

(٨) القاضي هو المنفذ للأحكام بمقتضى الشرع نيابة عن الإمام (الذي هو الخليفة).

وَأَسْخِصْنَا فِي حَقِّهِ الْجَزَالَهٖ، وَشَرْطُهُ التَّكْلِيفُ وَالْعَدَالَةُ (١).
وَأَنْ يَكُونَ ذَكَرًا حُرًّا سَلِمَ مِنْ قَفْدِ رُؤْيَةٍ وَسَمْعٍ وَكَلِمٍ.
وَيُسْتَحَبُّ الْعِلْمُ فِيهِ وَالْوَرَعُ، مَعَ كَوْنِهِ الْحَدِيثُ لِلْفِقْهِ جَمَعًا (٢).
وَحَيْثُ لَاقَ لِلْقَضَاءِ يَقْعُدُ، وَفِي الْبِلَادِ يُسْتَحَبُّ الْمَسْجِدُ (٣).

(فصل في مسائل من القضاء):

وليس بالجائز للقاضي - إذا لم يَبْدُ وَجْهَ الْحُكْمِ - أَنْ يُنْفِذَ (٤).
وَالصَّلْحُ يَسْتَدْعِي لَهُ إِنْ أَشْكَلَا حُكْمًا، وَإِنْ تَمَيَّنَ الْحَقُّ فَلَا (٥)،
مَا لَمْ يَخَفْ بِنَافِذِ الْأَحْكَامِ فِتْنَةً أَوْ شَحْنَا أَوْلِي الْأَرْحَامِ (٦).
وَفِي الشُّهُودِ يَحْكُمُ الْقَاضِي بِمَا يَعْلَمُ مِنْهُمْ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ (٧).

- (١) لتولي منصب القضاء نوعان من الشروط: العدالة (وهي شروط وجوب، وهي التكليف أو العقل والذكورة والحريّة وسلامة الحواس بالألّا يكون أعمى أو أخرس، الخ) ثم شروط كمال ومنها الجزالة أو أصالة الرأي (القاموس المحيط ٣: ٣٤٨) وسعة العلم والورع أو التصف عن المغريات ثم المعرفة بالحدّيات والفتنة معاً، الخ.
- (٢) الورع: الخوف من الله، الترفع عن الأمور الدنيّة. مع كونه الحديث الخ: مع أن حفظه للحديث يمكنه (لأنّ الحديث قد جمع أبواب الفقه كلّها؟) أو اقرأ: مع كونه الحديث (بالنصب) والفتنة (العلم بأمور الدين) جمع (فعل ماضٍ مؤخّر نصب ما قبله، أي الحديث والفتنة): يجب أن يضيف (القاضي) إلى العلم (العالم) والورع معرفة الحديث والفتنة.
- (٣) والقاضي يجلس للحكم في الأماكن الصغيرة والبعيدة حيث يليق الجلوس للقضاء. أمّا في البلاد (المدن) فيحسن أن يجلس للحكم في المسجد.
- (٤) لا يجوز للقاضي أن يصدر حكمه قبل أن يبدو له وجه الحقّ في القضايا المروضة عليه.
- (٥) إذا تعدّر على القاضي أن يفضل في قضية مروضة عليه (لنموض تلك القضية) فيجب عليه أن يدعو المتخاصمين إلى الصلح (بأن يتنازل كلّ خصم عن شيء من حقه). أمّا إذا طهر للقاضي أنّ الحقّ في جانب أحد المتخاصمين فيجب عليه أن يحكم لذلك الخصم.
- (٦) ولكن إذا أبتن القاضي أن حكمه لأحد المتخاصمين سيجرّ إلى فتنة (قتال) أو شحنة (حقد وبغضاء) بين قومي المتخاصمين (لأنّ الخصم الذي حكم عليه قويّ شرير) فيجوز له حينئذ أن يدعو الفريقين إلى المصالحة. أو لو الأرحام: الأقارب.
- (٧) ويجوز للقاضي أن يقبل شهادة الشهود الذين يعرفهم (ويعرف أنّهم عدول) شخصياً. وأكثر العلماء يجيزون ذلك.

وفي سواهم مالكٌ قد شدداً
وقولٌ سخونٍ به اليوم العسل
في منع حُكْمِهِ بغيرِ الشُّهدا^(١)
فيما عليه مجلسُ الحُكْمِ أَشْتَمَلُ...^(٢)
(باب الشهود وأنواع الشهادات):

وشاهدٌ صِفْتُهُ الرِّزْعِيَّةُ
والعَدْلُ من يَحْتَسِبُ الكِبائِرا
وما أَيْسَحَ، وهو في العِيانِ،
فالعَدْلُ في التَّبْرِيذِ ليس يَقْدَحُ
وغيرُ ذِي التَّبْرِيذِ قد يُجْرَحُ
ومنَ عليه وَسْمٌ خَيْرٌ قد ظَهَرَ
عَدَالَةٌ، تَيَقُّظٌ، حُرِّيَّةٌ^(٣)
ويَتَّقِي في الغالبِ الصِّغائِرا^(٤)
يَقْسِدُحُ في مُرْوَةِ الإِنسانِ^(٥)
فيه سِوَى عَدَاوَةٍ تُسْتَوْضَحُ^(٦)
بغيرِها من كُلِّ ما يُسْتَقْبَحُ^(٧)
رُكْبِي، إِلا في ضَرُورَةِ السَّمْرِ^(٨)

- (١) إن الإمام مالكا (ت ١٧٩ هـ) فيه أهل المدينة قد منع أن يحكم القاضي في القضايا بعلمه من غير استماع إلى الشهود وأوجب أن يستمع القاضي إلى الشهود ويحكم بما يوضح له من أقوالهم.
- (٢) سخون هو عبد السلام بن سعيد من كبار فقهاء المالكية (ت ٢٤٠ هـ) قد قبل أن يحكم القاضي في عدالة الشهود بعلمه (يقبل شهادة من يعلم هو عدلته ويرفض شهادة من كان عنده مجروح العدالة).... وإذا حكم القاضي (في رأي فقهاء آخرين) بعلمه في عدالة الشهود وجرح عدلتهم انقلب شاهداً ولم يبق قاضياً.
- (٣) والشاهد يجب أن يتصف بصفات: العدالة (العدل، الإنصاف، النزاهة) ويتقظ (معرفة الأحوال المحيطة بالقضية، الوعي، العقل) والحريّة (أن يكون حراً لا عبداً رقيقاً).
- (٤) الرجل العدل (المقبول الشهادة في القضاء) هو الذي لا يأتي الكبائر (شرب الخمر، ترك الصلاة.... الخ) ويتقي (يحافظ، يتعدى عن) الصغائر (الذنوب الصغيرة: النظر العارض إلى غير محرم، الميل إلى اللغو، سبق اللسان إلى ما لا يقصد الإنسان، ذكر أخيه بما يكره أخوه، إلخ).
- (٥) والأمر المباحة (الطعام، تربية الحيوانات الأليفة، التبول، الخ)، إذا فعلها الإنسان علناً (في الأسواق مثلاً) نسقط عدلته فلا تقبل شهادته. قدح: عاب، جرح، قلل من. المروءة: الصفة الأساسية في الإنسان (والتي تجعل منه أمراً لا بهيمة).
- (٦) أما الرجال المشهورون بالتمييز (بين قومهم): بالملم والصدق والمكانة، فلا تبطل عدلتهم (قبول شهادتهم في الحاكم) إلا إذا كان بينهم وبين أحد المتخاصمين عداوة ظاهرة.
- (٧) أما غير ذوي التمييز (راجع الحاشية السابقة) فكل عمل قبيح (الشرب في المأكول والمشروب والمزل، مثلاً) يفسد عدلتهم فلا تقبل شهادتهم.
- (٨) وسْم: علامة. وسْم خير: مظهر يدل على النبل وحسن الحال. إن مثل هذا الشاهد يجب أن يركب في العادة. أما إذا اختلف جماعة مسافرون واحتكموا إلى قاضي بلدة يمرّون بها، فإن القاضي يقبل شهادة بعضهم على بعض (لتحدّر تركبتهم) إذا هو اقتنع بعدلتهم من مظهرهم الصالح في نظره.

وَمَنْ بَعَسَ حَالَهُ فَلَا غِنَى بِجَالَةِ الْجَرْحِ، فَلَيْسَ تُقْبَلُ
عَنْ أَنْ يُزَكِّيَ. وَالَّذِي قَدْ أَعْلَنَّا^(١)
لَهُ شَهَادَةً وَلَا يُعَدِّلُ^(٢).....
(باب اليمين):

فِي مَسْجِدِ الْجَمْعِ، الْيَمِينُ بِالْقَضَا^(٣)،
وَمَا لَهُ بَالٌ فِيهِ تَخْرُجُ
وَقَائِمًا مُسْتَقْبِلًا يَكُونُ
وَهِيَ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ فِي الْأَعْرَفِ،
وَمَا يَقِيلُ حَيْثُ كَانَ يُحْلَفُ
وَبَعْضُهُمْ يَزِيدُ لِلْيَهُودِيِّ
فِي مَسْجِدِ الْجَمْعِ، الْيَمِينُ بِالْقَضَا^(٣)،
إِلَيْهِ لَيْلًا غَيْرُ مَنْ تَبَرَّجَ^(٤)،
مَنْ اسْتَحَقَّتْ عِنْدَهُ الْيَمِينُ^(٥)،
عَلَى وَفَاقِ نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ^(٦)،
فِيهِ؛ وَبِاللَّهِ يَكُونُ الْحَلْفُ^(٧)،
مَنْزِلُ التَّوْرَةِ لِلتَّشْدِيدِ^(٨)،

- (١) أما الذي لا يدل مظهره على الصلاح (وقد يكون صالحاً) فيجب أن يزكّي (أن يُثني عليه رجلان عدلان وبشهادته بصلاحه). وأما الذي يظهر عليه.....
- (٢) أنه غير صالح، فلا تقبل شهادته، ولا يطلب القاضي من أحد أن يزكّبه (لأنه لا يعدل: لا يمكن أن يصبح مقبول الشهادة).
- (٣) إذا كان لزيد عند عمرو دين مقداره ربع دينار فما فوق يثبت له ذلك الدين إذا هو حلف يميناً في المسجد الجامع (المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة).
- (٤) أما في الأمور ذات البال (المهمة: القتل، الزنا، الرضاع، الخ) فيمكن (بحسب هذا البيت) أن تدعى المرأة حلفت اليمين في المسجد. المألوف - إذا احتاج القاضي إلى أن تحلف امرأة يميناً - أو أن يرسل القاضي إلى بيتها رجلاً موثقاً يسمع يمينها من وراء حجاب.
- (٥) وصورة حلف اليمين أن يقف الحالف مستقبلاً (متحماً إلى القبلة).
- (٦) واليمين - وإن تعددت في الأعرف (في المألوف السامع)..... تكون على نية المستحلف (المخضم) لا على نية الحالف (إذا أنكر زيد أن لعمرو ديناً عنده، فطلب عمرو من زيد حلف يمين، فتكون هذه اليمين على ما يقصده عمرو. فلا يجوز لزيد أن يقول: أقسم... أتى غير مدعي لك (ويضمر أنه غير مدعي له بأمر معنوي من ضيافة أو معروف سابق).
- (٧) وإذا كانت اليمين تتعلق ببلغ هو أقل من ربع دينار، فيجوز أن يكون حلف اليمين في مكان غير المسجد الجامع. والحلف لا يكون إلا بالله. فلا يجوز أن يحلف المسلم باللهي أو بالمصحف أو بأبيه أو بشرفه، الخ.
- (٨) ولتأكيد اليمين يطلب من اليهودي أن يقسم بالله منزل التوراة، كما يطلب من النصراني (راجع البيت التالي) أن يقسم بالله منزل الإنجيل ذلك لأن مدرك الله في الإسلام يخالف مدرك ديونه عند اليهود ومدرك « الرب » عند النصراني. فإذا كان الحلف بالله منزل التوراة ومنزل الإنجيل أصبح مدرك الله في الإسلام هو المعتمد في حلف اليمين.

كما يزيد فيه للتثقيب على النصارى منزل الإنجيل .
وجملة الكفار يحلفونا أيمانهم حيث يعظمونا^(١) .

٤- تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (هوداس ومارتل)، الأجزاء ١ - ٣، الجزائر ١٨٨٣ م، الجزء ٤ و ٥، باريس ١٨٨٨ م، الأجزاء ٦ - ٨، الجزائر ١٨٩٢ - ١٨٩٣ م؛ فاس (طبع حجر) ١٢٨٩ هـ؛ تم ١٣٠٠، ١٣١٧، ١٣٢٣ هـ؛ القاهرة ١٣٠٩، ١٣٢٢، ١٣٢٧ هـ (في مجموع) مع شرح «البيهة» للتسولي ١٣١٠ هـ؛ تم ١٣١٧ هـ (في مجموع) الجزائر ١٣٢٣ هـ؛ العاصمية أو تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام (نشرها وعلق عليها ليون برشيه)، الجزائر (معهد الدراسات الشرقية - كلية الآداب بجامعة الجزائر) (١٩٥٨ م).

- شروح على تحفة الحكام:

* البيهة لعلي بن عبد السلام التسولي الشراوي (بروكلمن، الملحق ٢: ٣٧٥)، بولاق ١٢٥٦ هـ؛ ١٢٨٩ - ١٢٩٠ هـ؛ فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤ هـ؛ القاهرة ١٣٠٤، ١٣٠٥ هـ؛ بيروت، الطبعة الثالثة (دار المعرفة) ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م .
* الإيقان والأحكام في شرح تحفة الحكام، لمحمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت ١٠٧٢ هـ)، فاس ١٢٩٣ - ١٢٩٤، ١٢٩٨ - ١٢٩٩ هـ؛ القاهرة ١٣١٤ هـ؛ القاهرة (المطبعة الشرقية) ١٣١٦ هـ.

(٥) حاشية على شرح الإيقان والأحكام، لمحمد الطالب بن حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون، فاس ١٢٩٣ هـ؛ حاشية لأبي علي الحسن بن الرّحال المداني (على هامش «الاتقان»)، القاهرة ١٣٠١، ١٣٠٥، ١٣٠٦ هـ؛ تم مع حاشية للمدني ١٣١٥ هـ.

* شرح لمبد الله بن إبراهيم الشنيطي (ت ١٢٣٠ هـ) - (مع «نشر البنود على مراقبي السمود»، فاس بلا تاريخ.

* حلل المعاصم لبنت فكر ابن عاصم، لمحمد بن سودة الناودي (ت ١٢٠٧ هـ)، فاس ١٣٠٤ هـ؛ فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ (بهاشم «الهجة»).

(٥) حاشية على «حلل المعاصم» للمهدي بن محمد الوزّاني، فاس ١٣٠٨ - ١٣١٠ هـ.

* توضيح الأحكام لعثمان بن محمد التوزري، تونس ١٣٣٩ هـ (؟).

- حدائق الأزهار، فاس، بلا تاريخ.

- مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فاس ١٣٢٧ هـ (على هامش «فتح الودود على مراقبي السمود» لمبد الله بن إبراهيم الشنيطي المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ)، فاس، بلا تاريخ.

* شرح مرتقى الوصول = نيل السؤل أو بلوغ الوصول وحصول المأمول (لأبي؟) محمد يحيى بن

(١) وغير المسلم يقسم بينه في مكان عبادته أو في مكان يعظمه هو (ولا يؤتى به إلى المسجد الجامع).

محمد بن المختار بن الطالب عبد الله الساولي الحوضي الوالاتي، فاس ١٣٢٧ هـ (على هامش «فتح الودود...»)، فاس، بلا تاريخ.

* نيل الابتهاج (القاخرة) ٢٨٩ - ٢٩٠ نفع الطيب ١٩:٥ - ٦٠:٢٢ - ١٥٥:٦٠٢٢ - ١٦٢:٦٠٢٢
قال المقرئ (٥: ٢٢): «ولولا خوف الإطالة لذكرت بعض إنشائه ونظمه، فإنه في الذروة العليا. وقد ذكرت جملة من ذلك في «أزهار الرياض في أخبار عياض» (ولكن لم أهند إلى ذلك). غير أن في «نفع الطيب» جملة صالحة من أخبار أبي يحيى بن عاصم أخي أبي بكر ابن عاصم؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٢٠ - ٧٢١؛ بروكلمن ٢: ٣٤١، الملحق ٢: ٣٧٥؛ الأعلام للزركلي ٧: ٢٧٤ (٤٥)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٠؛ سركيس ٥٦؛ بالنسبة ٤٢٩ - ٤٣٠.

أبو يحيى بن عقبة

١- هو أبو يحيى أبو بكر بن عقبة القفصي (نسبة إلى قفصة في تونس) أخذ عن ابن عرفة (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالما وخطيبا في عصره وعن ابن مهدي وغيرهما. وكان معاصرا لابن مرزوق الحفيد (٧٦٦ - ٨٤٢ هـ) وللقاضي أحمد القلشاني. ولعل وفاته كانت نحو ٨٦٠ هـ (١٤٥٥ م).

٢- كان أبو يحيى بن عقبة رجلا صالحا وعلامة بارعا وفتيا معروفا. له أسئلة كتبت بها إلى الإمام ابن مرزوق الحفيد فأجابه عليها ابن مرزوق بجزء سماه «اغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة». وكان له نظم حسن.

٣- مختارات من شعره

- كتب أبو يحيى بن عقبة إلى القاضي أحمد القلشاني (وكان القلشاني في قسنطينة) بآيات منها (ولعل البيتين الأخيرين تضمين!):

عليك، أخي، بالتقى ولزومه ولا تكثر ما فيه زيد ولا عمرو^(١).
وكن مُشدا ما قال بعض أولي النهى؛ فكم حكمة غراء قيدها الشعر:

(١) أكثر: اهتم، بالي (وحقها أن تمدى بالياء). ما فيه زيد وعمرو (من الجدال والزراع على أعراض الدنيا المادبة والمنوبة).

إذا المرء جازَّ الأربعمينَ ولم يكن له دون ما يأتي حياءً ولا سترًا،
فدَعَهُ ولا تَنَفَّسَ عليه الذي أتى، وإن مَدَّ أسبابَ الحياةِ له العُمُرُ^(١).

٤ - نيل الابتهاج ٣٥٧.

ابن مرزوق الحفيد

١ - هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد (الخطيب) بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المُجَسِّسِي التِّلِيسَانِي، وُلِدَ في الرابعِ عَشَرَ من ربيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٧٦٦ (١٣٦٥/١٢/٩ م) في تِلِيسَانَ.

وتلقَى أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ أشياءَ من العلمِ في تِلِيسَانَ على والده أحمدَ وعمِّه محمدٍ وعلى نفرٍ آخَرِينَ منهم سعيدُ بنُ محمدِ العَقْبَانِي التِّلِيسَانِي (ت ٨١١ هـ) وأبو اسحاقَ إبراهيمَ المصموديَّ وأبو الحسنَ الأشهبُ الغياريَّ وعبدُ الله بنُ الشريفِ التِّلِيسَانِي (ت ٧٧١ هـ). ثمَّ إنَّه ارتحلَ إلى تونسَ وأخذَ عن إمامِ تونسَ محمدِ بنِ عَرَفةَ الوُرْغَمِيِّ (ت ٨٠٣ هـ) وأبي العباسِ القصارِ.

بعدئذٍ انتقلَ ابنُ مرزوقِ الحفيدُ إلى فاسَ وأخذَ عن أبي زيدِ المكوذيَّ (ت ٨٠٧ هـ) وعن محمدِ بنِ مسعودِ الفيلاليِّ الصنهاجيِّ. ولكن لا يَتَسَبَّحُ في التاريخ أن يكونَ أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ المولودُ سَنَةَ ٧٦٦ للهجرة قد أخذَ عن النَّحْوِيِّ أبي حَيَّانِ المُتوفَّى سَنَةَ ٧٤٥ - كما جاء في نفعِ الطيب (٥: ٤٢٨، السطر السابع).

ثمَّ إنَّ أبْنَ مرزوقِ الحفيدِ رَحَلَ إلى المشرقِ فأخذَ في مِصرَ - في أثناءِ طريقه إلى الحجِّ (وفي حجَّته الأولى، سَنَةَ ٧٩٠) - عن عُمَرَ بنِ عَلِيٍّ بنِ المُلقِّنِ (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) وعن عبدِ الرحمنِ بنِ خَلْدُونِ (ت ٨٠٨ هـ) وعن مجدِّ الدينِ محمدِ بنِ يَعقوبَ الفَيْرُوزِآبادِي (ت ٨١٧ هـ)، كما أخذَ عن السُّراجِ البُلُقَيْنِيِّ^(٢) وعن النورِ النويريِّ^(٣).

(١) لا تنفس عليه الذي أتى: لا تحمده على ما يفعل من الأمور المحبوبة في الدنيا. وإن مَدَّ أسبابَ الحياةِ له العمر: وإن مكَّته طولَ عمره من أن يكون له نشاط يتنمَّع به بِلأذِ الحياةِ.

(٢) لعلَّ السراج البلقيني هذا هو عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥ هـ) من حفاظ الحديث.

وأخذ ابنُ مرزوقٍ هذا، في مكَّة، في أثناء حجَّته الأولى (٧٩٠ هـ)، عن البهاء الدمايني (ت ٨٢٧ هـ) وعن النور العقيلي (٤)، كما أخذ في حجَّته الثانية (٨١٩ هـ) عن آبي حَجَرِ المصقلاني (ت ٨٥٢ هـ).

وكانت وفاةُ ابنِ مرزوقِ الحفيدِ في تِلْمَسَانَ في رابعِ عَشَرَ شَعْبَانَ من سَنَةِ ٨٤٢ م (١٤٣٩/١/٣٠).

٢- إنَّ الذين ذكروا ابنَ مرزوقِ الحفيدِ قد أُطنبوا في مدحه إطناباً عظيماً، ففي «نفع الطيب» (٥: ٤٢٠ وما بعد؛ راجع «نيل الابتهاج» ٢٩٣ وما بعد): «عالمُ الدنيا... البحرُ الإمامُ المشهورُ الحُجَّةُ الحافظُ^(١) العلامةُ المحقِّقُ الكبيرُ والنظَّارُ^(٢) المطلِّعُ والمُصنِّفُ المُنصِّفُ... الآخذُ من كلِّ فنٍّ بأوفَرِ نصيبٍ، الراعي في كلِّ عِلْمٍ مرعاهُ الخصبِ، حُجَّةُ اللهِ على خلقه^(٣)..... فارسُ الكراسي والمناير^(٤)، سليلُ الأكابرِ، سيِّدُ العلماةِ الأخيارِ وإمامُ الأئمَّةِ وآخرُ الشيوخِ ذَوِي الرُّسوخِ، بدرُ التَّهَامِ الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقولِ^(٥) و (بين) الحقيقةِ والشريعةِ^(٦) بأجلِّ محصولٍ.....».

وقال فيه المقرِّي: «شيخُ شيوخنا المحقِّقُ النظَّارُ أبو عبد الله بن مرزوقِ الحفيدِ» (نفع الطيب ٥: ٣٤٠)... «وعالمُ الدنيا البحرُ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوقِ» (٤١٨: ٥).

كان ابنُ مرزوقِ الحفيدُ ملماً بفنونٍ كثيرةٍ من قراءةِ القرآنِ والتفسيرِ ودينِ الحديثِ، وهو حافظٌ ومُسندٌ^(٧) وفتيةٌ مُجتهدٌ وعارفٌ باللُّغةِ والنحوِ والبلاغةِ

-
- (١) الحافظ (الذي يحفظ أحاديث رسول الله).
(٢) النظَّار (العالم الكبير من علماء الكلام: الدفاع عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية).
(٣) حجة الله على خلقه (المسؤول عن هداية الناس، ويكون الناس مسؤولين عن اتباع هديه).
(٤) فارس الكراسي (التدريس) والمناير (وحي الخطابة).
(٥) المعقول (العلوم العقلية: الحساب، المنطق، الفلسفة، الخ) والمنقول (العلوم التي تكون بالرواية: الحديث، التاريخ، الخ).
(٦) الحقيقة (التصوُّف) والشريعة (أمر الدين: العبادات والمعاملات، الخ).
(٧) المسند: الحافظ الثقة في علوم الحديث وفي رواية الحديث.

والعروض^(١). ويبدو أنه كان حسنَ التّصنيفِ للكُتُبِ حَسَنَ إلقاءِ الدُّروسِ ، وقد قيل فيه (نيل الابتهاج ٢٩٨ س): «أما الفِقهُ فهو فيه مالكٌ^(٢)، ولأزمتهُ فُروعُه حائزٌ ومالكٌ^(٣)». هذا بالإضافة إلى أنه كان حاملَ لواءِ السُّنةِ وداحِضَ شَبهِ البِدعةِ^(٤)، ومن كيارِ رجالِ التّصوُّفِ.

كان أبْنُ مرزوقِ الحفيدُ مُصنِّفاً مُكثِراً في عددٍ من فنونِ المعرفةِ، ويبدو أنه وصلَ إلينا بضعةُ كتبٍ منها (راجع بروكلمن، الملحق ٢: ٣٤٥). فمن كُتُبِهِ: تفسِيرُ سورةِ الإخلاصِ (السورة ١١٢ في المُصحَف؛ على طريقة الحكماء) - رَجَزٌ «حِرز الأمانِي» (للشاطبي) - أَرْجوزةٌ أَلْفِيَّةٌ في مُحَاذاةِ الشاطبية - الروضة (رَجَزٌ في علمِ الحديثِ جمع فيه بينَ أَلْفِيَّةِ ابنِ لُيُونٍ وأَلْفِيَّةِ العراقي)^(٥) - الحديقةُ (أختصر فيها أَلْفِيَّةَ العراقي) - أنوارُ الدراري في مُكْرراتِ البُخاري - عقيدةُ أهلِ التوحيدِ المُخرجةُ من ظلمةِ التقليدِ - الآياتُ الواضحات في وجه^(٦) دلالةِ المُعْجَرات - المفاتيح (الغاية) القرطاسية في شرح (القصيدة) الشُّرطاسية^(٧) (في مدح الرسول) - أَعْتَنامُ الفرصةِ في مُحَاذاةِ عالمِ قَفْصَةِ (وهو أجوبة على مسائل في التفسير والفقه وغيرها وردت عليه من عالم قَفْصَةِ أبي يحيى بن عَقِيبة)^(٨) - شرحُ ابنِ الحاجبِ^(٩) (في فروع الفقه) - الدليلُ المُوْمي في

(١) العروض: قواعد نظم الشعر.

(٢) مالك: مالك بن أنس فقيه أهل المدينة.

(٣) الزمام (بالكسر): النفاذ. فروع الفقه (الصلاة، الصوم، الإرث، الخ). الحائز الذي يجوز بحصل على الأشياء، والمالك (الذي يملك الأشياء).

(٤) حامل لواء السُّنة (المدافع عن الإيمان) وداحض (مبطل، هازم) شبه (جمع شبهة): الأمر الضائع بين الحقِّ والباطل أو بين الحلال والحرام، الأمر المزلزل للناس بثیره أعداء الدين) البدعة (الأمر المخالف لما جاء به الدين).

(٥) ابن ليون هو أبو عثمان سعد بن أحمد التجيبي الأندلسي (ت ٧٥٠ هـ) من العلماء والكثيرين من التأليف. والعراقي هو أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي (ت ٨٠٦ هـ) له أَلْفِيَّةٌ في مصطلح الحديث.

(٦) في وجه دلالة: فيها يدل على.

(٧) الشُّرطاسيُّ هو أبو محمد عبد الله بن يحيى التوزري (ت ٤٦٦ هـ) له قصيدة في مدح الرسول (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).

(٨) قفصة بلدة في جنوبي تونس. أبو يحيى بن عقيبة (ص ٦٣٣).

(٩) ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ) من الفقهاء وعلماء النحو.

ترجيح طهارة الكاغد الرومي^(١) - مُخْتَصَرُ الحَاوِي فِي الفَتَاوِي لِابْنِ عَبْدِ النُّورِ التُّونِسِيِّ^(٢) - نُورُ (أَنْوَارِ) اليَقِينِ فِي شَرْحِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ - كِتَابُ (فِي التَّصَوُّفِ: فِي شَأْنِ البُدْءِ، تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى حَدِيثِ وَرَدَ فِي أَوَّلِ «الْحِلْمَةِ» فِي شَأْنِ البُدْءِ وَغَيْرِهِمْ)^(٣) - النُّصْحُ الخَالِصُ فِي الرَّدِّ عَلَى مُدَّعِي رُتْبَةِ الكَامِلِ^(٤) لِلنَّاقِصِ (فِي الرَّدِّ عَلَى أَبِي الفَضْلِ قَاسِمِ العُقَبَائِيِّ^(٥)) فِي مَسْأَلَةِ الفُقَرَاءِ الصُّوفِيَّةِ فِي أَشْيَاءِ صَوَّبِ العُقَبَائِيِّ صَنِعَهُمْ فِيهَا فَخَالَفَهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ) - المُنْعَ الشَّافِي (أَرْجُوزَةٌ فِي المِيقَاتِ: اسْتِخْرَاجُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَلَيْكُ) - أَرْجُوزَةٌ فِي تَلْخِيسِ (أَعْمَالِ الحِسَابِ) لِابْنِ البِنَاءِ^(٦) - إِسْمَاعِيلُ الصَّمُّ فِي إِثْبَاتِ الشَّرَفِ مِنْ قِبَلِ (٧) الأُمِّ - تَأْلِيفٌ فِي مَنَاقِبِ شَيْخِهِ إِبْرَاهِيمَ المَصْمُودِيِّ^(٨) - النُّورُ البَدْرِيُّ فِي التَّعْرِيفِ بِالشَّيْخِ المَقْرِيِّ^(٩) - نِهَآيَةُ الأَمَلِ فِي شَرْحِ «الجَمَلِ» لِلخَوْتَجِيِّ^(١٠) (فِي المَنْطِقِ) - نَظْمُ «الجَمَلِ» لِلخَوْتَجِيِّ (فِي المَنْطِقِ) - المِعْرَاجُ فِي اسْتِمْطَارِ فَوَائِدِ الأَسَآذِ ابْنِ سِرَاجٍ (أَجَابَ فِيهِ قَاضِي الجَمَاعَةِ أَبُو القَاسِمِ بَنُ سِرَاجٍ^(١١) عَن مَسَائِلِ مَنطِقِيَّةٍ وَنَحْوِيَّةٍ) -

(١) المومي = المومياء (المثبر، الدال). الكاغد: الورق (ورق الكتابة) الرومي (اليوناني الصراني).

(٢) ابن عبد النور التونسي.....

(٣) الأبدال في اصطلاح الصوفية: طبقة تلي الأقطاب الأربعة، قيل لا تخلو الدنيا منهم، إذا مات واحد (منهم) أبدل الله مكانه آخر. واحدهم يدل (بفتح ففتح) وبدل (بكر فسكون) وبدل (المعجم الوسيط). (٤٣).

(٤) اقرأ: رتبة الشخص الكامل.....

(٥) أبو الفضل قاسم بن سعيد العقبايي التلمساني (ت ٨٥٤ هـ) فقيه بلغ درجة الاجتهاد. له أرجوزة في التصوف.

(٦) ابن البناء من علماء الرياضيات (ت ٧٢١ هـ) له ترجمة في هذا الجزء.

(٧) من قبل: من جهة نسبة.....

(٨) إبراهيم بن موسى المصمودي التلمساني المتوفى ٨٠٥ أو ٨٠٤ هـ (نيل الابتهاج ٥١-٥٢).

(٩) الشيخ المقرئ هو محمد بن محمد المقرئ (ت ٧٥٨ هـ) جد أحمد بن محمد المقرئ (ت ١٠٤١ هـ) صاحب «فتح الطيب». وبالجملة في هذا الكتاب تدل على أن «المقرئ» ترسم بفتح فسكون (راجع أيضاً تاج المروس - الكوكب ١٤: ١٤٦): «مقرء بالفتح مدينة بالمغرب، بقرب قلعة بني حاد، بالقطر الجزائري اليوم». وقد تشدد القاف، وبه اشتهرت (١٤: ١٤٧). راجع أيضاً فتح الطيب ٥: ٣٤٠).

(١٠) محمد بن نامارو (ت ٦٤٦ هـ) فارسي الأصل سكن مصر. وهو عالم بالحكمة والمنطق. وفي بروكلس (١٦٧٠، للمعق ١: ٨٣٨): أفضل الدين أبو الفضائل أبو عبد الله محمد بن ناموار (بسكون الميم أو بفتحها) بن عبد الملك الحناجي (بالضم، تقيداً باللفظ الفارسي).

(١١) ابن سراج.....

أرجوزة في نظم « تلخيص المفتاح (في البلاغة، لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ) - المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز القصيدة الخزرجية^(١) (في العروض) - أرجوزة في اختصار ألفية ابن مالك (في النحو) - إظهار صديق المودة في شرح البردة (وهو شرح كبير لقصيدة « بانث سعاد » لكعب بن زهير في مدح الرسول، استوفى فيه الكلام غاية الاستيفاء وضمته سبعة فنون في كل بيت) - شرح وسط (للبردة أيضاً) - الاستيعاب لما في « البردة » من البيان والإعراب (شرح صغير للبردة) - الروض البهيج في مسألة الخليل (٢) - شرح التسهيل (٣). ولأبن مرزوق هذا كُتبُ بدأها ولم يُتمّها، منها (نفع الطيب ٥ : ٤٣٠؛ نيل الابتهاج ٢٩٨): المتجرُ الرِّيحِ والسَّمي (المسمى؟) الرجيع والرَّحْب (نفع الطيب: المرحب) الفسيح في شرح الجامع الصحيح^(٢) - روضة الأريب في شرح التهذيب^(٣) - المنزَعُ النبيل في شرح مُختصرِ خليل^(٤) - إيضاح السالك إلى ألفية ابن مالك - شرح شواهد شراح الألفية (لابن مالك) - التحريُّ والاستيفاء و (النزول) لألفاظ الكتاب والنقول^(٥).

٣- مختارات من آثاره:

- كلام في إعراب آية.

قال ابن مرزوق الحفيد في كتابه « أعتنام الفرصة » (نيل الابتهاج ٢٩٨ - ٢٩٩):
حَضَرْتُ مَجْلِسَ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ نُخْبَةِ الزَّمَانِ ابْنِ عَرَفَةَ^(١)، رَحِمَهُ اللَّهُ، فَقَرَأَ: ﴿وَمَنْ

(١) الخزرجي، لعله أبو العباس أحمد بن سعود بن محمد القرطبي الخزرجي، كان إماماً في التفسير والفقه والحساب والفرائض والنحو واللغة والعروض والطب. وله تأليف حسان وشعر رائق، توفي سنة ٦٠١ للهجرة (نفع الطيب ٢ : ٦١٤ - ٦١٥).

(٢) الجامع الصحيح (في الحديث، للإمام البخاري).

(٣) التهذيب.....

(٤) خليل هو ضياء الدين خليل بن اسحاق بن موسى الجندبي (كان يلبس لباس الجند) فنيه مالكي (ت ٧٧٦ هـ).

(٥) الكتاب = القرآن الكريم. النقول: الروايات المتعلقة بالحديث (٢).

(٦) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورعني (٧١٦ - ٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره.

يَنْشُرُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْيِضٌ لَهُ شَيْطَانًا هُوَ لَهُ قَرِينٌ^(١). فَجَرَى بَيْنَنَا مُذَاكِرَةً رَائِقَةً وَأَجْحَاتٌ حَسَنَةً فَائِقَةً، مِنْهَا أَنَّهُ قَالَ: قُرِيَءٌ «يَعْشُو» بِالرَّفْعِ وَ «تَقْيِضٌ» بِالْجَزْمِ، وَوَجَّهَهَا أَبُو حَيَّانٍ بِكَلَامٍ مَا فَهَمْتُهُ^(٢). وَذَكَرَ (أَنْ) فِي النُّسخَةِ خَلًّا، وَذَكَرَ بَعْضُ ذَلِكَ الْكَلَامِ^(٣). فَأَهَنْدَيْتُ (أَنَا) إِلَى تَامِهِ. فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي، مَعْنَى مَا ذَكَرَ أَنَّ جَزَمَ «تَقْيِضٌ» بِ «مَنْ» الْمَوْصُولِ^(٤) لِشِبْهِهَا بِالشَّرْطِيَّةِ، لِمَا تَضَمَّنَتْهَا مِنْ مَعْنَى الشَّرْطِ. وَإِذَا كَانُوا يُعَامِلُونَ (أَسْمَ) الْمَوْصُولِ الَّذِي لَا يُشْبِهُ لَفْظُهُ لَفْظَ الشَّرْطِ بِذَلِكَ، فَمَا يُشْبِهُ لَفْظُهُ لَفْظَ الشَّرْطِ أَوْلَى بِتِلْكَ الْعَامِلَةِ. فَوَافَقَ، رَحِمَهُ اللَّهُ، وَفَرَحَ كَمَا^(٥) أَنَّ الْإِنْصَافَ كَانَ طَبِيعَهُ.

وَإِنِّدَ ذَلِكَ أَنْكَرَ عَلَيَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَجْلِسِ، وَطَالِبُو بَيِّنَاتِ مُعَامَلَةِ (أَسْمِ) الْمَوْصُولِ مُعَامَلَةَ (أَسْمِ) الشَّرْطِ. فَقُلْتُ: (مِثَالُ ذَلِكَ) نَصَّهُمْ عَلَى دُخُولِ الْفَاءِ فِي خَبَرِ (أَسْمِ) الْمَوْصُولِ فِي نَحْوِ «الَّذِي يَأْتِينِي فَلَهُ دِرْهَمٌ». فَنَارَعُونِي فِي ذَلِكَ، وَكُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِمُحِيطِ «التَّسْهِيلِ»^(٦). فَقُلْتُ: قَالَ ابْنُ مَالِكٍ قِيَامًا يُشْبِهُ (هَذِهِ) الْمَأَلَةَ: «وَقَدْ يَجْزِمُهُ مُتَسَبِّبٌ عَنْ صِلَةٍ»، وَأَنْشَدْتُ مِنْ شَوَاهِدِ (هَذِهِ) الْمَأَلَةِ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

(١) القرآن الكريم (٤٣: ٣٦، سورة الزخرف). يعشو: يعرض (عشا فلان عن الأمر: غفل). تقْيِضٌ (نهيء)، نَسْبٌ، نَجْمٌ. قرين: رفيق ملازم.

(٢ و٣) الكلام هنا لا ين عرفه. ما فهمت (الجملة هنا ترجع إلى ابن مرزوق المفيد).

(٤) من الموصولية (اسم الموصول) لها «عائد» (ضمير يعود إليها) وصلة (جملة تشرح عملها): «من جاء بالحسنة فله خير منها» (٢٧: ٨٩، سورة النمل): الضمير في «جاء» هو العائد (الراجع، الدال على) «من». والجملة «جاء» (هو) بالحسنة «صلة الموصول لا محل لها من الإعراب» (للتقدير: الجاني بالحسنة). والفاء في «فله» زائدة، ولكنها تدل على التوكيد، أي على علاقة التركيب «له خير منها» بالتركيب «من جاء بالحسنة». وهذه الجملة الموصولية تشبه الجملة الشرطية: «ومن يكفر به» (بالتكتاب: بالقرآن) فأولئك هم الخاسرون» (٢: ١٢١، سورة البقرة): «من» اسم شرط جازم. «يكفر» فعل الشرط مجزوم باسم الشرط «من». والفاء في «فأولئك»: رابطة جواب الشرط «أولئك هم الخاسرون» بفعل الشرط «يكفر به».

(٥) كما: مثلاً، إذ أن- «فرح ابن عرفة بالدليل الذي جئت أنا به، كما أن الإنصاف» (معرفة الفضل لأهله) كان طبعاً له.

(٦) التسهيل: كتاب «تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد» لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ).

فَلَا تَحْفَرْنَ بِشْرًا تُرِيدُ بِهَا أَخًا، فَإِنَّكَ فِيهَا أَنْتَ مِنْ دُونِهِ تَقَعُ^(١).
 كَذَاكَ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَى النَّاسِ ظَالِمًا «تُصِيْبُهُ»، عَلَى رُغْمٍ، عَوَاقِبُ مَا صَنَعَ.
 فِجَاءُ الشَّاهِدُ مُوَافِقًا لِلْحَالِ.

- أَسْمُ أَبِي مَرْزُوقِ الْحَفِيدِ (نيل الابتهاج ٢٩٨ س):

حَدَّثَنِي أُمِّي عَائِشَةُ بِنْتُ الْقَاضِي الصَّالِحِ الْفَقِيهِ الصَّالِحِ أَحَدَ بْنِ الْحَسَنِ الْمَدِينِيِّ، وَكَانَتْ
 صَالِحَةً أَلْفَتْ مَجْمُوعًا فِي أَدْعِيَةٍ اخْتَارَتْهَا. وَ(كَانَ) لَهَا قُوَّةٌ فِي تَغْيِيرِ الرُّؤْيَا^(٢) أَكْسَبَتْهَا مِنْ
 كَثْرَةِ مُطَالَعَةِ كُتُبِ (هَذَا) الْفَنِّ، أَنَّهُ أَصَابَنِي مَرَضٌ شَدِيدٌ أَشْرَفْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ -
 وَ(كَانَ) مِنْ شَأْنِهَا وَ(شَأْنِ) أَبِيهَا أَنَّهُمَا لَا يَعْيشُ لَهَا وَلَدٌ إِلَّا نَادِرًا. وَ(كَانُوا قَدْ) سَمَوْنِي
 أَبَا الْفَضْلِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُوهَا أَحَدُ الْمَذْكُورِ، فَلَمَّا رَأَى مَرْضِيَّيَ وَمَا بَلَغَ
 بِي، غَضِبَ وَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ؟ لَا تَسْمُوهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ مَا الَّذِي رَأَيْتُمُوهُ لَهُ مِنَ الْفَضْلِ
 حَتَّى تَسْمُوهُ أَبَا الْفَضْلِ؟ سَمَوْهُ مُحَمَّدًا. (وَإِنِّي) لَا أَسْمَعُ أَحَدًا يُنَادِيهِ بِغَيْرِهِ إِلَّا فَعَلْتُ
 بِهِ وَفَعَلْتُ، يَتَوَعَّدُ بِالْأَدَبِ. قَالَتْ: فَسَمَيْتُكَ مُحَمَّدًا، فَفَرَجَ اللَّهُ عَنْكَ.

- وَقَالَ أَبُو مَرْزُوقِ الْحَفِيدُ فِي مَدِينَةِ تِلْسَانَ - وَسَمَّاها «بَلَدُ الْجِدَارِ»^(٣) - (نَفْحُ
 الطَّيِّبِ ٥ : ٤٣٣):

بَلَدُ الْجِدَارِ مَا أَمْرٌ نَوَاهَا، كَلَّفَ الْفَوَادُ مَجْبُهَا وَهَوَاهَا^(٤).
 يَا عَادِلِي، كُنْ عَازِرِي فِي حُبِّهَا. يَكْفِيكَ مِنْهَا مَاؤُهَا وَهَوَاهَا^(٥).

- وَقَالَ يُشِيرُ إِلَى تِلْسَانَ فِي رَجَزٍ لَهُ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ (نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥ : ٤٣٣):

وَمَنْ بِهَا أَهْلٌ ذَكَاءٌ وَفِطْنٌ فِي رَابِعِ مِنَ الْأَقَالِمِ قَطْنِ^(٦).

(١) هذا البيت إضافة من رواية ثانية للقصة نفسها (راجع نيل الابتهاج ٢٩٩)

(٢) نسيب (تصير، تأويل) الرؤيا (النمام، الأحلام).

(٣) بلد الجدار: البلدة التي لها جدار (سور).

(٤) النوى: البعد، البعاد.

(٥) العاذل: اللاتم (بغير حق).

(٦) قطن: سكن. الإقليم الرابع هو المنطقة المعتدلة (منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط).

بكفيك أَنَّ الداودي بها دُفِنَ مَعَ ضَجِيهِ أَبِي غَزَلُونَ الْفَطِينِ^(١).

٤- مسند ابن مرزوق () ، باريس (لا روز) ١٩٢٥ م .

** تعريف الخلف ١٢٤ - ١١٣٦ : نيل الابتهاج ٢٩٣ - ٢٩٩ (طبعة فاس ٣٠٤) ، الضوء
اللامع ٧ : ٥٠ : نفع الطيب ٥ : ٤٢٠ - ٤٣٣ : تاريخ الجزائر العام ٢ : ١٩٥ - ١٩٩٩ ،
بروكلمن ، الملحق ٢ : ٣٤٥ : الأعلام للزركلي ٦ : ٢٢٨ (٥ : ٣٢٨) .

أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم

كان لأبي بكرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ الْمُتَوَقِّي سَنَةَ ٨٢٩ للهجرة (راجع ترجمته، فوق،
ص ٦٢٥) أَخُ اسْمُهُ أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ (راجع «نفع الطيب» ٥ : ٥١٣ س)
وَأَبْنُ اسْمُهُ أَيْضاً أَبُو يَحْيَى مُحَمَّدُ بْنُ عَاصِمٍ . والترجمة التالية تتعلق بأبيه لا بأخيه .

١- هو أبو يحيى مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمِ
القيسيِّ الْغَرْنَاطِيِّ ، يبدو أَنَّ مولده كان (تقديراً) نحو سَنَةِ ٧٩٠ للهجرة (١٣٨٨) .

أخذَ أَبُو يَحْيَى بْنُ عَاصِمِ الْعِلْمَ عَنْ نَفَرٍ مِنْ شُيُوخِ وَقْتِهِ ، مِنْهُمْ : أَبُو الْحَسَنِ بْنُ سَمْعَتِ
(سمعة) الْأَنْدَلِسِيِّ وَأَبُو الْقَاسِمِ بْنِ السَّرَّاجِ الْغَرْنَاطِيِّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمُتَوَرِّقِيِّ وَأَبُو
عَبْدِ اللَّهِ الْبِيَّائِيِّ وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ السَّبْتِيِّ .

ويبدو أَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ النِّشَاطِ (والمعرفة أيضاً) فَقَدْ تَوَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ خُطْبَةً (مَنْصِباً)
مِنْ خُطَطِ الدَّوْلَةِ مِنْهَا الْإِمَامَةُ وَالخُطَابَةُ (في المسجد) وَمِنْهَا الْوِزَارَةُ وَالكِتَابَةُ . وَقَدْ كَانَ
قَاضِي الْجَمَاعَةِ (قَاضِي الْقَضَاةِ) فِي غَرْنَاطَةَ - وَكَانَ تَوَلَّى الْقَضَاءَ سَنَةَ ٨٣٨ للهجرة
(١٤٣٤ - ١٤٣٥ م) ، كَمَا جَاءَ فِي الدِّيَاغِ الْمَذْهَبِ (ص ٣١٣) .

وكانت وفاة أبي يحيى بن أبي بكر بن عاصم ، سَنَةَ ٨٦٠ للهجرة (١٤٥٦ م) في
الأغلب ، ذبيحاً من قِبَلِ السُّلْطَانِ^(*) .

(١) الدواودي ... وابن غزلون

(*) كان سلطان غرناطة في ذلك الحين سعد بن علي بن يوسف بن محمد (الحامس) الفتي بالله ، للمرة الثانية
(٨٥٧ - ٨٦٦ هـ) أو ابنه علي بن سعد (٨٦٦ - ٨٨٧ هـ) .

٢- كان أبو يحيى بن أبي بكر بن عاصم الغرناطي من أكابر الفقهاء ومن العلماء الرؤساء حافظاً (للحديث)، بليغاً وخطيباً ومشاركاً في عدد من العلوم، كما كان مُصنفاً؛ له: شرحُ علي «تحفة الحكام» (لأبيه أبي بكر محمد بن عاصم المتوفى سنة ٨٢٩ هـ) - جنة الرضا في التسليم ليا قدر الله وقضى (في الحزن على حال المسلمين في الأندلس وعلى ما كان الإسبان النصارى - في آخر أيام العرب في الأندلس - يفعلونه بالمسلمين. وفي المختارات نص من هذا الكتاب) - الروض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقرىض (في عدة أجزاء، كأنه ذيل على كتاب «الإحاطة» للسان الدين بن الخطيب). وكان له ترسل (رسائل إخوانية) وشعر.

وأبو يحيى بن عاصم أديبٌ منشىءٌ كثير التصنيع والتكلف في الشعر والنثر، فربما نظم القصيدة فبناها على نظمٍ يمكن أن يخرج به منها عددٌ من القصائد والموشحات. وكذلك كانت الأسجاع في نثره تتوالى على نسقٍ وتردّد تردداً يُذكرنا بالموشحات أيضاً (انظر ذلك في النص المأخوذ فيما يلي من كتاب «جنة الرضا»). وأما المثل على قولٍ بعض قصائده من بعض فتراه فيما يلي (أزهار الرياض ١: ١٤٦ وما بعد):

أما، والهوى، «ما كنت» مُذْبانَ عهدِهِ أَهْمٌ بَلْقِيَا مَن (تأثر) وُدُّهُ^(١) *
 رعى الله من لو أنصفَ الصبِّ في الهوى لِمَا فَاضَ مِنْهُ (الدمع) مَذْبانَ صَدِّهِ^(٢).
 ولو جادَ مِنْ (بعدِ المطال) بِرُزُورِهِ لِمَا شَبَّ أَشْوَاقِي وَقَلْبِي زَنْدُهُ^(٣).
 كما خانَ صبري يومَ أصبحَ وَ «أصلي» لَطَى «زاد ماء» (مِنْ جُفُونِي) وَقَدَّهُ^(٤).

(١*) بما أن العاية من القطع التالية في الشعر أن نرى طريقة توليد بعض القصائد من بعض، فأجعل الشرح هنا موجزاً. بان (بعد، آتبع) عهده (زمانه): مضى عليه زمن طويل فاتقضى شبابه.

(٢) بان (ظهر) صدّه: ميله (عني).

(٣) الزند: قطعة من الحديد تقدر به النار من الحجر. شبَّ (أشمل) «أشواقِي وَقَلْبِي» (مقبول به متعدّد) زنده (فاعل «شبَّ»).

(٤) «لطي»، إذا كانت علماً على جهنم، فإنها تكون ممنوعة من الصرف فلا تُنُون. وأما إذا كانت مصدرًا: لطي (بفتح فكسر ففتح) يلطي لطي، وكان «اللطي» بمعنى اللهب الذي لا دخان معه (كما هو المقصود هنا)، فإن «لطي» حينئذ تكون مصروفة وتُنُون. وأما إذا كانت «لطي» (أسمًا مؤنثًا) بمعنى «لهب لا دخان له» فتكون حينئذ ممنوعة من الصرف (فلا تُنُون) لعلتين (التأنيث ولأنها محتومة بناء التأنيث أيضاً). «وأصلي» (هنا): يصل إلي (من المبوب).

لذالك أسأل الدمعَ (كالدُّرِّ) مذمعي

من «الوَجْدِ» فاستَوَى على الجَفْنِ سُهُدَهُ (١)

حكى لَوُؤُلَا (مِنْ يَلِكُهُ) مُتَنَائِرًا
ذَخَرْتُ (الْتَمِينَ) القَدْرِ مِنْهُ بِمُقْلَتِي
ولا عَجَبٌ (مُدَّ أَعْوَزَ) القُرْبُ أَنْ غَدَا
أُيَلِّحِقُ بِاللُّقْيَا أَوْ (الْوَصِلِ) مِنْ يَفْوِ
ومازَلْتُ مِنْ خَوْفِ «النَّكَالِ» أَعْدَهُ (٢)
و «كالقمر الزاهي» سَنَاهُ وَبُعْدَهُ (٣)
ر «في نوره» بَدَرُ السَّمَاءِ وَجُنْدَهُ (٤)
قِي) يُنَيِّمُ قَلْبِي إِذْ تَمَكَّنَ وَجَدُهُ (٥)
وَلِلَّهِ (مِنْ بَدْرِ) لِغَيْرِي سَعْدُهُ (٦)

(وَأَسْتَجِرَجَ أَبُو يَحْيَى بْنِ عَاصِمٍ مِنْ قَصِيدَتِهِ هَذِهِ الطَّوِيلَةَ - وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ بَيْتًا - قَصِيدَةً أَصْفَرُ مِنْهَا، عَدَدَ آيَاتٍ وَوَزْنَاً، وَهِيَ سَبْعَةٌ عَشْرَ بَيْتًا مِنْ «مَجْزُوءِ الْبَحْرِ الْبَسِيطِ: مُسْتَمْعَلِنَ فَاعِلِنَ فَعُولِنَ»). مِنْ الْكَلِمَاتِ الْمَحْصُورَةِ بَيْنَ أَهْلَةِ كِبَارِ ():

تَنَائِرُ الدَّمْعِ مِنْ جُفُونِي كَالدُّرِّ مِنْ سِلْكِهِ الثَّمِينِ
مُدَّ أَعْوَزَ الوَصِيلُ وَالتَّلَاقِي مِنْ بَدْرِ حُسْنِ بِلَا قَرِينِ (٧)
عَلِقْتُ فِي الحُبِّ ظَنِّي أَنْسِ جِالَهُ مَرْتَعُ العَيُونِ

(١) الوجد: شدة الحب وشدة الحزن. السهد: امتناع النوم.

(٢) حكى: شابه (الدمع). وإلا ليم - يم: بحر. المد: ارتفاع الموج وكثرة الماء.

(٣) ذخرت = آذرت: خبأت. القدر (القنينة). والقدر (في الأصل) منصوبة، وحققها الجر على الإضافة: التمين القدر. النكال: شدة العذاب. أعدته، أحتفظ (بدمي) مهياً (خوف عذابه الشديد القتل - حينما يطن المهبوب أنه قطعتي بته؟).

(٤) أعوز الشيء فلا تأ = أحتاج فلان إلى ذلك الشيء. أعوزني قربه: أصبحت محتاجاً إلى أن يكون قريباً مني. أو عز قربه: أتهدمت عني. السا: الضوء.

(٥) أيلحق باللقيا: أيلحقني بليقاه (أنهم عليّ بالوصل أو القرب) من (ذلك المهبوب: محبوبي أنا) الذي يفور في نوره (يحتفي في كثرة نوره) بدر السماء وجنده (أي النجوم أيضاً): نور حبيبي (جماله) أعظم من نور بدر السماء ومن نور النجوم كلها مجتمعة.

(٦) الصبابة: التوق، حرارة التوق (شدته). تيم: أمراض، ذلك، أذهب عقل (المحب). الوجد: شدة الحب أو شدة الحزن.

(٧) القرين (هنا): المثل، الشبيه.

تأثرُ الدمعُ كالـدَرِّ مذ أعوز الوصلُ من بدرٍ
عَلِقَتْ في الحُبِّ جَمَالَه.....

(ثم عاد فأستخرج منها - من الكلمات المحصورة بين أهلة صغار - قصيدة جديدة):
ما كُتُّ لو أنصَفَ بعدَ المِطالِ أصلى لظى الوجدِ الأليمِ التَّكالِ^(١).
(ثم عاد أيضاً فأستخرج منها مؤشحتين أخريين).

ويحسُّ بن يُريدُ تفصيلَ ذلك كُلِّه أن يعودَ إلى «أزهار الرياض» (١):

(١٤٥-١٥٨).

٢- مختارات من آثاره

- قال أبو يحيى بن عاصمٍ في «جنة الرضا» (راجع أزهار الرياض ١: ١٥٨ وما بعد):

الحمدُ لله الذي عوّضَ مِنَ الخِلافِ وفاقاً، وأعقبَ مِنَ الإقتراقِ اجتماعاً وأتفاقاً،
وهياً لأسواقِ الأتلافِ برقع الخِلافِ نفاقاً^(٢)، ويسرَّ لوطنِ الجهادِ من توثيرِ المهادِ
أرفاقاً^(٣)، وزينَ بأنجُمِ السُعودِ من النَّصرِ الموعودِ آفاقاً، وعقدَ على جَمعِ الكَلِمَةِ من
الأمةِ المُلمِّعةِ إجماعاً وإصفاقاً^(٤). نَحْمَدُه سُبحانَه - وَهُوَ المَحمودُ بِجميعِ اللُّغاتِ،
ونشكرُه على ما سَنَى^(٥) من آمالِ على وَفقِ الأُمْنِيَةِ مِبْلَغاتٍ؛ ونُثني عليه بما أسدى من
عوارِفِ مَحَوِّلاتٍ ومَواهبِ سَوعَاتٍ^(٦)، حَمداً نَسْتَكْبِرُ مِنْ دُرِّهِ النَّفِيسَةِ إنفاقاً،

(١) انظر، فوق، ص ٦٤٣.

(٢) التَّفَاق: الرواج (القول عند الذين كانوا مختلفين).

(٣) وطن الجهاد: الأندلس - (لكثرة الحروب في سبيل الدفاع عن النفس). توثير المهاد (جعل البقاء في الأندلس ممكناً وسهلاً). المهاد التوثير: الفراش اللين الناعم. إرفاق (في الأصل) بفتح الهمزة. لعلها «إرفاق» (بكر الهمزة): رفقة ناضجة معينة على الخير.

(٤) الإصفاق (الإجماع على أمر ما).

(٥) سَنَى = ساقى فلان فلاناً: لا يئنه وأحسن معاشرته. والمقصود هنا (أكثر، جعل الشيء كثيراً).

(٦) أسدى فلان إلى فلان معروفاً: أولاه إياه، أعطاه. العوارف جمع عارفة: الإحسان. محولات: مطعاة، منوحة. سوعات: ممكنة، مباحة، مطعاة.

وأمانته العظيمة فلا نأبى من حَمَلِهَا إِشْفَاقاً^(١). وشهدُ آتِه لا إلهَ إلاَّ هو الواحدُ الأحدُ، الفردُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًّا^(٢) أحدٌ: شهادة نرفعُ لواءها المُرْتَحَ العَذَابَاتِ خَفَاقاً^(٣)، فلا لاقى لمقاصدِ السعادةِ إخفاقاً^(٤). وشهدُ أن سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ونبيه المصطفى وخليفه: نبي الرحمة ونور الظلمة وشفيع الأمة والمبعوث بالكتاب والحكمة والمجموع له بين مزية السبق ومزية التيممة^(٥): شهادة تستحفظ بِقَاعِ الأرضِ أرفاقاً^(٦) فلا تحشى معها القلوبُ - وقد حَصَلَ منها الفَرَضُ المطلوبُ - شكًّا ولا نفاقاً.....

أما بعدُ..... فإنَّ لِأحوالِ الوقتِ الداهيةِ^(٨) ﴿لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٩)، وعِزَّةً. لِمَنْ تَفَهَّمَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَإِنَّ اللَّهَ بِحِكْمٍ مَا يُرِيدُ﴾^(١٠).

فبينما الدسوتُ عامرة^(١١) والولادةُ آمرةٌ والفئدةُ مجموعةٌ والدعوةُ مسموعةٌ والإمرةُ مطاعةٌ والأجوبةُ سَمْعاً وطاعةً، إذا بالنعمةِ قد كُفِرَتْ والذمةُ قد خُفِرَتْ^(١٢)....

- (١) الأمانة العظيمة: التبعة (الواجبات التي يسأل الإنسان عن أدائها والقيام بها والمحافظة عليها، كالعبادات وتولي الإدارة في الدولة والإصلاح في المجتمع، إلخ). الإشفاق: الحوف.
- (٢) الأحد (الوحيد) الفرد (الذي لا شخص آخر يشبهه). الكفو: العدلى، المأوي.
- (٣) المرتح (هنا): المطال (اعتزازاً وفخراً). العذبة (بفتح فتحة): زيادة تتدلَّى من جانب العيامة.
- (٤) الإخفاق: الحيبة.
- (٥) الكتاب: الكتاب المنزل (الشريعة). الحكمة (هنا): الأحكام الدينية.
- (٦) محمد رسول الله كان الأول والأسبق (الأعظم) في الأنبياء والمنتم (الحاتم، الأخير) في الأنبياء (لا نبي بعده).
- (٧) إرفاقاً (في الأصل: بفتح همزة)؟.
- (٨) الداهية: الآتية بالمصائب. (هجمات نصارى الأندلس على بلاد المسلمين).
- (٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾. (راجع القرآن الكريم ٥٠ سورة ق: ٣٧). ذكرى: عظة، تدكير. قلب: عقل، تفكير في الأمور. ألقى السمع: استمع إلى الوعد، كان مستعداً لفهم ما يسمع. شهيد= شاهد لا يجري (حاضر العقل في تقلب الأحداث).
- (١٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٢٢ الحج: ١٨): ﴿إِنَّ اللَّهَ بِحِكْمٍ مَا يُرِيدُ﴾ (٥ المائدة: ٢). بحكم ما يريد من التحليل والتحرير (يفعل الأمور بإرادته).
- (١١) الدست: صدر المجلس، المنصب العالي في الدولة، كرسي الحكم. الدسوت عامرة (الملوك كثيرون).
- (١٢) كفر فلان الشيء: غطاه، ستره. كفر فلان النعمة (أكر فضل الله عليه). الذمة (العهد) خفرت: نقضت.

والسعيد من اتَّعَظَ بغيره، ولا يزيدُ المؤمنَ عمرُهُ إِلَّا خيراً^(١). جَعَلَنَا اللهُ مِنِّ قَاضِي (الله) بِحَيْرِهِ.

وَيَبْنِي الفُرْقَةَ حاصِلَةً والقَطِيعَةَ فاصِلَةً والمُضْرَّةَ واصلَةً، والحِجْلُ في أُنْبَاتِ^(٢) والوَطْنُ في شَتَاتِ الحِلاَفِ يَمْنَعُ رَغِي مَتَاتِ^(٣) والقُلُوبَ شَتَى من قومِ أَشَاتِ، والطاغيةُ يَمْطِي لِقَضَمِ الوَطْنِ وَقَضَمَهُ^(٤).... ويتَوَقَّعُ الحِمْسَةَ إن يَأْذَنَ اللهُ بِجَمْعِ شَمْلِهِ^(٥) وَنَظْمِهِ على رُغْمِ الشَّيْطَانِ ورُغْمِهِ^(٦)، إِذَا بِالقُلُوبِ قَدِ اتَّسَلَّتْ، و(النَّفوس) المُتَنَافِرَةَ قَدِ آجَمَعْتُمُ بَعْدَمَا آخْتَلَفْتُمُ، والأفئدةُ بالألْفَةِ قَدِ اقْتَرَبْتُمُ إلى اللهِ وَأَزْدَلَفْتُمُ^(٧). و(الأيدي) المُضْرَعَةَ إلى اللهِ قَدِ ابْتَهَلْتُمُ^(٨) في إِصْلَاحِ الحَالَةِ التي سَلَفَتْ، فَالْتَمَّتِ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا^(٩) وَأَذْنَتِ الفِرْقَةَ النَافِرَةَ مَرَارَهَا^(١٠) وَجَلَّتِ الألفَةُ الدِينِيَّةُ أُنوارَهَا^(١١) وَأَوْضَحَتِ العِصْمَةَ الشَّرِيعِيَّةَ آثارَهَا^(١٢) وَرَفَعَتِ الوَحْشَةَ النَّاشِئَةَ أَظْفَارَهَا أَعْدَارَهَا^(١٣)، وَأَرْضَتِ الحِلاَفَةَ الفِلاَنِيَّةَ^(١٤) أَنْصارَهَا وَغَضَّتِ الفِئْتَةَ المُتَرَضَّةَ أَبْصارَهَا^(١٥) وَأَصْلَحَ اللهُ

(١) كَلِمًا تَقَدَّمَ المِلمُ في العِمرِ. زادتُ تَقَوَاهُ وَأَصْبَحَ أَكْثَرَ مِبالًا لِعَمَلِ الحَيْرِ.

(٢) انْبَات: انْقِطَاع، تَقَطُّع.

(٣) المَتَات: ما يَمْتُ (يَصِلُ، يَتَّصِلُ) بِهِ إنْسانٌ لِأَخر، القَرابَةِ.

(٤) الطاغية: لِقَبِ مَلِكِ الإِسْبانِ. يَمْطِي: يَمْرُكُ ظَهْرَهُ (يَمْتَدُّ). لِقَضَمِ (كَسَرَ). القَضَمُ (أَكَلَ) الشَّيْءَ مِنْ أَطْرَافِهِ - اِحْتِلالِ بِلْدانِ الأَنْدلسِ).

(٥) يَتَوَقَّعُ الحِمْسَةَ... إلخ: هُوَ (مَلِكُ الإِسْبانِ) وَاتَّقَى مِنْ أَنَّهُ سَيَحْزَنُ حِينَما يَسْهَلُ اللهُ جَمْعَ شَمْلِ أَهْلِ الأَنْدلسِ (اتَّفَاقِهِمْ) وَنَظْمِهِ (وَاسْتِتابِ أَمْرِهِ).

(٦) الرِغْمُ: الإِذْلالُ، القَهْرُ (وَجريانِ الأُمُورِ على خِلافِ ما يَريدُ المُخَصِمُ). وَرِغْمُهُ (رِغْمُ مَلِكِ الإِسْبانِ).

(٧) اَزْدَلَفَ: دَنَا، اقْتَرَبَ، تَقَدَّمَ.

(٨) ابْتَهَلَ: تَضَرَّعَ (بِالِغِ في الدِعاءِ إلى اللهِ مُسْتَعِينًا بِهِ).

(٩) سَلَفَ: مَضَى. أَلْتَمَّتِ الحَرْبُ أَوْزارَهَا (أَحْمالَهَا): انْتَهتْ.

(١٠) الفِرْقَةُ: الفِئْتَةُ الشَّتَقَةُ مِنَ الجِماعَةِ. النَافِرَةُ: المُعاضِبَةُ، المُبْتَدَةُ. أَدْنَتِ (قَرِبَتْ) مَرارَهَا: مالتِ إلى الوِفاقِ.

(١١) جَلَّتْ (بَضِعَ فَتَحَّحَ) وَجَلَّتْ (بَضِعَ نِلامَ شِدَّةٍ مُفْتوحَةٍ): أَظْهَرَتْ، كَفَّتْ.

(١٢) العِصْمَةُ الشَّرِيعِيَّةُ (حِصانَةُ المُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يَحْتَلِفُوا فِيها بَيْنَهُمْ). أَوضَحَتْ آثارَهَا: ظَهَرَتْ نَتائِجُها.

(١٣) النَّاشِئَةُ أَظْفارُها (في المُسْلِمِينَ: بِاِخْتِلافِها فِيها بَيْنَهُمْ) أَعْدارُها: لَمْ يَبْقَ، بَعْدَ ذَلِكَ، لِلْمُسْلِمِينَ عِذْرٌ في أَنْ يَحْتَلِفُوا.

(١٤) الحِلاَفَةُ الفِلاَنِيَّةُ (٤). أَرْضَتْ أَنْصارُها (بِمنحَمِ شِئْءٍ مِنَ العِمامِ؟). (٩) وَغَضَّتْ (خَفَضَتْ) الفِئْتَةَ المُتَرَضَّةَ (لِلزِراعِ على المُحْكَمِ؟) أَبْصارُها (تَنازَلَتْ عَنِ مُطالبِها وَساهَلَتْ في مَواقِفيها).

أسرارها^(١). فتجمعت الأوطان بالطاعة والتزمت نصيحة الدين بأقصى الاستطاعة وتسابقت إلى لزوم السنة والجماعة وألقت إلى الإمامة الفلانية يد التسليم والضرعة^(٢).....

- ومن نظم أبي يحيى بن عاصم قوله مخاطباً شيخه قاضي الجماعة أبا قاسم بن سراج، وقد طلب الاجتماع به (في) زمن فتنة^(٣). فظن أبو يحيى بن عاصم (أن) ابن سراج يريد أن يستخبره عن سر من أسرار السلطان فأعده^(٤) معتذراً، و(لكن) لم يصدق ظن أبي يحيى. ومع ذلك فقد قال أبو يحيى مخاطباً شيخه (- نفع الطيب ٦: ١٥٠):

فَدَيْتُكَ، لا تَأَلَّ عن السَّرِّ كَاتِباً، فتلقاه في حالٍ من الرُّشدِ عَاطِلٍ^(٥)،
وَتَضَطَّرَّهُ إمَّا لِحالَةٍ خائِنٍ أمانته أو خائضٍ في الأباطل.
فلا فَرَقَ عِندي بَيْنَ قاضٍ وكاتبٍ: وشيَ ذا بَسْرٍ أو قضيَ ذا بباطِلٍ.

- كتب أبو يحيى ابن عاصم يُخاطبُ الكاتبَ أبا القاسمِ بنَ طركاظ^(٥):

القضاء - حَفِظَ اللهُ تَعَالَى كِبَالَكَ وَأَنْجَحَ أَمَالَكَ - إذا لم يُعْطَهُ العَدْلُ من كِلا جانِبَيْهِ، سَبيلٌ مُعَوَّجٌ ومذْهَبٌ لا يوافقُ عليه مُناظِرٌ ولا يَنْصُرُهُ مُحتَجٌّ. كما أَنَّهُ، إذا حاطَهُ العَدْلُ، جادَةً لِلنْجاةِ وسببٌ في حَصولِ رَحمةِ اللهِ المُرتجاةِ وسوقٌ لِنِفاقِ بِيضاءِ العَبْدِ المُزْجاةِ^(٦). وأجَلَ العَدْلِ ما تَحْمَلِي به في نَفْسِ الحَكْمِ وجرى على مُقتضى ما شَهِدَتْ به الأراءُ الشَّهورةُ والحِكْمُ، حتَّى يَكُونَ عن البَغي رادِعاً وبالْقِسْطِ صادِعاً

(١) أصلح الله أسرارها (قلوبها).

(٢) الإمامة الفلانية (٤). ألفت يد التسليم (قبلت بالحكم القائم) والضرعة (المضوع).

(٣) زمن يقتل فيه المسلمون.

(٤) عاطل من الرشد: قاصر عن التفكير وعن إدراك حقائق الأمور.

(٥) يبدو أن طركاظ هذا كان في أول أمره حاجباً في المحكمة (مباشراً بنادي على المتداعين وعلى الشهود ليدخلوا إلى المحكمة بأدوارهم. ويبدو أنه كان دقيقاً شديداً مخلصاً في عمله. ثم إنه تولى القضاء فجرت منه هفوات في آداب القضاء. فكتب إليه أبو يحيى بن عاصم هذه الرسالة وطواها على شيء من التوبيخ ونهى من النصح.

(٦) المرجاة: الرديئة (إذا كان القاضي عادلاً في نفسه نجح ولو كان علمه بالقضاء قليلاً).

ولأنف الأتفة من الإذعان للحق جاداً^(١). وأنت - أجلك الله تعالى - على سعة علمك
 وشدة ساعد قيامك بالطريقة واضطلاعك ممن لا يُنبه على ما ينبغي ولا يرُدُّ على
 طلبته من الإنصاف المُبني. فلك في الطريقة القاضية التبريز. وأنت - إذا كان
 غيرك الشبه - الذهب الإبريز^(٢) ولعملية عدلك التوشية بالزاهية والتطريز.....
 وأنت - حفظك الله تعالى - قد قمت من غلظ الحجاب بالمقام المعصوم ومثلت من سعة
 النزول في الفضل والطول كالشهر المصوم^(٣)، والباب قد سدَّ وداعي الشفاعة قد ردَّ
 والميقات للأذن قد حدَّ ومطلب الأجرة المتعارفة قد بلغ الأشد^(٤). حتى إذا قضِيَ
 الواجب وأذن في دخول الحصين الحاجب، وكبح السابقين إلى الحد الذي لا يعدونه
 وحفز إياؤه من تمداه أو وقفَ دونه^(٥)، وقد حصل باللحظ واللفظ التساوي وأتج
 الطالب الأربعة هذا اللازم المساوي^(٦)..... وهذه - أعانك الله تعالى - مكمّلات من
 العدل في الحكم..... فهلاً راجعت فيها النظر وأنجزت لها الوعد المنتظر وكففت من
 دموعها عيوناً مستهتة.... وقد أدرجت لك في طي هذا ما يصل إلى يدك وتلجج
 به^(٧) في يومك وعدك، منتظرة منك إطفاء الجوى بالجواب ومحو ما سبق من الخطأ
 بالخطاب^(٨).... في أوائل ذي الحجة عام خمسة وأربعين وثمانمائة^(٩).

٤- ** نيل الابتهاج ١٣١٣ نفع الطيب ٦: ١٤٦-١٦٢؛ أزهار الرياض ١: ٥٠-٦٠،
 ١٤٥-١٨٧: ٣: ٣١٠-٣١٢، ٣٢٠-٣٢٣ شجرة النور الزكية ٢٤٨؛ الأعلام
 للزركلي ٧: ٢٧٧ (٤٨)؛ معجم المؤلفين ١١: ٢٩٣.

- (١) القسط: العدل. صعد بالأمر: أعلنه وجهر به. الأتفة: التكبر، التفرّد، التزه، الإذعان: الخضوع
 للحق. جدد: قطع. قطع أنف الأتفة: حل نفسه على الرضا بالأمر.
- (٢) الشبه: التحاسن الأصغر. الإبريز: الخالص، الصافي.
- (٣) غلظ الحجاب: شدة الفاصل بينك وبين العامة. المقام المعصوم: الذي لا يمرُّ أحد على الاقتراب منه.
 الطول: القدرة، الغنى. الشهر المصوم: رمضان.....
- (٤) مطلب الأجرة قد بلغ الأشد (بضم السين النضج) نسبة عالية - يبدو أن الموقنين كانوا يتفاوضون (بفتح
 الضاد) أجراً على عملهم (الموقن: الكاتب بالعدل أو كاتب العدل).
- (٥) يعدونه: يتجاوزونه. حفز: حث، دفع. الإياء: الإشارة الخفيفة.
- (٦) وأتج..... (٤).
- (٧) لهج (بكره الهاء) بالأمر: ولع به، تابر على فعله.
- (٨) الجوى شدة المرض النفسي (من الحب).. الاستمارتان هنا غامضتان.
- (٩) أواسط نيسان - أبريل ١٤٤٢ م.

إبراهيم التازي

١- هو الشيخ أبو إسحاق أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي التازي - من بني لنت، وهي قبيلة من بربر تازة (نيل الابتهاج ٥٥، السطر السادس) - سكن وهران (في القطر الجزائري اليوم). وقيل شهره بالتازي لأنه وُلِدَ في تازة^(١).

قرأ إبراهيم التازي على أبي زكريا يحيى الوزعي، وأخذ في تونس عن عبد العزيز المبدوسي، كما أخذ في تلمسان عن محمد بن مرزوق الحفيدي؟ (ت ٨٤٢ هـ).

رحل إبراهيم التازي إلى المشرق وحجَّ ولبسَ الحِرقةَ (أصبحَ ذا مكانةٍ عاليةٍ في التصوف) على يد شرف الدين الداعي. ثم عادَ إلى المغرب ولبسها مجدداً على يد الشيخ صالح بن محمد الزواوي، بسنده (أي بلبسه الحِرقة على يد) أبي مدين شبيب (ت ٥٩٤ هـ)^(٢).

٢- كان إبراهيم التازي مُقدِّماً في علوم القرآن وعلوم اللغة حافظاً للحديث بصيراً بأصول الدين وأصول الفقه ومُتصوفاً مشهوراً. له بديميات (قصائد في مدح الرسول) وقصائد تنطوي على معاني صوفية على بعضها أثر عمر بن الفارض. وله تأليف في الفقه وأصول الدين ويعلم الحديث.

٣- مختارات من آثاره

- قال إبراهيم التازي (نيل الابتهاج ٥٦):

أبعد الأربضين تروم هزلاً؟ وهل بعد العيبية من عرار^(٣)!

(١) وهران: نثر في القطر الجزائري. تازة: بلد قرب فاس في المغرب (تاج العروس - الكويت ١٥: ٤٨).

(٢) لا يتسق، في التاريخ، أن يكون إبراهيم التازي (ت نحو ٨٦٦ هـ) قد أخذ التصوف عن صالح بن محمد الرواي، إذا كان هذا قد أخذ عن أبي مدين (ت ٥٩٤ هـ)، إلا أن يكون بين التازي والزواوي نثر من الشيوخ (إذ بين موت التازي وموت أبي مدين مائتان واثنان وسبعون سنة).

(٣) رام: قصد، أراد. العرار: نبت له زهر طيب الرائحة. في البيت تضمنين من بيت قدم:

تفتح من شميم عرار نجد فما بعد العيبية من عرار.

إبراهيم التازي يقصد: وهل بعد العيبية (التقدم في السن وراء الأربعين) عرار (بجال، أو قدرة على) الهزل وملاذ الحياة!

وَعَدُّ عَنِ الرَّيَابِ وَعَنِ سَعَادٍ وَزَيْنَبَ وَالْمَعَارِفِ * وَالْعِقَارِ^(١)
 فَمَا الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا بِشَيْءٍ . وَمَا أَيَّامُهَا إِلَّا عَوَارِ^(٢) .
 قَتَبٌ وَأَخْلَعٌ غِدَارَكَ فِي هَوَى مَنْ لَهُ دَارُ النَّمِيرِ وَدَارُ نَارِ^(٣) .
 وَلَا مَوْجُودٌ إِلَّا اللَّهُ حَقًّا ، فَدَعُ عَنْكَ التَّعَلُّقَ بِالشَّفَارِ^(٤) .

- وقال إبراهيم التازي أيضاً^(٥) (أزهار الرياض ٢ : ٣١٠):

مَا حَالُ مَنْ فَارَقَ هَذَا الْجَمَالَ وَذَاقَ طَعْمَ الْهَجْرِ بَعْدَ الْوِصَالِ ،
 وَالْعَقْلُ مِنْهُ ذَاهِبٌ ، وَالْحَشَى مُلْتَهَبٌ ، وَالجِسْمُ يَحْكِي الْحَيَالَ؟
 أَيْتُ أَرْعَى النَّجْمَ فِي أَفْقِهَا ، وَلَيْلُ أَهْلِ الْحُبِّ رَحْبٌ طَوَالَ^(٦) .
 يَا قَبِّحَ اللَّهُ النَّوَى إِنَّهَا^(٧) قَتْلٌ بِلَا سَيْفٍ وَدَاءٌ عُضَالِ^(٨) .
 وَيَا رَعَى اللَّهُ زَمَانًا مَضَى بِالْأُنْسِ فِي وَارِفِ تِلْكَ الظَّلَالِ^(٩) :
 ظِلَالِ تَيْهَاءِ السَّيِّئَةِ تَيَّمَتْ قَلْبِي وَخَلَّتْ مُهْجَتِي فِي نَكَالِ^(١٠) .

- (١) الرياب وسعاد وزينب من أسماء اللواتي يكنى بها عن المعبوبات في الدنيا. المعارف: الأصدقاء (٢)، العلوم الدينية (٣). العار (بفتح العين): الأراضي والأبنية، (بضم العين): الحمر - عد (تجاوز، اترك) كل أمور الدنيا المادية والمنوية. * اقرأ: المعارف. المرزف من آلات الطرب، شبه العود.
- (٢) الزخرف: الذهب، والزينة. عوار جمع عارة وعارية (الشيء الذي تستعيره من غيرك) من الجذر «عور» (يقال: أعور الرجل: بدا فيه نقص أو خلل أو حاجة).
- (٣) من له دار النعم (الجنة) ودار النار (جهنم) هو الله.
- (٤) المتصوفة المتطرفون لا يقولون: لا إله إلا الله، لزعيمهم أن هذه الصيغة تعني أن هنالك في العالم أشياء كثيرة منها الله. إنهم يقولون: لا موجود إلا الله: أي ليس في العالم كائن حتى إلا كائن واحد هو الله. كان محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨ هـ) يقول بذلك أيضاً. الشفار (الأشياء المادية الموجودة في الدنيا؟).
- (٥) محرّدة من تحسيس لبعض الأكابر - من الصوفيّين - (راجع أزهار الرياض ٢ : ٣٠٩).
- (٦) رحب: متسع. طوال (بالضم): طويل (القاموس المحيط: ٤ : ٩).
- (٧) في الأصل «إنه». والصواب إنها لأن «النوى» مؤنثة.
- (٨) العضال: المرض الذي لا يرجى شفاؤه.
- (٩) الظل الوارف: المتسع (المنتشر على بقعة واسعة).
- (١٠) تيهاء مكان قرب المدينة (في شبه جزيرة العرب). وهي هنا كناية عن العزّة الآلئية. تيم: أمرض، ذلل. الهجة: دم القلب (القلب). الكال: العذاب الشديد.

لله، ما أحسنَ خالاً لها تَقْبِيلُهُ المَهْظُورُ عَيْنَ الحَلَالِ (١).

- صلاة (دعاء) لإبراهيمَ التازي، وتُعرَفُ بالصلاة التازية (النبوغ المغربي ٣٦٧ من الترقيم الأول): اللَّهُمَّ، صَلِّ صلاةً كاملةً وسلِّمَ سلاماً تاماً على محمدٍ نبيِّ (٢) تحلُّ به العُقْدُ وتنفِجُ به الكَرْبُ (٣) وتُقْضَى به المَوَائِجُ (٤) وتُنالُ به الرغائبُ (٥) وحسُنُ الخَوَاتِمِ (٦)، وَيُسْتَقَى الغَمامُ بِوَجْهِهِ (٧)، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ.

- وقال (ناظراً إلى عَدَدٍ من معاني ابن الفارض):

أَبَتْ مُهْجَتِي إِلَّا الْوُلُوعَ بِنِّ تَهْوَى فَدَعُ عَنْكَ لُؤْمِي وَالنَّفُوسَ وَمَاتَقْوَى (٨)،
هَوَانُ الْهَوَى عِزٌّ، وَعَذْبُ أَجَاغِهِ؛ وَعَلَقْمُهُ أَحْلَى مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى (٩).

(١) الحال: نقطة سوداء على الخد (عادة). المَهْظُورُ: المنوع... تقبيل وجه الأجنبية حرام. ولكن المرّة الإلهية (وهي أجنبية، أي غير الحب، غير الإنسان) تقبيلها (عبادتها طاعتها) عين الحلال (حلال مطلق واجب على كلِّ إنسان).

(٢) اقرأ: على محمد، وهو نبي... أو: على محمد النبي الذي....

(٣) الكربة: الحزن الشديد والغم الثقيل.

(٤) الموائج جمع حائجة: الأربة (بضم الراء)، أي الرغبة التي بضرها الإنسان في نفسه. وربما كانت «الموائج» جمع «حاجة» على غير قياس (وقيل: هي مولدة نشأت في العصر العباسي)، وقيل: استمالها منكر (خطأ، غير مألوف). وصاحب التاج يراها صحيحة ويستشهد عليها من الشعر الحاهليّ ومن حديث رسول الله (راجع تاج المروس - الكويت ٥: ٤٩٦ - ٤٩٨).

(٥) الرغبة: الأمر المرغوب فيه، العطاء الكثير.

(٦) يقال: كسب الله لنا حسن الخاتمة (الموت على الإيمان - الإسلام).

(٧) يستقي الغمام (المطر) بوجهه: مبارك عالي المنزلة عند الله، يستجيب الله دعاءه ودعاء الذين يجفونه وسيلتهم إلى الله.

(٨) الولوع: التعلق، الهبة الشديدة. بن أهوى (أنا) أي بالله وحده. والنفوس (أي دع: اترك) النفوس (بعض النفوس) وما تقوى تلك النفوس عليه. - إذا كنت أنت لا تقوى (تقدر، تحتل) أن تحب الله وحده فاترك أصحاب النفوس من الذين يقدرون على ذلك: أن يحبوا الله (يتصوّفوا).

(٩) الهوان: الذل، أن يصح الشيء محترقاً لا يخيف فيهمج عليه كلُّ إنسان. الأجاج: الشديد اللوحة. المنّ: طلّ (الدى) يتجمّع على الأغصان ويجمد فيتحوّل مادّة حلوة تؤكل. السلوى: السكّاني (بضم السين) طائر مرغوب في لحمه. والشاعر يظنّ أن السلوى مادّة حلوة كالمنّ (كما لا يزال عوامُ الناس يظنون).

وتعديُّه للصَّيبِ عَيْنُ نَعِيمِهِ . وَسَمِيَّ اللّٰوٰحِي فِي السُّلُوْمِيْنَ العَدُوِيَّ (١) !
 وَلَيْسَ بِحُرٍّ مِّن تَعَبَدِهِ الهَوِيَّ
 فَمَا الحُبُّ إِلَّا حُبُّ ذِي الطَّوْلِ والغِنْيِ
 وَأَمْلَاكِهِ وَالْأَنْبِيَا وَأَوْلِي التَّقْوَى (٢) .

٤- ** تعريف الخلف ٢ : ٧-١٢ ، نيل الابتهاج ٥٤-٥٧ ؛ أزهار الرياض ٢ :
 ٣٠٩-٣١٤ ؛ النبوغ المغربي ٣٦٧ (من الترقيم الأول) ، ١٨١٧-١٨١٨ الطمار
 ١٤٧-١٥٠ .

ابن عبد المنعم الحميري

١- هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور الحميريُّ
 الأندلسيُّ من أهل سَبْتَةَ لا تُعْرَفُ من تفاصيل حياته شيئاً ، ولَمَلَّ وفاته كانت بُعِيدَ سَنَةٍ
 ٨٦٦ (١٤٦١-١٤٦٢ م) .

٢- كان ابنُ عبدِ المنعمِ الحميريُّ عالماً بالبلدانِ والسِّيَرِ (٤) والأخبارِ ، وقد اشتهر
 بكتابِ «الرَّوْضِ المِطَارِ فِي خَبَرِ الأَقْطَارِ» (٥) . ونُسَخَةُ الكِتَابِ المَعْرُوفَةُ اليَوْمِ مُوجَزٌ
 صَنَعَهُ أَحَدُ أَعْقَابِهِ فِي جُدَّةَ (بالحِجَازِ) نَحْوَ سَنَةِ ٩٠٠ (١٤٩٤-١٤٩٥ م) . وقد كان
 القَلْقَشَنديُّ (ت ٨٢١ هـ) والمُقْرِزيُّ (ت ٨٤٥ هـ) قد أَخَذَا من النسخةِ الأصليَّةِ
 للرَّوْضِ المِطَارِ والتي صَنَعَهَا ابنُ عبدِ المنعمِ الحميريُّ نَفْسُهُ .

(١) اللواحي جمع لاحية: التي تلوم الآخرين. وسمي اللواحي (طلب الماذلات اللغات مني) السلو (نيان
 محبوي) من المدوى (من تقليدهم للآخرين الذين يلومونني بلا علم بمحققة حتى لله).

(٢) - الذي يجب إنساناً في هذه الدنيا (مفرد دنا) يكون عبداً لهواه هذا . فاختر لنفسك من توى (تحمب):
 من يكون أهلاً للحب (وهو الله وحده).

(٣) الطول (يفتح أطاء): الفضل والغنى . ذو الطول والغنى هو الله . الأملاك: الملائكة .

(٤) السير (جمع سيرة): تراجم الأشخاص ، والسير أيضاً: جماعات الناس . ثم هي الصلات بين الدول (السياسة
 الخارجية).

(٥) ذكر محمد الناسي (البحث العلمي ١ : ٦٥-٦٩) ما يلي: «الروض المطار في أخبار الأقطار لمحمد بن
 محمد الحميري المتوفى سنة ٩٠٠ هـ (١٤٩٤ م) ، وهو غير الحميري صاحب كتاب يجعل تقريباً نفس هذا
 العنوان الذي نشر بالفرنسية ما يتعلق منه بجزيرة الأندلس لبني بروفنصال.....»

والفصلُ في أمرِ « الرّوضِ المطّار » ليس سهلاً. وفي « دائرة المعارف الإسلاميّة » (٦٧٥: ٦٧٦) مناقشة مفصلة لتحقيق عنوانِ الكتابِ وزمّنه ونسخه. وقد قام ليبي بروفنصال بنشرِ مختاراتٍ من « الرّوض المطّار » تتعلّق بالأندلس. وجاء في تاريخ الفكر الأندلسي « (ص ٣١١-٣١٢) هذا المقطعُ المفيد:

« وموادُّ هذا الجزء المنشور عن الأندلس مرتبةً ترتبياً أبجديّاً. وهو يضمُّ معظمَ الأعلامِ الجغرافية الهامة التي يردُّ ذكرها في كتب الأندلسيين. وقد حرصَ الحميري على أن يوردَ ما اتصل ببلده من أطرافِ التاريخ عن الموضع الذي يتكلّم عنه. وأكثرُ هذه المادّة التاريخية يتعلّقُ بعصرِ الموحّدين الذي سقطتْ خلاله معظمُ حواضرِ الأندلسِ الكبيرة في أيدي النصارى. والحميريُّ يُضَيِّقُ بتفصيل ذلك على نحوٍ فريدٍ وفي أسلوبٍ عربيٍّ رصينٍ بما يجعلُ لهذا الكتابِ أهميةً كبيرةً للمؤرّخ والجغرافي على السواء ».

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب « الرّوض المطّار »:

.... وبعدُ فلّني قصدْتُ في هذا المجموع ذكرَ المواضع المشهودة عند الناس من العربية والعجمية^(١)، والأصقاع التي تملّقتْ بها قصّةٌ أو كان في ذكرها فائدةٌ، أو كلامٌ فيه حكمةٌ أو خبرٌ لها ظريفٌ أو معنىٌ يستلّجُ أو يستغربُ ويحسنُ إيراده. أما ما كان غريباً عند الناس - ولم يتعلّقْ بذكره فائدةٌ، ولا له خبرٌ يحسنُ إيراده - فلا أُلِمُّ^(٢) بذكره ولا أترعّضُ له غالباً استثناءً عنه واستثناءً لذكره. ولو ذهبتُ إلى إيرادِ المواضيع والبقاعِ على الاستقصاء لَطَالَ الكتابُ وقلَّ إمتاعه^(٣). فأقتصرتُ لذلك على المشهورِ من البقاعِ وما في ذكره فائدةٌ ونكتفي عمّا سوى ذلك (١).

ورتبتهُ على حروفِ المُعْجَمِ لها في ذلك من الإحاض^(٤) (!) المرغوب فيه ولما فيه

(١) من اللغة العربية واللغة الأعجمية (الأجنبية: الإسبانية).

(٢) لا أُلِمُّ بذكره: لا أذكره. أُلِمُّ بالشيء: مرَّ به مرّاً خفيفاً.

(٣) الاستقصاء: الاستفاد (محاولة ذكر كلِّ شيءٍ يتعلّقُ بموضوع ما). الإمتاع: السرور.

(٤) الإحاض (في الأصل): أن تأكل الإبل نبتاً حامضاً (بعد أن تكون قد امتلأت بطونها من العشب المادّي). والإحاض أيضاً: تناول المتحدثين بعض أحداث الهزل. والمقصود هنا: التنقل بين أشياء متباعدة (فلا تقلّ النفس من مطالعة موضوعات متقاربة للمعاني).

من سرعة هجوم الطالب على اسم الموضوع الخاص من غير تكلفٍ عناءٍ^(١) ولا تحشمٍ تعبٍ^(٢). فقد صار هذا الكتاب محتويًا على فتنين مختلفتين: أحدهما ذكر الأقطار والجهات وما اشتملت عليه من الثموت والصفات؛ وثانيها الأخبار والوقائع والمعاني المختلفة بها الصادرة عن مجتليها^(٣). وأختلستُ (في) ذلك ساعاتٍ زماني وجملته فكاهةٌ نفسي. وأنصبتُ فيه فكري وبدني ورؤيته^(٤) حتى أنقادت للعمل وجاء حسب الأصل فأصبح طارداً للهموم ملقياً للغموم وشاهداً بقُدرة القِيوم^(٥) مغنياً عن مؤانسة الصَّحْبِ مِنْهَا على حكمة الربِّ باعثاً على الاعتبار مُستحضراً لخصائص الأقطار، مُشيراً لآثار الأُمم وأحداثها مشيراً^(٦) إلى وقائع الأخبار وأنبائها.....

وجعلتُ الإيجازَ في هذا الكتابِ قصدي وحرَّصتُ على الاختصارِ جُهدي حتى جاء نسيجٌ وحده مَلِيحاً في قنّه، غريباً في معناه مُبهجاً للنفوس المتشوقة ومُذهباً للأفكار المهرقة^(٧)، مؤنساً لمن استولى عليه الأفراد ورغِبَ عن معاشرَةِ الناس. ومع هذا فقد لُمْتُ نفسي على التَّشَاغُلِ بهذا الوضعِ الصادِّ^(٨) عن الأشتغال بما لا يُغني عن أمر الآخرة والمهمِّ عن العلم المُزَلِّفِ^(٩) عند الله تعالى. وقلتُ: هذا شأنُ البطالين وسُئل مَنْ لا يُؤمُّه وقته. ثم رأيتُ ذلك من قبيل ما فيه ترويحٌ لهذه النفوس ومن حُسنِ تعليلها بالبليغ لمن يَنشَطُ إلى ما هي به أَعْيى^(١٠). ثم هو مَهْمَعٌ^(١١) يَلْكَه الناسُ، وأعتنى به طائفةٌ من العلماء وقِيده جماعةٌ من أهل التحصيل، فلا حَرَجَ^(١٢) من الاقتداء بهم.....

-
- (١) العناء التعب. تكلف عناء: بذل جهداً (بالضم).
 - (٢) تحشم الأمر: نكفته (حاول القيام به). تحشمُ تعب: مُعاناة مشقة وعُسْر.
 - (٣) مجتلب الشيء: الذي يأتي بالشيء من مصدره.
 - (٤) راض فلان الأمر: مارسه وذلكه.
 - (٥) القِيوم (من أسلمه الله الحسن).
 - (٦) «شيراً» وردت مرتين. لعل الأولى «شيراً» (بالتاء: كاشفاً). شيراً (الثانية): دالاً.
 - (٧) المهرقة (٩)، لعلها: المُحرَّقة.
 - (٨) الصاد: الراد، الرادع، المانع.
 - (٩) والمهم (الضروري؟). المزلف: المُقَرَّب.
 - (١٠) أعنى: أكثر عناية (أهتماً وأشتغلاً) بالشيء.
 - (١١) المهجع: الطريق الواضح.
 - (١٢) لا حرج: لا ضيق، لا ضرر.

قال عبد المنعم الحميري في «الروض المعطار» (نفع الطيب ٤: ٣٦٢):

فلَمَّا عَبَّرَ يوسُفُ وجميعُ جيوشِهِ إلى الجزيرة الخضراء انزعج^(٢) إلى أشبيلية على أحسن الهَيئَاتِ: جيشاً بعدَ جيشٍ، وأميراً بعدَ أميرٍ، وقبيلًا بعدَ قبيل^(٣). وبَعَثَ المُعْتَمِدُ ابنَهُ إلى لِقَاءِ يوسُفَ، وأمرَ عُمَالَ البلادِ بِحَلْبِ الأَقْوَاتِ والضيافات. ورأى يوسُفُ من ذلك ما سرَّه ونَشَطَه. وتوارَدَتِ الجيوشُ مَعَ أُمَرَائِهَا على إشبيلية. وخرَجَ المُعْتَمِدُ إلى لِقَاءِ يوسُفَ من إشبيلية في مائةِ فارسٍ ووُجُوهِ أَصْحَابِهِ. فلَمَّا أتَى مَحَلَّةَ يوسُفَ رَكَضَ نحوَ القومِ، وركضوا نحوَهُ. فَبَرَزَ إليه يوسُفُ وحده، والتَقِيَ مُنْفَرِدَيْنِ وتصافحا وتعامقا، وأظْهَرَ كُلُّ مِنْهَا لِصَاحِبِهِ المُوَدَّةَ والخُلوصَ^(٤)، وشَكَرَا نِعْمَ اللهِ تَعَالَى وتواصَيَا بالصَّبْرِ والرحمةِ وبَشَّرَا أَنفُسَهُمَا بما استقبلاه من غَزْوِ أَهْلِ الكُفْرِ، وتَضَرَّعا إلى اللهِ تَعَالَى في أن يَجْعَلَ ذلكَ خالِصاً لوجهِهِ مُقَرَّباً إليه، واقترقا.....

وكان الأذفونش^(٥) لما تحققت الحركة والحرب استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها. ورَفَعَ القيسونَ والرهبانُ والأساقفةَ صُلبانَهُمْ وشَرُّوا أَناجيلَهُمْ. فاجتمعَ إليه من الجلائفةِ والإفرنجية^(٦) ما لا يُحصى، وجوايسُ كُلِّ فريقي تَرَدَّدَ بينَ الجميعِ. وبَعَثَ الأذفونشُ إلى ابنِ عبادِ أَن صاحِبِكُمْ يوسُفُ قد تَمَّتْ^(٧) من بلادهِ وخاضَ البُحورَ، وأنا أَكْفِيكَ العِساءَ فيما بَقِيَ ولا أَكْلِفُكُمْ تَعَباً: أمضي وألقاكم في بلادكم رفقا بكم وتوفيرا عليكم^(٨).

(١) راجع، فوق، ٥: ٣٣.

(٢) الجزيرة الخضراء في جنوبي الأندلس. انزعج: انتقل.

(٣) القبيل: القوم مجتمعهم قرابة. (كان كل جيش من الجيوش - أو كل قسم من الجيش الواحد - يتألف من جنود ينتمون إلى قبيلة واحدة أو إلى قبائل متقاربة في النسب).

(٤) الخُلوص: الصفاء.

(٥) الأذفونش لقب ملوك قشتالة. والأذفونش المقصود هنا هو الفونس (ألفونسو) السادس ملك ليونة (١٠٦٥ م) وقشتالة (منذ ١٠٧٢ م) وكانت هزيمته في معركة الزلاقة سنة ١٠٨٦ م (٤٧٩ للهجرة).

(٦) الجلائفة أهل جليقية (الشمال الغربي من إسبانية. الإفرنجية (سكان غالية: فرسة اليوم).

(٧) تَمَّتْ: نعت، تكلف القيام بأمر فيه شقة. العناء: التعب.

(٨) في هذه الجملة تهم.

وقال (الأذفونش) لِخَاصَّتِهِ وَأَهْلِ مَسُورَتِهِ: إِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي إِنْ مَكَّتَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ إِلَى بِلَادِي فَنَجَزُونِي فِيهَا وَبَيْنَ جُدْرِهَا - وَرَبِّهَا كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيَّ^(١) - يَسْتَحْكُمُونَ الْبِلَادَ وَيَحْصُدُونَ مَنْ فِيهَا غَدَاةً وَاحِدَةً^(٢). وَلَكِنْ أَجْعَلْ يَوْمَهُمْ مَعِي فِي حَوْزِ بِلَادِهِمْ^(٣).....

ثُمَّ بَرَزَ بِالْمُخْتَارِ مِنْ جُنُودِهِ وَأَنْجَادِ جُمُوعِهِ عَلَى بَابِ دَرْبِهِ^(٤)، وَتَرَكَ بَقِيَّةَ جَمِيعِهِ خَلْفَهُ، وَقَالَ - حِينَ نَظَرَ إِلَى مَا اخْتَارَهُ مِنْهُمْ - بِهَوْلَاءَ أَقَاتَلَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَمَلَائِكَةَ السَّمَاءِ. فَالْقُلُّ يَقُولُ: الْمُخْتَارُونَ أَرْبَعُونَ أَلْفَ دَارِعٍ^(٥)، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَتْبَاعٌ. وَأَمَّا النَّصَارَى فَيَمْتَعْجِبُونَ مِمَّنْ يَزْعُمُ ذَلِكَ وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ. وَاتَّقَى الْكُلَّ (عَلَى أَنَّ عَدَدَ الْمُسْلِمِينَ أَقَلُّ مِنَ الْكُفْرَةِ.....

٤ - صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب «الروض المطار» - عني بنشرها إ. لافي بروفنسال - وقف على طبعه محمد فؤاد عبد الباقي)، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م، بيروت (الشركة المتحدة للتوزيع) ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م.
* نفع الطيب : ٤ : ٣٥٤ وما بعد، ٣٥٧ وما بعد، ٣٦٠، ٣٦٣ وما بعد، ٣٦٨ وما بعد، دائرة المعارف الإسلامية ٣ : ٦٧٥ - ٦٧٦؛ بروكلمن ٢ : ٥٠، الملحق ٢ : ٣٨، ٣ : ١٢٧٩؛ الأعلام للزركلي ٧ : ٢٨١ (٥٣)؛ بالنسبة ٣١١ - ٣١٢.

الجزولي (*) السُّلَالِي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن سليمان (أو ابن عبد الرحمن) بن أبي بكر الجزوليُّ

- (١) ناجزولي: قاتلوني، حاربوني. الجدر (بضمّ فضمّ) جمع جدر (بالكسر): الحائط. كانت الدائرة عليّ: انهزمت، هلكت.
- (٢) استحكم = لست هنا في مكانها (المقصود: تحكّم في البلاد: سيطر فيها). غداة واحدة = في غداة واحدة (في وقت قصير).
- (٣) الحوز: قطعة من الأرض يجوزها (يملكها ويهورها) أهل مدينة فتكون خالصة لهم.
- (٤) الأنجاد جمع نجد (يفتح فسكر أو يفتح فضمّ): الرجل التجاع، والذي يمضي في ما لا ينطيمه غيره. الدرب (هنا): كل طريق يؤدّي إلى ظاهر (خارج) البلد.
- (٥) الدارع: اللابس الدرع.
- (*) الجزولي (يفتح الهم أو بضمّها) نسبة إلى قبيلة جزولة (بضمّ فارسية).

السَّمَلَايَ (من قبيلة سَمَلَاةَ أحدِ فروعِ جَزُولَةَ) وهو من أهلِ (سِلْسِلَةِ جِبَالِ) السَّوسِ الأَقْصَى المَرَاكُشِيَّةِ (في جَنُوبِ المَغْرِبِ).

وُلِدَ الجَزُولِيُّ السَّمَلَايُّ سَنَةَ ٨٠٧ للهجرة (١٤٠٤-١٤٠٥ م). ويبدو أَنَّهُ غادرَ مَوْطِنَهُ في مطلعِ حياتِهِ، بعدَ حادثةٍ محلِّيَّةٍ أقرَّ فيها على نفسه بقتلِ مواطنٍ حتَّى يُمكنَ الإِصلاحُ بينَ أهلِ القَتيلِ وأهلِ القاتلِ على عَادَةِ أهلِ البلدِ (راجع نيلِ الإِبتهاجِ ٣١٧ س). فخرَجَ إلى طَنجَةَ. ثمَّ رَجَعَ إلى فاسٍ وتلقَى فيها شيئاً من العلمِ، ودَوَّنَ فيها «دلائلَ الخَيْرَاتِ». وفيها أيضاً لَقِيَهِ الشَّيْخُ زَرُوقُ^(١). ثمَّ إِنَّهُ عادَ إلى الساحلِ (إلى طَنجَةَ؟) ولَقِيَ هناكَ «أوحَدَ وقتِهِ أبا عبدِ اللهِ أمغارَ الصغِيرِ» وأخذَ عنه.

ويُقالُ إِنَّهُ رَحَلَ إلى المَشْرِقِ، بعدَ تَطَوُّفِهِ في المَغْرِبِ، وقَضَى مُدَّةً في الحِجَازِ. وبعدَ رُجُوعِهِ من المَشْرِقِ- فَمَا قِيلَ- دَخَلَ في الطَّرِيقَةَ الشاذليَّةَ ثمَّ أَعْتَزَلَ مُعْتَكِفاً وَأَنْتَقَعَ في الحَلْوَةِ (في فاس) أربَعِ عَشْرَةَ سَنَةً.

وكانتِ وِفاةُ الجَزُولِيِّ السَّمَلَايِّ- فَمَا قِيلَ- مَسْموماً، في مَكانٍ أَسْمُهُ أَفْغَالُ (أو أفوغال)، في السَّادِسِ عَشَرَ من ربيعِ الأوَّلِ من سَنَةِ ٨٧٠ للهجرة (١٤٦٤/٨/٩ م). وبعدَ سَبْعِ سَنَواتٍ نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إلى مَدِينَةِ مَرَاكُشِ^(٢) في الأَعْلَبِ.

٢- الجَزُولِيُّ السَّمَلَايُّ فقيهٌ صوفيٌّ مشهورٌ ومن ذَوِي المَكانَةِ الذين بَلَّغُوا في التَّصَوُّفِ رَتبةً عالِيَةً، جاءَ في «نيلِ الإِبتهاجِ» (ص ٣١٧): «العالمُ العارفُ الوليُّ الصالحُ القُطْبُ... نُحْبَةُ الدَهرِ ووَحيدُ العَصْرِ، مُحِبِّي الطَّرِيقَةِ (الصوفيَّة) بالمَغْرِبِ بعدَ دَرَسِها و(كاشف) شمسِ الحَقيقَةِ عندَ طَمَسِها». وهو مَصنَّفٌ، له: دلائلُ الخَيْرَاتِ وشوارِقُ الأنوارِ في ذِكرِ الصَّلَاةِ على النَّبِيِّ المَختارِ - جِزْبُ الفِلاحِ^(٣)- المُجالَةِ في

(١) هو أبو العباسِ أَحْمَدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدَ بنِ عيسى البَرَنْسِيِّ الفاسيِّ المَروفُ بِزَرُوقِ، فقيهٌ ومُحدِّثٌ وصوفيٌّ. سَاحَ في المَغْرِبِ ورحلَ إلى المَشْرِقِ وزارَ مِصرَ والحِجَازَ. له مَصنُفاتٌ في الفِئهِ وفي التَّصَوُّفِ. كانتِ وِفاةُ سَنَةِ ٨٩٩ (١٤٩٣-١٤٩٤ م) في تَكرينِ (من قَرى سَراتِهِ) من أَعمالِ طرابلسِ (لِيبيا).

(٢) نُقِلَتْ جُثَّتُهُ إلى مَرَاكُشِ بعدَ سَبْعِ سَنَواتٍ من موتهِ! وفي نيلِ الإِبتهاجِ بعدَ سَبْعِ وسَبْعينِ سَنَةٍ، ووُجِدَتِ سَلِيمَةً ثمَّ تَفسِيرًا!

(٣) «دلائلُ الخَيْرَاتِ» تَعبيرٌ أُطِلقَ فِها بعدَ على مَجموعِ مَعيَّنٍ من الأَدعيَةِ تَقالَ في غَيبِ الصَّلواتِ أو في فِتراتٍ من التَّهَجُّدِ والمُعبادَةِ (أَلْفِهِ في فاس). المَحرِبُ في الأَصْلِ رِبعُ جِزءٍ من القرآنِ الكَرِيمِ (والقرآنُ =

٣ - مختارات من آثاره

- من دلائل الخيرات للجزويّ السملاليّ :

.... أفضل صلوات (*) الله وأحسن صلوات الله وأجل صلوات الله وأكمل صلوات الله وأسبغ^(١) صلوات الله وأتم صلوات الله وأظهر صلوات الله وأعظم صلوات الله وأزكى^(٢) صلوات الله وأطيب صلوات الله وأبرك صلوات الله وأوفى صلوات الله وأسنى^(٣) صلوات الله وأعلى صلوات الله وأكثر صلوات الله وأجمع صلوات الله وأعم صلوات الله وأدوم صلوات الله وأبقى صلوات الله وأعز صلوات الله وأرفع صلوات الله على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله وأجل خلق الله وأكرم خلق الله وأجل خلق الله وأكمل خلق الله وأعظم خلق الله عند الله: رسول الله ونبي الله وحبيب الله وصفي الله ونجي^(٥) الله وخليق الله وولي الله وأمين الله وخيرة^(٦) الله من خلق الله، ونخبه الله من

= الكرم ثلاثون جزءاً)، ويطلق على مقدار من الفراءة والأدعية يأخذ المسلم نفسه بقراءته في أوقات معينة.

(*) يحسن أن ندرك أن في هذا الدعاء أشياء. أولى هذه الأشياء أن الجزويّ السملالي يريد أن يجمع في دعائه هذا كل أنواع المديح في رسول الله صلى الله عليه وسلم - ورسول الله أهل لكل هذا المديح ولأكثر منه أيضاً. ثم إن الجزويّ هذا لا يبغي بالأكثر الصفات التي يضيفها إلى الأسماء: أفضل صلوات الله وأجل.... وأحسن... وأعلى.... وأرفع صلوات الله، إلخ. الغاية الأساسية جمع هذه الصفات في سلك طويل من غير تفریق في خصائصها (ظلال معانيها). ثم هنالك شيء أدهى إلى الملاحظة (مع العلم بأن النص هنا مختارات)، هو أن ترتيب الصفات المضافة إلى الصلوات (أفضل صلوات الله وأحسن صلوات الله تجري على ترتيب واحد مع الصفات التي سيخلفها الجزويّ السملالي على الرسول (على أفضل خلق الله وأحسن خلق الله، إلخ).

(١) أسبغ: أوسع وأكثر شمولاً.

(٢) أظهر: أبين، أوضح؛ أقوى. أزكى: أظهر.

(٣) أسنى: أعلى؛ أضوأ (أكثر ضوءاً أو نوراً). أوفى: أتم وأكمل.

(٤) أعز: أقوى؛ أندر؛ أحب.

(٥) الصفي: الذي تجمله صديقاً خالصاً لك دون سواه. والنجي: الذي تشاركه (تظلمه على أسرارك دون غيره).

(٦) الخليل: الصديق المحال (الذي يعرف دخائل أمورك). الولي: الذي يتولى أمورك ويكون كل اعتدالك في كل شيء عليه. خيرة الله (الذي اختاره الله).

بِرِّيَّة^(١) الله، وصفوة الله من أنبياء الله، وعزوة^(٢) الله وعِصْمَةُ الله ونعمة الله ومفتاح رحمة الله، المختار من رُسُلِ الله، المُنتخب من خلق الله، الفائز بالمطلب في المرهب والمرغب، المُخلص فيما وهب^(٣)، أكرم مبعوث، أصدق قائل، أنجح شافع، أفضل مُشفع، الأمين فيما أُستودع، الصادق فيما بُلغ، الصادع بأمر ربه، المُضطلع بما حُمِل^(٤)، أقرب رسل الله إلى الله وسيلةً وأعظمهم غداً^(٥) عند الله منزلةً وفضيلةً، وأكرم أنبياء الله الكرام الصّوّة على الله^(٦)، وأحبهم إلى الله وأقربهم زُلْفَى^(٧) إلى الله، وأكرم الخلق على الله وأحظاهم^(٨) وأرضاهم لدى الله، وأعلى الناس قَدْرًا وأعظمهم محلًّا وأكرمهم محاسنً وفضلاً، وأفضل الأنبياء دَرَجَةً وأكملهم شريعةً، وأشرف الأنبياء نصاباً وأبينهم خطاباً^(٩) وأفضلهم مَوْلِداً ومُهاجراً وعِترَةً^(١٠) وأصحاباً، وأكرم الناس أرومةً وأشرفهم جُرثومةً^(١١)، وخيرهم نفساً وأطهرهم قلباً وأصدقهم قولاً وأزكاهم فعلاً وأثبتهم أصلاً^(١٢) وأوقاهم عهداً وأمكنهم مجدداً وأكرمهم طبعاً وأحسنهم صنماً وأطيبهم فرعاً^(١٣) وأكثرهم سمعاً وطاعةً^(١٤) وأعلاهم مقاماً وأحلاهم كلاماً وأزكاهم

- (١) البرِّيَّة: الخلق (بالفتح)، مجموع البشر.
- (٢) العروة: ما يملك به الإنسان (ليستعين به على الثبات في موقفه). العصمة: الحماية ما يلجأ إليه الإنسان (ليدفع عنه خطراً ما).
- (٣) المرهب: الأشياء التي يرهب (يخاف) الإنسان منها. والمرغب: المراد (بالضم) أو ما يريد الإنسان أن يحصل عليه. المخلص فيما وهب (أعطى): الذي خصه الله بأعطائه دون غيره (من الرسل).
- (٤) الصادع: الذي يعلن الأمر ويحجر به (من غير تردد أو خوف). المضطلع (التدبير في القيام بالأمر) بما حل (من الرسالة إلى جميع البشر).
- (٥) غداً (يوم القيامة).
- (٦) وأكرم على الله (أعز وأرفع مكانة) عند الله من جميع الأنبياء (الذين هم أيضاً ذوو مكانة عند الله، والذين هم الصّوّة المختارون من سائر الناس).
- (٧) أقربهم زلفى إلى الله: أكثرهم أثراً في الزلْفَى (التقرب) بجاههم إلى الله.
- (٨) أحظاهم: أقربهم منزلة.
- (٩) النصاب: الأصل، قوم الرجل. أبينهم: أوضحهم.
- (١٠) المهاجر: المكان الذي يهاجر الإنسان إليه. العِترَة: عشيرة الرجل وقومه.
- (١١) الأرومة والجُرثومة: الأصل الذي ينتهي الإنسان إليه من النسب.
- (١٢) أزكاهم (أطهرهم) فعلاً: خيرهم أعمالاً. أثبتهم أصلاً (لا اختلاف في سرد نسبه).
- (١٣) أمكنهم: أثبتهم. الفرع: النسب القريب (في مقابل الأرومة والجُرثومة: الأصل البعيد).
- (١٤) أكثرهم سمعاً (لقول الله) وطاعة (له).

سَلاماً وأجلَّهُم قَدراً وأعظَمهم فخرأ وأسانَهُم نورأ (١) وأرقَمهم في المَلَم الأعلى (٢) ذِكراً وأصدقهم وعدأ وأكثرهم شُكراً وأعلاهم أمراً وأجلهم صبرأ وأحسنهم خيراً وأقربهم يُسراً وأبعدهم مكانأ (٣) وأعظَمهم شأنأ وأثبتهم بُرهانأ وأرجحهم ميزانأ وأولهم إيمانأ وأوضحهم بيانأ وأفصحهم لسانأ وأظَهرهم بُرهانأ (٤) ...

٤ - دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار . بطرسبورج ١٨٤٢ م (١٢٥٢ هـ)؛ فاس بلا تاريخ (٥)؛ القاهرة (مطبعة المدارس بالأزبكية) ١٢٥٦ هـ؛ القاهرة (مطبعة كاستللي) ١٢٧٧ هـ؛ القاهرة ١٢٨١ ، ١٢٨٧ هـ؛ القاهرة (مطبعة الطوخي) ١٢٨٩ هـ؛ القاهرة (مطبعة أبي زيد) ١٢٨٩ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ هـ؛ القاهرة ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ هـ ، إلخ ، القاهرة (مطبعة البابي الحلبي) ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م)؛ استانبول ١٢٦٤ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٥ ، ١٢٩٣ ، ١٣٠١ ، ١٣١٤ هـ؛ وطبعت في الهند: دهلي ١٢٨٩ ، ١٣٠٢ ، ١٣١١ هـ؛ بومباي (مع ترجمة بين السطور بالسندية) ١٢٩٤ هـ؛ تلتشري (مع ترجمة بين السطور بالفارسية والهندستانية ومع زيادة في الأدعية لولانا حافظت حسين) ١٢٩٦ هـ؛ كاونبور ١٢٩٨ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية) ١٣٠٢ هـ؛ لاهور (مع ترجمة بين السطور بالهندستانية لعلام أحمد) ١٣١٧ هـ . مدراس (مع ترجمة بين السطور بلغة التاميل: « نوافل البركات » لمحمد عبد الرحمن قادر مرام) ١٩٠٨ م (١٣٢٦ هـ)؛ الجزائر ١٣٢٢ هـ .
شروح على « دلائل الخيرات »:

- مطالع المسرات ، لأحد بن علي بن محمد المهدي الفاسي (ت ١٠٦٧ هـ = ١٦٥٣ م) ، القاهرة ١٢٧٨ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٩ هـ . ١٣٢٧ هـ
- شرح ، للمدوي الحمزاوي (ت ١٢٠٤ هـ = ١٧٨٩ م) ، القاهرة ١٢٨٩ هـ .
- الأنوار اللامعات شرح دلائل الخيرات ، لسيد الرحمن بن محمد الفاسي (ت ١٠٣١ هـ = ١٦٢٢ م) ، فاس ١٣١٧ هـ .

* * - تمتع الأسباع في ذكر (او: بمناقب) الشيخ الجزولي والتباع (بفتح التاء) وما لها من

(١) أعلَمهم (أعظَمهم) قدراً (مكانة). أسانهم (أضوأهم ، أسطهم ، أشدهم).

(٢) المَلَم الأعلى (العالم الروحاني): لدى الله.

(٣) أقربهم يسراً: أكثرهم تحقيقاً لتيسير الأمور (على الوصول إلى صالح الأعمال وإلى الثواب عليها) وأبعدهم مكانأ (عن أن يصل إلى مرتبته ومقامه أحد).

(٤) البرهان: (النور التوي الذي يظهر حقائق الأشياء) والدليل (الذي يثبت الأمور على ما يجب أن تثبت الأمور عليه).

(٥) يبدو أن جميع هذه الطبعات طبع حجر . ثم إنه طبع بعد ذلك بالحروف وفي أماكن عديدة .

الأتباع، لأبي عبد الله محمد المهدي القاسمي^(١)، فاس ١٣٠٥، ١٣١٣ هـ -
 الدلالات الواضحات: حاشية مختصرة على دلائل الخبرات، ليوسف بن إسماعيل السهائي^(٢)،
 الطبعة الثانية، القاهرة (الباي) ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥ م).

نيل الابتهاج ٣١٧ (طبعة فاس ٣٣٩)؛ دائرة المعارف الإسلامية ٢: ٥٢٧-٥٢٨؛
 بروكلمن ٢: ٣٢٧-٣٢٨، الملحق ٢: ٣٥٩-٣٦٠. الأعلام للزركلي ٧: ٢١ (٦: ١٥١)؛
 معجم المؤلفين ١٠: ٥٢ (١١: ١١٨)، ترجمة مكرورة؛ النبوغ المغربي ٣٦٥؛ سركيس
 . ٦٩٧

القاضي ابن الأزرق

- هو قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن
 القاسم بن الأزرق الأصبحي الغرناطي من أهل وادي آش، وُلِدَ سَنَةَ ٨٣٢
 (١٤٢٨-١٤٢٩ م). تَلَقَّى ابْنَ الْأَزْرَقِ الْعِلْمَ فِي غَرْنَاطَةَ: لَازَمَ الْأَسْتَاذَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ
 أَحْمَدَ بْنِ قَتَّوحٍ مُفْتِي غَرْنَاطَةَ وَأَخَذَ عَنْهُ أَصُولَ الدِّينِ وَأَصُولَ الْفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالْمَنْطِقِ،
 وَحَضَرَ مَجَالِسَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ السَّرْفُسْتِيِّ - مُفْتِي غَرْنَاطَةَ أَيْضاً - فِي الْفِقْهِ
 وَحَضَرَ مَجَالِسَ قَاضِي الْجَمَاعَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَحْيٍ بْنِ شَرَفِ التَّلْسَانِيِّ.

وتولّى ابن الأزرق القضاء في غرناطة، ولكن لما اشتدَّ ضغطُ النصارى الإسبان
 على غرناطة غادرها إلى تِلْسانَ ثم إلى مِصْرَ ثم إلى الحِجَازِ فَحَجَّ ثم عاد إلى مِصْرَ؛ كُلُّ
 ذلك في سبيل الاستنجاد بملوك المسلمين، وأبرزهم يومذاك السلطان قايتباي
 (٨٧٢-٩٠١ هـ) من أسرة الماليك البرجية في مِصْرَ، ولكن دَعْوَتَهُ لم تُثْمِر.

وأحبَّ قايتباي أن يستفيد من علمِ ابن الأزرق ونزاهته فعيّنه في مَنْصِبِ قَاضِي
 الْقُضَاةِ فِي الْقُدْسِ. وَوَصَلَ ابْنُ الْأَزْرَقِ إِلَى الْقُدْسِ فِي سَادِسِ عَشَرَ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ

(١) هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن يوسف (من أتباع الحزبي السلافي)، ولد سنة ١٠٣٣ هـ
 (١٦٢٤ م) وتوفي ١١٠٩ هـ (١٦٩٨ م) - (بروكلمن، الملحق ٢: ٧٠٣، راجع ٣٥٩ سركيس ١٤٢٨).

(٢) يوسف بن إسماعيل السهائي، ولد سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) وتوفي سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣٢ م): أديب
 وشاعر وقبه مشدد، ألف عدداً كبيراً من الكتب أكثرها في الأمور الإسلامية مع حلة شديدة على
 الذين يخالفونه في شدّده (راجع الأعلام للزركلي ٩: ٢٨٩: ٨= ٢١٨).

٨٩٦ (١٤٩١/٨/٢١ م)، ولكنه تُوْفِيَ وشيكاً في سابع عَشَرَ ذي الحجة من سَنَةِ ٨٩٦
(١٤٩١/١٠/٢٠ م).

وفي ثاني ربيع الأول من سَنَةِ ٨٩٧ (١٤٩٢/١/٣ م) استولى النصارى على
الحمراء (نفتح الطيب ٤: ٥٢٥) وانتهى الحكم السياسي للمسلمين في الأندلس.

٢- كان القاضي ابن الأزرقي قتيماً وباحثاً متفناً غلب عليه النظر في العمران
البشري، فقد تَوَقَّرَ في كتابه: «الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك» (نحو
٨٨٣ هـ) و«بدائع السلوك في طبائع الملوك (بدائع السلوك في نظام الملوك)» على
تلخيص عدد من الآراء في مقدمة ابن خلدون أو محاكاتها. ولابن الأزرقي من الكتب
أيضاً: روضة الإعلام بمنزلة اللغة العربية من علوم الإسلام - شفاء الغليل في شرح
مختصر خليل^(١) - فتاوى.

وكان لابن الأزرقي نظم من شعر العلماء أكثره مقطعات مبنية على التورية (كلمة لها
مغنيان أحدهما قريب مألوف وثانيها بعيد ملموح). ويُنسب إليه قصيدة طويلة في سيرة
وسمين بيتاً في الهزل والسخر وبعض المجون (نفتح الطيب ٣: ٢٩٨-٣٠٣)، ولعلها
بعيدة عن منهجه. من هذه القصيدة:

لا أم لي، لا أم لي	إن لم أبرِّدْ شَجَني ^(٢)
وأخلعن في المجو	نِ والتصايب رَسَني ^(٣) .
أفسدي صديقاً كان لي	بنفسي يُعِدني:
فتارة أنصحُه،	وتارة ينصَحُني،
وتارة ألعنُه،	وتارة يلعنُني.
وربما أصفَعُه،	وربما يصفَعُني.....

(١) للشيخ خليل: بن إسحاق (٧٧٦) كتاب في الفقه المالكي اسمه «المختصر» مشهور جداً.

(٢) لا أم لي أو لا أب لي تعبير معناه: لت على حق، أو لت مستحقاً للكرامة (إن لم أفضل كذا وكذا).

(٣) المجون: الكلام المكشوف والأعمال المحجلة إذا مارسها صاحبها جهاراً. التصابي: فعل أفعال الصبا بمد
ذهاب زمنها (بتقدم السن). خلع الرسن: انغمس في الأعمال السيئة بلا مبالاة.

- قال ابن الأزرقي في إيجاز شيء من قول ابن خلدون في أهل العصبية:

.... ولا يصدق ذلك إلا إذا كانوا ذوي عصبية وأهل تسع واحد. وحسبنا تشدد شوكتهم ويخشى جانبهم ليا جبل في القلوب من الشفقة والنصرة على ذوي الرحم والقرابة. ومن ثم قال إخوة يوسف عليه السلام: ﴿لَئِن أَكَلَهُ الذُّبُّ وَغَنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾^(١). والمفترقون في النسب قل أن يجد أحد منهم نفرة على صاحبه يوم الكفاح على حد ما هي من ذوي الأرحام، فلا يفديرون لذلك على سكتى الفقر^(٢)، وإلا كانوا فرسة لمن سواهم.....

- ومن آرائه في التربية والتعليم (من كتاب بدائع السلك أيضاً):

ولقد كان شيخنا العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن فتوح قدس الله تعالى روحه يفتح لصاحب البحث مجالاً رحباً ويوسع المراجع له قبولاً ورحباً^(٣)، بل يطالب بذلك ويقتضيه ويختار طريق التعليم ويرتضيه توفيقاً على ما خلص له تحقيقه ووضوح له في معيار^(٤) الاختيار تدقيقه. وإلا فقد كان ما يليه غاية ما يتحصل ويتمهد به مختار ما يحفظ ويتأصل^(٥).....

ومخالفة التلميذ الشيخ في بعض المسائل - إذا كان لها وجه وعليها دليل قائم بقوله غير الشيخ من العلماء - ليس من سوء أدب التلميذ مع الشيخ، ولكن^(٦) مع ملازمة التوقير الدائم والإجلال الملائم. فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت^(٧)

(١) القرآن الكريم ١٢: ١٤ يوسف.

(٢) يرى ابن خلدون أن سكتى الفقر (البادية) بعيداً عن سلطة الدولة لا تتم إلا للجماعات القوية التي تستطيع الدفاع عن نفسها.

(٣) الشيخ: الأستاذ الكبير الذي يتولى تخريج الطلاب.

(٤) الرحب (بالفتح): صفة بمعنى التسع. الرحب (بالضم) مصدر بمعنى السعة.

(٥) التوقيف: النصr البات كأنه قاعدة. معيار: مقياس.

(٦) .. ما كان الشيخ يلقبه (من الدروس) غاية (نهاية، أسمى، كل) ما يتحصل (ما يمكن في باب تحصيل العلوم). ويتمهد (يستقر). يتأصل (يرسخ في النفس).

(٧) لكن.... المقصود: إذا كان مع التوقير للأستاذ.

(٨) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ابن عم الرسول) كان يسمى «ترجان القرآن» لعرفته بوجوه تفسير =

رَضِيََ اللهُ عَنْهُمْ، وكان قد أخذَ عنهم. وخالفَ كثيرٌ من التابعين بعضَ الصحابة، وإنَّا أخذوا العِلْمَ عنهم. وخالفَ مالكٌ^(١) كثيراً من أشياخه..... وكادَ كلُّ من أخذَ العِلْمَ أن يُخالِفَهُ بعضُ تلاميذه في عِدَّةِ مسائل، ولم يَزَلْ ذلكَ دأبَ التلاميذِ معَ الأساتيدِ إلى زماننا هذا. وشاهدنا ذلكَ في أشياخنا معَ أشياخهم رَحِمَهُمُ اللهُ تعالى. ولا يَنبغي للشيخِ أن يَتَبَرَّمَ من هذه المُخالِفَةِ إذا كانتَ على الوجهِ الذي وصفناه.

- ولاين الأزرق مقطعات فيها تورية:

★ ★ وربَّ محبوبَةٍ تَبَدَّتْ كأنها الشمسُ في حُلاها^(٢).
 فأعجَبَ لحالِ الأنام: مَنْ قد أَحَبَّها فَقَدَ قَلاها^(٣)!
 ★ ★ عُدْرِي في هذا الدُخانِ الذي جاوَرَ دارِي واضحٌ في البيان^(٤).
 قد قُتِمَ إِنَّ بِها زُخْرُفاً ولا يَلِي الزُخْرَفَ إلا الدُخانُ^(٥).
 ★ ★ تأمَلْتُ من حُسنِ الرِّبيعِ نِضارةً وقد غرَدَّتْ فوقَ الغُصونِ البِلايلُ.
 حَكَّتْ في غُصونِ الدُّوحِ قَفاً فصاحَةً لَتُعلمَ أَنَّ النَّبْتَ في الرُّوضِ باقِلُ^(٦).

- وقال عند وفاة والدته:

- = القرآن الكريم. ثم عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب. وزيد بن ثابت أخو حنان بن ثابت الشاعر.
 وزيد بن ثابت كان الذي تولى جمع سور القرآن الكريم بين دفعتي كتاب واحد (في مجلد واحد).
 (١) مالك بن أنس عالم أهل المدينة وأحد الأئمة في الفقه وفي رواية الحديث.
 (٢) المهجوبة كناية عن القطائف (نوع من المعجنات تحشى بالخبز عادة ثم تقلى بالسنن وتغمس بالفطر أو السكر المظلي بالماء حتى يصبح على شيء من الكثافة).
 (٣) التورية في كلمة «قلاها» (المعنى القريب: أبيضها لوجود القرينة «أحبها» - والمعنى البعيد المضمود «طبخها بالسنن».)
 (٤) يبدو أن الناس قد عاتبوا ابن الأزرق لوجود دخان يتصاعد من قرب بيته.
 (٥) في البيت توريتان. الزخرف (الذهب، الزينة) - والزخرف السورة الثالثة والأربعون في المصحف. والدخان (السُّخام الأسود المتصاعد من النار) - والدخان السورة الرابعة والأربعون في المصحف.
 (٦) حكى: شابه، مائل. الدوحة: الشجرة الكبيرة. قس من ساعدة الأيادي من خطباء العرب في الجاهلية كان مشهوراً بالفصاحة. التورية في «باقل» (باقل: نابت، لقرينة البست - وياقل كان رجلاً من بني إباد معروفاً بالعمى) (المعجز أو الكسل عن الكلام)، لقرينة قس (بن ساعدة الأيادي الذي كان مشهوراً بالفصاحة).

تقولُ لي، ودموعُ العينِ واكفةً: ما أفضَحَ البينَ والتَّرحالَ، يا وُلدي^(١)!
 فقلتُ: أينَ السُّرى؟ قالت: لِرَحْمَةٍ مَن قد عَزَّ في المُلْكِ لم يُولَدْ ولم يُلِدِ^(٢)

٤-★★ نيل الانتهاج: شجرة البور الزكية ٢٦٦؛ نفع الطيب ٢: ٦٩٩-٧٠٤، ٣: ٢٩٨-٣٠٣، راجع ٦: ١٥١-١٥٣، ٤٤٧؛ أزهار الرياض ٣: ٣١٧-٣٢٣؛ بروكلمن ٢: ٣٤٣؛ الأصاله (السنة الثالثة- الممد ١٣) ص ١٢١-١٢٤؛ الأعلام للزركلي ٧: ١٨١ (٦: ٢٨٩)؛ معجم المؤلفين ١: ٤٣.

القلصاديّ

١- هو أبو الحسن عليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عليِّ القُرَشِيِّ البَسْطِيِّ الأندلسيُّ المغربي الشهيرُ بالقلصاديّ، أصلُه من بَسْطَةَ (على مَقَرَّبَةٍ من غرناطة شرقاً في شَال). وفي بَسْطَةَ كان مَوْلدهُ سَنَةَ ٨١٥ للهجرة (١٤١٢-١٤١٣ م).

اتَّقلَّ القلصاديُّ إلى غرناطة وأَسْتَوطنَها لطلبِ العِلْمِ فقرأ فيها على إبراهيم بنِ أَحَدِ أبْنِ فُتُوْحٍ مُفْتِي غرناطة (وكانت له مشاركةٌ في عِلْمِ الأصولِ والنحوِ والفلكِ، كما كانت له أرجوزةٌ في النجوم). وكذلك قرأ فيها على أبي عبدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ السَّرْقُطِيِّ، وكان فقيهاً ومُفْتِيّاً.

ورَحَلَ القلصاديُّ إلى المَشْرِقِ، فمَرَّ في طريقِهِ بِتِلْمَسَانَ فقرأ على يوسف بنِ سُلَيْمَانَ ومُحَمَّدِ بنِ النُّجَّارِ والشَّريفِ مُحَمَّدِ المَرُوفِ بلقبِ حَمُو. ومن أشهرِ شيوخِهِ في تِلْمَسَانَ أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ مَرْزُوقِ الحَفِيدِ (راجع المختارات).

ثمَّ أَرَحَلَ من تِلْمَسَانَ إلى حاضرةِ تُونِسَ وأخذ عن قاضي الجماعة أبي الفضلِ قاسمِ أبْنِ عِقَابِ والقشائريِّ وحلولو^(٣). ومن تُونِسَ تابعَ سيرَهُ إلى المَشْرِقِ فحجَّ وَسَمِعَ من نَفَرٍ من

(١) الواكف: السائل، المتحدِّث. البين: البعاد والفراق.

(٢) السرى: السير (ليلاً)، الذهاب. عز: قوي. لم يولد ولم يلد: هو الله تعالى (راجع القرآن الكريم ١١٢: ٣ الإخلاص).

(٣) راجع نفع الطيب ٢: ٦٩٢-٦٩٣ ابن عقاب (٤). القشائري هو قاضي الجماعة في تونس أبو العباس أحمد ابن محمد القشائري المتوفى سنة ٨٦٣ للهجرة (شجرة البور الزكية، ص ٢٥٨، رقم ٩٤٣). وحلولو هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن البيضايني القروي (نسبة إلى القيروان) قاضي طرابلس الغرب، كان لا يزال حياً سنة ٨٧٥ للهجرة (شجرة البور الزكية، ص ٢٥٩، رقم ٩٤٧).

العلماء مِنْهُمْ الحافظُ أَبُو حَجَرٍ الصَّقْلَانِيّ (ت ٨٥٢ هـ) وجمالُ الدينِ المَحَلِّيّ (ت ٨٦٤ هـ) وتقيّ الدينِ أَبِي العَبَّاسِ الشُّمَيْمِيّ الصَّرِيّ (ت ٨٧٢ هـ) ومن القاريّ محبُّ الدينِ أَبِي القاسِمِ مُحَمَّدِ التُّوَيْرِيّ المِصْرِيّ (ت ٨٥٧ هـ) وغيرِهِم.

ثمَّ عاد القَلَّصَادِيُّ إلى عَرَاطة. ولَمَّا أَشَدَّتْ وطأةُ الإِسْبَانِ النَّصَارَى على عَرَاطة جَدَّدَ القَلَّصَادِيُّ الرِّحْلَةَ فجاء إلى إفريقيّة (القَطْرُ التُّونِسِيّ). ويبدو أَنَّهُ أَسْتَقَرَّ في بَاجَة (في الشَّمالِ الغربيِّ من القَطْرِ التُّونِسِيّ)، وفيها كانت وفاته في مُنْتَصَفِ ذِي الحِجَّةِ من سَنَةِ ٨٩١ (١٢/١٢/١٤٨٦ م).

٢- للقَلَّصَادِيِّ فضلٌ على علمِ الرِّياضيَّاتِ بأنَّ تَوَسَّعَ في اسْتِخدامِ الرُّمُوزِ في بِناءِ المُعادلاتِ الجَبْرِيَّةِ وفي مُحاولته لاسْتِخراجِ القِيَمَةِ التَّقْرِيبيَّةِ للجَذْرِ الأَصَمِّ^(١).

والقَلَّصَادِيُّ مُصَنِّفٌ مُكَثَّرٌ في اللُّغَةِ والنحو والبلاغة والعروض والحديث والفقه، وفي الفرائض (تقسيم الإرث خاصة) وفي المنطق. ولكنَّ أَكثَرَ تَأليفِهِ في علمِ الحِسابِ من علمِ العَدَدِ (خواصَّ الأعداد) والحِسابِ والجبر والمهندسة والفلك. وأشهرُ كُتُبِهِ: قانونُ (علمِ) الحِسابِ وَغُنْيَةُ ذَوِي الألبابِ - شرح تلخيص أعمالِ الحِسابِ لابنِ البَنَاءِ - كَشْفُ الجِلْبَابِ عن علمِ الحِسابِ - كَشْفُ الأَسْرارِ (الأستار) عن علمِ (وَضْعِ) حروفِ العُبَّارِ^(٢) (وفيه العملُ بالأعداد الصحيحة: جمعها وطرحها، إلخ وبالكَسورِ وجذورِ الأعداد الصحيحةِ وكسورها وبالجبر والمقابلة وغير ذلك) - بُغْيَةُ المُتَبَدِّي وَغُنْيَةُ المُتَمَهِّي (في علمِ الفرائضِ وتقسيمِ الارث، على المذاهبِ الأربعة) - شرحُ فرائضِ الشَّيخِ خَلِيلِ

(١) العدد الأصمُّ هو العدد الذي لا جذر تامًّا له. والجذر عدد إذا ضربته بنفسه نتج (بالبناء للمجهول) منه عدد آخر (هو مربع العدد الذي ضربته بنفسه). إنَّ العدد «١٦» له جذر تامُّ هو أربعة. ولكن العدد «١٧» ليس له جذر تامُّ (إنَّ جذره أربعة ثم كسر غير متناه: ٥٦٢٥-١٢٣١٠) (إلى بين الواحد المنطوق أعداد غير متناهية).

(٢) حروف العبار أو الحروف العبارية هي الأرقام المشتقة من الأصل الهندي إذا كتب كلُّ رقم من اليسار إلى اليمين (كالأرقام التي تكتب اليوم في المغرب وفي اللغات الأجنبية). أمَّا إذا كتب كل رقم من اليمين إلى اليسار فيتكوَّن منه ما نسميه بالأرقام الهندية، وهي المستخدمة في الشرق ١، ٢، ٣، ٤، ٥، إلخ. والعمل (حل المسائل) بالأرقام بسَمِّي الحِسابِ الهندي. أمَّا العمل بالأحرف (أ=١، ب=٢، ج=٣، د=٤، هـ=٥، و=٦) (إلى آخر حروف الأبجدية) فيسَمَّى الحِسابِ الرومي.

٣- مختارات من آثاره:

- قال القلصاديُّ في رحلته يذكرُ بَلَدَه بَسْطَةَ (نفع الطيب ٦: ٤٤٦-٤٤٧):

سقى الله تعالى أرجاءها المُشرقة وأغصانها المورقة شايِبَ الإحسان، ومهدّها بالمُهدنة والأمان. دارٌ نخجلُ منها الدُّورُ، وتتناصر عنها القصورُ وتقرُّ لها بالقصور، مع ما حوته من المحاسن والفضائل من صحّة أجسام أهلها وما طُبِعوا عليه من كرمِ السائل. وحبُّكَ فيها عدَمُ الحرجِ أنْ داخلها بابَ الفرجِ.....

- من شيوخ القلصاديِّ: من رحلته (نفع الطيب ٥: ٤٢٦-٤٢٧؛ راجع نبيل الابتهاج ٧٩-٨٠، وبين التّصنُّين خِلافٌ في السِّياق).

أدرکتُ كثيراً من العلماء والمُعبّاد والزّهاد والصّالحاء أولاهم في الذّکر والتّقديم الشیخُ الفقیه الإمام العلامَةُ الکبیرُ الشهیرُ شیخنا بَرکنا أبو عبدِ الله بنُ مرزوق، حلَّ کَتَفَ العِلْمِ والمُلا، وجلَّ قدره في الجِلَّةِ الفُضْلا. قطعَ اللَّیالی ساهرا وقطفَ من العِلمِ أزاهرا، فأثمرَ وأورقَ وغربَ وشرقَ حتى توغَّلَ في فنونِ العِلمِ وأستغرقَ، إلى أنْ طلَّعَ للأبصارِ هِلالاً لأنَّ الغُربَ مَطْلَعُه، وسأَ في النفوسِ مَوْضِعُه ومَوْقِعُه. فلا ترى أحسنَ من لِقائِه ولا أسهلَ من لِقائِه. لَقِيَ الشیوخَ الأکابرَ، وبَقِيَ حَمْدُه مَتَعَرِّفاً من بطونِ الکتابِ وألینةِ الأَقلامِ وأفواءِ الحابِر. وكان، رَضِيَ اللهُ عَنْه، من رجالِ الدنیا والآخرة.

(١) خليل ابن إسحاق (ت ٧٧٦ هـ) فقه مالكي. وهو غير خليل بن إسحاق (ت ٣٣٢ هـ) الشاعر المذكور في الجزء الرابع من هذا الكتاب (ص ٢٢٤-٢٢٦).

(٢) ابن الياسين هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حجاج من أهل فاس، برع في عدد من العلوم والفنون. وشهرته الأولى في الرياضيات، وله مقدرة في نظم الشعر. له أرجوزة في الجبر قرئت عليه في إشبيلية، سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١ م). وكانت وفاته سنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤-٢٢٠٥ م). ومن أرجوزته:

عسى ثلاثية بدور الجبر: المال والأعداد ثم الجذر.
والعدد المطلق ما لم يُنسب للمال أو للجذر، فأفهم تُصَيَّب.
والجذر والشيء بمعنى واحد، كالقول في لفظ أبٍ ووالد.

(راجع التبوع المغربي ١١٥٧ مجلّة «العربي» - الكويت ١٩٨٢/٥ م، ص ١٦٤).

إلقاء دروسه.

وكانت أوقاته كلها معمورة^(١) بالطاعات ليلاً ونهاراً، من صلاة وقراءة قرآن وتدریس وعلمٍ وقتياً وتصنيف. وكانت له أوراد^(٢) معلومة وأوقات^(٣) مشهورة. وكانت له بالعلم عناية تُكشِفُ بها العمایة، ودرایة تُعْضِدُهَا الرّوایة ونباهة تُكسِبُ النزاهة. قرأت عليه - رضي الله عنه - بعض كتابه في الفرائض وأواخر إيضاح الفارسي شيئاً من شرح التسهيل^(٤). وعرضت عليه إعراب القرآن^(٥) وصحيح البخاري والشاطبيتين^(٦) وأكثر آين الحاجب القرعبي^(٧) والتلقين وتسهيل ابن مالك^(٨) والألفية^(٩) والكافية^(١٠) وآين الصلاح في علم الحديث^(١١) ومنهاج الغزالي^(١٢) وبعض الرسالة^(١٣) وغيرها. ثم توفي يوم الخميس بمصر رابع عشر شعبان عام اثنين وأربعين وثمانمائة. وصلي عليه بالجامع.

- (١) معمورة بالطاعات (ملوءة بأنواع العبادات).
- (٢) الورد (بالكسر): جل مميّنة يرددها نفر من العابدين بعد الصلاة أو في أوقات معلومة (يتخذونها لذلك).
- (٣) أوقات مشهورة (معروفة عند الناس). في الحاشية: مشهودة (بالدال): يحضرها عدد كبير من الناس.
- (٤) لعله: شرح تسهيل الفوائد (في النحو) لأثير الدين أبي حيان الفراهيدي المتوفى سنة ٧٤٤ للهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ١: ١٣٦).
- (٥) عرضت عليه (قرأت عليه للتأكد من معرفتي السابقة) إعراب القرآن. و«إعراب القرآن» عنوان لعدد من الكتب، ولعل المقصود هنا كتاب أبي حيان أثير الدين (راجع الحاشية السابقة).
- (٦) لأبي محمد القاسم بن فيره الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ) أرجوزتان (تعرف كل واحدة منها بالشاطبية): حرز الأماني في الفراءات (راجع ترجمة الشاطبي) ثم عقيلة أتراب القوائد في أسنى المقاصد، وهي نظم لكتاب المتن (في رسم: خطّ المصاحف، أو التهجئة الخاصة بكتابة المصحف) لأبي عثمان الدائمي الأندلسي (ت ٤٤٤ هـ).
- (٧) كتاب أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب المصري (ت ٦٤٦ هـ) في الفقه.
- (٨) التلقين اسم لكتب منها: التلقين في فروع الفقه للإمام المازري الصقلي (ت ٥٣٦ هـ). ومنها التلقين في النحو للمكبري (بالضم) أبي البقاء عبد الله بن الحسين (ت ٦٦٦ هـ). ثم التسهيل لابن مالك النحوي (ت ٦٧٢ هـ) في النحو.
- (٩) الألفية لابن مالك (٤).
- (١٠) الكافية (في النحو) لأبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ).
- (١١) ابن الصلاح: صلاح الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن من علماء التصير والحديث والفقه (ت ٦٤٣ هـ) تولى التدريس في «دار الحديث» (في دمشق)، له كتاب «معرفة أنواع علم الحديث» (ويعرف بمقدمة ابن الصلاح).
- (١٢) منهاج العابدين (في التصوف) للغزالي (ت ٥٠٥ هـ).
- (١٣) الرسالة (في الفقه المالكي) لابن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦ هـ).

الاعظم. وحَضَرَ جِنازَتَهُ السُّلطانُ^(١) فَمَنْ دَوَنَهُ. ولم أَرَ مِثْلَها قَبْلُ. وأَيْفَ الناسُ لَفَقَدِهِ....

- عليّ بن موسى القرباعي^(٢): من رحلة القلصادي (نص ذكر مُلخَّصاً في نيل الابتهاج ٢٠٧):

شيخنا وبركنا الفقيه الإمام الصدر العَلمَ الخطيبُ الخطيرُ الكبيرُ الشهيرُ أوحدُ الزمانِ وفريدُ البيانِ العديمُ الأقرانِ المُتقى المُؤلفُ المُدرِّسُ المُصنِّفُ الذاكِرُ لأحوالِ العربِ وأسابيها حافظاً لُغاتها وأدائها، له في الرِيبَةِ أوفرُ نصيبٍ، وفي التفسيرِ والحديثِ والأصولِ والطبِّ سَهْمٌ مُصيبٌ، حتّى أرتمى لِدَرَجَةٍ عاليةٍ ورُتَبَةٍ ساميةٍ فَشَهِدَ له بالفضلِ في الغَيْبَةِ والعيانِ، وأقرَّ له صديقُه وحاسدُه للدليلِ والبرهانِ. قرأتُ عليه التلقينَ والإيضاحَ للفاسي^(٣) (٤) وأباضاً^(٥) من الجلاب^(٦) وابنِ الحاجبِ الفرعي^(٧) وتمييحَ القوافي^(٨) وفضيحَ ثعلب^(٩) وألفيةَ ابنِ مالكٍ وأدبَ الكاتبِ لابنِ قُتَيْبَةَ^(١٠)، وتأليفَه المسمّى بالْبَصيرةِ الكافيةِ في عِلْمِي العروضِ والقافيةِ^(١١) على الخَزرجيةِ^(١٢). وحَضَرْتُ عليه كثيراً من التفسيرِ و(من) كُتُبِ مُتَعَدِّدَةٍ في عُلومِ شَيْءٍ. وكان كثيراً ما

(١) كانت وفاة القلصادي في أيام السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان بن محمد (٨٣٩-٨٩٣ هـ).
(٢) قرباقة.

(٣) التلقين (راجع النص السابق). الإيضاح للفاسي (٤).

(٤) أباض (أشياء متفرقة من الكتب).

(٥) في بروكلمن (الملحق ١ : ٥٩٨): أبو عبد الله محمد بن أحمد (بن) الجلاب (ت ٦٦٤ هـ) له كتاب (مجموع أشعار): روح النمر ودوح النجر.

(٦) ابن الحاجب (راجع النص السابق).

(٧) تمييح القوافي (٤) - لعلّه شرح تمييح الفصول للقرافي أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي المصري (ت ٦٨٤ هـ). والكتاب في الفقه المالكي.

(٨) كتاب «الفضيح» لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ).

(٩) ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ).

(١٠) البصرة إلخ (٤). تأليف القرباعي (٤).

(١١) على الخَزرجية (البصرة إلخ) حاشية أو شرح على الخَزرجية أو القصيدة الخَزرجية، وعنوانها: الرامزة الشافية في علم العروض والقافية لأبي محمد عبد الله محمد الأنصاري الأندلسي (ت ٦٢٦ هـ).

يَمْتَلُّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ (١):

وزَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ (٢) وطولُ أختياري صاحباً بعدَ صاحبٍ .
فَلَمْ تُرِنِي الْأَيَّامُ خِلاَّ تَسْرُئِي مباديه إلا ساءني في العواقب (٣) .
ولا قَلْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلْمَةِ من الدهرِ إلا كان إحدى المصائب (٤) .

ولذا كان لا يُخالطُ النَّاسَ، مَعَ نِزَاهَةِ نَفْسٍ وَأَرْتِفَاعِ هِمَّةٍ، كَثِيرَ الصَّمْتِ فَصِيحَ
اللِّسَانِ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ حُطْبِهِ وَوَعظِهِ فِيمَا رَأَيْتُ مِنَ الْبُلْدَانِ. وَغَضِبَ عَلَيْهِ بَعْضُ
الْجَبَابِرَةِ (٥) فَأَخْرَجَهُ مِنْ بَسْطَةِ الْبِرْشَانَةِ (٦) فَأَقَامَ بِهَا عَشْرَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَادَ لِبَسْطَةَ إِلَى أَنْ
تُوُفِّيَ بِهَا فِي الْوَبَاءِ (٧)، عَاشِرَ صَفَرٍ، عَامَ أَرْبَعَةِ وَأَرْبَعِينَ وَثَمَانِيَةَ. وَصَلِّيَ عَلَيْهِ خَارِجَ
الْمَدِينَةِ لِكَثْرَةِ النَّاسِ فِي جِنَازَتِهِ.

٤ - بغية المهدي وغنية المنتهى، فاس - بلا تاريخ.

- شرح الأرجوزة الياسينية.

- كشف أَسْتَارِ الْفَارِ، فاس ١٣١٥ مع كتاب «بغية المهدي»، مصر ١٣٠٩ هـ.

- شرح فرائض الشيخ خليل المالكي، فاس (طبع حجر) ١٢٩٣ هـ.

* * نيل الانتهاج ٢٠٩ - ٢١٠؛ الضوء اللامع ٥: ١٤ - ١٥؛ نوح الطيب ٢: ٦٩٢ - ٦٩٤،

٥: ٤٢٦ - ٤٢٧، ٦: ٤٤٦ - ٤٤٧؛ دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٧٦ - ٤٧٧؛ بروكلمن

٢: ٣٤٣ - ٣٤٤، الملحق ٢: ٣٧٨ - ٣٧٩؛ تراث العرب العلمي لقدري طوقان (طبعة

ثالثة) ص ٤٦١ - ٤٦٥؛ شجرة النور الزكية ٢٦١ (رقم ٩٥٩)؛ الأعلام للزركلي ٥: ١٦٣

(١٠)، معجم المؤلفين ٧: ٢٣٠؛ مركب ٤٥٧ - ٤٥٨، ٤٤٤ - ١٤٤٥.

(١) الشعر للمعتمد بن صراح الأندلسي (راجع وفيات الأعيان ٥: ٤٠).

(٢) هذا الشطر من لزومية للمعري: (وزهدني... وعلمي بأن العالمين هباء).

(٣) مبادئه (في أول أمره).

(٤) الملمة: النازلة (المصيبة) الشديدة.

(٥) الجبابرة: الولاة الظالمون أو المتسلطون القساء.

(٦) اقرأ: من بسطة إلى البرشانة. بسطة في الجنوب الشرقي من الأندلس (إلى الشمال من المرية). البرشانة

يجب أن تكون قريبة من غرناطة.

(٧) (٤).

عبد الكريم الغرناطي

١- هو عبد الكريم بن محمد القيسي الغرناطي، وُلد في بَسْطَةَ - على مائة وعشرين كيلومتراً شمال شرقي غرناطة - في أوائل القرن التاسع للهجرة. وبرز عبد الكريم الغرناطي في الفقه وعمل في التوثيق (تسجيل العقود في المحكمة)، ولكنه لم يكن على شيء من بسطة العيش. ولكن يبدو أنه كان على شيء من الشهرة في الفقه والدين، فقد دعاه أهل برجة (من ملحقات المرية) في أحد شهور رمضان ليؤمهم في مسجدهم ويعيظهم. ولقد نعيم في أثناء ذلك بشيء من طيب العيش.

ثم حدثت فُرْة بينه وبين ابن الأحول قاضي بسطة فاضطراً إلى مغادرتها وانتقل إلى مالقة ثم انتقل، فيما يبدو، إلى غرناطة واستقر فيها. وفي غرناطة اتصل بشيوخ الفزاة (قادة الحامية التي وضعها ملوك المغرب من بني مرين في الأندلس للدفاع عن أهلها) ومدح منهم الوزير إبراهيم بن عبد البر وأبا الحسن الشريف. ثم نشأت عنده ناشئة الجهاد فحاض المارك. ولكنه وقع في الأسر وبقي فيه عدداً من السنين. ثم اتفق أن أطلق سراحه فعاد إلى غرناطة.

وطالت حياة عبد الكريم الغرناطي حتى رأى أبا عبد الله محمد بن الأزرق، وقد توفي في مصر سنة ٨٩٠ هـ. ويبدو أنه لم يعيش بعد ذلك طويلاً، ولعل وفاته كانت قبيل سقوط الأندلس سنة ٨٩٨ هـ (١٤٩٢ م).

٢- كان عبد الكريم الغرناطي فقيهاً عالماً، وكان شاعراً واضح التعبير كثير الصدق والإخلاص قليل التكلف ولكنه كان محباً للمبالغة. وفنون شعره الوصف والغزل مع العفاف ثم رثاء الأفراد والممالك ثم الهجاء. ونجد في شعره شيئاً من الحوار وقليلاً من الأنافة.

٣- مختارات من شعره

- قال عبد الكريم الغرناطي يذكر طيب عيشه في برجة:

وفي بَرَجَةٍ مَثْوَايَ حَيْثُ تَبَسَّمتُ
أروحُ وأغدو بين قومٍ تواطأوا
أمثُلُ شخصي بينهم في حديقة

تُغورُ الأفاحي من بكاء الغمام^(١)
قديماً على إكرامِ كُلِّ إمام^(٢)
سقاها سحابُ الجوّ صوبَ سِجَام^(٣)

- وقال يصفُ بُؤْسَ حياتِهِ في الأسر:

واحترتَا ! بعدَ اشتغالي بالعلو
أمنسي وأصبحُ خادماً مُتصرِّفاً
إن لم أكنُ بالهفرِ مُشتغلاً أكنُ

مِ ودزسها وتلاوة القرآنِ،
.....^(٥)

والكسُّ في يومِ الجلوسِ صناعتي،
وبضل أقدارِ الكِلابِ تحزُّمي
بأهذمٍ مشتغلاً مع البُنيانِ^(٦)
والرشُّ يتبَّهه مدى الأحيانِ^(٧)
في أكثرِ الأوقاتِ والأزمانِ^(٨)

- وقال في أسره يتغزَّلُ بصبيَّةٍ نصرانية:

وأعجبُ عبَادِ الصليبِ صبيَّةٌ
فبتُ حليفَ الهَمِّ من فرطِ حبِّها
سبَّني بوجهٍ مثلِ بذرٍ مُتمِّم^(٩)
وباتتُ بهجري في فراشٍ تتمِّم^(١٠)

- (١) المتوي: الغمام والسكى (بضم الميم الثانية والسين). تبسَّت تغور.....: كثر تفتح زهر الاقحوان
كثرة المطر.
- (٢) الإمام: الذي يعصِّي بالناس (دليل على تقواهم). الإمام: كلُّ بارع في علم (دليل على إدراكهم قيمة العلم
ومكانة العلماء).
- (٣) الصوب: المطر بمقدار ينفع ولا يؤذي. السجام: هطول المطر.
- (٤) أمّ الرجل القوم: صلى بهم إماماً وصلوا هم وراءه مقتدين به. الجماعة: صلاة القوم معاً. مقيمين للخمس
الفروض: يصلون الصلوات الخمس (في اليوم واللييلة) ولا يتهاونون فيها.
- (٥) قطع الرقيب اللباني هذا النظر (إذ يبدو أنه كان تعبيراً عن أمر لا يرضاه النصارى) - من أسفل
المعود الثاني من الصفحة ٥٧ من جملة « العربي » (الكويت) من « عدد » تشرين الأول (أكتوبر) من عام
١٩٦٧م.
- (٦) يمثل بحفر الأرض أو بالبنيان.
- (٧) يوم الجلوس: يوم التعطيل (الأحد؟).
- (٨) لا أعلم إذا كانت كلمة « الكلاب » هنا مستعملة على الحقيقة أو على المجاز. التحرم: العمل بجد (بكسر
الهميم).
- (٩) سبني: أسرقني.
- (١٠) حليف: شريك، رفيق. الفرط: الكثرة.

وَمِ نَعْمَتِنِي مِنْ لَذِيذِ وَصَالِهَا
 قَبِلْتُ مِنْهَا الْخَدَّ وَهُوَ مُورِدٌ
 وَمَالَتْ بَفَرْطِ السُّكْرِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ
 وَلَوْلَا عَفَافِي وَأَتْقَاءِ عِتَابِهَا
 بِمَا لَمْ تَصِلْ نَفْسِي لَهُ بَتَوَهُمٍ .
 وَتَبَيْتُ بِالثَّغْرِ الْمَلِيحِ التَّبَسُّمِ .
 كَمَلِيلِ الصَّبَا صُبْحًا بِنُضْنِ مُنَمِّ (١)
 تَمَتَّعْتُ مِنْهَا بِالْمَحَلِّ الْحَرَمِ (٢) .

٤- ** حَمَلَةٌ « العربي » (الكويت، تشرين الأول - أكتوبر ١٩٦٧ م، ص ٥٣ - ٦٤ : عبد
 الكريم الغرناطي، بقلم محمود علي مكي (يبدو أن صاحب المقال قد نشر كتاباً عن
 عبد الكريم هذا، أو كتاباً لعبد الكريم هذا)، ولم أستطع أنا أن أرى ذلك الكتاب .

زَرَّوقُ الْبُرْنَسِيِّ

١- هو أَحَدُ بَنِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَيْسَى الْبُرْنَسِيِّ الشَّهِيرِ بِلِقَبِ زَرَّوقٍ (*)، وُلِدَ يَوْمَ
 الْخَمِيسِ فِي الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الْمُحَرَّمِ مِنْ سَنَةِ ٨٤٦ (١٤٤٢/٦/٨ م).

حَفِظَ زَرَّوقُ الْقُرْآنَ فِي الْمَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ . وَفِي السَّادَةِ عَشْرَةَ بِدَأْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ (٣)
 وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ عَلَى نَفَرٍ كَثِيرِينَ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ وَأَخَذَ التَّصَوُّفَ خَاصَّةً عَنْ نَفَرٍ مِنْهُمْ
 إِبْرَاهِيمَ التَّازِيَّ (ت ٨٦٦ هـ) . رَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ فَحَجَّ مِرَاراً وَقَرَأَ فِيهِ التَّصَوُّفَ عَلَى
 جَمَاعَةٍ ثُمَّ عَادَ . وَقَدْ تَوَفَّيَ فِي تَكْرُورٍ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسِ (لِيبْيَا) * فِي الثَّانِي مِنْ صَفَرٍ مِنْ
 سَنَةِ ٨٩٩ (١١ / ١٢ / ١٤٩٣ م) .

٢- كَانَ زَرَّوقُ الْبُرْنَسِيِّ مُصَوِّفًا تُنَسَّبُ إِلَيْهِ كِرَامَاتٌ كَثِيرَةٌ كَمَا كَانَ وَاسِعَ الْمَعْرِفَةِ

(١) مريضة: مريضة الأجان (ناعمة العينين) من صفات النساء الحسان. الصبا: ريح الشرق الخفيفة الباردة.
 الفصن النعم (الناعم) لأنه يهترز مع الريح بسهولة.

(٢) المحل (الشبه الذي تمدّه هي حلالاً) الحرم (الذي حرّمه الإسلام).

(*) ولد زروق يوم الخميس . ثم توفيت أمه يوم السبت التالي، ثم توفي أبوه أيضاً يوم الثلاثاء بعد ذلك
 السبت.

(٣) قراءة القرآن: حفظ القرآن غيباً وتجوّده (أحكام قراءته) وتفسيره وقراءاته والناسخ فيه والمنسوخ.

(*) تكرر في السودان الغربي (غربي إفريقيا، جنوب الجزائر). وقوله (هنا): من أعمال طرابلس (على
 سبيل التقريب).

بَعْدَ من العلوم. وله تَأْلِيفُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَلَكِنْ مَعْظَمُهَا شُرُوحٌ مُوجِزَةٌ عَلَى تَأْلِيفِ فِي الفِيقِ والحديث والتصوّف. فمن كتبه: جزء في علم الحديث - تعليق على صحيح البخاري - شرح « مختصر خليل » - الجَنَّةُ للمعتصم من البِدْعِ بالسُّنَّةِ - شرح رسالة ابن أبي زيد - شرح المقدمة القرطبية - شرح العقيدة القدسية - النصيحة الكافية لمن خصّه الله بالعافية - القواعد (في التصوّف) - تهديد (في تأسيس عقائد التصوف وأصوله) - البدع التي يفعلها الفقراء (الصوفيون) - دعاء الصباح - ودعاء المساء - كناشة - رحلة - الوظيفة الزرّوقية.

٣ - مختارات من آثاره

- يُنسَبُ إلى زَرُوقِ البِرُّنْسِيِّ نَظْمٌ صرَحَ فِيهِ بما زَعَمَ أَن الله أعطاه من القُدرة على الأَعْمَالِ التي هي في الأَصْلِ من أَعْمَالِ الله تَعَالَى (والتصريحُ بِبِذَلِكَ عَيْبٌ عِنْدَ كِبَارِ الصُوفِيَةِ):

أَلَا قَد هَجَرْتُ الخَلْقَ طَرًّا بِأَسْرِهِمْ	لَعَلِّي أَرَى مَحْبُوبَ قَلْبِي يُمَقِّلَتِي ^(١) .
وَعَلَّقْتُ قَلْبِي بِالْمَعَالِي تَهْمًا	وَكُوْشِفْتُ بِالتَّحْقِيقِ مِن غَيْرِ مَرِيَّةٍ ^(٢) .
وَقُلَّدْتُ سَيْفَ العِزِّ فِي مَجْمَعِ الوَعْيِ	وَصِيرْتُ إِمَامَ الوَقْتِ صَاحِبَ رُفْعَةٍ ^(٣) .
وَمُلِكْتُ أَرْضَ الغَرَبِ طَرًّا بِأَسْرِهَا	وَكُلَّ بِلَادِ الشَّرْقِ فِي عِلْمِي قَبْضَتِي ^(٤) .
فَأَعَزَّلْتُ قَوْمًا تَمَّ أُولَى سِوَاهُمْ،	وَأُعْلِي مَنَارَ البُضْرِ فَوْقَ المِنْصَةِ ^(٥) .
وَأَجْبَرْتُ مَكُورًا وَأَشْهَرَ خَامِلًا	وَأَرْفَعُ مِقْدَارًا بِأَرْفَعِ هِمَّتِي.

-
- (١) طَرًّا، بِأَسْرِهِمْ: كلهم. محبوب قلبي: الله. أرى الله يفتلي: أتق بوجوده ويصنمه كأني أراه بعيني.
- (٢) في الغاموس: تَهْمٌ الرَجُلُ الشَّيْءَ (تَحَمُّهُ). والشاعر يقصد « اهتماماً شديداً ». « كوشف الصوفي: كشف الله له عن حقائق الوجود وعن المستقبل. المرية: الشكّ.
- (٣) وَقُلَّدْتُ... أعطيت اللطلة العظيمة. أمام الوقت: الإنسان الوحيد في زمن ما، إذا كان يملك اللطلة الخارجة في العادة عن طاقة البشر.
- (٤) فِي عِلْمِي قَبْضَتِي: أطوي عليها يدي (أفضل بها ما أشاء).
- (٥) أُولَى المَاحِكِ فَلَانًا أَمْرًا: جملة والياً (ضدّ عزل). أعلي (أرفع) منار (تعدّل) المنصة الطاولة. أعلى منار... أجعل أمرهم مشهوراً.

وأَقَهْرُ جَبَّاراً وَأَدْحَضُ ظَالِماً
 وَأَلْهَمْتُ أَسْرَاراً وَأَعْطَيْتُ حِكْمَةً
 أَنَا لِمُرِيدِي جَامِعٌ لَشَتَاتِهِ
 وَإِنْ كُنْتَ فِي كَرْبٍ وَضِيقٍ وَكُرْبَةٍ،
 - ومن كلامه في بعض رسائله:

طُفْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَفَارِهَا فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَاسْتَعْمَلْتُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الْمَذْكُورَةِ
 فِي مُعَالَجَةِ النَّفْسِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ فِي مَرْضَاةِ الْحَقِّ. فَمَا طَلَبْتُ قُرْبَ الْحَقِّ بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ
 مُبِيدِي، وَلَا عَمِلْتُ فِي مَعَالَجَتِهَا بِشَيْءٍ إِلَّا كَانَ لَهَا مُعِيناً^(١). وَلَا تَوَجَّهْتُ لِإِرْضَاءِ الْخَلْقِ
 إِلَّا كَانَ غَيْرَ مُوفٍ بِالْمَقْصُودِ^(٢). فَفَزَعْتُ إِلَى الْجَبِّ إِلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجَمِيعِ فَخَرَجْتُ
 بِفَضْلِ ذَلِكَ عَلَّةَ رُؤْيَةِ الْأَسْبَابِ^(٣). فَفَزَعْتُ إِلَى الْإِسْتِسْلَامِ فَخَرَجَ لِي مِنْهُ رُؤْيَةٌ وَجُودِي
 وَهُوَ رَأْسُ الْعَلَلِ. فَطَرَحْتُ نَفْسِي بَيْنَ يَدَيْ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ طَرْحاً لَا يَضْحَبُهُ حَوْلٌ وَلَا
 قُوَّةَ^(٤)، فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ السَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (إِنَّمَا هِيَ) بِالتَّيَرِّيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَ(أَنَّ)
 الْغَنِيْمَةَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ (أَنَّمَا هِيَ) بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ^(٥).

- وَقَالَ الشَّيْخُ زَرَّوقٌ فِي أَصُولِ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَتَّبِعُهَا (النَّبُوغِ الْمَغْرِبِيِّ،

٦٣٤ وما بعد):

- (١) دَحَضُ وَأَدْحَضُ التَّدْمُ: أَرْزَلَهَا (جَعَلَهَا تَزَلِقُ) وَأَبْطَلَ الْحِجَّةَ. أَدْحَضُ الظَّالِمُ: أَرْزَحَهُ عَنْ مَوْقِعِهِ (أَسْمَهُ عَنِ الظُّلْمِ أَوْ أَهْرَمَهُ وَأَقَهْرَهُ).
- (٢) الْمُرِيدُ (لِلشَّيْخِ الصُّوفِيِّ) كَالْتَلْمِذِ (لِلأُسْتَاذِ).
- (٣) كَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْرِفَ اللَّهَ بوساطةِ شَيْءٍ (مِنَ الْخُلُوقَاتِ) زَادَ جَهْلِي: بِحَقِيقَةِ اللَّهِ. وَكَلَّمَا أَرَدْتُ مَعْرِفَةَ الْأَشْيَاءِ بوساطةِ مَا، أَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ (١).
- (٤) وَكَلَّمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا لَأَرْضِي بِهِ مَخْلُوقًا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوفِيًا بِمَقْصُودِي (لَمْ يَتِمَّ مَقْصُودِي، لَمْ أَصِلْ إِلَى تَتَبُّعِهِ).
- (٥) الْجَبُّ كَاللَّجَأِ: الْحَصْنُ. وَاللَّجَأُ (بِضَحِّ وَسُكُونٍ) مَصْدَرٌ بِمَعْنَى اللُّجُوءِ وَالاْتِجَاءِ. فَخَرَجْتُ بِفَضْلِ ذَلِكَ... (يَبْدُو أَنَّ فِي الْجُمْلَةِ نَفْصًا)، وَالْمَقْصُودُ: السَّبَبُ الْأَفْضَى لِلْوُجُودِ هُوَ اللَّهُ.
- (٦) فَرَزَعْتُ: لَجَأْتُ. الْإِسْتِسْلَامُ: تَسْلِيمُ الْأَمْرِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ. فَخَرَجَ لِي... ظَهَرَ لِي أَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَصِلُ لِي إِلَى مَعْرِفَةِ وَجُودِي أَنَا (هَذَا شَطْحٌ: كَلَامٌ ظَاهِرُهُ يَشْبهُ الْكُفْرَ) مَعْرُوفٌ فِي التَّصَوُّفِ الْمُتَطَرِّفِ. الْحَوْلُ: الْقُوَّةُ.
- (٧) التَّيَرِّيُّ - الْمَقْصُودُ: التَّيَرِّيُّ (بِالْهَمْزَةِ: التَّغْلِيُّ، التَّرْكُ). السَّلَامَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَالغَنِيْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ تَكُونَانِ بِتَرْكِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَبِالاعْتِدَادِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ.

أصول طريقتنا التي تَسْبِي (١) عليها عشرة أشياء: خمسة ظاهرة وخسة باطنة. أما الخمسة الظاهرة فأولها ملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله (٢)، فلا يُخَالَفُ عليهم بقولٍ ولا بفعلٍ، بل إيمانٌ وتسلمٌ (٣). والثاني لزوم الخس في الجماعة (٤) بحسب الإمكان. فإن كان (ذلك) في الجامع الأعظم (٥) فهو أولى. وتكفي المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين في تحصيل فضلها (٦). والثالث القناعة بقليل الرزق وكثيره بأي وجه تحصل من الوجوه المباحة. الرابع إقامة الأوراد (٧) الشرعية بحسب ما يكون صالحاً للإنسان في دينه ودنياه، وذلك يختلف باختلاف الناس (٨). والخامس إيتار الحمول بترك الفضول (٩) وعدم المنازعة والصناد في قول وفعل. وفي ذلك يقول القائل:

وقائلية: ما لي أراك مُجانباً أموراً، وفيها للتجارة مَرَبِحٌ؟
 فقلت لها: ما لي بربحك حاجة، فنحن أناسٌ بالسلامة نَفَرَحُ (١٠).

وأما الخمسة الباطنة فأولها الإعراض عما يُرجى أو يُخشى من قبل الخلق (١١) بالأمر يُرجى منهم لا دفع ولا جلب (١٢)، ولا يُتَوَجَّهُ إليهم في طلب ولا هرب (١٣). والثاني

- (١) تَسْبِي عليها طريقتنا: تألف منها طريقتنا.
- (٢) أهل الله: المتصوفون.
- (٣) على المرادين (الداخلين حديثاً في الطريقة) أن يسموا لشيخهم ويطيعوه بإيمان وتسلم (بنقة والطمئنان).
- (٤) الخس: الصلوات الخس.
- (٥) الجامع الأعظم (أكبر جوامع المدينة والذي تقام فيه صلاة الجمعة).
- (٦) المرأة والصبي وأي من كان من المسلمين (هم غير المرادين الداخلين في الطريقة). في تحصيل فضلها (فضل صلاة الجماعة). القصد من هذه الجملة كلها غير واضح.
- (٧) الورد (بالكسر): سياق من الجمل (في ذكر الله والصلاة على رسول الله) يقرأها الصوفي في أوقات معينة.
- (٨) مادة الورد ونسقه لا يكونان واحداً لجميع الناس وعند جميع الناس.
- (٩) إيتار (تفضيل) الحمول (قلة الشهرة). الفضول: دخول الإنسان فيها لا بخصه ولا بغيره من الأفعال والأفعال.
- (١٠) اللامة (ها): خلاص الفرد من المشاكل والمصائب التي تحيط بالناس.
- (١١) من قبل (جهة) الخلق (الناس).
- (١٢) دفع مضرة أو جلب منفعة.
- (١٣) في طلب منفعة ولا هرب (لجوء إليهم لمهاية).

الإقبال على الله بالآ تَطَلَّبَ حَوَائِجَكَ - قَلَّتْ أَوْ جَلَّتْ (١) - إِلَّا مِنْهُ

وبعد هذه الخس خس لا بُدَّ لك منها: مُجَامَلَةُ الخَلْقِ وَمُحَاسَنَتُهُمْ فِي الأُمُورِ والحَدْرُ مِنْهُمْ فِي عَيْنِ حَسَنِ الظَّنِّ بِهِمْ (٢) وَمُوَافَقَتُهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ لَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ وَلَا يَضُرُّهُ بِالدُّنْيَا وَلَا يَنْقُصُ العَقْلَ (٣) ، وَاتِّبَاعُ العِلْمِ فِي كُلِّ وَرْدٍ وَصَدْرٍ (٤) ، فَقَدْ قَالَ رَسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « العُلْمُ إِمَامُ العَمَلِ ، وَالعَمَلُ تَابِعُهُ . »

- من كتاب « حكم ابن عطاء : شرح العارف بالله الشيخ زروق » (ص ٢٦) (*):
أَمَّا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَهُ وَبَعْدَهُ ، فَلَيْسَ عَلَى الحَقِيقَةِ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ : مِنْ وَقَفَ بِبَابِهِ الكَرِيمِ أَنْجَحَ وَمَلَكَ ، وَمَنْ اسْتَنَدَ لِجَنَابِهِ العَظِيمِ أَفْلَحَ وَسَلَّكَ (٥) ، وَمَنْ حَادَّ عَنْ مَنَهْجِهِ القَوْمِ خَسِرَ وَهَلَكَ . وَخَيْرَ العِبَادِ مَنْ وَقَفَ بِكُنْهِهِ (٦) هَمَّتْ عَلَيْهِ ، وَأَفْضَلُهُمْ مَنْ تَوَجَّهَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ إِلَيْهِ فَقَامَ بِالحَقِّ عَلَى سِاطِ التَّحْقِيقِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ ظَاهِرِ الشَّرْعِ وَبَاطِنِ الطَّرِيقِ (٧) ، وَوَقَفَ لِلخِدْمَةِ وَغَيْرِهَا مَوْقِفَ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالتَّصَدِيقِ ، مُقْتَدِرًا بِأَيْمَةِ الهُدَى وَالتَّوْفِيقِ كَالسَّادَةِ التَّائِلِيَّةِ (٨) وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ وَالجَمَاعَةُ الوَاقِفِيَّةُ (٩) وَمَنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ .

(١) جَلَّتْ: عظمت، كثرت.

(٢) في عين حسن الظن لا يجوز أن يحسن الإنسان الظن بكل إنسان آخر وفي كل أمر.

(٣) ولا ينقص (يفتح فسكون فضم أو يضم فسكون فكسر) العقل: يضيف العقل (بجمله ضيفاً) بدل على عجز في العقل عن إدراك الأمور).

(٤) الورد: الذهاب إلى الماء (للشرب أو للتزود بالماء) والصدر: الرجوع عن الماء بعد الري (بالكسر: الامتلاء من الماء أو بعد التزود بالماء).

(٥) في هذه النصوص الصوفية التالية سأكتفي بالإشارة إلى المعاني اللغوية والتاريخية - عند الضرورة - ولن أشرح المعاني الصوفية التي تحمل وجوهاً كثيرة وفيها شخصياً يختلف بين الفرد والفرد.

(٥) سلك: سار في طريق التصوف (أصبح صوفياً مقبولاً عند جماعة الصوفيين).

(٦) الكنه: جوهر الشبه وحقيقته. وكنه همتة (هنا): بجيبه قصده وجهده.

(٧) ظاهر الشرع: العبادات الظاهرة (كأشكال الصلاة والانتطاع في الصوم عن الطعام). باطن الطريق (طريق التصوف): حقيقة العبادات (إدراك معنى الصلاة عندهم بالإضافة إلى شكلها عند غيرهم: إن)

ذكر الله في القلب عندهم صلاة، ولو لم يرق أحدهم بالشكل المطلوب للصلاة).

(٨) التائلية: طريقة صوفية ترجع إلى مؤسسها أبي الحسن التائلي المغربي (ت ٦٥٦ هـ).

(٩) الوافئية: طريقة صوفية مشتقة من الطريقة التائلية (راجع الحاشية السابقة) وضعا محمد بن محمد بن محمد الإسكندري الملقب بلقب السيد محمد وفا التائلي (ت ٧٦٥ هـ = ١٣٦٤ م).

- من كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٣٣):

وقد اُخْتَصَّتْ هذه التماثلُ بثلاثِ خِصالٍ: إظهارُ المُناسبةِ في الكلامِ والاختصارُ في التقريرِ والتسهيلِ في البيانِ، معَ زياداتٍ أُخَرَ تُخَصُّ بعضها وتعمُّ كلها^(١). من ذلك أَنَّ الكتابَ مُحْتَوٍ على أربعةِ أنواعٍ: التذكيرُ والوعظُ، وهوَ حظُّ العوامِّ، وللخواصِّ فيه نصيبٌ (ثمَّ) الكلامُ على الأحكامِ، وهوَ حقُّ التوجَّهينِ^(٢) من كلِّ فريقٍ ولكلِّ طريقٍ (ثمَّ) الكلامُ على الأحوالِ، وهوَ نصيبُ المُريدينِ^(٣)، وربَّما كانَ تسيباً وتشويقاً لغيرهم (ثمَّ) الكلامُ على الحقائقِ، وهوَ نصيبُ العارفينِ والمُحقِّقينِ^(٤). وقد عرَّفَ كلُّ أناسٍ مشرِّبهم^(٥) وما يجرِي به حالهم وما يليقُ بهم.

- من متن كتاب « حكم ابن عطاء ... » (ص ٥٩ - ٦٠):

(قال ابن عطاء الاسكندري المتوفى سنة ٧٠٩ للهجرة):

« الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سرّ الإخلاص فيها ».

(وشرحها الشيخ زروق فقال):

قلتُ: ولا عِبرةَ بصورةٍ لا روحَ فيها، كما أَنَّهُ لا قيامَ لروحٍ دونِ صورتِها. ويَحْتَمِلُ^(٦) قولهُ: « سرُّ الإخلاصِ » أَنَّهُ يكونُ ما هوَ أخصُّ منه، وهوَ الصدقُ المعبَّرُ عنه بالتبرُّي من الحولِ^(٧) والقوَّة. وكِلَاهِمَا مطلوبٌ: الإخلاصُ لِتَنفِي الرِياءِ، والصدقُ لِتَنفِي

(١) هذه « الزيادات » منها ما يتعلَّقُ بعدد من حكم ابن عطاء، ومنها ما يتعلَّقُ بجميع تلك الحكم.

(٢) العوام (هنا): الذين لم يملِكوا طريق التصفِّف. والخواصَّ هم السالكون في طريق التصفِّف.

(٣) الأحكام = أحكام الشرع (في المعاملات)، كالبيع والشراء، والزواج والطلاق، وتقسيم الإرث (فما يحتاج إليه جميع الناس).

(٤) المريد: الذي بدأ السير في طريق التصفِّف (بإرشاد أحد الشيوخ).

(٥) الحقائق: ما يعرفه الصوفي من طريق الإلهام (الإلهام للمتصوِّف كالوحي للأنبياء). العارف: الصوفي الذي بدأ يتلقَّى الإلهام. الحقُّ: الصوفي الذي بلغ مرتبة « المرقعة القصوى » (وأصبحت الأمور تجري - في هذا العالم - بإرادته).

(٦) « قد علم كلُّ أناسٍ مشرِّبهم » (٢: ٦٠، سورة البقرة) - المقصود (هنا): كلُّ فريقٍ يعرف مقداره ومكانته فيقف عند حدِّه منها.

(٧) يحتملُ أحد وجهين ...

(٨) التبرُّي = التبرُّؤ (التخلُّي عن أمر من الأمور). الحول: القوَّة.

المُجِيبِ^(١)، وكلاهما لا كمالَ للعمل إلا به. فلذلك قال بعضُ المشايخ، رَحِمَهُ اللهُ: صَحَّحَ عَمَلَكَ بالإخلاص، وَصَحَّحَ إِخْلَاصَكَ بالتَّوْبَةِ مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ. قال الشيخُ أبو طالبِ المَكِّيُّ^(٢)، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنْهُ: والإِخْلَاصُ عند المُوَحِّدِينَ إِخْرَاجُ الحَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الحَقِّ. وَأَوَّلُ الحَلْقِ النَّفْسُ. والإِخْلَاصُ عند المُوَحِّدِينَ أَلَّا يَعْمَلَ (المُجِيبُ) عَمَلًا لِأَجْلِ النَّفْسِ، وَإِلَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُطَالَمَةُ عِيُوضٍ أَوْ مَيَلٌ إِلَى حِطِّ النَّفْسِ. والإِخْلَاصُ عند المُوَحِّدِينَ خُرُوجُ الحَلْقِ مِنْ مُعَامَلَةِ الحَقِّ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمْ فِي الأَعْمَالِ وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ وَالأَسْتِرَاحَةِ بِهِمْ فِي الأَحْوَالِ. أَتَمَّتْ (كلامُ أبي طالبِ المَكِّيِّ). وكما أن الإِخْلَاصَ حِصْنُ الأَعْمَالِ، فَالحَمُولُ حِصْنُ الإِخْلَاصِ، وَهُوَ طَرَحُ النَّفْسِ فِيمَا يَلِيقُ^(٣) بِهَا مِنَ النِّقْصِ وَالدَّنَاءَةِ. وَجَسَبَ هَذَا فَهُوَ دَفْنٌ (اتَمَّتْ شَرْحُ زُرُوقٍ لِحِكْمَةِ ابْنِ عَطَاءِ اللهُ: «الأعمال صور قائمة...»).

- ٤ - النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، مصر (طبع حجر) ١٢٨١ هـ.
- قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحنفية (صححه محمد زهري النجار)، القاهرة (مكتبة الكليات الأزهرية) بلا تاريخ؛ (ضبط إبراهيم يعقوبي)، دمشق (مطبعة الملاح) ١٩٦٨ م.
- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، مصر ١٣٢٢ هـ.
- وظيفة سيدي أحمد زروق (الوظيفة الزروقية)، مطبوع مع «توير الأفتدة» لأحمد بن عبد الرحمن الساعاتي، مصر (المطبعة الجمالية) ١٣٣٣ هـ.
- حكم ابن عطاء الله: شرح العارف بالله الشيخ زروق (تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود والدكتور محمود بن الشريف)، القاهرة (دار الشعب) ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م.
- ★ * المنهل المنب ١ : ١٨١ (؟)؛ الضوء اللامع ١ : ٢٢٢؛ نيل الابتهاج ٨٤ - ٨٧؛ جذوة الاقتباس ٦٠؛ شجرة النور الزكية ٢٦٧؛ شذرات الذهب ٧ : ٣٦٣ - ٣٦٤؛ بروكلمن ٢ : ٣٢٨ - ٣٣٠، الملحق ٢ : ٣٦٠ - ٣٦٢؛ سركيس ١٦٥ - ١٦٦؛ الأعلام للزركلي ١ : ٨٧ - ٨٨ (٩١)؛ أعلام ليبيا ٦٥؛ النبوغ المغربي ١٣٨، ٢٠٧، ٢٠٨، ٦٣١ - ٦٣٦؛ مجلّة كلیة الآداب (ليبيا)، العدد الثاني، ص ١٢٩ (١٩٦٨؟).

- (١) العجب: الزهو (الفخر بالنفس). الكبر (بالكسر): التكبر، الترفع عن سائر الناس.
- (٢) أبو طالب المكي هو محمد بن علي بن عطية الحارثي (ت ٣٨٦ هـ = ٩٩٦ م) الزاهد الواعظ سكن بغداد، له كتاب «قوت القلوب» في التصوف.
- (٣) فيما يليق (كذا في الأصل). اقرأ: «طرح (ترك) النفس ما لا يليق بها».

ابن عبد الجليل التنسي

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي التليساني ثم الأموي (نفع الطيب ٢ : ٥٧٤) أصله من تنس (مدينة ساحلية في الجزائر) ونشأ في تلمسان. وقد أخذ عن جماعة منهم (نيل الابتهاج ٣٢٩): أبو الفضل بن مرزوق وقاسم العباني (٧٦٨ - ٨٥٤ هـ) والإمام الأصولي محمد النجار وإبراهيم التازي (ت ٨٦٦ هـ). وتصدر التنسي للتدريس، وكانت وفاته في جهادي الأولى من سنة ٨٩٩ (أوائل ١٤٩٤ م).

٢- كان ابن عبد الجليل التنسي شيخ شيوخ زمنه وحافظ (محدث) عصره إماماً في التفسير والفقہ والنحو ومؤرخاً بارعاً له: راح الأرواح فيما قاله المولى أبو حو من الشعر وقيل فيه من الأمداح وما يوافق ذلك على حسب الاقتراح - نظم الدرر والعُبان في شرفِ بني زيانٍ وذكُرِ ملوكهم الأعيان. وكان له بصراً في الأدب والنقد وشيلاً من النظم. لما وقفت التنسي على قصيدة لسان الدين بن الخطيب «أطلعن في سدقِ الفروع شموسا» قال إن لسان الدين قد حذا في هذه القصيدة حذو أي تمام في قصيدته «أهتسب ربهم أراك دريسا» (نفع الطيب ٦ : ٢٠١) ولم يقبل أن يكون لسان الدين قد نسج على ميوال قصيدة من هذا البحر وهذا الروي لابن عبدون «أذهبن من فرقى العراق نفوسا» (نفع الطيب ٤ : ٣٠٥).

في الفقه نص على أن الزرع للزارع (من زرع زرعاً في أرضٍ فله وحده الحق في حصاده). وكان شاعرٌ قد قال إن نظره إلى غلامٍ حمل ذلك الغلام على الخجل فأحمرَّ خده (وأصبح كالورد). فلماذا لا يجوز للشاعر أن يقبل ذلك الحد ليقتطف الورد الذي كان قد زرعه فيه. ويرد التنسي على ذلك بقوله: (نفع الطيب ٣ : ١١٣):

في ذا الذي قد قلتم منحت، إذ فيه إهام على السامع.
سلمتم الحكم له مطلقاً. وغير ذا نص عن الشارع.

يقصد أن العين هي التي زرعت الورد في الحد (أخذت فيه الخجل) فلا يجوز للغير أن يقطف ذلك الورد لأنه ليس للزارع.

٣- مختارات من آثاره

- احتفال أبي حو الثاني بالمولد.

قال ابن عبد الجليل التنسي في كتابه «راح الأرواح» (نفع الطيب ٦:
٥١٣-٥١٤):

إنه^(١) كان يُقيم ليلة الميلاد النبوي، على صاحبه الصلاة والسلام، بمشورة^(٢) من تِلْسانَ المهرسة مدعاة حيلة يُحسّر^(٣) فيها الناسُ خاصةً وعامةً. فما شئتَ من نَارِقَ مصفوفةٍ وزرّابيٍّ مَبْثُوثَةٍ^(٤)، وبُسْطٍ مَوْثَاةٍ ووسائدَ بالذهب مُنْشَاةٍ^(٥) وشمعٍ كالأسطوانات وموائدَ كالهالات^(٦)، ومباخرَ منصوبةٍ كالقِبابِ بِحَالِهَا المَبْصُرُ تَبْرًا مَذَابٍ^(٧). ويُفاضُ على الجميعِ أنواعُ الأطعمةِ كأنها أزهارُ الربيعِ المُنَمَّمةِ^(٨) تَشْتَهِيهَا الأنفُسُ وتَلَذُّهَا النواظرُ، ويُخالطُ حَسَنُ رِيَاها الأرواحَ ويُخامرُ^(٩)؛ رُتَّبَ الناسُ فيها على مراتبِهِمْ ترتيبَ آحتفاليٍّ، وقد علَّتِ الجميعَ أُنْهَةُ الوَقَارِ والإجلال. وبِعُقْبِ ذلكِ يَحْتَمِلُ المُسْمِعُونَ^(١٠) بأمداحِ المُصطفى عليه الصلاة والسلامِ ومُكفَّراتِ تَرْغَبُ في

(١) أي أبا حو الثاني.

(٢) المشورة (مكان يجتمع فيه السلطان بأصحابه للتشاور - قصر كبير على مقربة من تلسان؛ أذكر أننا كنا مقبلين من نزهة - في أحد ملتقيات الفكر الإسلامي (في الجزائر) - فنزلنا نزور بقايا قصر قبل، فبا أذكر، أنه مشورة!).

(٣) مدعاة (جمعها مداع): دعوة، مأدبة. الحفيل: الكثير (يقال: جمع حفيل). يحسّر الناس (بجمعهم من كل مكان ومن جميع الطبقات).

(٤) «وغارق مصفوفة وزرّابي مَبْثُوثَةٌ» من القرآن الكريم (٨٨: ١٥-١٦، الغاشية). التمرقة (بضم فسكون فضم): وسادة يتكأ عليها. الزربية: الحصور، البساط (ما يسط أو يفرش على الأرض)، وقيل هي التمرقة. مَبْثُوثَةٌ: مفروشة، متفرقة.

(٥) مَوْثَاةٌ: مزركشة. مَنْشَاةٌ: منقطة.

(٦) كالهالات (كتابة عن أماعها). الهالة: ظاهرة ضوئية ترى محيطة بمصدر النور إذا كان ذلك النور محاطاً بجو رطب.

(٧) بِحَالِهَا: بظنّها. التبر: الذهب. مذاب (كذا في الأصل) ويجب أن تكون مذاباً. ويمكن أن تكون: كأنها التبر المذاب.

(٨) المنمم: مرقش، مزركش (لكثرة أنواعه) بأناط صغيرة جداً.

(٩) الرّيا: الرائحة الطيبة. خامر: خالط.

(١٠) بعقب ذلك: بتمد ذلك. المسمع: المنشد (لشعر). وبعب ذلك أيضاً.

الإقلاع عن الآثام^(١)، يَخْرُجُونَ فِيهَا مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ أَسْلُوبٍ إِلَى أَسْلُوبٍ وَيَأْتُونَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا تَطَرَّبُ لَهُ النَّفُوسُ وَتُرْتَاحُ إِلَى سَعَاةِ الْقُلُوبِ. وَبِالْقُرْبِ مِنَ السُّلْطَانِ، رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، خِزَانَةُ الْمُنْجَانَةِ قَدْ زُخِرَتْ كَأَنَّهَا حَلَّةٌ يَمَانِيَةٌ^(٢)، لَهَا أَبْوَابٌ مُوجِفَةٌ عَلَى عِدَدِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ الزَّمَانِيَةِ^(٣). فَمَهْمَا مَضَتْ مِنْ سَاعَةٍ وَقَعَ النَّقْرُ بِقَدْرِ حِسَابِهَا وَفُتِحَ عِنْدَ ذَلِكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِهَا وَبَرَزَتْ مِنْهَا جَارِيَةٌ صَوَّرَتْ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فِي يَدَيْهَا الْبُيُوتِي رُقْعَةً مُشْتَمَلَةٌ عَلَى نَظْمٍ فِيهِ تِلْكَ السَّاعَةُ بِأَسْمَائِهَا مَسْطُورَةٌ^(٤)، فَتَضَعُهَا بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ بِلَطَافَةٍ، وَيُسْرَاهَا عَلَى فَمِهَا كَالْمُؤَدِّيَةِ بِالْمُبَايَعَةِ حَقِّ الْخِلَافَةِ. وَهَكَذَا حَالَهُمْ إِلَى أَنْبِلَاجِ عَمُودِ الصَّبَاحِ وَبِنْدَاءِ الْمُنَادِي: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ!^(٥)

٤- ** * الضوء اللامع ٨ : ١١٢٠ شجرة النور الزكية ٢٤٨ : نيل الابتهاج ٢٢٩ - ٣٣٠ .
نفع الطيب ١ : ٦٨١ : ٢ : ٥٧٤ ، ٣ : ١١٣ ، ٤ : ٣٠٥ ، ٦ : ١٩٥ ، ١٠ : ٢٠١ ، ١٥١٣ - ٥١٧ : أزهار الرياض ١ : ٢٤٣ - ٢٤٤ : معجم أعلام الجزائر ١٥٩ - ١٦٠ : بروكلمن ٢ : ٣١٣ ، الملحق ٢ : ١٣٤١ : الطائر ٢٢٦ - ٢٢٨ : سركيس ٦٤٣ : الأعلام للزركلي ٧ : ١١٦ (٦ : ٢٧٨) : معجم المؤلفين ١٠ : ٢٢٢ .

المؤلوي الزركشي

١ - هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مؤلوي، عُرفَ بالمؤلوي نسبةً إلى جدِّه الذي

- (١) المكفرات: أشعار قال في التزهيد فكفر (تغفر). ما كان من عبث (حاشية في نفع الطيب ٦ : ٥١٣).
الآثام: الذنوب.
(٢) المنجانة: آلة تقسم الوقت (ساعة دقاقة). وفي نفع الطيب (٦ : ٥١٤ - ٥١٥) وصف مفصل للمنجانة لابن عبد الجليل التنسي نفسه. زخرفت: زينت. حلَّة: ثوب. يمانية: من نج اليمن (اشتهرت اليمن بالسبيح الجميل). أو هي الساعة الرملية (راجع أزهار الرياض ١ : ٣٠٩).
(٣) موجفة: مقلقة.
(٤) نظم: شعر فيه تعيين الساعة، يخاطب به السلطان، نحو (عند تمام الساعة السادسة):
يا ماجداً وهو فرد تحالفاً في عاكر،
«ستة» من الليل ولئت، ما إن لها من نظائر.
دامت لباليك، حنسى إلى المهاد، نواضر!
(٥) المنادي: المؤذن. «حي على الفلاح» من قترات (بكر فتتح) الأذان (أي إلى طلوع الفجر).

كان - فيما يبدو - مملوكاً لا نَعْرِفُ له سِلْسِلَةٌ نَسَبٍ. ويبدو أَنَّ اللُّؤلُؤِيَّ الزَّرَكْشِيَّ (١) قد وُلِدَ في نحو سَنَةِ ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) ثم بدأ تَعَلَّمه، بعد سَنَةِ ٨٤٠ هـ على نفرٍ منهم: مُحَمَّدُ أبنُ عُمَرَ القَلْشَائِي (ولمَّله لازمُ القَلْشَائِي هذا مَدَّةً طَوِيلَةً) وأحدُ القُسْطِنِيَّيْنِ وَمُحَمَّدُ البِيدْمُورِيِّ وأبو البركاتِ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَصْفُورٍ في الأَغْلَبِ. غيرَ أَنَّ عُلُومَه التي حَصَلَ عليها كانت - فيما يبدو - تُتَقَا، فَإِنَّ كِتَابَه في التاريخِ لا يَدُلُّ على إِحاطَةٍ واسعةٍ بفنونِ المعرفة.

ويبدو أيضاً أَنَّهُ كان كاتباً في الدولة يعمل في خُطَّةِ العَدَلِ، ولكنه لم يكن من الرؤساء. أما وفاته فيمكن أَن تكونَ في السَّوَاتِ الأَوَّلِ من القرنِ العاشرِ (٢).

٢ - كان اللُّؤلُؤِيَّ الزَّرَكْشِيَّ مُدَوِّنًا للأحداثِ ولم يكن عالماً بالتاريخِ ومَجْرَاه. ولكنَّ أَهمِّيَّةَ كتابِ الزَّرَكْشِيَّ أَنَّهُ مِن عَصْرِ قَلَّ فيه تدوينُ التاريخِ في تونس. ومادةُ الكتابِ أحداثٌ مُفْرَدَةٌ يتخلَّلها انقطاعٌ في السِّلْسِلَةِ التاريخيَّةِ مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. وفي لُغَةِ المُوَلِّفِ ضَمْفٌ، مَعَ أَنَّهُ يُعَاوَلُ التسجيعَ أحياناً. ويُمكنُ أَن نَعُدَّ المُوَلِّفَ شَاهِدَ عِيَانٍ للحوادثِ المُتعلِّقَةِ بالقرنِ التاسعِ (ص ١١٤ - ١٥٩). أمَّا المُلْحَقُ (ص ١٦٢ - ١٦٨)، وهو شَيْئُهُ تَلْخِيصٌ للكتابِ ثمَّ استِثْنافٌ للتدوينِ حَتَّى سَنَةِ ٨٣٩ هـ (١٤٣٥ م)، فالأغلبُ أَنَّهُ إِضافةٌ ليستَ للمُوَلِّفِ.

٣ - مختارات من آثاره

- مدخل «تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية»:

الحمد لله الذي جعل الأيامَ دُولاً، وصيَّرَ بعضَ الناسِ لبعضٍ خَوَلاً (٣)، وجعلَ لهم في المطامعِ أملاً، ﴿لَا يَتَّبِعُونَ عَنْهَا حَوَلاً﴾ (٤).

(١) لم اهتمد إلى وجه لقبه «الزرکشي»، إلا إذا كانت «الزرکشة» صنعة لأبيه أو لجده (بعد تحرره) أو له.

(٢) إذا قبلنا أن يكون مولده سنة ٨٢٠، لم يبق وجه لقول بروكلمن إنه ألف كتابه نحو ٩٣٢ هـ، ولا لتقدير خير الدين الزركلي أنه توفي بعد ٩٣٢ هـ (١٥٢٥ م).

(٣) دولة: كل مدة لقوم. الحول: الخدم.

(٤) آية كريمة (١٨: ١٠٩، سورة الكهف): لا يهتدون (بهديون) عنها (عن الجنة) حولا (انتقالا). - ذلك ميل

ثابت فيهم.

- حلة صليبية من فرسة وجنوة على المهديّة^(١) :

وفي سنة ثنتين وتسعين نزل النصارى المهديّة في مائة قطعة بين مراكب كبيرة وأغرّية^(٢). فوجه السلطان أحمد محلّة^(٣) نزلت قرب البلد قدّم عليها وأدّه المولى أبا فارس وأضحبه بأخيه أي زكريا. فاتق للمولى أبي فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها في يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث أسلموا المحلّة، ودخلها العدو ولم يجد فيها عيناً تطرف عدا رجلاً واحداً مشاغباً قتلوه. وبينما هم (النصارى) في جمع الأزواد والأسباب^(٤) إذا بالمولى أبي فارس نادى في المسلمين وجمع القواد ومن حضرهم من الجند وكرّ راجعاً تجاه العدو حتى أخذ المحلّة من أيديهم قهراً. فحميت العرب^(٥) وانصرف العدو منهزماً. وقيل منهم نحو خمسة وسبعين رأساً. وواجه العدو^(٦) بنفسه ودفع في صدورهم دفعة شتت بها سملهم. فلم يلتفت إلا والعدو قد أحاط به من كل جهة. وعلم العدو أنه ابن الخليفة - ومن عاديتهم في الحرب أنهم إذا أخذوا ملكاً أو ابن ملك فإنهم لا يُنزلونه عن فرسه - فأخذوا بعنان فرسه وساروا به. فألهم الله سبحانه خلع عنان فرسه من رأسه وألح (على) الفرس وهمزة^(٧). فخرج الفرس من بينهم، فرموه بسيهام وأسيّة، واتبعوه بخيل وأعنة^(٨)، وهو لا يلتفت إلى أن وصل إلى المسلمين وسلمه الله عز وجل. ثم إن النصارى اختلفوا فيما بينهم، وأراد الجنوي الغدر بالفرنسي، فارتحل الفرنسي

(١) جنوة (في شمال عربي إيطاليا) كانت في العصور الوسطى جمهورية مستقلة.

(٢) ٧٩٢ هـ (١٣٩٠ م). المصادر الغربية تعني بالروم والنصارى الإفرنج عامة (الأوروبيين). المصوح أن «الغراب» هنا سفينة صغيرة.

(٣) هو أبو العباس أحمد (٧٧٢ - ٧٩٦ هـ). محلّة: (٢)

(٤) الأزواد جمع زاد: الطعام. الأسباب: الوسائل، الآلات (يقصد: الغنائم).

(٥) حيث: أشدّت (في الحرب). العرب: البدو.

(٦) لعل الجملة التامة: وواجه أبو فارس العدو.

(٧) ألح على الفرس (حثه على الركض!). همزة: نخه (بمهازين في الهذاه)، في بطنه.

(٨) أسنة جمع سان (الحديدية التي في رأس الرمح - ولا معنى لها هـ، ولعله أي بها لتكون سجمة مع «أعنة» جمع عنان: لجام، كناية عن الخيل).

بُفْنِهِ. وَلَمَّا رَأَى الْجَنَوِيَّ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ وَحْدَهُ رَحَلَ أَيْضاً. وَكَفَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ شَرَّهُمْ.
فَانصَرَفُوا خَائِبِينَ.....

٤- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس (المطبعة الرسمية) ١٢٨٩ هـ؛ (بتحقيق محمد ماضور)، تونس (المكتبة المتينة) ١٩٦٦ م.
** شذرات الذهب ٧: ٣٦٣-٣٦٧، بروكلمن ٢: ٦٠٦، الملحق ٢: ٦٧٧؛ سركيس ١١٦٠٠
الأعلام للزركلي ٦: ١٩٢ (٥: ٣٠٢)؛ المكتبة العربية الصقلية ٥٢٢-٥٢٤؛ مجلة الندوة
التونسية (مقال بقلم محمد الناذلي النيفر)، مايو-أيار ١٩٥٣ م.

شهاب الدين (بن) الخلّوف

١- هو شهابُ الدين أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ
الخلّوفِ الحِميرِيُّ الفاسيُّ التونسيُّ، وُلِدَ في ثالثِ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٨٢٩
(١٤٢٥/١١/١٥ م).

ذهبَ شهابُ الدينُ بنُ الخلّوفِ في أوائلِ حياتِهِ مَعَ والده إلى الحِجازِ. وبعد أربعِ
سَنَوَاتٍ انتقلَ مَعَ والده أيضاً إلى القدسِ حيثَ حَفِظَ القرآنَ ولازمَ المقرئَ أبا القاسمِ
محمدَ بنَ محمدِ التّويري (٨٠١-٨٥٧ هـ) وأخذَ عن الشّهابِ بنِ رسلانَ والعزِّ القُدسي
وغيرهم.

وفي سَنَةِ ٨٥٩ هـ (١٤٥٥ م) تُوُفِّي والده فعادَ إلى المَغْرِبِ ثمَّ استقرَّ في تُونِسَ
واقطعَ إلى السُّلطانِ الحفصيّ أبي عُمَرَ عُمَانَ (٧٣٩-٨٩٣ هـ) وأكثرَ من مدّحه. وفي
سَنَةِ ٨٧٧ هـ حجَّ ثانيةً، فلَمَّا مرَّ بالقاهرة لَقِيَ السخاويَّ صاحبَ «الضوء اللامع»
(ت ٩٠٢ هـ).

وكانت وفاةُ شهابِ الدينِ بنِ الخلّوفِ في سَنَةِ ٨٩٩ هـ (١٤٩٣-١٤٩٤ م) في
تونس.

٢- كان شهابُ الدينِ بنُ الخلّوفِ أدبياً بارعاً في النثر والنظم ولذلك سُمِّيَ ذا
الصناعتين. كما كانت له معرفةٌ بالحو. وهو شاعرٌ مُكثِّرٌ مطبيلٌ له بديعياتٌ وموشحاتٌ

وفي شعره تقليدٌ للمشاركة. ثم إنَّ أوصافه في الطبيعة جيداً في ألفاظها. ولكن استعاراته بعيدةٌ جداً، وكثيرٌ من معانيه - من أجل ذلك - غامضٌ. ثم هو مصنفٌ له: تحمير الميزان لتصحيح الأوزان (عروض) - مواهب البديع.... (ميمية في علم البديع) - شرح مواهب البديع - عمدة الفارض (أرجوزة في الفرائض: تسمي الإرث) - جامع الأقوال في صيغ الأفعال - أرجوزة في تصريف الأسماء والأفعال - نظم المعنى (في النحو). وله ديوان فيه تفسير منامات وأدعية.

ويبدو احتذاءً أبين الخلوف للمشاركة واضحاً جداً - وإن كان بارعاً جداً أيضاً - في المقطوعة الواردة في «مختارات من شعره»، فإنها تقليدٌ لقصيدة البحريّ التي يقول فيها (في وصف الربيع):

أتاك الربيعُ الطلّقُ يَحْتالُ ضاحكاً
وقد نبّهَ النّيرورُ في غلَسِ الدُّجى
مِنَ الحُسْنِ حتّى كادَ أن يتكلّمَا.
أوائِلَ ورِدٍ كُنَّ بالأسْرِ نُومًا.

٣ - مختارات من شعره

- قال شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الخلوفِ في وصف الطبيعة:

رأى البرقُ تَميِسَ الدُّجى قَنبِهَا
ورقَ لَوَاءِ البرقِ لَمَّا تَلَاعَبَتْ
وصافحَ أزهارَ الرُّبى قَنَسَا^(١)
سوابقُ خيلِ الرّيحِ في حَلْبَةِ السَمَا^(٢)
وقد بلّ أردانَ الثّرى دمعَ مُرْزَنَةٍ
تناثَرَ في أسلاكِها قَنَظَمًا^(٣)
وجرَّ على هامِ الرُّبى ذَيْلَ وَبَلِّهِ
فدبّحَ أثوابَ الرُّبوعِ وسَهَمًا^(٤)

(١) تَسَمَّ (فلقة هنا في المعنى) وفي القاموس: تَسَمَّتْ الرّيحُ (هَبَّتْ رويداً رويداً) وتَسَمَّ فلانٌ (تَمَسَّ) وتَسَمَّ المكانُ (أصبحت راتحته طيبة).

(٢) الحلبة: الميدان الذي تجري فيه خيل السباق.

(٣) الردن (بضمّ الراء): طرف الثوب. المزنة: المطر. - تقط الماء التي تشبه اللؤلؤ، والتي سقطت متناثرة (متفرقة)، قد ظلّ بعضها (بعد توقّف المطر) عالقةً بالنعصون، فكانت النعصون أسلاك وخيوط للنعود، وكان قط الماء العالقة بها لآل منتظمة في عقود.

(٤) الويل: المطر. دبّح المطر الأرض: سقاها فاحضرت وأزهرت. سهم الثوب: صور فيه سهاماً (خطوطاً).

تَلَوَى بِأَكْنَافِ السَّحَابِ فَخِلْتُهُ حُبَاباً تَلَوَى أَوْ حَبَاباً تَلَوَمَا^(١).
وَحَطَّ بِطِرْسِ الْجَوْ سَطْرًا مُدْهَبًا فَنَقَطَهُ قَطْرَ النَّمَامِ وَأَعْجَبًا^(٢).
وَشَابَ لُجَيْنَ الطَّلِّ عَسَجْدُ بَارِقِ فَذَنَرَ أَزْهَارَ الرَّيْبِ وَدَزَهَهَا^(٣).
وَدَارَ بِسَاقِ النُّصَنِ خَلْخَالُ جَدُولِ وَوَشَّحَ أَعْطَافَ النَّصُونِ وَعَمَّا^(٤)،
إِلَى أَنْ أَمَاطَ الْفَجْرُ فَضَلَ لِثَامِهِ وَنَوَّرَ بِالْإِسْفَارِ مَا كَانَ أَظْلَمًا^(٥).
وَبَنَةَ دَاعِي الصُّبْحِ إِذْ هَبَّتِ الصَّبَا لَوَاحِظَ زَهْرٍ كُنَّ فِي اللَّيْلِ نُومًا

- وقال ابن الخَلُوفِ مُخَمَّسًا بَيْتَيْنِ لِأَبْنِ الْأَحْمَرِ*:

أَمَاطَ الْهَوَى عَنْ وَاضِحِي بُرُقِ النَّسْكِ فَوَحَّدْتُ مَنْ أَهْوَاهُ عَنْ هَوَاةِ الشَّرْكِ^(٦).
فَقُلْتُ، وَقَدْ أَقْنَتَ لِحَاظِكَ بِالْفَتْكِ: (أَفَاتَكَةَ اللَّحْظِ الَّتِي سَلَبَتْ نُسْكَي^(٧))،
عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ لَا يُدِّي لِي مِنْكَ).

(١) يصب تفسیر هذا البيت (إذ يبدو أن بيتاً أو أكثر من بيت سابق عليه قد حذف). الملموح أن البرق يظهر من أطراف السحاب خطوطاً متعرجة (منكسرة) فخلته (طننته) حباباً (بالضم: ثماناً) تَلَوَى: تفرج في زحفة (سيره، جريه) ثم مر (اختفى) أو حباباً (بالفتح: خطوطاً) وحواجر تسككها الربيع في رمال الصحراء) تَلَوَمَا تَلَيْت، بقي، دام).

(٢) الطرس: الورقة يكتب عليها. مذهباً (أحمر: لون البرق) فنقطه قطر الغمام (وضع عليه نقطاً) وأعجم اقرأ: فأعجم (ماز بعض الحروف من بعض بوضع النقط عندها). البرق لا يرى واضحاً من خلال المطر المتساقط (٢).

(٣) وكما أن سقوط المطر قد جعل البرق قليل الوضوح (راجع البيت السابق)، فكذلك: (هذا البرق) شاب (خلط، مزج) لجين الطلِّ فضة المطر، المطر الأبيض كالفضة) بمسجد (ذهب) فذَنَرَ أزهار الربيع (جعل شيئاً منها كالذنانير الذهب) ودرهم بعضها الآخر (جعلها بيضاء كالدرهم الفضية).

(٤) ودار النهر بجانب الأشجار كما يحيط الخللخال بأرجل النساء (الجميلات). ووشَّح (النهر؟) أعطاف (جوانب) الفصون (بالورق الأخضر) وعمَّها (جعل لها عمامة: جعل في أطرافها أزهاراً؟).

(٥) أَمَاط: أزاح. الإسفار (بكسر الهمزة) الكشف عن الوجه (أسفر الصبح: بان، ظهر).

(٦) ابن الأَحرَم؟

(٧) أَمَاط: أزال، كشف. واضحي (وجهي؟) برقع النسك (النسك المألوف عند الناس: النسك الشكلي). وحَّدت (في الأصل وجدت - بالجمع). الهوة: الحفرة العميقة أو هوية (بضم فواو فياء: حقيقة). - في الأبيات معان صوفية.

(٧) الفتك: القتل.

مِينَا، بِنَجْمِ الْقُرْطِ، مِنْكَ إِذَا هَوَى وَخَالَ عَلَى عَرْشِ بَوَجْتِكَ أَسْتَوَى^(١) ،
 لَنْ لَمْ تَقَى، لَا بَدَّ لِلْقَلْبِ مَا نَوَى: (فَأَمَّا بَدُلًا، وَهُوَ أَلْتَقَى بِالْهَوَى ؛
 وَإِمَّا بَعْرًا، وَهُوَ أَلْتَقَى بِالْمَلِكِ).

٤- ديوان (أحمد بن أبي القاسم الخُلف الأندلسي)، بيروت (المطبعة السليمة) ١٨٧٣ م (*).
 ** موشحة (في كتاب «الدراري السبع والموشحات الأندلسية»، بيروت ١٨٧٦ م)؛ الضوء اللامع
 ٢: ١٢٢-١٢٣؛ مجمل تاريخ الأدب التونسي ٢٢٤-٢٣٠؛ تاريخ الجزائر العام
 ٦٤-٦٦؛ أعلام الجزائر ٣٩؛ بروكلمن ٢: ٣٠٧، الملحق ٢: ٣٣١؛ الأعلام للزركلي ١:
 ٢٢١ (٢٣١)؛ سركيس ٩٩-١٠٠، ٨٣٣؛ الطمار ٩٨-٩٩؛ معجم المؤلفين ٢: ١١٨.

أبو العباس الونشريسي

١- هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن عليّ
 الونشريسي- نسبة إلى ونشريس، وهو جبل في القطر الجزائري-، وكان مولده في
 تلمسان، نحو سنة ٨٣٤^(٢) للهجرة (١٤٣٠ م).

ويبدو أنّ الونشريسي قد بدأ تلقّي العلم باكراً على نفرٍ منهم: والدّه (وكان والدّه
 من العلماء المدرّسين) ثمّ أبو الفضل قاسم بن سعيد العبّاتي (ت ٨٥٤ هـ) وشيخ الجماعة
 أبو عبد الله محمد بن العباس التلمساني (ت ٨٧١ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجلاب
 (ت ٨٧٥ هـ)- وقاضي الجماعة يتلمسان أبو سالر إبراهيم بن قاسم العبّاتي (ت
 ٨٨٠ هـ) وهو ابن أبي الفضل العبّاتي المذكور آنفاً- ومحمد بن محمد بن مرزوق الكيف
 (ت ٩٠١ هـ).

(١) القرط: حلية تعلق بالأذن. هوى القرط (كان معلقاً بأذن امرأة ذات عنق طويل- والطول المعتدل في
 أعناق النساء من صفات الجمال فيهن).

(*) راجع ملاحظة في سركيس (معجم المطبوعات العربية): كتب بأخر الديوان أن (؟) قد تمّ طبعه في
 دمشق سنة ١٢٩١ الواقعة لسنة ١٨٧٤ م.....

(٢) هذا التقدير من كتاب «تاريخ الجزائر العام»، تأليف عبد الرحمن بن محمد الجيلاني (٢: ٣٢٦).

وفي أوائلِ المُحرَّمِ من سَنَةِ ٨٧٤ (تموز - يوليو ١٤٦٩ م) جَرَتْ على الوُشْرَيْسِيِّ كَاتِبَةٌ (حادثة) على أَثَرِ خِلَافٍ مَعَ أَحَدِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ عَرَضَتْهُ لِنُغْصَبِ السُّلْطَانِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَوَكَّلِ (٨٦٦ - ٨٨١ هـ) فَنُهَيْتْ دَارُهُ، وَفَرَّ بِنَفْسِهِ إِلَى مَدِينَةِ فَاسٍ. إِنَّ التَّارِيخَ لَمْ يَحْفَظْ لَنَا رِوَايَةَ هَذِهِ الحَادِثَةِ، وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ تِلْكَ الحِقْبَةَ كَانَتْ حِقْبَةً قِتْنٍ دَاخِلِيَّةً كَثِيرَةً.

وَأَخَذَ أَبُو العَبَّاسِ الوُشْرَيْسِيُّ، مِنْذُ نَزُولِهِ فِي مَدِينَةِ فَاسٍ، بِمِحْضِ مَجْلِسِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الِيقْرَنِيِّ المَعْرُوفِ بِلقَبِ القَاضِي المِكنَاسِيِّ (ت ٩١٧ هـ). ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ المَرْيَنِيَّ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدِ المَعْرُوفِ بِالشَّيْخِ البُرْهَانِيَّ (٨٧٥ - ٩٣١ هـ) قَدَّمَهُ لِلتَّدْرِيسِ، فَتَصَدَّرَ حِينَئِذٍ لِتَدْرِيسِ الفِيقهِ مُعْتَمِداً فِي ذَلِكَ «الْمُدَوَّنَةُ» لِلإِمَامِ سَخُونِ (ت ٢٤٠ هـ) وَفُرُوعٌ^(١) أَبِي الحَاجِبِ.

وَأَسْتَمَرَ الوُشْرَيْسِيُّ فِي التَّدْرِيسِ فِي فَاسٍ - لَمْ يُغَادِرْهَا قَطُّ - إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي العِشْرِينَ مِنْ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٩١٤ (١٥٠٨/٦/٢٠ م).

٢ - كَانَ أَبُو العَبَّاسِ الوُشْرَيْسِيُّ كَثِيرَ الاجْتِهَادِ وَالْمُطَالَعَةِ. وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ مُشَارِكاً فِي عَدِيدٍ مِنَ العُلُومِ، فَإِنَّهُ ائْتَمَرَ فِي التَّدْرِيسِ عَلَى فُرُوعِ الفِيقهِ^(٢). وَكَانَ وَاسِعَ المَعْرِفَةِ بِهَذِهِ الفُرُوعِ حَتَّى أَصْبَحَ «حَامِلَ لُؤَاءِ المَذْهَبِ عَلَى رَأْسِ المَائَةِ التَّاسِعَةِ»^(٣) (نيل الابتهاج ٨٧).

وَكَذَلِكَ كَانَتْ لَهُ بَرَاعَةٌ فِي النَّحْوِ، كَمَا كَانَ فَصِيحَ الكَلَامِ بَلِيغاً فِي التَّعْبِيرِ. وَكَانَ لَهُ أَيْضاً شَيْءٌ مِنَ النِّظْمِ.

(١) هَذَا الكِتَابُ «مُخْتَصَرُ الفُرُوعِ» أَوْ «جَامِعُ الأَمَهَاتِ» رَاجِعٌ بِرُوكُنِينَ ١: ٣٧٣، المَلْحَقُ ١: ٥٣٨ م، لِابْنِ الحَاجِبِ، وَهُوَ جَمَالُ المَنْعَنِ أَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ بْنُ عَمْرٍو. وَالفُرُوعُ (هَذَا) هِيَ العِبَادَاتُ (الصُّومُ وَالعِلَّةُ....) وَالمَعَامِلَاتُ (الزَّوْجُ، البَيْعُ، الفَرَائِضُ أَوْ تَسْمِةُ الإِرْثِ، الخ.). رَاجِعٌ فِي وَصْفِ هَذَا الكِتَابِ فِي قِيَمَتِهِ وَمَكَانَتِهِ مَقْدَمَةُ ابْنِ خَلْدُونَ (بَيْرُوتَ ١٩٠٠ م، ص ٤٥٠، السُّطْرُ الرَّابِعُ مِنْ أَسْفَلِ بَيْرُوتِ، دَارُ الكِتَابِ اللَّبْنَانِيَّ، ١٩٦١، ص ٨٠٨ - ٨٠٩).

(٢) رَاجِعِ الحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ.

(٣) إِذَا كَانَ رَأْسُ الفَرْنِ أَوَّلَهُ (قِيَاساً عَلَى التَّعَارُفِ يَقُولُنَا: «رَأْسُ») فَيَكُونُ الوُشْرَيْسِيُّ «حَامِلَ لُؤَاءِ المَذْهَبِ» عَلَى رَأْسِ المَائَةِ (الفَرْنِ) العَاشِرَةِ (رَاجِعِ أَيْضاً «تَارِيخُ الجَزَائِرِ العَامِ ٢: ٣٢٦).

وكان الونشريسيُّ مُصنِّفاً وَضَعَ عدداً من الكُتُبِ أَكثَرُها في الفِقه المالكيِّ. من هذه الكُتُبِ: إيضاحُ المسالكِ إلى قواعدِ الإمامِ مالكٍ - الفُروقُ في مسائلِ الفِقه: عدةُ البُرُوقِ في تلخيصِ ما في المذهبِ من الجُمُوعِ والفُروقِ - الوِلاياتُ في مناصِبِ الحُكُومَةِ الإسلاميَّةِ والحُطُوطِ الشَّرعيَّةِ - القواعدُ في الفِقه - المِيارُ المُعَرَّبُ عن قِتاوى عُلَماءِ إفريقيَّةِ والأندلسِ والمُغربِ - غُنيَّةُ المعاصِرِ والتَّالي في شرحِ وثائقِ الفِتناءِ^(١) - المُختَصَرُ من أحكامِ البُرُزليِّ^(٢) - القَصْدُ الواجبُ في معرفةِ أصطلاحِ ابنِ الحاجبِ - حلُّ الرِّبقةِ عن أسيرِ الصَّفقة^(٣) - إضاءةُ الحَلَكِ في الرَّدِّ على من أفتى بتَضَمينِ الرَّاعي المُشترَكِ^(٤) - فِهْرَةُ شيوخِهِ - شرحُ الحَزْرَجِيَّةِ في العَرُوضِ^(٥) - وِقاياتُ الونشريسيِّ - تَرْجَمَةُ مُحَمَّدِ المُقَرِّيِّ (الجَدِّ).

أما أَمُّ كُتُبِهِ فَهُوَ كِتابُ «المِيارُ المُعَرَّبُ...»، آتَمَها من تَأليفِهِ سَنَةَ ٩٠١ للهجرة (١٤٩٦م)، وَهُوَ كِتابٌ كَبيرٌ (مطبوعٌ في اثْنَيْ عَشَرَ جُزْءاً) وشامِلٌ يَكادُ يُحيطُ بِمَجْمِيعِ بَحْوثِ مَذهَبِ الإمامِ مالِكٍ. والكِتابُ مُشتمِلٌ على قِتاوى الفُقهاءِ الذين كانوا في إفريقيَّةِ (القَطْرِ التُّونِسيِّ) وفي الأندلسِ وفي المِغربِ (القَطْرَيْنِ الجَزائِرِيِّ والمِغْرِبِيِّ). ثمَّ هُوَ، بما فيه من القِتاوى المُختلِفةِ المُوضُوعاتِ، يُمكنُ أن يَكُونَ صِورةً لِلحِياةِ في المِغربِ والأندلسِ بما فيها من المِادينِ الحَضاريَّةِ في الأَجتماعِ والسِّياسَةِ والأَقْتِصادِ والدِّينِ والعِلْمِ والتَّربِيةِ. وفيه وصفٌ مَبسُوطٌ في المِدارِسِ لَذلكَ العَهِدِ^(١) من حيثِ الوَصفِ للأَمْكِنةِ ومن حيثِ مَناهجِ الحِياةِ فيها. غيرَ أَنَّهُ يَنبُؤُ - بِسَبَبِ اتِّساعِهِ وشُمولِهِ وتَبَعاً لِطَبِيعَةِ القِتاوى التي هي تِناجُ حاجاتِ طارِئةٍ في الأَكثَرِ - بِشَيءٍ كَبيرٍ من الصُّعُوبةِ في الوِصولِ

-
- (١) الفِتناءِ، أبو عبدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنِ أَحْمَدَ (ت ٧٧٧هـ) قاضِي مَدِينَةِ فاسِ.
(٢) البُرُزليُّ أبو القاسِمِ بنِ أَحْمَدَ (٧٤١ - ٨٤٤ هـ، عاش مائةً وثلاثِ سَواتِ) من أئمَّةِ المالِكيَّةِ وكان يَتمتُّ بِشَيْخِ الإسلامِ، لَهُ «جامعُ مسائلِ الأحكامِ» ما نَزَلَ من القِضايا لِلعَفتينِ والحُكامِ .
(٣) الرِّبقةُ: الحِبلُ. حلُّ الرِّبقةِ: فَكُّ المُقيدِ أو تَفْرِيجُ كِربةِ المُكروِبِ. عن أسيرِ الصَّفقةِ (عقدُ البِيعِ؟).
(٤) الحَلَكُ: الظلامُ. تَضَمينُ الرَّاعي المُشترَكِ (٢).
(٥) القَمِيدةُ الحَزْرَجِيَّةُ (= الرامِزةُ التَّافِيَّةُ) لِضِباءِ الدِّينِ أبي مُحَمَّدِ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ الأَنْصاريِّ الحَزْرَجِيِّ الأَنْدلسِيِّ (ت ٧٢٦ أو ٧٢٧ هـ).
(٦) لَذلكَ العَهِدِ (في زَمَنِ الوَنشريسيِّ).

إلى مُفرداتِ حقائقِهِ. إِنَّهُ مُحْتَجٌّ إِلَى فَهَارِسَ لِأَعْلَامِ الرِّجَالِ وَلِلْمَوْضُوعَاتِ أَيْضًا.

- ٣ - مختارات من آثاره

- قال الونشريسيُّ في « صِفَةِ الْمُدْرَسِ » وفي التَّحْيِيسِ - أي « وَقَفِ الْمَدَارِسِ » (١)
على التعلِيمِ (أزهار الرياض ٣ : ٣٥):

مِنْ هُنَا نَعْلَمُ أَنَّ إِطْلَاقَ اسْمِ الْمُدْرَسِ عَلَى الْمُقْتَصِرِ عَلَى نَقْلِ تَقَايِيدِ (٢) الرِّسَالَةِ (٣)
وَالْمُدَوَّنَةِ (٤) - مِنْ غَيْرِ قَتْسٍ وَلَا تَنْزِيلٍ وَلَا كَتْفٍ (٥) وَأَسْتَظْهَارٍ بِغَيْرِهَا (٦) - مَجَازٌ لَا
حَقِيقَةَ (٧). وَهَذَا الْوَصْفُ (٨) كَادَ أَنْ يَكُونَ أَهْلَ الْوَقْتِ أَوْ عَمَّهُمْ (٩). فَسَأَلَ اللَّهُ الْعَظِيمَ
الْمَغْفِرَةَ مِنَ التَّطَفُّلِ (١٠) وَتَعَاطَى مَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ

- وَقَالَ فِي حَالِ نَفَرٍ مِنْ طَالِبِي الْعِلْمِ (أزهار الرياض ٣ : ٣٥ - ٣٦):
تَأَمَّلْ هَا هُنَا الشَّيْءَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَرَفَةَ (١١) - أَسْكَنَهُ

-
- (١) الوقف: التَّوَجُّعُ بِمِرَاقِ الْحَيَاةِ (مِنْ بِنَاءِ وَمَاءِ وَأَرْضِ) بِكَوْنِ رِبْعِيهَا لِنِعْمَةِ الْمُتَحَاجِّينَ.
 - (٢) التقييد: ملاحظات يملأها العلماء على الكتب المشهورة.
 - (٣) الرسالة كتاب في الفقه (في تعليم الولدان أصول الدين) لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ (راجع ترجمته في الجزء الرابع من هذه السلسلة).
 - (٤) المدونة (الكبرى): كتاب في الفقه المالكي اجتمع من رواية كبار فقهاء المذهب لعبد السلام بن سعيد المعروف بلقب سنونو (ت ٢٤٠ هـ) عن عبد الرحمن بن القاسم (ت ١٩١ هـ) عن أسد بن القرات (ت ٢١٤ هـ) بالاستناد إلى «الموطأ» لمالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ).
 - (٥) قتش عن الشيء تشاً (بفتح فسكون): سأل عنه أو بحث عنه. التزليل: الترتيب، وضع الشيء في منزله (موضعه). الكفف (عن المعنى الفاضل).
 - (٦) الاستظهار: إيراد مثل أو قول لآخرين يجعل حجة الأستاذ (أو المؤلف) أقوى.
 - (٧) اقرأ: يسئ مدرساً على الجواز لا على الحقيقة.
 - (٨) هذا الوصف (أي اقتصار نفر من المدرسين على نقل أحوال غيرهم بلا تفسير ولا تحقيق).
 - (٩) اقرأ: أو هو قد عمهم.
 - (١٠) التطفل (هنا) جرأة المدرس على تدريس من لا يتقنه.
 - (١١) هو محمد بن محمد بن عرفة الوردغي (٧١٦-٨٠٣ هـ) إمام تونس وعالمها في عصره، تولى إمامة الجامع الأعظم في تونس والمطابفة فيه أيضاً والقوى، له: المختصر الكبير (في الفقه المالكي) - المختصر النامل (في التوحيد) - المبسوط، الخ.

الله دار السلام (١) - وعلى تأليفه، ولا سيما مُختصره الفقهِيُّ (٢) الذي أعجزَ معقوله ومنقوله الفحول (٣)، خلافاً لِبعضِ القاصرين من طلبية فاس، فإنهم يقولون: « ما يقول (هذا) شيئاً »، يُريدون أن يطفئوا نورَ الله (٤)، ويحتقرون (٥) ما عظم الله. ومُستندهم في ذلك بزعمهم حِكَايَةُ تَوَثُّرٍ عَنِ الشَّيْخِ الْمُحَقِّقِ أَبِي الْعَبَّاسِ الْقَبَّابِ (٦)، لا رأس لها ولا ذنب (٧). وحاشاه من ذلك. وما أراهم في ذلك إلا كما قال الأول (٨):

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا، وَأَقْتَه مِنْ فَهْمِ الْقَسِيرِ.

.....

وقد حبسَ ملوكُ المغرب - رضوانُ الله عليهم - بِخِزَانَتِي الْقَرَوِيِّينَ وَالْأَنْدَلُسِيِّينَ (٩) من هذا الديوان (١٠) المملوكِ نُسخًا عديدة؛ ثم لا يُعرجُ عليها للمطالعة في هذا الوقتِ أَحدٌ من طلبية الحضرة (١١) شيناء ولا صيفاء. فإننا لله وإننا إليه راجعون (١٢). (وذلك) ما قيَّدَ عن الشيخِ الجزولي (١٣) وأبي الحسنِ الصغير (١٤)

(١) دار السلام: الجنة.

(٢) راجع الحاشية التي هي قبل الحاشية السابقة.

(٣) المعقول: العلوم العقلية: (ها) التوحيد، المنطق، الكلام، النح. والمنقول: العلوم التي تروى من طريق الرجال (كالحدِيثِ وَالْفِقْهِ وَالتَّارِيخِ). الفحول (كبار العلماء).

(٤) « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم » (٩: ٣٢، التوبة؛ راجع ٦١: ٨، الصم).

(٥) « يحتقرون » مطبوعة على « يريدون ».

(٦) هو أبو العباس أحمد بن القاسم الجذامي القاسي المتوفى سنة ٧٧٨ للهجرة (راجع بروكلمان، الملحق ٢:

١٣٤٦؛ النبوغ المغربي ١٢٠٥؛ الديباج ٥٧ ونيل الابتهاج ٥٢، من طبعة (فاس).

(٧) لا رأس لها ولا ذنب (لا يعرف لها وجه من الصحة).

(٨) البيت للمتنبي.

(٩) الخزانة (المكتبة العامة). القرويين (جامع القرويين في فاس). والأندلسيين (؟) جامع الأندلسيين، في

العدوة - الجانب - التي سكنها الأندلسيون في فاس بعد خروجهم من الأندلس).

(١٠) من هذا الديوان (المختصر الكبير لابن عرفة).

(١١) الحضرة: العاصم.

(١٢) في القرآن الكريم (٢: ١٥٦، البقرة): «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.»

(١٣) الشيخ الجزولي السلافي، هو محمد بن سليمان (ت ٨٧٠ هـ) - راجع ترجمته في هذا الجزء.

(١٤) أبو الحسن الصغير (بصيغة التصغير) هو علي بن عبد الحق الزرويلي من حفاظ الحديث ومن الفقهاء،

كانت وفاته سنة ٧١٩ هـ (راجع النبوغ المغربي ٢٠٤ - ٢٠٥).... والونشريسي بأسف لأن الناس =

(وأماهلها)، فإنك تجدهم يزدهون عليها في كل مكان، وخصوصاً في فصل الشتاء، لا يلحق الآخر منها ورقة (١) واحدة مع كثرة عددها بحيث ذكر (٢)، بل تجدهم يتنافسون في اقتنائها بالأثمان العظيمة المحجفة (٣). ومن ملك منهم المسبغ (٤) من الجزولي وتقييد اليمحدي (٥) عن أبي الحسن (٦)، أو حصلت له عناية بنقلها فهو عالم العالم بأسره وحائز مذهب إمام دار الهجرة (٧) على التمام والقائم بأمره (٨). ولقد كان الحسن المظلي (٩) عندهم في أعلى طبقة من الفقه والتفقه لقيامه على مسبغ الجزولي بخزانة القرويين، زعموا أنها بخط أبي علي الحسن المذكور (١٠)، وهي مشحونة بالتصنيف (١١) ثممي البصر والبصائر. نور الله قلوبنا وعمر ألسنتنا بذكره ووقفنا لما فيه رضاه عننا.

- كسب الوشريسي تعليقاً على كتاب « مثلى الطريقة في ذم الوثيقة » لسان الدين ابن الخطيب (راجع نفع الطيب ٦ : ٢٧٣، السطر السادس من أسفل) فقال - والذم في هذا التعليق للمؤقتين (١٢) لا لسان الدين - (نفع الطيب ٦ : ٢٧٨):

- = يتحون الجزولي التصوف وبأبي الحسن الصغير (وهو ليس من الفقهاء الكبار) ثم يهلون قبيهاً فذاً مثل ابن عرفة.
- (١) يكثر طلب الناس لكسب الجزولي وكسب أبي الحسن الصغير حتى لا يجد بعض الطلبة ورقة من كسب هذين (مع كثرة كسب هذين) يقرأ فيها.
- (٢) بحيث ذكر (في كل ورقة من كتاب ذكر فيها شيء عن الجزولي وأبي الحسن الصغير).
- (٣) (التمن) المحفف (الباهظ، المرتفع والذي يكلف الفرد ما لا يطيق).
- (٤) يبدو أن « المسبغ » هذا كتاب للجزولي أو كتاب فيه، ولم أعر عليه فيما لدي من المراجع.
- (٥) اليمحدي لقب لثغر معروفين (راجع تاج العروس - الكويت ٨ : ٤٥). ولم أعر على هذا المذكور هنا.
- (٦) أبو الحسن (الصغير)؟.
- (٧) إمام دار الهجرة (المدينة) هو مالك بن أنس.
- (٨) القائم بأمره: البارع في فهمه وشرحه. - ومن الواضح أن الوشريسي ينهكم بأولئك الذين يتحون بكسب الجزولي وكسب أبي الحسن الصغير.
- (٩) الحسن المظلي (٩).
- (١٠) الحسن المظلي.
- (١١) التصحيف: تبديل الأحرف في الكلمة الواحدة أو اختلاف النقط في الأحرف.
- (١٢) المؤقت: من يوتق العقود (الاتفاقات) بالطرق الرسمية (الكاتب العدل).

الحمد لله. جامع^(١) هذا الكتاب المقيّد هذا^(٢) بأوّل ورقة منه قد كدّ^(٣) نفسه في شيء لا يعني الأفاضل^(٤)، ولا يعودُ عليه في القيامة ولا في الدنيا بطائل^(٥). وأفنى طائفة^(٦) من نفيس عمره في ألتاس ساوية طائفة^(٧) بهم تُستباح الفروج^(٨)، وتُملكُ مُشيداتُ الدورِ والبروج^(٩)، وجعلهم أضحوكة لِدوي الفتنك والمجانة^(١٠) وأتزع عنهم جلبابَ الصدق والديانة. سامحه الله تعالى وغفر له. قال ذلك وخطه بيمنى يديه عبيدُ ربّه أحمدُ بنُ يحيى بن محمد بن عليّ الوُشْرَيْسيّ، خارَ الله سبحانه له

- ٤ - إضاعة الملّك في الردّ على من أفتى بتضمين الراعي المشترك، فاس....
- أسنى التاجر^(١١) في أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر (نشره م. ي. مولر في «مقالات في تاريخ العرب الماربة»، ٤١-٤٣)، مُسن ١٨٦٦ م.
- عُنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي (بهامش «وثائق الفشتالي»)، فاس بلا تاريخ (سركيس ١٤٥٣).
- المنهج الفائق والمنهل الوثائق^(١٢) في أحكام الوثائق، فاس ١٢٩٨ هـ.
- المعيار المغرب والجامع المغرب^(١٣) عن فتاوى أهل إفريقيا^(١٤) والأندلس والمغرب، فاس ١٣١٤-١٣١٥ هـ؛ (نشره برونو وده مونيّن)، الرباط (معهد الدراسات العليا المغربية)

- (١) جامع هذا الكتاب (مؤلف كتاب «مثل الطريقة...»): لسان الدين بن الخطيب.
- (٢) المقيّد هذا بأوّل ورقة منه (الكتاب الذي دوّنت هذه الملاحظة على الصفحة الأولى منه).
- (٣) كدّ: أتعب.
- (٤) شيء لا يعني الأفاضل: لا يهتم به كبار العلماء.
- (٥) طائل: فائدة.
- (٦) طائفة (هنا): مدّة.
- (٧) طائفة (هنا): جماعة.
- (٨) مجلّون زواج اللواتي لا يحمل الزواج بين.
- (٩) البرج: البناء العظيم، القصر.
- (١٠) الفتنك (هنا): الاندفاع في الأعمال اندفاعاً لا وازع أخلاقياً أو اجتماعياً فيها، أتباع رغبات النفس بلا مبالاة بلوم أو بحفاظ على الصحة مثلاً. المجانة (المجون): قلّة الحياء في القول والعمل، مزج الجدّ بالهزل.
- (١١) في بروكلن: «التاجر».
- (١٢) لعلها «الرائق».
- (١٣) لعلها «العرب» (بالعين المهملة).
- (١٤) إفريقية = تونس.

- ١٩٣٧م؛ (بإشراف محمد حجّبي)، الرباط (وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، بيروت - أثينا (دار الغرب الإسلامي) ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م.
- نوازل^(١) الميبار (مستخرجة من «الميار»)، فاس (المطبعة الشافعية) ١٣١٥ هـ.
- جامعة الميبار، فاس ١٣١٤ - ١٣١٥ هـ^(٢).
- *** تعريف الخلف ١: ٥٨ - ٥٩؛ فهرس أحد النجور (تحقيق محمد حجّبي - الرباط ١٩٧٦ م)، ص ١٥٠. البستان لابن مريم ٥٣ - ٥٤؛ نيل الابتهاج ٨٧ - ٨٨ (طبعة فاس ٧٤)؛ جذوة الاقتباس ٨١ (الرباط ١٩٧٣ م، ١: ٥٦ - ٥٧)؛ درة المجال ١: ٤٣، رقم ١٣٠ تونس (١٩٧٠ م)؛ ١: ٩١ - ٩٢؛ شجرة النور الزكية ١: ٢٧٤ - ٢٧٥؛ فهرس الفهارس للكثافي ٢: ٤٣٨ - ٤٣٩؛ الاستقصا (الدار البيضاء) ٤: ١٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الأولى) ٤: ١١٣١؛ بروكلمن ٢: ٣٢٠، الملحق ٢: ١٣٤٨؛ سيركيس ١٩٢٣ - ١٩٢٤؛ الأعلام للزركلي ١: ٢٥٥ - ٢٥٦ (١: ٢٦٩ - ٢٧٠)؛ ولوداد القاضي (الجامعة الأميركية بيروت) دراسة في أربع وأربعين صفحة (على السنانسل) لا أعلم إذا كانت قد طبعت بالحروف.

ابن غازي^(٣) المكناسي

١- هو شيخ الجماعة الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العُثماني المكناسي ثم الفاسي، وُلِدَ في مِكناسَة الزيتون، سَنَة ٨٤١ (١٤٣٧ - ١٤٣٨ م) وتلقَى العلمَ فيها ثم انتقلَ إلى فاسَ (سَنَة ٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م) فتابعَ فيها تلقَى العِلْم. ومن شُيوخه النيجي والقوري.

ولِيَ ابنُ غازي الحُطَّابَة في مِكناسَة ثم في فاسَ الجديدة. ثم تولَّى الإمامَة والحُطَّابَة في جامع القرويين، وتصدَّرَ فيه للتدريس أيضاً. وفي أثناء ذلك كلّه كان يُربط

(١) النوازل.....

(٢) في سيركيس: جامعة الميبار - الميبار - نوازل الميبار (أرقامها ٢، ٤، ٦).

(٣) غاز اسم فاعل من غزا، فهو أسم منقوص ترجع إليه الياء إذا حلت باللام أو أضيف (الغازي، غازي المدوّ). أما إثبات الياء في أسماء الأعلام المنقوصة، نحو: غازي، سامي، ناجي، ثم شوقي، بدري الخ، فصيغة تركية.

ويُحارب^(١). وكانت وفاته في فاس في تاسع جُادى الأولى من سنة ١١٩٠
(١٦/٧/١٥١٣ م).

٢- كان ابن غاز المكناسي مُقرناً بارعاً في معرفة قراءات القرآن الكريم عارفاً
بوجوهها واسع العلم بالتفسير حافظاً للحديث واقفاً على أحوال رجاله (رؤاه) وطبقاتهم
(مكائنتهم وتراجمهم) عالماً بالفقه مُجيداً للعربية (النحو) حسن المعرفة بالتاريخ والسير
(التراجم) والمغازي والأدب والعروض والحساب والفرائض (تقسيم الإرث).

وكان ابن غاز مُصنفاً مُكثرأ له: تفصيل الدرر (في قراءة القرآن) - إنشاد الشريد
في ضوأل القصيد (في رسم القرآن؟) - نظم قراءة نافع - حاشية لطيفة (مختصرة) على
البُخاري - إرشاد اللبيب إلى مقاصد حديث الحبيب (رسول الله) - الفهرسة المباركة
(في المُحدثين ومصنفاتهم) - التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد
(فهرست شيوخه؟ أتمها في رَجَب ١٨٩٦) - الروضُ المَهْتون في أخبار مكناسة الزيتون
(إلى سنة ١٩١٩) - منية الحساب (منظومة في الحساب) - بُنية (غنية) الطلاب في علم
الحساب (شرح «منية الحساب») - ذيل على القصيدة الخزرجية (في العروض) - عروض
القصيد والدوييت - نظم مراحل الحجاز - شرح نظم مراحل الحجاز - إمداد بحر
القصيد ببحر أهل التوليد وأناس الأعماد (?) والتجريد بجنسها من الشريد - المجالس
المكناسية. ثم له مُصنفاتٌ في الفقه، منها: شفاء الغليل في حل مُقفل خليل^(١) - منظومة
في مُشكلات الرسالة (لابن أبي زيد القيرواني؟) - منظومة في نظائر رسالة
القيرواني - المسائل الحسان المرفوعة إلى حَبْر فاس وتِلْسان - الجامع المستوفي بمداول
الحوفي - المُطلب الكَلْبِي في محادثة الإمام القَلْبِي - كَلْبَاتِ قَهْمِيَة على مذهب المالكية.

٣- مختارات من آثاره:

- قال ابن غاز في الشكوى من مكناسة:

★ طَلَّقْتُ مِكناسَةً ثلاثاً، والشَّرْعُ يَأبَسِي الرجوعَ فِيهِ^(٢).

(١) الرابطة: السكى على أطراف البلاد الإسلامية لدفاع الأعداء عنها تطوعاً وتعبداً (للجهاد).

(٢) في الشرع الإسلامي يجوز للزوج أن يطلق امرأته مرتين ثم يستردها مرتين أيضاً. فإذا طلقها مرة ثالثة
فلا يجوز له أن يستردها، إلا إذا تزوجها رجل ثم طلقها اختياراً من عند نفسه.

ليست بدارٍ سوى لقاضٍ أو عاملٍ الجَوْرِ أو سفِيهِ^(١)!
 * أقمْتُ بِمِكَاسَةٍ مُدَّةً أَعْلَمُ أبنَاءَهَا ما الكَلَامُ
 فَلَمَّا تَوَهَّمَهُ بَعْضُهُمْ عَلِيٌّ بِهِ بَخِلُوا، وَالسَّلَامُ^(٢)!
 - وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ لُغْرٌ فِي « الْقَلَمِ »:

وَمَيَّتَ قَبْرُ طُعْمُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ، إِذَا ذَاقَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَامِ تَكَلَّمًا^(٣).
 يَقُومُ فَيَمْشِي صَامِتًا مُتَكَلِّمًا، وَيَأْوِي إِلَى الرَّصَنِ الَّذِي مِنْهُ قَوْمًا^(٤).
 فَلَا هُوَ حَيٌّ يَسْتَحِقُّ زِيَارَةَ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ (مِنْكَ) يَرْجُو تَرْحَمًا^(٥).
 - وَقَالَ ابْنُ غَازِي (النَّبُوغُ الْمَغْرِبِي ٨١٨):

عَجِبْتُ لِمُبْتَاعِ الضَّلَّالَةِ بِالْهُدَى؛ وَلِلْمُشْتَرِي دُنْيَاهُ بِالْبَدِينِ أَعْجَبُ.
 وَأَعْجَبُ مِنْ هَدَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ، فَهَوَّ أَخْزَى وَأَخْيَبُ.

٤- الروض المhton، فاس (طبع حجر) ١٣١٦، ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م).

- بغية الطلاب، فاس (طبع حجر) ١٣١٧، ١٣١٩ هـ.

- كليات فقهية، فاس (طبع حجر) بلا تاريخ.

* نيل الانتباه ٣٣٣-٣٣٤؛ أزهار الرياض ٣: ٦٥؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٧٧٣؛

بروكلمن ٢: ٢١١، الملحق ٢: ٣٣٧-٣٣٨، راجع ١: ٥٢٣، السطر الثامن من أسفل؛

النَّبُوغُ الْمَغْرِبِي ٢٠٨-٢٠٩؛ الأدب المغربي ٢١٦-٢١٧، ٢٨٨-٢٨٩، ٢٩١، ٤٠٢؛

مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ٢٨: ٤٣٩؛ سركيس ١٩٥؛ الأعلام للزركلي ٦: ٢٣٢

(٥: ٣٣٦)؛ معجم المؤلفين ٩: ١٦.

(١) تصلح داراً لقاضٍ (لكثرة اختلاف الناس فيها تضلوا مكانته وتكثر مغانه!) عامل الجور (الظلم). العامل

(في المشرق): الذي يجبي أموال الدولة. العامل (في المغرب): الوالي، الحاكم. السفه (في الأصل):

المسرف في الإنفاق على ما لا حاجة في العادة إليه. والسبه أيضاً: الذي لا يتأذب مع الناس.

(٢) لما ظنَّ نفر منهم أنهم أصبحوا قادرين على صوغ الكلام ترقفوا عن محادثته.

(٣) ميَّتَ قبر (كان القلم يوضع عادة في علبه مستطيلة تشبه اثابوت). الطعم (بالضم): الطعام. عند رأسه

(يوضع القلم أحياناً، في أثناء الكتابة، على طرف الحبرة. والحبر في الحبرة طعام للقلم أو شراب!). فإذا

أخذ القلم شيئاً من الحبر كتب به، فكانت يتكلم (يعبر عن المتأصّد).

(٤) «قوم» ليس (بهذا المعنى) في القاموس. يقصد: أقام (أنهض).

(٥) في الأصل «ميت فيرجو».

محمد بن العربي العُقَيْلِيّ

١- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربي العُقَيْلِيّ، لا نَعْرِفُ من أحداثِ حياتِهِ إلا أَنَّهُ كان، فيما يبدو، كاتباً للإِثْماء في غَرْنَاطَةَ في أَيامِ آخِرِ سَلْطِينِها أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ - في وِلايَتِهِ الثَّانِيَةِ من سَنَةِ ٨٩٢ إلى سَنَةِ ٨٩٧ للهجرة - وَأَنَّهُ كَتَبَ رِسالَةً على لِسَانِ سُلْطَانِ غَرْنَاطَةَ يَسْتَجِدُّ فيها بِالسُّلْطَانِ المَرْبِيّ في فاس، وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ المَعْرُوفِ بِالشَّيْخِ الوَطَّاسِيّ أَوْ البُرْتِغَالِيّ (٨٧٥-٩٣١ هـ). وقد كانت وَفاةُ مُحَمَّدِ بْنِ العربيّ في القرنِ العاشِرِ، ولعلَّها كانت سَنَةَ ٩٢٨ للهجرة (١٥٢٢ م).

٢- مُحَمَّدُ بْنُ العربيّ العُقَيْلِيّ هو الفقيهُ والكَاتِبُ المَهِيدُ البارعُ البليغُ (نفع الطيب ٤: ٥٢٩)، بَقِيَ لَنَا من إِنْشائِهِ رِسالَةٌ طَوِيلَةٌ من نَحْوِ عَشْرِينَ صَفْحَةً يَمْتَرِجُ فيها الشَّعْرُ بِالنَثْرِ، وقد كَتَبَها على لِسَانِ آخِرِ مَلُوكِ غَرْنَاطَةَ إلى سُلْطَانِ بَنِي مَرْوَانَ في فاس مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ المَعْرُوفِ بِالشَّيْخِ الوَطَّاسِيّ. والمَفْرُوضُ أَنَّهُ قد كَتَبَ هذه الرِسالَةَ في سَنَةِ ٨٩٧ للهجرة، قَبيلَ خُرُوجِ العربِ مِنَ الأَنْدَلُسِ.

تبدأ هذه الرِسالَةُ بِقَصِيدَةٍ لِمُحَمَّدِ بْنِ العربيّ العُقَيْلِيّ نَفْسِهِ يُعَارِضُ فيها مِيمِيَّةَ البوصيرِيّ «أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانِ بِنْدِي سَلَمٌ...؟» وَنَثْرَ مُحَمَّدِ العُقَيْلِيّ أَحْسَنُ من شِعْرِهِ مَعانِي وَأَمْتَنُ تَرْكيباً. وهو كَثِيرُ الاسْتِهادِ بِآيَاتِ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وبِالأَمْثالِ. وفي شِعْرِهِ نَلْمَحُ مُحَاكاةٍ لَعَدِيدٍ مِنَ الشَّعراءِ كَالنَّابِغَةِ وَكَعَبِّ بْنِ زُهَيْرٍ وَأَبِي تَمَّامٍ وَالمُتَنَبِّيِّ وَابْنِ عَبْدِونٍ وَغَيرِهِم. وَالسَّجْعُ في نَثْرِهِ كَثِيرٌ، وَكَذلِكَ الصَّنَاعَةُ المَعنَوِيَّةُ وَالصَّنَاعَةُ اللَّفْظِيَّةُ.

٣- مَخْتارات من آثاره

- لأبي عبد الله محمد بن عبد الله العربي العُقَيْلِيّ مَوْشَحَةٌ مِمْيَا:

هَلْ يَصِیحُ الأَمَانُ من شَبِيهِ البَدْرِ،
وَهُوَ يَنْبُلُ الزَّمَانَ مُنْتَمِ لِلْفَنَدْرِ! ^(١)

* * *

(١) منتم: منسوب، قريب (الفنذر).

لَمْ يَغْرَّ الْأَغْرَ غَيْرَ غَمْرِ جَاهِلٍ،
 عَيْشُهُ الْحَلْوُ مَرٌّ وَهُوَ فِيهِ نَاهِلٌ.
 وَالصَّبَا الْفَضُّ مَرٌّ وَهُوَ عِنْدَهُ ذَاهِلٌ.
 مَرَشَفُ الْبَهْرَمَانِ فَوْقَ ثَغْرِ السِّدْرِ
 مَطْمِئِعٌ لِلْأَمَانِ بِاقْتِرَابِ السِّدْرِ (١).

- لَمَّا شَدَّ الْإِسْبَانُ الْحَصَارَ عَلَى غَرْنَاطَةَ وَكَانُوا كَثِيرًا مَا يَقْرَعُونَ الطَّبُولَ وَيَنْفُخُونَ
 بِالنَّفِيرِ إِرْهَابًا لِلْمُسْلِمِينَ وَإِضْعَاقًا لِنَفْسِهِمْ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيُّ الْعَقِيلِيُّ:

بِالطَّبُولِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَبِالنَّفِيرِ نُرَاعُ.
 وَلَيْسَ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَلِكَ إِلَّا الْقِرَاعُ (٢).
 يَا رَبِّ، جِبْرَكَ يَرْجُو مِنْ هَيْضَ مِنْهُ الذَّرَاعُ (٣)؛
 لَا تَلْبُئِي صَوْبًا مِنْهُ لِقَلْبِي آدْرَاعُ (٤)!

- وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَرَبِيُّ الْعَقِيلِيُّ قَصِيدَةٌ فِي اللَّهْوِ نَخْتَارُ مِنْهَا هُنَا عِدَدًا مِنَ الْآيَاتِ
 الَّتِي تَسْتَقِيمُ عَلَى السَّرْدِ:

وَالْعَوْدُ ذُو دَبْدَبَةٍ يَطْبِي آثَارَهَا لِلطَّارِ دَبْدَابُ (٥).
 وَفُضَّ لِلَّهِوِ خِتَامٌ، وَلَمْ يُسَدَّ فِي وَجْهِ الْهَوَى بَابُ.

(١) الأغر: الشخص الأحمق على التخرير بالناس. الغمر: القليل التجربة والعلم. ناهل: شارب. ذاهل: غافل. البهرمان: اللون الأصفر (ولا معنى لها هنا). الدرّ (بالضمّ): اللؤلؤ (نقر الدرّ: النقر الذي فيه أسنان كاللؤلؤ، كناية عن الشباب والجمال). الدرّ (بالفتح): اللبن ساعة يجلب. اقتراب الدرّ: بلوغ الأمان.

(٢) القِرَاع: القتال.

(٣) يا ربّ، إن الذي كسرت ذراعه (أصيب بمصيبة) لا يرجو جبرها (إصلاحها) إلا منك.

(٤) - لا يدفع عني هذا العود إلا الصبر (فالصبر وحده هو درعي في هذه الحرب).

(٥) الدبدبة: كل صوت (على نسق معين) كوقع الحافر على الأرض الصلبة (القاموس ١: ٦٥). أطمى القوم فلاناً: ترقبوا إليه ثم اغتالوه (قتلوه). والتاعر يقصد: طباه وأطباه (من طهي يطهي) دعا الشبهه إليه أو صرفه عن نفسه. الطار: الدفّ (بضمّ الفاء). الدبداب: الطبل. (يصف الشاعر هنا تجاوب الآلات الموسيقية).

وكلّ إنسانٍ وما يشتهي، ليس على مناهُ حُجّاب
مُتزيلاً ليس له عُذْلٌ، كلاً ولا عليه رقابُ.

- ولما اشتدّ الحصارُ على غرناطةَ للغاية طلبَ سلطانُ غرناطةَ أبو عبدِ الله محمدُ (٨٨٧-٨٩٠ م ٨٩٢-٨٩٧ هـ) من كاتبه أبي عبدِ الله محمدِ بنِ العربيِّ العقيليِّ أن يكتبَ إلى سلطانِ فاسَ محمدَ بنِ محمدَ بنِ عليِّ المعروفِ بالشيخِ الطوّاسي (٨٧٦-٩٣١) من آلِ مرينَ رسالةً يستنجدُ به فيها. فكتبَ أبو عبدِ الله العقيليُّ رسالةً طويلةً بدأها بقصيدةٍ طويلةٍ (مائة وثلاثين بيتاً) عارضَ بها قصيدةَ البُوصيريِّ «أمينَ تذكُرُ جيرانِ بذي سلمٍ». ولكنَّ هذه القصيدةَ ضعيفةٌ جدّاً. ثم تلي الرسالةُ، وفي ثايلها هنا وهنا أبياتٌ من الشِّعرِ لنفرٍ من الشعراءِ تناسبُ معاني الرسالة. والرسالةُ في مجموعها مديحٌ لسلطانِ فاسَ واستعطافٌ وطلبٌ بأن يسمَحَ سلطانُ فاسَ لسلطانِ غرناطةَ بأن يأتيَ إلى المغربِ لاجئاً. وفي ما يلي أبياتٌ من القصيدةِ ومقاطعٌ من الرسالة:

مولى الملوكِ ملوكِ العُربِ والعجمِ،	رعيّاً لها مثله يُرعى من الذمِّمِ.
بك استجرنا- ونعم الجارُ أنتَ لمن	جار الزمانُ عليه جورٌ مُنتقمِ.
حتّى غدا ملُكُه بالرغمِ مُستلباً؛	وأفطعَ الخطبُ ما يأتي على الرغمِ-
حُكَم من الله حتمٌ لا مردُّ له،	وهل مردُّ لحكمٍ منه مُنحتمِ.
وهي اللبالي- وراك اللهُ صوتها-	تصولُ حتّى على الآسادِ في الأجمِ ^(١) .
كُنّا ملوكاً لنا في أرضنا دُولٌ	ننسا بها تحت أفياءٍ من النعمِ
فأيقظتنا سهاً للردى صيبٌ	يرمى بأفجعِ حتفٍ من بين رُمى!
فصِلْ أو اصرِّ قد كانت لنا اشتبكتُ،	فالملكُ بين ملوكِ الأرض كالرحمِ ^(٢) .
وابطدْ لنا الخلقَ المرجُوَّ باسطه،	واعطفْ ولا تتحرفْ، واعذرْ ولا تلم.
ولا تعاتبْ على أشياء. قد قدرتُ	وخطَّ مسطورها في اللوحِ بالقلمِ ^(٣)

(١) تصول: تهجم، تتندّب، تتغلب. الأجمة: المكان الملوّه بالنجر. الآساد في الأجم: في أماكنها (وتكون هنالك قوّة).

(٢) الأواصر: الصلات. الرحم: القراية.

(٣) - قد قضاها الله علينا منذ الأزل (لما كتبها عنده في اللوح المهنوط).

بنو مَرَيْنِ لِيُوْثُ فِي الْعَرَيْنِ أَبْوَا
النَّازِلِينَ مِنَ الْبِيضَاءِ وَنَطَّ حَمِي
رُؤْيَا قَرَيْنٍ لِهِمْ فِي الْبَاسِ وَالكَرْمِ (١)
أَحْمَى مِنَ الْأَبْلَقِ السَّامِي وَمِنْ إِرَمِ (٢)
تُضِيءُ آرَاؤُهُمْ فِي كُلِّ مُفْضِلَةٍ
إِضَاءَةَ الشَّرْحِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلْمِ
يَرَوْنَ حَقًّا عَلَيْهِمْ حِفْظَ جَارِهِمْ،
فَلَمْ يُضِرَّ نَازِلٌ فِيهِمْ وَلَمْ يُضْمِ (٣).....

.... فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا، لا حطَّ اللهُ تعالى لكم مِنَ العِزِّ رِوَاقًا وَلَا أذْوِي لِدَوْحَةٍ دَوْلَتِكُمْ أَغْصَانًا وَلَا أَوْرَاقًا (١)، وَلَا زَالَتْ مُخْضَرَّةُ التُّودِ مَبْحَةً عَن زَهْرَاتِ الْبِشَائِرِ مُتَحَفَّةً بِشَمَرَاتِ السُّعُودِ مَمْطُورَةٌ بِسَحَابِ الْبِرَكَاتِ التَّدَارِكَاتِ دُونَ بَرَقٍ وَلَا رُعُودٍ. هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِمَقَامِكُمْ الْمَتَلَقِّ بِأَسْبَابِ زِمَامِكُمْ (٥) الْمُرْتَجِي لِعَوَاطِفِ قُلُوبِكُمْ الْمُقْبِلِ الْأَرْضِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ الْمُتَلَجِّجِ اللَّسَانِ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ مِفْتَاحَةِ كَلَامِكُمْ. وَمَا الَّذِي يَقُولُ مَنْ وَجْهُهُ خَجَلٌ وَفَوَادُهُ وَجَلٌ وَقَضِيَّتُهُ الْمَقْضِيَّةُ عَنِ التَّنَصُّلِ تَجَلُّ (٦). بِيَدِ أَنِي أَقُولُ لَكُمْ مَا أَقُولُهُ لِرَبِّي - وَأَجْتَرَّائِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ وَاحْتِرَامِي لَهُ أَكْبَرُ - اللَّهُمَّ، لَا بَرِيءٌ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قَوِيٌّ فَأَتَصَرَّ، وَلَكِنِّي مُسْتَقْبِلُ مُسْتَنْبِلِ مُسْتَعْتَبٍ مُسْتَغْفِرٍ (٧)؛ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي، إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٌ بِالسَّوَاءِ (٨).....

وما لي والتكلفُ لِيَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ.... وَالْمَوْلَى يَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا تَلْعَبُ

- (١) بنو مَرَيْنِ: سلاطين المغرب. أَبْوَا: رفضوا. قَرَيْنِ: مثل، نظير. الْبَاسِ: القوَّة.
- (٢) الْبِيضَاءُ: مدينة فاس (الجديدة) عاصمة المرينيين. الْحَمِي: ما تحب حمايته. أَحْمَى (صفة خطأ): أكثر منعة. الْأَبْلَقِ: حصن كان للسؤال. إِرَمِ: مدينة قبل كانت قائمة في صحراء اليمن ومبنيَّة بالحدديد والنحاس.
- (٣) لم يضر نازل (لم يصب ساكن عندهم بضرر) ولم يضم (لم يلحقه ضم: ظلم).
- (٤) الرواق: مقدم البيت. لا حطَّ اللهُ لكم في العِزِّ رِوَاقًا: لا زال بيتكم عالياً عزيزاً شريفاً قوياً. الدوحة: الشجرة الكبيرة.
- (٥) العائد: اللاجئ. الزمام: الرباط.
- (٦) وجل: خائف. تجلُّ (فعل مضارع): تعظم، تكبر.
- (٧) لا بريء فأعتذر: لست بريئاً (من أقوالى البئسة فيك والتي نقلت إليك) حتى أعتذر منها (أنفها عن نفسي). ولا أنا قوي فأتصرَّ (أدفع عن نفسي بنفسي في وجه خصمي). مستنبل (تائب عما قلته) مستنيل (طالب نوالك: عطائك، إحسانك) مستعيب (طالب العتي: الرضا، رضاك) مستغفر (طالب الصفح عن ذنبي).
- (٨) القرآن الكريم ١٢: ٥٣، سورة يوسف.

باللاعب وتجرح براحتها إلى المتاعب. وقدماً للأكياس من الناس خدعت، والمحرفت
عن وصالهم أعقل ما كانوا وقطعت^(١)....

وأبيها، لقد أزهقتنا إرهاباً وجرعنا من صاب الأوصاب كاساً دهاقاً^(٢)، ولم نفرغ
إلى غير بابكم المنيع الجنب المنفتح حين سدت الأبواب. ولم نلبس غير نفاثكم حين
خلعنا ما لبسنا الملك من الأثواب...

ولقد عرض علينا صاحب قنتالة مواضع مُعْتَبَرَةٌ خَيْرَ فِيهَا^(٣) وأعطى من أمانة
المؤكّد فيه خطه بأنيانه ما يُقْتَعُ النفوس وَيَكْفِيهَا^(٤). فلم نرَ - ونحن من سُلالة
الأحر - مجاورة الصفر^(٥)، ولا سوغ لنا الإيمان الإقامة بين ظهرائي الكفر.....
ووصلت أيضاً من الشرق إلينا كُتُبُ كريمة المُقْصِدِ لدينا تستدعي الاخيارَ إلى تلك
الجنّات وتضمن ما لا مزيد عليه من الرغبات. فلن نخترَ إلا دارنا التي كانت دارَ
آبائنا من قبلنا، ولم نرتضَ الأنضواء إلا لمن بحبله وصلنا حبلنا... امتثالاً لوصاة
أجدادٍ لأنظارهم وأقدارهم أصالةً وجملاً^(٦)، إذ قد روينا عن سلف من أسلافنا في
الإبصار لمن يخلف بعدهم من أخلافنا ألا يتنفوا إذا دهمهم داهم بالحضرة المرينية بدلاً
ولا يجدوا عن طريقها في التوجه إلى فريقها معدلاً^(٧). فاخترنا إلى الرياض الأريضة

- (١) براحتها (تورية): بيدها أو بالراحة (ضد التعب) التي يجدها الإنسان فيها (في الدنيا) أحياناً. الأكياس جمع كيس (بالكسر: الوعاء الذي توضع فيه الأشياء). والكيس (تشديد الياء المكسورة: العاقل والجمع كيسو يفتح الكاف وسكون الياء (القاموس ٢: ٢٤٨). أعقل ما كانوا (في تمام عقلم) = رجاحة العقل وطول التفكير لا يمكن أن يتعلنا على مصائب الدنيا.
- (٢) وأبيها: أقم بأبي الدنيا، أقم بالدنيا. الرق: تحميل الإنسان ما يطيق. الصاب: المر (بضم الميم). الوصب (يفتح ففتح وجمعها أوصاب): الألم، المرض. دهاق: ملوه.
- (٣) صاحب (ملك) قنتالة: الملك فرديناند.
- (٤) بخطه (بخط يده): كتابة. الأنيان جمع عين: القسم.
- (٥) من سُلالة (نسل) الأحر (جدّ بني الأحر ملوك غرناطة) مجاورة (جوار) الصفر الإفرنج (بنو الأضر: الروم، اليونان).
- (٦) نرتضى = نرضى. الأنضواء: الاتجماء، وصلنا بحبله حبلنا: عقدنا معه صلوات وعلاقات بإرادتنا. الوصاة (يفتح الواو): الوصية، النصيحة، الأمر. الأنظار جمع نظر: رأي. القدر: المكاة والمقام. أصالة: جودة رأي.
- (٧) دهمهم داهم: نزل بهم أمر مفاجئ. الحضرة المرينية = عاصمة بني مرين، أرض بني مرين. الفرين: الحرب، الجماعة (بالإضافة إلى كلّ فريق آخر). المعدل: الميل عن الشيء. - ... يجب أن يتوجهوا إلى =

الْفِجَاجَ، وَرَكِبْنَا إِلَى الْبَحْرِ الْفُرَاتِ ظَهَرَ الْبَحْرُ الْأَجَاجُ^(١)، فَلَا غَرَوَ أَنْ نَرَدَ مِنْهُ عَلَى مَا يُقَرُّ الْعَيْنَ وَيُفْهِمُ النَّفْسَ الشَّاكِيَةَ مِنَ أَلَمِ الْبَيْنِ^(٢). وَمَنْ تَوَصَّلَ هَذَا التَّوَصُّلَ وَتَوَسَّلَ هَذَا التَّوَسُّلَ تَطَارَحًا عَلَى سُدَّةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُحَارِبِ لِلْمُحَارِبِينَ وَالْمُؤْمِنِ لِلْمُسْتَأْمِنِينَ فَهُوَ الْحَلِيقُ الْحَقِيقُ بَأَن يُوَسِّعَ أَصْفَى مَشَارِبِهِ وَيُلْبِغَ أَوْفَى مَآرِبِهِ عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسَّنِينَ.....

٤- ** نفع الطيب : ٤-٤٢٩-٤٥٥٣ أزهار الرياض : ١-٧٢-١٠٣ : الأدب المغربي
٢٩٤-٢٩٥.

إبراهيم الفجيجي

١- هو إبراهيم بن عبد الجبار بن أحمد الشريف الفجيجي (بكسر فكسر- كما صُبَّطت في « النبوغ المغربي » ٧٧٥)، نَسَبَةٌ إِلَى فَجِيجٍ أَوْ فَيْفِقٍ، وَهِيَ بَلَدَةٌ فِي جَنُوبِ الْجَزَائِرِ.

جاء إبراهيم الفجيجي إلى فاس وأخذ العلم عن نفرٍ منهم أبو العباس أحمد بن يحيى الوشريسي (ت ٩١٤ هـ) وأبو عبد الله محمد بن أحمد المكناسي (ت ٩١٩ هـ) والأستاذ الصغير (؟) ثم انتقل إلى تِلْغَسَانَ وأخذ عن نفرٍ آخرين منهم أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (٨٣٢-٨٩٥ هـ) وأبو عبد الله محمد بن عبد الله التنسي (ت ٨٩٩ هـ).

وفي أواخر القرن الهجري التاسع رَحَلَ الفجيجي إلى المشرق فأخذ العلم في مِصْرَ عَن جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ (ت ٩١١ هـ) ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَفِيهَا الْأَشْمُونِيُّ (ت نحو ٩٠٠ هـ) وَالسَّخَاوِيُّ (ت ٩٠٢ هـ) فَأَخَذَ عَنْهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْفَجِيجِيَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ فَاشْتَغَلَ بِالتَّعْلِيمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتْرُكَ الْاِسْتِزَادَةَ مِنْ

= بلاد بني مرين رأياً وألا يبدلوا اتجاههم (أو رأيهم) في أثناء الطريق.

(١) الرياض (الجنائن) الأريضة (الخصبة المزدهرة) الفجاج (جمع فجاج: الأرض الواسعة القاحلة). الفرات: الحلو. الأجاج: المالح.

(٢) ما يقرُّ العين: ما يسرُّ. البين: الفراق.

العلم. ولكن اضطراب الأحوال حمله على أن يرحل إلى السودان (غربي إفريقيا) حيث بقي مدة عاد بمدنها إلى فجيح حيث توفي نحو سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤ م).

٢- ترك لنا إبراهيم الفجيحي عدداً من المنظومات أشهرها منظومة ذكرها بروكلمن بلفظ: «الفارِد في تقييد الشارد وترصيد الوالد» (١) أو روضة السلوان (وهي طردية: في وصف الصيد، صيد الصقور للطيور والفيزلان وغيرها)، وهي قصيدة في مائتين وثلاثة عشر بيتاً من البحر الطويل فيها وصف للبادية وبها الس البدو وللطبيعة الصحراوية وذكر لأحكام الصيد من الناحية الفقهية (الدينية). غير أن على هذه القصيدة شيئاً من الجفاف لكثرة الألفاظ الفقهية فيها. وللفجيحي أيضاً منظومة سماها «المقيدة» فيها كلام على الديانات وعدد من مسائل الفقه. وله أيضاً عدد من المقطعات الشعرية.

٣- مختارات من شعره

- من الطردية « روضة السلوان »:

يلوموني في الصيد، والصيد جامع لأشياء للإنسان فيها منافع.
فأولها كنب الحلال أتت به نصوص كتاب الله وهي قواطع^(١).
وصحة جسم ثم صحة ناظر، وإحكام إجراء السوابق رابع^(٢)...
وينفي المومؤ المهرمات عن الفتى، ويقمع وقد الشيب كيلا يبارع^(٣).
ويورث عند الالتحام شجاعة، وفيه من السر الحقي بدائع:
كندبير أمر الحرب والفتك بالعدا وصيد أسود الإنس، والوحش تابع^(٤).

(١) - في القرآن الكريم (٩: ٣، ٩٩، سورة المائدة) ذكر التحليل للصيد، إلا إذا كان الإنسان مُحرماً في الحج، فإذا انتهى من أداء شعائر الحج حل له الصيد (في خارج الحرمين: نطاق مكة والمدينة).

(٢) أحكام... المعرفة بإقامة السباق بين الخيل....

(٣) المهرم: التي تسرع بالإنسان إلى الهرم. ويقمع (يبتل، يؤخر) محي، الشيب (يحفظ على الإنسان صحته وشبابه). يبارع (حقها النصب).

(٤) صيد أسود الإنس: التلعب على الشجمان الأقوياء من الأعداء.

بنفسى عفيفاً مُتَرَفّاً ذا نزاهة
على هَيْكَلِ نَهْدٍ وَفوقِ شِبالِهِ
أخي، هل ترى الأيامُ تَجْمَعُ شَمَلَنَا
لدى كَلِّ رَبْوَةٍ وَأجراسِ طَيْرِنَا
فَنقضي من السُّلوانِ بعضَ غرامِنَا
عَظِيمٍ ثَلاثٍ: رأبِهِ تَمَّ فَخِذِهِ
عليه سِياتُ القَتْلِ، إِمّا نَظَرَتُهُ
طَموحُ كَثيرِ الاتِّفاتِ مُسَلِّطٌ
له في سِلمِ المَجدِ والسَّعدِ طالِعٌ^(١)،
وَقورٌ من الصُّقورِ أبيضُ ناصِعٌ^(٢).
ونحنُ على جُرْدِ سِراعِ نَظالِعِ^(٣)،
لها زَجَلٌ من فِوقِنا وَقِفاقِ^(٤)؛
وَنَجني جَنى اللذاتِ والدَهرِ خاضِع؟
وَيُسِرُّه لِحِزْرٍ ما هو صادِعٌ^(٥).
أطلَّتْ حِواجيبُ وَغارتْ مِدامِعُ^(٦).
لأَمِّ الثَّلاحِ الدَهرُ منه فِجائِعُ^(٧).

٤-★★ تعريف الخلف ٢: ٣-١٤، النبوغ المغربي ٧٧٥-١٧٨٤ بروكلمن ٢: ١٧٠، الملحق
٢: ١٦٨، الأعلام للزركلي (١: ٤٥)، الأمانة (مجلة)، الجزائر (الطبعة الثانية،
العدد ١١) نوال- ذو القعدة ١٣٩٢ (نوفمبر-ديسمبر ١٩٧٢)، ص
١٣٩-١٤٤.

محمود بن عمر أقيت التنبكي

١- هو أبو الثناء وأبو المحاسن محمود بن عمر بن محمد أقيت^(٨) بن عمر بن علي بن

- (١) في هذا البيت يصف الشاعر صياداً. له في سباه.....: ذو حظ سعيد (موقوف).
- (٢) هيكَل (حصان عظيم الجسم) نهد (عالي الكتفين). وقور: هادي، رصين.
- (٣) الجرد (جمع أجرد). حصان قصير الشعر (دلالة على كرم أصله). نطالع: نبعت عن الطرائد.
- (٤) زجل: صوت.
- (٥) هذا البيت وصف للصقر الأصلب. النسر: الظفر. جزر: ذبيح. صادع (ربها: صارع).
- (٦) سة: علامة. من محاسن الصقر أن يكون حاجباه بارزين وعمائة غائرتين.
- (٧) أمّ السلاح (بضم السين) لعلّه يقصد «الحيارى» (وهي كبرة الذرق: القدر يخرج من مؤخرة الطيور).
وصيد الحيارى بالصقور مرغوب فيه لأنّ طير الحيارى كبير الحجم طيب اللحم. الدهر = طول الدهر،
دائماً.. هو بصطاد عدداً كبيراً من الحيارى (والحيارى تضلل الصيادين لأنّ لون ريشها كلون التراب).
- (٨) على صفحة الغلاف: تاريخ الفتن... للقاضي محمود كمت بن الحاج المتوكل كمت الكرمني التنبكي
الوعكري، ومثل ذلك على الصفحة التاسعة. وفي «نيل الابتهاج» (ص ٣٤٣-٣٤٤): محمود بن عمر
أقيت..... وليس للكتاب «تاريخ الفتن» ذكر. وفي بروكلمن، الملحق ٢: ٧١٦-٧١٧): القاضي =

بحسب الكرمي^(١) الصنهاجي الموفي^(٢)، وُلِدَ سَنَةَ ٨٦٨ للهجرة (١٤٦٣ - ١٤٦٤ م) في تَنْبُكْت. ولما نَعَلِمَ شيئاً من حياته الأولى قَبْلَ أَنْ يَتَوَلَّى القضاة في بلده، سَنَةَ ٩٠٤ للهجرة (١٤٩٨ - ١٤٩٩ م) فَيَسْتَدَدُّ في الأمور وَيَتَوَخَّى العدل في الأحكام فينقِص أهل الفساد. ومع ذلك، فقد كان، في الوقت نفسه، يقوم بالتدريس، وكان في الغالب يُقْرِئ المَدُونَةَ^(٣) والرِسالَةَ (لابن أبي زيد) ومختصر خليل.

وفي سَنَةِ ٩١٥ للهجرة (١٥١٠ م) كان في الحج^(٤)، وقد لَقِيَ في مصر (في أثناء طريقه) نَفَرًا من العلماء. ثم إنه عاد إلى بلاده واستأنف التدريس والقضاء والإصلاح. وطال عُمُرُهُ كثيراً حَتَّى أَلْحَقَ الأبناء بالأباء (علم أناساً ثم عَلَّمَ أبناءهم). وكانت وفاته في سادسِ عَشْرَ رَمَضانَ من سَنَةِ ٩٥٥ (١٠/١٩/١٥٤٨ م). وخَلَفَهُ في القضاء أولادُه الثلاثة: مُحَمَّدٌ والعاقِبُ وعُمَرُ.

٢- كان محمود بن عمر أقيمت التنبكي هاديء الطبع قوي الحافظة ومن فقهاء المالكية عالم بلاد التكرور وصالحها ومدرستها وفقهها وإمامها بلا مدافع. وهو الذي أدخل مختصر خليل والمدونة إلى بلاد السودان. وكذلك كان مصنفًا، له: تنقيح على مختصر خليل. وهو الذي بدأ تأليف كتاب «الفتاش» (أو الفتاش)^(٥) وعنوانه على النسخة المطبوعة: «تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس». أما على الصفحة الحادية عشرة فيبدو هذا العنوان أكثر تفصيلاً: «تاريخ الفتاش في أخبار

= محمود كمت... الكرمي التنبكي، وله «تاريخ الفتاش». ويذكر هواري (تاريخ الأدب العربي، النسخة الانكليزية، ص ٣٩٣) محمود بن عمر هذا ولا يذكر له «تاريخ الفتاش». غير أن خير الدين الزركلي (الأعلام، الطبعة الثالثة ٥٦٨: ٥٦٩، الطبعة الرابعة ٧: ١٧٩) يذكر محمود بن عمر التنبكي ويذكر له كتاب تاريخ الفتاش.

- (١) الكرمي نسبة إلى كرم (بالضم أو بالفتح): مقاطعة قريبة من تيبكت.
- (٢) صنهاجة (بالكسر) وسوفة (بالفتح) من قبائل البربر.
- (٣) المقصود هنا: المدونة الكبرى لعبد السلام بن سعيد المعروف بسحنون (ت ٢٤٠ هـ) في الفقه المالكي.
- (٤) كان محمود بن عمر في الحج مع الأسكبا (الملك، الشيخ؟) محمد بن أبي بكر (راجع مطلع «تاريخ الفتاش» في المختارات من آثاره).
- (٥) الفتاش (مكان «الفتاش») راجع ص ١١ و ١٦ (من المقدمة الفرنسية)، وهذا يوافق السجع: تاريخ الناس..... وأكابر الناس.

البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكُر وقائع التَّكْرورِ وعظائم الأمور وتفریق
 أنساب المبيد من الأحرار». والمؤلف قد بدأ هذا الكتاب سنة ٩٢٥ للهجرة
 (١٥١٩ م). ثم إن حفيده ابن المختار أمته إلى سنة ١٠٧٦ للهجرة (١٦٦٥ م). - ولعل
 أحد أولاد المؤلف كان قد وصل بالأحداث إلى سنة ١٠٠٧ للهجرة (١٥٩٩ م)^(١).

وفي كتاب «الفتاش» يختلط التاريخ بالقصص الشعبي وبالخرافات أيضاً. والمؤلف
 نفسه يقول إنه كان في هذه الروايات أشياء لا يُصدِّقها العقل (ص ٣٤)، مثل صنع بحر
 في الصحراء (ص ٣٥)، ومن أن كنتك موسى لما خرج إلى الحج ما مرَّ ببلد (بين
 السودان ومصر)، وكان يوم جمعة، إلا بني في ذلك اليوم منجداً في يومه^(٢) (ص
 ٣٤). ومثل ذلك قصة خراب تُنبكت وإعادة بنائها (ص ١٥٦).

٣- مختارات من آثاره

- من مقدمة كتاب الفتاش:

الحمد لله المنفرد بالملك والملكوت^(٣) والميرة والجبروت والقهر والغلبون والرافة
 والرحموت، الملك الديان القادر المتأن^(٤) الذي خلق الأرض والسماء وعلم آدم الأسماء^(٥)
 وأخرج من صلبه الملوك والرعاة^(٦)، فينهم متكبرون قايطون ومنهم مقتصدون

(١) تاريخ الناس . ص ١٨٤ . راجع أيضاً المقدمة الغرضية . ص ١٨ .

(٢) بيني المسجد في يوم واحد!

(٣) فلولت (بفتح ففتح) وفعلوتنا (من الصبح النادرة في اللغة العربية) يأتي عليها ست كلمات: جبروت،
 رحوت، رغبوت، رهوت، قهرت، ملكوت (راجع تاج العروس - الكويت ١٠: ٣٥٦). والمؤلف
 (هنا) استعمل «غلبوت» أيضاً. هذه الصبغ تشتمل في اللغة العربية مصادر. ولكن ما الفائدة من
 استعمالها مكان المصادر العادية: جبر، رحمة، قهر، ملك، الخ؟ - في الفاموس السرياني (اللباب لجبرائيل
 الفرداحي، ١: ١٥٨): جبروتنا (بجيم معقودة، قريبة من القاف، مفتوحة وبعدها باه ساكنة): الرجولة.
 وترد هذه الصيغة السريانية (بفتح ففتح فسكون وواو مضمونة): المعجزة أو الآهة. وأغلب الظن أن
 العرب أخذوا هذه الصبغ لا في لفظها من النخامة والتأثير الغريب.

(٤) الديان: الذي يحكم بين الناس (يوم القيامة). المتأن: المالح (المطهي، الواهب) الكريم.

(٥) «وعلم آدم الأسماء كلها» (القرآن الكريم ٢: ٣١، سورة البقرة).

(٦) الرعاة (بالضمة وآخرها همزة): الرعاة (جمع راع) - راجع الفاموس ٤: ٣٣٥.

صالحون^(١). فَأَبْتَلَاهُمْ (جميعاً) بظهور الأنبياء والأخبار^(٢) فَأَهْلَكَ مِنْ أَبَاهُمْ^(٣) وَصَبَّرَهُمْ عِيرَةً لِّلْمُتَّعِبِينَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ. ثُمَّ أَوْرَثَ الْعُلَمَاءَ عِلْمَهُمْ وَأَخْلَفَ الْخُلَفَاءَ عَلَى أَمْرِهِمْ^(٤)..... وَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً مَنْ أَفْرَغَ قَلْبُهُ وَهَوَاهُ لِأَمْثَالِ أَمْرِ مَوْلَاهُ^(٥)..... وَشَهِدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ الْكَرِيمُ وَرَسُولَهُ الرَّحِيمُ وَصَفِيَّهُ الْحَلِيمَ وَنَجِيَّهُ الْأَمِينُ ذُو الْآيَاتِ الصَّادِقَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْبِرَاهِينِ الْقَاطِعَاتِ، أَرْسَلَهُ مُؤْتَدِّاً لِلْإِسْلَامِ وَمُسَدِّدًا لِلْأَنَامِ وَمُبَيِّنًا لِلشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ.

وبعد، فلما كان ذِكْرُ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ^(٦) وَالسُّلَاطِينِ وَالْمُلُوكِ وَأَكَابِرِ الْبُلْدَانِ مِنْ عَادَةِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْأَعْيَانِ، اتَّخَذَ^(٧) بِنْتَةَ الرَّسُولِ وَتَذَكَّرَ بِهَا غَيْرَ مِنَ الزَّمَانِ وَرَدًّا لِلنَّبِيِّ عَنِ الْحَيْفِ وَالْهَوَانِ^(٨) وَعَوْنَا لِلتَّقِيِّ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْإِخْوَانِ. وَ(قد) مِنْ اللَّهِ عَلَيْنَا بِأَنْ أَظْهَرَ لَنَا فِي زَمَانِنَا هَذَا الْإِمَامَ الصَّالِحَ وَالْخَلِيفَةَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْعَالِمَ وَالنَّصُورَ الْقَائِمَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدَ^(٩) بِنِ أَبِي بَكْرٍ التَّوْرِدِيِّ أَصْلًا الْكُوكُوبِيِّ دَارًا وَمَسْكَنًا فَأَنَارَ لَنَا الْهُدَى بَعْدَ ظُلْمِ الدُّجَى وَأَمَاطَ عَنَّا الْهُدَى^(١٠)؟ بَعْدَ الْجَيْنِ وَالرُّدَى^(١١). فَأَنْفَسَحَ^(١٢)، بِمَجْمَدِ اللَّهِ، الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا، وَتَدَاعَتْ^(١٣) لَهُ الْوُفُودُ فَرْدًا

- (١) قاسط: ظالم (تأتي أيضاً بمعنى: عادل). مقتصد: معتدل.
- (٢) ابتلاهم: اختبرهم (أي اختبر الناس) بظهور الأنبياء (جمع نبي) - تاج العروس - الكويت ٤ : ٤٤٥.
- (٣) أباهم: رفضهم (عصى الأنبياء).
- (٤) أخلف (استخلف) الأنبياء (الأنبياء) على (تنفيذ) أمرهم (ما أمر به الأنبياء).
- (٥) هواء (ميله، رغبته): جعل رغبته قاصرة على طاعة أوامر الله. لأمثال (اقرأ: لأمثال: تعبد، طاعة) مولاة (زوجه).
- (٦) الأنبياء جمع نبي.
- (٧) اتخذاً لسنة الرسول أو اقتياداً لسنة الرسول أو اقتداء بسنة الرسول.
- (٨) غير: مضي. الحيف: الظلم.
- (٩) الأسكيا محمد الأول: ملكاً امبرطورية سنهي، وكانت تضم جميع الحوض الأوسط لنهر النيجر وقسماً من الصحراء الكبرى بما في ذلك المدن: ولاتن وتبسكت وكاو (بكاف معنودة، تلفظ كالغاف).
- (١٠) أماط: أهد، أزال. الهدى (؟) اقرأ: الهدى. ويقال «أماط الأذى».
- (١١) الردى: الموت، الهلاك (على يد الأعداء). الجين: الخوف، الإحجام عن العمل (قتال العدو).
- (١٢) انفصح البلدان (انفسح ملكه). - لعلها: أفتتح البلدان (؟).
- (١٣) تداعت له الوفود (اجتمعت عنده الوفود من الشرق والغرب).

وجَمَعاً. وأذعنت له الملوك كرهاً وطوعاً. فصيرنا من بركاته في خير ونعمى بعدما كنا في ضيق ويوسى^(١). فيبدل الله ذلك بفضله، كما قال لأكرم خلقه: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٢).

أردت أن نجتمع من أحواله الحلوان^(٣)، مع ذكر شيء عال الملعون^(٤) (؟) ما سهل على اليد واللسان. وإلى الله سبحانه التكلان^(٥). وسَمِيَتْهُ «تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذاكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفرقي أنساب العبيد من الأحرار».

أعلم، رَجِمْنَا اللهُ وَإِيَّاكَ، أَنْ الْإِمَامَ الْعَادِلَ وَالسُّلْطَانَ الْفَاضِلَ أَسْكِيَا الْحَاجَّ مُحَمَّدًا لَمَّا تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ أَقَامَ^(٦) طَرِيقَةَ سُنِّيٍّ وَجَعَلَ فِيهَا قَوَاعِدَ^(٧): ولا يقوم^(٨) لأحدٍ إلَّا للعالم والحجاج^(٩) إذا قَدِمُوا مِنْ مَكَّةَ، وَلَا يَأْكُلُ مَعَهُ إِلَّا الْعُلَمَاءُ وَالشُّرَفَاءُ وَأَوْلَادُهُمْ وَسِنٌّ^(١٠)، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا، رَجِمَهُ اللهُ. وَهَذَا كُلُّهُ (كَانَ) فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِتَأْلِيفِ قُلُوبِ قَوْمِهِ. فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لَهُ السُّلْطَنَةُ وَأَسْتَقَامَتِ الْمَمْلَكَةُ خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَجَعَلَ يَسْأَلُ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ عَن سَنَةِ^(١١) رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْنِي عَلَى أَقْوَالِهِ، رَجِمَهُ اللهُ،

(١) اليوسى: اليوس (الثقة، الفقر، الشقاء).

(٢) كما قال (الله تعالى) لأكرم خلقه (محمد رسول الله): ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (القرآن الكريم ٩٤: ٦٠، سورة الانشراح).

(٣) من أحواله: من أحوال الأسكيا الحاج محمد الحلوان (؟).

(٤) شي عال (في التعليق على النص بالفرنسية، ص ١٠): أمير حكم بلاد سنهي من ١٤٦٥ إلى ١٤٩٢ للميلاد (٨٧٠ - ٨٩٨ هـ) وكان الملك الذي سبق آخر ملوك أسرة شي التي جاءت قبل الأسرة التي عرفت باسم الأسكيا (أسرة الحاج محمد).

(٥) إلى (اقرأ: على). التكلان (بالضم): الانتكال، الاعتاد.

(٦) أقام سنهي: عمل بها، على نخط ما كانت تلك الأسرة تعمل.

(٧) سنهي (بضم فسكون ففتح فسكون) أو سني (بضم ففتح فسكون) تلك المملكة التي كانت عاصمتها كاو (بكاف مقفودة - بين العين والقاف)، وخصوصاً في الحوض الأوسط للنيجر.

(٨) قواعد - بمد هذه الكلمة عادات شخصية للدين يخدمون الملك.

(٩) يقوم: ينهض، يقف للتحية.

(١٠) اقرأ: أو للحجاج.

(١١) سنّ مضاها: الرئيس، الأمير (ولعلها تشير إلى الفرد من أعضاء الأسرة الحاكمة).

(١٢) سنّة رسول الله = طريقته.

حَتَّى اتَّفَقَ عَلَماؤُهُ عَصْرَهُ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَةٌ^(١). وَمِمَّنْ صَرَّحَ لَهُ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السُّيُوطِيُّ^(٢) وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَغِيلِيُّ^(٣) وَالشَّيْخُ شَمْرُوشُ الْجِنِيُّ^(٤) وَالشَّرِيفُ الْحَسْبِيُّ مَوْلَايَ الْعَبَّاسِ أَمِيرُ مَكَّةَ^(٥)، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ.

- عدد من أسماء أعلامهم مضبوطاً (الفتاش ٢٥):

...وكان اسم كبير الرجال المذكورين وَعَكْرُيَّ بنِ بَرَّاسٍ وَأَسْمُ زَوْجَتِهِ أَمْنَةُ بِنْتُ بَحْتِ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ وَعَكْرُيَّ بِوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَعَيْنٍ سَاكِنَةٍ وَكَافٍ وِرَاءَ مَضْمُومَةٍ^(١) مُمَالَتَيْنِ فِئَاءٍ سَاكِنَةٍ. وَأَسْمُ ثَانِيِ الرَّجَالِ سُنِّيُّ بنِ بَرَّاسٍ، وَأَسْمُ زَوْجَتِهِ سَارَةُ بِنْتُ وَهَبٍ، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ سُنِّيِّ بِيَيْنٍ وَعَيْنٍ مَضْمُومَتَيْنِ مُمَالَتَيْنِ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ. وَثَالِثُ الرَّجَالِ أَسْمُهُ وَنَكَرٌ، وَهُوَ أَضْفَرُهُمْ، وَلَيْسَ لَهُ زَوْجَةٌ، وَإِنَّمَا كَانَ لَهُ أُمَّتَانِ^(٢) أَسْمُ إِحْدَاهُمَا سَكْرَى وَاسْمُ الْآخَرِ كَسْرَى. فَاتَّخَذَ وَنَكَرَ سَكْرَى سَرِيَّةً لَهُ.

وكان جدُّ قَبِيلَةِ وَنَكَرَ بِوَاوٍ مَفْتُوحَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ فِرَاءً مَفْتُوحَةٍ. وَكَانَ لَهُمْ عَبْدٌ يُسَمَّى بِمِينِكَ فَرَزَّوْجَهُ بِأُمَّتِهِمْ كَسْرَى، وَهُوَ جَدُّ قَبِيلَةِ مِينِكَ بِيَمٍ مَكْسُورَةٍ عَالِمَةٌ فِئَاءٍ مَدْغَمَةٍ وَنُونٍ مَدْغَمَةٍ وَكَافٍ مَفْتُوحَةٍ. وَإِلَى آبَائِهِمْ نُسِبُوا. ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي الْأَرْضِ. وَكَانَ كَبِيرُهُمْ وَعَكْرُيُّ سُلْطَانَهُمْ، وَسَمَّوْهُ كَيْمِغَ، وَمَعْنَى ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ: طَالَ الْإِرْثُ، يَرِيدُونَ بِذَلِكَ «أَطَالَ اللَّهُ وَرَثْنَا الْمُلْكَ».

٤- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (تحرير هوداس وديلانوس)، باريس (مطبعة مدرسة اللغات الشرقية. القسم الخامس، المجلد ١٩، العدد الأول) ١٩١٣؛

(١) خليفة = متحق لقب خليفة.

(٢) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المصري (ت ٩١١ هـ) من العلماء الذين برعوا في فنون كثيرة من المعرفة الإنسانية.

(٣) المغيلي (ت ٩٠٩ هـ) هذا عالم مغربي عاش جانباً كبيراً من حياته في السودان الغربي.

(٤) شمروش (يبدو أنه شخص خيالي) الجنّي (نسبة إلى الجنّ، خلاف الإنس - بكر الهزرة).

(٥) أمير مكة: (لم يذكر زامباور (ص ٣٢ - ٣٣) أحداً من أشراف مكة في القرنين التاسع والعاشر والحادي عشر للهجرة (الرابع عشر والحامس عشر والسادس عشر للميلاد) باسم العباس.

(٦) اقرأ: مضمومتين (أي الكاف والراء).

(٧) الأمة (بفتح فتح): الحاربة الملوكة.

طبعة بالتصوير: المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية، باريس (مكتبة أميرة
والشرق: أدريان ميزوتوف) ١٩٦٤ م.

* * نيل الابتهاج ٣٤٣ - ٣٤٤ بروكلين، الملحق ٢: ٧١٦ - ٧١٧ هوار (السخة الانكليزية
٣٨٦)؛ الأعلام للزركلي ٨: ٥٦ (٧: ١٧٩)؛ سركيس ٤٦٤؛ شجرة النور الزكية ٣٧٨ (رقم
١٠٤٣).

ثالث صفر ١٤٠٣ = ١٩ / ١١ / ١٩٨٢ م.





مرکز تحقیقات و توسعه در علوم اسلامی

فهرس أعلام الأشخاص

[١-٦]

- ابن أحرّوم = مندبل
 ابن الأيثار القضاي (٢١٠-٢١٧)، ٦،
 ١٦، ١٧، ٨٠، ٩٩، ١١٠، ١٥٩،
 ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٧٦ ح.
 ابن أبي البقاء البلنسي - محمد بن - محمد
 (١٣٤-١٣٥).
 ابن أبي بكر = أسكيا الحاج محمد
 ابن أبي بكر التطواني - محمد ٥١٦.
 ابن أبي بكر الصغير - محمد ٥٨٦.
 ابن أبي بكر - محمد بن يحيى ٨١.
 ابن أبي جعفر = أحد
 ابن أبي جرة الأندلسي - عبد الله ٥٦، ٥٩.
 ابن أبي حجلة (٥١٧-٥٢١).
 ابن أبي الحسين - محمد (٢٥٣-٢٥٥).
 ابن أبي حمزة = ابن أبي حمزة
 ابن أبي خرص = أبو محمد ١٤٠ ح، ١٤١.
 ابن أبي الخصال ٢١٥ ح.
 ابن أبي الربيع القرشي - عبيد الله بن أحمد
 (٣١٦-٣١٧)، (٣٣٦-٣٣٧)، ٣٨٢ م،
 ٣٩٩، ٤٠٩، ٤٤٥ م.
 ابن أبي الرجال القيرواني - علي ٦١٢.
 ابن أبي رمانة المري - الحاج ٣٤١.
 ابن أبي زرع - علي (٤٠٦-٤٠٨).
 ابن أبي زيد القيرواني ٦٠، ٦١ م، ٦٥،
 ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٦٩١ ح، ٦٦٨ ح،
 ٦٧٤، ٦٧٩، ٦٩٦، ٧٠٦.
 الآبلي - محمد بن إبراهيم ٥٤٠، ٥٤٤ م.
 الآبي - صالح ٢٠٩.
 آدم ١٩٩ ح م، ٢٣٩ ح، ٣٠٧، ٣٢٠،
 ٤٣٣ ح، ٥٠٢.
 آل ياسين - محمد حسن ٤٣٠.
 آمنة بنت وهب ١٨٠ ح م.
 الأندلي ٣٩٩، ٤١١ *.
 إبراهيم ١٧٨ ح.
 إبراهيم بن أبي بكر التلمساني (٣٠٧-
 ٣١٩).
 إبراهيم بن علي - أبو سالم (السلطان المريني)
 ٥٠٥ م، ٥٠٧.
 إبراهيم الفيجي (٧٠٣-٧٠٥)، ٧٠.
 إبراهيم بن محمد = الطويج
 إبراهيم بن محمد المرسي ٧٢.
 إبراهيم بن يحيى الفرناطي ٦١.
 إبراهيم بن مخلف المطاطي التلمساني ٣٦١.
 إبراهيم بن يزيد = النخعي.
 اركان - الحسن ٨٠.
 أربة الحبشي ٣٠٦ ح.
 إيليس ٩٦ م، ٤٣٣ م.
 ابن أحرّوم - أبو عبد الله محمد (٣٩٣-
 ٣٩٩)، ٥٣، ٤٤٩، ٤٩٦، ٥٨٠،
 ٥٨٦.

- ابن أبي التكر (شكر) - يحيى بن محمد ٨٨ م، ج ٨٩.
- ابن أبي صالح - عبد الله ١٦٢ ح.
- ابن أبي العيش - علي بن محمد ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٨٩.
- ابن أبي العيش - محمد ٥٣٠.
- ابن الأثير - ضياء الدين ٤٧٠ ح.
- ابن الأثير - مجد الدين ٣٧٣.
- ابن أحمد الكناسي - محمد ٧٠٥.
- ابن الأحمر (؟) ٢١ م، ٦٨٥ م.
- ابن الأحمر (لقب كل سلطان في غرناطة) ١٠١، راجع ٣٥٧.
- ابن الأحمر (*) - اسماعيل بن فرج (٥) ٤٣٩، ٤٦٦-٤٦٧.
- ابن الأحمر - اسماعيل بن محمد بن فرج (؟) ٦١٥ ح.
- ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل (٩) ٥٠٥.
- ابن الأحمر - اسماعيل بن يوسف بن محمد (٠) ٦١٥، (٦٢١-٨١).
- ابن الأحمر - سعد بن علي (١٨) ٦٤١.
- ابن الأحمر - علي بن سعد (١٩) ٦٤١ ح.
- ابن الأحمر - محمد بن اسماعيل بن محمد (٦) ٤٣٦، ٤٣٩.
- ابن الأحمر - أبو عبد الله محمد بن علي (آخر ملوك غرناطة) ٦٩٨، ٧٠٠-٧٠٣.
- ابن الأحمر - محمد بن فرج (٠) ٦١٥.
- ابن الأحمر - محمد بن محمد بن محمد (٣) ٤٤٤، ٤٤٤ م، ٣٦٥، ٣٢٥، ٣٢٣، (٣٦٩-٣٦٨)، ٣٨٣، ٤٣٦.
- ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن اسماعيل (٨) ٤٨٤ م، ٥٠٤-٥٠٥، ٥١١، ٥٧٠، ٦١٧ م، ٦١٨، ٦٢٦ ح م.
- ابن الأحمر - محمد بن يوسف بن نصر (١) ٢٦٦ م، ٢٨٧.
- ابن الأحمر - محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (٢) ٣٦٥، ٣٦٦-٣٦٧، ٣٨٢، ٤٢٦ م، ٤٨١.
- ابن الأحمر - نصر بن محمد (٤) ٩٢، ٤٣٩.
- ابن الأحمر - يوسف بن اسماعيل بن فرج (٧) ١٠٤-١٠٦، ٤٣٩، ٤٤٩ ح، ٤٦٥ ح، ٤٦٨، ٤٩٠، ٥٠٤ م، ٥٠٧، ٥٥٦، ٥٥٨، ٥٧٠، ٥٧١، ٦١٥.
- ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن اسماعيل (١٦) ٤٨٢.
- ابن الأحمر - يوسف بن محمد بن فرج (٠) ٦١٥.
- ابن الأحمر - أبو الحجاج بن نصر (والي مدينة وادي آش) ٣٦٨ م.
- ابن الأحمر - يوسف بن يوسف (١٣) ٦٢١-٦٢٣).
- ابن الأوصح - أبو علي ٤١١.
- ابن أدبية (؟) - محمد ٥٦٦.
- ابن الأزرق - محمد بن علي (٦٦١-٦٦٥)، ٦٦٨، ٨٥٠ م، ٦٧١.
- ابن اسماعيل الطائي - محمد بن عبد الله ٤٤٤.

(*) إن الرقم المحصور بين هلالين كبيرين يدل على مرتبة صاحبه في سلسلة ملوك بني الأحمر في غرناطة.

- ابن الأشقر الحضرمي = بكرون
ابن الأغر - أبو جعفر ٤٨٩ .
ابن أقيت - أبو بكر بن أحد التيبكي
١٣٣ .
ابن أقيت = بابا التيبكي
ابن الإمام - عبد الرحمن ٤٧٢ .
ابن الإمام - عيسى ٤٧٢ .
ابن أيك الصفي - خليل ٤١٧ - ٤١٨ ،
٤٥٢ .
ابن باباذ المصري ٢٥٠ .
ابن باجه ١٨٥ م .
ابن باديس - الحسن ٦١١ .
ابن بحرق = بحرق
ابن بدرن - عبد الملك ١٩٠ .
ابن البراء - أبو القاسم ٢٠٥ .
ابن براجان - عبد الحكيم ٧٢ .
ابن برال التونسي ٤٩٦ .
ابن البرذعي = البرذعي
ابن برطال - أبو علي ٤٢٠ .
ابن برّي - عبد الله ٥٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .
ابن برّي - علي بن محمد ٥٣ م ، ٥٤ م .
ابن برز = مؤيد الدين القمي
ابن بسام الشتريني - علي ٣٧١ .
ابن بشكوال - خلف بن عبد الملك ١٥٥ ،
٢١١ ، ٣٤٧ م ، ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .
ابن بشير (٩) ٦٣ م .
ابن بطوطة (٥٢١ - ٥٢٧) ، ٦ ، ٥٤ ، ٥٧ ،
٨١ ، ٤٦٩ .
ابن البقال - محمد ٥٣ ، ٧٢ .
ابن بقي - أحمد بن يزيد ٣٣٥ ، ٣١٧ ،
٣٣٦ ، ٤٤٤ .
- أبو بكر - أبو عبد الله ٤٥٥ .
ابن البناء الإشبيلي - محمد بن أحمد (١٦٧) -
(١٦٩) .
ابن البناء العددي - أحمد بن محمد (٣٨٨) -
(٣٩٣) ، ٦٠ ، ٥٣ ، ٨٧ م ، ٩٠ م ، ٤٨٠ م .
٦٦٤ ، ٦٣٧ م ، ٦٦٦ .
ابن البناء السرقطي - أحمد بن يوسف ٧٥ .
ابن بيش المبدي ٥٧٠ .
ابن البيطار - عبد الله بن أحمد ٣٧١ ،
٥٧٧ م .
ابن ذفراكين - أبو محمد ٥٨٧ .
ابن تاويت الطنجي - محمد ٤٠٦ ، ٤٤٩ ح ،
٦٠٦ ، ٦٠٧ م ، ٦٢٠ .
ابن تيفاوت = محمد بن تيفاوت
ابن تيمية الحراني - أحمد ١١٠ - ١١١ ،
٢١٧ ، ٤٢٧ م ، ٥٦٦ م ، ٥٩٥ ح .
ابن جابر الأندلسي - شمس الدين محمد بن
علي (٥٣٠ - ٥٣٧) ، ١١٤ ح م ، ٥٠٤ ،
٥٢٨ ، ٥٣٠ ، ٥٥٥ .
ابن جابر الوادي آشي - شمس الدين محمد
(٤٤٢ - ٤٤٥) ، ٤٤٢ ح ، ٥٠٤ .
ابن جابر = عنان
ابن جابر الفسائي - محمد بن يحيى (٦٢٣) -
(٦٢٥) ، ٥٤ .
ابن جامع = عنان ابن جابر
ابن جامعة - عمر ٧٣ .
ابن جبريل - زين الدين ٣٩٧ .
ابن جبير - محمد بن أحمد ١١٢ ، ١١٤ -
١١٥ ، ٢٣٠ .
ابن الجعد التونسي - أبو القاسم ٢٨٦ .
ابن جدو ٤٠٤ .

- ابن الجزولي = الجزولي
ابن جزبي - أبو إسحاق ٦٢٦ .
ابن جزبي - أبو بكر ٦٢٦ .
ابن جزبي - أحمد بن محمد (٥٥٨ - ٥٦٠) .
ابن جزبي - أبو محمد عبد الله ٦٢١ .
ابن جزبي - أبو القاسم محمد بن أحمد (٤٢٠ -
٤٢٦) ، ٤٢١ ، ٦٠ ، ٤٥٥ (٩) .
ابن جزبي - محمد بن محمد (٤٦٨ - ٤٧١) ،
٥٤ ، ٥٧ ، ٥٢٢ م .
ابن الجلاب الفهري - محمد بن أحمد ٤٥٨ ،
٦٦٩ ، ٦٨٨ .
ابن جلال الدين - محمد ٧٨ .
ابن جماعة - محمد بن إبراهيم ٦٢ ، ٣٣٢ (٩) .
ابن الجنان ٦٧ .
ابن الجنان - محمد بن سعيد (٢٧٣ - ٢٧٥) .
ابن الجنان - محمد بن محمد (١٩٦ - ٢٠٤) ،
١١٧ ، ١١٩ ، ٢٢١ .
ابن جني - عثمان ٢٧١ م .
ابن الجواليقي - أبو علي ٢٣٥ .
ابن جودي ١٨٥ م .
ابن الجوزي - أبو الفرج ١١٣ ، ٣٧٠ -
٣٧١ .
ابن الحباب - علي بن محمد (٤٣٨ - ٤٤٢) ،
٣٦٥ ، ٤٧٨ م ، ٥٠٤ ، ٥٠٧ .
ابن الحبان = ابن الجنان - محمد بن محمد
ابن الحاج - أبو سعيد ١٥٥ .
ابن الحاج التلمي - أحمد بن محمد بن حمدون
٢٧٠ .
ابن الحاج - الطالب بن محمد بن حمدون
٢٦٩ م ، ٢٧٠ ، ٦٣٢ .
ابن الحاج البليغي - أبو البركات محمد بن محمد
- (٤٩٨ - ٥٠٣) ، ٤٨٩ ، ٥٠٤ ، ٥٦٣ ،
٥٧٠ .
ابن الحاج البغدادي - محمد بن محمد ٧٤ ،
٤٩٨ .
ابن الحاج النيسري - إبراهيم بن عبد الله
(٤٨٣ - ٤٨٩) ، ٤٩٨ م ، ٦٢٦ .
ابن الحاجب - أبو عمرو عثمان بن عمر
٦٠ م ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٨ م ، ٢٦٠ ،
٤٤٣ ، ٥٤٧ م ، ٥٧٧ م ، ٦٣٦ م ،
٦٦٨ م ، ٦٦٩ م ، ٦٨٩ م .
ابن الحباك - محمد بن أحمد ٩٠ .
ابن حبيب الدمشقي - الحسن بن عمر
٥٣٤ ح .
ابن الحجاج - أبو الوليد ٣٨٨ .
ابن حجر = عمرو القيس
ابن حجر الصقلاني ٦٣٥ ، ٦٦٦ .
ابن حجر الهيثمي ١١٣ .
ابن حجة الحموي ٥٣١ ح ، ٥٣٦ .
ابن حرازم (حرزم) - محمد ٢٠٤ .
ابن حرث - أبو عبد الله ٤١٣ .
ابن حزام ٣٠٩ م .
ابن حزم - أبو بكر بن طلحة ١٥٤ .
ابن حزم - أبو العباس بن طلحة ١٥٤ .
ابن حزم = طلحة .
ابن حزم الكبير - علي بن محمد ٥٢٠ ح .
ابن حسان الوادي آشي - محمد بن حابر
٤٨٩ .
ابن الحسين = المنتهي
ابن الحضار - أبو جعفر ١٣٨ م ، ٣١٠ .
ابن حفص البحصي ٢٥٥ .
ابن حك السلوي - إبراهيم ٤٧٢ .

ابن الخطيب - عبد الله بن سعيد (والد لسان الدين) (٤٦١، ٥٠٤ .
 ابن الخطيب - ؟ بن عبد الله (أخو لسان الدين) (٤٦١ .
 ابن الخطيب = عبد الله بن لسان الدين
 ابن الخطيب = لسان الدين
 ابن الخطيب = ابن قنمذ
 ابن خضاعة ٩٧، ٥٩٩ .
 ابن خلاص - أبو علي ١٧٤ .
 ابن خلاص (صاحب ستة) ١٩٦ .
 ابن خلدون - محمد (جد عبد الرحمن) ٥٨٦ .
 ابن خلدون - محمد (والد عبد الرحمن) ٥٨٦ .
 ابن خلدون - عبد الرحمن (٥٨٦ - ٦١٠) ،
 ٦ ، ١٩ ، ٢٠ م ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٥٨ م ،
 ٦٣ ح ، ٨١ ، ٩٣ ، ١٢٧ ، ٢٧٢ ح ،
 ٣٨٩ ، ٤٤٩ ح ، ٥٠٥ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ح ،
 ٦٣٤ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ .
 ابن خلدون - يحيى (٥٤٠ - ٥٤٦) .
 ابن خلكان ١٦٣ ح م .
 ابن الخلوف = شهاب الدين
 ابن خميس - أبو بكر محمد ١٤١ ح .
 ابن خميس التلصاني - محمد بن عمر (٣٦١ -
 ٣٦٥) ، ٣٩٩ ، ٦١٣ - ٦١٤ .
 ابن خميس - أبو علي ٣٥٧ .
 ابن الخوجة - محمد الحبيب ٣١٢ ، ٣٨٧ .
 ابن خيار - ثابت ٢٦٠ .
 ابن المدارس - يعقوب ٤٤٩ .
 ابن داوود الصنهاجي - علي بن محمد ٦١٥ -
 ابن الدباج (الديبج) الإشبيلي - علي بن جابر
 (١٧٠ - ١٧١) ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ٢٣٧

ابن حكم القرشي = سعيد بن حكم
 ابن الحكيم الرندي (٣٦٥ - ٣٦٧) ، ٣٦٢ ،
 ٣٨٢ م ، ٣٨٣ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٦٨ م .
 ابن الهبارة - علي ١٨٥ م .
 ابن حمدون = ابن الحاج السلمي
 ابن حمدون = ابن الحاج (محمد الطالب)
 ابن حوط الله (حوطه) :
 ابن حوط الله - أبو سليمان داوود ٣١٠ ،
 ٤٤٤ .
 ابن حوط الله - أبو عمر ٣٩٩ م .
 ابن حوط الله - أبو محمد عبد الله ١٤٤ ،
 ١٩٠ ، ٢١٨ ، ٤٤٤ ، ١٤٧ م .
 ابن حيان - خلف بن حسين ١٩٢ م .
 ابن حيان - محمد ٤٤٤ .
 ابن حيدور (هيدور) - علي بن موسى ؟؟
 ابن خاتمة - أحمد بن علي (٤٨٨ - ٤٩٤) ،
 ٥٦٤ ، ٥٦٣ ، ٦ .
 ابن خاتمة السقي = ابن هاني السقي
 ابن الخاسر المريبي = أبو الحسن ١٨٥ م .
 ابن الخراط - عبد الحق ٤٣٦ ح م ، ٥٤٧ .
 ابن خروف - أبو الحسن ١٧٠ ، ١٩٠ ،
 ٢٣٠ ، ٢٤٠ .
 ابن الخضار - علي بن محمد ٣٨٢ .
 ابن خضر الشاطبي - أحمد بن محمد ٥٣ .
 ابن خطّاب النحوي - عزيز بن عبد الملك
 ١٩٦ .
 ابن خطّاب النافقي - محمد بن عبد الله
 ٣٦١ .
 ابن الخطيب (؟) ٦٠ .
 ابن الخطيب - سعيد = الخطيب (جد لسان
 الدين)

- ابن زرقون - أبو الحسين (الحسن) ٢٧٧ .
٢٨٦ .
- ابن زرقون - أبو عبد الله ١٩٠ .
ابن زرقون - محمد بن محمد ٢٤٠ .
ابن زريق البغدادي ٦٢١ .
ابن زكري التلمساني - أحمد ٦٨ ، ٧٤ م .
ابن زمرك - محمد بن يوسف (٥٦٩ - ٥٧٦) .
١٢٧ - ١٣١ ، ١٥٠ ، ٥٠٥ م ، ٦٢١ .
ابن زهر - أبو بكر ١٥٤ ، ١٦٤ م ، ٤٨٧ .
ابن الزيات الصوفي - أبو مهدي ٦٢١ .
ابن الزيئات الكلاعي - أحمد بن الحسن
(٤٠٩ - ٤١١) ، ٥٣ ، ٤٦٠ .
ابن زيتون - أبو القاسم بن أبي بكر ٣٥٤ ،
٤١٥ ح .
ابن زيتون - يحيى بن الفرج ٤١٥ .
ابن زين الدين = أحمد
ابن زين الدين الحمصي ٢٦٨ م .
ابن زيني دحلان = دحلان
ابن سالم = أبو الربيع
ابن سبعين - عبد الحق ٢٤٦ م ، ٣٣٠ .
ابن السداد - أبو عيسى ١٩٦ .
ابن السراج الرعيني - محمد بن سعيد ٥٧ -
٥٨ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٦١٥ .
ابن سراج الغرناطي - أبو القاسم ٦٣٧ م ،
٦٤١ م ، ٦٤٣ م ، ٦٤٧ م
ابن سراقه الناطلي - محمد بن أحمد (٢٣٥ -
٢٤٦) ، ٢٣٧ .
ابن سعدى (= أوس بن حارثة) .
ابن سعيد التونسي ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
ابن سعيد الضبي - أحمد بن عبد الملك
٣١٣ - ٣١٤ .
- ٢٤٨ ، ٢٧٥ ، ٢٨٦ ، ٣١٢ ، ٣١٧ .
راجع ٣٣٥ .
ابن دريد ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٣٧١ ، ٥٣٥ ،
٥٨٠ .
ابن دقيق العيد - يحيى الدين ٤٠٢ م ،
٥٤٧ ح .
ابن دهان ٤٣١ ، ٤٣٢ ح .
ابن الديبع الشيباني ١١٣ .
ابن دينار - عيسى ٥٥٩ م .
ابن ذي يزن ٢٧٢ م ، ٢٨٨ م .
ابن راهوب = إسحاق
ابن ربيع الأشعري - أبو عامر ٤٢٠ .
ابن ربيع الأنصاري - عبد الحق ٣٥٤ .
ابن الرّحال المعداني - الحسن ٦٣٢ .
ابن رشاد القنصي ٤٥٨ .
ابن رشد الفقيه (الجدّ) ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٢ .
ابن رشد الفيوف (الحفيد) ١٤٨ ، ٥٩١ م ،
٦١٠ ح .
ابن رشيد السبي (٣٨٢ - ٣٨٧) ، ٥٦ ،
٤٣٩ ، ٤٤٩ ، ٤٧٨ .
ابن رشيقي القيرواني ٢٨٦ .
ابن الرضاع التلمساني - محمد بن القاسم ٥٩ .
ابن الرعيني = ابن السراج
ابن الرقام السبي - القاسم بن سعد ٧٤ .
ابن الرقام المرسي - محمد بن إبراهيم ٨٧ .
ابن الرومي ٢٩٧ ح ، ٥٩١ .
ابن الزبير = أبو جعفر بن الزبير
ابن الزبير - الزبير بن أحمد ٧٩ .
ابن زرقاله - أبو جعفر أحمد (الجدّ) ٥٦٣ .
ابن زرقاله - أبو جعفر أحمد (الحفيد)
(٥٦٣ - ٥٦٥) .

- ابن سعيد العنسي - عبد الرحمن بن عبد الملك ٣١٤ .
- ابن سعيد العنسي - علي بن الحسن (٣١٢) - (٣١٧) ، ١٨٠ ، ١٥١ ، ح ١٨٣ .
- ابن سعيد العنسي - محمد بن سعيد (١٤٨) - (١٥٢) .
- ابن سعيد العنسي - موسى بن محمد بن عبد الملك ١٤١ م ، ٣١٤ .
- ابن سفر المرئي - محمد بن عبد الله (١٥٩) - (١٦١) .
- ابن السكّك المكناسي - محمد بن محمد ٧٩ .
- ابن سلامة السكري - علي بن عيسى ٧٦ .
- ابن سلمون البياسي - أبو القاسم بن علي ٦١ .
- ابن سلمون الكتافي - عبد الله بن عبد الله ٤٧٠ ح .
- ابن سلمون الكتافي - عبد الله بن علي ٦٠ ، ٦١ .
- ابن سليمان - يوسف ٦٦٥ .
- ابن السّاط المهدوي - يوسف بن علي (٣٢٣ - ٣١٩) .
- ابن السّمّك - محمد بن إبراهيم ٤٥٥ ح .
- ابن سمّك - محمد بن محمد (٤٥٥ - ٤٥٧) .
- ابن سمّك - يعيش بن إبراهيم ٨٧ .
- ابن سمعت (سمعة) - أبو الحسن ٦٤١ .
- ابن سهل الإشبيلي (١٧٤ - ١٨٣) ، ١١٧ م ، ١٢٠ ح ، ١٢٢ م ، ٥٠٧ .
- ابن سودة = الناودي
- ابن سيّد الناس - أبو القاسم ٤٥٢ .
- ابن سيّد الناس - عبد الله ٢٣٢ ، راجع ٢٢٩ .
- ابن سيّد الناس - فتح الله ٤٥٢
- ابن سيّد الناس - محمد بن أحمد (٢٢٩) - (٢٣٣) .
- ابن سيّد الناس - محمد بن محمد ٥٦ .
- ابن سيده - أبو الحسن ٢٥٣ ، ٣٧١ .
- ابن سيرى - أبو علي ١٤٥ .
- ابن سينا ٢٩٢ ، ٢٩٧ م ، ٤١٥ م .
- ابن شاس - محمد ٦١ ، ٦٣ م ، ٦٨ .
- ابن الشاط - القاسم بن عبيد الله ٥٦ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٤٢٠ ، ٤٤٥ .
- ابن شبرين (٤٣٦ - ٤٣٨) .
- ابن الشّحات الشرقاوي - هاشم ٢٣٥ م .
- ابن شّداد - أبو الحسن ٢٣٥ م .
- ابن الشّرّان الفرناطي - محمد بن إبراهيم ٦٥ - ٦٦ .
- ابن شرف التلمساني ٦٦١ . ؟؟؟؟
- ابن شريح الإشبيلي - محمد بن أحمد ٢٤٠ - ٢٤١ .
- ابن الشريف = الشريف التلمساني ، الشريف الحسني
- ابن شريفة - محمد ٢٢٤ .
- ابن شريك الداني - علي بن يوسف ١٩٤ .
- ابن شبيب الفاسي - محمد بن أحمد ٦١ .
- ابن شبيب القتتالي - محمد بن أحمد ٦١٥ .
- ابن شبيب القيسي ٤٨٩ .
- ابن شبيب الكرياني = الجزنائي الكرياني
- ابن الثلوبين = أبو علي
- ابن شب - محمد ٢١٦ ، ٣٥٦ .
- ابن الشيخ - أبو الحجاج ٣٦٠ .
- ابن الصائغ (٥)
- ابن الصائغ - (٥) ٣٩٩ ح ، ٤١١ م .
- ابن الصائغ المغربي - محمد بن عبد الله

- ابن عاصم - أبو يحيى (أخو أبي بكر) ٦٤١ .
- ابن العاصي التنوخي - إبراهيم ٤٨٩ .
- ابن عاند - يحيى ١٥٥ .
- ابن عبّاد الرندي (٥٦٥ - ٥٦٩) ، ٧٥ .
- ابن العبّاس التلمساني - محمد ٦٨٨ .
- ابن عبدالله - عبد العزيز ٥١٦ م .
- ابن عبد الله - محمد بن محمد ٢٦٦ .
- ابن عبد البرّ - إبراهيم ٦٧١ .
- ابن عبد البرّ - يوسف بن عبد الله ٤٥٨ .
- ابن عبد الجليل = محمد بن عبد الجليل .
- ابن عبد الجليل التنسي - محمد بن عبد الله (٦٨٠ - ٦٨٢) ، ٨٢ .
- ابن عبد الحقّ المشدّال = المشدّالي
- ابن عبد الدايم ٣٣٤ .
- ابن عبد ربّه (صاحب «القدح») ٨٣ ، ٣٧١ .
- ابن عبد السلام = المرّ
- ابن عبد السلام - (؟) ٦٧ .
- ابن عبد السلام المستيري - محمد ٤٦٠ ، ٤٩٦ .
- ابن عبد السيّد - أبو محمد ٤٠٣ م .
- ابن عبد الصنوع ٢٧٠ .
- ابن عبد العزيز الأنصاري = محمد بن محمد
- ابن عبد الكافي السعدي - عبد الفقار ٤٤٣ .
- ابن عبد الملك المراكشي - محمد بن محمد (٣٤٦ - ٣٥٣) ، ٦٠ ، ٦٠ ، ٢٣٠ ، ٤٨٠ .
- ابن عبد الملك = ابن خطّاب التحوي
- ابن عبد المّان المكناسيّ - أحمد بن يحيى ٦٢٤ .
- ابن عبد النعم الحميري - محمد بن عبد الله (٦٥٢ - ٦٥٦) .
- (٤٥٢ - ٤٥٥) ، ٤١١ م
- ابن الصباح - أبو صادق ٢٦٠ .
- ابن الصبّاغ - (؟) ٤١١ .
- ابن الصبّاغ الحميري - محمد بن أبي القاسم ٧٥ .
- ابن الصديق - أحمد ٦٠٧ .
- ابن الصغير الزرويلي - عليّ بن عبد الحقّ (٦٠ ، ٦٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٦٩٢ - ٦٩٣) .
- ابن صفر = ابن سفر المرّي
- ابن صفوان - أحمد بن إبراهيم (٤٨٠ - ٤٨٣) ، ٥٠٧ .
- ابن الصلاح - عثمان بن عبد الرحمن ٦٦٨ م .
- ابن الصقيل = النجيب .
- ابن الطّبّاع ٤٢٦ م .
- الطبري = نجم الدين .
- ابن طركاط - أبو القاسم ٦٤٣ - ٦٤٤ .
- ابن الطفيل (؟) - ٢٨٥ .
- ابن الطفيل = عبد الرحمن .
- ابن طلحة الإشبيلي - أبو بكر ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٩٠ .
- ابن الطيّب - الطيّب بن محمد ١٩٤ .
- ابن الطيلسان - أبو القاسم ٢٧٦ .
- ابن الطيلسان - القاسم بن محمد ٥٥ .
- ابن ظفر المالكي - محمد بن عبد الله ٨٣ .
- ابن عايد القاسي - محمد بن عليّ ٥٤ .
- ابن عات - أبو عمر ١٩٠ ، ٢٠٨ ، (٢١٨؟) .
- ابن عاشر - أحمد بن عمر ٥٦٦ .
- ابن عاصم - أبو بكر (٦٢٥ - ٦٣٣) ، ١٧ ، ٢٦٥ ، ٦٤٢ .
- ابن عاصم - أبو يحيى بن أبي بكر (٦٤١ - ٦٤٨) ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢٦ ح م .

- ابن عبد المؤمن - أبو إسحاق (حاكم إشبيلية) ١٦٤ .
- ابن عبد المؤمن - إسماعيل ١٣٥ .
- ابن عبد المؤمن - عثمان (والي غرناطة) ٣١٤ م .
- ابن عبد المؤمن - محمد بن عمر (والي بلنسية) ١٦٨ .
- ابن عبد المؤمن = المنصور الموحدى
- ابن عبد المؤمن = (الناصر الموحدى) - محمد ١٦٤ ، ٣٩ .
- ابن عبد المؤمن - يوسف ٩٨ م .
- ابن عبد النور التونسي ٦٣٧ م .
- ابن عبد النور السبتي - محمد ٣٤٠ .
- ابن عبيد النور المالقي - أحمد (٣٤١ - ٣٤٦) .
- ابن عبد الواحد الجاهلي - عبد الله ٤٧٢ .
- ابن عبدون - عبد المجيد ٩٦ ، ٢٧٢ ، ٦٨٠ .
- ٦٩٨ .
- ابن عبدون المكناسي - محمد (٢٣٣ - ٢٣٥) .
- ٥٢ .
- ابن عبيد الحجري = الحجري
- ابن عبيد (؟) الإشبيلي النحوي - أبو بكر ٤٣٦ ، ٤١٣ .
- ابن عتيق = ابن عربية
- ابن عتيق اللاردي - محمد ٥٥ .
- ابن عتيق المرسي - الحسين (٣٢٢ - ٣٢٥) .
- ابن عجلان القيسي - أحمد بن عثمان ٣٥٣ .
- ابن عجيبة = مرزوق .
- ابن العديم - كمال الدين ٢٧٣ ، ٣١٢ - ٣١٣ .
- ابن العديم - محمد الدين ٢٧٣ .
- ابن عذارى المرآكشي - أحمد (٤٠٤ - ٤٠٦) .
- ٤٠٧ ، ٨٠ ، (٤٠٦) .
- ابن عربي - محسي الدين ١١٦ - ١١٧ ، ٦٥٠ ح .
- ابن العربي - أبو بكر ٩٧ - ٩٨ .
- ابن العربي العقيلي = محمد بن العربي
- ابن عربية - عثمان (٢٢٤ - ٢٢٧) .
- ابن عرفة - أحمد ٤٦٨ م .
- ابن عرفة الورغمي التونسي - محمد ٦٤ ، ٦٧ ، ٦٨ م ، ٥٧٧ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٩١ - ٦٩٢ .
- ابن عروس - أحمد ٧٥ .
- ابن عربية = ابن عربية
- ابن العريف - أبو العباس ١١٣ - ١١٤
- ابن عزّوز = إسماعيل
- ابن عزّوز - محمد الفضل ٧٦ .
- ابن عساكر - أبو الفضل ٤١٥ ، راجع ٣٧٠ .
- ابن عسكر - محمد بن علي (١٤٠ - ١٤٤) .
- ابن عصفور الإشبيلي - أبو الحسن عليّ ٢٤٨ - ٢٥٢ ، ٦ ، ١٦٢ ح م ، ٣١٢ ، ٣٤٢ ، ٣٧٦ ح .
- ابن عصفور - أبو العباس علي ٣١٧ .
- ابن عصفور - أبو البركات محمد ٦٨٣ .
- ابن عطاء الإسكندري - أحمد بن محمد ٧٦ ح ، ٢٠٩ ، ٥٦٦ ح ، ٥٦٧ ، ٦٧٧ - ٦٧٩ .
- ابن عطية - أبو الحسن ١٦٧ .
- ابن عطية - أبو محمد ٢٧٦ .
- ابن عفير - أبو الوليد ٣٤٦ .
- ابن عقاب - قاسم ٦٦٥ .
- ابن عفيصة القنصي - أبو بكر (٦٣٣ - ٦٦٤) .

- ابن عقيل - عبد الله بن عبد الرحمن ٢٦٦ .
 ٢٦٨ م ، ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .
- ابن علاق - محمد ٣٣٤ ، ٦٢١ ، ٦٢٦ .
- ابن علوان التونسي - عمر ٣٧٧ .
- ابن عمار = ثابت
- ابن عمار الصغير ٦٠٨ .
- ابن عمر الملكيشي = الملكيشي
- ابن عمران العبدوسي = العبدوسي
- ابن عمرو ٢٦٠ .
- ابن عميرة الضبي - أحمد بن يحيى ٢١٧ ح .
- ٤٧٠ ح .
- ابن عميرة الضبي اللورقي - أحمد بن عبد
 الملك ٢١٧ ح .
- ابن عميرة = أبو المطرف
- ابن عنين - محمد بن نصر الله ٥٢٠ ح .
- ابن عيَّاش - أبو العباس ٢٧٦ .
- ابن عياض - أبو محمد (متبذَّ بشرق
 الأندلس) ١٥٠ م .
- ابن غاز المكاسي (٦٩٧-٦٩٧) ، ١٥٥ ،
 ١٥٩ ، ٧٠ ، ٨٢ ، ١٣٢ م .
- ابن غالب الأنصاري محمد ١٤٧ م .
- ابن غانية الميورقي ١٧٢ م .
- ابن غلاب السمراتي - عبد السلام ٥٩ .
- ابن غلبون المرسي - محمد ١٩٤ .
- ابن الغنَّاز البلسي (٣٢٥-٣٢٧) ،
 ٣٧٦ ح .
- ابن غياث الشريشي (١٣٤-١٣٧) .
- ابن الفارض = عمر
- ابن فتوح - إبراهيم بن أحمد ٦٦١ ، ٦٦٣ ،
 ٦٦٥ .
- ابن الفخَّار الإلبيري - (؟) ٥٥٥ ، ٥٧٠ .
- ابن الفخَّار الجذامي - محمد بن علي (٣٩٩-
 ٤٠١) ، ٦٠ ، ٤٥٥ ، ٥٠٤ (؟) .
- ابن الفخَّار الرعيبي - علي بن محمد (٢٤٠-
 ٢٤٥) ، ٢٢١ .
- ابن الفخَّار الشريشي - (؟) ٢٨٦ .
- ابن فرتون - أحمد بن يوسف ٣٤٨ م ، ٣٥٩ .
- ابن فرَّح الإشبيلي (٣٣٤-٣٣٥) .
- ابن فرحون - إبراهيم بن علي (٥٧٦-
 ٥٧٩) ، ٤٥ .
- ابن فرحون - عبد الله بن محمد ٥٧ .
- ابن فرحون - علي بن محمد ٧٢ .
- ابن الفرضي - عبد الله بن محمد ٣٤٦ ح ،
 ٣٤٧-٣٤٨ .
- ابن فضيلة - فضل ٤٠٩ .
- ابن قادم المافري - محمد ٤٤٤ .
- ابن القاسم - عبد الرحمن ٦٩١ ح .
- ابن قتيبة الدينوري ٦٦٩ م .
- ابن القبطرنة - (؟) ١٥٤ .
- ابن قسوم - أبو بكر ١٥٤ .
- ابن القطَّاع - علي بن جعفر ٢٥٦ .
- ابن القطَّان الفاسي - علي بن محمد ٦٠ ، ٦٢ ،
 (؟) ٣٤٦ م .
- ابن القطَّان المسفر - أبو عبد الله ٤٩٦ .
- ابن قطرال - عبد الله بن عبد الحق ١٩٦ ،
 ٢٨٦ .
- ابن قنفذ - أحمد بن حسن (٦١٠-٦١٤) ،
 ٨١ .
- ابن القواس (دمشقي) ٤١٥ .
- ابن التوقيع التونسي (٤١٤-٤١٨) ، ٥٤ .
- ابن قيس الرقيات - عبيد الله ٩٣-٩٤ .
- ابن القين = الفرزدق .

- ابن الكماد - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٦٠ .
ابن كيداد = أبو يزيد
ابن لبّ - فرج بن قاسم (٥٥٥ - ٥٥٨)،
٦٢٦ .
ابن ليون التجيبي - سعد بن أحمد (٤٥٧ -
٤٦٠)، ٦٣٦ م .
ابن ماجة ٥٥ ح، ٤٢١ ح .
ابن مالك - سهل ١٩٦، ٤٤٤، ٤٨٩ .
ابن مالك المرشاني - محمد ٢٦٠ .
ابن مالك النحوي - جمال الدين محمد بن عبد
الله (٢٦٠ - ٢٧٠)، ٦، ٦٤، ٣٢٨،
٤١٤، ٤٢٧، ٤٧٨، ٥٣١، ٥٤٨،
٥٧٩، ٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٦ .
٦٢٧، ٦٣٨ م، ٦٣٩ م، ٦٦٨، ٦٦٩ .
ابن ماهلا (؟) ٢٠٩ .
ابن محمد = أحمد بن أحمد .
ابن محرز - أبو بكر ٣١٧ .
ابن المختار (حفيد محمود بن عمر بن أقيت)
٧٠٧ .
ابن مخلوف الثعالبي - عبد الرحمن ٥٤، ٥٥،
٦٧، ٥٩ .
ابن مخلوف - عبد العزيز ٣٢٨، ٣٥٤ .
ابن مخلوف الجلساني - أبو عبد الله ٣٨٨ .
ابن المربع (٤٦١ - ٤٦٥) .
ابن مرج الكحل ١٣٦ م، ٢٤٠ .
ابن الرحل - أحمد ٤٥٢ .
ابن المرحل - مالك (٣٣٥ - ٣٣٩)، ٤٢٧ .
ابن مردانيش (مردنيش: ملك بشرقي
الأندلس) ٣١٤ .
ابن مردانيش = زيان
ابن مرزوق ٢١ م .
- ابن مرزوق - أبو بكر (خدم أبا مدين
التموقي ٥٩٤ هـ) ٥٤٦ م .
ابن مرزوق - أبو الفضل ٦٨٠ .
ابن مرزوق العجسي - محمد بن محمد
(ت ٦٧١ هـ) ٣٦١ .
ابن مرزوق - أحمد (والد ابن مرزوق الجند
ت ٧٤١ هـ) ٥٤٦ .
ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٧٦ هـ) ٦١١ .
ابن مرزوق الحفيد - محمد بن أحمد بن محمد
(ت ٨٤١ هـ) (٦٣٤ - ٦٤١)، ٥٩،
٥٤٦ م، ٦٣٣ م، ٦٤٩، ٦٦٥ .
ابن مرزوق - أحمد بن محمد (والد ابن مرزوق
الحفيد) ٦٣٤ .
ابن مرزوق الخطيب - محمد بن أحمد بن محمد
(ت ٧٨١ هـ) (٥٤٦ - ٥٥٥)، ٥٨،
٥٠٤، ٦٢ .
ابن مرزوق - أبو عبد الله (ت ٨٩١ هـ)
٦٦٧ - ٦٦٩ .
ابن مرزوق الكفيف - محمد بن محمد
(ت ٩٠١ هـ) ٦٨٨ .
ابن مرسي الطبيب ٣٥٤ .
ابن المرز (الحموي) ٤١٥ .
ابن مساعد الضائي - عبد الله ٤١١ .
ابن سدي - الرناطي - محمد بن يوسف ٥٥ .
ابن مسعود الخزرجي السقي ٨٩ .
ابن مسعود الزواوي - عيسى ٦٠، ٧٥ .
ابن مسعود الصواي - علي ٣٢٩ م .
ابن سبيك = فروة .
ابن مشيش - عبد السلام ٢٠٤، ٢٠٥ .
ابن معط - يحيى ٢٦٢ م، ٥٣١ .
ابن معط العبديسي - موسى ٦١١ .

ابن النحاس - محمد بن إبراهيم ٣٢٨ م.
٤٢٧ م.

ابن ندي = ابن ناد (؟)

ابن النشار - عمر بن القاسم ٣٤١ م.

ابن شوان الحميري - محمد ٤٣٠ م.

ابن نصر = ابن الأحر

ابن نوار - أحمد ٢٦٠ م.

ابن نوح الغافقي - عبد الله بن أيوب ٢١٠ م.

ابن نور الدين الأنصاري - عمر بن علي = ابن

الملقن (؟) - ابن الملقن (٧٢٣ - ٨٠٣ هـ)

ابن نور الدين (٧٢٣ - ٨٠٤ هـ) كلاهما

سراج الدين عمر بن علي.

ابن هارون (؟) ٦٧ م.

ابن هرون التيمي - محمد ٣١٧ م.

ابن هرون الطائي - عبد الله ٤٠١ م.

ابن هاني الأندلسي ١٨٤، ٤١٥، ح ٤٩٠ م.

ابن هاني السبي - محمد بن علي

(٤١٢ - ٤١٤)، (٤٧٨، ٤٩٠ م.)

ابن هذيل الفرناطي - يحيى بن أحمد

(٤٦٥ - ٤٦٨)، (٥٠٤ م.)

ابن هشام الأزدي القرطبي - عامر ٢٤٠ م.

ابن هشام الأنصاري ٢٦٤ م، ٢٦٦ م.

ابن هشام (النورقي) - محمد بن أحمد ٢٧٨ م.

ابن هشام = محمد بن علي.

ابن هلال - إبراهيم ٦٨ - ٦٩ م.

ابن هلال - أبو عبدالله ٢٢٨٨ م.

ابن هند = معاوية.

ابن هود - محمد بن يوسف = المتوكل بن هود.

ابن هيدور = ابن حيدور.

ابن واجب القيسي - أحمد بن محمد ٢١٠ م.

٢١٨ م.

ابن معمر الموزاري - الحسن بن موسى
(٢٨٣ - ٢٨٤).

ابن معين البغدادي - يحيى ٥٥٩ م.

ابن المغربي - الحسين بن علي ١١٣ م.

ابن مفرج المالقي - محمد بن يحيى ٣٤١ م.

ابن مفرز - يوسف ٢٧٨ م.

ابن مفرع - عبد الحق بن علي البطوي

ابن مقلة - محمد بن علي ٤٢٨ م.

ابن المقير - علي بن الحسين ٣٧٠ م.

ابن مكرم = ابن منظور

ابن مكرم - محمد بن شعبان الكرماني

٣٧٠ ح.

ابن المكرم - محمد (غير ابن منظور) ٣٧٠ ح.

ابن مكّي = أحمد بن مكّي

ابن الملقن - عمر بن علي ٥٨، ٦٤، ٦٣٤ م.

ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم

(٣٦٩ - ٣٧٤)، (٦٠، ١٨٧، ١٨٤ م.) ح.

ابن منظور - مكرم ١٨٣ م.

ابن منظور - أبو عمر ٤٦٠ م.

ابن المنير ٤٠٢ م.

ابن المواق ٦٠، ٦٨، راجع ٣٤٦ م.

ابن ميمون الإدريسي ٧٠ م.

ابن ميمون التيمي القلمي - محمد ٣٥٤ م.

ابن الناجي - القاسم بن عيسى ٨١ - ٨٢ م.

ابن ناد - يحيى الدين ١٨٣ م.

ابن الناظر القرشي - الحسين بن عبد العزيز

(٢٧٥ - ٢٧٧).

ابن النجار (محمد) ٦٦٥، راجع ٣٧٠ م.

ابن مهدي ٦٣٢ م.

ابن ميّارة = ميّارة

ابن نامارو (ناموار) = الخونجي

- ابن الواسطي - تقي الدين ٤١٥ .
ابن الياسين - عبدالله بن محمد ٦٦٧ ح .
ابن ياسين = الجزولي .
ابن يسر - أبو عبدالله ٣٨٨ .
ابن يعيش = ابن أبي العيش .
ابن يعيش (آخر) ٢٦٠ .
ابن يوسف = سليمان بن داوود .
أبو اسحاق البليقي = البليقي .
أبو أمية (بن الحاج) ١٥٥ .
أبو البقاء خالد (أمير مجابة) ٣٥٤ م .
أبو البقاء صالح بن شريف الرندي
(٢٨٦ - ٢٩١) - ٩٩٠ - ١٠٠٠ .
أبو بكر أحمد بن عمر التنبكي = ابن أقيت .
أبو بكر داؤد = بارود .
أبو بكر بن زهر = ابن زهر .
أبو بكر الصديق ٤٨٦ م .
أبو بكر بن طلحة = ابن طلحة .
أبو بكر بن عبد العزيز بن أبي عامر ١٥٠ م .
أبو بكر بن عمر اللمتوني ٣٩ - ٤٤٠٤٠ م .
أبو تاشفين بن أبي حمو ٥٤٠ ، ٥٤٣ م .
أبو تمام ١٩٣ ، ٢٢٣ م ، ٢٤٢ م ، ٢٥٠ ،
٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٤٩٠ ، ٥٢٩ ح ، ٥٩٣ ح ،
٥٩٨ ح ، ٦٩٨ .
أبو ثابت - الزعيم بن عبد الرحمن ٣٢ .
أبو ثور النخعي - ابراهيم بن خالد ٤٢٣ م .
أبو جعفر بن الزبير - أحمد بن ابراهيم
(٣٥٨ - ٣٦١) ، ٥٣ ، ١٦٢ ، ٣٤٦ ،
٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ،
٤٢٦ ، ٤٣٩ ، ٥٠٧ .
أبو جعفر الفرناطي الرعيصي (٥٢٨ -
- (٥٣٠) ، ١١٤٠ م ، ٥٣١ .
أبو الجيوش نصر بن محمد = ابن الأحمر .
أبو الحجاج الباسمي - يوسف بن محمد
(١٩٢ - ١٩٤) .
أبو الحاج التجيبي المكناسي - يوسف ٣٨٨ .
أبو الحسن (ذكره ابن مرزوق) ٥٨ .
أبو الحسن الثاذلي - علي (٢٠٤ - ٢١٠) ،
٧٤ ، ٧٥ ح ، ٥٦٦ ح ، ٦٧٧ ح م .
أبو الحسن الصغير الزروبي - علي بن عبد
الحق = ابن الصغير الزروبي
أبو الحسن بن عطية = ابن عطية
أبو الحسن الرميقي - (السلطان) علي بن عثمان
٢٧ ، ٣٢ ، ٩١ م ، ١٠١ - ١٠٤ ،
١٠٨ ح ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ م ،
٥٥٥ ، ٥٨٧ م ، ٦١٥ .
أبو حصص يحيى بن عمر الهنتائي ٢٩ ، ٦ م .
٣٠٠ ح ، ٣٧٦ ح ، ٥٥٤ .
أبو حمو (الأول) - موسى بن عثمان ٤٢٠ ،
٤٧١ .
أبو حمو (الثاني) موسى بن يوسف ٦ ،
٨٢ - ٨٥ ، ١٢٢ - ١٢٤ ، ١٢٧ ،
٥٣٧ م ، ٥٣٨ - ٥٣٩ ، ٥٤٠ - ٥٤١ ،
٥٤٣ م ، ٦٨٠ ، ٦٨١ - ٦٨٢ .
أبو حنيفة الثمان ٦٣ ، ٤٢٣ م .
أبو حيان الفرناطي - أنير الدين (٤٢٦) -
(٤٣٠) ، ٢٦٦ ، ٣٢٨ ح ، ٤٥٢ - ٤٩٦ ،
٥٣٠ ، ٥٥٥ ، ٦٣٤ ، ٦٦٨ ح م .
أبو الخطاب السكوني - محمد بن أحمد (١٨٩) -
(١٩٢) .
أبو الخطاب = ابن واجب القيسي .
أبو حلدون = الحصري - ساطع .

- أبو عبد الآله ١٥٨ .
أبو عبيدة - عمّد الواثق بن يحيى ٣٥٢ م ،
٣٧٧ .
أبو العلاء = ابن سماك .
أبو العلاء = المرعي .
أبو علي الثلوثين (الثلوثيين) (١٦١ - ١٦٤) ،
١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤ ،
١٩٦ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ م ، ٢٧٠ ،
٢٩٢ ، ٣١٢ ، ٣١٧ م ، ٣٣٥ .
أبو علي الصديقي ٢١١ ، ٢١٦ .
أبو علي الفارسي ١٤٧ ح ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ح م ،
٣٥٠ ح ، ٢٧١ ، ٣١٧ .
أبو عمران المارتنلي الزاهد ١٩٠ .
أبو عمران موسى = ابن سعيد العنسي .
أبو عمران = موسى بن عيسى الفجومي .
أبو عمران الداني = الداني .
أبو عنان المريني - المتوكل ٣٢ - ٣٣ ، ٣٥ ،
١٠٨ ح ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٨٤ م ،
٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٤٨ -
٥٤٩ ، ٥٥٣ م ، ٥٨٧ م ، ٥٩٩ - ٦٠٥ ،
٦١٥ - ٦١٦ .
أبو عوانة الزواوي ٨٦ ح .
أبو فارس عبد العزيز = عبد العزيز
المحفصي .
أبو الفتح الواسطي ٢٠٥ .
أبو فراس الحمداني ٥٩٨ .
أبو الفرج غريغوريوس اللطفي ٨٨ .
أبو قابوس ١٥١ ح .
أبو القاسم = عمّد رسول الله
أبو القاسم بن سراج = ابن سراج الفرناطي .
أبو القاسم (الشيخ ؟) ٥٨ .
- أبو داوود السجستاني ٥٥ ح ، ٤٢١ ح .
أبو ذرّ الحثني - مصعب ١٧٠ ، ٢٣٠ .
أبو الربيع بن سالم الكلاعي - سليمان بن موسى
(؟) ١٩٦ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٤ وما
بعد ، ٢٧٦ ، ٢١٨ .
أبو الربيع المريني - سليمان بن عامر ٣٨٣ .
أبو زيان (؟) ٥٣٧ .
أبو زيّان المريني - عمّد (السعيد) بن عبد
العزيز ٥٠٥ م .
أبو زيّان - عمّد بن موسى (أبي حمّو الثاني)
٥٣٨ - ٥٣٩ .
أبو زيد اللجائي = اللجائي .
أبو زيد الموحددي - عمّد بن حفص ٢١٠ .
أبو سعيد الثعري - عمّد بن يوسف ٩٧ ح .
أبو سعيد الزناتي = عثمان بن يغمراسن .
أبو سعيد المريني - عثمان بن أحمد ٦١٦ ح .
أبو سعيد المريني - عثمان بن يعقوب ٩١ ،
٣٨٣ ، ٤٠٧ - ٤٠٨ ، ٤٣٩ - ٤٤٠ ،
٤٤٩ ، ٤٤٥ .
ابن ضربة اللجائي - عمّد بن زكريا ٣٧٧ م .
أبو طالب - عبد الهادي ٥١٦ .
أبو طالب المكي ١٢٩ ح ، ٥٦٦ ح ، ٦٧٩ م .
أبو عامر = تاشفين بن علي .
أبو العباس المريني - أحمد بن ابراهيم ٥٠٥ .
أبو العباس المغربي - أحمد بن أبي طالب
(٣٥٧ - ٣٥٨) .
أبو العباس المرسبي - أحمد بن عمر ٢٠٥ م .
أبو العباس الملياني - أحمد بن عليّ (٣٧٤ -
٣٧٥) .
أبو العباس الوشريسي - أحمد بن يحيى
(٦٨٨ - ٦٩٥) ، ٧٠٥ .

- أبو القاسم البقي = الشريف الحسي .
أبو لؤيوس ٨٨ .
أبو الليث السمرقندي ٤٧٠ ح .
أبو مدين ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٣٥٦ ، ٥٤٦ م ،
٦١٢ ، ٦٤٩ م .
أبو المطرف بن عميرة الغزومي - أحد
(٢١٧ - ٢٢٤) ، ٦ ، ١٠٠ - ١٠١ ،
٢٤٢ م ، ٣١٧ ، ٤١٣ .
أبو مفرقة = ابن مفرق البطوي
أبو النجا الطنتداعي - محمد ٣٩٧ ، ٣٩٨ ،
٣٩٩ .
أبو نعيم = رضوان
أبو نعيم الاصفهاني ٥٣١ م .
أبو نواس ٣٧١ ، ٤٩٠ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ م .
أبو يزيد - مخلد بن كيداد ٤٨ .
الأبي - محمد بن خلفه ٥٩ م .
الأيباري - ابراهيم ٢١٦ ، ٣١٦ م .
أثير الدين = أبو حيان الغرناطي
الأجهوري - أحمد ٧٨ .
أحمد = محمد رسول الله
أحمد (اسم ١٥٤) ، ٢٦٣ ، ٣٤٩ م ، ٣٩٥ ح .
أحمد بن أبي بكر بن جعفر ١٨٣ .
أحمد بن أحمد بن محمد ٢٦٠ .
أحمد بن أحمد... بن عيسى
البرنسي = زروق
أحمد الحفصي ٧٣ ح .
أحمد بن حنبل ٥٧ ، ٣٤٠ ح ، ٣٥٣ ، ٤٢٣ .
أحمد بن زكريا المغربي ٥٩ .
أحمد بن زين الدين ٣٣٤ .
أحمد - شكري محمود ٣٧٤ .
أحمد بن عيسى الفهاري ٣٥٤ .
- أحمد بن محمد القطبي = القطبي
أحمد بن عبدالله الزواوي ٧٣ .
أحمد اللباني - أبو العباس بن ابراهيم
(٢٢٧ - ٢٢٩) .
أحمد الحفصي = المستنصر الحفصي .
أحمد بن محمد الفاسي (?) ٧٣ - ٧٤ .
أحمد بن المستنصر المريني = أبو العباس .
أحمد بن مكّي - أبو العباس (صاحب قابس)
٣٥ .
أحمد بن يحيى الحميري القرطبي ١٤٤ .
أحمد بن موسى الزناتي (صاحب تلمسان)
٤٨٤ .
الأحمر (جد بني الأحمر: بني نصر) ٧٠٢ م .
الأخطل ٥٩٨ ح .
الأخفش (الأصغر؟) - أبو الحسن ٤٠١ .
إدريس (الأول) بن عبدالله ٤٠٨ م .
إدريس كتع كرمي ٤٧ - ٤٨ .
إدريس بن محمد بن محمد بن موسى الأنصاري
القرطبي ١١٧ .
أذفتش ٣٠٨ م .
أرسطو (أرسطوطاليس) ٢٩٢ ، ٢٩٦ م ،
٤٥٦ ح ، ٥٩١ ح .
الأزهري - خالد بن عبدالله ٢٦٧ م ، ٢٦٨ ،
٣٦٩ م ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ .
الأزهري - محمد بن أحمد ٣٧١ .
الأزهري الرفاعي = الرفاعي الأزهري - أحمد
الاستجي = محمد بن أحمد .
اسحاق الثاني (ملك كاغو) ٥٠ م .
اسحاق الموصلبي ١٨٥ م .
اسحاق بن راهويه ٤٢٣ م .
أسد بن الفرات ٦٩١ ح .

ألفونزو السادس ٩٥، ٦٥٥ م.
ألفونزو الحادي عشر ٢٧، ١٥٥، ح ١٠٦، ح.
٥٤٦

أم العفاف = نزهة بنت سليمان اللخمي
أمحوج = محاج

امرؤ القيس ٢٢١، ٢٢٢، ح ٢٥٠،
٢٩٧، ح ٣٠٩، وما بعد، ٤٤١، ح.
٥٣٦، ٥٦٠ م.

أمطار الصغير - أبو عبدالله ٦٥٧.
أمين الوحي = جبريل

الأمي الشريشي - علي بن ابراهيم ٥٥.

الانباي - محمد بن محمد ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٩٩.
أنس الأصبحي ٥٠٨ م.

أنسلمو تورميذا ٧٢ - ٧٣.

الأنصاري الحموي = شرف الدين
الأنصقي = العاقب

أنطونيا - ماشور ٥١٥.

الأنفاسي - يوسف بن عمر ٦١.

أنو شروان = كسرى أنو شروان

الأهدل - محمد بن أحمد بن عبد الباري
٣٩٩.

الأوزاعي - عبد الرحمن بن عمرو ٤٢٣،
٤٢٤ ح.

أوس بن حارثة = ابن سدي

أومي = حومي

ايت = ايد

أيد أحمد التازخي - محمد بن أحمد (؟) ١٣٢.

ايسابل (ملكة قشتالة) ٢٧ م.

أيوب ١١١ ح.

الأسد = تقي الدين الأسد

الاسكندر الأفروديسي ٤٥٦ م.

الاسكندر المقدوني ٢٨٨ ح.

أسكي الحاج محمد ١٣٣.

أسكيا الحاج محمد (الأول) التوردي
٧٠٨ - ٧٠٩.

أسكيا = اسحاق الثاني.

أسكيا اسحاق الأول ٤٩ م.

أسماء (اسم) ٥٨٣.

اسماعيل = ابن عبد المؤمن

اسماعيل بن عزوز ٣٣٤.

الأشتر - صالح ٢١٦.

الاشتري - عبد الرحمن ٤٠٢.

الأشرف شعبان ناصر الدين ٥٢٠، ح ٥٤٧.

الأشموني - علي بن محمد ٢٦٦ م، ٢٦٨،

٢٦٩ م، ٢٧٠، ٧٠٣.

الأشهب - أبو الحسن علي بن منصور ٦٢٦،
٦٣٤ (؟).

الأصلي - عبدالله بن ابراهيم ٨١.

الأعشى ٤٣٢ ح.

الأعلم البطليوسي - ابراهيم بن قاسم
(١٥٢ - ١٥٤).

الأعلم الشتري - يوسف بن سليمان ١٥٢ ح.

الأفراغي - محمد ١٨٢.

أفضل الخلقين = محمد رسول الله

أفلاطون ٨٤، ٢٩٦، ح ٥٩١ ح.

الأقنيسي = الصلاح الأقنيسي

أقليدس ٨٨، ١٩٤، ح ٣٨٨، ٣٨٩.

أقيت = عبد الله بن عمر

أقيت = محمود بن عمر

ألاركون ٢١٦.

حرف الباء :

- البرادي الدماری - ابراهيم ٧١ م، ٨١ م،
 ٨٢ م.
 ببروسا = خير الدين
 البرذعي ٦٥ .
 البرزالي الاشبيلي - محمد ٥٧ ، ٤٨٤ ،
 ٤٨٥ م .
 البرزلي (؟) ٦٦ - ٦٧ ، ٦٩٠ م .
 برسيه - ليون ٦٣٢ .
 البرعي - عبد الرحيم ١١٣ .
 البرغواوي = يوسف دليلي
 برفوق - الظاهر ٤٦ ، ١١٢ .
 البرقي - يحيى ٢٢٧ ، ٢٨٣ .
 بركات بن أحمد = التجار العروسي
 بركات - محمد كامل ٢٦٥
 بروفنسال (بروفنسال) - اتيان ليفي ٣٦١ ،
 ٤٠٦ ، ٥١٥ ، ٥٥٥ ، ٦٥٢ ح .
 بروكلين ٦٧ - ٦٨ ، ٧٥ ح - ٧٦ ، ٢٦٤ ،
 ٣٥٤ ، ٤٢٦ ح ، ٤٤٩ ح ، ٦٠٥ ح .
 برونو ٣٩٧ ، ٦٩٤ .
 البستاني - ألفرد ٢١٦ .
 البستاني - فؤاد أفرام ٥٢٧ ، ٦٠٧ .
 بسيوني - محمود ١٧٨ .
 بشر بن برد ٤٣٢ م .
 بطرس (الرابع) القاسمي ٥٨٧ .
 بطليموس ٨٨ .
 الطلوي = ابن مفرع
 البغدادي - عبد اللطيف ١٨٣ .
 بكرون بن الأشقر الحضرمي ٤٣٧ .
 البكري - حسن بن محمد ٢٥٥ .
 بل - ألفرد ٢١٦ ، ٥٤٥ .
 البلاذري ٣٧٢ ح .

- بابا التبنكي - أحمد بن أحمد بن أقيت ٤٥ .
 ٨٥ .
 الباجوري - ابراهيم ٧٨ ، ٧٩ ، ٣٩٩ .
 الباجي - أبو سعيد ٦٢٨ .
 الباجي السمودي - محمد ٣٩٧ .
 الباجي (ناثر في اشبيلية) ١٦٩ .
 باراماندانا ٤١ م .
 بارو - أبو بكر دأو ٤٩ .
 باسه - رينيه ٧٩ .
 بالنشيا = غزالث بالنشيا ٢١٦ .
 الباهلي - أبو محمد ٤٨٠ .
 بايزيد يلديرم ٥٨٨ م .
 بتاني - زين العابدين محمد ٧٨ .
 البجاني = محمد بن عمر الزواوي
 البحتري ٩٤ م ، ٢٤٢ م ، ٤٩٠ .
 بحرق ٢٦٧ م ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ .
 البخاري ٥٥ م ، ٥٦ م ، ٥٨ م ، ٥٩ م ، ٦٣ ،
 ٧٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ح ، ٢٦١ ، ٢٦٥ ،
 ٣٤٨ م ، ٣٤٩ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ م ،
 ٤١٠ ح ، ٤٢١ ، ٤٥٢ ، ٥٤٧ ح ، ٦٦٨ ،
 ٦٩٦ .
 البخاري الدماطي - أحمد ٣٥٨ .
 بدر الدين بن هود - الحسن بن علي (٣٣١) -
 (٣٣٣) .
 بدري (اسم) ٦٩٥ ح .
 البدري - محمد بن محمد (٤٦٠) .
 بسدوي - عبد الرحمن ٢٠ ، ٦٠٥ ح ،
 ٦٠٧ ح ، ٦٠٩ .
 بديع الرمان الهمداني ١٠٥ ح ، ٢٤٢ م ،
 ٥٣٥ .

- البليالي = مخلوف بن علي
بلج بن بشر ١٦٥ ح ٢٣٢ م .
بلش - عثمان ٧٠٦ .
البلقي - ابراهيم بن محمد ٢١١ ، ٢١٦ .
البلقيني = ابن الحاج - أبو البركات .
بلقيس ٣٠٦ م .
اللسي - أبو عبد الله ٦٢٦ .
البلوي - خالد بن عيسى ٨١ ، ٥٦٣ م .
البلوي - علي بن محمد ٢٤٠ .
البنائي - ابراهيم بن الحسن ٧٨ ، ٧٩ .
بهاء الدين العاملي ٥٢١ .
بوالي ٣٦٩ .
بوتول - جوستون ٦٠٧ .
البوصيري ٥٨٠ ، ٦٢٤ ، ٦٩٨ ، ٧٠٠ .
البوظفي - عبد الغفار ٦١٥ .
بونار - رايح ٣٥٦ .
البياسي - يوسف بن محمد ٨٠ .
البياني - أبو عبد الله ٥٢٨ ، ٦٤١ (؟) .
البيحي = الباجي
البيدموري ٦٨٣ .
بيريس - هنري ٦١٤ م .
بيشا ١٨٧ .
البيطار - محمد بيجة ٥١٨ ح .
البيلوني العمري - محمد فتح الله بن محمود
٥٢٧ .
- تاسرت = محمد بن تيفوت .
تاشمين بن علي - أبو عامر (؟)
تالوكيت ٣١٦ .
تامر - عارف ١٨٢ .
التاودي = محمد بن سودة
التجاني - ابراهيم بن محمد ٣٧٦ م .
التجاني - أبو القاسم ٣٧٦ .
التجاني (التجانية): زينب ٣٧٦ م .
التجاني - عمر بن ابراهيم ٣٧٦ م .
التجاني - محمد بن (أحمد) محمد (٣٧٦ -
٣٨١) ، ٨٦ .
التجاني - محمد بن أبي القاسم ٣٧٦ .
التجاني - محمد بن علي ٣٧٦ .
التجانية = التجاني (زينب) .
التجيبني السبي - أبو القاسم ٥٦ .
الترجمان البيورقي = أنسلمو .
التركي - عبد المجيد ٦١٤ .
التركي التونسي - محمد ٦٢٠ .
الترمذي ٥٥ ح ، ٥٦ ، ٤٢١ ح .
التسولي - ابن أبي يحيى ٦١ .
التسولي - علي بن عبد السلام ٦٥ .
التسولي الشراوي - عبد السلام ٦٣٢ م .
توسر - جفري ٦١٠ ح .
تقي الدين الأسد (ولد ابن مالك النحوي)
٢٦١ .
- التكروري = عبد العزيز
التسمي (؟) ٤٣٢ م .
التنسي - محمد ١٢٢ - ١٢٤ ، ٧٠٣ (؟) .
التسي - محمد بن عبد الجليل ٨٢ .
التنوخني - محمد بن محمد ٣٧٠ .
التوردي = أسكيا الحاج محمد
تورميديا = أنسلمو
٦٨٠ .
- حرفا التاء والتاء:
- تاج الدين الكندي ١٨٣ ، ١٩٤ .
التادلي - أحمد ٧٥ .
التازخي - محمد بن أحمد ١٣٢ .
التازي - ابراهيم (٦٤٩ - ٦٥٢) ، ٧٦ ، ٨٠ .
٦٨٠ .

- تورنبرغ ٤٠٨، ٦٠٦ .
التوزري - عثمان بن محمد ٦٣٢ .
توفيق - محمد ٦٠٩ .
تيزهاوزن ٦٠٦ .
التيفاشي القنصي - أحمد بن يوسف (١٨٣ -
١٨٨)، ٩٠، ٣٧٠ .
تيفاوت = محمد بن تيفاوت
تيمور - أحمد ٣٧٤ .
تيمورلنك ٥٨٨ م - ٦٠٩ .
التينملي - قاسم بن علي ٥٨ .
ثابت بن عمار ٣٥ م .
الثعالي = ابن مخلوف .
الثعالي - عبد الملك بن محمد ٣٧١ .
ثعلب - أحمد بن يحيى ٣٣٦ م ، ٤٧٠ ح ،
٦٦٩ م (?) .
الثغري = محمد بن يوسف
ثيودوسيوس ٨٨ .
- حرف الجيم:**
- الجاحظ ٣٧٠ .
الجابري - محمد عابد ٦٠٩ .
جاد المولى ٥٢٧ .
الجادري (الجاديري) ٥٤ ، ٩٠ م .
جبريل ٢٠٠ م ، ٢٥٨ ح ، ٥١١ م ، ٥٣٢ ح ،
٥٣٣ م .
الجبوري - عبد الله ٢٥١ .
الجديل (حصان) ٦٠٣ م .
الجرجاوي - عبد الرحيم ٣٩٨ .
الجرجاوي - عبد النعم ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
جرير ٢٢٢ ح ، ٥٩٨ م .
الجزائري = محمد الطيب
- الجزائري - علي ٨١ .
الجزائري الكرياني - أحمد بن شيب (٤٤٩ -
٤٥٢)، ١٦ ، ٩١ .
الجزولي - عبد الله بن ياسين ٣٩ - ٤٠ .
الجزولي - عبد الرحمن ٦١ .
الجزولي - عيسى بن عبد العزيز ١٦٣ ، ٢٤٨ ،
٢٥٠ م ، ٢٥٠ م (?) ، ٣٤١ .
الجزولي - محمد ٨٩ .
الجزولي السلافي - محمد بن سليمان (٦٥٦ -
٦٦١)، ٧٦ ، ٦٩٢ - ٦٩٣ .
جعفر أوغلو ٤٣٠ .
جعفر - محمد ٦٠٧ .
جعفر بن يحيى بن خالد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
الجلاب = ابن الجلاب
جلال الدين الرومي ٥١٨ ح .
الجماعيلي - عبد النبي بن عبد الواحد
٥٤٧ ح .
جمال الدين - محسن ١١٠ م .
جل (بالضم: في شعر) ٣٣٢ .
جميل بن معمر ٥٧٣ م .
الجناني (في؟) - أبو موسى ٦٥ .
جندح ، جندحان = أمرؤ القيس
الجيد البغدادي ٢٠٤ .
الجواري - عبد السار ٢٥١ .
الجواليقي = ابن الجواليقي
جويتير (زفس) ٤٦٧ ح .
جودت - محمد ٥٢٧ .
جوذر (المري) ٥٠٠ .
الجوندي = سعد بن أحمد التجيبي
الجوهري - اسماعيل بن حماد ١٥٣ ، ٢٥٦ ،
٣٧١ .

- المريرى - أبو محمد بن قاسم ١٥٥ .
حَنان بن ثابت ٢٩٣ م، ٤٣٣ م، ٥٩٨ ح،
٦٦٤ ح .
الحسائي = الهاسي
حسن (اسم) ٣٤٨ ح .
الحسن بن أحمد الأنصاري ١٨٨ .
الحسن المصري ٤٢٣ م .
حسن - زكي محمد ٣١٦ .
الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٥ ح .
حسن = علي الفقيه
الحسن بن عمر = الفودودي
الحسن بن عمر المراكشي ٨٨ .
حسن = محمد عبد القني
الحسن بن محمد = البكري
حسن - يوسف ١٨٧ .
الحسين (اسم) ٣٤٨ ح .
حسين = الحضرمي
حسين - طه ٦٠٩ .
الحسين بن علي بن أبي طالب ١١٥ م،
١٣٠ - ١٣١ (؟)، ٢١١ .
الحصار = ابن الحصار
الحصري - ابراهيم بن علي ٣٧١ .
الحصري - خلدون ٦٠٨ ح
الحصري - ساطع ٦٠٨ م .
الحضرمي - عبد المهين .
الحضرمي السبتي - عمران ٥٧ .
الحضرمي = يعقوب .
الحطاب الصغير الرعيني - محمد ٧٠ - ٧١ .
حفاظت حسين ٦٦٠ .
حفص بن غياث ٤٢٣ ح (راجع ابن غياث .
الشرشي) .
- الحِيَاب = ابن الحِيَاب
الحِيَابِي - علي بن محمد (٢٣٧ - ٢٣٩) .
الميطاني - اسماعيل بن موسى ٧١ .
حرف الحاء :
حاتم (اسم)
الحاج - أحمد بن محمد ٣٩٨ .
حاجب بن زرارة ٢٢٥ م .
حاجيات - عبد الحميد ٥٣٧ ح .
حارث = حارث (في شعر) ٤٥٠ م
حازم القرطاجني (٢٩١ - ٣١٢) ، ٦ ،
٣٧٦ ح ، ٣٨٣ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٥٦٠ ح ،
٥٨٠ م ، ٥٨٦ .
الحافظ الذهبي = الذهبي
الحافظ المزني = المزني
حافي رأسه - محمد بن عبد الله (٣٢٧ -
٣٢٩) .
الحاكم النسابوري - أبو عبد الله ٥٨ .
الحامدي - اسماعيل بن موسى ٣٩٨ .
حياب (اسم) ٣٤٨ ح .
حييب ، حبيب بن أوس = أبو تمام .
الحبيب = محمد رسول الله ٥٦ م ، ٥٩ .
الحجاج بن يوسف ٤٢٩ م ، ٥٠١ .
حجر بن ذي رعين ٣٦١ .
الحجري - عبد الله بن محمد ...
حجتي - محمد ٦٩٥ م .
الحديشي - خديجة ٤٣٠ م .
حذام ٥٢٠ م .
الحراني - أبو عبد الله ٢٨٤ .
الحريري - القاسم بن علي ٣٥٢ - ٣٥٣ ،
٣٧٠ ، ٤٩٦ ، ٥٣١ ح .

حومي = محمد بن عبد الجليل
 حرف الحاء:
 خاتم الأنبياء = محمد رسول الله
 خالد بن الخطاب (رأس أسرة ابن خلدون)
 . ٥٨٦ م.
 الخراط - أحمد . ٣٤٦
 الخزوي - محمد بن أحمد . ٧٥
 الخزاز الشريشي - محمد بن محمد . ٥٣
 الخزرجي - أحمد بن سمود ٦٣٨ ح.
 الخزرجي - أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد
 . ٥٤٨ . ٦٦٩ ح (؟)
 الخزرجي - عبد الله بن محمد بن أحمد
 . ٥٧٦ - ٥٧٧
 الخزرجي - عبد الله بن محمد الأنصاري
 . ٦٩٠ ح.
 الخزرجي - محمد بن عثمان ٤٧٨ .
 الحثني = أبو ذر
 الحضرمي - محمد ٦٠٨ .
 الحضري الديماطي - محمد ٢٦٩ .
 الحضيري - محمد ناجي ٦٠٨ م .
 الخطاب (؟) ٣٩٩ .
 الخطاب الرعيي - محمد بن محمد ٣٩٧ .
 الخطيب = ابن الخطيب .
 الخطيب البغدادي ٣٧٠ .
 الخطيب - سعيد (جد لسان الدين) ٥٠٤ م .
 الخطيب - محب الدين ٥١٦ .
 الخطيب المغربي - أبو النجم ٧٧ .
 خلدون = خالد بن الخطاب
 الخلوف = شهاب الدين
 الخليل بن أحمد ٤٤٣ .

حفصة الثاعرة ٣٢٤ .
 الحفصي - أبو بكر (صاحب قسطينة)
 . ٣٧٧
 الحفصي - أبو زكريا يحيى = أبو حفص
 الحفصي - أبو يحيى أبو بكر (سلطان تونس)
 . ٤٨٦ م.
 الحفصي = أحمد الحفصي
 الحفصي - عمر ٤٨٦ .
 الحفصي - محمد = المنتصر
 الحكم الرضي بن هشام ١٨٤ م .
 الحكيم - توفيق ٢٦٠ .
 الحكيم المغربي = ابن أبي السكر
 الحكيم = يحيى الرندي
 الحلّاج ٤٧٥ .
 الحلو - عبده ٦٠٨ .
 حلولو - أحمد ٦٦٥ م .
 حليلة السعدية ١٩٩ .
 الحمار (كناية عن خصم) = راجع أنسلمو ٧٢ .
 الحمزاوي = المدوي
 حو الشريف - محمد ٦٦٥ .
 حيد الأنصاري أحمد (١٨٨ - ١٨٩) .
 الحميري = ابن عبد المنعم
 الحميري (آخر) ٦٥٢ .
 الحميري = ابن الصباغ
 حوتللو = حوط الله .
 الحوضي = الساوي .
 حوط الله (حوظلوا) = ابن حوط الله ١٢٠ .
 الحوفي - أحمد بن محمد ٦٤ ح . ٦٠٩ ، ٦٩٦ .
 (؟) .
 الحوفي - علي بن ابراهيم ٦١ ، ٧٧ .
 حومي (أول ملوك كاتم) ٤٦ م .

- خليل بن اسحاق (الجندي المالكي) ٦٦ .
٦٧ م، ٦٨ م، ٦٩ م، ٧٠ م، ٧١ م، ٧٣ م،
١٣٣ م، ٦٣٨ م، ٦٦٣ م، ٦٦٦ م-٦٦٧ م،
٦٧٠ م، ٦٧٤ م، ٦٩٦ م، ٧٠٦ م .
- خليل بن اسحاق (الشاعر) ٦٦٧ ح .
الحنانجي = الحونجي
الحنولاني (الإلبيري) - محمد بن علي ٥٢٨ .
الحنونجي - محمد بن نامارو (ناموار) ٦٦٠، ٦٦٥،
٤٧٣ م، ٦٣٧ م .
- خير الأنام = محمد رسول الله ١١٤ .
خير البرية = محمد رسول الله ٧٩ .
خير الدين بربوسا ٣٠، ٣١ ح، ٣٤ .
خير الوري = محمد رسول الله ٣٦٦ م، ٥٣١ .
- حرفا الدال والذال:
- دارا (الأول والثالث) ٢٨٨ م .
الدارجيني = الدرجيني
الداعي - شرف الدين ٦٤٩ .
داغر - يوسف أسعد ٢٠ .
داريوس = دارا
الداني - أبو عمرو ٥٣، ٦٢٧، ٦٦٨ ح .
داو = بارو
داوود (أخو أسكيا اسحاق) ٩٤-٩٥ .
داوود الأنطاكي ٥٣١ .
داوود بن علي الأصفهاني ٤٢٣ م .
الداية - محمد رضوان ٢٨٦ ح، ٢٨٧ ح،
٢٩٠ ح، ٤٤٩ ح، ٤٨٩ ح، ٤٩٥ .
٥٦٥، ٦١٥ ح، ٦٢٠ .
- الدباج = ابن الدباج
الدباج - أبو الحسن بن طاهر (؟) ٣١٧ .
دحلان - أحمد (بن زيني) ٢٦٧، ٣٩٨ .
- الدرجيني - أحمد بن سعيد (٢٥٢)، ٧١ م،
٨٢، ٨١ م .
الدسوقي - محمد بن أحمد ٧٨ .
الدماري = الرادي
الدماسيني - البهاء ٦٣٥ .
الدمياطي - شرف الدين ٤٠٣ .
ده ساسي ٢٦٤ .
ده فيرجيه - نويل ٦٠٦ .
ده موبين ٦٩٤ .
دوزي ٣١٦، ٤٠٦، ٥١٦ .
دوغات ٥١٦ .
دوغا بن حومي ٤٦ .
دوغا بن محمد بن عبد الجليل ٤٦ م .
دي سلان ٦٠٦ .
ديارا كتي ٤٧ م .
ديغري ٥٢٧ .
الديري (؟) ٧٩ .
الدينوري - أبو حفص ٢٣٥ .
الذهبي - المحافظ ٤٨٤، ٤٨٦ م .
ذو الرمة - غيلان ٢٢٩ م، ٥٩٨ .
- حرف الراء:
- الرازي = فخر الدين الرازي
راشد بن الوليد القاسمي ٥٩ .
الرافعي (؟) ٥٨ .
رايت ٥١٦ .
الرياب (اسم) ٣٣٥، ٥١٩ م، ٦٥٠ م .
الرياج = الدباج
الربمي التونسي - محمد بن محمد ٦١ .
الرجيم = الشيطان

١٩٦ ح، ٤٨٤ ح، ٦٢٦ ح، ٧٠٦ ح.
زرّوق البرنسي - أحمد بن أحمد (٦٧٢ -
٦٧٩) (٦٧٩)، ٥٩٠، ٦٨، ٧٣، ٧٥، ٧٦ ح،
١٣٢، ٢٠٩ م، ٦٥٧.

الزرويلي = ابن الصغير

زرياب = ١٨٥ م.

الزعم = أبو ثابت

زفس = جويبر

الزقاق التحيبي - علي بن القاسم ٧٠.

الزقدي = المرغي

زكريّا (اسم) ٥٨٣.

زكريّا اللحياني الحفصي - أبو يحيى ٣٧٧ -

٣٧٨.

زمامة - عبد القادر ٥١٥.

الزمنخري - محمود ٥٤، ١٩٥، ٢٦١، ٣٩٠.

الزمرلي - محسن ٦٠٨.

الزناقي الققيه (المتوفى ٧٠٢ هـ) ٦٠.

الزناقي - أبو عمران موسى ٣٨٨.

زهير بن أبي سلمى ٢٥٠، ٢٩٦ ح.

الزواوي = أبو عوانة

الزواوي = أحمد بن عبد الله

الزواوي - صالح بن محمد ٦٤٩ م.

الزواوي - طاهر ٣٧٠ ح.

الزواوي = عبد السلام بن علي

الزواوي - محمد ٥٣٠.

الزوزني ٢١٠ ح.

زوس = جويبر

زيان بن أبي حو ٣٥.

زيان بن مردانيس ٢١٠.

زيد (اسم) ٢٦٣ ح م، ٣٤٥، ٦٣١ ح م،

٦٣٣.

الرشيد = هرون

الرشيد الموحدى ٢١٨ م (؟)، ٢٣٧، ٢٩٢.

الرشيدى - أحمد بن يوسف ٧٩.

رضوان (خازن الجنة) ٢٨٢.

رضوان - أبو نعيم ٥٠٤ م.

الرضي - الشريف الرضي.

الرعيبي = ابن السراج.

الرعيبي - أبو الحسن عليّ بن محمد ٣٤٦.

الرعيبي = أبو جعفر القرناطى.

الرقاء المرسي - الحسن بن عبد الرحمن

(١٣٨ - ١٣٩).

الرقاعي الأزهرى - أحمد ٢٦٧، ٢٦٩.

الرقبلي - يحيى بن ابراهيم ٧٣.

الرندي = أبو البقاء الرندي

الرندي - محمد سعيد ٥٣٠.

الرندي = يحيى

الرندي = يحيى بن أحمد النفزي

روبين (التي) ١١١ ح.

رويو - لوئيانو ٦٠٧.

الروح، روح القدس = جيريل

رويفع بن ثابت الأنصارى ٣٦٩ ح.

الرمحاني - أمين ٥٢٧.

حرف الزاي:

زاسباور ٧١٠ ح.

الزباه ٥٣٦ م.

الزجاجي - عبد الرحمن بن اسحاق ١٤٧ ح،

١٤٨ ح، ٢٤٨، ٢٤٩ م، ٢٧٦، ٣١٧،

١٣٤١، ٥٥٥ م.

الزركشي = اللؤلؤي

الزركلي - خير الدين ١٧، ٥٤ ح، ٦٧، ٨٥ ح،

زيد بن ثابت ٦٦٣ - ٦٦٤ .
 زيد بن = كوديرا
 زين = محمد ٧٨ .
 زينب (اسم) ٤٣٢، ٣٣٥ م، ٥١٩، ٦٥٠ م،
 زيني (بن) دحلان = دحلان .
 السدي - أبو عبد الله ٥٤٠ .
 ساد (اسم) ٥٦، ٦٣٨، ٦٥٠ م .
 سعد التجيبي = ابن ليون
 سعد بن أحمد التجيبي الجوندي الجياني
 ٤٥٧ ح .
 سعدون (اسم) ٥٨٦ .
 سعدى (اسم) ٣٣٢، ٣٣٥ م .
 السعدي - عبد الرحمن بن محمد ٢٥ ح .
 سعيد (اسم) ٢٦٣ ح، ٣٩٥ ح .
 سعيد بن حكم القرشي (٢٧٧ - ٢٨٢) .
 سعيد الخطيب (حدّ لسان الدين) ٥٠٤ .
 سعيد بن المسيّب ٤٢٣ - ٤٢٤ .
 السّاح - أبو العباس ٤٢٩ م .
 سفيان الثوري ٤٢٣ م .
 السقطي - أحمد بن محمد الملقب ٦٨ .
 سفين = القصري الفاسي .
 السكاكي - يوسف ٢٥٠ ح .
 سكورا = سبورا .
 السكوني - أبو بكر ١٩٠ .
 السكوني - أبو الحكم ١٨٩ ح .
 السكوني - أبو الحكم ١٨٩ ح .
 السكوني = أبو الخطاب .
 السكوني - أبو الفضل ١٨٩ ح .
 السكوني - علي بن إبراهيم ٣٩٩ ح .
 السكوني - محمد ١٨٩ ح .
 السكوني التونسي - محمد بن خليل ٧٢ .
 سلمى (اسم) ٥٣٢، ٥٨٣ .
 سلمى = محمد بن عبد الجليل .
 السلولي - أبو القاسم ٥٤، ٥٩ .
 سليم (اسم) ٣٩٥ ح .
 سليمان (?) ٢٨٩ م .

حرف السين:

الساحلي = الطويجين
 ساسان - ٢٨٨ م
 ساسكي = محمد الحاج
 الساعاتي - أحمد بن عبد الرحمن ٦٧٩ .
 الساعاتي - حسن ٦٠٩ .
 سالم = محمد بن عبد الجليل
 سامي (اسم) ٦٩٥ ح .
 سانغوينيقي ٥٢٧ .
 الساوي الموسوي الولاقي (الأبي) - يحيى بن
 مختار ٦٣٢ - ٦٣٣ .
 السبي - أبو القاسم محمد بن أحمد ٥٠٤ .
 السبي - أبو جعفر بن أبي القاسم ٦٤١ .
 سبورا ٤٢ .
 السجاعي ٢٦٨ م، ٢٦٩ .
 سحبان وائل ٥٣٤ م .
 سخنون ٦٣٠ م، ٦٩١ ح، ٧٠٦ ح .
 السخاوي - أبو المحسن ٢٦٠ .
 السخاوي - محمد بن عبد الرحمن ١١٢ ،
 ١١٣ ، ٦٨٥ ، ٧٠٣ .
 السراج - يحيى ٥٦٦ . (?)
 السراج = يحيى بن أحمد النفزي
 السراج البلقيني - عمر ٦٣٤ م .
 السرقطي - محمد بن محمد ٦٦١ ، ٦٦٥ .
 سركيس - يوسف اليان ٨٣ ح ، ٢٦٤ .

- سليمان بن داوود بن يوسف ٣٢ ح .
سليمان - فوزي ٦٠٧ .
السماوي - محمد زين ٧٨ .
السمراي - محمد معصوم ٣٩٩ .
السمعاني ٣٧٠ .
السؤال ٣٥٥ م .
سن أبياتا = صنديانا .
السندي ٥٦٠ ح .
السنوسي - محمد بن يوسف ٥٩ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٠٣ .
السهورودي - عمر ٢٣٥ .
السهيلي - عبد الرحمن ٥٩ ، ١٤٨ م .
السوداني - أحمد بن محمد ٣٩٩ .
سومان غورو (هورو) ٤١ - ٤٢ ، ٤٧ ، ٤٨ م .
السوسي - محمد ٨٧ م .
السوسي - محمود ٣٩٣ .
سيويه ١٤٧ ، ١٦٣ ، ١٧٠ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ، ٣١٧ ، ٣٨٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ م ، ٥٧٩ .
سيد الأنام = محمد رسول الله ٥٨ .
سيد الأهل - عبد العزيز ٤٢٦ ح .
سيد ربيعة ومضر = محمد رسول الله ٥٦ .
سيد المرسلين = محمد رسول الله ٥٩ .
السيد القمبياطور ٩٧ .
سيد الكونين = محمد رسول الله ٥٣١ م .
سيف الدولة ٢٢٢ ح ، ٥٢٠ ح .
سيف بن ذي يزن ٤٣٣ ح (راجع: ابن ذي يزن) .
السيوطي - عبد الرحمن ٦٠ ، ٦٩ ، ١٣٣ ، ١٥٣ ح ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ ، ٣٩٣ - ٣٩٤ ، ٧٠٣ ، ٧١٠ .
السيوطي - عبد الرحيم ٣٩٨ .
- حرف الثين:
- الثابّ الطريف ١٥٨ ح .
الثاذلي = أبو الحسن الثاذلي
الثارققي، الثاري - أبو الحسن بن محمد ١٨٨ م ، ٣٥٩ .
الثاطي = ابن خضر الثاطي
الثاطي - ابراهيم بن موسى ٦٢ - ٦٤ ، ٥٦٦ ، ٦٢٦ .
الثاطي - القاسم بن فيره ٢٦١ م ، ٣٣٦ ح ، ٣٩٣ ، ٦٢٧ ، ٦٣٦ م ، ٦٦٨ ح .
الثاطي = محمد بن علي
الثافمي ٤٢٣ م ، ٤٣٧ .
شاعر الأبيادي (اسم مرثعل) ٤٦١ م .
شاحجة (الرابع) ملك قتالة ٢٦ - ٢٧ .
شبانة - محمد كمال ٥١٦ .
شيوخ - ابراهيم ٢٤٥ .
شبيب بن يزيد الشيباني ٦١٨ ح م .
شداد بن عاد ٢٨٨ م .
شدم (اسم حصان) ٦٠٣ م .
شرف الدين الأنصاري الحموي ٣٣٤ .
الشرقاوي - عبد الله بن حجازي ٧٨ .
الشرمباطي - محمد بن سعود ٢٧٠ .
الشرنوبي - عبد الحميد ٢٧ .
الشريشي - الأمي
الشريشي - أبو عبد الله ٦٢١ .
الشريشي = محمد بن أحمد
الشريف الحسيني - العباس ٧١٠ م .
الشريف الحسيني السبي - محمد بن أحمد (٤٧٧ - ٤٨٠) ، ٤١٣ وما بعد ، ٥٧٠ ، ٥٦٦ ، ٦١١ .

- الشريف التلمساني - عبد الله ٦٢٦، ٦٣٤ .
- الشريف الفرناطي = الشريف الحسي السبي
- الشريف - أبو الحسن ٦٧١ .
- الشريف الرضي ٥٩٨ .
- الشريف الصقلي التونسي - أحمد بن عبد السلام ٩٢ .
- الشريف محمد = حو
- الشترى - علي بن عبد الله (٢٤٦ - ٢٤٧) .
- ٧٦ ح - ٤٥٨ .
- شبان = الأشرف شبان
- الشعراي - عبد الوهاب ٢٦٠ .
- الشقراسي - عبد الله بن يحيى ٢٢٥ ، ٦٣٦ ح .
- الشقوري = محمد بن علي اللخمي شقيق (اسم) ٥٢٨ م .
- شكري محمود = أحمد شكبير ٦٠٥ ح .
- الثلوبيني ، الثلوبيني = أبو علي الثلوبيني الصغير - محمد بن علي ١٦١ ح - ٢٦٠ ، ١٦٢ .
- الثمّاحي - أحمد بن سعيد ٧١ .
- الثمّاحي - عامر ٧١ م ، ٨١ .
- الثمّاحي - سعيد (؟) بن عبد الواحد ٨٢ .
- الثمّاني المصري - أبو العباس ٦٦٦ .
- شمورش ٧١ م .
- الشفيطي - عبد الله بن ابراهيم ٦٣٢ م .
- الشفيطي - عبد الودود بن علي ٢٦٧ - ٢٦٨ .
- الشفيطي - محمد الأمين ٢٦٥ م .
- التهاب بن رسلان ٦٨٥ .
- التهاب محمود بن فهد ٥٢٠ م .
- تهاب الدين بن الخلوف - أحمد بن محمد (٦٨٥ - ٦٨٨) .
- التوّاش القهري - أبو عبد الله ٣٤١ .
- التوثاوي السملاني - الحسن (الحسين) بن علي ٥٥ .
- ثوقي (اسم) ٦٩٥ ح .
- شيخ الأرض - تير ٦٠٧ .
- الشيخ البرتغالي الوطاسي - محمد بن محمد ٦٨٩ ، ٦٩٨ م ، ٧٠٠ - ٧٠٣ .
- شيخ الغزاة ١٠١ .
- شحو - الأب لويس ٣٧٢ ح .
- الثيرازي (؟) ٦٤ ، ٧٢ .
- الثيرزي = عبد الرحمن بن نصر الشيطان ٢٠٧ م ، ٤٧٦ .
- حرفا الصاد والضاد:
- الصايوبي - أبو الحسن ٢٨٤ - ٢٨٥ .
- صاحب الحبار = أبو زيد كيداد صالح (السي) ٢٢٤ ح .
- صالح الرندي = أبو العلاء صالح - أبو محمد ٥٥٤ .
- صالح (قنب) ٤٣ م .
- صالح (أدخل الإسلام إلى وداي) ٥٠ - ٥١ .
- الصانغ النحوي - أبو الحسن ٤٠٩ .
- الصانغي - سالم بن سعيد ٧١ .
- الصباح - أحمد بن محمد ٦١٥ .
- الصباغ - محمد بن محمد ٧٩ .
- الصباغ الحميري - محمد ٢٠٩ .
- الصبان - محمد علي ٢٦٩ م ، ٢٧٠ .

حرفا الطاء والظاء:

- الطائي = عبد الله بن هرون
الطاغية = ملك الإيبان (اطلب أسماء ملوكهم).
طالب - ميرزا أحمد ٢٧٠.
طاهر الزواوي = الزواوي.
الطبّاع - عبد الله ٢١٧.
الطبري = نجم الدين
الطرطوشي - أبو بكر ٨٢، ٨٣، ٤٧٠ ح.
طرفة بن العبد ٢٥٠.
طلحة بن حرم الأندلسي - محمد (١٥٤) -
(١٥٦).

- الطنجالي - محمد بن أحمد ٤٢٠، ٤٩٨.
طوقان - قدرى ٣٨٩.
الطويحين الساحلي - ابراهيم بن محمد (٤٣٠) -
(٤٣٦)، ٤٢٠، ٤٩٧ م.
الطيب بن عبد الحميد الكراخي (؟) ٢٦٩.
الطيب = ابن الطيب
الطيب = محمد الطيب
الظاهر برقوق = برقوق
الظريف = محمد الظريف

حرف العين:

- عائشة (اسم) ٥٨٦.
عائشة بنت أحمد المديوني ٦٤٠.
عائشة الباعونية ١١٣.
عائشة بنت الجيبار المحتب ٩٢.
عائشة بنت علي الصنهاجية ٥٧.
عائشة بنت عمران النوني ٧٥.
عائشة بنت محمد الغليلي ٥٠٢.

- الصبان - محمد علي ٢٦٩ م، ٢٧٠.
صبح (جارية المزناني) ٤٥٠.
الصدفي = أبو علي
الصدفي الناطبي - أحمد بن محمد ٥٣٤.
الصدفي الطرابلسي - عبد الحميد ٣٥٤.
الصمدي - عبد التعال ٢٧٠.
الصغير (الأستاذ؟) ٧٠٣.
الصغير = ابن الصغير.
الصغير = ابن عمار.
الصفاقسي - ابراهيم بن محمد ٥٤.
الصفاقسي - محمد بن محمد ٥٤.
الصفدي - خليل بن أبيك ١٩٤ ح، ٣٢٨،
٣٣١.

- الصفاوي - عبد الرحمن بن عبد الحميد
٣٢٨، ٣٨٤.
صفوة الخلق = محمد رسول الله ١٢١.
الصفوي - عبد الرحيم ٢٦٦ (؟ م ٦٦).
صفية (اسم) ٤٩٩ - ٥٠٠.
صلاح الدين الأيوبي ٨٣ ح م، ١١١ - ١١٢،
٤١٥ ح.

- الصلاح الأقفسي ٥٨.
الصلاح - محمد بن ابراهيم ٩٠.
صليبا - جيل ٦٠٧.
صديقاتا ٤١ م، ٤٨ م.
صفي علي ٤٩ م.
الصواي = ابن مسعود.
الصولي - أبو بكر بن يحيى ٤٧٠ ح.
صوماغورو = صوماغورو.
الضائمي = الضائمي.
ضيف - شوقي ١٨٥ ح، ٣١٦ م.

- عاد (جدّ عربي) ٢٨٨ .
- العاقب بن عبد الله الأنصطي ١٣٢ ،
- ١٣٣ م .
- العاقب بن محمد بن عمر التنيكّي ١٣٣ م
(راجع نيل الإبتهاج ٢١٨ - ٢١٩) .
- عالم قصة = ابن عقيبة .
- العامة = ليلي
- العاطلي = بهاء الدين
- عبادة القزاز ١٤٥ .
- عبادة بن ماء السماء ٣٥٨ ح .
- العبّادي - أحمد مختار ٥١٥ ، ٥١٦ م .
- عبّاس - احسان ٨٣ ح ، ١٧٩ ح ، ١٨٢ ،
١٨٧ ، ٣٥٣ ، ٣٩٤ ، ٥١٦ م ، ٥٤٨ ح ،
٥٥٠ ح .
- العبّاس بن مرداس ٤٩٨ ح .
- العبّاسة أخت الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
- عبد الله (اسم) ٣٤٥ ، ٣٤٩ م .
- عبد الله بن الحسن اللخمي ٦٢٤ .
- عبد الله بن الزبير ٤٢٩ ح .
- عبد الله بن سعيد الخطيب (والد لسان
الدين) = ابن الخطيب
- عبد الله بن عبّاس ٥٩٤ م ، ٦٦٣ م .
- عبد الله بن عبد الله = أنسلمو
- عبد الله بن عبد المطلب (والد الرسول)
١٨٠ ح .
- عبد الله بن عمر بن محمد أقيت ١٣٢ .
- عبد الله بن غانية ١٥٠ ، ١٥١ .
- عبد الله بن لسان الدين بن الخطيب ٤٣٢ -
٤٨٣ .
- عبد الله بن المبارك ٤٢٣ م .
- عبد الله بن مسعود ٤٧٦ م .
- عبد الله بن هرون الطائي ٤٠١ .
- عبد الله بن ياسين الجزولي ٣٩ - ٤٠ .
- عبد الله بن يوسف الأندلسي - أبو محمد
٤٠١ - ٤٠٢ .
- عبد الباقي - محمد فؤاد ٢٦٥ ، ٢٦٦ .
- عبد الحق الإشبيلي - أبو محمد ٦٠ .
- عبد الحق البطوي :
- عبد الحميد - محمد محي الدين ٢٦٦ ، ٢٧٠ ،
٥١٦ .
- عبد الرحمن (اسم) ٣٤٩ م .
- عبد الرحمن الأوسط ١٨٥ م .
- عبد الرحمن الداخل ٤٠٦ ح .
- عبد الرحمن (بن) أبي حنّو موسى الثاني (؟)
٨٣ .
- عبد الرحمن بن الطفيل ٣٧٠ .
- عبد الرحمن بن نصر (الله) الشيزري النبراوي
٨٣ م .
- عبد الرحيم (اسم) ٣٤٩ م .
- عبد الرسول - محمد ٣٧٤ .
- عبد السّار - أحمد عطار (عبد القادر) (؟)
٥١٦ .
- عبد السلام بن علي الزواوي ٥٣ .
- عبد العزيز التكروري ١٣١ .
- عبد العزيز الحفصي = المتوكّل .
- عبد العزيز بن عبد العزيز اللمطي ٧٣ ،
٦٨٠ .
- عبد العزيز بن علي = المستنصر المربني
- عبد العزيز الموزري (٣٢٩ - ٣٣١) .
- عبد القادر (اسم) ٥٨٦ .
- عبد القاهر بن محمد التونسي ٩٢ - ٩٣ .
- عبد القيام - محمد ٢٠٨ .

- عبد القيوم - محمد
عبد الكريم الرناطلي (٦٧١ - ٦٧٣).
عبد النعم المنهوري ٥٣٦.
عبد النعم بن محمد الفسافي ٣٥٤.
عبد النعم بن صالح التميمي ٣٢٨.
عبد الملك بن مروان ٤٢٩ ح. ٥٠١.
عبد المهين الحضرمي (٤٤٥ - ٤٤٨) ٥٧٠.
٥٤٠. ٣٦٥
عبد المولى - محمود ٦٠٨.
عبد المؤمن بن علي ٣٧٦ م.
عبد النور العمرافي ٧٠.
عبد الواحد الحفصي ٣٠١. ٦٩ م.
عبد الواحد بن محمد المالقي ٥٣.
عبد الواحد المواكشي (١٦٤ - ١٦٧) ٦٠.
عبد الواحد الهندي ٢٦٤.
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن
١٤٨ م، ١٤٩.
عبد الواد = (عبد الواحد) ٣٢ ح.
عبد الوهاب - حسن حسي ١٨٣ ح. ١٨٥.
٢٥٣ ح. ٣٧٩ ح. ٣٨١ ح. ٥١٥.
٦١٢ ح.
عبد الوهاب بن علي بن محمد القيسي
٣٦٠ - ٣٦١.
المبدي = ابن الحاج الفاسي - محمد
المبدي (صاحب الرحلة) - محمد بن محمد
البلنسي (٤٠١ - ٤٠٤) ٨٠. ٣٦٢.
المبدي - علي بن يوسف ٣٦٥.
المبدوسي - أبو عمران ٦٢.
المبدوسي - عبد العزيز ٦٣٩.
المبدوسي = ابن معط المبدوسي
عبد - اغناطيوس ٦٠٦ ح - ٦٠٧.
- عبدون - غنيم ٦٠٧.
عبيد الله (اسم) ٣٤٩.
عبيد الله بن أحمد الأزدي ٣٥٤.
عثمان بن أدريس (سلطان كاتم) ٤٦.
عثمان بن سعيد = ورش
عثمان (أبو عمر) الحفصي ٦٨٥.
عثمان بن عفان ٤٠٥. ٨١.
عثمان بن بغراسن ٣٦٢. ٣٢.
العجيزي = يوسف دليلي.
عدنان (جدّ عرب الشمال) ٥٦٢. ٥١٩ م.
العدوي - حسن ٢٠٩.
العدوي = عبد الرحمن بن نصر
العدوي = قطة العدوي
العدوي الحمزاوي ٦٦٠.
عدّي بن زيد ٥٣٦ م.
العمرافي - عبد الرحيم بن الحسن ٦٣٦ م.
العربي - اسماعيل ٣١٦.
عروج. ٣٠. ٣١ ح. ٣٤.
العروسي = النجار العروسي
عروة بن حرام ٣٣٠ م.
العريف - عبد الرحمن ٧٨.
الغزير بن عبد اللام ٣٣٤.
المرزوقي - أبو طالب ٣٦٢.
المرزوقي - أبو القاسم ٤٢٧.
المرزوقي - أحمد بن محمد ٥٦.
المرزوقي السني - محمد بن أحمد ١١٦. ٥٦.
عزّوز الحفصي = المتوكّل الحفصي
القصاب القرطبي - أحمد بن محمد ٥٤.
الشهاوي - عبد الله بن فاضل ٣٩٨.
المطّار - أبو اسحاق الصنهاجي ٣٨٨.

- الطار - عزت ٢١٦ .
الطار - حسن بن محمد ٣٦٩ ، ٣٩٨ .
العقباني - ابراهيم بن قاسم ٦٨٨ .
العقباني - سعيد بن محمد ٦٤ - ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ ، ٦٨٠ ، ٦٨٨ .
العقباني - محمد بن أحمد
العقباني - محمد بن العباس ٦٧ م .
العقبلي = محمد بن العربي .
علا كي = كنع - موسى .
علام - مهدي ٣٩٨ ح .
علقمة النحل ٢٥٠ .
العلمي = يحيى بن عبد اللام .
علوش (محقق «الحلل الموشة») ٥١٥ م .
علي (اسم) ٣٤٩ ح م .
علي بن أبي طالب ١١١ ح ، ١١٥ م ، ٤٧٦ م ، ٦٦٣ - ٦٦٤ .
علي بن حزام الدين الهندي ٢٧٦ .
علي دونغا (ملك برنوا) ٤٧ .
علي = صني علي .
علي بن عبد الله (محمد) الفاسي ٨٠ - ٨١ .
علي بن عثمان المريني = أبو الحسن - علي بن عثمان .
علي بن عمر الهواربي ٧٤ - ٧٥ .
علي الفقيه حسن ٣٧٠ .
علي كولون ٤٨ .
علي بن محمد بن علي = ابن حفص اليحصي .
علي = محمد بن سالم .
علي بن موسى = ابن سعيد العنسي .
علي بن نافع = زرياب .
عليش - محمد ٥٧٩ .
عماد الدين الأصفهاني ٣٤٣ م .
عمار - علي بن سالم ٢٠٩ .
عمار بن ياسر ١٤٠ م .
عمر (عمرو) بن ادريس بن ابراهيم ٤٦ .
عمر بن أبي ربيعة ٥٩٨ م .
عمر بن الخطاب ١٨٠ ح ، ٢٠٠ ح ، ٢٢٠ ح .
٣٠٠ م ، ٤٨٦ م ، ٦٦٣ ح - ٦٦٤ .
عمر بن رسلان (راجع السراج البلقيني) .
عمر بن عبد الله السلمي ٢٣٠ .
عمر بن الفارض ٣٣٢ ، ٤٧٣ م ، ٤٩٠ ، ٥١٨ م ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ .
عمر بن محمد النفزاوي ٨٦ م .
عمر الهنتاقي - أبو حفص ٢٥٠ (راجع أبو حفص) .
عمران بن حطآن ٥١٩ م .
العمراني = عبد الله .
عمرو (اسم) ٦٣١ ح م ، ٦٣٣ .
عمرو = عمر بن ادريس .
عمرو بن عدوى ٥٣٦ م .
العمريطي - يحيى ٣٩٩ .
عنان بن جابر (١٥٧ - ١٥٩) ، ٢٥٣ - ٢٥٤ .
عنان - محمد عبد الله ١١٦ ، ٢٨٦ ح ، ٥١٥ ، ٥٥٨ ح ، ٦٠٧ ، ٦١٩ .
عنترة ٢٥٠ ، ٥٢٠ ح .
العنجاطي . - الخطيب (?) ٤٥٢ .
العنسي = ابن سعيد العنسي .
العنسي البلنسي - محمد بن سعيد ٥٤ .
العنسي المراكشي - علي ٩١ .
العوامري - أحمد ٥٢٧ .
عياد - كامل ٦٠٧ .

عياد - محمد بن محمد ٢٠٩ .
 عياض (الفاضي) بن موسى ٤٠٩ (راجع
 ٤٤٥ ، ٤١٠ ، ٤٠٠) .
 عياض بن موسى بن عياض الفاضي ٥٦ ،
 ٦٢ ، ١١٤ م ، ٤٠٩ ح ، (راجع ٤٠٠ ،
 ٤١٠ ، ٤٤٥) .
 عيسى ١٢٠ ح ، ٢٧٥ ح .
 العيني ١٢٠ ح ، ٢٧٥ ح .
 العيني - محمود بن أحمد ٢٦٦ .
 عيوش (اسم) ٥٨٦ .
 الفصّار - أحمد بن محمد ٤٤٥ م .
 غوثالث = بالنشأ
 غوغبّه ٢٦٥ م .
 غومذ = غارثيا
 غيلان مية = ذو الرمة
 الفخومي - أبو عمران موسى بن عيسى
 ٣٩ م .
 غلام أحمد ٦٦٠ .
 غلام عبد الرحمن = قادر مرام
 غليزر - سدي ٢٦٦ .
 الفاري - أحمد بن الحسن ٨٠ .
 الفاري - أحمد بن عيسى ٣٥٤ .
 الفاري - البلنسي - أحمد بن محمد ٢٦٠ ،
 ٣٥٤ .
 الفاري المراكشي - محمد بن عبد الرحمن
 ٦٤ .

حرف الفين :

غابريلي ٧٨ .
 غارثيا غومذ - أميليو ٣٢٦ .
 غازي (اسم) ٦٩٥ ح .
 الفاقني - ابراهيم ٤١٣ ، ٤٣٦ ، ٤٧٨ .
 الفاقني - ابراهيم ٥١٣ .
 الفاقني - البسج بن عيسى ٥١٣ ح .
 الفيريني - أحمد (٣٥٣ - ٣٥٦) ، ٦١٣ .
 الفيرايلي - أبو زيد ٣٣٩ .
 الفرافي - علي بن أحمد ٦١٣ .
 الفرناطي = عبد الكريم
 الفرناطي = محمد بن محمد
 الفرور = أبلبس
 غريب - جورج ٥٢٧ .
 غرينوروس = أبو الفرج
 الفرّالي - أبو حامد ١٢٩ ح ، ٢٠٦ ، ٢٧٦ ،
 ٣٨٨ ، ٤٧٠ ، ٦١٠ ح ، ٦٦٨ م .
 الفرّالي (?) ٧٦ .
 الفسّاني = عبد المنعم بن محمد .

حرف الفاء :

فارس بن الحسن = أبو عنان
 الفاروق = عمر بن الخطاب
 الفارسي - الحسن بن علي ٦٦٨ .
 الفاززي - أبو زيد ١١٦ .
 الفاسي - (الفارسي ؟) ٦٦٩ م .
 الفاسي - عبد الرحمن بن محمد ٢٠٩ ، ٢٦٠ .
 الفاسي = علي بن عبد الله
 الفاسي - محمد ٤٠٤ ، ٤١٤ ، ٦٥٢ ح .
 الفاسي = محمد بن أحمد
 الفاسي = محمد بن حسن
 الفاسي = يحيى بن أحمد النفزي
 فاطمة (اسم) ٥٨٦ .

- فاطمة (بنت رسول الله) ١١٥ م .
- الفاكحاني - عمر بن علي ٥٤٧ ح .
- الفتح بن خاقان الأندلسي ٤٧٠ ح .
- الفحيجي = ابراهيم
- الفخار = ميمون
- فخر الدين القاضي (ذكره ابن بطوطة) ٥٣ م .
- (٩) . ٥٢٧ .
- فخر الدين الرازي ٤٧٣ ح ، ٥٩٠ ح - ٥٩١ .
- فرج بن برفوق = الناصر فرج
- فرديناند الثالث (ملك قشتالة) ٢٦ م ، ٣٣٤ .
- فرديناند الخامس (ملك أرغون وقشتالة) ٢٧ ، ٧٠٢ ح .
- الفرزدق ٢٢٢ ح م .
- فرعون ٤٣٣ .
- فروخ - عمر ٦٠٩ .
- فروة بن سيك ٣٤٥ ح .
- الغزاري - ابراهيم (ثائر أندلسي) ٣٧٩ م .
- الغشالي = ابن شبيب
- الغشالي - محمد بن أحمد ٦١ ، ٦٩٠ م ، ٦٩٤ .
- الفضيلي - محمد بن يحيى ٢٨٤ م .
- فطوم (اسم) ٥٨٦ .
- فند زمان ٢٢١ م ، ٢٢٢ ح .
- الغودودي - الحسن بن عمر ٣٣ .
- فور - أدولف ٦١٤ .
- الغوري - بشير ٥١٥ .
- فولك ٢٦٧ .
- فيتو - أنريكو ٢٦٥ م .
- الغيروزابادي - مجد الدين ٢٣ ، ٦٣٤ .
- فيصل الأول (ملك العراق) ٦٠٨ ح .
- فيرنيه ٣١٦ .
- فيشر ٣٩٧ .
- الفيلاي الهاشمي - محمد ٤٠٨ .
- الفيلاي الصنهاجي - محمد ٦٣٤ .
- حرف القاف:
- القادر بن ذي الون ٩٥ .
- القادر القاسي (٩) ٣٩٨ .
- قادر مرام = غلام عبد الرحمن ٦٦٠ .
- القادري - نوح بن علي ٢٠٩ .
- قارون ٢٨٨ م .
- قاسم (ذكره التلويين) ١٦٣ م .
- قاسم بن عيسى القيرواني ٦٥ .
- القاسمي - محمد جمال الدين ٥١٨ ح .
- القاضي - محمد بن محمود ١٣٣ .
- القاضي المكتاسي = اليفرني
- القاضي - وداد ٨٣ ح ، ٨٤ - ٨٥ .
- القالي - أبو علي ١٧٠ .
- قاهر - محمد الشريف ٥١٥ .
- القاووقجي - محمد خليل ٢٠٩ م .
- قايتباي ٦٦١ م .
- القباب - أحمد بن قاسم ٦٢ ، ٦١١ ، ٦٩٢ م .
- قباوي - فخر الدين ٢٤٩ ح ، ٢٥١ م .
- قحطان ٢٨٨ .
- قदार (من نمود) ٢٢٤ ح .
- قداره = كوديرا
- قدامة بن جعفر ٥٣٤ م .
- قدور (اسم) ٥٨٦ .
- قراشاس ٦١٠ ح .
- القرباقي - علي بن موسى ٦٦٩ - ٦٧٠ .
- القربلياني - محمد بن علي ٩١ - ٩٢ .
- القرداحي - جبرائيل ٧٠٧ ح .
- القرشي - أبو جعفر = ابن فركون .

القيجاني (القيجاطي) - علي بن عمر
 (٤١١ - ٤١٢)، ٥٢٨، ٥٥٥ م.
 القيجاني - أبو عبد الله ٦٢٦.
 قيس بن سعد ٥١١ م.
 قيس بن سعد بن عبادة الصحابي ٥١١ م.
 قيصر ٥٤٢، ٥٥٢.

حرف الكاف:

كاترمير ٦٠٦.
 كارلتي ٣٩٨.
 كاشف - سيدة (؟) ٣١٦.
 الكندي - أبو بكر ٥٧.
 الكناني - محمد بن إبراهيم ٤٠٦، ٥١٥.
 كنع = ادريس كنع
 كنع = موسى
 كبير عزة ٥٩٨.
 الكدالي = يحيى بن إبراهيم
 كراسكاس = قرامتاس
 الكرافي (؟) - الطيب بن عبد الهيد
 كرايل ٥١٦.
 الكردودي - محمد ٢٦٦.
 (الكروسيوطي) (الكروسيوطي) الفاسي -
 عبد الله ٥٧.

كرمي = ادريس كنع
 كزو - أبو القاسم محمد ٦٠٨.
 الكرياني = الجزنائي الكرياني.
 الكسي - عبد الله بن محمد ٧١.
 كسرى أنوشروان ٢٥٥ ح ١، ٢٨٨ م.
 ٤٣٢ - ٤٣٣. راجع ٥٤٢ ح ١، ٥٥٢.
 الكمكك - عثمان ٣١٢.
 كعب بن زهير ٥٦، ١١٢، ٥٨٠، ٥٩١ ح ١،
 ٦٩٨، ٦٣٨.

القرشي (؟) (صاحب كتاب الفرائض) ٤٨١.
 القرشي - المهدي بن مصطفى ٢٧٠.
 القرطي (ت ٥٩٠ هـ) ١٤٧ ح.
 القرطي - أحمد بن عمر ٢٥٥.
 القرطي - محمد بن أحمد (٢٥٥ - ٢٦٠) ٦٠.
 ٥٢.

القرني - أبو حسين ١٨١.
 القزويني - محمد بن عبد الرحمن ٦٧٨.
 قس بن ساعدة ٥٣٤ - ٥٣٥.
 قسطنطين الأول (ملك الروم) ٤٨٥ ح.
 القسطنطي - أحمد ٦٨٣.
 القسطنطي = يحيى بن عبد السلام
 القشيري - أبو القاسم ٢٠٦.
 القصار - أبو العباس ٦٣٢.
 القصري - عبد الرحمن بن علي ١٣٢.
 قطة العدوي - محمد بن عبد الرحمن ٢٦٩.
 قلاوون (الملك المنصور) ١٠١ م، ٣٧٠ ح.
 القلشاني - أحمد ٦٣٢ - ٦٣٣، ٦٦٥ م (؟).
 القلشاني - محمد بن عمر ٦٨٣ م.
 القلصادي - علي بن محمد (٦٦٥ - ٦٧٠) ٦٠.
 ٦٦.

القلبي - عبد الله بن محمد.....
 القلمي = محمد بن الحسن
 القلقسدي ٦٥٢.
 القلي ٦٩٦.
 قمبر - يوحنا ٦٠٩.
 القمني = مؤيد الدين القمني
 قنب صالح = صالح
 القوري - ٦٧.
 القوري - محمد بن محمد ١٣٣ (؟).
 القوري (شيخ ابن غاز) ٦٩٥ (راجع).

٤٨٧ - ٤٨٩ . ٥٣٧ . ٥٤١ - ٥٤٣ .
٥٤٨ - ٥٥٠ . ٥٥٨ - ٥٥٩ . ٥٧٠ م .
٥٩١ م . ٦١٦ م . ٦٢٠ ح . ٦٢٤ -
٦٢٥ . ٦٤٢ . ٦٤٠ م . ٦٩٣ - ٦٩٤ .

اللياني = أحمد اللياني
اللمنوني = محمد بن تيفاوت
اللمنوني = يحيى بن عمر
اللمطي = عبد العزيز بن عبد العزيز
لوشبانو (لوثيانو) ٧٨ م .
اللوشي - محمد بن محمد ٥٦٧ .
اللؤلؤي الزركشي - محمد بن ابراهيم
(٦٨٢ - ٦٨٥) .

لويس التاسع ٣٠ م . ٣٤ . ٢٠٥ م . ٢٩٣ ح .
الليث بن سعد ٤٢٣ م .
ليفي بروفصال = لافي
ليلي (في شعر) ٢٨٥ م . ٣٣٢ . ٤٣٤ .
ليلي العامرية ٥٢٠ م .
اللمسومي ٣٧٧ .

حرف الميم:

ماء السماء = ماوية
مارتل ٦٣٢ .
مارتل - الأسقف نفولا ٧٣ م .
المارتلي = أبو عمران
مارسيه ٣٦٩ .
ماسيون - لويس ٤٤ .
ماصور - محمد ٦٨٥ .
ماكدونالد - دوفكان ٦٠٩ .
مالك (خازن النار) ٢٨٢ م . ٣٢٥ م .
٣٣٧ م ..
مالك بن أنس ٦٠ . ٦٣ . ٦٧ . ٧٠ . ٢٠٦ .

كعب بن مامة ٥٤٨ م .
كعب - محمود بن المتوكل كعب التسكتي
٢٥ ح . ٧٠ .
كلفرن ٢٦٧ م .

الكفراوي - حسن بن علي ٣٩٧ . ٣٩٨ .
الكلامي - أحمد بن الحسن = ابن الزيات
الكلامي - (?) ٣٧٦ ح .
الكلم = موسى .
كلميت السادس (بابا) ١٠٢ ح .
الكناني الوثي - أحمد بن عبد الرحمن ٩٨ .
كتي = دبارا كتي
الكندي - تاج الدين
كك موسى ٧٠٧ .

ككون - عبد الله ٥٣ . ٥٧ . ٦٨ . ٨٨ .
٤٤٩ . ٤٠٨ ح . ٥٨٦ م . ٦٢٣ .
كوديرا أي زيبين - فرنسيسكو ٢١٦ م .
كوكوري = مظفر الدين
كولان ٤٠٦ م .
كولون = علي كولون

حرف اللام:

لافي بروفصال ٦٥٦ .
ليبد بن ربيعة ٤١٨ ح .
اللجاني - أبو عبد الرحمن ٨٩ . ٦١١ .
اللحياني ٣٠ .
اللحيمي = محمد بن علي
لسان الدين بن الخطيب - محمد بن عبد الله
(٥٠٣ - ٥١٧) . ٦٠ . ٦٠ . ١٦ . ٨١ . ١٠٤ -
١٠٩ . ١١٩ ح . ١٢٤ . ١٢٧ . ١٤٥ .
٤٣٩ . ٣٢٣ - ٤٤٠ . ٤٤٩ ح . ٤٧٠ .
٤٧٩ - ٤٨٠ . ٤٨٢ - ٤٨٣ . ٤٨٤ ح .

- محداد - عبد القادر ٣١٦ .
 محفوظ - محمد ٤٤٤ .
 محفوظ الحق - محمد ٢٠٨ .
 الهلبي - جلال الدين ٦٦٦ .
 محمد (اسم) ٣٤٩ م .
 محمد رسول الله * ٥٤٣ . ٥٥٩ إلى ٦٩٠ م .
 ٧٣ ح . ٧٦ إلى ١١٠ . ٨١ إلى ١٣٠ .
 ٥٦ ح م . ١٧٤٠ إلى ١٧٧ . ١٨٢ .
 ١٩١ ح . ١٩٥ إلى ٢٠١ . ٢٢٥ .
 ٢٣٠ م . ٢٣٢ م . ٢٣٧ - ٢٣٩ .
 ٢٤٣ - ٢٤٤ . ٢٥٦ . ٢٥٧ . ٢٥٩ .
 ٢٦٢ . ٢٧١ - ٢٧٢ . ٢٧٥ ح م .
 ٣٠٠ م . ٣٠٧ ح . ٣٠٩ . ٣١٨ م .
 ٣٢٠ - ٣٢٣ . ٣٠٩ . ٣١٨ م . ٣٢٠ -
 ٣٢٣ . ٣٢٦ . ٣٢٩ . ٣٤٠ . ٣٤٤ ح م .
 ٣٤٨ ح . ٣٤٩ م . ٣٥٥ . ٣٦٦ م .
 ٣٨٢ . ٣٨٥ . ٤١٠ ح . ٤١٧ . ٤٢١ م .
 ٤٢٢ إلى ٤٣٥ . ٤٣٩ . ٤٤٣ م . ٤٦٩ .
 ٤٧٦ ح م . ٤٧٧ ح . ٤٨٣ . ٤٨٩ م .
 ٥٠١ . ٥٠٨ ح . ٥١١ م . ٥١٩ .
 ٥٢٩ م . ٥٣٢ إلى ٥٣٦ . ٥٤١ ح .
 ٥٥٧ م . ٥٥٠ - ٥٥٣ . ٥٥٦ - ٥٥٧ .
 ٥٦٠ م . ٥٦٢ م . ٥٦٨ . ٥٧١ . ٥٨٢ م .
 ٥٩١ ح . ٥٩٤ م . ٦٠٧ . ٦١٢ .
 ٦١٧ - ٦١٨ . ٦٢٤ - ٦٢٥ . ٦٢٧ .
 ٦٣٦ . ٦٣٨ . ٦٤٣ م . ٦٤٩ . ٦٥١ م .
 ٦٥٧ إلى ٦٦٠ . ٦٦٣ . ٦٧٧ .
 ٦٨١ - ٦٨٢ . ٦٩٦ . ٧٠٨ م . ٧٠٩ م .
- ٥٠٨ م . ٥٠٨ م . ٥٧٧ . ٥٧٨ . ٥٧٩ م .
 ٦٣٠ م . ٦٣٦ م . ٦٦٤ م . ٦٩٠ م .
 ٦٩١ ح . ٦٩٣ ح .
 مالك بن المرحل (٢٣٥ - ٢٣٩) . ٥٣ .
 ١٢٢ م . ١٢٤ - ١٢٥ .
 المأمون (العباسي ؟) ٥٤٦ م .
 المأمون الموحدي ٣٥٦ م .
 الماوردي - أبو الحسن ٤٥٨ . ٤٧٠ ح .
 ماوية (ماء السماء) ٥٠٨ م .
 المبرد ١٧٠ .
 المتقي = علي بن حاتم الدين
 المتقي ١٩٠ . ١٣٧ ح . ١٤٥ . ٢٢٢ ح .
 ٢٥٠ . ٣٠٩ م . ٣٣٧ ح . ٤١٦ .
 ٤٣٣ ح . ٤٧٦ ح . ٤٩٠ . ٥١٩ ح .
 ٥٩١ . ٥٩٨ . ٥٩٩ . ٦٩٢ ح . ٦٩٨ .
 المتوكل الحفصي - أبو فارس عبد العزيز بن
 أحمد ٣٠ م . ٣٥ . ٧٣ ح . ٨٦ ح . ٩٢ .
 ٦٨٤ م .
 المتوكل المريني - أبو عثمان فارس ٣٥ .
 ١٠٨ ح .
 المتوكل المريني الزياتي ٦٨٩ .
 المتوكل بن هود - محمد بن يوسف ٢٦ م .
 ١٤٠ ح . ١٤١ ح . ١٤٩ . ١٤٩ . ١٦٩ .
 ١٧٤ . ١٩٦ . ٢٠٢ . وما بعد . ٣٣١ م .
 المصاحفي = ابن عبد الواحد
 مجنون ليلي ٣٣٠ م .
 محاج (اسم فرس) ٦٠٢ .
 المحاسبي - يوسف بن موسى ٣١٧ .

(*) محمد رسول الله أسمه كثيرة منها: سيد العالمين - التميمي - الماسي وغيرها، تجد الإشارة إليها كلها تحت
 • محمد رسول، الله •.

- محمد بن أحمد الاستحي (١٤٤ - ١٤٨).
- محمد بن أحمد التريشي ٦٢.
- محمد بن أحمد الفاسي - تقي الدين ٦٥.
- محمد البدري = البدري
- محمد (راجع أيضاً «حمو»).
- محمد بن أبي القاسم الحميري = ابن الصباغ
- محمد بن تغاوت اللمتوني = (تاسرت) ٣٨ م.
- محمد الحاج (ساسكي) ٦٩.
- محمد حسن (الهندي) ٢٦٥.
- محمد بن حس الفاسي ٥٢.
- محمد بن الحسن القلمي (٢٧١ - ٢٧٣).
- محمد بن الحس الملقبي ٦١ - ٦٢.
- محمد بن حمص الموحدى (والى بلسة) ٢١٠.
- محمد بن خلدون (جد عبد الرحمن) = ابن خلدون
- محمد (الثالث) بن داوود ٥٠.
- محمد سالم علي ٢٧٠.
- محمد سعيد الصنهاجي ٧٤.
- محمد بن سعيد العمسي ١٤٩.
- محمد الطيب الجزائري ٣٠٩.
- محمد الطريف التونسي (٥٦١ - ٥٦٣).
- محمد بن عبد الله بن عبد الحليل التنسي = ابن عبد الحليل
- محمد بن عبد الله المرسي (١٩٤ - ١٩٦).
- ٥٢
- محمد بن عبد الحليل = سلمى. سالم
- محمد - عبد القنوم ٣٧٤.
- محمد العربي المفضل (٦٩٨ - ٧٠٣).
- محمد بن علي التاطبي المغربي ٨٢.
- محمد بن علي اللحمي التتوري ٩١.
- محمد بن علي بن موسى (أمير جزيرة ميورقة) ٢٢٣ - ٢٢٤.
- محمد بن علي بن هشام ٤٦.
- محمد بن محمد بن يحيى ٣٨٨.
- محمد بن عمر الرواوى التجار البحائى ٩١.
- محمد بن محمد بن عبد الله = ابن عبد الله
- محمد بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري ٢١٠.
- محمد بن محمد الغرناطي ٦٧ م.
- محمد بن محمد بن منصور القيسي الأندلسي ٦٧.
- محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت ...
- الصنهاجي ١٣٢ - ١٣٣.
- محمد الفضل الهادي = ابن عزوز
- محمد بن موسى المزالي (٢٨٤ - ٢٨٥).
- محمد بن محمد بن يعقوب الكومي ٧٥، ٧٦.
- محمد المهدي الفاسي - أحمد بن علي ٦٦٠، ٦٦١.
- محمد الناصر الموحدى = الناصر الموحدى
- محمد بن يحيى = ابن أبي بكر
- محمد بن يحيى الحفصي = المستنصر الحفصي
- محمد بن يحيى المريني ٥٥٢ م.
- محمد بن يعقوب الموحدى = الناصر الموحدى
- محمد بن يوسف = ابن نصر.
- محمد (الخاص الغني الله) ابن الاحمر = محمد بن يوسف بن إسمايل
- محمد بن يوسف التلمساني (٥٣٦ - ٥٣٩).
- راجع أبو سعد.
- محمد بن يوسف الهمداني ٣٥٤.
- محمد بن يوسف بن هود = ابن هود
- محمود - عبد الحليم ٢٠٩، ٦٧٩.

محمود بن عمر أقيت التنكفي (٧٠٥) -
(٧١١).

محمود بن عمر بن محمد أقيت... الصنهاجي
١٣٢.

محمود بن فهد = الثهاب محمود

محمود كمت = محمود بن عمر أقيت
الختار (محمد رسول الله) ١٩٧ م.

محمود بن كيداد = أبو يزيد

مخلص - عبد الله ٥٣٦.

مخلوف بن علي بن صالح البلبالي ١٣٢.

المخيلي - يوسف ٣٧٠.

المدني - (?) ٦٣٢.

المديني - أحمد بن الحسن ٦٤٠ م.

المديني الحكيم - يوسف ٩٠.

المديني - عائشة بنت أحمد

المدنجي - أحمد بن علي ٥٠٩ (؟) (٤٠٥).

المرائي - أحمد مصطفى ٢٧٠.

المرائسي = عبد الواحد

المرائسي = ابن عبد الملك

المريني = ابن أبي ريمانة

مرتضى بن حاتم ٣٧٠.

المرتضى - محمد ١٢٧.

المرتضى الزبيدي ٢٠٩ م.

مرخل (المرخل): والد مالك بن المرخل

٣٢٥ م.

مرزوق بن عحسة ٥٤٦.

مرسي - أحمد محمد ٢٥٩.

المرسي = محمد بن عبد الله

المريني = أبو الحسن. أبو سعيد

المريني - أبو يعقوب بن يحيى بن عبد الحق

٩٠ ح.

المزالي = محمد بن موسى

المزني - يوسف بن عبد الرحمن ٤٨٤.

٥٣١ م.

المستنصر - أبو العباس أحمد ٦٨٤.

المستنصر الحفصي (المستنصر) ٣٠ م. ٤٦.

١٧٢ - ١٧٣ . ١٩٥ . ٢١١ . ٢١٨ .

٢٢٧ . ٢٢٣ م . ٢٤٨ م . ٢٤٩ . ٢٥٣ .

٢٨٣ م . ٢٩٣ - ٢٩٤ . ٢٩٩ وما بعد .

٣١٣ م .

المسحر الميرني - أبو فارس عبد العزيز

٥٠٥ م .

المسحر (الثاني) الميرني - أحمد بن ابراهيم

٥٠٥ . ٦١٦ ح .

المستنصر الموحد - أبو يعقوب يوسف

١٤٨ م .

المسري = ابن غلاب

المسري - علي بن عبد الله ٣٩٩ .

المسعودي = الباجي

المسعودي - علي بن الحسين ٥٢٧ .

المسعر = ابن القطان

سلم ٥٥ ح . ٥٦ م . ٥٧ . ٥٨ م . ٥٩ م . ٧٧ .

١٩٥ . ٤١٠ ح . ٤٢١ م . ٥٤٧ ح .

المسب بن حزن (أبو سعيد) ٤٢٤ ح م .

المسبح ٥٤٣ م .

المسبي - أحمد بن علي ٥٤ .

المسيلي - أبو علي ٣٥٦ .

المستري (زفس) ٤٦٧ ح .

المثدالي - أحمد بن عبد الحق ٤٩٨ .

المثدالي - عمران بن يوسف

المثدالي - محمد بن محمد ٦٨ .

المثيشي = القوافجي

٠٥٥ ، ٠٦٩ ، ٠٨٥ ، ٠١٣٢ ، ٠١٣٣ م .
٠٧١٠ م .

المقبلي - موسى بن عيسى ٠٦٧ ، ٠٦١ .
القدسسي - محمود ٠٧٧ .
المقرئ (الجدد) - محمد بن محمد (٤٧١) -
(٤٧٧) ، ٠٤٥٨ م ، ٠٦٣٧ م ، ٠٦٩٠ .
المقرئ - أحمد بن محمد (صاحب نفع الطيب)
٠١١٤ ، ٠١١٩ ح ، ٠١٣٤ ، ٠١٣٦ ، ٠١٣٧ .
٠١٥٣ ح ، ٠١٧٩ ح ، ٠٣٨٢ ، ٠٣٩٤ م ،
٠٤٧١ ح ، ٠٤٨٤ - ٠٤٨٥ ، ٠٥٤٨ ح ،
٠٥٥٠ م ، ٠٦٣٧ ، ٠٦٣٥ ح .

المقريزي ٠٦٥٢ .
مكرم بن محمد - أبو الفضل ٠٢٦٠ .
المكناسي = ابن غاز ابن أحمد
المكودي - أبو عبد الرحمن (٥٧٩) - (٥٨٦) ،
٠٢٦٦ ، ٠٢٦٨ ، ٠٢٧٠ م ، ٠٣٩٧ ، ٠٦٣٤ .

مكي - محمود علي ٠٦٧٢ .
الملاحي - محمد بن عبد الواحد ٠٢٣٠ .
الملاري - يوسف بن يعقوب ٠٦١١ .
الملزوزي - عبد العزيز بن محمد ٠٨٠ .
الملك الصالح بن الملك الناصر بن قلاوون
٠١٠١ - ٠١٠٤ .

الملك الصالح - نجم الدين أيوب ٠١٠١ ح .
الملكيشي - محمد بن عمر (٤١٩) - (٤٣٠) .
الملوي - أحمد ٠٥٨٥ .
الملياني = أبو العباس
الملياني - أبو علي أحمد ٠٣٧٤ - ٠٣٧٥ .
منالوس ٠٨٨ .
المنجور - أحمد ٠٦٩٥ .
المنتشارقي - يوسف بن موسى ٠١١٩ - ٠١٢٢ .

المصطفى (محمد رسول الله) ٠١١٥ ، ٠١٢٣ .
١٢٧ إلى ٠١٣٠ ، ٠١٥٦ م ، ٠٥٢٧ .

المصمودي - ابراهيم بن موسى ٠٦٣٤ ، ٠٦٣٧ .
المصمودي - محمد بن أحمد ٠٩٢ .
المطرزي ٠٢٤٩ ح .
المطرزي ٠٢٤٩ ح .
المطرزي = المكودي
المطري = الخزرجي
مطلوب - أحمد ٠٤٣٠ .

المطاطبي = ابراهيم بن يخلف
المظفر بن عبد الملك العامري ٠١٤٩ - ٠١٥٠ .
مظفر الدين كوكبوري ٠١١٢ .
معاوية ٠٣٦٩ ح ، ٠٥٣٦ م .
المتمصم بن صلاح ٠٦٧٠ ح .
المتعمد بن عباد ٠٥١١ - ٠٥١٢ ، ٠٦٥٥ .
المتعمد (?) ٠٣٢٣ م .

معد ٠٥١٩ ح .
المداني = ابن الرحال
المعري - أبو الصلاء ٠١٩ ، ٠٢٠ م ، ٠٢١٧ .
٠٣٦٢ ، ٠٥٢٠ ح ، ٠٥٩٨ ، ٠٥٩٩ ، ٠٦٧٠ ح .

معن بن زائدة ٠٢٢٢ م .
المعراوي السجلماسي - أبو منصور ٠٧٠ .
المعري = أحمد بن زكريا
المعري - عبد القادر ٠٦٠٧ .
المعري = محمد بن علي الشاطبي
المقبلي - الحسن (?) ٠٦٩٣ .
المقبلي - زكريا بن موسى بن عيسى (?) ٠٦٨ .
المقبلي = عاتقة بنت محمد المقبلي
المقبلي - عبد الرحمن بن يحيى ٠٦٥ .
المقبلي التلمساني - محمد بن عبد الكريم (?)

المنصر الحفصي - أبو عبد الله محمد =
المنصر الحفصي .

النتفي - محمد ١٢٧ .

النتوري - أبو عبد الله (؟) ٦٤١ .

النتوري - محمد بن عبد الملك ٥٨ .

مندبل بن آجروم - محمد بن محمد الصنهاجي
(٤٩٦ - ٤٩٧) . م ٣٩٤ .

المذر الثالث (ملك الحيرة) ٥٠٨ ح .

منسا موسى ٤٣ - ٤٣ .

المسنيري - محمد بن عبد السلام ٦٠ .

المصفي - يوسف ١٢٩ ح .

المصور بن أبي عامر ١٥٠ ح .

المصور الذهبي - أحمد بن محمد ٥٠ م .

المصور الريني يعقوب بن عبد الحق ٦ ،

٣٢٩ م ، ٣٣٦ ، ٣٧٤ ، ٤٠٧ م ، ٥٥٤ .

المصور الموحدوي - يعقوب بن يوسف ٨٧ ،

١٤٨ م ، ١٦٢ ، ١٦٥ - ١٦٦ .

المهدي بن تومرت ٢١٣ م .

المهدي (صاحب الزمان) ٦٠٧ م .

المهدي العناسي ٥٩٤ م .

المهدي الفاسي = محمد المهدي

المواق = ابن المواق .

موسى ١١١ ح ، ١٢٠ ح ، ١٨٤ ح ، ١٩٩ ح ،

٢٧٥ ح ، ٣١٩ ح ، ٣٢٠ وما بعد ،

٥٤٣ م .

موسى (في شعر) ١٧٤ .

موسى كنج ٤١ .

موسى بن عثمان = أبو حنّو الأول

موسى بن عيسى = الفعجومي ،

موسى = كنج موسى

موسى (صاحب مالي) ٤٩ .

موسى بن أسكيا محمد الأول ٤٩ .

موسى بن محمد بن سعد العنسي = ابن سعيد

العنسي

موسى = منسا موسى

موللر (محقق كتاب اللان الدين بن الخطيب)

٥١٦ م .

موللر (آخر؟) ٢١٦ م .

مؤنر - حين ٢١٦ ، ٢٧٧ .

مؤيد الدين القسبي - محمد بن محمد ١٦٥ .

ميارة - محمد بن أحمد ٦٥ ، ٦٣٢ .

ميراندا - أمروسي هوسي ٤٠٦ .

ميمون الفخار ٥٣ .

ميمون القلمي ٢٧١ .

مبّة (محبوبة غيلان) ٢٩٥ ح .

الميورقي = ابن غانية .

حرف النون:

النايفة الذبياني ١٥١ ح ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ح ،

٢٥٠ ، ٦٩٨ .

ناجي (اسم) ٦٩٥ ح .

ناجي - هلال ٥١٥ .

ناصر الدين = الأشرف شعبان

الناصر الريني - يوسف بن يعقوب ٣٢٢ م ،

٣٧٥ ، ٣٢٣ ، ٩٠ .

الناصر حسن بن قلاوون ٥١٨ م .

الناصر الموحدوي = ابن عبد المؤمن

الناصر فرج بن برفوق = فرج بن برفوق

نافع (المقري) ٥٣ م ، ٥٤ م ، ٥٥ م ، ١٤٧ ح ،

٤٢١ ، ٦٩٦ .

الناهي الماتفي - أبو الحسن عليّ ١٤٠ ،

٥٠٥ م ، (م؟) .

- التبراي = عبد الله بن نصر (الله) .
 النبهاني - اسماعيل بن يوسف ٦٦١ م .
 النبي = محمد رسول الله
 النجار - محمد ٦٨٠ .
 النجار البجائي - محمد بن عمر الزواوي ٩١ .
 النجار العروسي = يركات بن أحمد ٧٩ .
 النجار - محمد زهري ٦٧٩ .
 نجم الدين الطبري = الطبري
 النجيب بن الصقيل ٣٣٤ .
 النخعي - ابراهيم بن زيد ٤٢٣ م .
 النذرومي التلمساني - محمد بن محمد ٥٧ .
 النذرومي - يوسف بن علي ٧٥ .
 نزهة بن سليمان اللخمي - أم العناب ٢٣٠ .
 النسائي ٥٥ ح ، ٤٢١ ح ،
 النشار - سامي ٢٤٧ .
 نصار - حسين ٣١٦ ، ٣٧٤ .
 نصر بن محمد النصري = أبو الجيوش
 نصيب بن رباح ١٤٢ ح .
 نصير الدين الطوسي ٨٨ .
 النعمان بن المنذر ٤٣٢ ، ٥٠٨ ، ٦٠٣ ح ،
 راجع ٥٣٦ ح .
 النغري - محمد بن عبد الجبار ٢٠٦ .
 النغري = يحيى بن أحمد السراج
 النقرشي (؟) = القرشي .
 نفروز ٤٤٠ م .
 النمرود ٣٠٦ م .
 النميري - محمد بن عبد الله ٤٣٢ م .
 النور العقيلي (؟) ٦٣٥ .
 النور النويري (؟) ٦٣٤ .
 نور الدين الدماطي (؟) ٧٦ .
 النويري - محمد بن عمر ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٤ م .
- ١٧٨ ، ٣٣٤ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ .
 النويري - محمد بن محمد ٦٦٦ ، ٦٨٥ .
 نويا - بولس ٢٠٩ ، ٥٦٧ .
 نوبض - عادل ٣٥٦ ، ٦١٣ ، ٦١٤ .
 النيار = يوسف بن اسماعيل
 النيجي (شيخ ابن غاز) ٦٩٥ .
 النيفر - محمد التاذلي ٦١٤ .
- حرف الهاء :
- الهادي - محمد ١١٣ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٩ .
 الهاشمي - محمد ١١٩ .
 هدهاد بن شرحبيل ٣٠٦ م .
 هذيل (الأستاذ؟) ١٥٣ م .
 الحرّاس - عبد السلام ٢١٧ .
 الحرغزي الزقندري - أبو محمد ٦١١ .
 هرقل ٢٧٢ م .
 هرمس (اسم لعدد من الأشخاص الخرافيين)
 ٤٥٦ ح .
 هرمس التلث بالحكمة ٤٥٦ م . ٤٦٧ ح م .
 هرون الرشيد ٥٩٣ - ٥٩٤ .
 الهروي - أحمد بن محمد ١٤٠ م .
 الهزميري - أبو زيد عبد الرحمن ٦١٣ .
 هشام بن الحكم بن عبد الرحمن ١٥٠ ح .
 الهمداني الأندلسي = محمد بن يوسف
 الهنتاقي = أبو حفص يحيى
 الهندي = علي بن حزام الدين
 هوداس ٦٣٢ .
 هورتن ٧٨ .
 الهوريني - نصر ٢٦٩ ، ٦٠٦ .
 هولاكو ٣١٣ م .
 هوميروس ٣١ ح .

حرف الواو:

الواثق بن يحيى = أبو عصيدة

واجاج بن زلو اللمطي ٣٩ م.

الوادي أشي = ابن جابر

الوازعي - يحيى ٦٤٩ .

الواسطي = أبو الفتح

وافي - علي عبد الواحد ٦٠٦ ، ٦٠٧ .

٦٠٨ م .

الوالاتي = السوالي

الواشريسي - الحسن بن عطية ٦٦٥ .

الواشريسي = الوشريسي .

الوانبيلي - عبد الله ٦١١ .

الوانوعي - أبو مهدي (?) ٦٨ .

الوانوعي - محمد بن أحمد ٦٥ .

الوانوعي - يوسف بن ابراهيم ٦٥ .

الورجلاني الاباضي - يحيى بن أبي بكر ٨٢ ،

٢٥٢ .

الوردي - علي حسن ٦٠٩ .

ورش - عثمان بن سعيد ٥٣ م ، ١٤٧ ح .

الوزاني - محمد المهدي ٢٧٠ ، راجع ٣٩٩

(ابن الوزاني) .

الوزاني - المهدي بن محمد ٦٣٢ .

الوغيبيسي - عبد الرحمن بن أحمد ٧٢ ،

٧٦ ح .

الوقشي = الكناني الوقشي

الوليد = البحتري

الوشريسي - أبو العباس أحمد بن يحيى ١٦ ،

٦١ ، ٧٠ .

حرف الياء:

اليازجي - ابراهيم ٢٦٥ .

اليحصي = ابن حصص

اليحمدي - (?) ٦٩٣ .

يحيى بن خلدون = ابن خلدون

يحيى بن ابراهيم الكدالي ٣٨ - ٣٩ .

يحيى بن أحمد النفري السراج الرندي

الفاسي ٥٨ .

يحيى الرندي الحكيم ٣٦٥ .

يحيى بن عبد اللام الطمي القسطيني ٦٨ .

يحيى بن عبد الواحد الحفصي (١٧١ - ١٧٤)

٢٩ - ٣٠ ، ٩٩ م ، ١٥٧ م ، ١٨٣ ،

١٩٢ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ وما بعد ٢٢٠ وما

بعد ، ٢٢٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٧٨ ح ،

٢٩٢ ، ٣٠١ م ، ٣٧٦ ح .

يحيى بن علي البفري (٣٤٠) .

يحيى بن عمر اللمتوني ٤٠ .

يحيى بن عمر = الهنتاني - أبو حصص

يحيى بن غانية البورقي = ابن غانية

البيح بن عيسى = الفاقني

يعقوب الحضرمي (المقرئ) - أبو محمد

٦٢٧ م .

يعقوب بن عبد الحق = المنصور المريني

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن = المنصور

الموحدي .

اليقوي - ابراهيم ٦٧٩ .

اليعمري = ابن فرحون (صاحب الدياج)

اليعمري = ابن سيد الناس - أبو بكر

يعوق (صم) ١٢٠ م .

يفراس بن زيان ٨٢ .

يفوث (صم) ١٢٠ م .

اليفري = يحيى بن علي

اليفري - محمد بن عبد الله ٧٠ ، ٦٨٩ .

يوسف الصديق ٧٢، ١٤٧، ح ٦٦٣ .
يوسف بن عبد المؤمن = ابن عبد المؤمن
يوسف النهري ٤٠٦ ح .
يوسف بن يعقوب المريني = الناصر المريني

اليقوري الأندلسي - محمد بن ابراهيم ٥٦
يوسف بن اسماعيل (النيار) = ابن الأحمر -
يوسف بن اسماعيل بن فرج
يوسف بن أيوب بن يحيى ٨٤ ح .
يوسف بن تاشفين ٤٠ م - ٦٥٥ م .
يوسف دليلى البرغواوي بن محمد المجيزي
٦٩ - ٧٠ .

